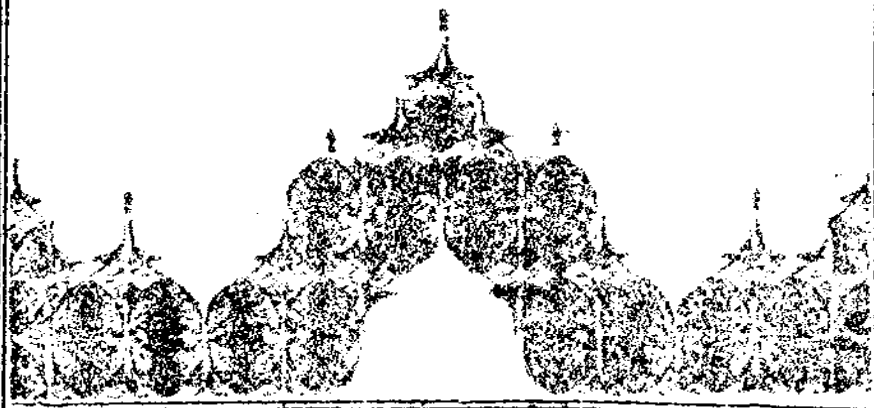


الجزء الأول من السراج المنير في الاقامة
على معرفة بعض معالم ~~السلام~~ ديننا
الحكيم الخبير الشيخ الامام
المطيب الشريف قدس
آله وروحه وعم بالرحمة
ضريحه
آمين



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك السلام المهيمن العالم شارح الاحكام ذى الجلال والاكرام الذى أنزل
القرآن بحسب المصالح منجما وجعله بالتحميد مفتحا وبالاستعاذة محتمما وأوحاه على قسامين
متشابهين ومحكما فسيحان من استأثر بالآتية والقلم ووسم كل شئ سواء بالحدوث من
العدم ومن علينا بنينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وأنعم علينا بكتابه المفترق بين الحلال
والحرام والصلاة والسلام على خير من أوحى إليه حبيب الله أبي القاسم محمد النبي الامي
المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة وعلى جميع الانبياء والملائكة البررة الكرام عدد ساعات
الليالي والايام وعلى آله الاطهار وخلفائه وجميع المهاجرين والانصار وعلى بقية العصاة
الاخبار صلاة وسلاما دائمين متلازمين آناء الليل وأطراف النهار (أما بعد) فيقول فقير
رحمة وبه القريب محمد الشريف الخليل ان الله جل ذكره أرسل رسوله بالهدى ودين
الحق رحمة للعالمين بشيرا للمؤمنين ونذيرا للمخالفين أكل به تبيان النبوة وختم به ديوان
الرسالة وأنزل عليه بفضل كفايا ساطعا تبيان قاطع ابرهانه ناطقا بينات وجميع قرآنا عربيا
غير ذى عوج مفتاحا للمنافع الدينية والدنيوية مصداقا لما بين يديه من الكتب السماوية
حسناته ظاهرة باهرة في وجهه كل زمان دائرا من بين سائر الكتب على كل لسان في كل
مكان أجز الخليفة عن معارضته وعن الاتيان بسورة من مثله في مقابلة ثم سهل على
الخلق مع اعجازه تلاوته وبسر على الالسن قراءته أمر فيه وزجر وبشر وأنذر فهو كلام
معجز في دقائق منطوقه ودقائق مفهومه لانهاية لاسرار علومه (وقد ألف أئمة السلف) كتباً

في معرفة احكامه ونزوله كل على قدر فهمه ومبلغ علمه فشكر الله تعالى سعيهم ورحم كل منهم
ثم خطرت لي أن اقتني أثرهم وأسلك طريقهم لعل الله أن يرزقني من مددهم ويعود علي من
بركتهم فترددت في ذلك مدة من الزمان خوفا من الدخول في هذا الشأن لقوله صلى الله عليه
وسلم من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ وقول سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قال في القرآن برأيه وفي رواية بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وقول أبي بكر
رضي الله تعالى عنه لما سئل عن قوله تعالى وفاكهة وأنا نقال أي سماء تطلق وأي أرض تطلق
إذا قلت في كتاب الله تعالى ما لا أعلم إلى أن يسر الله تعالى لي زيارة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم عليه
وعلى سائر النبيين والآل والصحب أجمعين في أول عام تسعمائة واحد وستين فاستضرت
الله تعالى في حضرته بعد أن صليت ركعتين في روضته وسألته أن يسر لي أمرى فنشرح
الله سبحانه وتعالى لذلك صدرى فلما رجعت من سفرى واستقر ذلك الانشراح معي وكنت
ذلك في سرى حتى قال لي شخص من أصحابي رأيت في منامى أمّا النبي صلى الله عليه وسلم
أو الشافعي يقول لي قل لفلان يعمل تفسيراً على القرآن فعن قليل الا وقد قرئت في وظيفة
مشيخة تفسير في البيمارستان ثم سألتني بعد ذلك جماعة من أصحابي المخلصين وعلى أقباس
العلم مقبلين بعد أن رأوني فرغت من شرح منهاج الطالبين أن أجعل لهم تفسيراً وسطاً بين
الطويل الممل والقصير المخل فأجبتهم إلى ذلك محتلاً وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم
فيما روي أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال إن رجلاً لا يؤمنكم
من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فاذا أتوكم فاستوصوهم خيراً واقتدوا بالماضين من
السلف في تدوين العلم إبقاء على الخلف وليس على ما فعلوه مزيد ولكن لا بد في كل زمان من
تجديد ما طال به العهد وقصر للطلابين فيه الجهد والجد تنبيه المتوقفين وتحريض المتنبطين
وليكون ذلك عوناً لي وللقاصرين مثلي مقتصرافيه على أرجح الأقوال وأعراب ما يحتاج
إليه عند السؤال وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية وأعارب محلها كتب العربية
وحيث ذكرت فيه شيئاً من القراءات فهو من السبع المشهورات وقد أذكر بعض أقوال
وأعارب لقوة مداركها أو لورودها ولكن بصفة قليل أعلم أن المرحى أولها (وسميته)
السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير وأسأله من فضله
وأحسانه أن يجعله علام مقروناً بالاخلاص والقبول والاقبال وفعلاً متقبلاً مرضياً بكماء بعد
من صالح الأعمال (وقد نقلت) التفسير بحمد الله من تفاسير متعددة رواية ودراية عن
أئمة ظهرت وبهرت مفاخرهم واشتهرت وانتشرت ما أثرهم جعلني الله وإياهم والمسلمين في
مستقر رحمة بحمد وآله وصحبه (وها أنا الآن أشرع) وبحسن توفيقه أقول وهو الموفق
لكل خير يعطى كل مسؤل

قوله فقال أي سميته
كثيراً ما تستعمل
إعادة العامل لطول
الفصل وهو في
القول ككثيراً ما
معناه

(سورة فاتحة الكتاب)

وتسمى أم القرآن لانها مفتحة ومبدؤه فكانها أصله ومنشؤه ولذلك تسمى أساساً ولانها
تشمّل على ما فيه من الثناء على الله تعالى والتهديد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعدته وأعلى جملة
معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع
على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكثر لانها نزلت من كنز تحت العرش والوافية
والكافية لانها وافية كافية في صحة الصلاة بخلاف غيرها عند القدرة عليها والشافية والشفاء
لقوله عليه الصلاة والسلام هي شفاء لكل داء والسبع المثاني لانها سبع آيات باتفاق لكن
من هذا السبعة آية منها جعل السابعة صراط الذين الى آخرها ومن لم يعدّها آية منها جعل
السابعة غير المغضوب عليهم الى آخرها وسميت مثاني لانها تنفي في الصلاة أي تكثر فيها بان تقرأ
في كل صلاة وفي كل ركعة وقول بعضهم تنفي في كل ركعة فيه تجوز وهي مكينة على قول الأكثر
وقال مجاهد مدنية وقيل نزلت مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة حين حوت
القبلة ولذلك سميت مثاني قال البغوي والاول أصح وقال البضاوي وقد صرح أنها مكينة بقوله
تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني وهو مكى بالنص انتهى وأراد بالنصر السنة فقد ثبت ذلك
عن ابن عباس وقول العصامي في القرآن خصوصاً في النزول له حكم المرفوع والقرآن العظيم
والنور والراقية وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها على ذلك وسورة المناجاة
وسورة التفويض وفاتحة القرآن وأم الكتاب وسورة الحمد الاولى وسورة الحمد القصوى وسورة
السؤال والصلاة لخبر قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي
ما سأل يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي يقول العبد الرحمن الرحيم
يقول الله أشني على عبدي يقول العبد مالك يوم الدين يقول الله يحمدني عبدي يقول العبد اياك
نعبد واياك نستعين يقول الله عز وجل هذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل يقول العبد
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين يقول الله
فهو لا لعبدي ولعبدي ما سأل ولأنها جزؤها فهو من باب تسمية جزء الشيء باسم كله وقوله
تعالى (بسم الله) أي الملك الاعظم الذي لا نعبد الاياه (الرحمن) أي الذي همّ بنعمتي ايجلده
وبيانه جميع خلقه أسفله وأعلاه أدناه وأقصاه (الرحيم) أي الذي خص من بينهم أهل وده برضاه
آيتمن الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤها واما ابن المبارك والشافعي وقيل ليست منها
وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها والاوزاعي ومالك ويدل للاول ما روى أنه
صلى الله عليه وسلم عند الفاتحة سبع آيات وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية منها رواه البخاري
في تاريخه وروى الدارقطني عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا
قرأتم الحمد لله فافروا بسم الله الرحمن الرحيم انها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم
الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها وروى ابن خزيمة باسناد صحيح عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها
ان النبي صلى الله عليه وسلم عد بسم الله الرحمن الرحيم آية والحمد لله رب العالمين الى آخرها
ست آيات وآية من كل سورة الا براءة لاجتماع العصابة على اثباتها في المصحف بخطه وائل السور

سوى براءة مع المبالغة في مجريد القرآن من الاعشار وتراجع السور والتعويض حتى لم تكتب امين
فلو لم تكن قرأنا لما اجازوا ذلك لانه يحصل على اعتقادنا ليس بقرآن قرأنا وايضا هي آية من
القرآن في سورة النحل قطعاً ثم انما راها مكررة بخط القرآن فوجب أن تكون منه كما انما رأينا
قوله فبأي آلاء ربك تكذبان وقوله ويل يومئذ للمكذبين مكرراً في القرآن بخط واحد وبصورة
واحدة قلنا ان الكل من القرآن (فان قيل) اعلمنا ثبت للفصل (أجيب) بأنه يلزم عليه اعتقاد ما
ليس بقرآن قرأنا وثبت في أول براءة ولم تثبت في أول الفاتحة (فان قيل) القرآن انما ثبت
بالتواتر (أجيب) بأن محله فيما ثبت قرأنا قطعاً انما ما ثبت قرأنا كما في كفي فيه الظن كما يكتفي
في كل ظني خلافاً للقاضي أبي بكر الباقلاني وايضا اثباتها في المصحف بخطه من غير تكثير في معنى
التواتر وايضا قد ثبت التواتر عند قوم دون آخرين (فان قلت) لو كانت قرأنا لكفر جاحداها
(أجيب) بأنها لو لم تكن قرأنا لكفر منبها وايضا التمسك بغير لا يكون بالظنيات وقد اوضحت
ذلك مع زيادة في شرح التنبيه والتهاج أما براءة فليست بالبسلة آية منها باجماع (فائدة) *
ما ثبت في المصحف الآن من أسماء السور والاعشار شئ ابتدعه الجاح في زمنه والباء في بسم
الله متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ الآن الذي يتلوه مقروء اذ كل فاعل يبدأ في فعله باسم
الله يضم ما يجعل التسمية مبدأه كما أن المسافر اذا حل أو ارتحل فقال بسم الله الرحمن الرحيم
كان المعنى بسم الله أحل بسم الله ارتحل وذلك أولى من أن يضم بدأ لعدم ما يطابقه وما يدل
عليه ومن أن يضم ابتدأ لما ذكرنا (فان قيل) المصدر لا يعمل محذوفاً (أجيب) بأنه
يتوسع في الطرف والجار والمجرور ما لا يتوسع في غيرهما وتقديره مؤخرا كما قال الامام الرازي
أولى كما في اياك نعبد واياك نستعين لانه أهم وأدل على الاختصاص وأدخل في التعظيم وأوفق
للوجود فان اسمه تعالى مقدم ذاتا لانه قديم واجب الوجود لذاته فقدم ذكره (فان قيل)
قال الله تعالى اقرأ باسم ربك فقدم الفعل (أجيب) بأنه في مقام ابتداء القراءة وتعليمها لانها أول
سورة نزلت فكان الامر بالشراءة أهم باعتبار هذا العارض وان كان ذكر الله تعالى أهم في
نفسه وذكرت أجوبة غير ذلك في مقدمتي على البسلة والحمد لله والباء للاستعانة والمصاحبة
والملازمة على جهة التبرك والمعنى متبرك باسم الله اقرأ والثاني أولى لما فيه من التحاشي عن
جعل اسمه تعالى آلة والاحسن أن تكون لهما اعمالا للفظ في معنييه الحقيقيين أو الحقيقيين
والجاري عند من يجوزه كما منا الشافعي والبسلة وما بعدها الى آخر السورة مقول على السنة
العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويستل من فضله ويقدر في أول الفاتحة
قولوا كما قال الجلال المحلى له يكون ما قبل اياك نعبد مناسباً له يكونه من مقول العباد (فان
قيل) من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد أن تبنى على الفتح التي هي أخت
السكون فتحووا والعطف وفاته (أجيب) بأنها انما كسرت للزومها الحرفية والجزئية وكتابه
حركتها عملها وحذفت الالف من بسم خطا كما حذفت لفظا دون باسم ربك وان كان وضع الخط
على حكم الابتداء دون الالاف لكثر استعماله وقالوا طوت الباء تعويضا من طرح الالف

والحق بها بسم الله مجراها ومرساها وانه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم وان لم تكتب في القرآن الامرة واحدة تشبهها الهاصورة (فان قيل) لم حذف في بسم الله دون الله والرحمن الرحيم (أجيب) خطان لا يقاس عليهما خط المصحف وخط العرويين ولا تحذف الالف اذا أضيف الاسم لغير الله ولا مع غير الباء * والاسم مشتق من السمو وهو العلو لانه رفعة للمسمى وشعار له فهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيدودم لكثرة الالاسم نعمال وبنيت أواتلها على السكون وأدخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لتعذر الابتداء بالساكن ولأن من دأبهم أن يتدوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن وقيل من الوم وهو العلامة فوزنه على الاول افع محذوف اللام وعلى الثاني اعل محذوف الفاء وفيه عشر لغات نظمه بعضهم في بيت فقال

سم وسما واسم بثلاث أقول * لهن أسماء عاشرمت النجلى

والاسم ان أريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من أصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الالم والاعصار ويتعددتارة ويتحد أخرى والمسمى لا يكون كذلك وان أريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه لم يشترج هذا المعنى وقوله سبع اسم ربك الاعلى المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته تعالى وصفاته يجب تنزيه الالفاظ الموضوعات لها عن الرفق وسوء الادب أو الاسم فيه مقسم كما في قول الشاعر

الى الحول ثم اسم السلام عليكم * ومن ييك حولا كاملا فدا اعتذر

وان أريد به الصفة كما هو رأى أبى الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو بنفس المسمى كالواحد والقديم والى ما هو غيره كالتاقي والرازق والى ما ليس هو ولا غيره كالعالم والقدرة فانهم ازانان على الذات وليسا غير الذات لان المراد بالغير ما يتقن عن الذات وهما لا ينفكان (فان قيل) لم بدأ بسم الله دون بالله (أجيب) بأن التبرك والاستعانة بذكر اسمه وللفرق بين اليمين واليمين * والله علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد وأصله الله قال الرافي كامام ثم ادخلوا عليه الالف واللام ثم حذفتم همزة ونقلت حركتها الى اللام فصار اللام بلامين متحركين ثم سكنت الاولى وادغمت في الثانية للتسهيل انتهى والاله في الاصل يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على القربا والحق انه أصل بنفسه غير مأخوذ من شيء بل وضع على التبداء فكما أن ذاته لا يحيط بها شيء ولا ترجع الى شيء فكذا اسمه تعالى وقيل مأخوذ من أنه اذا تحيرت العقول تحير في معرفته وقيل غير ذلك وهو عربى عند الأكثر وعند المحققين انه اسم الله الاعظم وقد ذكره الله تعالى في الفين وثلاثين وستين موضعاً واختار النووي تبعاً لجماعة أنه الحى القيوم قال ولذلك لم يذكر في القرآن الا في ثلاثة مواضع في البقرة وآل عمران وطه * والرحمن الرحيم صفتان مشبهتان بنيتا للمبالغة من رحم تنزيله منزلة اللازم أو يجعله لازماً ونقله الى فعل بالضم والرجة لغة رقة في القلب تقتضى التفضل والاحسان فالتفضل غايةا وأسماء الله تعالى المأخوذة من نحو ذلك انما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادئ التي تكون انفعالات فرجة

الله تعالى ارادة ابدال الفضل والاحسان أو نفس ابدال ذلك فهي من صفات الذات على الاول
ومن صفات الفعل على الثاني والرحمن أبلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى
كما في قطع بالتخفيف وقطع بالتشديد (فان قيل) حذراً ببلغ من حذر (أجيب) بأن ذلك أكثرى
لا كلى وبأن الكلام فيما اذا كان المتلاقيان في الاشياء متقاف متحدى النوع في المعنى كغوث
وغرثان لا كحذرو حاذر للاختلاف وقدم الله عليهما لانه اسم ذات وهما اسم صفة والرحمن على
الرحيم لانه خاص اذ لا يقال اغبر الله بخلاف الرحيم والخاص مقدم على العام وانما قدم
والقياس يقتضى الترقى من الأدنى الى الأعلى كقولهم عالم نحرير لانه صار كالعلم من حيث انه
لا يوصف به غيره ولذلك رجع جماعة انه علم ولانه لما دل على جلال النعم وأصولها ذكر الرحيم
كالتابع والثناء والرياف لتناول ما دق منها ولطف فليس من باب الترقى بل من باب التعميم
والتكميل والمحافظة على رؤس الآي وهل الرحمن مصروف أو لا فيه قولان مال السعد
الثناء زانى الى جوار الامرين لان شرط منع صرف فعلا ان صفة وجود فعلى وشرط صرفه
وجود فعلا لانه وكلاهما منتف هما لكن أظهرهما أنه ممنوع الصرف الحاقاله بما هو الغالب من
نظائره في الزيادة والوصف والثاني انه مصروف الحاقاله بالاصل في مطلق الاسم وهو الصرف
هذامع ان المختار في منع صرف ما ذكر انتفاء فعلا لانه لا وجود فعلى والحاصل انه تعارض في
صرفه وعدم صرفه الاصل والغالب (فان قيل) هذا اذا لم تدخله ال (أجيب) بأن المختارات غير
المصرف اذا دخلت عليه ال والعلمتان فيه باق على منع صرفه وان جرت بالكسرة (فوائد الاولى)
الوقف على الله قبيح للفصل بين التابع والمتبوع وعلى الرحمن كذلك وقيل كاف وعلى الرحيم تام
(الثانية) عدد حروف البسملة الرسمية تسعة عشر حرفاً وعدد ملائكة خزنة النار تسعة عشر
قال ابن مسعود من أراد أن ينجيّه الله تعالى من الزبانية فليقلها يجعل الله تعالى له بكل حرف جنة
أى وقاية من واحد (الثالثة) قال التسي في تفسيره قيل الكتب المنزلة من السماء الى الدنيا
مائة وأربعة صحف ثلث وستون وصحف ابراهيم ثلاثون وصحف موسى قبل التوراة عشرة
والتوراة والانجيل والزبور والفرقان وجميع كل الكتب مجموعة في الفاتحة ومعاني الفاتحة
مجموعة في البسملة ومعانيها مجموعة في بائها ومعانيها كان ما كان وبى يكون ما يكون زاد به ضمهم
ومعاني الباء في نقطتها وتخصيص التسمية بهذه الثلاثة التى هى الله والرحمن والرحيم ليعلم
العارف ان المستحق لان يستعان به في جميع الامور هو المعبود الحقيقى الذى هو مولى النعم
كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيقها فية وجه العارف به بجلته حراً ومحبة الى جناب القدس
وتمسك به ليل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستعداد به عن غيره (الحمد لله) الحمد اللفظى لغة
الثناء باللسان على الجليل الاختيارى على قصد التجميل أى التعظيم سواء أعلق بالفضائل وهى
النعم القاصرة أم بالفواضل وهى النعم المتعدية قد دخل في الثناء الحمد وغيره وخرج باللسان الثناء
بغيره كالحمد النفسى وبالجميل الثناء باللسان على غير الجليل ان قلنا برأى ابن عبد السلام ان
الثناء حقيقة في الخير والشر وان قلنا برأى الجمهور وهو الظاهر انه حقيقة في الخير فقط فائدة

ذلك تحقيق الماهية أو دفع توهم ارادة الجمع بين الحقيقة والمجاز عند من يجوز وبالاختباري المدح فانه يعم الاختباري وغيره تقول مدحت اللؤلؤة على حسنها دون مدتها وظاهر قول الزمخشري الحمد والمدح أخوان انهما مترادفان وبه صريح في الفائق ~~لكن~~ الا وفق ما عليه الاكثر انهما غير مترادفين بل متشابهان معنى أو اشتقاقا كبيرا والاشتقاق ثلاثة أقسام كبير وأكبر وأصغر وقد يعبر عنه بالصغير والكبير أن يشترك اللفظان في الحروف الاصول من غير ترتيب كالحمد والمدح والا كبير أن يشتركا في أكثر الحروف الاصول كالفلق والفلج والفلذمع اتحادا في المعنى أو تناسب والا صغرا أن يشتركا في الحروف الاصول المرتبة كضرب والضرب وبعلى قصد التجميل ما كان على قصد الاستهزاء والسخرية نحو قوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم وتناول الظاهر والباطن اذ لو تجرد الثناء على الجميل عن مطابقة الاعتقاد وخالفه أفعال الجوارح لم يكن جدابله تمكيم أو غلج وهذا لا يقتضي دخول الجنان والاركان في التعريف لان المطابقة وعدم المخالفة اعتبارا فيه شرطا لا شطرا وعرفا فعل يبي عن تعظيم المنعم من حيث انه منعم على الحامد أو غيره سواء كان ذكرا باللسان أم اعتقادا ومحبة بالجنان أم عملا وخدمة بالاركان كما قيل

أفادتكم النعماء في ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا

فورد اللغوي هو اللسان وحده ومتعلقة بعم النعمة وغيرها ومورد العرفي يعم اللسان وغيره ومتعلقة بكون النعمة وحدها فاللغوي أهم باعتبار المتعلق وأخص باعتبار المورد والعرفي بالعكس والشكر لغة هو الحمد عرفا وعرفا صرف العبد لجميع ما أنعم الله تعالى به عليه من السمع وغيره الى ما خلق لاجله والمدح لغة الثناء باللسان على الجميل مطلقا على جهة التعظيم وعرفا ما يدل على اختصاص الممدوح بنوع من الفضائل فالشكر أهم من الحمد والمدح من وجه لانه لا يختص باللسان وأخص منهما من وجه آخر لانه يختص بالثناء على الانعام وضد الحمد الذم وضد الشكر الكفران وضد المدح الهجو * وجه الحمد لله خبرية لفظا انشائية معنى لحصول الحمد بالتكلم به مع الادعان لمدلولها ويجوز أن تكون موضوعا شرعا لانشاء وقيل خبرية لفظا ومعنى قال بعضهم وهو التحقيق اذ ليس معنى كونها انشائية الا أنها جمل انشاء الحمد الثناء بها وذلك لا ينافي كونها خبرية معنى * ولا م الله الملك أو الاشتقاق أو الاختصاص وقيل للتعليل والاولى أنها الاختصاص بالمعنى الاعم الصادق بالملك وبالاخص تصديق لا بالمعنى الاخص المقابل لهما وعلى كل فهي متعلقة بمحذوف هو الخبر حقيقة فالحمد مختص بالله كما أفادته الجملة الاسمية سواء أجدات لام التعريف فيه للاستغراق كما عليه الجهم وهو ظاهر أم للجنس كما عليه الزمخشري لان لام الله للاختصاص كما مر فلا فرد منه غيره أم للعهد كالتق في قوله تعالى اذ هما في النار كما نقله ابن عبد السلام وأجازه الواحدى على معنى أن الحمد الذي حمد الله به نفسه وحده به أنبياءه وأوليائه مختص به والعبرة بمحمد من ذكر فلا فرد منه لغيره وأولى الثلاثة الجنس زاد بعضهم والكمال كما أفاده سيبويه في الداخلة على الصفات كالرحمن الرحيم قال البيضاوى اذا الحمد

في الحقيقة كله اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط أو بغير وسط كما قال وما بكم من نعمه فمن الله انتهى (فان قيل) بل هو موليه مطلقا بغير وسط (أجيب) بان المراد بالوسط من تصل اليه النعمة أولا ثم تنتقل منه الى غيره لا أنه وسط في التأثير (فاقيل) لم يخص الحمد بالله ولم يقل الحمد للخالق أو نحوه من بقية الصفات (أجيب) بأن لا يوهن اختصاص استحقاق الحمد بوصف دون وصف قال البيضاوي وفيه اشعار بأنه تعالى حتى قادر مريرد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شأنه (رب العالمين) أي مالك جميع الخلق من الانس والجن والملائكة والدواب وغيرهم اذ كل منها يطلق عليه عالم يقال عالم الانس وعالم الجن الى غير ذلك وسمى المالك بالرب لانه يحفظ ما يملكه ويربسه ولا يطلق على غيره تعالى الامقيدا كقوله تعالى ارجع الى ربك والعالمين اسم جمع عالم بفتح اللام وليس جعله لان العالم عام في العقلاء وغيرهم والعالمين مختص بالعقلاء والخاص لا يكون جعلها هو أعم منه قاله ابن مالك وتبعه ابن هشام في توضيحه وذهب كثير الى أنه جمع عالم على حقيقة الجمع ثم اختلفوا في تفسير العالم الذي جمع هذا الجمع فذهب أبو الحسن الى أنه أصناف الخلق العقلاء وغيرهم وهو ظاهر كلام الجوهرى وذهب أبو عبيدة الى انه أصناف العقلاء فقط وهم الانس والجن والملائكة وقيل عنى به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير ووجه اشتمال الصغير وهو الانسان على نظائر ما في الكبير وهو ما سوى الله تعالى أن تفاصيله شبيهة بتفاصيل العالم الكبير اذ الكبير ينقسم الى ظاهر محسوس كعالم الملك وهو ما ظهر للعواس وتكون بقدره الله تعالى بعضه من بعض وتضمنه التغيير والى باطن معقول كعالم الملكوت وهو ما أوجده سبحانه وتعالى بالامر الازلي بلا تدريج وبقي على حالة واحدة من غير زيادة فيه ولا نقصان منه والى عالم الجبروت وهو ما بين العالمين مما يشبهه أن يكون في الظاهر من عالم الملك فخر بالقدرة الازلية بما هو من عالم الملكوت والانسان كذلك ينقسم الى ظاهر محسوس كاللحم والعظم والدم والى باطن كالروح والعقل والارادة والقدرة والى ما هو مشابه لعالم الجبروت كالادراكات الموجودة بالحواس والقوى الموجودة باجزاء البدن (فان قيل) لم جمع جمع قله مع ان المقام يستدعي الاتيان بجمع الكثرة (أجيب) بأن فيه تنبيها على انه م وان كثروا قليلون في جنب عظمتهم وكبريائه تعالى (الرحمن الرحيم مالك يوم الدين) ذكر سبحانه وتعالى في هذه السورة من اسمائه خمسة الله والرب والرحمن والرحيم والمالك والسبب فيه كانه يقول خلقتك أولا فانما الله ثم ربيتك بوجود النعمة فانار رب ثم عصيت فسترت عليك فانار رحمن ثم تبت عليك فانار رحيم ثم لا بد من ايصال الجزاء اليك فانما لك يوم الدين (فان قيل) انه تعالى ذكر الرحمن الرحيم في التسمية ثم ذكرهما مرة ثانية دون الاسماء الثلاثة الباقية فما الحكمة في ذلك (أجيب) بأن الحكمة في ذلك كانه قال تعالى اذكر اني اله ورب مرة واحدة واذا ذكر اني رحمن رحيم مرتين ليعلم أن العناية بالرحمة أكثر منه بسائر الامور ثم لما بين الرحمة المضاعفة فكأنه قال لا تغتروا بذلك فاني مالك يوم الدين ونظيره قوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وقرأ عاصم والكسائي مالك

بألف بعد الميم ويعضده قوله تعالى لا تغفل نفسك لنفسك شيئاً والامر يومئذ لله وقرأ الباقر بنغير
 ألف ويعضده قوله تعالى ملك الناس وبينهما مخرج مطلق فكل ملك مالك ولا عكس لعموم ولاية
 الملك التزاما لمطابقة ولا يقدح فيها أن تقول مالك الدواب والانععام والوحوش والطير دون
 ملكها لأن ذلك ليس من جهة عدم شمول حياطته لذلك بل من جهة أنه انما يضاف عرفاً إلى ما
 فيه انقياد وامثال وينفذ فيه التصريف بالامر والنهي قاله السعد التفتازاني وقيل هما
 بمعنى وهو القادر على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود ولا يقدر على ذلك الا الله ويوم
 الدين يوم الجزاء ومنه قواهم كاتدين تدان وهو يوم القيامة وخص بالذكر لانه لا ملك ظاهر فيه
 لاحد الا الله تعالى لمن الملك اليوم لله (فان قيل) اضافة اسم الفاعل غير حقيقية فلا تكون معطية
 معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة (أجيب) بأنها انما تكون غير حقيقية اذا
 أريد باسم الفاعل الحال أو الاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة أو غدا
 فاما اذا قصد به معنى الاستمرار أي هو موصوف بذلك دائماً فتكون الاضافة حقيقية كغافر
 الذنب فصح وقوعه صفة للمعرفة (فان قيل) التقييد بيوم الدين ينافي الاستمرار لكونه صريحاً
 في الاستقبال (أجيب) بأن معناه الثبوت والاستمرار من غير اعتبار حدوث في أحد الأزمنة
 ومثل هذا المعنى لا يمنع أن يعتبر بالنسبة الى يوم الدين كأنه قيل هو ثابت المالكية في يوم
 الدين أو المراد أنه جعل يوم الدين لتحقيق وقوعه بمنزلة الواقع فتستمر المالكية في جميع الأزمنة
 * (تنبيه) * اجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه رباً للعالمين موجداً لهم منعهما عليهم
 بالنعم كلها ظاهرة وباطنية عاجلها وآجلها ما كالا مورهـم يوم الثواب وال عقاب للدلالة على أنه
 تعالى الحقيقي بالحمد لا أحد أحق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواء فان ترتب الحكم على
 الوصف يشهر بعليته له (اي لا تعبدوا الا الله المستعين) اي اضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء
 والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب وفيه
 أقوال أخذ كرتها في شرح القطر (فان قيل) لم كر ضمير اياك (أجيب) بأنه كر للتخصيص
 على أنه المستعان به لا غيره (فان قيل) لم قدمت العبادة على الاستعانة (أجيب) لتوافق رؤس
 الآي وليعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى الى الاجابة وأيضاً المناسب للتكلم
 العبادة الى نفسه أو هم ذلك فرحاً واعترافاً منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل
 على أن العبادة أيضاً مما لا تتم ولا تيسر له الا بمعونة منه تعالى وتوفيق (فان قيل) لم عدل عن
 لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب (أجيب) بأن عادة العرب التفتن في الكلام والعدول من أسلوب
 الى آخر تحسيناً للكلام وتنشيطاً للسامع فيكون أكثر اصغاء للكلام فتعدّل من الخطاب الى
 الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس فيهما فهذه أقسام أربعة ذكرها البيضاوي والتحقيق
 كما قاله بعض المتأخرين انها ستة لأن الملتفت اليه اثنان وكل منهما إما غيبة أو خطاب
 أو تكلم من ذلك قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم الاصل بكم فهو التفتات من
 الخطاب الى الغيبة وقوله تعالى والله الذي أرسل الرياح فتشيد بها فاسقناه الاصل فساقه فهو

التفات من الغيبة الى التكلم * والاستعانة طلب معونة وهي اما ضرورية او غير ضرورية فالضرورية ما لا يتأتى الفعل دون كاتقدار الفاعل وقصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند اجتماع ذلك يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح أن يكاف بالفعل وغير الضرورية تحصل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالأحالة في السفر للقادر على المشي أو يقرب الفاعل الى الفعل ويحمله عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف غالباً وقد يتوقف كما كثرت الواجبات المالية (فان قيل) لم أطلعت الاستعانة (أجيب) بأنها انما أطلقت لاجل أنها تتناول المعونة في المهمات كلها وفي أداء العبادات واستحسن هذا الزمخشري قال لتلاوم الكلام وأخذ بعضه بحجزة بعض * (تنبيه) * الضمير المستكن في نعبدون ونستعين للقارئ ومن معه من الحنفية وحاضري صلاة الجماعة أوله ولسائر الموحدين أدرج عبادته في تضاعيف عبادتهم وخط حاجته بحاجتهم لعل عبادته تقبل بركة عبادتهم وحاجته بحاج اليها بركة حاجتهم ولهذا شرعت الجماعة في الصلاة (فان قيل) لم قدم المفعول (أجيب) بأن تقديمه للتعظيم والاهتمام بالدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على أن العابد ينبغي أن يكون نظره الى المعبود أولاً وبالذات ومنه الى العبادة لامن حيث انهاء عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصله بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حاله من أحواله الامن حيث انما يلاحظه له ومتسببة اليه ولذلك فضل ما حكى عن حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كلمه موسى صلى الله عليه وسلم حيث قال ان معي ربى سيهدين لان الاول قدم ذكر الله تعالى على المعية والثاني بالعكس (اهدنا الصراط المستقيم) بيان للمعونة المطلوبة فكانت قال كيف أعينكم فقالوا اهدنا والهداية الدلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير (فان قيل) قال الله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم (أجيب) بأنه وارد على التهكم * (تنبيه) * هدى أصله أن يعتدى باللام أربالى كقوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وانك لتهدى الى صراط مستقيم فعمل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا وقد يعتدى بنفسه كما هنا وهو حينئذ محتمل لاضمار الحرف ولعدم اضمماره وهذا به الله تعالى تنوع أنواعا لا يحصى عدها كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولكنها تنحصر في اجناس مرتبة الاول افاضة القوى التي تمكن بها المؤمن من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاء والظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصالح والفساد واليه أشار تعالى حيث قال وهدينا للناس صراطاً مستقيماً طريق الخير والشر وقال وأما ودفعناهم فاستجبوا المعنى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب وإياها عني بقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والرابع أن يكشف لقلوبهم السرائر ويريهم الاشياء

قوله واستحسن هذا
الزمخشري عبارته
فان قلت لم أطلقت
الاستعانة قلت
لتناول كل مستعان
فيه والاحسن أن
تراد الاستعانة به
وبتوقيفه على أداء
العبادة ويكون قوله
اهدنا بنا للمطلوب
من المعونة كانه قيل
كيف أعينكم فقالوا
اهدنا الصراط
المستقيم وانما كان
أحسن لتلاوم الخ
اهد فتأمل اهم معناه

كما هي بالوحي والالهام والمنامات الصادقة وهذا القسم يختص بنيله الانبياء والاولياء
 واياه عنى تعالى بقوله أوائل الذين هدى الله فبهذا هم اقتدوا وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
 سبلنا (فان قيل) ما معنى طلب الهداية وهم مهتدون (أجيب) بأنهم طلبوا زيادة ما منحوه
 من الهدى والاثبات عليه كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والصراط من قلب السبيل
 صدادا يطابق الطاء في الاطباق وقد تشتم الصاد صوت الزاى ليكون أقرب الى المبدل منه قرأ
 حصة الصراط المعرف في هذه السورة بالانعام وهو أن ينطق القارئ بحرف متولد بين
 الصاد والزاى وأشم خلف صراط الثانى كالاول وكذا جميع ما في القرآن من معرف ومنكر
 وقرأ قبل جميع ما في القرآن بالسبيل وقرأ الباقيون بالصاد الخالصة في الجميع وهذه لغة قريش
 وهى الثابتة في الامام وهو مصنف سيدنا عثمان رضى الله تعالى عنه والمستقيم المستوى
 والمراد به طريق الحق وقيل له الاسلام وهذان القولان مرويان عن ابن عباس وهما متحذران
 صدقا وان اختلفا فهو ما (صراط الذين أنعمت عليهم) بالهداية بدل من الاول بدل كل
 من كل والعامل فيه مقتدر على رأى الجمهور وقيل العامل فيه هو العامل في المبدل منه وهو
 ظاهر مذهب سيبويه واختاره ابن لك (فان قيل) ما فائدة ذكر صراط الذين أنعمت عليهم بدلا تابعا
 وهلا اقتصر عليه مع انه المقصود بالنسبة (أجيب) بأن فائدة التوسيد والتنصيص
 على أن طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وأبلغه لانه جعل كالتفسير
 والبيان له فكانه من البين الذى لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وهذا
 هو الموافق لما خرج ابن جرير عن ابن عباس ان المراد بالذين أنعمت عليهم الانبياء والملائكة
 والصديقون والشهداء ومن أطاعه وعبداه وقيل الذين أنعمت عليهم الانبياء خاصة صلوات
 الله وسلامه عليهم وقيل أصحاب موسى وعيسى قبل التعريف والنسخ (تنبيه) أطلق
 الانعام ليشمل كل انعام لان من أنعم الله عليه بنعمة الاسلام لم يبق نعمة الا أصابته واشتملت عليه
 ويبدل من الذين بصلته (غير المغضوب عليهم) وهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب
 عليه (ولا) أى وغير (الضالين) وهم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا
 الآية ونكتة البدل افادة ان المهتدين ليسوا يهودا ولا نصارى وقيل ان غير صفة على معنى انهم
 جمعوا بين النعمة المطلقة وهى نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله تعالى والضلال
 وقيل المغضوب عليهم هم الكفار والضالون هم المنافقون وذلك لانه تعالى بدأ فى أول البقرة
 بذكر المؤمنين والثناء عليهم فى خمس آيات ثم اتبعهم بذكر الكفار وهو المراد من قوله تعالى ان الذين
 كفروا ثم اتبعهم بذكر المنافقين وهو قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الخ وكذا ههنا
 بدأ بذكر المؤمنين وهو قوله أنعمت عليهم ثم اتبعهم بذكر الكفار وهو قوله غير المغضوب عليهم
 ثم اتبعهم بذكر المنافقين بقوله ولا الضالين (فان قيل) كيف صح أن يقع غير صفة للمعرفة وهو
 لا يتعرف وان أضيف الى المعارف (أجيب) بأنه يصح بأحد تأويلين أحدهما اجراء الموصول
 مجرى النكرة اذ لم يقصده معهود كاهلى باللهام فى قول القائل * واقدأمر على اللئيم بسبى * أى

لثيم يسبني اذ لامرور على الكل والثاني جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ماله ضد واحد
 وهو المنعم عليه فليس في غير اذن الابهام الذي يأتي عليه أن يتعرف * (تنبيه) * انما هي كل من
 اليهود والنصارى بما ذكر مع أنه مغضوب عليه وضال لا اختصاص كل منهما بما غلب عليه وقال
 صلى الله عليه وسلم ان المغضوب عليهم اليهود والنصارى رواه ابن حبان وصححه وقيل
 المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق
 لذاته والخير للعمل به فكان المقابل لمن اختل إحدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل
 فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القائل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعمل جاهل ضال لقوله
 تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال (فان قيل) ما معنى غضب الله لان الغضب ثوران النفس عند
 ارادة الانتقام أو تغيير يحصل عند ثوران دم القلب ارادة الانتقام وهو محال في حقه تعالى
 (أجيب) بأنه اذا استند الى الله تعالى أريد به المنتهى والغاية فعناء ارادة الانتقام من العصاة
 وانزال العقوبة بهم وأن يفعله ما يشاء الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه
 ونسأل له رضاه ورجته (فان قيل) أي فرق بين عليهم الاولى والثانية (أجيب) بأن محل مجرور
 الاولى النصب على المفعولية ومحل مجرور الثانية الرفع لانه نائب مناب الفاعل (فان قيل)
 لم دخلت لافي ولا الضالين (أجيب) بأنها بمعنى غير كآثرته تبع للجلال المحلى وأنها مزيدة كما قال
 الزجاج شري تاء كيد ما في غير من معنى النفي كأنه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين وللتصريح
 بتعلق النفي بكل من المعطوف والمعطوف عليه * (فائدة) * أول السورة مشتمل على الحمد لله
 والثناء عليه والمدح له وآخرها مشتمل على الذم للمعرضين عن الايمان به والاقرار بطاعته وذلك
 يدل على أن مطلع الخيرات وعنوان السعادات هو الاقبال على الله ومطلع الآفات ورأس
 المخالفات هو الاعراض عن الله تعالى والبعد عن طاعته والاجتناب عن خدمته (فان قيل)
 ما فائدة غير المغضوب الخ بعد ذكر أنعمت عليهم (أجيب) بأن الايمان انما يكمل بالرجاء والخوف
 كما قال عليه الصلاة والسلام لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لا اعتدلا فقوله صراط الذين أنعمت
 عليهم يوجب الرجاء الكامل وقوله غير المغضوب عليهم الخ يوجب الخوف الكامل وحينئذ
 يتقوى الايمان بركنيه وطرفيه وينتهي الى حد السكال وقرأ حمزة عليهم غير المغضوب عليهم بضم
 الهاء ووقفا وصلوا وكذا جميع ما في القرآن وقرأ ابن كثير عليهم بواو بعد الميم في الوصل فاذا وقف
 أسقط الواو وكذا يفعل في كل ميم جمع بعدها حرف متحرك وأما قالون فهو مخير في ميم الجمع
 ان شاء وصلها بواو كبن كثير وان شاء لا يصلها بواو وأما ورش فانه يصل ميم الجمع بواو وان كان
 بعدها همزة قطع فيصير عندهم متما من فصل وفي ولا الضالين مديان لازم وعارض فاللزم هو الذي
 على الالف بعد الصاد قبل اللام المشددة والعارض هو الذي على الباء قبل النون * والسنة
 للقارئ أن يقول بعد فراغه من الفاتحة آمين مقصولا عن الفاتحة بسكتة وهو اسم الفعل الذي
 هو استجب وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه
 فقال افعل بنى على الفتح كائين لا انتقام الساكنين وبارز مدأفهم وقصرها قال يجنون ليلي

يا رب لا تسلبني حبها أبدا * ويرحم الله عبدا قال آمينا

أى بالمد وقال جبريل لما سأله الاسدي المسمى بقطر

تساعدني فطرح اذ سأله * آمين فزاد الله ما بيننا بعدا

فذكره مقصورا وكان من حقه التأخير لان التأمين انما يكون بعد الدعاء لكن قدمه للضرورة
وليس امين من القران انما قايده ليل أنه لم يثبت في المصاحف كما مرّت الاشارة اليه ولكن يسق
ختم السورة به لقوله صلى الله عليه وسلم علمني جبريل عليه السلام امين عند فراغي من قراءة
الفاتحة كما رواه البيهقي وغيره وقال صلى الله عليه وسلم انه كان لهم على الكتاب كما رواه ابوداود
في سننه وقال علي رضي الله تعالى عنه امين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده رواه الطبراني
وغيره لكن بسند ضعيف يقوله الامام ويجهز به في الجهرية لما روى عن وائل بن حجر أنه
عليه الصلاة والسلام كان اذا قرأ ولا الضالين قال امين ورفع بها صوته وعن الحسن لا يقوله
الامام لانه الداعي وعن أبي حنيفة مشهورة والمشهور عنه وعن أصحابه أنه يحثه والمأموم يؤمن
مع امامه لقوله صلى الله عليه وسلم اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا امين فان الملائكة تقول
امين وان الامام يقول امين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه زاد
الجزباني في أماليه وما تأنر وأحسن ما فسر به هذا الخبر ما رواه عبد الرزاق عن عكرمة قال
صفوف أهل الأرض تلي صفوف أهل السماء فاذا وافق تأمين من في الأرض تأمين من في
السماء غفر للعبد قال ابن حجر ومن هذا لا يقال بالرأي فالمصير اليه أولى وعن أبي هريرة رضي
الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبي إلا أخبرك بسورة لم ينزل في التوراة
والانجيل والقرآن مثلها قال بلي يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن
العظيم الذي أوتيته رواه الترمذي وقال حسن صحيح وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينا
نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ناداه مناد فقال أبشر بنورين أوتيتهم ما لم يؤتهما نبي
قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأهما الا أعطيته وما رواه البيضاوي
عن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حقا
مقضا فيقرأ أصح من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك
العذاب أربعين سنة حديث موضوع

قوله لا يبي في الكشاف لا يبي أن يعبد

(سورة البقرة مدنية)

• (وهي مائتان وسبع وعشرون آية) •

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) قال الشعبي وجماعة الم وسائر حروف الهجاء في أوائل السور
من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وهي سر القرآن فمن يؤمن بظواهرها وكنل العلم فيها الى الله
سبحانه وتعالى وفائدة ذكرها طلب الايمان بها والسبب في ذلك أن العقول الضعيفة لا تحتمل
الاسرار القوية كما لا يحتمل نور الشمس ابصار الخفافيش والله تعالى استأثر بعلم لا تقدر عليه

عقول الانبياء والانباء استأثروا بعلم لا تقدر عليه عقول العلماء والعلماء استأثروا بعلم لا تقدر
 عليه عقول العامة وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه في كل كتاب سر وسر الله في القرآن أوائل
 السور وقال علي رضى الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي قال
 داود بن أبي هند كنت أسأل الشعبي عن فوائخ السور فقال يادا ودان لكل كتاب سر أو ان سر
 القرآن فوائخ السور فدعها واسأل عما سوى ذلك وروى عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى
 الله تعالى عنهما أنه قال معنى الم أنا الله أعلم ومعنى الر أنا الله أرى ومعنى الم أنا الله أعلم وأرى
 قال الزجاج وهذا حسن فان العرب تذكروا من كلمة تريدونها كقولهم * قلت لها قتي فقالت قاف
 اى وقفت وقيل هي أسماء السور وعليه اطباق أكثر المتكلمين واختاره الخليل
 وسيبويه سميت به اشعارا بأنها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله تعالى لم تتساقط
 قدرتهم عندها عرضتها ونقضه الامام الرازى بأنها لو كانت اسماءها لوجب اشتهاؤها بها وقد
 اشتهرت بغيرها كسورة البقرة وآل عمران وقيل أسماء للقرآن فانه فتادة والحكمة في الاتيان
 بهذه الاحرف الثلاثة أن الالف من أقصى الخلق وهو مبدأ الخارج واللام من طرف اللسان
 وهو وسطها والميم من الشفة وهي آخرها جمع الله تعالى بينها ايماء الى أن العبد ينبغي أن يكون
 أول كلامه وأوسطه وآخره ذكر الله تعالى ولما تكثر وقوع الالف واللام في تراكيب الكلام
 جاء تافى معظم القوافي مكثرين وهي فوائخ سورة البقرة وأول آل عمران والاعراف ويونس
 وهود ويوسف والرعد وبرايم والجر والعنكبوت والروم والقصص والسجدة (فان قيل)
 هلا عدت هذه الاحرف بأجمعها في أوائل القرآن وما لها جاءت مفترقة على السور (أجيب) بأن
 إعادة التنبيه على أن المتهدي به مؤلف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد أوصل الى
 الغرض وأقرب في الاسماع والقلوب من أن ينرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن
 فغالب به تمكين المكثر في النفوس وتقريره (فان قيل) هلا جاءت على وتيرة واحدة ولم تختلف
 أعداد حروفها فوردت ص وق ون على حرف وطه وطس ويس وح م على حرفين والم والروطمس
 على ثلاثة أحرف والمص والمر على أربعة أحرف و ك ه ي ع ص و ج ع ش ق على خمسة أحرف
 (أجيب) بأن هذا على عادة افتنانهم في أساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب
 عدة وكما أن أبنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة أحرف لم تتجاوز ذلك سلك بهم هذه القوافي
 تلك المسالك (فان قيل) ما وجه اختصاص كل سورة بالقائمة التي اختصت بها (أجيب) بأنه
 لما كان الغرض هو التنبيه والمبادئ كلها في تأدية هذا الغرض سواء لامفاضلة كان تطلب
 وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض أولاده زيدا أو الآخر عمر لم يقل له لم خصصت
 ولدك هذا بزيدا وذلك بعمر ولان الغرض هو التمييز وهو حاصل بذلك (فان قيل) هل لهذه
 القوافي محل من الاعراب (أجيب) بأن لها محلا عند من جعلها أسماء لانها عنده كسائر الاعلام
 محلها يحتمل ثلاثة أوجه اما الرفع بأنها مبتدأ أو خبر لمبتدأ محذوف أى هذه الم أو والنصب بفعل
 مقدركاذ كرا أو اقرا أو اتل الم أو الجر بتقدير حذف حرف القسم (ذلك الكتاب) الذي تقرؤه

يا محمد على الناس (لاريب فيه) لاشك في أنه من عند الله تعالى (فان قيل) لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس بيبعبد (أجيب) بأن الاشارة وقعت فيه للتعظيم ولذلك قال الطيبي أحسن ما قيل في توجيه ذلك قول صاحب المفتاح قال ذلك الكتاب ذهبا الى بعده درجة وقيل وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمنقضى في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لاشك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال تعالى لا قارض ولا بكرعوان بين ذلك وقال نبي الله يوسف صلى الله عليه وسلم لا يأتيكم طعام ترزقانه الا بأتكم بأتاؤه قبل أن يأتيكم كذا لكما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل سبحانه وتعالى الى المرسل اليه صلى الله عليه وسلم وقع في حد البعد كما نقول لصاحبك وقد أعطيت شيئا احتفظ بذلك أي تمسك به وقيل معناه ذلك الكتاب الموعود انزاله بقوله تعالى اناس لن يثقوا بك ولا ثقيلًا وفي الكتب المتقدمة لان سورة البقرة مدينة كما مروا كثرة الاحتجاج على اليه ودعوى بني اسرائيل وقد كانت بنو اسرائيل أخبرهم موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ان الله يرسل محمدا وينزل عليه كتابا فقال تعالى ذلك الكتاب أي الذي أخبر الانبياء المتقدمون بأن الله سينزله على النبي المبعوث من ولد اسمعيل وقيل انه تعالى لما أخبر عن القرآن بأنه في اللوح المحفوظ بقوله وأنه في أم الكتاب لدينا وقد كان صلى الله عليه وسلم أخبر أمته بذلك فغير ممنوع أن يقول تعالى ذلك الكتاب لي علم أن هذا المنزل هو ذلك الكتاب المثبت في اللوح المحفوظ والكتاب مصدر مسمى به المفعول للمبالغة أو فعال بني للمفعول كاللباس ثم أطلق على المنظوم عبارة قبل أن يكتب لانه مما يكتب وأصل الكتب الضم والجمع سمي الكتاب كتابا لانه جمع حرف الى حرف والكتاب جاء في القرآن على وجوه * أحدها الفرض قال تعالى كتب عليكم القصص كتب عليكم الصيام ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وثانيها الحجة والبرهان قال تعالى فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين أي برهانكم وثالثها الاجل قال تعالى وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم أي أجل ورابعها بمعنى مكتوبة السید رقيه قال تعالى والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكتبوههم (فان قيل) كيف نفي الريب على سبيل الاستغراق وكمن مراتب فيه (أجيب) بأن الله تعالى ما نفي أن أحد الا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه لو ضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يتبني لاحد أن يرتاب فيه ألا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله فانه لم ينف عنهم الريب بل أرشدهم الى الطريق المزيج للريب وهو أن يجتهدوا في معارضة سورة من سوره ويبدلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا جهزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل هو خبر بمعنى النهي أي لا ترتابوا فيه كقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج أي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا والريب في الاصل مصدر رابى الشيء اذا حصل فيه الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقتل النفس ويزيل الطمأنينة وفي الحديث تدع ما يريك الى ما لا يريك فان الشك ريبة والصدق طمأنينة واما الترمذي لكن بلفظ فان الصدق

طمانينة والكذب ريبة وصحبه ومعناه اترك ما فيه شك الى ما لا شك فيه فاذا ارتابت نفسك
 في شيء فارتكبه أو اطمانت اليه فافعله فان نفس المؤمن تطامن الى الصدق وترتاب من
 الكذب وهذا مخصوص بذوى النفوس الشريفة القدسية الطاهرة • (تنبيه) • بحلة
 النقي خبر مبتدؤه ذلك و (هدى) خبر ثان أى هاد (للمتقين) الصائرين الى التقوى بامثال
 الاوامر واجتناب النواهي لاتقائم بذلك النار وتخصيص المتقين بالذكر تشريفا لهم ولانهم
 هم المستفدون بالهدى كما قال تعالى انما انت منذر من يخشاها وقال تعالى انما تنذر من اتبع
 الذكرو قد كان صلى الله عليه وسلم منذر لكل الناس لان هؤلاء هم الذين اتفَعُوا بانذاره • ولها
 ثلاث مراتب • الاولى التوفى من العذاب المخلد بالتبرى عن الشرك وعليه قوله تعالى
 والرسهم كلمة التقوى • والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغار عند قوم
 وهذا التجنب هو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا
 واتقوا وعلى هذا قول عمر بن عبد العزيز التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله فارتقى
 الله بعد ذلك فهو خير الى خير • والثالثة أن يتزعمها يشغل سره عن الحق تعالى وهذه هي
 التقوى الحقيقية المطلوبة بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وقال ابن عمر
 التقوى أن لا ترى نفسك خيرا من أحد قرأ ابن كثير فيه هدى فيصل الهاء من فيه بياء في الوصل
 لانها مكسورة وقبلها سا كن فان كانت هاء الكناية مضمومة وقبلها سا كن وصلها بواو فان كان
 قبلها متحرك وبعدها متحرك فجميع القراء يصلونها مكسورة بياء ويصلونها مضمومة بواو وقال
 المكسورة به أن يوصل ومثال المضمومة قال له صاحبه وهو وما أشبه ذلك فان كان قبلها متحرك
 وبعدها سا كن فالجميع على عدم الصلة مثال ذلك به الله وله الملك وما أشبه ذلك ويدغم أبو عمرو
 الهاء في الهاء بخلاف عنه وكذا كل مثلي مالم يكن الحرف المدغم تام متكلم مثل كنت ترابا وتاء
 مخاطب مثل أفأنت تكبره الناس أو منون مثل جميع عليم أو مشددا مثل فتم ميعقات ربه • ثم
 وصف المؤمنين بما هو شأنهم بقوله (الذين يؤمنون بالغيب) أى يصدقون بما غاب عنهم من البعث
 والجزاء والجنة والنار والصراط والميزان والايمان لغة التصديق وشرعا قيل التصديق بما علم
 بالضرورة أنه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء وبمجموع ثلاثة
 أمور اعتقاد الحق والاقراء به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج
 والاصح أنه التصديق وحده ويدل له أنه تعالى أضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم
 الايمان وقال وقلبه مطمئن بالايمان وقال ولم تؤمن قلوبهم وعطف عليه العمل الصالح في
 مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا أيها الذين آمنوا
 كتب عليكم النصاص في القتلى فلو لم يكن الايمان التصديق فقط بل هو وترك المعاصي
 لم يكونوا مؤمنين (فان قيل) قال الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه وغيره ان الايمان قول وعمل
 وينبغي نقص (أجيب) بأن ذلك محمول على الايمان الكامل وقرأ ورش والسوسي بإبدال
 الهمزة الساكنة في يؤمنون واوا وكذا يقرأ حمزة في الوقف (ويقومون الصلاة) أى يديعونها

ويحافظون عليها في مواقيتها بمجدودها وأركانها وهياتها يقال قام بالامر وأقامه إذا أتى به
يعلى حقوقه لأن الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها
الباطنة كالخشوع والاقبال على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك
ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلاة وفي معرض الذم فويل للمصلين والمراد بها الصلوات الخمس
ذكر بلنظ الواحدان كقوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب
بالحق يعني الكتب والصلاة في اللغة الدعاء قال الله تعالى وصل عليهم أي ادع لهم وفي الشرع
اسم لأفعال وأقوال مخصوصة مفتتحة بالتسليم وقراءة ورش بتغليظ الادم
في الصلاة حيث جاء (ومما رزقناهم) أي أعطيناهم (يتفقون) يخرجون المال في طاعة الله
فرضا كان أو نفلا ومن فسرهم بالزكاة ذكر أفضل أنواعه والأصل فيه أو خصه به الاقترانها
بالصلاة لانهم إذا كان معاني القرآن ويحتمل أن يراد به الانفاق عما نصههم الله من النعم
الظاهرة والباطنة ويؤيده ما رواه الطبراني في الاوسط مر فوعام مثل الذي يعلم العلم ثم لا يحدث
به كمثل الذي يكنز الكنز فلا يتفق منه والى هذا ذهب من قال ومما خصصناهم به من أنوار المعرفة
يفيضون والرزق بالكسر في اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم أي حظكم ونصيبكم
من القرآن أنكم تكذبون وأما بالفتح فهو مصدر بمعنى اعطاء الحظ كما أنه بالكسر يكون
مصدرا أيضا كما قيل به في قوله تعالى ومن رزقناه منارزقا حسنا وفي العرف اسم لكل
ما ينتفع به حتى الولد والرقيق والمعتز لما استصاها من الله أن يمكن من الحرام لانه تعالى منع
من الانتفاع به وأمر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام ألا ترى أنه تعالى أسند الرزق
ههنا الى نفسه ايذا بانأبأهم يتفقون الحلال المصروف الطيب وأن انفاق الحرام لا يوجب المدح
وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله تعالى قل أرايتم ما أنزل الله لكم من
رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وأجاب أهل السنة عما ذكر بأن الاسناد للتعظيم والتعريض على
الانفاق والذم بتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقهم بالحلال للقريظة ونحوه والشعول
الرزق له بما رواه ابن ماجه وغيره من حديث صفوان بن أمية قال كنا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجاءه عمرو بن قرّة فقال يا رسول الله ان الله قد كتب على الشقوة فلا أراي أن رزق الامن
دفي بكفي فأذن لي في الغناء من غير فاحشة فقال لا أذن لك ولا كرامة كذبت أي عدو الله لقد
رزقك الله حلالا طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله وبأنه
لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذى به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها (تنبيه) تقديم رزقناهم على يتفقون للاهتمام به وللمحافظة على
رؤس الآتي وادخال من التبعية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه في حق من لم يصبر
على الاضاعة والافليس باسراف فقد تصدق أبو بكر رضي الله تعالى عنه بجميع ماله ولم ينكر
عليه النبي صلى الله عليه وسلم (والذين يؤمنون بما أنزل اليك) أي القرآن بأسره والشرعية
عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان بعضه متروكا تغليباً للموجود على ما لم يوجد فيكون

مجازا باعتبار تسمية الكل باسم البعض أو تنزيلا للمتظلم منزلة الواقع فيكون استعارة باعتبار
 تشبيه غير المتحقق بالمتحقق وفي كل من هذين الوجهين جمع بين الحقيقة والمجاز وهو جائز عند
 الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه (وما أنزل من قبلك) أي التوراة والإنجيل وغيرهما من
 سائر الكتب السابقة على القرآن والإيمان بالانزالين جملة فرض عين وبالأول دون الثاني
 تفصيلا من حيث انما تعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لأن وجوبه على كل أحد
 بوجوب المخرج ويشوش المعاش وهذه الآية في المؤمنين من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام
 وأمثاله * (فائدة) * الكتب المنزلة مائة وأربعة كتب أنزل على السيد شيت ستون صحيفة
 وعلى السيد إبراهيم ثلاثون وعلى السيد موسى قبل التوراة عشر فهذه مائة والأربعة الأخرى
 التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم واختلف القراء في مدد وقصر ما أنزل فقالون
 والدوري عن أبي عمرو يمدان ويقصران وابن كثير والسوسي يقصران بلا خلاف وباقي القراء
 وهم ورش وعاصم وحجة والكسائي يمدون بلا خلاف ويتفاوتون في طول المدد فأطولهم مددا
 ورش وحجة ودونهما عاصم ودونه ابن عامر والكسائي وهكذا كل مدد منفصل (وبالآخره هم
 يوقنون) أي يعلمون أنها كلمة لأن اليقين هو العلم بالشيء بعد أن كان صاحبه شاك فيه قاله الإمام
 الرازي ولذلك لا يوصف به العلم القديم ولا العلوم الضرورية فلا يقال ييقن الله كذا ولا يتيقن
 أن الكل أكبر من الجزء * (فائدة) * سميت الديانة دينا لدنوها من الآخرة وسميت الآخرة آخرة
 لتأخرها وكونها بعد فناء الدنيا وهي تأنيث الآخرة صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار
 الآخرة قرأ ورش الآخرة بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها حيث جاء وكذا الأرض وقد
 افلح ومن آمن وما أشبه ذلك (أولئك) الموصوفون بما ذكر (على هدى) أي رشد (من ربهم)
 ونكر هدى للتعظيم فكأنه أريد به ضرب لا يبالغ كنهه ولا يشاد رقدره وأكده تعظيمه بأن الله
 ماضيه والموفق له * (تنبيه) * جميع القراء يمدون أولئك بلا خلاف لأنه متصل لكن مرتبة ابن
 كثير وابن عمرو دون مرتبة ابن عامر والكسائي في المتصل والمنفصل وأولاء كلمة معناها
 السكينة عن جماعة والكاف للخطاب كما في حرف ذلك (وأولئك هم المفلحون) أي الفائزون
 الجنة والناجون من النار كتر فيه اسم الإشارة تنبيه على أن اتصافهم بتلك الصفات يقتضي
 كل واحد من الاختصاصين وأن كلامهم ما كاف في تمييزهم به عن غيرهم فلا يحتاجون فيه إلى
 مجموعهما (فان قيل) لم وسط العاطف بين هاتين الجملتين دون قوله تعالى أولئك كالأنعام بل هم
 أضل أولئك هم الغافلون (أجيب) بأن الجملتين هنا تحتلفان باختلاف المسندين فيهما إذ على
 هدى من ربهم والمفلحون وان تناسبتا علما مختلفتان مفهوما ووجودا ومقصودا لأن الهدى
 في الدنيا والفلاح في العقبى وإثبات كل منهما مقصود في نفسه بخلاف كالأنعام والغافلون
 فانهم ما وان اختلفا مفهوما فقد اتحدتا مقصودا ووجودا إذ لا معنى للتشبيه بالأنعام إلا المبالغة
 في الغفلة في الدنيا فاناسب العطف في الأول دون الثاني * (تنبيه) * تأمل كيف نبه سبحانه
 وتعالى على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الإشارة

للتعديّل مع الإيجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء أثرهم وأصل الفلاح القطع والشق ومنه سعى الزراع فلا حاله يشق الارض فهم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة * ولما ذكر الله تعالى خاصة عبادته وخاصة أوليائه بصفتهم التي أهلهم للهدى والفلاح عقبهم بذكر أضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تنفع عنهم الآيات والتذبر بقوله تعالى (أَن الَّذِينَ كَفَرُوا) الكفر لغة ستر النعمة وأصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزراع والليل كافر ولكام الثمر كفور وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة بحجى الرسول به وينقسم الى أربعة أقسام كفر انكار وكفر بحجود وكفر عناد وكفر نفاق فكفر الانكار هو أن لا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به وكفر الخجود هو أن يعرف الله بقلبه ولا يقتر بلسانه ككفر ابليس واليهود قال الله تعالى فلما جاءهم ماهر فوا كفروا به وكفر العناد هو أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب حيث يقول

ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية ديناً

لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمعاً بالذمينا

وأما كفر النفاق فهو أن يقتر باللسان ولا يعتق بالقلب وجميع هذه الأقسام من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له قال الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به * (تنبه) * احتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي نحو ان الذين كفروا انا نحن نزلنا الذكر انا أرسلنا نوحاً على حدوث القرآن لاستدعاء ما جاء فيه بلفظ الماضي سابقة الخبر عنه والقديم يستحيل أن يكون مسبوقاً بغيره فأجاب أهل السنة بأن ما جاء فيه بلفظ الماضي مقتضى تعلق الحكم بالخبر عنه وحدث مقتضى التعلق لا يستلزم حدوث الخبر عنه فلا يستلزم حدوث كلام الله كما في علمه تعالى فانه قديم ومقتضى تعلقه بغيره حادث والحاصل أنه لا يلزم من حدوث مقتضى التعلق وهو الكلام المقتضى حدوث الكلام النفسى (سواء عليهم) أى متساو لديهم (أأنتذرهم أم لم تنذرهم) أى خوفهم وحذرهم أم لا والانداز اعلام مع تخويف وتحذير فكل منذر معلوم وليس كل معلم متذراً وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه أوقع في القلب وأشد تأثيراً في النفس من حيث ان دفع الضرراً هم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم الانذار كانت البشارة بعدم النفع أولى (لا يؤمنون) بما جئت به وهذه الآية في أقوام حقت عليهم كلمة الشقا في سابق علم الله تعالى كآبي جهل وأبي لهب وغيرهما فلا تطمع في ايمانهم واحتج بهذه الآية من جواز التكليف ما لا يطاق فانه سبحانه وتعالى أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون وأمرهم بالإيمان فلو آمنوا وقع الخلف في كلامه تعالى وهو محال والحق ان التكليف بالمتنع لذاته جائز عقلاً غير واقع بخلاف التكليف بالمتنع لغيره كالذى تعلق علم الله تعالى بعدم وقوعه فانه جائز وواقع اتفاقاً * (تنبيه) * ههنا همزتان مفتوحتان من كلمة فقالون وأبو عمرو يسهلان الثانية ويدخلان بينهما ما ألفا وكذا ورش وابن كثير الا أنهم ما يدخلان ما أولورش وجه آخر وهو أن يدل الثانية حرف مد وهشام له وجهان تسهيل الهجزة الثانية وتحقيقهما مع ادخال ألف بينهما

والباقون بالتحقيق والقصر وجميع القترام يحققون الاولى ثم ذكروا تركهم الايمان بقوله
تعالى (ختم الله على قلوبهم) أى طبع واستوثق فلا يدخلها ايمان ولا خير والختم الكتم
سمى به الاستيناف من الشئ بضرب الخاتم عليه لانه ~~صكته~~ له (وعلى سمعهم) أى مواضعه
فلا يتفكرون بما يسمعون من الحق وقوله تعالى (وعلى أبصارهم) أى أعينهم (غشاوة) مبتدا
وخبر أى على أعينهم غطاء من عند الله تعالى فلا يرون الحق وعبر الله تعالى عن احداث هذه
الهيئة بالطبع فى قوله تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وبالاغفال
فى قوله تعالى ولا تسمع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاغفال فى قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية
وهذه الهيئة من حيث ان المكات بأسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته أسندت اليه
تعالى ومن حيث انها مربية عما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله تعالى
ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وروى الآيات مظهرة عليهم شناعة صفتهم
ووخامة عاقبتهم (فان قيل) لم يوحى السمع دون القلوب والابصار (أجيب) بأنه على حذف
مضاف مثل وعلى حواسهم كواضعه كما رتق ديرة أو باعتبار الاصل فانه مصدر فى أصله
والصادر لا تنفى ولا تجمع والابصار جمع بصروها وادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة
الباصرة وعلى العضو وكذا السمع قال البيضاوى ولعل المراد بهم فى الآية العضو لانه أشد
مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق القلب ويراد به العقل والمعرفة
كما قال الله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أى عقل وأمال أبو عمر وألف أبصارهم وكذا
كل ألف بعدها راء مكسورة متطرفة وانما جازا ما انتهى مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب
المستعيلة لما فيها من التكرير (ولهم عذاب عظيم) أى قوى دائم فى الآخرة وهذا وعيد
وبيان لما يستحقونه والعذاب كل ما يعي الانسان ويشق عليه وقال الخليل العذاب ما يمنع
الانسان عن مراده ومنه الماء العذب لانه يمنع العطش وانما وصف العذاب بالعظيم دون
الكبير لان العظيم فوقه لان العظيم نقيض الحقيق والصغير نقيض الصغير واذا كان الحقيق
مقابلا للعظيم والصغير للكبير كان العظيم فوق الكبير لان العظيم لا يكون حقيرا والكبير قد
لا يكون حقيرا كما أن الصغير قد يكون عظيما وتنكير الغشاوة والعذاب للتشويح لانها لما قرنا
الختم على القلوب كان المعنى نوعا عظيما منه أى على أبصارهم غشاوة ليس مما يتعارفها الناس وهو
التعمى عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع لا يعلم كنهه الا الله * ونزل فى المنافقين حكاية
لما لهم قوله تعالى (ومن الناس) أمال أبو عمر والالف قبل السين المكسورة امالة مخضة
وهكذا كل ألف مثلها والباقون بالغنى (من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) أجمع المفسرون
على أن ذلك وصف المنافقين قالوا صنف الله الاصناف الثلاثة من المؤمنين والكافرين والمنافقين
فبدأ بذكر المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنهم وشئ بأضدادهم
الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا وثلاث بالصنف الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا
بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم تكمينا للتقسيم وهذا الصنف أخبث الكفرة وأبغضهم الى الله

تعالى لانهم مع مشاركتهم للكفار الاصليين في أنهم جاهلون بالقلب كاذبون باللسان من حيث
أنهم ينسبون الى الله تعالى ما هو بغيره منه كالولد والزوجة والشريك زادوا عليهم بما هو
منكرة منها أنهم قصدوا التلبيس ورضوا لانفسهم بسعة الكذب ولبسوا الكفر على المسلمين فخلطوا
به خداعا واستتراة ولذلك طول الله في بيان خبيثهم وجهلهم واستزائهم وتهكم بأفعالهم وسجل
على عهدهم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وأنزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار
واللام في الناس للجنس ومن موصوفة بالعهود وكأنه قال تعالى ومن الناس ناس يقولون وقيل
للعهد والمعهودهم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها ابن أبي وأصحابه ونظيره قوله فانهم من حيث
أنهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المقتوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها
على الكفر لا يأتى دخولهم تحت هذا الجنس (فان قيل) خصت من بالموصوفة على تقدير الجنس
وبالموصولة على تقدير العهد (أجيب) بأن الجنس لا يهاجمه يناسب الموصوفة لتكبرها والعهد
لتعينه يناسب الموصولة لتعريفها واختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص
لما هو المقصود الا اعظم من الايمان وادعاء بأنهم اختاروا الايمان من المبدأ والمعاد واذن بأنهم
منافقون فيما يظنون أنهم مخلصون فيه فكيف بما يدعون به النفاق وهو عدم التصديق
بالقلب لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر ايمانا كالايمان لا اعتقادهم
التشبيه واتخاذ الولد وأن الجنة لا يدخلها غيرهم وأن النار ان تمسهم الايام معدودة وغير ذلك
ويرون المسلمين أنهم آمنوا مثل ايمانهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة
والاستحكام والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي أو الى أن يدخل أهل الجنة
الجنة وأهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة بطرفين (وما هم بمؤمنين) لا بطنهم الكفر
وهذا انكار لما ادعوا اثباته ووجد الضمير في يقول نظرا الى لفظة من لانها صالحة للتثنية
والجمع والواحد وجمع فيما بعدها نظر الى معناها (فان قيل) كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين
قوله هم آمنوا بالله فان الاول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل
فكان المطابق له وما آمنوا (أجيب) بأنه انما عدل الى ذلك لرد كلامهم بأبلغ وجه وأكده لان
اخراج ذواتهم عن عداد المؤمنين أبلغ من نفي الايمان عنهم في ماضى الزمان ولذلك أكد النفي
بالباء ونظيره قوله تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو أبلغ من قولك
وما يخرجون منها وأطلق الايمان على معنى أنهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل أن يقيد بما
قيدوا به وهو قوله تعالى بالله وباليوم الآخر لان وما هم بمؤمنين جوابه والآية تدل على أن من
ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب
عماء فقه أو منافيه لم يكن مؤمنا (يخمدعون الله والذين آمنوا) اذا ظهر واخلاف ما أبطنوه من
الكفر ليخدعوا عنهم أحكامه الدينية ويحققوا دماءهم ويحفظوا أموالهم وأصل الخدع في اللغة
الاختفاء وبنيته الخدع للبيت الذي يخفى فيه المتاع فالخداع أظهر خلاف ما يضرر والخداعة
تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ايسر على ظاهره لانه تعالى لا يخفى عليه خافية ولانهم

لم يقصد واخذ بعته بل المراد اما مخادعة رسوله أو وليائه على حذف المضاف لانهم لم يعتقدوا ان الله بعث الرسول اليهم فلم يكن قصدهم في نفاقهم مخادعة الله تعالى فعلم أن خداعهم مع الله ليس المراد ظاهره كما في قوله تعالى واسأل القرية أي أهلها أو على أن معاملته الرسول معامله الله تعالى من حيث انه خليفة له كما قال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما أن صورة صنيعهم مع الله تعالى من اظهار الايمان واستبطن الكفر وصنيع الله معهم من اجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده أخيب الكفار وأهل الدرر الاسفل من النار استدراجهم وامتنال الرسول والمؤمنين أمر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام بحجارة لهم يمثل صنيعهم صورة صنيع المخادعين ويحتمل أن يراد بخادعون يخدعون لانه بيان ليقول أو استئناف بذكر ما هو الغرض منه الا أنه أخرج في زنة فاعل للمبالغة فان الزنة لما كانت لاه غالبية والفعل متى غلب فيه كان أبلغ منه اذا جاء بلا مبالغة معارض استصعبت الزنة ما ذكر من المبالغة وقال الجلال المحلى والمخادعة هنا من واحد كعاقبت اللص وذكر الله فيها تحسين (وما يخدعون إلا أنفسهم) لان وبال خداعهم راجع عليهم فيفتخرون في الدنيا باطلاع نبيه على ما أبطنوه ويعاقبون في الآخرة والنفس ذات الشئ وحقيقته وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها وكسر الدال وقرأ الباقر وهم عاصم وابن عامر وحزرة والكسائي وما يخدعون بفتح الياء وسكون الخاء ولألف بعدها وفتح الدال ولا خلاف بين القراء في الكلمة الاولى وهي يخدعون الله فالجميع قرأ بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها وكسر الدال وأما الرسم في الموضعين فبغير ألف (وما يشعرون) أي لا يحسبون بمعنى لا يعلمون أن خداعهم لانفسهم اتمادى غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الاعلى مؤلف الحواس وهو المصاب بأفة (في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق لان ذلك يمرض قلوبهم أي يضعفها والمرض حقيقة هو فيما يمرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في أفعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكال أفعالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والبغض وحب المعاصي لانها مانعة من نيل الفضائل أو مؤدية الى زوال الحياة الحقيقية الابدية والآية تحتمل الحقيقة والمجاز وعلى المجاز اقصر أكثر المفسرين لانه أبلغ من الحقيقة (فزادهم الله مرضا) بما أنزل من القرآن لانه كلما أنزل آية كفروا بها فزادوا شكاً ونفاقاً واسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه خلقها وأوجدها والى السورة في قوله تعالى فزادتهم رجساً ليكونها سبياً وقرأ حمزة وابن ذكوان باماله الألف التي بعد الزاي محضة والباقر بالفتح (ولهم عذاب أليم) أي ولم يفتح اللام وصفية العذاب للمبالغة اذا لام انما هو للمعذب حقيقة لا للعذاب فنسبة اللام الى العذاب مجاز ويجوز كسر لام مؤلم كسميع بمعنى مسمع وعليه نسبة الليم الى العذاب حقيقة (بما كانوا يكذبون) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بضم الياء وفتح الكاف وتشديد الذال أي تكذبهم النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ الباقر بفتح الياء وسكون الكاف وتخفيف الذال أي يكذبهم

في قولهم آمنا لان الايمان التصديق بالقلب والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به قال
 البيضاوي تعالى لم يخسر شيء وهو حرام كذلك لانه على به استحقاق العذاب حيث رتب على
 الكذب وما روى أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام كذب ثلاث كذبات أي لما روى البخاري
 ومسلم في حديث الشفاعة فيقول ابراهيم اني كذبت ثلاث كذبات وذكر قوله في الكوكب
 هذا ربي وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله اني سقيم فالمراد التعريض أي وهو اللفظ المشار به
 الى جانب والقرض جانب آخر وقيل هو خلاف التصريح وهو تضمن الكلام دلالة ليس لها ذكر
 وسعى تعريض الما فيه من التعريض من المطلوب ولكن لما شبه الكذب في صورته سعى به
 انتهى وهذا ليس على إطلاقه فان من الكذب ما هو مباح وما هو مندوب وما هو واجب
 وما هو حرام لان الكلام وسيلة الى المقصود فكل مقصود محمود ان أمكن التوصل اليه بالصدق
 فالكذب فيه حرام وان لم يمكن الا بالكذب فهو مباح ان كان المقصود مباحا ومندوب ان كان
 المقصود مندوبا وواجب ان كان المقصود واجبا وفي حديث الطبراني في الكبير كل الكذب
 يكذب على ابن آدم الا ثلاثا الرجل يكذب في الحرب فان الحرب خدعة والرجل يكذب على المرأة
 فيرضيها والرجل يكذب بين الرجلين فيصلح بينهما وفي حديث في الاوسط الكذب كله اثم
 الا ما نفع به مسلم أو دفع به عن دينه (وإذا قيل لهم) أي لهؤلاء فهو عطف تفسير على يكذبون فجعله
 نصب لكونه معطوفا على خبر كان فيكون جزأ من السبب الذي استحقوا به العذاب الاليم أو على
 يقول فلا محل له من الاعراب لكونه معطوفا على صلة من فلا يكون جزأ من السبب والقائل
 هو الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم أو بعض المؤمنين (لا تفسدوا في الارض) بالكفر
 والتعويق عن الايمان والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده والفساد يعم كل
 ضار والصلاح يعم كل نافع وكان من افسادهم في الارض اثاره الحروب واقتن بمخادعة
 المسلمين ومعاونة الكفار المتعص كفرهم على المسلمين فان ما ذكر يؤدي الى فساد ما في الارض
 من الناس والدواب والحراث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع
 والاعراض عنها مما يوجب القتل والاختلاط ويخل بنظام العالم لأن ذلك افساد لان الفساد
 جعل الشيء فاسدا وصنيعهم لم يكن كذلك فقوله تعالى لا تفسدوا في الارض مجاز باعتبار المآل
 أي لا تفعلوا ما يؤدي الى الفساد وليس معنى الفساد هنا الا تيان بالفساد ليصح جعل الكلام
 على الحقيقة نبيه على ذلك السعد التفاتاني (قالوا انما نحن مصلحون) جواب لا اذا ورد
 للناس على سبيل المبالغة والمعنى أنه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شأنا ليس الا اصلاح وان
 حالنا متعص عن شوائب الفساد لان انما نفيدة صرنا مدخلة على ما بعده مثل انما زيد منطلق
 وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة اصلاح لما في قلوبهم من المرض
 كما قال تعالى أني زين له سوء عمله فرآه حسنا قال الله تعالى يرد عليهم أبلغ ردة (ألا انهم هم
 المفسدون) أي بما ذكر (ولكن لا يشعرون) أي لا يقطنون بمعنى لا يعلمون أنهم هم المفسدون
 بذلك أي لانهم يظنون أن الذي هم عليه من ابطان الكفر صلاح وقيل لا يعلمون ما أعد الله لهم

من العذاب ووجه الابلية في ذلك تصديره بالالمنة على تحقيق ما بعده فان همزة الاستفهام التي للانكاوا اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا واثباتا المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسط ضمير الفصل والاستدراك بلا يشعرون (واذا قيل لهم آمنوا) هذا من تمام النصيح والارشاد فان كمال الايمان بمجدوع أمرين الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تنفسدوا والاثبات بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا (كما آمن الناس) أي كايان الناس الكاملين في الانسانية الموافق باطنهم فيه لظاهرهم العاملين بقضية العقل فاللام في الناس للجنس فان اسم الجنس كما يستعمل لسماء مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه أول العهد والمراد به الرسول ومن معه أو عبد الله بن سلام وغيره من مؤمني أهل الكتاب وقرأ هشام والكسائي قيل بأشمام القاف وهو أن تضم القاف قبل الياء ولورش في الهمزة من آمنوا وأمن المد والتوسط والقصر (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) أي الجهال فاللام في السفهاء للعهد وهم من تقدم أو لجنس السفهاء بأسرهم وانما سقاهم لاعتقاد فساد رأيهم أو لتحقير شأنهم فان أكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال أو للجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام وأشياعه قال الله تعالى رذا عليهم أبلغ رد (ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) أنهم سفهاء بما فعلوه من ابطان غير ما أظهره ووجه الابلية في تجهيلهم أن الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع أعظم ضلالة وأتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتتفعه الآيات والنذر (فان قيل) كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم أنؤمن كما آمن السفهاء (أجيب) بأن هذا القول كانوا يقولونه فيما بينهم لا عند المؤمنين فأخبر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك والسفه خفة وسخافة رأى يقتضيها نقصان العقل والعلم يقابله (فان قيل) لم عبر في هذه الآية بل يعلمون وفي التي قبلها بلا يشعرون (أجيب) بأن التعبير بل يعلمون أكثر مطابقة لذكر السفه لان السفه جهل فطابقه العلم ولأن أمر الايمان أخروى يحتاج الى دقة نظرفعبر في الآية التي اشتملت عليه بل يعلمون وأمر البغي والفساد دينوى فهو كالحسوس لا يحتاج الى دقة نظرفعبر في الآية التي اشتملت عليه بلا يشعرون ويشعر مضارع شعري يقال شعرت كذا أي حسست به أو أدركته أي فطننت له وقد استعمل بالمعنى الاول في قوله وما يشعرون وفي الثاني بقوله لا يشعرون كما يعلم مما به قرنته في الآيتين وقرأ ابن عامر وعاصم وحزة والكسائي السفهاء ألا بتحقيق الهمزتين وكذا كل همزتين وقعتا في كلمتين اتفقتا أو اختلفتا والباقون وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وبأيدال الثانية وواخالصة (راذ القوا الذين آمنوا) اللقاء المصادفة وهي الاجتماع من غير مواعدة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته وأصل لقوا لقيوا حذف الضمة للاستثقال ثم الياء للتقائها ساكنة مع الواو (قالوا آمننا) أي كايانكم (واذا خلوا) منهم ورجعوا (الى شياطينهم) أي الذين مائلوا الشياطين في غردهم وهم المظهرون كفرهم وازافتهم اليهم للمشاركة في الكفر وأكابر المنافقين والقائلون صغارهم (قالوا انامعكم) أي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية ومماثل الشياطين

بالجملة الاسمية المؤكدة بأن لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وقصدوا بالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق ورغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار (انما نحن مستهزؤن) بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أى نسخر بهم باظهارنا الاسلام لان المستهزئ بالشئ المستخف به مصر على خلافه فهذا تأكيده لما قبله أو يدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر وأستتاف فكان الشياطين قالوا لهم لما قالوا انما معكم ان صح ذلك فما بالكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فأجابوا بذلك * (تنبيه) * بين سبحانه وتعالى بهذه الآية معاملة المنافقين مع المؤمنين والكفار روى الواحدى وغيره ولكن بسند ضعيف ان ابن أبى وأصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف أردوه هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ يدأبى بكر رضى الله تعالى عنه وقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ يد عمر رضى الله تعالى عنه فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد علي رضى الله تعالى عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخنته أى زوج بنته عند العاتة وعند العرب كل من كان من قبل المرأة وكل منهما صحيح هنا سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرات وما صدر به قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا فسوقا ليسان مذهبهم وتعييد نفاقهم فليس بتكرير (الله يستهزئ بهم) أى يجازيهم على استهزائهم أى جزاء الاستهزاء باسمه كماسمى جزاء السيئة بسيرة اما المقابلة اللفظ باللفظ أو لكونه مماثل له فى القدر ومثل هذا يسمى مشاكلة أو ينزل بهم الحقارة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء والغرض منه أو يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم أو يعاملهم معاملة المستهزئ أما فى الدنيا فباجراء أحكام الاسلام عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة فى النعمة مع القمادى فى الطغيان وأما فى الآخرة فبأن يفتح لهم وهم فى النار ياى الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فالיום الذين آمنوا ومن الكفار يخمكون وانما استوفى به ولم يعط ليدل على أنه تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين أن يعارضوهم وأن استهزأهم لا يبالى به لحقارتهم (وعندهم فى طغيانهم) أى فى ضلالتهم (بعمهون) يترددون متحيرين والطغيان بالضم والكسر تجاوز الحد فى العصيان والغلو فى الكفر وأصله تجاوز الشئ عن مكانه قال تعالى انما لما طغى الماء حانناكم قال البيضاوى والعمه فى البصيرة كالعوى فى البصر وهو التحير فى الامر يقال رجل عامه وعمه وأرض عمها لامنارها اه وظاهر كلامه اختصاص العمه بالبصيرة والعوى بالبصر وهو ما ذكره ابن عطية فيهم ما تبين وقال الامام وغيره العمه فى البصيرة والعوى عام فيها وفى البصر فبينهم ما عموم مطلق وأمال الدورى عن الكسافى ألف طغيانهم امالة محضة وفتحها الباؤون (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أى اختاروها عليه واستبدلوها به وأصل الشراء بذل الثمن لتحصيل ما يطلب

من الاعيان فان كان أحد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه أن يكون غنا وبذله
 اشتراء والا فالثمن ما دخلت عليه الباء فبأذله اشتروا أخذه بائع ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن
 الشيء طمعا في غيره والمعنى أنهم أخلوا بالهدى الذي جعله الله لهم بالطيرة التي فطر الناس عليها
 محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها واختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى وأمال ألف الهدى
 حزة والكسافي محضة وورش بالفتح وبين اللقطين والباقون بالفتح (فما رجحت تجارتهم) أي
 ما رجحوا فيها والتجارة التصرف بالبيع والشراء والربح الفضل على رأس المال واستناده الى
 التجارة وهو لا ربا بها على سبيل الاتساع لتلبسها بالفاعل أولمشابهاها من حيث أنها سبب
 للربح والخسران واتفق القراء على ادغام التاء في التاء وكذا كل مثلين الاقل منهما ساكن
 (وما كانوا مهتدين) لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس المال والربح وهو لا قد أضاعوا
 الامرين لان رأس مالهم كان الطيرة السليمة والعقل الصريف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل
 استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوصلون به الى ادراك الحق وينيل الكمال
 فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدون للاصل (مثلهم) أي شبههم وصفتهم في نفاقهم
 (كمثل الذي) بمعنى الذين بدليل سياق الآية ونظيره والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم
 المتقون وقوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا أو قصده جنس المستوقد والنوع الذي (استوقد)
 أي أوقد (نارا) في ظلمة لما جاء بحقيقة حالهم عنها بضرب المثل وهو بيان نصورية تلك الحقيقة
 وبراها في معرض المشاهد المحسوس زيادة في التوضيح والتقرير فانه أوقع في القلب وأقع
 للخصم قال البيضاوي والاستيقاد طلب الوقود والسمي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع
 لهبها اه والا كثر على أن استوقد هنا بمعنى أوقد كما قدرته لا بمعنى طلب الوقود (فلما أضاءت)
 أي أنارت النار وأضاء لازم ومتعدي يقال أضاء الشيء بنفسه وأضاء غيره (ما حوله) أي
 المستوقد فأبصروا استدفا وأمن ما يخافه (ذهب الله بنورهم) أي أطفأه وهذا جواب
 لما واستناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل يفعل اولان الاطفاء حصل بسبب خفي
 أو أمر مسمى كريح أو مطرا والله بالغته ولذلك عدى الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها
 من معنى الاستصحاب والاستمسك يقال ذهب السلطان بماله اذا أخذه وأمسكه وما أخذه
 الله تعالى وأمسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه
 لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة
 النور عنهم وأسألا ترى كيف قتر ذلك وأكده بقوله تعالى (وتركهم في ظلمات لا يبصرون)
 ما حوله من متحيرين عن الطريق خائفين فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية
 وكيف جمع الظلمة وكيف نكرها وكيف أتبعها بما يدل على أنها ظلمة خالصة وهو قوله لا يبصرون
 وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم
 بين أيديهم وبأيمانهم وظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمدي وظلمة شديدة
 كظلمات متراكمة والآية وهي قوله مثلهم الخ مثل ضربه الله لايمان المنافقين من

حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغام
والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب أثره وانظماس نوره باهلا كههم وافشاء حالهم باطفاء
الله تعالى اياها وازهاب نورها هذا هو الوارد اخرج ابن جرير عن ابن عباس وقيل مثل ضربه
الله لمن آتاه ضربه من الهدى واضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقى متحيرا متحسرا تقريرا
وتو بخالما تضمنه قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى الخ ويدخل تحت عموم
ما تضمنته الآية هؤلاء المنافقون فانهم أضاعوا ما نطق به ألسنتهم من الحق باستبطان الكفر
واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن أثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة أو ارتد عن
دينه بعدما آمن وقرأ ورش بترقيق رائيه يصرون هم (صم) عن الحق فلا يسمعون به سماع قبول
وأصل الصمم صلابه من اجتماع الاجزاء ومنه قيل حجر أصم وقناة صماء وصمام القارورة يسمى به
فقدان حاسة السمع لأن سببه أن يكون باطن الصماخ مجتمع لا يتجوف فيه يشتمل على هواه يسمع
الصوت بتوجهه (بكم) خرس عن الخير فلا يقولونه والخرس في الاصل عدم البصر عما من شأن أن يصبر
النطق (عمى) عن طريق الهدى فلا يرونه والعمى في الاصل عدم البصر عما من شأن أن يصبر
وقد يقال لعدم البصيرة (فهم لا يرجعون) أي لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه أو عن
الضلالة التي اشتروها (أو) مثلهم (كصيب) فهو معطوف على الذي استوقد أي كمثل أصحاب
صيب لقوله يجعلون أصابعهم في آذانهم وأوفي الاصل للتساوى للشك ثم اتسع فيها فأطلق
للتساوى من غير شك مثل جالس الحسن أو ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا
فانه يفيد التساوى في حسن المجالسة في المثال الاول ووجوب العصيان في الثاني ومن ذلك
قوله أو كصيب من السماء ومعناه بقرينة السياق أن قصة المنافقين مشبهة بها تين القصتين
وأنهما سواء في صحة التشبيه بهما وأنت مخير في التمثيل بهما أو بأيتهما شئت وان كان الثاني
أبلغ كما قاله الزمخشري قال لانه أدل على فرط الخيرة وشدة الامر وقطاعته والصيب أصله صبوب
من صاب بصوب وهو النزول يقال للمطر وللحباب والآية تحتملهما أي ينزل (من السماء)
ذلك فان قدرت الصيب بالمطر فالمراد بالسماء السحاب وان قدرته بالسحاب فالمراد السماء بعينها
والسماء كل ما علاك وأظلك وهي من أسماء الاجناس فيكون واحدا وجعا (فيه) أي الصيب
وقبل السماء (ظلمات) جمع ظلمة فان أريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه
مع ظلمة الليل وان أريد به السحاب فظلماته سواده وتكاثفه مع ظلمة الليل (ورعد) وهو صوت يسمع
من السحاب قال البيضاوي والمشهور أن سببه اضطراب أجرام السحاب واصطكاكها اذا
ساقها الريح من الارتفاع (وبرق) وهو ما يلعب من السحاب من برق الشيء برقا هذا ما جرى عليه
الجوهري وغيره وهو المناسب هنا وان أطلق الرعد على الملك أيضا فهو مشترك بين الصوت
المذكور والملك الثابت في الاحاديث ففي بعضها أنه ملك موكل بالسحاب يسده مخراق من نار
يزجر به السحاب يسوقه الى حيث شاء الله وصوته ما يسمع وفي بعضها أنه ملك ينطق بالغيث كما
ينطق الزاعى بغمه وفي بعضها أنه ملك يسوق السحاب بالتسييح كما يسوق الحادى الابل بحدائه

وفي بعضهم أنه ملك مسمى به وهو الذي تسمعون صوته (بجعلون) أي أصابع الصيب (أصابعهم) أي أناملها وإنما أطلق الأصابع موضع الانامل للمبالغة لما في ذلك من الاشعار بدخول أصابعهم فوق المعتاد فراراً من شدة الصوت (في آذانهم) وقوله (من الصواعق) متعلق بيجعلون أي من أجلها يجعلون وهو جمع صاعقة وهي الصاعقة التي يموت من يسمعها أو يغشى عليه ويقال لكل عذاب مهلك صاعقة وقيل الصاعقة قطعة عذاب ينزلها الله تعالى على من يشاء روى عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه رضي الله تعالى عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وأمال الدوري عن الكسائي الألف التي بعد الذال في آذانهم أمانة محضة والباقون بالفتح * وقوله تعالى (حذر الموت) نصب على العلة كقول الشاعر

واغفر (أي استر) عوراء الكريم ادخاره * وأعرض عن شتم اللئيم تسكرما

قال البيضاوي والموت زوال الحياة زاد في الطوالع عما من شأنه الحياة وفيه تساهل اذ يلزم منه أن يكون الجنين قبل حلول الحياة فيه ميتاً والظاهر كما في شرح المواقف أن يقال عدم الحياة إنما تصف بها بالنعل فيبينها تقابل العدم والملكية على التفسيرين وقيل عرض بضادها فيهن ما تقابل التضاد لقوله تعالى خلق الموت والحياة فجعل الموت مخلوقاً والعدم لا يخلق ورد بأن الخلق بمعنى التقدير لا بمعنى الإيجاد والاعدام مقدرة ولو سلم بأنه بمعنى الإيجاد فالعنى خالق أسباب الموت والحياة وبذلك علم أن القول الأول هو المعتمد وكلام أئمة اللغة طافح به وحاصله أن الموت منارقة الروح الجسد وما ورد في الأحاديث من أنه جسم حيث قيل في بعضها انه كبش وفي بعضها انه على صورة كبش لا يمر على أحد الامات فقول بانته لم يقصد بالموت فيها حقيقة بل قصده انه يصور بصورة كبش كما في خبر الشيعين وغيرهما انه يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار الخ (والله محيط بالكافرين) علما وقدرة فلا ينفوته كما لا ينوت المحاطة المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل وقيل مهلكهم دليله قوله تعالى الآن يحاط بكم أي تهلكوا والجملة اعتراضية لا محل لها قال أبو حيان لأنها دخلت بين هاتين الجملتين وهما يجعلون أصابعهم ويكاد البرق وهما من قصة واحدة ويميل ورش الألف بعد الكاف بين بين وكذا الكافرين حيث جاء وقرأ أبو عمرو والدوري عن الكسائي بالامالة المحضة في ما حيث جاء والباقون بالفتح (يكاد البرق) يقرب لأن كاد من أفعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لحصول سببه لكنه لم يوجد ما لفقد شرطاً لرعوض مانع وخبرها مشروط فيه أن يكون فعلاً مضارعاً تنبيهاً على أنه المقصود بالقراب (يحطف أبصارهم) يحطسها والخطف الأخذ بسرعة (كلما أضاء لهم مشوا فيهم) أي ضوته (وإذا أظلم عليهم قاموا) أي وقفوا متحيرين فأن الله تعالى شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة في ليلة مظلمة أصابعهم مطرفه ظلمات من صفاتها أن الساري لا يمكنه المشي فيها ورعد من صفته أن يضم السامعون أصابعهم في آذانهم من هوله وبرق من صفته أن يقرب من أن يحطف أبصارهم ويعمها من شدة توقده فهذا مثل

ضربه الله تعالى للقرآن وصفيح الكافرين والمنافقين معه فالمرطرا القرآن لانه حياة القلوب
 كما أن المرطرا حياة الابدان والظلمات ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك والرعد ما خوفوا به
 من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة والكافرون
 والمنافقون يستدون آذانهم عند قراءة القرآن مخافة ميل القلب اليه ولازعاج ما في القرآن
 من الحجج قلوبهم وانما قال الله تعالى مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراس على المشي
 كلما صدقوا منه فرصة مما يحبون انهم زوها ولا كذلك التوقف فيما يكرهون ومعنى قاموا وقفوا
 كما مر ومنه قامت السوق اذا ركبت أى سكنت ويقال قامت السوق بمعنى نفقت فهو من
 الاضداد (ولو شاء الله لذهب بسبعهم) بمعنى اسماعهم (وأبصارهم) الظاهرة كما ذهب بالباطنة
 أى ولو شاء أن يذهب بسبعهم بشدة صوت الرعد وأبصارهم بلعان البرق لذهب بهم سما خذف
 المفعول وهو أن يذهب لدلالة الجواب وهو لذهب عليه ولقد تكرر حذف المفعول في شاء
 وأراد اذا وقع ما في حيز الشك كما هنا لدلالة الجواب على ذلك المحذوف حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء
 المستغرب كقول القائل

فلو شئت ان أبكى دما بكيتيه * عليك ولكن ساحة الصبر أوسع

وأنى فيه بالمفعول لأن بكاء الدم مستغرب ونصب دما لتضمنه معنى الصب ولو من حروف الشرط
 قال البضاوى وظاهرها الدلالة على انتفاء الأول لا انتفاء الثانى ضرورة انتفاء الملزوم عند
 انتفاء لازمه اه وهذا مذهب ابن الحاجب وأما مذهب الجمهور وهو الاصح فانها في الاصل
 لا انتفاء الثانى لا انتفاء الأول فعنى لو جئتني أكرمك أن انتفاء الاكرام لا انتفاء المجئ وقيل انها
 لمجرد الربط كان ومن ثم قال التفزازانى ان لو هنا مجرد الشرط بمنزلة ان لا بعناها الاصلى وفائدة
 هذه الجملة الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وأبصارهم مع قيام ما يقتضيه وهو أنه تعالى
 أمهل المنافقين فيما هم فيه ليمتدادوا في الفنى والفساد ليكون عذابهم أشد وللتنبية على أن تأثير
 الاسباب في مسبباتها مشروط بمشيئة الله تعالى وأن وجودها مرتبط بأسبابها واقع بتقديره
 تعالى وقوله تعالى (ان الله على كل شئ) أى يشاؤه (قدير) كالتصريح بما ذكره التقرير له والشئ
 يختص بالموجود فلا يطلق على المعدوم (فان قيل) لو اختص الشئ بالموجود لما تعلقت به القدرة
 لانها الصفة المؤثرة على وفق الارادة وتأثيرها الایجاد وایجاد الموجود محال فالذى تعلقت
 به القدرة معدوم وهو شئ فالمعدوم شئ (أجيب) بأن المحال ایجاد الموجود بوجود سابق
 وهو غير لازم واللازم ایجاد موجود هو أثر ذلك الایجاد وليس بمحال والقدرة هو التمكن من
 ایجاد الشئ وقيل صفة تقتضى التمكن وقيل قدرة الانسان هيته بها يتمكن من الفعل وقدرة الله
 تعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذى ان شاء فعل وان شاء لم يفعل والتقدير الفعال
 لما يشاء ولذلك قلنا يوصف به غير البارئ تعالى واشتقاق القدير من القدرة لان القادر يوقع
 الفعل على مقدار قوته أو على مقدار ما تقتضيه مشيئته وفي ذلك دليل على ان الحادث حال
 حدوثه والممكن حال بقاءه مقدورا وأن مقدورا العبد مقدور الله تعالى خلافا لابي على وأبي

هاشم لانه شئ وكل شئ مقدور واحتج بعض الفرق بأن هذه الآية تدل على أن الله تعالى ليس
 بشئ قال لانهم اتدل على أن كل شئ مقدور لله تعالى والله سبحانه وتعالى ليس بمقدور له فوجب
 أن لا يكون شئاً واحتج أيضاً على ذلك بقوله تعالى ليس كمثله شئ قال لو كان هو تعالى شئاً فهو
 تعالى مثل مثل نفسه فكان يكذب بقوله تعالى ليس كمثله شئ فوجب أن لا يكون شئاً حتى
 لا يناقض هذه الآية واعلم أن هذا الخلاف في الاسم لانه لا واسطة بين الموجود والمعدوم واحتج
 أصحابنا بوجهين الأول قوله تعالى قل أي شئ أكبر شهادة قل الله والثاني قوله تعالى كل شئ هالك
 الا وجهه والمستثنى داخل في المستثنى منه فوجب أن يكون شئاً (واجب) عن قوله ان هذه
 الآية تدل على أن الله تعالى قادر على نفسه بأن تخصيص العام جائز في الجملة وأيضاً تخصيص
 العام جائز بدليل العقل (فان قيل) اذا كان اللفظ موضوعاً للكل ثم انه تين انه غير صادق
 في الكل كان هذا كذباً وذلك يوجب الطعن في القرآن (أجيب) بأن لفظ الكل كما أنه
 مستعمل في المجموع فقد يستعمل مجازاً في الاكثر فاذا كان ذلك مجازاً مشهوراً في اللغة لم يكن
 استعمال اللفظ فيه كذباً ورقق يرش الرأى من قدر وصلوا وقفنا وباقي القراء بالترقيق وقفنا
 لا وصلنا ولما عد سبحانه وتعالى فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف أمورهم أقبل تعالى
 عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات بقوله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) تحريكاً للسمع
 وتنشيطاً له واحتماءً بأمر العبادة وتفخيماً لثأنها وجبر المشقة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف
 وضع لتنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلاً له منزلة البعيداتما لعظمته كقول الداعي يارب
 ويا الله وهو أقرب اليه من جبل الوريد أو لغفلة وقلة فهمه أو للاعتناء بالدعوة وزيادة الحث
 عليه ولفظ الناس يعم الموجودين وقت النزول لفظاً ومن سيوجد تنزيلاً لمعدوم منزلة الموجود
 لما تواتر من دينه عليه الصلاة والسلام أن مقتضى خطابه وأحكامه شامل للقبيلين ثابت الى
 قيام الساعة الا ما خصه الدليل وان قال الامام الرازي الاقرب أنه لا يتناول له لأن يأيها الناس
 صرف خطاب مشافهة وخطاب المشافهة مع المعدوم لا يجوز وتناوله لدليل منفصل وهو ما تواتر
 من دينه عليه الصلاة والسلام أن أحكامه ثابتة في حق من سيوجد الى قيام الساعة (فان قيل)
 روى عن عتبة والحسن وابن عباس رضي الله تعالى عنهم أن كل شئ نزل فيه يأيها الناس فكيف
 ويأيها الذين آمنوا فدلني فكيف تكون هذه السورة مكية وقد نزلت بالمدينة (أجيب) بأن
 المراد بقولهم السورة مكية أو مدنية ان غالبها ذلك والاولى أن يقال ان ذلك أكثرى لا كلي وأن
 سورة البقرة والنساء والحجرات مدنيات باتفاق وقد قال تعالى في كل منها يأيها الناس وسورة
 الحج مكية سوى ما استثنى وفيها من غير يأيها الذين آمنوا اركعوا ولا يختص ذلك الخطاب
 بالكفار ولا بأمرهم بالعبادة فان المأمور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة
 عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الايمان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار
 بالصانع فان من لوازم وجوب الشئ وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلاة
 فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفع الكفر والاشتغال بالعبادة ومن المؤمنين ازديادهم

وثباتهم عليها وانما قال الله تعالى ربكم تنبيه على أن الموجب للعبادة هي الربوبية وقوله تعالى
 (الذي خلقكم) أي أنشأكم ولم تكونوا شيئا صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد
 ان خص الخطاب بالمشركين وأريد بالرب أعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها أربابا
 والخلق ايجد الشيء على تقدير واستواء وأصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها
 بالقياس وقرأ أبو عمر وخلقكم بادغام القاف في الكاف بخلف عنه (و) خلق (الذين من قبلكم)
 وهذا متناول لكل ما يتقدم الانسان بالذات أو الزمان كتقدم الجزء على الكل والواحد على
 الاثنين وهو منصوب عطف على الضمير المنصوب في خلقكم كما علم من التقدير والجملة أخرجت
 مخرج المشرر عندهم اما الاعتراف بهم كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم
 من خلق السموات والارض ليقولن الله أولئك كنهم من العلية بادي نظر وقوله تعالى (لعلكم
 تتقون) اما حال من الضمير في اعبدوا كما أنه قال اعبدوا ربكم راجين أن تدخلوا في سلك المتقين
 الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبيه به على أن التقوى تنتهي درجات
 السالكين وهو التبري من كل شيء سوى الله الى الله وان العابد ينبغي أن لا يغتر بعبادته ويكون
 ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه واما
 من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى أنه خلقكم ومن قبلكم في صورة من ترجى منه
 التقوى لترجح أمره باجتماع أسبابه وكثرة الدواعي اليه وغلب تعالى الخطابين بقوله اعلحكم على
 الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا واعل في الاصل للترجي وفي كلامه تعالى لتحقيق
 والآية تدل على أن الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدة دانيته والعلم باستحقاقه للعبادة
 النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وأن العبد لا يستحق بعبادته عليه تعالى ثوابا فانها ما راجبت
 عليه شكر الماعذمة عليه من النعم السابقة فهو كاجير أخذ الاجر قبل العمل وقوله تعالى (الذي
 جعل) أي خلق (لكم الارض فراشا) أي بساطا تفرش صفة ثانية أو منصوب بتقدير أمدح
 أو مرفوع خبر مبتدأ محذوف ومعنى جعلها فراشا أن جعل بعض جوانبها يارزاعا عن الماء مع
 ما في طبع الماء من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيئة لان
 يقعدوا ويناموا عليها كالفرش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كرية شكلها مع
 عظم حجمها واتساع جرمها لا تأبى الفراش عليها فليس في ذلك الا أن الناس يقتربونها كما يفعلون
 بالمفاريش وسواء كانت على شكل السطح أو على شكل الكرة (و) جعل لكم (السماء بناء) أي قبة
 مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد وعلى المتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع
 سماء والبناء مصدر يسمى به المبنى يتساكن أوقية أو خباء ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا
 تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا وقوله تعالى (وأنزل من السماء ماء) معطوف على جعل والمراد
 بها اما السحاب فان ما علا للسماء واما الفلك فان المطر يتدنى اتماما من السماء الى السحاب ومنه
 الى الارض كما دلت عليه الظواهر من الآيات كقوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء ويخرج من
 أنزل من السماء ماء فليس كما ينابيع في الارض وعن خالد بن معدان قال المطر ماء يخرج من

صحت العرش فينزل من سماء الى سماء حتى يجتمع في سماء الدنيا فيجتمع في موضع فتحي السحاب
السود فتدخله فتشرب به فيسوقها الله حيث شاء وامام من اسباب سماءويه تثير الاجزاء الرطبة من
أعماق الارض الى جوف الهواء فتعقد سحابا مطرا (فاخرج به من) أنواع (الثمرات رزقا لكم)
تأكلونه وتعلقون منه دوابكم وخروجها بقدره الله تعالى ومشيئته ولا يمكن جعل الماء
الممزوج بالتراب سبيبا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بأن أجرى عادته بافاضة صورها
وكيفياتها على المادة المترجعة منها ما أودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من
اجتماعهما أنواع الثمار وهو تعالى قادر على أن يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع
نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها من تقيا من حال الى حال صنائع وحكم يجدد فيها
لاولى الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك في ايجادها دفعة * (تنبيه) * من الاولى
للابداء ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فأخرجنا به ثمرات لآلئ غرات جمع قلة متكرر
واكتشاف المنكرين لها أعنى ماء ورزقا كما نذ تعالى قال وأنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به
بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا التبعض هو الموافق للواقع اذ لم ينزل من السماء الماء
كله ولا أخرج بالمطر كل الثمرات ولا جعل بالمطر كل المرزوق ويصح أن تكون من الثانية للتبيين
ورزقا مفعول وهو المبين بمعنى المرزوق كقول القائل أنفقت من الدراهم ألفا فان من الدراهم
بيان لقوله عقبه ألفا (فان قيل) المحل محل جمع الكثرة فكيف أتى بجمع القلة (أجيب) بأن
الجوع يتناول بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وأوقع جمع القلة موقع جمع
الكثرة بدليل ذكر كم وكقوله تعالى ثلاثة قروم فأوقع جمع الكثرة موضع جمع القلة لان ميم الثلاثة
لا يكون الا جمع قلة أولان الثمرات لما كانت محلاة باللام خرجت عن حدة القلة (فلا يجملوا الله
أندادا) أى شركاء في العبادة (فان قيل) لم سعى ما يعبد المشركون من دون الله أندادا مع انهم
ما زعموا أنها تساويه في ذاته وصفاته ولا أنهم ساقطوا في افعاله (أجيب) بأنهم لما تركوا عبادته
الى عبادتها وسعوا لها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد انه اذوات واجبة بالذات قادرة على أنها
تدفع عنهم بأس الله وتحميهم الم يرد الله بهم من خير فتكم الله تعالى بهم وشنع عليهم بأن جعلوا
أنداد لمن يمتنع أن يكون له نذ ولذلك قال موحد الجاهلية يزيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين
قومه أرباوا حيدا أم ألقرب * أدين اذا تقسمت الامور
أدين أى أطيع من دان أى انقاد اذا تقسمت أى تفرقت
تركبت اللات والعزى جيعا * كذلك يفعل الرجل البصير
ألم تعلم بأن الله أفنى * رجالا كان شأنهم الفجور
وأبقى آخرين بسبر قوم * فبر يومنهم الطفل الصغير
وقوله تعالى (وانتم تعلمون) حال من ضمير فلا تجعلوا مفعول تعلمون متروك أى وحالكم انكم
من أهل العلم والنظر واصابة الرأي فلو تأملتم أدنى تأمل اضطرر عقلكم الى اثبات موجود
للممكنات منفرد بوجود الذات متعال عن مشابهة المخلوقات أو مقلد روهوان الانداد لا تماثله
ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلکم من شئ وعلى

كون وأنتم تعملون حالاً فامنعوه منه التوب يخسوا أن يجعل مفعول تعلمون متروكاً ومقدراً
 وإن كان التوب يخفى في الأول كد كما صرح به الكشف لا تقيم يد الحكم وقصره وهو النهي عن
 جعلهم لله أنداداً جهال علمهم فإن العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف
 * (تنبيه) * قال البيضاوي وألم أن مضمون الآية ينسب أي ياتى بها الناس اعبدوا ربكم والذي
 جعل لكم إلى آخرهما هو الأمر بعبادة الله والنهي عن الاشرار إليه تعالى والاشارة إلى ما هو
 العلة والمقتضى ويبان أنه تعالى رتب الأمر بالعبادة على صفة الربوبية اشعاراً بأنها العلة
 لوجوبها ثم بين ربوبيته بأنه تعالى خالقهم وخالق أصواتهم وما يحتاجون إليه في معاشهم من
 المأكل والمطلة أي الأرض والسما والسماء والمطاعم والملابس فإن الثمرة أعم من المطعم أي قسم
 الثمرات الملابس كالمطاعم والرزق أعم من الماء كالمشروب ثم لما كانت هذه أموراً
 لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشرار إليه ولعله سبحانه وتعالى
 أراد من الآية الأخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسبق فيه الكلام الاشارة إلى تفصيل خلق
 الانسان وما أفاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالأرض
 والنفوس بالسماء والعقل بالماء وما أفاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بتوسطه
 استعمال العقل للعواس وازدواج أي اقتران القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة
 من ازدواج أي اقتران القوى السماوية الفاعلة والأرضية المنفوعة بقدره الفاعل المختار
 فإن لكل آية ظهراً وبطناً ولكل حكمة ظاهراً وبطناً ما تضمنته من الاسرار التي أطلع الله
 عليها الخواص وقيل ظاهرها تلاوتها وباطنها فهمها والحد أحكام الحلال والحرام والمطامع
 الاشراف على معرفتها * ولما قدر سبحانه وتعالى وحدانيته وبين الطريق الموصل إلى العلم
 به اذكر عقبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن المجزى بفصاحته
 التي غلبت فصاحة كل بليغ مع كثرتهم وافراطهم في المضادة وتهاكمهم على المغالبة بقوله
 تعالى (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) محمد من القرآن انه من عند الله
 (فأتوا بسورة) وانما قال تعالى مما نزلنا لان نزوله نجماً فنجماً بحسب الوقائع على ما يرى عليه
 أهل الشعر والخطابة مما يرى عليهم كما حكى الله تعالى عنهم بقوله تعالى وقال الذين كفروا لولا
 نزل عليه القرآن لجهل واحد فكان الواجب تحذيرهم على هذا الوجه ازالة للشبهة والزاماً للجهة
 فان أهل الشعر والخطابة يأتون بأشعارهم وخطبهم على قدر الحاجة شيئاً قليلاً ولما كان القرآن
 منزلاً كذلك طعنوا فيه بأنه مثل كلامهم فقيل لهم ان اريدتم في نزوله منجماً فأولوا بنجم منه لانهم
 اذا عجزوا عن نجم منه فجهزهم عن كله أولى وأضاف العبد إلى نفسه تنويهاً بذكره وتنبيهاً على أنه
 مختص به منقاد لحكمه والسورة من القرآن الطائفة منه المترجمة التي لها أول وآخر أقلها ثلاث
 آيات والحكمة في تقطيع القرآن سواء افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنسيق
 القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فان القارئ اذا ختم سورة فرج ذلك عنه بعض كرب

كالمسافر اذا علم انه قطع ميلاً وطوى بريداً والحافظ اذا حفظ سورة اعتقد أنه أخذ من القرآن
 حظاً تاماً وفاز بطائفة محمد ودة مستقلة بنفسها فاعظم ذلك عندهم وابتهج به الى غير هذين القوائد
 وقوله تعالى (من مثله) صفة سورة أى بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض
 أول التبيين وزائدة عند الاختصاص أى بسورة مما ناله للقرآن في البلاغة وحسن النظم وقيل الضمير
 لعبدنا ومن للابتداء أى بسورة كائنة عن هو على حاله من كونه بشراً أتمياً لم يقرأ الكتب ولم يعلم
 العلوم والوجه الاول أولى لانه المطابق لقوله تعالى في سورة يونس فأتوا بسورة مثله واسائر
 آيات التحدى ولأن الكلام في المنزل لا في المنزل عليه لحقه أن لا ينفك عنه ليتسقى الترتيب
 والنظم اذا المعنى وان ارتبتم في أن القرآن منزل من عنده فأتوا بقرآن من مثله ولأن مخاطبة
 الجمل الغفير بأن يأتوا بمثل ما أتى به واحد من أبناء جنسهم أبلغ في التحدى من أن يقال لهم ليأت
 بنحو ما أتى به عبدنا آخر مثله ولانه محجوز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت
 الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولأن عود الضمير الى عبدنا يوجبهم امكان
 صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله تعالى (وادعوا شهداءكم من دون الله) فانه تعالى
 أمر أن يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم سواء كان من مثله أم لا والشهداء جمع شهود
 بمعنى الحاضرين وانقائهم بالشهادة ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان
 يرجوه أو الملائكة حضره ومعنى دون أدنى مكان من الشئ ومنه تدوين الكتب لانه أدنى
 البعض من البعض ودونك هذا أى خذ من أدنى مكان منك ثم استعير للرتب فقل هو دون
 زيد أى في الشرف ومنه الشئ الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى آخر وتخطى
 أمر الى آخر وان خلى عن الرتبة قال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين
 أى لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين ومن متعلقة بادعوا فهي لابتداء الغاية
 والمعنى وادعوا للمعارضة من حضركم أو رجوتهم معوته من انفسكم وجنكم وادعوا آلهم
 التي تعبدونها غير الله وترغمون أنها تشهد لكم يوم القيامة أى استعينوا بهم في الايمان بما ذكر
 (ان كنتم صادقين) في أن محمداً صلى الله عليه وسلم يقوله من تلقاء نفسه وان آلهتكم تشهد
 لكم بذلك وجواب هذا الشرط محذوف تقديره فافعلوا أى ما ذكر من الايمان بسورة دل
 عليه قوله تعالى (فان لم تفعلوا) ذلك والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر أنه
 كذلك عن دلالة أو اشارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك رسول الله لم يعترفوا
 مطابقة له ورده هذا القول بصرف التكذيب الى قولهم شهد لأن الشهادة اخبار عما عمله
 وهم ما كانوا عالمين به وقوله تعالى (ولن تفعلوا) جملة معترضة أى لا يقع منكم ذلك أبداً لا يحاز
 القرآن (فانقوا النار التي وقودها) أى مائة قدس به (الناس والحجارة) التي تحتوها واتخذوها
 أرباباً من دون الله طمعا في شفاعتها والاتقاع بها ويدل لذلك قوله تعالى انكم وما تعبدون من
 دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكاذبون بما كانوا يكذبون وأحجارة
 الكبريت كما رواه الطبراني عن ابن مسعود والحاكم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى

عنهما وعليه أكثر المفسرين وإن قال البيضاوي أنه تخصيص بغير دليل لأن مثل هذا التفسير
الوارد عن الصحابي فيما يتعلق بأمر الآخرة له حكم المرفوع وأيضا حجارة الكبريت أشد حرا
وأكثر التهابا وتزيد على غيرها من الأحجار سرعة الايقاد وتتن الریح وكثرة الدخان وشدة
الاتصاق بالابدان وقيل بجمع الحجارة * (تنبيه) * تفعلوا مجزوم بلم لا بان لأن الواجب الاعمال
مخصصة بالمضارع متصلة بالعمول ولأن الماصيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط
كالداخل على المجموع وكأنه قال فإن تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما وحاصله أن تقتضي
الاستقبال ولم تقتضي الماضي فترجحت لم الخذ كرفيكون المعنى على الماضي دون الاستقبال وقيل
أن إن بمعنى اذ ولا اشكال حينئذ وقيل كل منهما على حقيقته والمعنى إن تبين في المستقبل عدم
فعلكم في الماضي وإن تفعلوا في المستقبل فاتقوا النار ولن كذا في نفي المستقبل غير أنه أبلغ
وهو حرف بسيط ثنائي الوضع وقيل أصله لا إن حذف الهزرة منها لكثرةها في الكلام ثم ألف
للالتقاء الساكنين ولما كانت الآية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة التحريم
نارا وقودها الناس والحجارة ومنعوه مع تعريف النار ووقوع الجملة صلة فإن الصلة يجب أن
تكون معلومة وهي معلومة هنا من سورة التحريم حيث وقعت صلة (فإن قبل) الصفة أيضا
يجب أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصوف كالصلة والالكات خبرا ولهذا قالوا إن الصفات
قبل العلم بها أخبار كما أن الأخبار بعد العلم بها أوصاف فيأتي في الصفة في آية التحريم ما ذكر
في الصلة * (أجيب) * بأن الصلة والصفة يجب كونهما معلومين للمخاطب لا لكل سامع
وما في التحريم خطاب للمؤمنين وقد علموا ذلك لسماعهم من النبي صلى الله عليه وسلم ولما سمع
الكفار ذلك الخطاب أدركوا منه نارا موصوفة بملك الجملة فجعلت فيما خوطبوا به (أعدت)
أي هيئت (للكافرين) وجعلت عدة لعذابهم وفي ذلك دليل على أن النار مخلوقة معدة لهم
الآن والجملة استئناف أحوال من النار باسمارقدها والعمل في الحال اتقوا وهي حال لازمة
فلا يشك بأن النار أعدت للكافرين اتقوها أم لا * (تنبيه) * قال البيضاوي في الآيتين أي
آية أن كنتم في ريب وآية فإن لم تفعلوا ما يدل على التوبة من وجوه الأول ما فيها أي في مجموعهما
من التحدي والتحريض على الجحد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد
على عدم الاتيان بما يعارض أقصر سورة من سور القرآن العزيز ثم انهم مع كثرتهم واشتارهم
بالفصاحة وتمالكهم على المضادة لم تصد والمعارضة والتجؤ إلى جلاء الوطن وبذل المهج لأن
قوله من التحدي راجع للآية الأولى والباقي راجع إلى الثانية والثاني تضمنهما أي مجموعهما
الأخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشئ لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه
أكثر من الذابن عنه في كل عصر لأن ذلك راجع للآية الثانية والثالث أنه عليه الصلاة والسلام
لو شك في أمره أي نفسه لما دعاهم إلى المعارضة بهذه المبالغة مخافة أن يعارض فتذهب
حجته وهذا راجع إلى الآية الأولى * ثم عطف سبحانه وتعالى حال من آمن بالقرآن ووصف
نوابه على حال من كفر به وكيفيته عقابه على عادة ما جرت به العادة الإلهية من أن يشفع الترغيب

بالترهيب تنشط الاكتساب ما ينجي وتنبه طاعن اقتراف ما يردى بقوله تعالى (وبشر الذين آمنوا
 وعملوا الصالحات) أي الطاعات (أن لهم جنات) أي حداثات ذات شجر ومساكن وانما
 أمر الله سبحانه وتعالى الرسول صلى الله عليه وسلم وأعلم كل عصر وكل أحد يقدر على البشارة
 أن يبشر الذين آمنوا ولم يحاط بهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيماً لما شأنهم وايداناً بأنهم أحق
 بأن يبشروا ويهنأوا بما أعد لهم والبشارة الخبر الصادق السار ولا فانه يظهر أثر السرور في البشارة
 لأن النفس اذا سرت انتشر الدم انتشار الماء في الشجرة ولذلك قال الفسقاء البشارة هو الخبر
 الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من يبشرني بقدم ولدي فهو حر فأخبروه فرادى عتق أولهم
 ولو قال من أخبرني عتقوا جميعاً (فان قيل) ما الجواب عن قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم
 * (أجيب) * بأن ذلك ورد على سبيل التكميم كقوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم
 وعطف سبحانه وتعالى العمل على الايمان مرتباً للحكم عليهما اشعاراً بأن السبب في استحقاق هذه
 البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التيقن والتصديق
 أس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا تقع تام بأس لائناً عليه ولذلك قلنا كرام فردين وفي عطف
 العمل على الايمان دليل على أن الصالحات خارجة عن معنى الايمان اذا الاصل أن الشيء لا يعطف
 على نفسه ولا على ما هو داخل فيه وجعل سبحانه وتعالى الجنة لأن الجنان على ما ذكره ابن عباس
 سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام
 وعليون وفي كل واحدة من هذه السبع مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال
 والاعمال واللام في الصالحات للجنس لا للاستغراق اذ لا يكاد المؤمن أن يعمل جميع الصالحات
 واللام في لهم تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لالذاته
 فانه لا يكافي النعم السابقة فضلاً عن أن يقتضي ثواباً وجزاء فيما يستقبل بل يجعل الشارع
 ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط أن يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن بقوله تعالى
 ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم واهله سبحانه وتعالى لم
 يقيد هاهنا استغنائهم هذه الآية وأشباهاها (تجري من تحتها) أي من تحت أشجارها ومساكنها
 (الانهار) كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق أنها رابطة تجري
 في غير أخذود قال الجوهرى الأخدود شق مسططيل في الارض واللام في الانهار للجنس
 كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري قال البيضاوي أول العهد والمعهود هي الانهار
 المذكورة في قوله تعالى أنهار من ماء غير آسن الآية اه قال التفقازاني انما يصح هذا لو ثبت سبق
 قوله تعالى أنهار من ماء غير آسن في الذكر اه والنهر بالفتح والسكون المجري الواسع فوق الجدول
 ودون البحر كالنيل والفرات والمراد بالانهار ماؤها على حذف مضاف أو تسمية للماء باسم مجراه
 مجازاً واسناد المجري اليها مجاز كما في قوله تعالى وأخرجت الارض أثقالها (كما رزقوا منها
 من غرة رزقا) أي اطعموا ومن تلك الجنان غرة ومن صله (قالوا هـ ذا الذي رزقنا) أي أطعمنا
 (من قبل) أي من قبل هذا في الدنيا جعل الله تعالى غرة الجنة من جنس غرة الدنيا لتكمل النفس اليه

أول ما يرى فإن الطبائع ماثلة الى المألوف مستفجرة من غيره أى هذا من نوعه لتشابه ما يؤتون به
 في الصورة كما قال تعالى (وأثوابه متشابهها) أى في اللون والصورة مختلفا في الطعم وذلك
 أبلغ في باب الإعجاز والداعى لهم الى ذلك فرط استغرابهم واقتضارهم بما وجدوا من التفاوت
 العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة وقيل في الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما
 حكى عن الحسن ان أحدهم يؤتى بالصفحة فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى فيراها مثل الاولى فيقول
 ذلك فتقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف أو كما روى أنه عليه الصلاة والسلام
 قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فيأكلها واصله الى فيه
 حتى يتدل الله مكانها مثلها وعن مسروق نخل الجنة نضيد من أصلها الى فرعها وغيرها أمثال
 القلال كلما زعت ثمرة عادت مكانها أخرى والعنقود اثنا عشر ذراعا (فان قيل) على الاول
 التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس ليس
 في الجنة من أطعمة الدنيا الا الاسماء * (أجيب) * بأن التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي
 مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه وللاية كما قال البيضاوي يحمل
 آخروها وأن مستلذات أهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة
 في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل أن يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما
 تماثلهما في الشرف والرتبة وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد تطير قوله تعالى ذوقوا ما كنتم
 تعملون في الوعيد (وله من فيها) أى الجنات (أزواج) من الحور العين والآدميات (مطهرة)
 مما يستقذرن من النساء ويذمن من أحوالهن كالحيض والدرن أى الومض وندس الطبع
 وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال ومعنى تطهيرهن مما ذكر
 كما قال التفقازاني انها منزهة عن ذلك مبرأة عنه بحيث لا يعرض لهن لا التطهر الشرعى بمعنى
 ازالة النجس الحسى أو الحكمى كما في الغسل عن الحيض والزواج يقال للذكر والانثى قال تعالى
 وأصلحنا له زوجه وهو في الاصل لماله قرين من جنسه كزوج الخلف (فان قيل) فائدة المطعوم
 هو التقوى ودفع ضرر الجوع وفائدة المذكور التوادد وحفظ النوع وهذه الفوائد مستغنى
 عنها في الجنة * (أجيب) * بأن مطاعم الجنة ومناكحها وسائر أحوالها انما تشارك في نظائرها
 الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى بأسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل
 ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها (وهم فيها خالدون)
 أى دائمون أحياء لا يموتون ولا يخرجون والاصل في الخلود الثبات المديد دام أو لم يدم اذ لو كان
 وضعه للدوام لكان التقييد بالآية في قوله تعالى خالدين فيها أبداً تأكيداً كيد الاناسيس والاصل
 خلافه لكن المراد به الدوام في الآية عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنة (فان قيل)
 الابدان مركبة من أجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانسكاك
 والاضلال فكيف يعقل خلودها في الجنات * (أجيب) * بأنه تعالى يعيدها بحيث لا تعتبرها
 الاستحالة بأن يجعل أجزائها مثلاً متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شئ منها على

احالة الاخر متعاقبة متلازمة لا يتفك بعضها عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن ولما كان معظم اللذات الحسية مقصورة على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان ما دل ذلك كله الثبات والدوام وأن كل نعمة جليلة اذا قارن بها خوف الزوال كانت منقصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بالمساكن والمطاعم والمناكح فبشر بالاول بقوله تعالى جنات تجري من تحتها الانهار وبالناني بقوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا الاية وبالثالث بقوله تعالى ولهم فيها أزواج مطهرة ومثل ما أعتلهم في الآخرة بأحسن ما يستلذونها وأزال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التمتع والسرور ولما ضرب الله سبحانه وتعالى المثل بالذباب والعنكبوت في قوله تعالى وان يسلمهم الذباب وقوله تعالى كمثل العنكبوت قالت اليهود ضرب المثل بذلك مما يستحيامنهم لست فليس من عند الله تعالى فنزل رداعليهم (ان الله لا يستحي) أي لا يترك (أن يضرب مثلاً ما بعوضة) وهي صغيرة البق ترلن من يستحي أن يمثل بها الحشرات وأنها بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذف من عند سيبويه ويجوز كما في الكشف نصبه بافضاء الفعل اليه بنفسه فان استحيما يتعدى بنفسه أيضا يقال استحييت منه واستحييته وما أمّا ايهامية تزيده الذكر قبلها ايهاماً وما مزيدة لتأكيده معنى مضمون الجملة قبلها كالتى في قوله تعالى فبما رحمة من الله ولا يراد بالمزيد اللغو والضائع فان القرآن كله هدى وبيان بل المراد بالمزيد ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان تذكرة مع غيرها تقيد به وثاقه وقوة وهو زيادة في الهدى غير قاذح في القرآن وبعوضة عطف بيان أو بدل من مثلاً ومفعول ثان ليضرب بمعنى يجعل والحياة انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسيط بين الوقاحة التى هى الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها وبين الخجل الذى هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا فاذا وصف به البارى سبحانه وتعالى كما جاء في الحديث ان الله يستحي من ذى الشبهة المسلم أن يعذبه ان الله حي كريم يستحي اذا رفع العبيديده أن يردّهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك كما قدرته اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابه المعروف والمكروه اللازمين لمعنيهما وتحتمل الآية خاصة أن يكون مجيى الحياء فيها للمشاكله وهو أن يذكر الشئ بلفظ غير لوقوعه في صحبته ولوقته ديرا كما هنا وهو قول الكفرة اما يستحي رب محمد أن يضرب مثلاً بالذباب والعنكبوت ولما كان التمثيل يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وبرزه في صورة المشاهد المحسوس ليعاد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه ميل الحس وحب المحاكاة شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء وأشار الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل أعظم من كل عظيم كما مثل سبحانه وتعالى في الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصى ومخالطة السفهاء بأثارة الزنا بغير ونصه على ما حكاه الفخر الرازى في الاول لا تكونوا كنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويمسك النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم وتبقون الغسل

في صدوركم وفي الثاني قلوبكم كالخصاة التي لا تطبخها النار ولا يلبثها الماء ولا ينسفها الريح
 وفي الثالث لا تنبروا الزنا بغير قتلدغكم فكذلك لا تخالطوا السفهاء فيشقوكم وجاء في كلام العرب
 اسمع من قراد لا تأت العرب تزعم أنه يسمع صوت اخفاف الابل من مسيرة يوم فيتحرك لها وقيل
 من مسيرة سبع ليال وأعز من مخ البعوض يضرب لمن يكاف الامور الشاقة (فما فوقها) أي ما زاد
 على البعوضة في الجئسة كالذباب والعنكبوت والمعنى أنه لا يستحي من ضرب المثل بالبعوضة
 فضلا عما هو أكبر منه أو المعنى الذي جعلت فيه مثلاً وهو الصغر والحقارة بكنائجها فإنه عليه
 الصلاة والسلام ضرب جناحها مثلاً للاربابية وله في خبر الترمذي لو كانت الدنيا تعدل عند الله
 جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء ونظيره في احتمال التوقية للجئسة وللمعنى ما روى البخاري
 وغيره أن رجلاً بنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يشال شوكة فما فوقها الا كتب له بها درجة ومحبت عنه بها
 خطيئة فإنه يحتمل ما يجاوز الشوكة في الالم كالسقوط على الطنب وما زاد عليها في القلة كقرصة
 النملة والطنب جبل الخباء والفسطاط بيت من شعر (فأما الذين آمنوا فليعلمون أنه) أي ضرب
 المثل بذلك (الحق) أي الواقع موقعه (من ربهم) لان الحق هو الثابت الذي لا يسوغ انكاره
 وهو يعيم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قواهم حق اذا ثبت ومنه
 نوب محقق أي محكم النسخ وأما حرف تفصيل ينصل ما أجل ويؤكد ما به صدور ويتضمن معنى
 الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيدي به أما زيد فذا هب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب أي
 هو ذاهب لا محالة وأنه منه عزية وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لا الخبر لكن كرهوا
 ايلاءها حرف الشرط فأدخلوا الفاء على الخبر وعوضوا المبتدأ عن جملة الشرط لفظاً (وأما الذين
 كفروا فليقولون ماذا) يحتمل وجهين أن تكون ما استنفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صائبة
 والمجموع خبر ما وأن تكون ما مع ذاسما واحداً بمعنى أي شيء (أراد الله به هذا) فهو منصوب المحل
 على المفعولية لا اراد فهاذا كما في الكشاف في حكم ما وحده لوقلت ما أراد الله وكان من حقه
 وأما الذين كفروا فلا يعلمون لي مطابق قرينه وهو الذين آمنوا ويقابل قسميه وهو يعلمون أنه الحق
 لكن لما كان قولهم هذا دليلاً واضحاً على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية عن عدم علمهم
 ليكون كالبرهان عليه والارادة صفة ذاتية قديمة زائدة على العلم ترجح أحدهما قدوريه على الآخر
 وتخصسه بوجه دون وجه بخلاف القدرة فإنها لا تخصص الفعل ببعض الوجوه بل هي موجودة
 للفعل مطلقاً وقوله تعالى (مثلاً) نصب على الحال من اسم الإشارة والعامل فيه اسم الإشارة أو
 التمييز والمعنى أي فائدة في ذلك فقال تعالى (يضل به كثيراً) بأن يكذبوا به (ويهدي به كثيراً) بأن
 يصدقوا به وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى أنفسهم لا بالقياس أي لا بالنظر الى مقابليهم
 فان المهتدين قليلون بالاضافة الى أهل الضلال كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل
 أن تكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهتدين باعتبار الفضل والشرف كما قال المتنبي
 في مدح علي بن يسار

سأطلب حتى بالقنا ومشايخ * كأنهم من طول ما التفتوا مرد
ثقال اذا الاثنا واخفاف اذا دعوا * قليل اذا عدوا كثيرا اذا شدوا

وقال * ان الكرام كثير (أى كرما) في البلاد وان * قلوا (أى عددا) كما غيرهم قل (بضم القاف
وكسرها أى قليل كرما) وان كثروا * أى عددا (وما يضل به الا الفاسقين) أى الخارجين عن حد
الايمان بالسكفر كقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون وتخصيص الاضلال بهم مرتب على صفة
الفسق يدل على انه الذى أعدهم للاضلال وأدى بهم الى الضلال بالمثل وسبب ضلالهم به ان
كفرهم وعدولهم عن الحق واسرارهم بالباطل صرفت وجوه أفكارهم عن حكمة المثل الى
حقارة المثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت به ضلاتهم فانكروا المثل واستهزؤا به وأما
الفاسق فى الشرع فهو الخارج عن أمر الله بارتكاب كبيرة أو اصرار على صغيرة ولم تغلب طاعته
على معاصيه ولا يخرج منه ذلك عن الايمان الا اذا اعتقد حل المعصية واهأ كالت كبيرة أم صغيرة
قال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والماتلة جعلوا الفاسق قسما ثالثا لا بين منزلة
المؤمن والكافر لمشاركة كل واحد منهما فى بعض الاحكام * ثم بين سبحانه وتعالى صفة الناسقين
بقوله (الذين ينقضون عهد الله) وهو اما المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على
توحيده ووجوب وجوده وصدق رساله وعليه يدل قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم * واما
المأخوذ بالرسول على الامم بأنهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم
يكفوا أمره ولم يخالفوا حكمه وعليه يدل قوله تعالى واذا أخذ الله من المشاق الذين آمنوا فوالكتاب
الآية وقبل عهد الله ثلاثة عهد أخذ بهواطة العقل على جميع ذرية آدم بأن يقرؤا ربوبيته
وعهد أخذ بهواطة الملك على النبيين بأن يقيموا الدين ولا يفرقوا فيه وعهد أخذ بهواطة
الرسول على العلماء بأن يبينوا الحق ولا يكفوه وقوله تعالى (من بعد مشاقه) أى توكيده يحتمل عود
الضمير للعهد فهو من اضافة المصدر الى المفعول أو لله فهو من اضافة المصدر الى الفاعل
قال البيضاوى ويحتمل أن يكون بمعنى المصدر (واعترض) بأن التحوين لم يذكروا فعلا فى
صنيع المصادر وأصله أن يكون وصفا كطعام ومسقام (وأجيب) بحمل ذلك على أنه اسم واقع
موقع المصدر كإيثريه قوله بمعنى المصدر (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) وهو الرحم
لأنهم قطعوا رحم النبي صلى الله عليه وسلم بالمعاداة معه ويحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى
كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والفرقة بين الانبياء عليهم السلام والصلاة والسلام
والكتب فى التصديق وترك الجماعات وسائر ما فيه رفض خيرا وتعاطى شرفا يقطع الوصلة
بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل
وقيل مع العلق وقيل مع الاستعلاء وأن يوصل بدل من الهاء وقرأ ورش بتقليظ اللام وصل
واذا وقف رقق وغلظ وأدغم خائب النون فى الباء بغير غنة (ويفسدون فى الارض) بالمعاصي
وتعويق الناس عن الايمان بحمد صلى الله عليه وسلم والاستمزاز بالحق وقطع الوصل التى بها
نظام العالم وصلاحه (أولئك هم الخاسرون) بفوات التوبة والمصير الى العقوبة باهمال

العقل عن الفطر واقتصاص ما يقيدهم الحياة الابدية واستبدال الانسكار والطعن في الآيات
بالإيمان بهم والنظر في حقائقها والاعتباس من أنوارها واشتروا النقض بالوفاء والفساد
بالصلاح والعقاب بالثواب ثم وضح سبحانه وتعالى الكفار بقوله (كيف تكفرون بالله) أي
أخبروني على أي حال تكفرون (وكنتم أمواتاً) أي نطفاني أصلاً بآبائكم لا احساس لكم
(فأحياكم) في الارحام ثم في الدنيا بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل
بما عطف عليه غيره تراخ عنه بخلاف البواقي وقرأ الكسائي بالامالة وورش بالفتح وبين اللفظين
والباقون بالفتح (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) للبعث يوم ينفخ في الصور
أول السؤل في القبور قال التفتازاني ولم لا يجوز أن يراد مطلق الاحياء بعد الامانة على ما يعتم
الاحياء في القبور والنشور ولا بعده لشدته ارتباط الاحياء واتصالهم ما في الانقطاع عن
أمر الدنيا (ثم اليه ترجعون) تردون بعد الحشر فيجازيكم بأعمالكم أو تنشرون اليه من
قبوركم للحساب فما أحب كفركم مع علمكم بحالكم هذه (فان قيل) ان علما أنهم كانوا أمواتاً
فأحياهم ثم يميتهم لم يعلموا أنه يحييهم ثم اليه يرجعون (أجيب) بأن تمكنهم من العلم بما نصب
لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما في الآية تنبيه على ما يدل على صحتها
وهو انه تعالى لما قدر على احيائهم أولاً قدر على أن يحييهم ثانياً فان بدء الخلق ليس بأهون عليه
من اعادته (فان قيل) كيف تعد الامانة من النعم المقتضية للشكر (أجيب) بأنها لما كانت
وصلة للحياة الدائمة التي هي الحقيقة كما قال تعالى وان الدار الآخرة لله الحيوان يعني الحياة
صكانت من النعم العظيمة مع أن المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة بأسرها كما أن
الواقع حالها هو العلم بها الا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما
لا يصح حالا ويصح أن يكون الخطاب مع الكفار والمؤمنين فانه سبحانه وتعالى لما بين دلائل
التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان وأوعدهم على الكفر كذلك بأن عدد عليهم
النعم العامة والخاصة واستبعد صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة
فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم وأن يكون مع المؤمنين خاصة لتقرير النعمة عليهم وتبعد
الكفر عنهم على معنى كيف يتصور الكفر منكم وكنتم أمواتاً أي جهالاً فأحياكم بما أفادكم
من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحياة الحقيقية ثم اليه ترجعون فينبئكم
بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحياة حقيقة في القوة الحسية
أو ما يقتضيهما وبها يحيى الحيوان حياً وناجحاً في القوة النامية لانها من طلائعها ومقدماتها
وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعلم والعقل والايمان من حيث انه كمالها وغايتها والموت
بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة مثال ما يقابل الحقيقة قوله تعالى قل الله يحييكم
ثم يميتكم ومثال ما يقابل الجاهل الاول قوله تعالى اعلما أن الله يحيى الارض بعد موتها
ومثال ما يقابل الجاهل الثاني قوله تعالى أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس
واذا وصف بها البارئ تعالى أريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدره اللازمة له هذه القوة فينا

أَوْضَعْنِي فَأَتَمَّ بِذَاتِهِ تَعَالَى * ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَى مَشِيئَتِهِ وَقَدَرْتَهُ فَقَالَ (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ) أَيْ لِأَجْلِكُمْ وَاتَّقَاعِكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ بِاسْتِنْفَاعِكُمْ بِهَا فِي مَصَالِحِ أَبَدَانِكُمْ بَوْسُطِ كَالَادْوِيَةِ الْمُرْكَبَةِ أَوْ غَيْرِ وَسُطِ كَالثَّمَرَةِ وَالْأَدْوِيَةِ الْمَفْرَدَةِ وَفِي دِينِكُمْ بِالْإِسْتِدْلَالِ عَلَى مَوْجِدِكُمْ فِي ذَلِكَ نِعْمَةً عَلَى عِبَادِهِ سَجْدَانَهُ وَتَعَالَى وَمَاتَعَمَّ كُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ لَا الْأَرْضَ إِلَّا أَنْ أُرِيدَ بِالْأَرْضِ جِهَةُ الْفِعْلِ كَمَا يُرَادُ بِالسَّمَاءِ جِهَةُ الْعُلُوِّ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (جَمِيعًا) حَالٌ مِنَ الْمَوْصُولِ الثَّانِي وَهُوَ مَا وَهِيَ حَالٌ مُؤَكَّدَةٌ لِمَا لَا تَحْدَاهُ مَا فِي الْعُمُومِ وَهَذَا أَقْرَبُ مِنْ جَعْلِهِ حَالًا مِنْ ضَمِيرٍ لَكُمْ لِأَنَّ سَبَابِقَ الْآيَاتِ أَنْهَاهُ فِي تَعْدَادِ النِّعَمِ لَا فِي تَعْدَادِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ وَلَا أَنَّ الْمُنْعَمَ بِتَعْدَادِ النِّعَمِ أَظْهَرَ مِنَ الْمُنْعَمِ بِتَعْدَادِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ لِأَنَّ مَقْدَارَ النِّعَمِ يَصِلُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ) أَيْ قَصْدًا إِلَى خَلْقِهَا بِإِرَادَتِهِ وَأَصْلُ الْإِسْتَوَاءِ طَلَبُ السَّوَاءِ وَإِطْلَاقُهُ عَلَى الْإِعْتِدَالِ لِلْمَافِيهِ مِنْ تَسْوِيَةٍ وَضَعِ الْأَجْزَاءِ وَلَا يُمْكِنُ جَمْعُهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ مِنْ خَوَاصِّ الْأَجْسَامِ وَقِيلَ اسْتَوَى اسْتَوَى كَمَا قَبْلَ

قَدْ اسْتَوَى بِشَرْعٍ عَلَى الْعِرَاقِ * مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مَهْرَاقٍ

وَالْمُرَادُ بِالسَّمَاءِ هَذِهِ الْأَجْرَامُ الْعُلْوِيَّةُ أَوْ جِهَاتُ الْعُلُوِّ لِطَبَاقِ قَوْلِهِ تَعَالَى (فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ) فَجَمْعُ الضَّمِيرِ الْعَائِدِ إِلَى السَّمَاءِ لِإِرَادَةِ الْخُفْسِ وَقِيلَ لِأَنَّ السَّمَاءَ جَمْعُ سَمَاءَةٍ أَيْ جَعْلُهُنَّ مَسْتَوِيَاتٍ لِاشْتِقَاقِ فِيهِنَّ وَلَا تَفَاوُتَ قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ وَثُمَّ لَعَلَّ تَفَاوُتَ مَا بَيْنَ الْخَلْقَيْنِ أَيْ فِي الْقُدْرَةِ وَالْعِظَمِ وَفَضْلِ خَلْقِ السَّمَاءِ عَلَى خَلْقِ الْأَرْضِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَا تَرَاخَى فِي الْوَقْتِ فَانَّهُ يَخَالِفُ ظَاهِرَ قَوْلِهِ تَعَالَى وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا فَانَّهُ يَدُلُّ عَلَى تَأْخُرِ دَحْوِ الْأَرْضِ الْمُتَقَدِّمِ عَلَى خَلْقِ مَا فِيهَا عَنْ خَلْقِ السَّمَاءِ وَتَسْوِيَتِهَا هـ (وَأَجِيبْ) بِأَنَّهُ لَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ لِأَنَّ تَقَدُّمَ خَلْقِ جُزْمِ الْأَرْضِ عَلَى خَلْقِ جُزْمِ السَّمَاءِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَخَّرَ دَحْوُهَا عَنْهُ وَهُوَ بِسَطْهَا وَرَدُّهُ الْتَفَتًا زَائِفًا بِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَى مَا يَنْبَغِي لِأَنَّ ثُمَّ تَدُلُّ عَلَى تَأْخُرِ خَلْقِ السَّمَاءِ عَنْ خَلْقِ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ جِهَاتِ الصَّنْعِ حَتَّى أَسْبَابِ الْمَذَاتِ وَالْآلَامِ وَأَنْوَاعِ الْحَيَوَانَاتِ حَتَّى الْهَوَامِّ لِأَنَّ مَجْرَدَ خَلْقِ جُزْمِ الْأَرْضِ قَالَ وَسَنَذْكُرُ فِي حِمِّ السَّجْدَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى تَأْخُرِ خَلْقِ السَّمَاءِ عَنْ خَلْقِ الْأَرْضِ وَدَحْوِهَا جَمِيعًا حَتَّى قَبْلَ أَنَّهُ خَلَقَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاءَ وَمَا فِيهَا فِي يَوْمَيْنِ وَكَثُرَ ذَلِكَ فِي الرِّوَايَاتِ فَلَا يَفِيدُ حُلَّ ثُمَّ عَلَى تَرَاخِي الرِّبْعَةِ هـ وَالْأَوْجَهُ كَمَا قَالَهُ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ الْمُوَافَقَ لظَاهِرِ مَا هُنَا وَمَا سَبَقَ فِي فِصْلَتِ تَأْوِيلِهِ مَعَ الْإِيضَاحِ أَنَّ يُقَالُ إِنَّ خَلْقَ جُزْمِ الْأَرْضِ مُتَقَدِّمٌ عَلَى خَلْقِ جُزْمِ السَّمَاءِ وَخَلَقَ وَصَفَهَا أَعْنَى دَحْوَهَا مُتَقَدِّمٌ عَلَى خَلْقِ وَصَفِ السَّمَاءِ أَعْنَى تَسْوِيَتِهَا سَبْعًا فَرَجَعَ الْإِشَارَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ جُزْمِ السَّمَاءِ لِأَوْصَفَهَا وَبِذَلِكَ عِلْمٌ أَنَّ جَعْلَ ثُمَّ لِلتَّرَاخِي فِي الْوَقْتِ لَا يَخَافُ مَا ذَكَرْ خِلَافًا لِمَا زَعَمَ الْبَيْضَاوِيُّ (فَإِنْ قِيلَ) أَلَيْسَ أَنَّ أَصْحَابَ الْأَرْضَادِ أَثْبَتُوا بِالْبَرَاهِينِ تِسْعَةَ أَفْلَاقٍ وَهِيَ كُرَةُ الْقَمَرِ فَكُرَةُ عِطَارِدِ فَكُرَةُ الزُّهْرَةِ فَكُرَةُ الشَّمْسِ فَكُرَةُ الْمَرْيَخِ فَكُرَةُ الْمَشْرِقِ فَكُرَةُ زُحَلٍ فَالْظُّلُكُ الَّذِي فِيهِ الْكُوكُوبُ الثَّابِتَةُ فَالْظُّلُكُ الْأَعْظَمُ وَهُوَ مَعْرُكٌ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَلَى التَّقْرِيبِ دَوْرَةٌ وَاحِدَةٌ (وَأَجِيبْ) بِأَنَّ مَا ذَكَرُوهُ لَيْسَ مُسْتَنَدًا إِلَى دَلِيلٍ شَرْعِيٍّ فَلَا يَنْبَغِي اعْتِبَارُهُ قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ

وان صح فليس في الآية نفي الزائد مع أنه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف وقوله تعالى (وهو بكل شيء عليم) أي مجمل ومفصل فيه تلميح كانه قال ولكونه عالمًا بكيفية الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الا كدل والوجه الانفع واستدلال بأن من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الاتي كان علمه باقان اتقان الافعال واحكامها وقصصهم بابالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الامن عالم حكيم رحيم أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداء وهو أعظم منكم قادر على اعادتهم وقرأ آية الكسائي ثم استوى وفسواهن بالامالة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بافتح وقرأ قانون وأبو عمرو والكسائي وهو يسكون الهاء والباقون بضمها (و) اذ كرى محمد (اذ قال ربك للملائكة) وقبل اذ زائدة أي وقال ربك وكل ما ورد في القرآن من هذا النوع هذا سبيله وهو اما أن يقدر اذ كر وهو الاولى أو تكون اذ مزبدة واذ واذا ظرفا لوقت الآن اذ لما مضى واذ الله مستقبل وقديوضع أحدهما موضع الآخر قال المبرد اذ جاء اذ مع المستقبل كان معناه ما مضى كقوله تعالى واذ يكرى عني واذمكروا واذ جاء اذ مع الماضي كان معناه مستقبل كقوله تعالى اذ جاء نصر الله أي سيجي وقرأ أبو عمرو بادغام اللام في الراء بخلاف عنه والباقون بالاظهار والملائكة جمع ملك أصله ملائكة والهاء التانيث الجمع وهو مقلوب ما الت من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله تعالى وبين الناس فهم رسل الله أو كك الرسل اليهم لتوسط الانبياء بينهم وبين الناس واختلاف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على أنها ذوات موجودة قائمة بأنفسها فذهب أكثر المسلمين الى أنها أجسام لطيفة شقافة ويعبرون عنها بنورانية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة والجئن قادرة على ذلك واستدلوا على ذلك بأن الرسل كانوا يرؤهم أجساما لطيفة متشكلة بأشكال مختلفة وزعم الحكماء يعني الفلاسفة أنهم جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة أي المتصفة بفضائل العلم والعمل بخلاف الشريرة فانها عنددهم الشياطين البشرية الناطقة بقوله البشرية وما بعد صفة للنفوس المفارقة للأبدان بمعنى ما دامت في الأبدان تسمى النفوس فاذا فارقتها كانت الملائكة والمقول له الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم التخصيص وقبل ملائكة الارض وذلك أن الله تعالى خلق السماء والارض وخلق الملائكة والجئن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجئن في الارض فكثروا فيها دهر اطويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغى فأفسدوا فيها فبعث الله تعالى اليهم جنودا من الملائكة يقال له الجئن وهم خزائن الجنان اشتق لهم اسم من الجنة رأسهم ابليس فكان رئيسهم ومن أشدهم وأكثرهم علما فهبطوا الى الارض وطردهم والجئن الى شعوب الجبال وبطون الاودية وجزائر البحور وسكنوا الارض وخفف الله تعالى عنهم العبادة وأعطى الله تعالى ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وسكن يعبد الله تارة في الارض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله العجب وقال ما أعطاني الله تعالى هذا الملك الا لاني أكرم الملائكة عليه فقال الله

تعالى له ولجنده (أني جاء في الأرض خليفة) وجاء من جعل الذي له مقعولان وهما في
الأرض خليفة أعلم فيهما لأنه بمعنى الاستقبال ومعتد على مسند إليه ويجوز أن يكون بمعنى
خالق فيتعدي للمفعول واحد وهو خليفة والخليفة من يخلف غيره وينوب عنه أي جاء به بدلاً
منكم ورافعكم إلى فكره هو ذلك لأنهم كانوا أهون الملائكة عبادة وإلهام فيه للمبالغة
والمراد به آدم صلى الله عليه وسلم لأنه كان خليفة الله في أرضه وكذا كل نبي استخلفه الله في عمارة
الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمرهم فيهم لا الحاجة به تعالى إلى من ينوبه
بل اقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقى أمره بغير وسط ولذلك لم يستغنى الملك كما قال
تعالى ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً أو في صورة رجل ألا ترى أن الأنبياء لما فاقت قوتهم
واشتتت قريحتهم بحيث يكاد زينة يفيض ولولم تحسه نار أرسل إليهم الملائكة ومن كان من
الأنبياء أعلى رتبة كلمة بلا واسطة كما كلم موسى صلالة الله وسلامه عليه في الميقات ومحمد أصلى
الله عليه وسلم إله المعراج وقيل أنه خليفة من سكن الأرض قبله وقيل المراد آدم وذريته
لأنهم يخلفون من قبلهم أو يخلف بعضهم بعضاً وأفراد اللفظ أم لا لا يستغنى عن ذكر بنيه
أو على تأويل من يخلف وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شأن المجمعول بأن بشر
تعالى بوجوده سكان ملكاً كونه واقبه بالخليفة قبل خلقه وأظهرا فضله الرابع على ما فيه من
المقاسد بسؤالهم وجوابه وبيان أن الحكمة تقتضي إيجاد ما يغلب خيره فإن ترك الخير الكثير
لأجل الشر القليل شر كثير إلى غير ذلك (قالوا أتعجل فيهما من يفسد فيها) بالمعاصي
(ويسفك الدماء) أي يريقها بالقتل كما فعل بنو الحان فحبوا من أن يستخلفا لعمارة
الأرض وأصلها من يفسد فيها وقصدتهم استكشاف ما خفي عليهم من الحكمة
التي بهرت تلك المقاسد وألغتها وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن في نبي آدم على
وجه الغيبة فانهم أعلم من أن يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عبادهم كرمون لا يسبقونه
بالقول وهم بأمره يعملون وانما عرفوا ذلك بأخبار من الله تعالى أو تلقوا من اللوح أو استنبطوا
عما ذكر في عقولهم أن العصمة من خواصهم أو قياساً لأحد الثقلين على الآخر والافهم ما كانوا
يعلمون الغيب (ومن نسج) متلبين (بجملتك) أي نقول سبحان الله وبجمده وهذه صلاة
مأعداً الأديمين وعليها يزقون قال تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده أي يقول سبحان
الله وبجمده روى عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي الكلام أفضل قال
ما أوصاني الله الملائكة أو لعباده سبحان الله وبجمده وقيل ونحن نصلي بأمرك قال ابن عباس
كل ما في القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلاة (ونقدس لك) ننزهك عما يليق بك فاللام
صلة والجملة حال مقررة لجهة الاشكال كقولك أنتحسب من أعدائك وأنا الصديق المحتاج
والمعنى أنتستخلف عصاة ونحن معصومون أحقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما يرجحهم
مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وقيل نقدر
لأننا نظهر نفوسنا عن الذنوب لاجل ذلك كأنهم قائلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح

وسنك الدماء الذي هو أعظم الافعال الذميمة تطهر النفس عن الآثام (قال) تعالى (انى أعلم ما لاتعلمون) من المصلحة في استخلاف آدم وان ذريته فيهم المطيع والعامى فيظهر العدل بينهم وقيل انى أعلم ان فيكم من يعصى وهو ابليس وجنوده وقيل انى أعلم انهم مذنبون وأنا أخفر لهم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء والباقون بالسكون وهم على مراتبهم في المذ (وعلم آدم الاسماء) أى أسماء المسميات (كلها) حتى القصعة والمفرقة وقيل علمه اسم ما كان وما يكون الى يوم القيامة وقيل صيغة كل شئ قال أهل التأويل ان الله عز وجل علم آدم جميع اللغات ثم كل واحد من أولاده بلغة فتتفرقوا في البلدان واختص كل فرقة منهم بلغة وذلك اما بخلق علم ضرورى به فبفتح أو ألقى في قلبه علمها أو بارسال ملك أو بخطاب الله له أو بخلق الاصوات في الاجسام المسميات والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالباً ولذلك يقال علمته فلم يعلم وآدم اسم أجمعى كسائر الانبياء الاصالحا وشعبا ولوطا ومحمدا بل قيل ان آدم أيضا عربى وعلى هذا فاشتقاقه من الادمية بضم الهمزة وسكون الدال بمعنى السمرة أو الادمية بفتح الهمزة والدال بمعنى الاسود أى القدوة أو من أديم الارض أى ظاهر وجهها روى الحاكم وصححه أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها وهو بفتح الحاء المهملة ما غلط من الارض وصلب أى وعجت بالمياه المختلفة فخلق منها آدم ونفخ فيه الروح فصار حيوانا حساسا بعد ان كان جادا فلذلك يأتي بنوه مختلفين في الالوان والاخلاق والهيئات وأما على الاول فلا اشتقاق له لان ذلك انما يأتي في الاسماء العربية والاجمى لا اشتقاق له وكنيته أبو محمد وأبو البشر والمعنى أنه تعالى خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك أنواع المدرجات والمعقولات والمحسوسات والخيالات والموهومات والأهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسماؤها وأصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها وقرأ ورش في الهمزة من آدم بالمد والتوسط والقصر حيث جاء وقوله تعالى (ثم عرضهم على الملائكة) الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا في قوله تعالى وعلم آدم الاسماء اذ التقدير أسماء المسميات كما مر تقريره فحذف المضاف اليه لدلالة المضاعف عليه وعوض عنه اللام في الاسماء كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا لان العرض للسؤال عن أسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء اذ العرض لا يصح فيها لانهم من المسموعات والعرض يختص بالمحسوسات بالعين تقول عرضت الجند عرض العين اذا مررتهم عليك ونظرت ما حالهم (فان قيل) لم قال عرضهم ولم يقل عرضها (أجيب) بان الاسماء اذا جمعت جمع من يعقل ومن لا يعقل يكفى عنها بلفظ من يعقل كما يكفى عن الذكور والانات بالفظ الذكور وقال مقاتل خلق الله كل شئ الحيوان والجماد ثم عرض تلك الشخص على الملائكة والكناية راجعة الى الشخص فقل ذلك قال عرضهم على الملائكة (فقال) لهم سبحانه وتعالى تكتبونها لهم وتنبئها على عجزهم عن أمر الخلافة (أبشرون) أى أخبروني (بأسماء هؤلاء) المسميات (ان انتم صادقين) انى لا أخلق خلقا الا كنتم أفضل وأعلم منه وذلك ان الملائكة قالوا لما قال انى جاء عمل فى الارض خليفة ليخلق ربنا

ما يشاء فلن يحق خلقاً كرم عليه مناوان كان فحين أعلم منه لانا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره فاطهر
 الله تعالى فضله عليهم بالعلم وجواب الشرط دل عليه ما قبله (قالوا) أي الملائكة اقراراً بالعجز
 واشعاراً بأن ذوالهم كان استفساراً ولم يكن اعتراضاً وأنه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل
 الانسان والحكمة في خلقه واظهار الشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما التبس عليهم
 (سبحانك) تنزيهاً عن الاعتراض عليك (لا علم لنا الا ما علمنا) اياه وفي هذا مراعاة للادب بتقوي بعض
 العلم كله اليه سبحانه وتعالى وتصدير الكلام بسبحان اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة
 الحال فانه تعالى منزّه عن أن يفعل ما يخرج عن الحكمة ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال
 موسى عليه الصلاة والسلام سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه الصلاة والسلام سبحانك اني
 كنت من الظالمين * (تنبيه) * اجتمع في قوله تعالى أنبتوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين أربع
 مدات الاولى أنبتوني والثانية بأسماء والثالثة والرابعة هؤلاء ان قالوا قل تبديل والثاني مد
 متصل والثالث مدم منفصل والرابع مخبر لا متصل قطعاً ولا منفصل قطعاً عند من يقول باسقاط
 احدي الهمزتين فاما الاول فلورث فيه المد والتوسط والقصر وأما الثاني فبالمد للجميع لانه
 متصل وأما الثالث ففيه المد والقصر كما تقدم لانه منفصل وأما الرابع وهو اولاء ان
 ففيه همزتان مكسورتان من كلمتين فقالون واليزي يسملان الاولى مع المد والقصر وورث
 وقيل يسملان الثانية ويجعلانها حرف مد وأبو عمرو يسهق الاولى والثانية فن قال باسقاط
 الاولى مد وقصر ومن قال باسقاط الثانية فبالمد فقط وباقي القراء بحقة قون الهمزتين وهم على
 مراتبهم في المد (انك أنت العليم) الذي لا يخفى عليه خافية (الحكيم) المحكم لمبدعاته الذي
 لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وأنت ضمير فصل وقيل تأكيد للكاف كما في قولك مررت بك أنت
 وان لم يجز مررت بانك اذا التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع وقيل مبتدأ أخبره ما بعده
 والجملة خبران (قال) تعالى (يا آدم أنبئهم) أي أخبر الملائكة (بأسمائهم) أي المسميات فسمى
 آدم كل شئ باسمه وذكر الحكمة التي لاجلها خلق (فلما أنبأهم بأسمائهم قال) الله تعالى لهم موثقاً
 (ألم اقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض) أي ما غاب فيها (وأعلم ما تبدون) أي تظهرون
 من قولكم أفجعل في الخ (وما كنتم تكتمون) أي تسرون من قولكم ان يخلق كرم عليه مفا
 ولا أعلم وقيل ما أظهر وامن الطاعة وأسر ابليس من المعصية والهمزة في ألم أقل للانكار
 بمعنى النفي دخلت على حرف الجحد فأقادت الاثبات والتقدير (تنبيه) * هذه الآيات وهي آية
 وعلم آدم وآية سبحانه وآية قال يا آدم تدل على شرف الانسان وحرية العلم وفضله على
 العباد والالاظهار فضل آدم بهما وان العلم بما يستخلف فيه شرط في الخلافة بل العمدية فيها
 وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه به يحترف به
 وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص أو عموم وتعليمها ظاهر في القاها
 على المتعلم مبيناً لمعانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينبغي أن يكون ذلك الوضع من
 مكان قبل آدم من الملائكة والجن فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم

قوله لتغابر المتعاطفين ليس هنا متعاطفان وإنما بذم كراهة البضار في أمه

العلم لتغابر المتعاطفين والالتكرار قوله أنك أنت العليم الحكيم وأن علوم الملائكة وكما لا تتم
تقبل الزيادة وأن آدم أفضل من هؤلاء الملائكة لأنه أعلم منهم والاعلم أفضل لقوله تعالى قل هل
يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وأن الأنبياء أفضل من الملائكة وأن كانوا رسلا كما ذهب
إليه أهل السنة وأنه تعالى يعلم الأشياء قبل حدوثها لأنه أخبر عن علمه تعالى بأسماء المسجيات
جميعها ولم تكن وجوده قبل الأخبار (و) اذكر (اذ قلنا الملائكة اسجدوا لآدم) لما أنبأهم
بالأسماء وعلمهم ما لم يعلموا أمرهم بالسجود له اعترافا بفضله وأداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه
أو أمرهم به قبل أن يسرى خلقه لقوله تعالى فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له
ساجدين امتحاناً لهم واطهاراً لفضله وقضية الأول تأخيراً لا مريبه عن تسوية خلقه بدليل
تأخيرهم عن أنبأهم وتعليمهم المستلزمين لتسوية خلقه وعلى الثاني اقتصر بعض المفسرين
وهو الظاهر وأجيب عن دليل الأول بأن الواو في قوله واذ قلنا لا تقتضي الترتيب والسجود في
الاصل تذلل مع طمان وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمورية أما المعنى الشرعي
فالمسجود له في الحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبله تسجودهم تغنيماً للشأنه أو سبباً للوجوب
كما جعلت الكعبة قبله للصلاة والصلاة لله فمعنى اسجدوا له أي إليه وكأنه تعالى لما خلقه بحيث
يكون اغوذاً أي مثلاً للمبدعات كلها بل الموجودات بأسرها ومجماً لما في العالم الروحاني
والجسماني وذريعة للملائكة إلى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة إلى ظهور مراتبها
فيه من المراتب والدرجات أمرهم بالسجود تذلاً للمارء وأقبحه من عظم قدرته وباهر آياته
وشكر الملائم عليهم بواسطته وأما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحمية وتغليظاً له
كسجود أخوة يوسف له في قوله تعالى ونحو الله سجدوا لم يكن فيه وضع الجبهة بالأرض إنما
كان الانحناء فلما جاء الإسلام بطل ذلك بالسلام والكلام في أن المأمورين بالسجود والملائكة
كلهم أو طائفة منهم مثل مامتر (فسجدوا) أي الملائكة (الابليس أجب واستكبر) أي امتنع
عما أمر به استكباراً من أن يتخذ ذم وصلة في عبادة ربه أو يعظمه أو يتلقاه بالتحية أو يخدمه
ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه وقال أنا خير منه والاباء امتناع واختيار والتكبر أن يرى
الرجل نفسه أكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وهو التزين بأكبر مما عنده يتكبر
بذلك ويتزين بالمباطل (وكان من الكافرين) أي في علم الله أو صار منهم باستقبحه أمر الله
تعالى أيام السجود لآدم اعتقاداً بأنه أفضل منه والأفضل لا يحسن أن يؤمر بالتضع
للمفضول والتوسل به كما أشعر به قوله تعالى أنا خير منه جواباً لقوله تعالى ما منعك أن تسجد
لما خلقت يدي أستكبرت أم كنت من العالين لا يقول الواجب وهو السجود وحده والاشية
تدل على أن آدم أفضل من الملائكة المأمورين بالسجود له وأن ابليس كان من الملائكة
والالم يتناوله أمرهم ولم يصح استثناءهم منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى الابليس كان من الجن
لجواز أن يقال كان من الجن فعلاً ومن الملائكة نوعاً (فان قيل) له ذرية والملائكة لا ذرية لهم
(أجيب) بأن ابن عباس روى أن من الملائكة نوعاً يتوالتون يقال لهم الجن ومنهم ابليس

وقيل ان الله تعالى لما أخرجه من الملائكة جعل له ذرية وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين وهم الانبياء والغالب في الانس عدم العصمة ولن زعم انه لم يكن من الملائكة أن يقول انه كان جنيا نشأ بين أظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه لقوله تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه وهو أصل الجن كما ان آدم أصل الانس ولانه خلق من التراب والملائكة خلقوا من النور قال البغوي والاقول أصح لان خطاب السجود كان مع الملائكة وقوله تعالى كان من الجن أي من الملائكة الذين هم خزنة الجنة وقال سعيد بن جبيرة من الذين يعملون في الجنة وقال قوم من الملائكة الذين كانوا يصوغون حلل الجنة وقيل ان الجن أيضا كانوا مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فاذا علم ان الاكابر وهم الملائكة مأمورون بالتدال لاحد والتوسل به علم أيضا ان الاصاغر وهم الجن مأمورون به أيضا والضمير في فسجدوا راجع للقبليين فكأنه قال فسجد المأمورون بالسجود الا ابليس (تنبيه) من فوائد الآية استقباح الاستكبار وانه يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الاتقار لامره وترك الخوض فيما لا ينبغي في سر نفسه وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذا العبرة بالخواتيم وان كان يحكم الوقت الحاضر مؤمنا (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) أي اتخذ الجنة مسكنا تستقر فيها لانهم اساتقروا رولبت ولقطة أنت ناكيدا كدبه المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهم ما أتوا بأن يقول اسكن كما تنبيه على انه المقصود بالحكم وهو الامر بالسكنى التي هي الاصل بالنسبة الى ما عطف عليها من الاكل وغيره والمعطوف عليه تبع له حتى في الوجود اذ لم يكن له من يؤنس في الجنة فخلقت حواء بالذم من ضلعه الا قصر من جانبه الايسر وهو نائم فلما استيقظ من نومه رآها جالسة عنده رأسه كأنه حسن ما خلق الله فقال من أنت قالت زوجتك خلقني الله لك أسكن اليك وتسكن الي وسميت حواء لانها خلقت من حتى خلقها الله من غير أن يحس بها آدم ولا وجد خلقها الماء ولو وجد الماء لماعطف رجل على امرأة قط وانما صح العطف على المستكن مع أن المعطوف لا يباشر فعل الامر لانه وقع تابعاً وبغية في التابع ما لا يقتضي المتبوع والجنة دار الثواب لان الامم للعهد ولا معه ودغيرها ومن زعم أنهم لم يخلق بعد قال ان الجنة بستان كان بأرض فلسطين أو بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم وحمل الالهياط على الانتقال منه الى أرض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصر (وكلا منها) أكلا (رغدا) أي واسعا الذي لا يجرفه فرغا صفة مصدر محذوف وقيل مصدر في موضع الحال (حيث) أي أي مكان من الجنة (شنتما) وسع الامر عليهما ما ازالة للعلة والعذر في تناول من الشجرة المنهى عنهما من بين أشجارها التي لا تنقص وقرأ أبو عمرو بادغام الهمزة في الشين بخلاف عنه وأبدل السومى الهمزة وقفوا وصلوا وحزة في الوقف فقط (ولا تقربا هذه الشجرة) بالاكل منها وهي شجرة الخنطة أو الكافور أو شجرة

قوله وترك الخوض
فيما لا ينبغي في سر نفسه
الذى في البياض
وترك الخوض في
سره وفي زاده عليه
قوله وترك الخوض
بمرور بالعطف على
الاتقار أي ومن
فوائد الحث على
الاتقار لامره
تعالى مع ترك الخوض
في سر أمره بأن لا
يستكشف سره
ولا يطلب وجهه
وحكمته كاستئصال
الملائكة اه

العنب أو التين أو شجرة من أصل منها أحدث والاولى كما قال البيضاوى أن لاتعين من
غير دليل قاطع أو ظاهر كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود على التمين (فتكونا) أى
قتصيرا (من الظالمين) أى العاصين (تنبيه) في هذه الآية مبالغة في الاولى تعليق النهى
بالقرب الذى هو من مقدمات تناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبهها على
أن القرب من الشيء يورث داعية وميلأ يأخذ به جميع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل
والشرع كما روى أبوداود وحديث الشئ يعنى ويصم أى يخفى عليك ما يه ويصم أذنك عن
سماع ما يه فينبغى أن لا يحوم حول ما حرّم عليهم ما مخافة أن يقعافيه الثانية جعل قربانها
الى الشجرة سبيلا لا يكونا من الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصى (فأزلهما
الشیطان) أى ابليس سعى به لبعده عن الخير والرحمة وقرأ حزة بالق بعد الزاى وتحقيق اللام
أى نخاهما والباقون بغير ألف بعد الزاى وتشديد اللام أى أذهبهما (عنها) أى الجنة وأزاله
قوله هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نسا كما ربكنا من هذه الشجرة الا أن تكونا
ملاكين أو تكونا من الخالدين ومقامته اياهما بقوله انى لكما ان الناصحين واختلف فى أنه
تمثل لهما ما فقال لهما ذلك أو ألقاهما على طريق الوسوسة وكيف توصل الى ازالتهما بعد
ما قبل له اخرج منها فانك رجيم فقبل انه منع من الدخول بعد خروجه الا قول على جهة التكرمة
كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع أن يدخل لوسوسة ابتلاء لآدم وحواء فلما دخل وقف بين
يدى آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه ابليس فبكى وناح نياحة أحرزتها وهو أول من ناح فتسالاه
مايكبك فقال أبكى عليكما غوتان فتفارقان ما أتمافيه من النعمة وكان آدم لما رأى ما فى الجنة
من النعيم قال لو أن خلدا فاعتنم الشيطان ذلك منه فأناه الشيطان من قبل الخلد فوقع قوله
فى أنفسهم ما واعتموا مضى ابليس ثم أناه ما بعد ذلك وقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد فأبى
أن يقبل منه فقام بهما باقاه انه لهما من الناصحين فاعترا وما ظننا أن أحدا يحلف بالله كاذبا
فبادرت حواء الى أكل الشجرة ثم تناول حواء آدم حتى أكلها وكان سعد بن المسيب يحلف
بالله ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر حتى سكر فأذته اليه فأكل
وقبل قام عند الباب فناداهما وقبل عتلى بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقبل دخل فى قم
الحية حتى دخلت به وكانت صديقا لابليس وكانت من أحسن الدواب لهما أربع قوائم كقوائم
البعير وكانت من خزان الجنة فسألها ابليس أن تدخله الجنة فى فها فأدخلته ومرت به على الخزنة
وهم لا يعلمون فأدخلته الجنة وقبل أرسل بعض أتباعه فأزلهما والعلم فى ذلك كما قال البيضاوى
عند الله (فأخرجهم مما كانا فيه) من الكرامة والنعيم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
قال الله تعالى لا آدم أليس فيما أجتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يارب وعزتك ولكن
ما ظننت أن أحدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لا يبطئك الى الارض ثم لاتال العيش الا كذا
فاهبطا من الجنة وكانا يا كلان فيها رغدا فعلم من صنعة الحديد وأمر بالحرق فحرق وزرع
ثم سقى حتى اذا بلغ حصد ثم درسه ثم ذراه ثم طعنه ثم بعنه ثم خبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ منه

ما شاء الله قال ابراهيم بن ادهم اورثتنا تلك الاكلة حزننا طويلا وقال سعيد بن جبيرة عن
 ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان آدم لما أكل من الشجرة التي نهي عنها قال الله عز وجل
 يا آدم ما حملك على ما صنعت قال يا رب زينت لي حواء قال فاني أعقبتها أن لا تحمل الاكراها
 ولا تضع الا كرها ودميتها في الشهر مرتين فزنت حواء عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك
 قلما كلام منها سقطت عنهما ما ايهما وبدت سواتهما وأخرجهما من الجنة فذلك قوله تعالى (وقلنا
 اهبطوا) خطاب لآدم وحواء لقوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما أصل
 الانس فكأنهما الانس كلهم أو هما وابليس أخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة
 أو دخلها مسارقة أو من السماء لأن الباب على الخلاف المتقدم وقيل هما وابليس والحية
 فهبط آدم يسرنديب بأرض الهند على جبل يقال له نود وحواء بجدة وابليس بالابلة وقيل
 بيسان بالبصرة على أميال والحية باصبيان وقوله تعالى (بعضكم لبعض عدو) حال استغنى فيها
 عن الواو بالضمير والمعنى متعادين فان كان الخطاب لآدم وحواء فقط فالمراد ببعضكم بعض
 الذرية أي بعض ذريتكم لبعض عدو من ظلم بعضهم بعضا وان كان الخطاب لهما واولابليس
 والحية فالمراد العداوة بين المؤمنين من ذرية آدم والحية وبين ابليس قال الله عز وجل ان
 الشيطان لكاعد قمين وروى عكرمة عن ابن عباس أنه كان يأمر بقتل الحيات وقال من
 تركهن خشية أو مخافة تأثر فليس منا وزاد موسى بن مسلم عن عكرمة في الحديث ما سألناهم
 منذ ما ريناها من وروى أنه نهي عن ذوات البيوت وروى عن أبي سعيد الخدري عن النبي
 صلى الله عليه وسلم أن بالمدينة جنادا أسلوا فان رأيت منهم شيئا فاشذوه ثلاثة أيام فان بدلكم
 بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان (واحكم في الارض مستقر) أي موضع قرار (ومتاع)
 ما تتمعون به من نياتهم (الى حين) أي وقت انقضاء آجالكم (فتلقى آدم من ربه كلمات) أي
 استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وهي ربنا ظاننا أنفسنا ما الآية وقيل سبحانه
 اللهم وبجهدك وتبارك اسمك وتعالى جسدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر
 الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال آدم يارب ألم تخلفني بذلك قال بلى
 قال يارب ألم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال ألم تكن في جنتك قال بلى قال يارب ان تبت
 وأصلحت أو أجبني أنت الى الجنة قال نعم رواء الحاكم وصححه وقول آدم أو أجبني بتخفيف الباء
 اسم فاعل أضيف الى المفعول وأنت فاعل لاعتماده على الاستفهام أو مبتدا خبره ما قبله وقرأ
 ابن كثير بنصب الميم من آدم ورفع التاء من كلمات على أنها الملقنة والباقون برفع الميم وكسر
 التاء والكسر هذا علامة النصب لانه جمع مؤنث سالم فينصب بالكسرة (فتاب عليه) أي قبل
 توبته وانما ترتب تاب عليه بالفاء على تلقى الكلمات لتضمن تلقى الكلمات معنى التوبة وهو
 الاعتراف بالذنوب والتندم عليه والعزم على أن لا يعود اليه ورد المظالم ان كانت واكتفى بذكر
 آدم لان حواء كانت تبعاله في الحكم ولذلك طوى ذكر النساء في أكثر القرآن والسنن (انه هو
 التواب) الرجاء على عبادته بالمغفرة أو الذي يكثر اعادتهم على التوبة واذا وصف بها البارئ

أريد بها الرجوع من العقوبة الى المغفرة (الرحيم) البالغ في الرحمة وفي الجمع بين التوبة والرحمة وعدل للتائب بالاحسان مع العفو (قلنا اهبطوا منها) أي من الجنة (جميعا) كثر للتأكيّد ولا اختلاف المقصود فان الاول دل على هبوطهم الى دار بلية يتعبدون فيها ولا يخلدون والثاني أشعر بأنهم اهبطوا للتكليف فنهى هدى لهذا النجا ومن ضل هلك وقيل الهبوط الاول من الجنة الى السماء الدنيا والهبوط الثاني من السماء الدنيا الى الارض (فأما) فيه ادغام ان الشرطية في ما الزيدة (يأتينهم) يا ذرية آدم (منى هدى) أي رشد وبيان شريعة وقيل كتاب ورسول (فمن تبع هداي) بأن آمن بي وعمل بطاعتي وكثر رافض الهدي ولم يضر اتمالا لظهار شأنه ونظامته خصوصا مع اضافته اليه أولانه أراد بالثاني أعم من الاول وهو ما أتى به الرسل واقتضاء العقل أي فمن تبع ما أتاه راعيا فيه ما يشهد به العقل (فلا خوف عليهم) فضلا من أن يحمل تبهم مكروه (ولا هم يحزنون) بفوات محبوب عنهم وهو النظر الى وجهه تعالى فيحزنوا عليه بل يتعممون بالنظر الى وجهه تعالى فانه المقصود الاعظم فالخوف على الواقع نفي عنهم العقاب فأثبت لهم الثواب على أكذوبه وأبلغه وقيل لا خوف عليهم في الدنيا ولا هم يحزنون في الآخرة وأمال الدوري عن الكسائي ألف هداي محضة وورث بالفتح وبين اللفظين والباقيون بالفتح وانما جى بحرف الشك وإتيان الهدي واقع كائن لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا (والذين كفروا) أي جحدوا (وكذبوا بآياتنا) أي كتبنا (أولئك أصحاب النار) يوم القيامة (هم فيها خالدون) ما كانوا فيها أبدا لا يخرجون منها ولا يموتون فيها والآية في الاصل العلامة الطاهرة وتقال للمصنوعات من حيث انها تدل على الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل * (تنبيه) في هذه الآيات دلالة على أن الجنة مخلوقة وأنها في جهة عالية وأن التوبة مقبولة وأن متبوع الهدي مأمون العاقبة وأن عذاب النار دائم وأن الكافر فيه مخلد وأن غيره لا يخلد فيه بفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واستدل به بعض الخوارج كالخشوية وهم قوم جاوزوا الخطاب بما لا يفهم بها على عدم عصمة الانبياء بوجوه الاول ان آدم عليه السلام كان نبيا وارثا لآدم عليه السلام والارث كان له عاص والثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم مأمون لقوله تعالى ألعنة الله على الظالمين والثالث أنه أسند اليه العصيان والنهي وقال وعصى آدم ربه فغوى والرابع أنه تعالى لقننه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بأنه خاسر لولا مغفرة الله له بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخامس من يكون ذا عبيدة والسادس أنه لو لم يذنب ما جرى عليه ما جرى (وأجيب) عن ذلك بوجوه الاول أنه لم يكن نبيا حينئذ والمتدعي مطالب بالدليل ولادليل * الثاني أن النهي للتنبيه وانما هي ظالمات خاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى وانما أبرى الله تعالى عليه ما جرى معاتبة على ترك الاول ووفاء بما قاله تعالى للملائكة قبل خلق آدم اني جاعل في الارض خليفة ولا يكون خليفة في الارض الا بالاهباط اليها وأمر بالتوبة تلا في المآفاته الثالث أنه فعله فاسيا لقوله تعالى فمنسى

ولم نجد له عزماً وإسكان عوتب بترك التعطف عن أسباب النسيان اذ رفع الائم بالنسيان من
خصائص هذه الامة كما ثبت في الاخبار الصحيحة كخبر الشيخين رفع عن أمتي الخطأ والنسيان
وروى الترمذي وصححه أنه قال الناس بلائ الانبياء ثم الامثل فالامثل رواه الحاكم بلفظ أشد
الناس بلائ الانبياء ثم العلماء ثم الصالحون * الرابع أنه عليه الصلاة والسلام أقدم عليه بسبب
اجتهاد أخطأ فيه فإنه ظن أن النهي للتنزيه أو الإشارة إلى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من
نوعها وكان المراد بالإشارة الإشارة إلى النوع لا إلى شجرة معينة كما روى أبو داود وغيره أنه عليه
الصلاة والسلام أخذ حريراً وذهب بيده وقال هذان حرام علي ذكرهما متى حل لاناها (فان قيل)
المجتهدان أخطأ لا يؤخذ (أجيب) بأنه انما عوتب على ذلك تعظيماً للشأن الخطيئة ليجتنبها
أولاده وقرأ ورش بامالة الف التار بين بين وقرأ أبو عمرو والدوري عن الكسائي بالامالة
المحضمة والباقون بالفتح (يا بني اسرائيل) أي أولاد يعقوب واسرائيل لقبه ومعنى اسرا
بالعبرانية عبد وايل الله فعنه عبد الله وقيل صفوة الله صلى الله وسلم عليه (اذكروا نعمتي التي
أنعمت عليكم) أي بالتهـ كثر فيها والقيام بشكرها والذكر يكون بالقلب ويكون باللسان
وتقييد النعمة بهم لان الانسان غير حود بالطبع فاذا نظر الى ما أنعم الله على غيره حله الغيرة
والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما أنعم به عليه حله حب النعمة على الرضا
والشكر لله وقيل أراد بها ما أنعم على آباءهم من فلق البحر وانجائهم من فرعون باغراقه
وتظليل الغمام عليهم في التيه وانزال المن والسلوى وغير ذلك من النعم التي لا تحصى قال
الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها (وأوفوا بعهدي) أي بامتثال أمرى ومنه
ما عهدت إليكم من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (أوف بعهديكم) أي الذي عهدته
إليكم من الثواب عليه بدخول الجنة * (تنبيه) * للوفاء بالعهود درجات كثيرة فأقول مراتبه
مناهو الاتيان بكاملتي الشهادتين ومن الله تعالى حقن الدماء والمال وآخرها من الاستغراق
في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلاً عن غيره ومن الله تعالى الفوز بالغنى الدائم وأما
ما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من أن أوفوا بعهدي في اتباع محمد أوف بعهديكم
في رفع الأصار أي الاثقال والاعلال وعن غير ابن عباس أوفوا بأداء الفرائض وترك الكبائر
أوف بالمغفرة والثواب أوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم أوف بالكرامة والتعظيم
المقيم فبالنظر الى الوسائط (وأياً فارهبون) فيما تاتون وتذرون وخصوصاً في نقض العهد
والرهبة خوف مع تهرز * (تنبيه) * الآية متضمنة للوعد والوعيد دلالة على وجوب الشكر
والوفاء بالعهود وأن المؤمن ينبغي ان لا يخاف أحدا الا الله (وآمنوا بما أنزلت) من القرآن
وقوله تعالى (مصدقاً) حال مؤكدة مما أنزلت أو من ضميره المحذوف (لما معكم) من التوراة
بعوافته له ولغيره من الكتب الالهية في القصص ونعت النبي صلى الله عليه وسلم والمواعد
والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والقوا حس وفيما
يخالقها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحد منها

حق بالاضافة الى زمانها امر اعي فيها صلاح من خوطب بهما حق لوزل المتقدم في أيام المتأخر
لنزل على وفقه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام كما رواه الامام أحمد وغيره لو كان موسى
حيالما وسعه الاتباع وفي ذلك تنبيه على أن اتباع تلك الكتب الالهية لا ينافي الايمان
بالقرآن بل يوجب به ولذلك عرض بقوله (ولا تكونوا أول كافرين) أي بالقرآن بل يجب
أن تكونوا أول مؤمنين به لانكم أهل نظري معجزاته والعلم بشأنه (فان قيل) كيف نعوذ عن
التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركو العرب (أجيب) بأن المراد به التعريض بما يجب عليهم
لمقتضى حالهم لا الدلالة على ما نطق الظاهر كقولك لمن أساء اما أنا فلسست بجاهل أو ولا تكونوا
أول كافرين أهل الكتاب لان خلفكم تبع لكم فاعلموا عليكم أو عن كفر بعامه فان من كفر
بالقرآن فقد كفر بما يصدقه أو مثل من كفر من مشركي مكة (تنبيه) أول كافرين وقع خبرا
عن ضمير الجمع بتقدير أول فريق أو قوج أو بتأويل لا يمكن كل واحد منكم أول كافرين كقولك
كسانا حلة أي كل واحد منا (ولا تشركوا) تستبدلوا (بأياي) التي في كتابكم من نعت محمد صلى
الله عليه وسلم (غنا قليلا) أي عوضا بسبب من الدنيا أي لا تسكنوها خوف فوات ما تأخذونه
من سفلكم وذلك ان رؤساء اليهود وعلماءهم كانت لهم ما كل يصيبونهم من سفلكم وجهالهم
ياخذون منهم كل سنة شيئا معلوما من زروعهم وضروعهم ونقودهم يخافوا أنهم ان ينفوا صفة
النبي صلى الله عليه وسلم وتابعوه أن يفوتهم تلك المالك فغبروا نعتهم وكتبوا اسمه فاختروا
الدنيا على الآخرة فمروا عن ذلك فان حظوظ الدنيا وان جلت قليلة مستترذلة بالاضافة الى
ما يفوت من حظوظ الآخرة (واباى فاتقون) خافون في ذلك دون غيري (ولا تلبسوا)
أي تخطوا (الحق) الذي أنزلت عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم (بالباطل) الذي
تحتجرونه وتكتبونه بأيديكم من تغيير صفته (ولا تسكنوا الحق) أي لا تسكنوا نعت النبي
صلى الله عليه وسلم (وأنتم تعلمون) انكم لا بسون الحق بالباطل كما تكون فانه أقبح اذ الجاهل يعذر
(واقموا الصلاة) أي الصلوات الخمس عواقيتها وحدودها (واتوا الزكاة) أي أدوا زكاة
أموالكم المفروضة أمرهم بفروع الاسلام بعدما أمرهم بأصوله وفيه دليل على ان التكفاد
مخاطبون بها والزكاة مأخوذة من زكا الزرع اذا نما وكثر أو من الزكاة بمعنى الطهارة
وكلا المعنيين موجود في الزكاة فان اخراجها بسبب بركتها في المال ويثمر للنفس فضيلة
الكرم ويظهر المال من الخبث والنفس من البخل (واركعوا مع الراكعين) أي صلوا مع
المصلين محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه في جماعتهم فان صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد
بسبع وعشرين لما فيها من تظاهر أي تعاون النفوس وعبر عن الصلاة بالركوع احترازا عن
صلاة اليهود لان صلاتهم لم يكن فيها ركوع أي صلوا مع الذين في صلاتهم ركوع وقيل
الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الشاعر
لا تذلل الضعيف (وروي لانهن الفقير) ذلك (أي لك) ان ترك ركع يوما والذكر قد رفعه
قد ركع من الركوع بمعنى الانحناء والميل واراد به الانحطاط من الرتبة ونزل في علماء اليهود

وكانوا يقولون لا قربائهم المسلمين سرا ابتوا على دين محمد صلى الله عليه وسلم فانه حق ولا يتبعونه
 (أتأمرون الناس بالبر) أي بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم في ذلك تفرغ مع توبيع وتجب
 والبر شرعا التوسع في الخير من البر بالفتح وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر
 ثلاثة بر في عبادة الله وبر في معاملة الأقارب وبر في معاملة الأجانب (وتنسون أنفسكم) أي
 تنتركونهم من البر كالنسيات وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون (وأنتم تتلون الكتاب)
 أي التوراة وفيها الوحيد على العناد وترك البر ومخالفة القول بالعمل (أفلا تعقلون) سورة فاعلمكم
 ليصدقكم عنه أو فلا عقل لكم يمنعكم مما تعملون من عدم موافقة عاقبته لكم والآية ناعية
 على من يعط غيره ولا يعط بنفسه بسوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع
 أو لاحق الخالي عن العقل فان الجامع بين العلم والعقل يأبى عن صكونه واعطاء غيره منه
 نفسه والمراد به باحث الواعظ على تركيبة النفس والاقبال عليها بالتكميل لها ليقوم نفسه
 ثم يقوم غيره لا يمنع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال بأحد الأمرين المأمور بهما لا يوجب
 الاخلال بالاخر ولكن روى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال رأيت ليلة أسرى بي رجلا تقرض شفاهم بقرض من نار فقلت من هؤلاء
 يا جبريل قال هؤلاء الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون
 الكتاب وعن اسامة رضى الله تعالى عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه أي فتندلق أمعاؤه في النار فيدور كما
 يدور الجاهل برحاه فيقع أهل النار عليه فيقولون أي فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف
 ونهانا عن المنكر قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتية وانهاكم عن المنكر وآتية وقال شعبة
 عن الاعمش فيطعن فيها كطعن الجاهل برحاه (واستعينوا) أي اطلبوا المعونة على أموركم (بالصبر)
 أي الحبس للنفس على ما تكره (والصلاة) أفرد بها بالذكر تعظيما لشأنها فانها جامعة لأصناف
 العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى
 الكعبة والعكوف للعبادة واطهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة
 الشيطان ومناجاة الرحمن وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن
 الاطمين وهما الاكل والجماع روى الامام أحمد وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
 اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة أي لجأ اليها وحزبه بالحاء المهملة وزاى وباء موحدة أهمه ونزل
 به وقيل الخطاب لليهود فهو متصل بما قبله كأنهم لما أمروا بما شق عليهم لما فيه من الكفاة
 وترك الرياسة والاعراض عن المال أمر بالصبر وهو الصوم ومنه سمى شهر رمضان شهر
 الصبر لانه يكسر الشهوة ويرشد في الدنيا والصلاة لانها تورث الخشوع وتنتي الكبر وترغب
 في الآخرة وقيل الواو بمعنى على أي واستعينوا بالصبر على الصلاة كما قال تعالى وأمر أهلكم
 بالصلاة واصطبر عليها ويحفل أن يراد بالصلاة الدعاء (وانها) أي الصلاة والكفاة اليها
 لان الصبر داخل فيها الاستجماعها ضروريا من الصبر كما قال تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه

ولم يقبل رضى وهما لان رضى الرسول داخل في رضى الله عز وجل اولانهم كما في قوله تعالى والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله رداً للكفاية الى الفضة لانها أهم وقيل رداً للكفاية الى كل منهما وان كل خصلة منهما كما قال تعالى كلنا الحسنين آتت أكلها أى كل واحدة منهما وقيل معناه واستعينوا بالصبر والكبير والصلاة وانهم بالكبيرة غذف أحدهما اختصاراً وقال الحسين بن الفضل رداً للكفاية الى الاستعانة (الكبيرة) أى ثقيلة تشاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه (الاهل الطاشعين) أى الساكنين الى الطاعة والخشوع السكون قال تعالى وخشعت الاصوات للرحمن والخشوع اللين والانتقاد ولذا يقال الخشوع بالجوارح والخشوع بالقلب (الذين يظنون) أى يستيقنون واطاق الفطن على العلم لتضعه معنى التوقع (أنهم ملائكة واربعهم) بالبعث (وأَنهم اليه راجعون) فى الآخرة فيجازيهم بأعمالهم وانما لم تنقل عليهم ثقلها على غيرهم لان نفوسهم مرتاضة بامثالها ممتوقة في مقابلتها ما يستحقه لاجل مشاقها وتستلذ بسببه متاعها ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام وبجملت قرّة عيني في الصلاة (يا بني اسرائيل اذ كروا فمضى الى أنعمت عليكم) بالشكر كر عليه باطاعى كره للتوكيد وتذكير التفضل الذى هو أجل النعم خصوصاً وربطه بالوعد الشديدي تخويفاً لمن غفل عنها وأخل بحقوقها وعطف على نعمتي (وأنى فضلتكم) أى آياكم الذين كانوا في عصر موسى صلى الله عليه وسلم وبعده قبل أن يغيروا (على العالمين) أى على زمانهم بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل وجعلهم أنبياء وملوكاً مقسطين وذلك التفضيل وان كان في حق الآباء ولكن يحصل به الشرف في الأبناء واستدل بذلك على ان الاصلح لا يجب على الله لان تفضيلهم لو وجب عليه لم يجز جعله منة عليهم لان من أنى بما وجب عليه لا منة له به على أحد (واتقوا) خافوا (يوماً) أى ما فيه من الحساب والعقاب وهو يوم القيامة (لا تجزى) أى لا تقضى (نفس عن نفس) فيه (شيأ) أى حقالزمها (تنبيه) قول البيضاوى وارىه أى شيئاً مفكراً مع تنكير التفسيرين للتعميم والاقناط الكلى تبع فيه صاحب الكشف وهو جار على مذهب المعتزلة من أنهم ينكرون الشفاعة للعصاة وسيأتى الجواب عن مذهبهم (ولا تقبل) بالتاء على التانيث كما قرأه ابن كثير وأبو عمرو بالياء على التذكير كما قرأه الباقر (منها شفاعة) أى من النفس الثانية لقوله تعالى (ولا يؤخذ منها عدل) أى فداء (ولا هم ينصرون) أى يمتنعون من عذاب الله اذ الضمير في الجملتين للنفوس العاصية ويصح رجوعه للنفس الاولى لانها المحدث عنها في قوله تعالى لا تجزى نفس عن نفس والثانية مذكورة على سبيل الفضلة لا العمدية وتذكر ضمير ولا هم ينصرون مع أن الضمير راجع للنفوس وكان المناسب هنا بالتانيث لانه بمعنى العباد أو الاناس كما تقول ثلاثة انفس بالتاء مع تانيث النفس لتأويل النفوس بالانفصاف أو الرجال والنصرة أخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضرر وقد عسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر وأجاب أهل السنة عن ذلك باجوبة منها ان الآية مخصوصة بالكفار والآيات والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيد هذا أن الخطاب معهم وعلى هذا يمتنى قول البيضاوى المات

ويكون المراد حينئذ أنه ليس لها شفاعة فتقبل كما قال تعالى حاكما عنهم فالتامن شافعين * ومنها
 أن الآية نزلت وقد الما كانت اليه وتدزعم أن آباءهم تشفع لهم * ومنها أنها لا تشفع إلا بأذن الله
 (و) اذكروا (اذنحيثاكم) أي آباءكم الخطاب به وبما بعدهم للوجوب ودين في زمن نبينا صلى الله
 عليه وسلم بما أنتم على آباءهم تذكروا لهم بنعمة الله ليؤمنوا (من آل فرعون) أي أتباعه وأهل
 دينه والمشهور أن أصل آل أهل لان تصغيره أهيل وقال الكسائي وغيره أصله أول من آل يؤل
 أي رجع قلبت الواو والفالتصركها وانفتاح ما قبلها وتصغيره أويل (فان قيل) برذا القول
 اختلاف أهل وآل معنى إذا لاهل القرابة والآل من يؤل اليك بقرابة أو رأي أو مذهب
 ولان الالف لم يثبت أبدا لها من الهاء (أجيب) بأن القائل بالاول جرى على القول بأن اللفظتين
 بمعنى أو أراد بالاهل أحد معاني آل وأبدل الواو من الهاء لتعارفهما ما يخرجوا وخص بالاضافة
 الى أولى القدر والشرف كالانبياء والملوك وانما قيل آل فرعون لتصوره بشورة الاشرف
 أول شرفه في قومه عندهم وفرعون هو الوليد بن مصعب بن ريان وكان من القبط من العماقة
 وعمراً أكثر من أربعة مائة سنة (يسومونكم) يولونكم ويذيقونكم (سوء العذاب) أي أشده
 والجملة حال من الضمير في نحيبناكم أو من آل فرعون أو منهم ما جيعا لان فيها ضمير كل واحد منهم
 (يذبحون أبناءكم) المولودين (ويستحيون نساءكم) أي يتركونهن أحياء هذا بيان ليسومونكم
 ولذلك لم يعطف وذلك أن فرعون لعنه الله رأى في منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس
وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبلى بها ولم تتعرض لبنى اسرائيل فها له ذلك وسأل الكهنة عن
 رؤياه فقالوا يولد في بني اسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك فأمر فرعون
 بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل وجمع القوابل فقال لهم لا يسقطن على أيديكم كأن غلام
من بني اسرائيل الا قتل ولا جارية الا تركت وكل بالقوابل فكأن يفعان ذلك حتى قيل انه قتل
في طلب موسى اثني عشر ألف صبى وقال وهب بلغني أنه ذبح في طلب موسى تسعين ألفا قالوا
 وأسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون وقالوا ان الموت قد وقع
 في بني اسرائيل فتذبح صفارهم ويموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون
 أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هرون في السنة التي لا يذبحون فيها وولد موسى في السنة التي
 يذبحون فيها (وفي ذلكم بلاء) ان أشد حربه الى منيعهم فهو محنة أو الى الانجاء فهو نعمة فان
 البلاء يكون بمعنى الشدة وبمعنى النعمة ويجوز أن يشار بذلك الى الامرين فان الله تعالى قد يختبر
 على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر قال تعالى ونبلوكم أي نختبركم بالشر والخير فتنه (من
 ربكم) أي بتسلطهم عليكم أو ببعثه موسى وتوقيفه لتخليصكم أو بهما وقوله تعالى (عظيم
 صفة بلاء وفي الآية تنبيه على أن ما يصيب العبد من خير أو شر اختبار من الله تعالى فعليه
 أن يشكر عند مسارته ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين (و) اذكروا (اذفرقتنا) فلقنا
 (بكم) أي بسبيكم (البحر) حتى دخلتموه هارين من عدوكم وذلك أن فرعون لما دنا هلاكه
 أمر الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام أن يسرى بني اسرائيل من مصر ليلا فأمر موسى

قومه أن يسرجوا في يوتهم السرج إلى الصبح وخرج موسى في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لاية تدون ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب عليه الصلاة والسلام اثنين وسبعين انسانا ما بين رجل وامرأة فساروا وموسى على ساقهم وهرون على مقدمتهم ثم علم بهم فرعون فجمع قومه وأمرهم أن لا يخرجوا في طلب بني اسرائيل حتى يصبح الديك قال ابن مسعود رضي الله عنه فوالله ما صاح ديك في تلك الليلة ثم خرج فرعون في طلبهم وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبع مائة ألف وكان فيهم سبعون ألفا من دهم الخليل سوى سائر النشبات قال محمد بن كعب وكان في عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم سوى سائر النشبات وكان فرعون في الدهم وقيل كان فرعون في سبعة آلاف ألف وكان بين يديه مائة ألف ناشب ومائة ألف أصحاب حراب ومائة ألف أصحاب الأعمدة فسارت بنو اسرائيل حتى وصلوا إلى البحر والماء في غاية الزيادة وتظفروا فاذا هم بفرعون حين أشرق الشمس فبقوا متحيرين وقالوا يا موسى كيف تصنع وأين ما وعدتنا هذا فرعون خافنا أن أدركنا قتلنا والبحر امامنا أن دخلنا غرقنا قال الله تعالى فلما رأى الجمعان قال أصحاب موسى اننا لمدركون قال موسى كلا ان معي ربي سيهدين فأوحى الله تعالى اليه أن اضرب بعصاك البحر فضر به فلم يطعه فأوحى الله تعالى اليه أن كنه فضر به وقال انطلق يا أبا خالد يا ذن الله فانهلق فكان ل فرق كالطود العظيم فظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وارتفع الماء بين كل طريقين كالجليل وأرسل الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يسا خفاضت بنو اسرائيل البحر كل سبط في طريق وعن جانبيهم الماء كالجليل الضخم ولا يرى بعضهم بعضا خفاوا وقال كل سبط قد قتل اخوانا فأوحى الله تعالى إلى جبال الماء أن تشبكي فصارت شبكا كالطافات يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى (فأنجيناكم) أي من آل فرعون (وأغرقنا آل فرعون) وذلك أن فرعون لما وصل البحر فرأه منفلقا قال لقومه انظروا إلى البحر انقلق من هيبتي حتى أدرك عبيدي الذين أبغوا ادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه وقيل قالوا له ان كنت ربا فادخل البحر كما دخل يعني موسى وكان فرعون على حصان أدهم ولم يكن في خيل فرعون فرس أنى فجاء جبريل على فرس أتى فقتلهم وخاض البحر فلما شم أدهم فرعون ريحها اقتحم البحر في أثرها وهم لا يرونه ولا يملك فرعون من أمره شيئا وهو لا يرى فرس جبريل واقتمت الخيول خلفه في البحر وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحثهم ويسوقهم حتى لا يشذ رجل منهم ويقول لهم الحقوا بأصحابكم حتى خاضوا كلهم البحر وخرج جبريل من البحر وهم أقولهم بالخروج فأمر الله البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم وغرقهم أجمعين وكان بين طرفي البحر أربعة فراسخ وهو بحر قلزم طرف من بحر فارس قال قتادة بحر من وراء مصر يقال له اسان وذلك بحر أي من بني اسرائيل فذلك قوله تعالى (وأنتم تنظرون) إلى مصارعهم أو أطباق البحر عليهم أو انفلاق البحر عن طرق يابسة مذلة أو جثثهم التي قذفها البحر إلى الساحل أو ينظر بعضهم بعضا واعلم أن هذه الواقعة من أعظم ما أنعم الله به على بني اسرائيل ومن

الآيات الملقنة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصدق موسى الكليم ثم انهم اتخذوا العجل
 وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فهم يعزل من القطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن
 الاتباع عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان ما نواتر من معجزاته أمور نظرية مثل القرآن
 والتحدث به والفضائل المجمع عليها الشاهدة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم دقيقة يدركها
 الاذكياء (واذ وعدنا موسى) بغير ألف بين الواو والعين كما قرأ به أبو عمرو والباقون بألف بين
 الواو والعين لانه تعالى وعده موسى الوحي ووعد موسى ربه المجي للميعقات الى الطور وقيل
 هذا من المقابلة التي تكون من الواحد كما قبلت اللص وطاوقت النعل وأمال حمزة ألف موسى
 محضة وأبو عمرو بين بين وورش بالفتح وبين اللفظين (أربعين ليلة) أن يعطيه عند انقضاءها
 التوراة ليتعلموا به واضرب له ميعاتنا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر
 الشهور وقيل لان الظلمة أقدم من الضوء وخلق الله تعالى الليل قبل النهار قال الله تعالى وآية
 لهم الليل نسلخ منه النهار وقل البيضاءوى ان ذلك الوعد لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون
 تبع في ذلك الكشف ولم يعرف ذلك لغيرهما وانما كانوا بالشأم لان اتيان موسى للميعقات كان
 بطور سيناء وهو بالشأم لا بعصر وقد قال البهاء بن عقيل في تفسيره لم يصريح أحد من المفسرين
 والمؤرخين بأنهم دخلوا مصر بعد خروجهم منها (فان قيل) قوله تعالى فأخرجناهم من جنات
 الى قوله تعالى وأورثناها بني اسرائيل يقتضى أنهم عادوا اليها (أجيب) أن المعنى أن الله تعالى
 أورثهم وملكهم اياها ولم يردهم اليها وجعل مساكنهم الشأم (ثم اتخذتم) قرأ ابن كثير
 وحفص عن عاصم اتخذتم باظهار الذا ل قبل التاء والباقون بادغام الذا ل في التاء (العجل)
 الذي صاغه لكم السامري الهازمعبودا (من بعده) أى بعد ذهابه الى ميعاتنا وذلك أن بني
 اسرائيل لما آمنوا من عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينقون اليها فوعد الله تعالى موسى
 أن ينزل عليهم التوراة فقال موسى لقومه اني ذاهب لميعات ربي آتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون
 وما تذكرون واسئلف أخاه هرون فلما أتاه الوعد جاءه جبريل على فرس يقال له فرس الحياة
 لا يصيب شيئا الا حي ليذهب بموسى الى ميعات ربه فلما رآه السامري وكان رجلا صافيا من
 قبيلة يقال لها سامرة ورأى موضع قدم الفرس يحضر من ذلك وكان منافقا يظهر الاسلام وكان
 من قوم يعبدون البقر التي في روعه انه اذا ألقى في شيء غيره وكانت بنو اسرائيل قد استعاروا
 حلياً كثيراً من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر لعمل عرس لهم فأهلك الله تعالى
 فرعون وقومه فبقيت تلك الحلي في أيدي بني اسرائيل قال السدي فأمرهم هرون أن يلقوها
 في حفرة حتى يرجع موسى ففعلوا فلما اجتمعت الحلي صاغها السامري بهلامن ذهب في ثلاثة أيام
 مرصعا بالجواهر كالحسن ما يكون ثم ألقى فيه القبضة التي أخذها من تراب حافر فرس جبريل
 فصار يخور ويمشي فقال السامري هذا الهكم واله موسى فتسبى أى فتركه ههنا وخرج يطلبه
 وكانت بنو اسرائيل قد أخلصوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوماً ولم
 يرجع موسى وقدموا في القطنة وقيل كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة قال تعالى

وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأقمناها بعشر وسبأ في الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى في محله
 فكانت فتنتهم في تلك العشرة فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ورأوا العجل وسعوا قول
 السامري عكف منهم ثمانية آلاف رجل على العجل يعبدونه وقيل كلهم عبدوه الا هرون مع
 اثني عشر ألف رجل قال البغوي وهو الاصح وقال الحسن كلهم عبدوه الا هرون ولذلك قال
 تعالى (وانتم ظالمون) أي باتخاذهم لوضعكم العباداة في غير محلها (ثم عفونا) محونا (عنكم)
 ذنوبكم حين تبتم والعفوا محو الجرمية من عني اذا درس (من بعد ذلك) أي الاتخاذ (لعلكم
 تشكرون) أي لكي تشكروا ونعمتنا عليكم * (تنبيه) * انما قدرت لعل لكي اخذنا ما قبل ان لعل
 في القرآن بمعنى كي غير قوله تعالى في الشعراء لعلكم تتخذون فانها بمعنى كان أي كانتكم
 تتخذون (و) اذكروا (اذا أتينا موسى الكتاب) أي التوراة وقوله تعالى (والفرقان) عطف
 تفسيرا أي الفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل أراد بالفرقان مميزات موسى
 كافتراق البحر الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى وبين الكفر والايان (لعلكم تهتدون)
 أي لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكير في الآيات من الضلال (و) اذكروا (اذا قال موسى
 لهومه) الذين عبدوا العجل (يا قوم انكم ظالمون) قرأ ورش بتغليظ اللام والباقون بالترقيق
 (أنفسكم باتخاذكم العجل) الها قالوا فأى شئ نصنع قال (فتوبوا) أي ارجعوا عن عبادة
 العجل (إلى بارئكم) أي خالقكم وقرأ أبو عمرو وباسكان الهمزة وروى عن الدوري باختلاس
 الحركة وروى عن السوسي ابدالها ياء ساكنة وأمال الدوري عن الكسائي الالف بهـ دال بالـ
 الموحدة واذا وقف حمزة على بارئكم سهل الهمزة بين بين قالوا كيف تتوب قال (فاقتلوا
 أنفسكم) أي ليقتل منكم البري من عبادة العجل من عبده وقيل المراد بالقتل قطع الشهوة
 كما قيل من لم يذهب نفسه لم يذهبها ومن لم يقتلها لم يحيا وردها جماعة باجماع المفسرين
 على أن المراد هنا القتل الحقيقي (ذلكم) أي القتل (خير لكم عند بارئكم) من حيث انه
 طهرة عن الشرك ووصله إلى الحياة الابدية وبالجملة السرمدية فلما أمرهم موسى بالقتل قالوا
 نصبر لا أمر الله فجلوا بالافنية محتبين وقيل لهم من حل حبونه أو مد طرفة إلى قاتله أو اتقاء بيد
 أو رجل فهو ملعون مردودة توبته وأسلفت القوم عليهم الخناجر فكان الرجل يرى ابنه وأباه
 وأخاه وقرينه فلم يكنه المضي لا أمر الله فقتلوا يا موسى كيف تفعل فأرسل الله عليهم ضبابا تشبه
 بحجاب تغشى الأرض كال دخان وصحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضا فكانوا يقتتلون إلى المساء
 فلما كثر القتل دعا موسى وهرون عليهم الصلاة والسلام وبكيا ونضرعا وقالوا يا رب هلكت
 بنو إسرائيل البقية البقية فكشف الله تعالى الصحابة عنهم وأمرهم أن يكفوا عن القتل
 فكشفت عن ألوف من القتلى روى عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال عدد القتلى سبعون
 ألفا فاستند ذلك على موسى فأوحى الله تعالى إليه أما رضيتك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة
 فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقى مكشرا عنه ذنوبه فذلك قوله تعالى (فتاب عليكم) أي فعلمتم
 ما أمرتم به فتأب عليكم أي فتجاوز عنكم وقبل توبتكم * (تنبيه) * ذكر البارئ في قوله تعالى

فتوبوا الى بارئكم وترتيب الامر بالقتل عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباء حتى
 تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثلهم في الغباوة وان من لم يعرف حق
 منعمه حقيق بأن يسترد منه ما أنعم به عليه ولذلك أمر وابتك تركيب ذواتهم بالقتل (انه هو
 التواب) أي الذي يكفر قبول التوبة من المذنبين (الرحيم) أي البالغ في الانعام على خلقه
 (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) وذلك أن الله تعالى أمر موسى عليه الصلاة
 والسلام أن يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة الجبل فاختر موسى سبعين
 رجلا من خيار قومه وقال لهم صوموا واطهروا واطهروا يا بكم ففعلوا ذلك فخرج
 موسى الى طور سيناء لميقات ربه فقالوا لموسى اطلب لنا سمع كلام ربنا فقال لهم افعل فلما دنا
 موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام فغشى الجبل كله فدخل في الغمام وقال للقوم ادنوا
 فدنا حتى دخلوا في الغمام وخروا سجدا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع
 لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر اليه فضرب دونهم الحجاب وسماهوه وهو يكلم موسى بأمره
 وينهاه وأسمعههم الله تعالى اني أنا الله لا اله الا أنا اخرجتكم من أرض يندشديدة فاعبدوني
 ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل عليه هم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله
 جهرة عيانا وذلك أن العرب تجعل العلم بالقلب رؤية فقالوا جهرة ليعلم أن المراد منه العيان
 روى عن السوسي امالة الالف بعد الراء في نرى وترقيق اللام من اسم الله وروى عنه تفخيم
 اللام مع الامالة وله وجه ثالث كالجماعة وهو عدم الامالة مع تفخيم اللام (فان قيل) كيف
 تم الالف وهي تسقط عند التقاء الساكنين (أجيب) بأنه لو لا امالتهما أميت الراء لان
 القارئ اذا أراد أن يعي الالف لا يتمكن من الامالة الا بالامالة ما قبله (فاخذتكم الساعة) أي
 الصيحة فتم وقيل جاءت نار من السماء فأحرقتهم وذلك افراط العناد والتعنت وطلب المستحيل
 فانهم ظنوا أنه تعالى يشبه الاجسام فطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحياز
 المقابلة للرائ وهي محال بل المراد أن يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك لامؤمنين في
 الآخرة ولافراد من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا (وانتم تنظرون) أي ينظر بعضهم
 الى بعض حين أخذكم الموت وقيل تعلمون ويكون النظر بمعنى العلم فلما هلكوا جعل موسى
 يبكي ويتضرع ويقول ماذا أقول لبني اسرائيل اذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم لو شئت
 أهلكهم من قبل واياي أتهم لكتابا فعل السفهاء من أقام يزل يشاكر به حتى أحياهم الله تعالى
 رجلا بعد رجل بعد ما ماتوا اليه ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون كما قال تعالى
 (ثم بعثناكم) أي أحييناكم والبعث اشارة الشئ عن محله يقال بعثت البعير فانبعث وبعثت النائم
 فانبعث (من بعد موتكم) بسبب الصاحفة قال قتادة أحياهم ليعتدوا ببقية آجالهم وأرزاقهم
 ولو ماتوا بآجالهم لم يعنوا وقيد البعث بعد الموت لانه قد يكون عن انعمه أو نوم كقوله تعالى
 فضر بنا على آذانهم في الكهف الى أن قال ثم بعثناهم أي من النوم (لعلكم تشكرون) نعمة
 البعث أو ما كفر قومه من النعم المتتابعة (وظلنا عليكم الغمام) في التيه يقيمكم حر الشمس

والغمام من الغم وأصله التغطية والستر يسمى السحاب غماما لأنه يغطي وجه الشمس وذلك أنه
 لم يكن لهم في التيه كثر يسترهم فشكوا إلى موسى صلى الله عليه وسلم فإرسى الله غماما أبيض رقيقا
 أطيب من غمام المطر وجعل لهم عودا من نور يضيء لهم بالليل إذا لم يكن قريبيرون في ضوئه
 وكانت ثيابهم لا تسخن ولا تبلى وغلاظ ورش اللام المفتوحة بعد الغطاء (وأنازلنا عليكم المن
 والسلوى) في التيه والا كثرون على أن المن هو الترحيبين قال مجاهد هوشى كالصنع كان
 يقع على الأشجار طعمته كالشهد وكان يقع كل ليلة على أشجارهم مثل الثلج لئلا ياكل انسان منهم صاع
 فقالوا يا موسى قتلنا هذا المن بجلاوته فادع لنا ربك أن يطعمنا اللحم فأنزل الله عليهم السلوى
 جمع سلواة وهو الطير السمانى يخفيف الميم والقصر جمع سمانة وهو الطير المعروف وقيل
 هو طائر يشبه به بعث الله هابة فطرت السماء في عرض ميل وطول ربح في السماء بعضه
 على بعض فكان الله تعالى ينزل عليهم المن والسلوى كل صباح من طلوع الفجر
 إلى طلوع الشمس فكان كل واحد منهم يأخذ ما يكفيه يوما وليلة وإذا كان يوم الجمعة يأخذ
 كل واحد منهم ما يكفيه ليومين لأنه لم يكن ينزل يوم السبت وقرأ السلوى حمزة والكسافى
 بالامالة محضة وأبو عمرو بين وبين وورش بالفتح وبين اللفظين (فان قيل) لم قدم في الآية المن على
 السلوى مع أنها غذاء والمن حلواء والعادة تقديم الغذاء على الحلواء (أجيب) بأن نزول المن
 من السماء أمر مخالف للعادة فقدم لاسيما عظامه بخلاف العطور المأكولة وأيضا هو مقدم في
 النزول عليهم (كاوا) على إرادة القول أى قلنا لهم كوا (من طيبات) حلالات (ما رزقناكم)
 ولا تدخروا الغد فـ كـفروا بالنعمة وادخروا فقطع الله ذلك عنهم ودقود فسد ما ادخروه وقوله
 تعالى (وما ظلمونا) أى بذلك فيه اختصار وأصله فظلموا بأن كفروا بهذه النعم وما ظلمونا (ولاكن
 كانوا أنفسهم يظلمون) لأن وباله عليهم روى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخبث اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها
 الدهر (واذ قلنا) لهم بعد خروجهم من التيه (ادخلوا هذه القرية) أى بيت المقدس كما قاله
 مجاهد أو أريحاء بفتح الهمزة وكسر الراء وبالهاء المهـالة كما قاله ابن عباس وهى قرية الجبارين
 كان فيها قوم من بنية عاد يقال لهم العمالة ورأسهم عوج بن عنق قال ابن الاثير وهى قرية
 بالغور قرية من بيت المقدس وقيل البلقاء وقيل الرملة والاردن وفلسطين وقيل الشام
 سميت القرية قرية لأنها تجمع أهلها ومنه المقررة للحوض لأنها تجمع الماء (فكلوا منها حيث
 شئتم رغدا) أى واسع لا يجز فيه (وادخلوا الباب) أى باب من أبواب القرية وكان لها سبعة
 أبواب (مجددا) أى متطامنين منصفين أو ساجدين السجود الشرعى لله شكرا على انجاركهم
 من التيه (وقولوا) مستلنا (حطة) أى أن تحط عنا خطايانا قال قتادة أمر وأبالاستغفار
 وقال ابن عباس بلا اله الا الله لأنها تحط الذنوب وقيل معناه أمرنا حطة أى شأنا أن نخط في
 هذه القرية ونقيم فيها حتى ندخل الباب مجددا مع التواضع (نفقر لكم خطايكم) بسجودكم
 ودعائكم وقرأ نافع ياء مضمومة على التذكير مع فتح الداء وقرأ ابن عامر نفقر بياء مضمومة

على التأييد مع فتح الفاء أيضا وقرأ الباكون بالنون مفتوحة مع كسر الفاء وقرأ الكسائي
خطاياكم بالامالة وورش بالفتح وبين اللفظين والباكون بالفتح (وسنزيد المحسنين) بالطاعة ثوابا
جعل الله تعالى امتثال قوله قولوا حطة توبة للمسيح وسبب زيادة الثواب للمحسنين (فان قيل)
كيف عطف وسنزيد مع أنه مرفوع على نفعهم مع أنه مجزوم جوابا للامر (أجيب) بأنه أخرجه
عن صورة الجواب الى الوعداها ما بأن المحسن بصدق ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه
يفعله لا محالة وسبب اخراجه ما ذكر عن صورة الجواب الى الوعداها الزيادة اذا كانت من وعد
الله كانت أعظم عما اذا كانت مسببة عن فعلهم (قيل الذين ظلموا) منهم (قولا غير الذي قيل
لهم) فقالوا حبة في شعرة ودخلوا يزحفون على استأصافهم مخالفة في الفعل كما بدلو القول روى
معمر عن حماد بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبني
اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلو اذ دخلوا يزحفون على استأصافهم وقالوا حبة
في شعرة وفي رواية في شعيرة وقوله تعالى (فانزلنا على الذين ظلموا) فيه وضع الظاهر موضع
المضمر مبالغة في توبيخ أمرهم واشعارا بأن انزال الرجز عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به
موضعه أو على أنفسهم بأنهم تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها (وجزا) أي عذابا
مقدرا (من السماء) وقيل أرسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفا
وقيل أربعة وعشرون ألفا (بما كانوا يفسقون) أي بسبب فسقهم أي خروجهم عن الطاعة
(واذا نسق موسى) طاب السقي (لقومه) وذلك أنهم عطشوا في التيه فسألوا موسى أن
يستسقي لهم ففعل فأوحى الله اليه كما قال (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) وكانت من آس الجنة
بالمذاق أي شجرها وهو المرسين وروى عن ابن عباس أنها كانت من عوسج طولها عشرة أذرع
على طول موسى وكان لها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا واسمها علقوق وقال مقاتل اسمها بنفة
حماها آدم من الجنة فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب فأعطاهام موسى واللام في الحجر
للعهد على ما روى أنه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه كان له أربعة أوجه ينبع من كل وجه
ثلاثة أعين تسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة ألف وسعة العسكر اثنا عشر ميلا
أو حجرا أهبطه آدم من الجنة ودفع الى شعيب فأعطاهام موسى مع العصا والحجر الذي قربوه لما
وضعه عليه ليقتل ومتربه على ملا من بني اسرائيل وهو حجر خفيف مربع كراس الرجل رخام
أو كذان وبرأه الله تعالى به عماره وبه من الادرة وهي بضم الهمزة كبر الانبياء فلما وقف أتاه
جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ان الله تعالى يقول ارفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه
مهمزة أول الجنس قال البيضاوي وهذا أظهر في الجنة ويدل له قول وهب لم يكن حجر امينا
بل كان موسى يضرب أي حجر كان فينقبض عيون الكل بسبط عين ثم تسيل كل عين في جدول الى
السبط الذي أمر أن يسقيهم وكان بنو اسرائيل اثني عشر سبطا ولكن لما قالوا كيف بنا
لو أفضينا الى أرض لا حجارة فيها حمل حجر في مخلائه وكان يضربه بعصاه اذ انزل فيمنجبرو يضربه
به اذ ارتحل فيببس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فأوحى الله تعالى اليه لا تفرح

الخبارة وكلها قطعك لعلهم يعتبرون وقوله تعالى (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) متعلق بمحذوف
 أى فضربه فانفجرت أى سالت قال أبو عمرو بن العلاء انفجرت هزقت وانفجرت سالت وقال
 عطاء كان يضربه موسى اثنتى عشرة ضربة فيظهر على كل موضع ضربة مثل ثدى المرأة فيعرق ثم
 تنفجر الانهار ثم تسيل (قد علم كل أناس) أى سبط منهم (مشريهم) أى عينهم التى يشربون منها
 لا يدخل سبط على غيره فى ثمره وقلنا لهم (كأوا واشربوا من رزق الله) أى كأوا من المن والسلوى
 واشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله الذى يأتىكم بلامشقة (ولانعشوا) أى لاتعقدوا
 (فى الارض مفسدين) أى حال افسادكم وانما قيد لانه وان غلب فى الفساد قد يكون منه ما ليس
 بفساد كقابلة الظالم المعتدى بفعله ومنه ما يتضمن اصلاحا راجعا على الفساد كقتل الخضر الغلام
 وخرقه السفينة * (تنبيه) * من أنكر أمثال هذه المجازات فلغاية جهله بالله تعالى وقلة تدبره فى
 بحاثب صنعه فانه لما أمكن أن يكون من الاجار ما يحاق الشعر كالنورة ويجذب الحديد
 كالغناطيس وينقر الخلل كالكهربان فانه اذا وضع فى اناء لا يحصل الخل فى ذلك الاناء لم يتسرع أن
 يخلق الله حجر يسخره لجذب الماء من تحت الارض ولجذب الهوام والحوائب الاربعة وبصره
 ماء بقوة التدبير ونحو ذلك (و) اذكروا (اذ قلتم يا موسى ان نصبر على طعام واحد) وذلك أنهم سم
 سموا من أكل المن والسلوى وانما عبر عنهم باطعام واحد لعدم تبدلها كما يقول العرب طعام
 مائدة الامير واحد يريدون أنه لا يتغير ألوانه أولان العرب تعبر عن الاثنين بلفظ الواحد كما تعبر
 عن الواحد بلفظ الاثنين كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من المخرج دون
 العذب أولانهم كانوا يمجنون المن بالسلوى فيصيرا واحدا أولانهم كانوا يأكلون أحدهما
 بالآخر فكانا طعام واحد أو ضرب واحد لانهم معا طعام أهل التلذذ وهم كانوا أهل فلاحه
 أى أهل زراعات فاشتاقوا الى أصلهم الردى وعاداتهم الخبيثة ولذا قالوا (فادع لنا ربك) أى
 فسل لاجلنا ربك (يخرج لنا) يظهر لنا ويوجد ويرزقنا بأنه جواب فادع فان دعوة موسى
 تسبب الاجابة وقوله تعالى (مما تبنت الارض) من الاسناد المجازى واقامة القابل وهى الارض
 لانها قابلة للنبات مقام القاعل ومن فى قولهم مما تبنت للتبعيض ومن فى قولهم (من بقلها)
 للبيان والبقيل ما تبنته الارض من الخضر وهو ما ليس له ساق والمراد به أطايبه التى تؤكل
 كالكرفس والنعناع والكرث (وقنائها وفودها) وهوالخبز كما قاله ابن عباس ومنه فقوموا
 لنا أى اخبروا أو الخنطة كما قاله عطاء أو النوم كما قاله السكبي (وعدها وبصلها قال) أى الله
 أو موسى (أتستبدلون الذى هو أدنى) أى أخس وأردأ وأصل الدنو القرب فى المكان فاستعير
 للنسبة كما استعير البعد فى الشرف والرفعة فقبل بعيد الهمة بعيد المحل (بالذى هو خير) أى
 أشرف وهو المن والسلوى فانه خير فى الندة والنفع وعدم الحاجة الى السعى أى أننا خذون هذا
 بدل هذا والهمزة للانكار فأبوا أن يرجعوا فدعا موسى ربه فقال تعالى (اهبطوا) أى انزلوا
 فان هبط يستعمل متعديا بنفسه كما هنا فيكون بمعنى النزول ويستعمل متعديا بمن فيكون بمعنى
 الخروج من مكان الى آخر مساو له أو أعلى منه (مصرأ) من الامصار والمصر البلد العظيم

لا العلم بفتح اللام وقيل أراد به العلم وهي مصر موسى وفرعون قال البيضاوي ويؤيده أي
 القول بأن المراد بعصر العلم أنه غير منقون في مصحف ابن مسعود أي وهي قراءة شاذة وانما صرفه
 على هذا مع أن فيه العلية والتأنيث لسكون وسطه كما في هند ودعد المعادلة أحد سببي منع
 الصرف بخفة الاسم لسكون وسطه أو على تأويل مصر بالمكان فذكره فيبقى فيه سبب واحد
 فانصرف (فإن لكم) فيه (ما سألتكم) من نبات الارض (وضربت عليهم) أي أحبطت
 احاطة القبة بمن ضربت عليه أو ألصقت بهم من ضرب الطين على الحائط (الذلة) أي الذل
 والهوان وقيل الجزية (والمسكنة) أي الفقرة وهي الفقير مسكيننا لأن الفقر رأسكنه وأقعدته
 عن الحركة وفعل بهم ذلك مجازاة لهم على كفران النعمة ولذلك تجدد اليهود في غالب الامر آذلاء
 مساكين اما على الحقيقة أو على التكلف مخافة أن تضاعف جزيتهم وقيل الذلة فقر القلب
 فلا ترى في أهل المال أذل وأحرص على المال من اليهود وقرأ حمزة والكسائي عليهم بضم الهاء
 والميم وصلوا وفي الوقف حمزة على أصله والكسائي بكسر هاء وأبو عمر وبكسر الهاء والميم وقفا
 وصلوا وباقي القراء بكسر الهاء وضم الميم وصلوا وفي الوقف بكسر الهاء وسكون الميم (وبأوا)
 رجعوا (بغضب من الله) ولا يقال بأه الا بشر وأصل البوء المساواة وقال أبو عبيدة احتملوه
 وأقروا به ومنه الدعاء أبوء بعمتك وأبوء بذنبي أي أقروا بقوله تعالى (ذلك) إشارة إلى ما مر من
 ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب (بأنهم) أي بسبب أنهم (كانوا يكفرون بآيات الله)
 بصفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم في التوراة ويكفرون بالانجيل والقرآن وبالهجرات
 التي من جلتها ما عتد عليهم من فلق البصر وظلال الغمام وانزال المني والسوى وانقياد العميون
 من الحجر (ويقتلون النبيين بغير الحق) أي ظلموا فأنهم قتلوا أشعياء وزكريا ويحيى وغيرهم روى
 أن اليهود قتلوا سبعين نبيا في أول النهار وقامت سوق بقتلهم آخر النهار (فان قيل) لم قال بغير
 الحق وقتل النبيين لا يكون الا بغير الحق (أجيب) بأنه ذكره وصفا للقتل والقتل بوصف تارة
 بالحق وتارة بغير الحق وهو مثل قوله تعالى قل رب احكم بالحق ذكر الحق وصفا للحكم لأن
 حكمه ينقسم إلى الجور والحق وأنه بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقد به جواز قتلهم
 (فان قيل) أن الله تعالى قد أخبر بقتل الانبياء ونصر الرسل فكيف الجمع (أجيب) بأن الحمل
 مختلف اذ الرسول غير النبي وبأن المراد بالنصر الغلبة باظهار الحجة لا العصمة من القتل وانما
 حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار إليه تعالى بقوله (ذلك جماعصوا
 وكانوا يعتدون) أي جرهم العصيان والتفادي والاعتداء فيه إلى الكفر بالآيات وقبل النبيين
 فان صفار الذنوب أسباب تؤدى إلى ارتكاب كبارها كما أن صفار الطاعات أسباب مؤدية
 إلى تحزى كبارها وكرر الاشارة للدلالة على أن ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب
 ارتكابهم المعاصي واعتداؤهم حدود الله وقيل الاشارة إلى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وعلى
 هذا انما جوزت الاشارة بالفرد إلى شئين فصاعدا على تأويل ما ذكر والذي حسن ذلك ان ثنية
 المضمرات والمبهمات ونحوها وتأنيها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع وقرأ النبيين

نافع بالهمزة والباقون بالياء مورش على أصله في الهمز بالمد والتوسط والقصر (ان الذين آمنوا) بالانبياء من قبل (والذين هادوا) أي اليهود سموا به لقولهم انا هادنا اليك أي ملنا اليك وقيل لانهم هادوا أي تابوا من عبادة العجل وكانهم سموا باسم أكبر أو لادبوعوب عليه الصلاة والسلام وقال أبو عمرو بن العلاء لانهم يتهودون أي يتحزرون عند قراءة التوراة ويقولون ان السموات والارض تحتركت حين أتى الله موسى التوراة (والنصارى) جمع نصراني كندامي والياء في نصراني للمبالغة وهو بذلك لانهم نصرروا المسيح قال الحواريون نحن أنصار الله (فان قيل) هذا ليس جاري على قواعد الاشتقاق فانه يقال لاوا - دنا نصر وفاعل لا يجمع على فعلى (أجيب) بأن ذلك كاف في الاشتقاق وان لم يجمع المفرد على فعلى أولانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران أو ناصرة فسماهم باسمها على الأقل أو من اسمها على الثاني (والصائبين) هم طائفة من النصارى وقيل من اليهود وقيل قوم بين النصارى والمجوس وقيل أصل دينهم دين نوح عليه الصلاة والسلام وقيل هم عبدة الملائكة أو الكواكب وقرأ نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة أو لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا عن سائر الاديان الى دينهم أو من الحق الى الباطل والباقون بالهمزة بعد الباء الموحدة (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) أي من كان منهم في دينه قبل أن ينسخ مصداق قلبه وبالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل الاسلام دخولا صادقا (فلهم أجرهم) أي ثواب أعمالهم (عند ربهم) بأن يدخلهم الجنة (ولا خوف عليهم) في الدنيا (ولا هم يحزنون) في الآخرة أو حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمرة فويت الثواب * (تنبيه) * روى في ضمير آمن وعمل لغظ من وفيما بعده معناها ومن مبتدأ خبره فلهم أجرهم والجملة خبر ان أو بدل من اسم ان وخبرها فلهم أجرهم والقاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيديوه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى ان الذين قتلوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم (و) اذكروا (اذا أخذنا ميثاقكم) أي عهدكم باتباع موسى والعمل بما في التوراة (و) قد (رفعنا فوقكم الطور) أي الجبل حتى أعطينا الميثاق روى أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاءهم بالتوراة ورأوا ما فيها من التكليف الشاقة كبرت عليهم لانها كانت شريعة ثقيلة وأبوا قبولها فامر الله تعالى جبريل بقلع الطور فظله فوقهم وكان على قدر عسرهم وكان فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤسهم مقدرا قامة رجل كالظلة وقال لهم ان لم تقبلوا التوراة أرسلت هذا الجبل عليكم وقال عطاء عن ابن عباس رفع الله فوق رؤسهم الطور وبعث نارا من قبل وجوههم وأنهم البصر الملح من خلفهم وقيل لهم فان قبلتم والارض تحتكم بهذا الجبل أو أغرقكم في هذا البحر أو أحرقتكم به هذه النار فلما رأوا أن لا مهرب لهم من ذلك قبلوا وصجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة في اليهود لا يسجدون الا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع العذاب عنا (خذوا) هو على ارادة القول أي وقلنا خذوا

(ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة) مجدة وعزيمة (واذكروا ما فيه) بالعمل به أو تفكروا فيه فانه تذكر بالقلب كما ان المدرس ذكره باللسان أو ادرسه ولا تفوه (لعلكم تتقون) لكي تتقوا النار أو المعاصي (ثم توليتهم) أعرضتهم عن الوفا بالميثاق (من بعد ذلك) أي بعد أخذه (قلوا فضل الله عليكم ورحمته) أي توفيقكم للتوبة أو بالامهال وتأخير العذاب عنكم أو بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم إلى الحق ويهديكم إليه (الكنتم من الخاسرين) أي من المغبونين بالانكسار في المعاصي أو بالعقوبة وذهاب الدنيا والآخرة * (تنبيه) * لوفى الأصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا أفاد اثباتاً وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسدود وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف (واقده علمتم) اللام موطنه لا قسم أي عرفتم (الذين اعتدوا) تجاوزوا الحد (منكم في السبت) بصيد السمك وذلك انهم كانوا من داود عليه الصلاة والسلام بأرض يقال لها ايلة حرم الله تعالى عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك وأخرج خرطومه حتى لا يرى الماء من كثرتها فاذا مضى تفرقت ولزمت قعر البحر فذلك قوله تعالى اذا تأتيتهم حينئذ يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبئون لا تأتيتهم كذلك نبأهم بما كانوا يفسقون ثم ان الشيطان وسوس اليهم وقال انما نهيتم عن أخذها يوم السبت فعمد رجال الحياض حول البحر وشرعوا منه اليها لانهم اذا كان عشية الجمعة قصصوا تلك الانهار فأقبل الموج بالحيتان الى الحياض فلا تنذر على الخروج لبعدها وعمقها وقلة ما فيها فاذا كان يوم الاحد أخذوها فذلك الحبس في الحياض هو اعتدائهم ففعلوا ذلك زمانا ولم تنزل عليهم عقوبة فتعجبوا على الذنب وقالوا ما نرى السبت الا قد أحل لنا فأكلوا وطمحوا وبيعوا فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية وكانوا نحو من سبعين ألفاً ثلاثة أصناف أصناف أمسك ونهى وصنف أمسك ولم ينه وصنف انتهك الحرمة وكان الناهون اثني عشر ألفاً فلما أبى المجرمون قبول نصيحهم قالوا والله لانسا كنكم في قرية واحدة فقصموا القرية بجدار (فقلنا لهم) لا صرارهم على المعصية (كونوا قردة خاسئين) أي مبعدين فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين أحد ولم يقصوا بابهم فلما أبطأ واتسوروا على الحائط فاذا هم جميعاً قردة لها اذنان يتعاوون قال قتادة صاروا شبان قردة والشيوخ خنازير فكثروا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يكتم عموخ فوق ثلاثة أيام ولم يتوالدوا وقال مجاهد ما صنعت صورتهم ولكن قلوبهم فقلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار كما في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل أسفارا روى عنه ابن جرير ورده وقال انه مخالف لما هرا القرآن والاحاديث والآثار واجماع المفسرين وقوله تعالى كونوا ليس بأمر اذا لقدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما أراد بهم (جعلناها) أي تلك العقوبة (نكالا) أي عبرة تنكيل المعتبر بها أي تمنعه من ارتكاب مثل ما عملوا ومنه النكول عن اليميز وهو الامتناع (لما بين يديها وما خلفها) أي اللام التي في زمانها وبعدها ولما يحضرته من القرى وما تباعد

عنها أولاهل تلك القرية وما حوالها ولا جيل ما تقدم عليهم من ذنوبهم وما تأخر منها
(وموعظة للمتقين) الله من قومهم أو لكل متق معها وخصوا بالذكر لأنهم المستفدون بها
بخلاف غيرهم (و) اذكر (إذا قال موسى لقومه إن الله يأمركم) قرأ أبو عمرو بسكون الراء
وروي عن الدوري اختلاس الحركة والباقون بالحركة الكاملة والحركة ضمة (أن نذبحوا
بقرة) أول هذه القصة قوله تعالى واذ قلتم أنفسا فاذرنا فيها وانما فككت عنه وقدمت عليه
لاستقلاله بنوع آخر من مساوئهم وهو الاستزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة
إلى الامتثال وقصته أنه كان فيهم رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته
قتله ليرثه وحمله إلى قرية أخرى فإقامه بياض ثم أصبح يطلب دينه وجاء بناس إلى موسى يدعي عليهم
القتل فسألهم فجحدوا فاشتبه أمر القتل على موسى قال الكلبي وذلك قبل نزول القسامة
في التوراة فسألوا موسى ليدعوا الله ليعين لهم بدعائه فدعا فأمرهم الله تعالى بذبح بقرة
ويضربوا القليل ببعضها ليصا فيخبر بقالة فقال موسى إن الله يأمركم أن نذبحوا بقرة (قالوا
أتفقدنا هزوا) أي أنتمزي بنا نحن نسأل عن أمر القليل ونأمر نأذبح بقرة وانما قالوا ذلك
استبصارا لما قاله واستخفافا به قرأ حمزة بسكون الزاي في الوصل وإذا وقف قال هزاي نصب
الزاي من غيرهم زوروي عنه الادغام وهو أن يشتد الزاي وقرأ حفص هزاي ضم الزاي بعدها
واو مفتوحة وقفا وصلوا والباقون بضم الزاي بعدها همزة مفتوحة (قال أعوذ) أي امتنع
(بالله) من (أن أكون من الجاهلين) لأن الهز في مثل ذلك جهل وسفه نقي عن نفسه ما رمى به
على طريقة البرهان وأخرج ذلك في صورة الاستعاذة استغظا عاله فلما علم القوم أن ذبح البقرة
عزم من الله استوصفوه ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم ولكنهم شددوا
على أنفسهم فشدد الله عليهم ~~وص~~ ان تحته حكمة وذلك أنه كان في بني إسرائيل رجل صالح له
ابن طفل وله بهيمة أتى بها إلى غيبة وقال اللهم اني استودعتك هذه البهيمة لا يخفى حتى يكبر
ومات الرجل فسارت البهيمة في الغيبة عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن
كان بارا بوالده فكان يقسم الليل أثلاثا يمس لي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فإذا
أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يصدق ثلثه ويأكل
ثلثه ويعطي والدته ثلثه فقالت له أمه يوما إن أباك ورثك بجملة استودعها الله في غيبة كذا
فانطلق وادع الله ابراهيم واسماعيل واسحق أن يردها عليك وعلامتها أنك إذا نظرت إليها
يفضل لك أن شعاع الشمس يخرج من جالدها وكانت تلك البقرة تسمى الذهبية لحسنها وصغرتها
فأتى القتي الغيبة فرأها ترعى فصاح بها وقال أعزم عليك يا ابراهيم واسماعيل واسحق
ويعقوب فأقبلت تسعى إليه حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة بأذن
الله وقالت أيها القتي البار بوالده اركبني فإن ذلك أهون عليك فقال القتي إن أمي لم تأمرني
بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت البقرة يا بني إسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر على أبدا
فانطلق فانك لو أمرت الجبل أن يقطع من أصله وينطلق معك لفعل ليرك بأمتك فسار القتي

بها الى أمه فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق
 فبيع هذه البقرة فقال بكم أيها قالت بثلاثة دنائير ولا تباع بغير مشورتي وكان غن البقرة ثلاثة
 دنائير فانطلق بها الى السوق فبعث الله مملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتي كيف يبره بوالده
 وكان الله به خيرا فقال الملك له بكم تباع هذه البقرة فقال بثلاثة دنائير واشترط عليك رضا
 والفتي فقال الملك لك ستة دنائير ولا تسأمر والدتك فقال الفتي لو أعطيتني وزنم اذهب إلى أمي
 الابيض أي فردتها الى أمه وأخبرها بالثمن فقالت ارجع فبيعها بستة دنائير على رضا
 مني فانطلق بها الى السوق وأتى الملك فقال استأمرت أمك فقال الفتي انها أمرتني أن
 لا أنقصها عن ستة دنائير على ان استأمرها فقال الملك اني أعطيتك اثني عشر دينارا على
 أن لا تستأمرها فأبى الفتي ورجع الى أمه وأخبرها بذلك فقالت ان الذي يأتيك ملك في صورة
 آدمي ليختبرك فإذا أتاك فقل له أنا أمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا ففعل فقال الملك له اذهب الى
 أمك وقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل في بني اسرائيل
 فلا تبيعوها لاجل مسكها أي جلد هاذي دنائير فأمسكوها وقدر الله تعالى على بني اسرائيل
 ذبح تلك البقرة بعينها فاذا لو استوصفونها حتى وصف لهم تلك البقرة مكافأة له على براه بوالده
 فضلا منه تعالى ورحمة فذلك قوله عز وجل (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) أي ما سنأمرها وكان من
 حقه أن يقولوا أي بقرة هي وكيف هي لان لفظ ما يسأل به عن الجنس غالب الكنه لما رأوا
 ما أمر ربه على حال لم يوجد بها شيء من جنسه أجروهم مجرى ما لم يعرفوا حقيقة ولم يروا مثله
 (قال) موسى (انه) أي ربي (يقول انها بقرة لا فارض) أي مسنة وسميت فارضا لانها فرضت
 سننها أي قطعت وبلغت آخره (ولا بكر) أي صغيرة (عوان) أي نصف أي وسط قال الشاعر
 • نواهم بين أبيه ككاد وعون • جمع عوان (بين ذلك) أي بين ما ذكر من الفارض والبكر
 (فان قيل) بين يقتضي شيئين فصاعدا فن أين جاز دخوله على ذلك (أجيب) بأنه في معنى شيئين
 حيث وقع مشاربه الى ما ذكر كما نقرر وعود هذه الكلمات واجراء تلك الصفات على بقرة
 يدل على أن المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب بالامر ومن أنكر
 ذلك زعم أن المراد بها بقرة من جانب البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم
 ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال التخيير الثابت بالنص والحق جواز تأخير البيان
 عن الوقت المذكور والنسخ قبل الفعل ويؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروى عنه عليه
 الصلاة والسلام لو ذبحوا أي بقرة أرادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم
 وتقريرهم بالتمادي وجرهم عن المراجعة بقوله (فافعلوا ما تؤمرون) به من ذبحها (قالوا)
 ادع لنا ربك يبين لنا ما هي (قال) موسى (انه) أي ربي (يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها)
 أي شديد الصفرة ولذلك تو كذب الصفرة فيقال أصفر فاقع كما يقال أسود حالك وعن الحسن
 سودا شديدة السواد وبه فسرقوله تعالى جنالات صفر قال البضاوي ولعله عبر بالصفرة عن
 السواد لانه من مقتضاته قال البغوي والاول أصح لانه لا يقال أسود فاقع انما يقال أصفر

فاقع وأسود حالك وأخضر ناصح (تسر الناظرين) اليها أي يعجبهم حسن ما وصفوا لونها
 والسرور أصله لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) أي
 أسأله أم عاملة وعلى هذا فليس تكرار السؤال الا قول (ان البقر) أي جنسه المنعوت كما ذكر
 (تشابه) أي التباس وانتبه أمره (علينا) لكثرة فلم يهتدوا الى المقصود * (تنبيه) * لم يقل
 تشابهت علينا لان المراد الجنس كما مر وأما ذكر البقر كلفظ البقر كقوله تعالى أبها زخل منقعر
 (وانا ان شاء الله لمهتدون) الى وصفها وفي الحديث لولم يستغنوا عما يفتلهم آخر الابد
 واستخرج به أصحابنا على أن الحوادث بإرادة الله تعالى وأن الامر قد ينقل عن الارادة والالم يكن
 للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكزامية على حدوث الارادة لانها وقعت شرطا والشرط
 أمر يحدث في المستقبل (وأجيب) بأن تعليق الاحتمال بالمشيئة التي هي الارادة باعتبار تعلق
 المشيئة بالاهتداء وهذا التعلق هو الحادث ولا يلزم من ذلك قيام الحوادث به تعالى لان التعلق
 أمر اعتباري (قال) موسى (انه) أي ربي (يقول انها بقرة لاذلول) أي غير مذكلة بالعمل
 (تيرا الارض) أي تطلبها للزراعة والجملة صفة ذلول داخله في النقي (ولانسق الحرت) أي
 الارض المهمة للزراعة ولا الثانية مزيدة كما بدأ الاولى والافعلان صفتا ذلول كأنه قال
 لاذلول مثيرة وساقية (مسلة) من العيوب واثارة العمل (لاشية) أي لالون (فيها) سوى لون
 جميع جلدها قال مجاهد لا يبايض فيها ولا سود (قالوا الا نجت) أي نطق (بالحق) أي
 بالبيان التام الشافي الذي لا اشكال فيه فطلبوها فوجدوها عند الفقى البار بأتمه فاشتروها بابل
 مسكها أي جلدها ذهباً كما قال له الملك وقوله تعالى (فدبحوها) فيه اختصار والتقدير فخلصوا
 البقرة المنعوتة فذبحوها (وما كادوا) أي ما قاربوا (يفعلون) لتطويلهم وكثرة مراجعتهم
 أو لخوف الفضيحة في ظهور القاتل أو لغلاء ثمنها ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها
 لاختلاف وقتيهما اذا المعنى ما قاربوا أن يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطع فعلاتهم
 ففعلوا كما مضى المجرى الى الفعل (واذ قلتم نفسا) خطاب للجمع لوجود القتلى فيهم
 (فأذارتهم) فيه ادغام التاء في الاصل في الدال أي تخاصمتهم وتدافعتم (فيها) أي في شأنها
 اذا المتخاصمان يدفع بعضهم بعضاً وتدافعتم بأن طرح كل قتلها عن نفسه الى صاحبه (والله
 مخرج) أي مظهر (ما كنتم تكتمون) فان القاتل كان يكتم القتل وقوله تعالى (فقلنا
 اضربوه) أي القليل عطف على أذارتهم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس وتذكير الضمير على
 تأويل الشخص أو القاتل (ببعضها) أي ببعض البقرة واختلجوا في ذلك البعض فقال ابن
 عباس رضى الله عنهما وأكثر المفسرين ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو ما لان من
 العظام وقال مجاهد وسعيد بن جبير يعجب الذنب لانه أول ما يخلق وآخر ما يلى ويركب عليه
 الخلق وقال الضمك بلسانها قال الحسين بن الفضل لانه آلة الكلام وقال عكرمة والكلبي
 بفخذها الايمن وقبل بعضومنها لا بعينه ففعلوا ذلك فقام القليل حياً باذن الله تعالى وأوداجه
 تشعب دماً وقال قتلى فلان ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث وقتل وفي الخبر ما ورث

قاتل بعد صاحب البقرة وفيه اشارة تقديره فضرب فخي قال تعالى (كذلك) الاحياء (يحيى
 انه الموقى) والخطاب مع من حضر حياة القليل أو نزول الآية (ويرىكم آياته) دلائل قدرته
 (لتعلمكم تعقلون) لكي يكمل عقلكم وتعلموا أن من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس
 كلها فتؤمنون قال البيضاوى ولعله تعالى انما يصحبه ابتداء وشرط فيه ما شرط للمنافيه من
 التقرب وأداء الواجب ونفع اليتيم والتفسيه على بركة التوكل أى توكل أبى اليتيم والشفقة على
 الاولاد وأن من حق الطالب أن يقدم قربة والمتقرب أن يتحرى الاحسن ويغالى بئنه كما روى
 عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه ضحى بهجبة أى من الابل بثلاثمائة دينار وأن المؤثر في الحقيقة هو
 الله تعالى اذ لا يتصور حياة ميت من غيره تعالى والاسباب أمارات لا أثر لها وأن من أراد أن يعرف
 أعدى عدوه الساعى في أماته الموت الحقيقي فطريقه أن يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية
 حين زال عنها أثر الصبا أى عدم التكليف وهو نظير لا بكر ولم يلحقها ضعف الكبر أى وهو
 نظير لا فارض وكانت محبة راتقة المنظر أى وهو نظير تسر الناظرين غير مذلة في طلب الدنيا
 أى وهو نظير لا ذلول تثير الارض مسلمة من دنس الاشياء أى لا علامة بها من قبائحها بحيث يصل
 أثره أى الذبح الى نفسه فصيا حياة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل
 والوهم من التدارؤ والتزاع أى لان العقل يأمر بالخير والوهم يأمر بالشهوات (ثم قست
 قلوبكم) أيها اليهود أى ضلت عن قبول الحق لان القساوة عبارة عن الغلاط مع الصلابة كما في
 الحجر وقساوة القلب مثل في بعده عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة عن الاحياء لا للترانى في
 الزمان بل للاستبعاد مجازا القرينة ما قبلها بمعنى أنه يبعد من العاقل قسوة القلب بعد ظهور تلك
 الآية العظيمة (من بعد ذلك) المذكور من احياء القليل وما قبله من الآيات فان ذلك مما
 يوجب ان القلب (فهو كالحجارة) في قسوتها قرأ قالون وأبو عمرو والكسائي يسكون الهاء
 والباقون بكسرها (أو أشد قسوة) من الحجارة وقيل أو يعنى الواو كقوله تعالى مائة ألف
 أو يزيدون وانما يشبهها بالحديد مع أنه أصلب من الحجارة لان الحديد قابل للين فانه يلين بالنار
 وقد لان داود عليه الصلاة والسلام والحجارة لا تلين قط ثم فضل الحجارة على القلب القاسى فقال
 (وأن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار) أى من بعض الحجارة وقيل أراد به الحجر الذى كان يضرب
 عليه موسى للأسباط (وأن منها لما يشقق) فيه ادغام التاء في الاصل في الشين (فيخرج منه الماء)
 أى عيون نادون الأنهار (وأن منها لما يهبط) أن ينزل من أعلى الجبل الى أسفله (من خشية الله)
 وقلوبكم لا تتأثروا ولا تلتين ولا تخشع بامعشر اليهود (فان قيل) الحجر جماد لا يفهم فكيف يخشى
 (أجيب) بأن الله يفهمه ويلهمه فيخشى بالهامه قال البغوى ومذهب أهل السنة أن الله
 تعالى علما في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غيره فلها صلالة وتسليم كما
 قال جل ذكره وان من شئ الا يسبح بحمده وقال تعالى والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه
 وقال تعالى ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر الآية فيجب
 على المرء الايمان به ويكله الى الله سبحانه وتعالى روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على

نير والكفار يطلعونه فقال الجبل انزل عني فاني أخاف أن تؤخذ علي فبعاقبني الله بذلك
 فقال له جبل حرا إلى إلى يا رسول الله وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لاعرف
 حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث واني لاعرفه الا أن وروى عن علي أنه قال كأمع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في نواحيها خارجا من مكة بين الجبال والشجر فلم يتر
 بشجر ولا جبل الا قال السلام عليك يا رسول الله وروى عن جابر أنه قال كان النبي صلى الله
 عليه وسلم اذا خطب استند الى جذع نخلة من سوارى المسجد فلما صنع له المنبر فاستوى عليه
 اضطربت تلك السارية وحنت كحنين الناقة حتى سمعها أهل المسجد حتى نزل رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فاعتنقها فسكت وقال مجاهد لا ينزل جبر من أعلى الى أسفل الا من خشية الله
 ويشهد لذلك قوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله
 (وما اقبله بغافل) أي بساء (عماعملون) وعيد وتهديد وقيل بتارك عقوبة ما تعملون بل
 يجازيكم به وقرأ ابن كثير بالباء على الغيبة والباقون بالناء على الخطاب (أفتطمعون) أي
 أفترجون أم المؤمنون (أن يؤمنوا) أي اليهود (لكم) أي لاجل دعوتكم أو بصدقكم
 بما تنصرونهم به (وقد كان فريق) أي طائفة (منهم) أي أحبارهم (يسمعون كلام الله) أي
 التوراة (ثم يحرفونه) يغيرونه كنعى محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وقيل هؤلاء من السبعين
 المختارين الذين سمعوا كلام الله حين كلم موسى عليه الصلاة والسلام بالطور ثم قالوا سمعنا الله
 يقول في آخره ان استطعتم أن تفعلوا هذه الاشياء ففعلوا وان شئتم فلا تفعلوا (من بعد ما علقوه)
 أي فهموه بمعقولهم فلم يبق لهم فيه ريب (وهم يعلمون) أنهم هم مقترون والهمزة للانكار أي
 لا تطمعوا في ايمانهم فلمهم سابقة في الكفر (واذا لقوا) أي منافقوا اليهود (الذين آمنوا قالوا
 آمنا) بأنكم على الحق وان رسوا لكم هو المبشرية في التوراة (واذا خلا) أي رجع (بعضهم الى
 بعض قالوا) أي رؤسائهم الذين لم ينافقوا ككعب بن الاشرف وكعب بن أسد ووهب بن يهودا
 لمن نافق (أفتحدثونهم) أي المؤمنين (بما فتح الله عليكم) بما بين لكم في التوراة من نعمت محمد
 صلى الله عليه وسلم (ليحاجوكم) أي ليضاموكم (به عند ربكم) أي بما أنزل ربكم في كتابه ويقوموا
 عليكم الحججة في ترك اتباعه مع علمكم بصدقه جعلوا محاجبتهم بكتاب الله محاجة عند الله كما يقال
 عند الله كذا ويراد به أنه في كتابه وحكمه وقيل بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في الآخرة
 وقوله تعالى (أفلا تعقلون) أمان تمام كلام اللائمين وهم خلص اليهود وتقديره أفلا تعقلون أنهم
 يحاجونكم فيجبونكم وامن خطاب الله للمؤمنين متصل بقوله تعالى أفتطمعون والمعنى
 أفلا تعقلون حالهم وأنه لا مطمع لكم في ايمانهم (أولا يعلمون) أي اللائمون أو المنافقون أو كلاهما
 (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) من اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله
 عليهم وانظها رغبه وغير ذلك فيعرفوا عن ذلك (ومنهم) أي اليهود (أقمنون) أي وامن جهلة
 (لا يعلمون الكتاب) أي لا يعرفون التوراة أو الكتاب فيطالعوا التوراة ويحققوا ما فيها وقوله
 تعالى (الآماني) استثناء منقطع أي لا يمكن أن كاذب تلقوها من رؤسائهم فاعتدوها

(وانهم) أى ما هم (الا) قوم (يظنون) فلنا لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل رأى واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد وكلازغ عن الحق بسبب شبهة قامت عنده (فويل) أى وادى جهنم كما رواه الترمذى قال سعيد بن المسيب لو سيرت فيه جبال الدنيا لانماعت من شدة حره وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هوشدة العذاب (للذين يكتبون الكتاب) أى المحرف من التأويلات الزائفة وقوله تعالى (بأيديهم) تأكيده كقولك كتبه بيمنى (ثم يقولون هذا من عند الله ايشتروا به ثمنا قليلا) من الدنيا وهم اليهود وغير واصفة النبي صلى الله عليه وسلم فى التوراة وآية الرجم وغيرها وكتبوها على خلاف ما أنزل الله فكانت صفته صلى الله عليه وسلم فى التوراة أكل العينين ربعة بعد الشعر حسن الوجه فكتبوها طويلا أزرق العينين سبط الشعر وغير آية الرجم بالجلد والتصميم أى تسويد الوجه (فويل لهم عما كتبت أيديهم) من المحرف (وويل لهم عما يكتبون) من الرشا (وقالوا) أى اليهود لما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم النار (لن تمسنا) أى نصيبنا (النار الا أياما معدودة) محصورة قليلة روى أن بعضهم قالوا نعذب بعدد أيام عبادتنا العجل أربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل ألف سنة يوما واحدا ثم ينقطع العذاب بعد سبعة أيام (فان قيل) لم وصف الأيام مع انها جمع بالمفرد (أجيب) بأنها فى معنى الجماعة فتكون مفردات تقدير اولان جمع القلة كما قاله الرضى فى حكم المفرد فى وصف بالمفرد كما هنا ويوصف المفرد به كما فى قوله تعالى نطفة أمشاج وقيل الأمشاج مفرد وعلى هذا فلا إشكال ثم كذبهم الله تعالى بقوله (قل) لهم يا محمد (أتخذتم) حذف منه همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم باظهار الذا ل عند التاء والباقون بالادغام (عند الله عهدا) أى ميثاقا منه بذلك وقوله تعالى (فلن يخاف الله عهده) جواب شرط مقدرا رأى ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخاف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف فى خبر الله تعالى محال (أم تقولون على الله مالا تعلمون) أم امامنة قطعة بمعنى بل أتقولون على التقرير والتقريب وامانة عادلة بهمزة الاستفهام بمعنى أى الامرين كائن على سبيل التبرير للعلم بوقوع أحدهما وقوله تعالى (بلى) اثبات لما شقوه من مساس النار لهم فان بلى وبلى حرفا استدراكا ومعناه - ما ننى الخبر المادى واثبات الخبر المستقبل أى بل تمسكم وتخذون فيها (من كسب سيئة) أى قبيحة (واحاطت به خطيئته) وثرا نافع وحده خطيا ته بالجمع أى استولت عليه وشملت جميع أحواله حتى صار كالمحتاط بها لا يخلو عنها شئ من جوانبه وهذا الغما يصح فى شأن الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى نصديق قلبه واقرار لسانه لم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وقيل السيئة الكبيرة والاحاطة أن يصير عليها لان من أذنب ذنبا ولم يقطع عنه استجره الى معاودة مثله والانه مالك فيه وارث مكاب ما هو أكبر منه حتى تستولى عليه الذنوب وتأخذ بجماع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصى مستمسكا ياها معتقدا أن لا تقسوا اها مفضلا من ينعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين أساؤا السواى أن كذبوا بايات الله الآية والفرق بين السيئة

والخطيئة ان السيئة قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانهم امن
الخطا والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على التمسك كقوله تعالى فبشرم بعد ذاب اليم
(فأولئك أصحاب النار) أى ملازموها فى الآخرة كما أنهم ملازموا أسبابها فى الدنيا
(هم فيها خالدون) أى دأءون ووعى فيه معنى من والآية كما ترى لاجته فيها على خلود صاحب
الكبيرة لانهم فى الكافر كما مر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها
خالدون) جرت عادته سبحانه وتعالى على أن يشفع وعده بوعيده لترجى رحمة ويخشى عذابه
* (تنبيه) * عطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه (و) اذكر (اذ أخذنا ميثاق
بنى اسرائيل) فى التوراة وقلنا لهم (لا تعبدون الا الله) هذا اخبار فى معنى النهى كقوله تعالى
ولا يضار كاتب ولا شهيد وهو أبلغ من صريح النهى لما فيه من ايهام ان المنهى مسارع الى
الانتهاء فهو مخبر عنه وقرأ ابن كثير وحجة والكسافى بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على
الخطاب (وبالوالدين احسانا) أى برآيهما وعطف عليهما ونزولا عند أمرهما فيما لا يخالف
أمر الله تعالى قال البيضاوى وهذا متعلق بضمير تقديره وتحسنون أو أحسنوا انتهى ويلزمه
ان احسانا فى الآيات منصوص على المصدر المؤكد لعماله المحذوف مع ان حذف عامل المؤكد
ممنوع أو نادر وقوله تعالى (وذى القربى) أى القرابة (واليتامى والمساكين) عطف على
الوالدين ويتامى جمع يتيم وهو الطفل الذى لا أب له كنديم وندامى وهو قليل ومساكين مفعول
من السكون كان الفقر أسكنه (وقولوا للناس حسنا) من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
والصدق فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم والرفق بهم وقيل هو اللين فى القول والمعاشرة بحسن
الخلق وقرأ حمزة والكسافى بفتح الحاء والسين والباقون بضم الحاء وسكون السين مصدر
وصف به مبالغة (وأقيموا الصلاة واتوا الزكاة) قال البيضاوى يريد أى الله بهما ما فرض عليهما
فى ملتهم (ثم توبيتم) فى هذا التفات عن الغيبة قال البيضاوى ولعل الخطاب مع الموجودين
منهم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب أى أعرضت عن الميثاق
ورفضتموه (الأقليلا منكم) أى وهو من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن أسلم منهم
(وأنتم) قوم (معرضون) أى عادةكم الاعراض عن المواثيق والتولية كأعراض آبائكم
(و) اذكروا (اذ أخذنا ميثاقكم) وقلنا (لا تسفكون دماءكم) أى تريقونها بقتل بعضكم بعضا
(ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أى لا يخرج بعضكم بعضا من داره وانما جعل غير الرجل
نفسه لاتصاله به نسباً وديناً وقيل لاتفعلوا ما يردىكم ويصرفكم عن الحياة الابدية فانه القتل
فى الحقيقة ولا تقتربوا ما تمنعون به عن الجنة التى هى داركم فانه الجلاء الحقيقى (ثم أقررتم)
بهذا العهد أنه حق وقبلتم (وأنتم تشهدون) على أنفسكم هذا توكيد كقولك أقرفلان شاهدا
على نفسه وقيل أنتم أيها الموجودون تشهدون على اقرار أسلافكم فيكون اسناد الاقرار
اليهم مجازا (ثم أنتم) يا هؤلاء تقتلون أنفسكم) فيه استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار
والشهادة عليه أى ثم بعد ذلك يقتل بعضكم بعضا (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم

(قظاهرون) قرأ عاصم وحزرة والكسائي بتخفيف الظاء والباقون بتشديد هاء أي تتعاونون
 (عليهم بالاثم) أي المعصية (والعدوان) أي الظلم (وان يأتوكم أسارى) قرأ حمزة بفتح
 الهمزة وسكون السين ولا ألف بعد السين والباقون بضم الهمزة وفتح السين والف بعدها
 (تقدوهم) قرأ عاصم والكسائي بضم التاء وفتح القاء وألف بعدها والباقون بفتح
 القاء وسكون القاء ولا ألف بعدها أي تنفذوهم من الأسر بالمال أو غيره وقوله تعالى (وهو)
 أي الشأن (محترم عليكم أخراجهم) متعلق بقوله تعالى وتخرجون فريقتان منكم من ديارهم
 وما بينهما اعتراض ومعنى الآية قال السدي إن الله أخذ على بني إسرائيل في التوراة
 أن لا يقتل بعضهم بعضاً ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم وترك المظاهرة عليهم مع أعدائهم
 وأعيانهم وأمة رجدة وفي بني إسرائيل فاشترى عاقام من غنمه وأعتقه و كانت قريظة
 حالنوا الأوس وحالقت النضير الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه ويخرب ديارهم
 ويخرجهم فإذا أسروا قدوهم وكانوا إذا استلوا مقاتلتهم وتقذوهم قالوا أمرنا بالفداء
 فيقال فلم تقاتلوهم فيقولون حياء أن يستذل حلفاؤنا فغيرهم الله تعالى بقوله (أقتومنون
 ببعض الكتاب) وهو الفداء (وتكفرون ببعض) وهو ترك القتل والإخراج والمظاهرة
 (فأجزاء من يفعل ذلك منكم الأخرى) أي هوان وعذاب (في الحياة الدنيا) فكان خزي
 قريظة القتل والسبي وخزي بني النضير الجلاء والنفي عن منازلهم إلى أذرعات وأريحا من
 الشام (ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب) أي عذاب جهنم وانما رد من فعل منهم ذلك إلى
 أشد العذاب لأن حصانه أشد (وما الله بغافل عما تعملون) قرأ نافع وابن كثير وشعبة بالياء
 على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب (أولئك الذين اشتروا) أي استبدلوا (الحياة الدنيا
 بالآخرة) بأن أثروها عليها (فلا يخفف عنهم العذاب) في الدنيا بقصان الجزية والتعذيب
 في الآخرة (ولا هم ينصرون) أي يدفعها عنهم (ولقد آتينا) أي أعطينا (موسى الكتاب) أي
 التوراة بجملة واحدة (وقفينامن بعده بالرسول) أي أتبعناهم رسولا في أثر رسول كقوله تعالى
 ثم أرسلنا رسلا تترى يقال قفاه إذا تبعه آياه (وآتيناعيسى بن مريم البينات) أي المعجزات
 الواضحات كحيا الموقى وإبراء الأكمه والأبرص والأخبار بالمغيبات أو الانجيل وعيسى
 بالعبرانية إيشوع ومريم بمعنى الخادم (وأيدناه) أي قويناه (بروح القدس) قرأ ابن كثير
 بأسكان الدال حيث جاء والباقون بضمها وهذا من إضافة الموصوف إلى الصفة أي الروح
 المقدسة وهو جبريل وصف به لطهارته وتأيد به أن أمر أن يسير معه حيث سار حتى يصعبه
 إلى السماء وقيل روح عيسى عليه الصلاة والسلام ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان
 أولانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامت أي الخبيض وقيل اسم الله الاعظم الذي كان
 يحيى به الموقى ولما سمعت اليهود ذكر عيسى عليه الصلاة والسلام قالوا يا محمد لا مثل عيسى
 كما تزعم عمت ولا كما تنقص علينا من الانبياء فعلت فأتينا بما أتى به عيسى ان كنت صادقاً فقال الله
 تعالى (أفكاه آباءكم) يامعشر اليهود (رسول بما لا تهوى) أي تحب (أنفسكم) من الحق

وقوله تعالى (استكبرتم) أى تكبرتم عن اتباعه جواب كلاً وهو محل الاستفهام والمراد به التوبيخ
 (ففريقاً) أى طائفة (كذبتم) كوى وعيسى عليهما الصلاة والسلام والفاو السببية الاستكبار
 للتكذيب أو التذليل (وفريقاً يقتلون) كزكريا ويحيى عليهما السلام (فان قيل) هلا قال وفريقاً
 قتلتم (أجيب) بأنه انما ذكر بلفظ المنارع على حكاية الحال الماضية استحضار الهاء فى النفوس
 فان الامر قطيع ومراعاة للقواصل قال الزمخشري وأوان يراد وفريقاً يقتلونهم بعد أى
 الآن لانكم درتم حول قتل محمد لولا انى أعصمه منكم ولذلك هصرتموه وسعتم له الشاة وقال
 صلى الله عليه وسلم عند موته ما زالت أكلة خيبر تعاودنى فهذا أوان قطعت أبهرى (وقالوا) للنبي
 صلى الله عليه وسلم استهزاء (قلوبنا غلف) جمع أغلف أى مغشاة بأغطية لا يتوصل اليها ما جئت به
 ولا تفقههم مستعار من الأغلف الذى لم يحتن كقواهم قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وقيل أصل
 غلف بالسكون غلف بالضم فحذف والمعنى انها أوعية العلم لا تسمع علماً الا وعته ولا تبنى ما تقول
 أى فيما تقوله ليس يعلم أو نحن مستغنون بما فيها عن غيره ثم رداً لله تعالى عليهم أن تغفون
 قلوبهم كذلك بقوله تعالى (بل) للاضراب (لغفهم الله بكفرهم) أى بسبب كفرهم والمعنى انها
 خلقت على الفطرة والافكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فأبطل استعدادهم
 كما قال تعالى فأصمهم وأعمى أبصارهم وأوهم كفرة ملعونون فمن أين لهم دعوى العلم والاستغناء
 عنك (قليل ما يؤمنون) ما يزيد لتأ كيد القلة أى ايمانهم ايمان قليل جداً وهو ايمانهم
 ببعض الكتاب وقيل أراد بالقلة العدم (ولما جاءهم كتاب من عند الله) هو القرآن (صدق
 لما معهم) من كتابهم وهو التوراة لا يخالفه (وكانوا) أى اليهود (من قبل) أى من قبل مجيئه
 (يستفصون) أى يستنصرون (على الذين كفروا) أى مشركى العرب اذا قابلوهم يقولون
 اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد صفته ونعته فى التوراة ويقولون
 لاعدائهم من المشركين قد أظلم زمان نبي يخرج بصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم
 (فلما جاءهم) أى اليهود (ما عرفوا) من الحق وهو بعثة النبي صلى الله عليه وسلم (كفروا به)
 حسداً أو خوفاً على الرياسة وجواب لما الاول دل عليه جواب لما الثانية (فلعنة الله) أى
 عذابه وطرده (على الكافرين) أى عليهم وانما أتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم
 فتكون اللام للعهد ويجوز أن تكون للعموم ويدخلون فيه دخولا أولياً أو قصدياً لانهم
 المقصودون بالذات وتناول الكلام لغيرهم على سبيل التبعية وكما اذا ظلمك انسان فقلت
 ألعنة الله على الظالمين كان ذلك الظالم أولياً أو مقصوداً فى الدعاء والباقون تبعاً (بئس
 ما اشتروا) أى باعوا (به أنفسهم) أى حفظها من الثواب وما نكرة بمعنى شيئاً حمزة لفاعل بئس
 المستكن أى بئس الشيء شيئاً اشتروا به أنفسهم والمخصوص بالذم (أن يكفروا) أى كفرهم
 (بما أنزل الله) من القرآن (بغياً) أى حسداً وطلباً لما ليس لهم وهو علة يكفروا كما قال
 البيضاوى دون اشتروا وان قاله الزمخشري لفصل المخصوص بين بغيا الذى هو العلة وبين
 المعلول وهو اشتروا وحسدهم على (أن ينزل الله من فضله) أى الوحي (على من يشاء) للرسالة

(من عباده) وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وسكون نون ينزل وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي (فبأوا) أي رجعوا (بغضب على غضب) أي مع غضب واختلف في معنى ذلك فقال ابن عباس ومجاهد الغضب الأول بتضييعهم التوراة وتبديلهم والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال السدي الأول كفرهم بعبادة المجل والثاني الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال قتادة الأول بكفرهم بعيسى والانجيل والثاني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وللكافرين عذاب مهين) أي ذوا هانة بخلاف عذاب العاصي فإنه طهرة لذنوبه (واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله) من القرآن وغيره فيم سائر الكتب المنزلة (قالوا نؤمن بما أنزل علينا) أي التوراة يكفيننا ذلك (ويكفرون) الواو للحال (بما ورأه) أي بما سواه من الكتب كقوله تعالى فمن ابتغى وراء ذلك أي سواه وقال أبو عبيدة بما بعده أي من القرآن وقوله تعالى (وهو) أي ما ورأه (الحق) حال وقوله (مصدقاً لما معهم) أي من التوراة حال ثانية مؤكدة تتضمن رد مقالهم فإنهم كفروا بما وافق التوراة فقد كفروا بها ثم اعترض الله تعالى عليهم بقتل الأنبياء مع ادعاء الإيمان بالتوراة بقوله تعالى (قل) لهم يا محمد (فلم تقتلون) أي قتلتم (أنبياء الله من قبل أن كنتم مؤمنين) بالتوراة والتوراة لا تسوغه بل نهيتهم فيها عن قتلهم والخطاب للموجودين في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم بما فعل آبائهم لرضاهم به وعزمهم عليه قرأ نافع وحده أنبياء الله بالهمز في كل القرآن والباقون بالبدل وليس لورش الا المت فقط لانه متصل (ولقد جاءكم موسى بالبينات) أي الآيات التسع في قوله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات كالعصا واليد وقلق البحر) ثم اتخذتم الجبل أي الها (من بعده) أي من بعد ذهابه الى الميقات وقوله تعالى (وأنتم ظالمون) أي بالتخالف حال أي اتخذتم الجبل ظالمين بعبادته أو بالاخلاق بآيات الله أو اعتراض أي وأنتم عادة لكم الظلم (واذا أخذنا منكم) على العمل بما في التوراة (وقد رفعا فوقكم الطور) أي الجبل حين امتنعتم من قبولها ليسقط عليكم وقلنا (خذوا ما آتيناكم بقوة) أي بجهد واجتهاد (واسمعوا) ما قومرون به بسمع قبول (قالوا سمعنا) قولك (وبصينا) أمرك وقيل سمعنا بالآذان وحصينا بالقلوب قال أهل المعاني انهم لم يقولوا هذا بالسنتهم ولكن لما سمعوا بالآذان وتلقوه بالعصيان نسب ذلك الى القول اتساعا (وأشربوا في قلوبهم الجبل) أي خالط حبه قلوبهم كما يتدخل الشراب احماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشرب كقوله تعالى انما يأكلون في بطونهم نارا (فائدة) قال البغوي في القصص ان موسى عليه السلام أمر أن ييرد الجبل بالمبرد ثم يذر في النهر وأمر بالشرب منه فمن بقي في قلبه شيء من حب الجبل ظهرت سحابة الذهب على شاربته (بكفرهم) أي بسبب كفرهم وذلك انهم كانوا مجسمين أو حلولية ولم يروا جسماً أعجب منه فقد كن من قلوبهم ما قول لهم السامري (قل) لهم يا محمد (بسم) أي شيئاً (يا أمركم به إيمانكم) بالتوراة عبادة الجبل وإضافة الامر الى إيمانهم تهكم كما قال قوم شعيب أصلو انك تأمرنا وكذلك إضافة الايمان اليهم في قوله تعالى (ان كنتم مؤمنين) بعبادة الجبل (قل) لهم (ان

كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة) أى خاصة (من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين) فى قولكم وذلك ان اليهود ادعوا دعوى باطلة مثل قولهم لن تمسنا النار الا أياما
معدودة ولن يدخل الجنة الامن كان هوذا وقولهم نحن أبناء الله وأحباءؤه فكذبهم الله عز وجل
والزمهم الحجة فقال قل لهم يا محمد ذلك لان من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق اليها وتغنى سرعة
الوصول الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روى عن المبشرين بالجنة رضى الله
تعالى عنهم فقد كان على رضى الله تعالى عنه يطوف بين الصقيين فى غلالة فقال له ابنه الحسن
ما هكذا نرى المحاربين فقال له يا بنى لا يسالى أبوك على الموت سقط أم عليه سقط الموت وعن
حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب أى الموت جاء على فاقة أى وقت حاجتى اليه
وقيل بل أراد بالحبيب لقاء الله لا أفلح من ندم يعنى على التقي أراد به أنه كان يتمنى الموت وما ندم
على التقي حين جاء الموت وقال عمار بصفين الآن الاقيا الاحبة محمدًا وحزبه وكان كل واحد من
العشرة يحب الموت ويحن اليه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لو تمنوا الموت لغص كل انسان منهم - بم طريقة فبات مكانه وما بقى على وجه الارض يهودى
الامات * (تنبيه) * خالصة نصيبها على الحال من الدار ومن الضمير فى خبر كان العائد الى الدار
وتعلق بتمنوا الشرطان على ان الاول قيد فى الثانى (ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم - م) من
موجبات النار من الكفر بعمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به وتحريف كتاب الله وسائر أنواع
الكفر والعصيان ولما كانت البدع العاملة مختصة بالانسان آله لقدرته به عاملة صنائعه
ومنها أكثر منافعه عبرهم بآعن النفس تارة كما هذا وعن القدرة أخرى كما فى قوله تعالى يد الله
فوق أيديهم وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان أخبر به كقوله تعالى ولن تفعلوا (فان قلت)
من أعلمك أنهم لم يتمنوا (أجيب) بأنهم لو تمنوا النقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكن نأقلوه من
أهل الكتاب وغيرهم من أولى المطاعن فى الاسلام أكثر من الذر وليس أحد منهم نقل ذلك
(فان قيل) التقي من أعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه أحد فمن أين علمت أنهم لم يتمنوا
(أجيب) بأن التقي ليس من أعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليتلى كذا فاذا قاله
قالوا تقي وليت كلمة تمن ومحال أن يقع التصديق بما فى الضمائر والقلوب ولو كان التقي بالقلوب
وتمنوا قالوا قد تمنينا الموت فى قلوبنا ولم ينقل أنهم قالوا ذلك (فان قيل) لم يقولوه لانهم علموا أنهم
لا يصدقون (أجيب) بأنه كم حكى عنهم من أشياء قالوا بها المسلمون من الاقتراء على الله
وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا أنهم غير مصدقين فيه ولا محمل له الا الكذب الصريح
ولم يألوا فكيف يمنعون من أن يقولوا ان التقي من أفعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال أن
يكونوا صادقين فى قولهم واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق
مع احتمال أن يكون كاذبا لانه أمر خفى لا سبيل الى الاطلاع عليه (والله اعلم بالظالمين) أى
الكافرين فيجازيهم فى ذلك فيه تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون فى دعوى ما ليس لهم وتنبيه
عن هولهم (ولتصدنهم) اللام لام القسم والنون تأكيد القسم تقديره والله لتجذبهم يا محمد

أى اليهود (أحرص الناس على حياة) هو من وجد معنى علم المتعدى الى مفعولين ومفعولاه
 هم أحرص (فان قيل) لم قال على حياة بالتنكير (أجيب) بأنه أريد حياة مخصوصة هي فرد
 من افرادها وهي الحياة المتطاوله (و) أحرص (من الذين أشركوا) أى المنكرين بالبعث عليها
 لعلمهم بأن مصيرهم الناردون المشركين لانكارهم له (فان قيل) ألم يدخل الذين أشركوا تحت
 الناس (أجيب) بيلي ولكنهم أفردوا بالذكر لان حرصهم شديد وفيه توبيخ عظيم لان الذين أشركوا
 لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم - ثم فاذا زاد
 عليهم فى الحرص من له كتاب وهو معتز بالحزاء كان حقيقاً بأعظم التوبيخ (يودى) تنى (أحدهم
 لوي عمر ألف سنة) لو مصدرية بمعنى أن وهي بصلتها فى تأويل مصدر مفعول يودى يقول الله تعالى
 اليهود أحرص الناس على الحياة من الجحوس الذين يقولون ذلك لان تحية الجحوس فيما بينهم
 عش ألف سنة (وما هو) أى أحدهم (عز حزه) أى مبعده (من العذاب) أى النار وقوله تعالى
 (أن يعمر) فاعل من حزه أى تعميره (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم به - وسأل عبد الله بن
 صور يارسول الله صلى الله عليه وسلم عن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذلك عدو ناعادانا صرارا
 وأشدّها انه لما نزل على نبينا أخبرنا أن بيت المقدس سيخربه بمحتصر وأخبرنا بالحين الذى
 يحبى فيه فلما كان وقته بعثنا رجلا من بنى اسرائيل فى طلبه ليقتله فانطلق حتى لقيه بابل غلاما
 مسكينا فأخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم أمره به لا ككم فلا يسلطكم عليه
 والافهم تقتلون وكبر بمحتصر وقوى فنزل (قل) لهم (من كان عدوا لجبريل) روى انه كان
 لعمر رضى الله تعالى عنه أرض بأعلى المدينة وكان عمره على مدارس اليهود وكان يجلس اليهم
 ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد أحبيناك واننا لنطمع فيك فقال والله ما أحبكم لحبكم
 ولا أسألكم لاني شاك فى ديني وانما أدخل عليكم لازداد بصيرة فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم
 وأرى آثاره فى كتابكم ثم سأله - عن جبريل فقالوا ذلك عدو لنا يطلع محمدا على اسرارنا وانه
 صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام أى السلامة فقال عمر
 وما منزلت ما من الله قالوا جبريل عن عيینه وميكائيل عن يساره وبينهم ما عداوة فقال لئن كان
 كما تقولون فليسابع - دوين أى لقرب منزلت ما عند الله ولا ثم أكفر من الجبر أى لان الكفر
 نتيجة الجهل والبلادة والحارم مثل فيما ومن كان عدوا أحدهما فهو عدو الله تعالى ثم رجع
 فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وقال عليه الصلاة
 والسلام اقدوافك ربك يا عمر قال عمر لقد رأيتنى فى دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر وقال
 مقاتل قالت اليهود ان جبريل عدو لانه أمر أن يجعل النبوة فينا فجعلها فى غيرنا ومعنى
 جبريل عبد الله فخير هو الله وايل هو العبد وقرأ حمزة والكسائي بفتح الجيم والراء وهمزة بعد الراء
 مكسورة مدودة أى بعد هايا لفظية وقرأ شعبة كذلك الا انه حذف الباء بعد الهمزة وكسر الراء
 والباقون بكسر الجيم والراء من غير همزة بعد الراء الا أن ابن كثير فتح الجيم ومنع الصرف فيه
 للتعريف والجمعة (فانه) أى جبريل (نزه) أى القرآن ونحو هذا الاضمار أعنى اضمارا لا

قوله وكسر الراء كذا فى الأصول التى يابى شيا والصواب حذفه اه مطبوعة

يسبق ذكره فيه غفامة لشأن صاحبه حيث يجعل لقرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفى
عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته (على قلبك) يا محمد وقوله تعالى (ياذن الله) أى بأمره حال
من فاعل نزل (مصدقاً) أى موافقاً (لما بين يديه) لما قبله من الكتب (وهدى) من الضلالة
(وبشرى) بالجنة (للمؤمنين) هذه أحوال من مفعول نزل وجواب الشرط فانه نزل
والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف أو كفر بما معه من الكتاب بعبادته اياك
لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتاباً مصداً للكتب المتقدمة فحذف الجواب وأقيم علقته مقامه أو
من عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقبل الجواب محذوف مثل فليت غيظاً وفهو
عدو لى وأنا عدوه كما قال تعالى (من كان عدواً لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال فإن الله
عدو للكافرين) والمراد بعبادة الله مخالفة عباده أو معاداة المقرين من عباده وصدر الكلام
بذكره تعالى تفخيماً لشأنهم كقوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه (فان قيل) لم أفرد
الملكين بالذكر مع دخولهما في الملائكة (أجيب) بأن ذلك لفضلهما فكأنهما من جنس آخر
وهو مما ذكر أن التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وبأن الحاجة كانت فيهما
والواو فيها بمعنى أو بمعنى من كان عدواً واحداً هو لا لآن الكافر بالواحد كافر بالكل وقدم جبريل
لشرفه وقدم الملائكة على الرسل كما قدم الله على الجميع لأن عداوة الرسل بسبب نزول الكتب
ونزولها تنزير للملائكة وتنزيهاً لهم لها بأمر الله فذكر الله ومن بعده على هذا الترتيب قرأ أبو عمرو
وحفص ميكال بغير همز ولا ياء بين الالف واللام وقرأ نافع بهمزة بعد الالف ولا ياء بعد الهمزة
والباقون بهمزة بعد الالف وياه وهم على مراتبهم في المدة ونزل في ابن صور يالم قال للنبي صلى
الله عليه وسلم ما جئتنا بشئ نعرفه وما أنزل عليك من آية أى زائدة فتبعك (ولقد أنزلنا إليك)
يا محمد (آيات بينات) وأصححت مفصلات بالحلال والحرام والحدود والأحكام (وما يكفر بها
الافلاسقون) أى المتردون من الكفرة والفسق إذا استعمل في نوع من المعاصي دل على
أعظميته كأنه متجاوز عن حدته (أو كلما عاهدوا عهداً) الهمزة للانكار والواو للعطف على
محذوف تقديره أكفروا بالآيات وكلما عاهدوا الله عهداً على الإيمان بالنبي أو أن خرج النبي
أن لا يعاونوا عليه المشركين وقوله تعالى (نبذ) أى طرحه (فريق منهم) أى اليهود بنقضه
جواب كلامهم ومحل الاستفهام الانكارى وانما قال فريق لأن بعضهم لم ينقض وقوله تعالى (بل)
للانتقال (أكثرهم لا يؤمنون) رد لما يتوهم أن الفريق هم الاقلون وقوله تعالى (ولما جاءهم رسول
من عند الله) هو محمد صلى الله عليه وسلم (مصدقاً لهم) من التوراة (نبذ فريق من الذين أوتوا
الكتاب كتاب الله) أى التوراة لأن كفرهم بالرسول المصدق لها كفرهم فيما يصدق به ونبذ لما
فيها من وجوب الإيمان بالرسول المؤيد بالآيات وقيل كتاب الله هو القرآن نبذوه بعدما أزمهم
تلقيه بالقبول وقوله تعالى (وراء ظهورهم) أى لم يعملوا بما فيها من الآيات بالرسول وغيره مثل
لا عراضهم عنه بالكلية بالاعراض عما يرمي به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه (كانهم لا يعلمون)
ما فيها من أنه نبي حق أو فيه شك يعنى أن عاينهم بذلك رصين ولكنهم كبروا وعاندوا وعن سفيان

ادرجوه في الدياج والحسري وجاهلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه وقوله تعالى
 (واتبعوا) عطف على نبذ (ماتلوا) أي ماتلت (الشياطين) والعرب تضع المستقبل موضع
 الماضي والماضي موضع المستقبل وقيل ما كانت تتلوا أي تقرأ (على) عهد (ملك سليمان)
 من السحر وكانت دفنته تحت كرسيه لما نزع ملكه فلم يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوه
 وقالوا للناس اغما ملككم سليمان به مذاقة ملوه فأما علماء بني إسرائيل وصلحاؤهم فقالوا معاذ الله
 أن يكون هذا من علم سليمان عليه الصلاة والسلام وأما سقلاؤهم فقالوا هذا علم سليمان
 وأقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب أنبيائهم وبقيت الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم حتى بعث
 الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل الله عليه براءة سليمان هذا قول الكلبي وقال السدي
 كانت الشياطين تسترق السمع فيسمعون كلام الملائكة فيما يكون في الأرض من موت وغيره
 فيأتون الكهنة ويخلطون بما يسمعون في كل كلمة سبعين كذبة ويخبرونهم بها فاكتب الناس
 ذلك وفشا في بني إسرائيل أن الحسن تعلم الغيب فبعث سليمان في الناس وجمع تلك الكتب
 فجعلها في صندوق ودفنها تحت كرسيه وقال لا أجمع أن أحدا يقول إن الشياطين تعلم الغيب
 الا ضربت عنقه فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان ودفنه الكتب
 وخلف من بعدهم خلف غفل شيطان على صورة انسان فأتى نفر من بني إسرائيل فقال هل
 أدلكم على كنز لانا كونه أبدا قالوا نعم قال فاحضروا تحت الكرسى وذهب معهم فأراهم
 المكان وأقام ناحية فقالوا ادن فقال لا ولكن ههنا فان لم تجدوه فاقتلوني وذلك أنه لم يكن
 أحدا من الشياطين يدنو من الكرسى الا احترق فحضروا وأخرجوا تلك الكتب قال الشيطان
 إن سليمان كان يضبط الجن والانس والشياطين والطير بهذا ثم طار الشيطان وفشا في الناس
 أن سليمان كان ساحرا وأخذ بنو إسرائيل تلك الكتب فلذلك أكرم ما يوجد السحر
 في اليهود فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم برأ الله سليمان من ذلك وأنزل تكذيبا لمن زعم ذلك
 واتبعوا ماتلوا الشياطين على ملك سليمان (وما كفر سليمان) أي لم يعمل السحر وعبر عنه
 بالكفر ليدل على أنه كفر اذا استصله واحتج فيه الى تقدم اعتقاد مكفر هذا مذهب الشافعي
 وعند أحد يكفر مطلقا (ولكن الشياطين) هم الذين (كفروا) باستعمال السحر وتدوينه وقرأ
 ابن عامر وحزرة والكسائي بكسر النون من ولكن محققة ورفع نون الشياطين والباقون ينصب
 النون من ولكن مشددة ونصب نون الشياطين (يعلمون الناس السحر) يقصدون به اغواءهم
 واخذالهم والجله حال من ضمير كفروا (تنبيه) السحر لغة صرف الشيء عن وجهه يقال
 ما سحر لك عن كذا أي ما صرفك عنه واصطلاحا من أوله النجوم الخبيثة لا قول وأفعال يترتب
 عليها أمور خارقة للعادة واختلاف فيه هل هو تخيل أو حقيقة قال بالاول المعتزلة واستدلوا
 بقوله تعالى يخيل اليه من سحرهم أنها تسمى وقال بالثاني أهل السنة ويدل لذلك الكتاب والسنة
 العجيبة والساحر قد يأتي بفعل أو قول يتغير به حال المسحور فيمرض أو يموت منه ويفرق به
 بين المرأة وزوجه ويحرم تعليمه أو تعلمه قال امام الحرمين ولا يظهر السحر الا على يد فاسق ولا تظهر

الكرامة على يد فلسف ويحرم أيضا تعليم أو تعلم الكهان فيها التجسيم والضرب بالرمل والجمي
والشعر والشعبذة ويحرم إعطاء العوض أو أخذها عنها بالنص الصريح في حلوان الكاهن
والباقي بعناء والكاهن من يخبر بواسطة النجم عن المغيبات في المستقبل بخلاف العراف فإنه
الذي يخبر عن المغيبات الواقعة كعين السارق ومكان المذروق والضالة قال في الروضة
ولا يغتر بجهالة من يعاطي الرمل وان نسب إلى علم وأما الحديث الصحيح كان من الأنبياء
يخطأ في وافر خطه فذا لثمنه من علم موافقه له فلا بأس ونحن لانعلم الموافقة فلا يجوز لنا
ذلك وقول البيضاوي وأما ما يتوجب منه كما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات كالادوية
أو يريه صاحب خفة اليد في مضموم وتسميته سحرا على التحويل لما فيه من الدقة لانه أي السحر
في الأصل أي اللغة لما خفي سببه مردود بل هو مضموم أي حرام كما صرح به النووي في الروضة
وغيرها وقوله تعالى (وما أنزل على الملوك) عطف على السحر أي ويعلمونهم ما أنزل على الملوك
وقيل عطف على ما لا يرى واتبعوا ما أنزل أي ما لا يعلم من السحر فالانزال بمعنى
الإلهام والتعليم قال البيضاوي وهما ملكان أنزل الله عليهما السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا
بينه وبين المعجزة قال وماروى أي في كتب السير أنهم مأموران بشركين وركب فيهما الشهوة
فتعزضا لامرأة يقال لها زهرة فخلطتا على المعاصي والشرك ثم صعدتا إلى السماء بما تعلت
منهما فعكس عن اليهود ولعله من رموز الأوائل وحده أي الرمز أو ماروى لا يخفى على ذوي
البصائر اه قال شيخنا شيخ الاسلام زكريا بأن يقال عبر عن العقل والنفس المطمئنة بالملكين
وعن النفس الأمارة بالسوء بالزهرة وعن مفارقة الموت بالصعود إلى السماء وقيل هما رجلان
بما ملكين باعتبار صلاحهما وقيل ما أنزل نبي معطوف على ما كفر تكذبا لليهود في هذه
القصة وقد طول البغوي في هذه القصة واعتمد ما رده البيضاوي وقال شيخنا المذكور عن
شيخه ابن حجر أن لها طرقات في العلم بصحتها فقد رواها من فوعة الامام أحمد وابن حبان والبيهقي
وغيرهم وموقوفة على علي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم بأسانيد صحيحة والبيضاوي لما
استبعد ما روى ولم يطلع عليه قال ولعله الخ وقوله تعالى (ييا بلى) ظرف أحوال من الملوك
أو الضمير في أنزل وهي بلاد في سواد العراق وقوله تعالى (هاروت وماروت) بدل أو عطف بيان
للملكين ومنع صرفهما للعلمية والهجوة ومن جعل ما فيها أنزل نافية أبدا هاروت وماروت من
الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض (وما يعلمان) أي الملكان (من أحد) أي أحدا ومن
صلة (حتى) ينصاهم (يقولان) له (انما نحن قسنة) أي ابتلاء من الله تعالى للناس ليمتحنهم بتعليمه
وأصل القسنة الاختبار والامتحان من قواه - م ققت الذهب والفضة اذا أذبتهما بالنار لتمييز الجيد
من الرديء وانما جرد القسنة لانها مصدر والمصدر لا تأتي ولا تجمع (فلا تكفر) بتعليمه أي فلا
تتعمد معتقدا حله فتكفر على ما تقدم فان أبي الاله يعلم علماء قبل انهم يقولان انما نحن قسنة
فلا تكفر سبع مرات قال عطاء والسدي فان أبي الاله يعلم قال لانه انت هذا الرماذ قبل عليه
فيخرج منه نور ساطع في السماء فتلك المعرفة وينزل شيء اسود يشبه الدخان حتى يدخل مسامعه

وذلك غضب الله تعالى وعلى القول بأنهم ما رجلا ن فلا يعلمانه حتى يقول الله انما مفتونان فلا تكن
 مثلهم (فيتعلمون منهما) الضمير لما دل عليه من أحد أي فيتعلم النحاس من الملكين (ما) أي
 سحرا (يفترقون به بين المرء وزوجه) بأن يغض كلامه ما في الاخر بسبب حيلة أو غش كالتفت
 في العقد ويخوذ ذلك مما يحدث الله تعالى عنده القراقاة لئلا يمنه لأن السحر له أثر في نفسه
 ببليلى قوله تعالى (وما هم) أي السحرة (بضارين به) أي السحر (من أحد) أي أحدًا ومن صلة
 (الآبازن الله) أي ارادته لأن الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بارادته تعالى (ويشعلون ما يضرهم)
 في الآخرة (ولا ينفعهم) وهو السحر لأنهم يقصدون به العمل أولًا والعلم يجرى إلى العمل غالبًا
 (ولقد) اللام لام القسم (علموا) أي اليهود (لأن) اللام لام الابتداء علقوا عن العمل ومن
 موصولة (أشترأ) أي استبدل ما تسولوا الشياطين بكتاب الله تعالى (ماله في الآخرة من خلاق)
 أي نصيب في الجنة (ولبس ما) أي شيا (شروا) أي باعوا (به أنفسهم) أي الشارين أي حظها
 من الآخرة أن يتعلموه حيث أوجب لهم النار (لو كانوا يعلمون) حقيقة ما يصيرون اليه من
 العذاب ما تعلموه (وقيل) معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فإن لم يعمل بما علم كان كمن لم يعلم
 (ولو أنهم) أي اليهود (أمنوا) بالنبى والقرآن (واقفوا) عقاب الله بترك معاصيه كنبذ كتاب الله
 تعالى واتباع السحر وجواب لو محذوف أي لا يثبوا دل عليه (لثوبة) أي ثواب وهو مبتدأ
 واللام فيه للقسم وقوله تعالى (من عند الله خير) خبره أي خير مما اشتروا به أنفسهم
 (لو كانوا يعلمون) أن ثواب الله تعالى خير مما آثروه عليه فجهلهم الله تعالى لترك التدبر والعمل بالعلم
 (يا أيها الذين آمنوا اتقوا) للنبى صلى الله عليه وسلم (راعنا) أمر من المراجعة وكانوا يقولون
 ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين وكانت كلمة يتسبون بها
 عبرانية أو سريانية وهو راعنا قالوا فيما بينهم كائن محمد أسرا فأعلنوا به الآن فكانوا يأتون
 ويقولون يا محمد راعنا وهم يعنون به تلك المسبة ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ فظن لها
 وكان يعرف لغتهم فقال لليهود يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتهما
 من أحلمنكم بقولها الرسول الله صلى الله عليه وسلم لا ضربن عنقه فقالوا أولستم تقولونها
 فأمر الله تعالى النهى عن ذلك لئلا يجد اليهود بذلك سبيلا إلى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وأمر وأجما هو في معناها وهو قوله تعالى (وقولوا انظروا) أي انظروا لنا وقيل اسمع منا قاله مجاهد
 وقبل لا تهمل علينا قاله ابن زيد (واسمعوا) ما تؤمرون به سماع قبول لا كسماع اليهود حيث قالوا
 سمعنا وعصينا أو واسمعوا ما أمرتم به بجملة حتى لا ترجعوا إلى ما نهيتهم عنه من قولكم راعنا
 (وللكافرين) أي الذين تنهوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسبوه (عذاب أليم) أي مؤلم وهو
 النار ونزل في تكذيب جمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون أنهم يودون لهم
 الخير (ما يؤذون الذين كفروا من أهل الكتاب) وقوله تعالى (ولا المشركين) أي من العرب عطف
 على أهل الكتاب ومن البيان لأن الذين كفروا جنس تحته نوعان أهل الكتاب والمشركون كقوله
 تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين والمودة محبة الشيء مع غيره ولذلك

تستعمل في كل منهما (أن ينزل عليكم من خبر من ربكم) فسر الخبر بالوحي والمعنى أنهم هم
يحيّدونكم به وما يحبون أن ينزل عليكم من شيء منه وفسر بالعلم والنصرة والمراد به ما يعتم ذلك كما
قاله البيضاوي ومن الأولى مزيدة للتأنيف وتفراق ومن الثانية لا بد من الغاية (والله يحصن برحمته)
أي بنبوته كما قاله على رضي الله عنه ومجاهدا وبالإسلام كما قاله ابن عباس ومقاتل (من يشاء)
ولا يشاء إلا ما تقتضيه الحكمة ولا يجب عليه شيء وليس لأحد عليه حق (والله ذو الفضل) وهو
ابتداء ما أحسنه بلاؤه وقوله تعالى (العظيم) فيه إشعار بأن اتيان النبوة والإسلام من الفضل
العظيم ويدل للأول قوله تعالى أن فضله كان عليك كبيرا ولما طعن السكفاري النسخ وقالوا أن
محمد أيا مراءى محابه بأمر ثم نهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ما يقوله الامن تلقاء نفسه يقول اليوم قولا
ويرجع عنه غدا كما أخبر الله تعالى بقوله وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما
أنت مفتر نزل (ما ننسخ من آية) فبين وجه الحكمة في النسخ بهذه الآية والنسخ في اللغة
شيء أن أحدهما بمعنى التحويل والنقل ومنه نسخ الكتاب وهو أن يحول من كتاب إلى كتاب
فعلى هذا الوجه كل القرآن منسوخ لأنه نسخ من اللوح المحفوظ والثاني بمعنى الرفع يقال
نسخت الشمس الظل أي ذهبت به وأبطلته فعلى هذا يكون بعض القرآن ناسخا وبعضه منسوخا
وهو المراد من الآية وهذا على وجوه أحدها أن ثبت التلاوة وينسخ الحكم كآية الوصية
للأقارب وآية عتة الوفاة بالحوال والثاني أن ترفع التلاوة ويبقى الحكم كآية الرجم والثالث
أن يرفع الحكم والتلاوة كما روى أن قوما من الصحابة قاموا إليه ليقرأوا سورة فلم يذكر وأنها
الابسم الله الرحمن الرحيم ففقدوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال صلى الله عليه وسلم
تلك سورة وقعت تلاوتها وأحكامها رقيلا كانت سورة الأحزاب مثل سورة البقرة فرفع أكثرها
تلاوة وحكمها ثم نسخ الحكم ما يرفع ويقام غيره مقامه كما أن القبلة نسخت من بيت المقدس
إلى الكعبة والوصية للأقارب نسخت بالميراث وعتة الوفاة نسخت من الحول إلى أربعة أشهر
وعشر ومصابة الواحد للعشرة بمسارته للذين قال البغوي والنسخ انما يعترض على الأوامر
والتواهي دون الأخبار اه والنسخ اصطلاحا رفع تعلّق حكم شرعي بدليل شرعي ويفارق
التخصيص بأن التخصيص لا يرد الأعلى متعددا وبأنه غير مشروط بالنص بخلاف النسخ فيه ما
وبأنه يقيد عدم إرادة المخرج في الأصل والنسخ يفيد إرادة المنسوخ في الأصل لكن غير مستقر
وقرأ ابن عامر تنسخ بضم النون الأولى وكسر السين من أنسخ أي تأمر له أو جبريل بنسخها
والباقون بفتح النون والسين وما شرطية جزمة لتنسخ منتصبة به على المفعولية (أو نساها)
أي نوحها فلا نزل حكمها ولا ترفع تلاوتها أو نوحها في اللوح المحفوظ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
بفتح النون الأولى وفتح السين ومزة ساكنة بعد السين ولم يبدل هذه الهمزة أحد من السبعة
وقرأ الباقيون بضم النون وكسر السين ولا همزة بعد السين أي نساها أي نزعها من قلبك وقال ابن
عباس رضي الله تعالى عنهم ما تركها لا تنسخها قال الله تعالى نسوا أنفسهم أي تركوه فتركهم
وجواب الشرط (فأنت بخير منها) أي بما هو أتمع لكم وأسهل عليكم وأكثر لاجركم وإن كان

كلام الله كله خيرا (أو مثلها) في التكليف والثواب والمنفعة وتكون الحكمة في تبديلها بمنزلها
 الاختيار (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) فيقدر على التسخ والالتيان بمثل المنسوخ وبما هو
 خيرا والآية دلت على جواز التسخ وتأخير الانزال إذا لزم الاختصاص ان وما يتضمنها بالامور
 المتغيرة وذلك لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من
 الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر
 قد يضر في غيره واحتجهم بمنع التسخ بلا بدل أو يبدل أثقل ومن منع نسخ الكتاب بالسنة
 فان النسخ هو المأني به بدلا والسنة ليست كذلك قال البيضاوي والكل ضعيف اذ قد
 يكون عدم الحكم والاثقل أصح والتسخ قد يعرف بغيره والسنة مأني به الله واستدل بهذه
 الآية المعترلة على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت من لوازم الحدوث وأجاب أهل السنة
 بأنهم ما من عوارض الامور المتعلقة بها المعنى القائم بالذات القديم لا من عوارض هذا المعنى
 وقوله تعالى (ألم تعلم) هنا وفيما تر خطاب لمنكري التسخ فالهمزة للانكار وقيل خطاب للنبي
 صلى الله عليه وسلم والمراد أمته فالهمزة للتقرير (أن الله له ملك السموات والارض) يفعل
 فيه ما يشاء ويحكم ما يريد فهو مالك الأمور كما ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو أعلم
 بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ وهذا كالدليل على قوله ان الله على كل شيء قدير أو على جواز
 التسخ ولذلك ترك العاطف (وما لكم من دون الله) أي غيره (من ولي) أي ولي يحفظكم ومن
 صلة (ولانصير) ينزع عنكم عذابه وفرق بين الولي والنصير بأن الولي قد يضعف عن النصرة
 والنصير قد يكون أجنبيا عن المنصور فينمى مع عموم وخصوص من وجه ونزل لمسأل أهل
 مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يوسعها لهم وأن يجعل الصفاد بها (أم تريدون أن تسألوا
 رسولكم كما سئل موسى) أي سأله قومه (من قبل) أي من قولهم له أرنا الله جهرة وقيل قالوا له لن
 نؤمن لك حتى تأني بالله والملائكة قبيلا أو اتتنا بكتاب نقرؤه تنزلنا من السماء علينا ونجسر لنا
 أنهارا حتى تتبعك وقال عبد الله بن أمية لن نؤمن لك حتى تأني بكتاب فيه من الله رب العالمين
 الى ابن أمية اعلم اني أرسلت محمد الى الناس وأم امام عادلة للهمزة في ألم تعلم أي ألم تعلموا أنه
 مالك الامور قادر على الاشياء كلها بأمر وينهى كما أراد وتقرحون بالسؤال كما اقترحت
 اليهود على موسى عليه الصلاة والسلام وامام منقطعة والمراد أن يوصيهم بالثقة وترك الاقتراح
 عليه (ومن يبدل الكفر بالايان) أي يأخذ به بترك النظر في الآيات البينات واقتراح
 غيرها (فقد ضل سواء السبيل) أي أخطأ الطريق الحق والسواء في الاصل الوسط وقرأ قالون
 وابن كثير وعاصم باظهار قد عند الصاد حيث جاء وأدغمها الباقيون ونزل في قمر من اليهود قالوا
 لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد لو كنتم على الحق ما هزمت فارجعنا الى ديننا
 فنحن أهدي سبيلا منكم فقال لهم عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت
 الله أن لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت فقالت اليهود أما هذا فقد صبا وقال
 حذيفة وأما أنا فقد رضيت بالله رباً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً وبالاسلام ديناً وبالقرآن

اماما وبالكتب قبله وبالمؤمنين اخوانا ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه بذلك فقال
 أصبتم الخير وأفلحتم ما (ود) أى غنى (كثير من أهل الكتاب) من اليهود (لو يردونكم)
 أى يردوكم بامعشر المؤمنين فلو مصدريه بمعنى ان فان لو تنوب عن ان فى المعنى دون اللفظ (من بعد
 ايمانكم كفارا) مرتدين وقوله (حدا) مفعول له كانا (من عند) أى من تلقا (أنفسهم)
 أى لم يأمرهم الله بذلك وانما جعلتهم عليه أنفسهم الخبيثة (من بعد ما تبين لهم) فى التوراة
 (الحق) فى شأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم (فاعفوا) عنهم أى اتركوهم (واصفحوا) أى أعرضوا
 عنهم فلا تجازوهم وكان هذا قبل آية القتال ولهذا قال تعالى (حتى يأق الله بأمره) فيهم من
 القتال وقد أذن فى قتالهم وضرب الجزية عليهم وروى عن ابن عباس وابن مسعود أن هذا
 منسوخ بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية وابى النسخ جماعة من
 المفسرين والفقهاء واحتجوا بان الله تعالى لم يأمر بالعضو والصفح مطلقا وانما أمر به الى غاية
 وما بعد الغاية يخالف ما قبلها وما هذا سبيله لا يكون من باب النسخ بل يكون الاول قد انقضت
 مدته والاخر يحتاج الى حكم آخر (ان الله على كل شئ قدير) فهو يقدر على الانتقام من الكفار
 وقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) عطف على قوله فاعفوا كأنه تعالى أمرهم بالصبر
 والمخالفة واللبا اليه بالعبادة والبر (وما تقدموا لانفسكم من خير) أى طاعة كصلاة وصدقة
 (تجدوه) أى ثوابه (عند الله) فيجازيكم به (ان الله بما تعملون بصير) لا يضيع عنده عمل عامل
 (وقالوا) أى كثير من أهل الكتاب من اليهود والنصارى (ان يدخل الجنة الامن كان هودا)
 جمع هائد كما تدعو (أو نصارى) قال ذلك يهود المدينة ونصارى نجران لما تناظر وابين يدي
 النبي صلى الله عليه وسلم أى قالت اليهود لن يدخل الجنة الا اليهود ولادين الا دين اليهودية
 وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا النصارى ولادين الا دين النصارى فجمع الله بين القولين ثقة
 بأن السامع يرد الى كل فريق قوله وأما من الالباس لما علم من التعادى بين القريتين وتضليل
 كل واحد منهما صاحبه ونحوه (تلك) أى القولة (أما بينهم) أى شهواتهم الباطلة التى قنوها
 على الله تعالى بغير حق (قل) لهم يا محمد (ها توأبرها نكم) أى يجتكم على اختصاصكم بدخول
 الجنة (ان كنتم صادقين) فى دعواكم اذ كل قول لا دليل عليه فهو غير صحيح وهذا
 متصل بقولهم ان يدخل الجنة الامن كان هودا أو نصارى وتلك أمانهم اعتراض
 وقوله تعالى (بلى) اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة (من أسلم وجهه لله) أى انقاد
 لأمره وخص الوجه لانه أشرف الاعضاء الظاهرة فغيره أولى (وهو محسن) فى عمله وقيل مخلص
 وقيل مؤمن (فله أجره) أى ثواب عمله ثابا (عند ربه) لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب
 من ان كانت شرطية وخبرها ان صك كانت موصولة واقفاء فيها التضمن معنى الشرط فيكون
 الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويصح أن يكون قوله من أسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى
 يدخلها من أسلم فلا يحسن الوقف عليه ويصح أن يكون قوله له أجره عند ربه كلاما معطوفا
 على يدخلها من أسلم (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فى الآخرة وما قدم نصارى نجران

على النبي صلى الله عليه وسلم آتاهم أحبار اليهود قنطرة واحتي ارتفعت أصواتهم فقالت لهم
 اليهود ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لليهود ما أنتم على شيء
 من الدين وكفروا بموسى والتوراة أنزل الله تعالى (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء)
 أي يعتد به وكفروا بعيسى والانجيل (وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) أي يعتد به
 وكفروا بموسى والتوراة (وهم) أي الفريقان (يتلون الكتاب) أي المنزل عليهم وفي كتاب
 اليهود تصديق عيسى وفي كذب النصارى تصديق موسى والجملة حال وأل في الكتاب الجنس أي
 قالوا ذلك وهم من أهل العلم والكتاب (كذلك) أي كما قال هؤلاء (قال الذين لا يعلمون) كعبدة
 الأصنام والمعطلة وهم الذين لا يثبتون الصانع وقوله تعالى (مثل قولهم) بيان لمعنى ذلك أي
 قال كل ذي دين ليسوا على شيء وبخهم الله تعالى على المكابرة والتشبه بالجهال (فان قيل)
 لم وبخهم وقد صدقوا فان كلاً الدينين بعد النسخ ليس بشيء (أجيب) بأنهم لم يقصدوا ذلك وإنما
 قصده كل فريق إبطال دين الآخر من أصله والكفر بنبية وكتابه كما مر مع ان مالم ينسخ حق
 واجب القبول والعمل به * (تنبيه) * اذا وقف حمزة وهشام على شيء فلهما أربعة وجوه
 السكون والروم والادغام والروم معه وسكن حمزة قبل الهمزة بخلاف عن خلاد في الوصل وأدغم
 أبو عمرو والكاف في القاف بخلاف عنه (فالله يحكم بينهم) أي بين الفرق الثلاثة وهم اليهود
 والنصارى والذين لا يعلمون (يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون من أمر الدين فيقسم لكل
 فريق منهم من العقاب الذي استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم أن يكذبهم ويدخلهم النار
 وقرأ أبو عمرو ويحكم بسكون الميم عند الباء والاخفاء بخلاف عنه (ومن أظلم) أي لا أحد أظلم
 (من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) بالصلاة والتسبيح (وسعى في خرابها) بالهدم أو التعطيل
 هذا عام لكل من خرب مسجداً أو سعى في تعطيله وان نزل في أهل الروم الذين خربوا بيت
 المقدس وقد فوافيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير فكان خراباً إلى أن بناء المسلمون في أيام عمر بن
 الخطاب رضي الله تعالى عنه أو في المشركين لما صدوا النبي صلى الله عليه وسلم عام المدينة عن
 البيت (فان قيل) قد قال مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت
 المقدس أو المسجد الحرام (أجيب) بأنه لا يمنع أن يبيح الحكم عام أو ان كان السبب خاصاً كما تقول
 لمن آذى صالِحاً ومن أظلم من آذى الصالحين وكما قال الله تعالى ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه
 الاخفس بن شريق (أو لئلك) أي المانعون (ما كان لهم أن يدخلوها) أي مساجد الله
 (الاخافين) أي على حال التهييب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يطمشوا بهم فضلان
 يستولوا عليها ويخربوها ويمنع النبي صلى الله عليه وسلم لم عنها وقال قتادة لا يوجد نصراني
 في بيت المقدس الا انهم كضربا وأبلغ اليه في العقوبة وروى أنه لا يدخل بيت المقدس أحد من
 النصارى الا متكرام سارقة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجتن بعد هذا العام
 مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقيل ان هذا خبره عن الامراء أي أخيفوهم بالجهاد فلا يدخلها
 أحد آمننا واختلف في جواز دخول الكافر المسجد فجوز أبو حنيفة ومنعه مالك وفرق

الشافعي بين المسجد الحرام وغيره ففتح من الاول وجوز في الثاني بشرط اذن المسلم والحاجة
وغلظ ورش اللام من اظلم بعد الظلم (لهم في الدنيا خزي) أي هو ان بالقتل والسبي والجزية
(ولهم في الآخرة عذاب عظيم) بكفرهم وظلمهم وهو النار ونزل لما عبرت اليه ودالمؤمنين في نسخ
القبلة وقالوا ليست لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هذا وتارة هذا كما قاله عكرمة أوفي صلاة
النسافة على الرحلة في السفر حيثما توجهت به راحلته كما قاله ابن عمر (ولله المشرق والمغرب)
أي ناحيتا الارض أي له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فان منعتم أن تصلوا
في المسجد الحرام والاقصى فقد جعلت لكم الارض كلها مسجدا (فأينما تولوا) وجوهكم أي
جهة وهو الصدر في الصلاة (فتم) أي هناك (وجه الله) أي قبلته كما قاله مجاهد وقال الكلبي فتم
الله يعلم ويرى والوجه صلة كقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه أي الالهو (ان الله واسع) أي
غني يعطي من السعة يسع فضله كل شيء (عليم) بتدبير خلقه ونزل لما قالت اليهود عزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال مشركو العرب الملائكة بنات الله (وقالوا اتخذ الله ولدا)
فقال الله تعالى وذا عليهم (سبحانه) تنزيها له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة القضاء
وقرأ ابن عامر قالوا بغير واو قبل القاف والباقون بالواو قبل القاف (بل له ما في السموات
والارض) سلكا وخلقاً ومن جملة ذلك العزيز والمسيح والملائكة والملكية تنافي الولدية وعبر
بما تغليب المالا على كثرته (كل له قاتنون) أي منقادون كل بما يراهم لا يمتنعون عن مشيئته
وتكوينه وفي ذلك تغليب للعاقل لشرفه والآية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة أوجه الاول
قوله سبحانه والثاني قوله بل له ما في السموات والارض والثالث كل له قاتنون واحتج بها الفقهاء
على أن من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نبي الولد بآيات الملك وذلك يقتضي تنافيهما (بديع
السموات والارض) أي موجد هما لا على مثال سبق وهذا وجه رابع يشعر بفساد ما قالوه
أيضاً لان الولد عنصر الولد المنفصل بانفصال مادته عنه والله سبحانه وتعالى مبدع الاشياء كلها
فاعل على الاطلاق منزّه عن الصفات فلا يكون والداً (واذا قضى أمراً) أي أراد ايجاد شيء
وأصل القضاء اتمام الشيء قولاً كان كقوله تعالى وقضى ربك أوفعلاً كقوله تعالى
فقضاهن سبع سموات وأطلق على تعليق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه
(فأما يقول له ككن فيكون) وهذا مجاز من الكلام وتمثيل وانما المعنى أن ما قضاه
من الامور وأراد كونه فأنما يكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما أن المأمور
المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الابهاء وفيه تقرير لمعنى الابداع
دائماً وهذا وجه خامس يشعر بفساد ما قالوه أيضاً لان اتخاذ الولد عما يكون بأطوار ومهلة
وفعله تعالى مستغن عن ذلك وقرأ ابن عامر بنصب النون من يكون جوا باللامر والباقون
بالرفع على معنى فهو يكون (فان قيل) المهدوم لا يخاطب (أجيب) بأنه لما قدر وجوده
وهو كائن لا محالة كان كالموجود فصع خطابه (وقال الذين لا يعلمون) للنبي صلى الله عليه
وسلم وهم اليهود كما قاله ابن عباس أو النصارى كما قاله مجاهد أو مشركو العرب كما قاله

قتادة وثني عنهم العلم لانهم لم يعملوا به (لولا) أي هلا (يكلمنا الله) كما يكلم الملائكة أو يوحى
 اليها بأنك رسوله (أو تأتي آية) أي علامة مما اقترناه على صدقك (كذلك) أي كما قال هؤلاء
 (قال الذين من قبلهم) من كفار الأمم الماضية لا يبايئهم (مثل قولهم) من التعتت وطلب
 الآيات فقالوا أرنا الله جهرة وهل يستطيع ربك أن ينزل علينا ما نأمن من السماء (تشابهت
 قلوبهم) أي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في الكفر والعناد وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
 (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) الحقائق ولا يعتبرهم شبهة ولا عناد وفيه إشارة إلى أنهم قالوا
 ذلك لاختلاف في الآيات أو لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا (أنا أرسلناك) يا محمد (بالحق)
 أي القرآن كما قاله ابن عباس كما قال تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم أو الاسلام وشراؤه كما قاله
 ابن كيسان قال تعالى وقل جاء الحق (بشيرا) أي مبشرا من أوجب إلى ذلك بالجنة (وتذيرا)
 أي منذرا من لم يجب إليه بالنار أي انما أرسلناك لان تبشر وتذيرا لتجبر الناس على الايمان
 وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم
 على الكفر (ولا تستل عن أصحاب الحليم) أي النار وهم الكفار ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بينت
 وبلغت جهدا في دعوتهم كقوله تعالى فاعلم عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرأ نافع تسأل
 بفتح التاء وسكون اللام على النهي قال عطاء عن ابن عباس وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال ذات يوم ليت شعري ما فعل أبواي فنزلت هذه الآية فنهى عن السؤال عن أحوال
 الكفرة والاهتمام بأعداء الله تعالى لكن الخبر ضعيف والمختار انه نزل في كفار أهل
 الكتاب وقرأ الباقر بضم التاء واللام على النفي أي واست بسؤل عنهم كما قال تعالى فاعلم
 عليك البلاغ وعلينا الحساب (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) أي دينهم
 أي لن ترضى عنك اليهود الا باليهودية ولا النصارى الا بالنصرانية وفي هذا مبالغة في اقتناطه
 صلى الله عليه وسلم عن اسلامهم وذلك انهم كانوا يسألونه الهدنة ويطلبونه انه ان أمهلهم اتبعوه
 فأنزل الله تعالى هذه الآية فانهم اذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته قال
 البضاوي ولعلمهم قالوا مثل ذلك فكي الله تعالى ذلك عنهم ولذلك قال (قل) تعليما للجواب
 (ان هدى الله) الذي هو الاسلام (هو الهدى) أي هو الذي يصح أن يسمى هدى وهو الهدى
 كله ليس وراه هدى وما يدعون إلى اتباعه ما هو بهدى انما هو أهواءه ألا ترى إلى قوله تعالى
 (ولئن) اللام لام القسم (اتبع أهواءهم) أي آراءهم الزائفة التي يدعونك اليها الخطاب معه
 صلى الله عليه وسلم والمراد منه أمته كقوله تعالى لن أشركك ليعبطن علك (بعد الذي جاءك
 من العلم) أي من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة (مالك من الله من ولي) يحفظك
 (ولانصير) بمعنك منه ونزل في جماعة من أهل الكتاب قدموا من الحبشة وأسلموا (الذين آتيناهم
 الكتاب) وهو مبدا (يتلونه حق تلاوته) أي يعرفونه كما أنزل لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه
 من نعم محمد صلى الله عليه وسلم والجملة حال مقدرة وحق نصب على المصدر والخبر (أولئك
 يؤمنون به) أي بكتابتهم دون المحرفين (ومن يكفر به) أي بالكتاب المؤتى بأن يحرفه (فأولئك

هم الخاسرون) لمصيرهم الى النار المؤبدة عليهم * ولما صدر قصة بني اسرائيل بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والخدع عن اضعافها والخوف من الساعة واحوالها في قوله تعالى يا بني اسرائيل اذ كر وانعمت على انعامي التي اناعمت عليكم واوفوا بهدي الخ كرز ذلك بقوله تعالى (يا بني اسرائيل اذ كر وانعمت على انعامي التي اناعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين) أي عالمي زمانهم -
(راقبوا) أي خافوا (يوماً لا يحزى) أي لا تغنى (نفس عن نفس) فيه (شيأ ولا يقبل منها عدل)
أي فداء (ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) أي يمنعون من عذاب الله وختم بالمكسر الكلام معهم مبالغة في النصيح * (تنبيه) * اتفق القراء على قراءة يقبل هنا بالياء على التذكير (و) اذ كر
(اذ ابتلى) أي اختبر (ابراهيم ربه بكلمات) أي بأوامر وفوائده ابتلاه الله العباد ليس يعلم أحوالهم بالابتلاء لانه عالم بهم ولكن ليعلم العباد أحوالهم حتى يعرف بعضهم بعضاً واختلفوا في الكلمات التي ابتلي الله تعالى بها ابراهيم عليه السلام فقال عكرمة عن ابن عباس هي ثلاثون من شرائع الاسلام عشر في براة التابعون العابدون الخ وعشر في الاحزاب اثني المسلمين والمسلمات الخ وعشر في المؤمنين الى قوله والذين هم على صلواتهم يحافظون وفي سأل سائل الى قوله تعالى والذين هم بشهاداتهم قائمون وقال طاوس عن ابن عباس ابتلاه الله تعالى بعشرة أشياء هي الفطرة خمس في الرأس أي الشامل للوجه قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسؤال وفرق الرأس وخمس في الجسد تقليم الاظفار وتنف الابط وحلق العانة والغسلان والاستنجاء بالماء وفي الخبر ان ابراهيم أقول من قص الشارب وأقول من اختن وأقول من قلم الاظفار وأقول من رأى الشيب فلما راه قال يارب ما هذا قال الوفا قال يارب زدني وقاراً وقال قتادة هي مناسك الحج أي فرائضه وسننه كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيره وقال الحسن ابتلاه بالكواكب والقمر والشمس فأحسن فيها النظر وعلم أن ربه دائم لا يزول وبالنار فصبر عليها وبالنحن وبذبح ولده وبالهجرة فصبر عليها وقال مجاهد هي الآيات التي بعد هاهنا في قوله تعالى اني جاعلك للناس اماماً الى آخر القصة وقراً ابن عامر ابراهيم بفتح الهاء وألف بعدها جمع ما في هذه السورة وهي خمسة عشر حرفاً وفي النساء ثلاثة أحرف وهي الاخيرة وفي الانعام الحرف الاخير وفي التوبة الحرفان الاخيران وفي ابراهيم حرف وفي النحل حرفان وفي مريم ثلاثة أحرف وفي العنكبوت حرف وفي الشورى حرف وفي الذاريات حرف وفي النجم حرف وفي الحديد حرف وفي المعجزة الحرف الاول فذلك ثلاثة وثلاثون حرفاً وقرأ ابن ذكوان في البقرة خاصة بالوجهين وابراهيم اسم أعجمي ولذلك كان غير منصرف وهو ابن آزر كما في سورة الانعام وكان مولده بالسوس من أرض الاهواز وقيل بابل وقيل حران ولكن نقله أبوه الى بابل أرض غزوذين كنعان والضعيف في ربه لابراهيم وحسن لتقدمه أفضاوان تأخر توبته لأن الشرط تقدمه لأفضاوان (فأتعن) أي أداهن تامات وقام بهما حق القيام لقوله وابراهيم الذي وفي (قال اني جاعلك للناس اماماً) يقتدى بك في الخير وجاعل من جعل الذي لم يفعلوا لان الامام اسم من يؤتم به وامامة ابراهيم عامة مؤبدة اذ لم يعث من بعده نبي الا كان من ذريته مأموراً

بإتباعه (قال) إبراهيم صلى الله عليه وسلم (ومن ذريتي) أي أولادي اجعل أئمة يقتدى بهم في
الخير (قال) الله تعالى (لا ينال) أي لا يصيب (عهدي) بالامامة (الظالمين) منهم ففي ذلك إجابة إلى
مطلوبه وتنبه على أنه قد يكون من ذرية ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امامة من الله تعالى
وعهدو الظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة والأتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من
الكفر قبل النبوة وأن الفاسق لا يصلح للامامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته
ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلاة وقرأ حقص وحجرة عهدي يسكون الياء وقصها
الباقون ومن سكن الياء أسقطها في الوصل لفظا لالتقاء الساكنين (و) اذكر (اذ جعلنا البيت)
أي الكعبة غاب عليها كالنجم على الثريا وأدغم أبو عمرو وهشام ذال اذ في الجيم وأظهرها
الباقون (مثابة) أي مرجعا (لنفس) من الحجاج والعمار وغيرهم يشوبون اليه من كل جانب
(وأما) أي ما منالهم من الظلم وايداء المشركين والاعارة الواقعة في غيره قال تعالى أولم يروا
اننا جعلنا حرماتنا وآمناء ويتخطف الناس من حولهم كان الجاني يأوي اليه فلا يتعرض له حتى يخرج
وهذا على طريق الحكم لا على وجه الخبر فقط فلا ينافي ذلك الوقوع قال القاضي أبو يعلى وصف
البيت بالامن والمراد جميع الحرم كما قال تعالى هديا بالغ الكعبة والمراد الحرم كله لانه لا يذبح في
الكعبة ولا في المسجد الحرام (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وهذا أمر استحباب ومقامه
الحجر وهو بفتح الحاء والجيم الذي فيه أثر قدميه كان يقوم عليه عند بناء البيت أو عند دعاء الناس
إلى الحج وهو موضعه اليوم روى أنه عليه الصلاة والسلام أخذ بيد عمر فقال هذا مقام إبراهيم
فقال عمر أفلا تتخذ مصلى فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن ابن عباس أنه قال
قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وافقت الله تعالى في ثلاث ووافقني ربي في ثلاث فقلت
يا رسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله تعالى هذه الآية وقلت يا رسول الله يدخل
عليك البر والفاجر لو أمرت أتهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله تعالى آية الحجاب قال وبلغني
معاينة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه فدخلت عليهن وقلت لهن ان اتهيتن أو ليبدلن الله
تعالى لرسوله خيرا منكن فأنزل الله تعالى عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن وفي
الخبر الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ولولا ما سمعنا من أيدي المشركين لأضاءت ما بين
المشرق والمغرب وقيل المراد باتخاذ الخ الامر بركعتي الطواف لما روى جابر أنه عليه الصلاة
والسلام لما فرغ من طوافه عمدا إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام
إبراهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان أرجحهما عدم الوجوب وقيل مقام إبراهيم الحرم
كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى أن يدعى فيها ويتقرب إلى الله تعالى (تنبه) من في
من مقام إبراهيم لتبعض (وقيل) بمعنى في وقيل زائدة وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بفتح الحاء
باقظ الماضي عطف على جعلنا أي واتخذوا الناس من مقام إبراهيم مصلى والباقون بكسر هاء باقظ
الامر (وعهدنا) أي أمرنا (إلى إبراهيم واسماعيل) قيل سمي به لأن إبراهيم كان يدعو الله أن
يرزقه ولدا ويقول اسمع يا ايل و ايل هو الله فلما رزق الولد سماه به (أن) أي بأن (طهرا بيتي)

من الاوثان والانجاس وما لا يليق به أو اخلاصه (لظائفين) حوله (والعاكفين) المقيمين عنده
او المعتكفين فيه (والركع السجود) جمع راكع وساجد وهم المصلون وقرأ نافع وهشام
وحفص يفتح الياء والباقون بالسكون (و) اذكر (اذ قال ابراهيم رب اجعل هذا
أى مكة أو الحرم (بلدا آمنا) أى ذا آمن كقوله تعالى فى عيشة راضية أو آمنا أهله كقول
القائل ليل نائم (وارزق أهله من الثمرات) انما عاب ذلك لانه كان بواد غير ذى زرع وفى
القصص ان الطائف كانت من مداثر الشام باردن فلما دعا ابراهيم هذا الدعاء أمر الله تعالى
جبريل عليه الصلاة والسلام حتى قطعها من أصلها وأدارها حول البيت سبعاً ووضعها
موضعها الآن فمنها أكثر ثمرات مكة وقوله تعالى (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) بدل من
أهله فاس ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه الرزق على الامامة حيث قيده بالمؤمن كما قبضت
به (قال) تعالى (و) أرزق (من كفر) لأن الرزق رحمة دينوية تعم المؤمن والكافر بخلاف
الامامة والتقدم فى الدين (فأمتعه) فى الدنيا بالرزق وقرأ ابن عامر بسكون الميم وتخفيف
التاء والباقون بفتح الميم وتشديد التاء وأما الهزرة بعد الالف فالجميع اتفقوا على نعمها (قليلاً)
أى مدة حياته والكفروا ان لم يكن بسبب التمتع لكنه بسبب تقليده بأن يجعل له مصوراً يجعلون
الدنيا غير متوصل به الى نيل النواب ولذلك عطف عليه (ثم اضطره) أى ألجئه فى الآخرة
(الى عذاب النار) فلا يجد عنها محيصاً (وبئس المصير) أى المرجع والمخسوس بالذم محذوف
وهو العذاب قال مجاهد وجد عند المقام أنا لله ذوبكة أى صاحبها صنعت يوم خلقت الشمس
والقمر وحرمتها يوم خلقت السموات والارض وحففتها بسبعة املاك حنفاء يأتونها رزقها
مباركة لاهلها فى اللحم والماء (و) اذكر (اذ يرفع ابراهيم القواعد) أى الاسس والهدر
(من البيت) حكاية حال ماضية كأنه قال اذكر ان يرفع (فان قلت) وأى فرق بين العبارتين
(أجيب) بأن فى ابهام القواعد ونبينها بعد الابهام ما ليس فى اضافتها لما فى الايضاح بعد
الابهام من تفخيم شأن المبين وقوله تعالى (واسمعيل) عطف على ابراهيم بقولان (يا ربنا
اقبل منا) بناءنا (أنا أنت السميع) للقول فتسمع دعاءنا (العليم) بالفعل فتعلم بنياتنا روت الرواة
ان الله تعالى خلق موضع البيت قبل الارض بالنبي عام فكانت زبدية يضاء على الماء فدحيت
الارض من تحتها فلما أهبط الله تعالى آدم الى الارض استوحش فشكا الى الله تعالى فانزل
الله تعالى البيت المعمور من ياقوته من يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر باب شرقي وباب
غربي فوضعه على موضع البيت وقال يا آدم انى أهبط لك بيتاً تطوف به كما يطاف حول عرشي
وتصلى عنده كما يصلى حول عرشي وأنزل الحجر الاسود وكان أبيض فاسود من لمس الحيفض فى
الجاهلية فتوجه آدم من أرض الهند الى مكة ماشياً وقيض الله تعالى له ملكاً يده
على البيت فحج البيت وأقام المناسك قال ابن عباس حج آدم أربعين حجة من الهند الى مكة
على رجله فكان على ذلك الى أيام الطوفان فرفعه الله تعالى الى السماء الرابعة يدخله كل
يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون اليه وبعث جبريل حتى خبأ الحجر الاسود فى

جبل أبي قبيس صيانة له من الفرق فكان موضع البيت خاليا الى زمن ابراهيم ثم ان الله تعالى امر
 ابراهيم بعدما ولد له اسمعيل واسحق ببناء بيت يذكر فيه اسمه تعالى فسأل الله عز وجل أن يبين له
 موضعه قال ابن عباس فبعث الله له سهابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وابراهيم يمشي في ظلها
 الى ان وافق به مكة ووقفت على موضع البيت فنودي منها ابراهيم أن ابن علي ظلها ولا ترد
 ولا تنقص وقيل أرسل الله تعالى جبريل ليده على موضع البيت فذلك قوله تعالى واذبوا أنا
 لابراهيم مكان البيت فبنى ابراهيم واسماعيل البيت فكان ابراهيم يبنيه واسماعيل يناوله الحجارة
 ولما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كأنا يئتيان في طرفين أرعى التساوب قال
 ابن عباس بنى البيت من خمسة أجبل طور سيناء وطور زيتا وابنان وهو جبل بالشأم
 والهودى وهو جبل بالجزيرة وبنياقواء ومن جبل حرا وهو جبل بمكة فلما انتهى ابراهيم الى
 موضع الحجر الاسود قال لاسماعيل ائتني بحجر حسن يكون للناس علما فأتاه بحجر فقال ائتني
 بأحسن من هذا فغضى اسمعيل بطلبه فصاح أبو قبيس يا ابراهيم ان لك عندي ودعة فخذها
 فأخذ الحجر الاسود فوضعه مكانه وقيل أقول من بنى الكعبة آدم ثم اندرس من الطوفان ثم
 أظهره الله تعالى لابراهيم حتى بناه وقيل بنه الملائكة قبل آدم وقد بنى الى يومنا هذا سبع مرات
 المرة الاولى هل كان الباني الملائكة أو آدم ثم ابراهيم ثم العماقة ثم جرهم ثم قريش وقد
 حضر النبي صلى الله عليه وسلم هذا البناء وكان ينقل معهم الحجارة ثم ابن الزبير في خلافته
 ثم الحجاج الثقفي وهو الموجد اليوم (ربنا واجعلنا مسلمين) أى منقادين مخلصين خاضعين
(لك) والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان (و) اجعل (من ذريتنا) أى أولادنا (أمة)
(أى جماعة) (مسلمة) خاضعة منقادة (لك) ومن للتبعية أى واجعل بعض ذريتنا وانما خصا
الذرية بالدعاء لانهم أحق بالشقة ولأن أولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم الاتباع الا ترى أن
المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسبون لسداد من وراءهم وخصا
بعضهم لتقدم قوله تعالى لا ينال عهدى الظالمين فعلمنا ان في ذريتهم ما ظلمه وأن الحكمة الالهية
لا تقتضى اتفاق الناس كاهم على الاخلاص والاقبال الكلى على الله تعالى فانه مما يشوش
المعاش ولذلك قيل لولا الحق الذين صرفوا أنفسهم الى الدنيا خربت الدنيا وصح أن تكون
من للتبيين كقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا ومنكم قدم على المدين وفصل به بين العاطف وهو
واو ومن والمعطوف وهو أمة كما في قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وقيل أراد
بالامة أمة محمد صلى الله عليه وسلم (وأرنا) علمنا (مناسكا) شرائع ديننا واعلام حجتنا والفلك في
الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن المعتاد كالصيد والتمتع باللباس
وغیره والناسك العابد فأجاب الله تعالى دعاءهما وبعث لهما جبريل عليه السلام فأراهما
المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال عرفت يا ابراهيم قال نعم فسمى الوقت عرفة والموضع
عرفات وقرأ ابن كثير والسوسي أن بابسكون الراء وقرأ الدوري عن أبي عمرو باختلاس حركة
والراء والباقون بالحركة الكاملة (وتب علينا) سأله التوبة مع عصمتها هضمنا لانفسهم ما

وارشاد الذريتهما وأول سلف منهما هو قبل النبوة (أنك أنت التواب) لمن تاب (الرحيم) به
 (ربنا وابعث فيهم) أي الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل (وسولاً منهم) أي من أنفسهم
 روي أنه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان فبعث الله فيهم محمداً صلى الله عليه وسلم أذل
 يعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم أذل يأتي نبي من ولد إسماعيل إلا النبي صلى الله عليه
 وسلم والكل من ولده حق فهو الحجاب به دعوتهما كما قال عليه الصلاة والسلام اني عند الله
 مكتوب خاتم النبيين وإن آدم لم يجد في طينته وسأخبركم بما قول أمري أنا دعوة أبي إبراهيم
 وبشرى عيسى ورؤي يأتي التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور أضاءت له قصور الشام
 وأراد بدعوة إبراهيم هذا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما سلك كل الأنبياء من بني إسرائيل
الاعشرة نوح وهود وشعيب وصالح ولوط وإبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب
ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين (يتلو) أي يقرأ (عليهم آياتك) القرآن ويبلغهم ما يوحى
 اليه من دلائل التوحيد والنبوة (ويعلمهم الكتاب) أي القرآن (والحكمة) أي ما تكمل به
 نفوسهم من المعارف والأحكام وقال ابن قتيبة هي العلم والعمل ولا يكون الرجل حكيماً حتى
 يجمعهما وقال أبو بكر بن دريد كل كلمة وعظمتك أودعتك إلى مكرمة أو نهيته عن قبيح فهي
 حكمة وقيل هي فهم القرآن وقيل الفقه في الدين وقيل السنة (ويزكيهم) أي يطهرهم من
 الشرك وقيل يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة إذا شهدواهم للأنبياء بالبلغ والتعديل (أنك
 أنت العزيز) الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد وقيل هو الذي لا يوجب دمه مثله وقيل هو المنيع
 الذي لا تتأله الأيدي ولا يصل إليه شيء (الحكيم) في صنعه (ومن) أي لا (يرغب) أحد (عن ملة
 إبراهيم) فيتركها لظهورها ووضوحها (الامن سفة نفسه) أي جهل أنها مخلوقة لله تعالى
 يجب عليه عبادته وذلك أن عبد الله بن سلام دعا بني أخيه سلمة ومهاجراً إلى الإسلام فقال لهما
 قد علمتما أن الله عز وجل قال في التوراة اني باعث من ولد إسماعيل نبياً اسمه أحمد فمن آمن به فقد
 اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبي مهاجر أن يسلم فأُنزل الله تعالى هذه الآية
 قاله البضاوي وغيره قال السيوطي لم أقف على ذلك في شيء من كتب الحديث ولا التفاسير
 المسندة والمثبت مقدم على غيره وقد جاء من عرف نفسه فقد عرف ربه وفي الأخبار أن الله أوحى
 إلى داود عليه الصلاة والسلام اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء واعرفني بالقوة والبقاء وهذا معنى
 من عرف نفسه فقد عرف ربه (ولقد اصطفينا) أي اخترناه (في الدنيا) بالرسالة والخلة
 (وأنه في الآخرة لمن الصالحين) الذين لهم الدرجات العلا وفي هذا جهة وبيان لطعام
 رغب عن ملته لأن من جمع الكرامة عند الله في الدارين وكان مشهوداً له بالاستقامة والصلاح يوم
 القيامة كان حقيقاً بالاتباع لا يرغب عنه إلا سفيه أو متسفيه أذل نفسه بالجهل والأعراض عن
 النظر (تنبيه) قال الحسين بن الفضل في الآية تقديم وتأخير تقديره ولقد اصطفينا في الدنيا
 والآخرة وأنه لمن الصالحين وقوله تعالى (إذا قال له ربه أسلم قال أسلمت لب رب العالمين) أما طرف

لاصطفيناه أى اخترناه فى ذلك الوقت وأما منصوب باضمار اذكر كأنه قال اذكر ذلك الوقت ليعلم
 انه المصطفى الصالح المستحق للإمامة والتقدم وأنه قال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص
 السرحين دعاه ربه فكأنه قال له كما قال عطاء أسلم نفسك الى الله عز وجل وفوض أمرك اليه
 قال أسلمت أى فوضت قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقد حقق ذلك حيث لم يستعن بأحد
 من الملائكة حين ألقى فى النار (ووصى بها) أى بالله المتقدم ذكرها أو بأسلمت على تأويل
 الكلمة أو بالجملة وقيل بكلمة الاخلاص وهى لاله الا الله وقرأ نافع وابن عامر وأوصى بسكون
 الواو والثانية وهمزة مفتوحة بين الواوين والباقون واووين مفتوحتين ولا همزة بينهما وهذا
 أبلغ قال الزجاج لأن أوصى يصدق بالمرء الواحدة ووصى لا يكون الا لمرات كثيرة وأمال
 ورش بين بين وحزرة والكسافى محضة والباقون بالفتح وقوله تعالى (ابراهيم بنيه) قال مقاتل وهم
 أربعة اسمعيل واسحق ومدين وممدان وقد ذكر غير مقاتل انهم ثمانية وقيل أربعة
 عشر (و) وصى بها أيضا (يعقوب) بنيه وهم اثنا عشر روييل وشمعون ولاوا ويهوذا
 ويشئوخور وزبولون وودان ويفتوني وكودا وأوشير وبنيامين ويوسف وصى
 بذلك لانه والعيس كانا توأمين فتقدم عيس فى الخروج من بطن أمته وخرج يعقوب عقبه
 وقوله تعالى (يا أي) على اضممار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين (ان الله
 اصطفى لكم الدين) أى دين الاسلام الذى هو صفوة الاديان لقوله تعالى (فلا تعجلن الا وانتم
 مسلمون) نهى عن ترك الاسلام وأمر بالثبات عليه الى مصادفة الموت وعن الفضيل بن عياض
 انه قال الا وانتم مسلمون أى محسنون بربكم الظن لما روى جابر رضى الله عنه انه قال سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول لا يعوتن أحد الا وهو يحسن الظن بربه
 ولما قالت اليهود والنصارى صلى الله عليه وسلم ألسنت تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية
 نزل (أم كنتم شهداء) جمع شهداء أى ما كنتم حاضرين وقول الاسيوطى لم أقف
 على ذلك فيه مامر (اذ حضر يعقوب الموت) أى حين احتضر وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو
 بتخفيف الهمزة الاولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والباقون بتخفيفهما وقوله تعالى (اذ) بدل
 من اذ قبله (قال ابنه ما تعبدون من بعدى) أى بعد موتى أى أى شئ تعبدونه أراد به
 تقريرهم على التوحيد والاسلام وأخذ ميثاقهم على الثبات فليس الاستفهام على حقيقته قال
 عطاء ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخبره بين الموت والحياة فلما خير يعقوب قال أنظرني حتى
 أسأل ولدى وأوصيهم ففعل الله ذلك به فجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضر أجلى فأتعبدون
 من بعدى (قالوا نعبد الهك واله آبائك) وقوله تعالى (ابراهيم واسماعيل واسحق) عطف بيان
 لآبائك وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة آبائه تغليباً للاب اسحق والجد ابراهيم أولان الم
 أب والخالة أم لا تخراطهما فى سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه الصلاة
 والسلام عم الرجل صنواؤه أى لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوا الخلة وقال فى العباس
 هذا بقية آباءى وقال ردوا على أبي فاني أخشى ان تفعل بي قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن

مسعود وقوله تعالى (الها واحد) بدل من اله آياتك كقوله تعالى بالناسية ناصية كاذبة
وقوله تعالى (ونحن له مسلمون) حال من فاعل نعبداً ومن مفعوله أو منهما أو أم منقطعة وهـ عني
الهمزة فيه للاذكار أي لم يحضروه وقت موته فكيف ينسبون اليه ما لا يليق به أو متصلة
بمحذوف تقديره أكنتم غائبين أم كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين بعني ما شهدتم ذلك
وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي وقوله تعالى (تلك) مبتدأ والاشارة الى الامة
المذكورة التي هي ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون وأنت لتأنيث خبره وهو (أمة قد
خلت) أي سلفت وقوله تعالى (الها ما كسبت) أي من العمل جزاؤه استئناف (واكنتم)
الخطاب لليهود (ما كسبت) والمعنى ان أحد الاينفعه كسب غيره متقدما كان أو متأخرا فكذا
ان أولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك أنتم لا ينفعكم الا ما كسبتم وذلك انهم افتخروا
بأوائهم وفخوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني هاشم لا يأتيك الناس باعمالهم وتأتوني
بانسابكم (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) كما لا يسئلون عن عملكم والجملة تأكيدي لما قبلها
(وقالوا) أي أهل الكتاب (كونوا هودا أو نصارى) أي قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى
كونوا نصارى فأول التفصيل قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم انزلت في رؤسهم ود المدينة
وفي نصارى نجران وذلك انهم خاصوا المسلمين في الدين كل فرقة تزعم أنها أحق بدين فقالت اليهود
نبينا موسى أفضل الانبياء وكتابنا التوراة أفضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفرت بعمسى
والانجيل وبمحمد والقرآن وقالت النصارى نبينا عيسى أفضل الانبياء وكتابنا الانجيل أفضل
الكتب وديننا أفضل الاديان وكفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقال كل من الفريقين
للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك وقوله تعالى (تهتدوا) جواب الامر وهو كونوا قال الله
تعالى (قل) لهم يا محمد (بل) تتبع (ملة ابراهيم) وقال الكسائي هو نصب على الاغراء كأنه يقول
اتبعوا ملة ابراهيم وقيل معناه بل تكون على ملة ابراهيم فحذف على فصار منصوبا وقوله تعالى
(حنيفا) حال من المضاف اليه كقولك رأيت وجهه هندا فاعلمه لكن هذا جرح حقيقة وملة كالبخره
والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق وقوله تعالى (وما كان من المشركين) تعريض
لاهل الكتاب وغيرهم لان كلامهم يدعى اتباع ابراهيم وهو على الشرك (قولوا آمنا بالله)
خطاب للمؤمنين وقول الكشاف ويجوز أن يكون خطبا بالكافرين أي قولوا لتكونوا على
الحق والافانتم على الباطل وكذلك قوله تعالى قل بل ملة ابراهيم يجوز أن يكون على تأويل اتبعوا
ملة ابراهيم أو كونوا أهل ملته يرده قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به (وما أنزل البنا) أي
من القرآن وانما قدم ذكره لانه أول الكتب بالنسبة اليها ولانه سبب للايمان بغيره (وما أنزل
الى ابراهيم) من الصحف العشرة (واسمعي واسحق ويعقوب والاسباط) جمع سبط وهو الحافظ
وكان الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم اسبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد حفدة
يعقوب أو أبناءه وذراعيهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق (فان قيل) الصحف انما أنزلت على
ابراهيم (أجيب) بأنهم لما كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت أحكامها كانت أيضا منزلة

اليهم كما أن القرآن منزل البنا (وما أوتي موسى) من التوراة (و) ما أوتي (عيسى) من
الانجيل (فان قيل) لم أفرد التوراة والانجيل بحكم أبلغ وهو الايتاء لانه أبلغ من الانزال
لكونه مقصودا منه ولم يقل والاسباط وموسى وعيسى (أجيب) بأن أمرهما بالاضافة الى
موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيه - ما فلهذا أفرد بالذكر (وما أوتي) أى أعطى
(التيون) أى المذكورون (من ربهم) من الكتب والآيات وقرأنا فاع بالهمزة والباقون
بالياء ولورش في الهمز المذ والتوسط والقصر (لا فرق بين أحد منهم) كاليهود والنصارى
فمن يؤمن ببعض وينكفر ببعض بل تؤمن بجميعهم (فان قيل) كيف صح اضافة بين الى أحد
وهو فرد (أجيب) بأنه في معنى الجماعة وعمله السعد التفتازانى بأنه اسم لمن يصلح أن يخاطب
يستوى فيه المفرد والمثنى والمجوع والمذكر والمؤنث قال ويشترط أن يكون استعماله مع كلمة
كل أو في كلام غير موجب (وتحمله) أى الله (مسلمون) أى مذعنون أى مخلصون روى عن
أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها
بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم
وقولوا آمنا بالله وما أنزل اليه الآية وقوله تعالى (فان آمنوا) أى اليهود والنصارى (بمثل
ما آمنتم به فقد اهتدوا) من باب التهجيز والتبكي كقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله لآن دس
الحق واحد لا مثل له وهودين الاسلام قال تعالى ومن يتبع غير الاسلام ديننا فلن يقبل منه وأما
ان مثل صلة أى آمنوا بما آمنتم به كقوله تعالى ايس كمثل شئ أى ليس كهوشى وكما في قوله تعالى
وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله أى عليه وقيل الباء صلة كما في قوله تعالى وهزى
اليك بجذع النخلة وقيل معناه فان آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم فقد اهتدوا (وان تولوا) أى
أعرضوا عن الايمان به (فانما هم في شقاق) أى في خلاف ومنازعة معكم يقال شاق مشاقة
اذا خالف كان كل واحد من المتخالفين يحرص على كل ما يشق على صاحبه (فسيكفيكم الله)
يا محمد شقاقتهم في ذلك تسليمة وتسكين للمؤمنين ووعدهم بالحفظ والنصر على من عاداهم وقد
كفاه اياهم بقتل بنى قريظة ونفى بنى النضير وضرب الجزية على اليهود والنصارى وقوله تعالى
(وهو السميع العليم) امان تمام الوعد بمعنى أنه يسمع أقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم
لا محالة وأما وعيد للمعرضين بمعنى أنه يسمع ما يبدون ويعلم ما يحقون وهو معاقبهم عليه ولا مانع
من حل الكلام على الوعد والوعيد معا (صبغة الله) أى دينه الذى فطر الناس عليه بظهور
آثره على صاحبه كالصبغ للشوب أو المشاكلة فان النصارى كانوا اذا ولد لهم ولدوا على سبعة
أيام غمسوه في ماء لهم أصفر يقال له المعمودية ويقولون هو طهرناهم مكان الختان فاذا فعلوا به
ذلك قالوا الآن صار نصرانيا حقا فأمر المسلمون بأن يقولوا اللهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله
بالايمان صبغة لا مثل صبغتكم وطهرنا به طهيرا لا مثل تطهيركم أو يقول المسلمون صبغنا الله
بالايمان صبغة ولا نصبغ صبغتكم وهو مصدر موكدا لا مانع من فعله بقدر أى صبغنا الله
تعالى وقيل نصب على البدل من مله ابراهيم وقيل نصب على الاغراء (ومن) أى لا أحد (أحسن

من الله صبغة) أي لاصبغة أحسن من صبغته أي لادين أحسن من دينه وصبغة تميز وقوله
 تعالى (ونحن له عابدون) عطف على آمنا بالله قال الزمخشري وهذا العطف يراد قول من زعم
 أن صبغة الله بدل من مله إبراهيم أو نصب على الأغراء بمعنى عليكم صبغة الله لمناقضه من فك
 النظم وإخراج الكلام عن التثامه واتساقه واتصافها على أنها مصدر مؤكد وهو الذي ذكره
 سيبويه والقول ما قالت حذام اه نعم إن قدر قولوا في ونحن له عابدون معطوفا على الزموا
 بتقدير الأغراء أو اتبعوا مله إبراهيم بتقدير البدل لم يلزم ما قاله ولما قالت اليهود للمسلمين نحن
 أهل الكتاب الأول وقبلتنا أقدم ولم تكن الأنبياء من العرب لأنهم عبدة الاوثان ولو كان محمد
 نبيا لكان منا لأننا أهل الكتاب نزل (قل) لهم (أتعاجوننا) أي تعباد لوتنا أو تخاصموننا
 (في الله) أي في شأنه أن اصطفى النبي صلى الله عليه وسلم من العرب دونكم ويقولون لو أنزل
 الله على أحد لانزل علينا وترون أنكم أحق بالنبوة منا (وهو ربنا وربكم) نشترك جميعا
 في أتنا عباده وهو يصيب برحمته وكرامته من يشأ من عباده هم فوضى في ذلك لا يختص به عجمي
 دون عربي إذا كان أهلا للكرامة (ولنا أعمالنا) نجازي بها (ولكم أعمالكم) تجازون
 بها أي كما أن لكم أعمالا لا يعتبرها الله في إعطاء الكرامة ومنعها فمن كذلك فالعمل هو أساس
 الأمور به العبرة (ونحن له مخلصون) في الدين والعمل دونكم فنحن أولى بالاصطفاء فلا
 تستبعدوا أن يؤهل أهل إخلاصه لكرامته بالنبوة والهمزة للانكار والجمل الثلاث أحوال
 وقرأ أبو عمرو وبأدغام التون في اللام بخلاف عنه وله فيه الروم والاشعاش وقوله تعالى (أم يقولون)
 قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم وحجة والكسافي بالياء والباقيون بالياء على الغيبة فعلى القراءة
 الثانية أم منقطعة والهمزة للانكار وعلى القراءة الأولى يحتمل أن تكون معادلة للهمزة
 في أتعاجوننا بمعنى أي الأمرين تأتون الحاجة وأدعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء في قولكم
 (إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل) لهم يا محمد (أنتم
 أعلم أم الله) الله أعلم وقد نفي الله تعالى الأمرين عن إبراهيم بقوله تعالى ما كان إبراهيم يهوديا
 ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وأحسب تعالى على ذلك بقوله تعالى وما أنزلت التوراة والانجيل
 إلا من بعده والمذكورون معه تبع له فهم أتباعه في الدين وفاقا (ومن) أي لأحد (أظلم منكم)
 أي أخفى عن الناس (شهادة عنده) كائنة (من الله) أي شهادة الله تعالى لإبراهيم بالحنيفية
 والبراءة عن اليهودية والنصرانية وهم أهل الكتاب لأنهم كفوا هذه الشهادة وكفوا شهادة الله
 تعالى لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن لذلك بدءا كما في قوله تعالى براءة من الله ورسوله أي شهادة
 كائنة من الله عن الله بصفة الشهادة وقوله تعالى (وما الله بغافل عما تعملون) تهديد لهم وقوله
 تعالى (تلك أمة قد خلت أفعالها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) تكرير
 للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الاقتضار بالآباء والافتكال عليهم وقيل
 الخطاب فيما سبق لهم وفي هذه الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم رقيب المراد بالامة في الأول
 الأنبياء وفي الثاني أسلاف اليهود والنصارى (سيقول السفهاء) أي الجهال الذين خفت

أحلامهم (من الناس) وهم اليهود كراهم التوجه الى الكعبة وأنهم لا يرون التسخ
 (ما ولاهم) أي أي شيء صرف النبي والمؤمنين (عن قبلتهم التي كانوا عليها) وهي بيت المقدس
 وقيل هم المنافقون لحرصهم على الطعن والاستنزاء وقيل المشركون قالوا قد ترد على محمد
 أمره واشتاق الى مولده وقد توجه نحو بلدكم وهو راجع الى دينكم والاتباع بالبين الدالة على
 الاستقبال من الاخبار بالغيب (فان قيل) ما فائدة الاخبار بذلك قبل وقوعه (أجيب) بأن
 فائدته توطئ النفس واعداد الجواب فان مفاجأة المكروه أشد والعلم به قبل وقوعه أبعد عن
 الاضطراب اذا وقع وقيل الرمي يراش السهم والقبلة في الاصل الحالة التي عليها الانسان
 مأخوذة من الاستقبال وصارت عرفا له كان التوجه نحوه للصلاة قال الله تعالى (قل)
 لهم يا محمد (لله المشرق والمغرب) أي الجهات كلها ملكا وانطلق عبده لا يختص به مكان دون
 مكان بخاصة ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة باستئصال أمره لا بخصوص المكان فيأمر
 بالتوجه الى أي جهة شاء لا اعتراض عليه (يهدى من يشاء) هدايته (الى صراط) أي طريق
 (مستقيم) وهو ما تقتضيه الحكمة والمصلحة من توجيههم نارة الى بيت المقدس وأخرى الى
 الكعبة وقوله تعالى (وكذلك) الكاف فيه للتشبيه أي كما اخترنا ابراهيم وذريته واصطفيناهم
 (جعلناكم) يا أمة محمد (أمة وسطا) أي خيارا عدولا قال تعالى قال أوسطهم أي خيرهم
 وأعدلهم وخير الاشياء أوسطها الافراطها ولا تفر بطلها لان الافراط الجاوزة لما لا ينسفي
 والتفريط التقصير عما ينبغي كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور وهو الوقوع
 في الشيء بقله بمبالاة وبين البخل لان الافراد يتسارع اليها الخلل والايواساط محفوفة روى
 عن أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه أنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد
 العصر فمات له شيئا الى يوم القيامة الا ذكره في مقامه ذلك حتى اذا كانت الشمس على رؤوس
 النخل وأطراف الشيطان فقال اما انه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها الا كالبقي من يومكم هذا
 ألا وان هذه الامة توفى سبعين أمة هي أخيرها وأكرمها على الله عز وجل وقوله تعالى (لذكروا
 شهداء على الناس) أي يوم القيامة ان رسلهم بلغتهم (ويكون الرسول عليكم شهيدا) أي
 يزكركم ويشهد بعد التكم على التبعيل أي لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وأنزل عليكم
 من الكتاب أنه تعالى ما يجمل على أحد ولا ظلم بل اوضح السبل وأرسل الرسل فبلغوا ونصموا
 ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهدون بذلك
 على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روى أن الله تعالى يجمع الاولين والآخرين في صعيد
 واحد ثم يقول لكفار الامم ألم يأتكم نذير فينكرون ويقولون ما جاءنا من بشر ولا نذير فيطالب
 الله تعالى الانبياء بالبينه على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون
 فتقول الامم من أين علما أنهم قد بلغوا وانما أتوا بعدنا فتسأل هذه الامة فيقولون علمنا ذلك
 باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل
 عن حال أمتهم فيزكهم ويشهد بعد التهم وذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد

قوله وقيل المشركون
 قالوا الخ كذا في
 الاصول وفي
 الكشف وقيل
 المشركون قالوا
 رغب عن قبله آياته
 ثم رجع اليها والله
 ليرجعن الى دينهم
 اه

وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (فان قيل) هلا قيل لكم شهيدا اذ شهدا له لهم لاعليم (أجيب)
 بأن الشهيد لما كان كالرقيب والمهين على المشهود له حتى بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى
 والله على كل شيء شهيد (فان قيل) لم أخرت صلة الشهادة أولا وقد تمت آخرها (أجيب) بأن
 الغرض في الاقول اثبات شهادتهم على الامم وفي الاخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا
 عليهم (وما جعلنا) أي صيرنا لك (القبلة) الآن وقوله تعالى (التي كنت عليها) ليس بصفة
 للقبلة انما هو ثابتي مفعولي جعل اي وما جعلنا القبلة له الجهة التي كنت عليها أولا وهي الكعبة
 وكان صلى الله عليه وسلم يصلي اليها فلما هاجر أمر بالصلاة الى حجرة بيت المقدس فانا لله لليهود
 فصلى اليها ستة أو سبعة عشر شهرا ثم حوّل الى الكعبة (الا تعلم من يتبع الرسول) فيصدق
 (عن ينقلب على عقبيه) أي يرجع الى الكفر شكافي الدين وظننا أن النبي في حيرة من أمره
 وفي الحديث ان القبلة له لما حوّل ارتد قوم من المسلمين الى اليهودية وقالوا رجع محمد الى دين
 آباؤه (فان قيل) كيف قال الله تعالى له علم وهو عالم بالاشياء كلها (أجيب) بأنه أراد به علم ظهور
 وهو العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب فانه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب انما يتعلق بما يوجد
 ومعناه أي لنعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب ونظيره قوله تعالى ولما يعلم الله
 الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وانما
 أسند علمهم الى ذاته تعالى لانهم خواصه وأهل الزلفى عنده وقيل معناه التميز التابع من الناكص
 كما قال الله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التميز التابع لان العلم يقع التميز
 فالعلم سبب والتميز مسبب فأطلق السبب وهو العلم على المسبب وهو التميز * (تنبيه) * العلم
 في الاثنية اما بمعنى المعرفة فيتعدى الى مفعول واحد وهو من يتبع واما معلق لما في من من معنى
 الاستفهام واما أن يكون مفعوله الثاني ممن ينقلب أي ليعلم من يتبع الرسول ميمز ممن ينقلب
 (فان قيل) على الاول كيف يكون العلم بمعنى المعرفة والله تعالى لا يوصف بها لانها تقتضي سبق
 جهل والله تعالى منزوع عن ذلك (أجيب) بأن ذلك اشبه بما فيما تقتضي أن يكون مسبوقا بالعدم
 وليس العلم الذي بمعنى المعرفة كذلك اذ المراد به الادوار الذي لا يتعدى الى مفعولين بل قال
 الولي العراقي قد وقع اطلاق المعرفة على الله تعالى في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال
 الصحابة وكلام أهل اللغة وقوله تعالى (وان) هي المخففة من الثقلية واسمها محذوف أي وانها
 (كانت) أي التولية (لكبيرة) شاقة على الناس (الاعلى الذين هدى الله) منهم وهم الثابتون على
 الايمان (وما كان الله ليضيع ايمانكم) أي ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل
 شكر سبحانه وأعد لكم الثواب العظيم أو صلاتكم الى بيت المقدس بل يثيبكم عليه لان سبب
 نزولها ان جبريل بن أخطب وأصحابه من اليهود قالوا للمسلمين أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت
 المقدس ان كانت هدى فقد نحولتم عنها وان كانت ضلالة فقد دتم الله بهم او من مات منكم
 عليها فقد مات على الضلالة فقال المسلمون ان الهدى ما أمر الله تعالى به والضلالة ما نهى الله
 تعالى عنه قالوا فما شهدا لكم على من مات منكم على قبيلتنا وكان قد مات قبل أن نحول القبلة

من المسلمين أسعد بن زرارة من بنى النجار والبراء بن معرور ومن بنى سلمة وكانا من النقباء ورجال
 آخرون فأنطلق عشائرهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله لقد صرنا لك الله إلى
 قبلة إبراهيم فكيف بأخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأنزل الله تعالى هذه
 الآية (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ) فلا يضيع أجورهم ولا يدع صلاتهم (فإن قيل) لم قدم
 الرؤف على الرحيم مع أنه أبلغ (أجيب) بأنه قدم بحفاظة على الفواصل وقرأ أبو عمرو وشعبة
 وحزرة والكسائي لرؤف بقصر الهمة والباقون بفتحها ولووش في الهمة المذوالتوسط
 والقصر على أصله (قد) للتحقيق (نرى تطلب) أي تردد (وجهك في السماء) أي في جهتها متطلعا
 إلى الوحي ومتشوقا إلى الأمر باستقبال الكعبة وهذه الآية وإن كانت متأخرة
 في التلاوة فهي متقدمة في المعنى فأنما رأس القصة وأمر القبلة أول ما نسخ من أمور الشرع
 وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة إلى الكعبة فلما هاجر إلى
 المدينة أمره الله تعالى أن يصلي إلى نحو صخرة بيت المقدس ليكون أقرب إلى تصديق اليهود
 إياه إذا صلى إلى قبلتهم مع ما يجدونه من نعمة في التوراة وكان يجب أن يوجه إلى الكعبة لأنها
 كانت قبلة إبراهيم أبيه صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد كان يجب ذلك من أجل أن اليهود
 كانوا يقولون يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا فقال جبريل عليه السلام وددت لوجهي
 الله تعالى إلى الكعبة فأنها قبلة أبي إبراهيم فقال جبريل انما أنا عبيد ملك وأنت كريم على ربك
 فسل أنت ربك فأنك عند الله بمكان فعرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر
 إلى السماء رجاء أن ينزل جبريل بما يجب من أمر القبلة وذلك يدل على كمال أدبه حيث انتظر ولم
 يسأل فنزل قوله تعالى (فلنولينك) أي فلنحولنك (قبلة) أي إلى قبلة (ترضاها) أي تحبها
 وتهواها لا غرضك الصعوبة التي أضرمتها ووافقت مشيئة الله تعالى وحكمته (فول) أي اصرف
 (وجهك شطر) أي نحو (المسجد الحرام) أي الكعبة أي استقبل عينها بصدرك في الصلاة
 وإن كنت بعيدا عنها وقول البيضاوي والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فإن في استقبال عينها
 حرجا عليه وجهه ضعيف والحرام المحرم فيه القتال ومنوع من الظلمة أن يعترضوه وقوله تعالى
 (وحيث ما كنتم) من بحرا أو برشرق أو غرب خطاب للامة (فولوا وجوهكم) في الصلاة
 (شطره) وكان تحويل القبلة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر شهرين وقول البيضاوي
 وقد صلى بأصحابه في مسجد بنى سلمة ركعتين من الظهر فحول في الصلاة واستقبل الميزاب وتبادل
 الرجال والنساء صفوفهم فسمى المسجد مسجد القبليتين فيه تحريف فان ظاهره أنه صلى الله عليه
 وسلم كان إماما في قصة بنى سلمة وأنه تحول في الصلاة وليس كذلك فقد روى البخاري عن ابن عمر
 أنه قال بينما الناس يصلون في صلاة الصبح إذا نأههم آت أي من بنى سلمة فقال إن النبي صلى الله
 عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم
 إلى الشأم فاستداروا إلى الكعبة ولما تحولت القبلة قالت اليهود وما هو الا شيء يتدعه محمد من
 تلقاء نفسه فتارة يصلي إلى بيت المقدس وتارة إلى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكان رجوا أن يكون

صاحبنا الذي ينتظره فأنزل الله تعالى (وَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ليعلمون أنه) أي التولى إلى الكعبة (الحق) أي الثابت (من ربهم) لما في كتبهم من نعت النبي صلى الله عليه وسلم من أنه يحول إليها وقوله تعالى (وما الله بغافل عما تعملون) قرأه ابن عامر وحزرة والكسائي بالتاء على الخطاب للمؤمنين أي وما أنا بغافل عن جرائمكم وثوابكم والباقون بالياء على الغيب أي عما يعمل اليهود أي فأجازيهم في الدنيا والآخرة ففي الآية وعد للمؤمنين ووعد للكافرين ولما قالت اليهود والنصارى اتنا بآية على أن الكعبة قبله نزل (ولئن) اللام موثقة للقسم (أثبت الذين أوتوا الكتاب) أي اليهود والنصارى (بكل آية) أي برهان وجحة على أن التوجه إلى الكعبة هو الحق وقوله تعالى (ما تبعوا قبلتك) جواب للقسم المضمر والمعنى ان تركهم اتباعك ليس على شبهة تزايها بإيراد الحجة إنما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم لما في كتبهم من نعتك أنك على الحق * (تنبه) * كان مقتضى الظاهر ما يتبعون لكن أتى بالمضمر لتحقيق وقوعه كقوله تعالى أتى أمر الله وقوله تعالى (وما أنت بتابع قبلتهم) قطع لاطمأئنتهم فأنهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكان رجوا أن يكون صاحبنا الذي ينتظره تغير أمرهم له وطعمه في رجوعه (وما بعضهم بتابع قبله بعض) أي أنهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة فإن اليهود تستقبل الحضرة والنصارى مطلع الشمس لا يربحى توافقهم كما لا تربحى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه (فان قيل) كيف قال تعالى وما أنت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبله وللنصارى قبله (أجيب) بأن كلنا القبلتين باطلاً مخالفة لقبلة الحق فكانت الحكم الاتحاد في البطلان قبله واحدة وقوله تعالى (ولئن اتبعت أهواءهم) خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الأمة أو على سبيل الفرض والتقدير (من بعد ما جاءك) بين لك (من العلم) بالوحى في القبلة (أنك إذا) ان اتبعهم (الظالمين) أي من المرتكبين الظلم الفاحش وفي هذا اللفظ للسامعين وزيادة تحذير واستفطاع لحال من ترك الدليل بعد انارته وتبعية الهوى وتهميش الثبات على الحق وقد أكد سبحانه وتعالى التهديد في ذلك وبالغ فيه قال البيضاوي من سبعة أوجه الأول الاتيان باللام الموثقة للقسم الثاني القسم المضمر الثالث حرف التحقيق أي التأكيدها وهي ان الرابع تركيبه من جملة اسمية الخامس الاتيان باللام في الخبر أي وهو من الظالمين السادس جعله من الظالمين أي تعريف الظالمين الدال على المعروفين ولم يقل أنك ظالم فإن في الاندراج معهم أي أما بحصول أنواع الظلم لأن آل في الظالمين للاستغراق السابع التقييد بمجيء العلم تعظيماً للحق المعروف وبحريضا على اقتضائه وتحذير عن متابعة الهوى واستفطاعاً للظهور والذنب عن الانبياء (الذين آتيناهم الكتاب) أي علماءهم (يعرفونه) أي محمد صلى الله عليه وسلم لسبق ذكره بلفظ الرسول مرتين وقول البيضاوي تبعاً للزحشرى وإن لم يسبق ذكره ممنوع وقيل القرآن وقيل التحويل ويدل للأول قوله تعالى (كما يعرفون أبناءهم) أي من بين الصبيان قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لعبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه كيف هذه المعرفة قال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ومعرفتي بمحمد صلى الله عليه وسلم أشد من معرفتي بابي فقال عمر وكيف

ذلك قال لست أشك في محمد أنه نبي وأما ولدي فلعل والدته خانت فقال عمر وفقك الله تعالى يا ابن
 سلام فقد صدقت (فان قيل) لم خص الانبياء من الاولاد (أجيب) بأن الذكور أشهر وأعرف وهم
 اصعب الا بآء الزم وبقلوبهم الصق (وان فر يقامهم) أي أهل الكتاب (ليكتون الحق) أي صفته
 صلى الله عليه وسلم وأمر الكعبة (وهم يعلمون) ولا يظهر رونه عناد او قوله تعالى (الحق من ربك)
 كلام مستأنف والحق امام مبتدأ خبره من ربك والمعنى انه الحق أي ماثبت أنه من الله تعالى كالذي
 أنت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه أهل الكتاب (واما خبر مبتدأ محذوف أي هذا الحق ومن ربك
 حال أو خبر بعد خبر والمعنى أن ما جاءك من العلم أو ما يكتونه هو الحق لا ما يزعمون (فلا تكون من
 المعترين) أي من الشاكين في أنه من ربك أو في كتمانهم الحق عالمين به أي فلا تكون من هذا
 النوع وهو أبلغ من لا تتر وليس فيه نهى للرسول صلى الله عليه وسلم عن الشك فيه لانه غير متوقع
 منه بل اما التحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر واما ان المراد به أمته (ولكل) أي أمة من
 الامم (وجهة) أي قبلة أو لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة (هو موليا) وجهه
 في صلته وقرأ ابن عامر وحده مولاهما بفتح اللام وألف بعدها أي هو مولى تلك الجهة قدولها
 والباقون بكسر اللام ويا بعدها وعلى هذا فأحد المذاهب هو أن يكون أي هو موليا وجهه كما مر
 تقديره أو الله تعالى موليا آياه (فاستبقوا الخيرات) أي بادروا الى الطاعات وقبولها من أمر
 القبلة وغيره مما تنالوا به سعادة الدارين (أين ماتكونوا) أنتم وأهل الكتاب (يأت بكم الله جميعا)
 يوم القيامة فيجازيكم بأعمالكم (ان الله على كل شيء قدير) فيقدر على الاحياء والجمع * (تنبيه) *
 رقق ورش الرأ المفتوحة بعد الياء الساكنة واتفق المصاحف على قطع أين من ما هنا (ومن
 حيث خرجت) أي من أي مكان خرجت للسفر (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اذا صليت
 (وانه) أي هذا الامر (للحق من ربك) وقوله تعالى (وما الله بغافل عما تعملون) قرأه أبو عمرو
 بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد
 الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) * (تنبيه) * مامة طوعة من حيث في موضعي هذه
 السورة وكرسجانه وتعالى التولى لشطر المسجد الحرام ثلاث مرات كمبدأ أمر القبلة
 وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان فكرر عليهم لينبوا ويقيموا
 ويجتدوا ولا ينيط بكل واحد ما لم ينيط بالآخر لانه تعالى علق بكل آية فائدة في الاولى ان أهل
 الكتاب يعلمون ان أمر محمد وأمر القبلة حق لما شهدتهم له في التوراة والانجيل وفي الثانية
 انه تعالى شهد انه حق وشهادة الله تعالى مغيرة لعلم أهل الكتاب وفي الثالثة بيان العلة وهي
 قطع حجة اليهود أولان الاحوال ثلاثة أولها أن يكون الانسان في المسجد الحرام وثانيها
 أن يخرج عنه ويكون في البلد وثالثها أن يخرج عن البلد فالآية الاولى محمولة على الاول
 والثانية على الثاني والثالثة على الثالث وقوله تعالى (لئلا يكون للناس) أي اليهود والمشركين
 (عليكم حجة) أي مجادلة في التولى علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة
 تدفع احتجاج اليهود بأن المنعوت في التوراة قبلته الكعبة وان محمدا يمجدها بنا ويقبنا

في قبلتنا ويدفع احتجاج المشركين بأنه يدعى مله إبراهيم ويخالف قبلته وقرأ أورش بإبدال
 الهمزة من اثلا بيا مفتوحة وقفا وصلوا وحزة يبدلها وقفا لا وصلوا والباقون بهمزة مفتوحة
 وصلوا وقفا وقوله تعالى (الا الذين ظلموا منهم) بدل واستثناء متصل أى اثلا يكون لاحد من الناس
 حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الاميل الى دين قومه وحبا للبلدة أو بدا
 له فرجع الى دين آباءه ويوشك أن يرجع الى دينهم (فلا تخشوهم) أى فلا تخافوا مطاعنهم في
 قبلتكم فانهم لا يضرونكم (واخشوني) بامثال أمرى فلا تخافوا ما أمرتكم به * (تنبيه)
 الباعث ثابته في الرسم وهي في القراءة ثابته وقفا وصلوا (فان قيل) أى حجة تكون لغير الذين ظلموا
 لو لم تحول حتى احتز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين (أجيب) بانهم كانوا يقولون ماله لا يعول
 الى قبله أى به ابراهيم كما هو مذكور في نعتة في التوراة (فان قيل) كيف أطلق الحجة على قول
 المعاندين (أجيب) بأن المراد بالحجة ما يتمسك به حقا كان أو باطلا كما قال تعالى حجهم داعضة وقوله
 تعالى (ولاتم نعمتي عليكم واعلمكم تهتدون) أى الى الحق علة لهذوف أى وأمرتكم بذلك لا تأمى
 النعمة عليكم وارادنى اهتداءكم أو عطف على علة مقدرة كأنه قيل واخشوني لا وفقكم ولا تم
 نعمتي عليكم قال الكشاف وقيل هو معطوف على لثلا يكون بحرى عليه البيضاءوى والسيوطى
 قال البضاوى تعالى الكشاف وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة أى ورؤية الله تعالى وعن
 على رضى الله تعالى عنه تمام النعمة الموت على الاسلام قال شيخنا القاضى زكريا روى الحديث
 الترمذى وذكره مع الاثر بعده ربيع العطف على المقدور وقوله تعالى (كما أرسلنا)
 امامتعلق بما قبله وهو أتم أى ولا تم نعمتي عليكم فى أمر القبلة أو فى أمر الآخرة اتحاما
 كما تمامها بإرسالنا (فيكم رسولا منكم) وهو محمد صلى الله عليه وسلم وامامتعلق بما بعده وهو
 فاذا ذكرنى أى كما ذكرتمكم بالارسال فاذا ذكرنى (يتلو عليكم آياتنا) أى القرآن (ويزكيكم)
 أى يطهركم من الشرك (ويعلمكم الكتاب) أى القرآن (والحكمة) أى ما فيه الاحكام
 * (تنبيه) قدم هنا يزكيكم على يعلمكم باعتبار القصة وأخرى دعوة ابراهيم يزكيكم على يعلمكم
 باعتبار الفعل (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) أى بالتفكير والنظر اذ لا طريق لمعرفته سوى الوحي
 (فاذا ذكرنى) بالطاعة كالصلاة والتسبيح (أذكركم) قال ابن عباس بعوننى وقال سعيد بن جبیر
 يغفرنى وقيل اذكرنى فى النعمة والرخاء أذكركم فى الشدة والبلاء كما قال تعالى فلولاً أنه كان من
 المسجين للبت فى بطنه الى يوم يعثون وفى الحديث عن الله تعالى انا عند ظن عبدي بي وانا معه
 اذا ذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملاذ كرتة فى ملاخير من ملته
 وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت منه باعا وان أتانى يمشى
 أتته هرولة وفى رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقول يا ابن آدم ان
 ذكرتنى فى نفسك ذكرتني فى نفسي وان ذكرتنى فى ملاذ كرتك فى ملاخير منى وان دنوت منى
 شبرا دنوت منك ذراعا وان دنوت منى ذراعا دنوت منك باعا وان مشيت الى هرولت اليك وان
 سألتني أعطيتك وان لم تسألني غضبت عليك وفى رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

يقول الله عز وجل أنا مع عبدي ما ذكرني وتحت ركني شفتاه وفي رواية بإعرابي إلى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب من
ذكر الله وقرأ ابن كثير بفتح الياء والباقون بالسكون وهم على مراتبهم في المدة (واشكروا لي) نعمتي
بالطاعة (ولا تكفرون) بحمد النعم وعصيان الامر فان من أطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد
كفره (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر) على الطاعة والبلاء وعلى المعاصي وحفظ
النفوس (والصلوة) خصها بالذكرا لانهم أتم العبادات لاشتمالها على فعل القلب وغيره ومنها جادة رب
العالمين (آن الله مع الصابرين) بالنصر واجابة الدعوة (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله) هم
(أموات بل) هم (أحيا ولكن لا تشعرون) أي لا تعلمون كيف حالهم في حياتهم قال البيضاوي
وهو تنبيه على أن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هي أمر
لا يدرك بالحواس بل بالوحي اه وهذا ما عليه أكثر المفسرين قال ابن عادل ويحتمل أن
حياتهم بالجسد وان لم تشهدوا أيدي بان حياة الروح ثابتة لجميع الاموات بالاتفاق فلو لم تكن
حياة الشهيد بالجسد لاستوى هو وغيره ولم تكن له منزلة اه وقدير بان الشهداء فضلوا على
غيرهم بأنهم يرزقون من مطاعم الجنة وما كلفها وغيرهم من المؤمنين ممنعمون بعبادون ذلك
وفي الحديث أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في أنهار الجنة حيث شامت ثم تأوى
إلى قناديل تحت العرش وعن الحسن أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرواحهم على
أرواحهم فيصل إليهم الروح أي الاستراحة أي التلذذ والتمتع والفرح كما تعرض النار
على أرواح آل فرعون غدقا وعشيا فيصل إليهم الوجع والتم وعلى هذا اقتضيه مص الشهداء
لاختصاصهم بالقرب من الله ومنزلة السرور والكرامة والارواح جواهر قائمة بأنفسها تبقى
بعد الموت ذرا كة كما عليه جمهور الصحابة والتابعين ونطقت به الآيات والسنن (ولنبؤنكم)
أي ولنختبرنكم بأمة محمد صلى الله عليه وسلم واللام لجواب القسم تقديره والله لنبلونكم
والابتلاء اظهار المطيع من العاصي لا يعلم شيئا لم يكن عالما به (بشيء) أي بقليل (من الخوف)
أي خوف العدو (والجوع) أي القحط وانما قلله بالنسبة لما وقاهم عنه فيخفف عنهم ويريه
أن رحمة لا تفارقهم أو بالنسبة إلى ما يصيب به معانديهم في الآخرة وانما أخبرهم قبل وقوعه
ليوطنوا عليه نفوسهم (ونقص من الاموال) بالخسران والهلاك (والانفس) بالقتل والموت
وقيل بالمرض والشيب (والثمرات) بالجوائع وعن الشافعي رضي الله تعالى عنه الخوف خوف
الله والجوع صوم رمضان ومن الثمرات موت الاولاد وعن أبي سنان قال دفنت ولدي سنانا وأبو
طلحة الخولاني على شفير القبر فلما أردت الخروج أخذ بيدي فأخرجني فقال الا أبشر لحقني
الضال بن عروب عن أبي موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول أقبضتم
ثمرته قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله
تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وقوله تعالى (وبشر الصابرين) أي على

ما يصيبهم من المصيبة عطف كما قال الله تعالى (ولنبلونكم عطف المضعون على المضعون) أي الابتلاء حاصل لكم وكذا البشارة لكن لمن صبر ثم بينهم بقوله (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله) عبيد أو ملوك (وانا إليه راجعون) في الآخرة والمصيبة نعم ما يصيب الإنسان من مكروه لقوله صلى الله عليه وسلم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وعن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها أنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مصيبة تصيب عبدا فبقول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أفرني من مصيبي وأخلف لي خيرا منها إلا آجره الله تعالى في مصيبته وأخلف عليه خيرا منها قالت فلما توفي أبو سلمة استرجعت الله لي فقلت اللهم أفرني من مصيبي وأخلف لي خيرا منها قالت فأخلف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية من استرجع عند المصيبة جبر الله تعالى مصيبته وأحسن عقابه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وقال سعيد بن جبير ما أعطى أحدا ما أعطيت هذه الأمة يعني الاسترجاع ولو أعطيا أحدا لا عطى يعقوب في قصة فقد يوسف ألا تسمع إلى قوله يا أسفا على يوسف وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل باللسان مع القلب بأن يتصور ما خلق لأجله فانه راجع إلى ربه ويتذكر نعم الله عليه فيرى ما أبقى عليه أضاعف ما استرد منه فيموت على نفسه ويستسلم لربه والمبشر به محمد وفد عليه (أولئك عليهم صلوات) أي مغفرة (من ربهم ورحمة) أي لطف وإحسان والصلاة في الأصل من الأذى أي ومن الجن تضرع ودعاء ومن الملائكة استغفار ومن الله تعالى رحمة مقرونة بتعظيم وجع الصلاة للتبني على كثرتها كالتبني في لبك بمعنى لا انقطاع لمغفرته (وأولئك هم المهتدون) إلى الصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله تعالى قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه نعم العدلان ونعمت العداوة والعدلان الصلاة والرحمة والعداوة الهداية وقد ورد أخبار في ثواب أهل البلاء وأجر الصابرين منها أنه صلى الله عليه وسلم قال من يرد الله به خيرا يصيبه ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها ومنها أن امرأة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبها ألم فقالت يا رسول الله ادع الله تعالى أن يشفيني فقال إن شئت دعوت الله أن يشفيك وإن شئت فاصبري ولا حساب عليك قالت بل أصبر ولا حساب علي ومنها أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن أشد الناس بلاء قال الأنبياء والأماثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلبا بلى على قدر ذلك وإن كان في دينه رقة هون عليه فإزال كذلك حتى يمشي على الأرض ماله ذنب ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال إن أعظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقي الله وماله من خطيئته ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن كمثل الزرع لا يزال الريح يثفيه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الارز لا تهتز حتى تتحصد ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال عجب للمؤمن أن أصابه خير حمد الله وشكره وإن أصابه مصيبة حمد الله وصبره فالمؤمن يؤجر في كل أمره

(أَنَّ الصَّامِ وَالْمُرُوَّةَ) هُمَا عَلِمَا جِبِلَيْنِ بِعَمَّةٍ فِي طَرَفِي الْمَسْحِيِّ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ وَذَكَرَ الصَّفَا لَأَنَّ آدَمَ وَقَفَ عَلَيْهِ وَأَنْتَ الْمُرُوَّةُ لِأَنَّ حَوَاءَ وَقَفَتْ عَلَيْهَا (مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) أَيُ أَعْلَامَ دِينِهِ جَمْعُ شَعِيرَةٍ وَهِيَ الْعِلَامَةُ أَيُ مِنْ أَعْلَامٍ مَنَاسِكِهِ وَمَتَعَبِدَاتِهِ (فَنَجَّ الْبَيْتَ أَوْ عَمَرَ) أَيُ تَلْبَسَ بِالْحَجِّ أَوِ الْعِمْرَةِ وَالْحَجُّ لُغَةُ الْقَصْدِ وَالْإِعْقَارُ الزَّيَارَةُ فَغَلَبَ شَرَعًا عَلَى قَصْدِ الْبَيْتِ وَزَيَارَتِهِ عَلَى الْوُجْهِينِ الْمَعْرُوفَيْنِ (فَلَا جَنَاحَ) أَيُ لَا أُنْمَ (عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ) فِيهِ ادْغَامُ التَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الطَّاءِ (بِهِمَا) أَيُ بَأَنَّ يَسْمَعِي بَيْنَهُمَا سَبْعًا (فَإِنْ قِيلَ) كَيْفَ قِيلَ أَنَّهُمَا مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ثُمَّ قِيلَ لِأَجْنَحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا (أَجِيبُ) بِأَنَّهُ كَانَ عَلَى الصَّفَا سَافٍ وَعَلَى الْمُرُوَّةِ نَائِلَةٌ وَهُمَا صَفْتَانِ يَرَوِي أَنَّهُمَا كَانَا رَجُلًا وَامْرَأَةً زِيَاةً فِي الْكَعْبَةِ فَخَسَا جَرِيرِينَ فَلَمَّا طَالَتِ الْمُدَّةُ عَبْدًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا سَعَوْا مَسْهُوهُمْ فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَكَسَرَتِ الْأَوْثَانُ كَرِهَ الْمَسْلُومُونَ الطَّوْفَ بَيْنَهُمَا لِأَجْلِ فَعَلَ الْجَاهِلِيَّةُ فَأَذْنُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ وَأَخْبَرَتْهُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ وَالْإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّ السَّمْعِي بَيْنَ الصَّفَا وَالْمُرُوَّةِ مَشْرُوعٌ فِي الْحَجِّ وَالْعِمْرَةِ وَإِنَّمَا الْخِلَافُ فِي وَجُوبِهِ فَعَنْ أَحَدٍ أَنَّهُ سَنَةٌ وَبِهِ قَالَ أَنَسُ بْنُ عُبَّاسٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فَلَا جَنَاحَ عَلَيْهِ فَانَّهُ يَفْهَمُ مِنْهُ التَّخْيِيرُ فَالْبَيْضَاوِيُّ وَهُوَ ضَعِيفٌ لِأَنَّ نَفْيَ الْجَنَاحِ يَدُلُّ عَلَى الْجَوَازِ لَا الْخِلَافَ فِي مَعْنَى الْوُجُوبِ فَلَا يَدْفَعُهُ وَعَنْ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهُ وَاجِبٌ يَجْبِرُ بِدَمٍ وَعَنْ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ أَنَّهُ رُكْنٌ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْعَوْا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ عَلَيْكُمْ السَّمْعِي رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْدُوا بِعِبَادَةِ اللَّهِ بِهِ يَعْنِي الصَّفَارِ وَاسْمُ (وَمِنْ تَطَوُّعٍ خَيْرًا) أَيُ فَعَلَ طَاعَةً فَرَضًا كَانَ أَوْ نَفْلًا أَوْ زَادَ عَلَى مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ حَجٍّ أَوْ عِمْرَةٍ أَوْ طَوَّافٍ وَنَصَبٍ خَيْرًا عَلَى أَنَّهُ صِفَةُ مَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ أَيُ تَطَوُّعًا أَوْ بِحَذْفِ الْجَارِ وَابْتِصَالِ الْفِعْلِ إِلَيْهِ أَيُ بِخَيْرٍ وَقَرَأَ حِزَّةً وَالْكَسَاةُ يَطْوَعُ بِالْيَاءِ عَلَى التَّمْكِيزِ وَتَشْدِيدِ الطَّاءِ وَالْوَاوِ وَسُكُونِ الْعَيْنِ وَأَصْلُهُ يَتَطَوَّعُ فَأَدْغَمَ مِثْلَ يَطُوفُ وَالْبَاقُونَ بِالتَّاءِ عَلَى الْحُضُورِ وَتَخْفِيفِ الطَّاءِ وَفَتْحِ الْعَيْنِ (فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ) لِعَمَلِهِ بِالْإِثْمَانَةِ عَلَيْهِ (عَلِيمٌ) بِنَيْتِهِ * (نَبِيٌّ) * الشُّكْرُ مِنَ اللَّهِ أَنَّهُ يُعْطِي الْعَبْدَ فَوْقَ مَا يَسْتَحِقُّ فَانَّهُ يَشْكُرُ الْبَسِيرَ وَيُعْطِي الْكَثِيرَ * وَنَزَلَ فِي عِلْمَاءِ الْيَهُودِ (أَنَّ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ) النَّاسُ كَأَنَّ حَبَّارَ الْيَهُودِ (مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ) كَأَنَّهُ الرِّجْمُ وَنَعَتْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَالْهُدَى) أَيُ مَا يَهْدِي إِلَى وَجُوبِ اتِّبَاعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْإِيمَانُ بِهِ (مَنْ بَعْدَ مَا بَيَّنَّاهُ) أَوْ ضَعْنَاهُ (لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ) أَيُ التَّوْرَةِ أَيُ لَمْ نَدْعُ فِيهِ مَوْضِعَ اشْتِبَاهٍ وَلَا اشْتِبَاهَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ فَعَمِدُوا إِلَى ذَلِكَ الْمَبِينِ الْوَاضِحِ فَكَتَمُوهُ وَلَبَسُوا عَلَى النَّاسِ (أَوَلَيْسَ يُلْعَنُ اللَّهُ) وَأَصْلُ اللَّعْنِ الطَّرْدُ وَالْبُهْدُ (وَيُلْعَنُ اللَّهُ الْعَنُونَ) أَيُ يَسْأَلُونَ اللَّهَ أَنْ يُلْعَنَهُمْ وَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ الْعَنَهُمْ * (تَبْيِيهَانِ) * أَحَدُهُمَا اخْتَلَفَ فِي هَوَاءِ اللَّاعِنِينَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا هُمَا جَمِيعُ الْخَلَائِقِ إِلَّا الْبَلَدَيْنِ وَالْأَنْسَ وَقَالَ عَطَاءُ هُمَا الْبَلَدَيْنِ وَالْأَنْسُ وَقَالَ الْحَسَنُ هُمَا جَمِيعُ عِبَادِ اللَّهِ وَقَالَ سَجَّادٌ هُمَا الْبَهَائِمُ تَلْعَنُ عَصَاةَ بَنِي آدَمَ إِذَا أَمْسَكَ الْمَطَرُ وَتَقُولُ هَذَا مِنْ شَرِّ ذُنُوبِ بَنِي آدَمَ * ثَانِيَهُمَا هَذِهِ الْآيَةُ تَوْجِبُ إِظْهَارَ عُلُومِ الدِّينِ مِنْصُوصَةً وَمُسْتَبْطَةً وَتَدُلُّ عَلَى امْتِنَاعِ أَخْذِ الْأَجْرَةِ عَلَى ذَلِكَ وَقَدْ رَوَى الْأَعْرَجُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ أَنْتُمْ تَقُولُونَ أَكْثَرُ أَبْوَهِرَةِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى

الله عليه وسلم وإيم الله لولا آية في كتاب الله ما حدثت أحداث بشي أبدا وتلا ان الذين يكتمون الآية
(الا الذين تابوا) أي رجعوا عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب منه (وأصلحوا) ما أفسدوا من
أحوالهم وتداركوا ما فرط منهم (ويبنوا) ما بينه الله تعالى في كتابهم فكتبوه (فأوتسك أوتوب
عليهم) أتجأوز عنهم وأقبل توبتهم (وأما لتوب) أي الرجاء لقلوب عبادي المنصرفه عنى الى
(الرحيم) بهم بعد اقبالهم على (ان الذين كفر واومأوا وهم كفار) أي من لم يتب من الكافرين
حتى مات (أولئك عليهم لعنة الله و) لعنة (الملائكة و) لعنة (الناس أجمعين) لعنهم الله أحياء
ثم لعنهم أمواتا وقال أبو العالية هذا يوم القيامة يوقف الكافر في لعنة الله ثم تلعه الملائكة ثم
تلعه الناس فان قيل قد قال الله تعالى والناس أجمعين وفي الناس المسلم والكافر وأهل دينه
لا يلعنونه (أجيب) بأجوبة منها ان المراد منهم من يعتدي لعنه وهم المؤمنون قاله ابن مسعود
وعلى هذا فيكون من العام الذي أريد به الخاص ومنها أنهم يلعنونه في القيامة قال تعالى
يلعن بعضكم بعضا وقال كلما دخلت أمة لعنت أختها ومنها أن اللعنة من الاكثرت يطلق
عليها لعنة جميع الناس تغليب الحكم الاكثر على الأقل ومنها أنهم يلعنون الظالمين والكافرين
ومن لعن الظالمين أو الكافرين وهم منهم فقد لعن نفسه ومعنى لعنة الله لهم تبرؤهم منهم وطردهم
وتباعدهم عن الرحمة والثواب أودعاهم عليهم بذلك (خالدين فيها) أي اللعنة أو النار المدلول بها
عليها (لا يحفف عنهم العذاب) طرفه عين (ولا هم ينظرون) من الانتظار أى لا يسهلون
ولا يؤجلون أو لا ينظرون ليعتذروا كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون أو لا ينظر اليهم نظر
رحمة * ولما قال كفار قرئش يا محمد صف لنا ربك وانسبه لنا نزل (ولهم اله واحد) وسورة
الاخلاص والواحد هو الذي لا نظيره ولا شريك وقوله تعالى (لا اله الا هو) نقرر للوحدانية
ودفع لان يتوهم أن في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة وقوله تعالى (الرحمن الرحيم)
كالدليل على الوحدانية فانه لما كان مولى التمم كلها أصولها بقوله الرحمن فانه مولى جلال
التم وفر وعها بقوله الرحيم فانه مولى لطائف النعم ودقائقها وما سواه تعالى اما نعمة أو منعم
عليه فلم يستحق العبادة أحد غيره وهذا خبر آخر ان لقوله الهكم أو لمبتدا محذوف وعن
أسماء بنت زيد أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان في هاتين الآيتين اسم الله
الاعظم والهكم اله واحد الخ والله لا اله الا هو الخ القيوم * ولما سمع المشركون هذه الآية
وكان لهم حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فانت يا به تعرف بها
مدرك قنزل (ان في خلق السموات والارض) الى آخر الآية (فان قيل) لم جمع السموات وأفرد
الارض (أجاب) البيضاوى بأن السموات طبقات متفاصلة بالذات محتاجة بالحقيقة بخلاف
الارضين اه وهذا انما يأتي على قول بعض الحكماء ان المراد بالارضين الاقاليم والاولى ما أجاب
به البيضاوى من أن كلاً منها جنس آخر والارضون كلها من جنس واحد وهو التراب
أى فهى طبقات كالسموات والآية في السموات سمكها وارتفاعها من غير عمد
ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك والآية في الارض

متدهار بسطها وسعتها وما يرى فيها من الاشجار والانهار والجبال والبحار والجواهر
والنبات وغير ذلك (واختلاف الليل والنهار) أى تعاقبهما فى الجحى والذهاب يختلف
أحدهما صاحبه اذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلفه أى بعده قال تعالى وهو الذى جعل الليل
والنهار خلفه قال عطاء أراد اختلافهما فى النور والظلمة والزيادة والنقصان والليل جمع ليلة
واللالي جمع الجمع والنهار جمع نهر وقدم الليل على النهار فى الذكر لانه أقدم قال تعالى وآية لهم
الليل نسلخ منه النهار (والفلك) أى السفن (التي تجري فى البحر بما ينقع الناس) من التجارة
والحمل والآية فيها تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهي موقوفة لا ترسب تحت الماء * (تنبيه) *
انث الفلك لانه يعنى السفينة لان واحد السفن وجمعه سواوا اذ لو كانت بمعنى المركب لذكرها مع
أنها فى اللغة تذكر وتؤنث قال تعالى اذ بقى الى الفلك المشحون وضمة الجمع غير ضمة الواحدة تقدير
اذعى فى الجمع كالضمة فى جر وفى الواحد كالضمة فى قفل قال البيضاوى والقصد به أى الفلك الى
الاستدلال بالبحر وأحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه أى البحر والاطلاع
على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر فى غالب الامر اه فجعل
الآية فى البحر لافى السفن والاولى جعل الآية فيها وقوله لان منشأهما البحر هو قول الحكماء
والاشاعة على خلافه وهو الذى دللت عليه الاخبار قال شيخنا القاضى زكريا وحاصله أن السحاب
من شجرة مثمرة فى الجنة والمطر من بحر تحت العرش (وما أنزل الله من السماء من ماء) أى مطر
* (تنبيه) * من الاولى للآية بداء والثانية للبيان قال البغوى قيل أراد بالسماء السحاب
يخلق الله الماء فى السحاب ثم ينزل السحاب ثم من السحاب ينزل الى الارض اه وفيه ما مر (فأحيابه
الارض) بالنبات (بعد موتها) أى يسها وجدوبتها (وبت) أى فرق ونشر بالماء (فيها)
فى الارض (من كل دابة) فان قيل هل بث عطف على انزل أو أحياء (أجيب) بأنه عطف على
أنزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله فأحيابه الارض عطف على أنزل فاتصل به وصار جميعا
كأشئ الواحد فكانه قيل وما أنزل فى الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على
أحياء على معنى فأحياء بالمرار الارض وبث فيها من كل دابة لان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون
بالحياة أى المطر (وتصرف الرياح) الى قبول ودبور وجنوب وشمال فالقبول الصبا وهي التى تهب
من مطلع الشمس اذا استوى الليل والنهار والدبور تقابلها والشمال التى تهب من جانب القطب
والجنوب تقابلها قال ابن عباس أعظم جنود الله الريح والماء وسببت الريح ريحا لانها تريح
النفوس قال شريح القاضى ما هبت ريح الالشفاء سقيم أو لسقم صحيح (فائدة) البشارة فى ثلاث
من الرياح هى الصبا والشمال والجنوب اما الدبور فهى الريح العقيم لا بشارة فيها وقيل الرياح
ثمانية أربعة للارحة وهى المبشرات والناشرات والذاريات والمرسلات وأربعة للعذاب وهى
العقيم والصمصر فى البر والعاصف والقاصف فى البحر وقرأ حزة والكسافى الريح بالتوحيد
والباقون بالجمع (فائدة أخرى) كل ريح فى القرآن ليس فيها ألف ولا ميم اتفاق القراء على توحيدها

وما فيها ألف ولام كما هنا اختلفوا في جمعها وتوحيدها الا الحرف الاول في سورة الروم الرياح
 مبشرات اتفقوا على جمعها والريح تذكروثوت والسهاب) أي الغيم (المضر) أي المذل
 بأمر الله يسير حيث شاء الله (بين السماء والارض) بلا علاقة لا ينزل ولا يرتفع مع ان الطبع
 يقتضى أحدهما حتى يأتي أمر الله وقبل تسخير السحاب تقلبيه في الجوف بمشيئة الله واشتقاقه
 من السحب لان بعضه يجرب بعضا (لايات) أي دلالات واضحات على وحدانية الله تعالى (لقوم
 يعقلون) أي ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانهم ادلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة
 وقول البيضاوي وعن النبي صلى الله عليه وسلم يدل لمن قرأ هذه الآية فنجتها أي لم يتفكر فيها
 ولم يعتبر بها قال الولي العراقي لم أقف عليه وقال السيوطي لم يرد في هذه الآية ولا بهذا اللفظ ثم
 قال عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أنزل على الليلة ان في خلق السموات والارض
 واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب ثم قال ويدل لمن قرأها ولم يتفكر فيها قبل للاوزاعي
 ماناية التفكر فيهن قال يقرأهن وهو يعقلهن انتهى ولا ينافي هذا أنه ورد أيضا في هذه الآية
 ومن حفظ حجة على من لم يحفظ قال البيضاوي وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام وأهله وحث
 على البحث والنظر فيه انتهى ولا ينافي هذا قول الشافعي رضي الله تعالى عنه لان يلقي العبد ربه
 بكل ذنب ما عدا الشرك خيره من أن يلقاه بعلم الكلام لانه محمول على التوغل فيه فيصير فلسفيا
 (ومن الناس) وهم المشركون (من يتخذ من دون الله) أي غيره (أندادا) أي أصناما يعبدونها
 (يحجونهم) بالتعظيم والخضوع (كعب الله) أي كعبهم له كما قال الزجاج يحجون الاصنام كما
 يحجون الله لانهم اشركوا مع الله فسوا بين الله وبين أصنامهم في المحبة أو يحجون آلهتهم
 كعب المؤمنين الله (والذين آمنوا أشد حبا لله) أي أثبت وأدوم على حبه لانهم لا يختارون على
 الله ماسوا والمشركون محبتهم لا غراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا
 اذا اتخذوا صنما أحسن منه طرحوا الاول واختاروا الثاني وربما يأكلونه كما أكلت باهله
 الهامن حيس عند الجماعة ويعرضون عن معبودهم في وقت البلاء ويقبلون على الله كما أخبر
 الله تعالى عنهم فقال فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والمؤمن لا يعرض عن الله
 تعالى في السراء والضراء والشدة والرخاء وقيل انما قال الله تعالى والذين آمنوا أشد حبا لله
 لان الله أحبهم أولا ثم أحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم قال الله تعالى يحبه
 ويحبونه فحبة العبد لله طاعته والاعتماد بهصيل مرضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه
 واستعماله في الطاعة وصوته عن المعاصي (ولو يرى الذين ظلموا) أي باتخاذ الانداد (اذيرون)
 أي يصرون (العذاب) يوم القيامة واذبعت اذا أوجرى المستقبل وهو يرى مجرى الماضي لان
 اذ موضوعه للماضي والمعنى هنا على الاستقبال لتعقبه كقوله تعالى ونادى أصحاب الجنة (ان)
 أي بان (القوة) أي القدرة والغلبة (لله) وقوله تعالى (جميعا) حال (وان الله شديد العذاب)
 وجواب لو محذوف والتقدير لو يعلمون ان القدرة لله جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا أشد
 الندم والقاعل ضمير الهامع والذين ظلموا ويرى بمعنى يعلم وأن وما بعدها سدت مسد المفعولين

وقرأ نافع وحده بالتاء على الخطاب أى ولوترى يا محمد ذلك لرأيت أمراً عظيماً وأمال السوسى
الاف المتقلبة بعد الراء فى الوصل بخلاف عنه وغلط ورش اللام بعد الطاء وقرأ ابن عامر يرون
بضم الباء والباقون بفتحها (اذ) بدل من اذ قبله (تبراً الذين اتبعوا) وهم الرؤساء (من الذين
اتبعوا) وهم الاتباع أى يذكر الرؤساء لالالاتبع يوم القيامة حين يجمع الله القادة
والاتباع (و) قد (رأوا العذاب) أى راينله فالواولوالعمال وقدم مضمرة كما قدرتها وقبل عطف
على تبرأ وقوله تعالى (وتقطع) عطف على تبرأ وقوله تعالى (بهم) بمعنى عنهم (الاسباب)
أى الوصل التى كانت بينهم فى الدنيا من القربات والصدقات وصارت مخالفتهم عداوة (وقال
الذين اتبعوا) أى الاتباع (لأن لنا كفرة) أى رجعة الى الدنيا (فتبرأ منهم) أى الرؤساء
(كما تبرأوا منا) اليوم ولولم تكن ذلك أجيب بالفاء (كذلك) أى مثل ذلك الاراء الفظيع
(يربهم الله أعمالهم) أى السيئة وقوله تعالى (حسرات) أن تنقلب ندمات (عليهم) ثالث
مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والافعال وقوله تعالى (وما هم بخارجين من النار) أصله
وما يخرجون لأن المناسب ان تعطف به له فعلية على جملة فعلية لكن عدل به الى هذه العبارة
للمبالغة فى الخلود والاقنطاط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا * واختلف فى سبب نزول قوله
تعالى (يا أيها الناس كلوا مما فى الارض حلالاً) فقال البيضاوى نزلت فى قوم حرموا على
أنفسهم رفيع الاطعمة والملابس أى لآعلى وجه التورع كما تفعله الصوفية وما قاله
قول مرجوح كما قاله شيخنا القاضى زكريا والمشهور انما نزلت فيهم آية المائدة وهي يا أيها
الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وأما هذه الآية فانها نزلت فى الكفار
الذين حرموا البهار والسواكب والوصائل وقحوها ومن ثم عبر هنا بيا أيها الناس وثم
بيا أيها الذين آمنوا * (تنبيه) * حلالا مفعول كلوا وأحال وقوله تعالى (طيباً) اما صفة
مؤكدة واما ظاهر من كل تشبهة وهو ما يستطيبه الشرع قال الكشاف ومن للتبعض
لان كل ما فى الارض ليس بما كولهذا ان جعلنا حلالا حلالا فان جعلناه مفعولاً فى الاستداء
كما قاله السعد التفتازانى لان من التبعية فى موضع المفعول أى كما وابعض ما فى الارض
(ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أى طريقه كما قاله الزجاج أو المحقرات من الذنوب كما قاله
أبو عبيدة فتدخلوا فى حرام أو شبهة أو تحريم حلال أو تحليل حرام وقرأ ابن عامر وقبل
وحفص والكسائى بضم الطاء والباقون بالسكون (انه لكم عدو مبين) أى بين العداوة
أو مظهر العداوة عند ذوى البصيرة وان كان يظهر الموالاتة ان يغويه وقد أظهر عداوته بامتناعه
من السجود لآدم ثم بين سبحانه وتعالى عداوته بأنه لا يأمر بخير قط بقوله (انما يأمركم بالسوء)
أى القبيح شرعاً (والفحشاء) أى ما تجاروا الخد فى القبح من العظام وعن ابن عباس أن السوء
من الذنوب مالا حلت فيه والفحشاء من المعاصى ما يجب به حد وقال السدى الفحشاء هى الرثا
وقيل الخذل قال البيضاوى واستعير الامر لترينه ونعته لهم تسفيه الرأىهم وتنفير الشائهم
انتهى قال شيخنا القاضى زكريا ولا حاجة الى صرف الامر عن ظاهره لان حقيقة طلب الفعل

ولاريب أن الشيطان يطلب سوء والفشاء من يريد اغواهم (و) يأمركم أيضاً (أن تقولوا على الله ما لا تعلمون) كتحليل المحرمات وتحريم الطيبات واتخاذ الانداد وقوله تعالى (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) من التوحيد وتحليل الطيبات متصل بما قبله وهو نازل في مشركي العرب وكفار قريش والضمير في لهم عائده على الناس المذكورين في قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً عدل عن الخطأ بهم للنداء على ضلالتهم كما أنه التفت إلى العقلاء وقال لهم انظروا إلى هؤلاء الحقي ماذا يجيبون وقيل مستأنف والهاء والميم في لهم كتابة عن غير مذكور روى عن ابن عباس أنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ود إلى الإسلام فقال رافع بن خارية ومالك بن عوف بل تتبع ما أفينا عليه آباءنا فأنزل الله تعالى هذه الآية (قالوا) لا تتبعه (بل تتبع ما أفينا) أي وجدنا وأدركنا وعلمنا وألني تتعدى إلى مقصودين وهما قوله (عليه آباءنا) من عبادة الأصنام وتحريم البصائر والسوابف فانهم كانوا خيراً وأعلم منا قال الله تعالى (أو لو كان) أي أتبعوهم ولو كان (آباؤهم لا يعقلون شيئاً) أي من أمر الدين لاشياً مطلقاً فانهم كانوا يعقلون أمر الدنيا فلنفظه عام ومعناه الخصوص (ولا يهتدون) إلى الحق والهمزة للانكار والوالو والحوال أو العطف وجواب لو محذوف أي لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون في أمر الدين ولا يهتدون إلى الحق لا تبعوهم (ومثل) أي صفة (الذين كفروا) ومن يدعوهم إلى الهدى (كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءاً ونداءاً) أي صوتاً ولا يفهم معناه والتعني التصويت يقال نعى المؤذن ونعى الراعي بالضأن قال الخطل

فانعى بضأنك يا جريفاً * منك نفسك في الخلاء ضلالاً

وأما نعى الغراب فبالعين المجهمة والمعنى أنهم في سماع الموعظة وعدم تدبرها كالبهاائم تسمع صوت راعيها ولا تفهمه (وقيل) معنى الآية مثل الذين كفروا في دعاء الأصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثل الناعق بالغنم ولا ينتفع من نعيه بشيء غير أنه في عناء من الدعاء والنداء كذلك الكافر ليس له من دعاء الآلهة إلا العناء والدعاء كما قال تعالى وإن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ثم وصف سبحانه وتعالى الكفار بصفات ذم فقال (صم) أي هم صم عن سماع الحق تقول العرب لمن يسمع ولا يعقل ما يقال له أنه أصم (بكم) عن الخير لا يقولونه (عمى) عن الهدى لا يصرونه (فهم لا يعقلون) الموعظة لا ضلال نظرهم (يا أيها الذين آمنوا) كلوا من طيبات (أي حلالات) ما رزقناكم روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر يتيديه إلى السماء يارب يارب أشعث أغبر مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأني يستجاب لذلك ولما وسع الله تعالى الأمر على الناس كافة وأباح لهم ما في الأرض سوى ما حرم عليهم أمر المؤمنين منهم أن يتحسروا طيبات ما رزقوا ويقيموا بحقوقها فقال (واشكروا لله) على ما رزقكم وأحل لكم (إن كنتم آياه تعبدون) أي إن صم

انكم تخصونه بالعبادة وتقرّون انه مولى النعم فان عبادته لا تتم الا بالشكر فالمعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لا تمامه وهو بعدم عدمه روى البيهقي وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اني والجن والانس في نساء عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق وبشكر غيري * ثم بين سبحانه وتعالى المحترّات بقوله (انما حرم عليكم الميتة) أي أكلها اذا الكلام فيه وكذا ما بعد ها وهي التي ماتت من غير ذكاة شرعية وألحق بها بالسنة ما أبين من حث وخص منها السمك والجراد والحرمة المضافة الى الامن تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا ما خصه الدليل كالصرف في المدبوغ (والدم) أي المسفوح كما قال تعالى في سورة الانعام أود ما مسفوحا روى ابن عمر رضي الله تعالى عنهم ما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال وهو في حكم المرفوع بل رفعه ابن ماجه وغيره لكن بسند ضعيف (ولحم الخنزير) أي جميع أجزائه وعبر عن ذلك باللحم لانه معظم المقصود منه وغيره تبع له (وما أهل بدها لله) أي ذبح على اسم غيره والاهلال رفع الصوت وكانوا يرفعونه عند الذبح لا لهم (فن اضطر) أي أبلغناه الضرورة الى أكل شيء مما ذكركم كاه (غير باغ) أي خارج على المسلمين وقيل مجاوزا لمقدار الذي أحلّ له (ولا عاد) أي متعد على المسلمين بقطع الطريق وقيل لا يقصر فيما أبغى له فيدعه وقال سهل بن عبد الله غير باغ مفارق للجماعة ولا عاد مبتدع مخالف للسنة فلم يرخص للمبتدع في تناول المحترّم عند الضرورة وقال مسروق من اضطر الى الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل ولم يشرب حتى مات دخل النار واختلف العلماء في قدر ما يحل للامضطرّ أكله من الميتة على قوانين أحدهما أن يأكل مقدار ما يمكّن ريقه وهو قول ابن أبي حنيفة والراجح عند الشافعي والقول الآخر يجوز أن يأكل حتى يشبع وبه قال مالك (فلا انتم) أي لا حرج (عليه) في أكل ما ذكره قرأ أبو عمرو وعاصم وحزرة بكسرون فن اضطر في الوصل والباقور بضمها * (فائدة) * قال البغوي غير نصب على الحال وقيل على الاستثناء واذا رأيت غير تصلح في موضعها لا فهي حال واذا صلح في موضعها لا فهي استثناء (ان الله غفور) لمن أكل في حال الاضطرار (رحيم) حيث رخص للعباد في ذلك (فان قيل) انما تفيد قصر الحكم على ما ذكره من محرم لم يذكر (أجيب) بأن المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحل الكفار لا مطلقا وقصر ما ذكر على حال الاختيار كما أنه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها * (تنبيه) * ألحق بالباغي والعادي كل عاص بسفوره كالأبق والمكاس فلا يحل لهم أكل نبي من ذلك ما لم يتوبوا وعليه الشافعي * ونزل في علماء اليهود رؤسائهم الذين كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والمساكن وكانوا يرجون أن يكون النبي المنعوت منهم فلما بعث صلى الله عليه وسلم من غيرهم خافوا ذهاب ما كنتم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة محمد صلى الله عليه وسلم فغيروها ثم أخرجوها اليهم فاذا نظرت السفلة الى النعت المغير وجدوه مخالفا لصفة محمد صلى الله عليه وسلم فلا تبعونه (ان الذين يكفون ما أنزل الله من الكتاب) المشتمل على نعت محمد صلى الله عليه وسلم (ويشترون به) أي بالمكثوم (ثمنا) أي عوضا (قليل) أي يسيرا أي الما كل التي

بمسبوغهم من سفطهم (أو لثك ماياً) كاون في بطونهم) أى مل بطونهم يقال أى كل فلان في بطونهم
وأكل في بعض بطنه (الانار) أى ما يؤذيهم الى النار وهو الرشوة وغن الدين ولما كان يقضى
بهم الى النار لانها عقوبة عليهم فكأنهم أكلوا النار وقيل معناه انه يصير ناراً في بطونهم
(ولا يكلمهم الله يوم القيامة) أى لا يكلمهم بالرحمة وبما يشترهم انما يكلمهم بالتوبيخ أو يكون
عليهم غضبان كما يقال فلان لا يكلم فلان اذا كان عليه غضبان لما ثبت بالنصوص انه تعالى
يسألهم والسؤال كلام فحمل نفي الكلام على الغضب فهو كناية ويجوز ابقاء الكلام على ظاهره
وتحتمل نصوص السؤال على أنه يقع بالسنة الملائكة (ولا يركبهم) أى ولا يطهرهم من دنس
الذنوب (ولهم عذاب أليم) أى مؤلم وهو النار (أو لثك الذين اشتروا) أى استبدلوا (الضلالة
بالهدى) فأخذوا هابله في الدنيا (و) استبدلوا (العذاب بالمغفرة) أى المعتدة لهم في الآخرة
لأنهم يكفون الحق للمطامع والاعراض الدنيوية (فما أصبرهم على النار) أى ما أشد صبرهم وهو
تجب لاهو من من ارتكاب موجباتها من غير مبالاة والافأى صبرهم كما قال الحسن والله ما لهم
عائها من صبر ولكن ما أجراهم على العمل الذي يقربهم الى النار وقال الكسائي فمأ أصبرهم
على عمل أهل النار أى ما أدومهم عليه روى عن الكسائي أنه قال قال لى قاضى اليم بمكة
اختصم الى رجلان من العرب فحلف أحدهما على حق صاحبه فقال ما أصبرك على عذاب الله
تعالى (ذلك) أى الذى ذكر من أكلهم النار وما بعده (بأن) أى بسبب أن (الله نزل الكتاب) وقوله
تعالى (بالحق) متعلق بنزل فرفضوه بالكذب أو الكتمان وقوله تعالى (وان الذين اختلفوا
في الكتاب) اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله تعالى وكفرهم ببعضها واما
للعهد وحينئذ الاشارة اما الى التوراة واختلافهم حيث آمنوا ببعضها وكفروا ببعضها ابكته
واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم بهرو وتقول وكلام علمه بشر وأساطير الاولين (ان شقاق)
أى خلاف (بعيد) عن الحق واختلاف في الخطاب بقوله تعالى (ليس البر) أى وهو كل فعل
مرضى (أن تولوا وجوهكم) أى فى الصلاة (قبل المشرق والمغرب) على قولين أحدهما أنهم
المساون والثانى أهل الكاين فعلى الاول معناه ليس البر كله فى الصلاة ولكن البر ما فى هذه
الآية قاله ابن عباس ومجاهد وعطاء وعلى الثانى ليس البر صلاة اليهود الى المغرب وصلاة
النصارى الى المشرق فانهم أكثر الخوض فى أمر القبلة حين حوالت وادعى كل طائفة ان
البر هو التوجه الى قبلته فرد الله تعالى عليهم وقال ليس البر ما أنتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما
فى هذه الآية قاله قتادة والربيع ومقاتل وقال قوم هو عام لهم وللمسلمين أى ليس البر مقصورا
بأمر القبلة وقرأ حفص وحزرة بنصب البر على انه خبر مقدم والباقون برفعه وقوله تعالى (ولكن
البر من آمن) على تأويل حذف المضاف أى بر من آمن أو بتأويل البر معنى ذى البرأى ولكن البر
الذى ينبغي أن يهتم به بر من آمن أو ولكن ذا البر من آمن (بالله واليوم الآخر والملائكة
والكتاب) أى الكتب ان أريد به الجنس والافا القرآن (والنبيين) والتأويل الاول أولى
لان السابق فى الآية انما هو نفي كون البر تولية الوجه والذي يستدلون انما هو من جنس

يلبسني وقرأ نافع وابن عامر بكسر نون ولا يمكن مخففة ورفع راء البر والباقون بنصب النون
 مشددة ونصب الراء والذين تقدم أن نافعاً يقرؤه بالهمزة والباقون على البدل وورش على أصله
 من المدة والتوسط والعصر (وَأَتَى الْمَالَ عَلَى) أى مع (حبه) له كما قال عليه الصلاة والسلام
 لما سئل أى الصدقة أفضل أن تؤتيه وأنت صحيح صحيح تأمل العيش أى الحياة وتحشى الفقر
 وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كانا فلان وقيل
 الضمير لله أى على حب الله (ذَوَى الْقَرَبَى) أى القرابة قال صلى الله عليه وسلم الصدقة على
 المسكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان صدقة وصلوة (وَالْيَتَامَى) جمع يتيم وتقدم تعريفه
 (وَالْمَسَاكِينَ) جمع مسكين وهو من له مال أو كسب يقع موقعاً من كفايته ولا يكفيه بخلاف الفقير
 فإنه من لا مال له ولا كسب يقع موقعاً من كفايته وسبأنى بيان ذلك أن شاء الله تعالى في سورة
 براءة (وَابْنِ السَّبِيلِ) أى المسافر يقال للمسافر ابن السبيل لملازمته الطريق وقيل هو الضيف
 ينزل بالرجل قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه
 (وَالسَّائِلِينَ) أى الطالبين الذين أبلأتهم الحاجة إلى السؤال قال صلى الله عليه وسلم للسائل
 حق وإن جاء على ظهر فرسه رواه الامام أحمد وفي رواية ردوا السائل ولو بطلق محرق (وَفِي
 الرِّقَابِ) أى فكهما معاونة المسكين وقيل فرض الاسراء وقيل ابتغاء الرقاب لعتقه (وَأَقَامَ
 الصَّلَاةَ) المفروضة (وَأَتَى الزَّكَاةَ) المفروضة (فَانْقَلَبَ) قد ذكر آيات المال في هذه الوجوه
 ثم نبأ بآيات الزكاة فقد دل ذلك على أن فى المال حقاً سوى الزكاة (أَجِيبْ) بأن المقتضى
 فى التطوع وإن قال الشعبي أن فى المال حقاً سوى الزكاة وتلاهذه الآية فى الحديث نسخت
 الزكاة كل صدقة رواه الدارقطني والبيهقي أى نسخت الزكاة وجوب كل صدقة وروى ليس
 فى المال حق سوى الزكاة (وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا) فيما بينهم وبين الله عز وجل وفيما
 بينهم وبين الناس إذا وعدوا أنجزوا وإذا حلفوا أوفوا وإذا قالوا صدقوا وإذا اتفقوا
 أدوا * (تَبَيَّنَ) * المؤفون عطف على من آمن وقيل رفع على المبتدأ والخبر أى وهم المؤفون
 وقوله تعالى (وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ) أى شدة الفسار (وَالضَّرَّاءِ) أى المرض (وَحِينَ الْبَأْسِ)
 أى وقت شدة القتال فى سبيل الله تعالى نصيب على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على الشدائد
 ومواطن القتال على سائر الأعمال وروى عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال كما إذا حجب البأس
 أى اشتد الحرب ولقى القوم القوم اتقيت برسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يكون أحداً أقرب إلى
 العدو منه (أُولَئِكَ) الموصوفون بما ذكر (الَّذِينَ صَدَقُوا) فى الدين واتباع الحق وطلب البر
 (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) الله التاركون للفساد وسائر الرذائل قال البيضاوى رحمه الله تعالى
 والآية كما ترى جامعة للكالات الانسانية بأسرها دالة عليها صريحاً وضمنافانها بكثرتها
 وتشعبها منحصرة فى ثلاثة أشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد أشير إلى
 الأول بقوله تعالى من آمن إلى والنبيين وإلى الثانى بقوله تعالى وأتى المال إلى وفى الرقاب وإلى
 الثالث بقوله تعالى وأقام الصلاة إلى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظر إلى إيمانه

واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بعاشريته للخلق ومعاملته مع الحق واليه أشار بقوله عليه الصلاة
 والسلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان ونزل في حين من أحياء العرب اقتتلوا
 في الجاهلية قبل الإسلام بقليل فكان بينهم ما قتل وجراحات يأخذ بعضهم من بعض حتى جاء
 الإسلام وكان لأحد الحيين طول على الآخر في الكثرة والشرف وكانوا ينسكبون نساءهم
 بغير مهر وأقربهم والنقتل بالعبد الحر منهم وبالمراة من الرجل منهم وبالرجل من الرجلين منهم
 وجعلوا جراحاتهم ضعة في جراحات أولئك فرفعوا أمرهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم (يا أيها
 الذين آمنوا كتب) أي فرض (عليكم القصاص) وهو المساواة والمماثلة (في القتل) وصفا
 وفعلا (الحر) يقتل (بالحر) ولا يقتل بالعبد (و) يقتل (البد بالعبد) يقتل (الأنثى بالأنثى)
 ويقتل السنة أن الذكري يقتل بالأنثى وأن المماثلة تعتبر في الدين فلا يقتل مسلم ولو عبدا بكافر
 ولا ثمة في ذلك خلاف وأدلة مذكورة في الفقه وكلهم على هدى من ربهم (فمن عني له) أي من
 القتاتين (من) أي دم (أخيه) المقتول (شيء) بأن ترك القصاص منه وتنكير شيء يفيد سقوط
 القصاص بالعقو عن بعضه ولو من بعض الورثة وفي ذكر أخيه تعطف إلى العفو وإيدان بأن القتل
 لا يقطع أخوة الإيمان ومن مبتدأ شرطية أو موصولة والخبر (فاتباع) أي فعل العافي اتباع
 للقاتل (بالمعروف) بأن يطالبه بالدية بلا عنف وترتيب الاتباع على العفو يفيد أن الواجب
 أحدهما وهو أحد قول الشافعي والثاني وهو الأصح عنده الواجب القصاص عينا والدية بدل
 عنه فلو عفا ولم يسمها فلا شيء (فان قيل) ان عفاية عدي بعن لا باللام أو وجه قوله فمن عني له (أجيب)
 بأن عفاية عدي بعن إلى الجاني وإلى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال تعالى عفا الله
 عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى إلى الذنب والجاني معا قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول
 غفرت له ذنبه ونجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الآية كأنه قيل فمن عني له عن جنائيه فاستغنى
 عن ذكر الجنابة (وأداء) أي وعلى القاتل أداء الدية (إليه) أي العافي وهو الوارث (باحسان)
 أي بلا مظل ولا بنحس (ذلك) الحكم المذكور في العفو والدية (تخفيف من ربكم ورحمة)
 لما فيه من التسهيل والنفع لأن أهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو وأخذ
 الدية وعلى أهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث القصاص
 والدية والعفو وتوسعة عليهم وتيسيرا (فمن اعتدى) أي ظلم القاتل بأن قتله (بعد ذلك) أي العفو
 على الدية أو مجانا (فله عذاب أليم) أي مؤلم في الآخرة بالنار أو في الدنيا بالقتل أو أخذ الدية
 ان عني عنها وقوله تعالى (ولكم في القصاص حياة) كلام في غاية الفصاحة والبلاغة حيث
 جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحياة ليدل على أن في هذا الجنس من الحكم
 نوعا من الحياة عظيمها وذلك أنهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة قال الزمخشري وكم قتل مهلول
 بأخيه كليب حتى كاد يغرق بكرين وائل وكان يقتل بالمقتول غير قتله فتشور الفتنة ويقع بينهم
 التشاجر فلما جاء الإسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة أو نوع من الحياة وهي الحياة الحاصلة
 بالارتداد عن القتل لأن القاصد للقتل اذا علم أنه ان قتل يقتل يتنعم فيكون فيه بقاء وبقاء من

بهم يقتله وفي المثل القتل أنى للقتل وقيل في المثل القتل قتل القتل وقيل المراد بالحياة الحياة
 الاخرى فان القتلى اذا اقتصر منه في الدنيا لم يؤخذ به في الآخرة هذا بالنسبة للآدمي وأما
 بالنسبة لله تعالى فان تاب فكذلك والافهوت تحت المشيئة ثم نادى ذوى العقول الكاملة بقوله
 (يا أولى الألباب) للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الأرواح وحفظ النفوس ثم بين سبحانه
 وتعالى مشروعية ذلك بقوله (لعلكم تتقون) القتل مخافة القودأ ونعملون عمل أهل التقوى في
 المحافظة على القصاص والحكم به والأذعان له وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة (كتب)
 أى فرض (عليكم اذا حضر أحدكم الموت) أى حضرت أسبابه وظهرت أماراته (ان ترك خيراً)
 أى ما لا نظيره قوله تعالى وما تنفقوا من خير وقيل ما لا كثير الماروى عن عائشة رضى الله تعالى
 عنها أن رجلاً أراد الوصية فسأله كم مالك فقال ثلاثة آلاف فقالت كم عبدك قال أربعة قالت
 انما قال الله تعالى ان ترك خيراً وان هذا الشئ يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضى الله تعالى عنه
 أن مولى له أراد أن يوصى وله سبعة مائة درهم فغضه وقال قال الله تعالى ان ترك خيراً والخير هو المال
 الكثير وقوله تعالى (الوصية) مرفوع بكتب وذكر فعلها الفاصل ولانها بمعنى أن يوصى ولذلك
 ذكر الراجع في قوله فغن بدله بعد ما سمعه والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها
 وجواب ان أى فليوص (لوالدين والأقربين بالمعروف) بالعدل فلا يفضل الغنى ولا يتجاوز
 الثالث لما روى عن سعيد بن مالك رضى الله تعالى عنه قال جاءني النبي صلى الله عليه وسلم
 يعودني فقلت يا رسول الله أوصى بحالى كله قال لا قلت فالشطر قال لا قلت فالثالث قال الثالث
 والثالث كثير انك ان تدع ورثتك أغنياء خير لك من أن تدعهم عالة يكفون الناس بأيديهم
 أى يسألون الناس الصدقة بأفهم وقوله تعالى (حقاً) مصدر قال البيضاوى تبعاً للنزحشرى
 وغيره مؤكداً لضمهم الجملة قبله أى حق ذلك حقاً وردّه أبو حيان بأن قوله تعالى على المتقين
 متعلق بحقاً وصفة لكل منهما يخرج عن التأكيدها ما لا أول فلان المصدر المؤكد لا يعمل
 انما يعمل المصدر الذى ينحل الى حرف مصدرى والفعل أو المصدر الذى هو بدل من اللفظ
 بالفعل وأما الثانى فلان مقام مصدر مخصص بالصفة فلا يكون مؤكداً وقيل حقاقت لمصدر كتب
 أو أوصى أى كتباً أو أوصاه حقاً وقيل حال من مصدر أحدهما عرفاً وقيل نصب على المفعولية
 أى جعل الوصية حقاً (على المتقين) الله وهذا منسوخ بآية المواريث وقوله صلى الله عليه
 وسلم ان الله أعطى كل ذى حق حقه ألا الوصية لو ارث بناء على الأصح من أن الكتاب ينسخ
 بالسنة وان لم تواتر وبذلك ظهر ما فى قول بعضهم ان الكتاب لا ينسخ بالسنة وان الحديث من
 الأحاد (فغن بدله) أى غيره من الأوصياء والشهود (بعد ما سمعه) أى وصل اليه علمه وتحقق
 عنده (فانما ائمه) أى الأوصياء المبدل (على الذين يتدلونه) والميت يرى منه وفي هذا إقامة
 للظاهر مقام المضمّر (ان الله سميع) لما وصى به الموصى (عليه) بفعل الوصى فيجازه عليه وفي
 هذا وعيد للمبتدل بغير حق (فغن خاف من موص) أى توقع وعلم كقوله تعالى فان خفتهم أن لا يقيموا
 حدود الله أى علمتم وقرأ سورة بامالة الآف بعد الحام من خاف حيث جاء وقرأ أشعبة وسجدة

والكسائي بفتح الواو من موصل وتشديد الصاد والباقون بسكون الواو وتخفيف الصاد
 (جنفا) أى ميلاعن الحق بالخطا في الوصية (أو أغمأ) بأن تعمد الخيف في الوصية (فأصلح بينهم)
 بين الوصى والموصى لهم باجرائهم على نهي الشريعة (فلا اثم عليه) في هذا التبديل لانه تبديل
 باطل الى حق بخلاف الاول (ان الله غفور رحيم) فيه وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر
 الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم (يا أيها الذين آمنوا كتب) أى فرض (عليكم الصيام) هو
 لغة الامساك عما تنازع فيه النفس ومنه قوله تعالى فقولى انى نذرت للرحمن صوما أى صمتا لانه
 امساك عن الكلام وفي الشريعة الامساك عن المفطرات مع النية فانها معظم ما تشتهيه النفس
 (كما كتب على الذين من قبلكم) من الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم قال على رضى الله
 تعالى عنه أولهم آدم يعنى ان الصوم عبادة قديمة أصلية ما أدخل الله أمة من افتراضها عليهم
 لم يفرضها عليهم وحدكم وفي قوله تعالى كتب عليكم الخ تؤكد للحكم وترغب على الفعل
 وتطيب على النفس وفي موضع التشبيه في كاف كما كتب قولان أحدهما أن التشبيه في حكم
 الصوم وصفته لا في عدده قال سعيد بن جبير كتب عليهم اذ انام أحدهم قبل أن يطعم أنه لم يحل له
 أن يطعم الى الليلة القابلة والنساء عليهم حرام ليلة الصيام وهو عليهم ثابت وقد أخص لكم هذا
 فعلى هذا تكون هذه الآية منسوخة بقوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث الآية فانها
 فرقت بين صوم أهل الكتاب وبين صوم المسلمين والثاني انه كصومهم في عدد الايام لما روى
 أن رمضان كتب على أهل الانجيل فأصابهم موتان أى وهو بضم الميم موت يقع على الماشية
 فزادوا عشر اقبله وعشر بعده فجعلوه خمسين وقيل كان يقع في الحر الشديد وكان يشق عليهم
 في أسفارهم ويضرهم في معاشهم فاجتمع رأى علمائهم ورؤسائهم على أن يجعلوا صيامهم في
 فصل من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه في الربيع وقالوا نزيد عشرين يوما تكفر ما صنعنا
 قال السدي عن مشايخه وقيل زادوا فيه عشرة أيام أولا كفارة لما صنعوا فصار أربعين يوما ثم
 ان ملكهم اشتكى ففعل الله عليه ان هوشى من وجهه أن يزيد في صومهم أسبوعا فبأفراذ فيه
 أسبوعا ثم مات ذلك الملك ووليهم ملك آخر فقال أتموه خمسين يوما وعلى هذا تكون الآية محكمة
 لا منسوخة (عليكم تتقون) بصومكم للمعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدؤها كما
 قال عليه الصلاة والسلام يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة أى مؤن النكاح فليتزوج
 فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء أى قاطع لشهوته
 أو اهلكم تنظمون في زهرة المتقين لان الصوم شعارهم وقوله تعالى (أياما) نصب بصوموا
 مقتدر الدلالة الصيام عليه لا بالصيام لوقوع الفصل بينهما (معدودات) أى قلائل كقوله تعالى
 دراهم معدودة وأصله أن المال القليل يقدر بالعدد ويحكر فيه والكثير به ال هبلا ويحني حنبا
 أو موقتات بعدد معلوم وهى رمضان كما سيأتى وقلة تسهلا على المكاتبين وقيل هى عاشوراء
 وثلاثة أيام من كل شهر كتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم صيامها حين هاجر ثم نهضت
 بشهر رمضان (فمن كان منكم مريضا) مرضا يضره الصوم ويعسر معه (أو على سفر) أى مسافرا

سفر قصر (فعدة من أيام أخر) أى فعلية صوم عدة أيام المرض والسفر من أيام أخر ان افطر
 لحذف الشرط وهو ان افطر والمضاف وهو صوم والمضاف اليه وهو أيام المرض والسفر للعلم بها
 واختلفوا فى المرض الذى يبيح الفطر والاصح فيه ما قدرناه وذهب أهل الظاهر الى أن ما ينطلق
 عليه اسم المرض يبيح الفطر وهو قول ابن سيرين فقد دخل عليه فى رمضان وهو يأتى كل
 فاعمل بوجع اصبعه وفى السفر الذى يباح فيه الفطر والاصح فيه أيضاً ما قدرناه وهو
 مرحلتان وقال الاوزاعى أقله مرحلة وقال أبو حنيفة وأصحابه ثلاثة أيام (وعلى الذين
 يطيقونه) أى ان افطروا (فدية) هى (طعام مسكين) أى قدر ما يأتى كله فى يوم وهو مائة على الاصح
 من غالب ثوب بلده وقال بعضهم نصف صاع من القمح أو صاع من غيره وقال بعضهم ما كان
 المفطر يتقوته يومه الذى افطره وقال ابن عباس يعطى كل مسكين عشاءه وصوره واختلف
 العلماء فى تأويل هذه الآية وحكمها فذهب أكثرهم الى أنها منسوخة وهو قول ابن عمر وسلمة
 ابن الاكوع وغيرهما وذلك انهم كانوا فى صدر الاسلام مخيرين بين أن يصوموا وبين أن يفطروا
 ويفدوا وانما خيروهم الله تعالى لانهم كانوا لم يتعودوا الصيام ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله
 تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه قال ابن عباس الاحامل والمرضع اذا افطرا تخوفا على الولد
 فانها باقية بلا نسخ فى حقهما وذهب جماعة منهم الى أن لفظة لا مقدرة فى الآية أى وعلى الذين
 لا يطيقونه اكبر أو مرض لا يرجى برؤه فدية وهو قول سعيد بن جبيرة وجعل الآية محكمة وقرأ
 نافع وابن ذكوان بغير تنوين فى فدية وخفض الميم من طعام والباقون بتنوين فدية ورفع الميم
 من طعام وقرأ نافع وابن عامر مساكين بفتح الميم والسين وألف بعد السين وفتح النون والباقون
 بكسر الميم وسكون السين ولألف بعدها وكسر النون منونة (فمن تطوع خيراً) بالزيادة على
 القدر المذكور فى الفدية (فهو) أى التطوع (خيره) فينبىكم الله عليه (وان تصوموا) أى
 أيها المطيقون مبتدأ خبره (خير لكم) أى من الافطار والفدية (ان كنتم تعلمون) أى مافى
 الصوم من الفضيلة وبرائة الذمة وجواب ان كنتم محذوف دل عليه خير لكم أى فالصوم خير
 لكم وقوله تعالى (شهر رمضان) مبتدأ خبره ما بعده أو بدل من الصيام فى قوله كتب عليكم
 الصيام بدل اشتمال أو بدل كل من كل ان قدر مضاف أو خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلكم شهر
 رمضان أو الشهر من الشهر ورمضان مصدر رمض اذا أحرق فأضيف اليه الشهر وجعل علماً
 ومنع من الصرف للعلمية والالاف والنون (فان قيل) اذا كانت التسمية واقعة مع المضاف
 والمضاف اليه جميعاً ووجه ما جاء فى الاحاديث من نحو قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان
 ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وقوله صلى الله عليه وسلم لم يعد من أدرك رمضان فلم يغفر له
 (أجيب) بأن ذلك على حذف المضاف لامن اللبس قال التفقازانى وجازاً لحذف من الاعلام
 وان كان من قبيل حذف بعض الكلمة لانهم أجروا مثل هذا العلم مجرى المضاف والمضاف
 اليه حيث أعربوا الجزأين وانما سمى العرب بذلك اما لارتعاضهم فيه من حرا الجوع والعطش
 واما لارتعاض الذنوب فيه وقيل لما نقلوا أسماء الشهر وعن اللغة القديمة سموها بالازمنة

الاسماء المذكورة هي كذلك في النسخ التي بأيدينا وقد اختلف الناس في ذلك اختلافا كثيرا قال بعضهم وتوجد للشهور أسماء قد كان أوائلهم يدعونها بها وهي هذه المؤتمرون وناجر وخوان وصوان وخنين ورنى والاصم وعادل وناقق وواغل وهواع وبرك وقد توجد هذه الاسماء مخالفة لما أوردناه مختلفة الترتيب كما نظمها بعضهم بقوله
 يؤتمرون وناجره بدأنا *
 وبالنخوان يتبعه
 الصوان * وبالرنى
 وبأئمة قلبه * يعود
 أصم صم به السنان
 وواغل وناطله
 جميعا * وعادله
 فهم غر رحسان *
 ورنه بعدها برك
 فتمت * شهور الحول
 يعقدها البنان *
 وفي مروج الذهب
 أسماء أخرى فراجع

التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمضان الحرق قال أئمة اللغة كان أسماء الشهور في اللغة القديمة مؤتمرون وناجر وخوان وبصان خنين ورنه الاصم وعادل وناقق عادي هواع بالذغيرت الى محترم صفر ربيع الاول وبيع الثاني بجادي جادي الثانية رجب شعبان رمضان شوال ذي القعدة ذي الحجة على الترتيب وسمى المحرم تكريم القتال فيه وصفر غلومكة عن أهلها الى الحروب والريعيان لارتباع الناس فيه مما أي أقامتهم وجاديان لجود الماء فيهما ورجب الترحيب العرب اياه أي تعظيمهم له وشعبان لشعب القبائل فيه ورمضان لمرض الفصال فيه وشوال لشول اذ ناب اللواقح فيه وذو القعدة للنعوذ فيه عن الحرب وذو الحجة لحجهم فيه (الذي أنزل فيه القرآن) جملة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ليله القدر ثم تنزل منجما الى الارض وقيل ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر وقيل أنزل في شأنه القرآن وهو قوله تعالى كتب عليكم الصيام وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين رواه الامام أحمد وغيره * (فائدة) قال ابن عادل يروي ان جبريل عليه السلام نزل على آدم اثنتي عشرة مرة وعلى ادريس أربع مرات وعلى ابراهيم اثنتين وأربعين مرة وعلى نوح خمسين مرة وعلى موسى أربع مائة مرة وعلى عيسى عشر مرات وعلى محمد صلى الله عليه وسلم أربعة وعشرين ألف مرة وقرأ ابن كثير القرآن بنقل حركة الهمزة الى الراء وتصور الراء مفتوحة وألف بعدها في المعرف والمنكر حيث جاء وكذا يقرأ حمزة في الوقف بقوله تعالى (هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) حالان من القرآن أي أنزل وهو هداية للناس لا بمجاز من الضلالة الى الحق وهو آيات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل مما فيه من الحكم والاحكام (فان قيل) فمأعنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس (أجيب) بأنه تعالى ذكر أولا انه هدى ثم ذكر أنه بينات من جملة ما هدى به الله وفرقه الحق والباطل من وجه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال (فن شهد) أي حضر (منكم الشهر فليصمه) وقوله تعالى (ومن كان مريضا أو على سفر) أي فأفطر (فعدة من أيام أخر) فقد قدم مثله وكررا فلا يتوهم نسخه بتعميم من شهد (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) أي يريد أن يسر عليكم ولا يعسر ولذلك أباح لكم الفطر في المرض والسفر واختلفوا هل الفطر في السفر أفضل أو الصوم والاصح انه ان شق عليه الصوم فالقطار أفضل والا فالصوم وروى عن ابن عباس وأبي هريرة وعروة بن الزبير وعلى بن الحسين انهم قالوا لا يجوز الصوم في السفر ومن صام فعليه القضاء واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر وأجاب الأقل عن الحديث بأنه محمول على من شق عليه الصوم فقول جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في سفر فرأى رجلا قد نزل عليه فقال ما هذا قالوا هذا صائم فقال صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر والدليل على جواز

الصوم في السفر قول أبي سعيد رضي الله تعالى عنه كأنما فرمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في
 رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر فلا يعيب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم وقوله تعالى
 (واتكملوا العدة ولتذكروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) أي الله على نعمه علل لفعل
 محذوف دل عليه ما سبق أي وشرع بجملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له
 بالقضاء وبإعارة العدة ما أفطر فيه ومن الترخيص في إباحة المفطر فقوله تعالى واتكملوا العدة
 على الأمر بإعارة العدة وقوله تعالى واتكبروا على ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة
 المفطر وقوله تعالى واتكبروا على ما علم من تعظيم الله تعالى بالحمد والثناء عليه
 ولذلك عدت أنواع من الف والشر لطف المسالك ومعنى التكبير تعظيم الله تعالى بالحمد والثناء
 عليه ولذلك عدت بحرف الاستعلاء لكونه مضمناً معنى الحمد كأنه قيل ولتذكروا الله حامدين
 على ما هداكم وقيل تكبير عبد المفطر وقيل التكبير عند الإهلال وقرأ شعبة ولتكملاوا بفتح
 الكاف وتشديد الميم والباقون بسكون الكاف وتخفيف الميم * (تنبيه) * ورد في فضل شهر
 رمضان وثواب الصائمين أخبار منها ما رواه أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا دخل
 رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب
 الجنة فلم يغلق منها باب ونادى نادياً يا بني الخير أقبل ويا بني الشر أقصر والله عتقاء من النار وذلك
 كل ليلة ومنها ما رواه أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم لم قال من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له
 ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ومنها ما رواه سلمان
 قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال أيها الناس قد أظلمكم
 شهر عظيم شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليلة تطوعاً من
 تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى
 سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزاد فيه الرزق
 من فطر فيه صائماً كان له مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن
 ينقص من أجره شيء قالوا يا رسول الله أي عمل نأخذ ما يقدر الصائم قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم لم يعطى الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على مذقة لبن أو تمر أو شربة من ماء ومن أسقى
 صائماً سقاه الله عز وجل من حوضي شربة لا يظم أبداً حتى يدخل الجنة وهو شهر أقره رحمة
 وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار فاستكثر واقية من أربع خصال خصاتين ترضون بهما
 ربكم وخصاتين لا غنى لکم عنهما فاما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله الا الله
 وتستغفرونه وأما اللتان لا غنى لکم عنهما فأن الله الجنة وتعودون به من النار وعن أبي
 هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى **كُلْ** عمل ابن آدم يضاعف
 الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف الا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع طعامه
 وشربه وشهوته من أجل للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولأول
 فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك الصوم جنة وعن سهل بن سعد أنه قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم في الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون وعن ابن عمر
 انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصيام والقرآن يشفعان للعبد يقول الصيام رب اني
 منعتك الطعام والشهوات بالنهار فشنعني فيه ويقول القرآن رب منعتك النوم بالليل فشنعني
 فيه فيشفعان وسأل جماعة النبي صلى الله عليه وسلم اقرب ربنا فاجابه أم بعيد فناديه فنزل
 (واذا سألك عبادي عني فاني قريب) أي فقل لهم اني قريب وهو غثيل لكمال علمه بأفعال العباد
 وأقوالهم واطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم ونحوه قوله تعالى ونحن اقرب اليه
 من حبل الوريد وقوله تعالى (أجيب دعوة الداع اذا دعان) أي بان الله ما سأل تقرير للقرب ووعد
 للداعي بالاجابة وقرأ ورش وأبو عمرو وبالثبات الياء فيهما وصل لا وقفوا واختلف عن قالون فيهما
 والباقون بحذفها وصل لا وقفوا (فان قيل) ما وجه قوله تعالى أجيب دعوة الداع وقوله
 ادعوني أستجب لكم وقد يدعى كثير فلا يجيب (أجيب) بأنهم اختلفوا في معنى الآيةين فقل
 معنى الدعاء هنا الطاعة ومعنى الاجابة الثواب وقيل معنى الآيةين خاص وان لفظهما عام
 تقديره أجيب دعوة الداع ان شئت كما قال تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شاء أو أجيب
 دعوة الداعي ان وافق القضاء أو أجيبه ان كانت الاجابة خيرا له أو أجيبه ان لم يسأل محالا وعن
 أبي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يستجيب الله لحدكم ما لم يدع باثم
 أو قطيعة رحم أو يستجبل قالوا وما الاستجبال يا رسول الله قال يقول قد دعوتك يا رب فلا
 أراك تستجيب لي فيتسر عند ذلك فيدع أي يترك الدعاء وقيل هو عام ومعنى قوله أجيب
 أي أسمع ويقال ليس في الآية أكثر من اجابة الدعوة فاما اعطاء الامنية فليس بمدكور فيها
 وقد يجيب السيد عبده أو والوالد له ثم لا يعطيه سؤله فالاجابة كاشنة لا محالة عند حصول
 الدعوة وقيل معنى الآية أنه لا يجيب دعاءه فان قدر له ما سأل أعطاه وان لم يقدر له ادخر الثواب
 له في الآخرة أو كف عنه به سواء لقوله صلى الله عليه وسلم ما على الارض رجل مسلم يدعوا لله
 بدعوة الا آتاه الله اياها أو كف عنه من سوء بمنها ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم وقيل ان الله
 يجيب دعوة المؤمن في الوقت ويؤخر اعطاء مراده ليدعوه فيسمع صوته ويجعل اعطاء من لا
 يحبه لانه يغيض صوته وقيل ان للدعاء آدابا وشرائط وهي أسباب الاجابة فن استكملها
 كان من أهل الاجابة ومن أدخل بها فهو من أهل الاعتماد في الدعاء فلا يستحق الجواب
 (فليس تجيبوا لي) اذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أجيبهم اذا دعوني بمهماتهم وقوله تعالى
 (وليؤمنوا بي) أمر بالثبات والمداومة على الايمان (لعلهم) أي لكي (يرشدون) والرشد اصابة
 الحق (أحل لكم ليلة الصيام) أي الليلة التي تصبحون منها صائمين (الرفث الى نساءكم) الرفث
 كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخفى لو من رفث وهو الافصاح بما يجب أن يكفي عنه كلفظ الوطء
 والجماع فانه يجب أن يكفي عنه بلازم من لوازمه كالرفث وعدى بالي لتضمنه معنى الافضاء وكفى
 عن الجماع هنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد أفنني بعضكم الى بعض
 استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة ولذلك سماه فيما يأتي خيانة قال ابن عباس رضي الله تعالى

عنهما ان الله تعالى حي كريم يكتفي كل ما ذكر في القرآن من المباشرة والملازمة والافضاء والدخول فالرفث انما عني به الجماع وقال الزجاج الرقت كلمة جامعة لكل ما يزيد الرجال من النساء قال اهل التفسير كان في ابتداء الامر اذا افطر الرجل حل له الطعام والشراب والنساء الى اوان العشاء الاخرة او يرقد قبلها فاذا صلى العشاء او رقد قبلها حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى الليلة القابلة ثم ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه واقع اذله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل اخذ بيكي ويوم نفسه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني أعوذ الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة اني رجعت الى أهلي بعد ما صليت العشاء فوجدت رائحة طيبة فسوات لي نفسي فجمعت أهلي فهل تجب لي من رخصة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بعمله فنزل في عمر وأصحابه هذه الآية وفي تجويز المباشرة في جميع الليل دليل على جواز تأخير الغسل الى الفجر وصحة صوم المصبح جنباً (من لباس) أي سكن (لكم وأنتم لباس) أي سكن (لهن) كما قال تعالى وجهه لى منها زوجها ليسكن اليها وكما قيل لا يسكن شئ الى شئ كسكون أحد الزوجين الى الآخر وقيل سمي كل واحد من الزوجين لباساً لتجردهما عند النوم وتعاقدتهما واجتماعهما في ثوب واحد حتى يصير كل واحد من الزوجين صاحبه كالثوب الذي يلبسه قال الجعدي

إذا ما الضمير في عطفها * تثبت فكانت عليه لباسا

والضمير المضارع وما زائدة وثني عطفاً على مال شقها وتثنت مالت والشاهد في قوله فكانت عليه لباساً وقيل أن كلامهما يستريح حال صاحبه ويعتد به من الفجور كما جاء في الخبر من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) أي تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب بالجماعة بعد العشاء كما وقع ذلك لعمر وغيره وقال البراء لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله هذه الآية (فتب عليكم) أي قبل توبتكم (وعفا عنكم) أي محاذنوبكم ولم يعل أحد انفاً عفاً لأنه واوى (قالا ن) أي اذا نسخ عنكم التحريم (بأشروهن) أي جامعوهن حلالاً وسمى الجماعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد منهما بصاحبه (وابتغوا) أي واطلبوا (ما كتب الله لكم) أي ما قسم لكم وأثبت في اللوح من الولد بالمباشرة أي لا تأشروا القضاء الشهوة وحدها ولكن لا تغفوا ما وضع الله له النكاح من التناسل أو قصد العفة وقال مجاهد ابتغوا الولد فان لم تلده هذه فهذه وقال مقاتل وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم بإباحة الأكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ وقيل وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم وحله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وقيل هو نهي عن العزل لأنه في الحرائر فقوله تعالى (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخطيط الأبيض من الخطيط الأسود من الفجر) أي الصادق نزل في رجل من الانصار قال عكرمة اسمه أبو قيس وذلك انه ظل نهاره يعمل في أرض وهو صائم فلما أمسى رجع الى أهله بقر فقال لامرأته قد دمي الطعام وأرادت المرأة أن تطعمه شيئاً فاختارت عمل له في شئ وكان في ابتداء الاسلام

من صلى العشاء أو نام قبلها حرم عليه الطعام والشراب فلما فرغت من طعامه اذ هو قد نام وكان قد أحمأ وكل فابقطته فكره أن يعصى الله ورسوله وأبى أن يأكل فأصبح صائماً مجتهداً فلم يقتصر النهار حتى غشى عليه فلما أفاق أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال يا أبا قيس مالك أم سبت طليحاً فذكر له حاله فاغتم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وقد شبه سبحانه وتعالى أول ما يمدون الفجر المعترض في الأفق وما يمتد معه من غبش الليل بخطين أبيض وأسودوا كتنى بيان الخيط الأبيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الأسود لدلالته عليه ويصح أن تكون من التبييض فأنما يمدو بعض الفجر وعلى كل منهما فهمي مع مدخولها في محل الحال والمعنى على التبييض حال كون الخيط الأبيض بعضاً من الفجر وعلى البيان حال كونه هو الفجر (فان قيل) كيف التمس على عدى بن حاتم مع هذا البيان حتى قال عمدت إلى عقالي أبيض وأسود فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت أقوم من الليل فلا يتبين لي الأسود من الأبيض فلما أصبحت عدوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فضحك وقال إن كان وسادتك إذا العريضا وروى أنك لعريض القفا أنما ذلك بياض النهار من الليل (أجيب) بأنه غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه لانه مما يستدل به على بلادة الرجل وقلة فطنته وقال سهل بن سعد الساعدي نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحداهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبيناه فأنزل الله تعالى بعد ذلك من الفجر (فان قيل) كيف جاز فعل ذلك في رمضان مع تأخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد (أجيب) بأن ذلك كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان إلى وقت الحاجة جائزاً واسمى أولاً بأشهره ما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التمس على بعضهم (ثم أتوا الصيام) من الفجر (إلى الليل) أي إلى دخوله بغروب الشمس كما روى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم أي دخل وقت افطاره • (تنبيه) • انما قدرت في الآية الكريمة من الفجر ليدل على عدم جواز الزانية في النهار في صوم رمضان كما هو مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه ولأن إلى يكون المغياح لا ينقض شيئاً فشبهاً والاعتمام فعل الجزء الأخير فقط وهو لا ينقض كذلك وفي الآية دليل على نفي الوصال لأنه تعالى جعل الليل غاية الصوم وغاية الشيء منتهاه وما بعد ما يخالف ما قبلها (ولا تبشروهن) أي نساءكم (وأنتم عاكفون) أي مقيمون (في المساجد) بنية الاعتكاف والمراد بالمباشرة الوطء والآنبة نزلت في نفر من الصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا يعتكفون في المسجد فإذا عرضت للرجل منهم الحاجة إلى أهله خرج إليها فجامعها ثم اغتسل ثم يرجع إلى المسجد فنهوا عن ذلك لئلا ونهار حتى يفرغوا من اعتكافهم وفيه دليل على أن الاعتكاف لا يمتنع بمسجد دون مسجد وأن يكون في المسجد لا في غيره اذ ذكر المساجد لا جاز أن يكون لجعلها شرطاً في منع مباشرة المعتكف لمنعها وإن كان خارج المسجد ويمنع غيره أيضاً منها

فيها قعين كونها شرط العصاة الاعتكاف وإن الوطء محترم في الاعتكاف ويفسده لأن النهي
 في العبادات يوجب الفساد أمامادون الجماع من المباشرات فإن كان بشهوة فحرام ولا يطل
 اعتكافه إن لم ينزل فإن أنزل وكان بلا حائل فكالجماع والافلاعن عائشة رضي الله تعالى عنها
 أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اعتكف أدنى إلى رأسه فأرجله وكان لا يدخل
 البيت إلا الحاجة الإنسان (تلك) الأحكام المذكورة وهي قوله تعالى فالآن بأشروهن إلى قوله
 تعالى في المساجد (حدود الله) حدها للعبادة فهو عندنا (فلا تقربوها) نهى تعالى أن يقرب
 الحد الحائزين الحق والباطل لئلا يدا في الباطل فضلاً أن يتخطى عنه وهذا أبلغ من قوله تعالى
 في آية أخرى فلا تعدوها لكن في ذلك ما مورات وهي لا ينهي عن قربانها فالمراد منها اضدادها
 بناء على أن الأمر بالشئ نهى عن ضده أو مستلزم له ليصح النهي عن قربانها ويجوز أن يراد بحدود
 الله محارمه ونواهيه وعلى هذا فالنهي عن القربان ظاهر كما قال عليه الصلاة والسلام إن لكل
 ملك حي وإن حي الله في أرضه محارمه فمن رتق حول الحي يوشك أن يقع فيه رواه الشيخان
 (كذلك) أي كما بين لكم ما ذكر (بين الله آياته للناس لعلهم يتقون) أي لكي يتقوا مخالفة الأوامر
 والنواهي فينجوا من العذاب (ولأنكم كلوا أموالكم بينكم) أي لا يأكل كل بعضكم مال بعض
 (الباطل) أي الحرام شرعاً كالغصب والسرقة وقوله تعالى (وتدلو) مجزوم داخل في حكم
 النهي أو منصوب بأخباران والادلاء الإلقاء أي ولا تلقوا (بها) أي بحكمومتها وأبوالأموال رشوة
 (إلى الحكم لتأكلوا) بالتعاطي (فريقاً) أي طائفة (من أموال الناس بالاثم) أي بما يوجب
 اثماً كشهادة الزور واليمين الكاذبة أو متلبس بالاثم فالباء أمال السببية فتكون متعلقة بتأكلوا
 أو للمصاحبة فتتعلق بمعدوف وتكون مع مدخولها حالاً من فاعل تأكلوا (وأنت تعلمون)
 أنكم مبطلون فإن ارتكبا المعصية مع العلم أقيم روى أن عبدان الحضرمي أذهى على امرئ
 القيس الكندي قطعة أرض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يحلف
 امرؤ القيس فهم بالحلف فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذين يشترون بعهد الله
 وأيمانهم ثم نافقوا فارتدع عن اليمين وسلم الأرض لعبدان فنزلت وهو دليل على أن حكم القاضي
 لا يتخذ في باطن الأمر وفيه خلاف ظاهر ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لخصمين اختصما إلي
 إنما أنا بشر وأنتم تحتصمون لدي ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته أي أقوم وأقدر عليها من
 بعض فأقضى له على ما أسمع منه فمن قضيت له بشئ من أخيه فأنما أقطع له قطعة من نار فبكوا وقال
 كل واحد منهما حتى لصاحبه فقال أذهبوا فأنتم كائنات استهما ثم ليحل كل واحد منهما صاحبه
 وسأل معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال الهلال يبدو دقيقاً
 كأنه يطير يزيد حتى يمتلي نوراً ويستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود دقيقاً كما بدا ولا يكون على حالة
 واحدة كالشمس فنزل (يستلونك) يا محمد (عن الأهل) جمع هلال مثل رداء واردية والهلال
 اسم له أقول الليلة الأولى والثانية والثالثة وبعدها يسمى قراؤها سماء بأقول حاله لأن الناس
 يرفعون أصواتهم بالذكر عند رؤيته من قولهم استهل الصبي إذا صرخ حين يولد (قل) لهم

(هي مواقيت) جمع ميعات أي معالم (للناس) يعلمون بها أوقات زرعهم ومتاجرهم ومحال
ديونهم وصيامهم وافتقارهم وعدد نسايتهم وأيام حيضهم ومدة حملهم وغير ذلك وقوله تعالى
(والحج) عطف على الناس أي يعلمون بها وقته أداء وقضاء هذه هي الحكمة الظاهرة في ذلك
ولهذا خالف بين الأهل وبين الشمس فلو استترت الأهل على حاله لم يعرف حال ما ذكر ولما كان
الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم بالحج أو العمرة لم يدخل حائطاً ولا بيتاً
ولا داراً من بيته فإن كان من أهل المدر نقب نقباً في ظهر بيته ويدخل منه ويخرج أو يتخذ سلماً
فيه فيصعد منه وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل ولا يخرج
من الباب حتى يحل من إحرامه ويرون ذلك برا إلا أن يكون من المحس وهم قريش وكثانة
وخزاعة وثقيف وبنو عامر بن صعصعة وبنو نضير بن معاوية وبنو حسان الشدته في
دينهم والحجاسة الشدة والصلابة فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بيتاً ببعض
الأنصار فدخل رجل من الأنصار يقال له رفاعه بن تايوت على أثره من الباب وهو محرم
فأنكر وأعليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب وأنت محرم قال رأيتك
دخلت فدخلت على أثرك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني أحس فقال الرجل فإن
كنت أحس فاني أحس رضى به ذلك وبسمتك ودينك فأنزل الله تعالى (وليس البريان نأوا
البيوت من ظهورها ولكن البر) أي ذا البر (من اتقى) الله بترك مخالفته ووجه اتصال هذه
الآية بما قبلها أنهم سألوا عن الحكمة في اختلال حال القمر وعن حكم دخولهم بيوتهم من
غير أبوابها وأنه تعالى لما ذكر أنهم سألوا عن الحكمة في الحج وهذا أيضاً من أفعالهم في الحج ذكره
للاستطراد وأنهم لما سألوا عما لا يعنيههم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيههم وهو
معرفة الحلال والحرام ويختص بعلم النبوة عقب بذكر جواب ما سألوه تنبيهاً على أن اللائق
بهم أن يسألوا عن أمثال ذلك ويهتموا بالعلم بها وعلى أن المراد به التنبيه على تمكيسهم السؤال
وتعميلهم بحال من ترك أبواب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البريان نأوا
مسائلكم ولكن من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله (واتقوا البيوت من أبوابها) في الأحرام وغيره
أذ ليس في العدو براً وباشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن تباشر عليها والمراد توطئ
النفوس وربط القلوب على أن جميع أفعال الله تعالى حكم وصواب من غير اختلاج شبهة
ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل عنه كما في السؤال من الاتهام بمقارنة الشك لا يسأل عما
يفعل وهم يسألون (واتقوا الله) في تغيير الأحكام (لعلكم تفلحون) لكي تفوزوا بالهدى والبر
وقرأ ورش وأبو عمرو وحفص البيوت بضم الباء حيث جاء معرفاً كان أو منكراً وكسرهما
الباقون ولا خلاف في وليس البرهنا أن الراى مرفوعة للجميع وقرأ نافع وابن عامر ولكن بكسر
النون مخففة ورفع الراى والباقون بفتح النون مشددة ونصب الراى ولما صدق المشركون رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن البيت عام الحريية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج مع أصحابه للعمرة وكانوا ألسناً وبعثوا قساراً حتى نزلوا المدينة فصددهم المشركون

عن البيت الحرام وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا مكة ثلاثة أيام فطوف بالبيت فلما كان العام المقبل تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمره القضاء وخاف المسلمون أن لا يوفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والاحرام والشهر الحرام وكره المسلمون ذلك نزل (وقاتلوا) أى جاهدوا (في سبيل الله) لاعلاء كلمته واهزأ دينه (الذين يقاتلونكم) من الكفار (ولا تعتدوا) عليهم بالابتداء بالقتال (إن الله لا يحب المعتدين) أى لا يريد بهم الخير لانه غاية المحبة اذا المحبة حقيقة محال في حقه تعالى لانها ميل النفس وسبب ذلك انهم كانوا منعوا من قتال الكفار وأمروا بالصبر على أذاهم بقوله تعالى اتبلون في أموالكم الآية ثم أمروا به اذا ابتدوا به بهذه الآية ثم أبيع لهم ابتداءه في غير الاشهر الحرم بقوله تعالى فاذا انسح الاشهر الحرم الآية ثم أمروا به مطلقا من غير تقييد بشرط ولا زمان بقوله تعالى (واقتلوهم حيث تفتقوهم) أى وجدتموهم في حل أو حرم وقرأ أبو عمرو وبادغام التاء في التاء بخلاف عنه حيث جاء (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أى من مكة وقد فعل ذلك بن لم يسلم عام الفتح (والفتنة) أى الشر منكم (أشد) أى أعظم (من القتل) لهم في الحرم والاحرام الذى استعظمتموه أو المحنة التى يفتن بها الانسان كالإخراج من الوطن أصعب من القتل لدوام نعيمها وتألم النفس بها قبل لبعض الحكماء ما أشد من الموت قال الذى يتنى فيه الموت وقال القاتل

لقتل بحمد السيف أهون موقعا * على النفس من قتل بحمد فراق

وقيل الفتنة عذاب الآخرة كما قال تعالى ذوقوا عنتكم (ولا تقاتلوهم) أى لا تبدؤهم (عند المسجد الحرام) أى في الحرم (حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم) فيه (فاقتلوهم) فيه فانهم هم الذين هتكوا حرمة وقرأ حزة والكساف ولا تقاتلوهم حتى يقتلوكم بفتح التاء الفوقية من تقاتلوهم والباء من يقتلوكم وسكون القاف ولا ألف بعد القاف وضم التاء فيهما والباقيون بفتح التاء والياء وفتح القاف وبعد القاف ألف وكسر التاء وأما فان قاتلوكم فحذف حزة والكسافى الألف وأثبت الباقيون والمعنى على قراءة حزة والكسافى حتى يقتلوا بعضهم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم كقول بعض العرب قتلنا بنى أسد أى بعضهم وقال بعضهم وان تقتلونا نقتلكم (كذلك) أى القتل والإخراج (جزاء الكافرين) أى يفعل بهم مثل ما فعلوا (فان اتهموا) من الكفر وأسأوا (فان الله غفور) يغفر لهم ما قد سلف (رحيم) بهم فلا يؤاخذ بذلك (وقاتلوهم حتى لا تكون) أى توجد (فتنة) أى شرك (ويكون الدين) أى العبادة (لله) وحده لا يعبدون سواه (فان اتهموا) عن الشرك فلا تعتدوا عليهم دل على هذا (فلا عدوان) أى اعتداء يقتل أو غيره (الاعلى الظالمين) أى فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن أن يظلم الامن ظلم والفاء الاولى للتعظيم والثانية للجزاء وسعى جزاء الظالمين عدوانا لا مشاكلة كقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه (الشهر الحرام) أى المحرم مقابل (بالشهر الحرام) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج معقرا في ذى القعدة سنة ست وصلىته المشركون عن البيت بالحديبية ورجع في العام القابل في ذى القعدة وقضى عمرته سنة سبع واستعظم المسلمون قتالهم في الشهر الحرام

نزات هذه الآية أي هذا الشهر بذلك وهتك بهتكم فلا تبالوا به وقوله تعالى (والحرمات
 قصاص) احتجاج عليه أي كل حرمة وهو ما يجب أن يحافظ عليه بما يجزى فيها القصاص وإنما
 جعلها لأنه أراد حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الاحرام أي فلما هتكوا حرمة شهركم
 بالصدف فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم غنوة واقتلواهم ان قاتلوكم أي كما قال تعالى (فمن اعتدى
 عليكم) بالقتال في الحرم أو الاحرام أو الشهر الحرام (فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)
 معنى الجزاء باسم الاعتداء على ازدواج الكلام كقوله تعالى وجزا سيئة سيئة مثلها (واتقوا الله)
 في الانتصار لانفسكم منهم ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم (واعلموا أن الله مع المتقين)
 بالعون والنصر فيحرمهم ويصلح شأنهم (وأنفقوا في سبيل الله) أي طاعته سواء الجهاد وغيره
 (ولا تاتقوا بأيديكم) أي بأنفسكم عبر بالأيدي عن الانفس كقوله تعالى بما كسبت أيديكم
 أي بما كسبتم والباء زائدة (الى التهلكة) أي الهلاك بالامساك عن النفقة في الجهاد
 أو الاسراف فيها حتى يفقر نفسه ويضيع عياله أو عن ترك الغزو الذي هو تقوية للاعداء
 روى ان رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس ألقى يده الى التهلكة
 فقال أبو أيوب الانصاري نحن أعلم بهذه الآية وانما نزلت فينا صعبنا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على أهلنا وأولادنا وأموالنا فلما فشا
 الاسلام وكثر أهلوه ووضعت الحرب أوزارها رجعنا الى أهلينا وأولادنا وأموالنا نصلحها ونقيم
 فيها فكانت التهلكة الإقامة في الابل والمال وترك الجهاد فزال أبو أيوب يجاهد في سبيل الله
 حتى كان آخر غزوة غزاها بقرطبة في زمن معاوية فتوفي هناك ودفن في أصل سورها وهم
 يستسقون به وروى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزوات على شعبة من النفاق وقال محمد بن سيرين وعبيدة
 السلماني الاقامة الى التهلكة هو القنوط من رحمة الله تعالى قال أبو قلابة هو الرجل يصيب الذنب
 فيقول قد هلكت ليست لي توبة فيياس من رحمة الله وينهمك في المعاصي فهاهم الله تعالى عن
 ذلك كما قال تعالى انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون (وأحسنوا) أي بالنفقة
 وغيرها (ان الله يحب المحسنين) أي يتيهم (وأتموا الحج والعمرة لله) أي أدوهاما بحقهما وفي
 الآية حيث دلل على وجوبهما اذا اصل في الامر الوجوب وما روى عن جابر أنه قال
 يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا معارض بما روى أن رجلا قال لعمر رضي الله تعالى
 عنه اني وجدت أي علمت الحج والعمرة مكتوبين علي أهلت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك
 ولا يقال انه فسر وجدانهم مكتوبين بقوله أهلت بهما لأنه رتب الاهلال بهما على الوجدان
 وذلك يدل على أنه سبب الاهلال دون العكس وقيل انما هما أن تحرم بهما من ديرة أهلك روى
 ذلك عن علي وابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا وقيل أن
 تكون النفقة حلالا وقيل أن تخلصهما للعبادة ولا تشوبهما بشئ من التجارة والاغراض
 الدنيوية (فان أحصرتم) أي منعتم عن انماهما يقال أحصره واحتصره العدة اذا منعه قال

تعالى الذين أحصروا في سبيل الله وقال القائل

وما هجرنا إلى أن نكون تباعدت * عليك ولان أحصرتك شغول

لكن الأشهر أن يقال في العدة وحصره وفي المرض أحصره والمراد هنا حصر العدة وقوله تعالى
 فاذا أمنتم ولنزول الآية في الحديبية واقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا حصر إلا حصر
 العدة وما روى عنه عليه الصلاة والسلام من كسر أو عرج فعليه الحج من قابل فحتمول
 على من شرطه أقوله عليه الصلاة والسلام لضباعة بنت الزبير جئ وأشرطى وقول الله تعالى
 حيث حبستني ومحلى بكسر الحاء محل الحبس والحصر ويجوز أن يكون مصدر اسمياً (فما استيسر
 من الهدى) أي فإن أردتم التحلل فعليكُم ما استيسر أو قالوا يجب أو فأتهدوا ما استيسر من
 الهدى وهو بدنة أو بقر أو سبع من أحدهما أو شاة يذبحها حيث أحصر في حل أو حرم
 ضد إلا كثر لانه عليه الصلاة والسلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وقيل لا بد أن يبعث
 بها إلى الحرم نقوله تعالى (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله) أي لا تحلقوا حتى تعاوان
 الهدى المبعوث إلى الحرم يبلغ محله أي مكانه الذي يجب أن يذبح فيه وحل الأولون بلوغ
 الهدى محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلاً كان أو حرماً لكن يندب إرساله إلى الحرم
 خروجاً من خلاف أبي حنيفة واقتضاه تعالى على الهدى دليل عدم القضاء كما قاله الشافعي
 وذهب أبو حنيفة إلى وجوب القضاء ولا بد من نية التحلل عند الذبح أو الخلق أو التقصير بعده مع
 نية التحلل وبذلك يحصل التحلل والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان (فإن كان منكم مريضاً)
 أي مرضاً يحوجه إلى الخلق (أو به أدى من رأسه) كقمل وصداع خلق في الإحرام (فقضية)
 أي فعلية فدية أن خلق ولو ببعض شعر رأسه ثلاث شعرات فأكثر ولا (من صيام) وهو ثلاثة أيام
 (أو صدقة) وهي ثلاثة أصع من غالب قوت البلد على ستة مساكين لكل واحد نصف صاع
 (أو نسك) وهو بدنة أو بقر أو سبع واحد منهما أو شاة وعن كعب بن عجرة أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال له لعلك أذالته أو أم رأسك قال نعم يا رسول الله قال خلق وصم ثلاثة أيام أو أطم
 ستة مساكين أو أنسك شاة وكان كعب يقول أنزلت في هذه الآية والتخفيف والخلق بالمعذور
 من خلق لغیر عذولانه أولى بالكفارة وكذا من استمتع بغير الخلق كالطيب والدهن واللبس لعذر
 أو غيره (فاذا أمنتم) من العدة بان ذهب أو كنتم في حال سعة وأمن (فمن تمتع بالعمرة) أي بسبب
 فراغه منها بمحظورات الإحرام (إلى الحج) أي الإحرام به بأن يكون أحرم به في أشهره (فما
 استيسر) أي فعلية ما تيسر (من الهدى) وهو ما تقدم يذبحه بعد الإحرام بالحج ويجوز تقديمه
 على الإحرام به بعد الفراغ من العمرة (فمن لم يجد) أي الهدى لفقده أو فقد غنمه (فصيام) أي
 فعلية صيام (ثلاثة أيام في الحج) أي في حال إحرامه به ولا يجوز له أن يقدمه على الإحرام لانه
 عبادة بدنية فلا يجوز تقديمه على وقته ولا تأخير عنه والافضل أن يحرم قبل السادس لكراهة
 صوم عرفة ولا يجب عليه أن يحرم قبل زمن يسع الصوم بل يستحب له لكن إذا أحرم وجب عليه
 الصوم ولا يجوز أن يصوم يوم النحر ولا أيام التشريق على أصح قول الشافعي وهو ما عليه

الاكثر (وسبعة) من الايام (اذا رجعت) الى وطنكم مكة وغيرها وقيل اذا فرغتم من اعمال الحج وفيه التفات عن الغيبة وفائدة قوله تعالى (تلك عشرة) أن لا يتوهم أن الواو بمعنى أو كقولك جالس الحسن وابن سيرين ألا ترى انه لو جالسهما جميعاً أو واحداً منهما ما كان ممثلاً وأن يعلم العدد جلة كما علم تفصلاً لا يحاط به من جهتين فيمتد كذا العلم فإن أكثر العرب لم يحسنوا الحساب وفي أمثال العرب علمان خير من علم وأن المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فإنه يطلق لهما وقوله تعالى (كاملة) صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد بأن لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك اهتمام بأمر تأمره به وكان منك بمنزلة الله الله لا تنقصراً ومبيناً كمال العشرة فإنه أول عدد كامل اذ به تنتهي الاحاد وتنتهي مراتبها وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدى بحيث لا يقصر قواب الصوم عن قواب الهدى (ذلك) أي الحكم المذكور من وجوب الهدى أو الصيام على من تمتع (لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) وهم من مساكنهم دون مرحلتين من الحرم اقر بهم منسه والقريب من الشيء يقال انه حاضره قال تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر أي قرية منه وفي ذكر الاهل اشعار باشتراط الاستيطان فلما قام قبل أشهر الحج ولم يستوطن وتمتع فعليه ذلك وهو أصح قولي الشافعي والثاني لا والاهل كناية عن النفس والحق بالتمتع فيما ذكر بالسنة القارن وهو من يحرم بالعمرة والحج معاً ويدخل الحج عاها قبل الطواف (واتقوا الله) بالمحافظة على أوامره ونواهيه وخصوصاً في الحج (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن خالفه ليكون علمكم بشديد عقابه لطفالكم في التقوى (الحج أشهر) أي وقته كقولك البرد شهران (معلومات) وهي شوال وذو القعدة وعشر ليل من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر عندنا والعشرون من ذي الحجة وذو الحجة كله عند مالك وعلى الاولين انما هي شهرين وبعض شهر رأسهرا اقامة للبعض مقام الكل أو اطلاقاً للجمع على ما فوق الواحد كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما لحفصة وعائشة (فمن فرض) على نفسه (فبين الحج) بالاحرام به عندنا وبالالتبية أو بسوق الهدى عند أبي حنيفة وفيه دليل على أن من أحرم بالحج في غير أشهر الحج لا ينعقد احرامه بالحج وهو قول ابن عباس وبجماعة من الصحابة واليه ذهب الاوزاعي والشافعي وقال ينعقد احرامه عمرة لأن الله تعالى خص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص فائدة كما أنه تعالى علق الصلاة بالمواقيت ثم من أحرم بفرض الصلاة قبل دخول وقته لم ينعقد احرامه عن الفرض وانما انعقد عمرة لأن الاحرام شديد التعلق وذهب جماعة الى أنه ينعقد احرامه بالحج وهو قول مالك والثوري وأبي حنيفة أما العمرة فجميع السنة وقت لها الآن يكون عليه بنية من أعمال الحج كثرى (فلارفت) أي جماع فيه كما قال ابن عباس وجماعة من الصحابة وقيل الرفت غشيان النساء والقبلة والغمز وان يعرض لهما بالفحش من الكلام وقيل هو الفحش والقول القبيح (ولا فسوق) أي ولا خروج عن حدود الشرع بالسيات وارتكاب المحظورات وقيل هو السباب والتنازع بالالقباب (ولاجدال) أي خصام مع الخدم

والرفقة وغيرهما (في الحج) أى في أيامه فتنى الثلاث على قصد النهى لامبالغة وللدلالة على أنها حقيقة بأن لا تكون وما كان منها مستقبها في نفسه فنى الحج أقبح كلبس الحرير في الصلاة والتطريب بقراءة القرآن وهو مد الصوت وتخصينه بحيث يخرج الحروف عن هيأتها فانه يقبح في كل كلام لكنه في قراءة القرآن أقبح وقرأ ابن كثير وابوعمر و برفع الشاء من رفت والقاف من فسوق والتنوين فيهما على معنى لا يكون رفت ولا فسوق والباقون بنصبهما ولا خلاف في ولا جدال فالجميع بالنصب ولا تنوين على معنى الاخبار ~~كأنه قيل~~ ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك أن قریشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدّمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو القى فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فأخبر الله تعالى انه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على أن المنهى عنه هو الرفت والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته أمه فانه لم يذكر الجدال (وما تفعلوا من خير) كصدقة (يعلمه الله) فيه حث على الخير حيث عقب به النهى عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة (وتردوا فان خير الزاد التقوى) أى وتردوا ويقولون نحن متوكلون ونحن نخرج بيت الله تعالى أفلا يطعمنا فبكونون كلا على الناس فيسألونهم وربما يفضى الحال بهم الى النهب والغصب فقال الله جل ذكره وتردوا أى ما تقبلون به وتكفون به وجوهكم قال أهل التفسير الكعك والزيت والسويق والتمر ونحوها فان خير الزاد التقوى أى ما يتقى به سؤال الناس وغيره (واتقون يا أولي الالباب) أى يا ذوى العقول فان قضية الالباب خشية الله تعالى وتقواه وحنهم على التقوى ثم أمرهم بأن يكون المقصود بهم اهو الله تعالى فيتبرأ من كل شئ سواه وهو مقتضى العقل العرى عن شوائب الهوى فلذلك خص أولي الالباب بهذا الخطاب (ليس عليكم جناح) فى (أن تبتغوا) أى تطلبوا (فضلا) أى رزقا (من ربكم) بالتجارة فى الحج نزلت ردع الناس من العرب كانوا يتأثمون أن يتجروا أيام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق ويسعون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالداج وروى البخارى انه كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم فى الجاهلية يتجرون فيها فى أيام الموسم وكانت معاشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح فى ذلك وأبج لهم وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه قيل له هل كنتم تذكرون التجارة فى الحج فقال وهل كانت معاشنا الا من التجارة فى الحج وعكاظ سوق لقيس ومجنة وهى بفتح الميم أشهر من كسرها وفتح الجيم وتشديد النون سوق لكثانة بجزالظهران وذو المجاز وهو بفتح الميم وبالزاي سوق لهذيل (فاذا أفضتم) دفعتم (من عرفات) وأصله أفضتم أنفسكم مخذف المفعول كما حذفوه من دفعوا من موضع كذا أى دفعوا أنفسهم واختلقوا فى المعنى الذى لاجله سمى الموقف عرفات واليوم عرفة فقال عطاء كان جبريل عليه السلام يرى ابراهيم

عليه الصلاة والسلام المناسك ويقول عرفت فيقول عرفت فسمى المكان لذلك عرفات واليوم
عرفه وقال الضحاك كان آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط وقع في الهند وحواء بجدة فجعل
كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة فعارفاه فسمى المكان واليوم بما ذكر
وقال السدي لما أذن إبراهيم في الناس بالحج وأجابوا بالتلبية وأتاه من أتاه أمره الله تعالى أن
يخرج إلى عرفات ونعمته له فلما بلغ الجرة الأولى استقبله الشيطان يردّه فرماه بسبع حصيات
يكبر مع كل حصاة فطار فوقه على الجرة الثانية فرماه وكبر فطار فوقه على الجرة الثالثة فرماه وكبر
فلما رأى الشيطان أنه لا يطعمه ذهب فانطلق إبراهيم حتى أتى ذا الحجاز فلما نظر إليه لم يعرفه فجاز
فسمى ذا الحجاز ثم انطلق حتى وقف بعرفات فعرفها بالتبعية فسمى المكان واليوم بما ذكر (فان
قيل) هلا منعت الصرف وفيها السببان العلمية والتأنيث (أجيب) بأن التأنيث لا يخلو عما
أن يكون بالتاء التي في أغلبها وأما بناء مقدرة كما في سعاد فالتاء في لفظها ليست للتأنيث وإنما هي
مع الالف التي قبلها علامة جمع التأنيث ولا يصح تقدير التاء فيها لأن هذه التاء لا اختصاصها
بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا تنسدر تاء التأنيث في بنت لأن التاء التي فيها هي بدل من
الواو لا اختصاصها بالمؤنث كما التأنيث فأبوت تقديرها وفي الآية دليل على وجوب الوقوف بعرفة
لأن إذا تدل على أن المذكور بعدها محقق لا بد منه فكانه قيل بعدا فاضتكم من عرفات التي
لا بد منها اذكروا الله والافاضة من عرفات لا تكون إلا بعد الوقوف بها فوجب أن يكون
الوقوف بها واجبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج
(فاذكروا الله) بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات وقيل بصلاة المغرب والعشاء
(عند المشعر الحرام) وهو جبل في آخر المزدلفة يقال له قزح وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم
وقف به يذكر الله تعالى ويدعو حتى أسفر جدارواه مسلم وقال جابر دفع رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وأقامتين ولم يسبح بينهما شيئا
ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حتى تبين له الصبح بأذان وأقامة ثم ركب القصواء حتى
أتى المشعر الحرام استقبل القبلة فدعا وكبر وهلل ووجد ولم يزل واقفا حتى أصبح جدا وقوله تعالى
عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قرييانه وذلك للفضل كالأقرب من جبل الرحمة
والأفالمزدلفة كلها موقف الأوادي محسروا يسمى مشعرا من الشعار وهي العلامة لأنه من معالم
الحج ووصف بالحرام لحرمة وتسمى المزدلفة جمعا لأنه يجمع فيها بين صلاة المغرب والعشاء
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه نظر إلى الناس ليلة جمع فقال لقد أدركت الناس هذه
الليلة لا ينامون وقيل سميت جمعا لأن آدم اجتمع فيها مع حواء عليهما الصلاة والسلام وأزدلف
إليها أي دنا منها وقيل وصفت بفعل أهلها لأنهم يزدلفون إلى الله تعالى أي يتقربون بالوقوف فيها
(واذكروا كما هداكم) معالم دينه ومناسك حجه والكاف للتعليل (وان كنتم من قبله) أي الهدى
(لن الضالين) أي الجاهلين بالإيمان والطاعة وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
وقيل ان هي النافية واللام بمعنى الا كقوله تعالى وان تظنك لمن الكاذبين أي ما تظنك الا من

الكاذبين (ثم أفيضوا) يا قريش (من حيث أفاض الناس) وذلك أنهم وحلفاءهم ومن دان
بدينهم وهم المحس كانوا يققون بالمزدلفة وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم ويقولون
نحن أهل الله وقطان حرمه ولا تخرج منه فأمر وأن يسألوهم واثم للترتيب في الذكر وفي الكلام
تقديم وتأخير تقديره من فرض فيه الحج فلا رقت ولا فسوق ولا جدال في الحج ثم أفيضوا من
حيث أفاض الناس فاذا أفضت من عرفات فاذا كروا الله عند المشعر الحرام وقيل لتفاوت ما بين
الافاضتين أي لتراخي الثانية عن الأولى رتبة إذا الأولى هي الصواب والثانية خطأ كما في قولك
أحسن إلى الناس ثم لا تحسن إلى غير كريم فانك تأتي بتم لتفاوت ما بين الأحسان إلى الكريم
والى غيره وبعد ما بينهما وقيل ثم يعنى الواو كما في قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا (واستغفروا
الله) من ذنوبكم في تغيير المناسك وغيره (إن الله غفور رحيم) يغفر ذنوب المستغفروين ثم عليه
(فاذا قضيت) أي أديتم (مناسككم) أي عبادات حجكم كان رميت بجرة العقبة وطفتم
واستقررت بمنى وأدغم أبو عمرو الكاف في الكاف بخلاف عنه ولم يدغم مثاين من كلمة في القرآن
الاهنا وفي سورة المدثر وهو قوله تعالى ما سلككم في سقر (فاذا كروا الله) بالتكبير والتحميد
والثناء عليه (كذلك كرم آباءكم) وذلك أن العرب كانت إذا فرغت من الحج وقفت بين المصعد بعنى
وبين الجبل فيعدون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم فأمرهم الله تعالى بذكره وقال
فاذا كرونى فانا الذى فعلت ذلك بكم وبآبائكم وأحسنتم اليكم واليهم وعن ابن عباس رضى الله
تعالى عنهم فاذا كروا الله كذا الصبيان الصغار والآباء وذلك أن الصبي أقول ما يتكلم به
بذكر آبيه لا بذكر غيره فقال الله تعالى فاذا كروا الله لا غير كذا الصبي آباء (أو أشد ذكرا) من
ذكر كرم آياهم ونصب أشد على الحال المنصوب باذكروا إذ لو تأخر عنه لكان صفة له (فن الناس
من يقول ربنا آتنا) نصيبنا (في الدنيا) وهم المذركون كانوا لا يسألون الله تعالى في الحج إلا الدنيا
يقولون اللهم اعطنا غنما وابلًا وبقرا وعبيدا وكان الرجل يقوم فيقول اللهم إن أبى كان عظيم
الفتة كبيرا الجنة كثير المال فأعطني مثل ما أعطيته (وماله في الآخرة من خلاق) أي نصيب
لأن همه مة صور على الدنيا (ومنهم) أي الناس (من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة وقنا عذاب النار) بعدم دخولها وهم المؤمنون واختلفوا في معنى الحسنتين فقال على
رضى الله تعالى عنه الحسنه في الدنيا المرأة الصالحة والحسنة في الآخرة الجنة يدل له قوله صلى
الله عليه وسلم الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وروى عنه أيضا أنه قال الحسنه في الدنيا
المرأة الصالحة وفي الآخرة الخوراء وعذاب النار المرأة السوء وقال الحسن الحسنه في الدنيا
العلم والعبادة والحسنة في الآخرة الجنة وقال السدي الحسنه في الدنيا الرزق الحلال
والحسنه في الآخرة المغفرة والثواب وأدغم أبو عمرو واللام في الراء بخلاف عنه (أو أولئك)
الداعون بالحسنتين (لهم نصيب) أي ثواب (مما كسبوا) أي من جنس ما كسبوا ومن
الأعمال الحسنه أو من أجل ما كسبوا كقوله تعالى مما خطاياهم أغرقوا ويجوز أن يكون
أولئك للفريقين جميعا وإن لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا (والله سريع الحساب)

أى إذا حسب فحسابه سريع لا يحتاج إلى عقيد ولا وعى صدر ولا روية فذكر قال الحسن أسرع
 من لمح البصر وفي الحديث يحاسب الخلق كلهم في قدر نصن منها من أيام الدنيا (واذكر والله)
 أى كبره أديار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمى الجمار وغيرها (في أيام معدودات) أى أيام
 التشريق الثلاثة وسميت معدودات لقلة نكح قوله تعالى ذراهم معدودة وإلا أيام المعلومات
 عشر ذى الحجة آخرهن يوم النحر والتكبير في الأيام المعدودات عقب كل صلاة ولو فاتت وناقلة
 مشروع في حق الحاج وغيره لكن غير الحاج يكبر من صبح يوم عرفة إلى عقب عصر آخر أيام
 التشريق للاتباع رواه الحاكم وصححه أسناده وأما الحاج فيكبر من ظهر يوم النحر لانه أول
 صلاته بمعنى ولا يسكن التكبير عقب صلاة عيد الفطر لعدم وروده (فمن تهجل) أى استهجل بالنفـر
 من منى (في يومين) أى في ثلثي أيام التشريق بعد رمى جماره بعد الزوال عند الشافعي وأصحابه
 قال في الكشف وعند أبي حنيفة وأصحابه ينفر قبل طلوع الفجر (فلا ثم عليه) بالتهجيل
 (ومن تأخر) حتى بات ليلة الثالث ورمى جماره بعد زواله عندنا وقال في الكشف يجوز
 تقديم الرمي على الزوال عند أبي حنيفة (فلا ثم عليه) بذلك أى هم مخيرون في ذلك (فان قيل)
 ليس التأخير أفضل (أجيب) بأن التخيير يقع بين الفاضل والأفضل كما أخبر المسافر بين الصوم
 والافطار وإن كان الصوم أفضل عند عدم المشقة وقيل إن أهل الجاهلية كانوا فرقة بينهم
 من جعل التهجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنى الأثم عنهم جميعا وذلك
 التخيير ونفى الأثم عن التهجل والمتأخر (لمن اتقى) الله تعالى في حجه لانه الحاج على الحقيقة
 عند الله تعالى وقال النبي صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم
 ولدته أمه (واقفوا لله) في مجامع أموركم ليعبأ بكم (واعلموا أنكم إليه تحشرون) في الآخرة
 فيجوز بكم بأعمالكم (ومن الناس من يعجبك قوله) أى يعظم في نفسك ومنه الشيء المحجـب
 الذي يعظم في النفس وهو الاخفس بن شريق الثقفي حليف بنى زهرة واسمه أبى وسمى الاخفس
 لانه خفس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بنى زهرة عن القتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
 منافقا حلوا المنظر حلوا الكلام للنبي صلى الله عليه وسلم يخاف انه مؤمن به ومحبه له ويقول يعلم
 الله انى صادق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنى مجلسه وقوله تعالى (في الحياة الدنيا)
 متعلق بالقول أى يعجبك ما يقوله في أمور الدنيا وأسباب المعاش أو في معنى الدنيا لان ادعاه
 المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما يراد بالآيمان الحقيقي
 والمحبة الصادقة للرسول صلى الله عليه وسلم فكلامه اذا في الدنيا لا في الآخرة أو يعجبك قوله
 في الحياة الدنيا حلوة وفصاحة ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الدهشة
 واللكنة أو لانه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه (ويشهد الله على ما في قلبه)
 أنه موافق لكلامه (وهو الذل الخصام) أى شديد الخصومة لك ولا تساعك لعدوته لك وقال الحسن
 الذل الخصام أى كاذب القول وقال قتادة شديد القسوة في المعصية جدل بالباطل يتكلم
 بالحكمة ويعمل بالخطيئة وفي الحديث ان بعض الرجال الى الله الالذ الخصم (واذا تولى)

أى انصرف عنك بعد الالة القول وحلاوة المنطق (سجى) أى مشى (فى الارض ليقسدها)
قال ابن جرير يقطع الرحم وسفك دماء المسلمين (ويهلك الحرث والنسل) وذلك ان الاخنس
كان بينه وبين تقيف خصومة قبيتهم ليلافا حرق زرعهم وأهلك مواشيهم وقيل واذا كان واليا
فعل ما يفعله ولاه السوء من الفساد فى الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع
الله تعالى بشؤم ظلمه القطر فيه لك الحرث والنسل وحكى الزجاج عن قوم ان الحرث النساء والنسل
الاولاد قال وهذا ليس بمنكر لان المرأة تسمى حرثا أى ويدل له قوله تعالى فاتموا حرثكم أنى شئتم
(والله لا يحب الفساد) أى لا يرضى به لان المحبة وهى ميسل القلب محالة فى حقه تعالى فهى
مستعملة فى حقه تعالى فى معنى الرضا (واذا قيل له اتق الله) فى فعلك (أخذته العزة) أى حملته
الانفة والحجة على العمل (بالاثم) الذى يؤمر باتقائه (لحسبه) أى كافيه (جهنم) جزاء وعذابا
وهى علم لدار العقاب وهو فى الاصل مرادف للنار وسميت بذلك لبعدها عن قعرها وأصلها من الجهم
وهو الكراهة والغلاظ فالنون زائدة وقيل معرب نقل من الجمعية الى العربية وتصرف فيه
وأصله كهنام أبدات الكاف جيماء وأسقطت الالف وقوله تعالى (ولبنس المهاد) جواب قسم
مقدروا المخصوص بالذم محذوف للعلم به تقديره جهنم والمهاد الفرائش (ومن الناس من يشرى
أى يبيع (نفسه) أى يذللها فى الجهاد أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل (ابتغاء
مرضاة الله) أى طلب الرضا وقال أكثر المفسرين نزلت فى صهيب بن سنان الرومى أخذته
المشركون فى رهط من المؤمنين فعذبوهم فقال لهم انى شيخ كبير لا يضركم أمنكم كذت أم من
غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالى وتذرونى ودينى ففعلوا وكان شرط عليهم راحلة وثقة فاقام
بمكة ماشاء الله ثم خرج الى المدينة فلقاه أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فى رجال فقال له أبو
بكر ربح ببيعك أبابجي فقال وما ذاك فقال أنزل الله فيك قرآنا وقرأ عليه هذه الآية فعلى هذا
يكون بشرى بمعنى يشتري لاجعنى يبيع ويبدل وقيل نزلت فى الزبير والمقداد بن الاسود وذلك
ان كفار قريش يعنوا الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة انافدا سلمنا فابعت الينا نفرا
من علماء أصحابك يعلمون شادينك وكان ذلك مكرامنهم فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أبو هريرة عشرة ومن جعلتهم خبيث فقتلوههم وأسر واخيبا قال أسره والله ما رأيت أسرا خيرا
من خبيث والله وجدته يوم ما يأكل قطفا من عنب فى يده وانه لموثوق بالحديد وما بمكة من غرة أن
كان الارزقارزقه الله خبيثا ثم أرادوا قتله فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فى الحل وأرادوا أن يصلبوه
فقال دعونى أصلى ركعتين فتركوه حتى صلاهما ثم قال لولا أخشى أن تحسبوا ان ما بى من جزع
لزدت اللهم أخصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا ثم انشأ يقول

ولست أبانى حين أقتل مسلما * على أى شق كان فى الله مصرى

وذلك فى ذات الآله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ومزع

ثم صلبوه حيا فقال اللهم انك تعلم انه ليس أحد حولى يبلغ سلامى رسولك فأبغته سلامى ثم قام
عقبة بن الحرث فقتله فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال أياكم ينزل خبيثا عن خشبته

وله الجنة فقال الربيعاً نأيا رسول الله وصاحبي المقداد فخرجنا بيران بالليل ويكمنان بالنهار حتى وصلنا إليه ليلاً وادأ حول الخشبة أربعون من المشركين نياماً فنزلنا الزبير وحده على فرسه وساراً فاتبعه الكفار فلم يجدوه فأخبروا قريشاً فركب منهم سبعون فلما لحقوه ما قذف الزبير خيلاً فابتلعه الأرض فسمى بليع الأرض ثم رفع الزبير العمامة عن رأسه وقال أنا الزبير بن العوام وأمي صفية بنت عبد المطلب وصاحبي المقداد بن الأسود فان شئتم ناضلتكم وان شئتم نازلتكم وان شئتم أنصرفتم فأنصرفوا إلى مكة وقد ما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده فقال يا محمد ان الملائكة لتبهاي بهذين من أصحابك فنزلت فيهما هذه الآية (والله رؤوف بالعباد) حيث أرشداهم لما فيه رضاء ونزل في مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم) أي الاسلام وقوله تعالى (كافة) حال من السلم لانها اتونث كما تونث الحرب كما قال القائل

أبا خراشة أما أنت ذا انقر * فان قـ وى لم تأكلهم الضبع
في السلم تأخذ منا ما رضى به * والحرب تكفيك من أنفاسها جزع

أى ادخلوا في جميع شرائعه وذلك انهم كانوا يعظمون السبت ويكرهون لحوم الابل والابلها بعد ما أسلموا فأمر وأن يدخلوا في جميع شرائعه (ولا تتبعوا خطوات) أى طرق (الشيطان) أى تزينه من تحريم السبت ولحوم الابل وأبلانها وقرأ نافع وابن كثير والكسائي السلم بفتح السين والباقون بكسر ها وتقدم الكلام في خطوات لابن عامر وقنبل وحفص والكسائي بضم الطاء (انه لكم عدو بين) ظاهر العداوة (فان زلتم) أى ملتم عن الدخول في جميعه (من بعد ما جاءكم البينات) أى الحجج الظاهرة انه حق (فاعلموا ان الله عزيز) لا يعجزه شئ عن انتقامه منكم (حكيم) فى صنعه * (تنبيه) قول البيضاوى حكيم لا ينتقم الا بحق تبع فيه الرخصى وهو مذهب المعتزلة فانهم يقولون لا ينتقم الا بقدر ما يستحقه العاصى ومذهب أهل السنة انه ينتقم ويعاقب من شاء بما شاء وان كان مطيعا اذ هو متصرف فى ملكه يفعل ما يشاء من شاء وان لم يقع منه الانتقام الا بمن أساء وروى أن قارئا قرأ غفور رحيم بدل عزيز حكيم فسمعه اعرابي لم يقرأ القرآن فأنكره وقال ان كان هذا كلام الله فلا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه قوله تعالى (هل ينظرون) استفهام فى معنى التنى أى ما ينظرون (الآن يأتيهم الله) أى أمره أو بأسه كقوله تعالى أو يأتي أمر ربك أى عذابه وقوله تعالى فجاءهم بأسنا أو يأتيهم الله بيأسه فحذف المأنيته للدلالة عليه بقوله تعالى ان الله عزيز حكيم (فى ظلال) جمع ظله وهى ما أظلك (من الغمام) أى من السحاب الأبيض سى غماما لانه يغم أى يستر وانما يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة وهى نزول المطر فاذا جاء منه العذاب كان اقطع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير (و) تأتيهم (الملائكة) فانهم الواسطة فى اتيان أمره أو الاتون على الحقيقة بيأسه قال البغوى والاولى فى هذه الآية وفيما شاكلها أن يؤمن الانسان بظاهرها ويكل علمها الى الله تعالى ويعتقد أن الله تعالى منزّه عن

سمعت الحوادث وعلى ذلك مضت أئمة السلف وعلما السنة انتهى وأما أئمة الخلف فانهم يقولون
هذه الآية بنحو ما أولنا به وأمثالها بحسب المقام وهو احكم ومذهب السلف اسلم وكان
مكحول ومالك والليث وأحمد يقولون في هذا وأمثاله أمروها كاجابات بلا كيف (وقضى
الامر) أي تم أمرها لا كهم وفرغ منهم ووضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه
(والى الله ترجع الامور) في الآخرة فيجازيهم وقرأ ابن عامر وحزرة والكسائي بفتح التاء
وكسر الجيم والباقون بضم التاء وفتح الجيم وقوله تعالى (سل) أمر للرسول ولكل
أحد (بنى اسرائيل) نوحيا (كم آتيناهم) كم استفهامية معلقة سل عن المفعول
الثاني وهي ثانی مفعول آتيناهم ومميزها (من آية) أي معجزة (بينه) أي ظاهرة في الدلالة على
صدقه من جاء بها كقلب العصا حمية وبراء الاكهم والابرس وقلق البحر وانزال المن والسلوى
فبدلوا كفرا (ومن يدل نعمة الله) أي ما أنعم به عليه من الايات لانها سبب الهداية
التي هي أجل النعم كفرا (من بعد ما جاءته) أي وصلته وتمكن من معرفتها (فان الله شديد
العقاب) فيعاقبه أشد عقوبة لانه ارتكب أشد جرعة وهي التبديل (زين للذين كفروا الحياة
الدنيا) أي حسنت في أعينهم وأشربت محبتها في قلوبهم حتى تم الكوا عليهم أو أعرضوا عن غيرها
والمزين في الحقيقة هو الله تعالى اذا ما من شئ الا وهو فاعله وكل من الشيطان والقوة الحيوانية
وما خلق الله فيها من الامور البهيمية والاشياء الشمية مزين بالعرض واختلف في سبب نزول هذه
الآية فقيل نزلت في مشركي العرب أبي جهل وأصحابه وكانوا يتنعمون بما بسط لهم في الدنيا من
المال ويكذبون بالاعاد (ويسخرون من الذين آمنوا) أي يستهزئون بالفقراء من المؤمنين قال
ابن عباس أراد بالذين آمنوا عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيبا وبلاا وخبابا وأمثالهم
وقال قتادة نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه كانوا يتنعمون في الدنيا ويسخرون من
ضعفاء المؤمنين وفقراء المهاجرين ويقولون انظروا الى هؤلاء الذين يزعم محمد انه يغلبهم
وقال عطاء نزلت في رؤساء اليهود من بنى قريظة والمنضير وبنو قايح سفروا من فقراء المهاجرين
فوعدهم الله أن يعطيهم أموال بنى قريظة والمنضير بغير قتال (والذين اتقوا) أي الشرك وهم
هؤلاء الفقراء (فوقهم يوم القيامة) لانهم في أعلى عليين وهم في أسفل السافلين وأحوالهم غالبية
لحالهم لانهم في كرامة وهم في هوان أو هم غالبون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما يتناول
هؤلاء عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وروى
عن اسامة بن زيد انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رقت على باب الجنة فرأيت أكثر
أهلها المساكين ووقفت على باب النار فرأيت أكثر أهلها النساء واذا أهل الجنة محبوبون
الامن كان منهم من أهل النار فقد أمر به الى النار وروى عن سهل بن سعد الساعدي انه قال مر
رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده جالس ما رأيك في هذا قال رجل من
أشراف الناس هذا والله حري أن خطب أن ينكح وان شفع أن يشفع قال فسكت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم مر رجل آخر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيك في هذا فقال يا رسول

الله هذا رجل من فقراء المسلمين هـ ذا حري أي حقيق ان خطب أن لا ينسحب وان شفع ان لا يشفع وان قال أن لا يسمع لقوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا (واقفه يرزق من يشاء) في الدارين (بغير حساب) أي رزقا واسعا بغير تقدير في الدنيا للكافر استدرجا كما وسع على قارون وللمؤمن ابتلاء كما وسع على عبد الرحمن بن عوف وفي الآخرة للمؤمن خاصة تفضلا (كان الناس أمة واحدة) أي متفقين على الحق روى عن أبي العالية عن كعب قال كان الناس حين عرضوا على آدم وأخرجوا من ظهره وأقرؤا بالعبودية أمة واحدة مسلمين ولم يكونوا أمة واحدة قط غير ذلك اليوم ثم اختلفوا بعد آدم وقال الكبي هم أهل سفينة نوح كانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاة نوح وقال قتادة وعكرمة كان الناس من وقت أم إلى مبعث نوح وكان بينهم ما عشرة قرون كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى ثم اختلفوا في زمن نوح وقال مجاهد إذا أراد آدم وحده كان أمة واحدة سمي الواحد بلفظ الجمع لأنه أصل النسل وأبوا البشر ثم خلق الله حواء ونسب منها ما للناس فكانوا مسلمين إلى أن قتل قابيل وهابيل فاختلفوا وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما قال كان الناس على عهد إبراهيم عليه الصلاة والسلام أمة واحدة كافرين كلهم فبعث الله إبراهيم وغيره من النبيين عليهم السلام كما قال تعالى (فبعث الله النبيين) أي اختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة فيما اختلفوا فيه عليه وبجمله الانبياء كما رواه الامام أحمد مر فوفا في حديث ورد عن كعب مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا والرسل منهم ثمانمائة وثلاثة عشر والمذكور منهم في القرآن باسمه العلم الموضوع له ثمانية وعشرون نبيا وهم آدم وادريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف ولوط وموسى وهرون وشعيب وزكريا ويحيى وعيسى وداود وسليمان والياس واليسع وذوالكفل وأيوب ويونس ومحمد صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين وذو القرنين وعزير ولقمان على القول بنبوثة الثلاثة (مبشرين) من آمن وأطاع بالجنة (ومنذرين) من كفر وعصى بالنار (وأُنزل معهم الكتاب) المراد به الجنس فهو معنى الكتب لكنه تعالى لم ينزل مع كل واحد كتابا يخصه فان أكثرهم لم يكن له كتاب يخصه وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم وقوله تعالى (بالحق) حال من الكتاب أي متلبسا بالحق شاهداه (ليحكم بين الناس) أي الله أو الكتاب أو النبي المبعوث ورجح الثاني التفاضل وقال لا بد في عوده إلى الله من تكاف في المعنى أي يظهر حكمه وإلى النبي من تكاف في اللفظ حيث لم يقل ليحكموا ورجح أبو حيان الأول وهو الظاهر قال والمعنى أنه أنزل الكتاب ليفصل به بين الناس ونسبة الحكم إلى الكتاب مجاز كما أن اسناد النطق إليه في قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق كذلك (فيما اختلفوا فيه) من الدين (وما اختلف فيه) أي الدين (الذين أوثوه) أي الكتاب المنزل لازالة الخلاف أي عكسوا الأمر فجعلوا ما أنزل من بلا للاختلاف سببا لاستحكام الخلاف فآمن بعض وكفر بعض (من بعد ما جاءتهم البينات) أي الحجج الظاهرة على التوحيد

ومن متعلقة باختلاف رعي وما بعد ما تقدم على الاستثناء في المعنى (بقيا) من الكافرين (بينهم)
 حسدا وظلما لحرصهم على الدنيا (فهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه) وقوله تعالى (من الحق)
 بيان لما اختلفوا فيه أي فهدي الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف (بأذنه) أي
 بإرادته قال ابن دريد في هذه الآية اختلفوا في القبلة فمنهم من صلى إلى المشرق ومنهم من صلى
 إلى المغرب ومنهم من صلى إلى بيت المقدس فهذا أنا الله ~~له~~ كعبه واختلفوا في الصيام فهذا أنا
 الله لشهر رمضان واختلفوا في الايام فأخذت اليهود السبت والنصارى الاحد فهذا أنا الله
 للجمعة واختلفوا في ابراهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصريا فهذا أنا
 الله للحق من ذلك واختلفوا في عيسى فجعله النصارى الها فهذا أنا الله للحق فيه (والله يهدي من
 يشاء) هدايته (إلى صراط مستقيم) هو طريق الحق لا يضل سالكه (أم حسبكم أن تدخلوا الجنة
 ولما ياتكم مثل) أي شبه (الذين خلوا من قبلكم) من المؤمنين من الخن فتصروا كما صبروا
 واختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقال قتادة نزلت في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين
 ما أصابهم من الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وأنواع الأذى كما قال تعالى وبلغت
 الذلوب الحماجر وقال عطاء لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اشتد عليهم الأمر
 لأنهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين وآثروا رضا الله ورسوله
 وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأسرقوا من النفاق فأنزله الله تعالى هذه
 الآية تطميناً لقلوبهم وقيل نزلت في حرب أحد واختلف في معنى أم فقال الفراء الميم صلة
 أي أحسبتم وقال الزجاج هي بمعنى بل أي بل حسبتم ولما بمعنى لم أي ولم يأثمكم وقوله تعالى
 (مستمم البأساء) أي شدة الفقر (والضراء) أي المرض والجزع جله مستأنفة مهيئة لما قبلها
 (وزلزلوا) أي أزعجوا أزعجوا شديداً بما أصابهم من الشدائد (حتى يقول الرسول والذين آمنوا
 معه) لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر (مق) يأتي (نصر الله) الذي
 وعدناه استطالة التأخره فأجيبوا من قبل الله (الآن نصر الله قريب) آتيانه وفي هذا إشارة
 إلى أن الوصول إلى الله تعالى والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات وكابدة الشدائد
 والرياضات كما قال عليه الصلاة والسلام كما رواه الشيخان وغيرهما حفت الجنة بالمكاره
 وحفت النار بالشهوات وفي رواية لهم حجت أي جعلت المكاره حجاباً دون الجنة فنخرقه
 دخلها والشهوات حجاباً دون النار فنأقصره دخلها وقرأنا فاع يقول بازفع على أنها حكاية حال
 ماضية وقائدها تصور تلك الحال العجيبة واستحضار صورته في مشاهدة السامع ليتعجب منها
 وقرأ الباقر بالنصب (يسئلونك) يا محمد (ماذا) أي الذي (يتفقون) به والسائل كما قال ابن
 عباس رضي الله تعالى عنهم عمرو بن الجوح الأنصاري وكان شيخاً فانياً ذاملاً عظيم فقال
 يا رسول الله ماذا تنفق من أموالنا وأين تضعها فنزل (قل) لهم (ما أنفقتم من خير) أي مال
 قلدر كان أو كثيراً (فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) أي هم أولى به
 سأل عن المنفق فأجيب ببيان المصروف لأنه أهم فأن اعتداد النفقة باعتبارها ولأنه كان في سؤال

عروا وان لم يكن مذكورا في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير
 (وماتفعلا من خير) انفاق وغيره (فان الله به عليم) فيجازيكم به * (تنبيه) * ليس في الآية
 ما ينافي فرض الزكاة لينسخ به كما قيل لان الزكاة لا تعطى للوالدين ولالاقربين من الاولاد
 واولاد الاولاد فلا آية محمولة على الانفاق على من ذكره تطوعا وعلى الانفاق على الفقراء من
 الوالدين والاولاد واولاد الاولاد وذلك ليس بنسخ (كتب) أي فرض (عليكم القتال)
 للكفار (وهو كره) أي مكروه (لكم) طبعاً للمشقة (وعسى أن تنكروا شيئا وهو خير لكم)
 وهو جميع ما كلفتم به فانه الموجب لاسعادكم فاعل لكم في القتال وان كرهتموه خيرا لان فيه اما
 الظفر والغنيمة واما الشهادة والاجر (وعسى أن يحبوا شيئا وهو شر لكم) وهو جميع ما نهيتهم عنه
 فان النفس تحبه وتمناه وهو يهوى بها الى الردى ففي ترك القتال وان أحببتموه شر لان فيه الذل
 والفقر وحرمان الاجر وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها (والله يعلم)
 ما هو خير لكم (وانتم لا تعلمون) ذلك فبادروا الى ما يأمركم به (يسئلونك) يا محمد (عن الشهر الحرام)
 المحترم روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جادى الآخرة
 قبل قتال بدر شهرين على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمة المدينة ليرصد عبد القريش فيهم عمرو
 ابن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه وأسر واثنين واستاقوا العير وفيهم تجارة من تجارة
 الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنون به جادى الآخرة فقالت قريش قد استعمل محمد الشهر
 الحرام الذي يأمن فيه الخائف ويتفرق فيه الناس الى معايشهم فسفك فيه الدماء وأخذ الاسارى
 وعبر بذلك أهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استعملتم الشهر الحرام وقتلتم
 فيه وشق ذلك على أصحاب السرية وقالوا ما تبرح حتى تنزل توينا ورسول الله صلى الله عليه
 وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لما نزلت أخذ رسول الله صلى الله
 عليه وسلم الغنيمة وهي أول غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه تشنيعا وتعبيرا
 وقيل أصحاب السرية قالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فظنرنا الى هلال رجب
 فلاندرى أنى رجب أصبناه أم في جادى فأنزل الله تعالى هذه الآية وأكثر الاقاويل على أنها
 منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى (قتال فيه) بدل اشغال من
 الشهر (قل) لهم (قتال فيه كبير) أي عظيم وزرا وقد تم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال (وصد) فهو
 مبتدأ أي مذم الناس (عن سبيل الله) أي دينه (وكفر به) أي الله (وصد عن) المسجد الحرام
 أي مكة (واخراج أهله منه) وهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وخبر المبتدأ وما عطف
 عليه (أكبر) أي أعظم وزرا (عند الله) بما فعلته السرية من قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام
 خطأ وبناء على الظن ومما تقرّر علم أن المسجد الحرام معطوف على سبيل الله وقول البيضاوى
 ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطاف قوله تعالى وكفر به على وصد مائع منه مجاب عنه
 بأن الكفر بالله والصد عن سبيله متحدان معنى فكأنه لا فصل بالاجنبى بين سبيل الله وما عطف
 عليه ويصح أيضا أن يكون معطوفا على الهاء من به اذ يجوز له طغيان دون إعادة الجار كما جرى

عليه ابن مالك وان كان مذهب البصريين خلافه وجرى عليه البضاوي (والفتنة) أي
الشرك منكم (أكبر من القتل) لكم فيه فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن أبيس إلى
مؤمني مكة اذا غيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فغيروهم أنتم بالكفر واخراج رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من مكة ومنعهم المسلمين عن البيت (ولا يزالون) أي الكفار
(يقاتلونكم) أيها المؤمنون (حتى يردوكم عن دينكم) إلى الكفر في ذلك اخبار عن دوام
عداوة الكفار لهم وانهم لا يتقكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل لا للغاية كما قيل
لأنه أفيد من حيث أن فيه ذكر الحامل على المقاتلة بخلاف الغاية أي يقاتلونكم كي يردوكم
وقوله تعالى (ان استطاعوا) فيه استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبقى
علي وهو واثق بأنه لا يظفر به (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت) أي
بطلت (أعمالهم) أي الصالحة (في الدنيا والآخرة) فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها والتقيد
بالموت يفيد أنه لو رجع إلى الاسلام لم يطل عمله كما هو مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه
خلافًا لابي حنيفة رضي الله تعالى عنه حيث قال ان الردة فحبطت الأعمال. طلق القول تعالى
ومن يكفر بالآيات فده حبط عمله (وأجيب) بأنه محمول على المقيدين بالدين فلا يجب عليه أن
يعيد الحج الذي أتى به قبل الردة وكذا غيره لكن يطل نوابه كما نص عليه الشافعي رضي الله تعالى
عنه وان خالف فيه بعض المتأخرين (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) كسائر الكفرة ولما
ظن السرية أنهم ان سلوا من الاثم فلا يحصل لهم أجر أنزل الله تعالى (ان الذين آمنوا والذين
هاجروا) أي فارقوا عشائرهم ومنازلهم وأموالهم (وجاهدوا) المشركين (في سبيل الله) لاعلاء
دينه وكرسجانه وتعالى الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد وكانهم مأمورين بتقلان في تحقيق الرجاء
(أولئك يرجون رحمة الله) أي نوابه أثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع
في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم (والله غفور) للمؤمنين لما فعلوه خطأ وقلة احتياط (رحيم)
بهم بأن يجزل لهم الاجر والثواب (يستلونك عن الخمر والميسر) روى أنه لما نزل بمكة قوله تعالى
ومن غرات الخيل والاعناب تتخذون منه سكرًا ووزفاحسبنا كان المسلمون يشربون ما وهى
لهم - لال يومئذ ثم ان عمرو معاذ في نفر من الصحابة قالوا أقتنا في الخمر يا رسول الله فانها مذهب
للعقل فنزلت هذه الآية فشر بها قوم وتركها آخرون ثم ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما
فدعانا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا فحضرت
صلاة المغرب فقدموا بعضهم ليصلي بهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبدوا ما تعبدون هكذا إلى
آخر السورة بحذف لا فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى
تعلموا ما تقولون فحرم السكر في أوقات الصلاة فتركها قوم وقالوا لا خير في شيء يحول بيننا
وبين الصلاة وتركها قوم في أوقات الصلاة وشربوها في غير وقتها حتى كان الرجل يشرب
بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال عنه السكر ويشرب بعد صلاة الصبح فيصحو اذا جاء وقت
الظهر ثم ان عتيان بن مالك صنع طعاما ودعا رجالا من المسلمين فيهم سعد بن أبي وقاص رضي الله

تعالى عنه وقد كان شوى لهم رأس بعير فاكلوا منه وشربوا الخمر حتى اشتدت فيهم ثم افترضوا
عند ذلك واتسبوا وتناشدوا الاشعار فأنشد سعد قصيدة فيها هجاء للانصار ونحوه فاقه فخذ
رجل من الانصار لحى البعير فضرب به رأس سعد فشحبه موضحة فانطلق سعد الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وشكاه الانصارى فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بينا ناشافيا فنزل انما الخمر
والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر رضى الله تعالى عنه انتهي بنا رب قال فقال الحكمة
في وقوع التحريم على هذا الترتيب ان القوم كانوا ألفوا شرب الخمر وكان اتساعهم به كثيرا فعلم
أنه لو منعهم دفعة واحدة لشق عليهم فاستعمل في التحريم هذا التدريج والرفق وسمى عصر
العنب والتمر اذا اشتد وغلا خرا لانه يحمر العقل كما سمي سكر لانه يسكره أى يحجزه وهو حرام
مطلقا وكذا كل ما أسكر عند أكثرا العلماء وقال أبو حنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى
ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه مادون السكر وسمى القمار يسرا لانه أخذ مال الغير يسرا والمعنى
يستلونك عن تعاطيه بالقوله تعالى (قل) لهم (فيهما) أى فى تعاطيهما (انتم كبير) أى عظيم الميحصل
بسيئهما من المخاصمة والمشااة وقول الفحش وقرأ حزة والكسائي بالياء المثلثة والباقيون بالياء
الموحدة (ومنافع للناس) بالذات والفرح ومصادقة الفتيان وتشجيع الجبان وتوفرا المرأة
وتقوية الطبيعة فى الخمر واصابة المال بلا كد فى الميسر (واثمهـما) أى ما ينشأ عنهـما من
المفاسد (أ كبير) أى أعظم (من تنعهما) المتوقع منهـما ولذا قيل ان هذا هو المحرم للمخمر فان
المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والظاهر أن المحرم لها آية المائدة كما مر
(ويستلونك) يا محمد (ماذا ينفقون) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حثهم على الصدقة
فقالوا ماذا تنفق فقال الله تعالى (قل) لهم (العفو) قرأ أبو عمرو ورفعه الواو بتقدير هو والباقيون
بنصبها بتقدير اتفقوا واختلفوا فى معنى العفو وهو نقيض الجهد فقل ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه
منه الجهد واستقراغ الوسع كما قال الشاعر

خذى العفو منى تستدعى مودتى • ولا تنطقى فى سورتي حين أغضب

وسورة الغضب شدته وحدته وقال قتادة وعطاء والسدي هو ما فضل عن الحاجة وكانت
السخابة رضى الله تعالى عنهم يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل بحكم
هذه الآية وقال مجاهد معناه التصديق عن ظهر غنى روى أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه
وسلم ببضة من ذهب أصابها فى بعض الغنائم فقال خذها منى صدقة فأعرض عنه صلى الله عليه
وسلم حتى كثر مرارا فقال هاتهما مغضبا فأخذها فخذفها ثم أخذ فالوأصابه لشحه ثم قال يأتى
أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى واليد العليا
خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول قال ابن الاثير والظاهر قد يراد فى مثل هذا الشبا على الكلام
وتحكيما كأن صدقته مستندة الى ظهر قوى من المال وقال عرو بن دينار الوسط من غير
اسراف ولا اقتسار كما قال تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما
(كذلك) كما بين لكم ما ذكر (يسين الله لكم الآيات) قال الزجاج انما قال كذلك على

الواحد وهو مخاطب جماعة لأن الجماعة معناها القبيل كأنه قيل كذلك أيها القبيل وقيل
 هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لأن خطابه يشمل على خطاب الأمة كقوله تعالى يا أيها النبي
 إذا طلقتم النساء (لعلكم تتفكرون) زوال (الدنيا) وفنائها فتزهدوا فيها (و) في اقبال
 (الآخرة) وبقيائها فتزهدوا فيها (ويستألفونك) يا محمد (عن اليتامى) وقدمت لأنهم مجمع بينهم
 وإن اليتيم طفل لأب له قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما أنزل قوله تعالى ولا تقر بوا مال
 اليتيم إلا بالتى هي أحسن وقوله إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً الآية تخرج المسلمون
 من أموال اليتامى تخرجاً شديداً فإن واكولهم يأثموا وإن عزلوا أموالهم من مالهم وصنعوا لهم
 طعاماً وحدهم فخرج فاشتهت ذلك عليهم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُنزل الله تعالى
 (قل إصلاح لهم) أي اليتامى في أموالهم بتفقيتها ومداخلتها معهم (خير) من محاببتهم
 (وإن تخالطوهم) أي تخالطوا وتفقتهم بتفقتكم (فأخوانكم) أي فهم أخوانكم في الدين ومن
 شأن الأخ أن يخالط أخاه أي فلكم ذلك وقيل المراد بالخالطة المصاهرة (والله يعلم المفسد)
 لأموالهم بخالطته (من المصلح) به فيجازى كلاً منهم ما في ذلك وعيد ووعيدان خالطهم لافساد
 وإصلاح (ولو شاء الله لا أغنتكم) أي اضيق عليكم بتحريم الخالطة وما أباح لكم مخالطتهم
 وأصل العنت الشدة والمشقة ومعناه كنسكم في كل شيء ما يشق عليكم (إن الله عزيز) غالب
 على أمره يقدر على الاعنات وغيره (حكيم) يحكمكم بما تقتضيه الحكمة وتوسع له الطاقة
 (ولا تنكحوا) أي لا تتزوجوا أيها المسلمون (المشركات) أي الكافرات (حتى يؤمن) روى
 أنه عليه الصلاة والسلام بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوي إلى مكة ليخرج منها ناساً من المسلمين
 سراً فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته في الجاهلية فأتته وقالت
 يا مرثد ألا تخالو فقال لها ويحك اعناق إن الإسلام قد حال بيننا وبينك فقالت هل لك أن تتزوج
 بي فقال نعم ولكن استأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجع إليه قال يا رسول الله أيجل لي
 أن أتزوج بها فأُنزلت هذه الآية هذا ما أورده الواحدي وغيره ~~مكن~~ الذي رواه أبو داود
 وغيره أنه سبب في نزول آية النور الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة الآية والآية وإن كانت
 شاملة للكتابيات لكنها مخصوصة بغيرهن بقوله والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب وقد تزوج
 عثمان بنصرانية فأسلمت وتزوج حذيفة بن يهودية وطلحة بن عبيد الله بنصرانية (فإن قيل)
 كيف أطلقتم اسم الشرك على من لم يشكركم إلا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال أبو الحسن بن
 فارس لأنه يقول القرآن كلام غير الله ومن يقول القرآن كلام غير الله فقد أشرك مع الله غير الله
 انتهى وقال تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله إلى قوله سبحانه
 عما يشركون (ولامة مؤمنة خير من) أي من حرة (مشركة ولو أعجبتكم) لجمالها وأموالها
 نزلت في خنساء وليدة سوداء كانت لحذيفة بن اليمان قال حذيفة يا خنساء قد ذكرت في الملا
 الأعلى على سوادك ودما متك فأعتقها وتزوج بها وقال السدي نزلت في عبيد الله بن رواحة
 كان له أمة فأعتقها وتزوج بها فطعن عليه ناس من المسلمين وقالوا أنت كج أمة وعرضوا عليه

حرمة مشركة فأنزل الله تعالى هذه الآية (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) أى ولا تزوجوا
منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهذا على عمومها بإجماع (ولعبد مؤمن خير من) أى من حر
(مشرك ولو أعجبكم) لما له وجماله وقيل المراد بالامة والعبد المرأة والرجل حرين كانا
أورقيقين لأن الناس عبيد الله وأماؤه (أو أئلك) أى أهل الشرك (يدعون إلى النار) أى إلى
الكفر المؤدى إلى النار فلا تليق مصاهرتهم وموالاتهم (والله يدعو) أى أوليائه المؤمنون
لغذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه تفخيماً لشأنهم أو يدعو على لسان رساله وهذا كما قال
أبو حيان أبلغ في التباعد من المشركين اجراء للفظ على ظاهره والاول ذكر لطلب المعادلة بين
المشركين والمؤمنين (إلى الجنة والمغفرة) أى العمل الصالح الموصل إليها فهم الاحقاه بالموافاة
(بإذنه) أى بأمر الله ورضاه على التفسير الاول أو بقضائه وإرادته على التفسير الثانى فوجب
إجابته بتزويج أوليائه (ويبين) أى الله (آياته للناس لعلهم يتذكرون) أى لكي يتذكروا
فيتعظوا (ويستلونك) يا محمد (عن الحيض) أى الحيض أو مكانه ماذا يفعل بالنساء فيه روى
أن أهل الجاهلية كانوا يساء كانوا الحيض ولم يؤاكلوهن كفعل اليهود فأتى اليهود كانت
إذا حضت المرأة منهم أخرجوها من البيت ولم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيت
واسمى ذلك إلى أن سأل أبو الدرداء في نفر النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال الله تعالى
(قل) لهم (هو) أى الحيض أو مكانه (أذى) قدراً ومحل قدراً (فإن قيل) لماذا ذكر الله تعالى يستلونك
بغير أو ثلاثاً ثم بها ثلاثاً (أجيب) بأن السؤالات الاول كانت في أوقات متفرقة والثلاثة
الاخيرة كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع وهو واو العطف وهي الجمع في الحكم
لا الزمان (واعترض) هذا الجواب بأنه كان يجب على هذا أن تدخل الواو على اثنين من الثلاثة
الاخيرة لأن العطف يكون في الثانية والثالثة منها (وأجيب) بأنهم لما سألوا عما كانوا يفعلون
فأجيبوا بصرف النفقة أعادوا سؤالهم بالواو وما يفعلون فأجيبوا بالعفو ولما كان السؤال
الثاني عن مخالطة البتامة في النفقة وهو مناسب لما قبله عطف بالواو ولما كان الثالث سؤالاً
عن اعتزال الحيض كما تعتزل البتامة فناسب ما قبله في الاعتزال عطف بالواو ولا كذلك
الثلاثة الاول أذ لا تعلق بينها (فاعتزلوا النساء) أى اتركوا وطأهن (في الحيض) أى وقته
أو مكانه لأن ذلك هو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفریط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن
ولا يسألون بالحيض وما استدل به البيضاوى من قوله صلى الله عليه وسلم إنما أمرتم أن تعتزلوا
مجامعتن إذا حضن ولم تأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم قال شيخنا القاضي
ذكر يالم أراه بهذا اللفظ في بعض التفاسير غير وقوله تعالى (ولا تقربوهن) أى بالجماع (حتى
يطهرن) تأكيداً للحكم وبيان لغايته وهو أن يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريح ما قرأه
شعبة وحزرة والـ كسافى بتشديد الطاء والهاء أى يطهرن بمعنى يغتسلن والباقيون يسكون
الطاء وضمة الهاء محفوفة والتزام قوله تعالى (فإذا تطهرن فأتوهن) أى للجماع فانه يقتضى تأخر
جواز الاتيان عن الغسل وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه ان طهرت لا كثر الحيض وهو

عنده عشرة أيام جازقربانم اقبل الغسل (من حيث أمركم الله) بتجنبه في الحيض وهو القبل ولا تعتدوه الى غيره أما الملامسة فيما بدا بين السرة والركبة والمضاجعة معها قبل الغسل ولو قبل انقطاع الحيض فجاز قالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان يأمرني صلى الله عليه وسلم فأتزرفيها شرني وأنا حائض وكان يخرج رأسه الى وهو معة كفف فاغسله وأنا حائض وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت حضرت وأنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الخيلة فاذنلت فخرجت منها فأخذت ثياب حيشني فلبستم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت ست قلت نعم فدعاني فأدخلني معه في الخيلة (أن الله يحب) أي يثيب ويكرم (التوابين) من الذنوب (ويحب المتطهرين) أي المتزهين عن الفواحش والاقذار كجماعة الحائض والاتبان في غير القبل (نساؤكم حرث لكم) أي مزرع ومنبت للولد كالارض للنبات (فأتوا حرثكم) أي محله وهو القبل (آفي) أي كيف (شتمت) من قيام وقعود واضطجاع واقبال وادبار روى الشيطان أن اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها أي من خلفها في قبلها جاء ولدها حول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فبذلت هذه الآية (وقدموا لأنفسكم) من الاعمال الصالحة كالسجدة عند الجماع وطلب الولد أي ما يدخلكم من الثواب (واتقوا الله) في أمره ونهيه (واعلموا أنكم ملاقوه) بالبعث فتزودوا ما لا تشتهون به فانه يجازيكم بأعمالكم (وبشر المؤمنين) بالكرامة والنعيم الدائم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينصهم ويبشر من صدقه وامثل أمرهم منهم وقوله تعالى (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لما حلف أن لا يتفق على مسطح حيز خاص في حديث الافك لا فتراته على عائشة رضي الله تعالى عنها أو في عبد الله بن رواحة حين حلف أن لا يكلم خنته أي زوج أخته بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين أخته فالتعرضة كل ما يعرض فبذع عن الشيء أي لا تجعلوا الحلف سبباً مانعاً لكم من البر والتقوى يدعي أحدكم الى صلة رحم أو بر فمقول حلفت بالله أن لا أفعله فيعتل بيمينه في ترك البر كما قال تعالى (أن تبروا) أي مخافة أن لا تبروا فله وفي موضع نصب من هول من أجله وعند الكوفيين لا تبروا كقوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا أي لا تضلوا وقال أبو اسحق في موضع رفع بالابتداء والخبر محذوف أي أن تبروا وتوقوا خير لكم وقيل التقدير في أن تبروا فلما حذف حرف الجر نصب وقيل هو في موضع جر بالحرف المحذوف (وتتقوا وتصلحوا بين الناس) فتكره اليمين على ذلك ويسن فيه الحنث ويكفر لما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من حلف بيمين فرأى غيرها خيراً منها فليدعه كسر عن يمينه ويفعل الذي هو خير بخلافها على فعل البر ونحوه فهي طاعة (والله سميع) لا قولكم (عليم) باحوالكم (لا يؤاخذكم الله باللغو) الكائن (في أيمانكم) واللغو كل مطروح من الكلام لا يعتد به واختلف أهل العلم في اللغو في اليمين المذكورة في الآية فقال قوم هو ما سبق الى اللسان على بجملة لصله كلام من غير عقد ولا قصد كقول القائل لا والله وبلى والله وكلا والله وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت لغوا اليمين كقول الانسلان

لا والله وبلى والله ورفع بعضهم وبهذا قال الشافعي رضي الله عنه وقال قوم هو أن يحلف على شيء يرى أنه صادق ثم يتبين أنه خلاف ذلك وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه وقال زيد بن أسلم هو دعاء الرجل على نفسه كقول الإنسان أعني الله بصرى إذا لم أفعل كذا وكذا فهذا الغول لا يؤخذ الله به قال تعالى ويدعوا الإنسان بالشر دعاءهم بالخير وقال تعالى ولو يجادل الله للناس الشر استهجا لهم بالخير لقضى اليهم أجلهم (ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم) أي قصدهم من الإيمان إذا حنثتم (والله غفور) حيث لم يؤخذكم بالغلو (حليم) حيث لم يجعل بالمؤاخظة على عين الجسد تربصا للتوبة * (تنبيه) * اليمين لا ينعقد إلا بالله العظيم أو باسم من أسمائه أو صفة من صفاته فاليمين بالله كأن يقول والذي أعبدته والذي نفسي بيده وبأسمائه كأن يقول والله والرحمن وبصفاته كأن يقول وعزة الله وعظمة الله وجلال الله فإذا حلف بشيء من ذلك على أمر مستقبل ثم حنث وجبت عليه الكفارة وسيأتي بيانها إن شاء الله تعالى في سورة المائدة وإذا حلف على أمر ماض أنه كان ولم يكن وهو عالم به حالة ما حلف فهي اليمين الغموس وهي من الكفار ويجب بها الكفارة كما قاله الشافعي رضي الله تعالى عنه وقال بعض العلماء لا كفارة فيها كما كثر الكفار وأما الحلف بغير ما ذكر كالخلف بالكعبة وبيت الله ونبي الله وأبيه ونحوه فلا يكون عينا ولا تجب به الكفارة إذا حنث وهو يمين مكروه روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر وهو يسير في ركب وهو يحلف بأبيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو يصمت (لذين يؤلون من نسائهم) أي يحلفون أن لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعل ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدى عن قال قتادة كان الايلاء طلاقا لأهل الجاهلية وقال سعيد بن المسيب كان ذلك من ضرر أهل الجاهلية كان الرجل لا يحب المرأة ولا يريد أن يترجها غيره فيحلف أن لا يقربها أبدا فيتركها أبدا لا أبدا ولا ذات بعل وكانوا عليه في ابتداء الإسلام فضرب الله لهم أجلا في الإسلام كما قال تعالى (تربص) أي انتظر (أربعة أشهر) أي لله وحى حق التثبت في هذه المدة فلا يطالب بفدية ولا طلاق ولذا قال الشافعي رضي الله تعالى عنه لا ايلاء الا في أكثر من أربعة أشهر ويؤيده (فان فاقوا) أي رجعوا في المدة أو بعد ما عن اليمين الى الوطء لان الفدية وعزم الطلاق مشروعان عقب الايلاء وحصول التربص فلا بد أن يكون مدخول الفاء واقعا بعدهما (فان الله غفور) لهم ما أتوه من ضرر المرأة بالخلف (رحيم) بهم (وان عزموا الطلاق) أي صمموا عليه بأن لم يفيوا فليوقعوه (فان الله سميع) اقول لهم (عليم) بعزمهم أي ليس لهم بعد تربص ما ذكر الا الفدية أو الطلاق ففيه دليل على أنها لا تطلق بعد مضي المدة ما لم يطلقها زوجها لانه شرط فيه العزم وقال فان الله سميع فدل على أنه يقتضى مسهوعا والقول هو الذي يسمع وقال بعض العلماء إذا مضت أربعة أشهر يقع عليه طلاق بائنة وهو قول ابن عباس وأصحاب الرأي وقال سعيد بن المسيب والزهري يقع عليه طلاق واحدة رجعية ولو حلف أن لا يطأها أقل من أربعة أشهر لا يكون مولى بل حالفا إذا وطئها قبل مضي تلك المدة وجبت عليه كفارة يمين ان كان الحلف بالله ولا يختص الايلاء بالحلف

بالله تعالى فلو قال لزوجه ان وطئتك فعبدي حر او ضرتك طالق أو قلته على عتق رقبة أو صوم
 أو صلاة فهو مولى لان المولى من يلزمه أمر يتنوع بسببه من الوطء (والطلقتا يتربصن) ينتظرن
 (بأنفسهن) عن النكاح (ثلاثة قروء) تنقض من حين الطلاق جمع قرء بفتح القاف وضعها
 وهو يطلق للحيض لقوله عليه الصلاة والسلام كما رواه أبو داود وغيره دعى الصلاة أيام اقرائك
 وللطهر القاصل بين حيضتين وهو المراد في الآية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قال به
 بعض العلماء لقوله تعالى فطلقتوهن لعدهتهن أي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون
 في الحيض وأما ما رواه أبو داود والترمذي وغيرهما من قوله صلى الله عليه وسلم طلاق الامة
 تطليقتان وعدتهن احيضتان فلا يقاوم ما رواه البخاري في قصة ابن عمر مره فليراجعهما ثم لمسكها
 حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء أمسك وان شاء طلق قبل أن يس قتل العدة التي أمر الله
 تعالى ان تطلق لها النساء أي بقوله تعالى فطلقتوهن لعدهتهن (فان قيل) مامعنى ذكر
 الانفس فهلا قيل يتربصن ثلاثة قروء (أجيب) بأن في ذكر الانفس تمهيداً ليجبالهن على التربص
 وزيادة باعث لان فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على أن يتربصن وذلك أن نفس النساء طواح
 أي فواظرن الى الرجال فأمرن أن يقمن أنفسهن ويغلبن على الطموح ويجبرن على التربص
 وكان القياس في جمع قرء ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتوسعون في ذلك
 فيستعملون كل واحد من البناءين مكان الآخر ألا ترى الى قوله بأنفسهن وما هي الانفوس
 كثيرة قال البيضاوي ولعل الحكم لماعم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن
 بناء الكثرة وجوب ذلك في المدخول بهن أما غيرهن فلا عدة لهن لقوله تعالى وان طلقتموهن
 من قبل ان تمسوهن فمالكم عليهن من عدة تعتدونها وفي غير الآية والصغيرة فعدهن ثلاثة
 اشهر والحوامل فعدهن أن يضعن حملهن كما في سورة الطلاق والامام فعدهن قرآن بالسنة
 (ولا يحل لهن أن يكتن ما خلق الله في أرحامهن) من الولدان كانت حاملا ومن الحيض ان
 كانت حائضا (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) قال البيضاوي ليس المراد تعقيد نفي الحل
 بايمان بل التنبية على أنه ينافي الايمان أي كماله وأن المؤمن لا يجترأ عليه ولا ينبغي له أن
 يفعل (وبعولتهن) أي أزواجه المطلقات والبعولة جمع بعول والتاء لاحقة لتأنيث الجمع
 كالمومة والخولة ويجوز أن يراد بالبعولة المصدوم من قولك بعول حسن البعولة نعت به مبالغة
 كما في رجل عدل أو أقيم مقام المضاف المحذوف أي وأهل بعولتهن (أحق بردهن) أي براجعهن
 (في ذلك) أي في زمن التربص (فان قيل) كيف جعلوا أحق بالرجعة فكان للنساء حقا فيها
 (أجيب) بأن أفعالهن هنا بمعنى الفاعل فان غير البعل لاحق له في الرد فكانه قيل وبعولتهن
 - فيقول بردهن وقيل انه على بابة التفضيل أي أحق منهن بأنفسهن لو أبين الرد أو من آبائهن
 وسعى الزوج بعد اقامته بأمر زوجته وأصل البعل السيد والمالك (ان أرادوا) أي
 البعولة (اصلاحا) بالرجعة لا ضرار المرأة وليس المراد من هذا اشتراط قصد الاصلاح للرجعة
 بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار والصارف عن اعتباره فهو هذا الشرط الاجماع

(وايمن) على الازواج (مثل الذي) لهم (عليهن) من الحقوق (بالمعروف) شرعاً من حسن العشرة وترك الضرر ونحو ذلك قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في معنى ذلك اني أحب أن أتزين لامرأتي كما تحب أن تزين لي لهذه الآية وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أكل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم (فان قيل) ما المراد بالماثلة (أجيب) بأن المراد أن لهن حقوقاً على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليهن الا في الجففس اذ ليس الواجب على كل منهما من جففس ما وجب على الآخر فلو غلبت ثيابه أو خبزت له لم يلزمه أن يفعل مثل ذلك ولكن يقابلها بما يليق بالرجال (والرجال عليهن درجة) أي فضيلة في الحق لان المرأة تنال من الرجل من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها واتفاقه في مصالحها ولان حقوقهم في أنفسهن بالوطء والتمتع وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرر وقيل بصلاحيته للامانة والقضاء والشهادة وقيل بالجهاد وقيل بالميراث وقيل بالدية وقيل بالعقل (والله عزير) في ملكه قادر على الانتقام ممن خالف الاحكام (حكيم) فيما دبره من خلقه بشرعها لحكم ومصالح (الطلاق) أي التطلق كالسلام بمعنى التسليم أي الذي يراجع به (مرتان) أي اثنتان روى عن عروة بن الزبير قال كان الناس في الابتداء يطلقون من غير حصر ولا عدد كان الرجل يطلق امرأته فاذا طارت انقضت عدتها اراجعها ثم طلقها كذلك ثم اراجعها بقصد مضارتها ففترت هذه الآية وروى أبو داود وغيره أنه صلى الله عليه وسلم سئل أين الثالثة فقال صلى الله عليه وسلم أو تسريحاً باحسان (فامسالك) أي فعلامكم امساكنهن اذا ارجعنوهن بعد الطلقة الثانية (بمعروف) وهو كل ما يعرف في الشرع من أداء حقوق النكاح وحسن العشرة (أو تسريحاً باحسان) بالطلقة الثالثة أو بأن لا يراجعها حتى تبين منه (تنبيه) * اختلف العلماء فيما اذا كان أحد الزوجين رقيقاً فذهب الأكثر ومنهم الشافعي رضي الله تعالى عنه إلى أنه يعتبر عدد الطلاق بالزوج فالحر يملك على زوجته الامة ثلاث طلاقات والعبد لا يملك على زوجته الحرة الا طلقتين وذهب الأقل ومنهم أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه إلى ان الاعتبار بالمرأة في عدد الطلاق كالعدة فملك العبد على زوجته الحرة ثلاث طلاقات ولا يملك الحر على زوجته الامة الا طلقتين (ولا يحل لكم) أيها الازواج (أن تأخذوا مما آتيقوهن) من المهور (شياً) اذا طلقتهن روى أنهن انزلت في جملة أخت عبد الله بن أبي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فشكته إلى أبيها فقال ارجعي إلى زوجك فاني أكره للمرأة ان لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها فلما رأت أباها لم يشكها رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل خلفه فجاءه فقال له مالك ولا هلك فقال والذي بعثك بالحق نبياً ما على وجه الارض أحب إلى منها غيرك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولين فقالت هو مني أكرم الناس حبال زوجته ولكن لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله لا أعيبه في دين ولا خلق ولكن أكره الكفر في الاسلام ما أطبقه بغضاً أي أكره ان أقت عنده ان أقع فيما يقتضي الكفر بغضاً فيه ويحتمل أن تريد كفران العشرة اني رفعت

جانب الخباء فرأيت أنه أقبل في عدة فاذا هو أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقصهم وجهاف قال ثابت
 قد أعطيتها حديقة فقل لها فلتردّها عليّ وأخلى سبيلها فقال لها تردّين عليه حديقته وتلكين
 أمر لك قالت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها ما أعطيتها واخل سبيلها فافعل
 وفي رواية أقبل الحديقة وطلقها فطلّيقه (الأن يخافا) أي الزوجان (أن لا يقيما حدود الله)
 أي لا يأتيا بما حده لهما من الحقوق وقرأ جزء يخافا بضم الياء بالبناء للمفعول فان مع صلتهما بدل
 اشتمال من الضمير في يخافا والباقيون بغضها بالبناء للفاعل (فان خفستم) أيها الأئمة والحكام
 (أن لا يقيما حدود الله) أي ما حده من الأحكام (فلا جناح عليهما فيما اقتدت به) نفسها من
 المال ليطلقها أي لا يخرج على الزوج في أخذه ولا على الزوجة في بذله وهذا هو الأصل والا
 فيجوز على عوض وإن لم يخافا * (تنبيه) * علم مما تقرّر أنّ الخطاب في الأول للزوجين وثانيا
 للأئمة والحكام ونحو ذلك غير عزير في القرآن وغيره ويجوز أن يكون الخطاب كله للأئمة
 والحكام ولا ينافي ذلك قوله تعالى أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا لأنهم الذين يأمرون بالآخذ
 والابتاء عند الترافع اليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون (تلك) أي الأحكام المذكورة
 (حدود الله) وهي ما منع الشرع من المجاوزة عنه (فلا تزدوها) أي فلا تزدوها بما يخالفه
 وقوله تعالى (ومن يعتد حدود الله فأولئك هم الظالمون) تعقيب للنهي بالوعيد بمبالغة
 في التهديد * (تنبيه) * ظاهر الآية يدل على أن الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع
 مساق الزوج إليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم كما رواه البيهقي - أيما
 امرأة سألت زوجها طلاقا من غير بأس أي ضرر فخرام عليها راتحة الجنة وما روى أنه صلى الله
 عليه وسلم قال للجميلة أتردّين عليه حديقته فقالت أردّها وأزيد عليها فقال عليه الصلاة والسلام
 أمّا الزائد فلا تجاهجه واستكرهوا الخلع ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل على فساد وانه
 يصح بلفظ المفاداة فانه مما اقتداء (فان طلقها) أي الزوج بعد الثنتين (فلا تحل له من بعد) أي
 بعد الطلقة الثالثة (حتى تنكح) أي تنزوج (زوجا غيره) أي المطلق والنكاح يناول العقد
 والوطء وتعلق بظاهر الآية من اقتصر على العقد كإبن المسيب والجمهور على أنه لا بد من
 الإصابة لما روى الشيخان أن امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن رفاعة
 طلقني وإن عبد الرحمن بن الزبير أي بفتح الزاي وكسر الباء تزوجني وإنما معه مثل هدية الثوب
 فقبستم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتريدن أن ترجعي إلى رفاعة لاحق تذوق عسيلته
 وتذوق عسيلتك فالأية مطلقة قبدها السنة ويحتمل أن يفسر النكاح بالإصابة ويكون العقد
 مستقادا من لفظ الزوج والعسيلة بخارج من قليل الجماع أذ يكفي قليل انتشار شهت تلك اللذة
 بالعدل وضخرت ولحقها الهاء لأن الغالب على العسل التأنيث قاله الجوهرى - وروى أنها
 لبست عمامة الله ثم رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت إن زوجي قد مضى فقال
 لها النبي صلى الله عليه وسلم كذبت في قولك الأول فلن أصدقك في الآخر فلبست حتى قبض
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتت أبا بكر فقالت يا خليفة رسول الله أرجع إلى زوجي الأول

فان زوجي الاخر مسني وطلقتني فقال لها أبو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
 اتيت به وقال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض أبو بكر أتت عمر وقالت له مثل ذلك فقال لها
 عمر لن رجعت اليه لا رجعتك والحكمة في التحلل الردع عن المسارعة الى الطلاق والعود الى
 المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوز أبو حنيفة رضي
 الله تعالى عنه مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له رواه
 الترمذي والنسائي وصححه وعن عمر رضي الله تعالى عنه لا أوفى بمحلل ولا محلل له الا رجعتما
 * (تنبيه) * شملت الآية الكريمة ما اذا طلق الزوج زوجته الامة ثلاثا ثم ملكها فانه لا يحل له
 أن يطأها بملك المين حتى تنكح زوجا غيره (فان طلقها) الزوج الثاني بعدما أصابها (فلا جناح
 عليهما) أي المرأة والزوج الاول (أن يتراجعا) الى النكاح بعهدة جديدة بعد انقضاء العدة
 (ان ظنا) أي ان كان في ظنهما (أن يقيم احدهما الله) أي ما حرمه الله وشرعه من حقوق الزوجة
 هذا هو الاصل والافهول ليس بشرط للجواز ولم يقل ان علما أنهم ما يقيمان لان اليقين مغيب
 عنهم ما لا يعلمه الا الله قال في الكشف ومن فسر الظن هنا بالعلم فقد وههم من طريق اللفظ
 والمعنى لانك لا تقول علمت أن يقوم زيد ولكن علمت أنه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في القدر وانما
 يظن ظنا (وذلك) أي الاحكام المذكورة (حدود الله بيننا القوم يعلمون) أي يدبرون ما أمرهم
 الله تعالى به ويفهمونه ويعملونه بقتضى العلم (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أي قارب
 انقضاء عدتهن ولم يرد انقضاء العدة حقيقة لان العدة اذا انقضت لم يكن للزوج امساكها
 فالبلوغ ههنا بلوغ مقاربة وفي قوله تعالى بعد ذلك فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن حقيقة انقضاء
 العدة والبلوغ يتناول المعنيين يقال بلغ المدينة اذا قرب منها واذا دخلها (فامسكوهن) بان
 تراجعوهن (بعروف) من غير ضرار وقيل بأن يشهد على رجعتها وان يراجعها بالقول لا بالوطء
 (أو سرحوهن بعروف) أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيمكن أملك بأنفسهن
 (ولا تمسكوهن) بالرجعة وقوله تعالى (ضرارا) مفعول له (لتعتدوا) أي لاتقصدا بالمرجعة
 المضارة بتطويل الحبس نزلت هذه الآية في رجل من الانصار يدعى ثابت بن يسار طلق امرأته
 حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها بقصد مضارتها (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه)
 أي أضر بها بتعريضها الى عذاب الله وقرأ أبو الحرث الليث بادغام اللام من يفعل في الذال حيث
 جاء والباقون بالانظهار (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) أي مهزوا بها بمنزلة آيات الله من خالف
 أمر الشرع فهو متخذ آيات الله هزوا وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت ألعب
 فنزلت وروى عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال ثلاث جدهن جدهن وهزلهن جدهن الطلاق
 والنكاح والرجعة (واذكروا نعمت الله عليكم) التي من جعلها الاسلام والايمان وبعثة النبي صلى
 الله عليه وسلم (وما أنزل عليكم من الكتاب) أي القرآن (والحكمة) أي السنة أفرد ههنا بالذكر
 اظهار الشرفهما وذكرهما مقابلتهما بالشكر والقيام بحقوقهما (يعظكم به) أي بما أنزل عليكم ليدعوكم
 به الى دينه (واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم) لا يخفى عليه شيء ففي ذلك تأكيدهم ليد (واذا

طلقت النساء فبلغن أجلهن (أي انقضت عدتهن) (فلا تعضلوهن) أي تمنعهن من (أن ينكحن
 أزواجهن) أي المطلقين لهن وعن الشافعي رضي الله تعالى عنه دل سياق الكلامين أي
 وهما أمسكوهن الخ وفلا تعضلوهن على افتراق البلوغين فالمراد بالاول المقاربة وبالثاني
 الوصول كما تقرر والعصل الحبس والتضييق ومن العصل به هذا المعنى عضلت الدجاجة اذا
 عقلت بيضتها فلم تخرج (فائدة) رسمت التاء في نعمت بالتاء المجردة ووقف ابن كثير وأبو عمرو
 والكسائي بالتاء ويعلمها الكسائي في الوقف ووقف الباقر بالتاء على الرسم والمخاطب بذلك
 الاولياء لما روى أنها أنزلت في معقل بن يسار حين عضل أخته ان ترجع الى الزوج الاول ففي
 الآية دليل على أن المرأة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعصل الولي فائدة
 ولا يعارض ذلك باستناد النكاح اليهن لانه انما أسند اليهن لتوقف النكاح على اذنهن وقيل
 الخطاب للاولياء والأزواج وقيل للناس كلهم أي لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه ان وجد بينهم
 وهم راضون به كانوا كالنساء علية وقوله تعالى (اذا تراضوا بينهم) أي الأزواج والنساء نظرف
 لان ينكحن أو لا تعضلوهن وقوله تعالى (بالمعروف) أي بما يعرفه الشرع ويستحسنه من
 كونه بعقد حلال حال من ضمير تراضوا أو صفة مصدر محذوف أي تراضيا كاتنا بالمعروف
 وفيه دلالة على أن العصل عن التزويج من غير كف غير منهي عنه (ذلك) أي النهي عن العصل
 (يوعظه من كان منكم يؤمن باقعه واليوم الآخر) لانه المتعظأ والمستفيع به (فان قيل) لمن الخطاب
 في قوله ذلك يوعظه (أجيب) بأنه يجوز أن يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل أحد كما
 في قوله تعالى يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فمحوه (ذلكم) أي ترك العصل (أزكى) أي انفع
 (لكم وأطهر) لكم ولهن من دنس الاثم لما يخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة
 بينهما (والله يعلم) ما فيه المصلحة (وأنتم لاتعلمون) ذلك لقصور علمكم وقوله تعالى (والوالدان
 يرضعن أولادهن) خبر بمعنى الامر كقوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن وهو امر استحباب
 لا امر اجباب لانه لا يجب عليهن الارضاع اذا كان يوجد من يرضع الولد لقوله تعالى في سورة
 الطلاق فان أرضعن لكم فأتوهن أجورهن فان رغبت الالم في الارضاع فهي أولى من غيرها
 أما اذا لم يوجد من يرضعه فيجب عليها ارضاعه والوالدان يتم المطلقات وغيرهن وقيل يختص
 بالمطلقات اذ الكلام فيهن (حولين) أي عامين (كاملين) صفة مؤكدة كما في قوله تعالى تلك عشرة
 كاملة لان العرب قد تسمى بعض الحول حولا وبعض الشهر شهرا كما قال الله تعالى الحج أشهر
 معلومات وانما هو شهران وبعض الثالث وقال تعالى فن تجهل في يومين فلا اثم عليه وانما
 يتجهل في يوم وبعض يوم وقال قتادة فرض الله على الوالدات ارضاع حولين كاملين ثم أنزل
 التخفيف فقال (لمن أراد أن يتم الرضاعة) أي هذا منتهى الرضاع وليس فيما دون ذلك حد
 محدود وانما هو على مقدار اصلاح المولود وما يعيش به (وعلى المولود له) أي الوالد (درزقهن)
 أي اطعام الوالدات (وكسوتهن) أجرة لهن على الارضاع اذا كن مطلقات واختلف
 في استيفار الام للارضاع فجوز الشافعي ومنعه أبو حنيفة مادامت زوجة أو معتقة مكاح

(فان قيل) لم قال تعالى المولود له دون الوالد (أجيب) بأنه تعالى انما ذكر ذلك ليعلم ان
الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد لا ياء ولذلك يتسبون اليهم لا الى الاتهام وأنشد للمأمون
ابن الرشيد

فانما أتهمات الناس أوعية • مستودعات وللا ياء انا

فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن اذا أرضعن ولدهم الا ترى أنه ذكر به اسم الوالد حينئذ لم
يكن هذا المعنى وهو قوله تعالى واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جازع عن والده
شيأ وقوله تعالى (بالمعروف) يفسره ما يهتبه وهو قوله تعالى (لا تكلف نفس الا وسعها) أي
طاقاتها فلا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه (لا تضار والدة بولدها) أي بسببه بأن تكرمه على
ارضاعه أو تكلف فوق طاقتها (ولا يضار) (مولود له بولده) أي بسببه بأن يكلف فوق طاقتها
واضافة الولد الى كل منهما للاستعطف والتبعية على أن الولد حقيق بأن يتفقا على
استصلاحه وقرأ ابن كثير وأبو عمر وقضار بضم الراء بدل من قوله لا تكلف والباقون بقصصها
(وعلى الوارث) أي وارث الاب وهو الولد أي على الولد في مال الولد (مثل ذلك) أي الذي كان
على الاب للوالدة من الرزق والكسوة وقيل هو وارث الولد الذي لومات الولد لورثته وقيل الباقي
من الابوين أخذ من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم متعنا بإسعادنا وإبصارنا واجعلهما الوارث
أي الباقي منا والمعنى واجعل كل واحد منهما في لزومه لنا مدة الحياة كأنه باق بعد الموت (فان أرادنا)
أي الوالدان (فصلا) أي فطامهما صادرا (عن تراض) أي اتفاق (منهما وتشاور) بينهما فظهر
مصلحة الولد فيه (فلا جناح عليهما) في ذلك زاد على الحولين أو نقص وهذه توبة بعد التصديد
وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الولد حذرا أن يقدم أحدهما على ما يضربه لغرض أو غيره
(وان أردتم) خطاب للاولياء (ان تسترضعوا) مرادع غير الوالدات (أولادكم) يقال
أرضعت المرأة الطفل واسترضعتها اياه فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه كما يقال استجعت
الحاجة ولا تذكر من استجسته وكذلك حكم كل مفعولين يكون أحدهما عبارة عن الاول هذا
ما جرى عليه الزمخشري من أن استرضع يتعدى لمفعولين بنفسه والجمهور على أنه انما يهدي الى
الثاني بحرف الجر وتقديره هنا لا ولادكم (فلا جناح عليكم) في ذلك (اذا سلمتم) اليهن (ما آتينكم)
أي أردتم ايتاءه لهن من الاجرة كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وانما قدر
ذلك لان ما تحقق ايتاؤه لا يتصور تسليمه في المستقبل وقوله تعالى (بالمعروف) صلة سلمت أي
بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط
التسليم لجواز الاسترضاع بل لاول ما هو الاولى والاصح للطفل وقرأ ابن كثير بقصر همزة
آتينكم من أي اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده ما تيا أي مفعولا والباقون
بالمد وهم على مراتبهم وقوله تعالى (واتقوا الله) مبالغة في المحافظة على ما شرع في أمر الاطفال
والمرادع ثم حثهم على ذلك وهددهم بقوله تعالى (واعلموا ان الله بما تعملون بصير) لا يخفى عليه
شيئ منه (والذين يتوفون) أي يموتون (منكم ويذرون) أي يتركون (أزواجا يتربصن)

أى يتظنن (بأنفسهن) وهو خبر بمعنى الامر وهو أمر ايجاب أى يجب عليهن ان يترصدن
 بعدهم عن النكاح (أربعة أشهر وعشرا) أى عشرة أيام وكان القياس تذكير العدد بأن
 يؤتى فيه بالتاء ولكن لما حذف المعدود جاز فيه ذلك كما فى قوله تعالى ان لبثتم الا عشر اثم ان
 لبثتم الا يوما لان قوله فى سورة طه ان لبثتم الا يوما بعد قوله ان لبثتم الا عشر ايدل على ان المراد
 بال عشر الايام وان ذكر بما يدل على اللبث لانهم اختلفوا فى مدة البث فقال بعضهم عشر
 وبعضهم يوم فدل على ان المقابل باليوم انما هو أيام الالبث وكفى قوله صلى الله عليه وسلم من صام
 رمضان واتبعه ستا من شوال قال اليساوى ولعل مقتضى لهذا التقدير أى به - هذه المدة ان
 الجنين فى غالب الامر يتحرك لثلاثة أشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان أنثى فاعتبرا أقصى الاجلين
 وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته فى المبادئ فلا يحس به أى بالحركة اه وهذا
 فى غير الحوامل أمهات فعدتهن ان يضعن حملهن بآية الطلاق وفى غير الاماء فانهن على النصف
 من ذلك بالسنة وعن على وابن عباس رضى الله تعالى عنهم ان الحامل تعتد بأقصى الاجلين
 احتياطاً وحكى عن أبى الاسود الدؤلى انه كان يمشى خاف جنازة فقال له رجل من المتوفى بكسر
 الفاء فقال الله وكان أحد الاسباب الباعثة لعل رضى الله تعالى عنه على ان امرء أن يضع كتابا
 فى التحويل لكن يجوز الكسر على معنى أنه مستوف أجله ويدل له قوله تعالى والذين يتوفون
 بفتح الياء على قراءة شاذة نقلت عن على أى يستوفون آجالهم (فاذا بلغن أجلهن) أى انقضت
 عدتهن (فلا جناح) أى لا حرج (عليكم) أيها الاولياء (فما فعلن فى أنفسهن) أى من
 التعرض للخطاب وما ترما حرم عليهن للعدة دون العقد فان العقد الى الولى وقيل الخطاب بذلك
 الاثمة أو المسلمون جميعا (بالمعروف) أى بالوجه الذى لا ينكره الشرع ومفهومه أنهم لو فعلن
 ما ينكر فعلى الخطاب أن يكفهن فان قصر فعليه الجناح (والله بما تعملون خبير) عالم بباطنه
 كظاهره فيجازيكم عليه (ولا جناح) أى لا حرج (عليكم فيما عرضتم به) والتعرض يرض فى الكلام
 ما يفهم منه السامع مراده بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتكم لاسلم عليكم
 ولا نظرا الى وجهك الكريم ولذلك قالوا * وجئتكم بالتسليم معنى تقاضيا ويسمى التلويح لانه
 يلوح منه ما يريد والفرق بينه وبين الكتابة ان الكتابة هى الدلالة على الشئ بذكر لوازمه
 وروادفه كقولك طویل النجاد لا ماويل وهو يكسر النون حائل السيف وكثير الرماذ للمضياف
 (من خطبة النساء) المعتدات للوفاة والخطبة بالضم والكسر اسم الهيئة غير أن المضءومة خست
 بالموحضة والمكسورة بطلب المرأة للنكاح والتعرض بالخطبة مباح فى عدة الوفاة وهو أن
 يقول رب راغب فيك من يجدمثلك انك الجميلة وانك لصالحة وانك لعلى كريمة وانى فيك لراغب
 وان من غرضى ان أن تزقح وان جمع الله بينى وبينك بالحلال أعجبتنى ولان تزقحك
 لاحسن اليك ونحو ذلك من الكلام الموهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت
 فيه من غير أن يصرح بالنكاح فلا يقول انك عيتنى والمرأة تجيبه بمثله ان رغبت فيه وروى ابن
 المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل على أبوجعفر محمد بن على وانا فى عتقى

فقال قد علمت قرايتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدتي على وقد عصى في الاسلام فقلت
 قد غفر الله لك أنت خطيبي في عتقي وأنت يؤخذ عنك فقال أو قد فعلت انما أخبرتك بقرايتي من رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وموضعي قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وكانت عند ابن
 عمها أبي سلمة فتوفي عنها فلم يرزل يذكر لها منزلته من الله تعالى وهو متحامل على يديه حتى أثر الحصى
 في يده من شدة تحامله عليها لما كانت تلك خطبة واما عدة الفرجة في الحياة فيصل لغير صاحب
 العدة التعريض في غير رجعية لعدم ساطنة الزوج عليها اما التصريح بغير اجماع واما
 الرجعية فلا يصل التعريض اياها لانها في حكم الزوجة اما صاحب العدة فيصل له التعريض
 والتصريح ان حل له نكاحها والا فلا (أو أكنتم) أي أنتم رمت (في أنفسكم) من نكاحهن
 فلم تذكره تصريحاً ولا تعريضاً قال السدي هو ان يدخل فيسلم ويهدي ان شاء ولا يتكلم بشئ
 (علم الله انكم ستذكروهن) بالخطبة ولا تصبرون عنهن فأباح لكم التعريض وفيه نوع توخي
 (ولكن لا تواعدوهن سرا) أي نكاحاً فالسر كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر
 قال الاعشى

ولا تقربن جارة ان سرها * عليك حرام فانكمن أو تأبدا

وقال امرؤ القيس

الازمجت سياة اليوم اني * كبرت وأن لا يحسن السرامثالي

ثم عبر بالسر الذي هو كناية عن الوطء عن عقد النكاح لان العدة سبب في الوطء وقيل هو
 الزنا كان الرجل يدخل على المرأة من أجل الزينة وهو يعرض بالنكاح ويقول اهد عيني فاذا
 وفي عتديك أظهرت نكاحك قاله الحسن وقيل هو ان يصف نفسه لها بكثرة الجماع كان
 يقول آتيتك الاربعة والخمسة ونحو ذلك (فان قيل) أين المستدرك بقوله ولكن لا تواعدوهن
 سرا (أجيب) بأنه محذوف لدلالة ستذكروهن عليه تقديره علم الله انكم ستذكروهن
 فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا (الآن تقولوا قولا معروفا) أي ما عرف شرعاً من
 التعريض فلكم ذلك (فان قيل) أين المستثنى منه (أجيب) بأنه محذوف أي لا تواعدوهن
 مواعدة الامواعدة معروفة غير منكورة او الامواعدة بقول معروف قال في الكشف ولا
 يجوز أن يكون استثناء منقطعاً من سر الادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وقال
 البيضاوي وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن
 الا التعريض وهو أي التعريض غير موعود أي بل من غير سرا أي في السر على أن المواعدة
 في السر عبارة عن المواعدة بما يستقيم لان مسارتهم في الغالب مما يستقيم من المجاهرة به
 (ولا تعزموا عقدة النكاح) أي على عقده وفي ذلك مبالغة في النهي عن عقد النكاح
 في العدة لان العزم يتقدم على العقد فاذا نهى ما يتقدمه فهو أولى بالنهي كما في قوله
 تعالى ولا تقربوا الزنا (حتى يبلغ الكتاب) أي المكتوب (أجله) بأن يفتي ما فرض فيه
 من العدة (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم) من العزم وغيره (فاذكروه) أي

خافوا عقابه (واعلموا أن الله غفور) لمن عزم ولم يفعل خوفاً من الله (حليم) لا يماجلكم بالعقوبة (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن) أي تجامعوهن (أو) لم (تفرضوا الهن فريضة) أي مهر أو ما صدريه طرفية أي لا تبعه عليكم في الطلاق زن هدم المسير والفرض بأنهم ولا مهر والتبعة بكسر الباء ما يتبع المال أو البدن من نواصب الحقوق وهو من تبع الرجل يحمي وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء وألف بعد الميم والباقيون بفتح التاء وألف بعد الميم وقوله تعالى (ومتعوهن) عطف على مقدر لأنه طلب فلا يعطف على لا جناح لأنه خبر أي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة فيها إيجاب المتعة جبراً يحاش الطلاق ويمن أن لا تنقص عن ثلاثين درهماً أو ما قيمته ذلك وإذا تراضيا بشئ فذلك وإن تنازعا في قدرها قدرها قاض بإبتهاده بقدر حالهما من يساره وأيساره ونسبها وصفاتها كما قال تعالى (على الموسع) أي الغني منكم (قدره) أي ما يطيقه ويليق به (وعلى المقتر) أي ضيق الرزق (قدره) أي ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا نصارى طلق امرأته المفوضة قبل أن يسما أمتعهما قال لم يكن عندي شئ قال متعهما بقلنسوتك وهو موم الآية يقتضي تخصيص إيجاب المتعة للمفوضة التي لم يسما الزوج وألحق بها الشافعي رضي الله تعالى عنه الممسوسة المفوضة وغيرها قياساً وهو مقدم على المفهوم وقرأ ابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائي بفتح الدال والباقيون بسكونها وقوله تعالى (متاعاً) تأكيده المتعوهن بمعنى متعهما وقوله تعالى (بالمعروف) أي شرعاً صفة متاعاً وقوله تعالى (حقاً) صفة ثانية لمتاعاً أي متاعاً وأجبا عليهم أو مصدره مؤكداً أي حق ذلك حقاً (على المحسنين) أي المطيعين الذين يحسنون إلى أنفسهم بالمسارعة إلى الامتثال أو إلى المطلقات بالتمتع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه الصلاة والسلام من قتل قتيلاً فله سلبه ترغيباً وتحريراً وما ذكر الله تعالى حكم المفوضة أتبعها حكم قسمها بقوله تعالى (وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم) يجب لهن ويرجع لهن النصف وهو دليل على أن الجناح المنفي ثم تبعه المهر وان لا متعة مع التشطير لأنه قسمها (الا) لكن (أن يعفون) أي الزوجات فلا يأخذن شيئاً (فان قيل) أي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون (أجيب) بأن الواو في الأقل ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبني لا أثر في لفظه للعامل وهو في محل نصب (أو يعفو الذي يده عقد النكاح) وهو الزوج المالك لعقد وحله كما يعود إليه بالتشطير فيترك لها الكل وقيل هو الولي إذا كانت المرأة مجبورة وهو قول قديم للشافعي وهو مروى عن ابن عباس وقوله تعالى (وان تعفوا) مبتدأ خبره (أقرب للتقوى) والخطاب للرجال والنساء جميعاً لأن المذكر والمؤنث إذا اجتمعا كانت الغلبة للمذكر أي وعفو بعضكم عن بعض أقرب للتقوى (ولا تنسوا الفضل بينكم) أي أن يفضل بعضكم على بعض باعطاء الرجل تمام الصداق أو بترك المرأة نصيبها جميعاً على الإحسان (إن الله بما تعملون بصير) لا يضيع فضلكم وإحسانكم بل يجازيكم به (حافظوا على الصلوات) التحسب بأدائها في أوقاتها ولعل الأمر

بالصلاة انما وقع في تضاعف أحكام الاولاد والازواج لثلاثيهم الاثثة غال بشأنهم عنها
(والصلاة الوسطى) أى الوسطى بين الصلوات أو الفضلى من قولهم للفضل الاوسط وانما أفردت
وعاطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهى صلاة العصر على الرابع لقوله صلى الله عليه وسلم
يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملائكة الله بيوتهم ناراً وفضلها الكثرة
أشغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة قال صلى الله عليه وسلم لم يعاقبون فيكم ملائكة
بالليل وملائكة بالنهار وقيل صلاة الصبح لانها بين صلاتي الليل والنهار والواقعة في الجزء
المشترك بينهما ما ولائها مشهودة تشهدا للملائكة الحافظة فخص عليها الشافعي رحمه الله تعالى
ليكن ربح الاصحاب الاول عملاً بقوله حيث صح الحديث فهو مذهبي وقيل صلاة الظهر لانها
وسط النهار وكانت أشق الصلوات عليهم فكانت أفضل لانه صلى الله عليه وسلم سئل أى الأعمال
أفضل فقال أحزها وهو بجاء مهمله وزاى أقواها وأشدّها وقيل صلاة المغرب لانها متوسطة
بالعدد لان عددها بين عددى الركعتين والاربع وقيل صلاة العشاء لانها بين جهريتين واقعتين
طرفي النهار لا يقصران وهما المغرب والصبح وقال بعضهم هى إحدى الصلوات الخمس لا بعينها
أبجدها الله تعالى تحريضا للعباد في المحافظة على أدائها جميعها كما أخفى الله القدر في شهر
رمضان وساعة اجابة الدعوة في يوم الجمعة وأخفى اسمه الاعظم في الاسماء ليحافظوا على جميعها
(وقوموا لله) في الصلاة (فائتين) أى سطيعين لقوله صلى الله عليه وسلم كل قنوت في القرآن فهو
طاعة أو ساكنين لحديث زيد بن أرقم كانتكم في الصلاة حتى نزلت فأمرنا بالسكوت ونهينا عن
الكلام روى الشيخان وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح (فان خفتم) من عدواً وسبع
أوسيل أو نحو ذلك (فرجالاً) جمع راجل أى مشاة صلوا (أو ركباناً) جمع راكب أى كيف أمكن
مستقبلي القبلة وغير مستقبليها ويومئ بالركوع والسجود ويجعل السجود أخفض من الركوع
والصلاة في حال الخوف على أقدام وهذه صلاة شدة الخوف وسماوى بقية الاقدام ان شاء
الله تعالى في سورة النساء ولا ينقص عدد الركعات بالخوف عند أكثر أهل العلم وروى مجاهد
عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم قال فرض الله الصلاة على لسان نبيهم في الحضر وأربعها
وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة وفي الآية دلائل على وجوب الصلاة حال المقاتلة واليه
ذهب الشافعي رضى الله تعالى عنه وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه لا يصلى حال المشي
والمقاتلة ما لم يمكن الوقوف وقال سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه اذا كنت في القتال وضرب
الناس بعضهم بعضاً قل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر واذا كر الله فقلت صلاتك
(فاذا أمنتم) من الخوف (فاذكروا الله) أى صلوا الصلوات الخمس تامة بحقوقها (كما علمكم ما لم
تكونوا تعلمون) قبل تعليمه من فرائضها وحقوقها والكاف بمعنى مثل وما موصولة أو مصدرية
(والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لازواجهن) قرأ نافع وابن كثير وشعبة والكسائي
وصية بالرفع أى فعليهم وصية والباقون بالنصب أى فليوصوا وصية وقوله تعالى (متاعاً) نصب
على المصدر أى متعوهن متاعاً أى ما يتمتعن به من النفقة والكسوة (الى) تمام (الحول) من

موتهم الواجب عليهم تربيته وقوله تعالى (غير اخراج) نصب على الحال أي غير مخرجات من
 مسكنهن نزلت هذه الآية في رجل من أهل الطائف يقال له الحطيم بن الحرث هاجر إلى
 المدينة وله أولاد ومعه أبواه وامرأته فمات فأنزل الله هذه الآية فأعطى النبي صلى الله عليه
 وسلم والديه وأولاده من ميراثه ولم يعط امرأته شيئا وأمرهم أن يتفقوا عليها من تركه زوجها
 حولا وكانت عدة الوفاة في ابتداء الاسلام حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت
 قبل تمام الحول وكان نفقتها وسكناها واجبة في مال زوجها تلك السنة ما لم يخرج ولم يكن لها
 الميراث فان خرجت من بيت زوجها سقطت نفقتها وكان على الرجل أن يوصي بها فكان كذلك
 حتى نزلت آية الميراث فنسخ الله تعالى نفقة الحول بالربع والثلث ونسخ عدة الحول بآية أربعة
 أشهر وعشر السابقة (فان قيل) كيف نسخت الآية السابقة المتأخرة (أجيب) بأنها
 متقدمة في التلاوة متأخرة في النزول كما في قوله تعالى سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب
 وجهك في السماء (فان خرجن) من قبل أنفسهن قبل الحول من غير اخراج الورثة (فلا جناح
 عليكم) يا أولياء الميت (فما فعلن في أنفسهن من معروف) شرعا كالتزين وترك الاحداد وقطع
 النفقة عنها أخيرها الله تعالى بين أن تقيم حولا ولها النفقة والسكنى وبين أن تخرج ولا نفقة
 لها ولا سكنى إلى أن نسخته بأربعة أشهر وعشرا (والله عزيز) في ملكه (حكيم) في صنعه
 لا يستل عما يفعل (ولله ملمات متاع) أي يعطينه (بالمعروف) بقدر الامكان وقوله تعالى (حقا)
 نصب بفعله المقدر (على المتقين) الله (فان قيل) لم كرر الله تعالى ذلك (أجيب) بأن ذلك لحكمة
 وهي أن الآية السابقة في غير المسوسة وهذه أعم منها فتشمل المسوسة أيضا (كذلك) أي
 كما بين لكم سابق من أحكام الطلاق والعدد (يبين الله لكم آياته) وعدسه بانه وتعالى انه
 سيبين لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا (اعلمكم نعم عقولون)
 أي تدبرون فتستعملون العقل فيها وقوله تعالى (ألم تر) استفهام تعجيب وتشويق إلى استماع
 ما بعده لمن سمع به - ثم من أهل الكتاب وأرباب التواريخ وقد يخاطب به من لم يرو ولم يسمع
 وهذا هنا أولى فانه صار مثالا في التعجيب أي ينته علمك (إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم
 ألوف) أربعة أو ثمانية أو عشرة أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفا وقوله تعالى (احذروا الموت)
 مفعول لهم قوم من بني اسرائيل كانوا في قرية يقال لها دارا وردان جهة واسط وقع بها
 الطاعون فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فهلك أكثر من بقي في القرية وسلم الذين خرجوا
 فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا أصحابنا كانوا أحزم منا لوصفنا كما صنعوا
 لبقينا ولئن وقع الطاعون ثانيا لنخرجن إلى أرض لا وباء بها فوقع الطاعون من قابل فهرب
 عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا واديا أفج فلما نزلوا المكان الذي يتغون فيه النجاة ناداهم ملك
 من أسفل الوادي وآخر من أعلامه أن موتوا فلما تواجبه عاثم أحياهم الله تعالى كما قال تعالى (فتال
 لهم الله موتوا) أي فماتوا (ثم أحياهم) ليعتبروا ويتيقنوا أن لا مفر من قضاء الله وقدره وقيل قوم
 من بني اسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد فقرروا واحذروا الموت فأماهم الله ثمانية أيام أو أكثر

ثم أحياهم بدعاء نبهم حزقييل بكسر المهملة والقاف وسكون الزاي ثالث خلفاء بني اسرائيل بعد موسى وكان يقال له ابن الخجوز لان أمه كانت عجوزا فسألت الله الولد بعد ما كبرت وعظمت فوجهه الله تعالى لها قال الحسن ومقاتل هو ذو الكفل وسعى حزقييل ذا الكفل لانه كفل سبعين نبيا وأنجباهم من القتل قال اذهبوا فاني ان قتلت كان خيرا من أن تقتلوا معي جميعا فلما جاء اليهود وسألوا حزقييل عن الانبياء السبعين قال لهم اذهبوا وما أدري أين هم ومنع الله حزقييل من اليهود فلما مر حزقييل على تلك الموقى وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم فبكى وقال يا رب كنت في قوم يحمدونك ويسبحونك ويقدمونك ويكبرونك وهم لا يذكرونك فبقيت وحدي لا قوم لي فأوحى الله تعالى اليه ان ناد أيتها العظام ان الله يأمرك أن تجتمعى فاجتمعت العظام من أعلى الوادى وأدناه حتى اتزق بعضها ببعض كل عظم جسد التزق بجسده فصارت أجسادا من عظام اللحم ولادم ثم أوحى الله تعالى اليه ان ناد أيتها الاجسام ان الله يأمرك أن تكسبى لحما فاكسبت لحما ثم أوحى الله اليه ان ناد أيتها الاجساد ان الله يأمرك أن تقوى فبعثوا احياء ورجعوا الى بلادهم وقال مجاهد انهم قالوا حين أحيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا اله الا أنت فارجعوا الى قومهم وعاشوا دهر اعلهم ثم أثار الموت لا يلبسون ثوبا الا عاد كاللكن حتى ما نوا لآجالهم التي كتبت لهم ولوجأت آجالهم ما بعثوا واستمر ذلك في أسباطهم قال ابن عباس وأثر ذلك ليوجد اليوم في ذلك السبط من اليهود وفائدة هذه القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء فان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفترقا ولي أن يكون في سبيل الله تعالى (ان الله لذو فضل على الناس) أى عامة فليذكر كل أحد ماله عليه من الفضل (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) كما ينبغي اما الكفار فلم يشكروا وأما المؤمنون فلم يلقوا غاية شكره (تنبيه) انما كثر الناس ولم يضرهم ليكون أنص على العموم لئلا يدعى مدع أن المراد بالناس الاقل أهل زمان فيخص بالناس أكثرهم (وقالتوا في سبيل الله) أعداء الله لتكون كلمة الله هي العليا (واعلموا أن الله سميع) لا قول لكم فيه مع ما يقوله المخلفون والسابقون (عليهم) بأحوالكم فيعلم ما تضررونه فيجازيكم (من ذا الذى يقرض الله) الذى تفرد بالعظمة باتفاق ماله في سبيل الله ومن استفهامة مرفوعة الموضع بالإبتداء وذا خبره والذى صفة ذا أو بدل واقرض الله مثل لتقديم العمل الذى يطلب ثوابه فهو اسم لكل ما يعطيه الانسان ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له على رجاء ما وعد لهم من الثواب قرضا لانهم يعملون لطلب ثوابه وأصل القرض فى اللغة القطع سعى القرض به لانه يقطع من ماله شيأ يعطيه ليرجع اليه مثله وقيل فى الآية اختصارا منه من ذا الذى يقرض عباد الله المحتاجين من خلقه كقوله تعالى ان الذين يؤذون الله أى عباد الله كما جاء فى الحديث عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقول يوم القيامة ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال يا رب كيف أطعمتك وأنت رب العالمين قال استطعمتك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت انك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي (قرضا حسنا)

كذبوه وقالوا استجلبت بالنبوة فان كنت صادقا (ابعث) أى أقم (انما ملكنا مقاتل) معه
(فى سبيل الله) فتنظم به كلمتنا ونرجع اليه ويكون ذلك آية من نبوتك وانما كان قوام بنى اسرائيل
بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك انبياءهم فكان الملك هو الذى يسير بالجوع والنبي يقيم له أمره
ويشير عليه برشده ويأتيه بالخبر من ربه ولما قالوا له ذلك (قال) لهم (هل عسيتم) قرأ نافع بكسر
السين والباقون بقصها وقوله تعالى (ان كتب) أى فرض (عليكم القتال) مع ذلك الملك
(أن لا تقتلوا) خبر عسى والاسم تفهام لتقرير المتوقع به بمعنى التثبت للمنتوقع وان كان
الشائع من التقرير هو الحسل على الاقرار (قالوا وما لنا ان لا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا
من ديارنا وأبنائنا) بسببهم وقتلهم أى أى غرض لنا فى ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجب به
ويحث عليه من الانحراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد (فلما كتب عليهم القتال قولوا)
عنه وجبتوا واضيعوا أمر الله (الا قليلا منهم) وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واتصروا على
الفرقة على ما سأتى ان شاء الله تعالى وقوله تعالى (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم على ظلمهم
فى ترك الجهاد (تنبيه) * هذه الاقاصيص ليس المراد منها حديثا عن الماضين وانما هو اعلام
بما يستقبل الآتون كما قال القائل اياك أعنى واسمعى بإجاره فلذلك لا يسمع القرآن من لم يأخذ
بجملة خطابه هذه الامة بكل ما قص له من اقاصيص الاولين ثم سأل النبي صلى الله عليه وسلم
ربه أن يبعث لهم ملكا فأتى بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذى يكون
ملكاً يكون طوله طول هذه العصا وانظر القرن الذى فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل ونش
الدهن الذى فى القرن فهو ملك بنى اسرائيل فادهن به رأسه وملكه عليهم وكان طالوت واسمه
بالعبرانية شاول بن قيس من أولاد بنيامين بن يعقوب سمي طالوت اطوله وكان أطول من
كل أحد أى فى زمانه برأسه ومنكبه وكان رجلا دانا غامعا لادبهم قاله وهب وقال السدي
كان سقاء يسي على حماله من النيل فضل حماله فخرج فى طلبه وقال وهب بل ضات حملا بنى
طالوت فارسله وغلامه فى طلبه اغتربيت شعوبيل فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبي
فسأله على أمر الحمر ليرشدنا ويبدع لنا فدخل عليه فيبغها ما عمنده يذكرك ان له شأن الحمر
اذن الدهن الذى فى القرن فقام شعوبيل فقام طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال لطالوت
قرب رأسك فقربه فدهنه بدهن القدس ثم قال له أنت ملك بنى اسرائيل الذى أمرنى الله أن
أملكه عليهم فقال طالوت أمة أمت سبطى أدنى اسباط بنى اسرائيل وبنى أدنى بيوتهم قال
بلى قال فبأى آية قال بأية انك ترجع وقد وجدت الحمر فكان كذلك ثم أخبرهم بنبيهم بذلك
كما قال تعالى (وقال لهم نبيهم) الذى تقدم ذكره (ان الله قد بعث لكم) أى لاجل سؤالكم
(طالوت ملكا) وهو اسم أعجمى كطالوت وداود وانما استمع من الصريف لتعريفه وعجمته
(قالوا أنى) أى كيف (يكون له الملك علينا) أى من أين يكون له ذلك (ونحن) أى والحال اننا نحن
(أحق) أى أولى (بالمملكة) وانما قالوا ذلك لانه كان فى بنى اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط ملكة
فكان سبط النبوة سبط لاوى بن يعقوب ومنه كان موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام وسبط

المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ولم يكن طالوت
 من أحدهما إنما كان من سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا عموماً ذنباً عظيماً كانوا ينسكبون النساء
 على ظهر الطريق جهاراً فغضب الله عليهم ونزع الملك والنبوة منهم وكانوا يسمون سبطاً لاثم فلما قال
 لهم نبيهم ذلك أنكروا لأنه لم يكن من سبط المملكة ومع ذلك قالوا هو دباغ (ولم) أى والحال أنه لم
 (يؤت سعة من المال) يستعين بها على إقامة الملك ولما استبعدوا تلك لفقره وسقوط نسبته و
 عليهم ذلك بأمر وحكاها الله تعالى عن نبيهم بقوله تعالى (قال) أى نبيهم (إن الله اصطفاه) أى
 اختاره للملك (عليكم) والعهد في الملك اصطفاه الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو أعلم
 بالمصالح منكم هذا الأمر الأول والثاني قوله (وزاده) عليكم (بسطة) أى سعة (في العلم) الذى
 يحصل به نظام المملكة ويتكمن به من معرفة الأمور السياسية (و) فى (الجسم) الذى به يتمكن من
 الظفر عن بارز من الشجعان وقصده من سائر الاقران ويكون أعظم خطراً فى القلوب وأقوى
 على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فى العلم فكان أعلم بنى إسرائيل
 يومئذ والجسم فكان أجملهم وأتمهم خلقاً كان الرجل القائم عتيده فيتناول رأس طالوت
 والثالث قوله (والله يؤتى ملكه) أى الذى هو له وليس لغيره فيه شئ (من يشاء) فانه تعالى
 مالك الملك على الإطلاق فله أن يؤتیه من يشاء سواء كان غنياً أم فقيراً كما آتاكموه
 بعد أن كنتم مستعبدين عند آل فرعون والرابع قوله (والله واسع) أى واسع الفضل يوسع على
 الفقير ويغنيه (عليه) بن يليق بالملك من التسيب وغيره (وقال لهم نبيهم) لما أذعنوا لذلك وطلبوا
 منه آية تدل على أنه سبحانه وتعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم (إن آية) أى علامة
 (ملكه أن يأتىكم التابوت) أى الصندوق وكان فيه صور الانبياء عليهم الصلاة والسلام أنزله
 الله تعالى على آدم صلى الله عليه وسلم وكان من عود الشجر عجمتين أولاهما مكورة
 وبينهما ميم ساكنة خشب تعمل منه الامشاط مموها بالذهب نحو من ثلاثة أذرع فى ذراعين
 فكان عند آدم إلى أن مات ثم عند شيث ثم توارثه أولاد آدم إلى أن بلغ ابراهيم ثم كان عند
 اسحق لانه كان أكبر ولده ثم عند يعقوب ثم كان فى بنى إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى
 ثم تدأوله أنبياء بنى إسرائيل ثم استمر عند بنى إسرائيل وكانوا إذا اختلفوا فى شئ تكلموا وحكم
 بينهم وإذا حضروا القتال قدموا بين أيديهم فيستفتحون به على عدوهم كما قال تعالى (فيه سكنة)
 أى طمأنينة لقلوبكم (من ربكم) فى أى مكان كان التابوت اطمأنوا اليه وسكنوا قاله قتادة
 والكلى فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العمالة أصحاب جالوت فغلبوهم على التابوت
 وأخذوه وقال على هى صورة لها رأسان ووجه كوجه الانسان وقال مجاهد هى شئ يشبه الهرة له
 رأس كراس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان وقيل له عينان لها شعاع وجناحان من زمرد
 وزبرجد وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هى طشت من ذهب من الجنة كان يغسل فيه
 قلوب الانبياء وقال وهب هى روح من الله تكلم اذا اختلفوا فى شئ تخبرهم ببيان ما يريدون ولما
 كان الكليم وأخوه عليهما الصلاة والسلام أعظم أنبياءهم قال (و) فيه (بقية مما ترك آل موسى)

والهـما أنفسهما والالـ مقام لتفخيم شأنهما وقيل أبناؤهما وقيل أنبياء بني
 إسرائيل لانهم أبناء عم موسى وهرون والبقية هي رضاء الألواح أى قناتها وعصا موسى
 وميثابه ونعلاه وعلامة هرون وقفيز من المني الذي كان ينزل عليهم وقوله تعالى (تعمله الملائكة)
 حال من فاعل يأتىكم (ان في ذلك لآية لكم) على ملكه وقوله تعالى (ان كنتم مؤمنين) يحتمل
 أن يكون من كلام نبيهم وأن يكون ابتداء خطاب من الله تعالى فحملته الملائكة بين السماء
 والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت فاقروا بملكه وقيل رفعه الله تعالى بعد
 موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه فلما رأوه لم يشكوا في النصر به وافأقروا بملكه
 وتسارعوا الى الجهاد فقال طالوت لا حاجة لي في كل ما أرى لا يخرج معي رجل بيني وبينه ما يفرغ
 منه ولا صاحب تجارة مشغول به ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج امرأة ولم يبين بها ولا ابتغى
 الا الشاب النشط الفارغ فاجتمع عليه ممن اختاره ثمانون ألفا وكان الوقت صيفا في حر شديد
 فشكوا قلة الماء بينهم وبين عدوهم وقالوا ان الماء لا تحملنا فادعوا الله أن يجري لنا نهر اكما
 قال تعالى (فلما فصل) أى خرج (طالوت) أى الذي ملكوه (بالجنود) من بيت المقدس أى
 التي اختارها والجنود جمع جند وهم اتباع يكونون نجدة للمستمع (قال ان الله مبتليكم) أى
 محتبركم لينظروا منكم المطيع والعاصي وهو أعلم (بنهر) قال ابن عباس والسدي هو نهر
 فلسطين وقال قتادة نهر بين الاردن وفلسطين عذب (فن شرب منه) أى من مائه فليس مني
 أى من أتباعي (ومن لم يطعمه) أى يذقه (فانه مني) أى من أتباعي وانما علم ذلك بالوحى ان كان
 نبيا كما قيل أو باخبار النبي عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى (الامن اغترف غرفة بيده) أى
 فاصكتني بها ولم يزد عليها فانه مني استثناء من قوله تعالى فن شرب وانما قدمت عليه الجملة
 الثانية للعناية بها كما قدمت الصابئون على خبر ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى
 الرخصة في القليل دون الكثير وقراءتاه وان كثير وأبو عمرو وغرفة بفتح الغين والباقون بضمها
 * (فائدة) * قال أبو عمرو بن العلاء سمعت أعرابيا ينشد وقد كنت خرجت الى ظاهرا البصرة
 متفرجا مما نالني من طلب الحاج

صبر النفس عند كل ألم * ان في الصبر حيلة المحتمل
 لا تضيق في الامور فقد تسكت * شفا لا وأوها بغير احتيال
 ربما تجزع النفوس من الام * سر له فرجة كحل العقال *
 قد يصاب الجبان في آخر الصف وينجم مقارع الابطال

فقلت ما وراء ليا أعرابي قال مات الحاج فلم أدرياً بهما أفرح أم بوجع الحاج أم بقوله فرجة لاني
 كنت أطلب شاهد الاختيار للقراءة في سورة البقرة غرفة بالضم (فسر بواضحه) لما وافوه بكثرة
 وقوله تعالى (الا قليلا منهم) أى فاقصر على الغرفة نصب على الاستثناء روى ان من اغترف
 غرفة كما أمر الله قوى قلبه ومع ايمانه وعبر النهر سالما وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه
 واروته والذين شربوا وخالفوا أمر الله اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يروا وابقوا على

شط النهر وجبتوا عن اقاء العدو واختلقوا في عدد الذين لم يشربوا قال البغوي الصحيح انهم
ثلاثمائة وبضعة عشر أى عدد أهل بدر وقال السدى كانوا أربعة آلاف ويؤيد الاول ما روى
عن البراء أنه قال كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نتحدث ان عدة أصحاب بدر على عدة
أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه الا بضعة عشر وثلاثمائة ويروى ثلاثمائة
وثلاثة عشر وفي هذا ايدان بأن أعظم الجيوش جيش يكون فيه من أهل الورع بعد التائبين
من أصحاب طالوت الذين كان بعددهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوم بدر وهم
ثلاثمائة وثلاثة عشر عدد المرسلين من كثرة عدد النبيين ولما كان قصص بني اسرائيل مثالا لهذه
الامة كان مبتلى هذه الامة بالنهر فابتلاهم بنهر الدنيا الجارى خلالها وفي افراد البليد ايدان
بأن الاخذ من الدنيا انما يكون بيد لا يدين لاشتمال المدين على جانبي الخير والشر (فلما
جازه) أى النهر (هو) أى طالوت (والذين آمنوا معه) أى وهم الذين اقتصروا على الغرفة
(قالوا) أى الذين شربوا (لا طاقة) أى لا قوة (لنا اليوم بجالوت وجنوده) أى بقتالهم وجبتوا
ولم يجاوزوه * ولما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بهذا القول نبه على أنه لا ينبغي أن يصدر من
يظن أن أجله مقتدر لا يزيد بالجن والاحجام ولا ينقص بالجرأة والاقدام وانه يلقي الله تعالى
فيما يزيه على عمله وان النصر من الله لا بالقوة والعدد فقال (قال الذين يظنون) أى يوقنون
(أنهم ملاقوا لله) بالبعث وهم الذين جاوزوه (كم من فئة) أى جماعة وهي جمع لا واحد له من
لفظه وجمعه فئات وفئون في الرفع وفئان في النصب والخفض وكم يحتمل أن تكون خبرية بمعنى
كثيرون معينة وأن تكون استفهامية ومن مؤكدة والاول أولى بشرينة المقام (قليلة) كما كان
في هذه الامة في يوم بدر (غلبت فئة كثيرة باذن الله) أى بارادته وتيسيره ثم انظر الى هذا الحال
العجيب وهو انه لما نذبتهم اتسبب جيش لا يحصون فاشترط عليهم الشاب الفارغ من بناء دار
وبناء بامرأة فلم يكن الموجد بالشرط الا ثمانين ألفا ثم امتحنوا بالنصر فلم يثبت منهم الا ثلثمائة
وثلاثة عشر وهم دون الثلث من ثمن العشرين المتصفين بالشرط من الذين هم دون الدون
من المتدين الذين هم دون الدون من السائلين في بعث الملك الخارجين معه كما قال القائل

ألم تَعَلَّمْ ————— لم بأنى صيرفى * أحل الاصدقاء على محكى

فمنهم بهرج لا خ ————— يرفيه * ومنهم من أجوزه بشك

وأنت الخالص الذهب المصقى * بتزكىتى ومثلى من يزكى

ثم بين سبحانه وتعالى أن ملاك كل ذلك الصبر بقوله (والله مع الصابرين) بالنصر والمعونة فلا
يخذل من كان معه (ولما جازوا) أى ظهروا واهم على ما هم عليه من الضعف والقله (بجالوت)
اسم ملك من ملوك الكنعانيين بالشام في زمن بني اسرائيل جبار من العمالة من أولاد عمليق
ابن عاد (وجنوده) على ما هم فيه من القوة والكثرة التحجوا الى الله بالدعاء كما نبه على ذلك بقوله
(قالوا ربنا أفرغ) أى اصيب (علينا صبرا وثبت أقدامنا) بقوة قلوبنا على الجهاد (وانصرنا

على القوم الكافرين) وفي الدعاء ترتيب بليغ ادسألوا أولا فراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مدا حض الحرب المسيب منه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا (فهزمهم باذن الله) أي بارادته (وقتل داود جالوت) قال أهل التفسير عبر النهر مع طالوت فيمن عبر ايشا أبوداود وفي ثلاثة عشر ابنا له وكان داود أصغرهم فأرسل جالوت الى طالوت ان ابرز الى أو ابرز من يقا تلني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت فنأدى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته ملكي فهاجوا القاء جالوت فلم يجبه أحد فسأل طالوت نبيهم أن يدعو الله تعالى فدعا في ذلك فأوحى الله تعالى اليه ان في ولد ايشا من يقتل الله تعالى به جالوت وكان داود أصغرهم يرى الغنم فأوحى الله تعالى الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من أبيه فجاء فقال له طالوت هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتي وأناصفك ملكي قال نعم قال آنت من نفسك أن تقوى به قال نعم أنا أرى فيجيء الاسد فياخذ شاة فاقوم اليه وأفتح لحبيه عنها وأشقهما الى قضاء فترداود في الطريق فكلمه ثلاثة أحجار وقالت له انك تقتل جالوت بناخملها في مخلاته فلما تصافوا للقتال وبرز جالوت وسأل المبارزة وكان من أشد الناس وأقواهم كان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة فيها ثلثة مائة رطل حديد اتسدب له داود وأخذ مخلاته وتقلدها وأخذ المقلع ومضى نحو جالوت فلما نظر الى داود ألقى في قلبه الرعب فقال له أنت تبرز لي قال نعم وكان جالوت على فرس ابلق عليه السلاح التام فقال آنتي بالمقلع والجحر كما يؤتى الكلب قال نعم أنت شر من الكلب قال لا جرم لا قسمي لحك بين سبعاع الارض وطير السماء قال داود أويقسم الله لحك فقال داود باسم الله ابراهيم وأخريج حجارهم أخرج الآخر وقال باسم الله اصق ووضعه في مقلعه ثم أخرج الثالث وقال بسم الله يعقوب ووضعه في مقلعه فصارت كلها حجرا واحدا وداود قورا المتلاع ورعى به فحضر الله له الرمي حتى أصاب أنف البيضة فخالط دماغه وخرج من قفاه وقمئل من ورائه ثلاثين رجلا وهزم الله تعالى الجيش وختر جالوت قتيلاً فأخذه داود ويجزئه حتى ألقاه بين يدي طالوت وفرح المسلمون فرحاً شديداً وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين فجاء داود الى طالوت وقال انجزني ما وعدتني فزوجه ابنته وأجرى خاتمه في ملكه فقال الناس الى داود وأحبوه وأكثروا ذكره فحسده طالوت وأراد قتله فأخبر بذلك فهرب فسلط عليه العيون وطلبه أشد الطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوماً فوجد داود عيشي في البرية فقال اليوم أقتله فركض على أثره فاشتهد داود وكان اذا فرغ لم يدركه فدخل غارا فأوحى الله تعالى الى العنكبوت فتسبجت عليه بيتا فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت فقال لو كان دخل ههنا لخرق بناء العنكبوت فتركه ومضى وانطلق داود الى الجبل مع المتعبدين فتعبد فيه الى أن قتل طالوت وكان ملك طالوت الى أن قتل أربعين سنة وأتى بنو اسرائيل بداود وأعطوه خزان طالوت وملكوه على أنفسهم قال الكلبي والضالك ملك داود بعد قتل طالوت سبعين سنة ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد الاعلى داود فذلك قوله تعالى (واتاه الله الملك والحكمة) أي النبوة بعد موت شمويل

وطالوت ولم يجتمعوا لاحد قبله بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط وتميل الملك والحكمة العلم والعمل (وعلمه بمائشاه) كصناعة الدروع كان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل الا من عمل يده ومنطق الطير والصوت الطيب والالخان ولم يعط الله تعالى أحدا من خلقه مثل صوته كان اذا قرأ الزبور تدفوا الوحوش حتى يؤخذ باعناقها وتقطله الطير ويركد الماء الجارى ويسكن الريح والسلسلة كان لا يسم اذوعاهة الا برأ وكانوا يتحاجون اليها يمدده الى أن رفعت فن تعدى على صاحبه وأنكر له حقاً في السلسلة فن كان صادقا مديده اليها فتناولها ومن كان كاذباً لم ينلها وكان ذلك الى أن ظهر فيهم المنكر والخديعة فأودع بعض ملوكهم رجلاً جوهره ثمينة فلما طلبها منه أنكرها فتحا كما الى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهره الى عكازة فنقرها وضمنها الجوهره واعتمد عليها حتى حضر السلسلة فقام صاحب الجوهره فتناول السلسلة بيده ثم قام المنكر وقال لصاحب الجوهره خذ عكازتي هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فقال الرجل اللهم ان كنت تعلم ان الوديعه التي يدهيها قد وصلت اليه فقرب مني السلسلة فتديده فتناولها فتعجب القوم وشكروا فيها فأصبحوا وقد رفع الله السلسلة (ولو لدفع الله الناس بعضهم) بدل بعض من الناس (ببعض) أى ولو لدفع الله بجنود المسلمين الكفار (أفسدت الارض) بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخريب المساجد وأفسدت الارض بشوم الكفر فيكون المعنى ولو لدفع الله بالمومنين والابرار عن الكفار والنجار لهلكت الارض بمن فيها ولكن الله يدفع بالمومن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر وقد روى ان الله عز وجل "ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء" ثم قرأ ابن عمر الآية وروى عن ابن عباس أنه قال يدفع الله تعالى بمن يصلى عن لا يصلى وعن يحج عن لا يحج وعن يركى عن لا يركى وعن جابر بن عبد الله ان الله ليصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله مادام فيهم وعن ابن مسعود ان الله عز وجل في الخلق ثلثمائة قلوبهم على قلب آدم والله في الخلق أربعون قلوبهم على قلب موسى والله في الخلق سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم والله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبرائيل والله في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل والله في الخلق واحد قلبه على قلب اسرافيل فاذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة واذا مات واحد من الثلاثة أبدل الله مكانه من السبعة واذا مات واحد من السبعة أبدل الله مكانه من الاربعةين واذا مات واحد من الاربعةين أبدل الله مكانه من الثلثائة واذا مات واحد من الثلثائة أبدل الله مكانه من المائة فيهم يحيى ويميت قال لانهم يسألون الله اكثرا لامم فيكثرون ويدعون على الجبارة فينقصمون ويستسقون فيسقون ويسألون فتنبه لهم الارض ويدعون فيدفع الله أنواع البلاء (ولكن الله ذو فضل على العالمين) أى كلهم أو لا بالاجاد وثانيا بالدفاع فهو يكف من ظلم الظالمه اما بعضهم ببعض أو بالسالحين ويسمخ عليهم غير ذلك من أنواع نعمه ظاهرة وباطنة (تلك) أى هذه الآيات التي قصصناها عليك من حديث الاولين وتعليك طالوت واتيان

التابوت وانهم زام الجبابرة على يد صبي وهو داود وقتل داود جالوت (آيات الله) الذي جلت عظمته
 وتمت قدرته وقوته (تلوها) أي نقصها (عليك) يا محمد (بالحق) أي بالوجه المطابق الذي لا يشك
 فيه أهل الكتاب لانهم يجدونه في كتبهم كذلك وأرباب التواريخ (وانك) أي والحال انك
 (لن المرسلين) بجلالت هذه الآيات عاينهم من علمك بهم من غير معلم من البشر ثم باعجازها الباقي
 على مدى الدهر ولما تقدم في هذه السورة ذكر رسل كثيرة وختم هذه الآيات بانه صلى الله عليه
 وسلم منهم تشوقت النفس الى معرفة أحوالهم في الفضل هل هم فيه سواء أو هم متفاضلون فأشار
 الى علوم مقادير الكل في قوله (تلك الرسل) بأداة البعد اعلا ما يبعد مراتبهم وعلوم منازلهم وانها
 بالمثل الذي لا ينال والمقام الذي لا يطاق * (تنبيه) * تلك مبتدأ والرسل صفة أي الرسل
 التي ذكرت قصصها في السورة والتي ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أو جماعة
 الرسل واللام للاستغراق والخبر (فضلنا بعضهم على بعض) بتخصيصه بمنزلة ليست لغيره
 لما أوجب ذلك من تفضيلهم في الحسنات بعد ان فضلنا الجميع بالرسالة ولما كان أكثر السورة
 في بني اسرائيل وأكثر ذلك في اتباع موسى عليه الصلاة والسلام ذكر وصفه مع وصف نبينا محمد
 صلى الله عليه وسلم فقال (منهم من كلم الله) بلا واسطة وهو موسى ومحمد صلى الله عليه
 وسلم كلم موسى ليلة الحيرة وهي بفتح الحاء تحيره في معرفة طريقه من مسيرة من مدين الى
 مصر وفي الطور ومحمد ليلة المعراج حين كان قاب قوسين أو أدنى وبين التكليم بين عظيم
 ومنهم أيضا آدم كما ورد في الحديث (ورفع بعضهم) وهو محمد صلى الله عليه وسلم (درجات) على
 غيره بعموم الدعوة وختم النبوة والاتباع الكثيرة في الأزمان الطويلة وينسخ جميع
 الشرائع ويكونه رحمة للعالمين بتفضيل أمته على سائر الأمم وبالمعجزات المتكاثرة المستمرة
 وأظهرها القرآن الذي عجز أهل السموات والأرض عن الاتيان بسورة من مثله والآيات
 المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الغالبة للعصر ولولم يؤت القرآن وحده
 كفى به فضلا مني فاعلى سائر ما أوتي الأنبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات
 وبانتفاق القمر بإشارته وحنين الجذع بمفارقة وتسلم الحجر عليه وكلام البهائم والشهادة
 برسالته ونسج الماس من بين أصابعه وغير ذلك مما لا يحصىه الا الله تعالى وروى عنه صلى الله
 عليه وسلم أنه قال ما من نبي من الأنبياء الا وقد أعطى من الآيات ما آمن على مثله البشر وانما
 كان الذي أوتيته وحيا أو جاء الله الى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة وروى عنه
 أنه قال أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب من مسيرة شهر وجعلت لي
 الأرض مَسْجِداً وطهوراً فأما رجل من أممي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم
 تحل لي لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه ويبعث الى الناس عامة وروى
 عنه أنه قال فضلت على الأنبياء بست أوتيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم
 وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأرسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون (واتينا عيسى
 ابن مريم البينات) من احياء الموتى وغيره (وأيدناه) أي قويناه (بروح القدس) وهو جبريل

يسير معه حيث سار وخص عيسى صلى الله عليه وسلم باسمه لا فراط اليهود في تحقيره والنصارى في تعظيمه حيث قالوا هو ابن الله وأبهم محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى بعضهم حيث لم يقل ورفع محمد صلى الله عليه وسلم لما في الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على أنه العليم الذي لا يشتهيه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول أحدكم أو بعضكم يراد به الذي تعرف واشتهر فيكون أنعم من التصريح بحبه وأنوه به أحبه وسئل الحطيث عن أشعر الناس فذكر زهيراً والنابعة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث أراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخهم أمره (ولو شاء الله) أي الذي له جميع الامر هدى الناس جميعاً باتفاقهم على دين واحد (ما اقتتل الذين من بعدهم) أي بعد الرسل أي ما اقتتل أمهم (من بعد ما جاءتهم البينات) أي المعجزات الواضحات على أيدي رسلهم لا اختلافهم في الدين وتفضيل بعضهم بعضاً (ولكن اختلفوا) لمشيئته تعالى ذلك (فهم) أي فتسبب عن اختلافهم ان كان منهم (من آمن) أي ثبت على إيمانه (ومنهم من كفر) كالنصارى بعد المسيح * ولما كان من الناس من أعمى الله قلبه فنسب أفعال المختارين من الخلق اليهم استقلاً لا قال الله تعالى معلماً أن الكل بخلافه تأكيدها ما مضى من ذلك ومعيداً ذكر الاسم الأعظم (ولو شاء الله ما اقتتلوا) بعد اختلافهم بالآيمان والكفر (ولكن الله يفعل ما يريد) فيوفق من يشاء فضلاً منه ويخذل من يشاء عدلاً منه والآية دليل على أن الأنبياء متقاوثة الأقدام وأنه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بنص لأن اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل لا بالاعتقاد وإن الحوادث بيد الله لقوله تعالى يفعل ما يريد تابعة لمشيئته تعالى خيراً كان أو شراً إيماناً أو كفراً * ولما كان الاختلاف على الأنبياء سبباً للجهاد الذي هو حاضرة الدين وكان عماد الجهاد النفقة أتبع ذلك قوله رجو عالى أقول المسورة من هنا إلى آخرها وأتى التأكيدها بالنظر الامر لما تقدم الحث عليه من أمر النفقة (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) أي مما أوجب عليكم انفاقه من الزكاة قاله السقدي وقال غيره أراد به صدقة التطوع والنفقة في الخير أي فلا تبخلوا بالانفاق فإنه لاداء وأمن البخل قال تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وصرف الامر بالتبعض الى الحلال الطيب يمنع احتجاج المعتزلة به في أن الرزق لا يكون الا حلالاً لكونه مأموراً به واتباعه بما يرغب ويرهب من حلول يوم التناد الذي تنقطع فيه الاسباب التي أقامها سبحانه وتعالى في هذه الدار فقال (من قبل أن يأتي يوم) موصوف بأنه (لا يبيع فيه) أي فداء (ولا خلة) أي صداقة تنفع (ولا شفاعة) بغیر اذنه والمعنى أنه لا يفدى فيه أسير عمال ولا يراعى الصدقة من مساو ولا الشفاعة من كبير لعدم ارادة الله تعالى لشي من ذلك ولا يكون الا ما يريد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والنصب في بيع وخلة وشفاعة ولاتنوين على الاصل والباقون بالرفع والتنوين على أنهم في تقدير جواب هل فيه بيع أو خلة أو شفاعة * ولما حث سبحانه وتعالى على الانفاق ختم الآية بذكر الكافرين بكونهم لم يتحلوا بهذه الصفة اتخليصهم من الايمان وبعدهم منه وتكذيبهم بذلك اليوم فهم لا يتقنون لحوفه وارهابه فقال بدل ولا نصرة لكافر (والكافرون) أي المعلوم

كفرهم في ذلك اليوم (هم) المختصون بأنهم (الظالمون) أي الكاملون في الظلم لا غيرهم وقوله سبحانه (الله لا اله الا هو) مبتدأ وخبر والمعنى أنه المستحق للعبادة لا غير (الحق) أي الدائم البقاء (القيوم) أي الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظهم (لا تأخذه سنة) وهي ما يتقدم النوم من الفتور والذي يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاللي

وسنان أقصده (أي أصابه) النعاس فرنقت * في عينه سنة وليس بنائم
أي لا يأخذه نعاس (ولا نوم) وهو حال تعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات
الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس (فان قيل) تقديم السنة على
النوم قياس المبالغة عكسه (أجيب) بأن هذا ذكر على ترتيب الوجود اذ وجود السنة سابق
على وجود النوم فهو على طريقة لا يغادر صغيرة ولا كبيرة قصد الى الاطالة والاحصاء ولانه
لما عبر بالاختزال الذي هو معنى القهر والغلبة وجب تقديم السنة كما لو قيل فلان لا يغلبه أمير
ولا سلطان وجله لا تأخذه سنة ولا نوم في التشبيه بينه وبين خلقه ونأ كيد لكونه حيا قيوما
فان من أخذ نعاس أو نوم كان باقة فحفل بالحياة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك
العاطف فيه وفي الجمل التي بعده من قوله ما في السموات وما في الارض الخ وقوله تعالى (له) أي
بيده وفي تصرفه واختصاصه (ما في السموات وما في الارض) أي ملكا وخالقا تقرير اقيوميته
واحتجاج على تفرد في الألوهية والمراد بما فيها ما ما وجد فيهما خلا في حقيقة ما كالسواكب
والنبات والمعادن او خارجا عنها ما متمكنا منها ما كالملائكة والانس والجن وقوله تعالى (من
ذا الذي) أي لا أحد (يشفع عنده الا باذنه) له بيان لكبريائه شأنه وانه لا أحد يساويه أو يدانيه
يستقل بأن يدفع ما يريد شفاعا وتواضع افضل أن يدفعه عنادا ومخاصمة (يعلم ما بين أيديهم) أي
الخلق من أمر الدنيا (وما خلفهم) أي من أمر الآخرة قاله مجاهد وقال الكلبي ما بين
أيديهم يعني الآخرة لانهم يقدمون عليهم وما خلفهم الدنيا لانهم يخلفونها وراؤهم وقيل
ما بين أيديهم ما قدموا من خير وشر وما خلفهم ما هم فاعلوه (ولا يحيطون بشئ) أي قليل
ولا كثير (من علمه) أي لا يعلمون شيئا من معلوماته (الابشياء) أن يعلمهم به منها باخبار الرسل
(وسع كرسیه السموات والارض) اختلف في الكرسي فقال الحسن هو العرش نفسه وقال
أبو هريرة هو موضع أمام العرش والاحاديث تدل عليه ومعنى وسع أن سعته مثل سعة
السموات والارض وفي الاخبار ان السموات والارض في جنب الكرسي كحلقه في فلاة
والكرسي في جنب العرش كحلقه في فلاة ويروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما ان
السموات السبع في الكرسي كدراهم سبعة القيت في ترس وقال علي ومقاتل كل قاعة من
الكرسي طولها مثل السموات السبع والارض بين السبع وهو بين يدي العرش ويحمل
الكرسي أربعة أملاك لكل ملك أربعة وجوه وأقدامهم في الصخرة التي تحت الارض
السابعة السفلى سيرة خمسمائة عام ملك على صورة أبي البشر آدم عليه الصلاة والسلام وهو
يسأل للآدميين الرزق والمطر من السنة الى السنة وملك على صورة سيد الانعام وهو الثور

قوله ان ما بين حلة الخ
كذا في الاصول التي
بأيدينا بآيات ما نصب
سبعين واهله على حد
ان حراسنا أسدا ٥١
مصنفه

يسأل للانعام الرزق من السنة الى السنة وعلى وجهه غضاضة منذ عبد العجل وملاك على
صورة سيد السباع وهو الاسد يسأل الرزق للسباع من السنة الى السنة وملاك على صورة سيد
الطيور وهو النسر يسأل للطير الرزق من السنة الى السنة وفي بعض الاخبار ان ما بين حلة العرش
وحلة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور غلط كل حجاب مسيرة خمسمائة عام
لولا ذلك لاحتقرت حلة الكرسي من نور حلة العرش وقيل المراد بالكرسي علمه وقيل ملكه
وقيل تصوير لعظمته وتمثيل مجزده (ولا يؤده) أي لا يتقله ولا يشق عليه (حفظهما) أي السموات
والارض (وهو العلى) أي الرفيع فوق خلقه المتعالى عن الاشياء والانداد (العظيم) أي
الكبير الذي لا شيء أعظم منه المستحق بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الآية تسمى آية الكرسي
مشقة على أتمها المسائل الالهية فانها دالة على أنه موجود واحد في الالهية متصف بالحياة
واجب الوجود لذاته موجودا غيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزّه عن التحيز والحلول
مبرأ عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والمملوكوت
ومبدع الاصول والفرع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الامن اذن له عالم بالاشياء
كلها جليها وخفيها كليها وجزئها واسع الملك والقدره اذ المقدور كل ما يصح أن يملك ويقدر
عليه لا يؤده شاق ولا يشغله شان عن شان متعال عما يدركه وهم عظيم فلا يحيط به فهم ولذلك قال
عليه الصلاة والسلام ان أعظم آية في القرآن آية الكرسي روى القسائي وابن
حبان وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من
دخول الجنة الا الموت أي فاذا مات دخل الجنة وروى البيهقي في شعبه أنه صلى الله عليه وسلم
قال لا يواظب عليها الا صديق أو عابد وروى البيهقي أيضا ان من قرأها اذا أخذ مضجعه آمنه
الله على نفسه وجاره وجار جاره والايات حوله وعن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم
سأله أي آية من كتاب الله أعظم قال قلت الله لا اله الا هو الحي القيوم قال فضرب في صدره ثم
قال ليهنك العلم الذي نفسى بيده ان لها لسانا وشفتين تقدر ان تملك عند ساق العرش
وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين من أول حم
تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ في يومه ذلك حتى يمسي فان قرأهما حين يمسي حفظ
في ليلته تلك حتى يصبح وروى ما قرئت آية الكرسي في دار الاهجرة ثم الشياطين ثلاثين يوما
ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة ياعلى علمها ولدك وأهلك وجيرانك فانزلت آية أعظم منها
وتذاكر الصحابة أفضل ما في القرآن فقال لهم على رضى الله تعالى عنه أين أنتم عن آية الكرسي
ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعلى سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا تغرو سيد
الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم
الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي (لا اكره في الدين)
أي على الدخول فيه أي من أعطى الجزية لم يكرهه على الاسلام فهو عام مخصوص بأهل الكتاب
لما روى أن أنصاريا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال والله
لا أدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري يا رسول الله

أي دخل بعض النار وأنا أنظر فنزلت وقيل عام منسوخ فكان هذا في الابتداء قبل أن يؤمر
 بالقتال فصارت الآية منسوخة بآية السيف قاله ابن مسعود (قد تبين الرشد من الغي) أي
 ظهر بالآيات البينات أن الإيمان رشدي يصل إلى السعادة الأبدية وأن الكفر غي يؤدي إلى
 الشقاوة السرمدية والعاقلة متى تبين له ذلك بادرت نفسه إلى الإيمان طلباً للقوز بالسعادة والنجاة
 فلم يمتح إلى الإكراه والالجام (فمن يكفر بالطاغوت) أي من اختار الكفر بالشيطان أو الأصنام
 (ويؤمن بالله) أي بالتوحيد وتصدق الرسل (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي تمسك واعتصم
 بالعقد الوثيق المحكم في الدين (لا انفصام) أي لا انقطاع (لها) قال التقطازاني شبه التدين
 بالدين الحق والثبات على الهدى والإيمان بالتمسك بالعروة الوثقى المأخوذة من الحبيل المحكم
 المأمون تقطعها ثم ذكر المشبهة به وأراد المشبهة وقال الزمخشري وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر
 والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده
 واليقن به اهـ والوثقى تأنيث الاوثى وقيل العروة الوثقى السبب الذي يتوصل به إلى رضا الله
 تعالى (والله سميع) لما يقال (عليم) بالنيات والأفعال وقيل سميع لدعائك إياهم إلى الإسلام
 عليم بحرصك على إيمانهم (الله ولي) أي ناصر ومعين (الذين آمنوا) أي أرادوا أن يؤمنوا وقوله
 تعالى (يخرجهم) أي بلطفه وتأيدته (من الظلمات) أي الكفر (إلى النور) أي الإيمان وأنهم
 الثابتون على الإيمان بأن يخرجهم من الشبهة في الدين أن وقعت لهم بما هم لديهم ويوفقه
 له من أجلها حتى يخرجوا منها إلى نور اليقين وعن ابن عباس أنهم قوم كانوا كفروا
 بعيسى وآمنوا بعمد صلى الله عليه وسلم (والذين كفروا أولاً فهم الطاغوت) أي الشيطان
 وقال مقاتل هو كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وسائر رؤس الضلالة (يخرجونهم) أي
 يدعونهم (من النور) الذي منحوه بالقطرة (إلى الظلمات) أي الكفر (فان قيل) كيف
 يخرجونهم من النور وهم كفار لم يكونوا في نور قط (أجيب) بأن الطبراني روى عن ابن عباس
 أنها نزلت في قوم آمنوا بعيسى فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به وأنه تعالى ذكر
 الإخراج في مقابلة يخرجهم من الظلمات فهو على العموم في حق جميع الكفار كما يقول الرجل
 لا يسه أخر جتني من مالك ولم يكن فيه كما قال تعالى أخبرا عن يوسف عليه الصلاة والسلام أني
 تركت مله قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن قط في ملتهم وقبل نزلت في قوم ارتدوا عن الإسلام واسناد
 الإخراج إلى الطاغوت باعتبار السبب لا يأتى تعلق قدرته تعالى وإرادته به والطاغوت يكون
 مذكراً ومؤنثاً واحداً وجهاً قال تعالى في المذكر والواحد يريدون أن يتصاكوا إلى الطاغوت
 وقد أمر وأن يكفروا به وقال تعالى في المؤنث والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وقال في
 الجمع يخرجونهم من النور إلى الظلمات وقوله تعالى (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وعيد
 وتحذير قال البيضاوي ولعل عدم مقابله بوعده المؤمنين تعظيم لشأنهم ولما كان النور ذالهاجج
 للخليل بمن أخرجته الشياطين من النور إلى الظلمات ذكره عقب ذلك فقال (ألم تر) أي تعلم بما
 تخبرك به علما هو عندك كالمشاهدة لمالك من كمال البصيرة وبما أودعناه فيك من المعاني المنيرة

(إلى الذي) وهو غروذ (حاج) جادل وخاصم (إبراهيم في ربه) وهو أول من وضع التاج على رأسه
وتجبر في الأرض وادعى الربوبية (إن) أي لان (آباء الله الملك) فطني أي كانت تلك الحاجة
من بطر الملك وطمغيانه فأورثه الكبير والعقو فخاج لذلك وقال مجاهد ملك الأرض مشرقها
ومغربها أربعة نفر مؤمنان وكافران أما المؤمنان فسلمان صلى الله عليه وسلم وذو القرنين
وأما الكافران فغروذ بن كنعان وبختنصر لم يملكها غيرهم وفي الآية دليل على أن الله تعالى
يعطي الكافر الملك ففهم الحجّة على من منع إتياء الملك للكافر من المعترلة وأول الملك بالمال
والخدم الذي تسلط به على غلبة الناس لا الملك الحقيقي وبهذا أول الزمخشري (أذ قال
إبراهيم ربي الذي) قرأ حزة ربي بسكون الياء والباقون بنصبها (يحيى ويميت) أي يخلق الموت
والحياة في الأجساد وهذا جواب سؤال غير مذكور تقدّره قال له غروذ من ربك فقال له إبراهيم
ذلك واختلفوا في وقت هذه المناظرة فقال مقاتل لما كسر إبراهيم الأصنام صجته غروذ ثم
أخرجه ليحرقه بالنار فقال له من ربك الذي تدعونا إليه وقال آخرون كان هذا بعد لقائه في النار
وذلك أن الناس تحطوا على عهد غروذ وكان الناس يتارون من عنده فكان إذا أتاه الرجل
في طلب الطعام سأله من ربك فان قال أنت باع منه الطعام فأناه إبراهيم فقال له من ربك فقال له
ذلك (قال أنا حي وأميت) قرأ نافع بهاء الالف من أنا فمصرمدا منفصلا والباقون بالفسر
قال أكثر المفسرين دعا غروذ برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فجعل ترك القتل أحياء فانتقل
إبراهيم إلى حجة أخرى لا يعجزا بل لما رآه من غباوته فأن حجته لازمة لانه أراد بالاحياء أحياء
الميت فكان له أن يقول فأحي من أمت ان كنت صادقا لكانه انتقل إلى حجة أوضح من الأولى
ذكرها الله تعالى بقوله (قال إبراهيم فان الله يأتي بالشمس) وهو الذي أوجدها (من المشرق)
أي في كل يوم قبل أن توجد أنت بد هو (فأت بها) أنت (من المغرب) ان كنت صادقا فيما
تدعيه ولو يوما واحدا وفي ذلك اشعار بأن الله تعالى لا بد وأن يأتي بالشمس من المغرب ليكون
في ذلك اظهر نصريته لها حيث شاء يطالعها من حيث غربت كما يطالع الروح من حيث
قبضت ليكون طلوع الشمس من مغربها آية مقاربة لقيام الساعة وطلوع الأرواح من أبدانها
(فهت الذي كفر) تحير ودهش وانقطعت حجته ولم يعط إبراهيم طعاما فراجع فزعزعي كتيب
رمل أعفر فأخذ منه تطيبيا للقلوب أهله إذا دخل عليهم فلما أتى أهله ووضع متاعه نام فقامت
امرأته إلى متاعه ففتحت له فاذا هو أجود طعام رآته فأخذته وصنعت له منه وقرنته له فقال لها من
أين هذا قالت من الطعام الذي جئت به فعرف ان الله تعالى رزقه فحمد الله تعالى (فان قيل)
كيف هت غروذ وكان يمكنه ان يعارض إبراهيم فيقول له سل أنت ربك حتى يأتي به من المغرب
(أجيب) بأن الله تعالى صرفه عن ذلك اظهارا للحجّة عليه أو معجزة لإبراهيم عليه الصلاة
والسلام أو أنه خاف ان لو سأل ذلك دعا إبراهيم ربه فكانت زيادة في فضيحته وانقطاعه ثم بعث الله
تعالى إلى غروذ بن كنعان ملكا أن آمن بي واركك على ملكك قال فهل رب غيري فجاءه الثانية
فقال له ذلك فأبى عليه ثم أتاه الثالثة فأبى عليه فقال له ذلك الملك فاجع جموعك إلى ثلاثة أيام

فجمع الجبار جوعه فأمر الله تعالى الملك ففتح عليه بابا من البعوض فطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها فبعثها الله عليهم فأكلت شحومهم وشربت دماءهم فلم يبق إلا العظام وغرود كما هو لم يصبه من ذلك شيء فبعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخرمه فكثرت أربع مائة سنة يضرب رأسه بالمطارق وأرحم الناس به من جمع يديه ثم ضرب بهما رأسه وكان جبارا أربع مائة سنة فعذبه الله تعالى أربع مائة سنة كملكه ثم أماته الله وهو الذي بنى صرحا طويلا ليصعد منه إلى السماء ليعاقل أهلها فأرسل الله تعالى عليه الريح فهدمته وستأق قصته في غافران شاء الله تعالى (والله لا يهدي القوم الظالمين) بالكفر إلى محجة الاحتجاج (أو كالذي مر على قرية) فيه حذف تقديره أو رأيت مثل الذي حذف لدلالة ألم تر عليه لأن كليهما كلمة تعجب وتخصيصه بحرف التشبيه لأن المنكرين للأحياء كثير والجاهل بكيفيته أكثر من أن يحصى بخلاف مدعى الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام ألم تر إلى الذي حاج أوالى الذي مر والمارة عزير بن شرحبيل والخضر والكافر بالبعث ويؤيد هذا نظمه مع غرود في سلك وكلمة الاستبعاد التي هي أنى يحيى وأكثرا لمفسرين على الأول والقرية بيت المقدس حين خرجهم بالجنتصر وقتل بنى اسرائيل حتى أفضاهم ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا فيقذفه في بيت المقدس ففعلوا حتى ملؤه ثم أمرهم أن يجتمعوا من كان في بلاد بيت المقدس فاجتمع عنده صغارهم وكبيرهم من بنى اسرائيل فاختر منهم سبعين ألف صبي فقسهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل رجل منهم أربعة وقرق من بقى من بنى اسرائيل ثلاث فرق فقتلنا قتلهم وثلاث أسبأهم وثلاث أقرهم بالشأم وقيل هي القرية التي خرج منها الألوف وقيل غيرهما (وهي حاوية) أى ساقطة (على عروشها) أى ستوفها بأن سقط السقف أولا ثم سقطت الجدران عليه لما أخرجهم بالجنتصر (قال أنى) أى كيف (يحيى هذه الله بعد موتها) أى بما صارت إليه من الخراب وذهاب الأهل فيعيدها إلى ما كانت عليه عامرة أهلة وهذا اعتراف بالهجز عن معرفة طريق الأحياء واستعظام لقدرة الهي أن كان القاتل مؤمنا واستبعاد أن كان كافرا (فأما الله) وأبنته (مائة عام) ميتا (ثم بعثه) بالأحياء ليريه كيفية ذلك (قال كم لبنت) أى مكنت أى لما أحياء الله بعث إليه ملكا فساله كم لبنت وعن ابن عباس أن عزيرا كان عبدا صا لما حكما خرج ذات يوم إلى ضيعة له يتعاهدها فلما انصرف انتهى إلى خربة حين قامت الظهيرة فأصابه الحر فدخل الخربة وهو على حماره فنزل عن حماره ومعه سلة فيها تين وسلة فيها عنب فنزل في ظل تلك الخربة وأخرج قصعة كانت معه فاعتصر من العنب الذى كان معه في القصعة ثم أخرج خبز يابس معه فألقاه في تلك القصعة في العصور ليتل فأكاه ثم استلقى على قفاه وأسنده رجله إلى الحائط فظن سقطت تلك البيوت ورأى ما فيها وهي ساقطة على عروشها ورأى عظاما بالية فقال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فلم يشك أن الله يحييها ولكن قالها تعجبا فبعث الله ملك الموت فقبض روحه فأما الله مائة عام فلما أتت عليه مائة عام وكان فيما بين ذلك في بنى اسرائيل أمور واحدات فبعث الله إلى عزير ملكا فخلق قلبه ليعقل به وعينه لينظر بهم ما في عقل كيف يحيى الله الموتى ثم ركب خلقه وهو يتظر ثم كسا عظامه اللحم والشعر والجلد ثم نفخ فيه الروح كل ذلك يرى

ويعدل فاستوى جالساً فقال له الملك كم لبثت (قال لبثت يوماً) وذلت إن الله تعالى أماته ضحى
في أول النهار وأحياه بعد مائة عام في آخر النهار قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت يوماً وهو يرى أن
الشمس قد غربت ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال (أو بعض يوم) أي بل بعض يوم (قال) أي
الله أو الملك له (بل لبثت مائة عام) قرأ نافع وابن كثير وعاصم بإظهار الشاء المثلثة في كم لبثت
وفي قال لبثت وفي بل لبثت والباقون بالادغام ثم قال له الله أو الملك (فانظر إلى طعامك) وكان بينا
أو عنبا (وشرابك) وكان عصيراً أولبنا (لم يتسنه) أي لم يتغير عرور الزمان في مكان التين أو العنب
كأنه قد قطف من ساعته والعصير كأنه قد عصر أو اللبن قد حلب من ساعته قال الكسائي أي
كأنه لم يأت عليه السنون وإنما أفرد الضمير لأن الطعام والشراب كالجنس الواحد (فان قيل)
إذا كان المازك كافراً فكيف يدع أن يكلمه الله (أجاب الزمخشري) بأن الكلام كان بعد
البعث ولم يكن اذذاك كافراً وقال أبو حيان لأنص في الآية إن الله كلمه شفهاها وقرأ حمزة
والكسائي لم يمتن بـ ياء قاط الهاء إذا وصلها بما بعدها والباقون بإثباتها وفي الوقف ناسبة للجميع
(وانظر إلى حمارك) كيف هو فرأى ميتاً وعظامه بيض وكان له حمار قد ربطه وقيل رآه حياً مكانه كما
ربطه حفظ بلاماء ولا علف كما حفظ الطعام والشراب من التغير وقوله تعالى (ولجعلك آية للناس)
معطوف على محذوف تقديره فعلنا ذلك اتعلم ولجعلك آية وقيل الواو زائدة مقحمة أي لجعلك
عبرة ودلالة على البعث بعد الموت (وانظر إلى العظام كيف ننشرها) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو
بالراء ومعناه نحيبها والباقون بالزاي ومعناه نرفعها من الأرض ونردها إلى أمما كنهامن الجسد
وفي الآية تقديم وتأخير وتقديرها وانظر إلى حمارك وانظر إلى العظام كيف ننشرها وانجلك آية
للناس واختلقوا في معنى الآية فقال الاكثرون أنه أراد به عظام حماره وهذا يؤيد كون حماره
كان ميتاً قال السدي إن الله أحيا عزيراً ثم قال له انظر إلى حمارك قد هلك وبلت عظامه فبعث
الله ريحاً فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل الذي ذهبت به الطيور والسباع فاجتمعت
فركب بعضها في بعض وهو ينظر فصار حماراً من عظام ليس فيه لحم ولا دم ثم كسا العظام لحماً ودما
كما قال تعالى (ثم نكسوها لحماً) فصار حماراً لاروح فيه ثم أقبل ملك يمشي حتى أخذ بمنخر الحمار
فنفخ فيه فقام الحمار ونشق بإذن الله تعالى وقال الاقلون أراد به عظام هذا الرجل فأحيانا الله
عينه ورأسه وسائر جسده ميت ثم قال انظر إلى حمارك فنظر فرأى حماره قائماً واقفاً كهيئته
يوم ربطه وهذا يؤيد كون حماره كان حياً وذلك من أعظم الآيات أن يعيش مائة عام من غير علف
ولاماء قال الضحاك وقتادة وتقدير الآية أي على هذا وانظر إلى حمارك وانظر إلى عظامك كيف
ننشرها روى أن عزيراً لما أحياه الله تعالى ركب حماره حتى أتى محله فأنكره الناس وأنكر
الناس ومنارله فأنطلق على وهم حتى أتى منزله فاذا هو بمجوز عظام مكددة أتى عليها مائة وعشرون
سنة كانت أمة لهم فخرج عزير عنهم وهي بنت عشرين سنة فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير
قالت نعم هذا منزل عزير وبكت وقالت ما رأيت أحداً من كذا وكذا سنة يذكر عزيراً فقال فاني أنا
عزير فقالت سبحان الله فان عزيراً فقد ناه من مائة سنة لم نسمع له بذلك قال إن الله أمان مائة سنة ثم

بعثني قالت فان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة يدعوا للمريض وصاحب البلا بالعاية فادع
الله أن يرده علي بصري حتى أراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح يده على عينيه ففهمتها
وأخذيدها فقال قومي بأذن الله تعالى فاطلق الله رجلها فقامت صحيحة كأنما شطت من عقال
فمنظرت اليه فقالت أشهد أنك عزير فانطلقت الي بني اسرائيل وهم في أنديتهم ومجالسهم وابن
العزير شيخ ابن مائة سنة وثمان عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ في المجلس قال النعمان عاد الى قريته شابا
وأولاده وأولاد أولاده شيوخ وعجائز وهو أسود الرأس واللحية فقالت هذا عزير قد جاءكم
فكذبوها فقالت أنا فلانة مولاتكم دعالي ربه فرد علي بصري واطلق رجلي وزعم أن الله أماته
مائة عام ثم بعثه فنهض الناس وأقبلوا عليه ونظروا اليه وقال ابنه كان لابي شامة سوداء مثل
الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذا هو عزير فقال بنو اسرائيل فانه لم يكن فينا أحد حفظ
التوراة فيما حدثنا غير عزير فقرأ لهم التوراة من الحفظ ولم يحفظها أحد قبله فعرفوه بذلك وقالوا
هو ابن الله وسياتي الكلام على ذلك في سورة برائة ان شاء الله تعالى (فلما تبين له ذلك بالمشاهدة
وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير) قال أعلم ان الله على كل شيء قدير
لخذف من الاول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا وقرأ حمزة والكسائي بوصل
الهمزة قبل العين وسكون الميم والباقون بقطع الهمزة ورفع الميم (و) اذكر (اذ قال ابراهيم رب
أرني) أي أبصرني قرأ ابن كثير والسوسي بسكون الراء من أرني وقرأ الدوري باختلاس الكسرة
والباقون بكسرة كاملة (ككيف يحيي الموتى) قال الحسن وقتادة والضحاك كان سبب هذا
السؤال من ابراهيم عليه السلام أنه مر على دابة ميتة قال ابن جرير كانت جيفة حمار فقرأها وقد
توزعت اذواب البحر والبر فكانت اذا مدت البحر جاءت الحيتان ودواب البحر فأكلت منها وما وقع
منها يصير في البحر واذا انحسر البحر جاءت السباع فأكلت منها وما وقع منها يصير اياها فاذا ذهبت
السباع جاءت الطير فأكلت منها وما سقط قطعته الريح في الهواء فلما رأى ذلك ابراهيم تعجب
منها وقال يا رب قد علمت انك تجمعها من بطون السباع وحواصل الطير وأجواف دواب البحر
فأرني كيف يحييها فازداد ايقينا فعابته الله بقوله (قال أولم تؤمن) بقدرتي على الاحياء سأله مع علمه
بايمانه بذلك ليجيب بما أجاب به فيعلم السامعون غرضه (قال بلى) يا رب آمنت (ولكن ليطمئن قلبي)
أي ليسكن قلبي الى المعايينة والمشاهدة أراد أن يصبر له بعد علم اليقين عين اليقين فان اليمان يقيد
في المعرفة والعلم أئينة ما لا يقيد الاستدلال وأما قوله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من
ابراهيم ولوليت في السفين طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي فقال أبو سليمان الخطابي ليس
فيه اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابراهيم لكن فيه نفي الشك عنهما يقول أذا لم أشك في قدرة
الله تعالى على احياء الموتى فابراهيم أولى بأن لا يشك وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من
النفس وكذلك قوله ولوليت في السفين طول ما لبث يوسف وقيل سبب سؤاله أنه لما قال له
نروذا نأحيي وأميت قال له ان احياء الله برذا الروح الى بدنهم فقال غر وذهل عاينته فلم يقدر أن
يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه أن يريه ليطمئن قلبه في الجواب ان ستل عنه مرة

أخرى (فان قيل) بم تعلقت اللام في ليطمنن (أجيب) بأنها تعلقت بمذوف تقديره ولكن سألت ذلك ارادة طمأنينة القلب (وقيل) بل كان قصده بالسؤال ثبوت الهوى ولكنه طلبها لتلويحها فأجيب بالمنع منها لتلويحها وموسى عليه الصلاة والسلام لما سألهما تصريحا أجيب بالمنع تصريحا قال تعالى (نخذ أربعة من الطير) قال مجاهد وابن جرير أخذوا ساوديكا وحمامة وغرابا وانما خص الطير لانه أقرب الى الانسان شيئا كدوير الرأس والمشى على رجلين واجمع لخواص الحيوان لان فيها ما يتكلم وما يهتدى للطريق كالقطاة وللحمام كالهدهد وفي هذا إيحاء الى أن احياء النفس بالحياة الابدية انما يتأتى بامانة حب الشهوات والزخارف التي هي صفة الطاووس والسولة المشهورة بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهم ما الغراب والترفع والمسارة الى الهوى الموسوم بهما الحمام ومنهم من ذكر التسربيل الحمامة وروى بدلها البطة وبدل الغراب الغرنوق (فصرهت) أى فأمسكهن واضممهن (الك) قرأ حزمة بكسر الصاد والباقون بضمها (فان قيل) ما معنى أمره بضم الطير الى نفسه بعد أن يأخذها (أجيب) بأنه ليتأملهما ويعرف اشكالها وهياتها وحلاها لانه لا تلبس عليه بعد احياء ولا يتوهم أنهم غير تلك ولذلك قال يا تينك سعيها وروى أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم أمر أن يجعل اجزاءها على الجبال كما قال تعالى (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا) واختلفو في عدد الاجزاء والجبال فقال ابن عباس وقتادة أمره الله تعالى أن يجعل كل طائر أربعة اجزاء ويجعلها على أربعة أجبل على كل جبل جزء من كل طائر وقال السدي وابن جرير جزءاها سبعة اجزاء ووضعها على سبعة أجبل وأمسك رؤسهن ثم دعاهن تعالى لئلا يذبحهن الله فجعل كل قطرة من دم طائره تصير الى القطرة الاخرى وكل ريشة الى الريشة الاخرى وكل عظم يصير الى العظم الاخر وابراهيم ينظر حتى صارت جثثا بغير رؤس ثم أقبلن الى رؤسهن سعيًا فالتقى كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى (ثم ادعهن يا تينك سعيًا) أى سريعا وقيل مشيا لانها لو طارت لربما توهم متوهم انها غير تلك الطير وان أرجلها غير سليمة قال البيضاوي وفي ذلك اشارة الى أن من أراد احياء نفسه بالحياة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية كالشهوة والغضب فيقتلها ويعزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فتطاول عنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل والشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابراهيم وعينه أى برحمته حيث سلك مسلك الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال انه تعالى أراد ما أراد ان يريه في الحال على أيسر الوجوه وأراه عزيرا بعد ان أماته مائة عام (واعلم ان الله عزير) لا يعجز عما يريد (حكيم) ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله (مثل الذين ينفقون) أى يذلون (أموالهم) بطيب النفس (في سبيل الله) الذي له الكمال كله أى في طاعته كمثل زراعتهم كمثل ما ينفقون (كمثل حبة) مما زرعته فلا بد من حذف كما تقررا ويقال مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة (أثبت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة) وان ثبت هو الله سبحانه وتعالى ولكن الحبة لما كانت سبيبا أسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء وقرأنا في ابن كثير وابن عامر وعاصم

بأظهار تاء التانيث عند السين والباء قون بالادغام ومعنى انباتها سبع سنابل أن يخرج منها
ساق يتشعب منه سبع شعب لكل واحدة سنبله وهذا التمثيل تصوير الاضعاف كأنها
مصورة بين عيني الناظر (فان قيل) كيف صح هذا التمثيل ولم تر سنبله فيها مائة حبة (أجيب)
بأن ذلك موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الارض القوية المغلة
فبلغ حجمها هذا المبلغ وعلى تقدير عدم وجوده هو غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا يجوز ضرب
المثل به وتأول ذلك الضحالة فقال كل سنبله أثبتت مائة حبة (فان قيل) هلا قال الله تعالى سبع
سنبلات لانه جمع قلة كما قال الله تعالى وسبع سنبلات خضر (أجيب) بما تقدم في قوله تعالى
ثلاثة قروء (والله يضاعف لمن يشاء) بفضل تلك المضاعفة أو يضاعف على هذا ويريد لمن شاء
ما بين سبعين الى سبع مائة الى ما شاء من الاضعاف مما لا يعلم الا الله على حسب حال المنفق من
اخلاصه وقعبه ومن أجل ذلك تتفاوت الاعمال في مقادير الثواب (والله واسع) أي غني يعطي
عن سعة (عليه) بنية المنفق وقدر انفاقه وعن يسحق المضاعفة (الذين ينفقون أموالهم
في سبيل الله) أي في طاعته قال الكلبي نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي
الله عنهم ما جاء عبد الرحمن بأربعة آلاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
كان عندى ثمانية آلاف درهم فأمسكت منها النفسى وبعالى أربعة آلاف وأربعة آلاف
أقرضتها ربي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت وأما
عثمان فجهاز المسلمين في غزوة تبوك بألف بعير باقتباها واحلاسها وألف دينار قال عبد الرحمن بن
سبرة جاء عثمان بألف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت النبي
صلى الله عليه وسلم يدخل فيها يده ويقلبها ويقول ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم وقال يارب
عثمان رضيت عنه فارض عنه (ثم لا يتبعون ما انفقوا منها) أي على المنفق عليه بقولهم مثلاً قد
أحسن اليه وجبرت حاله فيعتدون عليه النعمة فحذر الله عباده من بالصنعة واختص به صفة
لنفسه لانه من العباد تعبير وتكدير ومن الله افضال وتذكير وكان السلف يقولون اذا صنعت
صنعة فانسوها والعرب يمدحون بترك المن ويذمون عليه فن الاول قول القائل

زاد معروفك عندى عظما * أنه عندك مستور حقير

تناساه كأن لم تأته * وهو في العالم مشهور كبير

ومن الثاني قول القائل

وان امرأ أسدى الى صنعة * وذكريها مرة للخييل

وقيل طم الآلا على من المن وهى أمر من الآلا مع المن ويطلق المن أيضا على النعمة
يقال لفلان على منة أى نعمة وأنشد ابن الانباري

فنى علينا بالسلام فانما * كلامك يا قوت ودر منظم

وقال تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا الآية (ولأذى) له كان يذكر ذلك الى
من لا يحب وقوفه عليه أو يطاول عليه بسبب ما أنعم عليه وشم للتفاوت بين الانفاق وترك المن

والأذى (أهم أجورهم) أي ثواب انفاقهم (عند ربهم ولا خوف عليهم) أي فلا يخافون فقد أجورهم (ولاهم يحزنون) في الآخرة بسبب أن لا يوجد (قول معروف) أي كلام حسن ورد على السائل جميل لأن القول الجميل وإن كان يرذال السائل يفرح قلبه ويروح روحه وقيل عدة حسنة (ومغفرة) أي بأن يستر عليه خلقه ولا يهتك ستره ويتجاوز عنه إذا وجد منه ما ينقل عليه عند رده (خير من صدقة) يدفعها إليه (يتبعها أذى) أي من وتعبير السائل أو قول يؤذيه (فإن قيل) لم يمدد كرامة المتن فيقول يتبعها من أو أذى (أجيب) بأن الأذى يشعل المتن وغيره كما تقرر وانما نص عليه فيما مر لكثرة وقوعه من المتصدقين وعسر حفظهم منه ولذلك قدم على الأذى قال بعضهم الآية واردة في صدقة التطوع لأن الواجب لا يحل منعه ويحتمل أن يراد بها الواجب فإنه قد يعدل به عن سائل إلى سائل وعن نفر إلى نفر وانما صح الابتداء بالنكرة وهي قول لا اختصاصها بالصفة وهي معروف وأما المعطوف وهو مغفرة فلا يحتاج إلى تخصيص لبعثتها (والله غني) عن صدقة العباد وانما أمرهم ليقيم عليها (حليم) بتأخير العقوبة عن المان والمؤذي بصدقته (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم) أي أجورها لأن الصدقة وقعت فلا يصح أن تبطل (بالمَن والأذى) (فإن قيل) ظاهر هذا اللفظ أن مجموع المتن والأذى يبطلان الآخر فيلزم أنه لو وجد أحدهم مادون الآخر لا يبطل الآخر (أجيب) بأن الشرط أن لا يوجد واحد منهما دون الآخر لأن قوله تعالى ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى يقتضي أن لا يقع هذا ولا هذا أي فتبطل بكل واحد منهما الباطل (كأذى) أي كإبطال أجور نفقة الذي (ينفق ماله رياء الناس) أي مرأبناهم ليرى انفاقه ويقولون أنه كريم سخى (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) وهو المنافق لأن الكافر يعلن بكفره غير مرأب (فقل) أي هذا المرائي في انفاقه (كمثل صفوان) وهو الحجر الأملس (عليه) أي استقر عليه (تراب) والتراب معروف وهو اسم جنس لا يثنى ولا يجمع وقال المبرد هو جمع واحدة ترابة وفائدة هذا الخلاف أنه لو قال لزوجه أنه أنت طالق عدد التراب أنه يقع عليه طلاقة على الأقل وهو الأصح وثلاث على الثاني (فأصابه وابل) وهو المطر الشديد العظيم القطر (فتركه صادا) أي أملس نقيا من التراب وقوله تعالى (لا يتدرون على شيء مما كسبوا) استئناف لبيان مثل المنافق المتفق رياء أي لا يجدون له ثوابا في الآخرة كما لا يوجد على الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه لا ذهاب المطر له (فإن قيل) كيف قال تعالى لا يتدرون بعد قوله كالأذى ينفق (أجيب) بأنه تعالى أراد بالأذى ينفق الجنس أو الفريق الذي ينفق ولأن من والذي يتعاقبان فكأنه قيل كمن ينفق وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء يقول الله تعالى لهم يوم يجازي العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثه أن الله تعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد أي أمره ليقتضي بينهم وكل أمة جاثية وأول من يدعى به رجل جمع القرآن ورجل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول

الله تعالى للقارئ الم أعلمك ما أنزلت على رسولي قال بلى قال فإذا علمت فيما علمت قال كنت أقوم به آباء الليل وآباء النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان قارئ وقد قيل ويؤتى بصاحب المال فيقول الله ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد قال بلى يارب قال فإذا علمت فيما آتيتك قال كنت أصل الرحم وأصدق قبيحاً يقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان جواد وقد قيل ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله له فيماذا قتلت فيقول يارب أمرت بالجهاد في سبيلك فقتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان جرى وقد قيل ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتى فقال يا أباهريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعهم النار يوم القيامة (والله لا يهدي القوم الكافرين) إلى الخير والرشاد وفيه زعريض بأن الرياء والمن والاذى على الاتفاق صفة الكفار ولا بد أن تجتنبوا عنها (ومثل) نفقات (الذين ينفقون أموالهم ابتغاء) أى طلب (مرضاة الله) أى رضاه (وتبتيان من أنفسهم) أى تفتيتاً بالنظر في إصلاح العمل وإخلاصه بالجل على الحلم والصبر على جميع مشاق التكليف فإن من راض نفسه بحملها على بذل المال الذي هو شقيق الروح فإن بذله أشق شئ على النفس لأن النفس إذا رضيت بالتحامل عليها وتكليفها بما يصعب عليها ذلت خاضعة لأصحابها وقل طمعها في اتباعها لشهواتها فيسهل عليه حملها على سائر العبادات ومتى تركها وهي طبوعة على النقائص زاد طمعها في اتباع الشهوات فمن التبعيض مفعول به مثلها في قولهم هزم من عطفه وحرك من نشاطه (فان قيل) ما معنى التبعيض (أجيب) بأن معناه أن من بذل ماله لوجه الله تعالى فقد بذل بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فهو الذي ثبتها كلها أو نصديقاً للسلام وتحقيقاً للجزاء من أصل أنفسهم لانه إذا اتفق المسلم ماله في سبيل الله تعالى علم أن تصديقه وإيمانه بالثواب من أصل نفسه ومن إخلاص قلبه فمن على هذا الابتداء الغاية كقوله تعالى حسداً من عند أنفسهم (كمثل الجنة) أى بستان (بربوة) وهي المكان المرتفع الذي تجري فيه الأنهار فلا يعملوه الماء ولا يعملوه على الماء وإنما جعلها بربرة لأن النبات عليها أحسن وأزكى وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء والباقون بضمها (أصابعها وأبل) أى مطر شديد كثير (فأنت) أى أعطت (أكلها) أى غرستها وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبسكون الكاف والباقون بضمها (ضعفين) أى مثلي ما يثمر غيرها بسبب الوايل والمراد بالضعف المثل وقيل أربعة أمثاله لأن الضعف قدر الشئ ومثله معه فيكون الضعفان أربعة واستظهره البقاعي وقال أبو حيان يحتمل أن التثنية أى ضعفاً بعد ضعف أى ضعفاً كثيرة لأن النفقة لا تضاعف بحسنة فقط بل بعشر وسبع مائة وأزيد ونصبه على الحال أى مضاعفاً (فان لم يصيبها وأبل فطل) أى مطر خفيف يصيبها ويكفيها لارتفاعها والمعنى تثمر وترزكو كثيراً المطر أو قل فكذلك نفقات من ذكر تزكو عنه الله كثر أوقات (والله بما ترون بصير) فيجاز بكم به فقيه وعدو وعيد (أبوءاً أحكم) أى أوجب حباشديداً (أن تكون له الجنة) أى بستان (من نخيل) جمع نخلة وهي الشجرة القائمة على ساق

ثمها من اعلاها في كلها نفع حتى في خشبها مثلها كمثل المؤمن الذي ينتفع به كله (وأعقاب) جمع عنب وهو ثمر الكرم لا يختص ثمره بجهة العلو واختصاص النخلة بل يتفرع علوا وسفلا ويمنه ويسرة مثله كمثل المؤمن المتقي الذي يكرم بتقواه في كل جهة ولما كانت الجنة لا تقوم ولا تدوم الا بالماء قال تعالى (تجري من تحتها الانهار) أي من تحت هذه الاشجار (لها فيها) أي الجنة ثم مع ثمر النخل والعنب (من كل الثمرات) فهي محتوية على سائر أنواع الانجار وانما خص النخل والعنب بالذكر لشرفهما وكثرة منافعهما وحسن منظرهما (وأصابه) أي والحال انه أصابه (الكبر) أي كبر السن فصار لا يقدر على اكتساب (وله ذرية ضعفاء) بالصغر كما ضعف هو بالكبر (فأصابها) أي الجنة (اعصار) وهو الريح العاصف الذي يرتفع الى السماء كأنها عود وتسعى العامة الزوبعة وجعه أعاصروا الأعاصير من بين سائر الرياح مذكروا هذا رجع اليه الضعير مذكري في قوله (فيه نار فاحترقت) تلك الجنة فقد هأأ حوج ما كان اليها وبقي هو وأولاده بحجة متخيرين لاجلهم وهذا مثل ضرب به الله تعالى لعمل المنافق والمرائي بقول عمله في حسنه كحسن الجنة ينتفع به كما ينتفع صاحب الجنة بها فاذا كبر وضعف وصار له أولاد ضعفاء صغار أصاب حسنه أعصار فيه نار فاحترقت أخرج ما يكون اليها وضعف عن اصلاحها الكبر وضعفت أولاده عن اصلاحها ولم يجد هو ما يعود به على أولاده ولا أولاده ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متخيرين بحجة لاجلهم اهم كذلك يبطل الله تعالى عمل المنافق والمرائي في الآخرة حين لا مغيب لهما ولا نوبة ولا اقالة والاستفهام بمعنى التثني وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما ضرب لرجل عمل بالطاعات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرقت أعماله (كذلك) أي مثل هذا البيان (بين الله) أي الذي له الكمال كله (لكم الآيات لعلمكم) أي لكي (تتفكرون) فيها فتعتبرون بها * ولما ذكر سبحانه وتعالى ان الانفاق على قسمين وبين كل قسم وضرب له مثلا ذكر كيفية الانفاق بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا انفقوا) أي زكوا (من طيبات) أي جياذ (ما كسبتم) من المال والتجارة والصناعة وفيه دلالة على اباحة الكسب وانه ينقسم الى طيب وخبيث وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أطيب ما أكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وقال صلى الله عليه وسلم ما أكل أحد طعاما قط خيرا من ان يأكل من عمل يده وكان داود عليه السلام لا يأكل الا من عمل يده والزكاة واجبة في مال التجارة فبعد الحول تقوم العروض فيخرج من قيمتها عشرين دينارا أو مائتي درهم فضة فيزكها قال سمرة بن جندب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذي يعد للبيع (ومما) أي ومن طيبات ما (أخرجنا لكم من الارض) من الحبوب والثمار والمعادن فحذف المضاف وهو طيبات من الثاني لتقدم ذكره وفي هذا أمر باخراج العشر من الثمار والحبوب واتفق أهل العلم على ايجاب العشر في النخل والكروم وفيما يقات من الحبوب ان كان مسقيا بماء السماء أو من نهر يجري الماء فيه من غير مونة وان كان مسقيا بساقية أو نضح ففيه نصف العشر لقوله صلى الله عليه وسلم فيما سقت السماء والعيون أو كان عثرا بالعشر وفيما يسقى بالنضح نصف العشر

وعنه صلى الله عليه وسلم ليس في حب ولا ثمر صدقة حتى يبلغ خمسة أوسق وقال قوم الآية في صدقة التطوع قال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فباكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كانت له به صدقة (ولا تيمموا) أي لا تقصدوا (الخبث) أي الردي منه (أي المذكور) (تتفقون) في الزكاة حال من ضمير تيمموا (ولستم يا خذيه) أي الخبيث (الأن تغمضوا) أي تسامحوا (فيه) بالحباء مع الكراهة مجاز من أغضض بصره إذا غضه وروى عن البراء قال لو أهدى ذلك لكم ما أخذتموه الأعلى استحياء من صاحبه وغيظ فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشواره فنهوا عن ذلك هذا إذا كان المال كله أو بعضه جيداً فإن كان كل ماله ردياً فلا بأس بإعطاء الردي (واهلوا) أن الله غفياً عن اتفاقكم وانما يأمركم به لاتفناءكم (حميد) أي يجازي المحسن أفضل الجزاء على أنه لم يزل محموداً ولا يزال عذباً أو أتاب (الشیطان يعدكم الفقر) أي يخوفكم به أن تصدقتم ويقال وعدت خيراً ووعدته شراً قال تعالى في الخير عدكم الله مغامم كثيرة وقال في الشر النار وعدّها الله الذين كفروا فإذا لم يذكر الخير والشر قلت في الخير وعدته وفي الشر وأعدته والفقر سوء الحال وقلة ما في اليد وأصله من كسر الفقار ومعنى الآية أن الشيطان يخوفكم بالفقر وبقوله للرجل أمسك مالك فانك إذا تصدقت افتقرت (ويأمركم بالفحشاء) أي بالبلل ومنع الزكاة قال الكلبي كل فحشاء في القرآن فهو الزنا إلا في هذا الموضع (والله يعدكم مغفرة منه) لما وقع منكم من تقصير وفيه اشعار بأنه لا يقدر أحد أن يثدرا الله حق قدره لما له من الإحاطة بصفات الكمال ولما جبل عليه الإنسان من النقص (وفضلاً) بالزيادة في الدارين وكل نعمة منه فضل ثم أكد ذلك بقوله تعالى (والله واسع) فضله (عليم) بالمنفق وغيره وفيه إشارة إلى أنه لا يضيع شيئاً وأن دق وعنه ابن عباس وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى قال يا ابن آدم أنفق أنفق عليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عین الله عملاي لا يغيضها نفقة ساء الليل والنهار رأيت ما أنفق من ذل خلق السموات والأرض فانه لم ينقص ما في يمينه قال وعرشه على الماء ويده الأخرى القسط يرفع ويخفض وعن أسهاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنفق ولا تحصى فيحصى الله عليك ولا توفى فيوفى الله عليك (بوتى الحكمة) أي العلم النافع المؤدى إلى العمل وقال السدي هي النبوة وقال ابن عباس وقادة علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثال ذلك وقال الضمالي هي القرآن والفهم فيه وقال في القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة وألف آية حلال وحرام لا يبيع المؤمن من تركهن حتى يتعلموهن وقال مجاهد هي القرآن والعلم والفقه وقوله تعالى (من يشاء) مفعول أقول أخر للاهتمام بالمفعول الثاني وهو الحكمة (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) لمصيره إلى السعادة الأبدية (وما يذكر) فيه ادغام التاء في الأصل في الذال أي ما يتعظ بما قص من الآيات أي ما يفكر فإن المتفكر كالمذكّر لما أودع الله تعالى في قلبه من العلوم بالقوة (الأولوالالباب) أي أصحاب العقول الخالصة من

شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى (وما أنفقتم) أى أديتم (من نفقة) قليلة أو كثيرة سراً أو علانية زكاة أو صدقة تطوع (أو نذرتهم من نذر) بشرط أو بغير شرط فوفيتهم به (فإن الله يعلمه) فيجازيكم به (فإن قيل) لم وحد الضمير في يعلمه وقد تقدم شيان النفقة والنذر (أجيب) بأن العطف بأوهى لاحد الشينين تقول زيداً وعمراً كرمته ولا يجوز أن كرمتهما بل يجوز أن يراعى الاول نحو زيد او هند منطلق والثاني نحو زيد او هند منطلق والآية من هذا ومن مراعاة الاول واذا رأوا تجارة أولها وانفضوا اليها ولا يجوز أن يقال منطلقان ولهذا أول النماة قوله تعالى ان يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما كما سيأتى ان شاء الله تعالى (وما للظالمين) يمنع الزكاة والنذر أو بوضع الاتفاق في غير محله من معاصي الله تعالى (من أنصار) أى من ينصرهم من الله وينعمهم من عذابه فهو على طريق التوزيع والمقابلة أى لانا سرنا ظالم قطعاً فقط ما يقال ان نفي الانصار لا يوجب نفي الناصر (ان تبدوا) أى تظهروا (الصدقات) أى التوافل (فنعماهى) أى فنعماً شيئاً ابدؤها وقرأ ابن عامر وحزرة والكسائي بفتح النون والباءقون بكسرهما وقرأ قائلون وأبو عمرو باختلاس كسرة العين والباءقون بالكسرة الكاملة (وان تحفوها) أى تسروها (وتؤتوها الفقراء) أى تعطوها لهم في السر (فهو خير لكم) أى أفضل من ابدائها وايتاؤها للفقراء أفضل من ايتائهم للاغنياء مثل صلى الله عليه وسلم حل صدقة السر أفضل أم صدقة العلانية فنزلت هذه الآية وفي الحديث صدقة السر تطفى غضب الرب وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ورجل قلبه متعلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله تعالى فاجتمعا على ذلك وتفرقا ورجل ذكر الله تعالى خالياً ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شئها له ما تنفق يمينه ثم ان كان ممن يقتدى به فالأظهار في حقه أفضل أمام صدقة الفرض فالأفضل اظهارها كالصلاة المكتوبة في الجماعة أفضل والنافلة في البيت أفضل وليقتدى به ثلاثتهم ولا يجوز دفع شئ منها للاغنياء وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم اصدقة السرفى التطوع أفضل علانياتها بسبعين ضعفاً وصدقة الفريضة علانياتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفاً (تنبيه) * الصدقة تطلق على الفرض والنفل قال تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وقال عليه الصلاة والسلام نفقة المرء على عياله صدقة والزكاة لا تطلق الا على الفرض (ونكفر عنكم من سيئاتكم) أى بعضها وقيل من صله وقرأ ابن عامر ونفس بالياء التحية والباءقون بالنون وقرأ نافع وحزرة والكسائي يجزى الرأ بالعطف على محمل فهو والباءقون بالرفع على الاستئناف وقوله تعالى (والله بما تعملون خبير) فيه ترغيب في الاسرار لانه عالم بباطن الشئ كظاهرة لا يخفى عليه شئ منه * ولما منع النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين من التصديق على فقراء المشركين كي يحملهم الحاجة ليسلموا نزل (ليس عليك هداهم) أى لا يجب عليك أن تجعل الناس مهدين فقتلهم الصدقة ليدخلوا في الاسلام حاجة منهم اليها وانما عليك الارشاد

والحث على المحاسن والنهي عن القبايح كالمَن والاذى وانفاق الخبيث وقوله تعالى (ولكن الله يهدي من يشاء) أى هداية التوفيق صريح بأن الهداية من الله وبشيئته وانما يخص يقوم دون قوم أما هدى البيان فكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطوهم بعد نزول الآية (وماتتفقوا من خير) أى من مال وقوله تعالى (فلا تنفكوا) خبر مبتدأ محذوف أى فهى لانفسكم لان ثوابه لها فلا تنفكوا به على غيركم ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم ولا تنفقوا الخبيث وقوله تعالى (وماتتفقون الا ابتغاء وجه الله) عطف على ما قبله أى وليس تنفقكم الا ابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فإلحكم تمنون بها وتتفقون الخبيث الذى لا يوجه مثله الى الله تعالى (وماتتفقوا من خير يوفى اليكم) ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم فى أن ترغبوا عن انفاقه وأن يكون على أحسن الوجوه وأجلها والجلتان تأكيد كيد للاولى وهى وماتتفقوا من خير فلا تنفكوا أو ما يخاف المنفق استجابة لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل لمنفق خلفا ولمسك تلقاروا البخارى (وأنتم لا تظلمون) أى لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئا بفضل من الله تعالى عليكم وهذا فى صدقة التطوع أباح الله تعالى ان توضع فى أهل الاسلام وأهل الذمة وقيل جئت اسماء بنت أبي بكر فاتتها أمها تسألها وهى مشركة فأبى أن تعطيها فتركت وروى النسائي والحاكم أن ناسا من المسلمين كانت لهم أمهات فى اليهود ورضاع وقد كانوا يتفقون عليهم قبل الاسلام فلما أسلوا كرهوا أن يتفقوا عليهم فتركت وعن بعض العلماء لو كان المنفق عليه أشر خلق الله كان لك ثواب نفقة وأما الصدقة المقرضة فلا يجوز وضعها الا فى المسلمين أهل السهمان المذكورين فى سورة التوبة لكن جوز أبو حنيفة رحمه الله صرف صدقة الفطر الى أهل الذمة وقوله تعالى (للفقراء) خبر مبتدأ محذوف أى صدقاتكم للفقراء أو متعلق بفعل مقدر كاجعلوا ماتتفقون للفقراء (الذين احصروا فى سبيل الله) أى حبسوا أنفسهم على الجهاد وهم فقراء المهاجرين كانوا انصوا من أربع مائة لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشاير كانوا يسكنون صفة المسجد يستغفرون أوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون فى كل سرية يعيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المشهورون بأصحاب الصفة فحسب الله عليهم الناس فكان من عنده فضل إلتاهم به اذا أمسى (لا يستطيعون ضربا) أى سقرا (فى الارض) للتجارة والمعاش لشغلهم عنه بالجهاد (يحسبهم الجاهل) بحالهم (اغنيا من التعفف) أى لاجل تعففهم عن السؤال وقرأ ابن عامر وعاصم وحزرة بفتح السين والباقون بكسرهما (تعرفهم) أيها المخاطب (بسميهم) أى بعلامتهم من الغشع والتواضع وصفرة الوجوه ودرثاة الحالة (لا يسألون الناس) شيئا فيلطفون (الحافا) أى لا سؤال لهم أصلا فلا يقع منهم الحاف ومثل ذلك قول الشاعر

لا يفزع الارنب أهوالها • ولا ترى الضب بها ينجر

أى ليس فيها أرنب فيفزع له ولها ولا ضب فينجر وليس المعنى انه يتنى الفزع عن الارنب والافنجر عن الضب والالحاف الاحساح وهو اللزوم وأن لا يفارق الابشى يعطاه من قولهم لحفى من فضل لحافه أى اعطانى من فضل ما عنده وقيل انهم ان سألوا سألوا يتلطف ولم يلحفوا

قال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب المحي الحليم المتعفف ويغض البذي السال الملقف وقال
صلى الله عليه وسلم لان يأخذ أحدكم حبله فيذهب فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيكف بها
وجهه خير له من أن يسأل الناس أشياءهم أعطوه أو منعوه وقال صلى الله عليه وسلم من سأل وله
ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسأله في وجهه خدوش قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خدوش
درهما أو قيمتها (وماتفقوا من خير) أى مال (فان الله به عليم) فيجازيكم وفي هذا ترغيب
في الانفاق (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) أى يعملون الاوقات
والاحوال بالصدقة لمصرهم على الخير نزلت في أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه تصدق
بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وفي علي بن أبي
طالب رضى الله تعالى عنه كانت عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليل وبدرهم
نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقال الاوزاعي نزلت في الذين يربطون الخيل للجهاد فانها
تملك ليلًا ونهارا سرا وعلانية روى انه صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرساقى سبيل الله ايمانًا
بالله وتصديقًا بوعده فان شعبه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة وقوله تعالى (فلهم أجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) خبر الذين ينفقون والفاء للسياسة (فان قيل) أى
فرق بين قوله هذا فلهم أجرهم وفيما مر لهم أجرهم (أجيب) بأن الموصول ثم لم يضمن معنى الشرط
وضمته هنا (الذين يأكلون الربوا) أى يأخذونه وهولغة الزيادة وشرعا عقد على عوض مخصوص
غير معلوم التماثل في معيار الشرع حالة العقد أو مع تأخير في البدلين أو أحدهما وهو ثلاثة
أنواع ربا الفضل وهو البيع مع زيادة أحد العوضين على الآخر وربا اليسد وهو البيع مع تأخير
قبضهما أو قبض أحدهما وربا النساء وهو البيع الى أجل وانما ذكر الاكل لانه أعظم منافع
المال كقوله تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما فنبه بالاكل على ما سواه من وجوه
الاتلافات ولان نفس الربا الذى هو الزيادة لا يؤكل وانما يصرف فى المأكول وقال صلى الله عليه
وسلم لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكتبه والمحلل له فعلنا ان الحرمة غير مختصة بالاكل
ولما كان بين الصدقة والربا مناسبة من جهة التضاد لان الصدقة عبارة عن تنقيص المال بأمر الله
بذلك والربا عبارة عن طلب الزيادة على المال مع نهى الله عنه فكانا كالتضادين ذكر عقب
الصدقة ويرسم بالواو والالف بعد الواو وانما رسم على لغة من يفهم وهو يعيل الالف أى يخرج
الواو كما كتبت الصلاة والزكاة وقيل لان أهل الجحاز تعلموا الخط من أهل الحيرة ولغتهم الربو
بالواو الساكنة فعلموا هم الخط على لغتهم وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع (لا يقولون)
اذ باعنا من قبورهم (الا) أى قياما (كما يقوم الذى يقضيه) أى يصصره (الشيطان) وقوله
تعالى (من المس) أى الجنون متعلق بمتخبطه من جهة الجنون فيكون فى موضع نصب فإله
أبو البقاء والمعنى ان آكل الربا يبعث يوم القيامة وهو كالمصروع تلك سيماء يعرف بها عند أهل
الموقف (فان قيل) لم نسب هذا للشيطان (أجيب) بأنه وارد على ما تزعم العرب ان الشيطان
يقضب الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء يقال ناقة خبط لاقى نطا الناس

وتضرب الارض بقوائمها ويقال للرجل الذي يتصرف في أمر ولا يمتد في فيه انه يحبط خطب
عشواء وتخططه الشيطان اذا مسه بجبل او جنون لانه كالضرب على غير استواء في الادهاش
(ذلك) أي الذي نزل بهم (بأنهم) أي بسبب انهم (قالوا ان الله البيع مثل الربوا) في الجواز
(فان قيل) ما الحكمة في قلب القصة ومن حق القياس أن يشبهه محل الخلاف بعمل الوفاق
لان حل البيع متفق عليه وهم أرادوا قياس الربا عليه فكان نظم الكلام أن يقال انما الربا مثل
البيع (أجيب) بأن هذا من عكس التشبيه مبالغة اذ به صار المشبه مشهابه وبالعكس
وشان المشبه به أن يكون أقوى من المشبه أو بأنهم لم يكن مقصودهم أن يتمسكوا بنظم القياس
بل كان غرضهم أن البيع والربا متماثلان في جميع الوجوه المطلوبة فكيف يجوز تخصيص
أحد المتلين بالحل والآخر بالحرمة وعلى هذا التقدير فأيهما قدم أو أخر جازوقوله تعالى (وأحل
الله البيع وحرم الربوا) انكار له وبتهم وابطال القياس لمعارضته النص * (تنبيه) * أظهر
قولي الشافعي أن هذه الآية عامة في كل بيع الا ما خص بالسنة وانه صلى عليه وسلم نهى
عن بيع والثاني انها مجملة والسنة مبينة لها وتظهر فائدة الخلاف في الاستدلال بها في مسائل
الخلاف فعلى الاول يستدل بها وعلى الثاني لا يستدل (فن جاءه) أي بلغه (موعظة) أي وعظ
(من ربه) ونزجر بالتهنى عن الربا (فاتهى) أي فاتبع النهى وامتنع من أكله (فله ما سلف)
أي ما مضى قبل النهى فلا يسترد منه ما أخذ من الربا وقيل ما مضى من ذنبه قبل النهى
مغفوره (وأمره الى الله) بعد النهى ان شاء عصمه حتى ثبت على الاتهام وان شاء خذله
حتى يعود وقيل أمره الى الله فيما يأمره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس له من أمر نفسه شيء
(ومن عاد) الى تحليل الربا مشبهه بالبيع في الحل (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)
لانهم كفروا بذلك وورد انه صلى الله عليه وسلم لعن أكل الربا وموكله والواشمة والمستوشمة
والمصور وأنه صلى الله عليه وسلم قال الربا سبعون بابا أهونهم عند الله عز وجل كالذي ينكح
أمه (بحق الله الربوا) أي يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود الربا وان كثر
فالى قل (ويربى الصدقات) أي يضاعف ثوابها ويبارك فيما أخرجت منه روى الشيخان انه
صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل الصدقة ويربها كما يربى أحدكم فلو روى الامام أحد
ما نقص مال من صدقة (والله لا يحب كل كفار) أي مصر على تحليل المحرمات كمن يحلل الربا
(أنهم) منهمك في ارتكابه (ان الذين آمنوا) بالله وبرسوله وبما جاءهم عنه (وعملوا الصالحات
وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) وانما عطفهم على ما بعدهما الشرفهما (لهم أجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم) من آت (ولهم يحزنون) على فائت وتقدم مثل هذه الآية ولكن جرت عادة
الله سبحانه وتعالى في القرآن مهما ذكر وعيدا ذكر بعده وعدا فلما بالغ هنا في وعيد الربا تبعه بهذا
الوعد (فان قيل) ان الانسان اذا بلغ عارفا بالله وقبل وجوب الصلاة والزكاة عليه مات فهو من
أهل الثواب بالاتفاق فدل على ان استحقاق الثواب لا يتوقف على حصول العمل (أجيب)
بأنه تعالى اتخذ هذه الخصال لالاجل ان استحقاق الثواب مشروط به ذابل لالاجل ان لكل

منهما أثر في جلب الثواب كما قال تعالى في ضده هذا والذين لا يدعون مع الله الها آخر ثم قال تعالى ومن يفعل ذلك يلق أثاما ومعلوم ان من ادعى أن مع الله الها آخر لا يحتاج في استحقاقه العذاب الى حمل آخر وانما جع الله تعالى الزنا وقتل النفس مع دعاء غير الله تعالى الها البيان ان كل واحد من هذه الخصال يوجب العقوبة (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا) أي اتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربا الذي أخذتم بعضه قبل التصريم (ان كنتم مؤمنين) أي يقول بكم أو ان بمعنى اذ فان دليل الايمان امتثال ما أمرتم به روى انهم انزلت لما طالب بعض العصاة بعد النهي بربا كان له قبل (فان لم تفعلوا) أي تذكروا ما بقى من الربا (فانذروا) أي اعلوا من أذن بالشئ اذا علم به أي فاعلموا أنتم وأيقنوا (بحرب من الله ورسوله) لكم (فان قيل) هذا حكمهم ان تابوا فاحكمهم ان لم يتوبوا (أجيب) بأن مقتضى ذلك انهم يقاتلون ان لم يرجعوا قال سعيد ابن جبيرة عن ابن عباس يقال لا كل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال أهل المعاني حرب الله تعالى النار وحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقرأ شعبة وحزة فاذنوا بفتح الهمزة ومدها و ~~كسر~~ الذال أي فاعلموا بها غيركم وهو من الاذن وهو الاستماع لانه من طريق العلم والباقون بسكون الهمزة وفتح الذال (وان تبتم) أي تركتم استحلال الربا ورجعتم عنه (فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون) بطلب الزيادة (ولا تظلمون) بالنقصان عن رأس المال (فان قيل) حلا قال تعالى بحرب الله ورسوله (أجيب) بأن هذا أبلغ لان المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله صلى الله عليه وسلم * ولما نزلت هذه الآية قال المرابون بل نتوب الى الله فانه لا ثبات لنا بحرب من الله ورسوله فرفضوا برأس المال فشكوا من عليه الدين العسرة وقال لمن لهم الدين اخرنا الى ان تدرك الغلات فابوا أن يؤخروا فأنزل الله تعالى (وان كان ذو عسرة فنظرة) له أي عليكم تأخير (الى مبصرة) أي وقت يسره * (تنبيه) * في كان هذه وجهان أظهرهما انما تأتية بمعنى حدث ووجد أي وان حدث ذو عسرة فتكتني بفاعلها كائر الافعال والثاني انما تأتية وخبرها محذوف قال أبو البقاء تقديره وان كان ذو عسرة لكم عليه حق أو نحو ذلك وقدره بعضهم وان كان ذو عسرة غريبا وقرأ نافع بنهم السنين والباقون يفتصها (وأن تصدقوا) أي بالابرام وقرأ عاصم بتخفيف الصاد والباقون بالتشديد على ادغام التاء في الاصل والتخفيف على حذفها (خير لكم) أي أكثر ثوابا من الاقطار وهذا مما فضل المندوب فيه الواجب فان الابرام مندوب اليه والاقطار واجب فيعزم حبس المعسروهل القول قوله في اعساره أو لا بد من بينة تشهد بذلك ينظر ان كان الدين عن عوض كالبيع والقرض فلا بد من بينة وان كان عن غير عوض كالضمان والاتلاف والصدقة فالقول قول المعسر بينه وعلى الغريم البينة الا أن يعرف له مال فلا بد من بينة (ان كنتم تعلمون) فضل التصديق على الاقطار فافعلوا وقيل المراد بالتصدق الاقطار نفسه وورد هذا كما قال الامام بأن الاقطار قد علم مما قبل فلا بد من حله على فائدة جديدة قال عليه الصلاة والسلام لا يحمل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة وروى من أنظر معسرا أو وضع عنه أشجاء الله من كرب يوم القيامة

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة
تلقى روح رجل كان قبلكم فقالوا له هل عملت خيراً قط قال لا قالوا تذكرك قال الا انى رجل
كنت اداين الناس فكنت امر قتياني بأن ينظروا الموسر ويتجاوزوا عن المعسر قال الله
تعالى تجاوزوا عنه وقال صلى الله عليه وسلم من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم
لا ظل الاظله (وآية ما ترجعون) أى تصيرون (فيه الى الله) هو يوم القيامة أى فتأهبوا
لمصيركم اليه وقرأ أبو عمرو ويقع التاء وكسر الجيم والباءون بضم التاء وفتح الجيم (ثم توفى) فيه
(كل نفس) جزاء (ما كسبت) أى عملت من خيراً أو شراً (وهم لا يظلمون) بنية ص حسنة
أو زيادة سيئة * (فائدة) * قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هذه آخر آية نزلت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل ضعها على رأس مائتين وعنانين آية من سورة البقرة وعاش
بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم احد وعشرين يوماً وقال ابن جريج تسع ليال وقال
سعيد بن جبير سبع ليال ومات يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول وقيل ثلاث ساعات
وقال الشعبي عن ابن عباس آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الربا ولما
منع الله من الربا أذن في السلم والقرض بما يعمله ما فقال (يا أيها الذين آمنوا اذا تدانتم بدين)
كسـلم وقرض (الى أجل مسمى) أى معلوم ولذا قال بعض العلماء لالذة ولا منفعة يتوصل اليها
بالطريق الحرام الا والله سبحانه وتعالى وضع لتحصيل مثل تلك اللذات طريقاً حلالاً وسبيلاً
مشروعاً (فان قيل) المدانة مفاعلة وحقيقة تمام أن يحصل من كل واحد منهم ما دين وذلك هو بيع
الدين بالدين وهو باطل بالاتفاق (أجيب) بأن المراد من تدانتم تعاملتم والتقدير تعاملتم بما
فيه دين (فان قيل) هلا كتنى بقوله اذا تدانتم الى أجل وأى حاجة الى ذكر الدين (أجيب) بأنه
ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله (فاكتبوه) اذ لو لم يذكر لوجب أن يقال فاكتبوا الدين فلم يكن
النظم بذلك الحسن واثلايتوهم من الدان المجازاة ولانه أبين لتسوية الدين الى موجب وحال
وفائدة قوله مسمى ليعلم أن من حق الاجل أن يكون معلوماً كالوقت بالسنة والاشهر والايام
ولو قال الى الحصاد أو المدراس أو رجوع الحاج لم يجز للجهل بوقت الاجل وانما أمر بكتابة
الدين لان ذلك أوثق وأمن من النسيان وأبعد من الجحود (فان قيل) ان كلمة اذا لاتفيد العموم
والمراد من الآية العموم لان المعنى كلما تدانتم بدين فاكتبوه فلم عدل عن كذا وقال اذا
تدانتم (أجيب) بأن كلمة اذا وان كانت لاتقتضى العموم الا أنها لاتنفع من العموم وههنا
قام الدليل على أن المراد هو العموم واختلفوا في هذه الكتابة فقال بعضهم هي واجبة
والا كثرون على أنه أمر استحباب فان ترك فلا بأس كقوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا
في الارض وقال بعضهم كانت كتابة الدين والشهاد والرهن فرضاً ثم نسخ الكل بقوله تعالى فان
أمن بعضكم بعضاً فليؤدوا الذين آمنن أمانته ثم بين كيفية الكتابة فقال تعالى (وليكتب) أى كتاب
الدين (بينكم كاتب بالعدل) أى بالحق في كتابته لا يزدى فى المال أو الاجل ولا ينقص وهو
في الحقيقة أمر للمتدائنين باختيار كاتب فقيه دين حتى يحى مكتوبه موثقاً به معدلاً بالشرع

مع أن ظاهره أمر للكاتب (ولا ياب) أي لا يتنع (كاتب) من (أن يكتب) إذا دعي إليها (كامله) أي فضله (الله) بالكتابة فلا يخل به ابل ينفع الناس بها كما نفعه الله بتعليمها كقوله تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك والكاف متعلقة باب (فليكتب) تلك الكتابة المعلة أمر بها بعد النهي عن الإبادة كيدا (وإملا الذي عليه الحق) أي وليكن الممثل على الكاتب من عليه الحق لأنه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء لغتان فصحتان معناهما واحد جاء بهما القرآن فالاملال ههنا وهو لغة الجواز والاملاء قوله تعالى فهي على عليه بكرة وأصيل لا وهي لغة تميم (وإيتق الله ربه) أي كل من المولى والكاتب (ولا يتنع) أي لا ينقص (منه) أي من الحق أو مما ألى عليه (شأنان كان الذي عليه الحق سفيها) أي مبذرا (أو ضعيفا) أي صغيرا أو كبيرا اختل عقله لكبره (أو لا يستطيع أن يعمل هو) لغرس أو جهل باللغة أو نحو ذلك (فلعل عليه) أي متولى أمره من والد ووصى وقيم ووكيل ومترجم (بالعدل) وفي هذا دليل على جريان النيابة في الإقرار قال البيضاوي ولعله مخصوص بماتعاطاه القيم أو الوكيل أي دون المترجم ودونهما فيمالم يتعاطاه (واستشهدوا) أي وأشهدوا (شهودين) أي شاهدين (من رجالكم) أي البالغين الأحرار المسلمين دون الصبيان والعبيد والكفار وأجاز ابن سيرين شهادة العبيد وأبو حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض (فإن لم يكونا) أي الشاهدان (رجلين فرجل) أي فليشهد أو فليستشهد رجل (وامرأتان) وأجمع الفقهاء على أن شهادة النساء جائزة مع الرجال في الأموال حتى ثبت برجل وامرأتين واختافوا في غير الأموال فذهبت جماعة إلى أنه تجوز شهادتهم مع الرجال في غير العقوبات وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي وذهب جماعة إلى أن غير المال لا يثبت إلا برجلين عدلين وذهب الشافعي إلى أن ما يطلع عليه النساء غالبا كالولادة والرضاع والثيوبة والبكارة ونحوها تثبت بشهادة رجل وامرأتين وشهادة أربع نسوة واتفقوا على أن شهادة النساء غير جائزة في العقوبات (ممن ترضون من الشهداء) أي من شأن مرضي الدين وأمانته (تنبيه) شروط قبول الشهادة سبعة الإسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمروءة وانتفاء التهمة فحق فقد شرط منها لم تصح تلك الشهادة وإنما اشترط التعدد في النساء لأجل (أن تفضل) أي تنسى (أحدهما) أي الشهادة لنقص عقلهن وضبطهن (فتذكر) قرأ ابن كثير وأبو عمر وبسكون الذال وتحفيف الكاف والباقون بفتح الذال وتشديد الكاف وقرأ حمزة برفع الراء والباقون بالنصب (أحدهما) أي الذاكرة (الأخرى) أي الناسية قال الزمخشري ومن بدع التفسير فتذكر أي ففعل أحدهما الأخرى ذكر أي عنى أنهم ما إذا اجتمعا كانتا بمنزلة الذكر وقرأ حمزة وحده أن تفضل أحدهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله تعالى ومن عاد فيقيم الله منه وجملة الاذكار محل العلة أي التذكر أن ضلت ودخلت على الضلال لأن الضلال سبب الاذكار وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر (ولا ياب) أي ولا يتنع (الشهداء إذا ما) أي إذا (دعوا) لإداء الشهادة والتحمل فهاضريه وسما شهداء على هذا الثاني تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع (ولأنسأموا)

أى تملوا من (أن تكتبوه) أى ما شهدتم عليه من الحق لكثرة وقوعه أو تكلوا من أن
 تكتبوه فكفى عن السأمة التى تكون بعد الشروع للكثرة بالكسل الذى يكون ابتداء
 لكونها من لوازمه لأن الكسل صفة المناق قال تعالى وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى
 وقال صلى الله عليه وسلم لا يقول المؤمن كسلت (صغيرا) كان ذلك الحق (أو كبيرا) قليلا
 أو كثيرا وقوله تعالى (إلى أجله) أى وقت حلوله الذى أقربه المديون حال من الهاء فى تكتبوه
 (ذلكم) أى الكتب (أقسط) أى أعدل (عند الله وأقوم للشهادة) أى أعون على أقامتها لأنه
 يذكرها (تنبيه) • يجوز على مذهب سيبويه أن يكون أقسط وأقوم مبنيين من أقسط وأقام
 وأن يكون أقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذى قسط وأقوم من قويم أو هما مبنيان
 من أقسط وأقام لأن قسط وقام لأن قسط بمعنى جار والمعنى هنا على العدل والفعل منه أقسط
 فلم أن يكون أقسط فى الآلية من المزيدي قصد الزيادة فى المقسط قال تعالى إن الله يحب
 المقسطين لأن المجرد لأن معناه الزيادة فى القاسط وهو الجائر قال تعالى وأما القاسطون
 فكانوا لجهنم خطبا وكذا أقوم معناه أشد إقامة لأقياما وبناؤهما من ذلك على غير قياس
 والقياس أن يكون البناء من المجرد لأن المزيدي ويجوز أن يكون بناؤهما من قاسط بمعنى
 ذى قسط أى عدل وبمعنى قويم أى ذى استقامة على طريقة النسب كلاين وإنما فىكون
 أفعل لأفعله وانما صحت الواو فى أقوم كما صحت فى التجب لجوده (وإدنى) أى وأقرب إلى
 (أن لا ترتابوا) أى تشكوا فى قدر الحق وجنسسه والشهود والاجل ونحو ذلك (الآن تكون
 تجارة حاضرة) وهى تم المبايعتين أو عين (تديرونها بينكم) أى تعاطونهم أيد أيد (فليس
 عليكم جناح) أى لا بأس إذا تباعتم يد أيد (أن لا تكتبوها) فهو استثناء من الأمر بالكتابة
 بعده حيث ذعن التنازع والفسيان وقرأ عاصم بنصب التاء فيهما على أن تجارة هى الخبر
 والاسم مضمرة تقديره الآن تكون التجارة تجارة حاضرة والباقيون بالرفع فيهما على أن تجارة
 هى الاسم والخبر تديرونها وعلى كان التامة (وأشهدوا) أى ندبا (إذا تباعتم) عليه سواء كان
 ناجزا أو كالتافان أذفع للاختلاف فهو تعميم بعد تخصيص احتياطا فى جميع المبايعات
 ويجوز أن يراد هذا التبائع الذى هو التجارة الحاضرة على أن الأشهاد كاف فيه دون الكتابة
 وقوله تعالى (ولا يضار كاتب ولا شهيد) أصله يضار وأدغمت إحدى الرايين فى الأخرى ونصبت
 لحق التضعيف لاجتماع الساكنين واختلاف واغتم من قال أصله يضار يكسر الراء الأولى ويجعل
 الفعل لاكتاب والشهيد ومعناه منيها عن ترك الإجابة وعن التعريف والتغيير فى الكتابة
 والشهادة ومنهم من قال أصله يضار يفتح الراء على الفعل المجهول وجعلوا الكاتب والشاهد
 مذهبين ومعناه النهى عن الضرر بهما مثل أن يهمل عن مهم ويكلفا الخروج عما أحدهما ولا
 يعطى الكاتب جعله ولا الشهيد مؤنذ بحجته حيث كان والمنهى حيث ذم المتبايعان فالآية محمولة
 للبناء للقاعل وللبناء للمفعول فعمل عليها معاً وعلى كل منهما والأولى أولى (وان تفعلوا)
 ما نهيتهم عنه من الضرر (فانه فسوق بكم) أى معصية وخروج عن الأمر (واقضوا الله)

في مخالفة أمره ونهيه (ويعلمكم الله) أحكامه المتضمنة لصالحكم (والله بكل شيء عليم) كثر لفظ
الله في الجمل الثلاث لاستقلالها فان الأولى حث على التقوى والثانية وعدها بنعمته والثالثة تعظيم
الله لأنه عز وجل ولأنه أدخل في التعظيم من الضمير وهذا آخر آية الدين وقد حث سبحانه وتعالى
فيها على الاحتياط في أمر الأموال لكونها سببا لمصالح المعاش والمعاد قال تعالى ولا تنفقوا أموالكم
أموالكم الآية قال القفال رحمه الله تعالى ويدل على ذلك أن أنفاظ القرآن جارية في الأكثر
على الاختصار وفي هذه الآية بشد شديد ألا ترى أنه قال إذا تدانتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه
ثم قال ثانيا وليكتب بينكم كاتب بالعدل ثم قال ثالثا ولا ياب كاتب أن يكتب كما علمه الله فكل هذا
كالتكرار لقوله وليكتب بينكم كاتب بالعدل لأن العدل هو ما علمه الله ثم قال رابعا وليكتب
وهذا إعادة للأمر الأول ثم قال خامسا وليعلم الذي عليه الحق وفي قوله تعالى وليكتب بينكم
كاتب بالعدل كناية عن قوله وليعلم الذي عليه الحق لأن الكاتب بالعدل إنما يكتب ما على عليه
ثم قال سادسا وليتق الله ربه وهذا تأكيد ثم قال سابعا ولا يبخس منه شيئا وهذا كالمستفاد من
قوله وليتق الله ربه ثم قال ثامنا ولا تساموا أن تكبوا صغيرا أو كبيرا إلى أجله وهو أيضا
تأكيد لمضى ثم قال تاسعا ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا فذكر هذه
الفوائد التالية لتلك التأكيدات السابقة وكل ذلك يدل على المبالغة في التوصية بحفظ المال
الحلال وصونه عن الهلاك ليمكن الإنسان بواسطته من الاتفاق في سبيل الله والاهتمام
عن مساخط الله تعالى من الربا وغيره والمواظبة على تقوى الله (وإن كنتم على سفر) أي مسافرين
وتدانيتم فعلي بمعنى في ثلاثتهم أن المعنى على نية سفر (ولم تجدوا كاتباً فرهن) أي فعليكم
رهن (مقبوضة) تستوثقون بها ويثبت السنة جواز الرهن في الحضر ومع وجود الكاتب
فقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم دونه في المدينة من يهودي بعشرين صاعاً من شعير
أخذها لاهله فالتقيده بما ذكر لأن التوثيق به أشد وعن مجاهد والضحاك أنه ما لم يجوزاه إلا
في السفر أخذنا بظاهر الآية وأفاد قوله تعالى مقبوضة اشتراط القبض أي في لزوم الرهن
لأن صحته والاكتفائه من المرتن وكيله ولا يشترط القبض عند مالك وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
يضم الراء والهاء ولا أف بعدها والباقون بكسر الراء وفتح الهمزة ألف بعدها وكلاهما جمع
وهن بمعنى مرهون (فإن آمن بعضكم ببعض) أي الدائن (بعضاً) أي المديون واستغنى بأمانته
عن الارتهان (فليؤد الذي أتمن) أي الدين (أمانته) أي دينه سمى أمانة لأنه عليه بترك
الارتهان به وقرأ ورش فليؤد بإبدال الهمزة واو وإذا وصل السوسى ورش الذي باتمن أبداً لا
الهمزة ياء وفي لا بداء بهمزة مضمومة للجميع (وليتق الله ربه) في الحيانة وانكار الحق وفيه
مبالغات من حيث الاتيان بصيغة الأمر الظاهرة في الوجوب والجمع بين ذكر الله والرب وذكره
عقب الأمر بأداء الدين (ولا تسكروا الشهادة) أي الشهود إذا دعيت لأقامتها والمديون وعلى
هذا فشهداتهم أقرارهم على أنفسهم (ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) فإن قيل هلا اقتصر على قوله
فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملته هي الآية لا القلب وحده (أجيب) بأن كتمان الشهادة

هو أن يضمها ولا يتكلم بها فلما كان أي الكتمان انما مقترفا أي مختلطا بالقلب أسند اليه لانه محل
 كتمان الشهادة واسناد الفاعل الى الجارحة التي يدعيها ببلغ الأثرى أنك تقول اذا أردت
 التوكيد هذا مما أبصرته عيني ومما سمعته أذني ومما عرفه قلبي ولأن القلب هو رئيس الاعضاء
 والمضغة التي ان صلت صلح الجسد كله وان فسدت فسدت الجسد كله فكأنه قيل فقد تمكن الاثم
 في أصل نفسه وملك أشرف مكان فيه ولئلا يظن أن كتمان الشهادة من الاتمام المتعلقة باللسان
 فقط وليعلم أن القلب أصل متعاقبه ومعدن اقترافه واللسان ترجيح عنه ولأن أفعال القلوب
 أعظم من سائر أفعال الجوارح وهي لها كالاصول التي تنشعب منها لا ترى أن أصل الحسنات
 والسيئات الايمان والكفر وهما من أفعال القلوب واذا جعل كتمان الشهادة من آتام
 القلوب فقد شهد له بانه من معاطم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أكبر الكبائر
 الاشرار بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة • (قريبه) •
 آثم خبران وقلبه رفع بآثم على الفاعلية كأنه قيل فانه يأثم بقلبه ويجوز أن يرتفع قلبه بالابتداء
 وآثم خبر مقدم والجملة خبران وقوله تعالى (والله بما تعملون عليم) تهديد لانه لا يخفى عليه منه
 شيء (لله ما في السموات وما في الارض) خلاقا وملاكا قال الجلال السيوطي وعبيدا وله دل ذكره
 بعد ملكا لئلا يتوهم أن مالم لا يعقل (وان تدوا) أي تظهروا (ما في أنفسكم) من السوء
 والعزم عليه (أو تخفوه) أي تسروه (يحاسبكم) أي يحجزكم (به الله) يوم القيامة والالية حجة
 على من أنكر الحساب كالمعتزلة والروافض (فيغفر لمن يشاء) مغفرته (ويعذب من يشاء)
 تعذيبه وهذا صريح في نفي وجوبه وقرأ ابن عامر وعاصم برفع الراء من يغفر ورفع الباء من
 يعذب على الاستئناف والباقون يحجزهم معا عطاء على جواب الشرط وادغم الراء المنجزومة في
 اللام السوسى واختلاف عن الدوري وقول الزمخشري ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ
 فاحشا وراويه عن أبي عمرو يعني السوسى مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب اللحن الى أعلم
 الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة
 والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا أهل النجوم ودولانه مبنى
 على القول بأن الراء انما تدغم في الراء المتكررة القاءت بادغامها في اللام ورد بأن ذلك قراءة أبي
 عمرو وهي متواترة مع أن القول بامتناع ادغام الراء في اللام انما هو مذهب البصريين وأما
 الكوفيون بل وبعض البصريين كأبي عمرو فقاتلون بالجواز كما نقله عنهم أبو حيان ونقل
 أبو عمرو والكسائي وأبو جعفر صحة ادغام صارلى وصارلك عن العرب ومن حفظ حجة على من لم
 يحفظ ووجه الجعبرى ادغام الراء في اللام بتقارب مخرجيهما على رأى سيبويه وتشاركهما على
 رأى القراء وتجانسهما في الجهر والانتساح والاستفال (واسم على كل شيء قدير) فيقدر على
 جزائكم ومحاسبتكم وقوله تعالى (آمن) أي صدق (الرسول) أي محمد صلى الله عليه وسلم
 (بما أنزل اليه من ربه) أي من القرآن فيه شهادة وتنصيب من الله تعالى على صحة ايمانه
 والاعتداده وانه جازم في أمره غير شك فيه وقوله تعالى (والمؤمنون) عطف على الرسول

(كل) من الرسول والمؤمنين واختلف في تنوين كل فصيل تنوين عوض من المضاف اليه وقيل تنوين التمكين قال الشيخ خالد الوقاد وهو الاصح (آمن بالله وملائكته) وقرأ (وكتبه) حزة والكسائي بكسر الكاف وفتح التاء وألف بعدها على التوحيد على أن المراد به الجنس والباقون بضم الكاف والتاء على الجمع (ورسله) يقولون (لا تفرق بين أحد) أي جمع (من رسله) فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى فأحد اسم لمن يعلم أن يخاطب يستوى فيه الواحد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث بحيث أضيف بين اليه أو أعيد ضمير جمع اليه أو نحو ذلك فالمراد به جمع من الجنس الذي يدل الكلام عليه ويجوز أن يقدر القول مفردا باعتبار كل وانما احتيج الى التقدير لاجل قوله تعالى لا تفرق ولو قال تعالى لا يفرقون لم يحتج الى ذلك (وقالوا سمعنا) أي ما أمرنا به سمعنا قبول (وأطعنا) أمرنا نساءك (غفرانك ربنا وأهلك المصير) أي المرجع بعد الموت وهو أقرار منهم بالبعث روى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه انه قال لما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم لله ما فى السموات وما فى الارض وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية قال فاشتد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأثروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بر كوا على الركب وقالوا أي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطبق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيعها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما قرأها القوم وذلت ألسنتهم أنزل الله تعالى فى أثرها آمن الرسول الآية فلما فعلوا ذلك نهضها الله تعالى بقوله تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) أي ما تسعه قدرتها وان شق فضلا ورجة (لهما ما كسبت) من الخير أي ثوابه (وعليهما ما كتبت) من الشر أي وزره فلا يتفجع بطاعتها غيرها ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد ولا بما لم يكتبه مما وسوست به نفسه كما يقبده تقديم الخبر وهما وعليهما من الحصر وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به (فان قيل) لم خص الخير بالكتب والشر بالاكساب (أجيب) بأن فى الاكساب اعتيالا أي اضطرارا فى العمل مبالغة واجتهادا فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهى منجذبة اليه وامارة به كانت أشد حبا واجتهادا فى تحصيله وأعمت فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولمالم تكن كذلك فى باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتقال قولوا (ربنا لا تؤاخذنا) أي لا تعاقبنا (ان نسئنا أو أخطأنا) أي بما أدى بنا الى النسيان أو الخطأ من تقريط وقلة مبالاة لان المواخذة انما هى بالمقدور والنسيان والخطأ ليس بمقدورين ويجوز أن يراد نفس النسيان والخطأ أي لا تؤاخذنا بما كما أخذت به من قبلنا قال الكلبي كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما أمروا به أو أخطؤا جعلت لهم العقوبة فحرم عليهم شئ من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب فأمر الله المؤمنين أن يسألوه ترك مواخذتهم بذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه

(فان قيل) النسيان والخطأ متجاوز عنهما فاعني الدعاء بترك المؤاخذة بهما (أجيب) بأن المراد
 بذكرهما ما هما مسيبان عنه من التعريط والاعغال ألا ترى الى قوله وما أنساه الا الشيطان
 والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فتكون وسوسته سبباً للتعريط الذي منه
 النسيان ويجوز أن يدعو الانسان بما علم أنه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته
 وذكره بلفظ الدعاء على معنى الصدق بنعمة الله فيه قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث
 (ربنا ولا تحمل علينا دسرا) أي لا تكفنا أمرا يتقل علينا حمله (كما حمله على الدين من قبلنا)
 أي بنى اسرائيل من قتل النفس في التوبة واخراج ربع المال في الزكاة وقطع موضع النجاسة
 من الجلد والثوب وغير ذلك قاله الكشف قال البيضاوي وخمسين صلاة في اليوم واليلة
 ونسبها غيره من المفسرين الى اليهود ولا تنافي بينهما اذ المراد من بنى اسرائيل هم اليهود منهم فلا
 يرد على هذا ما قيل ان بنى اسرائيل لم يفرض عليهم خمسون صلاة بل ولا خمس صلوات مع أن من
 حفظ حجة على من لم يحفظ (ربنا ولا تحمطنا ما لا طاقة) أي قوة (لنا به) من البلاء والعقوبة ومن
 التكليف التي لا تنفي به الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والامتناع
 التخلص منه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثانٍ لا للمبالغة (واعف عنا) أي ارحم
 ذنوبنا (واغفر لنا) أي استر علينا ذنوبنا ولا تفحصنا بالمؤاخذة بها (وارحمنا) وتعطف بنا
 وتفضل علينا فاقال الاثال العمل بطاعتك ولا تترك معصيتك الا برحمتك (أنت ولانا) أي سيدنا
 ومتولى أمورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) بأقامة الحجّة والعلبة في قتالهم فان من حق
 المولى أن ينصر مواليه على الاعداء أو المراد بالكافرين عامة الكفر روى سعيد بن جبيرة عن
 ابن عباس في قوله تعالى غفرانك ربنا قال الله تعالى قد غفرت لكم وفي قوله لا تؤاخذنا
 ان نسينا أو أخطأنا قال لا تؤاخذكم ربنا ولا تحمّل علينا اصرا قال لا أجل عليكم ولا تحمّلنا
 ما لا طاقة لنا به قال لا أجلكم واعف عنا الخ قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم
 ونصرتكم على القوم الكافرين وكان معاذ اذا ختم سورة البقرة قال آمين وروى مسلم وغيره
 انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عقب كل كلمة قد فعلت وعن عبد الله انه قال
 لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدره المنتهى وهي في السماء السادسة اليها
 ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال
 اذ يغشى السدره ما يغشى قال فرائس من ذهب قال وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا
 أعطى الصلوات الخمس وأعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئا
 المقدمات وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أنزل الله تعالى آيتين أولهما آمن الرسول من
 كنوز الجنة كتبها الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بالتي سنة من قرأها بعد العشاء الاخرة
 أجزأناه عن قيام الليالي والكتابة باليد تعجيل وتصوير لاثباتهما وتقديرهما بالتي سنة تصوير
 لقد هما لا تشل هذا يقال لطول الزمان لا للتصديق وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أوتيت
 خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤت مني قبلي وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال

من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه أى عن قيام الليل أو عن كل ما يسوء وهذا
يرد قول من استنكر أن يقال سورة البقرة وقال ينبغي أن يقال السورة التي يذكر فيها البقرة
كما قال عليه الصلاة والسلام السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتهلموها فان تعلمها
بركة وتركتها حسرة ولن تستطيعها البطالة قيل وما البطالة قال السهولة أى أنهم مع حذقهم
لا يوفون لتعليمها أو التأمل في معانيها أو العمل بما فيها أو سموها بطالة لأنهم ما كهم في الباطل
أو لبطلتهم عن أمر الدين والفلسطاط الخيعة أو المدينة الجامعة سميت به السورة لاشتمالها
على معظم أصول الدين وفروعه والارشاد إلى كثير من مصالح العباد ونظام المعاش ونجاة
المعاد وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه رأى الجفرة ثم قال من ههنا والذي لا اله الا هو
رمى الذى أنزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف والمحنة
والجفلة وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى كتب كتابا قبل أن يخلق السموات
والارض بألفى عام فأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة فلا يقرآن في دار ثلاث ليال فلا
يقربها شيطان انتهى

(سورة آل عمران مدنية)

باتفاق وآياتها مائتان وألآية وثلاثة آلاف وأربعة مائة وثمانون كلمة
وأربعة عشر ألفا وخمسمائة وعشرون حرفا

(بسم الله) الذى له صفات الكمال فاستحق التفرد بالالوهية (الرحمن) الذى سرت رحمة خلال
الوجود فشملت كل وجود بالكرم والجود (الرحيم) لمن توكل عليه بالعطف اليه وقوله تعالى
(الم) تقدم الكلام عليه فى أول سورة البقرة (الله لا اله الا هو) لم يقطع أحد من القراء السبعة
هذه الهمزة التى فى الله فى الوصل وإذا وقف على المبدأ بالهمزة والكل من القراء مد على الميم
ووصل فى الوصل وانما فتح الميم لالتقاء الساكنين كما هو مذهب سيبويه وجهود النحاة (فان
قيل) أصل التقاء الساكنين الكسر فلم عدل عنه (أجيب) بأنهم لو كسروا كان ذلك مفضيا إلى
ترقيق لام الجلالة والمقصود تغميمه التعظيم فاوثر الفتح لذلك كما حركوها فى نحو من الله وأبضا
فقبل الميم ياء وهى أخت الكسرة وقبل هذه الباء كسرة فلو كسرنا الميم الأخيرة لالتقاء
الساكنين لتوالى ثلاث متجانسات فحركوها بالفتح وأما سقوط الهمزة فواضح وبسقوطها التقي
الساكنان وقيل ان هذه الفتحة ليست لالتقاء الساكنين بل هى حركة نقل أى نقلت حركة الهمزة
التى قبل لام التعريف على الميم الساكنة فحوقد افلح فى قرأته ورش هذه المذهب القراء وجرى
عليه انز مخشرى وأطال الكلام فيه ورده أبو حيان بما يطول ذكره وقوله تعالى الله مبتدأ وما
بعده خبره وقوله تعالى (الحى القيوم) نعت له والحى هو الفعال الدال والقيوم هو القائم بذاته
والقائم بتدبير خلقه روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان اسم الله الاعظم فى ثلاث سور فى البقرة
الله لا اله الا هو الحى القيوم وفى آل عمران الله لا اله الا هو الحى القيوم وفى طه وعنت الوجوه

قوله فلا يقرآن الخ
كذا فى النسخ التى
هى بأيدينا وفى
الجلد ان الله عز
وجل كتب كتابا قبل
ان يخلق الخلق بألفى
عام فأنزل منه هذه
الثلاث آيات التى
ختمت بها سورة
البقرة من قرأهن
فى نفسه لم يقرب
الشيطان بيته
ثلاث ليال انتهى

للحي القيوم ونقل البندنجي عن أكثر العلماء أن الاسم الأعظم هو الله قال الكلبي والريبع
 ابن أنس وغيرهما نزلت هذه الآية في وفد نصارى نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرفهم وفي الأربعة عشر ثلاثة
 نفر يؤل إليهم أمرهم العاقب أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه
 واسمه عبد المسيح والسيد صاحب رحلهم واسمه الإيهم وأبو حارثة بن علقمة حبرهم دخلوا
 مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى العصر عليهم ثياب الخبثات والحرق بن كعب
 يقول من وراءهم مارأيتا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم يصلوا إلى المشرق فحكم السيد
 والعاقب فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلما قالوا قد أسلمنا قبلك قال كذبتما نعتكما
 من الإسلام ثلاثة أشياء دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما للصليب وأكلكما الخنزير قالوا إن لم يكن
 عيسى ولدا لله فن أبوه وخاصه وهما جميعا في عيسى فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألسن تعلمون
 أنه لا يكون ولدا ولا هو يشبه آباءه قالوا بلى قال ألسن تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتى
 عليه الفناء قالوا بلى قال ألسن تعلمون أن ربنا قيوم على كل شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل
 يملك عيسى من ذلك شئاً قالوا لا قال ألسن تعلمون أن الله لا يخفى عليه شئ في الأرض ولا في السماء
 قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك إلا ما علمه الله قالوا لا قال فإن ربنا صور عيسى في الرحم
 كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب قالوا بلى قال ألسن تعلمون أن عيسى جلت أمة كما تحمل
 المرأة ثم وضعت كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث
 قالوا بلى قال وكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فنزل الله تعالى صدر سورة آل عمران إلى بضع
 وعشرين آية منها (نزل عليك) يا محمد (الكتاب) أي القرآن متلبسا (بالحق) أي بالصدق في أخباره
 أو بالجميع المحقة أنه من عند الله وهو في موضع الحال أي محققا (مصداقا لما بين يديه) أي قبله من
 الكتب (فان قيل) كيف سمى ماضى بأنه بين يديه (أجيب) بأن تلك الأخبار لغاية ظهورها
 وكونها موجودة سماها به ذا الاسم (وأُنزل التوراة) بجله على موسى عليه الصلاة والسلام
 (والإنجيل) بجله على عيسى عليه الصلاة والسلام (من قبل) أي قبل تنزيل القرآن واختلف
 الناس في هذين اللفظين هل يدخلهما الاشتقاق والتصريف أو لا يدخلانهما لكونهما أجمعين
 فلا يتناسب كونهما مشتقين ورجح هذا الزمخشري وقال قالوا لأن هذين اللفظين اسمان عبرانيان
 لهذين الكتابين الشريفين وقوله تعالى (هدى) حال بمعنى هاديين من الضلالة ولم يثنه لأنه مصدر
 (للناس) أي على العموم أن قلنا متعبدون بشرع من قبلنا وهو رأي والأفلام راكبا بالناس قومهما
 وانما خبر في التوراة والإنجيل بأنزل وفي القرآن ينزل المقضى للتكرير لأنهما أنزلادفعة واحدة
 بخلافه وقيل إن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا بجله واحدة ومن سماء الدنيا
 منجما في ثلاث وعشرين سنة فخبت عبر فيه بأنزل أريد الاقول أو ينزل أريد الثاني (فان قيل)
 رداً لاول بقوله تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب ويقول تعالى والذين يؤمنون بما أنزل إليك

وبقوله تعالى الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وبقوله تعالى وبالحق أنزلناه ويرد الثاني بقوله
 تعالى وقال الذين كفروا والولانزل عليه القرآن جملة واحدة (أجيب) بأن القول بذلك جرى على
 الغالب (وأنزل الفرقان) أي الكتب الفارقة بين الحق والباطل وفي كره بعد الكتب الثلاثة ليعلم
 ما هذا فكتانه قال وأنزل سائر ما يفرقه بين الحق والباطل ولم يجمع لأنه مصدر بمعنى الفرق
 كالغفران والكفران وقبل القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما وإظهارا لفضله
 من حيث أنه يشار كهما في كونه وحيا منزلا وتميز بأنه معجز يفرقه بين الحق والباطل وقيل
 أراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال تعالى وآتينا داود زبوراً قال الزمخشري وهو ظاهر ولما
 قرر سبحانه جميع ما يتعلق بعرفة الإله أتبع ذلك بالوعد بجزا الله عرَضين عن هذه الدلائل
 الباهرة فقال (أَن الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) من القرآن وغيره (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) بسبب كفرهم
 (وَاللَّهُ عَزِيزٌ) أي غالب على أمره فلا يمنع شئ من انجاز وعده ووعيده (ذَوَاتِقَامٍ) بمن عصاه
 والنقمة عقوبة المجرم أي يعاقبه عقوبة شديدة لا يقدر على مثلها أحد (أَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ)
 كائن (فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) لعلمه بما يقع في العالم من كل شيء وجزئ (فَأَن قِيلَ) لم خصهما
 بالذكر مع أنه عالم بجميع الأشياء (أَجِيب) بأنه تعالى إنما خصهما به لأن البصر لا يتجاوزهما
 (فَأَن قِيلَ) لم قدم الأرض على السماء (أَجِيب) بأنها إنما قدمت ترقيا من الأدنى إلى الأعلى وهذه
 الآية كالدليل على كونه حيا وقوله تعالى (هُوَ الَّذِي يَصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ) أي
 من ذكورة وأنوثة وبياض وسواد وحسن وقبح وتمام ونقص وغير ذلك كالدليل على القيومية
 والاستمدال على أنه تعالى عالم بانقائ فعله في خلق الجنين وتصويره وفي هذا رد على وفد تجران
 من النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله واستدلوا على ذلك بأمر من العلم فانه كان يخبر عن
 الغيوب ويقول لهذا أنك أكلت في دارك كذا ويقول لذاك أنك صنعت في دارك كذا ومنها
 القدرة وهي أن عيسى كان يحيى الموتى ويرى الأكس والابرص ويخلق من الطين كهيئة الطير
 ثم ينفخ فيه فيكون طيرا فكأنه تعالى يقول كيف يكون ولد الله وقد صورته في الرحم والمصور
 لا يكون أب المصور ثم أنه تعالى لما أجاب عن شبهتهم أعاد كلمة التوحيد زجر للنصارى عن قولهم
 التثليث فقال (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ) في ملكه وفيه إشارة إلى كمال القدرة فقدرته تعالى أكمل من
 قدرة عيسى على الامانة والاحياء (الْحَكِيمُ) في صنعه وفيه إشارة إلى كمال العلم فعلمه أكمل من علم
 عيسى بالغيوب وأن علم عيسى ببعض الصور وقدرته على بعض الصور لا يدل على كونه الها بل
 على أن الله أكرم بذلك إظهارا للمجزة ومجزة عن الاحياء في بعض الصور يوجب قطعها علم
 الالهية لأن الإله هو الذي يكون قادرا على كل الممكنات عالما بجميع الجزئيات والكلديات
 قال عبد الله بن مسعود حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق أن خلق
 آدمكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون عاقا مثل ذلك ثم يكون مضغاً مثل ذلك ثم
 يبعث الله إليه الملك أو قال يبعث إليه الملك بأربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله وشق أو
 سعيد وقال وإن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع فيسبق

عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم أربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول يا رب شقي أم سعيد فيكتبان فيقول أي رب ذكر أو أنثى فيكتب كتابان فيكتب عمله وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزد فيها ولا ينقص (هو الذي أنزل عليك) يا محمد (الكتاب) أي القرآن (منه آيات محكمات) أحكمت عبارتها بأن حفظت عن الاحتمال والاشتباه فهي واضحات الدلالة (هن أم الكتاب) أي أصله المعتمد عليه في الأحكام ويحمل التشابهات عليها وترد إليها ولم يقل أمهات الكتاب لأن الآيات كلها في تكاملها واجتماعها كآية الواحدة وكلام الله واحد وقيل كل آية منهن أم الكتاب كما قال تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية أي كل واحد منهما آية وقوله تعالى (وآخر) نعت لمحمد وذو القعدة وآيات آخر (متشابهات) أي محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال أو مخالفة ظاهرها لبالقصد والنظر (فان قيل) لم جعل بعضه متشابهها ولا كان كله محكما (أجيب) بأن في المتشابهة من الانسلاخ حكمة عظيمة وهي التمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه وياظهر فيها فضل العلماء ويرداد حرصهم على أن يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقفة عليها استنباط المراد بها فبالواجبها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات الدرجات العلى عند الله (فان قيل) لم فرق هذا بين المحكم والمتشابه وقد جعل كل القرآن محكما في موضع آخر فقال الكتاب أحكمت آياته وجعل كله متشابه في موضع آخر فقال الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابه (أجيب) بأنه حيث جعل الكل محكما فعناه أن آياته حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وحيث جعل الكل متشابه فعناه أن آياته يشبه بعضها بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ * (تنبيه) * أخرج عن أخرى وأنما ينصرف لانه وصف معدول عن الاخباريات فقيه الوصف والعدل وعماء لثان تمنعان الصرف (فأما الذين في قلوبهم زيغ) أي ميل عن الحق كالمبتدعة (فيتبعون ما تشابه منه) أي فيملكون بظاهرها أو يتأويل باطل (ابتغاء الدنس) أي طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المذهب بالمتشابه (وابتغاء تأويله) أي وطلب أن يؤولوه على ما يشتهونه (وما يعلم تأويله) أي الذي يجب أن يحمل عليه (الا الله والراحمون في العلم) أي الذين ثبتوا وعلموا فيه وسئل مالك بن أنس عن الراحمين في العلم قال العالم العامل بعلم المتبع وقال غيره هو من وجد في علمه أربعة أشياء التقوى بينه وبين الله تعالى والتواضع بينه وبين الخلق والزهد بينه وبين الدنيا والمجاهدة بينه وبين نفسه * (تنبيه) * اختلف العلماء في نظم هذه الآية فقال قوم الواو في قوله والراحمون والواو العطف أي أن تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراحمون في العلم وهم مع علمهم

(يقولون آمنابه) وهذا قول مجاهد والربيع وعلى هذا يكون قوله يقولون حالامعناه
والراسخون في العلم فاثبت آمنابه وذهب الاكثر الى أن الواو في قوله والراسخون واو
الاستئناف وتم الكلام عند قوله وما يعلم تأويله الا الله وهو قول أبي بن كعب وعائشة وغيرهما
وقالوا لا يعلم تأويل المتشابه الا الله ويجوز أن يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه لم يطالع
عليه أحد من خلقه كما استأثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال
وعدد الزبانية ونزل عيسى عليه الصلاة والسلام ونحوها والخلق متعبدون في المتشابه بالايمان
به وفي المحكم بالايمان به والعمل وقال عمر بن عبد العزيز في هذه الآية انتهى علم الراسخين في
العلم بتأويل القرآن الى أن قالوا آمنابه قال في الكشف والاقول هو الاوجه اه ووجهه شيقنا
القاضي ذكر يابقه لان المتشابه على الثاني يصير الخطاب به كالخطاب بالمهمات اه ومع هذا
فالوجه هو الثاني لانه أشبه بظاهر الآية ويدل له وجوه أحدها انه ذم طالب المتشابه بقوله
تعالى فأتا الذين في قلوبهم زيغ الآية وثانيها انه مدح الراسخين في العلم بأنهم يقولون آمنابه
به وقال في أول البقرة فأتا الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم فهو لاء الراسخون لو كانوا
عالين بتأويل المتشابه على التفصيل لما كان لهم في الايمان به مدح لان كل من عرف شيئا على
سبيل التفصيل فلا بد أن يؤمن به وثالثها لو كان قوله والراسخون معطوفا لصار قوله يقولون
آمنابه ابتداء هرر بعيد عن الفصاحة وكان الاولى أن يقال وهم يقولون أو يقال ويقولون
(فان قيل) في تصحيحه وجهان الاول أن يقولون خبر مبتدأ والتقدير هؤلاء العالمون بالتأويل
يقولون آمنابه الثاني أن يكون يقولون حالامن الراسخون (أجيب) بأن الاول مدفوع
بأن تفسير كلام الله تعالى بما لا يحتاج معه الى اذمار أولى والثاني أن ذال الحال هو الذي تقدم
ذكره وهم الراسخون فوجب أن يكون قوله آمنابه حالامن الراسخون لامن الله وذلك ترك للظاهر
ورابعها قوله تعالى (كل) أي من المحكم والمتشابه (من عند ربنا) معناه أنهم آمنوا بما عرفوا
تفصيله وبما لم يعرفوا تفصيله ولو كانوا عالين بالتفصيل في الكل لم يبق لهذا الكلام فائدة
وخامسها نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه تفسير
لايسع أحد اجهله وتفسير تعرفه العرب بالسنتها وتفسير تعرفه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله
تعالى وسئل مالك بن أنس رضي الله تعالى عنهما عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فقال
الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة (فان قيل)
ما الفائدة في لفظ عنه دل ولو قال كل من ربنا حصل المقصود (أجيب) بأن الايمان بالمتشابه
يحتاج فيه الى مزيد التأكيذ (فان قيل) لم حذف المضاف اليه من كل (أجيب) بأن دلالة على
المضاف اليه قوية فالامن من اللبس بعد الحذف حاصل (وما يذكر) بادغام التاء في الاصل
في الدال أي ما يعظم بما في القرآن (الأولوالاالباب) أي أصحاب العقول * (تبيينه) * وجه
اتصال هذه الآية وأولها هو الذي أنزل عليك الكتاب بما قبلها وأولها هو الذي يصوركم
في الارحام انه لما بين أنه قيوم وهو القائم بمصالح الخلق والمصالح قسمان جسماني وروحاني

فالجسماني أشرفها تعديل البنية على أحسن شكل وهو المراد بقوله تعالى هو الذي يصوركم
 في الارحام وأما الروحاني فأشرفها العلم وهو المراد بقوله هو الذي أنزل عليك الكتاب ولما حكى
 سبحانه وتعالى عن الراسخين في العلم أنهم يقولون آمنا به حكى أنهم يقولون (ربنا لاترغ) أي
 لاتغل (قلوبنا) عن طريق الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لاترضيه (بعد اذ هديتنا) وفقطنا
 لدينك والايمان بالهكم والمتشابه قال عليه الصلاة والسلام قلب ابن آدم بين اصبعين من
 أصابع الرحمن ان شاء أقامه أي القلب على الحق وان شاء أزاعه عنه رواء الشيطان وغيرهما
 وقيل لا تلبنا لا ياترغ فيها قلوبنا وعلى هذا اقتصر الراسخون ووجهه بأن ما ذكر كناية أو مجاز
 اذ لا تحسن من الله الا زاغة ليستل نفها وهذا بناء على مذهبه من الاعتزال وأما مذهب أهل
 السنة فالزيع والهداية خلق الله تعالى وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم يا مقلب القلوب
 والابصار ثبت قلوبنا على دينك وعن أبي موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم مثل القلب كريشة بأرض فلا تقطعها الرياح ظهرا وبطنا (وهب لنا)
 أي أعطنا (من لدنك) أي من عندك (رحمة) أي توفيقا وثبينة للذي نحن عليه من الايمان
 والهدى أو مغفرة للذنوب (انك أنت الوهاب) لكل سؤل وفيه دليل على أن الهدى والضلال
 من الله تعالى وأنه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء ما (ربنا انك جامع الناس) أي
 تجمعهم (ليوم) أي في يوم (لاريب) أي لاشك (فيه) أي في وقوعه ومواقبه من الحشر والجزاء
 وهو يوم القيامة فتجازيهم بأعمالهم كما وعدت وقوله تعالى (ان الله لا يخاف الميعاد) أي
 مواعده بالبعث يحتمل أن يكون من كلام الله تعالى وأن يكون من كلام الراسخين فيكون فيه
 التفات عن الخطاب وكانهم لما طلبوا من ربهم الصون عن الزيع وأن يخصهم بالهداية
 والرحمة قالوا ليس الغرض من هذا السؤال ما يتعلق بمصالح الدنيا فانها منقضية وانما الغرض
 الاعظم منه ما يتعلق بالآخرة فاننا نعلم انك جامع الناس للجزاء في يوم القيامة ووعدك حق فن
 زاغ قلبه بقي هناك في العذاب أبدا لا يادومن وفقته وهديته ورحمته بقي هناك في السعادة
 والكرامة أبدا لا يباد (تنبيه) * احتج الوعيدية بهذه الآية على القطع بوقوع وعيد
 الفسق قالوا لان الوعيد داخل تحت لفظ الوعد لقوله تعالى قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل
 وجدتم ما وعد ربكم حقا والوعد والميعاد واحد وقد أخبر في هذه الآية أنه لا يخلف الميعاد
 واجب بأننا لم القول بالقطع بوقوع وعيد الفسق مطلقا بل ذلك مشروط بعدم العقوق
 هو مشروط بعدم التوبة بالاتفاق فكما أنكم أثبتتم ذلك الشرط بدليل منفصل فكذا نحن أثبتنا
 شرط عدم العقوق بدليل منفصل سلنا أنه توعدهم ولكن لانسلم أن الوعيد داخل تحت لفظ الوعد
 ويكون قوله فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا كقوله تعالى فيبشرهم بعذاب أليم وكقوله تعالى
 ذق انك أنت العزيز الكريم فيكون من باب التهكم وذكر الواحد في البسيطة أنه يجوز أن
 يحمل هذا على ميعاد الاولياء دون وعيد الاعداء لان خلف الوعيد كرم عند العرب لانهم
 يدعون بذلك كما قال القائل

إذا وعد السراء أنجز وعده * وإن وعد الضراء فالعفو مانعه

وقال الآخر أيضا

وإني وإن أوعده أو وعدته * لمخلف أبعادي ومخبر موعدى

ولما حكى الله سبحانه وتعالى دعاء المؤمنين ونصرهم حتى كيفية حال الكافرين وشدة عقابهم بقوله تعالى (إن الذين كفروا) وهو عام في الكفرة وقيل المراد بهم وفد تجران أو اليهود أو مشركو العرب (إن تغنى) أى إن تنفع ولن تدفع (عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) أى من عذابه وقيل من رحمته أو من طاعته على معنى البدلية قاله البيضاوى أى على أن من للبدل والمعنى إن تغنى عنهم من رحمة الله أو من طاعته شيئا أى بذل رحمته وطاعته قال أبو حيان وأثبت البدلية بجهور النعاة تأبأ. (وأولئك هم وقود النار) أى حطبها وفى ذلك كمال العذاب لأن كماله أن يزول عنه ما ينتفع به ثم يجتمع عليه الأسباب المؤلمة فالأقل هو المراد بقوله تعالى لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم فإن المرء عند الشدة يفزع إلى المال والولد لأنه ما أقرب الأمور التي يفزع إليها في دفع النوائب فينبى تعالى أن صفة ذلك اليوم مخالفة لصفة الدنيا وإذا تعذر عليه الانتفاع بالمال والولد وهما أقرب الطرق فاعدها بالتعذر أولى وتطيره يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وأما الثاني من أسباب كمال العذاب وهو اجتماع الأسباب المؤلمة فهو المراد بقوله تعالى وأولئك هم وقود النار وهذا هو النهاية في العذاب فإنه لا عذاب أعظم من أن تشتعل النار فيهم كاشته الها في الحطب اليابس وقوله تعالى (كذاب آل فرعون) أما استئناف مرفوع المحل خبر مبتدأ مضمرة تقديره دأبهم في ذلك كذاب آل فرعون وأما متصل بما قبله أى لن تغنى عنهم كالم تغنى عن أولئك أو توقد النار بهم كما توقد النار بأل فرعون وقوله تعالى (والذين من قبلهم) عطف على آل فرعون فيكون في محل جر وقيل استئناف فيكون في محل رفع على الابتداء والخبر وقوله تعالى (كذبوا يا أيها الذين آمنوا فآخذهم الله بذنوبهم) وعلى الأول تكون هذه الجملة مفسرة لما قبلها وقوله تعالى (والله شديد العقاب) فيه تهويل للواحدة وزيادة في توبيخ الكفرة * ولما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا يدر ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق قينقاع وقال يا معشر اليهود احذروا من الله تعالى أن ينزل بكم مثل ما نزل بقريش يوم بدر وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك أنك أقيمت أقواما أغمارا أى جهالا جمع غمرا لا علم لهم بالحرب فأصبت فيهم فرصة وأنا والله لو قاتلتك لعرفت أنا نحن الناس نزل (قل) يا محمد (لن الذين كفروا ستمغلبون) في الدنيا بالقتل والأسر وضرب الجزية وقد وقع ذلك بقتل قريظة وإسلام بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم (ومحسرون) في الآخرة (إلى جهنم وبئس المهاد) أى القراش والخصوص بالذم محذوف أى بئس المهاد جهنم وفي هذه الآية أخبار عن أمر يحصل في المستقبل وقد وقع خبره على موافقته فكان هذا الخبر بالغيب فكان معجزة ولهذه المازنات هذه الآية قال لهم صلى الله عليه وسلم إن الله غالبكم وحاشركم إلى جهنم وقرأ آية الجزية والكسائي بإلحاقهم محاطي

الغلبة والباقون بالتاء على الخطاب (فان قيل) أى فرق بين القراءتين من جهة المعنى (أجيب)
 بأن معنى قراءة التاء الامر بأن يخبرهم بما سيجرى عليهم من الغلبة والخسران إلى جهنم فهو اخبار
 بما سيغلبون ويخسرون وهو الكائن من نفس التوعد به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة
 بالياء الامر بأن يحكى لهم ما أخبر به من وعيد بلفظه كأنه قال أدايهم هذا القول الذى هو قولى
 للتسيغيبون ويخسرون (قد كان لكم آية) أى عبرة ودلالة على صدق ما أقول لكم انكم
 ستغلبون (فان قيل) لم يقل قد كانت لأن الآية مؤنثة (أجيب) بأنه انما ذكر الفعل للفصل
 بينه وبين الاسم المؤنث بل كم فان الفصل مسوغ لذلك مع المؤنث الحقيقي كقوله
 ان امرأه منك واحدة * بعدى وبعدك في الدنيا المغرور

قال القراء وكل ما جاء من هذا الصوف هذا وجهه والخطاب لمشركى قريش وقيل لليهود وقيل
 للمؤمنين (في فئتين) أى فرقتين (التقيا) يوم بدر (فئة) مؤمنة (تقاتل في سبيل الله) أى طاعته
 وهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله تعالى عنهم وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة
 وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا من الانصار وصاحب راية
 المهاجرين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وصاحب راية الانصار سعد بن عباد وكان فيهم
 سبعون بعيرا وفرسان فرس للمقداد بن عمرو وفرس لمرد بن أبي مرثدوا أكثرهم رجالة وكان
 معهم من السلاح ستة أدرع وثمانية سيوف (و) فئة (أخرى كافرة) تقاتل في سبيل الشيطان
 وهم مشركو مكة وقوله تعالى (يرؤنهم مثلهم) قرأ نافع بالتاء على الخطاب أى ترى المؤمنون
 المشركين مثل المؤمنين وكانوا ثلاثة أمثالهم ليثبتوا لهم ويوقنوا بالنصر الذى وعدهم به في قوله
 ان تكون منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين بعدما كانوا أن يقاوم الواحد العشرة في قوله تعالى
 ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين والباقون بالياء على الغيبة أى يرى المشركون
 المؤمنين مثل عدد المشركين وكانوا تسعمائة وخمسين أو مثل عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وثلاثة
 عشر (فان قيل) هذا مناقض لقوله تعالى في سورة الانفال ويقتل لكم في أعينهم (أجيب) بأنه
 قلاهم أولا حتى اجترأ عليهم فلما لا قوهم كثروا امداد من الله تعالى للمؤمنين في أعينهم حتى
 غابوا فكان الثقليل والتكثير في حالين مختلفين (رأى) أى فى رأى (العين) أى رؤية ظاهرة
 مكشوفة لا لبس فيها مائة كسائر المعانيات وقد نصرهم الله تعالى مع قلتهم (والله يؤيد) أى
 يقوى (نصره من يشاء) نصره كما أيد أهل بدر بتكثيرهم في عين العدو (ان في ذلك) المذكور (عبرة)
 أى هظة (لاولى الابصار) أى لذوى البصائر فلا تعتبرون بذلك فتؤمنون (زين للناس حسب
 الشهوات) أى ما تشتهيه النفس وتدعو اليه والمزين هو الله تعالى لا ابتلاء كقوله تعالى انا جعلنا
 ما على الارض زينة لها اتبلوهم أولانه من أسباب التعيش وبقاء النوع الانسانى أولانه يكون
 وسيلة الى السعادة الآخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله وقيل الشيطان هو المزين وذهب
 اليه المعتزلة واستدلوا بقول الحسن الشيطان والله زينها لانا لا نعلم أحدا أذم لها من خالقها وانما
 سميت شهوات مبالغة وإيماء الى أنهم انهم مكروا في محبتها حتى أحبوا شهواتها كقوله تعالى

أحببت حب الخير والشهوة مسترذلة عند الحكماء مذمومة من اتباعها شاهد على نفسه بالبهيمة
ثم بين ذلك بقوله تعالى (من النساء) انما بدأ بهن لانهم حبائل الشيطان (والبنين والقناطر)
جمع قنطار وهو المال الكثير قيل مل مسك نور أي مل جلداه وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه
القنطار مائة ألف دينار وقال ابن عباس والنضال ألف ومائتا مثقال (المقنطرة) أي الجمعية
وقال السدي المضروبة المنقوشة حتى صارت دراهم ودنانير وقال النراء المضعفة فالقناطر
ثلاثة والمقنطرة تسعة (من الذهب والفضة) قيل سمي الذهب ذهباً لانه يذهب ولا يبقى والفضة
فضة لانها تنفض أي تتفرق (والخيل المسومة) أي الحسان وقال سعيد بن جبير هي الرابعة
يقال أسام الخيل وسومها والخيل جمع لا واحد له من لفظه واحدها فرس صك القوم والنساء
(والانعام) جمع النعم وهي الابل والبقر والغنم جمع لا واحد له من لفظه (والحرث) أي الزرع
(ذلك) أي ما ذكر من النساء وما بعده (متاع الحياة الدنيا) أي يتمتع به فيها ثم يفنى (والله عنده
حسن المسآب) أي المرجع وهو الجنة فينبغي الرغبة فيما عنده من اللذات الحقيقية الابدية
دون غيره من الشهوات النقصانية (فان قيل) المسآب قسمان الجنة وهي في غاية الحسن
والنار وهي خالية عن الحسن كما قال تعالى ان جهنم كانت مرصداً للطاغين ما آبا (أجيب)
بأن المقصود بالذات هو الجنة وأما النار فمقصودة بالعرض والمقصود بالآية الترهيب في الدنيا
والترغيب في الآخرة (قل) يا محمد لقومك (أو نبشكم) أخبركم (بغير من ذلكم) أي المذكور
من الشهوات وهذا استفهام تقريرى * (تنبيه) * هنا همزتان مختلفتان من كلمة الاولى مفتوحة
والثانية مضمومة قرأواون بتحقيقى الاولى وتسهميل الثانية وأدخل بينهما ما ألقاوا ورش يسمل
الثانية من غير ادخال ألف وينقل حركة الهمزة الاولى الى اللام من قل فتصير اللام مفتوحة
والثانية مضمومة وابن كثير كوش الا أنه لا ينقل الحركة الا الى لفظ القرآن وقرآن وأبو عمرو
يسمل الثانية ويدخل بينهما ما ألفا كقالون وله وجه آخر وهو عدم ادخال ألف بينهما والباقون
بتحقيقهما ما وقوله تعالى (للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) أي
مقدرين الخلود فيها اذا دخلوها كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول
هل أدلك على رجل عالم عندي رجل عالم من صفته كيت وكيت ويجوز أن تتعلق اللام بخير
وترفع جنات على هو جنات (وأزواج مطهرة) من الحيض وغيره مما يستقذر من النساء
وقوله تعالى (ورضوان من الله) قرأه شعبة بضم الراء والباقون بكسرها وهما الغتان الكسر
لغة الجواز والضم لغة تميم وقيل بالكسر اسم وبالضم مصدر وعن أبي سعيد الخدري رضى
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا اهل
الجنة فيقولون ابيك ربنا وسعديك والخير في يدك فيقول هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى
يارب وقد أعطيتنا ما لم نعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيتكم أفضل من ذلك فيقولون يا ربنا
وأى شيء أفضل من ذلك فيقول أهلك عليكم رضوانى فلا أضغط عليكم بعده أبدا * (تنبيه) * قد نبه
سبحانه وتعالى في هذه الآية على نعمه فأدناها متاع الحياة الدنيا وأعلاها رضوان الله لقوله

تعالى ووضوان من الله أكبر وأوسطها الجنة ونعيمها (والله بصير) أي عالم (بالعباد) أي
بأعمالهم فيجازي كلامهم بعمله أو بأحوال الذين اتقوا فلذلك أعد لهم جنات وقوله تعالى
(الذين) نعت للذين اتقوا وللعباد أو بدل من الذين قبله (يقولون) يا ربنا آتانا أي صدقنا
(فاغفر لنا ذنوبنا) أي استرها علينا وتجاوز عنا (وقنا عذاب النار) * (تنبيه) * في ترتيب سؤال
المغفرة وما عطف عليها وسيلة على مجزء الايمان دليل على أن مجزء الايمان كاف في استحقاق
المغفرة والاستعداد لاسبابها وأسباب ما عطف عليها وقوله تعالى (الصابرين) أي على الطاعة
وعن المعصية وعلى البأساء والضراء نعت (والصادقين) أي في ايمانهم وأقوالهم قال قتادة هم
قوم صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وألستهم فصدقوا في السر والعلانية (والقانتين) أي
المطمئنين لله (والمتصدقين) (والمستغفرين بالاصحاح) أي أو آخر الليل كان
يقولوا اللهم اغفر لنا خست بالذكر لانهم اوقت الغفلة ولذة النوم وفي هذا كما قال البيضاوي
حصر لمقامات السالك على أحسن الترتيب أي الذكرى فإن معاملة مع الله أما توسل وأما
طلب والتوسل أما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشمله وأما
بالبدن وهو أتماقولي وهو الصدق وأما على وهو القنوت الذي هو لازمة الطاعة وأما بالمال
وهو الانفاق في سبيل الخير وأما الطلب فالاستغفار لان المغفرة أعظم المطالب بل الجاهع لها
انتهى وتوسيط الواو بين الصابرين وما بعده للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكما لهم فيها
أولغاير الموصوفين بالصفات وتخصيص الاصحاح لان الدعاء فيه بأقرب من الدعاء في غيرها إلى
الاجابة لان العبادة - ينتدأ شق والنفس أصنى والعقل أجمع لمعاني الانفاط التي ينطق بها
لا سيما للمتمسك بقل انهم كانوا يصلون إلى السحر ثم يستغفرون ويدعون وعن الحسن كانوا يصلون
في أول الليل حتى اذا كان السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار فذا انهم هذا اليلهم وعن أبي
هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله إلى السماء الدنيا أي
أمره كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب
له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له وحكي عن الحسن أن لقمان قال
لابنه يا بني لا تكن أبجزم من هذا الديك يصوت في الاصحاح وأنت نائم على فراشك وعن زيد بن أسلم
أنه قال هم الذين يصلون الصبح في جماعة وعبر بالسحر لقربه من الصبح (شهد الله) أي بين خلقه
بالدلائل وانزال الآيات (أنه لا اله) أي لا معبود بحق في الوجود (الاهو) قال الكلبي قدم
حبران من أحبار الشام على النبي صلى الله عليه وسلم فلما أبصر المدينة قال أحدهما لصاحبه
ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخل
عليه عرفاه بالصفة فقالا له أنت محمد قال نعم قال له وأنت أحمد قال أنا محمد وأحد قالانا فأنسا لك
عن شيء فان أخبرتنا به آمنا بك وصدقنا فقال لهم اسلا قالوا أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله
عز وجل فأنزل الله هذه الآية فأسلم الرجلان وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما خلق الله
الارواح قبل الاجسام بأربعة آلاف سنة وخلق الله الارزاق قبل الارواح بأربعة آلاف سنة

فشهد لنفسه بنفسه قبل أن يخلق الخلق حين كان ولم يكن سماء ولا أرض ولا بحر ولا جوف فقال
 شهد الله أنه لا اله الا هو (و) شهد بذلك (الملائكة) أى أقترأ بذلك (و) شهد بذلك (أولو العلم) أى
 بالايان بذلك والاحتجاج عليه (فان قيل) ما المراد بأولى العلم الذين عظمهم الله تعالى هذا التعظيم
 حيث جمعهم معه ومع الملائكة فى الشهادة على وحدانيته وعدله (أجيب) بأن المراد بهم أنهم
 الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد
 من الانبياء والمؤمنين وفيه دليل على فضل علم أصول الدين وشرف أهله وقوله تعالى (قائماً) أى
 بتدبيره صنوعه حال من الله وانما جازا فراده تعالى به لعدم اللبس وان اختلف فى جاءنى زيد
 وعمروا بكافة قدمه الزمخشري وتبعه البيضاوى وجوزة أبو حيان وقال يحمل على الاقرب
 كما فى الوصف فى نحو جاءنى زيد وعمروا الطويل أحوال من هو والعامل فيها معنى الجملة أى تفرد
 (بالقسط) أى بالعدل وقوله تعالى (لا اله الا هو) كقولنا كيد ومزید الاعتناء بمعرفة أدلة
 التوحيد والحكم به بعد إقامة الحجج وليبني عليه قوله تعالى (العزيز) أى فى ملكه (الحكيم)
 أى فى صنعه فيعلم انه الموصوف به ما وقدم العزيز لان العزة تلائم الوحدة والحيكمة تلائم
 القيام بالقسط فأتى به ما لتقرير الامرين على ترتيب ذكرهما ورفعهما على البذل من الضمير
 الاول أو الثانى أو على الخبر المهدوف وعن أبى غالب القطن قال أتيت الكوفة فى تجارة
 فنزلت قرية من الاعشى وكنت أختلف اليه فلما كنت ذات ليلة أردت أن أتحدا الى البصرة
 فقام من الليل يتجدد قريبه هذه الآية أى شهد الله الى آخرها ثم قال الاعشى وأنا أشهد بما شهد
 الله به واستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها مرارا
 قلت لقد سمع فيها قولاً لميت معه وودعته ثم قلت انى سمعتك ترددها فابلق فيها قال والله
 لا أحدثك بها الى سنة فمكثت على بابها ذلك اليوم وأقت سنة فلما مضت السنة قلت يا أبا محمد قد
 مضت السنة فقال حدثنى أبو واثل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجبا
 بصاحبها يوم القيامة فيقول الله ان لعبدى هذا عندى عهداً وأما حق من وفى بالعهد أدخلوا
 عبدى الجنة وروى هذا الحديث الطبرانى والبيهقى لكن بسند ضعيف وقوله تعالى (ان الدين)
 أى المرضي (عند الله) هو (الاسلام) جملة مستأنفة وكدة للاولى أى لادين مرضى عند الله
 سوى الاسلام وهو الشرع المبعوث به الرسل كما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام ديناً وقال تعالى
 ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين وقرأ الكسائى بفتح همزة
 ان قيل على أنه بدل من أنه الخ بدل احتمال وضعفه أبو حيان لان فيه فصلا بين البدل والمبدل منه
 بأجنبي قال والصواب انه مع قول للحكيم باسقاط الجار أى الحكيم بأن الدين والباقون بكسرهما
 على الاستئناف (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) أى من اليهود والنصارى وقيل من أرباب
 الكتب المتقدمة فى دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاة آخرون
 مطلقاً وفى التوحيد فقلت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا تكافأ حق بأن تكون
 النبوة قيناً من قريش لانهم أمةيون ونحن أهل الكتاب (الامن بعد ما جاءهم العلم)

بالتوحيد انه الحق الذي لا يحيد عنه (بغيا) أى ما كان ذلك الاختلاف وتظاهره هو لا بمذهب
 وهو لا بمذهب الاحسد (بينهم) وطلب الرئاسة وقيل هو اختلاف في نبوة محمد صلى الله عليه
 وسلم من بعد ما جاءهم العلم ببيان بعثته في كتبهم حيث آمن به بعض وكفربه بعض وقيل هو
 اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم من آمن موسى ومنهم من آمن عيسى ولم يؤمن ببقية الانبياء
 وقوله تعالى (ومن يكفربايات الله فان الله سرير الحساب) أى المجازاة له وعيد لمن كفر منهم
 (فان ما جوك) أى جادل الذين كفروا يا محمد في الدين (فقل) لهم (أسلمت وجهي لله) أى
 أخلصت نفسي وبعثني لله وحده لم أجعل فيه ما لغيره شركا بأن أعبد معه ولا أدعوا الهامعة يعنى
 أن ديني دين التوحيد وهو الدين القويم الذي ثبت عندكم صحتكم كما ثبت عندى وما جئت بشئ
 مبتدع حتى تجادلوني فيه وخص الوجه بالذكور لشرفه فهو تعبير عن جملة النخص بأشرف
 أجزائه الظاهرة وقوله تعالى (ومن آتبعن) عطف على التاء فى أسلمت وحسن للافاصل ويجوز
 كما قال فى الكشف أن تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه أى نظرا الى أن المشاركين
 المتعاطفين فى مطلق الاسلام أى الاخلاص لافيه بغير وجهه حتى يتسع ذلك لاختلاف
 وجهيهما (وقل للذين أتوا الكتاب) وهم اليهود والنصارى (والأقيمين) أى الذين لا كتاب لهم
 وهم مشركو العرب (أسلمتم) أى فهل أسلمتم كما أسلمت أنا فقد أتاكم من البينات ما يوجب الاسلام
 ويقتضى حصوله لا محالة أم أنتم بعد على الكفر وهذا كقولك ان خلصت له المسئلة ولم تبق من
 طرق البيان والكشف طريقا لاسلكته هل فهمتها وفي هذا الاستفهام استقصا وتعبيرا بالمعانة
 وقلة الانصاف لان المنصف اذا انجلت له الحجة لم يتوقف ادعانا للحق وكذلك فى هل فهمتها توابع
 بالبلادة وقيل المراد بالاستفهام هنا الامر أى أسلموا كما قال تعالى فهل أنتم مستهون أى اتهموا
 (فان أسلموا فقد اهتدوا) أى تفعلوا أنفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة
 الى النور فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقال أهل الكتاب أسلمنا فقال لليهود
 أنشهدون أن عيسى كلمة الله وعبدوه ورسوله فقالوا معاذ الله وقال للنصارى أنشهدون أن عيسى
 عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله أن يكون عيسى عبدا فقال عز وجل (وان تولوا) أى عن
 الاسلام لم ينزروك (فانما عليك البلاغ) أى فانك رسول منبه ما عليك الا أن تبلغ الرسالة وتنبه
 على طريق الهدى وقد بلغت وليس اليك الهداية (والله بصير العباد) أى عالم بمن يؤمن ومن
 لا يؤمن فيجازى كلامهم بعمله وهذا قبل الامر بالقتال (ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون
 النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط) أى بالعدل (من الناس) وهم اليهود قتل اولهم
 الانبياء وقتلوا أتباعهم ومن فى عصره صلى الله عليه وسلم كفروا به وقصدوا قتله صلى الله
 عليه وسلم والمؤمنين لكن الله تعالى عصمهم وعن أبي عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله أى
 الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أو مريعا عرف ونهى عن منكر وروى أنهم
 قتلوا ثلاثة وأربعين نبيا فمنهم مائة وسبعون من عبادهم فقتلواهم من يومهم وخبرناهم (فبشرهم)
 أى أعلمهم (بعذاب أليم) أى مؤلم وذكر البشارة تهكم بهم (فان قيل) لم أدخل القاء فى خبرنا مع أنه

لا يقال ان زيدا فاعاثم (أجيب) بأن الموصول متضمن معنى الشرط فكأنه قيل الذين يكفرون
فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم (أرلث الذين حبطت أعمالهم) أى ما علموه من خير كصدقة
وصله رحم (في الدنيا والآخرة) فلا يعتد بهم لعدم شرطها (ومألهم من ناصرين) أى مانعين عنهم
العذاب (ألم تر) أى تنظر (الى الذين أووا نصيبا) أى حظا (من الكتاب) أى التوراة أو جفرت
الكتب السماوية ومن للتبعيض أو البيان قال البيضاوى وتكثير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير
انتهى أما التعظيم فظاهر وهو ما اقتصر عليه الزمخشري وأما التحقير فنسبه نظر اذ النصيب
المراد به الكتاب أو بعضه لاحقارة فيه وقد يقال ان تحقيره بالنسبة اليهم حيث لم يمدوا به
(يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم) الداعى هو محمد صلى الله عليه وسلم وكتاب الله القرآن
أو التوراة واختلفوا فى سبب نزول هذه الآية فروى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس أى موضع صاحب
دراسة كتبهم على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو والحارث
ابن زيد على أى دين أنت قال دين ابراهيم فقال له ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فهاؤا الى التوراة فهى يتناوونكم فأيسأ عليه فأنزل الله عز وجل هذه الآية
وروى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ما أن رجلا وامرأة من أهل
خير زينا وكان فى كلهم الرجم فكرهوا رجمهما الشرفهما ففهم فرفعوا أمرهما الى النبي صلى
الله عليه وسلم ورجوا أن تكون عنده رخصة فحكم عليهم ما بال رجم فقال له النعمان بن أوفى
رعدى بن عمرو جرت علينا يا محمد ليس عليهم ما الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينى
وبينكم التوراة قالوا قد أنصفتنا قال فن أعلمكم بالتوراة قالوا رجل يقال له عبد الله بن صوريا
فأرسلوا اليه فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ من التوراة فيها الرجم مكتوب فقال له اقرأ
فلما أتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن
سلام يا رسول الله قد جاوزها وقام فرفع كفه عنها ثم قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى
اليهودان المحسن والمحصنة اذ اذينا وقامت عليهما البيعة رجعا وان كانت حبلى تبرص حتى تضع
ماني بطنها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فربحوا فغضب اليهود وانصرفوا فأنزل
الله عز وجل هذه الآية (ثم يولى فريق منهم) وأتى بتم لاستبعاد توأيمهم مع علمهم بأن الرجوع
الى كتاب الله تعالى واجب لا للتراخي فى الزمان اذ لا تراخي فيه وقوله تعالى (وهم معرضون)
أى عن قبول حكمه جلة حاله من فريق وانما ساغ تخصيصه بالصفة (ذلك) إشارة الى ما ذكر
من التولى والاعراض (بأنهم قالوا) أى بسبب قولهم (لن نمسنا النار الا أياما معدودات) أى
قالوا ذلك بسبب تسهيلهم أمر العقاب على أنفسهم لهذا الاعتقاد المائل والطمع الفارغ عن
حصول المطموع فيه وهو الخروج من النار بعد أيام قليلة وهى أربعة وثمانون يوما مدة عبادة
آبائهم المحجل ثم نزول عنهم (وغرهم فى دينهم) والغرور هو الاطماع فيما لا يحصل منه شئ
(ما كانوا يفترون) أى من أن النار لن تمسهم الا أياما قلائل أو ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم

أوانه تعالى وعدي يعقوب أن لا يعذب أولاده الا تحلة القسم * (تنبيه) * في دينهم متعلق بقرهم ولا يصح تعلقه بغيرهم فيفترون خلافا للسيوطي لان ما قبل الموصول لا يتعلق بما بعده (فكيف حالهم أوفكيف صنعهم) (اذاجعناهم ليوم) أي في يوم (الاريب) أي لانتك (فيه) وهو يوم القيامة وفي ذلك استعظام لما يحق بهم في الآخرة روى أن أقول راية أي علم ترفع يوم القيامة من رايات الله كزاراية اليهود فينهضهم الله تعالى على رؤس الاشهاد ثم يؤمر بهم الى النار (ووفيت كل نفس) أي من أهل الكتاب وغيرهم جزاء (ما كسبت) أي عملت من خير أو شر وفي ذلك دليل على أن العبد لا يقبض وأن المؤمن لا يضاد في النار وان دخلها لان توفية ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذا هي بعد الخلاص ان دخلها (وهم لا يظلمون) أي بنقص حسنة أو زيادة سيئة * (تنبيه) * ذكر ضمير وهم لا يظلمون وجعله باعتبار معنى كل نفس لانه في معنى كل انسان ولما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة ووعداً منته ملك فارس والروم قال المنافقون واليهود هيأت هيئات من اين لمحمد ملك فارس والروم أولم يكف محمداً مكة والمدينة حتى يطمع في ملك فارس والروم فأنزله الله سبحانه وتعالى (قل اللهم) أي يا الله والميم عوض عن ياء النداء ولذلك لا يجتمعان والتعويض من خصائص هذا الاسم كما اختص بدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته وكما اختص بدخول تا القسم عليه وأما قولهم ترب الكعبة فنادر (مالك الملك) أي مالك العباد وما ملكوا قال الله تعالى في بعض الكتب المنزلة أنا الله ملك الملوك ومالك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى أعطفهم عليكم وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم كما يكونوا يولي عليكم (تؤتي) أي تعطي (الملك) أي في الدنيا (من تشاء) من خلقك (وتنزع الملك من تشاء) منهم وقيل المراد بالملك التبوذة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وقال الكلبي تؤتي الملك لمحمد وأصحابه وتنزعه من أبي جهل وصناديد قريش وقيل تؤتيه لآدم وذريته وتنزعه من ابليس وبنوده (وتعز من تشاء) من خلقك وقيل محمد وأصحابه حتى دخلوا مكة في عشرة آلاف ظاهرين عليها (وتذل من تشاء) منهم وقيل أبا جهل وأصحابه حزت رؤسهم وألقوا في القليب وقيل تعز من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالعصية وقيل تعز من تشاء بالقناعة وتذل من تشاء بالحرص والطمع وقيل تعز من تشاء بالتعبد وتذل من تشاء بتركه (بيدك) أي بقدرتك (الخير) أي والشرواقتصر على الاقل لمسارعة الادب في الخطاب أو اكني بذكر أحد المقابلين كما في قوله تعالى سراييل تقيمكم الحرأى والبرأى ولان الكلام وقع فيه اذ روى البيهقي وغيره أنه صلى الله عليه وسلم لما خطب الخندق وقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً وأخذوا يحفرون فظهر فيه حفرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا المسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بخباء وأخذ المعول منه ففصر بها ضربة قصد بها برق منها برق أضواء ما بين لا يتبين أي المدينة فكانت بها مصيبا حجاباً في جوف بيت مظلم فكبر وكبر المسلمون وقال أضواءت لي منها قمود والحيرة كأنها

أنياب الكلاب أى فى بياضها وصفرتها وانضمام بعضها الى بعض واللابتان حرتان يكتنفانها
 والحرة كل أرض ذات حجارة سوداء كأنها محترقة من الحر ثم ضرب الثانية فقال أضاءت لى منها
 القصور والحرم من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال أضاءت لى قصور صنعاء وأخبرنى جبريل
 أن أمتى ظاهرة على كلها أى الاراضى التى أضاءت فأبشروا فقال المنافقون ألا نهجبون
 عنكم أيها المؤمنون ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يصرون يثرب أى المدينة قصور الحيرة وأنها تنفخ
 لكم وأنتم انما تحفرون الخندق من الفرق أى الخوف فبزت وبه أيضا على أن الشريعة بده بقوله
 (انك على كل شئ قدير) والشريعة شئ ثم عقب ذلك ببيان قدرته على تعاقب الليل والنهار والموت
 والحياة وسعة فضله فقال (توبخ) أى تدخل (الليل فى النهار) حتى يكون النهار خمس
 عشرة ساعة والليل تسع ساعات (وتوبخ) أى تدخل (النهار فى الليل) حتى يكون الليل خمس
 عشرة ساعة والنهار تسع ساعات فيزيد كل منهما بما ينقص من الآخر (وتخرج الحى من الميت)
 كالانسان من النطفة والطائر من البيضة (وتخرج الميت من الحى) كالنطفة من الانسان
 والبيضة من الطائر وقال الحسن وعطاء تخرج المؤمن من الكافر وتخرج الكافر من المؤمن
 فالؤمن حى القواد والكافر ميت القواد قال الله تعالى أو من كان ميتا فأحييناه وقال الزجاج
 تخرج النباتات الغض الطرى من الحب اليابس وتخرج الحب اليابس من النبات الحى
 الذامى وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة الميت بسكون الياء والباقيون بكسر الياء
 مشددة (وترزق من تشاء بغير حساب) أى رزقا واسعا عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى
 عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل
 عمران شهد الله الى قوله إن الدين عند الله الاسلام وقل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب
 معالقات ما بينهما وبين الله عز وجل حجاب قلن يا رب تهبطنا الى أرضك والى من يعصيك قال الله
 عز وجل لى خلقت لا يقرأ كن أحد دبر كل صلاة الا جعلت الجنة مشوا على ما كان فيه
 ولا تسكنه حظيرة قدسى ولا نظرن اليه بعينى المكنونة كل يوم سبعين مرة ولا قضين له كل يوم
 سبعين حاجة أذناها المغفرة ولا عيذته من كل عدو وحاد ولا نصرته منه (لا يتخذ المؤمنون
 الكافرين اولىاء) يوالونهم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما زلت فى المنافقين عبد الله بن
 أبى وأصحابه كانوا يولون اليهود والمشركين ويأقونهم بالاخبار يرجون أن يكون لهم الظفر
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية ونهى المؤمنين أن يوالوا الكافرين
 اقربا بينهم أو صداقة قبل الاسلام أو غير ذلك من الاسباب التى يتصادق بها واية عاشر وقوله
 تعالى (من دون) أى غير (المؤمنين) اشارة الى أنهم الاحق بالموالاة وأن فى والاتهم
 مندوحة عن موالاة الكفرة والهبة فى الله والبغض فى الله باب عظيم وأصل من أصول الايمان
 (ومن يفعل ذلك) أى يوالى الكفرة (فليس من الله) أى من ولاية الله (فى شئ) يصح أن يسمى
 ولاية شرعية فان ولاية المتعادين لا يجة ان لما بينهما من التضاد كما قال القائل
 فليس أخى من ودى رأى عينه * ولكن أخى من ودى فى المغايب

وقد عد دقي ثم تزعم أنني * صديقك ليس النول عنك بعازب
 بعين مهمله وزاي أي بغائب والنول بضم النون والجنون ثم استثنى فقال (الآن تنقوا
 منهم ثقة) أي الآن تخافوا منهم مخافة فلنكم موالاتهم باللسان دون القلب كما قال عيسى عليه
 الصلاة والسلام كن وسطاً أي في معاشرتهم ومخالفاتهم وامش جانباً أي من موافقتهم فيما
 يأمر ون ويزرون وهذا قبل عزة الاسلام ويجري في بلد ليس قوا فيها قال معاذ بن جبل ومجاهد
 كانت التقية في بدء الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين وأما اليوم فقد أعز الله الاسلام
 فليس ينبغي لأهل الاسلام أن يتقوا من عدوهم (ويحذركم الله) أي يخوفكمكم (نفسه) أن يغضب
 عليكم ان واليتقوهم (والى الله المصير) أي المرجع فيجازيكم فلا تتعرضوا للسخط بخلافه أحكامه
 وموالاة أعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتهامى المنهى عنه في القبح وذكر النفس ليعلم أن المهدر
 منه عقاب يصدر منه فلا يبالى عنده بما يحذر من الكفرة (قل) لهم يا محمد (ان تخفوا ما في
 صدوركم) أي قلوبكم من موالاة الكفار أو غيرها بما لا يرضى الله (أو تبدوه) أي تظهروه
 (يعلم الله) ويحفظه عليكم حتى يجازيكم به وقال الكلبي ان تسروا ما في قلوبكم لرسول الله صلى
 الله عليه وسلم من التكذيب أو تظهروه بحربه وقتاله يعلمه الله (و) هو الذي (يعلم ما في السموات
 وما في الارض) لا يخفى عليه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلايتكم (والله على كل شيء قدير)
 فهو قادر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتكم عنه وهذا بيان لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه
 لان نفسه متصفة به لم ذاتي يعط بالعلم والمات كاه او قدرة ذاتية نعم المتسدورات بأسرها فلا
 تعصوه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عايم الاحماله قادر على العقاب بما رلوع لم بعض عبيد
 السلطان انه أراد الاطلاع على أحواله بأن يوكل من يتجسس عنه مواطن أموره لاخذ حذره
 منه كل المذرف بال من علم أن العالم الذي يعلم السر وأخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم انا نعوذ
 بك من اغترارنا بسترنا ونسألك البقطة من سنة الغفلة (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً)
 نصب يوم يحضر نحو اذكرو قوله تعالى (وما علمت) أي علمته (من سوء) مبتدأ خبره (تود لو أن بينها)
 أي النفس (وبينه) أي السوء (أمد بعيداً) أي غاية في نهاية البعد فلا يصل اليها وكرر سبحانه
 وتعالى (ويحذركم الله نفسه) قال البيضاوي للتأكيذ والتذكير وقال التفتازاني الاحسن ما قيل
 ان ذكره أولاً للمنع من موالاة الكافرين وثانياً للتحذير على عمل الخير والمنع من عمل الشر وقوله
 تعالى (والله رؤوف بالعباد) اشارة الى أنه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة
 اصلاحهم وعن الحسن من رأفته بهم أن حذرهم نفسه وقرأ أبو عمرو وشعبة وحزرة والكسائي
 رؤف بقصر الهمزة والباقون بالمد وورش على أصله في المد والتوسط والقصر ونزل في اليهود
 والنصارى حيث قالوا نحن أبناء الله وأحببناؤه (قل) لهم يا محمد (ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
 يحببكم الله) وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما وقف النبي صلى الله عليه وسلم
 على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بض النعام وهم يسجدون
 لها فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملأ أبيكم ابراهيم واسماعيل فقال له قريش انما نعبدها

حب الله تعالى ليقربونا الى الله زلفى فقال الله تعالى قل لهم يا محمد ان كنتم تحبون الله وتعبدون
 الاصنام لتقربنكم اليه فاتبعوني يحببكم الله فأنا رسوله اليكم وحبته عليكم أى اتبعوا شريعته
 وسنتي يحببكم الله فحب المؤمنين لله اتباعهم أمره وايتا طاعته وابتغاء مرضاته وحب الله
 للمؤمنين ثأفه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم فذلك قوله تعالى (ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور)
 لمن اتبعنى ما سلف من ذنبه قبل ذلك (رحيم) به وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقوله تصديقاً من عملهم فمن ادعى محبته وخالف
 سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كذاب وكذاب الله يكذبه وإذا رأيت من يذكر محبة الله ويصدق
 بيديه مع ذكره ويضطرب زينه ويصدق فلا شك أنه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفية
 وطربه ونعته وصعقته الا لا تصور في نفسه الخبيثة صورة مستحقة معشقة فسمها الله بجهله
 وادعائه ثم صدق وطرب ونعر وصعق عند تصورها ورجا رأيت المني قد ملأ إذا رذلك المحب عند
 صعقته وحق العامة حواله قد ملأ إذا فأنهم بالدموع لما رأوه من حاله * ولما نزلت هذه الآية
 قال عبد الله بن أبي لهباب ان محمداً يجعل طاعته كطاعة الله وبأمرنا أن نعبه كأحب النصارى
 عيسى نزل قوله تعالى (قل) لهم (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) فيما يأمرهم به من التوحيد (فان تولوا)
 أى أعرضوا عن الطاعة (فان الله لا يحب الكافرين) أى لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم وانما أتى
 بالظاهر ولم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولى كفر وأنه من هذه الخبيثة ينفي محبة
 الله وأن محبته مخصوصة بالمؤمنين ولما أوجب الله سبحانه وتعالى طاعة الرسل عليهم الصلاة
 والسلام وبين أنهم الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا على الطاعة فقال تعالى
 ان الله اصطفى (أى اختار) آدم ونوحاً وآل إبراهيم وهم اسميل واسحق وإسحاق ولدهما الرسل
 وقد دخل في آل إبراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم (وآل عمران) موسى وهرون وإسحاق
 ابن يصر (على العالمين) بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قروا على ما لم يقو
 عليه غيرهم وبهذه الآية استدلل على فضل الرسل على الملائكة وقيل آل عمران عيسى وأمه
 مريم بنت عمران بن ماثان وكان بين العمرانيين ألف وغنائمة سنة وقيل آل إبراهيم وآل عمران
 أئمة هما وقوله تعالى (ذرية) بدل من آل إبراهيم وآل عمران (بعضها من) ولد (بعض) منهم
 وقيل بعضها من بعض في الدين والذرية تقع على الواحد والجمع والذكر والانثى (والله سميع)
 لا قول الناس (عليم) بأحوالهم فيصطفى من كان منهم مستقيماً بالقول والحال وإذا ذكر (إذا قالت
 امرأت عمران) وهى حنة بنت فاقوذا أم مريم وعمران هو عمران بن ماثان رئيس بني إسرائيل
 وليس هو عمران أب موسى وهرون اذ كان بين العمرانيين ألف وغنائمة سنة كما مر وكان بنو ماثان
 رؤس بني إسرائيل وأخبارهم وملوكهم (فائدة) رسمت امرأة بالتاء المجردة ووقف ابن كثير
 وأبو عمرو والكسائي بالهاء والباقون بالتاء ووقف الكسائي بالفتح والامالة وإذا وقف حنة
 سهل الهمة وروى أن حنة كانت عاقراً عجوزاً فيبنيها في ظل شجرة إذ رأت طائراً يطعم فرخه
 فحنت الى الولد وسمته فقالت اللهم ان لك على نذرا شكر ان رزقتنى ولداً أن تصدق به على بيت

المقدس فيكون من خدمه فحملت فلما أحست بالحمل قالت يا (رب اني نذرت) أن أجعل (لك) ما في بطني محررا) أي عسقا خالصا من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس وكان هذا النذر مشروعا في عهدهم في الغلمان فقال لها ازوجها ربحك ما صنعت أرايت ان كان ما في بطنك أنثى لا تصلح لذلك فوقعنا جميعا في هم من ذلك وهلك عمران وحفصة حامل بعرىم (فتقبل مني) ما نذرته (انك أنت السميع) اقولى (العليم) بنيتي (فلما وضعتها) أي ولدتها جارية والضمير لما في بطنها وانما أنت على المعنى لأن ما في بطنها كان أنثى في علم الله أو على تأويل النفس أو التسمية ولم يكن محررا والا الغلمان وكانت ترجو أن يكون غلاما ولذلك نذرت تحريره (قالت) معذرة يا (رب اني وضعتها أنثى) * فان قيل كيف جازا تصاب أنثى حال من الضمير في وضعتها وهو كقوله وضعت الانثى أنثى (أجيب) بأن الاصل وضعتها أنثى وانما أنت لتأنيث الحال لأن الحال وصاحبها بالذات واحد وأما على تأويل النفس أو التسمية فهو ظاهر كأنها قالت اني وضعت النفس أو التسمية أنثى (والله أعلم) أي عالم (بما وضعت) قرأ ابن عامر وشعبة بسكون العين وضعت التاء فيكون من كلامها قالت تسلبية لنفسها أي ولعل الله فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر وقرأ الباقر بن بفتح العين وسكون التاء فيكون من كلام الله تعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله أعلم بالانثى التي وضعت وما عاق به من عظام الامور وان يجعلها او ولدها آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لاتعلم منه شيئا فلذلك تحسرت وقرأ أبو عمرو والله أعلم بسكون الميم واخفائها عند الباء بخلاف عنه والباقر بن الاظهار وقوله تعالى (وليس الذكر كالانثى) بيان لما في قوله والله أعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد أمامه هو دلام الانثى ففي قولها اني وضعتها أنثى وأمامه هو دلام الذكر ففي قولها محررا ويجوز أن يكون معنى قولها وليس الذكر كالانثى أي وليس الذكر والانثى سيين فيما نذرت لما يعتري الانثى من الحيض والنفاس فتكون اللام للجنس وقوله تعالى (واني سميتها مريم) عطف على اني وضعتها أنثى وما بينهما ما جلتنا معترضتان كقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وانما ذكرت ذلك لربها تقر بالآية وطلب بالان يعصمها ويسلحها حتى يكون فعلها مطابقة لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة * (تنبيه) * في قوله تعالى حكاية عنها سميتها مريم دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة أو معنى سميتها مريم جعلت اسم المولود مريم (واني أعينها) أي أجبرها (بك) أي بحفظك (وذريتها) أي أولادها (من الشيطان الرجيم) أي المطرود روى الشيخان ما من مولود يولد الا معه الشيطان حين يولد فيسهل صارخا الا مريم وابنها ولا يبعد كما قال الطيبي اختصاص عيسى وأمه بهذه القضية دون الانبياء لجواز أن يمكن الله تعالى الشيطان من مسهم مع عصمتهم من الاغواء ولا يمنع كما قال التفنيزاني أن يس الشيطان المولود حين يولد بحيث يصرخ كما ترى وتسبح وليست تلك المسألة للاغواء ليدفع أنه لا يتصور في حق المولود حيث يولد وحينئذ يقول البيضاوي معناه ان الشيطان يطامع في اغواء كل مولود أي

لا يحميه فيه اخراج الحديث عن ظاهره وتبع فيه الرخصى وهو ما سلكه المعتزلة حيث أنكروا
هذا الحديث وقد حو في صحته لان الشيطان انما يدعو الى الشر من له تمييز وعن أبي هريرة رضى
الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بنى آدم يطعنه الشيطان في جنبه باصبعيه
حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب بطعنه وطعنه في الحجاب (فتقبلها ربه) أى قبل مريم من أمها
ورضى به فى النذر مكان **الذكر** (بقبول حسن) وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر
فى النذر ولم يقبل قبلا أى (وأنتها بآياتنا حسنا) أى أنشأها بخلق حسن فكانت تنبت فى اليوم
كما ينبت المولود فى العام (وكفلها زكريا) قرأ عاصم وحزرة والكسائى بتشديد الفاء وقصروا
زكريا غير عاصم فى رواية ابن عباس على أن الفاعل هو الله تعالى وزكريا مفعول أى جعله كافلا
لها وضامنا لمصالحها فلا بد من تقدير مضاف فى الآية وهو مضاف لان كفالة البدن لأمعنى لها
وقرأ الباقر بتخفيف الفاء ومتواز زكريا مرفوعا على الفاعلية روى أن حنة لما ولدت مريم لغتها
فى خرقه وجلتها الى المسجد الأقصى ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة
فتنافسوا فيها لانها بنت امامهم الاعظم فى العلم والصلاح فقال زكريا أنا أحق بها لان خلتها عندى
فقالت الاحبار لا تقل ذلك فانها لو تركت لاحق الناس بها لتركها لأمها التى ولدتها الكائنات
عليها فتكون عندهم من خرج سهمه وكانوا تسعة وعشرين رجلا فانطلقوا الى نهر الاردن وألقوا
فيه أقلامهم على أن من ثبت قلبه فى الماء وصعد فهو أولى بها فثبت قلب زكريا فأخذها ووضعها
الى خالتها أم يحيى حتى اذا شبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها غرفة فى المسجد وجعل بابها فى وسطه
لا يرقى اليه الا بالسلم ولا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بأكلها وشربه وادنها فيجد عندها قاكهة
الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء كما قال تعالى (كلمادخل عليها زكريا المحراب)
أى الغرفة والمحراب أشرف المجالس ومقدمها وكذلك هو من المسجد ويقال أيضا للمسجد
محراب قال المبرد لا يكون المحراب الا أن يرتقى اليه بدرج (وجد عند هارزقا) قال الربيع بن
أنس كان زكريا اذا خرج يغلق عليها سبعة أبواب فاذا دخل عليها غرفتها وجد عندها قاكهة
الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف فاذا وجد عندها ذلك (قال يا مريم أنى لك هذا)
أى من أين لك هذا الرزق الا فى غير أوانه والابواب مغلقة عليك (قالت) وهى صغيرة (هو
من عند الله) يأتيه به من الجنة قيل تكلمت فى المهد وهى صغيرة كما تكلم ابنها عيسى وهو
صغير فى المهد ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة وفى هذا دليل وأى دليل على
كرامة الاولياء وليس ذلك معجزة لزكريا كما زعم جماعة لان ذلك مدفوع باشتباه الامر عليه حتى
قال لها أنى لك هذا ولو كان معجزة له لادعاها وقطع به الا ان النبى شأنه ذلك ويدل عليها غير ذلك
كقصة أصحاب الكهف ولبثهم فى الكهف سنين عددا بلا طعام ولا شراب وقصة آصف من
اتيانه بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف ورؤية عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو على المنبر
جيشه بنها وندحين قال ياسارية الجبل وسماع سارية ذلك وكان بينهما مسافة شهر وشرب خالد
رضى الله عنه السم من غير أن يضره وبالجمل فكرامات الاولياء حق ثابتة بالكتاب والسنة

وليس بحبيب اكارها من أهل البدع والاهواء اذ لم يشاهدوا ذلك من أنفسهم ولم يسمعوا به من
 رؤسائهم الذين يزعمون أنهم على شيء فوق عوا في أولياء الله تعالى أصحاب الكرامات يترقونهم
 ويسمعونهم بالجهلة المتصوفة ولم يعرفوا ان مبنى هذا الامر على صفاء العقيدة ونقاء السريرة
 واقتفاء الطريقة واصطفاء الحقيقة وانما العجب من بعض فقهاء أهل السنة حيث قال فيما روى
 عن ابراهيم بن ادهم أنهم رأوا بالبصرة يوم التروية وفي ذلك اليوم بككة ان من أعتقه جواز ذلك
 يكفر والانصاف ماذا كره الامام التستري حين سئل عما يحكي أن الكعبة كانت تزور ببعض الاولياء
 هل يجوز القول به فقال نقض العادة على سبيل الكرامة لاهل الولاية جائز عند أهل السنة وروى
 أن النبي صلى الله عليه وسلم جامع في زمن فخط فاهدت له فاطمة رضى الله تعالى عنها غيظين وبضعة
 لحم في طبق مغلى أثرته به فرجع بذلك اليها وقال هلمى يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو بمخلو
 خبز ولحم فبهنت وعلمت ان ذلك نزل من عند الله فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى لك
 هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال لها عليه الصلاة والسلام الحمد
 لله الذى جعلك شبيهة بسيدة نساء بنى اسرائيل ثم جمع صلى الله عليه وسلم عليا والحسن والحسين
 وجميع أهل بيته فأكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فأوسعت فاطمة على جيرانها فهذه كرامة
 لفاطمة رضى الله تعالى عنها وفي هذه الرواية دليل على أن قوله تعالى (ان الله يرزق من يشاء بغير
 حساب) أى رزقا واسعا بلا تبعه من كلام مريم رضى الله تعالى عنها ويحتمل أن يكون من كلام
 الله تعالى ولما رأى زكريا كرامة مريم ومنزلتها عند الله قال ان الذى قدر على أن يأتى مريم
 بالفساكهة في غير حينها من غير سبب قادر على أن يصلح زوجتى ويهب لى ولدا في غير حينها على
 الكبر فطمع في الولد وذلك أن أهل بيته كانوا قد انقضوا وكان زكريا قد شاخ وأيس من الولد
 قال الله عز وجل (هنالك دعا زكريا ربه) أى فى ذلك المكان أو الوقت قال الزمخشري قد
 تستعار هنا ثم وحيث للزمان أى لمشابهة الزمان للمكان في الظرفية فاستعير له فدخل زكريا
 المحراب وناجى ربه في جوف الليل (قال) يا رب هب لى (أى اعطنى) (من لدنك) أى من عندك
 (ذرية طيبة) كما وهبها لحنه العجوز العاقر أى ولدا مباركا تقيما صالحا والذرية يكون
 واحدا أو جمعا ذكر أو أنثى وهو هنا واحد بدليل قوله فهب لى من لدنك وليا يرثنى وانما قال طيبة
 لتأنيث الذرية (انك سمع) أى مجيب (الدعاء) لمن دعاك فلا تردنى خائبا (فتداه الملائكة)
 أى جندهم كقولهم فلان يركب الخيل فان المنادى كان هو جبريل وحده وقرأ حمزة والكسائي
 فتداه بالامالة والتذكير والباقون بالتاء (وهو قائم يصلى في المحراب) أى المسجد وذلك ان
 زكريا كان هو الحبر الكبير الذى يقرب القربان ويفتح باب المذبح فلا يدخلون حتى يأذن لهم
 في الدخول فبينما هو قائم يصلى في المحراب والناس ينتظرون أن يؤذن لهم في الدخول فاذا هو
 برجل شاب عليه ثياب بيض ففرع منه فتداه وهو جبريل وقرأ (ان الله يبشرك بيحيى)
 ابن عامر وحمزة بكسر الهمزة على ارادة القول أو لان التداء نوع من القول والباقون
 بالفتح على بأن وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء من يبشرك وتسكون الباء الموحدة وضم الشين

مخففة والباقون بضم الياء وفتح الباء الموحدة وكسر الشين المشددة واختلفوا
 في أنه لم يسمي يحيى قال ابن عباس لأن الله أحياه بعقر أمته وقال قتادة لأن الله أحياه بقلبه بالإيمان
 وقيل لأن الله تعالى أحياه بقلبه بالطاعة حتى أنه لم يهتم بعصية وهو اسم أعجمي منع صرفه للتعريف
 والجمعة كومي وعيسى وقيل عربي ومنع صرفه للتعريف ووزن الفعل كينسي وجعه يحبون
 كوسون وعيسون (مصدق بكلمة) كائنة (من الله) أي بعيسى أنه روح الله وسمى كلمة لأنه خلق
 بكلمة كن وقيل لأن الله أخبر الأنبياء بكلامه في كتابه أنه يخلق نبيا بلا أب فسماه بكلمة لحصول
 ذلك الوعد وكان يحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر ثم قتل
 يحيى قبل أن يرفع عيسى عليهم الصلاة والسلام وقول البيضاوي وكان يحيى وعيسى ابني خالة
 من الأب فيه تجوز إذ يحيى ابن خالة أم عيسى لابن خالته وعيسى ابن بنت خالة يحيى لابن خالته
 (وسيدا) أي بسود قومه فيصير متبوعا وقال الضعفاء السيد الحسن الخلق وقال سعيد بن
 جبيرة السيد الذي يطيع ربه وقال سعيد بن المسيب السيد النقيب العالم (وحصورا) أي مباغيا
 في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روى أنه مر وهو طفلا بصبيان فدعوه للعب فقال
 ما لعب خلقت وقال سعيد بن المسيب الحصور هو المعسر الذي لا مال له فيكون الحصور بعيسى
 المحصور وكأنه ممنوع من النساء وقيل كان له مثل هدية الثوب وقد تزوج مع ذلك ليكون
 أغض لبصره وقيل هو الممتنع من الوطء مع القدرة عليه واختار قوم هذا القول لوجهين
 أحدهما أن الكلام خرج مخرج الثناء وهذا أقرب إلى استحقاق الثناء والثاني أنه أبعد من
 الحاق الآفة بالأنبياء (ونبيا) ناشئا (من الصالحين) لأنه كان من أصلاب الأنبياء أو كانوا من
 جملة الصالحين فن على هذا التبويض كقوله تعالى وإنه في الآخرة لمن الصالحين (قال رب أني)
 أي كيف (يكون لي غلام) أي ابن (وقد بلغني الكبر) أي أدركني كبر السن وأثرفي وكان عمره
 مائة وعشرين سنة وقيل تسع وتسعين سنة (وامرأتي عاقرة) أي لا تلد من العقر وهو التقطع لأنها
 ذات عقر من الأولاد وكانت بنت ثمان وتسعين سنة (فان قيل) كيف قال زكريا بعد ما وعده الله
 تعالى أن يكون له غلام أني يكون لي غلام أكان شاكافي وعد الله وفي قدرته (أجيب) بأنه قال
 ذلك استبعادا من حيث العادة كما قالت مريم أو استعظاما وتهجبا واستفهاما عن كيفية حدوثه
 أي أتجعلني وامرأتي شابين أو تزقنا ولدا على الكبر منا أو تزقني امرأة أخرى وقيل إن زكريا
 لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا إن الصوت الذي سمعت ليس هو من الله إنما هو من
 الشيطان ولو كان من الله لأوحاه إليك كما يوحى إليك في سائر الأمور فقال ذلك دفعا للوسوسة
 (قال) الامر (كذلك) أي من خلق غلام منكما (الله يفعل ما يشاء) لا يعجزه عنه شيء ولاظهار
 هذه القدرة العظيمة ألهمه الله السؤال إيجاب بها ولما تافت نفسه إلى مرة المشرية (قال رب
 اجعل لي آية) أي علامة أعرف بها حمل امرأتي لا تلقى النعمة إذا جاءت بالشكر (قال آيتك) عليه
 (أن لا تكلم الناس) أي تمتنع من كلامهم (ثلاثة أيام) أي بلباليها كما في سورة مريم ثلاث أيام
 (الارمزا) أي إشارة بدأ رأس والافتناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام حينئذ ما دل

على ما في الضمير وانما خص تكليم الناس ليعلم انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة
 مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال (واذكر ربك كثيرا وسبح) أي وصل
 (بالعنى) وهو من حين نزول الشمس الى أن تغيب (والابكار) وهو من طلوع الفجر الى وقت
 الضحى (فان قيل) لم يحبس لسانه عن كلام الناس (أجيب) بانه انما فعل به ذلك لتخلص
 المدة المذكورة لذكر الله تعالى لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة
 وشكرها التي طلب الآية من أجله كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له آيتك
أن يحبس لسانك الآن عن الشكر وأحسن الجواب وأوقعه ما كان مشتقا من السؤال ومنترعا منه
وقال فتادة أمسك لسانه عن الكلام عقوبة له لسؤاله الآية بعدم مشافهة الملائكة أياه فلم يقدر
على الكلام ثلاثة أيام (و) اذكر (اذ قالت الملائكة) أي جبريل قال لها شفاها
 (يا مريم ان الله اصطفاك) أي اختارك بان تقبل من أمك ولم يقبل قبلك آتى وفرغك للعبادة
 واغناك برزق الجنة عن الكسب وتكليمها شفاها كرامة لها وقيل كان معجزة لذكرها
 وقيل كان ارهاصا أي تأسيسا لنبوته عيسى صلى الله عليه وسلم بطريق الخوارق قبل البعثة
 كاطلال الغمام انعينا صلى الله عليه وسلم قبل البعثة بطريق الشأم وانما جعل على هذا التأويل
 لانهم ليست بنبيية على الاصح بل حكى البيضاوى الاجماع على انه تعالى لم ينبي امرأة لقوله تعالى
 وما أرسلنا قبلك الا رجالا لكن نوزع في دعوى الاجماع لان الخلاف ثابت في نبوة نسوة
 خصوصا مريم اذ القول بنبوتهما مشهور (وظهر لك) أي من ميسر الرجال وعما يستقدر
 من النساء (واصطفاك) ثانيا (على نساء العالمين) بهدايتك وارسال الملائكة اليك وتخصيصك
 بالكرامات السنية كالولادة من غير أب ولم يكن لاحد من النساء (فائدة) * أفضل نساء العالمين
 مريم كما في الآية اذ قيل بنوتها ثم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خديجة أمها
 ثم عائشة ثم آسية امرأة فرعون (فان قيل) روى الطبراني خير نساء العالمين مريم بنت عمران ثم
 خديجة بنت خويلد ثم فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ثم آسية امرأة فرعون (أجيب) بأن
 خديجة انما فضلت فاطمة باعتبار الامومة لا باعتبار السيادة (يا مريم اقمي لربك) أي أطيعه
 (واسجدى واركني مع الراكعين) أي وصلي مع المصلين في الجماعة أو وانظمي نفسك
 في جملة المصلين وكوني معهم في عدا دهم ولا تكوني في عداد غيرهم (فان قيل) لم قدم السجود
 على الركوع (أجيب) باحتمال أنه كان كذلك في تلك الشريعة وقيل بل كان السجود قبل
 الركوع في الشرائع كلها وللتنبية على أن الواو لا تقتضى الترتيب (ذلك) أي ما قصصناه عليك
 يا محمد من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى (من أنباء الغيب نوحيه اليك) أي من الغيوب
 التي لم تعرفها الا بالوحى (وما كنت لديهم) أي عندهم اذ يلقون أقلامهم في الماء أي سهامهم
 التي طرحوها فيه وعليها علامة على القرعة وقيل هي الاقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة
 اخذوها للقرعة تبركاً بها ليعلموا (أيهم يكفل مريم) أي يحضنها ويربها فإى متعلق بمعدوف
 كما علم من التقدير (وما كنت لديهم اذ يختصمون) في كفالتها فتعرف ذلك فتخبره وانما عرفته

من جهة الوحي (فان قيل) لم نثبت المشاهدة والتفاؤها معلوم من غير شبهة وترك في استماع الانبياء من حفاظها وهو موهوم (أجيب) بأنه كان معلوما عندهم علم يقينا انه ليس من أهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي مع علمهم بأنه لا سماع له ولا قراءة ومثل ذلك قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ اجمعوا أمرهم واذكر (اذ قالت الملائكة) أي جبريل (يا مريم ان الله يشرك بكلمة منه) أي يابن (اسمه المسيح عيسى بن مريم) وانما خاطبها بنسبته اليها تنبيها على أنها لله بلا أب اذ عادة الانبياء نسبتهم الى آباءهم لا الى أمهاتهم ونسبته اليها فضلت واصطفيت على نساء العالمين (فان قيل) هذه ثلاثة أشياء الاسم منها عيسى وأما المسيح والابن فلقب وصفة (أجيب) بأن الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز عن غيره فكأنه قيل الذي يعرف به ويتميز عن سواه مجموع هذه الثلاثة والمسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والصاروق وأصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك لقوله وجعلني مباركا أينما كنت واشتقاقه من المسح لانه مسح بالبركة أو بمسحه من الذنوب أو مسح الارض ولم يقم في موضع أولانه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن أولان جبريل مسحه بمسحة حتى لم يكن للشیطان عليه سبيل أولانه كان مسيح القدم لأنخص له وقال ابن عباس سمي مسيحا لانه ماسح ذاعاهة الابري ويسمى الدجال مسيحا لانه مسح احدى العينين وعيسى معرب ايشوع وهو بالشين المججمة السيد قال البيضاوي اشتقاقه من العيس وهو بياض تعلوه حرة وهو تكلف لأطائل تحته وقوله تعالى (وجيها) أي ذاجاه حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت زكرة لكنها موصوفة (فان قيل) لم ذكر ضمير الكلمة (أجيب) بأن المسمى به مذكور (في الدنيا) أي بالنبوة والتقادم على الناس (و) في (الآخرة) بالشفاعة والدرجات العلى (ومن المقربين) عند الله تعالى لعلو درجته في الجنة ورفعته الى السماء وصحبه للملائكة (ويكلم الناس في المهد) أي صغيرا قبل أو ان الكلام كاذ كذا في سورة مريم قال اني عبد الله آتاني الكتاب الآية وحكي عن مجاهد قال قالت مريم كنت اذا خلوت أنا وعيسى حدثني وحديثه فاذا شغلني عنه انسان سجع في بطني وأنا أسمع والمهد ما يهد للصبي من مضجعه وقوله تعالى (وكهلا) عطف على في المهد أي ويكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولية وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء وقد رفع بعد كهولته وقيل انه رفع شابا وعلى هذا المراد كهلا بعد نزوله وذكرا تعالى أحواله المختلفة المتساقطة ارشادا الى أنه بعزل عن الألوهية (فان قيل) فافانئة البشارة بكلامه كهلا والناس في ذلك سواء (أجيب) بأنه بشرها بأنه يبنى الى أن يتكهل وبعدم التفاوت بين الحالتين كما مر وقوله تعالى (ومن الصالحين) أي من عباد الله الصالحين حال من كلمة أو من ضميرها الذي في يكلم (فان قيل) لم ختم الصفات المذكورة بقوله ومن الصالحين بعد كونه وجيها في الدنيا وفسرت بالنبوة ولا شك أن النبوة أرفع من منصب الصلاح بل كل واحدة من الصفات المذكورة أشرف من كونه صالحا (أجيب) بأنه لا يكون كذلك الا ويكون في جميع الافعال والتروك مواظبا على المنهج الاصلح وذلك يتناول جميع

المقامات في الدين والدنيا في أفعال القلوب وفي أفعال الجوارح وهذا قال نبي الله سليمان بن
 داود عليهما الصلاة والسلام بعد النبوة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين فلما عدت صفات
 عيسى عليه الصلاة والسلام أردفه باسم هذا الوصف الدال على أرفع الدرجات (قالت رب) أي
 ياسيدي فقوله الله عز وجل وقيل قالته لجبريل قاله البغوي وقال الزمخشري ومن بدع التفسير
 أن قولها رب نداء لجبريل يعني ياسيدي (أي) كيف (يكون لي ولد ولم يمسسني بشر)
 أي ولم يصبني رجل بتزويج ولا غيره قالت ذلك تعجبا إذ لم تكن بحوت العادة بأن يولد مولود بلا أب
 أو استعظاما عن أن يكون بتزويج أو بغيره (قال) الأمر (كذلك) من خلق ولد منك بلا أب (الله
 يخلق ما يشاء) القائل جبريل أو الله وجبريل حكى لها وقوله تعالى (إذا قضى أمرا) أي أراد كون
 شيء (فإنما يقول له كن) صروقا (فيكون) ابن عامر بفتح النون والباقون بضمهم أي فهو ويكون لانه
 تعالى كما يقدر أن يخلق الأشياء مدرة بآبائهم ومواد يقدر أن يخلقها دفعة من غير ذلك فنفخ
 جبريل في جيب درعها فحملت وكان من أمرها ما ذكر في سورة مريم وسأني أن شاء الله تعالى
 الكلام عليه هناك وقوله تعالى (وعلمه الكتاب) أي الكتابة (والحكمة) أي العلم المقترن بالعمل
 (والتوراة والإنجيل) كلام مستأنف ذكر تطييبا للقلب وإزاحة لما همها من خوف اللوم حين
 علمت أنها تلد من غير زوج وقيل المراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما
 وقرأ نافع وعاصم بالياء والباقون بالنون (و) نجعله (رسولا إلى بني إسرائيل) أما في الصبا وبعد
 البلوغ وتخصيص بني إسرائيل لخصوص بعثه إليهم وللازد على من زعم أنه مبعوث إلى غيرهم
 (فائدة) كان أول أنبياء بني إسرائيل يوسف بن يعقوب وآخرهم عيسى عليهم الصلاة والسلام ولما
 بعث إليهم قال لهم إني رسول الله إليكم (أي) أي بأني (قد جئتكم بآية) أي علامة (من ربكم)
 تصدق قولي وإنما قال بآية وقد أتى بآيات لأن الكل دل على شيء واحد وهو صدقه في الرسالة
 * ولما قال ذلك لبني إسرائيل قالوا وما هي قال هي (أي) قرأ نافع وحده بكسر الهمزة على
 الاستئناف رفح الياء من إني نافع وأبوعرو وسكنها الباقون (أخلق) أي أصور (لكم من الطين
 كهية الطير) أي مثل صورته فيصير طيرا كسائر الطيور حيا طيارا والكاف اسم فاعول
 وقرأ ورش بالمد على الياء من هية والتوسط كما تقدم في شيء (فانفخ فيه) الضمير للكاف أي
 في ذلك المائل للطير أي في فيه (فيكون طيرا بأذن الله) أي بإرادته به بذلك على أن أحياءه من الله
 تعالى لأمته وقرأ نافع بالفتح بعد الطاء بعدها همزة مكسورة ورقق ورش الراء على أصله والباقون
 يساءسا كنه بعد الطاء من غير ألف فقراءة الجمع نظرا إلى أنه خلق طيرا كثيرا وقراءة
 المفرد نظرا إلى أنه نوع واحد من الطير لانه لم يخلق غير الخفاش وإنما خص الخفاش لانه أكل
 الطير خلقا لا ناله أسنانا ولا نثني ثديا وتحيض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه
 فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ليعرف فعل الخلق من فعل الله وليعلم أن الكمال لله عز وجل
 (وابري) أي أشفي (الأكه) وهو الذي واد أعى أو مسح العينين قال الزمخشري ويقال لم
 يكن في هذه الأمة أكه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير ولعل هذا على التفسير

الثاني (والابرص) وهو الذي به برص وهو يماض شديد يقع الجلد ويذهب دمويته وانما
 خص هذين المرضين بالذكر لانهم اعميا الاطباء وكان الغالب في زمن عيسى الطب فأراههم
 المهجزة من جنس ذلك قال وهب ربما اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم الواحد خمسون
 ألفا من أطواق منهم أن يبلغه أناه ومن لم يطق أناه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده
 على شرط الايمان وانما حال ثانيا (وأحي الموت باذن الله) وكثر باذن الله دفعا له وهم الالوهية
 فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية قال ابن عباس قد أحيى عيسى أربعة أنفاس عازر
 وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح عليه السلام فاما عازر فكان صديقه فأسرته فأرسلت أخته
 الى عيسى عليه السلام ان أهلك عازر عوت وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأقى هو وأصحابه
 فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقال لاخته انطلقى بنا الى قبره فانطلقت معهم الى قبره فدعا الله
 سبحانه وتعالى فقام وخرج من قبره وبقي وولده وأما ابن العجوز فتره ميتا على عيسى يحمل على
 سرير فدعا الله تعالى فجلس على سريره ونزل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل
 السرير على عنقه ورجع الى أهله فبقي وولده وأما ابنة العاشر فكان رجلا يأخذ العشور
 ماتت له بنت بالامر فدعا الله تعالى فأحيها فبقيت وولدها وأما سام بن نوح فان عيسى عليه
 السلام جاء الى قبره ودعا فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه خوفا من قيام الساعة وما كانوا
 يشيرون في ذلك الزمان فقال قد قامت القيامة فقال لا والله كن قد دعوت الله تعالى فأحياك
 ثم قال له مت فقال بشرط أن يعيدني الله تعالى من سكرات الموت فدعا الله تعالى ففعل به ما
 قال (وأنتمكم) أي أخبركم (بماتنا كاون) بمات أعايينه (وماتدخرون) أي تخبئون (في بيوتكم)
 حتى تأكلوه فكان يخبر الرجل بما كل البارحة وبما كل اليوم وبما آذره للعشاء وقال
 السدي كان عيسى في الكتاب يحدث الغلمان بما تصنع آبائهم ويقول للغلام انطلق فقدأ كل
 أهلك كذا وكذا ورثه واللك كذا وكذا قال فينطلق الصبي الى أهله ويكي عليهم حتى يعطوه ذلك
 الشيء فيقولون من أخبرك به هذا فيقول عيسى فخبوا صبيانهم عنه وقالوا لهم لا تلبوا مع هذا
 الساحر فجمعهم في بيت فجاء عيسى بطلم فقتلوا ليسوا واهنا قال فما في هذا البيت قالوا خنازير
 قال عيسى كذلك يكونوا فتصون عنهم فاذا هم خنازير ففشا ذلك في بني اسرائيل فمات به
 بنو اسرائيل فلما خافت عليه أمته حملته على جار لها وخرجت هاربة الى مصر وقال قتادة انما هذا
 في المائدة وكان خوانا ينزل عليهم أينما كانوا كالن والسلاوى وأمروا أن لا يخونوا ولا يخبوا
 اغد فخاونا وخبوا فجعل عيسى يخبرهم بما كلوا من المائدة واذنوا منها فمخنهم الله خنازير
 (ان في ذلك) الذي ذكرته لكم (لاية لكم ان كنتم مؤمنين) أي مصدقين للحق غير معاندين وقوله
 تعالى (ومصدقنا) منصوب باضمار فعل يدل عليه قد جئتكم أي وجئتكم مصدقا (لما بين يدي)
 أي قبلي (من التوراة ولا من الانجيل) الذي حرّم عليكم (فيما في شريعة موسى عليه الصلاة
 والسلام فأحل لهم أكل الشحوم والثروب وهو شحم رقيق يغشى الكرش والسمك والحوم
 الابل والعمل في السبت وقبل أعمل الجميع فبعض بعض كل كقول لبيد

تزال امكنة اذالم أرضها • أو يربط بعض النفوس حمامها

يعنى كل النفوس (فان قيل) كيف يكون مصداق التواراة والاحلال يدل على أن شرعه كان
 نامضا لشرع موسى (أجيب) بأنه لا تناقض كما لا يعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه
 بالتناقض والتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان وانما كرر (وجئتكم
 بآية من ربكم) للتأكيدي وليبني عليه (فاتقوا الله) أى في مخالفة أمره أى جئتكم بآية بعد
 أخرى مما ذكرتم من خلق الطير والابراء والاحياء والانباء بالحقيبات وبغيره من ولادى من
 غراب ومن كلامى في المهد وغير ذلك فهى في الحقيقة آيات وانما وحدها لانها كلها جنس واحد
 في الدلالة على رسالته (وأطيعون) فيما أدعوكم اليه من توحيد الله وطاعته ثم شرع في
 الدعوة وأشار اليها بالقول المجمل فقال (ان الله ربى وربكم) لأن جميع الرسل كانوا على هذا
 القول لم يختلفوا فيه (فاعبدوه) أى لازموا طاعته التى هى الاتيان بالاوامر والالتهاء عن
 المناهى (هذا) الذى دعوتكم اليه (صراط) أى طريق (مستقيم) أى هو المشهود له بالاستقامة
 روى الامام أحمد وغيره ان رجلا قال يا رسول الله مرني بأمر في الاسلام لا أسئل عنه أحدا
 بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم • ولما قال لهم ذلك كذبوه ولم يؤمنوا به كما قال تعالى (فلما
 أحسن عيسى) أى علم (منهم) علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس (الكفر قال من أنصاري)
 قرأ نافع بفتح الياء والباقون بالهمزة كون أى اعوانى وقوله (الى الله) متعلق بمحذوف حال
 من الياء أى من أنصاري ذاهبا الى الله تعالى ملتجئنا اليه تعالى لا نصردينه وقيل الى هنا بمعنى مع
 أوفى أو اللام (قال الحواريون نحن أنصار الله) أى أعوان دينه واختلفوا في الحواريين فقال
 السدى لما بعث الله تعالى عيسى الى بنى اسرائيل كذبوه وأخرجوه فخرج هو وأمه يسيمان
 في الارض فترلا في قرية على رجل فأضافه داود وأحسن اليهما وكان لملك المدينة جبار متعدي فجاه
 ذلك الرجل يوما مهمتا حزينا فدخل منزله ومريم عند امرأته فقاتلها مريم ما شأن زوجك أراه
 كئيبا قالت لا تسئلىنى قالت اخبرنى لعل الله يفرج كربته قالت ان لنا ملكا يجعل على كل رجل
 منا يوما أن يطعمه وجنوده ويسقيهم خرافا فان لم يفعل عاقبه واليوم نوبتنا وايسر لذلك عندنا
 سعة قالت فقولى له لاتهم فاني امر ابني فيدعوا له فيكفي ذلك فقالت مريم لعيسى في ذلك قال
 عيسى ان فعلت ذلك وقع شر قال فلان بال فانه قد أحسن الينا وأكرمنا قال عيسى قولى له
 اذا اقترب ذلك فأملأ قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمنى ففعل ذلك فدعا الله عيسى فتحول ماء
 القدور مرقا ولحا وماء الخوابي خرا لم ير الناس مثله قط فلما جاء الملك أكل فلما شرب انخر قال
 من أين هذا انخر قال من أرض كذا قال فان خرى من تلك الارض وليست مثل هذه قال هى
 من أرض أخرى فلما خلط على الملك شدد عليه قال فأنأ أخبرك عندي غلام لا يسأل الله تعالى شيئا
 الا أعطاه اياه وانه دعا الله فجعل الماء خرا فلما أحضره وكان للملك ابن يريد أن يستخذه فأتى قبل
 ذلك بأيام وكان أحب الخلق اليه فقال ان رجلا دعا الله تعالى فجعل الماء خرا ليأبى الى حتى يحيى
 ابني فدعى بعيسى اليه فكلهم في ذلك فقال لعيسى لا أفعل فانه ان عاش وقع شر قال الملك لا عليك

قال عيسى ان احبيته تتركني انا و اى نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله تعالى فعاش الغلام
 فلما رآه اهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلاح وقالوا اكلنا هذا حتى اذا داموته يريد ان يستخلف
 علينا انه فباكلنا كما اكلنا ابوه فاقتلوا وذهب عيسى واثمه فزوا بالحواريين وهم يصطادون
 السمك فقال ما تصنعون قالوا نصطاد السمك قالوا ومن انت قال عيسى بن مريم عبد الله ورسوله
 فقالوا (آمنّا) أى صدقنا (بالله واشهد) يا عيسى (بأننا مسلمون) لتشهد لنا يوم القيامة حين نشهد
 الرسل لقومهم وعلمهم (ربنا آمنّا بما أنزلت) من الانجيل (وآتبعنا الرسول) عيسى (فاكتبنا مع
 الشاهدين) لك بالوحدانية أو مع النبيين الذين يشهدون لاتباعهم أو مع أمة محمد صلى الله عليه
 وسلم فانهم شهداء على الناس وقال الحسن كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب
 أى يبيضونها وعلى الاول سموا حواريين لبياض ثيابهم وقال عطاء سلمت مريم عيسى الى أعمال
 شتى فكان آخر ما دفعته الى الحواريين وكانوا قصارين وصباغين فدعته الى رئيسهم ليتعلم
 منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال يا عيسى انك قد تعلمت هذه الحرفة وأنا خارج في سفر لا
 أرجع الى عشرة أيام وهذه اب مختلفة الألوان وقد علمت على كل واحد منها بخيط على اللون
 الذى يصبغ به فيجب ان تكون فارغاً هنا عند قدومى وخروج فطبخ عيسى جباً واحداً على لون
 واحد وأدخل فيه جميع الثياب وقال كوني باذن الله تعالى على ما أريد منك فقدم الحواري
 والثياب كلها فى الحب فقال ما فعلت قال فرغت منها قال أين هى قال فى الحب قال كلها قال نعم
 قال لقد أفدت تلك الثياب فقال قم فانظر فأخرج عيسى ثوباً أصفر وثوباً أخضر وثوباً أحمر الى
 أن أخرجهما على الألوان التى أرادها فجعل الحواري يتعجب وعلم ان ذلك من الله تعالى فقال
 للناس تعالوا فانظروا فآمن هو وأصحابه وهم الحواريون وقال الكلبى وعكرمة الحواريون
 الاصفياء وهم كانوا أصفياء عيسى أقول من آمن به وكانوا اثني عشر من الحور وهو البياض
 الخالص وحواري الرجل صفوته وخالصته وقبل للخصريات الحواريات خلوص ألوانهن
 ونظافتهن قال القائل

فقل للحواريات يكن غيرنا • ولا تبكنا الا الكلاب النوايح

قال الله تعالى (ومكروا) أى كفار بنى اسرائيل الذين أحسن عيسى منهم الكفر به وذلك أن عيسى
 عليه الصلاة والسلام بعد اخراج قومه اياه واثمه عاد اليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة
 فهموا بقتله وتواطوا على الفتك به ووكوا به من يقتله غيلة وهى بالكسر أن يخدع غيره فيذهب
 به الى موضع فاذا صار اليه قتلته فذلك مكرهم اذ المكر من الخدع والخديعة والحيلة وأما
 من الخلق وهو قوله تعالى (ومكروا لله) أى بهسم (والله خير الماكرين) أى أعلمهم به فقال الزجاج
 مجازاتهم على مكرهم فسمى الجزاء باسم الابتداء لانه فى مقابلة كقوله تعالى الله يستهزئ بهم وهو
 خادعهم ومكر الله تعالى بهم فى هذه الآية بأن ألقى شبهه على صاحبهم الذى أراد قتل عيسى حتى
 قتل روى أن عيسى استقبل رهطاً من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل
 ابن الداعلة فقد قذفوه وأمه فلما سمع ذلك عيسى دعا عليهم ولعنهم منهم الله خذازير فلما رأى ذلك

يهود اراس اليهود وأميرهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وساروا اليه ليقتلوه فبعث الله تعالى اليه جبريل فأدخله في خوخة في سقفها كوة فرفعه الله تعالى الى السماء من تلك الكوة فأمر يهود اراس اليه ورجال من أصحابه أن يدخل الخوخة ويقتله فلما دخل لم ير عيسى فأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها فالتى الله تعالى عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا أنه عيسى فقتلوه وصلبوه فلما صلب جاء أم عيسى وامرأة كان عيسى دعاها فأبرأها الله تعالى من الجنون فكان عند المصلوب فجاءه عيسى فقال لهم ما على من تبكيان ان الله تعالى رفعني ولم يصبني الاخير وان هذا شبه لهم فلما كان بعد سبعة أيام قال الله تعالى لعيسى اهبط الى مريم فإنه لم يبك عليك أحد بكاهها ولم يحزن حزنها ثم تجمع لك الحواريين فيهم في الارض دعاة الى الله عز وجل فأهبطه الله تعالى اليها فاشتعل حين أهبط نور فجمعت له الحواريين فيهم في الارض دعاة ثم رفعه الله تعالى اليه وتلك الليلة هي التي تدخل فيها النصارى فلما أصبح الحواريون تحدث كل واحد منهم بلمعة من أرسله عيسى عليه الصلاة والسلام اليهم وروى ان الله تعالى أرسل اليه صحابة فرفعته فعاقت به أمه وبكت فقال لها ان القيامة تجتمعنا وكان ذلك ليلة القدر ببيت المقدس وله ثلاث وثلاثون سنة وقالت أهل التواريخ جلت مريم بعيسى وله ثلاث عشرة سنة وولدت له مفضى خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل فأوحى الله تعالى اليه على رأس ثلاثين سنة ورفعته اليه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه بعد رفعه ست سنين وقوله تعالى (اذ قال الله) ظرف لخبر الماكرين أولمكر الله أولمضمر مثل اذكر (يا عيسى اني متوفيك) أى مستوفى أجهلك ومعناه اني عاصمك من أن يقتلك الكفار ومؤخرك الى أجل كتبته لك ومميتك حتمف أنفك لا قتلا بأيديهم أو قابضك من الارض من توفيت مالى أى قبضته أو متوفيك نائماً كما قال تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل أى يميتكم اذ روى انه رفع نائماً ومميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت (ورافعت الى) أى الى محل كرامتى ومقر ملائكتى اذ روى ان الله تعالى رفعه وكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش وكان انما ملكا سماوياً أرضياً وقال محمد بن اسحق النصارى يزعمون ان الله تعالى توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه ورفعته وقال الضحاك ان فى الآياتة تدعى أوتاً خيراً معناه اني رافعت الى (ومطهرتكم من الذين كفروا) أى مخرجكم من بينهم ومنجيتكم منهم ومتوفيك بعد انزالك من السماء روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسى بيده ليموتكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقيض المال حتى لا يقبله أحد وروى الشيخان حديث انه ينزل قرب الساعة ويحكمكم بشريعة نبينا ويقتل الدجال والخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية وفى حديث مسلم انه يمكث سبع سنين وفى حديث عند أبي داود والطيالسى أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون فيحمل على أن مجموع لبته فى الارض قبل الرفع وبعده أربعون وقيل للعسين بن الفضل هل تجد نزول

عيسى في القرآن قال نعم قوله تعالى ويكلم الناس في المهد وكهلا وهو لم يتكهل في الدنيا وانما
معناه كهلا بعد نزوله من السماء انتهى وهذا انما يأتي على القول بأنه رفع شابا وأما على القول
بأنه رفع بعد ثلاث وثلاثين فلا دليل فيه اذ الكهولة من الثلاثين الى الاربعين (وجاعل الذين
اتبعوك) أي صدقوا بقبولك من النصارى ومن المسلمين لانه متبعوه في أصل الاسلام وان
اختلفت الشرائع (فوق الذين كفروا) بك من اليهود والنصارى أي يغلبونهم بالحجة والسيف
(الي يوم القيامة) وقيل المراد بالذين اتبعوه النصارى وبالذين كفروا اليهود اذ لم تسمع غلبة اليهود
عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة وملك النصارى قائم الى قريب من قيام الساعة وعلى هذا يكون
الاتباع بمعنى الادعاء في المحبة لا اتباع الدين (ثم الى مرجعكم) الضمير عيسى ومن آمن معه
ومن كفر به وغلب المخاطب على الغائبين (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين
ثم بين الحكم بقوله (فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا) بالقتل والسبي والجزية
والذلة (و) أعذبهم في الآخرة بالنار (فان قيل) الحكم مرتب على الرجوع الى الله تعالى
وذلك في القيامة فكيف يصح في تبينه العذاب في الدنيا (أجيب) بأن المقصود التأني من غير
نظر الى الدنيا والآخرة كما في قوله تعالى فيهما دامت السعوات والارض (ومالهم من ناصرين)
أي مانعين منه (وأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فنوفى لهم أجورهم) أي أجور أعمالهم
وقرأ حصص بالياء والباقون بالنون (والله لا يحب الظالمين) أي لا يرحم الكافرين ولا يثني عليهم
بالجميل وقوله تعالى (ذلك) اشارة الى ما سبق من خبر عيسى ومريم وامرأة عمران وهو مبتدأ
خبره (تأوه) أي نغسه (عليك) يا محمد وقوله تعالى (من الآيات) خبر بعد خبر وأخبر مبتدأ
محذوف أو حال من الهاء (والذكر الحكيم) أي القرآن وصف بصفة من هو شبهه أو كأنه ينطق
بالحكمة لكثرة حكمه وقيل هو اللوح المحفوظ وهو معلق بالعرش من درة بيضاء ولما قال
وقد نجران للرسول صلى الله عليه وسلم مالك سبيت صاحبنا قال وما أقول قالوا تقول انه عبيد
قال أجل هو عبد الله ورسوله وكلته ألقاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا اهل وأيت انسا نا
قط من غير أب نزل (ان مثل عيسى) أي شأنه وحالته الغريبة (عند الله كشل آدم) أي كشأنه
في خلقه من غير أب وقوله تعالى (خلقه) أي آدم (من تراب) جملة مفسرة لما شبه عيسى
بآدم أي خلق آدم من تراب ولم يكن ثم أب ولا أم فكذلك حال عيسى (فان قيل) كيف شبه با
وقد وجد هو من غير أب وآدم بغير أب وأم (أجيب) بأن مثله في أحد الطرفين ولا يمنع
اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه
شبهه به في أنه وجد وجودا خارجا عن العادة المستقرة وهما في ذلك نظيران ولان الوجود من
غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود من غير أب فتشبه به الغريب بالاغرب ليكون أقطع
للخصم وأحسم لمادة شبهته اذ انظر فيما هو أغرب مما استغربه وعن بعض العلماء انه أسمر بالروم
فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لأب له قال فآدم أولى لانه لا أبوين له قالوا كان يحيى الموتى
قال فز قيل أولى لان عيسى أحيا أربعة أنفس وحز قيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ

لا كنه والابرص قال فخرج يسى اولى لانه طبع وأحرق ثم قام سالما ومعنى خلق آدم من تراب
 أى صور جسده من تراب (ثم قال له كن) أى أنشأه بشرا بأن نفخ فيه الروح كقوله تعالى ثم
 أنشأناه خلقا آخر وقوله تعالى (فيكون) حكاية حال ماضية أى فكان وكذلك عيسى قال له كن من
 غير أب فكان ويجوز أن تكون ثم لتراخى الخبر لا لتراخى الخبر عنه وقوله تعالى (الحق من ربك)
 خبر مبتدأ محذوف أى أمر عيسى وقوله تعالى (فلا تمكن من المعتزين) أى الشاكين خطاب
 للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيرهم فاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون محتربا
 (فن حاجك) أى جادلك من النصارى (فيه) أى عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) أى من
 البينات الموجبة للعلم بأن عيسى عبد الله ورسوله (فقل) لهم (تعالوا) أى هلموا بالرأى والعزم
 (ندع) جزم فى جواب الامر وعلامة جزمه سقوط الواو (أبناء ناول أبناءكم ونساء ناول نساءكم
 وأنفسنا وأنفسكم) أى ليدع كل منا ومنكم نفسه وأعزة أهله وانما قدّمهم على النفس لأن الرجل
 يحاطر بنفسه لأجلهم ويحارب دونهم فجمعهم (ثم نبهت) أى تضرع فى الدعاء ونباغ فيه
 (فجعل لعنت الله على الكاذبين) بأن نقول اللهم العن الكاذب بأمر عيسى فلما قرأ رسول الله
 صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد نجران ودعاهم الى المباهلة قالوا حتى ترجع وننظر
 فى أمرنا ثم أتيتك هذا لخلابعضهم ببعض وقالوا للعاقب وكان ذرايهم يا عبد المسيح ماترى فقال
 والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمد نبى مرسل واقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم
 والله ما باهـل قوم نبياقط فعاش كبيرهم ولانبت صغيرهم ولئن فعلتم انما كنتم فان أبيتم
 الا الإقامة على دينكم وعلى ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا
 الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدوا محتضنا للمسيحين اخذ بيد
 الحسن وفاطمة ثم شى خلفه وعلى خلفها رضى الله عنها وهو صلى الله عليه وسلم يقول لهم
 اذا نادعوت فأمضوا فقال أسقف نجران وهو اسم سريانى لرئيس النصارى وعالمهم وهو
 غير العاقب يا معشر النصارى انى لارى وجوها لوسألوا الله تعالى أن يزيل جبلا من مكانه لآزاله
 فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبق على وجه الارض نصرانى الى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم رأينا
 أن لا تباهلك وان نترك على دينك وثبت على ديننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان
 أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فأنبأهم فقالوا ما لنا
 بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تحمقنا ولا تردنا عن ديننا على أن تؤدى
 اليك كل عام ألفى حلة ألف فى صفر وألف فى رجب تؤدىها للمسلمين وعارية ثلاثين درعاً وثلاثين
 فرسا وثلاثين بعيرا وثلاثين من كل صنف من أصناف السلاح يغزون بها المسلمون ضامنون
 اها حتى يؤدوها فصالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذى نفسى بيده ان
 العذاب تدلى على أهل نجران ولولا عناؤنا المسخوفا قردة وخنازير ولا ضطرم عليهم الوادى نارا
 ولا ستمنا من الله تعالى نجران وأهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى
 حتى هلكوا كلهم وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه

صراط من جبل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال
 انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت وفي ذلك دلائل على نبوته صلى الله عليه وسلم وعلى
 فضل أهل الكساء رضى الله تعالى عنهم وعن بقية العصاة أجمعين * (قائدة) * رست لعنة هذا
 بالتاء المحرورة ووقف ابن كثير وأبو عمرو والكسائي عليها بالهاء والياقون بالتاء (ان هذا)
 أى الذى قص عليك من نبأ عيسى (لهو القصص) أى الخبر (الحق) الذى لا شك فيه وقرأ
 قالون وأبو عمرو والكسائي بـ ك كون الهاء من لهو والياقون بالرفع حيث جاء وهو ما فصل
 بين اسم ان وخبرها واما مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبران (فان قيل) لم جاز دخول
 اللام على الفصل (أجيب) بأنه اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أولى لانه
 أقرب الى المبتدأ وأصلها أن تدخل على المبتدأ (وما من الله الا الله) انما صرح فيه عن الزيادة
 لاستغراق تأكيده الرد على النصارى فى تسليمهم (وان الله له العزيز) فى ملكه (الحكيم)
 فى صنعه فلا أحديسارية فى القدرة التامة والحكمة البالغة فلا يشاؤك فى الألوهية (فان تولوا)
 أى عرضوا عن الإيمان (فان الله عليم بالفاسدين) فيجازيهم وفيه وضع الظاهر موضع المضمهر
 ليدل على ان التولى عن الحق والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدى الى فساد
 النفس بل الى فساد العالم * ولما قدم وفد خبران المدينة والتقوا مع اليهود واختصموا فى
 ابراهيم صلى الله عليه وسلم فزعت النصارى انه كان نصرانيا وهم على دينه وأولى الناس به
 وقالت اليهود بل كان يهوديا وهم على دينه وأولى الناس به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم
 كلا الفريقين برى من ابراهيم ودينه بل كان ابراهيم حنيفا مسلما وأنا على دينه فاتبعوا دينه
 الاسلام فقالت اليهود يا محمد ماتريد الآن أن تتخذ رباً كما اتخذت النصارى عيسى وقالت
 النصارى يا محمد ماتريد الآن أن تقول فيك ما قالت اليهود فى عزيز نزل (قل يا أهل الكتاب) وهو يرمي
 أهل الكتابين وهم اليهود والنصارى (تعالوا الى كلمة) العرب تسمى كل قصة لها شرح
 كلمة ومنها سميت القصيدة كلمة وقوله تعالى (سواء) مصدر بمعنى مستو أمرها لا تختلف فيها
 الرسل والكتب (بيننا وبينكم) هونعت الكلمة لان المصادر لا تثنى ولا تجمع ولا تثنى فاذا
 فتحت السين مدت واذا كسرت أو ضمت قصرت كقوله تعالى مكانا سوى ثم نسر الكلمة بقوله
 (أن لا نعبد الا الله) أى نوحده بالعبادة ونخلص له فيها (ولا نشرك به شياً) أى ولا نجعل غيره
 شريكاً له فى استحقاق العبادة ولا نراهم أهلاً لان يعبد (ولا يتخذونه ضناً بعضاً أرباباً من دون الله)
 أى ولا نقول عزيزاً من الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل
 لانهم بشر مثلنا روى الترمذى لما نزل قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم أرباباً من دون
 الله قال عسدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون
 فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذلك أى أخذكم بقولهم (فان تولوا) أى عرضوا عن
 التوحيد (فقلوا) أنتم اهلهم (اشهدوا أنا مسلمون) أى موحدون دونكم فقد لستمكم الحجة
 فوجب عليكم أن تعترفوا بذلك كما يقول الغالب لامة لوب فى جدال أو صراع أو نحو ذلك

عترف بأني الغالب وسلم لي الغلبة قال البيضاوي تنبيه انظر ما راى أى الله سبحانه وتعالى
 في هذه القصة من المبالغة والارشاد وحسن التدرج في الجراح فيبين أولاً أحوال عيسى وما
 نعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح أى يزيل شبهتهم فلما رأى
 عنادهم وطلباجهم دعاهم الى المباحلة بنوع من الاعجاز ثم لما أعرضوا عنها وانقادوا بعض
 الانقياد عاد اليهم بالارشاد وسلك طريقاً سهلاً والزم بأن دعاهم الى ما وافق عليه عيسى
 والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد أى ينفع ذلك أيضاً عليهم وعلم أن الآيات والذنر
 لا تنفع عنهم أعرض عن ذلك وقال اشهدوا يا نامسلون (يا أهل الكتاب) وقدم ترانه يعم اهل
 الكتابين اليهود والنصارى (لم تحتاجون) اى تحتاجون (في ابراهيم) بزعمكم انه على دينكم
 (وما انزلت التوراة) على موسى (والانجيل) على عيسى (الامن بعده) اى بمن طویل
 اذ كان بين ابراهيم وموسى الف سنة وبين موسى وعيسى الف سنة وبعد نزول التوراة حدثت
 اليهودية وبعد نزول الانجيل حدثت النصرانية (أفلا تعقلون) بطلان قولكم حتى لا تجادلوا
 مثل هذا الجدال المحال (ها أنتم) يا (هؤلاء) هاللتقيبه وأنتم مبتدأ خبره (حاجبتم) أى جادلتم
 (فما لكم به علم) من أمر موسى وعيسى وزعمتم أنكم على دينهما (فلم تحتاجون فيما ليس لكم به
 علم) من شأن ابراهيم وليس له ذكر في كتابكم (والله يعلم) ما حاجبتم فيه (وأنتم لا تعلمون) أى جاهلون
 به ثم قال تعالى تبرئة لابراهيم (ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً) أى ما تلا
 عن الاديان كلها الى الدين القيم (مسلماً) أى موحداً منقاداً لله تعالى وليس المراد انه كان على
 دين الاسلام والالاشتراك الالزام لانهم يقولون مله الاسلام حدثت بعد نزول القرآن على محمد
 صلى الله عليه وسلم وكان ابراهيم قبله عدة طويله فكيف يكون على مله الاسلام الحادثة بنزول
 القرآن فعلم أن المراد بكون ابراهيم مسلماً انه كان على مله التوحيد لا على هذه الملّة (وما كان
 من المشركين) كما لم يكن منكم أو أراد بالمشركين اليهود والنصارى لاشراكهم عزير او المسيح
 (أن أولى الناس) أى أحقهم (بابراهيم) من أمته (الذين اتبعوه) من أمته (وهذا النبي) والذين
 آمنوا والله ولي المؤمنين) أى ناصرهم وحافظهم ولما دعا اليهود معاذاً وحذيفة وعمار الى
 دينهم نزل (ودت) أى غنت (طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم) عن دينكم ويردوكم الى
 الكفر (وما يضلون إلا أنفسهم) أى أمثالهم أو أنتم اضلالهم عليهم والمؤمنون لا يطيعونهم
 فيه (وما يشعرون) بذلك (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) بما نطقت به التوراة والانجيل
 وذلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وأنتم تشهدون) انها آيات الله عز وجل أو بالقرآن
 العزيز وأنتم تشهدون نفعه في الكتابين أو تعلمون بالمعجزات انه حق (يا أهل الكتاب لم تلبسون
 الحق) أى القرآن المشتمل على نعت محمد صلى الله عليه وسلم (بالباطل) أى بالتحريف والتزوير
 (وتكفون الحق) أى نعت محمد صلى الله عليه وسلم (وأنتم تعلمون) انه حق (وقالت طائفة من
 أهل الكتاب) أى اليهود قالوا الجماعة منهم (آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا) أى اقرآن أى
 أظهروا الايمان به (وجه النهار) أى قوله وانما سمى قوله وجهه لانه أحسنه ولانه أول ما يرى

بعد الليل (واكفروا) به (آخر لعلمهم) أي المؤمنين (يرجعون) عن دينهم إذا رأوكم يرجعون
 واختلف في هذه الطائفة فقال الحسن والسدي هي اثنا عشر من يهود خيبر وقيل قرينة
 نواطوا وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد أول النهار وقولوا لنا ظرنا في كتبنا وشاورنا
 علماءنا فوجدنا محمد ليس بذلك فظهر لنا كذبه فاذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينه واتهموه
 وقالوا انهم أهل كتاب وهم أعلم به منا فيرجعون عن دينهم وقال مجاهد ومقاتل والكبي هم
 كعب بن الأشرف ومالك بن الصبيح قالوا لأصحابهم ما لما تحولت القبلة وشق ذلك على اليهود
 آمنوا بالذي أنزل على محمد من أمر الكعبة وصلوا إليها أول النهار ثم أكفروا وأرجعوا إلى
 قبلتهم آخر النهار وصلوا إلى الصخرة لعلمهم يتولون هؤلاء أهل كتاب وهم أعلم فيرجعون إلى
 قبلتنا (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع) أي وافق (دينكم) أي ولا تقروا عن تصديق قلب الأهل
 دينكم أو لا تظهروا إيمانكم وجه النهار إلا لمن كان على دينكم فإن رجوعهم أولى وأهم فاطلع
 الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على سرهم * (تنبيه) * قال البغوي اللام في أن
 صلة أي لا تصدقوا إلا من تبع دينكم اليهودية كقوله تعالى عسى أن يكون ردف لكم أي ردفكم
 (قل يا محمد) (إن الهدى هدى الله) الذي هو الإسلام وما عداه ضلال وقوله تعالى (أن يؤتى)
 بمعنى الجحد أي ما يؤتى (أحدهم مثل ما أوتيتهم) يا أمة محمد (أو يحاجوكم) أي إلا أن يجادلكم
 اليهود بالباطل فيقولوا نحن أفضل منكم وقوله تعالى (عند ربكم) أي عند فعل ربكم بكم بكم
 ذلك وهذا معنى قول سعيد بن جبيرة والكبي ومقاتل والحسن وهو حسن وقال القرطبي ويجوز
 أن تكون أو بمعنى حتى كما يقال تعلق به أو يعطيك حقل أي حتى يعطيك حقل ويكون معنى
 الآية ما أعطى أحدهم مثل ما أعطيتهم يا أمة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم أي يوم
 القيامة وقال مجاهد قوله قل إن الهدى هدى الله كلام معترض بين كلامين وما بعده متصل
 بالكلام الأول اخبار عن قول اليهود بهضهم لبعض أي ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم
 ولا تؤمنوا أن يؤتى أحدهم مثل ما أوتيتهم من العلم والحكمة والكتاب والآيات من المن
 والسلوى وقلق البحر وغيرها من الكرامات ولا تؤمنوا أن يحاجوكم عند ربكم لأنكم أصبح ديننا
 منهم وقرأ ابن كثير وحده بهمزة واحدة وقال الزمخشري ويجوز أن يكون هدى الله بدلا من
 الهدى وأن يؤتى أحد خبران على معنى قل إن هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتهم أو يحاجوكم
 حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرءوا بباطلكم بحقهم ويدحضوا حججتكم قال ويجوز أن يتصب
 أن يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم كأنه قيل قل إن الهدى هدى
 الله فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتهم لأن قولهم ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم انكار
 لأن يؤتى أحد مثل ما أوتوا قال تعالى (قل إن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء) من عباده (والله
 واسع) أي كثير الفضل (عالم) بن هو أهله (يختص برحمته) أي نيوته (من يشاء والله ذو الفضل
 العظيم) في ذلك رد وإبطال لما زعموه بالحجة الواضحة (ومن أهل الكتاب من أن قامنه بقنطار)
 أي بمال كثير (يؤفقه اليك) كعب الله بن سلام استودعه رجل من قريش ألفا ومائتي أوقية

ذهباً فأداه اليه (ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك) كفضاص بن عازوراء استودعه
 رجل آخر من قريش ديناراً فجده (الامادمت عليه قائماً) أى الا أن أودعته واسترجعته منه
 وأنت قائم على رأسه لم تفارقه رده اليك وان فارقته وأخرته نكل ولم يرده وقيل المأمون على
 الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم والخائفون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم وقرأ حجة
 وأبو عمرو وشعبة يؤدونه ولا يؤده اليك باسكان الهاء فهو وصل بنية الوقف فهو سكون وقف بالنية
 لا بالفعل وقالون يا خذ لاس حركة الهاء وحفص والكسائي بالحركة الكاملة والالف في قنطار
 ودينار بالامالة لا بي عمرو والدورى عن الكسائي ورش بين بين والباقون بالفتح (ذلك) أى
 ترك الاداء المدلول عليه بقوله تعالى لا يؤده (بأنهم قالوا) أى بسبب قولهم (ليس علينا
 في الاتمين) أى العرب (سبيل) أى انهم لا يستحلونهم ظلم من خالفهم ونسبوا ذلك الى الله تعالى
 قالوا لن يجعل الله لهم في التوراة حرمة فكذبهم الله عز وجل بقوله عز من قائل (ويقولون على
 الله الكذب) أى في نسبة ذلك اليه (وهم يعلمون) أنهم كاذبون وقال الحسن وابن جريج ومقاتل
 بايع انهم ورجالهم المسلمين في الجاهلية فلما أسلموا اتقاؤهم ببقية أموالهم فقالوا ليس لكم
 علينا حق ولا عندنا قضاء لانهم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم وادعوا أنهم
 وجدوا ذلك في كتابهم فكذبهم الله تعالى في ذلك روى الطبراني وغيره أنه صلى الله عليه وسلم
 قال عند نزول هذه الآية كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي أى
 منسوخ متروك الا الامانة فانها وادة الى البر والقاجر أى والديون من الامانة لان المراد
 من الامانة الرضا بالذمة وقوله تعالى (بلى) اثبات لما نقوه أى بلى على اليهود في الاتمين سبيل ثم ابتداء
 فقال (من أوفى بعهد) أى ولكن من أوفى بعهد الله الذي عهد اليه في التوراة من الايمان
 بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وأداء الامانة (واتقى) الله بترك المعاصي وفعل الطاعات
 (فان الله يحب المتقين) فيه وضع الظاهر موضع المضمر أى يحبهم بمعنى يشبههم (فان قيل) فآين
 الضمير الراجع من الخبر الى من (أجيب) بأن عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير ونزل في
 أخبار من اليهود حرفوا التوراة وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانة وغيرهما
 وأخذوا على ذلك رشوة ان الذين يشتركون أى يستبدلون (بعهد الله) اليهم في الايمان للنبي
 صلى الله عليه وسلم والوفاء بأداء الامانة (وايمانهم) أى حلفهم به تعالى كاذباً من قولهم والله
 لنؤمنن وان نصرته (ثنا قليلاً) من الدنيا (أولئك لا خلاق) أى لا نصيب (لهم في الآخرة
 ولا يكلمهم الله) أى بما يسترهم أو يثني أصلاً وان الملائكة يسألونهم يوم القيامة (ولا ينظر اليهم)
 أى ولا يرجعهم (يوم القيامة ولا يذكريهم) أى ولا يثني عليهم بالجبل ولا يطرهم من الذنوب (ولهم
 عذاب أليم) أى مؤلم وقيل نزلت في رجل أقام سلعة في السوق فحلف اقتداها بما لم يشترها به
 وقيل نزلت في جماعة من اليهود جاؤا الى كعب بن الاشرف في سنة أصابتهم عتارين فقال لهم
 اتعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال لقد هممت ان أمركم وأكسوكم فخرمكم الله خيراً
 كثيراً فقالوا لعله اشتبه علينا فريد احتج تلقاه فانطلقوا فكبير أصفة غير صفته ثم رجعوا اليه

وقالوا لقد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح ومارهم وعن الاشعث بن قيس نزلت في
 كان بيني وبين رجل خصومة في بئر وأرض فاخصمتنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
 شاهدك أو عينته فقلت اذا يحلف ولا يبالى فقال من حلف على عيّن يستحق به ما لا هو فيها فاجر
 لقي الله وهو عليه غضبان فانزل الله تصديق ذلك هذه الآية وعن أبي ذر رضى الله عنه عن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا ينزلهم
 عذاب اليم قال فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقال أبو ذر خابوا وخسروا من
 هم يا رسول الله قال المسبل والمنان والمنفق ساعته بالحلف الكاذب وفي رواية المسبل ازاره وعن
 أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولهم
 عذاب اليم رجل حلف على عيّن على مال مسلم فاقتطعه ورجل حلف عينا بعد صلاة العصر
 أنه أعطى بساعته أكثر مما أعطى وهو كاذب ورجل منع فضل ماء فان الله تعالى يقول اليوم
 امنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يدك (وان منهم) اى اهل الكتاب (لقريفا) اى طائفة
 ككعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحبي بن اخطب (يلوون السنتهم بالكتاب) اى يقتلونها
 بقراءته عن المنزل الى ما حرقوه من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغير ذلك يقال
 لوى لسانه عن كذا اى غيره (اتحسبوه) اى المحرف المدلول عليه بقوله تعالى يلوون (من الكتاب)
 الذى انزل الله (وما هو من الكتاب) قرأ ابن عامر وعاصم بفتح السين والباءون بكسر هاء وقوله
 تعالى (ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) تأ كيد لقوله وما هو من الكتاب وزيادة
 تشنيع عليهم به ويان لانهم يزعمون ذلك تصريحاً لا تعريضاً اى ليس هو نازلاً من عنده (فان قيل)
 نفي الله تعالى ككون التحريف من عنده وهو فعل العبد فلا يكون فعل العبد مخفواً لله تعالى
 والامصاص نفيه عنه تعالى (اجيب) بأن المعنى هو الانزال كما تقرّر لا كونه التحريف غير
 مخلوق لله تعالى بكسب العبد وقوله تعالى (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) تأ كيد ايضا
 وتسجيل عليهم بالكذب والتعمد فيه واختلاف في سبب نزول قوله تعالى (ما كان) اى ما ينبغي
 (لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم) اى الفهم للشريعة (والنبوة) اى المنزلة الرفيعة بالانبياء
 (ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله) فتال مقاتل والضحالك نزلت في نصارى نجران كانوا
 يقولون ان عيسى امرهم ان يتخذوه رباً فقال تعالى ما كان لبشر اى عيسى ان يؤتيه الله الكتاب
 اى الانجيل وقال ابن عباس وعطاء ما كان لبشر اى محمد ان يؤتيه الله الكتاب اى القرآن وذلك
 ان ابارافع القرظي من اليهود والسيد من نصارى نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 اريد ان نعبدك وتتخذك رباً فقال معاذ الله ان نأمر بعبادة غير الله ما بذلك بعثنى الله ولا بذلك
 امرنى فتزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك
 قال ما ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله والبشر
 جميع بنى آدم لا واحداً من لفظه كالقوم ويوضع موضع الجمع والواحد (واكن) يقول
 (كونوا ربانيين) اى علماء عاملين منسوب الى الرب بزيادة الف ونون تفخيماً كما يقال رقباني

ولحياني وهو الشديد النفس بدين الله تعالى وطاعته وقيل الرباني هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل بكاره وقيل الربانيون فوق الاحبار والاحبار العلماء والربانيون الذين جمعوا مع العلم البصيرة لسياسة الناس وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وحكي عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال هو الذي يربي علمه بعلمه وقال محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس رضي الله تعالى عنهم اليوم مات رباني هذه الامة (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) أي بسبب كونكم تعلمون الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل فيكتفي بذلك دليل على خيبة مسمى من جهد نفسه وكثر وجه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله كشل من غرس شجرة حسنا وتوقعه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها ويجوز أن يكون معناه تدرسون على الناس أقوله تعالى لتقرأم على الناس وفيه أن من علم ودرس العلم ولم يعمل فليس من الله في شيء وإن السبب بينه وبين الله تعالى منقطع حيث لم يثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وبفتح التاء وسكون العين وفتح اللام مخففة والباقون بضم التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة (ولا يأمركم) قرأ ابن عامر وعاصم وحجة بضم الراء عطفا على يقول أي البشر والباقون برفع الراء على أنه استئناف أي الله (أن تأخذوا الملائكة والنبيين أربابا) كما اتخذت الملائكة واليهود عزيرا والنصارى عيسى وقوله تعالى (أيا أمركم بالكفر) انكار والضمير فيه للبشر أو لله على الوجهين السابقين وقوله تعالى (بعد اذ أنتم مسلمون) دليل على أن الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون على أن يسجدوا له (و) اذكر (اذ) أي حين (أخذ الله ميثاق النبيين) أي عهدهم (لما آتيتكم من كتاب وحكمة) قرأ حمزة والكسائي بكسر اللام من لما فتكون متعلقة بأخذوا السابقون بالفتح على الاستداه وتوكيد معنى القسم الذي في أخذ الميثاق وما موصولة على الوجهين أي للذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرأ نافع آتيناكم بالتون مفتوحة بعد الياء بعدها ألف والباقون بتاء مضمومة (ثم جاءكم) تقدم أن حمزة وابن ذكوان يميلان الالف محضة والباقون بالفتح (رسول مصدق لما معكم) من الكتاب والحكمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (لتؤمنن به وانشصرنه) جواب القسم أي ان أدركتموه وأمهم تبع لهم في ذلك وقيل المراد أولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل أو معاهم نبيين تم كمالهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لاننا أهل كتاب والنبيون كانوا منا (قال) الله تعالى لهم (أأقررتكم) بذلك قرأه آلون وابو عمرو بتسهيل الهمزة النائية والفاء بينهما وبين الهمزة الاولى وابن كثير كذلك الا أنه لا يدخل الف بينهما ولورش وجهان أحدهما كابن كثير والثاني أنه يبدل النائية حرف مقدولها شام في الهمزة التحقيق والتسهيل مع دخول الف بينهما والباقون بتحقيق الهمزتين من غير دخول ألف بينهما (واخذتم) أي قبلتم تقدم ان ابن كثير وحفصا يظهرا ان الال المعجمة عند التاء من اخذتم والباقون بالادغام (على ذلكم أصري) أي عهدي ممي به لانه مما يؤصر أي يشتد ويعقد ومنه الاصار الذي يعقده (قالوا اغررنا قال فاشهدوا) على أنفسكم واطاعكم بذلك (وأنا معكم

(من الشاهدين) عليكم وعليهم وهو توكيد وتحذير عظيم من الرجوع اذا علموا بشهادة الله
 وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة (قن تولى) أى أعرض (بعد ذلك) أى الميثاق
 والتوكيد بالاقرار والشهادة (فأولئك هم الفاسقون) أى المتمردون من الكفرة روى أن أهل
 الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابراهيم عليه
 الصلاة والسلام وكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كلا الفريقين يرى من دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا تأخذ دينك فنزل (أفغير دين
 الله يغنون) وهذه الجملة معطوفة على الجملة المتقدمة وهى فأولئك هم الفاسقون والهمزة
 متوسطة بينهم لانكار ويجوز أن تعطف على محذوف تقديره آيتولون فغير دين الله يغنون وقدم
 المفعول الذى هو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذى معنى الهمزة متوجه
 الى المعبود الباطل رقرأ أبو عمر وروى حفص بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب على
 تقدير وقول لهم (وله) سبحانه وتعالى (اسلم) أى خضع واقتاد (من فى السموات والارض طوعا)
 أى بالنظر فى الأدلة واتباع الحجة والانصاف من نفسه (وكرها) بالسيف ومعايضة ما يلجئ الى
 الاسلام كسحق الجبل على بنى اسرائيل وادراك الفرق فرعون وقومه والاشراف على الموت
 لقوله تعالى قل يا اباؤنا قالوا آمنا بالله وحده وقال الحسن اسلم اهل السموات طوعا وأهل
 الارض بعضهم طوعا وبعضهم كرها خوفا من السيف والسبى وقيل هذا يوم الميثاق حين قال
 ألسن بربكم قالوا بلى فقال بعضهم طوعا وبعضهم كرها قال قتادة المسلم اسلم طوعا فتنعه والكافر
 كرها فى وقت البأس فلم تنفعه قال تعالى فلم يك يتقهم ايمانهم لما رأوا اباؤنا وانتصب طوعا
 وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين (واليه ترجعون) قرأ حفص بالياء على الغيبة
 والباقون بالتاء على الخطاب (قل) لهم يا محمد (آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم
 واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط) أى أولاده (وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم
 لا نفرق بين أحد منهم) بالتصديق والتكذيب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخبر عن نفسه
 وعن تبعه بالايحسان فلذلك وحد الضمير فى قل وجمعه فى آمنا وعليها لان القرآن كما هو منزل
 عليه منزل على متابعيه بتوسط بلغه اليهم أو بأن يتكلم عن نفسه بالجمع على طريقة الملوك اجلالا
 له (فان قيل) لم عدى أنزل فى هذه الآية بعلى وفيما تقدم من مثلها فى سورة البقرة بالى (أجيب)
 بأن الوحي ينزل من فوق وينتهى الى الرسل فعدى تارة بالى لانه ينتهى الى الرسل وتارة بعلى لانه
 من فوق وما قيل من أنه انما خص ما هنا بعلى وما هناك بالى لان ما هنا خطاب للنبي وكان واصلا
 اليه من الملائكة على بلا واسطة بشرية فناسب الاتيان بعلى المختصة بالعلو وما هناك خطاب
 للامة وقد وصل اليهم بواسطة النبي الذى هو من البشر فناسب الاتيان بالى المختصة بالاتصال
 قال الزمخشري فيه تعسف ألا ترى الى قوله بما أنزل اليك وأنزلنا اليك الكتاب والى قوله تعالى
 آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا (فان قيل) لم قدم المنزل عليه على المنزل على سائر الرسل
 (أجيب) بأنه انما قدم لان المنزل عليه هو المعترف للمنزل على سائر الرسل ولانه أفضل الكتب

المنزلة (ونحن له مسلمون) أي موحدون مخلصون له في العبادة لا نجعل له شريكاً فيها ونزل فيمن
 ارتد ولحق بالكفار وهم الشاعشر رجلاً ارتدوا عن الاسلام وخربوا من المدينة وأتوا مكة
 كفاراً منهم الحرث بن سويد الانصاري (ومن يتبع غير الاسلام ديناً) أي غير التوحيد والانقياد
 لحكم الله فهو مشغل على الايمان به - هذا التقدير وديننا يتميز بمبدأ الاسلام والدين يشغل على
 التصديق والاعمال الصالحة فالاسلام كذلك لان المميز لا يخالف المميز وعلى هذا جل الاسلام
 على الدين في قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام والدين هو الوضع الالهي السائق لكل خير
 (فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) لما صيره الى النار المؤبدة عليه وقوله تعالى (كيف
 يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم) لفظه استفهام ومعناه يهديهم الله لما علم من
 نصيحهم على كفرهم بأنهم كفروا بعد ايمانهم (و) بعدما (شهدوا ان الرسول حق) قد
 (جاءهم البينات) أي الحجج الظاهرة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدي القوم
 الظالمين) أي الكافرين (أولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)
 والمراد بالناس المؤمنون أو العموم فان الكافرين يلعن منكر الحق المرتد عنه ولكن لا يعرف
 الحق بعينه * (تنبيه) * دلت هذه الآية بمنطوقها على جواز لعن القوم المذنبين
 وبغفورهمها على نفي جواز لعن غيرهم من الكفار الذين لم يكفروا بعد ايمانهم قال البيضاوي
 وأهل الفرق انهم أي هؤلاء مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى ما يوسون عن الرحمة
 بخلاف غيرهم أي فلا يلعن الكافر الا على المعين حياً ولا ميتاً ما لا يعلم موته على الكفر
 وكالاصل في المرتد وأما لعن الكافر على العموم فيجوز (خالد بن قيس) أي اللعنة أو النار
 أو العقوبة المدلول باللعنة عليها (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) أي يعملون (الا الذين
 تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) علمهم تصديقاً لتوبتهم (فان الله غفور) لهم يقبل توبتهم
 (رحيم) بهم يفضل عليهم وذلك أن الحرث بن سويد لما ارتد ولحق بالكفار رندم فأرسل الى
 قومه أن سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة فأرسل اليه أخوه الجلاس بالآية
 فأقبل الى المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته * ونزل في اليهود (ان الذين
 كفروا) بعيسى والانجيل (بعد ايمانهم) بعيسى والتوراة (ثم ازدادوا كفراً) بحمد صلى الله
 عليه وسلم والقرآن وقيل كفروا بحمد بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفراً بالاصرار
 والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق (ان تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون)
 أي الضالون على الضلال (فان قيل) قد وعد الله تعالى قبول توبة من تاب فسمعني قوله تعالى
 ان تقبل توبتهم (أجيب) بأن محل القبول اذا كان قبل الغرغرة وهو لا توبتهم كانت بعدها
 وانهم لم يتوبوا أصلاً فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها أو ان توبتهم لا تكون الانفاقاً
 (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء) أي مقدار ما يؤهلهم من
 (الارض) شرقها الى غربها (ذهباً) تغليظاً في شأنهم وابرار حال الآيسين من
 الرحمة (فان قيل) لم قال في الآية الاولى ان تقبل بغيرفاء وفي هذه بقوله فلن يقبل بالقاء (أجيب)

بأن القاء اغداخت في خبران لشبه الذين بالشرط وايدانا بتسبب امتناع الفدية على الموت
على الكفر بخلافه في الآية الاولى لادليل فيه على السبب كما تقول الذي جاء في له درهم لم يجعل
الجنى سببا لاسـ تحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم ونصب ذهبا على التمييز كقولهم عشر
درهم ما وقوله تعالى (ولو اقتدى به) محمول على المعنى كأنه قيل فلن يقبل من أحدهم فدية
ولو اقتدى بـ الارض ذهبا ومعطوف على ضمير تقديره فلن يقبل من أحدهم ملء الارض
ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو اقتدى به من العذاب في الآخرة ويجوز أن يراد ولو اقتدى بمثله
كقوله تعالى ولو أن للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم
كقوله ضرب زيد وأبو يوسف أبو حنيفة تريد مثله (أو لئلا لهم عذاب أليم) أي مؤلم
(وما لهم من ناصرين) أي مانعين عنهم العذاب ومن مزيدة للاستغراق روى أنس عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله لا هون أهل النار عذابا يوم القيامة لو أن لك ما في الارض
من شيء أنكنت فتقدي به فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من ذلك وأنت في صلب آدم
أن لا تشرك بي شيئا فأيبت الآن تشرك بي (لن تنالوا البر) أي لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو
كمال الخير وأن تنالوا بر الله تعالى الذي هو الرحمة والرضا والجنة (حتى تنفقوا مما تحبون) من
أموالكم أو ما يعمرها وغيرها كبدل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله تعالى والنفس
في سبيله وقال الحسن لن تكونوا أبرار اروي أنه صلى الله عليه وسلم قال عليكم بالصدق
فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق
حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور
يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا وكان
السلف رحمهم الله إذا أحبوا شيئا جعلوه لله روى لما نزلت هذه الآية جاء أبو طلحة فقال يا رسول
الله إن أحب أموالي إلى بيرحاً وهو بفتح الباء الموحدة وكسرهما وفتح الراء وضمة مع المد
والقصر ضبعة بالمدينة وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها
ويشرب من ماء فيه أطيب فضعهما يا رسول الله حيث أراك الله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بخ شئ ذلك مال راجح أو قال رائج وأنا أرى أن تجعلها في الأقربين فقال أبو طلحة أفعلى
يا رسول الله فقسهما في أقاربه قوله صلى الله عليه وسلم بخ شئ كلمة تنقل عند المدح والرضا بالشيء
وتكرراً للمبالغة وهي مبنية على السكون فإن وصلت كسرت ونونت وربما شددت وقوله راجح
أو رائج يقال لضبعة الإنسان مال رائج بالياء أي يروح نفعه إليه وراجه بالياء الموحدة أي ذورج
كقولك لابن وتامر أي ذولبن وذورج جاء زيد بن حارثة بقرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله
فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة فكان زيداً وجد في نفسه وقال
اغما أردت أن أتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إن الله قد قبلها منك وكتب
عمر رضي الله تعالى عنه إلى أبي موسى الأشعري أن يتنازع له جارية من سبي جلولاء يوم فكت
مداش كسرى فلما جاءت أعجبت فقال إن الله تعالى قال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون

فأعتقها وقال لولا اني لأعود في شيء جعلته الله لنسكتها (وما تنفقوا من شيء) أي من أي شيء
تحبونه أو غيره ومن بيان لما (فإن الله به عليم) فيجازيكم بحسبه * ولما قالت اليهود لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لم أنك تزعم أنك على ملة إبراهيم وكان إبراهيم لا يأكل لحوم الابل والبانها
وأنت تأكلها فقلت أنت على ملة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم كان ذلك حلالا لإبراهيم
فقالوا كل ما فخرمه اليوم كان حراما على نوح وإبراهيم حتى انتهى الينا نزل (كل الطعام) أي
المطعمومات أو كل أنواع الطعام (كان حلالا) أي حلالا أكله (لبني إسرائيل) والحل مصدر
يستوي في الوصف به المذكروا والمؤنث والمفرد والجمع قال تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن
(الاما حرم إسرائيل) وهو يعقوب صلى الله عليه وسلم (على نفسه من قبل أن تنزل التوراة) أي
ليس الامر على ما قالوا من حرمة لحوم الابل والبانها على إبراهيم بل كان الحل حلالا له ولابني
إسرائيل وانما حرمها إسرائيل على نفسه قبل نزول التوراة فليس في التوراة حرمتها واختلفوا
في الطعام الذي حرمه إسرائيل على نفسه وفي سببه فقال مقاتل والكلبي كان ذلك الطعام لحان
الابل والبانها وسبب ذلك أنه مرض مرضا شديدا وطال سقمه فنهذرتين عافاه الله من سقمه
ليحرم من أحب الطعام والشراب اليه وكان ذلك أحب اليه فخرمه وقال ابن عباس والخصائض هي
العروق وسبب ذلك أنه اشتكى عرق النسا وهو يفتح النون والقصر عرق يخرج من الورك
فيستبطن الفخذ وكان أصل وجعه أنه كان نذران وهبه الله اثني عشر ولدا وأتى بيت المقدس
صحيفا أن يذبح آخرهم فلقاه ملك من الملائكة فقال يا يعقوب أنك رجل قوى فهل لك في الصراع
فعالجه فلم يصرع واحدا منهم ما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا ثم قال له أما اني
لو شئت أن أصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لانك كنت نذرت ان أتيت بيت المقدس
صحيفا ذبحت ولذا جعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجا فكان لا ينام بالليل من الوجع
لخلف يعقوب لئن عافاه الله تعالى أن لا يأكل عرقا ولا طعاما فيه عرق فخرمه على نفسه وكان
بنو بعد ذلك يتبعون العروق يخرجونها من اللحم وقال ابن عباس لما أصاب يعقوب عرق
النسا وصف له الاطباء أن يجتنب لحان الابل فخرمها يعقوب على نفسه ثم اختلفوا في حال
هذا الطعام المحرم على بني إسرائيل بعد نزول التوراة فقال السدي حرم الله عليهم في التوراة
ما كانوا يحرمونه قبل نزولها وقال الضحاك لم يكن شيء من ذلك حراما عليهم ثم وانما حرموا على
أنفسهم اتباعا لآبائهم ثم أضافوا تحريمه الى الله عز وجل وأكذبهم الله تعالى فقال تعالى
(قل) لهم يا محمد (فأتوا بالتوراة فاتلوها) ليتبين صدق قولكم (ان كنتم صادقين) فيه فبهتوا
ولم يأتوا به وفي اخباره صلى الله عليه وسلم عما في التوراة دليل على نبوته قال الله تعالى (فمن
افترى) أي ابتدع (على الله الكذب من بعد ذلك) أي ظهورا للجنة بأن التحريم انما كان من
جهة يعقوب لا على عهد إبراهيم (فأولئك هم الظالمون) أي المتجاوزون الحق الى الباطل وقوله
تعالى (قل) أي اهتم (صدق الله) تعريض يكذبهم أي ثبت ان الله صادق في هذا بجميع ما أخبر به
وأنتم الكاذبون (فاتبعوا ملة إبراهيم) أي ملة الاسلام التي أنعم عليها التي هي في الاصل ملة

ابراهيم حتى تخلصوا من اليهودية التي وطنتكم في فساد دينكم ودينكم كما حيث اضطرتكم
الى تحريف كتاب الله تعالى لتسوية اغراضكم والزمتمكم تحريم الطيبات التي أحلها الله تعالى
لابراهيم عليه السلام ومن تبعه (حنيفاً) أى ما تلاح عن كل دين الى دين الاسلام وقوله تعالى
(وما كان من المشركين) فيه اشارة الى ان اتباع ابراهيم صلى الله عليه وسلم واجب في التوحيد
الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط وهو تحريف التوراة وعن التفريط وهو ترك
العمل وفيه اشارة الى التعريض بشرك اليهود ولما قالت اليهود للمسلمين بيت المقدس قبلتنا
وهو أفضل من الكعبة وأقدم وهو مهاجر الانبياء وقال المسلمون بل الكعبة أفضل نزل (ان أول
بيت وضع للناس) أى جعله الله متعبدا لهم وهو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء
والارض خلقه الله تعالى قبل الارض بألني عام وكان زبدة يضاء على وجه الماء فدحت الارض
تحت بناء الملائكة قبل خلق آدم ووضع بعده الاقصى وبينهما أربعون سنة كما في حديث
الصحيحين ولما أهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بألني عام وقيل
أول من بناه آدم فانطمس في الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان في موهة قبل آدم بيت يقال
له الضراح بضاد مبهمة وحامه ملة تسمى بذلك لانه ضريح من الارض أى بعد ويطوف به الملائكة
فلما أهبط أمر بأن يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به الملائكة
السموات قال البيضاوى وهذا القول لا يلائم ظاهر الآية وقيل أول من بناه ابراهيم ثم هدمه فبناه
قوم من جرهم ثم العماليق ثم قريش (للذى) أى لا بيت الذى (بيكة) بالباء لغة في مكة سميت
بذلك لانها تسكن أعناق الجبابرة أى تدفها فلم يرمها جبار بسوء الاوقصه الله وسميت مكة بالميم
لقله مائتها من قول العرب ملك الفصيل ضرع أمه وامته ~~مكة~~ اذا امتص كل ما فيه من اللبن
وتدعى أم رحم لان الرحمة تنزل بها وقوله تعالى (مباركاً) حال من الذى أى ذا بركة لانه كثير
الحبر والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف عنده أو طاف حوله من الثواب وتكفير
الذنوب (وهدى للعالمين) لانه قبلتم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجبية كما قال تعالى (فيه آيات
بينات) كاتخفاف الطيور عن موازاة البيت على مدى الأعصار فلا تعلو فوقه وأن ضواري
السباع تخالط الصيودى الحرم ولا تعترض لها واذا قصدت الجارحة صيدا فدخلت الحرم
كفت عنه وأنه بلد صار اليه الانبياء والمرسلون والاوياء والابرار وان الصلاة فيه تضاعف
بعائة ألف وان كل جبار قصده بسوء قهره الله تعالى ~~كأصحاب القبيل~~ وجملة فيه آيات
بينات مفسرة لهدى أحوال كبار كما وهدى وقوله تعالى (مقام ابراهيم) مبتدأ حذف خبره أى منها
مقام ابراهيم أو خبر مبتدأ محذوف أى احدها أو يدل من آيات يدل بعض من كل وهو الحجر الذى
قام عليه ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان أثر قدميه فيه فاندرس من كثرة المسح بالأيدي
والعل الذى اندرس بعضه فاني رأيت أثر القدمين فيه وفي هذا دلالة على قدرة الله تعالى ونبوة
ابراهيم عليه الصلاة والسلام لان تأثير القدم في الحضرة الصماء وغوصه فيها الى الكعبين
والاثر بعض الحضرة دون بعض وإبقائه دون سائر آيات الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحفظه

مع كثرة أعدائه من المشركين وأهل الكتاب والملاحدة ألوف سنين معجزة عظيمة وا
في سبب هذا الاثر على قولين أحدهما أنه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف إبراهيم
النجارة قام على هذا الحجر فقامت فيه قدماء وهذا هو المشهور والقول الثاني أنه لما جاز
من الشام إلى مكة قالت له امرأة اسمعيل انزل حتى تغسل رأسك فلم ينزل فجاءته به
فوضعت على شقه اليمين فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته إلى شقه
حتى غسلت الشق الاخر فبقى أثر قدميه عليه قال البيضاوي وقيل عطف بيان ورة هذا
بأن آيات نكرة ومقام إبراهيم معرفة ولا يجوز التخالف في عطف البيان بإجماع البه
والكوفيين وقوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) جله ابتدائية أو شرطية معطوفة من
المعنى على مقام لانه في معنى أمن من دخله أي ومنها أمن من دخله وذلك بدعوة إبراهيم
الصلاة والسلام رب اجعل هذا البلد آمنا وفي الاقتصار على ذكر هاتين الآيتين وط
غيرهما دلالة على تكرار الآيات كأنه قيل فيه آيات يثبت مقام إبراهيم وأمن من
وكثير سواهما ونحوه في طي الذي ذكر قول جرير

كانت حنيقة اثلاثا فثلثهم * من العبيد وثلاث من موالها

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حبيب إلى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في ا
والامن من العذاب يوم القيامة قال عليه الصلاة والسلام من مات في أحد الحرمين به
القيامة آمنار واه أبو داود والدارقطني وغيرهما وروى انه صلى الله عليه وسلم قال ا
والبقيع يؤخذ باطرافهما ويثران في الجنة والجون مقبرة مكة والبقيع مقبرة المدينة
الامام أبي حنيفة رحمه الله تعالى من لزمه القتل بردة أو قصاص أو غيرهما لم يعرض له
لا يؤوى ولا يطعم ولا يسنن ولا يبيع حتى يضطر إلى الخروج فيقتل وكان عمر بن الخطاب
لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند الامام الشافعي رحمه الله
لا يلجأ إلى الخروج بل يقتل للامر في خبر الشيخين يقتل ابن خطل وقد كان ارتد وتعلق به
الكعبة وأما قوله ومن دخله كان آمنا وخبر من دخل المسجد فهو آمن فعناء جمعا بين الا
من دخله بغير استحقاق قتل كان آمنا ومن دخله بعد استحقاق قتل قتل وأما اذا ارتكب
في الحرم فيستوفي منه بالاتفاق (ولله على الناس حج البيت) أي قصده للزيارة على وجه محض
وهو أحد أركان الاسلام قال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا انا
محمد رسول الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان وقرأ حفص وحزرة وال
بكسر الحاء وهي لغة نجد وقرأ الباقر بالفتح وهي لغة أهل الحجاز وهما لغتان فصيحتان وم
واحد وقوله تعالى (من استطاع إليه) أي الحج أو البيت (سبيلا) أي طريقا يدل من ا
مخصص له وفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة رواه الحاكم وغيره
كفر أي بما فرضه الله من الحج أو كفر بالله (فإن الله غني عن العالمين) أي الانس
واللائكة وعن عبادتهم وقيل وضع كفره موضع لم يحج تأكيده الوجوبه وتشديدا على

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من ملك زاداً وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت
يهودياً أو نصرانياً أو أوثناً في الترمذي وضعفه ونحوه في التلخيص من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر
* (تنبيه) * في هذه الآية أنواع من التأكيّد والتشديد على طلب الحج منها قوله تعالى
ولله على الناس حج البيت أى انه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن أدائه والخروج
من عهده ومنها انه ذكر الناس ثم انه أبدل منه من استطاع اليه سبيلاً وفيه ضربان من
التوكيد أحدهما ان الأبدال تثنية للمرادوة كبريره والثاني أن الإيضاح بعد الإبهام
والتفصيل بعد الإجمال إيرادله في صورتين مختلفتين ومنها ذكر الاستغناء وذلك مما يدل على
المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين ولم يقل عنه وفيه من الدلالة على الاستغناء
عنه بيهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء
الكامل فكان أدل على عظم السخط الذى وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود
فأنهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروى انه لما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأديان كلهم فخطبهم فقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج
فحجوا فآمنتم به مله واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل وهم المشركون واليهود
والنصارى والصابئون والمجوس قالوا لا تؤمن به ولا نصلى اليه ولا نحيجه فنزل ومن كفر الخ
وعنه صلى الله عليه وسلم حجوا قبل أن لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروى
حجوا قبل أن لا تحجوا حجوا قبل أن يمنع البرجانية وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه حجوا هذا
البيت قبل أن تنبت في البادية شجرة لاتأكل منها دابة الا نفقت اى ماتت (قل يا أهل الكتاب
لم تكفرون بآيات الله) الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج
وغيره وتخصيص أهل الكتاب بالخطاب دليل على أن كفرهم أقبح وأنهم وان زعموا أنهم
مؤمنون بالتوراة والانجيل فهم كفرون بهما (والله شهيد) أى والحال ان الله تعالى شهيد
(على ما تعملون) فيجازيكم عليه (قل يا أهل الكتاب لم تصدون) أى تصرفون (عن سبيل الله)
أى دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام (من آمن) بتكذيبكم النبى صلى الله عليه وسلم
وكنتمكم نعمة وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون في صدقهم عن دين الله ويمنعون من أراد الدخول
فيه جهدهم وقيل أتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من
العدوان والحروب ليعودوا الى حالهم وانما كروا بالخطاب والاستفهام مبالغة في التوبيخ وذم
العذر لهم واشعاراً بأن كل واحد من الامرين مستوجب في نفسه مستقل باستجلاب العذاب
وقوله تعالى (تبغونها) أى السبيل (عوجاً) حال من الواو أى باغين طالبيين لها عوجاً جابياً
ميلاً عن القصد والاستقامة بأن تلبسوا على الناس وتوهموا ان في دين الاسلام عوجاً عن الحق
بمنع التسخيب وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما * (فائدة) * قال أبو عبيدة العوج
بالكسر في الدين والقول والعمل وبالفصح في الجدار وكل شخص قائم (وأنتم شهداء) أى عالمون
بأن الدين المرضى هو دين الاسلام كما في كتابكم (وما الله بغافل عما تعملون) من الكفر

والله كذيب وانما يؤخركم لوقتكم فيجازيكم (فان قيل) لم ختمت الآية الاولى بقوله تعالى والله شهيد على ما تعملون وهذه الآية بقوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون (أجيب) بأنه لما كان المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله تعالى والله شهيد على ما تعملون ولما كان في هذه الآية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفون ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون ولما مر شاس بن قيس اليهودي وكان شيخا عظيما الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مسجد لهم يتحدثون فغاطه ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فأمر شابا من اليهود أن يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعث وهو موضع بالمدينة وينشد لهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوم اقتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظرفيه للاوس ففعل قنارع القوم عند ذلك وتفاحروا وتغاضبوا وقالوا لا سلاح السلاح فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فبين معه من المهاجرين والانصار فقال أبعثوا الجاهلية وانابن أظهركم بعد اذا كرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف به بينكم فعرف القوم انها زغمة من الشيطان وكيد من عدوهم فالتقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين نزل (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب) أي شاسا وأصحابه (يردوكم بعد ايمانكم كافرين) قال جابر ما رأيت يوما قط أقمح أولا وأحسن آخرام مثل ذلك اليوم ثم قال الله تعالى على وجه التعجب والتوبيخ (وكيف تكفرون) أي ولم تكفرون (وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى من أين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم غضة طرية وبين أظهركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهكم ويعظكم وينصح شبيكم (ومن يعتصم بالله) أي ومن يتمسك بدينه أو يتأجئ اليه في مجامع أموره (فقد هدى) أي فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلا ناقدا فلت كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصله ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده (الى صراط) أي طريق (مستقيم) أي واضح (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) أي واجب تقواه وما يمتحن منها وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم وقال ابن مسعود بأن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروى مرفوعا لما نزلت هذه الآية قالت السماء رضى الله تعالى عنهم يا رسول الله من يقوى على هذا فنسخ بقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقال مقاتل امس في آل عمران منسوخ الا هذه الآية (ولا تموتن الا وانتم مسلمون) أي موحدون والمعنى لا تكونن على حال سوى حالة الاسلام اذا أدرككم الموت فان النهى عن المقيد بحال أو غيرهما قد يتوجه بالذات الى القيد تارة والى المقيد أخرى والى المجموع منهما وهو هنا الى القيد كما تقول لمن نسمين به على لقيه العدو لا تأتني الا وانت على حصان بكسر الحاء فلا تنهأ عن الاثبات

ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الايمان فالتنهي هنا متوجه الى القيد وحده وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته الآية فلو ان قطرة من الزقوم قطرت على الارض لامرت على أهل الدنيا معيشتهم فكيف بمن هو طعامهم وليس لهم طعام غيره (واعتصموا بحبل الله) أي بدينه وهو دين الاسلام استعار له الحبل من حيث ان التسلك به سبب للنجاة من الردى كما أن التسلك بالحبل سبب للاسلامة من التردى أو بكتابه وهو القرآن لقوله صلى الله عليه وسلم القرآن حبل الله المتين لا تنقضى بحمائه ولا يخاف عن كثرة الزد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم وقوله تعالى (جميعا) حال أي مجتمعين عليه (ولا تفرقوا) أي ولا تتفرقوا وبعد الاسلام بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادى بعضكم بعضا ويحارب (واذكروا نعمة الله) أي انعامه (عليكم) التي من جللتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدى الى التألف (اذ كنتم أعداء) في الجاهلية ينسكم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة (فألف بين قلوبكم) بالاسلام وقذف فيها المحبة (فأصبحتم بنعمته إخوانا) متراحين متناصحين مجتمعين على أمر واحد وهو الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانوا أخوين لاب وأُم ف وقعت بينهم العداوة بسبب قتل وقطا ولت الحروب والعداوة بينهم مائة وعشرين سنة الى أن أطفأ الله ذلك بالاسلام وألف بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (وكنتم على شنى) أي طرف (حفرة من النار) أي حفرة ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تعوتوا كفارا (فأنقذكم منها) بالاسلام والضمير للحفرة أو النار أو الشنى وأنه لما ثبت ما أضيف اليه كقول الشاعر • كما شرقت صدرا لقناة من الدم • (كذلك) أي مثل ذلك البيان البليغ (يبين الله لكم آياته) أي دلائله (لعلمكم تهتدون) ارادة ان تزدادوا هدى (ولتكن منكم أمة) أي طائفة (يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) فمن التبعض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الامن علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته وكيف يباشره فان الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر وقد يغلط في موضع الدين ويلين في موضع الغلظة وعلى هذا فالخطاب به الكل على الاصح ويسقط بفعل البعض المخرج عن الباقيين وهكذا كل ما هو فرض كفاية فان تركوه أصلا أو أجمعوا وقيل من زائدة وقيل للتبيين بمعنى وكونوا أمة تأمرون بالمعروف كقوله تعالى كنتم خيرا أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف (وأولئك) أي الداعون الا أمرون الناهون (هم المقطعون) أي الفائزون بكمال الفلاح وروى الامام أحمد وغيره انه صلى الله عليه وسلم سئل وهو على المنبر من خير الناس قال أمرهم بالمعروف وأنهم هم عن المنكر واتقاهم الله وأوصلهم للرحم وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فليقله فان لم يستطع فليقله وذلك أضعف الايمان وروى انه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بي

يسده لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر وأوليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا من عنده
ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم وروى أن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال أيها الناس
انكم تقرؤون هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم واني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الناس إذا رأوا منكرا فلم يغيروه يوشك أن يعمهم الله
تعالى بعذابه وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال مثل المداخن في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم
استهموا سفينة فصار بعضهم في أسفلها وصار بعضهم في أعلاها فكان الذي في أسفلها يتر بالماء
على الذي في أعلاها فتأذوا به فأخذوا ساجعا ليقترأ أسفل السفينة فأوثقوا ما لك فقال
تأذيتم بي ولا بد لي من الماء فان أخذوا على يديه أنجوه وأنجوا أنفسهم وان تركوه أهلكوه
وأهلكوا أنفسهم وعن حذيفة يأتي على الناس زمان يكون فيهم ببيعة الحمار أحب اليهم
من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وروى عن سفيان الثوري إذا كان الرجل محببا
في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم أنه مدهان والامر بالمعروف تابع للمأمور به ان كان واجبا
فواجب وان كان مندوبا فمندوب وأما النهي عن المنكر أي الحرام فواجب كله لان جميع
المنكر تركه واجب لاتصافه بالقيح والاطهر ان العاصي يجب عليه أن ينهي عما يرتكبه لانه
يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك أحدهما وجوب الآخر وعن السلف مر وابانخير
وان لم تفعلوا وانما يجب الامر والنهي على المكلف اذا لم يخش ضررا ويجب ان يدفع بالاخف
فالاخف كدفع الصائل (فان قيل) الدعاء للخير عام في التكليف من الافعال والتروك فهو
شامل للامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاقاعدة ذلك (أجيب) بأنه من عطف الخاص
على العام ايذا بنا بفضل كقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى (ولا تكونوا كالذين
تفرقوا) عن دينهم (واختلفوا) فيه وهم اليهود والنصارى (من بعد ما جاءهم البينات)
أي الآيات والحجج الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق وقيل هم مبتدعة هذه
الامة وهم المشبهة بالجبرية والحشوية وأشباهم وقوله تعالى (وأولئك لهم عذاب عظيم)
وعبد للذين تفرقوا وتمديد للمتشبه بهم (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) هو يوم القيامة
ونصب يوم بالطرف وهو لهم لما فيه من معنى الفعل أرباضا مراد كروا والبياض من النور
والسواد من الظلمة فمن كان من أهل نور الحق وسم بياض اللون واسفاره واشراقه وايضت
صحيفته وأشرق وسعى النور بين يديه ويمينه ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون
وكسوفه واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة
رحمته من ظلمات الباطل وأهله (فأما الذين اسودت وجوههم) فهم الكافرون فيلقون
في النار ويقال لهم تو بخارا كقرتم بعد ايمانكم) واختلفوا في كيف كفر وابعد ايمانهم فقال
أبي بن كعب أوادبه الايمان يوم الميثاق حين قال لهم أأستبركم قالوا بلى يقول أ كقرتم بعد
ايمانكم يوم الميثاق وعلى هذاهم جميع الكفرة وقال الحسن هم المنافقون تكلموا بالايان
بالسنتهم وأنكروا بقلوبهم وعن عكرمة انه هم أهل الكتابين آمنوا بأنبياهم وبمحمد صلى

الله عليه وسلم قبل أن يبعث فلما بعث كفروا به وقال قتادة هم أهل البدع وقال أبو أمامة هم
 الخوارج ولما رأهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب أهل النار هؤلاء شر قتلى تحت
 أديم السماء وخير قتلى تحت أديم الأرض الذين قتلهم هؤلاء فقال له أبو غالب أشي تقول
 برأيك أم شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل سمعته من رسول الله صلى الله
 عليه وسلم غير مرة قال فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من أهل الإسلام فكفروا
 ثم قرأ هذه الآية ثم أخذ يديه فقال إن بأرضكم منهم كثيرا فأعاذك الله تعالى منهم وقوله
تعالى (فذوقوا العذاب) أمر اهانة (بما كنتم تكفرون) أي بسبب كفركم أو جزاء كفركم فالباء
 متعلقة بذوقوا على الأقل وعذوف على الثاني (وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله) أي
 جنته عبر عنهم بالرحمة تنبيه على أن المؤمن وإن استغرق عوره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة
 إلا برحمته وفضله (فان قيل) كان حق الترتيب أن يقدم ذكرهم (أجيب) بأن القصد أن يكون
 مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين ونوابهم (فان قيل) ما فائدة قوله تعالى (هم فيها خالدون)
 بعد قوله ففي رحمة الله (أجيب) بأن فائدته أنه أخرج مخرج الاستئناف والتأكيد
 كأنه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون (تلك) أي هذه
 الآيات الواردة في الوعد والوعيد (آيات الله تتلوها عليك) يا محمد (بالحق) أي متلبسة بالحق
 والعدل من جزاء المحسن والمسيء (وما الله يريد ظلما للعالمين) اذ يستحيل الظلم منه تعالى لانه
 لا يجب عليه شيء بل هو المالك على الإطلاق كما قال تعالى (ولله ما في السموات وما في الأرض)
 ملكا وخلقا (والى الله ترجع) أي تصير (الامور) فيجازى كلابا وعدله وأوعده (كنتم) يا أمة محمد
 صلى الله عليه وسلم في علم الله تعالى (خير أمة أخرجت) أي أظهور (للناس) وقيل كنتم في الامم
 قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة موصوفين به روى انه صلى الله عليه وسلم قال ألا وان هذه
 الامة توفى سبعين أمة هي خيرها وأكرمها على الله تعالى وروى انه صلى الله عليه وسلم قال مثل
 أمي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره وروى انه صلى الله عليه وسلم قال إن الجنة حرمات على
 الانبياء كلهم حتى أدخلها وحرمات على الامم حتى تدخلها أمي وروى انه صلى الله عليه وسلم قال
 أهل الجنة عشرون ومائة صف يخافون من هذه الامة وقوله تعالى (تأمرون بالمعروف وتنهون
 عن المنكر) استئناف بين به كونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم
 بعصا لهم أو خير ثان لكنتم وقوله تعالى (وؤمنون بالله) يتضمن الايمان بكل ما يجب أن يؤمن
 به لأن من آمن ببعض ما يجب الايمان به من رسول أو كتاب أو بعث أو حساب أو عقاب أو ثواب
 أو غير ذلك لم يعتد بإيمانه فكأنه غير مؤمن بالله (فان قيل) لم آخر تؤمنون بالله وحقه أن يقدم
 (أجيب) بأنه إنما أخر لانه قصد به كره الدلالة على انهم أمر وأبالمعروف ونهوا عن المنكر إيمانا
 بالله تعالى وتصديقا به وإظهارا لدينه (تنبيه) استدلال بهذه الآية على أن إجماع هذه الامة
 حجة لأنها تقتضي كونهم أمم أمم بكل معروف ناهين عن كل منكر إذا اللام فيها للاستغراق فلو
 أجمعوا على باطل كتحريم شيء هو في نفس الامر معروف كان أمرهم على خلاف ذلك (ولو آمن

أهل الكتاب) بالله ورسله صلى الله عليه وسلم (لكان) الايمان (خير لهم) مما هم عليه لانهم
 انما آثروا دينهم على دين الاسلام حامل للرياسة واستتباع العوام (منهم المؤمنون) كعبد الله بن
 سلام وأصحابه (وأكثرهم الفاسقون) أى المتقردون فى الكفر (لن يضرركم) أى اليهود يامعشر
 المسلمين بشئ (الأذى) أى ضررا يسيرا كتب وطعن فى الدين وتهديد وفحوا ذلك (وان يقا: لوكم
 يولوكم الادبار) منهزمين ولا يضرركم يقتل أو أسر (ثم لا ينصرون) عليكم بل لكم النصر عليهم
 وفى هذا اثبت لمن أسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بأنهم لا يقدر ان يقبازوا الاذى الى ضرر
 يالى به مع أنه تعالى وعدهم الغلبة عليهم والاتقام منهم وأن عاقبة أمرهم الخذلان والذل (فان
 قيل) هلا جزم المعطوف فى قوله ثم لا ينصرون (أجيب) بأنه عدل به عن حكم الجزاء الى حكم
 الاخبار ابتداء كأنه قيل ثم أخبركم انهم لا ينصرون والفرق بين رفعه وجرمه فى المعنى أنه
 لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا
 كأنه قال ثم شأنهم وقصتهم التى أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية أنهم يخذلون منتف
 عنهم النصر والقوة لا نهضون بعدها يجتاح ولا يستقيم لهم أمر كما أخبر عن حال بنى قريظة
 والنضير ويهم ودخير (فان قيل) ما معنى التراخي فى ثم (أجيب) بأن معناه التراخي فى الرتبة
 لأن الاخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الاخبار بتولييتهم الادبار (ضربت عليهم الدلة)
 أى هدر النفس والمال والاهل وأذل القس بالباطل والحزبة (أيما نقضوا) أى حيثما
 وجدوا فلا عزلهم ولا اعتصام فى سائر أحوالهم (الا) فى حال اعتصامهم (يجعل من الله)
 أى بذمة الله أو كتابه (وجعل من الناس) أى بذمة المسلمين أو بدين الاسلام واتباع سبيل
 المؤمنين أى لا عزلهم قط الا هذه الواحدة وهى التجاوزهم الى الذمة لما قبلوه من الحزبة او دين
 الاسلام (وبأوا) أى رجعوا (بغضب من الله) أى مستوجبين له (وضربت عليهم المسكنة)
 كما يضرب البيت على أهله فهم ساكنون فى المسكنة غير ظاعنين عنها يظهرون الفقر والمسكنة
 وفسرأ كثر المفسرين المسكنة بالحزبة وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه قال البيضاوى
 واليهود فى غالب الامر فقراء مساكن اه (ذلك) أى ضرب الذلة والمسكنة والبؤس بالغضب
 كائن (بأنهم) أى بسبب انهم (كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك)
 أى الكفر والقتل (بما عصوا وكانوا يعتدون) أى كائن بسبب عصيانهم واعتدائهم
 حدود الله تعالى فان الاصرار على الصغائر يفضى الى الكثرة والاصرار على الكثرة يفضى
 الى الكفر والعياذ بالله تعالى (ليسوا) أى أهل الكتاب (سواء) أى مستويين وقوله تعالى
 (من أهل الكتاب أمة قائمة) أى مستقيمة ثابتة على الحق استئناف لبيان نفي الاستواء وهم
 الذين أسلوا كعبد الله بن سلام وأصحابه قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لما أسلم عبد الله بن
 سلام قالت أخبار اليهود ما آمن بمحمد الا أشارنا ولولا ذلك ما تركوا دين آبائهم فانزل الله
 هذه الآية (يتلون آيات الله) أى يقرؤون كتاب الله (آناه الليل) أى فى ساعاته وقوله تعالى
 (وهم يهودون) حال أى يصلون لأن التلاوة لا تكون فى السجود واختلفوا فى معناها فقال

بعضهم هي قيام الليل وقال ابن مسعود هي صلاة العتمة لأن أهل الكتاب لا يصلونها لما روى أنه عليه الصلاة والسلام أخرها ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال أمانة أي الشأن ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله تعالى هذه الساعة غيركم روى الامام أحمد والنسائي وغيرهما وقوله غيركم بالنصب خبر ليس ومن أهل الأديان حال من أحذقاه التفنن زاني ثم وصف الله تعالى تلك الأمة القائمة بصفات أخر فقال (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمنون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك) أي الموصوفون بما ذكر (من الصالحين) أي ممن صلت أحوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثنا أي والامة الاخرى غير قائمة بل تعرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون لليوم الآخر بغير رصفته متباطون عن الخيرات فترك هذا كتفاً بذكر أحد الفريقين (وما تنفعوا من خير فلان تكفروه) أي تعدوا واثوابه بل تجازون عليه وقرأ حفص وحجة والكسائي بالياء فيهما أي الامة القائمة والباقيون بالنساء على الخطاب أي أيها الامة القائمة وقوله تعالى (والله عليم بالمتقين) بشارة لهم واشعار بأن التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو أهل التقوى (ان الذين كفروا لن تغني) أي تدفع (عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) أي من عذابه (شيئاً) وخص الاموال والاولاد بالذكر لأن الانسان يدفع عن نفسه تارة ببغاء المال وتارة بالاستعانة بالاولاد (وأولئك أصحاب النار) أي لازموها هم فيها خالدون مثل) أي صفة (ما ينفقون) أي الكفار (في هذه الحياة الدنيا) في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ونحوها (كمثل ريح فيها صر) قال أكثر المفسرين فيها برد شديد وحكي عن ابن عباس أنها السحوم الحارة التي تقتل وقيل فيها صر أي صوت (أصابت حرث) أي زرع (قوم ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعاصي (فأهلكته) عقوبة لهم لأن الاهلاك عن سخط أشد وأبلغ والمعنى مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح الزرع فلم يقتضوا به فكذلك نفقة هؤلاء ذاهبة لا يفتقون بها (وما ظلمهم الله) بضماح نفقاتهم (ولكن أنفسم يظلمون) بالكفر الموجب لضماحها ويجوز أن يعود الضمير لأصحاب الحرث الذين ظلموا أنفسهم أي وما ظلمهم الله تعالى باهلاك حرثهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) أي أصدقاء تطلعونهم على سركم ثقة بهم شبهوا ببطانة الثوب كما شبهوا بالشمار قال عليه الصلاة والسلام الانصار شعار والناس دثار روى الشيخان والشعار ما يلي الجسد والدثار فوقه وقوله تعالى (من دونكم) أي من دون المسلمين متعلق بلا تتخذوا أو بمحذوف هو صفة بطانة أي كأنه من دونكم أي غيركم من الكفار والمنافقين (لا يألونكم خبالاً) أي لا يقصرون لكم في القساد والاولو القصير وأصله أن يعتدي بالحرف وعدى إلى من عولن كقولهم لا أولئك نصاً على تضمين معنى المنع أو النقص والمعنى لا أمنعك نصاً ولا اتقصك (ودوا) أي غنوا (ما غنم) أي غنيتكم وهو شدة الضرر وما مصدرية أي غنوا أن يضروكم في دينكم ودنياكم أشد الضرر وبالله (قد بدت) أي ظهرت (البغضاء من أفواههم) أي في كلامهم بالوقعة فيكم وإطلاع المشركين

على سركم لا تجعلوا أنفسكم لغرض بغضهم وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار ولا تطلع بعضهم بعضاً على ذلك (وما تخفى صدورهم) من العداوة والغيط (أكبر) أى أعظم محابداً لأن بدوه ليس عن روية واختيار (قد بينا لكم الآيات) الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين (ان كنتم تعقلون) ما بين لكم فلا توالوهم (فان قيل) كيف موقع هذه الجمل وهو لا يأتونكم وودوا ما عنتم وقد بدت البغضاء وقد بينا لكم الآيات (أجيب) بأنها استأنفات على وجه التعليل بمعنى ان كلاً عله للتهنى عن اتخاذهم ببطانة (ها أنتم أولاء) هاتبيه وأنتم كناية للمخاطبين وأولاء اسم للمشاركين اليهم وهم المؤمنون وقوله تعالى (تحبونهم) أى هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مبايحتهم للأسباب التي بينكم من القرابة والرضاع والمصاهرة (ولا يحبونكم) لخالفتم لكم في الدين بيان لخطئهم في موالاتهم حيث يذلون محبتهم لاهل البغضاء (وتؤمنون بالكتاب كله) أى بالكتب كلها وهم لا يؤمنون بكتابكم وفي هذا توخي شديد للمؤمنين بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم ونحو هذا قوله تعالى فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون (واذا القوكم قالوا آمنا) أى فشاها وتغيروا (واذا خلوا) أى خلا بعضهم ببعض (عضوا عليكم الانامل) أى أطراف الاصابع (من الغيط) أى شدة الغضب لما يرون من اتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم ويعبر عن شدة الغضب بعض الانامل مجازاً وأن لم يكن ثم عض فيوصف المغتاط والنادم بعض الانامل والبيان والابهام قال الحرث بن ظالم المزي

فأقتل أقواماً لنا ما أدلة * يعضون من غيط رؤس الابهام

(قل موتوا بغيظكم) أى ابقوا الى الممات بغيظكم فلن تروا ما يسركم وقوله تعالى (ان الله عليم بذات الصدور) أى بما في القلوب ومنه ما يضره هؤلاء يحتمل أن يكون من المقول أى وقل لهم ان الله عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الانامل غيطاً وأن يكون خارجاً عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمائرهم (ان تفسسكم) أى تصبكم أيها المؤمنون (حسنة) أى نعمة كنصر وغنية ونصب في معاشكم وتتابع الناس في دينكم (تسوهم) أى تزهمهم (وان تصبكم سيئة) أى اساءة كهزيمة وجذب واختلاف يكون بينكم (يفرحوا بها) وبجمله الشرط متصلة بالشرط قيل وما بينهما اعتراض والمعنى انهم متناهون في عداوتكم فلم توالوهم فاجتنبوهم (فان قيل) كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة (أجيب) بأن المس مستعار بمعنى الاصابة فكان المعنى واحداً لا ترى الى قوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك (وان تصبروا) على أذاهم (وتتقوا) الله في موالاتهم وغيرها (لا يضركم كيدهم شيئاً) بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين وهذا تعليم من الله تعالى وارشاد الى أنه يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء اذا أردت ان تكيد من يحسدك فازدد فضلاً في نفسك وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو يكسر الضاد وسكون الراء من ضاله يضيره والباقون يضم الضاد وضم الراء مشددة للاتباع

كضمة مذوهى ضعة الامر المضاعف وكل مجزوم من المضاعف المضموم العين فانه يجوز ضمه
 لا اتباع كما يجوز ضمة للضفة وكسر لاجل تحريك الساكن (ان الله بما تعملون محيط) أى عالم
 فيما زيككم به (و) اذكر يا محمد (اذ غدوت من أهلك) أى من هجرة عائشة رضى الله تعالى عنها
 (نبوى) أى تنزل (المؤمنين مقاعد) أى مراكن يقضون فيها (للقال والله جميع) لا قوالكم (عليم)
 بأحوالكم روى أن المشركين نزلوا بأحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أصحابه ودعا عبد الله بن الجي ابن سلول ولم يدعه قط قبلها واستشاره فقال عبد الله وأصحابه
 الانصار يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا أصاب منا
 ولا دخل علينا الا أصابنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فان أقاموا أقاموا ابشر بحبس أى بكسر
 الباء وهو مكان لا ماء فيه ولا طعام وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء
 والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 هذا رأى وقال بعض أصحابه اخرج بنا الى هؤلاء الاكابر لا يروننا قد جبناعنهم وضعفنا
 وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى قد رأيت فى منابى بقرا مذبحه حولى فأولتها خيرا
 ورأيت فى ذباب سمينى ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأنى أدخلت يدي فى درع حصينة فأولتها
 المدينة فلن رأيت ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتهم بدروا كرمهم الله
 بالشهادة يوم أحد اخرج بنا الى أعدائنا فلم ير الوابه حتى دخل فليس لآتمته أى درعه فلما رآوه
 قد لبس لآتمته ندموا وقالوا ابئس ما صنعنا شير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحى يأتيه
 وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنى أن يلبس لآتمته فيضعها حتى يقاتل فخرج
 يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث
 من الهجرة ونزل فى عدوة الوادى أى بالعين المهمله وهى جاتيه وجعل ظهره وعكسه
 الى أحد سوى صفوفهم وأجلس خمسين من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير بسفح الجبل
 وقال انضحوا علينا بالنبل لا يأتون من ورائنا ولا تبرحوا غلبنا أو نصرنا (اذ) بدل من اذ قبله
 (همت طائفتان منكم) بنوسلة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما جناح العسكر
 (ان تغشلا) أى تجبنا عن القتال وترجعوا روى أنه صلى الله عليه وسلم خرج فى زهاء ألف رجل
 ووعدهم النصر ان صبروا وكان المشركون ثلاثة آلاف فلما بلغوا عند جبل أحد بالمدينة انغزل
 ابن أبى المنافق فى ثلثمائة وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصارى
 وقال أنشدكم الله فى نبيكم وأنفسكم فقال ابن أبى لؤى لعلم قتالا لا تبعنا كم فهم الحيان باتباعه فتبهم
 الله ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزنجشري واظهارا أنها كانت الائمة
 وحديث نفس وكما لا تغفلوا النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم ردها صاحبها الى الثبات والصبر
 ويوطنها على احتمال المكر وكما قال عمرو بن الاطنابة

أقول لها اذا جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى

(والله وليهما) أى ناصرهما فإلهما تغشلان (وعلى الله فليستوكل المؤمنون) أى لينتقوا به دون

غيره فينصرهم كما نصرهم ييدر ونزل لما همز موامن أحد تذكرة لهم بنبعة الله تعالى (ولقد نصركم الله
ييدر) وهو ما بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرافسي به وقوله تعالى (وأنتم أذلة) أي بقلته
العدد والصلاح والمال حال من الضمير (فان قيل) قال الله تعالى وأنتم أذلة وقد قال تعالى والله
العزة والرسولة وللمؤمنين (أجيب) بأنه بمعنى الأقلية وضعف الحال وقلة السلاح والمال كما مر
فان نقض ذلك العز وهو القوة والغلبة روى ان المسلمين كانوا المئاة وبضعة عشر رجلا
ولم يكن فيهم الا فرس واحدوا كثرة كانوا ارجالة وربما كان الجمع منهم يركبون رجلا
واحدوا والكفار كانوا قريبا من ألف مقاتل ومعهم مائة فرس مع الاسلحة الكثيرة والعدة
الكاملة (فانقوا الله) في النيات وعدم المخالفة (اعلمكم تشكرون) أي بتقواكم نعمه
التي أنعم بها عليكم من نصرته وقوله تعالى (اذ تقول للمؤمنين) أي توعدكم تطميننا ظرف لنصركم
وقوله تعالى (ألن يكفيكم أن يمدكم) أي يعينكم (ربكم ثلاثة آلاف من الملائكة منزلين)
انكار أن لا يكفيهم ذلك وانما هي مبلن اشعارا بأنهم كانوا كالأيسين من النصر لضعفهم وقتلهم
وقوة العدو وكثرتهم وقرأ ابن عباس يفتح التون وتشديد الزاي والباقون يسكون التون
وتخفيف الزاي وقوله تعالى (بلى) ابجواب لما بعد لن أي بلى يكفيكم (فان قيل) قد قال تعالى
في سورة الانفال اني مدكم بألف من الملائكة مردفين فكيف قال هنا ثلاثة آلاف (أجيب)
بأنه مدهم أولا بألف ثم صارت ثلاثة ثم صارت خمسة كما قال تعالى (ان تصبروا) أي على لقاء العدو
(وتتقوا) الله في المخالفة (ويأتوكم) أي المشركون (من قورهم) أي من وقتهم (هذا) والقور
الجملة والسرعة ومنه فارت القدر اشتد غلبانهم او سارع ما فيها الى الخروج (يمدكم ربكم
بخمسة آلاف من الملائكة - ومين) أي معلمين وقد صبروا وانه واوا أنجز الله وعده بأن قاتل
معهم الملائكة على خيل بلق عليهم عثمان صفرا أو بيض أرسلوا هابين اكافهم وعن عروة بن
الزبير كانت عمارة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن الصادق عليه السلام قال
الايض في نواصي الدواب وأذناها وعن مجاهد مجزوفة أذناها خيلهم قال أكثر المفسرين
ان الملائكة لم تقابل في غير يوم بدر روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه تسوموا فان
الملائكة قد تسومت بالصوف الايض في قلائسهم ومغافرهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم
يكسر الواو والباقون يقتضها (وما جعله الله) أي الامداد (الابشري) أي بشارة (لكم) أي بالنصر
(ولتطمئن) أي ولتسكن (قلوبكم به) فلا تجزعوا من كثرة عدوكم وقلة عددكم كما كانت
السكينة لبني اسرائيل بشارته بالنصر وطمأنينة قلوبهم (وما النصر الا من عند الله) لامن
العدة والعدد وهو تبيينه على أنه لا حاجة في نصرهم الى مدد الملائكة وانما أمدتهم ووعدهم به
بشارة لهم وربطها على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب أكثر (العزيز) الذي
لا يقالب (الحكيم) الذي يتصرف بحكمة من يشاء بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة
والصلوة وقوله تعالى (ليقطع) متعلق بنصركم أي ليهلك (طرقا) أي طائفة (من الذين كفروا)
بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسرى سبعين من رؤساء قريش ومسايدهم

(أو يكبتهم) أي يذلهم بالهزيمة والكبت شدة غيظ أو وهن يقع في القلب (فينقلبوا) أي فيرجعوا
(خائبين) أي لم ينالوا مرامهم وأول التنويع للترديد * ونزل لما كسرت رباعيته صلى الله
عليه وسلم وشج وجهه يوم أحد وقال كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم وكسروا رباعيته وهو
يدهوهم (ليس لك من الأمر شيء) بل الأمر كله لله فأصبراً غماً أنت عبد مبعوث لأنذارهم
ومجاهدتهم وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم أحد اللهم العن الحرث بن هشام اللهم العن صفوان بن أمية فنزلت هذه الآية وقال قوم
نزلت في أهل بئر معونة وهم سبعون رجلاً من القراء بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر
معونة في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد ليعلموا الناس القرآن
والعلم أميرهم المنذر بن عمر وقتله ثم عامر بن الطفيل فوجد عليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وجداً شديداً وقت شهر في الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن والسب
وقوله تعالى (أو يتوب عليهم أو يعذبهم) عطف على قوله أو يكبتهم وليس لك من الأمر شيء
اعتراض والمعنى إن الله تعالى مالك أمرهم فإما أن يهلكهم أو يكبتهم أو يتوب عليهم إن أسلوا
أو يعذبهم إن أصروا (فأنهم ظالمون) بالكفر وقيل إن أو يتوب عليهم يعنى إلى أن يتوب عليهم
(ولله ما في السموات وما في الأرض) مدحاً وخلقاً فله الأمر كله والمقصود من هذا تأكيد
ما ذكره أولاً من قوله ليس لك من الأمر شيء والمعنى إنما يكون ذلك لمن له الملك وليس هو لأحد إلا الله
تعالى (فإن قيل) ظاهر ما ذكر يدل على أن ذلك ورد للمنع من أمر كان صلى الله عليه وسلم يريد
أن يفعله وذلك الفعل أن كان بأمر الله تعالى فكيف يمنعه منه وإن كان بغير أمره فكيف يصح
مع قوله تعالى وما ينطق عن الهوى (أجيب) بأن ذلك كان من باب ترك الأفضل والأولى فلا
جرم أرشده الله تعالى إلى اختيار الأولى نظيره قوله تعالى وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما هو قبيح به
ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وأصبروا وما صبرك إلا بالله فكانه تعالى قال أولاً إن كان ولا بد أن
تعاقب ذلك الظالم فما كتف بالمثل ثم قال ثانياً وإن تركته كان ذلك أولى * ثم أمره أمر اجاز ما يتركه
فقال وأصبر وما صبرك إلا بالله (يقفر لمن يشاء) مغفرة (ويعذب من يشاء) تعذيبه * ولما كان له
فعل ذلك الآن جانب المغفرة والرحمة غالب لا على سبيل الوجوب بل على سبيل التفضل
والإحسان قال (والله غفور) لا ولياً له (رحيم) بعباده فلا تبادر بالدعاء عليهم * ولما شرح سبحانه
وتعالى عظيم نعمه على المؤمنين فيما يتعلق بأرشادهم إلى الأصلح في أمر الدين والجهاد أتبع ذلك
بما يدخل في الأمر والنهي والترغيب والتعذير فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الرباض عافاً)
وهو جمع ضف * ولما كان جمع قلة والمقصود الكثرة أتبعه بما يدل على ذلك وهو الوصف بقوله
(مضاعفة) بأن تزيد وفي المال عند حلول الأجل وتؤخروا الطلب والتقصيص بحسب الواقع
إذ كان الرجل منهم يراي إلى أجل ثم يزيد في الدين زيادة أخرى حتى يستغرق بالشئ اللطيف
مال المديون والأفار باحرام بلا مضاعفة بل هو من الكثرة مطلقاً وقرأ ابن كثير وابن عامر
بتشديد العين ولا ألف قبلها والباقون بتخفيف العين وألف قبلها (واتقوا الله) بترك ما نهى الله عنه

(اعلمكم تفطنون) أى تفوزون ثم خوفهم فقال تعالى (واتقوا النار التى أعدت للكافرين) بالتحريز عن متابعتهم وتعاطى أفعالهم كان أبو حنيفة رحمه الله يقول هذه أخوف آية فى القرآن حيث أوعده الله المؤمنين بالنار المعدّة للكافرين ان لم يتقوه باجتنب محارمه وفى الآية تنبيه على ان النار بالذات للكفار وبالعرض للعصاة (وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) لما ذكر الوعيد أتبعه بالوعد ترهيباً عن المخالفة وترغيباً فى الطاعة على عادته تعالى المستمرة فى القرآن قال محمد بن اسحق بن يسار هذه الآية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمرهم بما أمرهم يوم أحد ولعل وعسى فى أمثال ذلك دليل على عزة التوصل الى ما جعل خيراً لهما ومن تأمل هذه الآيات وأمثالها لم يحدث نفسه بالا طماع الفارغة والتقى على الله تعالى (وسارعوا) أى بادروا وأقبلوا (الى مغفرة من ربكم) أى الى ما تنصق به المغفرة كالاسلام والتوبة وأداء الفرائض والهجرة والجهاد والتكبير الاولى والاعمال الصالحات وقرأ نافع وابن عامر يغـيروا وقبل السين والباقون بواو قبلها (و) الى (جنة عرضها السموات والارض) أى عرضها كعرضهما كقوله تعالى عرضها كعرض السماء والارض وانما جعلت السماء وأفردت الارض لانها أنواع قيل بعض فضة وبعض غير ذلك والارض نوع واحد وذكر العرض للمبالغة فى وصف الجنة بالجنة لان العرض دون الطول كما دل عليه قوله تعالى بطائنها من استبرق على أن الظهارة أعظم يقول هذه صفة عرضها فكيف طولها قال الزهري انما وصف عرضها فأما طولها فلا يعلمه الا الله تعالى وهذا على سبيل التمثيل لأنها كالسموات والارض لا غير بل معناها كعرض السموات السبع والارضين السبع عند ظنكم كقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض أى عند ظنكم والافهام اذ اثنان وعن ابن عباس الجنة كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض وعنه أيضاً ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وروى أن ناساً من اليهود سألو عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا كانت الجنة عرضها ذلك فأين تكون النار فقال لهم أرايتم اذا جاء الليل فأين يكون النهار واذا جاء النهار فأين يكون الليل فقالوا انه مثلها فى التوراة ومعناه أنه حيث شاء الله وسئل أنس بن مالك عن الجنة فى السماء أم فى الارض فقال وأى أرض وسما تسع الجنة قيل فأين هى قال فوق السموات السبع تحت العرش وقال قتادة كانوا يرون أن الجنة فوق السموات السبع وان جهنم تحت الارضين السبع (فان قيل) قال تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون وأراد بالذى وعدنا الجنة فاذا كانت الجنة فى السماء فكيف يكون عرضها ما ذكر (أجيب) بأن باب الجنة فى السماء وعرضها كما أخبر تعالى (أعدت) هيئت (للمتقين) الله بعمل الطاعات وترك المعاصى وفى ذلك دليل على ان الجنة مخلوقة الآن وقيل ان الجنة والدار يخلقان بعد قيام الساعة ثم وصف الله تعالى المتقين بصفات فقال (الذين يتفقون) أى فى طاعة الله (فى السرّاء والضرّاء) أى فى العسر واليسر وأحوال كلها لان الانسان لا يتخلو عن مسرة أو مضرة أى لا يتخلو عن حال تام باتفاق ما قدره عليه من قليل أو كثير كما يحكى عن بعض السلف أنه ربما تصدق بصلته وعن

عائشه رضي الله تعالى عنها انها تصدقت بحجة عيب فأول ما ذكر من أوصافهم الموجبة للجنة ذكر السخاء وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال السخى قريب من الله قريب من الله قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله قريب من النار ولجاهل سخى أحب الى الله من العالم البخل (والكاظمين الغيظ) أى الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة روى أنه صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على أن ينفضه دعاه الله يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره من أى الحور شاء وروى من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملائكة الله قلبه أمنا وإيمانا وروى ليس الشديد بالصرعة لكنه الذى يملك نفسه عند الغضب (والعافين عن الناس) أى التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته روى انه صلى الله عليه وسلم قال ينادى مناد يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم الامن عفا وعن ابن عيينة أنه روى عن الرشيد وقد غضب على رجل فغلامه وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان هؤلاء فى أمتي قليل الامن عصم الله وقد كانوا كثيرا فى الامم التى مضت وهذا الاستثناء يحتمل أن يكون منقطعا وهو ظاهر وأن يكون متصلا لما فى القلة من معنى العدم كأنه قيل ان هؤلاء فى أمتي لا يوجدون الامن عصم الله فانه يوجد فى أمتي وقوله تعالى (والله يحب المحسنين) يجوز أن تكون اللام فيه للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون وأن تكون للعهد فتكون اشارة الى هؤلاء وقوله تعالى (والذين اذا قالوا لواء فاحشة) أى ذنبا قبيحا كالزنا (أو ظلموا أنفسهم) أى بمادون الزنا كالقبلة وقيل الفاحشة ما يعصى وظم النفس ما ليس كذلك (ذكر والله) أى ذكر وأوعيده وأحكمه أو حقه العظيم (فاستغفر والذنوبهم) بالندم والتوبة عطف على المتقين أو على الذين يتقون واختلاف فى سبب نزول هذه الآية فقال عطاء بن رباح فى أبي سعيد التمار أتمه امرأة حسناء تتباع منه ثم افضال لها ان هذا القمري ليس بجيد وفى البيت أجود منه فذهب بها الى بيته وضعها الى نفسه وقبلها فاقالت له اتق الله فتركتها وندم على ذلك ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ذلك له فنزلت هذه الآية وقال مقاتل والكلبي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين رجلين أحدهما من الانصار والآخر من ثقيف فخرج الثقيفى فى غزاة واستخلف الانصارى على أهله فاشتري لهم اللحم ذات يوم فلما ارادت المرأة أن تأخذ منه دخل على أثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه فلما رجع الثقيفى لم يستقبله الانصارى فسأل امرأته عن حاله فقالت لا أكفرا الله فى الاخوان مثله ووصفت له الحال والانصارى يسبح فى الجبال تائب مستغفرا فطلبه الثقيفى حتى وجده فأقن به أبابكر رجاء أن يجده عنده راحة وفرجا وقال الانصارى هلك وذكرا القصة فقال أبو بكر ويحك اما علمت ان الله تعالى يغار للغازى ما لا يغار للمقيم ثم أتيا عمر فقال عمر مثل ذلك ثم أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال مثل مقالهم ما فنزلت هذه الآية وقوله تعالى (ومن) أى لا احد (يغفر الذنوب الا الله) استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه سبحانه وتعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعدة بقبول

التوبة (ولم يصروا على ما فعلوا) أى ولم يقيموا على قبيح فعلهم بل أقلعوا عنه مستغفرين روى
 عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أصبر من استغفروا ن عادي في اليوم سبعين مرة وروى لا كبيرة
 مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وقوله تعالى (وهم يعلمون) حال من يصروا أى ولم يصروا
 على قبيح فعلهم عالمين به وقوله تعالى (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها
 الأنهار) إشارة الى الفريقين ويجوز أن يكون والذين مبتدأ وأولئك خبره وقوله تعالى
 (خالدين فيها) حال مقدرة أى مقدرين الخلود فيها إذا دخلوها * (تنبيه) • لا يلزم من اعداد
 الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم أن لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين
 جزاء لهم أن لا يدخلها غيرهم فقول الزمخشري في الكشف وفي هذه الآيات بيان فاطع على
 أن الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرون وأن الجنة للمتقين والتائبين
 منهم دون المصرون ومن خلف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه جار على طريق الاعتزال من
 أن مرتكب الكبيرة إذا مات مصراً لا يدخل الجنة ونعوذ بالله من ذلك بل كل من مات على
 الاسلام يدخل الجنة وهو تحت المشيئة ان شاء الله عذبه وان شاء عفا عنه وقوله تعالى (ونم أجر
 العاملين) المخصوص فيه بالمدح محذوف تقديره ونم أجر العاملين ذلك أى المغفرة والجنات
 روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد مؤمن أذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم
 يستغفر الله الاغفر الله له وروى أى عبد أذنب ذنباً فقال يارب أذنبت ذنباً فاغفر لي فقال ربه
 علم عبدى أن له ربا يغفر الذنوب ويؤاخذ به فاغفر له فكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً آخر فقال
 يارب أذنبت ذنباً آخر فاغفر لي قال ربه علم عبدى أن له ربا يغفر الذنوب ويؤاخذ به قد غفرت له
 فليعمل ما شاء أى ويستغفر فاغفر له وروى أنه تبارك وتعالى قال يا ابن آدم انك ما دعوتني
 ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ابن آدم انك ان تلقى بقرب الارض خطيئاً بالقيئت
 بقربها لمغفرة بعد أن لا تشركني شيئاً ابن آدم انك ان تذب ذنباً حتى يبلغ ذنبك عنان السماء
 ثم تستغفرني أغفر لك وروى أن الله تبارك وتعالى قال من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب
 غفرت له ولا أبالي ما لم يشركني شيئاً قال نابت البناني بالغنى أن ايليس بكى حين نزلت هذه الآية
 والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخرها وروى أن الله تعالى أوحى الى موسى عليه الصلاة والسلام
 ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف أجود برحمتي على من يجعل بطاعتي وعن
 شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من
 الغرور وارتقاء الرحمة عن لا بطاع حق وجهالة وعن الحسن يقول الله تعالى يوم القيامة
 جوزوا الصراط بعضوى وادخلوا الجنة برحمتي واقسموها بأعمالكم وعن رابعة البصرية
 انها كانت تشد

ترجوا النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السقيفة لا تجرى على اليبس
 ونزل في هزيمة أحد (قد خلت) أى مضت (من قبلكم سنن) جمع سنة وهي الطريقة التي يكون
 عليها الانسان ويلازمها ومنه سنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام أى قدمضت من قبلكم

طرائق في الكفار بامهالهم ثم أخذهم (فسيروا) أيهم المؤمنون (في الارض فانتظروا كيف كان عاقبة) أي آخر أمر (المكذبين) الرسل من الهلاك فلا تحزنوا الغلبة ثم فأنامهم لهم لوقتهم (هذا) أي القرآن (بيان للناس) عامة (وهدي) من الضلالة (وموعظة للمتقين) خاصة (ولا تنهوا) أي تضعفوا عن قتال الكفار بما نالكم من القتل والجراح يوم أحد (ولا تحزنوا) على ما أصابكم وكان قد قتل يومئذ من المهاجرين خمسة منهم حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وقتل من الانصار سبعون رجلاً (وأنتم الاعلون) أي وحالككم أنكم أعلى شأنًا منهم فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلهم في النار ولا أنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم اليوم أوهى بشارة لهم بالعلو والغلبة أي وأنتم الاعلون في العاقبة وان جند نالهم الغالبون وقوله تعالى (ان كنتم مؤمنين) متعلق بالنهي بمعنى لا تنهوا ان صح ايمانكم على أن صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بالله تعالى وقوله المبالة بأعدائه أو متعلق بالاعلون أي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويذكركم به من الغلبة (ان يمسكم قرح) جهدم من جرح ونحوه يوم أحد (فقدمس القوم) الكفار (قرح مثله) يوم بدر ثم انهم لم يضعفوا ولم ينجسوا فأنتم أولى أن لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسلمين كان يوم أحد فان المسلمين نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ أبو بكر وشعبة وحزرة والكسائي بضم قاف قرح في الموضعين والباقيون بالفتح وهما الغتان بمعنى وقال القراء القرع بالفتح الجرح وبالضم ألمه (وتلك الايام) تلك مبتدأ والايام صفة وقوله تعالى (نداولها) خبره ويصح أن تلك الايام بتداوخ بركا تقول هي الايام تبلى كل جديد والمراد بالايام أوقات الظفر والغلبة أي نصرتها (بين الناس) قال البغوي فيوما عليهم ويومالهم قال في الكشف كقوله وهو من أبيات الكتاب

فيوما علينا ويومالنا * ويومانساء ويومانسر

تقديره فيوما يكون الامر علينا أي بالاضرار ويومالنا أي بالنفع فيه كون يومنا ظرفا ملائعا لقوله ويومانساء ويومانسر قاله الشيخ سعد الدين أي أدل تارة للمسلمين على المشركين وهو يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين وأمر وسبعين وأدل تارة للكافرين على المسلمين وهو يوم أحد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسة وسبعين روى انه صلى الله عليه وسلم جعل عبد الله ابن جبير على الرجالة يوم أحد وكانوا خمسة عشر رجلا فقال ان واثمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم فهزموهم قال فأنانا والله وأيت النساء يشتد دن قد بدت خلاخلهن وسوقهن رافعات فباجهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير الغنمة الغنمة فانتظرون فقال عبد الله ابن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا والله لنا تين الناس فلنصيبن من الغنمة فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهم زمين فذلك ان يدعوه الرسول في آخرهم فلم يثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا فأصابوا مناسيبين وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة وسبعين أسيرا وسبعين

قتلا فقال أبو سفيان أفي القوم محمد ثلاث مرّات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه
 ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاث مرّات ثم قال أفي القوم ابن الخطاب ثلاث مرّات ثم رجع
 إلى أصحابه وهو يقول أما هؤلاء فقد قتلوا فغاملك عن نفسه فقال كذبت والله يا عدو الله أن
 الذين عددت لأحياء كلهم وقد بقيت ما يسوء لك قال يوم بيوم يدروا الحرب سجال أنكم ستجدون
 في القوم منسلة ثم أخذ يرحلهم * اعل هبل اعل هبل * فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه
 فقالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله أعلى وأجل قال * أن لنا العزى ولا عزى لكم * فقال
 النبي صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه فقالوا يا رسول الله ما نقول فقال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم
 وفي حديث ابن عباس قال أبو سفيان يوم يوم وان الأيام دول والحرب سجال فقال عمر
 رضي الله تعالى عنه لا سواء قتلا في الجنة وقتلا في النار وانما كانت الدولة يوم أحد للكفار
 على المسلمين لما ألقتهم لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولم يعلم الله الذين آمنوا) أي أخلصوا
 إيمانهم من غيرهم (فان قيل) ظاهر هذه الآية أن الله تعالى إنما فعل تلك المداولة ليكتسب هذا
 العلم وذلك في حقه تعالى محال ونظيره هذا الاشكال قوله تعالى أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ولما
 يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقوله تعالى ولقد قتلنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا
 وليعلمن الكاذبين وقوله لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا وقوله ولنبلونكم حتى نعلم الجاهدين
 منكم وقوله الا نعلم من يتبع الرسول وقوله لنبالوكم أيكم أحسن عملا فظاهر هذه الآيات يدل
 على أنه تعالى إنما صار عالما بحدوث هذه الاشياء عند حدوثها وأجاب المتكلمون عنها بأن
 الدلائل العقلية دلت على أنه تعالى يعلم الحوادث قبل وقوعها فنبت أن التغيير في العلم محال الآن
 اطلاق لفظ العلم على المعلوم والقدرة على المقدور مجاز مشهور يقال هذا علم فلان والمراد
 معلومه وهذه قدرة فلان والمراد مقدوره فكل آية يشعر بظاهرها بتجدد العلم فالمراد بتجدد المعلوم
 وإذا عرف هذا فهذه الآية محتملة لوجوه أحدها يظهر المخلص من المنافق والمؤمن من الكافر
 وثانيها يعلم أولياء الله وأضاف إلى نفسه تفخيما وثالثها ليحكم بالامتياز فأوقع العلم مكان
 الحكم بالامتياز لأن الحكم لا يحصل الا بعد العلم ورابعها يعلم ذلك واقعا كما كان يعلم أنه سيقع
 لان المجازاة تقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد (ويتخذ منكم شهداء) أي ويكرم ناسا
 منكم بالشهادة وهم المستشهدون يوم أحد أو وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم
 القيامة بما وجد منهم من الثبات والصبر على الشدائد كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس
 وقوله تعالى (والله لا يحب الظالمين) قال ابن عباس أي المشركين كقوله تعالى ان الشرك لظلم
 عظيم وهو اعتراض بين بعض التعاليل وبعض وفيه تنبيه على أنه تعالى لا ينصر الكافرين
 على الحقيقة وانما يظهرهم احيانا لاستدراجهم وابتلاء المؤمنين (وليجمع الله الذين آمنوا)
 أي ليظهرهم من الذنوب بما أصابهم (ويحق) أي يهلك (الكافرين) أي ان كانت الدولة على
 المؤمنين فلا تميز والاستشهاد والتعويض وغير ذلك مما هو أصح لهم وان كانت الدولة على الكافرين
 فلمحقهم ومحو آثارهم (أم) منقطعة مقدرة قبل ومعنى الهزيمة فيها الانكار أي بل (حسبتم)

أن تدخلوا الجنة وما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) في الشدائد وقد مر معنى يعلم * (تبيينه) * قال البيضاوي والفرق بين لما يعلم ولم أن في لما توقع الفعل فيما يستقبل لكن قال أبو حيان لا أعلم أحد من النحويين ذكره بل ذكروا أنك إذا قلت لما يخرج زيد دل ذلك على انتفاء الخروج فيما مضى متصلاً بنفسه إلى وقت الأخبار وأما أنها تدل على توقعه في المستقبل فلا انتهى لكن قال الفراء لما التعريض الوجود بخلاف لم (ولقد كنتم تمنون) فيه حذف إحدى التامين في الأصل أي تمنون (الموت) أي الحرب فأنهم من أسباب الموت أو الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا أن يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهداً لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فألحوا يوم أحد على الخروج (من قبل أن تلقوه) أي تشاهدوه وتعرفوا شدته (فقد رأيتوه) أي الحرب أو الموت حتى قتل دونكم من قتل من اخوانكم (وأنتم تنظرون) أي بصراً تتأملون الحال كيف هم فلم أنهم زمتهم (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) فسيخلو كما خلوا بالموت أو القتل ومحمد هو المستغرق لجميع المحامد لأن الحمد لا يستوجبها إلا الكامل والتحميد فوق الحمد فلا يستحقه إلا المستولى على الأمر في الكمال وأكرم الله تعالى نبيه وصفيه صلى الله عليه وسلم باسمين مشتقين من اسمه جل وعلا محمد وأحمد وفيه يقول حسان بن ثابت

وشق له من اسمه ليجله * فذل والعرش محمود وهذا محمد

وقوله تعالى (أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) انكار لا رتدادهم وانقلابهم على أعقابهم عن الدين لخالوه صلى الله عليه وسلم بموت أو قتل بعد علمهم بخالوا الرسل قبله وبشهادتهم متمسكاً به (فان قيل) قوله تعالى أفان مات أو قتل شك وهو على الله محال (أجيب) بأن المراد أنه سواء وقع هذا أو ذاك فلا تأثير له في ضعف الدين ووجود الارتداد قال ابن عباس وأصحاب المغازي لما رأى خالد بن الوليد الرماة يوم أحد اشتغلوا بالغنمة ورأى ظهورهم خالية صاح في خيله من المشركين ثم حل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من خلفهم فهزموهم وقتلواهم ورمى عبد الله بن قنينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسرت أنفه ورباعيته وشجعه في وجهه فأنقلبه وتفرق عنه أصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة ليهلجها وكان قد ظاهرين درعين فلم يستطع بفلس تحت طمته فنهض حتى استوى عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة ووقعته هند والنسوة معها يمان بالقتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعدن الأذان والأنوف حتى اتخذت هند من ذلك قلائد وأعطتها وحشياً وبقرت عن كبدة حزة فلا كتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها وأقبل عبد الله بن قنينة يريد قتل النبي صلى الله عليه وسلم فذب مصعب بن عمير وهو صاحب راية النبي صلى الله عليه وسلم عنه فقتله ابن قنينة وهو يرى أنه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فرجع وقال اني قتلت محمداً وصاح صارخ ألا ان محمداً قد قتل فقبيل ان ذلك الصارخ كان ابليس فأنكفأ الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى عباد الله إلى عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلاً فخموا حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد

ابن أبي وقاص حتى اندقت سية قوسه وتل له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذاته فقال ارم
فداك أبي وأمي وكان أبو طلحة رجلا راميا شديدا النزع كسري يومئذ قوسين أو ثلاثا فكان الرجل
يمر ومعه جعبته من النبل فيقول اترها لأبي طلحة وكان اذ ارى يشرف النبي صلى الله عليه وسلم
فينظر الى موضع نبله وأصابت يد طلحة بن عبيد الله فيبست وفي به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأصابت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته فردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكانها فمادت كاحسن ما كانت فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركه أبي بن خلف
الجمعي وهو يقول لا نجوت لا نجوت فقال القوم يا رسول الله ألا يعطف عليه رجل منافق قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه حتى اذا دامنه وكان أبي قبل ذلك يلقي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيقول عندي رمكة أعلقها كل يوم فرق ذرة أقتلك عليها فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بل أنا أقتلك ان شاء الله فلما دامنه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث
ابن الصمة ثم استقبله فطعنه في عنقه وخدشه خدشة فدهسه عن فرسه وهو يخور كما يخور
النور وهو يقول قتلتني محمد وداحته أصحابه وقالوا ليس عليك بأس قال بلى لو كانت هذه الطعنة
بريعة ومضرت لقتلتهم - أليس قال لي أقتلك فلوبزق علي بعد ذلك المقالة لقتلني فلم يلبث الا يوما حتى
مات بموضع يقال له سرف قال ابن عباس اشتد غضب الله علي من قتله نبي واشتد غضب الله علي
من رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وفشا في الناس أن محمد قد قتل فقال بعض المسلمين
لبي لنا رسولا الى عبد الله بن أبي فيأخذنا أمانا من أبي سفيان وبعض الصحابة جلسوا وألقوا
بأيديهم - وقال اناس من أهل النفاق ان كان محمد قد قتل فالحقوا بديتكم الا قول فقال أنس
ابن مالك بن النضر يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون في الحياة
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني أعوذ رايلك مما يقول هؤلاء يعني المسلمين وأبرأ اليك مما
جاء به هؤلاء يعني المنافقين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق
الى الصخرة وهو يدعوا الناس فأول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك وقال
عرفت عينيه تحت المغفر تره ان فساديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأشار الى أن أمسك فأنحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الفرار فقالوا يا نبي الله فدينا لبا يا نانا وأمهاتنا أانا الخبر بأنك قد قتلت
فرعبت قلوبنا فوالينا مدبرين فأنزل الله تعالى هذه الآية (فان قيل) انه تعالى بين في آيات كثيرة انه
عليه الصلاة والسلام لا يقتل فقال انك ميت وانهم ميتون وقال والله يعصمك من الناس وقال
ليظهره على الدين كله واذا علم أنه لا يقتل فلم قال أو قتل (أجيب) بأن هذا ورد على سبيل الالزام
فان موسى عليه الصلاة والسلام مات ولم ترجع أمته عن دينه والنصارى زعموا أن عيسى عليه
الصلاة والسلام قتل ولم يرجعوا عن دينه فكذا ههنا (ومن يقلب على عقبيه فلن يضر الله
شيئا) بارئ داه وانما يضر نفسه (وسيجزي الله الشاكرين) على نعمة الاسلام بالثبات عليه

كائنات واضرا به (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله) أى بقضائه ومشيئته أو بإذنه للملك
 الموت فى قبضه روحه وقوله تعالى (كتاباً) مصدر أى كتب الله ذلك (موجلاً) أى مؤقلاً لا يتقدم
 ولا يتأخر فلم انهم زمتم والهزيمة لا تدفع الموت والشبات لا يقطع الحياة * ونزل فى الذين تركوا المركز
 يوم أحد طلب الغنمة (ومن يرد) أى بعمله (نواب الدنيا فوته منها) ما يشاء مما قدرناه له كما قال
 تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وفى الذين ثبتوا مع أميرهم عبد الله بن جبير
 حتى قتلوا (ومن يرد) أى بعمله (نواب الآخرة فوته منها) أى من ثوابها (وسنجزي الشاكرين)
 أى الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شئ عن الجهاد روى أنه صلى الله عليه وسلم قال من كانت
 نيته طلب الآخرة جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهى راحة ومن كانت نيته
 طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشنت عليه أمره ولا يأتيه منها إلا ما كتب له وقال صلى
 الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله
 فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى
 ما هاجر إليه وقوله تعالى (وكأين) أصله أى دخلت الكاف عليها فصارت مركبة من كاف
 التشبيه ومن أى وحدث فيها بعد التركيب معنى التكثير المفهوم من كم الخبرية ومثلها
 فى التركيب وأفهام التكثير كذا فى قولهم عندي كذا كذا درهم ما وأصله كاف التشبيه
 وكذا الذى هو اسم إشارة فلما ركبنا حدث فيها معنى التكثير فكم الخبرية وكأين وكذا كلها بمعنى
 واحد والنون تنوين فى المعنى أثبت فى الخط على غير قياس قال البغوى لم يقع للتنوين صورة
 فى الخط الا فى هذا الحرف خاصة وقرأ ابن كثير بألف بعد الكاف بعدها همزة مكسورة
 والباقون بهمزة بعد الكاف مفتوحة بعدها ياء مشددة ووقف أبو عمرو على الياء والباقون على
 النون وسهل حمزة الهـ همزة وحققها الباقون وقوله تعالى (من نبي) تمييز لكأين لانهم أمثل كم
 الخبرية وقوله تعالى (قتل) قرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو وبضم القاف وكسر التاء ولا ألف بين
 القاف والتاء والباقون بفتح القاف والتاء وألف بين القاف والتاء وقوله تعالى (معه) خبر
 مبتدؤه (ريون) وهم جمع ربي وهو العالم المتقى منسوب إلى الرب وانما كسرت راءه تغييرا
 فى النسب وقيل لا تغيير فيه وهو منسوب إلى الربة وهى الجماعة للمبالغة وقوله تعالى (كثير)
 صفة لريون وان كان بلفظ الافراد لان معناه جمع (فما وهنوا) أى ضعفوا (لما أصابهم فى سبيل
 الله) من الجراح وقتل أنبيائهم وأصحابهم (وما ضعفوا) عن الجهاد (وما استكانوا) أى
 خضعوا للعدوهم كما فعلت حين قتل نبيكم (والله يحب الصابرين) على الشدائد فيثيبهم ويعظم
 أجرهم (وما كان قولهم) عند قتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم وكونهم ربانيين (الأن قالوا ربنا
 اعقر لنا ذنوبنا واسرافنا) أى تجاوزنا الحد وقولهم (فى أمرنا) ائذان بأن ما أصابهم لسوء فعلهم
 وهضم الانفسهم (وثبت أقدامنا) أى بالقوة على الجهاد (وانصرنا على القوم الكافرين) أى
 فها لا قلمت وفعلت مثل ذلك يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (فأناهم الله نواب الدنيا) أى بالنصر
 والغنىمة والعز وحسن الذكر (وحسن نواب الآخرة) أى بالجنة والنعيم المقيم وخص نوابها

بالحسن اشعاراً بفضل وانه المعتد به عند الله (والله يحب المحسنين) أى فيكثر لهم الثواب
 (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) أى اليهود والنصارى فيما يأمرونكم به وقال
 على يعنى المنافقين فى قولهم للذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا (يردوكم على أعقابكم) أى الى الكفر (فتنقلبوا خاسرين) الدنيا
 والاخرة أما خسران الدنيا فلا تشق الاشياء على العقلاء فى الدنيا الا انقلبوا الى العدم
 واظهار الحاجة اليه وأما خسران الآخرة فالحرمان عن الثواب المؤبد والوقوع فى العقاب
 الخلد (بل الله مولاكم) أى ناصركم وحافظكم على دينكم (وهو خير الناصرين) فاستغوا به
 عن ولاية غيره ونصره (سلقى) أى سلق (فى قلوب الذين كفروا الرعب) أى الخوف وذلك
 أن الكفار لما هزموا المسلمين فى أحد أوقع الله الرعب فى قلوبهم فتركوهم وفرّوا منهم من غير
 سبب حتى روى أن أباسفيان صعد الجبل ونادى يا محمد موعداً موسماً بدر القابل ان شئت فقال
 عليه الصلاة والسلام ان شاء الله وقيل انهم لما ذهبوا متوجهين الى مكة فلما كانوا فى بعض
 الطريق ندموا وقالوا ما صنعنا شيئاً قلنا أكثرهم ولم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا حتى
 نسأ أصلهم بالكلية فلما عزموا على ذلك ألقى الله الرعب فى قلوبهم وقرأ ابن عامر والسكسائي
 بضم العين والباقون بالسكون (بما أشركوا) أى بسبب أشركا بهم (بأن الله ما ينزل به سلطاناً) أى
 حجة على عبادته وهو الأصنام وهذا كقوله ولا ترى الضب بهم ينحجر أى ليس بهم اضب فلا ينحجر
 فكذلك هؤلاء ليس لهم حجة أصلاً وأصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلطنة
 بحجة اللسان (ومأواهم النار وبئس مآوى) أى مأوى (الظالمين) أى الكافرين هى (ولقد
 صدقكم الله وعده) قال محمد بن كعب القرظى لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وأصحابه الى المدينة من أحد وقد أصابهم ما أصابهم قال ناس من أصحابه من أين أصابنا هذا
 وقد وعدنا الله النصر فأمر الله هذه الآية لان النصر كان للمسلمين فى الابتداء كما قال تعالى
 (اذ تحسبونهم) أى تقتلونهم من حسه اذا أبطل حسه وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان
 وعاصم باظهار ذال اذ عند التاء والباقون بالادغام (بأذنه) أى بإرادته (حتى اذا فاشتم) أى
 جبنتم عن القتال (وتنازعتم) أى اختلفتم (فى الامر) أى أمر النبي صلى الله عليه وسلم
 بالمقام فى سفح الجبل للرمي حين انهزم المشركون فقال بعضهم نذهب فقد نصر أصحابنا وقال
 آخرون لا تخالقوا أمر النبي فاقبضوا مكانكم فثبت عبد الله بن جبير أمير الرماة فى نفر دون العشرة
 ونصر الباقون للنبي وهو المعنى بقوله تعالى وعصيتكم أى أمر النبي وتركتم المركز اطلب الغنمة
 (من بعد ما أراكم) أى الله (ما تحبون) من الظفر والغنمة وانهم أزم العدو وجواب اذا محذوف
 دل عليه ما قبله أى منعكم نصره ويجوز أن يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فسلكم وذلك
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحد خلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة عند
 الجبل وأمرهم أن يثبتوا فى مكانهم ولا يبرحوا سواء كانت الدولة للمسلمين أو عليهم فلما أقبل
 المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا

والمسلمون على آثامهم ثم اشتغل بعضهم بالغنمة كما قال تعالى (منكم من يريد الدنيا) وهم
 التاركون المركز للغنمة (ومنكم من يريد الآخرة) وهم الثابتون مع عبد الله بن جبير حتى قتلوا
 (فان قيل) فإذا كان البعض هو المخالف فكيف جاء العتاب عاما بقوله وعصيتكم (أجيب) بأن
 اللفظ وان كان عاما فقد جاء المخصص بعده وهو قوله منكم وقوله تعالى (ثم صرفكم) أي ردكم
 بالهزيمة (عنهم) أي الكفار عطف على ما قبله والجملة من قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من
 يريد الآخرة اعتراض بين المتعاطفين وقيل عطف على جواب إذا المقدّر (ليتأيمكم) أي
 ليتمتعنكم فيظهر الخاص من غيره (ولقد عفا عنكم) ما ارتكبتموه من مخالفة أمر النبي صلى
 الله عليه وسلم وميلكم إلى الغنمة تفضلا منه تعالى (فان قيل) إن ظاهرا لا يدل على أن الذنب
 من الصغار خاصة العفو عنه من غير توبة لقيام الدليل على أن أصحاب الكفار إذا لم يتوبوا
 لم يكونوا من أهل العفو والمغفرة (أجيب) بأن هذا الذنب لاشك أنه كبير لأنهم خالفوا صريح
 نص الرسول صلى الله عليه وسلم وصارت تلك المخالفة سببا لانتهزام المسلمين فلا بد من اضرار توبتهم
 (واقه) أي المتفضل المنعم (ذو فضل على المؤمنين) أي يتفضل عليهم بالعفو أو في الأحوال كلها
 سواء أ جعلت الدولة لهم أم عليهم إذا ابتلاء أيضا رجة وقوله تعالى (إذ) العامل فيها مضمرا أي
 إذا كراذ (تصدون) أي تبعدون في الأرض هاربين (ولا تلوون) أي تعرجون (على أحد) أي
 لا يقف أحد دلا لا أحد ولا ينتظره (والرسول يدعوكم) أي يقول إلى عباد الله إلى عباد الله
 أنارسل الله من يكره له الجنة (في آخركم) أي من وراءكم (فأنا بكم) أي جازاكم (غما)
 بالهزيمة (بغم) أي بسبب غمكم الرسول بالمخالفة وقيل الباء بمعنى على أي مضاعفا على تم فوت
 الغنمة والغموم كانت هناك كثرة أحدها غمهم بما نالهم من العدو وفي النفس
 والأموال وثانيها غمهم بما وقع منهم من المعصية وخوف عقابها وثالثها غمهم بما وصل إلى
 الرسول صلى الله عليه وسلم ورابعها غمهم بسبب التوبة التي صارت واجبة عليهم لأنهم إذا تابوا
 عن تلك المعصية لم تتم توبتهم لم الابتك الهزيمة والعود إلى المحاربة بعد الانتهاء وذلك من أشق
 الأشياء لأن الإنسان بعد انهزامه يضعف قلبه ويحب أن يأمر بالمعصية فأن فعل خاف القتل
 وان لم يفعل خاف عقاب الآخرة وخامسها غمهم حين سمعوا أن محمدا قد قتل وسادسها غمهم
 حين أشرف عليهم خالد بن الوليد بجيئ المشركين وسابعها غمهم حين أشرف عليهم أبو سفيان
 وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق يومئذ يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب العترة
 فلما رأوه وضع رجلهم في قوسه وأراد أن يرميه فقال أنارسل الله ففرحوا حين وجدوه
 وفرح صلى الله عليه وسلم حين رأى من يتبعه فأقبلوا على المشركين يذكرون الفتح وما فاتهم
 منه ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا فأقبل أبو سفيان وأصحابه حتى وقفوا باب الشعب فلما نظر
 المسلمون إليهم همهم ذلك وظنوا أنهم يملكون عليهم فيقتلونهم فأنساهم هذا ما نالهم فقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ليس لهم أن يعلموا بالله أن تقتل هذه العصابة لا تعبد في الأرض ثم بدت
 أصحابه فرمواهم بالحجارة حتى أنزلوهم وإذا عرف ذلك فلا يضر اختلاف المفسرين فان بعضهم

فسر هذين الغمين بغمين من هذه وبعضهم بخلافه وقال القفال وعندى أن الله تعالى ما أراد بقوله غمابغم اثنين وإنما أراد مواصلة الغموم وطولها أى أن الله تعالى عاقبكم بغموم كثيرة مثل قتل اخوانكم وأقاربكم ونزول المشركين من فوق الجبل عليكم بحيث لم تأمنوا أن يهلك أكثركم فكانه تعالى قال أنا بكم هذه الغموم المتعاقبة ليصير ذلك زجرا لكم عن الاقدام على المعصية والاشتغال بما يخالف أمر الله تعالى والغم التغطية ومنه غم الهلال اذ لم يروق له تعالى (لكيلا تتخزنوا على ما فاتكم) أى من الغنمة متعلق بمغفأ وبأنابكم فلا زائدة (ولما أصابكم) أى من القتل والهزيمة (والله خير بما تعملون) أى عالم بأعمالكم وبما قصدتم بها (ثم أنزل عليكم) يامعشر المسلمين (من بعد الغم أمانة) أى أمانة والامن والامنة بمعنى واحد وقيل الامن يكون مع زوال سبب الخوف والامنة مع بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف ههنا قائما وقوله تعالى (نعاسا) بدل من أمانة وأمانة مقعول أو نعاسا هو المقعول وأمانة حال منه متقدمة (يغشى طائفة منكم) وهم المؤمنون وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على التأنيث ردا إلى الامنة والباقيون بالياء على التذكير ردا إلى النعاس (وطائفة) وهم المنافقون (قدأهمتهم أنفسهم) أى جلثهم على الهزيمة فلا رغبة لهم الا انجابا هادون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلم يناموا فان الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فريقان أحدهما الجازمون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهو لا كانوا قاطعين بأن الله ينصر هذا الدين وان هذه الواقعة لا تؤدى إلى الاستتصال فلا جرم كانوا آمنين وبلغ ذلك الامن إلى أن غشيهم النعاس فان النوم لا يجي مع الخوف قال أبو طلحة غشيونا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد ففكان السيف يسقط من أحدنا فبأخذه ثم يسقط فبأخذه وقال ثابت عن أنس عن أبي طلحة قال رفعت رأسي يوم أحد فجعلت ما أرى أحدا من القوم الا وهو عيل تحت جففته من النعاس قال الزبير كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فأرسل الله علينا النوم والله اني لا اسمع قول معتب بن بشير والنعاس يغشاني ما أسمع الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا والفریق الثاني هم المنافقون كانوا أشاكين في نبوته صلى الله عليه وسلم وما حضر والالطلب الغنمة فهو لا اشتد جزعهم وعظم خوفهم قال ابن مسعود النعاس في القتال أمانة والنعاس في الصلاة من الشيطان وذلك لأنه في القتال لا يكون الامن الوثوق بالله والفراغ من الدنيا ولا يكون في الصلاة الامن غاية البعد عن الله (فان قيل) ما فائدة هذا النعاس (أجيب) بأن له فوائد الاولى أن السهر يوجب الضعف والكلال والنوم يفيد هود القوة والنشاط والثانية أن الكفار لما اشتغلوا بقتل المسلمين ألقي الله تعالى النوم على الباقيين لئلا يشاهدوا قتل غيرهم فيشتد خوفهم والثالثة أن الأعداء كانوا في غاية الحرص على قتلهم فبقاؤهم في النوم مع السلامة في تلك المعركة من أدل الدلائل على أن الله تعالى يحفظهم ويعصمهم وذلك مما يزيل الخوف من قلوبهم ويورثهم الامن (تنبيه) قوله تعالى وطائفة مبتدأ والخبر قدأهمتهم أنفسهم (فان قيل) كيف جازا لا بتدأ بالسكر (أجيب) بأنه جاز لا أحد

أمرين أما للاعتماد على واول الحال وقد عده بعضهم مسوغا وان كان الاكثر لم يذكره وأنشد
 سرينا ونجم قد أضاء فذبدا * محبلك أخفى ضوءه كل شارق
 وأمالان الموضع موضع تفصيل فإن المعنى يغشى طائفة وطائفة لم يغشاهم فهو كقوله
 إذا ما بكى من خلفها انصرفت له * بشق وشق عندنا لم يحول
 وقوله تعالى (يظنون بالله غير الحق) أى أن لا ينصر الله محمد اصفة أخرى لطائفة وغير الحق
 نصب على المصدر أى يظنون بالله غير الحق الذى يحق أن يظن به (ظن) أى كظن
 (الجاهلية) حيث اعتقدوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل أولا ينصر وقوله تعالى (يقولون)
 أى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدل من يظنون (هل لنا) أى ما لنا بالفظه استفهام ومعناه
 محمد (من الامر) أى النصر الذى وعدناه (من شئ) أى شئ ومن صله زيدت لتأكيدها
 مبتدأ خبره لنا وأما فاعل لنا لاعتماد على الاستفهام ومن الامر حال من المبتدأ أو الفاعل
 وهو شئ لكونه مرفوعا حقيقة لا مجرورا وقيل ان عبد الله بن أبي بن ساول لما شاوره النبي صلى
 الله عليه وسلم فى هذه الواقعة أشار اليه بان لا يخرج من المدينة ثم ان بعض الصحابة ألحوا على
 النبي صلى الله عليه وسلم فى أن يخرج اليهم فغضب ابن أبي من ذلك فقال عصافى وأطاع الولدان
 ثم لما كثر القتل فى بنى الخزرج ورجع ابن أبي فقبل له قتل بنو الخزرج فقال هل لنا من
 الامر من شئ يعنى أن محمد لم يقبل قولى حين أمرته بأن لا يخرج رج من المدينة والمعنى
 هل لنا أمر يطاع فهو استفهام على سبيل الانكار (قل) لهم يا محمد (ان الامر كله لله)
 أى الغلبة الحقيقية لله ولا وليا له فان حزب الله هم الغالبون أو القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم
 ما يريد وقرأ أبو هريرة رفع اللام بعد الكاف على أنه مبتدأ والخبر لله والباقيون بالنصب على أنه
 توكيد (تنبيه) * هذه الآية تدل على أن جميع المحدثات خلق الله تعالى بقضائه وقدره لان
 المتناقضين قالوا لو أن محمدا قبل منارا بنا ونصحنا لما وقع فى هذه المحنة فأجابهم الله تعالى بأن الامر
 كله لله وهذا انما ينتظم اذا كانت أفعال العباد بقضائه وقدره اذ لو كانت خارجة عن مشيئته
 لم يكن هذا الجواب رافعا للشبهة المتناقضين وقوله تعالى (يخفون فى أنفسهم ما لا يبدون) أى
 يظهرون (للك) حال من ضمير يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذى الحال أى
 يقولون مظهرين انهم مستترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب وقوله تعالى
 (يقولون) بيان لما قبله (لو كان لنا من الامر شئ) أى كما وعد محمد وزعم أن الامر كله لله
 ولا وليا له أو لو كان الاختيار اليه لم يخرج كما كان رأى ابن أبي وغيره (ما قتلنا ههنا) أى لما
 غلبنا ولما قتل من قتل منا فى هذه المعركة (قل) لهم (لو كنتم فى يوتكم) وفيكم من كتب الله
 تعالى عليه القتل (لبرز) أى خرج (الذين كتب) أى قضى (عليهم القتل) منكم (الى مصابيحهم)
 أى مصارعهم فيقتلوا ولم ينجم قعودهم لان قضاء الله تعالى كائن لا محالة فانه قدر الامور ودبرها
 فى سابق قضائه لا معقب لحكمه وقرأ أبو عمرو وفسد وورش بضم الباء فى يوتكم والباقيون
 بالكسر وقوله تعالى (وليعتبر) أى ليحذر (الله ما فى صدوركم) أى قلوبكم من الاخلاص والنفاق

عليه فعل محذوف تقديره فرض الله عليكم القتال ولم ينصه كم يوم أحد ليتلى وقيل معطوف على
 عليه محذوف تقديره ليعني الله أمره وليتلى وقوله تعالى (وليعص ما في قلوبكم) فيه وجهان
 أحدهما أن هذه الواقعة تخرج ما في قلوبكم من الوسوس والشبهات وتظهرها والثاني أنها
 تصير كفارة لذنوبكم فيصعصعكم من تبعات المعاصي والسيئات (فان قيل) قد سبق ذكر الابتلاء
 في قوله تعالى ثم صرفكم عنهم ليمتليكم فلم أعاده (أجيب) بأنه أعيد أمال طول الكلام بينهما
 وأمالا أن الابتلاء الأول هزيمة للمؤمنين والابتلاء الثاني بسائر الأحوال (والله علم بذات
 الصدور) أي بما في القلوب قبل اظهارها وقوله وعد ووعد وتنبه على أنه تعالى غنى عن
 الابتلاء وانما يتلى ليظهر للناس حال المؤمنين من حال المنافقين (ان الذين تولوا منكم) عن
 القتال (يوم التقى الجمعان) أي جمع المسلمين وجمع المشركين يوم أحد وكان قد انهمز أكثر المسلمين
 ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة عشر رجلا ستة من المهاجرين أبو بكر وعمر وعلي
 وطه وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص (انما استرلهم الشيطان) أي طلب منهم الزلل
 بوسوسته (يعض ما كسبوا) من الذنوب بترك المركز والحرم على الغنمة ومخالفة النبي صلى
 الله عليه وسلم فأطاعوه فنعوا انما يدر قوة القلب حتى تولوا (واقعدني الله عنهم) لتوبتهم
 واعتذارهم (ان الله غفور) للذنوب (حليم) لا يعاجل بعقوبته المذنب كي توب (يا أيها الذين
 آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) أي المنافقين وهم ابن أبي وأصحابه (وقالوا لاخوانهم)
 أي في شأنهم ومعنى اخواتهم اتفاهم في النفاق والكفر وقيل في القرب (اذا ضربوا في
 الارض) أي سافروا فيها للتجارة أو غير ذلك (أو كانوا غزاة) أي غزاة جمع غزاة فقتلوا (لو كانوا
 عندنا ما ماتوا وما قتلوا) أي لا تقولوا كقولهم (ليجعل الله ذلك) القول في عاقبة أمرهم (حسرة
 في قلوبهم) أي لانهم اذا القوا تلك الشبهة على المؤمنين لم ياتفتوا اليهم فيضيع سعيهم ويضطل
 كيدهم فتحصل الحسرة في قلوبهم وقيل ان اجتمهدهم في تكثير الشبهات والقاء الضلالات
 يعمى قلوبهم فيقعون عند ذلك في الحسرة والخيبة وضيق الصدر وهو المراد بقوله تعالى ومن
 يرأ أن يضل به يجعل صدره ضيقا حرجا (فان قيل) كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا (أجيب)
 بأن ذلك على حكاية الحال الماضية قال التقى انا في معناه أنك تقدر نفسك كأنك موجود
 في ذلك الزمان الماضي أو تقدر ذلك الزمان كأنه موجود الآن وهذا كقولنا قالوا ذلك حين
 يضربون والمعنى حين ضربوا الا أنك جئت بلفظ المضارع استحضار الصورة ضربهم
 في الارض وقوله تعالى (والله يحيي ويميت) رد لقولهم أي هو المؤثر في الحياة والممات
 لا الإقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والمغازي ويميت المقيم والقاعد (والله بما تعملون
 بصير) قرأ ابن كثير وحزرة والكسائي بالياء على الغيبة رداعلى الذين كفروا والباقون بناء
 الخطاب رداعلى قوله ولا تكونوا وهو خطاب للمؤمنين وفيه تهديد لهم على أن يماثلوهم (ولئن
 قتلتم) اللام هي الموطئة لقسم محذوف (في سبيل الله) أي الجهاد (أو متم) أي أنا كم الموت
 في سبيل الله وجواب القسم قوله تعالى (لغفرة) كناية (من الله) وحذف جواب الشرط

لسد جواب القسم مستدركونه بالا عليه (ورجة) أى من الله فحذف صفتها للدلالة الاولى
 عليها ولا بد من حذف آخر مصحح للمعنى تقديره المغفرة من الله لكم ورجة منه لكم (فان قيل)
 المغفرة هي الرحمة ألم كرها وكرها (أجيب) بأنه انما تكرها ايذا بان أدنى خير وأقل شئ
 خير من الدنيا وما فيها وهو المراد بقوله (خير مما يجمعون) من الدنيا وأما التكرير فغيره سلم لأن
 المغفرة مترتبة على الرحمة فيرحم ثم يغفر (فان قيل) كيف تكون المغفرة موصوفة بأنها خير
 مما يجمعون ولا خير فيما يجمعون أصلاً (أجيب) بأن الذى يجمعونه في الدنيا قد يكون من الحلال
 الذى يعد خيراً وأيضاً هذا وارد على حسب قولهم ومعتقدهم ان تلك الاموال خيرات فقيل
 المغفرة خير من هذه الاشياء التي تظنونها خيرات (ولئن تم أو قتلتم) على أى وجه اتفق هلاككم
 (لا الى الله) لا غيره (تخشرون) في الآخرة فيجازيكم وقرأ نافع وحزرة متم بكسر الميم والباقون
 بالضم وقرأ حفص يحشرون بياء الغيبة والباقون ببناء الخطاب ورسمت لا الى الله بألف بعد اللام
 (فان قيل) هنا ثلاثة مواضع فقدم الموت على القتل في الاول والاخير وقدم القتل على الموت
 في المتوسط فما الحكمة في ذلك (أجيب) بأن الاول للمناسبة ما قبله من قوله اذا ضربوا في الارض
 أو كانوا غزاً فرجع الموت لمن ضرب في الارض والقتل لمن غزوا وأما الثاني فلأنه محل تحريم
 على الجهاد فقدم الهم الاشرف وأما الاخير فلان الموت أغلب (فبما رجعة) أى فبرجة (من الله
 لنت لهم) فبما مزيدة للتأكيدهم والجوار والمجرور مقدم للدلالة على أن لينه صلى الله عليه وسلم
 ما كان البرجة من الله ومعنى الرحمة توفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه
 (ولو كنت ظناً) أى سئ الخلق (غليظ القلب) أى جافياً (لأنفذا) أى تفرقوا (من حولك)
 أى عنك وذلك لأن المقصود من البعثة أن يبلغ الرسول تكاليف الله تعالى الى الخلق وذلك
 لا يتم الا بعلم قلوبهم اليه وسكون نفوسهم لديه وهذا المتصور لا يتم الا اذا كان رحيماً بهم
 كريماً يتجاوز عن ذنوبهم ويعفو عن سيئاتهم ويخصهم بالبر والشفقة فلهذا الاسباب وجب
 أن يكون الرسول مبرأ عن سوء الخلق وغليظ القلب ويكون كثير الميل الى اهانة الضعفاء كثير
 القيام باعانة الفقراء وحل القفال هذه الآية على واقعة أحد قال فبما رجعة من الله لنت لهم
 يوم أحد حين عادوا اليك بعد الانهزام ولو كنت ظناً غليظ القلب فشافهم بالملازمة على ذلك
 الانهزام لانفضوا من حولك هيبة منك وحماة بسبب ما كان منهم من الانهزام فكان ذلك مما
 بطمع المدد فيك وفيهم (فاعف) أى تجاوز (عنهم) أى ما أنوه (واستغفراهم) ذنبهم حتى
 أشفعك فيهم فاعفراهم واختلفوا في معنى قوله تعالى (وتأورهم في الامر) على وجوه أحدها
 ان ذلك يقتضى شدة محبته لهم فلم يفعل ذلك لكان ذلك اهانة لهم فيحصل سوء الخلق
 والفظاظة وثانيها انه عليه الصلاة والسلام وان كان أكمل الناس عقلاً إلا أن يقول الخلق
 غير متناهية فقد يخطر ببال انسان من وجوه المصالح ما لا يخطر ببال آخر لا سيما فيما يتعلق
 بأمور الدنيا قال عليه الصلاة والسلام أنتم أعرف بأمور دنياكم وأنا أعرف بأمور دينكم ولهذا
 السبب قال صلى الله عليه وسلم ما شاؤم رقوم قط الاهدوا الارشداً أمورهم وثالثها قال الحسن

وسفيان بن عيينة انما امر بذلك ليقصد به غيره في المشاورة وتصير سنة ورابعها انه عليه الصلاة والسلام شاورهم في وقعة أحد فأشاروا عليه بالخروج وكان معه أن لا يخرج فلما خرج وقع ما وقع فلو ترك مشاورتهم بعد ذلك لكان ذلك يدل على أنه بقي في قلبه منهم بسبب مشاورتهم شيء فأمر الله تعالى بمشاورتهم بعد ذلك الواقعة ليدل على أنه لم يبق في قلبه أثر من تلك الواقعة وخامسها أمره بالمشاورة لالاستفيد منهم رأيا ولعلهم يعلم مقادير حقولهم ومحبتهم له وذكروا أيضا وجوها أخرى في هذا القدر كفاية واتفقوا على أن كل ما نزل فيه وحى من عند الله لم يجوز للرسول أن يشاور الامة فيه لأن النص اذا جاء بطل الرأي (فإذا عزمت) أي قطعت الامر على امضاء ما تريد بعد المشاورة (فتوكل على الله) أي ثق به لا بالمشاورة فليس التوكل اهمال التدبير بالكلية بل بمراعاة الاسباب مع تفويض الامر الى الله تعالى (ان الله يحب المتوكلين) عليه فينصرهم ويهديهم الى الصلاح (ان ينصركم الله) أي يعينكم على عدوكم كيوم بدر (فلا غالب لكم) أي فلا يغلبكم أحد (وان يخذلكم) بترك نصركم كيوم أحد (فمن ذا الذي ينصركم من بعده) أي من بعد خذلانه أي لا أحد ينصركم وفي هذا تنبيه على المقتضى للتوكل وتقرير على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجاب خذلانه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أي فليخلصوه بالتوكل كل عليه لما عاوا أن لا ناصر سواه لأن ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه (وما كان لنبي أن يغفل) أي ما صح لنبي أن يغفل في الغنائم فإن النبوة تنافي الغفلة واختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس نزلت في قطيفة جردا فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها وقال مقاتل نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنمة وقالوا تخشى أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كالم تقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم أعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمرى فقالوا تركنا بقية اخواننا رقة وفاقال لهم صلى الله عليه وسلم بل ظننتم أننا نغفل ولا نقسم لكم وقال محمد بن اسحق بن يسار هذا في الوحي يقول ما كان لنبي أن يكتسب شيئا من الوحي رغبة أو رهبة أو مدهنة كان صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن وفيه سب دينهم وسب آلهتهم فسألوا أن يترك ذلك فنزلت وروى انه صلى الله عليه وسلم غنم في بعض الغزوات وجع الغنائم وتأخرت القسمة ابعض الموانع فجاء قوم وقالوا لا تقسم غنائمنا فقال عليه الصلاة والسلام لو كان لكم مثل أحد ذهب ما حبست عليكم منه درهما أتخسبون اني أغلظكم مغنكم فنزلت وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بفتح الياء بضم الغين على البناء للفاعل والباقون بضم الياء وفتح الغين على البناء للمفعول والمعنى على هذا وما صح لنبي أن يوجه دغالا أو ينسب الى الغلول (ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة) قال أكثر المفسرين ان هذه الآية على ظاهرها قالوا هي نظيرة قوله تعالى في ما نفي الزكاة يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ويدل له قوله صلى الله عليه وسلم لا ألقين أحدكم بحبي على رقبته يوم القيامة يعبه له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة لها نغاء فينادى يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك

من الله شيئاً قد بلغت قال المحققون وفائدته أنه إذا جاء يوم القيامة وعلى رقبتك ذلك المغلول
 ازدادت فضيخته وعن ابن عباس أنه قال يثقل له ذلك الشيء في قعر جهنم ثم يقال له انزل إليه فخذ
 فينزل إليه فإذا انتهى إليه جله على ظهره فإذا بلغ موضعه وقع في النار ثم يكلف أن ينزل إليه
 فيضربه ففعل ذلك به وعن أبي هريرة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قتال الناس هنيئاً له
 الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده إن الشجرة التي أخذها يوم خيبر
 من المغانم لم تصبها المقاسم تشعل عليه ناراً فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك أو شركاكن إلى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرارك من النار وأشرارك من نار
 وقال أبو مسلم ليس المقصود من الآية ظاهرها بل المقصود تشديد الوعيد على سبيل التثليل كقوله
 تعالى إنما إنك مثقال حبة من خردل فتسكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله
 فإنه ليس المقصود نفس هذا الظاهر بل المقصود إثبات أن الله تعالى لا يعزب عن علمه وعن حفظه
 مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء فكذا همنا المقصود تشديد الوعيد والمعنى أن الله تعالى يحفظ
 عليه هذا المغلول ويقرره عليه يوم القيامة ويجازيه لأنه تعالى لا يخفى عليه خافية وعن أبي حميد
 الساعدي قال استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من أسد على الصدقة فلما قدم قال
 هذا لكم وهذا أهدي لي فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال ما بال العامل تبعه على
 بعض أعمالنا فيقول هذا لكم وهذا أهدي لي فهل اجلس في بيت أمه أو في بيت أبيه فينظر أيهم
 إليه أم لا فوالذي نفسي بيده لا يأخذ منها أحد شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبتك إن كان
 بغيره رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تنغو ثم رفع يديه حتى رويت عقرة ابطنه ثم قال اللهم هل بلغت
 اللهم هل بلغت (ثم توفى كل نفس) أي أعطى جزاء (ما كسبت) أي عملت وأما العمال وغيره
 (فان قيل) هلا قيل ثم يوفى أي الغال ما كسب (أجيب) بأنه عم الحكم ليكون كالبرهان على
 المقصود والمبالغة فيه فإنه إذا كان كل كاسب مجزياً بعمله فالغالب مع عظم جرمه بذلك أولى (وهم لا
 يظنون) شيئاً فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزداد في عقاب عاصيهم وقوله تعالى (أفمن اتبع رضوان
 الله) الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف والتقدير أفمن اتقى فاتبع رضوان الله
 (كن ياء) أي رجع (بسخط من الله) بسبب المعاصي (وما أواجهنهم وبئس المصير) أي المرجع
 هي أي ليس مثله واختلف في المراد من هذه الآية فقال الكلبي والضمالي أفمن اتبع رضوان الله
 في ترك الغلول كن ياء بسخط من الله في فعل الغلول وقال الزجاج لما جمل المشركون على المسلمين
 دعا النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى أن يحملوا على المشركين ففعل به بعضهم وتركه آخرون فقوله
 أفمن اتبع رضوان الله هم الذين امتثلوا أمره كن ياء بسخط من الله هم الذين لم يقبلوا قوله وقيل
 أفمن اتبع رضوان الله وهم المهاجرون كن ياء بسخط من الله وهم المنافقون وقيل أفمن اتبع
 رضوان الله بالآيمان به والعمل بطاعته كن ياء بسخط من الله بالكفر به والاشتغال بعصيته
 قال القاضي وكل واحد من هذه الوجوه صحيح والصحيح لا يجوز قصر اللفظ عليه لأن اللفظ
 عام فيجب أن يتناول الكل وإن كانت الآية تزلت في واقعة معينة لكن عموم اللفظ لا يطل

بخصوص السبب • (تنبه) • الفرق بين المصير والمرجع أن المصير يجب أن يخالف الحالة الاولى
 ولا كذلك المرجع فانه قد يوافق المبدأ وقرأشعبة رضوان بضم الراء والباقون بالكسر وقوله
 تعالى (هم درجات) مبتدا وخبر أى القرى بقان درجات ولا بد من تأويل فى الاخبار بالدرجات
 عن هم لانها ليست اياهم فيجوز أن يكون جعلوا نفس الدرجات مبالغة والمعنى انهم متفاوتون فى
 الجزاء على حسبهم كما ان الدرجات متفاوتة فهو تشبيه بليغ بحذف الاداة أى هم مثل الدرجات
 فى التفاوت ويجوز أن يصحكون على حذف مضاف أى ذوود درجات أى أصحاب منازل ورتب
 فى الثواب والعقاب (عند الله) فلن اتبع رضوانه الثواب ولن يابسه خطه العقاب (والله بصير
 بما يعملون) أى عالم بأعمالهم ودرجاتها فيجازيهم على حسبها (أقدم الله على المؤمنين) أى انهم
 على من آمن مع النبي صلى الله عليه وسلم ووجه هذه المنية أن الرسول صلى الله عليه وسلم يدهوهم
 الى ما يخلصهم من عقاب الله تعالى ويوصلهم الى ثوابه كقوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة
 للعالمين (فان قيل) لم خصهم بالنعمة مع أن البعثة عامة (أجيب) بأنهم هم المستفعلون بها كقوله
 تعالى هدى للمتقين (اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) أى من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا
 كلامه بسهولة ويكفونوا واقفين على أحوالهم فى الصدق والامانة فكان ذلك أقرب لهم الى
 تصديقه والوثوق به ويشرفوا به لاملكا ولا يجمعوا وقرئ شاذ من أنفسهم بفتح الفاء أى من اشرفهم
 لانه صلى الله عليه وسلم كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم وقد خطب أبو طالب لما تزوج
 صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله تعالى عنها وقد حضر معه بنوه هاشم ورؤساء مضر فقال الحمد
 لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضى معد وعنصر مضر وجعلنا محضنة
 بيته وسواس حرمة وجعل لنا بيتا محجوبا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن أخى
 هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فقى من قرين الارجح به وهو والله بعد هذا نبأ عظيم
 وخطر جليل ولم أذكر فى التفسير قراءة شاذة الا هذه لكونها فى شرف الرسول صلى الله عليه وسلم
 وقراءة السيدة فاطمة رضى الله تعالى عنها (يتلو عليهم آياته) أى القرآن بعدما كانوا جاهلا
 لم يسمعوا الوحى (ويزكيهم) أى ويظهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد والأعمال (ويعلمهم
 الكتاب) أى القرآن (والحكمة) أى السنة من بعدما كانوا من أجهل الناس وأبعدهم من
 دراسة العلوم كما قال تعالى (وان كانوا من قبل) أى قبل بعثته صلى الله عليه وسلم (انى ضلال
 مبين) أى بين ظاهر (أولما) أى حين (أصابكم مصيبة) بأحد بقتل سبعين منكم (قد أصبتم
 مثلها) بيد بقتل سبعين وأسر سبعين (قلتم) متعجبين (أنى) أى من أين لنا (هذا) القتل
 والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا والجله الاخيرة محل الاستفهام
 الانكارى (قل) لهم (هو من عند أنفسكم) أى هو مما اقترفته أنفسكم من مخالفة الامر بترك
 المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات فى المركز والطاعة فى الامر وعن على رضى الله تعالى
 عنه لاخذكم الفداء من أسارى بذوق قبل أن يؤذن لكم روى عبيدة السلماني عن على رضى الله
 عنه قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد ذكره ما صنع قومك من أخذهم

الفداء من الاسارى وقد أمرك أن تحبهم - بين أن يقدموا أى الاسارى فتضرب
 أعناقهم وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عددهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه
 وسلم للناس فقالوا يا رسول الله عشائرننا وأخواننا لا بل نأخذ منهم فداهم فنتقوى به على قتال
 أعدائنا ويسند مناعتهم فقتل منهم يوم أحد سبعون عدداً سارى بدرو هذا معنى قوله قل هو
 من عند أنفسكم أى بأخذكم الفداء واختياركم للقتل (إن الله على كل شئ قدير) فيقدر على النصر
 وعلى منعه وعلى أن يصيب بكم تارة ويصيب منكم أخرى (وما أصابكم يوم التقى الجمعان) أى
 جمع المسلمين وجمع المشركين يوم أحد من القتل والجرح والهزيمة (فبأذن الله) أى فهو كائن
 بقضائه وإرادته ودخلت الفاء في الخبر أشبه به المبتدأ بالشرط نحو الذى يأتي فى فله درهم (وليعلم
 المؤمنون) وقد تقدم أن معنى ويعلم الله كذا أى عيلاً ويظهر للناس ما كان فى علمه (وليعلم الذين
 نافقوا) قال الواحدى يقال نافق الرجل فهو منافق إذا أظهر كلمة الإيمان وأخفى خلافها
 قال أبو عبيدة مشتق من نافقاء اليربوع لأن حجر اليربوع له بياض القاصعاه والنافقاه فان طلب
 من أيهما كان يخرج من الآخر فقيل للمنافق أنه منافق وهم اسم السامى لأنه صانع لنفسه
 طريقين أظهرهما الإسلام وأخفاهما الكفر فنأيهما طلب خرج من الآخر وقوله تعالى (وقيل لهم)
 عطف على نافقوا أى ويعلم الذين قتل لهم ما أنصرفوا عن القتال وقالوا لم نلقى أنفسنا
 فى القتال فرجعوا وهم عبداً لله بن أبى وأصحابه وكانوا ثلثمائة من جملة الألف الذين خرجوا مع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم (تعالوا فأتوا فى سبيل الله) الكفار (أو ادفعوا) عنا أى إن كان
 فى قلبكم حب الإيمان فقاتلوا الدين وإن لم تكونوا كذلك فقاتلوا دفعاً عن أنفسكم وأهليكم
 وأموالكم وقال السدى وابن جرير ادفعوا عنا العدو بكثير سوادنا إن لم تقاؤا معنا
 لأن الـ **كثرة** أحد أسباب الهيبة روى عن سهل بن سعد الساعدى وقد كذب بصره لو أمكننى
 لبعث دارى ولحقت بغير من تغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب
 بصرك قال لقوله تعالى أو ادفعوا أرادوا كثروا سوادهم واختلقوا فى القائل فقال الأصم أنه
 الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم إلى القتال وقيل أبو جابر الأنصارى قال لهم أذكركم الله
 أن تحذروا نبيكم وقومكم عند حضور العدو (قالوا لو تعلم) أى تحسن (قتالاً لا تبعناكم) فيه قال
 تعالى فكذبواهم (هم للكفر يومئذ) أى يوم أذ قالوا لو لم قتالاً لا تبعناكم (أقرب منهم للإيمان)
 أى لانتفاعهم وارتدادهم وكلامهم فان ذلك أقول إمارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل
 المعنى على حذف مضاف أى هم لاهل الكفر أقرب منهم لاهل الإيمان بما أظهروه من خذلانهم
 للمؤمنين وكانوا قبل أقرب إلى الإيمان من حيث الظاهر (تنبيه) فضلوها هنا على أنفسهم
 باعتبار حالين ووقتين ولولا ذلك لم يجوز قول زيد قاعداً أفضل منه قائماً أو زيد قاعداً اليوم
 أفضل منه قاعداً غدداً ولو قلت زيد اليوم قاعداً أفضل منه اليوم قاعداً لم يجوز (يقولون)
 يا فراعهم ما ليس فى قلوبهم) أى يظهرون خلاف ما يضمرون لا توطئ قلوبهم ألفتهم بالإيمان
 فهم وإن كانوا يظهرون الإيمان باللسان **كنهم** يضمرون فى قلوبهم - هم الكفر * (تنبيه) *

إضافة القول إلى الأقوال تصوير لنفاقهم فإن إيمانهم بوجودهم فقط وبهذا التني كونه
للتأكد كما قبل به التحصيل هذه الفائدة وقال ابن عادل والظاهر أن القول يطلق على اللسان
وعلى النفساني فتعديده بأقوالهم تعييد لأحد محليته اللهم إلا أن يقال إطلاقه على النفساني
مجاز (والله أعلم بما يكتمون) أي عالم بما في ضمائرهم وبما يحلو به بعضهم إلى بعض فإنه يعلم ذلك
مفصلاً يعلم واجب وأنتم تعلمونه مجملًا بامارات وجوزوا في موضع (الذين قالوا) ألقاب الأعراب
الثلاثة الرفع والنصب والجر فالرفع من ثلاثة أوجه أحدها أن يكون مرفوعاً على خبر مبتدأ
محذوف تقديره هم الذين الثاني أنه بدل من واو يكتمون الثالث أنه مبتدأ والخبر قوله قل فادروا
ولا بد من حذف عائد تقديره قل لهم فادروا والنصب من ثلاثة أوجه أيضاً أحدها النصب على
الذم أي أذم الذين قالوا الثاني أنه بدل من الذين نافقوا الثالث أنه مفعلة لهم والجر من وجهين
أحدهما أنه بدل من الضمير في بأقوالهم والثاني أنه بدل من الضمير في قلوبهم كقول الفرزدق
على حالة لو أن في القوم حاتماً * على جوده أضرب بالمال حاتم

يجز حاتم على أنه بدل من الهاء في جوده وضم مبنى للمفعول وهو بالماء أي ولو أن حاتم مستقر في
القوم كأنه على جوده وهم تلك الحالة ليجل بالماء (لاخوانهم) أي لأجل إخوانهم من جنس
المنافقين المقتولين يوم أحد وإخوانهم في النسب أو في سكنى الدار أو في عداوة النبي صلى
الله عليه وسلم وقوله تعالى (وقعدوا) حال مقدرة بقدر أي قالوا قاعدون عن القتال (لو أطاعونا)
في القعود (ماقتلوا) كالمقتل واختلف في قائل ذلك فقال أكثر المفسرين هو ابن أبي
وأصحابه وقول الأصم هذا لا يجوز لأن ابن أبي خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد
يوم أحد وهذا القول واقع عن تخلف فيه نظر لا حقال أن المراد بالقعود والقعود عن القتال
لأن الخروج إلى القتال (قل) لهم (فادروا) أي ادفعوا (عن أنفسكم الموت) إن كنتم صادقين
في أن القعود ينجي منه لأنكم أن دفعتم القتل الذي هو أحد أسباب الموت لم تقدروا على دفع
سائر أسبابه المبثوثة ولا بد لكم أن يتعلق بكم بعضها وروى أنه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعة
منافقا (فان قيل) ما وجه هذا الاستدلال فإن التصرع عن القتل يمكن وأما التصرع عن الموت
فغير ممكن (أجيب) بأن الكل بقضاء الله وقدره فلا فرق بين الموت والقتل وفي قوله تعالى
فادروا عن أنفسكم الموت استهزاء بهم أي إن كنتم رجالاً دفاعين لأسباب الموت فادروا بجميع
أسبابه حتى لا تموتوا ونزل في شهداء أحد كبار رواه الحاكم وكانوا سبعين رجلاً أربعة من المهاجرين
حزرة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شاس وعبد الله بن جحش وسائرهم من
الأنصار (ولا يحسبن) أي ولا تظنن (الذين قتلوا في سبيل الله) أي لأجل دينه والخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد (أمواتا بل) هم (أحياء عند ربهم) أي ذوو وولني منه فليس
المراد القرب المكناني لاستحالة ولا بمعنى في علمه وحكمه لعدم مناسبة المقام له بل بمعنى القرب
شرافاً ورتبة قال البيضاوي وقيل نزل في شهداء بدر أي وكانوا أربعة عشر رجلاً غلبت
من الأنصار وسنة من المهاجرين قال شيخنا القاضي زكريا وهو غلط انما نزل فيهم آية البقرة

(برزقون) من ثمار الجنة روى ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام قال ارواح الشهداء في أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل معلقة في ظل العرش وروى ان الله تعالى يطلع عليهم ويمرهم ويقول سلوني ما شئتم فيقولون يا رب كيف نسئلك ونحن نسرح في الجنة في أيها شئنا فلما رأوا أن لا يتركوهم أن يسألوا شيئاً قالوا نسئلك أن تردنا ارواحنا الى أجسادنا في الدنيا نقتل في سبيلك لما رأوا من النعيم كما قال تعالى (فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة (ويستبشرون) أي ويفرحون (بالذين لم يلحقوا بهم) من اخوانهم الذين تركوهم أحياء في الدنيا على مناهج الايمان والجهاد لعلمهم أنهم اذا استشهدوا لحقوا بهم والوا من الكرامة ما نالوا فذلك يستبشرون (من خلقهم) أي الذين من خلقهم زماناً وأورثه وأبدل من الذين (أن) أي بأن (لا خوف عليهم) أي الذين لم يلحقوا بهم من خلقهم (ولا هم يحزنون) في الآخرة والمعنى أنهم يستبشرون بما تسبب لهم من أمور الآخرة وحال من تركوا وخلفهم من المؤمنين وهو أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة لا يكذبون بخوف وقوع محذور ولا بهزن قوات محبوب وفي ذكرك حال الشهداء واستبشارهم عن خلفهم بعث للباقيين بعدهم على ازياة الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم واجداد لحال من يرى نفسه في خير فيمتحن مثله لآخوانه لان الله تعالى مدحهم على ذلك (يستبشرون بنعمة من الله وفضل) لما بين تعالى أنهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم بين عناهم يستبشرون لانفسهم بما رزقوا من النعيم ولذلك أعاد لفظ الاستبشار (فان قيل) أليس انه ذكر فرحهم بأحوال أنفسهم والفرح عين الاستبشار فلزم التكرار (أجيب) بأن الاستبشار هو الفرح التام فلا يلزم التكرار وبأن المراد حصول الفرح بما حصل في الحال وحصول الاستبشار بما عرفوا أن النعمة العظيمة تحصل لهم في الآخرة والفرق بين النعمة والفضل أن النعمة هي الثواب والفضل هو التفضل الزائد (فان قيل) لم قال يستبشرون من غير عطف (أجيب) بأنه تأكيدي للآول لانه قصد بالنعمة والفضل بيان متعلق الاستبشار الاول (وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) لما ذكر ايصال الثواب العظيم الى الشهداء بين أن ذلك ليس مخصوصاً بهم بل كل مؤمن يستحق شيئاً من الاجر والثواب فان الله تعالى يوصل ثوابه اليه ولا يضيعه وقوله تعالى (الذين استجابوا لله والرسول) أي دعاهم مبتهداً (من بعد ما أصابهم الفرح) بأحد وخبر المبتدأ (الذين أحسنوا منهم) بطاعته (واتقوا) مخالفته (أجر عظيم) هو الجنة روى أن أباسفيان وأصحابه لما نصر فوا من أحد فبلغوا الروحاء فندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يريهم ويريه من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان وقال لا يخرجن معنا أحد الا من حضر يومنا بالامر فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا اجراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه الفرح فحسبوا ما على أنفسهم حتى لا يفوتهم الاجر روى أنه كان فيهم من يحمل صاحباً على عنقه ساعة ثم ان المحول يحمل الحامل ساعة أخرى وذلك لكثرة الجراحات فيهم وكان فيهم

من يتوكل على صاحبه ساعة ويتوكل عليه صاحبه ساعة فترسل الله صلى الله عليه وسلم معبد
 الخزاعي بمحوراء الاسد وكانت خراعة مسلمهم وكافرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعبد
 يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا ان الله قد أعفانا فيهم ثم
 خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقي أباسقيان ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا
 الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى أبوسقيان معبدا قال ما وراءك يا معبد قال
 محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط قال ويلك ما تقول قال والله ما أراي الترحل
 حتى ترى نواصي الخيل فألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فترلت * (تنبه) * من
 في الذين أحسنوا منهم للتيبين مثلها في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم
 مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لبعضهم وقوله تعالى (الذين)
 بدل من الذين قبله أو ذعت (قال لهم الناس ان الناس قد جعوا لكم) أي الجوع ليستأصلوكم
 (فاخشوهم) روى أن أباسقيان نادى عند انصرافه من أحدى يا محمد موعدنا موسم بدر القابل
 ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما كان القابل خرج أبوسقيان في أهل مكة حتى
 نزل من الظهر ان فألقى الله الرعب في قلبه فبداه أن يرجع فلقى نعيم بن مسعود الاشجعي
 وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم انى واعدت محمدا أن يلتقي بموسم بدر وان هذا عام جذب ولا يصلمنا
 الا عام نزعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدى أن لا يخرج اليه وأكره أن يخرج محمد
 ولا يخرج أنا فيزيدهم ذلك جراءة ولا أن يكون الخلف من قبلهم أحب الى من أن يكون من قبلى
 فالحق بالمدينة فشبهم وأعلمهم أنى في جمع كثير ولا طاقة لهم بنا ولك عندي عشرة من الابل
 أضعها في يد سهل بن عمرو ويضعنها فقال له نعيم يا أبابيريد أن تضمنى ذلك وأنطلق الى محمد
 وأبطه قال نعم فخرج نعيم حتى أتى المدينة فوجد الناس يجهزون لميعاد أبي سفيان فقال أين
 تريدون فقالوا واعدنا أبوسفيان بموسم بدر الصغرى أن نقتل بها فقال بش الرأى رأيتم أئوكم
 في دياركم وقرارك فلم يفلت منكم أحد الا شريدا فتريدون أن تخرجوا وقد جعوا لكم عند الموسم
 والله لا يفلت منكم أحد ففكره بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يروح فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يخرجن ولو وحدى ولو لم يخرج معى أحد
 فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل ولم يلتفتوا الى ذلك القول كما قال
 تعالى (فزادهم) ذلك القول (إيمانا) أى تصديقا بالله وبقيننا (وقالوا حسبنا الله) أى كافينا
 أمرهم (ونعم الوكيل) أى الموقض اليه الامر هو حتى وافوا بدر الصغرى فجعلوا يلقون
 المشركين ويسألونهم عن قرش فيقولون قد جعوا لكم يريدون أن يرهبوا المسلمين فيقول المسلمون
 حسبنا الله ونعم الوكيل وهذه هي الكلمة التى قالها ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه حين ألقى
 في النار حتى بلغوا بدر وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها في كل عام ثمانية أيام
 فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدير ينتظر أباسقيان ثمان ليال ولم يلق رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وأصحابه أحدا من المشركين ووافوا السوق وكان معهم تجارت فباعوها واشتروا

أدما وزيبا وأصابوا الدرهم درهمين وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين كما قال تعالى (فانقلبوا)
 أي انصرفوا (بنعمة من الله) أي بعمالة لم يلقوا عدوا (وفضل) أي تجارة وربح وهو
 ما أصابوا في السوق (لم يسهم سوء) أي لم يصيبهم أذى ولا مكروه ورجع أبو سفيان إلى مكة
 فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق قالوا انما خرجتم لتسربوا السويق * (تنبيه) * الناس
 الأول المتبطون والآخر أبو سفيان وأصحابه (فان قيل) المتبط هو أبو نعيم فكيف قيل
 الناس (أجيب) بأنه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرد وماله الأفرس
 واحد وبرد واحد ولأنه حين قال ذلك لم يخل من ناس من أهل المدينة يتبطون مثل تنبيطه بل قيل
 انهم كانوا جماعة فقدم بأبي سفيان وركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حل بعير
 من زيبا ان شبطوهم (فان قيل) كيف زادهم القول إيمانا (أجيب) بأنهم لما سمعوا ذلك وأخلصوا
 عنده النية والعزم على الجهاد وأظهر واجبة الاسلام كان ذلك أثبت ليقينهم وأقوى لاعتقادهم
 كما يزيد الإيمان واليقان بتناء المالحج ولأن خروجهم على أثر التنبيط إلى وجه العدو طاعة
 عظيمة والطاعات تزيد الإيمان فعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهم ما قلنا يا رسول الله ان الإيمان
 يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر
 رضي الله تعالى عنه أنه كان يأخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزداد إيمانا وعنه رضي الله تعالى عنه
 لو وزن إيمان أبي بكر رضي الله تعالى عنه بإيمان هذه الأمة لرجح به (واتبعوا رضوان الله) الذي
 هو مناط الفوز بخير الدارين بجماعتهم وخروجهم (والله ذو فضل عظيم) قد تفضل عليهم بالتمنيات
 وزيادة الإيمان والتوفيق للمبادرة إلى الجهاد والتصليب في الدين وأظهار الجراءة على العدو
 بالحفظ على كل من يسوءهم وأصابه النفع من ضمان الأجر حتى انقلبوا بنعمة من الله وفضل وفيه
 تحسر المتخلف وتخطئة رأييه حيث حرم نفسه ما قازوا به (انما ذلكم) أي المتبط أو أبو سفيان
 (الشیطان يخوف أوليائه) أي القاعدين عن الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم أو يخوفكم
 أوليائه وهم أبو سفيان وأصحابه ويدل على ذلك قوله تعالى (فلا تخافوهم وخافون) في مخالفة
 أمرى بخلافه وامتاع رسول (ان كنتم مؤمنين) حقا فان الإيمان يقتضي إيتاء خوف الله
 على خوف الناس وقرأ أبو عمرو وبأبيات الباء وصلوا وحذفها ووقفوا والباقون بالحذف ووقفوا وصلوا
 (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) أي يقعون فيه وقوعا سريرا عاصرا عليه وهم المنافقون
 من المتخلفين أو قوم ارتدوا عن الاسلام أي لا تهتم لكفرهم (انهم لن يضروا الله شيئا) بفعلهم
 وانما يضررون به أنفسهم وقرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الراء حيث وقع ما خلا قوله تعالى
 في الانبياء لا يحزنهم الفزع الأكبر فانه على فتح الياء وضم الراء فيه والباقون كذلك في الكل
 من حزنه لغة في أحزنه (يريد الله أن لا يجعل لهم حظا) أي نصيبا (في الآخرة) أي الجنة فلذلك
 حذلهم وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر (ولهم) مع حرمان الثواب (عذاب
 عظيم) في النار (ان الذين اشتروا الكفر بالإيمان) أي أخذوا به (لن يضروا الله) بكفرهم
 (شيئا ولهم عذاب أليم) أي مؤلم وكرر ذلك للتأكيد وهو تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق

من المتطهين أو ارتدوا من الأحزاب * ونزل في مشركي مكة كما قاله مقاتل أو في قريظة
 أو النضير كما قاله عطاء (ولا يحسبن الذين كفروا انما على) أي غهل (لهم) بتطويل الاعمار
 (خير لانفسهم انما على لهم ليزدادوا انما) بكثرة المعاصي (ولهم عذابهم) أي ذواهانة وروى
 أنه صلى الله عليه وسلم سئل أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قيل فأي الناس شر
 قال من طال عمره وساء عمله وقرأ آجرة ولا تحسبن الذين كفروا ولا تحسبن الذين يجادلون بالتاء
 فيها على الخطأ والباقون بالياء على الغيبة وفتح السين ابن عاصم وعاصم وحزة (ما كان
 الله ليذر) أي ليعترك (المؤمنين على ما أنتم عليه) أيها الناس من اختلاط المسلم بغيره (حتى يميز)
 أي يفصل (الخطيئة) أي المنافق (من الطيب) واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال الكلبي
 قالت قريش يا محمد تزعم أن من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وأن من أتبعك على دينك
 فهو في الجنة والله عنه راض فأخبرنا بن جهم بن بك ومن لا يؤمن فنزلت وقال السدي قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم عرضت على أمتي في صورتهما في الطين كما عرضت على آدم وأعلمت من
 يؤمن ومن يكفر فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد أنه يعلم من يؤمن به ومن يكفر بمن
 لم يخلق بعده ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر وحده
 الله وأثنى عليه ثم قال ما بال أقوام طعنوا في علي لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة
 الانباتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من أبي يا رسول الله قال حذافة فقام عمر
 رضي الله تعالى عنه فقال يا رسول الله رضينا بالله ربنا وبالإسلام ديننا وبالقرآن إماما وبك نبيا
 فاعف عنا عفا الله تعالى عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهل أنتم مستهونون ثم نزل عن المنبر
 فنزلت (فان قيل) لمن الخطأ في أمتهم (أجيب) بأنه للمصدقين جميعا من أهل النفاق
 والاخلاص كأنه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها من اختلاط
 بعضكم ببعض وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم
 منكم بالوحي إلى نبيه وأخباره بأحوالكم أو بالكيفية الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يدع عنها
 الا المخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله فيقترب بها بواطنكم ويستدل
 بها على عقائدكم ففعل ذلك يوم أحد حيث أظهر والنفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وقرأ آجرة والكسائي يميز بضم الياء وفتح الميم وتشديد الياء بعد الميم مع كسرهما والباقون
 بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء بعد الميم (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) فتعرفوا المنافق
 من غيره قبل التمييز (واسكن الله ينجي من رسله من يشاء) فيوحي اليه ويخبره ببعض الغيبات
 أو ينصب له ما يدل عليها (فآمنوا بالله ورسوله) أي بصفة الاخلاص أو بأن تعلموا أن الله وحده
 مطلع على الغيب وتعلموا أنهم عباد مجتنبون لا يعلمون الا ما علمهم الله تعالى ولا يقولون الا ما يوحى
 اليهم وروى أن الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا بمن يؤمن ومن يكفر فنزلت الآية (وان
 تؤمنوا) حق الايمان (وتتقوا) النفاق (فلاكم أجر عظيم) أي لا يقادر قدره (ولا يحسبن الذين
 يجادلون بما آتاهم الله من فضله هو) أي بجهلهم (خير لهم بل هو) أي بجهلهم (شر لهم) لاستغلال

العقاب اليهم واختلفوا في المراد بهذا الجمل فقال اكثر العلماء المراد به منع الواجب واستدلوا
 بوجوه أحدها أن الآية دالة على الوعيد الشديد وذلك لا يليق إلا بالواجب وثانيها أن الله
 تعالى ذم الجمل والتطوع لا يذم على تركه وثالثها قال عليه الصلاة والسلام وأى داء أودأ من
 الجمل وتارك التطوع لا يليق به هذا الوصف وانفاق الواجب على أقسام منها انفاقه على نفسه
 وعلى أقاربه الذين تلزمه مؤنتهم ومنها الزكوات ومنها ما إذا احتجاج المسلمون الى دفع عذو
 يقصد أنفسهم وأموالهم فيجب عليهم انفاق الاموال على من يدفعهم عنهم ومنها دفع ما يستد
 رمق المضطر (سيطوقون) أى سوف يطوقون (ما يجملوا به يوم القيامة) اختلفوا في هذا الوعيد
 فقال ابن عباس وابن مسعود يجعل مانعه من الزكاة حية يطوقها في عنقه يوم القيامة تنهشه
 من فرقه الى قدمه وتنقر رأسه تقول أنا مالك وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع
 له زبيتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى شذقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا
 ولا يحسبن الذين يخلون الآية وعن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسى
 بيده أو الذى لا اله غيره أو كما حلف ما من رجل تكون له ابل أو بقرة أو غنم لا يؤدى حقها الا أتى
 به يوم القيامة أعظم ما تكون وأسمه تطوؤه بأخفافها وتنطحه بقرونها كلما جازت عليه
 أخرها ردت عليه وألا حاجتى بقضى بين الناس وقال مجاهد معنى سيطوقون سيكلفون ان يأثوا
 بما يجملوا به يوم القيامة أى يؤمرون بأداء ما منعوا فلا يعكسهم الا تيان به فيكون ذلك توبيخا
 وقبل ان هذه الآية نزلت في أخبار اليهود الذين كفوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وأراد
 بالجمل كتمان العلم كما في سورة النساء الذين يخلون ويأمرون الناس بالجمل ويكتمون ما آتاهم الله
 من فضله ومعنى قوله على هذا سيطوقون أى يحملون وزره وأثمه كقوله تعالى يحملون
 أوزارهم على ظهورهم وقوله تعالى (ولله ميراث السموات والارض) فى معناه وجهان أحدهما
 أن له ما فيه ما عايتوارته أهلها من مال وغيره فهو الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال أملاكهم
 فإلهم يخلون عليه بملكه ولا يتفقونه فى سبيله ونحوه قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين
 فيه والثانى وبه قال الاكثرون ان معناه أنه يقضى أهل السموات والارض ويقضى الاملاك
 ولا مالك لها الا الله فخرى هذا مجرى الورثة قال ابن التبرارى يقال ورث فلان علم فلان اذا
 انقضى به بعد أن كان مشاركا فيه وقال تعالى وورث سليمان داود لانه انقضى بذلك الامر بعد
 ان كان داود مشاركا فيه (والله بما تعملون) من المنع والاعطاء (خير) فيجوز ان يكمن به وقرأ ابن
 كثير وأبو عمر وبالياء على الغيبة والباقون بالنساء على الخطاب (لقد سمع الله قول الذين قالوا
 ان الله فقير ونحن أغنياء) قال الحسن ومجاهد لما نزل قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا
 حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء وذكر الحسن أن قائل هذه المقالة
 حبي بن أخطب وقال عكرمة والسدى ومقاتل ومحمد بن اسحق كتب النبي صلى الله عليه وسلم
 مع أبي بكر الصديق الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقامة الصلاة وآيتاء الزكاة

وان يقرضوا الله قرضاً حسناً فدخل أبو بكر ذات يوم بيت عدا رسهم فوجد اناساً كثيرين من
اليهود قد اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فخصاص بن عازوراء وكان من علمائهم ومعه جبراً آخر
يقال له أشيع فقال أبو بكر لخصاص اتق الله وأسلم فوالله انك تعلم أن محمداً رسول الله قد جاءكم
بالحق من عند الله تجددونه مكتوباً عندكم في التوراة فأمن وصديق وأقرض الله قرضاً حسناً
يدخل الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فخصاص يا أبا بكر تزعم أن ربنا يستقرض من أموالنا
وما يستقرض الا الفقير من الغنى فان كان ما تقول حقاً فان الله اذن لفقير ونحن أغنياء وانه
ينهاكم عن الربا ويعطينا ولو كان غنياً ما أعطانا الربا يعني في قوله فيضاعفه له أضاعها
كثيرة فغضب أبو بكر رضى الله تعالى عنه وضرب وجهه فخصاص ضربة شديدة وقال والذي
نفسى بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فخصاص الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انظر ما صنعت بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاي بكر ما حالك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال قولا عظيماً زعم ان الله فقير
وهم أغنياء فغضبت لله فضربت وجهه فبعد ذلك فخصاص فانزل الله عز وجل رد اعلى فخصاص
وقصدي قال لاي بكر رضى الله تعالى عنه لقد سمع الله الآية وهذا لا يدل على أن غيره لم يقل ذلك
لان الآية دالة على أن القائل جماعة لقوله تعالى الذين قالوا (سنكتب) أى نأمر بكتب
(ما قالوا) من الافك والفريفة في صحائف أعمالهم ليحازوا عليه ونحوه واناله كاتبون أو سنحفظه
في علمنا لانهم لم يله كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء بالله والرسول ولذلك نظمته مع قتل
الانبياء كما قال تعالى (وقتلهم) أى وسنكتب قتلهم (الانبياء بغير حق) وفي نظمه به
تنبه على أنه ليس أول جريمة ارتكبوها وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه أمثال
هذا القول (ويقول) أى الله لهم في الآخرة على لسان الملائكة (ذوقوا عذاب الحريق)
أى النار وهي بمعنى المحرق كما يقال عذاب أليم أى مؤلم وقرأ جزء سيبويه بكتب بالياء المثناة
تحت بعد السين مضمومة وفتح التاء بعد الكاف وضم اللام من قتلهم وبالياء في ويقول
والساقون بالنون بعد السين مفتوحة وضم التاء بعد الكاف ونصب اللام من قتلهم وبالنون
في ونقول ويقال لهم اذا ألحقوا في النار (ذلك) أى العذاب (بما قدمت أيديكم) من الافتراء
وقتل الانبياء وغير ذلك من المعاصي وعبر بالأيدي عن الانفس لان أكثر أعمالها بين (وان
الله ليس بظلام) أى بذى ظلم (للعبيد) فيعذبهم بغير ذنب (فان قيل) ظلام للمبالغة المقتضية
للتكثير فهو أخص من ظالم ولا يلزم من نفي الاخص نفي الاعم (أجيب) بأنه لما قيل بالعبيد
وهم كثيرون ناسب أن يقابل الكثير بالكثير وبأنه اذا نفي الظلم الكثير ينفي القليل لان الذى
يظلم انما يظلم لاتتفاهه بالظلم فاذا ترك كثيره مع زيادة نفعه فيمن يجوز عليه النفع والضرر كان لقليله
مع قلة نفعه أترك وبأن ظلام للنسب كما قدرته في الآية الكريمة كما في بزاز وعطار أى لا ينسب
اليه ظلم البتة وقوله تعالى (الذين) نعت للذين قبله (قالوا) لمحمد صلى الله عليه وسلم تزعم أن الله
بعثك بالحق رسولا وأنزل عليك كتاباً وأن تؤمن بك أى وقالوا (ان الله) قد (عهد الينا) أى أمرنا

وأوصاني كتيبه (ان لا تؤمن لرسول) أي لا تصدق رسولا أنه قد جاء من عند الله (حتى يأتيك)
 يقربان تأكله النار) أي حتى يأتيك بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لآتياء بني اسرائيل فيكون
 دليلا على صدقه والقربان كل ما يتقرب به العبد الى الله من نسكة وعمل صالح وكنائس اذا
 قربوا قربانا وغنوا غنية جاءت نار يضاء من السماء لادخانها واهادوى وهفيف فتأكل
 ذلك القربان وتأكل الغنية ومعنى أكلها أن تحبيل ذلك الى طبعها بالاسراق فيكون ذلك علامة
 القبول واذ لم يتقبل بقى على حاله وهذا من مقترياتهم وأباطيلهم لأن أكل النار القربان لم
 يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات في ذلك سواء وقال السدي هذا الشرط
 جاء في التوراة ولكنه مع شرط آخر وهو أن الله تعالى أمر بني اسرائيل من جاءكم يزعم أنه رسول
 الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم يقربان تأكله النار حتى يأتيكم المسيح ومحمد فإذا أتياكم فآمنوا
 بهم ما فاتهم ما يأتيان بغير قربان قال الله تعالى اقامة للحجة عليهم (قل) لهم يا محمد (قد جاءكم رسل
 من قبلي بالبينات) أي بالمعجزات (وبلذى قلتم) من القربان كزكريا ويحيى فقتلتموه (فلم
 تقتلوههم) والخطاب لمن في زمن نبينا وان كان الفعل لاجدادهم لرضاهم به (ان كنتم صادقين)
 في أنكم تؤمنون بالرسل عند الاتيان بذلك * ثم قال الله تعالى تسليمة لانيه صلى الله عليه وسلم من
 تكذيب قومه واليهود (فان كذبوا فصدقهم كذب رسلي من قبلك جاؤا بالبينات) أي المعجزات
 (والزبر) أي الصحف كصحف ابراهيم (والكتاب) أي التوراة والانجيل (الذير) أي الواضح
 فاصبر كما صبروا وقرأ نافع وابن ذكوان وعاصم باظهار دال قد عند الجيم والباقون بالادغام
 وقرأ ابن عامر وبالزبر بالباء الموحدة والباقون بغير ياء بعد الواو وقرأ هشام وبالكاتب بالباء
 الموحدة بعد الواو والباقون بغير ياء وقوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) زيادة تأكيد
 في تسليته صلى الله عليه وسلم ومبالغة في ازالة الحزن عن قلبه فان من علم أن عاقبته الى الموت
 زالت عن قلبه الغموم والاحزان روى ان الله تعالى لما خلق آدم اشتكت الارض الى ربه لما
 أخذ منها فوعدها ان يرد فيها ما أخذ منها فان أحد الايدى في التربة التي أخذ منها ولا بعد
 هذه الدار دارا تميز فيها المحسن من المسيء والحق من المبطول ويجازى كل بما يستحقه
 كما قال تعالى (وانما تؤفون أجوركم) أي جزاء أعمالكم (يوم القيامة) ان خير الخبير
 وان شر افشّر (فن زحزح) أي بعد (عن النار وادخل الجنة فقد فاز) بالنجاة ونيل المراد
 والفوز بالظفر بالبغية بالنظر الى وجهه الله تعالى الكريم (وما الحياة الدنيا) أي العيش فيها
 (الامتاع الغرور) أي الباطل يتمتع به قليلا ثم يفنى روى أن الله تعالى يقول أعددت لعبادي
 الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نقص
 ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها
 مائة عام لا يقطعها واقرؤا ان شئتم وظل محدود ولموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها
 واقرؤا ان شئتم فن زحزح عن النار الآية وروى من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل
 الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويؤتي الناس ما يوجب أن يؤتى

إليه أي يفعل بهم ما يجب أن يفعل به وقوله تعالى (اتلوت) جواب قسم محذوف تقديره والله لتبلوت وحذف منه نون الرفع لتوا إلى النونات والواو ضمير الجمع وحذفت واو الرفع لالتقاء الساكنين أي لتختبرن (في أموالكم) بالفرائض فيها والجوائح (و) في (أنفسكم) بالعبادات والبلاء والامرو والجراح وغير ذلك (واتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) أي اليهود والنصارى (ومن الذين أشركوا) أي مشركي العرب (أذى كثيرا) وذلك أنهم كانوا يقولون عزير ابن الله والمسيح ابن الله وثالث ثلاثة وكانوا يطعنون في النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما يقدرون عليه وهجاء كعب بن الأشرف وكانوا يحرضون الناس على مخالفتهم صلى الله عليه وسلم ويجمعون العساكر لمحاربتهم ويشطون المسلمين عن نصرته (وان تصبروا) على ذلك (وتتقوا) الله (فإن ذلك من عزم الأمور) أي من صواب التدبير والرشد الذي ينبغي لكل عاقل أن يقدم عليه واختلاف في سبب نزول هذه الآية فقال ابن جرير والكوفي ومقاتل نزلت في أبي بكر وفخاص وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر إلى فخاص اليهودي ليستأذنه وكتب إليه كتابا لا تفتان على بشي حتى ترجع إلى خباء أبو بكر رضي الله تعالى عنه وهو متوشح بالسيف فأعطاه الكتاب فلما قرأه قال احتاج ربك إلى أن غدتهم أبو بكر أن يضربه بالسيف فتذكر أبو بكر قول النبي صلى الله عليه وسلم وكف عنه فنزل وقال الزهري نزلت في كعب بن الأشرف فإنه كان يحجج رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعره ويسب المسلمين ويحرض المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه في شعره ويتشبه بنساء المسلمين (تنبيه) * في الآية تأويلان أحدهما المراد بالمصابرة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالصبر على الابتلاء في النفس والمال وتحمل الأذى وترك المعارضة والمقاولة وذلك لأنه أقرب إلى دخول المخالف في الدين كقوله تعالى فقول له قولنا لعلي تذكر أو يخشى وقال تعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله وقال تعالى وإذا مروا باللغو مروا كراما وقال تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وقال تعالى ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم قال الواحدى وهذا قبل نزول آية السيف وقال القفال والذي عندي أن هذا ليس بمنسوخ والظاهر أنها نزلت عقب قصة أحد والمعنى أنهم أمروا بالصبر على ما يؤذون به الرسول عليه الصلاة والسلام من طريق الأقوال الجارية فيما بينهم واستعمال مداراتهم في كثير من الأحوال والأمر بالقتال لا ينافي الأمر بالمصابرة التأويل الثاني أن المراد بالصبر على مجاهدة الكفار ومنابذتهم والانكاف عليهم قاله سبر عبارة عن احتمال المكروه والتقوى عبارة على الاحتراز عما لا ينبغي (و) اذكر (إذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) أي العهد عليهم في التوراة أي على علمائهم (ليبينه) أي الكتاب (للناس ولا يكفونه) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة بالياء في الفعلين على الغيبة لأن أهل الكتاب المخاطبين بذلك غيب والباقيون بالياء على الخطاب حكاية لمخاطبتهم (فتبذوه) أي طرحوا الميثاق (وراء ظهورهم) أي لم يعملوا به ولم يلتفتوا إليه ونقيض هذا جعله نصب عينيه (واشتروا به) أي أخذوا بدله (ثمنا قليلا) من حطام

الدنيا واعراضها من سفلتهم برياستهم في العلم فكتموه خوف فوتها عليهم وقوله تعالى (فبئس
 ما يشترون) العائد محذوف تقديره يشترونه قال قتادة رضي الله تعالى عنه هذا ميثاق أخذه
 الله على أهل العلم فن علم شيئاً فليعلمه وإياكم وكتمان العلم فانه هلكة وقال أبو هريرة رضي الله
 تعالى عنه لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشئ ثم تلا هذه الآية وقال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار وقال أبو الحسن بن
 عمارة رضي الله تعالى عنه أثبت الزهري بعد أن ترك الحديث فأنقذه على بابيه فقلت ان رأيت أن
 تحدثني فقال أما علمت أني قد تركت الحديث فقلت أما أن تحدثني وأما أن أحدثك فقال حدثني
 فقلت حدثني المحكم بن عيينة عن يحيى بن الخزاز قال سمعت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى
 عنه يقول ما أخذ الله على أهل الجهل أن يفعلوا حتى أخذ على أهل العلم أن يفعلوا قال فحدثني
 أربعين حديثاً (لا تحسبن الذين يفرحون بما آتوا) أي فعلوا من اضلال الناس (ويحبون أن
 يحمدا) بما آتوا من علم التوراة و(بما لم يفعلوا) من التمسك بالحق وهم على ضلال وهذا أيضاً
 من جملة أذا هم لانهم يفرحون بما آتاه من أنواع الخبيث والتليس على ضعفة المساكين ويحبون
 أن يحمدا وبأنهم أهل البر والصدق والتقوى ولا شك أن الانسان يتأذى بمشاهدة مثل هذه
 الاحوال فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر عليها روى أنه صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن
 شئ مما في التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه وأرواه أنهم قد صدقوا وفرحوا بما فعلوا فأطلع
 الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك وسلاماً بما أنزل من وعيدهم أي لا تحسبن اليهود الذين
 يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عابك ويحبون أن يحمدا وبما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق
 عما سألتم عنه ناجين من العذاب وقيل هم قوم يخلفون عن الغزو ثم اعتذروا بأنهم رأوا المصلحة
 في التخلف واستحمدوا به وقيل هم المنافقون فانهم يفرحون بمناقضتهم ويستحمدون الى المسلمين
 بالايان الذي لم يفعلوه على الحقيقة ويجوز أن يكون شاملاً لكل من يأتي بحسنة فيفرح بها
 فرح اعجاب ويجب أن يحمده الناس ويندوا عليه بالديانة والزهد بما ليس فيه وقوله تعالى
 (فلا تحسبنهم) تأكيد (بمغارة) أي مكان ينجون فيه (من العذاب) في الآخرة بل هم في مكان
 يعذبون فيه وهو جهنم (ولهم عذاب أليم) أي مؤلم فيها وقرأ عاصم وحزرة والسكاكي بالتاء على
 الخطاب والباقون بالياء على الغيبة وفتح السين ابن عامر وعاصم وحزرة والباقون بالكسر
 ومفعول لا تحسب الاولى دل عليها مفعول الثانية على قراءة التصانيع وعلى الفوقانية حذف
 الثاني فقط وقرأ ابن كثير وأبو عمرو فلا يحسبنهم بالياء على الغيبة وضم الباء الموحدة والباقون
 بالتاء على الخطاب وفتح الباء الموحدة وفتح السين ابن عامر وعاصم وحزرة كما تقدم (ولله ملك
 السموات والارض) فهو على كل شئ قدير ومنه تعذيب الكافرين وانجاء المؤمنين (ان في خلق السموات
 والارض) وما فيها من المجائب (واختلاف الليل والنهار) بالجيء والذهاب والزيادة
 والنقصان (آيات) أي دلالات واضحة على قدرته تعالى وباهر حكمته (لاولى الالباب)

لذوى العقول الذين يفهمون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولا يتقنون اليها نظرهم بأم
غافلين عما فيها من عجائب الفطرو في النماذج الصغار أملاً بعينيك من زينة هذه الكواكب
وأجلها في جملة هذه العجائب متفكر في قدرة مقدرها متدبر احكامه مدبرها قبل أن
يسافر بك القدر ويحالي بينك وبين النظر وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهم ما قالت لعائشة
رضي الله تعالى عنها أخبريني بأعجب ما رأيت من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت
وأطالت ثم قالت كل أمره عجيب أتاني ليلة قد دخل في الحافى حتى التصق جلده بجلدي ثم قال
يا عائشة هل لك أن تأذني الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لا أحب قريك وأحب هوالك
قد أذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضا ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من
القرآن وجعل لي يكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه وجعل لي يكي ثم رفع
يديه فجعل لي يكي حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فقرأ يكي فقال
يا رسول الله أتسكي وقد غضر الله لك مائة قمم من ذبلك وما تأخر فقال يا بلال أفلا أكون عبدا
شكورا ثم قال وما لي لا أبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم
قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروى ويل لمن لا كهاتين فكبه ولم يتأملها وعن علي رضي الله
تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسول في شطر الى السماء ثم يقول
ان في خلق السموات والارض وحكي ان الرجل من بني اسرائيل كان اذا عبد الله ثلاثين سنة
أظلمت له هابة فعبد هافتي من قتيانهم فلم تظلمه فقالت أمه اهل فرطة فرطت منك في مدتلك فقال
ما أذكرك قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فأتيت الامن ذلك وقوله
تعالى (الذين) نعت لما قبله أو بدل (يذكرون الله قياما وعودا وعلى جنوبهم) أي مضطجعين
أي يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين لان الانسان قل أن يحلوا
من احدي هذه الحالات الثلاث وروى الطبراني وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن
يرتفع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه هذا في الصلاة يصلي
قائما فان لم يستطع فقاعدا فان لم يستطع فعلى جنب وعن عمران بن حصين قال سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن صلاة المريض فقال يصلي قائما فان لم يستطع فقاعدا فان لم يستطع فعلى
جنب • (تنبه) • قياما وعودا حالان من فاعل يذكرون وعلى جنوبهم حال أيضا فيعلق
بمخدوف والمعنى يذكرونه قياما وعودا ومضطجعين فعطف الحال المؤولة على الصريحة عكس
الآية الاخرى وهي قوله دعانا بالجنبه أو قاعدا أو قائما حيث عطف الصريحة على المؤولة
(ويتفكرون في خلق السموات والارض) وما أبدع فيه ماله يدلهم ذلك على قدرة الله تعالى
ويعرفون ان لهم مدبرا حكما قال بعض العلماء الفكرة تذهب الفعلة وتحدث في القلب الخشية
كما يحدث الماء للزراع النبات وما جلست القلوب بعزل الاسزان ولا استنارت بعزل الفكرة وروى
عنه صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى أي تفضيلا يؤدي الى تنقيصه والافهوه صلى
الله عليه وسلم سيد ولد آدم فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الارض قالوا وانما كان ذلك

التفكر في أمر الله تعالى الذي هو عمل القلب لأن أحد الأيادى قد رأى أن يعمل بجوارحه في اليوم مثل
 عمل أهل الأرض وقال صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر أى لأنه المخصوص بالقلب والمقصود
 من الخلق لكن الحديث رواه البيهقي وغيره وضعفه وقال صلى الله عليه وسلم بيننا رجل مستلق
 على فراشه أذرفع رأسه فنظر إلى السماء والنجوم فقال أشهد أن لك رباً وخالقاً اللهم اغفر لي
 فنظر الله تعالى إليه فغفر له رواه الثعالبي بسند فيه من لا يعرف قال البيضاوي وهذا دليل واضح
 على شرف علم أصول الدين وفضل أهله وقوله تعالى (ربنا ما خلقت هذا باطلاً) على إرادة القول
 أى يتفكرون قائلين ذلك وهذا إشارة إلى الخلق بمعنى المخلوق من السموات والأرض وأولى
 السموات والأرض لأنهم فى معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثاً وضائعاً من غير حكمة بل خلقته
 لحكم عظيمة من جللتها أن يكون مبدء الوجود للإنسان وسبب المعاشه ودليل لا يده على معرفتك
 ويحتمل على طاعتك لينال الحياة الأبدية والسعادة السرمدية فى جوارك * (تنبيه) * نصب
 باطلاً على الحال من هذا وهى حال لا يستغنى عنها لأنها لو حذفت لاختل الكلام وهى كقوله
 تعالى وما خلقتنا السموات والأرض وما بينهما إلا عبثاً وقيل على إسقاط حرف التفضيض وهو الباء
 والمعنى ما خلقت ما يبطل بل بحق وقدرة (سبحانك) أى تنزيهاً لك عن العبث وهو معترض بين
 قوله ربنا وبين قوله (فقد أعذاب النار) أى لا خلال بالنظر فى خلق السموات والأرض والقيام
 بما يقتضيه قال أبو البقاء ودخلت الغاء بمعنى الجزاء والتقدير إذا نزلنا لك أو وحدنا لك فقتلنا قال ابن
 عادل ولا حاجة إليه بل التسبب فيها ظاهر نسب عن قولهم ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه
 طلبهم وقاية النار (ربنا انك من تدخل النار) أى للخلود فيها (فقد أحزيت) أى أحزنه
 (وما للظالمين) أى للكافرين فيه وضع الظاهر موضع المضمر اشعاراً بتخصيص الخزي بهم (من
 أنصار) أى أنصار من زائدة زيدت لتأكيد النفي (ربنا اننا ننادى يا نادى) أى يدعو
 الناس (للايمان) أى إليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم أو القرآن العظيم (أن) أى بأن (آمنوا
 بربكم فما مننا) به (فان قيل) أى قائدة فى الجمع بين منادى يا نادى (أجيب) بأنه ذكر المبدأ
 مطلقاً ثم مقيداً بالايمن تفصيلاً لما الشأن المنادى لأنه لا منادى أعظم من منادى لايمان
 ونحوه قولك مررت بهادى للاسلام وذلك أن المنادى إذا أطلق ذهب الوهم إلى منادى
 للعرب أولاً ثم الكروب أو نحو ذلك وكذا الهادى قد يطلق على من يهدى للطريق ويهدى
 لهدى الرأى وغير ذلك فإذا قلت ينادى للايمان ويهدى للاسلام فقد رفعت من شأن المنادى
 والهادى ونغمته ويقال دعاه لكذا وإلى كذا (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) أى الكبائر منها (وكفرنا
 سيئاتنا) أى الصغائر منها أو يكون ذلك من باب التعميم والاستيعاب كقوله الرحمن الرحيم ولان
 الإلحاح والمبالغة فى الدعاء أمر مطلوب (وتوفنا مع الأبرار) أى مخصوصين بعصمتهم معدودين
 فى جلتهم وهم الأنبياء والصالحون وفيه تنبيه على أنهم يحبون لقاء الله تعالى ومن أحب لقاء الله
 تعالى أحب لقاء الله لقاءه رواه الشيخان (ربنا وأنتنا) أى أعطنا (ما وعدتنا) به (على) السنة (رسلك)
 من الرحمة والفضل وسؤالهم ذلك وإن كان وعده تعالى لا يتخلف سؤال أن يجعلهم من مستحقيه

لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم لتلك الكرامة فسالوه ان يجعلهم مستحقين لها وتكرر ربنا مبايعة الله
 في التصريح وفي الآثار من حربه أي اصابه أمر فقال ربنا خمس مرات أنجاه الله تعالى عما يخاف
 وأعطاه ما أراد (ولا تخزنا) أي ولا تعذبنا ولا تفضحنا ولا تنهنا (يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد)
 أي الموعد بآية المؤمنين واجابة الداعي وعن ابن عباس الميعاد البعث بعد الموت (فاستجاب لهم
 ربهم) دعاهم وهو أنخص من أجاب لانه يفسد حصول جميع المطلوب الكثرة مبايعة لان كثرة
 المبايعة تدل على كثرة المعاني ويتعدى بنفسه وباللام (أني) أي باني (لا أضيع عمل عامل منكم)
 وقوله تعالى (من ذكر أو أنى) بيان عامل (بعضكم من بعض) أي يجمع ذكركم وأنشأكم أصل
 واحد فكل واحد منكم من الآخر أي الذكور من الاناث والاناث من الذكور وقيل المراد
 وصلة الاسلام وهذه الجملة وهي بعضكم من بعض معترضة بين عمل عامل منكم من ذكر أو أنى
 وما فصل به عمل عامل من قوله فالذين هاجروا الخ يفت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله
 تعالى عباده العاملين روى ان أم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت يا رسول الله أسمع الله يذكرك الرجال
 في الهجرة ولا يذكرك النساء فنزلت وقوله تعالى (فالذين هاجروا) أي من مكة الى المدينة (وأخرجوا
 من ديارهم) تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه
 الاعمال السنية الفاتقة وهي المهاجرة عن أوطانهم فارين الى الله تعالى بدينهم من دار الفسنة
 واضطروا الى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشؤا (وأودوا في سبيلي) أي ديني (وقاتلوا)
 الكفار (وقتلوا) في الجهاد وقرأ حمزة والكسائي بتقديم قتلوا وتأخير قاتلوا وشدد ابن كثير
 وابن عامر التاء من قتلوا للتكثير (لا كفرن عنهم سبتاتهم) أي استرها بالمغفرة (ولادخانهم
 جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا) أي اتيهم بذلك اثابة (من عند الله) أي تفضلا منه تعالى فهو
 مصدره وكذا لما قبله لان قوله تعالى لا كفرن عنهم ولا دخلنهم في معنى لا يثيبهم (والله عنده حسن
 الثواب) أي الجزاء ولما كان المشركون في رخاء ولين من العيش يتجرون ويتنعمون وقال بعض
 المؤمنين ان أعداء الله فيماترى من الخير ونحن في الجهد نزل (لا يفرنك قلب) أي تصرف
 (الذين كفروا في البلاد) للتجارات وأنواع المكاسب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
 منه غيره وقوله تعالى (متاع قليل) خبر ميتة المحذوف أي ذلك القلب متاع قليل يتتعون به في
 الدنيا يسيرا ويغنى فهو قليل في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة أو في جنب ما أعد الله للمؤمنين
 من الثواب قال صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل الامثل ما يجعل أحدكم اصبعه في اليم
 فليظلم يرجع رواء مسلم وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال جئت فاذا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في مشربة وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء وتحت رأسه وسادة من ادم حشوها
 ليف فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك فقلت يا رسول الله ان كسرى وقبصر
 فيها ما فيه وأنت رسول الله فقال أمارضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة (ثم ما وآهم)
 أي مصيرهم (جهنم وبئس المهاد) أي القراش هي (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري
 من تحتها الانهار خالدين) أي مقدرين الخلود (فيها نزل من عند الله) وهو ما به للضيف ونصبه

على الحال من جنات تخصيصهم بالوصف والعامل فيها معنى الظرف (وما) أى والذي (عند الله)
من الثواب لكثرة ودوامه (خير للابرار) مما يقلب فيه الكفار من متاع الدنيا قلته وسرعة
زواله واختلاف في سبب نزول قوله تعالى (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) فقال جابر وابن
عباس وأنس نزات في التجاشى ملك الحبشة واسمه أحممة وهو بالعربية عطية وذلك انه لما مات
نعام جبريل عليه الصلاة والسلام للنبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الذى مات فيه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فتألوا ومن هو قال
التجاشى فخرج الى البقيع وكشف له الى أرض الحبشة فأبصر سرير التجاشى وصلى عليه وكبر
عليه أربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على عجل حبشى نصرانى
لم يره قط وليس على دينه فزال الله تعالى هذه الآية وقال عطاء نزات في أربعين رجلا من أهل
نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم وكانوا على دين عيسى فأمنوا بالنبي صلى الله
عليه وسلم وقال ابن جريح نزات في عبد الله بن سلام وأصحابه وقال مجاهد نزات في مؤمنى أهل
الكتاب (وما أنزل اليكم) أى القرآن (وما أنزل اليهم) أى التوراة والانجيل وقوله تعالى (خاشعين)
سال من ضمير يؤمن مراعى فيه معنى من لانهم فى معنى الجمع أى متواضعين (لله لا يستترون) أى
لا يستبدلون (بآيات الله) التى عندهم فى التوراة والانجيل من نعت النبي صلى الله عليه وسلم
(غنا قليلا) من الدنيا بأن يكتموها خوفا على الرياسة كما فعل غيرهم من اليهود (وأولئك لهم اجرهم)
أى ثواب أعمالهم (عند ربهم) وهو ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعدوه فى قوله تعالى أولئك
يؤتون أجرهم مرتين وقوله تعالى يؤتكم كفاين من رحمته (ان الله سريع الحساب) لنفوذ عمله
فى كل شئ فهو عالم بما يستوجب كل عامل من الاجر بحساب الخلق فى قدر نصف نهار من أيام الدنيا
(يا أيها الذين آمنوا اصبروا) على مشاق الطاعة وما يصيبكم من الشدائد وعن المعاصي (وصابروا)
أى وغالبوا أعداء الله فى الصبر على شدائد الحرب فلا يكونوا أشد صبرا منكم (ورابطوا) أى
أقيموا فى الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو قال الله تعالى ومن رباط الخيل
ترهبون به عدو الله وعدوكم وروى انه صلى الله عليه وسلم قال من رباط يوما وليله فى سبيل الله
كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينقل عن صلاته الا الحاجة وروى انه صلى الله عليه وسلم
قال من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة (واتقوا الله) فى جميع أحوالكم (لعلكم تفلحون)
أى تفوزون بالجنة وتنجون من النار وقال بعض العلماء اصبروا على البأساء والضراء ورابطوا
فى دار الأعداء واتقوا الله الارض والسما لعلكم تفلحون فى دار البقاء روى الطبرى لكن
بإسناد ضعيف من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وسلم ملائكة حتى
تجيب الشمس أى تغيب ومارواه البيضاوى تعالى لم يخشى وتبعه ما ابن عادل من انه صلى
الله عليه وسلم قال من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أمانا على جسر جهنم فهو من
الاحاديث الموضوعة على أبى بن كعب فى فضائل السور فليتنبه لذلك ويحذر منه وقد نبه أئمة
الحديث قديما وحديثا على ذلك وعابوا على من أورده من المفسرين فى تفسيرهم والله تعالى أعلم

﴿سورة النساء مدنية﴾

مائة وخمس أوست أو سبع وسبعون آية وثلاثة آلاف وخمس وأربعون كلمة وستة عشر ألف حرف وثلاثون حرفاً

(بسم الله) الظاهر الملك العلام (الرحمن) الذي عم عباده بالانعام (الرحيم) الذي خص أهل ولايته بدار السلام وقوله تعالى (يا أيها الناس) خطاب بعم المكلفين من أولاد آدم من الذكور والإناث الموجودين منهم في زمن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم من العرب وغيرهم وقيل ركب يختص بالعرب منهم لقوله تعالى واتقوا الله الذي تسمون به والارحام اذ المنشأ شدة بالله وبالرحم إعادة مختصة بهم فيقولون أنشدك بالله وبالرحم وأجيب بأن خصوص آخر الآية لا يمنع عموم أترابي (اتقوا ربكم) أي عذابه بأن تطيعوه (الذي خلقكم من نفس واحدة) أي فترعكنجنه أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم وقوله تعالى (وخلق منها زوجها) معطوف على خلقكم خلقكم من شخص واحد هو آدم وخلق منها أمكم حواء بالمتن ضلع من أضلاعه اليسرى أو معطوف على محذوف كأنه قيل من نفس واحدة انشأها وابتدأها وخلق منها زوجها وانما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبيكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي انه انشأها من تراب وخلق منها زوجها حواء وهو تقرير لخلقكم من نفس واحدة وقوله تعالى (وبث منهما) أي من آدم وحواء (رجالاً كثيراً ونساءً) أي كثيراً يبين لكيفية تولدهم منهما والمعنى وبث أي نشر من تلك النفس والروح المخلوقة منها بين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء اذ الحكمة تقتضي أن يكن أكثراً للرجل أن يزيد في عصمته على واحدة بخلاف المرأة وذكر كثيراً جلاء على الجمع ولا تكرر في الآية لان خلقكم من نفس واحدة مغاير لخلق حواء منها لانها خلقت من ضلعه وهم من مائهما ولبث الرجال والنساء لانه بين به أن خلقهم من نفس واحدة معناه من نفس آدم وحواء مع زيادة التصريح بالرجال والنساء (واتقوا الله الذي تسمون) فيه ادغام التاء في الاصل في السين أي تسمون (به) فيما بينكم حيث يقول بعضكم لبعض أسألت بالله وأنشدك بالله (فان قيل) الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجرايمه أن يجاء بعقب الامر بالتقوى بما يوجبها أو يدعوا اليها ويعت عليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجباً للتقوى وداعياً اليها (أجيب) بأن ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على ذلك كان قادراً على كل شيء ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدي الى ان يتقوا الله عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على النعمة السابقة عليهم لمحقهم أن يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها وقرأ أعاصم وجزرة والكسائي بخفيف السين والباقون بتشديدها (و) اتقوا (الارحام) أي بأن تصلوها ولا تقطعوها وكانوا يتناشدون بالرحم وقد نبه سبحانه وتعالى اذ قرن الارحام باسمه على ان صلها بمكان منه تعالى روى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال الرحم معلقة

بالعرش تقول الأمان وصلني وصله الله تعالى ومن قطعني قطعته الله تعالى وقرأ غير جزء بالنصب
 عطف على الله تعالى فالعامل فيه اتقوا كما قدرته أو معطوف على محل الجار والمجرور كقولك
 مررت بزيد وعمر أو أمان جزء فقرأه بالجر عطف على الضمير المجرور وقول البيضاوي وهو ضعيف
 أي كما هو مذهب البصريين ممنوع والحق أنه ليس بضعيف فقد جوزه المكونيون وكيف
 يكون ضعيفا أو القراءة متواترة فيجب أن يضعف كلام البصريين ويرجع إلى كلام رب العالمين
 وتعليلهم عدم الجواز بكونه كـ بعض كلمة لا يقتضي الحاقه به في عدم جواز العطف إذ حذف
 الشيء مع القرينة جائز ومنه * رسم دار وقفت في طلله * أي ورب رسم دار وقول الشاعر
 * اذهب فإنيك والأيام من عجب (إن الله كان عليكم رقيبا) أي حافظا لأعمالكم فيجازيكم
 أي لم يزل متصفا بذلك (وأتوا اليتامى) أي بعد البلوغ والرشد (أموالهم) وهو أيتام
 بعد البلوغ مع أن اليتيم في عرف الشرع صغير لأب له على معنى أنهم كانوا يتامى وإن كان
 اليتيم في اللغة الانفراد ومنه الدرّة اليتيمة وقيل اليتيم في الأناس من قبل الآباء وفي البهائم من
 قبل الأمهات وفي الطير من قبلهما والخطاب للأولياء والأوصياء روى أن رجلا كان معه مال
 كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال من عمه فغضب فترافعا إلى النبي صلى الله عليه
 وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها ألم قال أطمنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير
 فدفع إليه ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ومن يوق شح نفسه يبطع وجهه هكذا فإنه يحله داره أي
 جنسه وسيأتي تفسير الحوب الكبير فلما قبض النبي ماله أنفق في سبيل الله فقال النبي صلى الله
 عليه وسلم ثبت الأجر وبقى الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا أنه ثبت الأجر فكيف بقي الوزر وهو
 يتقى في سبيل الله فقال ثبت الأجر للغلام وبقى الوزر على والده أي وأمه له كان لا يخرج زكاته
 (ولا تبسوا الخبيث) أي الحرام (بالطيب) أي الحلال أي لا تأخذوا به كما تفعلون في أخذ
 الجيد من مال اليتيم وجعل الردى من مالكم مكانه قال الزمخشري وهذا ليس بتبدل وإنما هو
 تبدل قال التفتازاني لأن معنى تبدلت هذا بذلك أنك أخذت هذا وتركت ذلك وكذا استبدلت
 لأن معنى بدلت هذا بذلك أخذت ذلك وأعطيت هذا قال تعالى ومن يتبدل الكفر بالإيمان فإذا
 أعطى الردى وأخذ الجيد فقد أعطى الخبيث وأخذ الطيب كما لو أخذ الخبيث وترك الطيب
 ليكون تبدل الخبيث بالطيب فالجواب أن في التبدل ما دخلته الباء متروك وما تعدى إليه
 الفعل بنفسه مأخوذ وفي التبدل بالعكس اهـ وقد أوضحت ذلك في شرح المنهاج
 (ولا تأكلوا أموالهم إلى) أي مع (أموالكم) كقوله تعالى من أنصاري إلى الله أي مع الله أي
 لا تنفقوه معا ولا تسوا بينهم ما فأكلكم أموالكم حلال لكم وأكلكم أموالهم حرام عليكم
 فلا يحل لكم من أموالهم ما زاد على قدر الأقل من أجر نكحتكم ونفقتكم (فان قيل) قد حرم الله
 عليهم كل مال اليتيم وحده ومع أموالهم فلم يرد النهي عن أكله معها (أجيب) بأنهم كانوا
 يفعلون كذلك فأنكر عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون أجزاؤهم ولأنهم إذا كانوا مستغنين عن
 أموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم مع ذلك يطعمون فيها كان القبح أبلغ والذم

أحق (أنه) أي أكلها (كان حوبا) أي ذنبا (كبيرا) أي عظيما ولم نزلت هذه الآية في اليتامى
وما كان في أكل أموالهم من الحبوب ~~كبير~~ خاف الأولياء أن يلحقهم الحوب بترك العدل
في حقوق اليتامى وأخذوا يتزوجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربعا كان تحتة العشر من
الازواج والتمان والست ولا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن نزل (وان خفتم) أي خشيتن (أن
لا تقسطوا) أي تعدلوا (في اليتامى) فنصرتن من أمورهم فخافوا أيضا ترك العدل بين النساء
وقلوا عدد المنكوحات (فانكحوا ما طاب) أي حل (لكم من النساء) لأن منهن ما حرم كاللاقي
في آية التصرم (مثنى وثلاث ورباع) أي تزوجوا اثنتين أو ثلاثا وأربعا لأن من يتزوج من ذنب
أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير مخترج ولا تائب لأنه انما وجب أن يتخرج من الذنب
ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب وانما عبر عنهن بما ومن يعقل انما يعبر عنه بمن ذاهبا
الى الصفة لأنه انما يفرق بين من وما في الذوات لافي الصفات أو أجهل من مجرى غير العقلاء
لنقصان عقولهن وقيل كانوا لا يتزوجون من الزنا وهم يتزوجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم
الحوب في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تجولوا حول المحرمات
وقيل كان الرجل يجود اليتيم لها مال وجمال فيتزوجه اضنا أي بخلافه اقر بما يجتمع عنده منهن عدد
ولاية قدر على القيام بحقوقهن (فان قيل) الذي أطلق لنا كح في الجمع أن يجمع بين ثنتين أو ثلاث
أو أربع فامعنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع حتى ان بعض الرافضة قال للشخص ان يتزوج
بثمانية عشر (أجيب) بأن الخطاب للجمع فوجب التكرير بل يصيب كل نا كح يريد الجمع ما أراد
من العدد الذي أطلق له كما نقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم درهمين درهمين
وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولو أفردت لم يكن له معنى (فان قيل) لم جاء العطف بالواو ودون أو حتى
قال بعض الرافضة ان له أن يتزوج بتسعة (أجيب) بأنه لو عطف بأول ذهاب معنى تجوز أنواع
الجمع بين أنواع القسمة التي دلت عليها الواو (فان خفتم أن لا تعدلوا) بين هذه الأعداد أيضا
بالقسم والنفقة (فواحدة) أي فانكحوا واحدة وذروا الجمع (أو ما ملكت أيمانكم) أي اقتصروا
على ذلك سواء بين الواحدة من الأزواج والعدد من السراري خلفه مؤنثين وعدم وجوب القسم
بينهن • (تنبيه) • هذا في حق المرأة من فيه رق فلا يتزوج أكثر من ثنتين بإجماع الصحابة
وقد يعرض للحر عوارض لا يزد فيها على واحدة بخنونا أو سفه (ذلك) أي نكاح الأربعة فقط
أو الواحدة أو التسري (ادنى) أقرب الى (أن لا تعدلوا) أي تجوزوا يقال عال الحاكم في حكمه اذا
جار وروى ان اعرابا حكم عليه حاكم فقال له اتعول على وقد ورد عن عائشة رضي الله تعالى عنها
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تعدلوا أن لا تجوزوا وحكى عن الشافعي رضي الله تعالى
عنه انه فسر ان لا تعدلوا بأن لا تكثروا أعمالكم قال البغوي وما قاله أحد انما يقال من كثرة
العيال أعمال يعيل اعالة اذا كثرت عياله وقال الزمخشري ووجهه أن يجعل من قولك عال الرجل
عياله يعولهم كقولك ما نهم يعونهم اذا اتفق عليهم لأن من كثر عياله لزمه أن يعولهم ثم قال وكلام
مثله من أعلام العلم وأئمة الشرع ورؤوس المجتهدين حقيق بالجل على الصحة والسادات وان لا يظن

به تجريف تعيلوا الى تعولوا فقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لا تظن بكلمة خرجت من في أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً وكان الشافعي رحمه الله تعالى أعلى كعباً وأطول باعاً في علم كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا اهـ (وَأَتَوَا) أى أعطوا (النساء صدقاتهن) جمع صدقة أى مهرهن (نحلة) أى عطية يقال نحلة كذا نحلة أى أعطاه إياه من طيب نفس بلا توقع عوض ونصيبا على المصدر لأن النحلة والائتاء بمعنى الاعطاء فكانه قيل وأفضلوا النساء صدقاتهن نحلة قال الكبي وجعاعة والخطاب للأولياء وذلك أن ولى المرأة كان إذا تزوجها فإن كان معهم في العشرة فلم يعطها من مهرها شيئاً وإن زوجها غريباً لموها اليه على غير ولا يعطوها من مهرها غير ذلك فنهاهم الله تعالى عن ذلك وأمرهم أن يدفعوا الحق الى أهله (فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ مِنْهُ) أى الصداق وقوله تعالى (نَفْسًا) محمول عن الفاعل أى ان طابت نفسهن لكم عن شئ من الصداق فوهينه لكم (فَكُلُوهُ) أى نخذوه وأنفقوه (هَنِيئًا) أى طيباً (مَرِيئًا) أى محموداً العاقبة لا ضرر فيه عليكم في الآخرة روى أن ناساً كانوا يتأمنون أن يرجع أحدهم في شئ مما ساقه الى امرأته فقال الله تعالى ان طابت نفس واحدة من غير اكراه ولا خديعة فكلوه هنيئاً مريئاً قال الزنجشیری وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث يخشى الشرط على طيب النفس فقل فان طبن ولم يقل فان وهين أو سمعن اعلاماً بأن المراعى هو تجنباً في نفسها عن الموهوب طيبة وعن الشعبي أن رجلاً أتى مع امرأته شريفاً في عطية أعطته إياه وهى تطلب أن ترجع فقال شريح ردّ عليها فقال الرجل أليس الله تعالى قد قال فان طبن لكم قال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وحكى أن رجلاً من آل أبي معيط أعطته امرأته ألف دينار صداقاً كان لها عليه فلبث شهر ثم طلقها فخاصمته الى عبد الملك بن مروان فقال الرجل أعطتنى طيبة بها نفساً فقال عبد الملك فأين الآية التي بعدها ولا تأخذوا منه شيئاً اردد عليها وعن عمر رضى الله تعالى عنه أنه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فأيمأ امرأة أعطت ثم أرادت أن ترجع فذلك لها (وَلَا تَتَوَاتَا) أيها الأولياء (السفهاء) أى المبذرين من الرجال والنساء (أَمْ وَالَكُمْ) أى أموالهم وإنما أضاف الأموال الى الأولياء لأنها في تصرفهم وتحت ولايتهم وقيل نهى الى كل أحد أن يعتمد الى ما خوله الله من المال فيعطيه امرأته وأولاده ثم ينظر الى ما في أيديهم وإنما سماهم سفهاء استخفافاً بقابلهم واستهجاناً لجهلهم قواماً وهذا أوفق لقوله تعالى (التي جعل الله لكم قياماً) أى تقوم بمصالحكم ومصالح أولادكم فيضعوها في غير وجهها وعلى القول الأول يؤول بأن أموال السفهاء التي من جنس ما جعل الله لكم قياماً ومضى الله ما به القيام قياماً للمبالغة وقرأ نافع وابن عامر قوماً بغير ألف بعد الباء والقيم جمع قية ما يقوم به الامتعة والباقون بالالف مصدر قام (وَارْزُقُوهُمْ) أى أطلعهم وهم (فيها وأكسوهم) فيها وإنما قال تعالى فيها لعله الاموال نظروفا للرزق فيكون الاتفاق من الربح لا من الاموال التي هي الظروف بأن يتجروا فيها ويحصلوا من ربحها ما يحتاجون اليه ولو قيل لكان الاتفاق من نفس الاموال (وقولوا لهم قولاً

معروفاً) أي عدوهم عدة جيلة باعطائهم أموالهم إذا رشدوا وكل ما سكنت إليه النفس وأحبته
لحسنه عقلاً أو شرعاً من قول أو عمل فهو معروف وما أنكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكراً
وعن عطاء إذا رجحت أعطيتك وإذا غنمت في غزائي جعلت لك حظاً وقيل إن لم يكن ممن وجبت
عليك نفقته فقل له عافانا الله وإياك يا ربك الله فيك وقيل لا يختص ذلك بالأولياء بل هو أمر لكل
أحد أن لا يخرج ماله إلى أحد من السفهاء قريب أو أجنبي رجل أو امرأة يعلم أنه يضيعه فيها
لا ينبغي ويفسده (وابتلاوا) أي اختبروا (اليتامى) في دينهم وتصرفهم بأن تختبروا ولد التاجر
بالببيع والشراء والمما كسة فيها وولد الزراع بالرراعة والنفقة على القوام به والمرأة فبها
يتعلق بالغزل والقطن وصون الاطعمة عن الهرة ونحوها وحفظ متاع البيت وولد الامير ونحوه
بالانفاق مدة في خبز وماء ولحم ونحوها كل ذلك على العادة في مثله وبشرط تكرار الاختبار مرتين
أو أكثر بحيث يفيد غلبة الظن برشده ووقت الاختبار قبل البلوغ ولا يندفع عقده بل يتحقق في
المما كسة فإذا أراد العقد عقد الولي (حتى إذا بلغوا النكاح) أي صاروا أهلاً له أمناً بالنسبة وهو
استكمال خمس عشرة سنة تحديداً لخبر ابن عمر رضي الله تعالى عنه عرضت على النبي صلى الله عليه
وسلم يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة لم يجزني ولم يرني بلغت وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن
خمس عشرة سنة فأجازني ورأيت رواء ابن حبان وأصله في الصحابين وأبداؤه من انفصال
جميع الولد قبل عرض عليه صلى الله عليه وسلم سبعة عشر من العداية وهم أبناء أربع عشرة
فلم يجزهم وعرضوا عليه وهم أبناء خمس عشرة فأجازهم وأما بخروج المني في وقت امكانه وأقل
تسع سنين قرية تحديداً سواء أخرج في نوم أم يقظة بجماع أو غيره وتزويد المرأة على هذين
الامرين البيض لوقت امكانه وأقل تسع سنين قرية تقرينة فيفتقر فيها زن لا يبيع أيضاً
وطهرا والولادة لانها يسبقها الانزال ويحكم بالبلوغ قبيلها بستة أشهر ونحوها نبات شعر العانة
الحسن دليل للبلوغ في حق الكفار لاني - في المسلمين ولا عبرة بنبات شعر الابط والمهنية (فان
آنستم) أي أبصرتم (منهم رشداً) وهو صلاح الدين والمال أما صلاح الدين فلا يرتكب محرماً
يسقط العدالة من كبيرة أو أصراً على صغيرة ويعتبر في رشد الكافر دينه وأما صلاح المال
فلا يضيعه بالقائه في بحر أو يصرفه في محرم أو باحتمال الدين الفاحش في المعاملة ونحوها
وليس صرفه في الخير بتبذير ولا صرفه في النياب والاطعمة النفيسة وشراء الجوارى والاستمتاع
بهن لأن المال يتخذ ليقف به نعم أن صرفه في ذلك يمارىق الاقتراض له محرم عليه (فادفعوا اليهم
أموالهم) من غير تأخير (ولأننا كلوها) أيها الأولياء وقوله تعالى (استراق) أي بغير حق
(وبدارا) حالاً أي مسرفين ومبادرين إلى انفاقها بمخافة (أن يكبروا) رشداً فيلزمكم تسليمها
اليهم (ومن كان) من الأولياء (غنياً فليستعفف) أي يعف عن مال اليتيم ويتنعم من أهله
(ومن كان فقيراً فليأكل) منه (بالمعروف) أي بقدر الاقل من حاجته وأجرة سميه كما مر
ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بأن الولي له حق في مال المصبي وزوي النسائي
وغيره أن رب لا قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن في مجري يتيماً أفأكل من ماله قال بالمعروف

• (تنبيه) • اراد هذا التقسيم بعد قوله ولاتأخذوا أموالكم بما في بيوتكم مما أخذوا منكم ولا يأتكم من أموالكم مما أنفقتم من قبلكم (تيسير) •
 أن لا يأخذوا لانفسهم من أموال اليتامى شيئا ولانقرء منهم أن لا يأخذوا منهم شيئا بغير المعروف
 كما أن قوله ولاتأخذوا أموالكم بما في بيوتكم مما أخذوا منكم ولا يأتكم من أموالكم مما أنفقتم من قبلكم
 ومبادرة لكبرهم (تأذافهم اليهم) أي اليتامى (أموالهم فأشهدوا) ندبا (عليهم) بانهم
 قبضوها فان الشهادتي للتمسك وأبعد من الخصومة فحتاجون الى البيعة وهذا يدل على
 ان القيم لا يصدق في دعواه الدفع ولو أبا البيعة وهو مذهب الشافعي ومالك خلافا لابي حنيفة
 (وكفى بالله حسيبا) أي حافظا لعمال خلقه ومحاسبهم (للرجال) أي الذكور (نصيب) أي حظ
 (مما ترك الوالدان والاقربون) أي المتوفون (وللفساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
 مما قل منه) أي المال (أو أكثر) جعله الله (نصيبا مفرضا) أي مقطوعا بتسليمه اليهم روى أن
 أوس بن ثابت الانصاري رضى الله تعالى عنه توفي وترك امرأته أم حكة بضمة الكاف والهاء
 المشددة وثلاث بنات له منها مقام رجلان هما البناعة الميت ووصيها مسويد وعرجة فأخذ مالها
 ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئا وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغار وان كان الصغير
 ذكرا انما كانوا يورثون الرجال ويقولون لا نعلم الا من قاتل وحاز الفدية فجاءت أم حكة الى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ وهو بالضاد والهاء المجهتين موضع بالمدينة قيل
 لعله المسجد الذي كان يسكنه أصحاب الصفة لانهم كانوا يرخصون فيه النوى فشكت اليه
 فقالت يا رسول الله ان أوس بن ثابت مات وترك علي ثلاث بنات وأنا امرأته وليس عندي
 ما أنفق عليهن وقد ترك أبوهن مالا حسنا وهو مسويد وعرجة لم يعطيا في ولا بناته شيئا وهن
 في حجرى لا يطعمن ولا يلبسين فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ولدها
 لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا يشكى عذوقا فنزلت هذه الآية فأثبت لهن الميراث فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقربا من مال أوس شيئا فان الله جعل لبناته نصيبا مما ترك
 ولم يبين كم هو حتى أنظر ما ينزل فيهن فأنزل الله تعالى يوصيكم الله في أولادكم فأعطى صلى الله
 عليه وسلم أم حكة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهذا دليل على جواز تأخير البيان
 عن الخطاب (واذا حضر القسمة) للميراث (أولوا القربى) أي ذوو القرابة ممن لا يرث
 (واليتامى والمساكين فآرزقوهم) أي أعطوهم (منه) أي المقسوم شيئا قبل القسمة تطمينا
 لقلوبهم ونصدا فاعلمهم وهو أمر ندب للبلغ من الوفاة وقيل أمر وجوب واختلف العلماء
 في حكم هذه الآية فقال قوم هي منسوخة بآية الموارث كالوصية وعن سعيد بن جبير ان
 ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكن ما تمها ونسختها من الناس (وقولوا لهم قولوا معروفًا)
 وهو أن يدعوا لهم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يئسوا عليهم وعن الحسن والتخفى أدرك الناس
 وهم يقسمون على القربات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الذهب والورق فاذا قسم
 الذهب والورق وصارت القسمة الى الاقربين والرفيق وما أشبه ذلك قالوا لهم قولوا معروفًا كان
 يقولون ببول فيكم (وايخسر) أي وايخف صلى الله عليه وسلم (الذين لو تركوا) أي قاربوا أن

يتركوا (من خلفهم) أي بعد موتهم (ذرية ضعافاً) أي أولاداً صغاراً (خافوا عليهم) أي الضياع (فليستقوا الله) في أمر اليتامى وغيرهم وليأثروا اليهم ما يحبون أن يفعل بذريتهم من بعدهم (وليقلوا) أي للمريض (قولا سيدياً) أي عدلاً وصواباً بأن يأمره أن يتصدق بدون ثلثه ويترك الباقي لورثته ولا يتركهم عالة وذلك أنه كان إذا حضر أحدهم الموت يقول لمن بحضرته انظر لنفسك فان أولادك وورثتك لا يغنون عنك شيئاً قدم لنفسك أعتق وصدق وأعط فلاناً كذا وفلاناً كذا حتى يأتي على عامة ماله فنهاهم الله عز وجل وأمرهم أن يأمره أن ينظر لولده ولا يزيد في وصيته على الثلث ولا يجحف بورثته (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) أي بغير حق (انما يأكلون في بطونهم نارا) أي ملء بطونهم يقال أكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال الشاعر * كذا في بعض بطنكم تعفوا * ومعنى يأكلون نارا يأكلون ما يجزى إلى النار فكانت ناره في الحقيقة روى أنه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسرى بي قوما لهم مشافر كشافر الأبل أحداهما قالصة على منخريه والآخرى على بطنه وخزنة النار يلقيهم جرجهم وحضرها فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً (وسيلون سعيها) أي نارا شديدة يحترقون فيها وقرأ ابن عامر وشعبة بضم الياء والباقون بالفتح (يوصيكم الله) أي يأمركم (في أولادكم) أي في شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا أجمال تفصيله (لذكر) منهم (مثل حظ) أي نصيب (الاثنتين) إذا اجتمعتا معاً فله نصف المال ولهما النصف فان كان معاً واحدة فلهما الثلث وله الثلثان وانما فضل الذكر على الأنثى لاختصاصه بلزوم ما لا يلزم الأنثى من الجهاد وتحمل الدية وغيرهما وله حاجتان حاجة لنفسه وحاجة لزوجته والأنثى حاجة واحدة لنفسها بل هي غالباً مستغنية بالتزويج عن الانفاق من مالها ولكن لما علم الله تعالى احتياجها إلى النفقة وإن الرغبة تقل فيها إذا لم يكن لها مال جعل لها حظاً من الارث وأبطل حرمان الجاهلية لها (فان قيل) هلا قيل للاثنتين مثل حظ الذكر أو للأنثى نصف حظ الذكر (أجيب) بأنه انما بدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولأن قوله للذكر مثل حظ الأنثيين قصد إلى بيان فضل الذكر وذلك للأنثيين مثل حظ الذكر قصد إلى بيان نقص الأنثى وما كان قصداً إلى بيان فضل الذكر كان أدل على فضله من القصد إلى بيان نقص غيره عنه ولأنهم كانوا يورثون الرجال دون النساء والسيما كان في ابتداء الاسلام بالخالفه قال تعالى والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم ثم صارت الوراثة بالهجرة قال الله تعالى والذين آمنوا ولم يجرؤا مالكم من ولايتهم من شيء ثم نسخ ذلك كله بالآية الكريمة واختلف في سبب نزولها فعن جابر أنه قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذني وأنا مريض لا أقبل فتوضأ وصب على من وضوئه فقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث انما يرثي كدالة فتزلت وقال مقاتل والكلبي نزلت في أم كحة امرأة أوس بن ثابت وبناته وقال عطاء استشهد سعد بن الربيع النقيب يوم أحد وترك

امرأة وبنتين وأخاف أخذ الاخ المال فانت امرأة سعد الى النبي صلى الله عليه وسلم بافتي سعد
فقلت يا رسول الله ان هاتين ابنتي ابنتي سعد وان سعد اقتل يوم أحد شهيداً وان عجمهما أخذ ما لهما
ولا ينكحان الا ولهما مال فقال صلى الله عليه وسلم ارجعي فلعل الله يسقضي في ذلك فتزالت
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عجمهما وقال أعط ابنتي سعد الثلثين وأمتهمما الثمن وما بقي
فهو لك فهذا أقول ميراث قسم في الاسلام وكأنته قيل كني الذم ~~ك~~ ورا أن ضوعف لهم نصيب
الاناث ولا يضاررن في حظهن حتى يحرم من مع ادلائهن مع القرابة مثل ما يدلون به (فان قيل)
حظ الانثيين الثلثان فكأنته قيل للذكر الثلثان (أجيب) بأن المراد حالة الاجتماع كما تراها في
حالة الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبناتان يأخذان الثلثين والدليل على ان الفرض حكم
الاجتماع أنه اتبعه حكم الانفراد بقوله تعالى (فان كن) أي ان كان الاولاد (نساء) خلا ليس
معهن ذكر وأنت الضمير باعتبار الخبر وعلى تأويل المولودات وقوله تعالى (فوق اثنتين) خبر ثمان
أو صفة لنساء أي نساء زائدات على اثنتين (فان قيل) قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين كلام
مسوق لبيان حظ الذكر من الاولاد لا لبيان حظ الانثيين فكيف صرح أن يردف قوله فان كن
نساء وهو لبيان حظ الاناث (أجيب) بأنه وان كان مسوقاً لبيان حظ الذكر الا أنه لما علم منه
حظ الانثيين مع أخيهما كان كأنته مسوقاً للامرين جميعاً فلذلك صرح أن يقال فان كن نساء
(فلهن ثلثا ما ترك) أي المتوفى منكم ويدل عليه المعنى (وان كانت) أي المولودة (واحدة فلها
النصف) وقرأ نافع واحدة بالرفع على ~~كان~~ التامة والباقيون بالنصب على كان الناقصة
واختلف في ميراث الانثيين فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه حكمهما حكم الواحد لانه
تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقيون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين أن حظ
الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معاً شي وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما
أوهم ذلك أن يراد النصيب بزيادة العدد كذلك بقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد
ذلك ان البنت الواحدة لما استحققت الثلث مع أخيها قبل الاولى والاخرى أن تستحقه مع
أخت مشاهوا ويؤيد أيضاً ان البنتين أمس وجامن الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما
الثلثان مما ترك وقيل فوق صله وقيل لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد لما فهم استحقاق
البنتين من جعل الثلث للواحدة مع الذكر (ولا بويه) أي الميت وقوله تعالى (لكل واحد منهما
السدس مما ترك) يدل بعض من كل فالسدس مبتدأ ولا بويه خبر وقائدة البدل دفع توهم أن
يكون للاب ضعف ما للام أخذاً من قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين وبهذا اندفع كما قال
التقنازاني ان البدل ينبغي أن يكون بحيث لو أسقط استقام الكلام معني وهذا الوقيل لا بويه
السدس لم يستقم هذا (ان كان له) أي الميت (ولد) ذكر أو غيره والحق بالولد ولد الابن وبالاب
الجد (فان لم يكن له ولد وورثه أبواه) أي فقط بقرينة المقام (فلامه الثلث) مما ترك وانما لم يذكر
حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث أبواه فقط وعين نصيب الامة علم ان الباقي للاب وكأنته قال
فله ما ترك اثلاثاً ولو كان معهما أحد الزوجين كان لهما ثلث ما بقي بعد فرضه كما قال الجمهور

لا تلت المال كما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنه فإنه ينضمي إلى تفضيل الأثني على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو كما قال البيضاوي خلاف وضع الشرع (فإن كان له أخوة) أي اثنان فصاعد اذ كورا وأناث كما عليه الجمهور (فلا تمه السدس) والباقي للأب ولأنثى للأخوة وقال ابن عباس لا يجيب إلا من التلت إلى السدس الاثلاثة أخوة ذكر كورا أخذوا بظاهر اللفظ واطلاق اللفظ يدل على أن الأخوة يردونها من التلت إلى السدس وإن كانوا لا يرتبون مع الأب شيئا وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنهم يأخذون السدس الذي يجبو عنه الأم وقرأ حمزة والكسائي في الوصل فلا تمه بكسر الهمزة فرارا من ضمة إلى كسرة لثقله في الموضعين والباقيون بضمة وقوله تعالى (من بعد وصية يوصي بها أو دين) متعلق بما تقدمه من قصة الموارث كلها أي هذه الانصبة للورثة من بعد وصية أو دين وإنما عبر بأودون الوارث للدلالة على أنهما متساويان في الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين ومفردين (فإن قيل) لم قدمت الوصية في الذكر على الدين مع أنها متأخرة في حكم الذمزع عنه (أجيب) بأنهم لما كانت شاقبة على الورثة لكونها مأخوذة بلا عوض وهي مستحقة لكل مكلف بخلاف الدين فإنه لا يكون على كل مكلف فقد تمت لذلك وقرأ ابن كثير وابن عامر وشعبة يوصي بفتح الصاد ووافقه حفص على فتح الصاد في الحرف الثاني والباقيون بكسر الصاد فيه ما رآه قوله تعالى (أبأؤكم وابناؤكم) مبتدأ خبره (لا تدررون أيهم أقرب لكم نفعا) أي لا تعلمون من أنفع لكم من يرثكم من أصولكم وفروعكم في عاجلكم وأجللكم فكم من يظن أن الأب أنفع له فيكون الابن أنفع له ومنكم من يظن أن الابن أنفع له فيكون الأب أنفع له وإنما العالم بذلك هو الله تعالى وقد دبر أمركم على ما فيه المصلحة فاتبعوه وقال ابن عباس أطوعكم الله من الآباء والأبناء أرفعكم درجة يوم القيامة والله يشفع المؤمنين بعضهم في بعض فإن كان الوالد أرفع درجة في الجنة رفع إليه ولده وإن كان الولد أرفع درجة من الآخر في الجنة سأل الله أن يرفع إليه فيرفع بشفاعته (فريضة) أي ما قدر من الموارث فرض فريضة (من الله أن الله كان عليما) بأمور عباده (حكما) فيما قضى وقد رأى لم يزل متصفا بذلك (ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد) ذكر أو غيره منكم أو من غيركم (فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصي بها أو دين) وولد الابن في ذلك كالولد أجماعا (ولهن) أي الزوجات تعددن أولا (الربع مما تركن إن لم يكن لهن ولد) ولهن أن كن لهن من غيرهن (فلهن الثمن مما تركن من بعد وصية يوصون بها أو دين) وولد الابن كالولد في ذلك أجماعا فقد فرض للرجل بحق العقد الصحيح ضعف ما للمرأة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامرأة وارثن اشتركا في الجهة والقرب من الميت ولا يستثنى من ذلك الأولاد الأم والمعتق والمعتقة (وإن كان رجل) أي الميت (يورث) أي منه من ورث صفة رجل وخبر كان (كلاثة) أو يورث خبر كان وكلاثة من الضمير في يورث واختلفو في الكلاثة فذهب أحمد إلى أنها من لا ولد له ولا والد قال الشعبي سئل أبو بكر رضي الله تعالى عنه عن الكلاثة فقال هي سأقول فيها برأيي فإن كان

صواباً فمن الله وان كان خطأ فني ومن الشيطان أراه ما خلا الوالد والولد فلما استخاف عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال اني لاسـتحي من الله ان أرد شيئاً قاله أبو بكر وذهب طائوس ان الكلالة من لا ولده وهي احدى الروايتين عن ابن عباس وأحد القولين عن عبد الله بن عمر وسأل رجل عقبة عن الكلالة فقال ألا تعجبون من هذا سألتني وما أفضل بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء ما أضلت بهم الكلالة وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ثلاث لأن يكون النبي يبين لنا أحب الينامن الدنيا وما فيها الكلالة والخلافة وأبواب الربا وقال سعيد بن أبي طلحة خطب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال اني لأدع بعدى شيئاً أهم عندي من الكلالة ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ما راجعته في الكلالة وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ فيه حتى طعن باصبعه في صدرى وقال يا عمر ألا يكفئك آية الصيف اني في آخر سورة النساء وانى ان أعش أقض فيها بقضية يقضى بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن وقوله ألا يكفئك آية الصيف أراد أن الله تعالى أنزل في الكلالة آيتين احدهما في الشتاء وهي التي في أول سورة النساء والاخرى في الصيف وهي التي في آخرها وفيها من البيان ما ليس في آية الشتاء فلذلك أحاله عليها وقوله تعالى (أو امرأة) عطف على رجل أى أو امرأة تورث كلاله (وله) أى الرجل (أخ وأخت) واكتفى بحكم الرجل عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه ويصح أن يعود الضمير على الموروث الكلالة فيشمل الرجل والمرأة فلكل واحد منهما السدس وقد أجمعوا على أن المراد به الاخ والأخت من الام (فان كانوا) أى الاخوات من الام (أكثر من ذلك) أى من واحد (فهم شركاء في الثلث) يستوى فيه ذكورهم واناثهم لان الأدلاء ببعض الاثوة (من بعد وصية يوصى بها أو دين) وقوله تعالى (غير مضار) حال من ضمير يوصى أى غير مدخل الضرر على الورثة بأن يوصى بأكثر من الثلث وعن قتادة كره الله الضرار في الحياة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين أن يوصى بدين ليس عليه ومعناه الاقرار وقوله تعالى (وصية من الله) مصدر مؤكد ليوصيكم أى يوصيكم بذلك وصية كقوله فريضة من الله (والله عليم) بما دبره خلقه من الفرائض (حليم) بتأخير العقوبة عن خافه (تنبه) خست السنة تورث من ذكر بن ليس فيه مانع من قتل أو اختلاف دين أو ورق (تلك) أى الاحكام المذكورة في أمر البتamy والوصايا والموارث (حدود الله) أى شرائعه التي حدها له بآدمه ليعملوا بها ولا يتعدوها (ومن يطع الله ورسوله) فيما حكم به (يدخله جنات تجري من تحتها الانهار) وقوله تعالى (خالدين فيها) حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائد غدا (وذلك الفوز العظيم) ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده أى الله (يدخله ناراً) وقوله تعالى (خالداً فيها) حال كما مر ولا يجوز أن يكون خالدين وخالداً صفتين لجنات ونار لانهم ما جرى على غير من همالة فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيه! وخالداً هو فيه! هذا على مذهب البصريين أما على مذهب الكوفيين فهو جائز عندهم عند أمن اللبس كما هنا وهو الرابع كما جرى عليه ابن مالك وغيره (وله عذاب مهين)

أى ذوا هانة وروعى فى الضمائر فى الآيتين لفظ من وفى خالدين معناها وقرأ نافع وابن عامر
ندخله جنات وندخله ناراً بالنون فهما على الالتفات والباقون بالياء (واللذان يأتين الفاحشة)
أى الزنا (من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) أى من رجال المسلمين وهذا خطاب
للحكام أى فاطلبوا عليهن أربعة من الشهود وفيه بيان أن الزنا لا يثبت إلا بأربعة من الشهود
(فان شهدوا) عليهن بها (فأسكنوهن) أى احبسوهن (فى البيوت) واجعلوهن
سجنالهن وامنعوهن عن مخالطة الناس وقرأ أورش وأبو عمرو وحفص بضم الياء والباقون
بكسرهما (حتى يوفاهن الموت) أى ملائكتهم (أو) إلى أن (يجعل الله لهن سبيلاً) أى طريقاً
إلى الخروج منها أمر وبذلك أول الاسلام ثم جعل لهن سبيلاً بجلد البكر مائة وتغريبها عاماً
ورجم المحصنة وفى الحديث لما بين الحديث قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً رواه
مسلم (واللذان) أى الزانى والزانية وقرأ ابن كثير بتشديد النون والباقون بالتخفيف (يأتينها)
أى فاحشة الزنا (منكم) أى الرجال (فأذوهما) بالسب والضرب بالنعال (فان تابا) أى
منها (وأصلحا) أى العمل (فأعرضوا عنهما) ولا تؤذوهما (إن الله كان تواباً) على من تاب
(رحيماً) به وهو علة الأمر بالاعراض وترك المذمة وهذا منسوخ بالحديث روى ابن مسعود
عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني أنهما أخبرا أن رجلين اختصما إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال أحدهما يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله فقال الآخر وكان أفعههما أجمل
يا رسول الله فاقض بيننا بكتاب الله وأذن لي أن أتكم فقال إن ابني كان عسيماً على هذا فزني
بامرأته فاخبروني إن على ابني الرجم فاقضيت منه بمائة شاة وبجارية لى ثم اتى سألت أهل العلم
فاخبروني أن ما على ابني جلد مائة وتغريب سنة وانما الرجم على امرأته فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم والذي نفسى بيده لا قضين بينكما بكتاب الله أما غمك وجاريك فرت عليك
وجلد ابنة مائة وغزبه عاماً أى لأنه كان غير محصن وأمر أن يسأل الأسلى أن يأتى امرأته الآخر
فان اعترفت رجمها فاعترفت فربحها وروى ابن عباس عن عمر رضى الله تعالى عنهم أنه قال إن
الله بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها
ورعيناها رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فأخشى أن طال بالناس زمان أن
يقول قائل والله ما نجد آية الرجم فى كتاب الله فيضلوها بترك فريضة أنزلها الله والرجم فى كتاب
الله حق على من زنى إذا أحسن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو الاعتراف وجملة حسد
الزنا أن الزانى إذا كان محصناً وهو الذى اجتمع فيه أربعة أوصاف العقل والبلوغ والحرية
والإصابة بالنكاح الصحيح فحده الرجم مسلماً كان أو ذمياً وعند أبى حنيفة أن الاسلام من
شرايط الاحسان فلا يرمى عنده الذمى ويرد ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
رجم يهوديين زنياً وكانا قد أحصنا وان كان الزانى غير محصن بأن لم يجتمع فيه هذه الأوصاف
نظر أن كان غير بالغ أو مجنوناً فلا حد عليه وان كان حراً عاقلاً بالغاً غير أنه لم يصب بنكاح صحيح
فعلية جلد مائة وتغريب عام وان كان رقيقاً فله جلد خمسين وتغريب نصف عام ومثل الزنا

اللواط عند الشافعي رضي الله تعالى عنه لم يكن المفعول به لا رجم عليه وان كان محصنا بل
 يجلد ويغرب وقيل نزلت آية واللاق يأتين الفاحشة في المساحقات وآية واللذان يأتياها
 منكم في اللواطين (انما التوبة على الله) أي ان قبول التوبة كالتوب على الله تفضلا منه
 بمقتضى وعده لانه تعالى وعده بقبول التوبة فاذا وعد شيئا لا بد أن ينجز وعده لان الخلف في وعده
 سبحانه وتعالى محال (للذين يعملون السوء) أي المعصية وقوله تعالى (جهنم) في موضع
 الحال أي يعملون السوء جاهلين أي سقها فان ارتكاب الذنب محايده واليه السقف والشهوة
 لا ماتدعو اليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصي الله فهو جاهل حتى ينزع أي يخرج
 من جهالة. وقال قتادة أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن كل ما عصي به الله
 فهو جهالة عمدا كان أو لم يكن وكل من عصي الله تعالى فهو جاهل (ثم يتوبون من) زمن (قريب)
 أي قبل أن يغرغروا بالقوله تعالى حتى اذا حضر أحدهم الموت وقوله صلى الله عليه وسلم ان
 الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر رواه الترمذي وحسنه وعن عطاء ولوقبل موته بقواقة
 وعن الحسن ان ابليس قال حين أهبط الى الارض وعزتك لا أفارق ابن آدم مادام روحه في
 جسده فقال وعزتي وجلالي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر والغرغرة تردد الروح في الحلق
 * (تنبيه) * معنى من في قوله تعالى من قريب التبعية أي يتوبون به زمان قريب كأنه معنى
 ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا لان أمد الحياة قريب لقوله تعالى قل متاع
 الدنيا قليل ففي أي جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والاف هو تائب من بعيد
 (فاولئك يتوب الله عليهم) أي يقبل توبتهم (فان قيل) ما فائدة ذلك بعد قوله تعالى انما
 التوبة على الله (أجيب) بأن ذلك وعد بالوفاء بما وعده وكتبه على نفسه كما يعد العبد الوفاء
 بما عليه (وكان الله عليما) بخلقهم (حكيم) في صنعه بهم (وليست التوبة للذين يعملون السيئات)
 أي الذنوب (حتى اذا حضر أحدهم الموت) أي أخذ في النزاع (قال) عنده شهادة ما هو فيه
 (انني تبت الآن) حين لا يقبل من كفر ايمان ولا من عاص توبة قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم
 لما رأوا بأسنا ولذلك لم ينفع ايمان فرعون حين أدركه الغرق (ولا الذين يموتون وهم كفار) أي
 اذا تابوا في الآخرة عند معاناة العذاب لا ينفعهم ذلك ولا تقبل توبتهم فسوى سبحانه وتعالى
 بين الذين سوفوا توبتهم الى حضور الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في أنه لا توبة لهم لان حضور
 الموت اقل أحوال الآخرة فكما أن المصرون على المكفر قد فاتهم التوبة على اليقين فكذلك
 المسوف الى حضور الموت لمجاوزة كل منهما أو ان التكليف والاختيار وقوله تعالى (اولئك أعتدنا
 لهم عذابا أليما) أي ولما تأكد عدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب أعد لهم لا يمجزه عذابهم
 متى شاء والاعتداد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل أصله أعددنا أبدلت الدال الاولى تاء
 (يا أيها الذين آمنوا لا تجعل لكم أن ترثوا النساء) أي ذواتهن (كرها) نزلت في أهل المدينة كانوا
 في الجاهلية وفي أول الاسلام اذا مات الرجل وله امرأة وللرجل عصبة وألقى توبه على امرأة
 الميت أو على خباياها صار أحق بهما من نفسها ومن غيره ثم ان شاء تزوجها بصدقتها الاول وان

شاهزوجهها غيره وأخذ صداقها وان شاء عضلها ومنعهما من الازواج يضارها التفتدي منه بما
ورثته من الميت أو تموت هي فيرثها فان ذهبت المرأة الى أهلها قبل أن ياتي عليها عصبية الميت
ثوبه فهي أحق بنفسها وكانوا على هذا حتى توفي أبو القيس بن الاسلت الانصاري وترك امرأته
فقام ابن له من غيرها فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها يضارها
لنفدي نفسها منه فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان أبا قيس توفي وورث
نكاحي ابنة فلاحوي ينفق علي ولا يدخل بي ولا يخرج بي فبيلي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقعدى في بيتك حتى يأتي أمر الله فأنزل الله تعالى هذه الآية وقرأ جزء والكسافي بضم
الكاف والباقون بفتحها قال الكسافي وهما لغتان وقال الفراء الكره بالفتح مأ كره عليه
وبالضم المشقة وقوله تعالى (ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتهوهن) عطف على أن ترثوا أي
لا تمنعوا أزواجكم عن نكاح غيركم بما سأكهن ولا رغبة لكم فيهن ضرارا لذهبوا ببعض
ما آتيتهوهن من المهر وقيل هذا خطاب لاولياء الميت والصحيح كما قال البغوي انه خطاب
للأزواج قال ابن عباس هذا في الرجل يكون له المرأة وهو كاره صحتها ولها عليه مهر فيضارها
لنفدي وترد اليه ما ساق اليها من المهر فنهي الله تعالى عن ذلك قال الزمخشري والعضل الحبس
والضيق ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه (الأن يأتي
بقاحشة مبينة) كالزنا والفسوز وسوء العشرة فينتدح لكم اضرارهن ليهتدين منكم قال
عطاء كان الرجل اذا أصابت امرأته قاحشة أخذها ما ساق اليها وأخرجها قدسح ذلك
بالحدود وقرأ ابن كثير وشعبة بفتح الياء المثناة تحت والباقون بالكسر وقوله تعالى (وعاشروهن
بالمعروف) قال الحسن رجع الى أول الكلام يعني وآتوا النساء صداقاتهن فله وعاشروهن
بالمعروف وهو النصفة في الميت والنفقة والاجال في القول وقيل هو أن تصنع لها كما
تصنع له (فان كرهتموهن) فاصبروا ولا تغارقوهن (فعمسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه
خيرا كثيرا) أي فرما كرهت النفس ما هو أصالح في الدين وأجدد وأدنى الى الخير وأحببت
ما هو بضد ذلك ولكن نظرتم ما هو أصالح للدين وأدنى الى الخير فاعمل أن يرزقكم الله تعالى منه
ولدا صالحا أو يعطىكم الله عليهن وقد بينت الآية جواز امساك المرأة مع الكراهة لها ونهت
على معنيين أحدهما ان الانسان لا يعلم وجوه الصلاح والثاني ان الانسان لا يكاد يجد محبوبا
ليس فيه ما يكره فليصبر على ما يكره لما يحب وأنشدوا في هذا المعنى

ومن لم يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه عيب وهو عائب

ومن يتبع جاهدا كل عثرة * يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب

ولما كان الرجل اذا طمعت عينه الى اسـ تطراف امرأة بهت بالقي قبحته وربما بها قاحشة حتى
يلجئها الى الافتداء منه بما أعطاها بصرفه الى زوج غيرها نزل (وان أردتم استبدال زوج
مكان زوج) أي أخذها بدلها بأن طلقتموها (وقد آتيتم احداهن) أي الزوجات (قنطارا)
أي مالا كثيرا صداقا (فلا تأخذوا منه) أي القنطار (شيئا) وقوله تعالى (أناخذونه بهتانا)

أى ظلمنا (وانما بيننا) أى بيننا حال أى تأخذونه باهتين وآتين وعن عمر رضى الله تعالى عنه أنه
 قام خطيبا فقال أيها الناس لاتغالوا بصدق النساء فلو كان مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله
 لكان أولاكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصدق امرأة من نساؤه أكثر من اثنتي عشرة
 أوقية فقامت اليه امرأة فقالت لها يا أمير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله تعالى يقول وآتينم
 احداهن قطارا فقال عمر رضى الله عنه كل أحد أعلم من هرثم قال لأصحابه تسمعوننى أقول
 مثل هذا القول ولا تنكروني على حتى ترد على امرأة ليست من أعلم النساء وقوله تعالى (وكيف
 تأخذونه) استفهام توبيخ وانكار أى تأخذونه بأى وجه (وقد أفضى) أى وصل (بعضكم الى
 بعض) بالجماع المقترد للمهر وكفى الله تعالى عن الجماع بالافضاء وهو الوصول الى الشئ من غير
 واسطة تعليل العباد له لأنه مما يستحي منه (وأخذن منكم ميثاقا) أى عهدا (غليظا) أى شديدا
 وهو ما أخذته الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف أو تسريح بإحسان وعن النبي صلى
 الله عليه وسلم اتقوا الله فى النساء فانكم أخذتوهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله
 وقد قيل حصبة عشرين يوما قرابة فكيف يجازى بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج ولما توفى
 أبو قيس وكان من صالحى الانصارى خطب ابنه قيس امرأة أخته وصكان أهل الجاهلية
 يشكعون أزواج آبائهم فقالت انى أعذك ولدا وأنت من صالحى قومك وإكفى آتى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أسأ تأمريه فأتته وأخبرته بذلك فنزل (ولاتنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء)
 وانما عبر بمادون من لانه أريد به صفة ذات معينة وهى كونهم منكم ككلمات الآباء وقيل
 ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر وقوله تعالى (الاما قد سلف) استثناء من المعنى
 اللازم للنهى فكأنه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الاما قد سلف أو من اللفظ
 للمبالغة فى التحريم والمعنى لاتنكحوا حلال آباؤكم الاما قد سلف ان أمكنكم أن تنكحوه
 ولا يمكن ذلك والغرض بالمبالغة فى تحريمه وسد الطريق الى اباحتها كما يعلق بالمحال فى التأيد فى
 نحو قوله تعالى حتى يبلغ الجسل فى سم الخياط أو منقطع أى لكن ما قد سلف من فعلكم ذلك فانه
 ممنوع عنه وقوله تعالى (انه) أى نكاحهن (كان فاحشة ومقتنا) علة للنهى أى انه فاحشة
 فكان مزية أى قبحا عند الله تعالى ما رخص فيه لامة من الامم بمقتوا عند ذوى المرات من
 الجاهلية وغيرهم وكانت العرب تقول لولد الرجل من امرأة أخته الملقى ويسمى به الرجل
 المذكور أيضا قال فى القاموس نكاح المقت أن يتزوج امرأة أخته بعده فالمقتى ذلك المتزوج أو
 ولده أى ومن ثم قيل ومقتنا كأنه قيل هو فاحشة فى دين الله بالمغة فى القبح قبيح بمقتوى فى المرواة
 ولا مزيد على ما يجمع القبحين (وساء) أى بئس (سبيلا) أى طريقا ذلك روى عن البراء بن عازب
 أنه قال مررت على خالى ومعه لواء فقلت أين تذهب فقال بعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
 رجل تزوج امرأة أخته برأسه * واعلم أن أسباب التحريم المؤبد ثلاثة قرابة ورضاع
 ومصاهرة وضابط المحرمات بالنسب والرضاع أن يقال تحرم نساء القرابة الا من دخلت تحت
 ولد العمومة أو ولد الخولة وقد بدأ الله بالسبب الاول وهو القرابة فقال (حرمت عليكم

أُمَّهَاتِكُمْ) أَيُّ الْعَقْدَةِ عَلَيْهِمْ وَكَذَلِكَ يَقْدَرُ فِي الْبَاقِي لِأَن تَحْرِيمَ نِكَاحِهِمْ هُوَ الَّذِي يَفْهَمُ مِنْ
تَحْرِيمِهِمْ كَمَا يَفْهَمُ مِنْ تَحْرِيمِ الْخُرْقَةِ تَحْرِيمُ شَرِبِهَا وَمِنْ تَحْرِيمِ لَحْمِ الْخَنزِيرِ تَحْرِيمُ أَكْلِهِ وَالْأُمَّهَاتُ
جَمْعُ أُمٍّ وَأَصْلُهَا أُمَّةٌ قَالَ الْجَوْهَرِيُّ وَضَابِطُ الْأُمِّ هِيَ كُلُّ مَنْ وَلَدَتْكَ فَهِيَ أُمُّكَ حَقِيقَةً أَوْ وَلَدَتْ
مِنْ وَلَدِكَ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى كَلَّمَ الْآبَ وَإِنْ عَلَتْ وَأُمُّ الْأُمِّ كَذَلِكَ فَهِيَ أُمُّكَ بِحِجَازٍ وَإِنْ شَتَّتْ
قُلْتَ هِيَ كُلُّ أُنْثَى يَنْتَهِي إِلَيْهَا نَسَبُكَ (وَبَنَاتُكُمْ) جَمْعُ بَنَاتٍ وَضَابِطُهَا هُوَ كُلُّ مَنْ وَلَدَتْهَا فَهِيَ بَنَاتُكَ
حَقِيقَةً أَوْ وَلَدَتْ مِنْ وَلَدِهَا ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى كَبُنْتُ ابْنَ وَإِنْ نَزَلَ وَبَنَاتُكَ وَإِنْ نَزَلَتْ فَبَنَاتُكَ
بِحِجَازٍ وَإِنْ شَتَّتْ قُلْتَ كُلُّ أُنْثَى يَنْتَهِي إِلَيْكَ نَسَبُهَا وَخَرَجَ بِالْبَنَاتِ الْمَخْلُوقَةُ مِنْ مَاءِ زَنَاءِ الرَّجُلِ قَانِهَا
تَحِلُّ لَهَا لِأَنَّهَا أَجْنَبِيَّةٌ عَنْهُ بِدَلِيلِ مَنَعَ الْأَرْثَ بِالْإِجْمَاعِ فَلَا تَتَّبِعُ بَعْضَ الْأَحْكَامِ وَيَحْرُمُ عَلَى الْمَرْأَةِ وَلَدُهَا
مِنْ زَنَائِهَا بِالْإِجْمَاعِ كَمَا أَجْعُو عَلَى أَنَّهُ يَرْتَبِعُهَا وَالْفَرْقُ أَنَّ الْإِبْنَ كَالْمُضْمُونِ وَأَنَّ الْفَصْلَ مِنْهَا أَنْسَانًا
وَلَا كَذَلِكَ النُّطْقُ الَّتِي خُلِقَتْ مِنْهَا الْبَنَاتُ بِالنِّسْبَةِ لِلْآبِ (وَأَخَوَاتُكُمْ) جَمْعُ أَخَوَاتٍ وَضَابِطُهَا هُوَ
كُلُّ مَنْ وَلَدَهَا أَبُوكَ أَوْ أَحَدُهُمَا فَهِيَ أَخْتُكَ (وَعَمَّاتُكُمْ) جَمْعُ عَمَّاتٍ وَضَابِطُهَا هُوَ كُلُّ مَنْ هِيَ
أَخْتُ ذَكَرٍ وَلَدَتْ بِهَا وَاسْطَةً فَعَمَّتْكَ حَقِيقَةً أَوْ بِوَاسْطَةِ كَعَمَّةٍ أَيْكَ فَعَمَّتْكَ بِحِجَازٍ وَقَدْ تَكُونُ
الْعَمَّةُ مِنْ جِهَةِ الْأُمِّ كَأَخْتِ أَبِي الْأُمِّ (وَحَالَاتُكُمْ) جَمْعُ خَالَاتٍ وَضَابِطُهَا هُوَ كُلُّ مَنْ هِيَ أَخْتُ أُنْثَى
وَلَدَتْكَ بِهَا وَاسْطَةً فَحَالَاتُكَ حَقِيقَةً أَوْ بِوَاسْطَةِ كَخَالَاتُكَ بِحِجَازٍ وَقَدْ تَكُونُ الْخَالَاتُ مِنْ
جِهَةِ الْآبِ كَأَخْتِ أُمِّ الْآبِ (وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ) مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ وَبَنَاتُ أَوْلَادِهِمْ
وَإِنْ سَفَلْنَ ثُمَّ ثَنَى بِالسَّبَبِ الثَّانِي وَهُوَ الرِّضَاعُ فَقَالَ (وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّائِي أَرْضَعْتِكُمْ) وَضَابِطُ
أُمِّكَ مِنَ الرِّضَاعِ هُوَ كُلُّ مَنْ أَرْضَعْتِكَ أَوْ أَرْضَعْتَ مِنْ أَرْضَعْتِكَ أَوْ صَاحِبُ اللَّبَنِ أَوْ أَرْضَعْتَ مِنْ
وَلَدِكَ بِوَاسْطَةٍ أَوْ غَيْرِهَا أَوْ وَلَدْتَ مِنْ أَرْضَعْتِكَ بِوَاسْطَةٍ أَوْ غَيْرِهَا أَوْ صَاحِبُ اللَّبَنِ وَهُوَ الْفِعْلُ بِوَاسْطَةٍ
أَوْ غَيْرِهَا فَأُمُّ الرِّضَاعِ (وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ) وَضَابِطُ أَخْتِ الرِّضَاعِ هُوَ كُلُّ مَنْ أَرْضَعْتَهَا أُمُّكَ
أَوْ أَرْضَعْتَ بِأَبْنِ أَيْكَ أَوْ وَلَدْتَهَا مِنْ أَرْضَعْتِكَ أَوْ وَلَدَهَا الْفِعْلُ وَيُلْحَقُ بِذَلِكَ بِالسَّنَةِ بَاقِي السَّبَبِ
لِحُسْبِ الْعَصْرِينَ يَحْرُمُ مِنَ الرِّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ الْوِلَادَةِ وَفِي رِوَايَةٍ حُرْمُ أُمِّ الرِّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ
مِنْ الْوِلَادَةِ وَفِي رِوَايَةٍ حُرْمُ أُمِّ الرِّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النِّسْبِ وَضَابِطُ بَنَاتِ الرِّضَاعِ هُوَ كُلُّ
أُنْثَى أَرْضَعْتَ لَبَنَكَ أَوْ لَبَنَ مَنْ وَلَدَتْهُ بِوَاسْطَةٍ أَوْ غَيْرِهَا أَوْ أَرْضَعْتَ الْمَرْأَةَ وَلَدَتْهَا بِوَاسْطَةٍ
أَوْ غَيْرِهَا وَكَذَا بَنَاتُهَا مِنْ نَسَبٍ أَوْ رِضَاعٍ وَإِنْ سَفَلْنَ وَضَابِطُ عَمَّةِ الرِّضَاعِ هُوَ كُلُّ أَخْتٍ لِلْفِعْلِ
أَوْ أَخْتُ ذَكَرٍ وَلَدَتْ الْفِعْلَ بِوَاسْطَةٍ أَوْ غَيْرِهَا مِنْ نَسَبٍ أَوْ رِضَاعٍ وَضَابِطُ خَالَاتِ الرِّضَاعِ هُوَ كُلُّ
أَخْتٍ لِلْمَرْضُوعَةِ أَوْ أَخْتُ أُنْثَى وَلَدَتْ الْمَرْضُوعَةَ بِوَاسْطَةٍ أَوْ غَيْرِهَا مِنْ نَسَبٍ أَوْ رِضَاعٍ وَضَابِطُ
بَنَاتِ الْأَخَوَاتِ وَبَنَاتِ الْأَخَوَاتِ مِنَ الرِّضَاعِ كُلُّ أُنْثَى مِنْ بَنَاتِ أَوْلَادِ الْمَرْضُوعَةِ وَالْفِعْلِ
مِنْ الرِّضَاعِ وَالنِّسْبِ وَكَذَا كُلُّ أُنْثَى أَرْضَعْتَهَا أَخْتُكَ أَوْ أَرْضَعْتَ بِأَبْنِ أَخِيكَ وَبَنَاتُهَا وَبَنَاتُ
أَوْلَادِهَا مِنْ نَسَبٍ أَوْ رِضَاعٍ وَانَّمَا تُشَبِّهُ حُرْمَةَ الرِّضَاعِ بِشَرْطَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ قَبْلَ
اسْتِكْمَالِ الْمَوْلُودِ حَوْلِينَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَحْرُمُ مِنَ الرِّضَاعِ إِلَّا مَا فَتَقَ الْأَمْعَاءُ وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لإرضاع الاما أنشرا العظم وأثبت اللحم وانما يكون هذا في حال الصغر وعند أي حنفية مدة
الرضاع ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وهي عند الاكثرين لأقل مدة الحمل
وأكثر مدة الرضاع وأقل مدة الحمل ستة أشهر وابتداء الحولين من تمام انفصاله والشرط الثاني
ان توجد خمس رضعات مفرقات لما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت فيما أنزل
الله في القرآن عشر رضعات معلومات يحرم من ثم نسخت بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهي فيما يقرأ من القرآن أي يقرؤها من لم يبلغه نسختها فقد نسخت تلاوته
وبقي حكمهن وهذا ما ذهب اليه الشافعي وذهب أكثر أهل العلم الى أن قليل الرضاع وكثيره
محرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب واليه ذهب سفيان الثوري ومالك
والاوزاعي وعبد الله بن المبارك وأبو حنيفة ويقوى القول قوله صلى الله عليه وسلم لا تحرم
المصة من الرضاع والمصتان ثم ثبت بالسبب الثالث وهو النكاح فقال تعالى (وأُمَّهَاتُ
نِسَائِكُمْ) أي بواسطة أو بغيرها من نسب أو رضاع سواء أدخل بزوجه أم لا لاطلاق الآية
(وربائبكم) جمع ربيبة وهي بنت الزوجة من غيره وسُميت ربيبة لانها يربّيها كما يربّي ولده في غالب
الامر ثم اتسع فيه وسُميت بذلك وان لم يربّيها وقوله تعالى (اللاتي في مجوركم) أي تربونهم صفة
موافقة للغالب فلا مفهوم لها (من نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ) أي جامعتهن سواء أكان
ذلك بعقد صحيح أم فاسد لاطلاق الآية (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) أي في
نكاح بناتهن اذا فارقتهن (فان قيل) لم أعيد الوصف الى الجملة الثانية ولم يعد الى الجملة
الاولى وهي وأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ مع أن الصفات عقب الجمل تعود الى الجميع (أجيب) بأن نساءكم
الثاني مجرور بحرف الجز ونساءكم الاول مجرور بالاضافة واذا اختلف العامل لم يجز الاتباع
وتعين القطع واعتراض بأن المعلوم الجز وهو واحد * (تنبيه) قضية كلام الشيخ أبي حامد
وغيره أنه يعتبر في الدخول أن يقع في حياة الام فلو ماتت قبل الدخول ووطئها بعد موتها لم تحرم
بنتها لان ذلك لا يسمى دخولا وان ترتد في الروابي (فان قيل) لم لم يعتبر الدخول في تحريم أصول
البنت واعتبر في تحريمها الدخول (أجيب) بأن الرجل يتلى عادة بمكة أمهات عقب العقد
لترتيب أموره فخرمت بالعقد قبل ذلك عليه بخلاف بنتها واستدخال الماء المحترم يثبت
المصاهرة كالوطء وتحرم البنت المتغيبه بالاعان وان لم يخل بأمتها لانها لا تنقضي عنه قطعا
(وحلائل) أي أزواج (أبنائكم) واحدها حليلة والذكر حليل مما بذلك لان كل واحد منهما
حلال لصاحبه وقيل مما بذلك لان كل واحد يعمل ازار صاحبه من الحلل وهو ضد العقد وقوله
تعالى (الذين من أصلابكم) احتراز عن حليلة المتبني فانها لا تحرم على الرجل الذي تبناه فان
النبي صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة زيد بن حارثة وكان تبناه صلى الله عليه وسلم لاعتن حليلة
ولده من الرضاع فانها تحرم عليه ولا عن حلائل أبناء الولد وان سفلوا * (تنبيه) كل امرأة
تحرم عليك بعقد النكاح تحرم بالوطء في ملك العيين والوطء بشبهة النكاح فاذا وطئ امرأة
بشبهة أوجارية بملك العيين حرم على الواطئ أمها وبنتها وتحرم الموطوءة على أبي الواطئ وابنه

ولوزني بامرأة لم تحرم أمها ولا بنتها على الزاني ولا تحرم الزانية على أبي الزاني وابنته كما قاله ابن عباس واليه ذهب مالك والشافعي - وذهب قوم إلى التحريم يروى ذلك عن عمران بن حصين وأبي هريرة وهو قول أصحاب الرأي وهو المباشرة بشهوة كلس وقبله كالوطء في تحريم الزانية فيه قولان أحدهما وهو الأصح من مذهب الشافعي - لأن ذلك لا يوجب العدة فكذلك لا يوجب الحرمة والثاني نعم لأن ذلك كالوطء بجماع التام بامرأة ولأنه استماع يوجب الفدية على المحرم فكان كالوطء وهذا قال جمهور العلماء * ثم ذكر سبحانه وتعالى تحريم الجمع بقوله تعالى (وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ) أي ولا يجوز للرجل أن يجمع بين أختين في نكاح سواء كانتا من نسب أم رضاع سواء أنكحهما معا أم مترتبا فإذا نكح امرأة ثم طلقها بائنا جازله نكاح أختها ونخرج بالجمع في النكاح الجمع بملك اليمين فإنه جائز لكن لا يجوز أن يجمع بينهما في الوطء فإذا وطئ أحدهما لم يحل له وطء الأخرى حتى يحترم الأولى على نفسه ويحلق بالأختين بالسنة الجمع بين المرأة وعمتها وأختها من نسب أو رضاع ولو بوطء واسطة قال صلى الله عليه وسلم لا تنكح المرأة على عمتها ولا العمة على بنت أختها ولا المرأة على خالتها ولا الخالة على بنت أختها إلا الكبرى على الصغرى ولا الصغرى على الكبرى روى الكبرى روى الترمذي وغيره وصححه ولم يافيه من قطعة الرحم وإن رضيت بذلك فإن الطبع يتغير وإليه أشار صلى الله عليه وسلم في خبر النهي عن ذلك بقوله أنكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامهم كما رواه ابن حبان وغيره وضابط تحريم الجمع ابتداء ودواما هو كل امرأتين بينهما قرابة أو رضاع ولو فرضت أحدهما ذكرا حرم الجمع بينهما ~~نكاح~~ أو وطء بملك اليمين وقوله تعالى (الاما قد سلف) استثناء عن لازم المعنى وهو المواخذه فكانه قال تعالى تؤاخذون بذلك الاما قد سلف قبل النهي فلا تؤاخذون به أو ينقطع أي لكن ما قد سلف من نكاح بعض ما ذكرناه مغفورا لكم ويؤيد هذا قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا) لما سلف منكم قبل النهي (رحيما) بكم في ذلك وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر من رواية ابن ذكوان وعاصم بإظهار دال قد عند السين والباقون بالادغام (و) حرمت (المحصنات) أي ذوات الأزواج (من النساء) أن تنكحوهن قبل مفارقة أزواجهن سواء أكن حرائر أم لا مسلمات أم لا قال أبو سعيد الخدري نزلت في نساء كن هاجرن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن أزواج فترزجنهن بعض المسلمين ثم قدم أزواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال (الاما ملكت أيمانكم) أي من الاماء بالسبي فلكم وطؤهن وإن كان لهن أزواج في دار الحرب بعد الاستبراء لأن بالسبي يرتفع النكاح بينها وبين أزواجهن قال أبو سعيد الخدري بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين جيشا إلى أوطاس فأصابوا سبائا لهن أزواج من المشركين فسكر هو أغشيانهم وتخرجوا فأنزل الله هذه الآية * (فائدة) * قرأ الكسائي جميع ما في القرآن من لفظ المحصنات ومحصنات بكسر الصاد الا هذا الحرف فإنه فتح الصاد موافقة للجميع ووجه تسميتهن بذلك لأنهن أحصن فروجهن بالتزويج فهن محصنات ومحصنات بالكسر في غير هذه الآية وقوله تعالى (كُتِبَ اللَّهُ) مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي

قبله وهي حرمت عليكم الخ أي كتب الله (عليكم) تحريم هؤلاء كذا وقوله تعالى (وأحل لكم)
 عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله إذا قرئ بالبناء للفاعل كما قرأه غير حفص وحجة
 والكسائي وأما هم فقرأوه بالبناء للمفعول عطف على حرمت (ما وراء ذلكم) أي سوى ما حرم
 عليكم من النساء وقوله تعالى (ان يتبعوا بأموالكم محصنين غير مسافحين) مفعول له والمعنى
 أحل لكم ما وراء ذلكم إرادة أن يتبعوا أي تطلبوا النساء بأموالكم التي جعل الله لكم قياما
 في حال كونكم محصنين أي متزوجين غير مسافحين أي زانين لثلاثضيعوا أموالكم وتفقدوا
 أنفسكم فيما لا يحل لكم ففقدوا دنياكم ودينكم ولا مفسدة أعظم مما يجمع بين
 المسرافين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والمسافح الزاني من
 السفح وهو صب المسقى وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحين ماذني من المذنى والأموال
 المهور وما يخرج في المناكح * (تنبيه) * يجوز أن يكون مفعول يتبعوا مقدرًا وهو النساء كما
 قدرته لك قال الزمخشري والاحصان لا يقدر وكأنه قيل أن تخرجوا أموالكم ويجوز أن
 يكون أن يتبعوا بلاما وراء ذلكم بدل اشتمال لأن المبدل منه ذات والمبدل معنى والذات
 مشتملة عليه (فما) أي فن (استمتعتم) أي تمتعتم (بهن منهن) أي عن تزوجتم بالوطء (فآتوهن
 أجورهن) أي مهرهن فإن المهر في مقابلة الاستمتاع وقوله تعالى (فريضة) حال من الاجور
 بمعنى مفروضة أو صفة مصدر محذوف أي أيتام مفروضا ومصدر مؤكد (ولاجتراح عليكم فيما
 تراضيتن) أنتم وهن (بهن من بعد الفريضة) فيما يزداد على المسمى أو يحط عنه بالتراضي أو فيما
 تراضياه من نفقة أو مقام أو فراق وقيل نزات في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتح الله
 مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نسخت كان الرجل ينكح المرأة وقتها معلوما لبله أو لبلتين
 أو اسبوعا بشوب أو غير ذلك ويقضى منها وطء ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها
 أو لتعبيها لها بما يعطيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أباحها ثم أصبح يقول يا أيها الناس
 اني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ألا إن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة وعن عمر رضي
 الله تعالى عنه أنه قال لا أوتي برجل تزوج بامرأة إلى أجل الأربعين ما بالجارية وعن ابن عباس
 أنه قال هي محكمة أي لم تنسخ وكان يقرأ أفاستمتعتم به إلى أجل مسمى ويروى أنه رجع عن ذلك
 عند موته وقال اللهم اني أتوب اليك من قولي بالمتعة وقيل انها أبيحت مرتين وحرمت مرتين
 (ان الله كان عابدا) بخلقه (حكيم) فيما دبره لهم (ومن لم يستطع منكم طولا) أي غنى وأصل
 الطول الفضل يقال لفلان على فلان طول أي زيادة فضل وقد طاله طولا فهو طائل كما قال القائل
 لقد زادني حبا لنفسي اني * بغض الى كل امرئ غير طائل
 ومنه قولهم هذا امر ما تحته طائل أي شيء يعتد به عماله فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لانه
 زيادة فيه كما ان القصير قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة (أن ينكح
 المحصنات) أي الحرائر وقوله تعالى (المؤمنات) جرى على الغالب فلامفهوم له فان الحرائر
 النكيات كذلك (فن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) أي اماتكم المؤمنات

أى ومن لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة أى أو الكفاية كما مر فليتزويج الأمة المؤمنة وظاهر الآية
 حجة للشافعي رضى الله عنه في تحريم نكاح الأمة على من ملك ما يجعله صدق حرة ومنع نكاح
 الأمة الكفاية مطلقا وأقول أبو حنيفة رضى الله عنه طول المحصنات بأن يملك فراشه على أن
 النكاح هو الوطء وجل قوله من قبياتكم المؤمنات على الأفضل لى كما جعل عليه قوله المحصنات
 المؤمنات ومن أخصها بمن حله أيضا على التقييد وجوز نكاح الأمة لمن قدر على الحرة والكفاية
 دون المؤمنة حذرا من مخالطة الكفار وموالاتهم والمحدور في نكاح الأمة رق الولد ولانها
 ممتنة مبتدلة خراجة ولا جنة وذلك كله نقصان راجع الى النكاح ومهانة والعزة من صفات
 المؤمنين وأما وطؤها بملك اليمين فجاز باتفاق * (فائدة) * قوله تعالى فمن ماملكت من مقطوعة
 عن ما (والله أعلم بما يصنعكم) أى يتفاضل ما بينكم وبين أرقائكم فى الإيمان وربحائه
 ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان إيمان الأمة أرجح من إيمان الحرة والمرأة أفضل فى الإيمان من
 الرجل وحق المؤمنين أن لا يعتبروا الأفضل الإيمان لأفضل الأحساب والانساب وهذا تأنيس
 بنكاح الاماء وترك الاستنكاف منه فانه العالم بالسراير (بعضكم من بعض) أى أنتم وأما ترك
 سواء فى النسب والدين نسبكم من آدم ودينكم الاسلام فلا تستنكفوا من نكاحهن
 (فانكحوهن باذن أهلهن) أى مواليهن (وأنوهن أجورهن) أى أدوا اليهن وهو رهن باذن
 أهلهن فحذف باذن لتقدم ذكره وأدوا الى مواليهن فحذف المضاف للعلم بأن المهر للسيد لانه
 عوض حقه فيجب أن يؤدى اليه وقال مالك المهر للأمة ذاهبا الى ظاهر الآية (بالمعروف)
 أى من غير مطل ولا ضرار وقوله تعالى (محصنات) أى عفيفات حال من ضمير فانكحوهن
 وهو محمول على التدب بناء على المذهب ومن جواز نكاح الزواني (غير مسافحات) أى زانيات
 جهرا (ولامتحضات أخدان) أى اخلاء يزنون بهن سرا جع خدن وهو الصديق فى السر وقيل
 المسافحات اللاتي يزنن مع أى رجل وذوات الأخدان اللاتي يزنن مع معين وذلك بحسب
 ما كان فى الجاهلية (فإذا أحسن) قرأ شعبة وحزرة والكسائي أحسن يقع الهمزة والصاد على البناء
 للفاعل أى تزوجن والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد على البناء للمفعول أى تزوجن (فان أتى
 بفاحشة) أى زنا (فعلمين نصف ما على المحصنات) أى الحرائر لا بكرا إذا زين (من العذاب)
 أى الحد فيجلدن خمسين ويغربن نصف سنة ويقاس عليهن العبد (فان قيل) ما فائدة وجوب
 تنصيف الحد عليهن بتقييده بتزويجهن اذ تنصيف العذاب لازم للأمة الزانية تزوجت أم لا
 (أجيب) بأن فائدة ذلك بيان أن لا يرجع عليهن أصلا وبأنه انما ذكر لبيان جواب سؤال اذ
 العصابة رضى الله تعالى عنهم عرفوا قد ارحد الأمة قبل التزويج دون مقدار مبعده فساءلوا
 عنه النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية وذهب بعضهم الى أنه لا حد على من لم يتزوج
 من المماليك اذ ازنأ أخذ بظاهر الآية وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال اذ ازنأ أمة أحدكم
 فبين زناها فليجلدها الحد ولا يثر بن عليها ثم ان عادت فليجلدها الحد ولا يثر بن عليها فان زنت
 الثالثة فبين زناها فليبعها ولو جعل من شعر (ذلك) أى نكاح الاماء عند عدم الطوبى (لمن)

خشي) أي خاف (العنت) أي الزنا وأصله المشقة سمى به الزنا لأنه سببها بالحد في الدنيا أو العقوبة
 في الآخرة (منكم) أيها الأحرار بخلاف من لم يخفهم أما العبيد فيجوز لهم فكاح الاماء
 مطلقا لكن ان كان العبد مسلما فلا بد أن تكون الامة مسلمة (وان تصبروا) عن نكاح الاماء
 متعقبن (خير لكم) ان لا يصير الولد رقيقا وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحر ائصالا البيت
 والاماء هلاك البيت (والله غفور) لمن لم يصبر (رحيم) بأن وسع له في ذلك (يريد الله ليعين لكم)
 شرائع دينكم ومصالح أموركم (ويهديكم) أي يرشدكم (سنن) أي شرائع (الذين من قبلكم)
 من الانبياء في التحريم والتحليل فتبعوه هم (ويؤوب عليكم) أي ويحبوا ويحبوا ما أصبتم قبل
 أن يبين لكم (والله عليم) بكم (حكيم) فيما دبره لكم (والله يريد أن يؤوب عليكم) ان وقع
 منكم تقصير في دينه (ويريد الذين يتبعون الشهوات) قال السدي هم اليهود والنصارى وقال
 بعضهم هم الجوس لانهم يستحلون نكاح الاخوات وبنات الاخ والاخت فلما حرمهن الله قالوا
 فانكم تحلون بنات الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكم وبناات الاخ والاخت
 فزلت وقال مجاهد هم الزناة (أن غلبوا) أي تعدوا عن الحق (ميتا عظيما) بارتكاب ما حرم
 عليكم فتكونوا مثلهم (يريد الله أن يخفف عنكم) أي يسهل عليكم احكام الشرع وقد سهل
 كما قال تعالى ويضع عنهم اصرهم وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة أي السهلة
 (وخلق الانسان ضعيفا) لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب
 ما أبس الشيطان من أحذق الأنساء من قبل النساء فقد أتى على ثمانون سنة وذهبت إحدى
 عيني وأنا أعث وبالأخرى وان أخوف ما أخاف على فتنة النساء وعن ابن عباس رضي الله تعالى
 عنهم ما غمان آيات في سورة النساء خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليعين
 لكم والله يريد أن يتوب عليكم يريد الله أن يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ف كفر
 عنكم سيئاتكم ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل
 سوا أو يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم
 بالباطل) أي بحال تبعة الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار والربا وقوله تعالى
 (الآن تكون تجارة) استثناء منقطع أي لكن أن تقع تجارة على قراءة الرفع وهي قراءة غير
 عاصم وحزرة والكسائي وأما هؤلاء فقروا بالنصب على كان الناقصة واضعارا للاسم أي الآن
 تكون الاموال تجارة (عن تراش منكم) أي فلكم ان تأكلوها (ولا تقتلوا أنفسكم) أي
 بارتكاب ما يؤدى الى هلاكها في الدنيا والآخرة وقال الحسن يعني اخوانكم أي لا يقتل
 بعضكم بعضا ولا يقتل الرجل نفسه كما يفعل بعض الجهلة روى ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال من قتل نفسه بشئ في الدنيا عذب به يوم القيامة وروى ان الله تعالى يقول يا ابراهيم
 عبدى بنفسي فخرمت عليك الجنة وعن عمرو بن العاص انه تأوله في التيمم لحوف البرد فلم ينكر
 عليه صلى الله عليه وسلم (ان الله كان بكم) يا أمة محمد (رحيما) حيث أمر بنى اسرائيل بقتل
 الانفس ونهاكم عنه (ومن يفعل ذلك) أي ما نهى عنه من قتل النفس وغيره من المحرمات

وقوله تعالى (عدونا) حال أي متجاوزا للعلل وقوله تعالى (وظلما) تأكيدي وقيل أراد
 بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم الشخص نفسه بتعريضه للعقاب (فسوف نصليه) أي
 ندخله (نارا) يحترق فيها (وكان ذلك على الله يسيرا) أي هينا لا عسر عليه فيه (ان تجتنبوا كباثر
 ما تنهون عنه) أي كلامها وفسر جماعة الكبيرة بأنهم ما لحق صاحبها وعيد شديد بنص كتاب
 أوسنة وقال جماعة هي المعصية الموجبة للعدو والاول أولى لانهم عدوا للربا وكل مال اليتيم
 وشهادة الزور ونحوها من الكباثر ولا حدف فيها وقال الامام هي كل جريمة تؤذن أي تعلم بقله
 اكثرا من تكبها بالدين وقال سفيان الثوري الكباثر ما كان بينك وبين العباد والصغار
 ما كان بينك وبين الله واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيامة
 يا أمة محمد ان الله قد عفا عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات فواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي
 وهي أشياء كثيرة قال ابن عباس هي الى السبعين أقرب وقال سعيد بن جبير هي الى السبع مائة
 أقرب أي باعتبار أصناف أنواعها (تكفر عنكم سيئاتكم) أي الصغار وهي ما عدا الكباثر
 أي تكفر بفعل الطاعات كالصلاة والصوم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال كان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقول الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات
 لما بينهن ما اجتنبت الكباثر ولا بأس بذلك من النوعين فمن الاول تقديم الصلاة وتأخيرها
 عن وقتها بلا عذر ومنع الزكاة وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة ونسيان
 القرآن والباس من رحمة الله وأمن مكره تعالى والقتل عمدا أو شبه عمدا والكفر والقرار من
 الزحف وأكل الربا وكل مال اليتيم والافطار في رمضان من غير عذر وعقوق الوالدين والزنا
 واللواط وشهادة الزور وشرب الخمر وان قل والسرق والغصب وقيد جماعة بما يبلغ ربع
 مثقال كما يقطع به في السرقة وكتمان الشهادة بلا عذر وضرب المسلم بغير حق وقطع الرحم
 والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسب الصحابة وأخذ الرشوة والتمعة وأما الغيبة
 فان كانت في أهل العلم أو حله القرآن فهي من الكباثر والأفهي صغيرة ومن الصغار النظر المحرم
 وكذب لاحد فيه ولا ضرر ولا اشراف على بيوت الناس وهجر المسلم فوق ثلاث وكثرة الخصومات
 الا ان راعى حق الشرع فيها والاضحك في الصلاة والنياحة وشق الجيب في المصيبة والتجتر في
 المشي والجلوس بين الفساق ايتاسا لهم وادخال مجاتين وصبيان يغلب تعيسهم ونجاسة المسجد
 واستعمال نجاسة في بدن أو قوب لغير حاجة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الا صغيرة مع
 الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وقيل الكباثر الشرك وما عدا من الصغار قال الله تعالى ان
 الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (وندخلكم مدخلا) قرأنا ففتح الميم أي
 موضعا (كراما) أي حسنا وهو الجنة وقرأ الباقر رضي الله عنهما على المصدر بمعنى الادخال مع الكرامة
 (ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) من جهة الدنيا والدين لا يؤدى الى التحاسد
 والتباغض لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمته وتدبير وعلم باحوال العباد وما
 يصلح للمقاسوم له من بسط في الرزق وقبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فعلى كل

أحد أن يرضى بما قسم له علماً بأن ما قسم له هو المصلحة ولو كان خلافه لكان مفسدة له ولا يحدد
أخاه على حظه قال مجاهد قالت أم سلمة يا رسول الله إن الرجال يغزون ولا تغزو ولهم ضعف مالنا
من الميراث فلو كنا رجالاً غزونا وأخذنا من الميراث مثل ما أخذوا فغزرت هذه الآية وقيل لما
جعل الله تعالى للذكور مثل حظ الانثيين في الميراث قالت النساء نحن أحوج إلى الزيادة من
الرجال فانا ضعفاء وهم أقوياء وأقدر في طلب المعاش منا فغزرت وقال قتادة والسدي لما أنزل
الله تعالى للذكور مثل حظ الانثيين قال الرجال اننا لنترجو أن تفضل على النساء في الآخرة فيكون
أجرنا على الضعف من أجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث فأنزل الله تعالى (للرجال نصيب) أي ثواب
(عمالا كتسبوا) أي بسبب ما عملوا من الجهاد (وللنساء نصيب مما اكتسبن) أي من
حفظ فروجهن وطاعة الله وطاعة أزواجهن فالرجال والنساء في الأجر سواء
وذلك أن الحسنة تكون بعشر أمثالها يستوي في ذلك الرجال والنساء وفضل الرجال على النساء
اتما هو في الدنيا (واسألوا الله من فضله) أي لا تمتدوا ماله للناس واسألوا الله ما احتجتم إليه
يعطكم من خزائنه التي لا تنفذ فنهى الله عن التثني لما فيه من دواعي الحسد والحسد أن يتقنى
الشخص زوال النعمة عن صاحبه سواء امتناه لنفسه أم لا والغبطة أن يتقنى لنفسه مثل
مال صاحبه وهو جائز قال صلى الله عليه وسلم لا حسد أي لا غبطة إلا في اثنتين الحديث (إن الله
كان بكل شيء علماً) فهو يعلم ما يستحقه كل إنسان فيفضل عن علم وتبين (ولكل) من الرجال
والنساء (جعلنا أموالهم) أي عصبية يعطون (بما ترك الوالدان والأقربون) لهم من المال
فالوالدان والأقربون هم المورثون وقيل معناه ولكل جعلنا أموالهم أي ورثة بما ترك أي من
الذين تركهم فتكون ما عصى من ثم فسر الموالى فقال الوالدان والأقربون أي هم الوالدان
والأقربون فعلى هذا القول الوالدان هم الوارثون (والذين عاقدت أيمانكم) والمعاقدة
المعاهدة والمخالفة والإيمان جمع عين بمعنى القسم أو اليمين وذلك أنهم كانوا عند مخالفة يأخذ
بعضهم يدهم بعض على الوفاء والتمسك بالعهد ومخالفتهم أن الرجل كان في الجاهلية يعاقد الرجل
فيقول دمي دمك وتأري تأري وأرل وأرل وأرل وأرل وأرل وأرل وأرل وأرل وأرل وأرل وأرل وأرل وأرل وأرل
وتعقل عني وأعقل عنك فيكون للحليف السدس من مال الحليف وكان ذلك ثابتاً في ابتداء
الاسلام فذلك قوله تعالى (فأؤتوهم نصيبهم) أي أعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ ذلك بقوله
تعالى (ولو لأرحامهم بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وقال مجاهد أراد فأؤتوهم نصيبهم من النصر
والرفد ولا ميراث وعلى هذا الآية غير منسوخة لقوله تعالى (أوفوا بالعقود) وقوله صلى الله عليه وسلم
في خطبته يوم فتح مكة لا تحذوا حلفاء في الاسلام وما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فإنه
لم يرد الاسلام الاشدته قال الزمخشري وعند أبي خنيفة رحمه الله تعالى لو أسلم رجل على يد رجل
وتعاقد على أن يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافاً للشافعي رحمه الله تعالى
اه وقرأ غير عاصم وحزرة والكسائي عاقدت بألف بين العين والقاف وأما هؤلاء الثلاثة
فقرؤا عاقدت بغير ألف بمعنى عقدت عهدوهم إيمانكم فحذف العهد وأقيم الضمير المضاف

إليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الأولى (إن الله كان على كل شيء شهيدا) أي مطلقا
 تخافوه (الرجال قوامون على النساء) أي يقومون عليهن قيام الولاية على الرعية وعلى ذلك
 بأمرين أحدهما وهي والآخر كسبي وقد ذكرنا الأول بقوله تعالى (بما فضل الله
 بعضهم على بعض) أي بسبب تفضيله الرجال على النساء بكل العقل وحسن التدبير ومزيد القوة
 في الأعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامانة والولاية واقامة الشرائع والشهادة
 في مجامع القضايا وجوب الجهاد والجمعة والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد
 بالفراق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وهم أصحاب اللحي والعمائم ثم ذكر
 الثاني بقوله تعالى (وبما أنفقوا من أموالهم) في ذكاحهن كالمهر والنفقة روى أنه صلى الله
 عليه وسلم قال لو أمرت أحدنا أن يسجد لأحدنا لم أر من الزوجة أن تسجد لزوجها وروى
 أن سعيد بن الربيع أحد نقباء الانصار نشرته عليه زوجته حبيلة بنت زيد بن أبي زهير فطمعها
 فانطلق بها أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أفرشته ~~ككريتي~~ فاطمها فقال
 لتقتص مني فزلت فقال أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير ورفع القصاص
 (فالساحات) منهن (فانات) أي مطيعات لازواجهن (حافظات الغيب) أي لما يجب
 عليهن حفظه في حال غيبة أزواجهن من القروح والبيوت والاموال وعن أبي هريرة رضى
 الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك
 وإن أمرتها أطاعتك وإن غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها (بما حفظ الله) أي بما حفظهن
 الله حين أوصى بهن الأزواج في كتابه وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال استوصوا بالنساء
 خيرا أو بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب أو بما حفظهن حين وعدهن الثواب
 العظيم على حفظ الغيب وأوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة (واللاتي تخافون) أي
 تعلمون (نشوزهن) كما في قوله تعالى فمن خاف من موص جهنفا أو غما (فعضوهن) أي خوفهن
 كأن يقول لزوجته اتق الله في الحق الواجب عليك واحذري العقوبة ويبين لها أن النشوز
 يسقط النفقة والقسمة (واهجر وهن في المضاجع) أي اعتزلوهن في الفراش (واضربوهن)
 وإن لم يتكثرا النشوز إن أفاد الضرب والافلا يضرب كما لا يضرب ضربا مبرحا ولا وجهها ولا
 مهالك ومع ذلك فالأولى له العقوبة وخروج بالعلم بالنشوز ما إذا ظهرت أماراته فقط أما بقول كان
 صارت تجيبه بكلام خشن بعد أن كان بلين وأما بفعل كان يجدها عراضا وعيوبها بعد تطفف
 وطلاقة وجهه فإنه يعقلها بلا هجر ولا ضرب لعلها تبدى عذرا أو تتوب عما وقع منها بغير عذر
 وخروج بالمضجع الهجر بالكلام فلا يجوز الهجر فوق ثلاثة أيام ويجوز فيها للخبر الصحيح لا يحل
 لمسلم أن يهجر أخته فوق ثلاث إن قصد بهجرها ردها لحظ نفسه فإن قصد به ردها عن المعصية
 وإصلاح دينها فلا تحريم إذا النشوز حينئذ عذر شرعي والهجر له في الكلام جائز مطلقا
 ومنه هجره صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك وصاحبيه ونبيه العصابة عن كلامهم
 (فإن اطعتمكم) فإما راد منهن (فلا تبغوا) أي لا تطلبوا (عليهن سبيلا) أي طريقا إلى ضربهن ظلما

واجعلوا ما كان منهنّ كأن لم يكن فإن التائب من الذنب كن لا ذنب له رواء الطبراني وأبو
 ماجه وغيرهما (إن الله كان عليا كبيرا) فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتموهنّ فإنه أقدر عليكم
 منكم على من تحت أيديكم (وإن خفتن) أي علمن (شقاق) أي خلاف (بينهما) أي بين المرأة
 وزوجه وذو كرههما بغيرهما وإن لم يجرد كرههما لجرى ما يدلّ عليه ما هو الرجال والنساء
 وإضافة الشقاق إلى الطرف إنما لاجرائه مجرى المفْعُول به كقوله يا سارق الليله أهل الدار
 أو القاعل كقولهم نهارك ضائم (فابعدوا) أي أيها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما اليهما المكن
 برضاهما (حكمان أهله) أي أقاربه (وحكما) آخر (من أهلها) أي أقاربها لينظر في أمرهما
 بعد اختلاف حكمه به وحكمها به وأومعرفة ما عندهما في ذلك ويصلح بينهما أو يفترقان عسر
 الإصلاح على ما يأتي فإن الأقارب أعرف بيوطن الأحوال وأطلب للإصلاح * (تنبيه) *
 يعث الحكمين على سبيل الوجوب وكونهما من الأقارب على سبيل التدب وهما وكيلان لهما
 فاشترط رضاهما لا حكمان من جهة الحاك لأن الحال يؤدي إلى الفراق والبضع حق الزوج
 والمال حق الزوجة وهما رشيدان فلا يولي عليهما في حقهما فيوكل هو حكمه بطلاق أو خلع
 وتوكل هي حكمها يبذل عوض وقبول طلاق ويشترط فيهما اسلام وحرية وعدالة واهتداء إلى
 المقصود من بعثهما له وانما اشترط فيهما ذلك مع انهما وكيلان لتعلق وكالتهما بنظر الحاك كما
 في أمينة ويسنّ كونهما ذكرا ولا يكتفى بحكم واحد (ان يريدان) أي الحكمان (اصلاحيون فوق
 الله بينهما) أي الزوجين أي ان قصد الإصلاح ذات اليمين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة
 لوجه الله تعالى بوزل في وسطهما ما وقع الله بطيب أنفسهم ما وحسن سعيهما بين الزوجين
 الوفاق والائفة وألقى في نفوسهما المودة والرحمة وقبل الضمير الأول للزوجين والثاني للحكمين
 أي ان يرد الزوجان اصلاحيون فوق الله بين الحكمين اختلافهما حتى يعصمهما بالإصلاح وقبل
 الضمير الثاني للحكمين أي ان قصد الإصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقبل
 للزوجين أي ان أراد الإصلاح وزوال الشقاق أوقع الله بينهما الائفة والوفاق وفيه تنبيه على
 أن من أصلح نيته فيما يتجرأه أصلح الله تعالى مبتغاه وان لم يرضيا به عنهما ولم يتفقا على شيء أديب
 الحاكم الظالم واستوفى للمظلوم حقه (إن الله كان عليما) بكل شيء (خبيرا) بالبواطن كالظواهر
 فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق قال تعالى لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين
 قلوبهم ولكن الله ألف بينهم (واعبدوا الله) أي وحدوه وأطيعوه (ولا تشركوا به شيئا) أي
 شيئا من الأشرار الجليل كان أَوْ خفيا وعن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه انه قال كنت رديف
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تدري يا معاذ ما حق الله على الناس قال قلت يا رسول الله
 أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا أتدري يا معاذ ما حق الناس على الله تعالى
 اذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله أعلم قال فإن حق الناس على الله ان لا يعذبهم ثم قال قلت
 يا رسول الله ألا تبشر الناس قال دعهم يعملون (رو) أحببوا (بالوالدين احسانا) أي برأولين
 جانب (وبذي القربى) أي صاحب القرابة (واليتامى والمساكين) ويدخل في المساكين

الفقراء روى انه صلى الله عليه وسلم قال أنا وكافل اليتيم في الجنة وفي رواية من مسح رأس يقيم
 ولم يمسحه الا الله كان له بكل شعرة تمر عليهم ايداه حسنات ومن أحسن الى يتيم أو يتيم عذبه كنت
 أنا وهو في الجنة كهاتين وقرن بين أصبعيه (والجار ذي القربى) أى القريب منك فى النسب
 أو الجوار (والجار الجنب) أى البعيد عنك فى النسب أو الجوار روى عن عائشة رضى الله
 تعالى عنها انها قالت يا رسول الله ان لى جارين فالى أيهما أهدى قال الى أقربهما منك بابا وروى
 انه صلى الله عليه وسلم قال لا بى ذر لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق وإذا
 طبخت مرققة فأكثر ماءها وأغرف لغيرك منها وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ما زال جبريل
 يوصيني بالجوار حتى ظننت أنه يورثه (والصاحب بالجنب) أى الرفيق فى السفر كما قاله ابن عباس
 ومجاهدا والمرأة تكون معه الى جنبه كما قاله على والتخفى أو الذى يصحبك رجاء نفعك فى تعلم علم
 أو حرفة أو نحو ذلك كما قاله ابن جريج وابن زيد (وابن السبيل) أى المسافر لانه يلزم السبيل
 أو الضيف كما عليه الاكثر روى انه صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
 فليحسن الى جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم
 الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وفى رواية من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن
 كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر
 فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام فما كان بعد ذلك فهو صدقة ولا يحل له أن
 يتولى عذبه حتى يخرج به (ومام لكت أيمانكم) أى من الارقاء من عبده واماره روى أنه صلى الله
 عليه وسلم قال هم اخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه
 مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه فان كلفه ما يغلبه فليأمنه عليه وفى رواية
 انه صلى الله عليه وسلم كان يقول فى مرضه الصلاة ومما لكت أيمانكم فجعل يتركلم ومما يفيض
 به لسانه (ان الله لا يحب من كان مختالا) أى متكبرا على الناس من أقاربهم وأصحابه وجيرانه
 وغيرهم ولا يلتفت اليهم (خورا) أى يتفاخر عليهم بما آتاه الله روى أنه صلى الله عليه وسلم قال
 بينما رجل يتجترى بردين وقد أعجمته نفسه خسف به الارض فهو يتجلىل فيها الى يوم القيامة
 وفى رواية لا يتظر الله يوم القيامة الى من جرتوبه خيلاء وقوله تعالى (الذين) مبتدأ (يصلون)
 أى بما يجب عليهم (ويأمرون الناس بالعدل) بذلك (ويكفون ما آتاهم الله من فضله) من العلم
 والمال وهم اليهود يخلوا ببيان صفته صلى الله عليه وسلم وكقوله وكانوا يأتون رجالا من الانصار
 ويخاطبونهم فيقولون لا تنفقوا أموالكم فانما نخشى عليكم النقر ولا تدرن ما يكون وخبر
 المبتدأ محذوف تقديره لهم وعيد شديد ويصح أن يكون الذين بدلا من قوله من كان أو منصوبا
 على التثنية أو مرفوعا عليه أى هم الذين وقرأ حمزة والكسائي بالجر بفتح الباء والخاء والباءون
 بضم الباء وسكون الخاء (واعتدنا للكافرين) بذلك وبغيره (عذابا مهينا) أى ذا اهانة وضع
 الظاهر فيه موضع المضمرة اظهرا بأن من هذا شأنه فهو كافر بالله لكتمان صفته النبى صلى الله
 عليه وسلم وكافر بنعمة الله عليه وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا أنتم الله على عبد نعمة

أحب أن ترى نعمته على عبده وبني عامل للرشيد قصر احذاء قصره فتم به عنده فقال الرجل
يا أمير المؤمنين إن الكريم يسره أن ترى أثر نعمته فأجبت أن أسرك بالنظر إلى آثار نعمتك
فأعجبه كلامه وقوله تعالى (والذين) عطف على الذين قبله (يتفقون أموالهم وثأء الناس) أي
مرايين لهم (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) أي كل المنافقين ومشركي مكة المنفقين أموالهم
في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم (ومن يكن الشيطان له قرينا) أي صاحباً يعمل بأمره
كهولاء (فساء) أي فبئس (قرينا) هو حيث حلهم على الجمل والرياء وكل شروزيه لهم كقوله
تعالى إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين والمراد ابليس وأءوانه الداخلة في باطن الانسان
والخارجة عنه ويجوز أن يكون وعيد الله لهم بأن الشيطان يقرن بهم في النار (وماذا عليهم
لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله) أي أي ضرر عليهم في ذلك والاستفهام
للاذكار ولو مصدرية أي لا نضر فيه وانما الضرر فيما هم عليه وقوله تعالى (وكان الله بهم
علما) وعيد لهم فيما رزقهم بما عملوا (إن الله لا يظلم) أحدا (منقال) أي وزن (ذرة) وهي أصغر
غلة ويقال لكل جزء من أجزاء الهباء في الكوة أي لا ينقص قدر ذلك من حسناته ولا يزيد
في سيئاته كما قال تعالى إن الله لا يظلم الناس شيئا وفي ذكر المثقال إيماء إلى أنه وإن صغر قدره
عظم جزؤه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما أنه أدخل يده في التراب فرفعهما ثم نفخ فيه
فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة (وانك حسنة) أي وانك المثقال حسنة (بضاعتهما) أي
نوابهما من عشر إلى أكثر من سبع مائة وعن أبي عثمان النهدي أنه قال لا بي هريرة بلغني هناك
أنك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله يعطي عبده المؤمن بالحسنة
الواحدة ألف ألف حسنة قال أبو هريرة لا بل سمعته يقول إن الله يعطيه ألفي ألف حسنة ثم
تلا هذه الآية وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يناب عليها الرزق
في الدنيا ويجزيه بها في الآخرة قال وأما الكافر فيظلم بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى
الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا وفي رواية إذا خلس المؤمنون من النار وأمنوا فما
بمجادلة أئمةكم أصحابه في الحق يكون له في الدنيا بأشد مجادلة من المؤمنين ربه في إخوانهم
الذين أدخلوا النار قال يقولون ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا
فأدخلتهم النار قال فيقول اذهبوا فأنتم ترون فيعرفونهم بصورهم لأنهم لا تأكل
النار صورهم فتنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه ومنهم من أخذته إلى ركبتيه فيخرجونهم
فيقولون ربنا قد أخرجنا من أمرتنا قال ثم يقول أخرجوا من كان في قلبه وزن دينار ثم من كان
في قلبه وزن نصف دينار حتى يقول من كان في قلبه مثقال ذرة قال أبو سعيد فمن لم يصدق
فليقرأ هذه الآية إن الله الخ قال فيقولون ربنا قد أخرجنا من أمرتنا فلم يبق أحد في النار فيه خير
ثم يقول الله عز وجل شفت الملائكة وشفت الأنبياء وشفت المؤمنون وبقي أرحم الراحمين
قال فيقبض قبضة من النار وأقال قبضتين ناسا لم يعملوا خيرا حتى احترقوا حتى صاروا حمما
فيؤتى بهم إلى ماء يقال له ماء الحياة فيصب عليهم فينبئون كما ثبت الحبة في حبل السيل وهي بكسر

الحاء المهملة وتجمع على حبيب قال فتخرج أجسادهم مثل المولود في أعناقهم الحسام عطاء الله
 فيقال لهم ادخلوا الجنة فماتت أروايت من شيء فهو لكم قال فيقولون ربنا أعطينا ما لم نعط
 أحدا من العالمين قال فيقول الله تعالى فإن لكم عندي أفضل منه فيقولون ربنا وما أفضل من
 ذلك فيقول رضائي عنكم فلا أسخط عليكم أبدا (فان قيل) لم أثبت الضمير مع انه راجع للمثقال
 وهو مذكر (أجيب) بأنه أشبه لتأنيث الخبر ولاضافة المثقال الى مؤنث وقيل ان الضمير راجع
 الى ذرة وهي مؤنثة لا الى مثقال وحذفت النون تشبيها بجر وف العلة وقرأ نافع وابن كثير
 حسنة برفع التاء على كان التامة والباقون بنصبها على كان الناقصة وقرأ ابن كثير وابن عامر
 يضعفها بتشديد العين ولا ألف قبلها والباقون بتخفيف العين وألف قبلها (ويؤت) أي يعط
 صاحب الحسنة (من لده) أي من عند الله على سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة
 العمل (أجر أعظما) أي عطاء جزيل وانما سماه أجرا لانه تابع للأجر من يد عليه لا يثبت
 الاثباته (فكيف) حال الكفار (اذا جئنا من كل أمة بشهيد) يشهد عليها بعملها وهو نبيها لقوله
 تعالى وكنتم عليهم شهداء ما دمت فيهم (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء) الشهداء (شهداء)
 أي شاهدات شهد على صدقهم لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك على مجامع قواعدهم
 وقيل هؤلاء اشارة الى المؤمنين لقوله تعالى لكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
 شهيدا وقيل الى الكافرين المستفهم عن حالهم وعن ابن مسعود أنه قرأ سورة النساء على رسول
 الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وقال حسبك (يومئذ) أي المجي وهو يوم القيامة (يؤت) أي يتنى (الذين كفروا وعصوا
 الرسول لو) أي أن (تسويهم الارض) كلهم أو لم يعصوا أو لم يخلقوا وكانوا هم والارض
 سواء وقال الكلبي يقول الله عز وجل للبهائم والوحوش والطيور والسباع ككونوا ترابا
 فتسويهم الارض فعند ذلك يتنى الكافر أنه لو كان ترابا كما قال تعالى ويقول الكافر باليتنى
 كنت ترابا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم تسويهم بضم التاء للبناء للمفعول والباقون بالفتح
 للبناء للفاعل مع حذف الحاء التامين في الاصل وشدد السين نافع وابن عامر وخففها
 الباقون (ولا يكتفون الله حديثا) أي مما علموه لان جوارحهم تشهد عليهم وقال الحسن انها
 مواطن فني. وطن لا يتكلمون ولا تسمع الالهة وفي موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون
 ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء وفي موطن يسألون الرجعة وآخر تلك المواطن أن يجثم على
 أفواههم وتكلم جوارحهم وهو قوله تعالى ولا يكتفون الله حديثا وقال سعيد بن جبيرة قال رجل
 لابن عباس اني أجد في القرآن شيئا يختلف على فقال هات ما اختلف عليك قال قال الله تعالى
 فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقال تعالى وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقال تعالى
 ولا يكتفون الله حديثا وقال والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا وقال تعالى أم السماء بناها الى
 قوله والارض بعد ذلك دحاها فذلك خلق السماء قبل خلق الارض ثم قال أنشكم لتكفرون
 بالذي خلق الارض في يومين الى طائعتين فذكر في هذه الآية خلق الارض قبل خلق السماء وقال

تعالى وكان الله غفورا رحيما وقال وكان الله عزيزا حكيم فكانت له مكان ثم مضى فقال ابن
 عباس رضي الله تعالى عنه - ما فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون في النفخة الاولى قال ونفخ
 في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض فلا أنساب عند ذلك ولا يتساءلون ثم نفخ
 فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون في النفخة الاخرة ثم أقبل بعضهم على بعض يتساءلون وأما
 قوله والله ربنا ما كنا مشركين ولا يكتمون الله حديثا فان الله يغفر لأهل الاخلاص ذنوبهم
 فقال المشركون تعالوا نقل لم نك مشركين فيضتم على افواههم فتسطق أيديهم وأرجلهم
 فعند ذلك عرفوا ان الله لا يكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم
 الارض وخلق الارض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى الى السماء فسواهن في يومين
 آخرين ثم دحا الارض في يومين ودحاها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والآن كما
 وما بينهما في يومين آخرين فقال خلق الارض في يومين تخلقت الارض وما فيها من شيء
 في أربعة أيام وخلق السموات في يومين وكان الله غفورا رحيما أي لم يزل كذلك
 فلا يختلف عليك القرآن فان كلاما من عند الله (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة) أي
 لا تغشوها ولا تقوموا اليها واجتنبوها (وأنتم سكارى) من الشراب (حتى تعلموا ما تقولون)
 بأن تصحوا منه كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش روى أن عبد الرحمن بن عوف
 صنع طعاما وشرا بافدعا ثرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان الخمر مباحا
 فأكلوا وشربوا فلما سكروا وجاء وقت صلاة المغرب فقدموا أحدهم يصلي بهم فقرا أقل يائها
 الكافرون أعبد ما تعبدون بحذف لا هكذا الى آخر السورة فترات فكانوا لا يشربونها في أوقات
 الصلاة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصحون الاوقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون
 ثم نزل تحريمها وقيل أراد بالصلاة مواضعها وهي المساجد وقيل أراد بالسكر سكر النوم
 ونهى عن الصلاة عند غلبة النوم قال صلى الله عليه وسلم اذا نعت أحدكم وهو يصلي فليرقه حتى
 يذهب عنه النوم فان أحدكم اذا صلى وهو نعت لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه وقوله تعالى
 (ولا جنبا) منصوب على الحال أي ولا تقربوا الصلاة وأنتم جنب بايلاج وانزال يقال رجل
 جنب وامرأة جنب ورجال ونساء جنب لانه يجرى مجرى المصدر لانه مصدر بل هو اسم
 مصدر لانه لم يستوف حروف الفعل لان فعله أجنب فمصدره اجنبا بالاجنبا وأصل الجنابة البعد
 وسمى جنبا لانه يجنب موضع الصلاة أو لجانبة الناس وبعده منهم حتى يغتسل (الاعابري) أي
 مجتازي (سبيل) أي طريق أو مسافرين (حتى تغتسلوا) أي فلكم أن تصلوا واستثناء المسافر له
 حكم آخر سيأتي وفي هذا دليل على أن التيمم لا يرفع الحدث لانه غياه بقوله حتى تغتسلوا ومن
 فسر الصلاة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المصعد وبه قال
 الشافعي رضي الله تعالى عنه وقال أبو حنيفة لا يجوز له المرور الا اذا كان فيه الماء أو الطريق
 الى الماء (وإن كنتم مرضى) أي مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجب كالتفقد
 (أو على سفر) أي مسافرين وأنتم جنب أو محدثون (أو جاء أحد منكم من الغائط) أي أحدثتم

بخروج الخارج من أحد السيلين والفاط المذبح المطمئن من الأرض تنقضي فيه الحاجة
 هي باسمه الخارج للمجاورة (أو لأمست النساء) قرأ حزة والكسائي بغير ألف بين اللام والميم
 والباقون بألف واختلف في معنى اللبس والملازمة فقال قوم هما التقاء البشريتين سواء
 أكان بجماع أم بغيره وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي وبه استدل الشافعي
 رضي الله تعالى عنه على أن اللبس ينقض الوضوء وقال قوم هما الجماعة وهو قول ابن عباس
 والحسن ومجاهد وقتادة كفي باللبس عن الجماع لأن باللبس يوصل إلى الجماع (فلم تجدوا ماء)
 تطهرون به للصلاة بعد الطلب لأنه لا يسمى غير واحد إلا بعد الطلب وهذا راجع إلى ما عدا
 المرنس (فتيموا) أي بعد دخول الوقت (صعيدا طيبا) أي ترابا طاهرا أي طهورا أما المرنس
 فتيمون مع حضور الماء لأن وجوده بالنسبة إليه كعدمه (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم)
 مع المرفقين منه بضربتين كما ثبت في الحديث وقال الزجاج الصعيد وجه الأرض ترابا كان
 أو غيره وإن كان صخرًا لا تراب عليه لو ضرب التيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وإلى هذا
 ذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالى وأجاب عن قوله تعالى في آية المائدة فامسحوا بوجوهكم
 وأيديكم منه أي بفضله وهو لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه بأن من لا ابتداء الغاية قال
 الزمخشري وقولهم أنها لا ابتداء الغاية فيه تعسف ولا يفهم أحد من العرب من قول القائل
 مسحت برأسي من الدهن ومن الماء ومن التراب إلا معنى التبعض قال والافغان للحق أحق
 من المراء والتيمم من خصائص هذه الأمة روى عن حذيفة رضي الله تعالى عنه أنه قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس ثلاث صفوف الملائكة
 وجعلت لنا الأرض كلها مسجدًا وجعلت تربتها لنا طهورًا إذا لم نجدها ماء وكان بدء التيمم
 ما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
 أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجبش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
 على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس أبا بكر فقالوا ألا ترى
 ما صنعت عائشة أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء
 فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على نخذي قد نام فقال حبست رسول
 الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فعاتبنى أبو بكر وقال ما شاء الله
 أن يقول وجعل يطعن يده في خصرتي ولا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم على نخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم
 فقال أسيد بن حضير وهو أحد النقباء ما هي يا قول بركتكم يا آل أبي بكر فقالت عائشة فبعثنا
 البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته وفي رواية أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت
 فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء
 فلما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم شكوا ذلك إليه فنزلت فقال أسيد بن حضير جزاك الله خيرا
 فوالله ما نزل بك أمر قط إلا جعل الله لك منه مخرجًا وجعل للمسلمين فيه بركة وقوله تعالى

(إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوَ غَفُورًا) كناية عن الترخيص والتيسير لأن من كانت عادته أن يعفو عن
 الخطائين ويغفر لهم ثم آثما كان ميسورا غير معسر (أَلَمْ تَرَ) أي تنظر (إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا)
 (أَي حِطَابِيرًا) (مِنَ الْكِتَابِ) أي من علم التوراة وهم أحبار اليهود (يَشْتَرُونَ) أي يختارون
 (الضلالة) على الهدى (وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا) أيها المؤمنون (السَّيْلَ) أي تخطون طريق الحق
 لتكونوا مثلهم (وَاللَّهُ أَعْلَمُ) منكم (بِأَعْدَائِكُمْ) فيخبركم بهم ليجنبوهم ولا تستصحبوهم فانهم
 أعداؤكم (وَكُنِيَ بِاللَّهِ وَلِيًّا) أي حافظا (وَكُنِيَ بِاللَّهِ نَصِيرًا) أي مانعا لكم من كيدهم وقوله تعالى
 (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا) بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب لأنهم يهود ونصارى وقوله تعالى والله
 أعلم بأعدائكم وكنى بالله وليا وكنى بالله نصيرا جل ثناؤه بين البيان والمبين على سبيل
 الاعتراض أو بيان لأعدائكم وما بينهم مما اعتراض أو صلة لنصير أي ينصركم من الذين هادوا
 كقوله تعالى ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا وأخبر مبتدأ محذوف صفته (يَحْرَفُونَ)
 الكلام عن مواضعه) أي من الذين هادوا قوم يحرفون أي يغيبون الكلام الذي أنزل في
 التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم عن مواضعه التي وضع عليه ما بازالتة عنها وإثبات خبره
 فيها وفي المائة من بعده مواضعه والمعنيان متقاربان قال ابن عباس كانت اليه وديا تون رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن الأمر فيخبرهم ويرى أنهم يأخذون بقوله فاذا انصرفوا
 من عنده حرفوا كلامه (وَيَقُولُونَ) للنبي صلى الله عليه وسلم إذا أمرهم (سَمِعْنَا) قولك (وعصينا)
 أمرنا (واسمع غير مسمع) بمعنى الدعاء أي لا سمعت بصم أو سمعت أو بمعنى اسمع منا ولا نسمع
 منك أو بمعنى اسمع غير مسمع كلاما ترضاه (وَيَقُولُونَ لَهُ) راعنا يريدون به النسبة إلى الرعونة
 وقد نسي عن خطابه صلى الله عليه وسلم بها وهي كلمة سب بلغتكم (لِيَا) أي تحريفها (بِالْإِسْنَتِمْ) أي
 يحرفون ما يظهرون من الدعاء والتوقير إلى ما يضمرونه من السب والنقص برضاها (وطعننا) أي
 قدحنا (فِي الدِّينِ) أي الإسلام (وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) بدل وعصينا (واسمع) أي فقط
 (وَانظُرْنَا) أي انظر إلينا بدل راعنا (لَكُنْ خَيْرَ الْهَمِّ) مما قالوه (وَأَقُومْ) أي أعدل وأصوب
 (وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ) أي أبعدهم عن رحمة (بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) أي إيماننا قليلا
 لا يعيابه وهو الإيمان ببعض الآيات والرسول ويجوز أن يراد بالقله العدم أو الانقراض قليلا منهم
 كعبد الله بن سلام وأصحابه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ) يخاطب اليهود (آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا) أي
 القرآن (مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ) أي التوراة وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كالم أحبار اليهود
 عبد الله بن صوريا وأصحابه وكعب بن أسد وقال يامعشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فوالله أنتم
 لتعلمون أن الذي جئتكم به لحق قالوا ما نعرف ذلك وانصرفوا على الكفر فنزلت (مَنْ قَبْلُ أَنْ
 نَطْمِسَ وُجُوهًا) أي نحمو ونخطيط صورها من عين وحاجب وأنت وفم (فَنَرُدُّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا) أي
 فنجعلها كالأقفاء مطموسة مثلها أو نكسبها إلى ورائها في الدنيا وفي الآخرة روى أن عبد
 الله بن سلام لما سمع هذه الآية جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتي أهله ويده على
 وجهه وأسلم وقال يا رسول الله ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحول وجهي في قفاي وكذلك

كعب الاحبار لما سمع هذه الآية أسلم في زمن عمر رضي الله تعالى عنه فقتل يارب آمنت يارب
 أسلمت مخافة أن يصيبه وعيد هذه الآية (فان قيل) قد أوعدهم الله بالطمس ان لم يؤمنوا ثم لم
 يؤمنوا ولم يفعل بهم ذلك (أجيب) بأن هذا الوعيد باق ويكون طمس ومسح في اليوم وقيام
 الساعة أو أن هذا كان وعيداً بشرط فلما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه رفع ذلك عن الباقين
 وقيل أراد به في القيامة وقال مجاهد أراد بقوله نطمس وجوها أي نتركهم في الضلالة فيكون
 المراد طمس وجه القلب والرذعن بصائر الهدى على أدبارها في الكفر والضلالة (أو نلعنهم)
 أي نلعنهم قررة وخنازير (كالمنا) أي مسخنا (أصحاب السبت) منهم قررة وخنازير (وكان
 أمر الله) أي قضاؤه (مفعولاً) أي نافذاً وكان نافية قع لاحتماله ما أوعدهم به ان لم تؤمنوا (ان الله
 لا يفر أن يشرك به) أي لا يغفر الا لشرك به قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهم لما نزل يا عبادي
 الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً قالوا يا رسول الله
 والشرك فنزلت * ولما أخبر بعدله أخبرته على بقضائه فقال (ويغفر ما دون ذلك) الامر الكبير
 العظيم من كل معصية سواء كانت صغيرة أم كبيرة سواء أتأب فاعلمها أم لا ورهب بقوله اعلاماً
 بأنه مختار لا يجب عليه شيء (ان يشاء) وقال الكلبي نزلت هذه الآية في وحشي بن حرب
 وأصحابه وذلك انه لما قتل حزة وذهب الى مكة تدم هوراً أصحابه وكتبوا الى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم اننا قد ندمنا على ما صنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا اناس معنا تقول وأنت بمكة
 والذين لا يدعون مع الله الها آخراً آيات وقد دعونا مع الله الها آخراً وقتلنا النفس التي حرم الله
 قتلها وزينا فلو لا هذه الآيات لاتبعناك فنزل الامن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً الآيتين فبعث
 بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قرؤهما كتبوا اليه ان هذا شرط شديد تخاف أن لا
 تفعل عملاً صالحاً فنزل ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بهما اليهم فبعثوا
 اليه اننا نخاف أن لا نكون من أهل مشيقتك فنزل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا
 من رحمة الله الآية فبعث بهما اليهم فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
 فقبل منهم ثم قال لو وحشي أخبرني كيف قتلت حزة فلما أخبره قال ويحك غيب وجهك عني فلق
 وحشي بالشام فكان بها الى أن مات (ومن يشرك بالله فقد افترى) أي ارتكب (اغماً عظيماً)
 أي كبيراً فالافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذا الاختلاق روي أن رجلاً قال
 يا رسول الله ما الموجبات قال من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئاً
 دخل النار وروى أبو ذر أنه صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك
 الا دخل الجنة قلت وان زني وان سرق قال وان زني وان سرق قلت وان زني وان سرق قال
 وان زنا وان سرق قلت وان زني وان سرق قال وان زني وان سرق على رغم انك أبي ذر وكان
 أبو ذر اذا حدث بهذا قال وان رغم انك أبي ذر (ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم) قال الحسن
 وقتادة نزلت في اليهود والنصارى قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من
 كان هوداً أو نصارى وقال الكلبي نزلت في رجال من اليهود جاءوا الى رسول الله صلى الله

عليه وسلم بأطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيتهم ما عملنا بالنهار
كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار ويدخل في الآية كل من زكى نفسه ووصفها
بزكاه العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزاني عند الله الا اذا كان لغرض صحيح وطابق الواقع
كقول سيدنا يوسف صلى الله عليه وسلم اجعلنى على خزان الارض انى حفظ علمي وقوله صلى
الله عليه وسلم انى أمين فى السماء أمين فى الارض حين قال له المنافقون اعدل فى القصة اكذبا
اهم اذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه ولكن شتان بين من شهد الله له بالتركية ومن شهد لنفسه
أو شهد له من لا يعلم (بل الله) الذى له صفات الكمال (يزكى من يشاء) أى بعالمه من العلم التام
والقدرة الشاملة والحكمة البالغة وأصل التركيبة نقي ما يستقيم فعلاً أو قولاً (ولا يظلمون) أى
ينقصون من أعمالهم (قتيلاً) أى قدر ما يكون فى شق النواة قاله عكرمة عن ابن عباس
فهو اسم لما فى شق النواة والقطمير اسم للقشرة التى على النواة والنشير اسم للنقطة التى
تكون على ظهر النواة وقيل القليل من القتل وهو ما يحصل بين الأصبعين من الوسخ
عند القتل * ولما أخبر سبحانه وتعالى أن التركيبة انما هى اليه قال لنبىه صلى الله عليه وسلم
(انظر) متجهاً (كيف يفكرون) أى يتعمدون (على الله) الذى لا يخفى عليه شئ ولا يجهز
شئ (الكذب) من غير خوف منهم لذلك عاقبة ذلك (وكفى به) أى به هذا الكذب (انما بينا)
أى بينا واضحا (ألم ترى الى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) وهما
صنمان بمكة لتقريش وذلك أن كعب بن الأشرف خرج فى سبعين راكباً من اليهود الى مكة بعد
وقعة أحد ليحلفوا قرىشاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذى كان بينهم
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تنزل كعب على أبي سفيان فأحسن مثواه ونزلت اليهود
فى دور قرىش فقال أهل مكة انكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولانأمن أن يكون هذا
مكرامنكم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم فنهلوا فهدوا هذا ايمانهم بالجبت والطاغوت
لانهم سجدوا للأصنام وأطاعوا ابليس فيما فعلوا ثم قال أبو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ
الكتاب وتعلم ونحن أميون لانعلم فأينأهدى طريقا نحن أم محمد قال كعب اعرضوا على
دينكم فقال أبو سفيان نحن ولالة البيت نسق الجحاج الماء ونقرى الضيف ونفك العاني ونصل
الرحم ونعم مرية ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ومحمد فارق دين آباءه وقطع الرحم وفارق
الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب أنتم والله أهدى سبيلاً مما عليه محمد فأنزل الله
تعالى ألم ترى الى الذين أتوا نصيباً أى حظاً من الكتاب وهم كعب بن الأشرف وأصحابه يؤمنون
بالجبت والطاغوت أى الصنمين (ويقولون للذين كفروا) وهم أبو سفيان وأصحابه
(هؤلاء) أى أنتم (أهدى من الذين آمنوا) وهم محمد وأصحابه (سبيلاً) أى اقوم ديننا
وأرشد طريقنا (اولئك الذين لعنهم الله) أى طردهم وأبعدهم من رحمة (وون يلعن الله
فلن تجده نصيراً) أى مانعاً يمنع العذاب عنه بشفاعته أو غيرها * (تنبيهه) * فى هؤلاء
أهدى مرتان من كلمتين الاولى مكسورة والثانية مفتوحة قرأ نافع وابن كثير

وابوعمر وبإبدال الثانية يا عالة والباقيون بالتحقيق (أم) منقطة أي بل (لهم نصيب)
 أي حظ (من الملك) ومعنى الهمزة انكار أن يكون لهم شيء من الملك ويحمد لما زعمت اليهود من
 أن الملك سيصير لهم ولو كان لهم نصيب منه (فإذا) أي فيتمسبب عن ذلك أنهم (لا يؤتون الناس)
 أي واحد منهم (نقيرا) ومرآته النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة صكا الفيل والقطمير
 والمراد بالملك إماما ملك الدنيا وإماما ملك الله كقوله تعالى قل لو أنتم تعلمون خزان رحمة ربي إذا
 لامسكم خشية الانفاق وهذا مباغلة في شعهم فانهم بخلوا بالنفوس وهم ملوك فظنك بهم إذا
 كانوا أذلاء منقادين ويصح أن يكون معنى الهمزة في أم لانكار أنهم قد أو انصيبا من الملك
 وكانوا أصحاب أموال وبساتين وقصور مشيدة كما تكون أحوال الملوك وانهم لا يؤتون أحدا
 مما يملكون شيئا (أم) أي بل (بمجدون الناس) أي محمد صلى الله عليه وسلم الذي جمع فضائل
 الناس الأولين والآخرين (على ما آتاهم الله من فضله) أي من النبوة والكتاب والنصرة
 والاعزاز وكثرة النساء أي يتمون زواله عنه ويقولون لو كان نبيا لاشتغل عن النساء (فقد آتينا
 آل إبراهيم) وهو جد النبي صلى الله عليه وسلم ومن آل إبراهيم موسى وداود وإسماعيل (الكتاب)
 أي ما أنزل إليهم (والحكمة) أي النبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) فلا يعد أن يؤتيه الله تعالى
 مثل ما آتاهم فكان لداود تسع وتسعون امرأة وكان لإسماعيل ألف والمائة عشرة وسبع مائة
 سرية وقيل المراد بالناس الناس جميعا وقيل العرب وحدهم لأن النبي الموعود منهم
 وقيل النبي وأصحابه لأن من حسد على النبوة فكأنما حسد الناس كلهم على كمالهم ورشدهم
 (فهم) أي اليهود (من آمن به) أي بمحمد صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومنهم
 من صد) أي أعرض (عنه) فلم يؤمن به (وكفى بجهنم سعيرا) أي عذابا لمن لم يؤمن وقوله تعالى
 (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم) أي ندخلهم (نارا) كالبیان والتقرير لذلك (كلما
 نضجت) أي احترقت (جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) بأن يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى
 روى أن هذه الآية قرئت عند عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال عمر للقاري أعدها
 فأعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها يبده الله تعالى في ساعة مائة مرة قال
 عمر هكذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف
 مرة كلما أكلتهم قبل لهم عود وافي عودون كما كانوا (فان قيل) كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا
 ولم تعص (أجيب) بأن المعاد انما هو الجلد الأول وانما هال جلودا غيرها تبدل صفاتها كما تقول
 صنعت من خاتمي خاتما غيره فالخاتم الثاني هو الاول الآن الصناعة والصفة تبدلت وروى أن
 ما بين منه كعب الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع وروى أن ضره أو نابيه مثل
 أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث (ليذوقوا العذاب) أي ليقاسوا شدته وقيل يحاق مكان ذلك
 الجلد جلد آخر والمعذب في الحقيقة على كل حال هي النفس العاصية القاسية بالبدن لانها
 المدركة دونه (إن الله كان) ولم يزل (عزيزا) أي لا يمجزه شيء (حكيمًا) في خلقه يعاقب على وفق
 حكمته (والذين آمنوا) أي أقروا بالإيمان (وعملوا الصالحات) أي بوعد لا خلف

فيه وربما أفهم التنقيص لهم بالسبب دون سوف كما في الكافرين انهم أقصر الامم مدة أو انهم
أقصرهم أعماراً واحدة لهم من دار الكدر الى محل الصفاء وانهم يدخلون الجنة قبل جميع
الفرق الناجية من أهل الموقف (جنات) أي بساكنين ووصفها بما يديم بهجتها ويعظم نضرتها
وزهرتها فقال (تجري من تحتها الأنهار) أي أن أرضها في غاية الري كل موضع صالح لان يجري
منه نهر ولما ذكر قيامها وما به دوامها أتبعه بجائها واد النفوس من استقرار الإقامة بها فقال
(خالدين فيها أبداً) وانما قدم تعالى ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام
فيهم وذكر المؤمنين بالعرض ولما وصف تعالى حسن الدار ذكر حسن الجوار فقال تعالى (لهم فيها
أزواج مطهرة) أي من الحيض والقذر (فان قيل) المطرد في وصف جمع القلة لمن يعقل أن
يكون بالالف والتاء فيقال مطهرات (أجيب) بأنه عدل عن ذلك الى الوحدة لافهام انهن لشدة
الموافقة في الطهر كذات واحدة (وندخلهم) أي فيها (ظلالاً) أي عظيمات كده تعالى بقوله
(ظلالاً) أي متصلاً لا فرج فيه منبسطة لا ضيق معه دائماً لا تصيبه الشمس يوماً لا حرقه ولا
برد بل هو في غاية الاعتدال وهو ظل الجنة جعلنا الله تعالى ومن يحبنا ونحبه من أهلها السابقين
مع النبيين والصديقين وقوله تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) خطاب
بهم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما أغلق باب الكعبة
وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح ليدخلها فأبى وقال لو علمت أنه
رسول لم أمنعه المفتاح فلوى على رضى الله تعالى عنه يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح
ويجمع له بين السقاية والسدانة فأنزل الله هذه الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً
أن يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر ففعل ذلك وقال هالك خالدة تالدة فحجب من ذلك وقال عثمان
أكرهت وأذيت ثم جئت ترفق فقال قد أنزل الله في شأنك قرآناً وقرأ عليه فقال عثمان أشهد أن
لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فهبط جبريل وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن السدانة
تكون في أولاد عثمان أبداً فلما مات عثمان دفعه الى أخيه شيبه فالف مفتاح والسدانة في أيديهم الى
اليوم والى يوم القيامة فالآية وان وردت في سبب خاص فعمومها معتبر بقرب نسبة الجمع (واذا
حكمت بين الناس) أي قضيت بين من يتغذ عليه أمركم أو يرضى بحكمكم (أن تحكموا بالعدل) أي
بالسواء بأن تأمروا من وجب عليه حق بأدائه الى من هو له فان ذلك من أعظم الصالحات الموجبة
لحسن المقييل في الظل الظليل أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل الحديث وروى
ان احب الناس الى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا امام عادل وان أبغض الناس الى الله
يوم القيامة وأشدّهم عذاباً امام جائر ولما أخبرهم بأمره زادهم رغبة بقوله (ان الله نعم) فيه
ادغام ميم نعم في ما التنكرة الموصوفة أي نعم شياً (يعظكم به) وهو تأدية الامانة والحكم بالعدل
وقرأ ابن عامر وحزرة والـ كـ سـ انى بفتح الذون وكسرها الباقون واختلس كسر العين قالون

وأبوهم وشعبه (إن الله كان) أي ولم يزل ولا يزال (جميعاً) لكل ما يقال (بصيراً) بكل ما يفعل
(يا أيها الذين آمنوا) أي أقرؤا بالآيمان وبدأ بها هو العمدة في العمل على ذلك فقال (أطيعوا الله)
أي فيما أمركم به (وأطيعوا الرسول) أي فيما بينه لكم (و) أطيعوا (أولى) أي أصحاب (الامر)
أي الولاية (منكم) أي إذا أمرتكم بالطاعة لله ورسوله سواء كان ذلك في عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم أم بعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وأمر السرية روى أنه صلى الله عليه وسلم قال
السمع والطاعة على المرء فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة وروى أنه صلى الله عليه
وسلم خطب في حجة الوداع فقال اتقوا الله وصلوا رحمكم وصلوا أنفسكم وصوموا وشهركم وأدوا
زكاة أموالكم وأطيعوا إذا أمركم تدخلوا الجنة ربكم وقيل المراد بأولي الأمر أبو بكر وعمر
انقوله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر وقال عطاء هم المهاجرون
والانصار والتابعون لهم بإحسان بدليل قوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار والذين اتبعوهم بإحسان روى أنه صلى الله عليه وسلم قال مثل أصحابي وأمتي كالملح
في الطعام ولا يصلم الطعام إلا بالملح قال الحسن فقد ذهب لمخالف كيف نصلم وقيل المراد علماء
الشرع لقوله تعالى ولورثه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم
(فإن تنازعتم) أي اختلفتم (في شئ فردوه إلى الله) أي كتابه (والرسول) أي مدة حياته وبعد
وفاته إلى سنته أي اكشفوا عليه منهما والرد إلى الكتاب والسنة واجب إن وجد فيه ما فإن لم
يوجد فسيبيله الاجتهاد وقيل الرد إلى الله والرسول أن يقول لما لا يعلم الله ورسوله أعلم (إن
كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أي فإن الآيمان يوجب هذا (ذلك) أي الرد إليهما (خير)
لكم من التنازع والقول بالرأي (وأحسن تأويلاً) أي من تأويلكم بلا رداً وعاقبة (ألم تر إلى
الذين يزعمون أنهم آمنوا) أي أوجدوا هذه الحقيقة وأوقعوها في أنفسهم (بما أنزل إليك) أي
القرآن (وما أنزل من قبلك) أي التوراة والإنجيل قال الأصمعي ولا يستعمل أي الزعم
في الأكثر إلا في القول الذي لا يتحقق يقال زعم فلان كذا إذا شك فيه فلا يعرف كذبه أو صدقه
(يريدون أن يتصاكروا إلى الطاغوت) أي الباطل المغرق في البطولان وقيل هو كعب بن
الاشرف روى عن ابن عباس أن بشر المنافق خاصم يهودياً فقال اليهودي تنطلق إلى محمد صلى
الله عليه وسلم وقال المنافق بل إلى كعب بن الاشرف فأبى اليهودي أن يخاصمه إلا إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المنافق ذلك أتى معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا إلى عمر رضي
الله عنه فأتيا عمر فقال اليهودي اختصمت أنا وهذا إلى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه
وزعم أنه يخاصم إليك فقال عمر للمنافق كذا قال نعم فقال لهما عمر مكانكما حتى أخرج البكما
فدخل وأخذ سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق وقال ~~هكذا~~ أقضى لمن لم يرض بقضاء الله
ورسوله فنزلت هذه الآية وقال جبريل عليه السلام إن عمر فرق بين الحق والباطل فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم أنت الفاروق والطاغوت على هذا هو كعب بن الاشرف سمى بذلك

لغرب طغيانه أو تشبيهه بالشيطان أولان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل
 عليه (وقد) أي والحال انهم قد (أمروا) بمن له الامر في كل ما أنزل اليك من كتاب وما قبله (أن
 يكفروا به) أي بالشيطان فحق تحاكموا اليه كانوا مؤمنين به كافرين بالله وهو معنى قوله (ويريد
 الشيطان) أي بإرادتهم ذلك التحاكم اليه (أن يضلهم) أي المتحاكم اليه (ضلالا بعيدا) أي
 بحيث لا يمكنهم معه الرجوع الى الهدى وما ذكر ضلالهم بالارادة ورغبتهم في التحاكم الى الطاغوت
 ذكر فعلهم فيه في نقرتهم عن التحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (واذا قيل لهم) أي من
 أي قائل كان وقرأ هشام والكسائي بضم القاف والباقون بالكسر وتقدم ذكر الادغام لابي عمرو
 (تعالوا) أي اقبلوا رافعين أنفسكم من وهاد الجهل الى شرف العلم (الى ما أنزل الله) أي الذي
 عنده كل شيء (والى الرسول) أي الذي تجب طاعته لاجل مرسله مع انه أكمل الرسل الذين هم
 أكمل الخلق رسالة (رأيت المنافقين يصدون) أي يعرضون (عنك) الى غيرك وكذلك بقوله
 (صدودا) أي هو أعلى طبقات الصدود (فكيف) يكون حالهم (إذا أصابتهم مصيبة) أي عقوبة
 كقتل عمر رضي الله عنه المنافق (بما قدمت أيديهم) أي من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك
 ومن الكفر بغير ذلك أي أيقدرون على الاعراض والفرار منها لا وتم الكلام ههنا وقوله
 تعالى (ثم جاؤك) أي حين يصابون للاعتذار معطوف على يصدون وما يلبس ما اعتراض
 (يحقون بالله ان) أي ما (أردنا) أي بالحق كدعة الى غيرك (الا احسانا) أي صلحا (وتوفيقا) أي
 تأييدا بين الخصمين ولم ترد محافتك وقيل جاء أصحاب القليل طالعين بدمه وقالوا ما أردنا بالتحاكم
 الى عمر الا أن يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه بالتقريب في الحكم دون الحمل على
 من الحق (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) أي من النفاق والبغض للاسلام وأهله
 وان اجتهدوا في اخفائه وكذبهم في حقائقهم وعذرهم (فأعرض عنهم) أي عن عنايتهم بالصفح
 لانهم أقل من أن يحسب لهم حساب (ولكن) مظهرهم أي خوفهم الله القادر على استئصالهم
 (وقل لهم في أنفسهم) أي في شأنها وأخاليهم -م فان النصيح في السر أجمع (قولا بليغا) أي
 مؤثرا فيهم -م أي ازجرهم ليرجعوا عن كفرهم وقيل هذا منسوخ بآية القتال ولما أمر الله
 تعالى بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذم من حاكم الى غيره وهدده وختم تهديده بأمر النبي
 صلى الله عليه وسلم بالاعراض عنه والوعظ له فكان التقدير فخا أرسلناك وغيرك من الرسل
 الا للرفق بالامة والصفح عنهم والدعاء لهم على غاية الجهد والنصيحة عطف عليه قوله (وما أرسلنا
 من رسول الا ليطاع) أي فيما بأمر به ويحكم لان منصبه الشريف يقتضي ذلك (بإذن الله)
 أي بإرادته من أنه يطاع فلا يعصى ولا يخالف (ولو أنهم إذ) أي حين (ظلموا أنفسهم) أي
 بالتصاكنم الى الطاغوت وغيره (جاؤك) أي تائبين (فاستغفروا الله) بالتوبة والاخلاص
 (واستغفروا) أي شفيع (لهم الرسول) أي اعتذروا اليه حتى انتصب لهم شفيعا وانما عدل عن
 الخطاب تفخيما لثأنه (لوجدوا الله توابا) عليهم (رحيما) بهم وقرأ أبو عمرو وبادغام الراء في اللام
 بخلاف عنه (فلا وربك) أي فو ربك ولا مزيدة لتأكيد القسم (لا يؤمنون) أي يوجدون هذا

الوصف ويجدونه (حتى يحكموك) أى يجعلوك حكماً (فيماشجر) أى اختلاف واختلط (بينهم)
من كلام بعضهم لم لبعض للتنازع حتى كانوا كغصان الشجرة في التداخل والتضايق
(ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً) أى نوعاً من الضيق (مما قضيت) به عليهم (ويسلموا تسليماً) أى
وينقادوا لك انقياداً بطواهرهم وبواطئهم وفي الصحيح أن الآية نزلت في الزبير وخصمه له من
الانصار وقد شهد بدرًا في شراج من الحرة كانوا يستقيان بها الخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم
للزبير اسق يا زبير ثم ارسل الى جارك فغضب الانصارى وقال يا رسول الله أن كان ابن عمك
فتاؤن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر واستوف
حقك ثم ارسله الى جارك وقيل نزلت في بشر المنافق واليهودى اللذين اختصما الى عمر
(ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم) كما أمرنا بنى اسرائيل أو تعرضوا به للقتل بالجهاد
وان مصدرية أو مفسرة لان كتبنا فى معنى أمرنا وقرأ أبو عمرو وعاصم وحزة والكسائي بكسر
النون فى الوصل والباقون بالضم (أو اخرجوا من دياركم) أى التى هى لاشبـاحكم كائنا حكمكم
لارواحكم توبة لربكم (ما فعلوه) أى المكتوب عليهم أى انما كتبنا عليهم الاطاعة لله ورسوله
والرضا بحكمه ولو كتبنا عليهم القتل والخروج من الديار ما كان يفعل (الا قليل منهم) قال
الحسن ومقاتل لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وناس من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل والله لو أمرنا ففعلنا والحمد لله الذى عافانا فبلغ
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال ان من أمتى لرجالا الايمان أثبت فى قلوبهم من الجبال الرواسى
وقرأ ابن عامر قليلاً بالنصب على الاستثناء والباقون بالرفع على البدل (ولو أنهم) أى هؤلاء
المنافقين (فعلوا ما وعظون به) من طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم (لكان خيرا لهم) فى عاجلهم
وأجلهم مما اختاروه لانفسهم (وأشد تنبيهاً) أى تحقيقاً للايمانهم (واذا) أى لو ثبتوا (لا يتناهم
من لدنا) أى من عندنا (أجر أعظيماً) وهو الجنة (ولهديناهم صراطاً مستقيماً) يصلون بسلوكة
جنات القدس وتفتح لهم أبواب الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
رواه أبو نعيم فى حديثه روى أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه وفحل جسمه يعرف
الحزن فى وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بى مرض
ولا وجع غير أنى اذالم أراك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة وأخاف
أن لا أراك لأنك ترفع مع النبين وانى ان دخلت الجنة كنت فى منزلة أدنى من منزلة لك وان لم
أدخل الجنة لا أراك أبداً فأنزل الله تعالى (ومن يطع الله) فى امتثال أو امره والوقوف عند
زواجره (والرسول) أى فى كل ما أراه فان منصب الرسالة يقتضى ذلك لاسيما من بلغ نهايتها
(فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) أى معدود من حزبهم فهو بحيث اذا أراد زيارتهم أو رؤيتهم
وصل اليهم بسهولة وقوله تعالى (من النبين والصديقين والشهداء والصالحين) بيان للذين حال
منه أو من ضميره قسمهم أربعة أقسام بحسب منازلهم فى العلم والعمل وحث كافة الناس على

أن لا يتأخروا عنهم وهم الانبياء القاترون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة
 التكميل ثم السديقون الذين سعدت نفوسهم تارة بمراقى النظر في الحجج والآيات وأخرى
 بمعارض التصفية والرياضات الى أريج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء وأخبروا عنهم على
 ما هي عليه ثم الشهداء الذين أدى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا
 مهجتهم في اعلاء كلمة الله تعالى ثم الصالحون الذين صرفوا أعمارهم في طاعته وأموالهم في
 مرضاته (وحسن) أى وما أحسن (أو ائلك) أى العالمون الاخلاق السابقون (رفيقا) من
 الرفق وهو ابن الجبابرة ولطافة الفعل وهو ما يستوى واحده وجمعه أى رفيقا في الجنة بأن يستمتع
 فيها برؤيتهم ورواياتهم والحضور معهم وان كان مقرهم في درجات عالية بالنسبة الى غيرهم
 روى عن أنس رضى الله تعالى عنه أن رجلا قال يا رسول الله الرجل يحب قوما ولم يلحق بهم قال
 النبي صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب وروى أيضا أن رجلا قال يا رسول الله متى الساعة
 قال وما أعددت لها فلم يذكر كثيرا إلا أنه يحب الله ورسوله قال فانت مع من أحببت وقوله تعالى
 (ذلك) أى كونهم مع من ذكر مبتدأ خبره (الفضل من الله) أى تفضل به عليهم لانهم نالوه
 بطاعتهم (وكفى بالله علما) أى بجزاء من أطاعه أو عقادير الفضل واستحقاق أهل روى أبو هريرة
 رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قاربوا وسددوا واعلموا أنه لا ينجو أحد
 منكم بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته منه وفضل (يا أيها
 الذين آمنوا) أى أقروا بالايمن (خذوا حذركم) من عدوكم أى احتذروا منه وتيقظوا له والحذر
 الحذر كالإثر لاثر (فأنفروا) أى اخرجوا الى قتاله مسرعين (ثبات) أى جماعات متفرقين سرية
 فى اثر سرية يتجمع شتوهى الجماعة من الرجال فوق العشرة (أو أنفروا جميعا) أى محجمة كوكبة
 واحدة قال البيضاوى والآية وانزلت فى الحرب لكن يقتضى اطلاق لفظها وجوب المبادرة
 الى الخيرات كلها كيفما أمكن قبل القوات (وان منكم) الخطاب لعسكر النبي صلى الله
 عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين (لمن يبطن) أى لمتأخرين ولينثاقلن عن القتال وهم
 المنافقون كعبد الله بن أبى المنافق وأصحابه وانما قال منكم لاجتماعهم مع أهل الايمان فى
 الجنسية والنسب واظهار الاسلام لافى حقيقة الايمان (فان أصابكم مصيبة) كقتل وهزيمة
 (قال) هذا المتبطن جهلا منه وغلظة (قد أنعم الله على إذ) أى حين (لم أكن معهم شهيدا) أى
 حاضر أصاب (ولئن) لام قسم (أصابكم فضل) أى فتح ونظر وغنمة (من الله) الذى كل شئ
 بيده (ليقولن) نادى على ما فاته من الاغراض الدنيوية وأكده تنبيهها على فرط تحسره وقوله
 تعالى (كان) مخففة واسمها محذوف أى كأنه (لم تكن بينكم وبينه مودة) أى معرفة وصداقة
 رجع الى قوله قد أنعم الله على اعتراض بين القول ومقوله وهو (يا) للتنبيه (ليتنى كنت معهم
 فأفوز) أى بشاركتهم فى ذلك (فوزا عظيما) أى أخذ حظا وافرا من الغنمة وقرأ ابن كثير وحفص
 بالتاء فى تكن على التانيث والباقون بالياء على التثنية ولما بين أن محط رجال القاعد
 عن الجهاد الدنيا علم أن قصد الجهاد لا آخره فقال تعالى (فليقاتل فى سبيل الله) أى لاعلاء

دينه (الذين يشرون) أي يبيعون برغبة (الحياة الدنيا بالآخرة) وهم المؤمنون والمعنى ان تباطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المجاهدون الباذلون أنفسهم في طلب الآخرة ويشرون أي يأخذون وهم المتباطئون فيختارونهم على الآخرة والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم وفي هذا استعمال للمشتراك في مدلوليه (ومن يقاتل في سبيل الله) لاعلاء دينه (فيقتل) أي يستشهد (أو يغلب) أي يظفر به - دقه (فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) أي ثواباً جزيلًا وانما وعد الله الا بر العظيم غلب أو غلب ترغيباً في القتال وتكذيباً لقول المتبطئ قد أنعم الله على - اذ لم يكن معهم شهيداً وانما قال فيقتل أو يغلب تنبيهاً على أن المجاهد ينبغي أن يشب في المعركة حتى يعد نفسه بالشهادة أو الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء كلمة الحق واطهار الدين روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجهم من بيته الا لجهاد في سبيله وتصديق كلمته أن يدخله الجنة أو يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنية وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القات الصائم الذي لا يقتر من صلاة ولا صيام حتى يرجعه الله الى أهله انما يرجعه من غنية وأجر أو يتوفاه ويدخله الجنة وقوله تعالى (وما لكم لا تقاتلون) استفهام توبيخ أي لا مانع لكم من القتال (في سبيل الله) لاعلاء دينه وقوله تعالى (والمستضعفين) عطف على اسم الله أي وفي سبيل المستضعفين وهو تحريضهم من الاسر ووصونهم عن العدو وقوله تعالى (من الرجال والنساء والولدان) بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين حبسهم الكفار عن الهجرة واذوهم قال ابن عباس كنت أنا وأمي منهم وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيهاً على تناهي المشركين بحيث بلغ أذاهم الولدان وان دعوتهم أجيب بسبب مشاورتهم في الدعاء حتى يشاركوا في استئصال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد بهم العبيد والاماء وهم جمع وليد (الذين يقولون) أي داعين يا ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها أي بالكفر (واجعل لنا من لدنك) أي من عندك (ولياً) يتولى أمرنا (واجعل لنا من لدنك نصيراً) بمنعنا منهم وقد استجاب الله تعالى دعاءهم فيسر لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى أن فتحت مكة له صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن أسيد يفتح الهمة وكسر السنين فحماهم ونصرهم حتى صاروا أعز أهلها وكان حينئذ ابن ثمان عشرة سنة والقرية مكة والظالم صفتها وتذكره لتذكير ما أسند اليه فان اسم الفاعل أو المفعول اذا جرى على غير من هوله كان كالفعل يذكر ويؤث على حسب ما عمل فيه (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله) أي في طاعة الله (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) أي في طاعة الشيطان (فقاتلوا) أيها المؤمنون (أولياء الشيطان) أي حزبه وجنوده وهم الكفار (ان كيد الشيطان) أي مكروه المؤمنين (كان ضعیفاً) بالاضافة الى كيد الله تعالى بالكافرين لا يعتد به فلا تخافوا أولياءه فان اعتمداهم على أضعف شيء وأوهنه كما فعل الشيطان يوم بدر لما رأى الملائكة خاف أن تأخذه فهرب وخذله (ألم ترائي الذين قيل لهم كفوا أيديكم) أي عن قتال الكفار وهم جماعة من العصاة كانوا يلحقون

من المشركين أذى كثيرا قبل أن يهاجروا ويقولون يا رسول الله ائذن لنا في قتالهم فانهم قد اذونا
 فيقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا أيديكم فاني لم أؤمر بقتالهم (وأقيموا الصلاة
 وآتوا الزكاة) فلما هاجروا الى المدينة وأمرهم الله تعالى بقتال المشركين شق ذلك على بعضهم
 كما قال تعالى (فلما كتب) أي فرض (عليهم القتال) قرأ أبو عمرو بكسر الهاء والميم في الوصل
 وحزة والكسافي بضم الهاء والميم في الوصل وأما الوقف فالجميع يسكنون الميم وحزة بضم
 الهاء على أصله وكسرها الباقيون (إذا فربق منهم يخشون) أي يخافون (الناس كخشية الله)
 أي كخشيتهم من الله (أو أشد خشية) من خشيتهم له • (تنبيه) • نصب أشد على الحال
 وجواب لما دل عليه إذا وما بعده أي فاجاءتهم الخشية (وقالوا) جزعا من الموت (ربنا)
 لم كتب علينا القتال لولا) أي هلا (أخرتنا الى أجل قريب) وهو الموت أي هلا تر كتبنا حتى
 نموت يا آجالنا واختلفوا في هؤلاء الذين قالوا ذلك فقبل قاله قوم من المنافقين لان قوله لم كتب
 علينا القتال لا يليق بالمؤمنين وقيل قاله جماعة من المؤمنين لم يكونوا راضين في العلم قالوه
 خوفا وجبنا لا اعتقادا ثم تابوا وأهل الايمان يتفاضلون فيه وقيل هم قوم كانوا مؤمنين فلما
 كتب عليهم القتال نافقوا من الجبن وتخلعوا عن الجهاد وقرأ البرزى في الوقف لم بهاء بعد الميم
 بخلف عنه والباقيون بالميم بغير هاء والهاء ساقطة في الوصل للجميع (قل) لهم يا محمد
 (متاع الدنيا) أي ما يتتبع به فيها والاستمتاع بها (قليل) أي آيل الى الزوال (والآخرة)
 أي ثوابها وهو الجنة والنظر الى الله تعالى (خير لمن اتقى) عقاب الله بترك معاصيه روى
 أنه صلى الله عليه وسلم قال ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم اصعبه في اليم فلينظر
 به يرجع (ولا تظلمون) أي تنقصون من أعمالكم (فتيلا) أي قد رما يكون في شق النواة
 كما مر عن عكرمة وقرأ ابن كثير وحزة والكسافي بالياء على القيبة والباقيون بالتاء على
 الخطاب ونزل في المنافقين الذين قالوا في قلبي أحد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا (آيما
 تكونوا) أيها الناس كلكم مطيعكم وعاصيكم (يدرككم الموت) أي فانه طالب لا يقوته هارب
 واختلف كتاب المصاحف في رسم آيما هنا فخرج من كتب ما مقطوعة من اين ومنهم من وصلها
 (ولو كنتم في روج) أي حصون روج داخل روج أو كل واحد منكم داخل روج (مشيدة) أي
 مرتفعة كل واحد منها شاهق في الهواء منيع فلا تخشوا القتال خوف الموت ونزل في اليهود
 لما قالوا حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ما زلنا نعرف النقص في شمارنا ومزارعنا
 منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه (وان تصيبهم) أي اليهود (حسنة) أي خصب ورخص في
 السعر (يقولون هذه من عند الله) لنا لا مدخل لك فيها (وان تصيبهم سيئة) أي جدد وغلاء في
 الاسعار (يقولون هذه من عندك) أي من شؤم محمد وأصحابه وقيل المراد بالحسنة الظفر
 والنعمة يوم بدر والسبئية القتل والهزيمة يوم أحد يقولون هذه من عندك أي انت الذي جعلتنا
 عليه يا محمد فعل هذا يكون هذا قول المنافقين (قل) لهم يا محمد (كل) أي الحسنة والسبئية
 (من عند الله) ثم عبرهم بالجهل فقال (فما هؤلاء القوم) أي اليهود والمنافقين (لا يكادون)

يفقهون) اى لا يقاربون ان يشهروا (حديثا) يوعظون به وهو القرآن لانهم لو فهموه وتدبروا
 معانيه لعلموا ان السكل من عند الله او حديثا ما يلقى اليهم كيهاتم لا افهام لهم وما استفهام تهيب
 من فرط جهلهم وفي مقاربة الفعل اشتد من نفيه (ما اصابك) اى أيها الانسان (من حسنة) اى
 نعمة دنيوية او اخروية (فمن الله) انتك تفضلا منه والايان احسن الحسنات قال الامام انهم
 اتفقوا على ان قوله من احسن قولاً من دعا الى الله المراد به كلمة الشهادة (وما اصابك من سيئة)
 اى بلية وامر تكرهه (فمن نفسك) انتك حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذنوب (فان قيل)
 كيف الجمع بين قوله تعالى قل كل من عند الله وبين قوله فمن نفسك (اجيب) بأن قوله قل كل
 من عند الله اى الحصب والجذب والنصر والهزيمة كلها من عند الله وقوله فمن نفسك اى
 ما اصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك كما قال تعالى وما اصابكم من مصيبة
 فبما كسبت ايديكم وقبل ان هذه الآية متصلة بما قبلها والقول فيه مضمرة تقديره فبالهؤلاء
 القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن
 نفسك قل كل من عند الله (وارسلناك) يا محمد (للناس) اى كافة وقوله تعالى (رسولا) حال قصد
 بها التاكيد (وكفى بالله شهيدا) على ارسالك بنصب المجهزات ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم
 من اطاعنى فقد اطاع الله ومن احببني فقد احب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل
 الا ان تتخذ ربا كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم نزل (من يطع الرسول فقد اطاع الله)
 لانه في الحقيقة مبلغ والا امر هو الله تعالى (ومن تولي) اى اعرض عن طاعتك فلا يمسك
 (فما ارسلناك) يا محمد (عليهم حفيظا) اى حافظا لاعمالهم وتحاسنهم عليها انما عليك البلاغ
 وعليها الحساب فنجازيهم وهذا قبل الامر بالقتال (ويقولون) اى المنافقون اذا امرتهم
 بشئ من امرنا وهم يحضرونك (طاعة) اى امرنا وشأنا طاعة اى نطيعك فيما تأمرنا به
 (فاذا برزوا) اى خرجوا (من عندك) بيت طائفة منهم (اى اضمرت) (غير الذى تقول) لك في
 حضورك من الطاعة اى عصمتك وقرأ ابو عمرو ووجزة بادغام التاء فى الطاء فانهم اعند عما ساكنة
 اى التاء فاذا ساكنت التاء قبل الطاء وجب ادغامها فيها والباقون بالاظهار فان التاء عندهم
 مفتوحة (والله يكتب) اى بأمر يكتب (ما يبتون) اى ما يسرون من النفاق في صماتهم
 ليمازوا عليها (فأعرض عنهم) اى قلل المبالاة بهم (وتوكل على الله) اى ثقبه فانه كافيك معرتهم
 وينتقم لك منهم (وكفى بالله وكيل) اى مفوض اليه (افلا يتدبرون) اى يتأملون (القرآن)
 وما فيه من المعاني البديعة (ولو كان من عند غير الله) اى ولو كان من كلام البشر كما زعم
 الكفار (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) اى تناقضا في معانيه وتباينا في نظمه فكان بعضه فصحا
 وبعضه ركيكا وبعضه تصعب معاوضته وبعضه تسهل وتختلفا عن الصدق في الاخبار عن الغيب
 بما كان وما يكون افلا يتفكرون فيه فيعرفون عدم التناقض فيه وصدق ما يخبرهم به انه كلام
 الله ولان ما لا يكون من عند الله لا يخالو عن تناقض واختلاف والمراد من التقييد بالكثير
 المبالغة في اثبات الملازمة اى لو كان من عند غير الله للزم ان يكون فيه اختلاف كثير فضلا عن

القليل لكنه من عند الله فليس فيه اختلاف لا كثير ولا قليل (واذا جاءهم) أي المنافقين
(أمر) أي خبر عن سرايا النبي صلى الله عليه وسلم (من الأمن) أي الغنية (أو الخوف) أي
القتل والهزيمة (إذا عوا به) أي افشوه وكانت أذاعتهم مفسدة والباء مزيدة ولتضمن
الأذاعة معنى التحدث وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث السرايا فإذا غلبوا
بأدرا المنافقون يستخبرون عن حالهم فيفضونه ويتحدثون به قبل أن يحدث به رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيضعفون به قلوب المؤمنين ويتأذى النبي صلى الله عليه وسلم (ولورده) أي ذلك الخبر
(إلى الرسول) أي لم يحدثوا به حتى يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يحدث به (والأولى
الأمر منهم) أي ذوى الرأي من الصحابة كابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم
(أعلمه) على أي وجه يذكر أي (الذين يستنبطونه منهم) أي يستخرجون تدابيره بتجاربهم وانظارهم
هل ينبغي أن يكتفى أو يفشى (ولولا فضل الله عليكم) بالاسلام (ورحمته) لكم بإرسال الرسل
وانزال القرآن (لاتبعن الشيطان) فيما يأمركم به من الكفر والمعاصي (القليلا) أي منكم
فأنهم لا يتبعونه حفظا من الله بما وهبهم الله من جميع العقل والعصمة تقال في حق غير الأنبياء أيضا
لأنها المنع من المعصية والمكن الشائع أن يقال في حق النبي معه ومرفى حق غيره محفوظ
(فقاتل) يا محمد (في سبيل الله لا تكلف الانفسك) فلا تهتم بتخلفهم عنك أي قاتل ولو وحده
فانك موعود بالنصر من الله وليس النصر الا بيده وما كان ليا أمرك بشيء الا وأنت كقوله فانت
كفؤا مقاتله الكفار وان كانوا أهل الارض كلهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واعد أباسفيان بعد حرب أحد موسم بدر الصغرى في ذى القعدة فلما بلغ الميعاد ودعا الناس الى
الخروج فكرهه بعضهم فأنزل الله هذه الآية * (تنبه) * الفاء في قوله تعالى فقاتل في سبيل الله
قال البغوي جواب عن قوله تعالى ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا
عظيما فقاتل انتهى (وحرض المؤمنين) أي حثهم على القتال ورغبهم فيه اذا ما عليك في شأنهم الا
التحريض (عسى الله أن يكف بأس) أي حرب (الذين كفروا) وعسى في كلام الله وعد واجب
الوقوع بخلافها في كلام الخلق (والله أشد بأسا) أي صولة منهم (وأشد تنكيلا) أي عقوبة
منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يخرجن ولو وحدي فخرج بسبعين راكبا
الى بدر الصغرى فكف الله بأس الذين كفروا بالقضاء الرعب في قلوبهم ومنع أباسفيان من
الخروج كما تقدم في سورة آل عمران (من يشفع شفاعة حسنة) راعى بها حق مسلم بأن دفع عنه
بها ضررا أو جلب اليه نفعا ابتغاء وجه الله ومنها الدعاء للمسلم قال صلى الله عليه وسلم من دعا
لاخيه المسلم بظهر الغيب استحبيب له وقال له الملك ولك مثله أي مثل ذلك أي ودعاء الملك لا يرد
(يكن له نصيب) أي أجر (منها) أي بسببها قال أبو موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا اذا جاءه رجل يسأل أو يطلب حاجة أقبل علينا بوجهه فقال
اشنعوا فلتؤجروا وليقبض الله على لسان نبيه ما شاء (ومن يشفع شفاعة سيئة) مخالفة للشرع
(يكن له كفل) أي نصيب من الوزر (منها) أي بسببها (وكان الله على كل شيء مقبلا) قال ابن

عباس مقتدر ايجازيا قال الشاعر

وذى ضغن (أى رب صاحب حقد) كفت الضغن عنه

وكنى على اسائه (أى اساءتى لذى الضغن) مقبلا

أى مقتدرا وقال مجاهد شاهدا وقال قتادة حفيظا وقيل معناه على كل حيوان مقبلا أى يوصل
القوت اليه وجاء فى الحديث كنى بالمرء انما أن يضيع من يقوت (واذا حبيتم بخصمة فقبوا بأحسن
منها) التحية هى دعاء الحياة ولكن جمهور المفسرين على أن ذلك فى السلام أى اذا سلم عليكم
مسلم فأجيبوه بأحسن مما سلم فاذا قال السلام عليكم فيزيد الراد ورحمة الله فاذا قال ورحمة الله
فيزيد الراد وبركاته (أوردوها) أى بأن ترد عليه بمثل ما سلم روى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم السلام عليكم فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليكم ورحمة الله فقال
وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال وعليك أى
السلام ورحمة الله وبركاته فقال الرجل نقصتني أى الفضل على سلامى فأين ما قال الله أى من
الفضل وتلا الآية فقال لم تتركنى فضلا فرددت عليك مثله لأن ذلك هو النهاية لاستجماعه اقسام
المطالب وهى السلامة من المضار وحصول المنافع وثبوتها وظاهر الآية أنه لو رد عليه بأقل مما سلم
عليه به أنه لا يكتفى وظاهر كلام الفقهاء أنه يكتفى وتحمل الآية على أنه الاكل وابتداء السلام
على المسلم سنة عين من المنفرد وكفاية من الجماعة وردة فرض عين اذا كان المسلم عليه واحدا
وكفاية من الجماعة ويشترط فى الرد الفور والوجوب مستقادم من الامر والقور من الفاء
وأما كونه كفاية فلغير أبى داود ويجزئ عن الجماعة اذا مروا أن يسلم احدهم ويجزئ عن
الجلوس ان يردا احدهم والراد منهم هو المختص بالشواب ويسقط الحرج عن الباقيين وان أجابوا
كاهم كانوا مؤدين للفرض سوا كانوا مجتمعين ام متفرقين كصلاة الجنائزة ولا يسقط الفرض
برد الصبي المميز (فان قيل) قد سقط به فرض الصلاة عن الجنائزة (أجيب) بأن المقصود من
الصلاة الدعاء والصبي أقرب الى الاجابة والمقصود من السلام الامان والصبي ليس من أهله
ولا يسقط أيضا بردهم لم يسمع ولو سلم على امرأة ان كان يساح له النظر اليها كحرمه وزوجته
يسن له السلام عليها ويجب عليها الرد والاكراه ابتداء وردا وحرم عليها ابتداء وردا هذا
اذا كانت مشتهاة فان كانت عجوزا أو جماعة نسوة لم يكره ويجب الرد لا تنفاه خوف الفتنة
ولا يسن ابتداؤه على قاضى حاجة ولا على أكل ولا على من فى حمام ولا على مصل وموذن
وخطيب ومب ومستغرق القاب بالدعاء ولا يجب الجواب عليهم ويحرم ابتداؤه على الكافر
ويرد عليه اذا سلم عليك فقط وهذا باب طويل قد بينته السنة وقد أكثرت منه فى شرح المنهاج
(أن الله كان) أى أنزل وأبدأ (على كل شئ حسيبا) أى محاسبا فيجازى عليه وقال مجاهد حفيظا
وقال أبو عبيدة كفايا يقال حسبى هذا أى كفى وقوله تعالى (الله لا اله الا هو) مبتدأ وخبر
وقوله تعالى (لجميعكم) اللام لام القسم أى والله ليجمعنكم الله من قبوركم (ألى) فى يوم
القيامة) ومعيت بذلك لأن الناس يقوون من قبورهم قال تعالى يوم يخرجون من الاجداث

سرا عا وقيل اقيامهم الى الحساب قال تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين (لاريب) أى لا شك
 (فيه) أى فى ذلك اليوم ارفى الجع (ومن اصدق من الله حديثا) أى قولاً (فان قيل) الصدق
 لا يماوت كالعالم اذ لا يقال هذا اصدق اصدق من هذا الصدق كما لا يقال هذا العلم أعلم من هذا
 العلم (أجيب) بأن الصدق صفة للقائل لا صفة للحديث أى لا أحد غير الله اصدق منه لأن غيره
 يتطرق الى خبره الكذب وذلك مستحيل فى حقه تعالى والانبيا مخبرون عن الله تعالى وقرأ حجة
 والكسافى باشماع الصاد أى بحرف متولد بين الصاد والزاي (فما لكم) أى فمأشأنكم صرتم
 (فى المناققين) أى فى أمرهم (فتين) أى فرقتين ولم تتفقوا على صك كفرهم وذلك ان ناس منهم
 استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا
 را حلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا المشركين فاختلف المسلمون فى اسلامهم وقال مجاهد هم قوم
 خرجوا الى المدينة واسلموا ثم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى مكة ليأتوا
 بضائع لهم فيخرجون فيها فخرجوا وأقاموا بمكة واختلف المسلمون فيهم فقال يقولهم منافقون
 وهائل يقولهم مؤمنون وقال قوم فى الذين تخلفوا يوم أحد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض
 الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قتلهم فأنهم منافقون وقال بعضهم اعف عنهم فأنهم
 تكلموا بالاسلام (والله أركسهم) أى فكسهم بأن صيرهم الى النار وأردهم الى حكم الكفرة
 (بما كسبوا) من الكفر والمعاصي (أتريدون أن تهتدوا من أضل الله) أى أن تعذبونهم من جملة
 المهتدين والاستغفار فى الموضوعين للانكار (ومن يضلل الله) أى ومن يضلل الله (فلن تجد له
 سبيلا) أى طريقا الى الهدى (ودوا) أى تمنوا (لو تكفرون كما كفروا فتكونون) أنتم وهم
 (سواء) فى الكفر * (تنبيه) * قوله تعالى فتكونون لم يرد به جواب التثنية لأن جوابه بالغاء منصوب
 وانما أراد الفسق أى ودوا لو تكفرون ودوا لو تكونون سواء مثل قوله ودوا لو تدن فيدهنون
 أى ودوا لو تدن ودوا لو يدهنون (فلا تتخذوا منهم أولياء) أى فلا تولوهم وان اظهروا
 الايمان (حتى يهاجروا فى سبيل الله) معكم هجرة صحيحة تحقق ايمانهم قال عكرمة هى هجرة أخرى
 والهجرة على ثلاثة أوجه هجرة المؤمنين فى أول الاسلام وهى قوله تعالى للفقراء المهاجرين وقوله
 تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ونحوهما من الآيات وهجرة المنافقين وهى
 خروج الشخص مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صابرا محتسبا بالالاغراض الدنيا وهى المرافقة هنا
 وهجرة عن جميع المعاصي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر ما نهى الله عنه (فان
 تولوا) أى اعرضوا عن التوحيد والهجرة وأقاموا على ما هم عليه (فخذوهم) أى بالأسر
 (واقتلوهم حيث وجدتموهم) أى فى حل أو فى حرم كسائر الكفرة (ولا تتخذوا منهم ولدا) تولونه
 (ولا نصيرا) تتصرون به على عدوكم أى بل جابوهم بمجانبة كلية وقوله تعالى (الا الذين يصلون)
 استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم أى الا الذين يصلون أى ينتهون (الى قوم بينكم وبينهم ميثاق)
 أى عهد بالامان لهم ولمن وصل اليهم كما عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقت خروجه الى مكة هلال
 ابن عمير الأسلى على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ماله وقوله تعالى

(أَوْ جَاؤُكُمْ) عطف على الصلة أي أو الذين جاؤكم وقوله تعالى (حَصْرَتْ) أي ضاقت حال باضمار قد
 أي وقد ضاقت (صَدْرُهُمْ) أي عن قتالكم مع قومهم (أَوْ يقاتلوا قومهم) معكم أي
 ممكن عن قتالكم وقتالهم فلا تتعرضوا لهم باخذ ولا قتل وهذا وما بعده منسوخ بآية القتال
 وقرأ نافع وابن كثير وعاصم بإظهار تاء تأنيث حصرت عند الصاد وأدغمها الباقون (ولو شاء الله)
 تسليطهم عليكم (لسلطهم عليكم) بأن يقوى قلوبهم وييسر طردهم ويرزق الرعب (فلقاتلواكم)
 ولكنه لم يشأ فأتى في قلوبهم الرعب (فان اعتزلواكم فلم يقاتلواكم) أي بأن لم يتعرضوا لكم (وألحقوا
 اليكم السلم) أي الاسلام والانقياد (فاجعل الله لكم عليهم سبيلا) أي طريقا لاخذ أو القتل
 (سجدون) أي عن قريب بوعده لا شك فيه (آخرين) أي من المنافقين روى عن ابن عباس أنه
 قال هم أسد وغطفان كانوا حاضري المدينة فكلموا بالاسلام رياه وهم غير مسلمين وكان الرجل
 منهم يقول له قومه بماذا أسلمت فيقول آمنت بهذا القرد وبهذا العقرب والخنفساء وإذا القوا
 أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا ناعلي دينكم يريدون بذلك الامن من الفريقين كما قال
 تعالى (يريدون أن يأمنواكم) بإظهار الايمان عندكم (ويأمنوا قومهم) بإظهار الكفر إذا رجعوا
 اليهم (كلارذوا) أي دعوا (الى الفتنة) أي الكفر (اركسوا) أي انقلبوا منكوسين (فيها) أي
 الفتنة أقمع قلب (فان لم يعتزلواكم) أي بترك قتالكم (ويأقوا) أي ولم يلقوا (اليكم السلم ويكفوا) أي
 ولم يكفوا (أيديهم) عن قتالكم (نخذوهم) أي بالاسر (واقتلوهم حيث تقتضوهم) أي وجدتموهم
 (وأواثكم) أي أهل هذه الصفة (جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) أي حجة واضحة في التعرض لهم
 بالقتل والسبي لظهور عدوتهم ووضوح كفرهم (وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا) أي ما ينبغي
 أن يصدر منه قتل له بغير حق (الخطأ) أي مخطئا في قتله من غير قصد نزات في عباس بن ربيعة
 وذلك انه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة وأسلم ثم خاف أن يظهر الاسلام
 لاهله فخرج هاربا الى المدينة وتحصن في أطعم من أطامها فجزعت أمته لذلك جزعا شديدا وقالت
 لانيها الحرث وأبي جهل ابني هشام وهما أسخواء لامته والله لا يظلمني سعة ولا أذوق طعاما
 ولا شرابا حتى تأتيا به فخرج في طلبه وخرج معهم ما الحرث بن زيد حتى أتوا المدينة فأثروا عياشا
 وهو في الأطعم وقالوا له انزل فان أمثك لم يأوهنا سقف بيت بعدك وقد خلقت أن لا تأكل طعاما
 ولا تشرب شرابا حتى ترجع اليها ولك والله علينا عهد أن لا نكرهك على شيء ولا نحول بينك
 وبين دينك فلما ذكر والله ذلك أي جزع أمته وأوثقوا بآله نزل اليهم فأخرجوه من المدينة ثم أوثقوه
 وجلده كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا به الى أمته فلما أتاهما قالت له والله لا أحلك من وثاقتك
 حتى تمكفر بالذي آمنت به ثم تركوه وثوقا وطروحا في الشمس ما شاء الله فأعطاهم الذي أرادوا
 فأناه الحرث بن زيد فقال يا عياش أهدا الذي آنت عليه فوالله لئن كان هدى لقد تركت الهدى
 ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لا أقال خاليا أبدا الا قتلتك
 ثم إن عياشا بعد ذلك أسلم وهاجر ثم أسلم الحرث بن زيد بعده وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وليس عياش حاضرا يومئذ ولم يشعر بالسلامة فيه فغضب عياش بظهور قباء اذ لقي الحرث فقتله فقال

الناس ويحك أي شيء صنعت أنه قد أسلم فرجع عياش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له
 قد كان من أمري وأمر الحرب ما قد علمت وإني لم أشعر بإسلامه حتى قتلته فنزلت الآية (تنبية)
 قوله تعالى لا خطأ أماً منصوب على الحال أي وليس من شأن المؤمن أن يقتل مؤمناً في حالة من
 الأحوال إلا حال الخطأ وأما مفعول لاجله أي لا يقتله لعله لا للخطأ وقيل الابعني ولا أي ليس له
 قتله في حال من الأحوال ولا خطأ تطير قوله تعالى إني لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم وقوله
 لا لا يكون للناس على الله حجة إلا الذين ظلموا منهم (ومن قتل مؤمناً خطأ) كان قصدي غيره
 كصيد أو شجر فاصابه (فحري رقبته) أي فعله أي فواجبه تحرير رقبة كاملة الرق فلا يجزى
 مكاتب كآبة صحيحة ولا أم ولد والتحرير الاعتناق ويعبر عن النسخة بالرقبة كما يعبر عنها بالرأس
 (مؤمنة) أي محكوم بإسلامها وإن كانت صغيرة ولو كان إسلامها بتبعية الدار والسبي سليمة عما
 يحل بالعمل (ودية مسلمة) أي مؤداة (إلى أهله) أي ورثة المقتول يقتسمونها كسائر
 الموارث (الأن يصدقوا) أي يصدقوا به عليه بأن يعقوا عنها وسمى العفو عنها صدقة
 حياء عليه وتنبه على فضله قال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وينت السنة أن دية
 الخطأ مائة من الإبل عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون
 حقة وعشرون جذعة وإن عاقلة القاتل تحصلها عنه وهم عصيته لأصله وفرعه موزعة
 عليهم على ثلاث سنين على الغنى منهم نصف دينار والمتوسط ربع دينار كل سنة فإن لم يفوا فنيت
 المال فإن تعذر فعلى الجاني (فإن كان) أي المقتول (من قوم عدو لكم) أي محاربين (وهو)
 أي والحال أنه (مؤمن) أي ولم يعد له القتال إيمانه (فحري) أي فالواجب على القاتل تحرير
 (رقبة مؤمنة) ولادية تسلم إلى أهله إذا وراثته بينه وبينهم لأنهم محاربون (وإن كان) أي المقتول
 (من قوم) أي كفرة أيضاً عدو لكم (بينكم وبينهم ميثاق) أي عهد — كأهل الذمة وهو كافر
 مثلهم (فدية) أي فالواجب فيه دية (مسلمة) أي مؤداة (إلى أهله) وهي ثلث دية المؤمن إن كان
 نصرانياً أو يهودياً تحل من أخته وثلاث عشرة لها إن كان مجوسياً أو كتابياً لا تحل من أخته
 (وتحري رقبته مؤمنة) على قاتله (فمن لم يجد) أي الرقبة بأن فقدوها وما يحصلها به (فصيام) أي
 فالواجب عليه صيام (شهرين متتابعين) حتى لو أفطر يوماً واحداً الفرج يحض أو نفاس وجب
 الاستئناف ولم يذكر تعالى الانتقال إلى الطعام كالظهار وبه قال الشافعي رضي الله تعالى عنه
 في أصح قوليه وقوله تعالى (توبة من الله) نصب على المصدر أي وتاب عليكم توبة أو على المفعول له
 أي وشرع لكم ذلك توبة مأخوذة من تاب الله عليه إذا قبل توبته (وكان الله) أي ولم يزل
 (عليها) أي بأحوالكم وبما يصلحكم في الدنيا والآخرة (حكيماً) فيما دبره لكم من نصب
 الزواجر بالكفارات أو غيرها فالزيموا وأمره وباعدوا زواجره لتفوزوا بالعلم والحكمة (ومن
 يقتل مؤمناً متعمداً) بأن يقصد قتله بما يقتل غالباً عالم بالإيمانه (فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب
 الله عليه ولعنه) أي أبعد من رحمته (وأعد له عذاباً عظيماً) في النار وهذا مخصوص بالمستصل له
 كما قاله عكرمة وغيره ويؤيده أن الآية نزلت في قيس بن ضبابه وبعد أخاه هشاماً قتيلاً في بني

النجار ولم يظهروا له فأمسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدفعوا إليه دية فدفعوا إليه ثم
 جعل على مسلم فقتله ورجع إلى مكة ثم تداوا المراد من الآية التغليظ كقوله تعالى والله على
 الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غفي عن العالمين على تفسير من كفر
 بمن لم يحج وكقوله صلى الله عليه وسلم للمقداد لا تقتله فإن قتلته فإنه بمنزلة ذلك قبل أن تقتله وإنك
 بمنزلة قبل أن تقول الكلمة التي قال أو أن هذا جزاؤه أن جوزى ولا بدع في خلف الوعيد لقوله
 تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والمراد بالخلود المكث الطويل فإن الدلائل متظاهرة على أن
 عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم ولهذا لم يذكر في الآية أبدا وما روى عن ابن عباس أنه قال
 لا تقبل نوبة قاتل المؤمن عمدا كما رواه الشيخان أراد به التشديد كما قاله البيضاوي أذ روى عنه
 خلافة رواه البيهقي في سننه ويثبت آية البقرة أن قاتل العمد يقتل به وإن عليه الدية أن عني عنه
 وسبق قدرها ويثبت السنة أن بين العمد والخطا قتلا يسمى شبه العمد وهو أن يقتله بما لا يقتل غالبا
 فلا قصاص فيه بل فيه دية كالعمد في الصفة والخطا في التأجيل والحل وهو أي العمد أولى
 بالكفارة من الخطا (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم) أي سافرت للجهاد (في سبيل الله فتبينوا) روى
 أن سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت أهل فدك فهربوا وبقي رجل يقال له مرداس لأنه كان
 على دين المسلمين فلما رأى الخيل خاف أن يكونوا من غير أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجأ
 غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد هو إلى الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فلما سمع
 التكبير علم أنهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر ووزل وهو يقول لا إله إلا الله محمد
 رسول الله السلام عليكم فتغشاها أسامة بن زيد فقتله واستاق غنمه فنزلت ثم رجعوا إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وأخبروه فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقد كان
 سبقهم قبل ذلك الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلتموه وأراد ما معه ثم قرأ رسول الله
 صلى الله عليه وسلم هذه الآية على أسامة بن زيد فقال يا رسول الله استغفر لي فقال وكف بلا إله
 إلا الله قال أسامة غزال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتررها على حتى وددت أني لم أكن أسلت
 إلا يومئذ ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لي ثلاث مرات وقال اعتق رقبة وقال
 عكرمة عن ابن عباس قال ماز رجل من بني سليم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ومعه غنمه فلم عليهم قالوا ما سلم عليكم إلا ليعوذ منكم فقاموا فقتلوه وأخذوا غنمه وأتوا بها
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقرأ سورة والكسائي بالثناء المثلثة مكان الباء الموحدة
 وبالباء الموحدة مكان اليا المثناة تحت وبالثناء المثناة فوق مكان النون فهو من التثنية والباقون
 من البيان (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام) أي لمن حياكم بخصية الاسلام وقرأ نافع وابن عامر
 وحجة بغير ألف بعد اللام من السلام أي الاستسلام والانقياد والباقون بالالف (لست
 مؤمنا) وإنما فعلت ذلك متعوذا (تبتغون عرض الحياة الدنيا) أي تطلبون ماله الذي هو حطام
 سريع التفاد (فعند الله مغنم كثيرة) تغنيكم عن قتل من سلب ماله (لذلك كنتم من قبل) أي
 أول ما دخلتم في الاسلام نفوهم بكلمة الشهادة فحقت بها أموالكم ودماءكم من غير أن تعلم

مواطاة قلوبكم ألسنتكم (فَنَ اللهُ عَلَيْكُمْ) أى بالاشتهار بالايمان والاستقامة فى الدين (فتبينوا)
أى وافعلوا بالاداخلين فى الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا انهم دخلوا انتقاما
وخوفا فان بقاء ألف كافر أهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تأكيده عظيم الامر
بالتبيين وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم (ان الله كان) ولم يزل (بما تعملون خبيرا) أى عالما
به وبالغرض منه فيجازيكم به فلا تتساهلوا فى القتل واحتاطوا فيه (لا يستوى القاعدون) أى
عن الجهاد حال كونهم (من المؤمنين) روى أن زيد بن ثابت أخبر أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أُملى عليه لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله فجاء ابن أم مكتوم
وهو عليها على فقال يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت وكان رجلا أعشى فأُنزل الله تعالى
على رسوله صلى الله عليه وسلم ونخذه على نخذى فنقلت على حتى خفت أن ترض نخذى أى تكسر
ثم سرى عنه أى أزيل وكشف ما به من برحاء الوحى (غيرأولى الضرر) أى من زمانه أو عى
أو نحوه فقال اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين غيرأولى الضرر وقرأ نافع وابن عامر
والكسائى ينصب الرأى على الحال من القاعدى أو الاستثناء والباقيون بالرفع صفة للقاعدى
لأنه لم يقصد به قوم بأعيانهم بل أراد به الجنس كما فى قوله * ولقد أمر على اللثيم يسبنى * فصح
جعل غير صفة للقاعدى (والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) أى لا مساواة بينهم وبين
من قعد عن الجهاد من غير علة * (تنبيه) * فائدة ذكر قوله تعالى لا يستوى القاعدون الخ تذكير
ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد فى الجهاد ورفع الرتبة واتقاء عن الخطا منزلة وروى
أنه صلى الله عليه وسلم قال لما رجع من غزوة تبوك ودنا من المدينة قال ان فى المدينة لاقواما
ماسرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم
بالمدينة حبسهم العذر (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدى) (الضرر
درجة) أى فضيله لا استوائهما فى النية وزيادة المجاهد بالمباشرة (وكلا) من القاعدى للضرر
والمجاهدين (وعند الله الحسنى) أى الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيّتهم وانما التفاوت فى زيادة
العمل المقتضى لمزيد الثواب (وفضل الله المجاهدين على القاعدى) لغير ضرر (أجرا عظيما)
ويبدل منه (درجات منه) أى منازل بعضها فوق بعض من الكرامة وقوله تعالى (وهخرة
ورحمة) منصوبان بفعلهما المقدر (وكان الله) أى ولم يزل (غفورا) لاولى لاته (رحيما) بأهل
طاعته وروى أبو سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أيها عبيد من رضى بالله
ربا وبالاسلام ديننا وبعهد نبينا وجبت له الجنة قال فمحببهم أبو سعيد فقال أعدها يا رسول الله
ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة فى الجنة ما بين
كل درجتين كما بين السماء والارض فقال وماهى يا رسول الله قال الجهاد فى سبيل الله وعن أبي
هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله وأقام
الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان كان - قاعلى الله أن يدخله الجنة جاهد فى سبيل الله أو جلس
فى أرضه التى ولد فيها قالوا يا رسول الله أفلا تنذر الناس بذلك فقال ان فى الجنة مائة درجة

أعدّها الله للمجاهدين في سبيله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فإذا أسألتهم فاسألوه
 الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وقوفه عرش الرحمن ومنه تفرغ أنهار الجنة وإنما يجب
 الجهاد على كل مسلم مكلف حرد كاستطيع له وهو فرض ككفاية للآية المتقدمة إذا كان
 الكفار يبلادهم ويجب على الإمام أن يغزوهم في كل عام مرة بنفسه أو بنبأه أو بشخص الثغور
 بما يقاوم العدو وأما إذا دخلوا بلادنا والعباد بالله تعالى تعيين على أهل البلدة وعلى من دون
 مسافة القصر حتى على فقير وولد ومدين ورفيق بلاذن ويجب على من هو في مسافة القصر
 بقدر الكفاية وإن أسروا وسلموا من الهوى لخلاصه إن رجي وإن لم يدخلوا بلادنا ونزل
 في جماعة أسلموا ولم يهاجروا فلما خرجوا إلى بدر جمعوا معهم فقتلوا مع الكفار (إن الذين توفاهم
 الملائكة) أي ملك الموت وأعوانه أو ملك الموت وحده كما قال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي
 وكل بكم والعرب قد تخاطب الواحد بلفظ الجمع (طالمى أنفسهم) أي في حال ظلمهم أنفسهم بترك
 الهجرة وموافقة الكفرة بالمقام في دار الشرك فإن الهجرة كانت واجبة قبل فتح مكة ثم نسخ
 الوجوب بعد فتحها فقال صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح وقرأ البرزى بتشديد التاء المثناة
 فوق من توفاهم في الوصل والبقاء والتخفيف وأدغم أبو عمر والتاء في الظاء بخلاف عنه
 والبقاءون بغير ادغام (قالوا) أي الملائكة لهم (فيم كنتم) أي في أي شيء كنتم من أمر
 دينكم وقرأ البرزى فيهم بالهااء بعد الميم في الوقف بخلاف عنه (قالوا) معذرين مما وجبوا به
 (كأستضعفين) أي عاجزين عن اظهار الدين واعلاء كلمته (في الأرض) أي في أرض مكة
 (قالوا) أي الملائكة تكذبا لهم وتوبيخا (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) من أرض
 الكفر إلى بلد أخرى كما فعل غيركم من المهاجرين إلى المدينة والحبيشة قال تعالى (فأولئك ما وأهم
 جهنم) أي لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار (وساءت مصيرا) أي جهنم وفي الآية دليل على
 وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من إقامة دينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من
 قريدين من أرض إلى أرض وإن كان ما بينهما شبرا استوجب أي وجبت له الجنة وكان رفيق
 أبيه إبراهيم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم استثنى أهل العذر منهم فقال (الاستضعفين) أي
 الذين وجد ضعفهم في نفس الأمر وعدوا ضعفاء وتقوى عليهم غيرهم (من الرجال والنساء
 والولدان) ثم بين ضعفهم بقوله (لا يستطيعون حيلة) أي لا قوة لهم على الهجرة ولا نفقة لهم
 (ولا يهتدون سبيلا) أي طريقا إلى أرض الهجرة (فأولئك عسى الله أن يعفو) أي يتجاوز
 عنهم (وعسى من الله واجب للاطماع والله تعالى إذا أطمع عبده بشئ أو صله إليه ولكن
 في ذكر الاطماع والعفو إذا بان أن أمر الهجرة مضيق لا توسعة فيه حتى إن المضطر البين
 الاضطرار من حقه أن يقول عسى الله أن يعفو عني فكيف بغيره (وكان الله عفوا غفورا) قال
 ابن عباس كنت أنا وأمي عن عذر الله أي من المستضعفين وكان صلى الله عليه وسلم يدعوهم هؤلاء
 المستضعفين في كل صلاة قال أبو هريرة كان إذا قال سمع الله لمن حده في الركعة الأخيرة من صلاة
 العشاء قنت يقول اللهم أفرح عياش بن ربيعة اللهم أفرح الوليد بن الوليد اللهم أفرح سلمة بن هشام

اللهم ألهج المستضعفين من المسلمين اللهم أشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين
 كسفي يوسف (ومن بهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مرغماً كثيراً) أي متحولا يتحول اليه
 وقيل طريقا يرغم بسلوكة قومه أي يفارقهم على رغبهم مأخوذ من الرغام والرغم الذل
 هو الهوان وأصله اصوصق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره
 مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك (و) يجدد (سعة) في الرزق كما قال صلى الله عليه وسلم صوموا تصحوا
 وسافروا تنفخوا أخرجه الطبراني عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ولفظه واغزو وانفخوا
 وهاجروا تنفخوا ولما سمع هذه الآية رجل من بني قيس يقال له جندب بن ضمرة قال ما أنا بمن
 امتثنى الله عز وجل واني لأجد حيلة ولي من المال ما يبلغني المدينة وأبعد منها والله لا أيت الله إلا
 بمكة أخرجوني فخرجوا به يحملونه على سريره حتى أتوا به التسعيم فادركه الموت فصق بيمينه على
 شمالك ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبيابك على ما يابك عليه رسولك فأت قال التقنا زاناً في
 الظاهر أن هذه إشارة إلى اليمين وهذه إلى الشمال لا قصد استناد الجارحة إلى الله تعالى بل على
 سبيل التصوير وتغثيل مبايعة الله تعالى على الإيمان والطاعة بمبايعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أي وقيل إشارة إلى البيعة والصفقة والمعنى أن يبعته كبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بيعة
 كبيعة الناس فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وافى المدينة كان أتم
 وأوفى أجر وأضحك المشركون وقالوا ما أدرك هذا ما طلب فتزل (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى
 الله ورسوله ثم يدركه الموت) أي في الطريق قبل مقصده (فقد وقع أجره على الله) أي ثبت أجره
 عنده تعالى ثبوت الاجر الواجب تفضلاً منه ورحمة (وكان الله غفوراً) لتقصيره ان كان (رحيماً)
 يكرم بعد المغفرة بأنواع الكرامات ولما أوجب الله السفر للجهاد والهجرة وكان مطلق السفر مظنة
 المشقة فكيف بدفعهما مع ما ينضم إلى المشقة فيهما من خوف الأعداء ذكر تخفيف الصلاة
 بالقصر بقوله تعالى (واذا ضربتم) أي سافرت (في الأرض) سفر طويلاً لا غير معصية والطويل
 عند الشافعي رحمه الله تعالى أربعة برد وهي مرحلتان كما ثبت ذلك بالسنة وعند أبي حنيفة رحمه
 الله تعالى ثلاثة أيام ولياليهن بسير الابل ومشي الأقدام على القصد وقوله تعالى (فليس عليكم
 جناح) أي اثم وميل في (أن تقصروا من الصلاة) أي من أربع إلى ركعتين وذلك في صلاة
 الظهر والعصر والعشاء يدل على جواز القصر دون وجوبه وبؤيده أنه عليه الصلاة والسلام
 أتم في السفر كما رواه الشافعي وغيره وعن عائشة رضي الله تعالى عنها اعترت مع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة حتى اذا قدمت مكة قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي
 قصرت وأتممت وصمت وأفطرت فقال أحسنت يا عائشة وما عاب علي رواه الدارقطني وحسنه
 البيهقي وصححه وكان عثمان رضي الله عنه يتم ويقصر وأوجب القصر أبو حنيفة لقول عمر
 رضي الله تعالى عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير مصر على لسان نبيكم رواه الشافعي وابن
 ماجه واقول عائشة رضي الله عنها أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فأقرت
 في السفر وزيدت في الحضر رواه الشيخان (فان قيل) ظاهرهما يخالف الآية (أجيب) بأن

الاول مؤول بأن القصر كالتمام في الصلوة والاجزاء ومعنى الثاني لمن أراد الاقتصار عليها بما
 بين الادلة وقوله تعالى (ان خفتن ان يفتنكم الذين كفروا) أى ينالوكم بكمركه بيان باعتبار
 الغالب في ذلك الوقت فلا مفهوم له قال يعلى بن أمية قلت لعمرانما قال الله تعالى ان خفتن وقد
 أمن الناس قال قد عجببت مما عجببت منه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق
 الله بها عليكم فاقبلوا صدقته رواه مسلم (ان الكافرين كانوا) أى جيله وطبعا (لكم عدوا مينا)
 أى بين العدوة وقوله تعالى (واذا كنت) أى يا محمد حاضرا (فيهم) أى وأنتم تخافون العدو
 (فأقت لهم الصلاة) تمك بغفوه من خص صلاة الخوف بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وعامة
 الفقهاء على أنه تعالى علم نبيه صلى الله عليه وسلم كيفيةها ليقضى به الائمة بعده فانهم تواب عنه
 فيكون حضورهم كحضوره روى ان المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
 قاموا الى الظهر يصلون جميعا ندبوا أن لا كانوا أكبروا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم
 بعدها صلاة هي أحب اليهم من آياتهم وأبنائهم وهي صلاة العصر فاذا قاموا فيها فشدوا عليهم
 فاقتلوهم فنزل جبريل فقال يا محمد انهم صلاة الخوف وان الله يقول واذا كنت فيهم فأقت لهم
 الصلاة فعلمه صلاة الخوف وهي أنواع * الاول اذا كان العدو في جهة القبلة ولا سائر والمسلمون
 كثيرون فيصلى بهم الامام ثم يسجد بصف أول ويجرس صف ثان فاذا قاموا سجد من حرس وطهقه
 وسجد معه بعدة تقدمه وتأخر الاول بلا كثرة أفعال في الركعة الثانية وحرس الآخرون فاذا
 جلس لتشهد جلس الآخرون وتشهد وسلم بالجميع روى هذا النوع مسلم وقد صلاه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لم يبعثان وهي قرية على من حلتين من مكة بقرب خديص سميت بذلك لعسف
 السبول فيها وجازعكس هذه الكيفية * والنوع الثاني اذا كان العدو في غير جهة القبلة أو فيها
 وشم سائر فيصلى الامام بهم ركعتين مرتين كل مرة بفرقة كما قال تعالى (فلتقم طائفة منهم معك)
 أى وتتأخر طائفة (ولياخذوا) أى الطائفة التي قامت معك (أسلحتهم) معهم (فاذا سجدوا) أى
 صلوا (فليكنوا) أى هذه الطائفة الاخرى (من ورائكم) يحرسون الى أن تقضوا الصلاة
 وتذهب هذه الطائفة الاخرى تحرس (ولتأت طائفة أخرى) تحرس (لم يصلوا فليصلوا معك
 وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) معهم الى أن يقضوا الصلاة وقد فعل صلى الله عليه وسلم ذلك بيطن
 فخل رواه الشيخان وهذه الصلاة وان جازت في غير الخوف سنت فيه عند كثرة المسلمين وقلة عدوهم
 وخوف هجومهم عليهم في الصلاة (فان قيل) أخذ الحذر وهو الخوف مع التكفؤ مجاز
 وأخذ الأسلحة حقيقة فلا يجمع بينهما (أجيب) بأن أخذ الحذر حقيقة أيضا تنزله منزلة الآية
 على سبيل الاستعارة بالكناية فالجمع انما هو بين حقيقتين على أن الجمع بين الحقيقة والمجاز جائز كما
 عليه الشافعي رضى الله تعالى عنه (فان قيل) لم ذكر أخذ الحذر في الثانية دون الاولى (أجيب) بأن
 الكفار يتنبهون للثانية ما لا يتنبهون للاولى والنوع الثالث صلاة ذات الرقاع رواها الشيخان أيضا
 وهي العدو في غير جهة القبلة أو فيها وشم سائر أن تقف فرقة في وجه العدو ويصلى الامام بفرقة
 ركعة ثم عند قيامه للثانية تفارقه وتم بقية صلاتها وتقف في وجه العدو في الثانية والامام

ينظر إليها فيصلي بها ثمانية فإذا جلس للشهادة قامت وأنت برصعة وتطهقه ويسلم بها ويصلي
 الثلاثية بفرقة ركعتين وبالثانية ركعة وهو أفضل من عكسه ويصلي الرابعة بكل فرقة ركعتين
 بوقتي نوع رابع تقدم عند قوله تعالى فان خفتم فرحالا أو ربكنا (ود) أي غنى (الذين كفروا لو
 تغفلون) إذا قمتم إلى الصلاة (عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) بأن يحملوا
 عليكم فيأخذوكم وهذه على الأمر بأخذ السلاح ولما كان الله تعالى قد تفضل على هذه الأفة
 ورفع عنها الحرج وكان المطر والمرض يشقان قال (ولاجتراح) أي حرج (عليكم أن كان بكم
 أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) لأن حمل السلاح في المطر يكون سببا للبله
 وفي المرض يزيد حملها المريض وهنا هو هذا بقصد إيجاب حملها عند عدم العذر وهو أحد قولي
 الشافعي والثاني أنه سنة ويرجع بشرط أن لا يؤذى ولا يحصل بترك حمله خطر ولا يمنع صحة الصلاة
 فان أذى كرمح وسط الصف كره حمله بل ان غلب على ظنه ذلك حرم وان حصل بتركه خطر وجب
 حمله ويمكن حمل الآية على هذه الحالة وكلمة وضعه بين يديه ان سهل متديدا إليه بل يتعين ان يمنع
 حمله الصحة من نجس أو غيره (وخذوا حذركم) من العدو وأي احتراز وامنه ما استطعتم كيلا
 يهجم عليكم (فان قيل) كيف طابق الأمر بالحذر قوله تعالى (ان الله أعد للكافرين عذابا)
 أي قتلا وأسرا ونها في الدنيا (مهينا) أي ذاهنا (أجيب) بأن الأمر بالحذر من العدو
 يوهم توقع غايته واغتراره فنفى عنهم ذلك الإيهام بأخبارهم أن الله تعالى يمين عدوهم ويخذله
 وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم ويعلموا أن الأمر بالحذر ليس لذلك وانما هو تعبد من الله تعالى
 كما قال تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ولما أعلمهم بآية معلون في الصلاة حال الخوف اتبع ذلك
 ما يعلون بعد ذلك لا يظن أنها تغني عن مجرد الذكرك فقال مشيرا إلى تعقيبها (فاذا قضيت الصلاة)
 أي فرغتم من فعلها وأدتتموها على حالة الخوف أو غيرها (فاذكروا الله) أي بالتلهيل والتسبيح
 والحمد والتعجب (قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم) أي مضطجعين أي اذكروا في كل حال
 وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل
 أحيانه وقيل صلوا قياما في حال الصحة وقعودا في حال المرض وعلى جنوبكم عند الحرج
 والزمانة (فاذا اطمانتم) أي أمنتكم بما كنتم فيه من الخوف (فاقيموا الصلاة) أي أدوها
 بحقوقها على الحالة التي كنتم تفعلونها قبل الخوف (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا) أي
 مكتوبا أي مقروضا (موقوتا) أي مقدرا وقتها لا تؤخر عنه ولا تقدم عليه قال صلى الله عليه وسلم
 أمي جبريل عند البيت مرتين فصلي بي الظهر حين زالت الشمس والعصر حين كان ظله أي الشيء
 مثله والمغرب حين أفطر الصائم أي دخل وقت أفطاره والعشاء حين غاب الشفق الأحمر والفجر
 حين حرم الطعام والشراب على الصائم فلما كان الغد صلى بي الظهر حين كان ظله مثله والعصر
 حين كان ظله مثله والمغرب حين أفطر الصائم والعشاء إلى ثلث الليل والفجر فأفطر وقال هذا
 وقت الأنبياء من قبلك رواء أبو داود وغيره وصححه الحاكم وغيره وقوله صلى الله عليه وسلم فصل
 الظهر حين صار ظله مثله أي فرغ منها حينئذ كما شرع في العصر في اليوم الأول حينئذ قاله

الشافعي رضي الله عنه نافيًا به اشتراكهم ما في وقت ويدل له خبر مسلم وقت الظهر اذا زالت
 الشمس ما لم يحضر العصر ونزل لما بعث صلى الله عليه وسلم طائفة في طلب أبي سفيان وأصحابه
 لما رجعوا من أحد فشمروا الجراحات (ولاتموا) أي تضعفوا (في ابتغاء القوم) أي في طلب
 أبي سفيان وأصحابه (ان تكونوا تألمون) أي تتوجعون من ألم الجراح (فأنهم يألمون) أي
 يتوجعون من الجراح (كما تألمون) ولم يجنبوا عن قتالكم فلا تجنبوا عن قتالهم (وترجعون)
 أنتم (من الله) من النصر والثواب على جهادكم (ملا يرجون) هم فأنتم تزيدون عليهم بذلك
 فيجب أن تكونوا أوغب منهم في الحرب وأصبر عليها (وكان الله عليا) بأعمالكم وضمائمكم
 (حكيمًا) أي فيما يأمر وينهى (أما أنزلنا إليك الكتاب) أي القرآن وقوله تعالى (بالحق) متعلق
 بأنزل (لتحكم بين الناس بما أراكم) الله أي عرفكم وأوحى به اليك وليس أرى من الرؤية بمعنى
 العلم والالاستدعي ثلاثة مفاعيل وعن عمر رضي الله تعالى عنه لا يقولن أحدكم قضيت بما
 أراني الله فإن الله لم يجعل ذلك الالئيه ولكن ليحتمد رأيه لأن الرأي من رسول الله صلى الله عليه
 وسلم كان مصيبا لأن الله تعالى كان يريه إياه وهو من الظن والتكليف وروى الكلبي عن أبي
 صالح عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في رجل من الانصار يقال له طعمة بكسر الطاء
 وقصها والاول أفصح ابن أبيرق من بن ظفر بن الحسرت سرق درعاً من جاره يقال له قتادة بن
 النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق يثتم من خرق فيه حتى انتهى الى الدار
 ثم أخبأها عند رجل من اليهودي يقال له زيد بن السمين فالتفت الدرع عند طعمة فلم توجد وحالف
 ما أخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا الى منزل اليهودي فأخذوها فقال
 دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهودي فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم واسألوه ان يجادل عن صاحبهم فقالوا ان لم تفعل اقتضض صاحبنا فهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أن يفعل لانه يرى بحلفه وان يعاقب اليهودي لثبوت المال عنده وقيل هم أن يقطع يده
 فقال تعالى (ولا تكن للفاشين) كطعمة (خصيماً) أي محاصمًا مدافعاً عنهم (واستغفر الله) أي
 عما هممت به أي من الذب عنه وهذا الاستغفار لا عن ذنب اذ هو منزّه عن ذلك معصوم ولكن عن
 مقام عال سام للارتقاء الى أعلى منه وأتم (ان الله كان عفواً رحيماً) لمن يستغفره (ولا تجادل
 عن الذين يحتلون أنفسهم) أي يخونونهم بالمعاصي لأن وبال خيانتهم عليهم (فان قيل) لم قال
 للفاشين ويحتلون أنفسهم والخائن واحد فقط (أجيب) بأنه جمع ليتناول طعمة وكل من خان
 خيانتة أو ليتناولوه وقومه فأنهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على براءته وخاصهوا عنه وقيل
 ان هذا خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره كقوله تعالى فان كنت في شك مما
 أنزلنا إليك والاستغفار في حق الانبياء بعد النبوة على أحد وجوه ثلاثة اما الذنب تقدم على
 النبوة أو لذنب أمته أو لمباح جاء الشرع بتصريحه فيتركه بالاستغفار فالاستغفار يكون معناه
 السمع والطاعة لحكم الشرع (ان الله لا يحب) أي يعاقب (من كان خواناً) أي كثير الخيانة
 (أنبياء) أي منهم مكافيه روى ان طعمة هرب الى مكة وارتد وثقب حائطاً ليسرق متاع أهله

في الحاقط عليه فقتله (فان قيل) لم قال خونا انا اتيما على المبالغة (أجيب) بأن الله تعالى كان
 عالما من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب المأثم ومن كانت تلك خاتمة أمره لم يشك في حاله وقبل
 اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها أخوات وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه امر بقطع يد
 سارق بغضات أمه تسكي وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ
 عبده في أول مرة (يستخفون) أي طعمة وقومه يستترون ويستنجون ويخافون (من الناس
 ولا يستخفون) أي ولا يستنجون ولا يخافون (من الله) وهو أحق أن يستنجوا ويخاف منه (وهو
 مهم) بعلمه لا يخفى عليه سرهم (اذ يبيتون) أي يدبرون ليل على طريق الامعان في الكفر
 والاتقان للرأى (مالا يرضى من القول) أي من رى اليهودى بالسرقه وشهادة الزور عليه
 والحلف الكاذب على نفيها (فان قيل) لم سمي التدبير قولا وانما هو معنى في النفس (أجيب) بأنه
 لما حدث بذلك نفسه سمي قولا مجازا قال في الكشف ويجوز أن يراد بالقول الحلف الكاذب
 الذي حلف به بعد أن بينه (وكان الله بما يعملون محيطا) أي علما وقدره لا يفوت عنه شيء وقوله
 تعالى (ها أنتم هؤلاء) خطاب لقوم طعمة أي يهودا (جادلتم) أي خاصمتم (عنهم) أي عن طعمة
 وذويه (في الحياة الدنيا) أي بما جعل لكم من الاسباب (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة)
 اذا عذبهم (أم من يكون عليهم وكيل) يتولى أمرهم ويذب عنهم أم أي لا أحد يفعل ذلك
 * (فائدة) * اتفق كتاب المصاحف على قطع أم عن من (ومن يعمل سوا) أي ذنبا يسوء به غيره
 كرمى طعمة اليهودى (أو يظلم نفسه) أي يعمل ذنبا يختص به لا يتعداه وقيل المراد بالاول
 الصغيرة والثاني الكبيرة (ثم يستغفر الله) أي يطلب من الله تعالى غفرانه بالتوبة بشرطها
 (يجد الله عفورا) أي محمدا للزلات (رحيما) أي مبالغا في اكرام من يقبل اليه كما في الحديث
 عن الله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن أتاني
 بشيء أتيت به رولة وعن أبي الدرداء رضى الله تعالى عنه ان هذه الآية فحخت من يهمل سوا
 مجزبه (ومن يكسب اثما) أي ذنبا (فانما يكسبه على نفسه) أي لا توبه راجع عليه اذا الله له
 بالمرصاد فهو مجازيه عليه فلا يعتداه وبالله قال تعالى وان أسأتم فلها (وكان الله عليما) بالغ العلم
 بدقيق ذلك وجليله فلا يترك شيئا منه (حكيم) في منعه فلا يجازيه الا بعقار ذنبه (ومن يكسب
 خطيئة) أي ذنبا صغيرا أو مالا هدفه (أو اثما) أي كبيرة أو ما كان عن عمد (ثم يرم به برأ) أي
 ينسبه الى من لم يعمل له كما فعل طعمة باليهودى (فتداحق) أي تحمل (بهمانا) أي خطر كذب
 يهت المرى به (واثما) أي ذنبا كبيرا (مبين) أي بينا يكسبه بسبب رى البرى (ولو لا فضل الله
 عليك) يا محمد (ورحمته) بالعصمة (لهمت طائفة منهم) أي من قوم طعمة أي هـ ما مؤثر عندك
 (أن يضلوك) أي عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال بتدليسهم عليك فلا ينافي ذلك أنهم قد هموا
 بذلك لان الهم المؤثر لم يوجد (وما يضلون الا أنفسهم) اذ وبال ذلك عليهم (وما يضروك من شيء)
 فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادك على ظاهر الامر لا مبلا في المحكم
 * (تنبيه) * من شيء في موضع نصب على المصلح أي شيئا من الضرر من مزيدة (وأزل الله عليك

(الكتاب) أى القرآن (والحكمة) أى السنة فأنهم ليست قرآنا يتلى وفسرت أيضا بانها علم
 الشرائع وكل كلام وافق الحق (وعلمك ما لم تكن تعلم) أى من المشكلات وغيرها غيبا وشهادة
 من أحوال الدين والدنيا (وكان فضل الله عليك عظيما) أى به ذا وبغيره من أمور لا تدخل تحت
 الحصر وفى هذا دليل على أن العلم من أشرف الفضائل (لا خير في كثير من نجواهم) أى الناس
 قوم طعمة فانهم ناجوا النبي صلى الله عليه وسلم في الدفع عنه وكذا غيرهم (الا نجوى) من أمر
 بصدقة) راجبة أو مندوبة (أو معروف) أى عمل بر وقيل المراد بالصدقة الواجبة والمعروف
 صدقة التطوع (أرأيت ما بين الناس) وسواء إصلاح ذات البين وغيرهم قال صلى الله عليه وسلم
 كلام ابن آدم كله عليه لاله الا ما كان من أمر معروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله وسمع سفیان
 رجلا يقول ما أشده هذا الحديث فقال ألم تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجواهم فهو هذا
 بعينه أو ما سمعته يقول والعصران الانسان لني خسر فهو هذا بعينه وروى أنه صلى الله
 عليه وسلم قال الا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة والصلاة قلنا بلى يا رسول
 الله قال إصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الخالقة وروى انه صلى الله عليه وسلم قال
 ليس بالكذب من أصلح بين الناس فقال خيرا أو أثنى خيرا (ومن يفعل ذلك) أى هذا المذكور
 (انقاه) أى طلب (مراضاة الله) أى لا غيره من أمور الدنيا لان الأعمال بالنيات (فسوف
 يؤتيه) أى الله في الآخرة بوعده لا خلف فيه (أجر أعظيما) هو الجنة والنظر الى وجهه الكريم
 وفى هذه الآية دلالة على أن المطلوب من أعمال الظاهر رعاية أحوال الباطن فى اخلاص
 النية وتصفية القلب من الالتفات الى غرض دنيوى وقرأ أبو عمرو وحزرة يؤتيه بالياء والباقون
 بالنون (ومن يشاقق الرسول) أى يخافقه فيما جاء به مأخوذ من الشقاق كذا من المتخالفين
 فى شق غير شق الآخر (من بعد دمايين) أى ظهر (له الهدى) أى الدليل الذى هو سببه
 (ويتبع) طريقا (غير سبيل المؤمنين) أى طريقه هم الذى هم عليه من الدين بأن يتبع غير دين
 الاسلام (نوله ما تولى) أى تبعه والى ما تولى به بأن تخلى بينه وبينه فى الدنيا (ونصله) أى ندخله
 فى الآخرة (جهنم) يحترق فيها (وساءت مصيرا) أى مرجعها هو وقرأ أبو عمرو وشعبة وحزرة نوله
 ونصله يسكون الهاء واختلس كسرة الهاء قالون ولهشام وجهان الاختلاس كقالون واشباع
 الحركة بكافى القراء (فان قيل) ما الحكمة فى ذلك الادغام فى قوله تعالى ومن يشاقق الرسول
 والادغام فى سورة المشفى قوله تعالى ومن يشاقق الله (أجيب) بأن أل فى لفظ الجلالة لازم
 بخلافه فى الرسول واللىزم يقضى النقل تخفيف بالادغام فيما حجبته الجلالة بخلاف ما حجبته
 لفظ الرسول (فان قيل) يرد هذا قوله تعالى فى سورة الانفال ومن يشاقق الله ورسوله (أجيب)
 أنه لما انضم الرسول الى الله صار المعطوف والمعطوف عليه كالشئ الواحد (ان لله لا يغفر
 ان يشرك به) أى وقوع الشرك به من أى شخص كان وبأى شئ كان (وبغفر ما) أى كل
 شئ هو (دون ذلك) أى من سائر المعاصى لكن (لم يشاء) لان جميع الامور بعشيتها روى
 ان شيئا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى شئ منكم فى الذنوب الا انى لم

أشرك بالله شيئا منه ذرئته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصي جرأة وما توهمت
 طريقة عين انى أعجز الله هربا وانى لنادم نائب مستقر فخا ترى حالى عند الله فنزلت (ومن يشرك بالله
 فقد ضل ضللا بعيدا) عن الحق فان الشرك أعظم أنواع الضلالة وبعدها عن الصواب
 والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ
 شركهم نوع افتراء وهو دعوى التبنى على الله (ان) اى ما (يدعون) اى يعبدون المشركون (من
 دونه) اى غير الله (الا انا) وهى اللات والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حتى من احياء
 العرب الا ولهم صنم يعبدونه ويسمونه انى بنى فلان وقيل كانوا يقولون فى اصنامهم هت بنات
 الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله (وان) اى ما (يدعون) اى يعبدون
 بعبادتها (الاشياء امريدا) اى خارجا عن الطاعة وهو ابليس لانه الذى امرهم بعبادتها
 واغراهم عليها فكانت طاعته فى ذلك عبادة له (لعنه الله) اى ابعدته عن رحمته (وقال)
 الشيطان المذكور (لا اتخذن من عبادك نصيبا) اى حظا (مقروضا) اى مقطوعا ادعواهم فيه
 الى طاعتي قال الحسن من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين الى النار (ولا ضلنهم) اى عن
 طريقك السوى بما سلطتني به من الوسواس وتزيين الا باطيل (ولا منينهم) اى بكل ما أقدر
 عليه من الباطل من عدم البعث والحساب ولاجنة ولا نار وغيره وألقى فى قلوبهم طول الاعمار
 وبلوغ الآمال من الدنيا والآخرة بالرجة والحنو والاحسان ونحوه مما هو سبب للتسوية
 بالتوبة (ولا امرنهم فليستكن) اى يقطعن (آذان الانعام) كما كانت العرب تفعله بالبهائم
 والسوايق التى حرموها على أنفسهم كانوا يشقون آذان الناقة اذا ولدت خمسة أبطن وجاء
 الخامس ذكر احرموا على أنفسهم الاتضاع بها (ولا امرنهم فليغيرن خلق الله) اى فطرة الله
 التى هى دين الاسلام بالكفر واحلال ما حرم الله وتحريم ما أحل الله ويدخل فى ذلك اللواط
 والسحر والوشم وهو أن يغرز الجلد بآبرة ويحشى بخويصة والوشم هو أن تحدد المرأة أسنانها
 وترققها ونحو ذلك وكان حصاه وهو حرام فى بنى آدم قال الزمخشري وعند أى حنيفة يكره شراء
 الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم وأما فى البهايم فيجوز فى
 المأكول الصغير ويحرم فى غيره وقيل للحسن رحمه الله تعالى ان عكرمة يقول المراد هنا هو
 الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود هو الوشم (ومن يتخذ الشيطان وليا)
 أى يتولاه ويطيعه (من دون الله) أى غيره (فقد خسرا تاميدا) بينا المصير الى النار
 المؤبدة عليه (يهدم) ما لا يجزئه بأن يخيّل اليهم بما يصل الى قلوبهم بالوسوسة فى شئ من
 الاباطيل انه قريب الحصول فيسعون فى تحصيله فيضيع عليهم فى ذلك الزمان ويرتكبوا
 ما لا يصل من الاهوال والهوان (ويمنهم) نيل الآمال فى الدنيا ولا بعث ولا جزاء (وما) أى
 والحال انه ما (يهدم الشيطان) بذلك (الاعزورا) أى باطلا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر
 وهذا الوعد اتماما لخواطر أوليائه (أولئك) أى الشيطان وأولياؤه (ما وأهم) أى
 مقترنهم (جهنم) يحترقون فيها (ولا يجدون عنها محيضا) أى معذلا ومهربا ولا ذكرا للكافرين

اى اتقاد واخلص عمله (لله) فلا شرك ولا سكوت الا فيما يرضاه وفي هذا الاستفهام تنبيه على
 ان ذلك منتهى ما بلغه القوة البشرية (وهو) أى والحال انه (محسن) اى مؤمن مراقب آت
 بالمحسنات تارك للسيئات لانه يعبد الله كأنه يراه وقد اشملت هذه الكلمات العشر على الدين
 كله اصلا وفرعاً مع الترغيب بالمدح الكامل لتبجعه وافهام الذم الكامل لغيره (واتبع ملة
 ابراهيم) اى الموافقة لملة الاسلام وقوله تعالى (حقيقاً) حال اى ما تلاعن الاديان كلها الى الدين
 القيم (واتخذ الله ابراهيم خليلاً) اى صفيًا خالص المحبة له وانما اعاد ذكره ولم يضره تفخيما له
 وتنصيصا على انه المدوح والخلة من الخلال فانه قد تخلل النفس وخاطها قال الزجاج
 الخليل الذى ليس فى محبته خلل والخلة الصداقة فسمى خليلاً لان الله تعالى أحبه واصطفاه
 روى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان يسمى ابا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف
 من مر به من الناس فأصاب الناس سنة فحشروا الى باب ابراهيم يطلبون الطعام وكانت المردة
 كل سنة من صديق له بمصرفه بحث غلمانة بالابل الى الخليل الذى بمصر فقال خليله لغلمانة
 لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد أصابنا ما أصاب الناس من
 الشدة فرجع غلمانة فزوا ببطحاء أى بأرض ذات حصى فقالوا لو اننا جئنا من هذه البطحاء لبرى
 الناس اننا قد جئنا بيرة فانا نأكل تصبى ان غزيرهم وابلنا فارغة فلو تأكل الغرائر ثم أتوا ابراهيم فلما
 أخبروه بذلك وسارة نائمة ساء الخبر فقلبت عيناها فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت
 سبحان الله ما جاء الغلمان قالوا بلى فقامت الى الغرائر ففتمتها فاذا هو أجود حواري أى وهو
 بضم الحاء المهملة وتشديد الواو وفتح الراء الدقيق الذى نخل مرة بعد اخرى فأمرت الخبازين
 فخبزوا وأطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد رائحة الخبز فقال من أين هذا لكم فقالت من
 خليلك المصرى فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسمي الله خليلاً (ولله ما فى السموات
 وما فى الارض) خلقا وملاك يفعل فيه ما يشاء (وكان الله بكل شئ محيطا) علما وقدره أى ولم
 يزل متصفا بذلك فهو ما أراد كان فى وعد وعيد لمطيع والعاصى لا يخفى عليه أحد منهم
 ولا يعجزه شئ (ويستقونك) أى يطلبون منك الفتوى (فى) شأن (النساء) أى فى شأن النياح
 (قل الله يفتيككم) أى يبين لكم حكمه (فيهن) والافتاء يبين الميهم (و) يفتيككم أيضا فى (ما يتلى
 عليكم فى الكتاب) أى القرآن من آية الميراث (فى نياح النساء) اى فى شأن النياح (اللاقى
 لا تؤتونهن ما كتب) أى قرص (لهن) أى من الميراث (وترغبون) أيها الاولياء (ان) أى فى ان
 أو عن ان (تفكوهن) لجمالهن أو دمامتهن قالت عائشة رضى الله تعالى عنها هى البتمة
 تكون فى حجر الرجل وهو وليها فيرغب فى نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال باقل من سنة
 صداقها وان كانت مرغوبة عنها فى قلة المال والجمال تركها وفى رواية هى البتمة تكون فى حجر
 الرجل قد شركتها فى ماله فيرغب عنها أن يتزوجها لدمامتها ويكره أن يزوجه غيرها فيدخل عليه
 فى ماله فيحبسها حتى تموت فيرثها فتهاهم الله تعالى عن ذلك (و) يفتيككم فى (المستضعفين) أى
 الصغار (من الولدان) أى أن تعطوهم حقهم لان العرب كانوا الايورثونهم كالايورثون النساء

وقوله تعالى (وان تقوموا) في محل نصب باضمار فعل أي ويا امركم ان تقوموا (للتأخي) بالقسط
 أي العدل من الميراث وغيره والخطاب للامة في ان يتطروا لهم ويسـتوفوا حقهم أو للقوام
 بالنصفة في شأنهم (وماتفعلو امن خير) أي في ذلك أو غيره (فان الله كان به عليماً) أي
 فيجاز يكمل عليه فانه اكرم الاكرمين فطيبوا انفسا وقرؤا عينا قال سعيد بن جبير كان رجل له امرأة
 قد كبرت وله منها أولاد فآراد أن يطلقها ويتزوج غيرها فقالت له لا تطلقني ودعني على ولدي
 واقسم لي من كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو وأحب الي
 فأني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم فأنزل الله تعالى (وان امرأة) مرفوع بفعل يفسره
 (خافت) أي توقعت (من بعثها) أي زوجها (نشوزاً) أي تجافيا عنها وترفعاً عن صحبتها كراهة
 لها ومنه الحقوقها (أو اعراضاً) بأن يقل محادثتها ويجالسها (فلا جناح لميها) أي الزوج
 والزوجة (ان يصالحا بينهما ما صلحا) أي في القسم والنفقة وهو ان يقول الزوج لها انك قد
 دخلت في السن واني أريد أن أتزوج امرأة شابة جميلة أو ثراها عليك في القسم لئلا ونهارا
 فان رضيتي به هذا فاقبلي وان كرهت خليت سبيلك فان رضيت كانت هي المحسنة ولا تجبر على
 ذلك وان لم ترض بدون حقها كان على الزوج أن يوفيهما حقهما من القسم والنفقة أو يسرحها
 باحسان فان أمسكها و فاحاقها مع كراهة فهو المحسن وقرأ عامر وحزرة والكسائي بضم
 الياء وسكون الصاد ولا ألف من أصل بين المتنازعين والباقيون بفتح الياء وفتح الصاد مع
 التشديد وألف بعدها وفتح اللام وفيه ادغام التاء في الاصل في الصاد وغلط ورش اللام من
 يصالحها بخلاف عنه (والصلح) بأن يترك كل منهما ما حقه أو بعض حقه (خير) من الفرقة والنشوز
 والاعراض كما يروى أن سودة كانت امرأة كبيرة أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يضارقهها
 فقالت لا تطلقني وانما بي أن ابعث في نسائك وقد جعلت نوبتي لعائشة فأمسكها رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وكان يقسم لعائشة يومها ويوم سودة ثم بين سبحانه وتعالى ما جيل عليه الانسان
 بقوله (وأحضرت الانفس الشح) أي جبلت عليه فكانها حاضرة لا تغيب عنه فلا تنكاد المرأة
 تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا ينقصه بأن يمسكها ويقوم بحقوقها على ما ينبغي اذ الزوج
 لا يكاد يسمع بنفسه اذا كرهها او خصوصاً اذا أحب غيرها والشح أقبح البخل وحقيقته الحرص
 على منع الخير (وان تحسنوا) أي في عشرة النساء وان كنتم كارهين (وتتقوا) أي النشوز
 والاعراض ونقص الحق (فان الله كان) أزلاً وأبداً (بما تعملون) أي من الاحسان والخصومة
 (خبراً) أي علمياً به وبالغرض منه فيجازيكم عليه (ولن تستطيعوا) أي توجدوا من أنفسكم
 طواعية بالغة دائمة (ان تعدلوا) أي تسووا بين النساء) أي في المحبة لان العدل أن لا يقع
 ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نساؤه فيعدل
 ويقول هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذوني فيما تملك ولا أملك رواه ابو داود وغيره وصححه الحاكم
 (ولو حرصتم) على تحزري ذلك وبالغتم فيه (فلا عملوا) أي الى التي تحبونها (كل الميل) في القسم

والنفقة فان ما لا يدرك كله لا يترك كله (فتذروها) أي تتركوا المرأة الممال عنها (كالمعلقة)
 أي التي لا هي أيم ولا ذات بعل وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كان له امرأتان عيىل الى
 أحدهما جاء يوم القيامة واحد شقيمه مائل رواه أبو داود وغيره وصححه الحاكم وروى أن عمر
 رضى الله تعالى عنه بعث الى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بمال فقالت عائشة رضى الله
 تعالى عنها الى كل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بعث عمر مثل هذا قالوا لا بعث الى القرشيات
 بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت ارفع رأسك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدل بيننا
 في القسمة بماله ونفسه فارجع الرسول فأخبره فأتتهن جميعا وكان لما ذكر رضى الله تعالى عنه
 امرأتان فاذا كان عند أحدهما لم يتوضأ في بيت الاخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر
 واحد (وان تظلموا) أي ما كنتم تفسدون من أمورهن (وتتقوا) فيما يستقبل (فان الله
 كان غفورا) أي لما في قلوبكم من الميل (رحيما) بكم في ذلك وغيره فانه أرحم الراحمين
 (وان يفرقا) أي يفترق كل من الزوجين من صاحبه بالطلاق (يقن الله كلا) منهما عن الآخر
 ببدل بأن يرزقها زوجها ويرزقه غيرها أو سلوا (من سعته) أي من فضله وكرمه (وكان الله واسعا)
 أي واسع الفضل والرحمة بخلقه (حكيمًا) أي فيما دبره لهم وفي قوله تعالى (ولله ما في السموات
 وما في الارض) أي ملكا وعبيدا تنبيه على كمال سعته وقدرته (ولقد وصينا الذين
 أوتوا الكتاب) أي جنس الكتب (من قبلكم) أي اليهود والنصارى ومن قبلهم وقوله تعالى
 (واياكم) عطف على الذين وهو خطاب لاهل القرآن (أن اتقوا الله) أي بأن اتقوا الله أي خافوا
 عقابه بأن تطيعوه وقوله تعالى (وان تكفروا) أي بما وصيتم به (فان الله ما في السموات
 وما في الارض) على ارادة القول قال التفاتراني لان الجملة الشرطية لاتصح أن تقع بعد
 أن المصدوية فلا يصح عطفها على الواقع بعدها أي وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك
 الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كالا يتفجع بشكركم وتقواكم وانما يوصيكم لرحمته
 لا لحاجته ثم تقرر ذلك بقوله تعالى (وكان الله غنيا) عن الخلق وعبادتهم (حميدا) في ذاته حمد
 أولم يحمد (ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلًا) أي شهيدا بأن ما فيهم ماله (فان
 قيل) ما فائدة تكرير الله ما في السموات وما في الارض (أجيب) بأن لكل واحدة منها وجهها
 أما الاول فعناء الله ما في السموات وما في الارض وهو يوصيكم بالتقوى فاقبلوا بوصيته وأما
 الثاني فعناء الله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا أي هو الغني المطلق فاطلبوا
 منه ما تطلبون فانه لا يتقدم عنده وأما الثالث فعناء الله ما في السموات وما في الارض وكفى
 بالله وكيلًا ولا تتوكلوا على غيره فذكرت كل مرة دلالة على شيء غير الذي قبله وكررت لان الدليل
 الواحد اذا كان دالا على مدلولات كثيرة يحسن أن يستدل به على كل واحد منها واعادته
 مع كل واحد أولى من الاكتفاء به مرة واحدة لان اعادته تفضل في الذهن ما يوجب العلم
 بالمدلول فيكون العلم الحاصل بذلك المدلول أقوى وأجمل وفي ختم كل جملة بصفة من الصفات
 الحسنى تنبيه الذهن بها الى أن هذا الدليل محتوج على أمور شريفة ومطابا جليله لا ينحصر

فيجتهد السامع في التفكير لاظهار الامر والاشتغال على صفات الكمال لان الغرض التكملي
 من هذا الكتاب صرف العقول والافهام عن الاشتغال بغير الله الى الاستغراق في معرفته
 سبحانه وتعالى وهذا التكرير عما يفيد حصول هذا المطلوب ويؤكد كده (ان يشأ يذهبكم) أي
 يفتنكم (أيها الناس) كما أوجدكم (ويأت بآخرين) أي ويوجد قوما آخرين مكانكم
 أو خلقا آخرين مكان الانس (وكان الله على ذلك) أي الاعدام والايجاد (قدرا) أي بليغ
 القدرة لا يمتنع عليه شيء أواده وقيل هذا خطاب لمن كان يعادي رسول الله صلى الله عليه
 وسلم من العرب ان يشأ يمتنكم ويأت يناس آخرين يوالونه وروى أنه لما نزلت ان يشأ يذهبكم
 الآية ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا أي سلمان
 وهم يوفارس (من كان يريد ثواب الدنيا) الخسيسة الفانية كالمجاهدين المجاهد للغنمة لقصور
 نظره على الخسيس الحاضر مع خسسته كالبهايم (فعند الله ثواب الدنيا) الخسيسة الفانية
 (والآخرة) النفيسة الباقية لا عند غيره فإله يطلب الخسيس فليطلب ما منه كن يقول ربنا
 آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة أو ليلطلب الاشرف منهما فان من غلب همته فأقبل بقلبه
 اليه وقصر همه عليه جمع له سبحانه وتعالى بينهما كن يجاهد الله خالصا يجمع له بين الآخرة
 والمغنم (وكان الله جمعا) أي بالغ السمع لكل قول وان خفي (بصيرا) أي بالغ البصر لكل ما يصر
 وان خفي (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين) أي قائمين قياما بليغا مواظبا عليه مجتهدا فيه
 (بالقسط) أي بالعدل (شهداء لله) بالحق أي تقيمون شهادتكم لوجه الله (ولو) كانت الشهادة
 (على أنفسكم) فاشهدوا عليهم بأن تقروا بالحق ولا تنكثوه (أو الوالدين والاقربين) أي ولو كانت
 الشهادة على والديكم وأقاربكم (ان يكن) أي المشهود عليه (غنيا) فلا تنزع الشهادة عليه لغناه
 طلبا لرضاه (أو فقيرا) فلا تنزع ترجماع عليه (فأله أولى بهما) أي الغني والفقير وبالنظر لهما
 فلولم تكن الشهادة لهما أو عليهما صلاحا لما شرعها * (تنبيه) * الضمير في بهما راجع الى ما دل
 عليه المذكور وهو جنس الغني والفقير لا اليهما والاول هو الضمير لكون العطف بأوفى كانه قال
 فأله أولى بجنس الغني والفقير أي بالاغنياء والفقراء (فلا تنزعوا الهوى) أي في شهادتكم
 بأن تحابوا الغني لرضاه أو الفقير رجعة له (أن تعدلوا) أي ارادة ان تعدلوا فعد بان لكم
 أن لا عدل في ذلك أو ثلاثا تعدلوا أي غلبوا عن الحق (وان تلوا) أي ألسنتكم تصرفوا الشهادة
 (أو تعرضوا) أي عن آرائها (فإن الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم به وقرأ ابن عامر وحزرة
 بضم اللام وحذف الواو الاولى والباقيون بسكون اللام وواو بن الاولى مضمومة (يا أيها الذين
 آمنوا آمنوا) أي داوموا على الايمان (بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله) محمد صلى الله
 عليه وسلم وهو القرآن (والكتاب الذي أنزل من قبل) على الرسل بمعنى الكتب أي آمنوا بجميع
 كتب الله المنزلة وقيل ان الخطاب في ذلك لاهل الكتاب روى ان ابن سلام وأصحابه قالوا يا رسول
 الله اننا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فقال لهم النبي صلى الله
 عليه وسلم بل آمنوا بالله ورسوله محمد والقرآن وبكل كتاب كان قبله فأنزل الله تعالى هذه الآية

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بضم النون من نزل وضم الهمزة من أنزل وكسر الزاي فيهما
 والباقون بفتح النون والهمزة وفتح الزاي فيهما (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه) التي أنزلها على
 أنبيائه (ورسله) أي من الملائكة والبشر (واليوم الآخر) أي الذي أخبرت به رسله وهو يوم
 القيامة أي ومن يكفر بشئ من ذلك (فقد ضل سبيلا بعيدا) عن الحق بحيث لا يكاد يعود إليه
 وقرأ قالون وابن كثير وعاصم بإظهار دال قد عند الصاد والباقون بالادغام (أن الذين آمنوا)
 أي موسى وهم اليهود (ثم كفروا) حين عبدوا العجل (ثم آمنوا) بعد عود موسى إليهم (ثم كفروا)
 بعيسى (ثم ازدادوا كفرا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (لم يكن الله ليغفر لهم) أي ماداموا
 على هذه الحالة لأنه لا يغفر أن يشرك به (ولا يهديهم سبيلا) أي طريقا إلى الحق (بشر المنافقين)
 يا محمد (بأن لهم عذابا أليما) أي مؤلما هو النار (تنبيه) وضع بشر مكان أنذرتهم كتابهم وقوله
 تعالى (الذين) بدل أو نعت للمنافقين (يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) لما يتوهمون
 فيهم من القوة وقوله تعالى (أيتقون) أي أيطاعون (عندهم العزة) استفهام انكارى أي
 لا يجدونها عندهم (فإن العزة لله جميعا) في الدنيا والآخرة ولا ينالها إلا أولياؤه قال الله تعالى
 ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (وقد) أي تتخذونهم والحال أنه قد (نزل عليكم) أي آتيتها الأمة
 الصادقين منكم والمنافقين (في الكتاب) أي القرآن في سورة الانعام النازلة بمكة المشرفة النهي
 عن مجالستهم فضلا عن ولايتهم (أن) أي انه فهي مخففة واسمها محذوف (إذا سمعتم آيات الله)
 أي القرآن (يكفروا ويسفحوا) أي يسهوا فلا تعدو معهم (أي الكافرين والمنافقين
 حتى يخوضوا في حديث غيره) أي حتى يأخذوا في حديث غير ذلك قال الضحاك عن ابن
 عباس دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع إلى يوم القيامة وقرأ عاصم نزل بفتح
 النون والزاي والباقون بضم النون وكسر الزاي (انكم إذا) أي ان قعدتم معهم (مثلهم) أي
 في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانسكار عليهم أو الكفران رضيتم به وقيل كان الذين
 بقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار هم المنافقون فقيل لهم انكم اذا مثل الاحبار في
 الكفر وبذل عليه وقوله تعالى (ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) أي القاعدون
 والمقعدو معهم كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستتراء وقوله تعالى (الذين) اما بدل من
 الذين قبله واما صفة للمنافقين واما نصب على الذم منهم (يتربصون) أي ينتظرون وقوع
 أمر (بكم) فان كان لكم فتح من الله أي ظفروا غنيمة (قالوا) لكم (ألم نكن معكم) أي في الدين
 والجهاد فاجعلوا لنا نصيبا من الغنمة (وان كان للكافرين نصيب) أي من الظفر فان الحرب
 سجال وعبر بنصيب تحقيرا لظفرهم بالنسبة لما حصل للمسلمين من الفتح (قالوا) لهم
 (ألم نستحوذ) أي نستول (عليكم) ونقدر على أخذكم وقتلكم فأبقينا عليكم (ونغنيكم من
 المؤمنين) أي من تسلطهم عليكم بما كانوا يحتاجونهم به ونشجع فيهم من الارجافات والامور
 المرعبات الصارفة لهم عن كثير من المقاصد لتصديقهم لنا لاظهارنا الايمان ومراد المنافقين
 بذلك اظهار المنة على الكافرين (فأنه يحكم بينكم) وبينهم (يوم القيامة) بأن يدخلكم الجنة

أو يستجلب به تقاعده وهو الغنى المطابق المتعالى عن النفع والضرة والاستغناء بمعنى النفي أي
 لا يعذبكم (فان قيل) لم قدم الشكر على الايمان مع أنه لا ينفع مع عدم الايمان (أجيب)
 بأن الناظر يدرك النعمة أو لا فيشكر شكرهم بما فاذا انتهت الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر
 شكره مفصلا فكان الشكر متقدما على الايمان وكأنه أصل التكليف ومداره فيؤمن به والشكر
 ضد الكفر فالكفر ستر النعمة والشكر اظهارها (وكان الله شاكرا) لأعمال المؤمنين بالاثابة
 يقبل اليسير ويعطى الجزيل (عليه السلام) بخلقه (لا يحب الله الجهر بالسوء) أي القبيح (من القول)
 من أحد أي يعاقب عليه (الامن) أي جهر من (ظلم) وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما هو فيه
 من سوء فلا يؤاخذ به قال الله تعالى ولم انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل قال
 الحسن البصري دعاؤه عليه أن يقول اللهم أعني عليه اللهم استخرج حق منه وقيل ان شتم
 أجازله ان يشتم بمثله لا يزيد عليه وقال مجاهد هذا في الضيف اذا نزل بقوم فلم يقرؤ ولم يحسنوا
 ضيافته فله ان يشتمهم ويذكر ما صنع به روى أن رجلا اضاف قوما أي نزل بهم ضيفا فلم
 يطعموه فأصبح شاكا فعوتب على الشكاية فتزات وعن عتبة بن عامر قال قلنا يا رسول الله انك
 تبعنا فنزل بقوم فلا يقرؤنا فأتى فقال لنارسول الله صلى الله عليه وسلم ان نزلتم بقوم فأمرنا
 انكم عما ينبغي للضيف فاقبلوا وان لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم (وكان الله
 سميعا) لكل ما يقال ومنه دعاء المظلوم (عليه السلام) بكل ما يفعل ومنه فعل الظالم (ان تبدوا) أي
 تظهروا (خيرا) من أعمال البر (أو تخفوه) أي تعملوه سرا (أو تعفوا عن سوء) أي عن مظلمة
 (فان الله كان) أي دائما أزلا وأبدا (عذوا قديرا) أي يكفر العتو عن العصاة مع كمال قدرته
 على الانتقام فأنتم أولى بذلك وهو حث للمظلوم على تهديد العتو بعدمارخص له في الانتصار رجلا
 على مكارم الاخلاق وقوله تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسوله) نزل في اليهود وذلك انهم آمنوا
 بموسى والتوراة وعزير وكفروا بعبسى والانجيل ومحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ويريدون أن
 يفرقوا بين الله ورسوله بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسوله (ويقولون تؤمن ببعض ونكفر ببعض) أي
 تؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا) أي طريقا وسطا
 بين اليهودية والاسلام ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله انما يتم بالايمان برسوله
 ونصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا واجالا والكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال قال
 تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال (أولئك هم الكافرون) أي الكاملون في الكفر وقوله تعالى
 (حقا) مصدر مؤكدا لضمون الجملة قبله (وأعدنا للكافرين عذابا مهينا) أي ذاهانا وهو
 عذاب النار ولما بين سبحانه وتعالى ما أعد له للكافرين بين ما أعد للمؤمنين بقوله تعالى (والذين
 آمنوا بالله ورسوله) كلهم (ولم يفرقوا بين أحد منهم) بان كفروا ببعض وآمنوا ببعض كما فعل
 الاشقياء منهم وانما أدخل بين علي أحد وهو يقتضى متعددا لعمومه من حيث انه وقع في سباق
 النفي (أولئك) أي العالو الرتبة في رتب السعادة (سوف نؤتيهم) بوعده لا خلف فيه وان تأخر
 (أجورهم) الموعودة لهم بايمانهم بالله وكتبه ورسوله وقرأ حنص بالياء على الغيبة والباقون

بالنون (وكان الله غفورا) لما يريد من الزلات (رحيما) أي لمن يريد اسعاده بالجنات ونزل لما
 قال أحبار اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فأتنا بكتاب جله من السماء كما أتى به
 موسى (يستلك) يا محمد (أهل الكتاب) أي أحبار اليهود (أن تنزل عليهم كتابا من السماء) جله كما
 أنزل على موسى وقيل كتاب محرز أي مجلد دامصونا بخط سماوي على ألواح كما كانت التوراة
 وقيل كتابا عاينه حين ينزل أو كتابا الينا بأعياننا بأنك رسول الله قالوا ذلك تعنتا قال الحسن
 لوسلوا لكي تبينوا الحق لا عطاءهم وفيما آتاهم كفاية وقوله تعالى (فقد سألوها) أي آبائهم
 (موسى) جواب شرط مقتدر معناه أنك ان استعبرت ما سألوهم منك فقد سألوهم موسى (أكبر)
 أي أعظم (من ذلك) فقالوا أرنا الله جهرة) أي عيانا وانما أسند السؤال اليهم وان وجد من
 آبائهم في أيام موسى عليه الصلاة والسلام وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبه
 وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت (فأخذتهم الصاعقة) أي عقب هذا السؤال وهي
 نار جاءت من السماء فأهلكتهم (بظلمهم) أي بسببه وهو تعنتهم وسؤالهم لما ليس بحيل في تلك
 الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا (ثم) بعد العنود عنهم وأحياهم
 من أمانة هذه الصاعقة (اتخذوا العجل) أي تكفوا أخذهم وجعلوه الهيا (من بعد ما جاءتهم
 البينات) المجهزات على وحدانية الله تعالى وليس المراد التوراة لانهم تأتت في ما مضى بل
 أتتهم بعد (فعمقونا عن ذلك) أي الذنب العظيم يتوبتنا عليهم من غير استئصالهم (وآتيناهم
 موسى ساطانا) تسلطا واستيلا (ميننا) أي ظاهر افاته أمرهم بقتل أنفسهم توبة من عبادة
 العجل فبادروا الى الامتثال (ورفعنا فوقهم الطور) أي الجبل العظيم (بعيناهم) أي بسبب
 أخذ الميثاق عليهم ليخافوا فيقبلوه (وقلنا لهم) على لسان موسى صلى الله عليه وسلم والطور
 مظلل عليهم (ادخلوا الباب) أي الذي لبيت المقدس (سجدوا) أي سجودا تخفيا (وقلنا لهم)
 أي على لسان داود (لا تعبدوا) أي لا تعبدوا وما حدناه لكم (في السبت) أي لا تعملوا فيه
 عملا من الاعمال تسمية للشيء باسم سببه سمي عدو الان العامل للشيء يكون لشدة اقباله عليه كأنه
 بعدو ويحتمل أن يكون ذلك على لسان موسى حين ظال عليهم الجبل فانه شرع السبت أي ترك
 العمل فيه ولكن كان الاعتداء في السبت والمسخة في زمن داود وقرأ ورش بفتح
 العين مع تشديد الدال وقرأ قالون باختلاس حركة العين مع تشديد الدال والباقون بسكون
 العين وتخفيف الدال (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) على ذلك وهو قولهم سمعنا وأطعنا
 ومعهادتهم على ان يقيموا عليه ثم نقضوه بعد كما قال تعالى (فما نقضهم) أي فبعضهم وما مزيدة
 للتوكيد والباء للسببية متعلقة بمعدوق أي لعناهم بسبب نقضهم (ميثاقهم) وكفرهم بإيات
 الله) أي القرآن أو بما في كتابهم (وقتلهم الانبياء بغير حق) فانهم معصومون من كل نقصة
 ومبرؤن من كل رية لا يتوجه عليهم حق (وقولهم قلوبنا غلف) أي أوعية للعلوم أو في أكنة عما
 تدعونا اليه فلانني كلامك (بل طبع الله) أي ختم (عليها بكفرهم) فلانني وعظا (فلا يؤمنون
 الا قليلا) منهم كعبدة الله بن سلام وأصحابه أو ايماننا قليلا لا عبرة به بأن يؤمنوا وقتابيرا

كوجه النهار ويكفروا في غيره ويؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض وقوله تعالى (ويكفرهم) معطوف
 على فيما انقضهم ويجوز عطفه على يكفرهم وقد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بعيسى ثم بعيسى ثم
 بحمد صلى الله عليه وسلم فعطف بعض كفرهم على بعض وكرر الباء للفصل بينه وبين ما عطف عليه
 (وقولهم على مريم) أي بعد ما ظهر على يديهما من الكرامات الدالة على برائتها وانها ملازمة
 للعبادة بأنواع الطاعات (بهتانا عظيما) وهونبتها الى الزنا (فان قيل) كان مقتضى الظاهر
 أن يقول في مريم (أجيب) بأنه ضمن القول معنى الافتراء وهو يتعدى بعلى (وقولهم) فاقولنا
 المسيح عيسى بن مريم رسول الله) أي بجموع ذلك عذبناهم (فان قيل) كانوا كافرين
 بعيسى أعداء له عامدين لقتله يسمونه السحار ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا انا
 قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله (أجيب) بأنهم قالوه بزعم عيسى عندهم أو أنهم قالوه على
 وجه الاستهزاء كقول فرعون أن رسولكم الذي أرسل اليكم ليجنونا قال الزمخشرى ويجوز أن
 يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عليه الصلاة والسلام
 عما كانوا يذكرونه به اع قال الله تعالى تكذبا لهم في قتله (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبهاهم)
 أي المقتول والمصلوب روى النسائي عن ابن عباس أن رهطاً من اليهود سبوه وسبوا أمته فدا
 عليهم فسخهم الله قرده وخنازير فاجتمعت اليه ود على قتله فأخبره الله تعالى بأنه يرفعه الى السماء
 ويظهره من صحبة اليهود فقال لأصحابه أيكم يرضى أن يلقي الله عليه شبهة فيقتل ويصلب ويدخل
 الجنة فقال رجل منهم أنا فألقى الله عليه شبهة فقتل وصلب وقيل كان رجلاً يوافق عيسى
 أي يظهر له الاسلام ويخفي الكفر فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه فدخل في بيت عيسى
 فرفع عيسى عليه الصلاة والسلام وألقى الله شبهة على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وصلبوه وهم
 يظنون انه عيسى وقيل انهم حبسوا عيسى عليه الصلاة والسلام في بيت وجعلوا عليه رقباً
 فألقى الله شبهة عيسى على الرقيب فقتلوه (وإن الذين اختلفوا فيه) أي في شأن عيسى فإنه
 لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذباً فقتلناه حقاً وتردد
 آخرون وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فأين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن
 بدن صاحبنا وكان الله ألقى شبهة وجه عيسى عليه ولم يلق على جسده وقال من سمع من عيسى
 أن الله يرفعه الى السماء انه رفعه الى السماء وقال قوم صلب الناسوت أي الانسانية وصعد
 اللاهوت أي الالهية (لن يشك منه) أي من قتله (مالهم به) أي بقتله (من علم) وقوله تعالى
 (الاتباع الظن) استثناء منقطع أي لكن يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه (فان قيل) قد وصفوا
 بالشك والشك أن لا يترجح أحد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن أن يترجح أحدهما فكيف
 يكونون شاكين ظانين (أجيب) بأن الشك كما يطلق على ما لا يترجح أحد طرفيه يطلق على
 مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم فيشمل الاعتقاد (وما قتلوه) أي اتفق قتلهم له اتفاقاً (يقينا)
 أي اتفقوا على سبيل القطع ويجوز أن يكون حالاً من واقتلوه أي ما فعلوا القتل متيقنين ان
 عيسى عليه الصلاة والسلام بل فعلوه شاكين فيه والحق انهم لم يقتلوا الا الرجل الذي ألقى عليه

شبهه قال البقاعي والوجه الاقل اولى لقوله تعالى (بل رفعه الله اليه) أى الى مكان لا يصل اليه حكم آدمى وعن وهب انه أوحى اليه وهو ابن ثلاثين سنة ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين فكانت رسالته ثلاث سنين (وكان الله عزير) أى فى ملكه لا يغلب عماريد (حكيمًا) فى صنعه لا يطمع أحد فى نقص شئ منه (وان من أهل الكتاب) أى وما من أهل الكتاب أحد (الا ليؤمنن به) أى بعيسى عليه الصلاة والسلام هذا قول أكثر المفسرين وأهل العلم (قبل موته) اختلف فى عود هذا الضمير فقال عكرمة ومجاهدوا الضمير يعود للكتاب أى ان الكتابي يؤمن بعيسى حين يعاين ملائكة الموت فلا يثقله ايمانه سواء احترق أو غرق أو تردى أو سقط عليه جدار أو أكله سبع أو مات فجأة فقبل لابن عباس أ رأيت من خرم من فوق بيت فقال يتكلم به فى الهوى فقيل أ رأيت ان ضرب عنق أحدهم قال يتلجج به لسانه وذهب قوم الى عود الضمير الى عيسى أى وما من أهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء فى آخر الزمان فلا يبقى أحد الا آمن به حتى تكون الملة واحدة ملة الاسلام روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك ان ينزل فيكم عيسى بن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويضيض المال حتى لا يقبله أحد ويهلك فى زمانه الممل كلها الا الاسلام ويقتل الدجال فيمكث فى الارض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون قال أبو هريرة أقرؤا ان شئتم وان من أهل الكتاب الاية ثم أعادها أبو هريرة ثلاث مرّات ولا يعارض هذا ما فى مسلم فى قصة الدجال ان الله يبعث عيسى بن مريم فيطلبه فيهلكه ثم يلبث الناس بعده سبع سنين ليس بين اثنين عداوة لان قوله ثم يلبث الناس بعده أى بعد موته فلا معارضة أولان السبع محمول على مدة اقامته بعد نزوله ويكون ذلك مضافا الى مكانه فيها قبل رفعه الى السماء وكان عمره اذ ذاك ثلاثا وثلاثين سنة على المشهور وروى عكرمة ان الهاء فى قوله تعالى ليؤمنن به كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم يقول لا يموت كتابي حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وقبل الهاء راجعة الى الله عز وجل يقول وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن بالله عز وجل قبل موته عند المعايضة حين لا ينفعه ايمانه (ويوم القيامة يكون) أى عيسى على القول الاول (عليهم شهيدا) انه قد بلغهم رساله ربه وأقر بالعبودية على نفسه كما قال تعالى مخبر عنه وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وكل نبى شاهد على أمته قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (فبظلم من الذين هادوا) وهو ما تقدم ذكره من نقضهم الميثاق وبكفرهم بآيات الله وبهتانهم على مريم وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم (حزنا عليهم طيبات أحلت لهم) أى كان وقع احلالها لهم فى التوراة ثم حرمت عليهم وهى التى فى قوله تعالى فى سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الاية (وبصدهم) أى الناس (عن سبيل الله) أى دينه وقوله تعالى (كثيرا) صفة مصدر محذوف أى صادا كثيرا بالاضلال عن الطريق فنهوا مستلذات تلك المآكل بعمامنعوا أنفسهم وغيرهم من لذة الايمان (وأخذهم الزبا وقد) أى والحال انهم قد (نموا عنه) فى التوراة فكان محرما عليهم كما هو محرم علينا لانه قبيح فى نفسه من ربح صاحبه وفى الاية دليل على ان النهي

للتحريم (وأكلهم أموال الناس بالباطل) أي من الرشاشي الحكم والمأكل أي التي كانوا يصيغونها
 من عوامهم عاقبتهم بأن حرمت عليهم طيبات فكافوا كلها ارتكبوا كبيرة حرم عليهم شيء من
 الطيبات التي كانت حلالا لهم قال تعالى ذلك جزئناهم بغيرهم وانا لصادقون (واعتدنا للكافرين
 منهم عذابا أليما) أي مؤلما دون من تاب وآمن ولما بين سبحانه وتعالى ما لا مطبوع على قلوبهم
 الغريقين في الكفر من العقاب بين ما لنرى البصائر بالسوء في العلم والايان من الثواب فقال
 (لاكن الراستخون) أي الشاكسون المتكسبون (في العلم منهم) أي من أهل الكتاب كعبدا لله
 ابن سلام وأصحابه (والمؤمنون) أي من المهاجرين والانصار (يؤمنون بما أنزل اليك) أي
 القرآن (وما أنزل من قبلك) أي من سائر الكتب المنزلة وقوله تعالى (والمقيمون الصلاة) نصب
 على المدح لان الصلاة لما كانت أعظم دعائم الدين ولذلك كانت ناهية عن الفحشاء والمنكر
 نصبت على المدح من بين هذه المرفوعات اظهرها افضلها وحسنها عن عائشة رضي الله تعالى
 عنها وأبان بن عثمان ان ذلك غلط من الكاتب ينبغي أن يكتب والمقيمون الصلاة وكذلك
 قوله في سورة المائدة ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابغون والنصارى وقوله تعالى ان هذان
 لاسحران قال ذلك خطأ من الكاتب وقال عثمان ان في المصحف لنا وستقيمة العرب بالفتها
 فقبل له الاتغيره فقال دعوه فانه لا يجهل حراما ولا يحرم حلالا وعامة الصحابة وأهل العلم على
 انه صحيح كما قد تقدم وقيل نصب بانما فعل تقديره أعنى المقيمون الصلاة وقوله تعالى (والمؤمنون
 الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر) رجوع الى الذي في الاقول (أو ذلك سفوتهم) بوعده لا خلف
 فيه على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح (أجرا عظيما) وهو الجنة والنظر الى وجهه
 الكريم وقوله تعالى (انما أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) جواب لاهل
 الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم
 بأن شأنه في الوحي اليه كشأن سائر الانبياء الذين سلفوا وبدا بذكر نوح عليه الصلاة والسلام لانه
 كان أباب البشر مثل آدم عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى وجعلنا ذرية هم الباقين ولانه أول
 نبي من أنبياء الشريعة وأول نذير على الشر وأول من عذبت أمته لدهم دعوته وأهلك أهل
 الارض بدعائه وكان أطول الانبياء عمرا وجعلت معجزته في نفسه لانه عمر ألف سنة فلم ينقص له
 سن ولم يشب له شعرة ولم تنقص له قوة ولم يصبر أحد على أذى قومه ما صبر هو على طول عمره (و) كما
 (أوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق) ابني ابراهيم (وبعقوب) بن اسحق (والاسباط) أولاد
 يعقوب وظاهر هذا انهم كلهم أنبياء وهو أحد قولين والقول الآخر أن يوسف هو النبي فقط
 وعلى هذا فالمراد المجموع (وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا) آباء (داود وزبور)
 قرأ حزة بضم الزاي مصدره عن زبور أي مكتوبا بالباقون بالنصب على انه اسم للكتاب الموثق
 وكان فيه التعميد والتعجيد والثناء على الله عز وجل كان داود يبرز الى البرية فيقوم ويقرأ
 الزبور ويقوم معه علماء بني اسرائيل فيقومون خلفه ويقوم الناس خلف العلماء ويقوم الجن
 خلف الناس الاعظم فالاعظم والسايطان خلف الجن وتجي الدواب التي في الجبال فيقيم بين

يديه تعجب الماسع من منه والطير ترزف على رؤسهم فلما عارف الذنب لم ير ذلك فقبيل له ذلك
 أنس الطاعة وهذا وحشة المعصية قال السيوطي في شرح التنبيه أن الزبور مائة وخمسون
 سورة ما بين قصار وطوال والطويلة منها قدر ربع حزب والقصيرة قدر سورة النصر اه وعن
 أبي موسى قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لورأيتني البارحة وأنا أسمع لقراءتك لقد
 أعطيت من مرامن من امير داود وكان عمرا ذراعا قال ذكرنا يا أبا موسى فيقرأ عنده وانما نحن
 هؤلاء بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم وقوله تعالى (ورسلا) أي غير هؤلاء نصب
 بعضهم دل عليه أوحينا اليك مثل أرسلنا (قد قصصناهم) أي تلونا ما ذكرهم (عليك من قبل)
 أي قبل انزال هذه السورة وهذه الآية (ورسلا) نقصصهم عليك أي إلى الآن روى أنه
 سبحانه وتعالى بعث غاية آلاف نبي أربعة آلاف من بني اسرائيل وأربعة آلاف من
 سائر الناس قاله الجلال المحلي في سورة غافر وقوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما)
 هو منتهى مراتب الوحي أي كله على التدرج شيئا فشيئا بحسب المصالح بغير واسطة ملك فلا
 فرق في الوحي بين ما كان بواسطة وبين ما كان بلا واسطة وخص به موسى من بين سائر الانبياء
 غير نبينا وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فقد فضله الله بأن أعطاه مثل ما أعطى كل واحد منهم
 وقوله تعالى (رسلا) بدل من رسلا قبله (مبشرين) أي بالتواب من آمن (ومندرين) أي محذوفين
 بالعذاب من كفر وقوله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة) متعلق بإرسالنا أو بمبشرين
 ومندرين أي حجة تقال (بعد) ارسال (الرسل) فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك
 ونكون من المؤمنين فبعثناهم اقطع عذرهم (فان قيل) كيف يكون للناس على الله حجة قبل
 الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله تعالى من الأدلة التي النظر فيها يوصل إلى المعرفة (أجيب)
 بأن الرسل ينهون عن الغفلة ويباعثون على النظر في الأدلة فارسلهم ضروري (وكان الله عزيزا)
 في ملكه لا يغلب فيما يريد (حكما) في صنعه روى أن سعد بن عباد قال لورأيت رجلا
 مع امرأتي لضربه بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتتجربون
 من غير سعد والله لانا أغير منه والله أغير مني ومن أجل فيرة الله حرم الله الفواحش ما ظهر
 منها وما بطن ولا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك بعث المندرين والمبشرين ولا
 أحد أحب إليه المدح من الله ومن أجل ذلك وعد الجنة قال ابن عباس ان رؤساء مكة أتوا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد اناسا لنا عنك اليهود وعن صفتك في كتابهم
 فزعموا أنهم لا يعرفونك ودخل عليهم جماعة من اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم والله
 انكم تعلمون اني رسول الله فقالوا والله ما نعلم ذلك فأنزل الله عز وجل (لكن الله يشهد) أي بين
 نبوتك (بما أنزل اليك) أي من القرآن المجزأ الدال على نبوتك ان يجدوا وكذبوك (أنزله)
 متلبسا (بعلمه) انما هو به وهو العلم بتأليفه على قطم يهجز عنه كل بليغ وروى أنه لما نزل انا
 أوحينا اليك قالوا ما نشهدك فترأت (واللائكة يشهدون) لك أيضا (وكفى بالله شهيدا)
 على ذلك بما ظلم من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيرهم (ان الذين كفروا وصدوا) الناس

(عن سبيل الله) أي دين الاسلام بكتهم دين محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود (قد ضلوا ضلالا بعيدا) عن الحق لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون أعرق في الضلال وأبعد من الانقلاع عنه (ان الذين كفروا) بالله (وظلموا) نبيه بكتان نعتيه (لم يكن الله ليغفر لهم) لكفرهم وظلمهم (ولا يهديهم طريقا) من الطرق (الاطريق جهنم) أي الطريق المؤدى اليها (خالدين) أي مقدرين الخلود (فيها) اذا دخلوها وكذلك بقوله (أبدا) لان الله لا يغفر أن يشرك به (وكان ذلك على الله يسيرا) أي هينا لا يصعب عليه ولا يستعظمه (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم (يا الحق من ربكم) لما قرر من أمر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعده من أنكرها فخطب الناس عامة بالدعوة والزمام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد (فآمنوا) بالله وقوله تعالى (خير لكم) وكذلك قوله تعالى فيما يأتي أنتم وخير لكم منصوب بمنه وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم أنه يحملهم على أمر فقال خيرا لكم أي اقتصدوا أمر خيرا لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد وقيل تقديره يمكن الايمان خيرا لكم قال البيضاوي ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يؤدي الى حذف الشرط وجوابه اهـ (وان تكفروا) بالله (فان الله مافى السموات والارض) ملكا وخلقا فهو غنى عنكم فلا يضره كفركم كما لا ينفعه ايمانكم ونبيه على غناه بقوله تعالى مافى السموات والارض وهو يوم ما اشتقنا عليه وما تر كبنامته (وكان الله عليا) بأحوالكم (حكيا) أي فيما دبره لهم (يا أهل الكتاب لا تغلوا) أي تجاوزوا الحد (في دينكم) الخطاب للقرينين غلبت اليهود في حظ عيسى حتى رموه بالزنا والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة والمراد بالكتاب الانجيل فانه أوفق لقوله تعالى (ولا تقولوا على الله الا القول الحق) أي من تنزيهه عن الشريك والولد (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلته) أمها (أي أوصلها) الى مريم (وجعلها فيها) (وروح) أي ذور روح (منه) لابتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة ومسمى عيسى كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وأمره لا غير من غير واسطة أب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه لانه ذور روح ووجد من غير جزء من ذى روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحى وانما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته بأن أمر جبريل فنفخ في جيب درعها فحملت به فأضيف الى الله تعالى تشريفه له وليس كما زعم أنه ابن الله أو اله معه أو ثالث ثلاثة لان الروح مركبة والاله منزه عن التركيب وعن نسبة المركب اليه روى انه صلى الله عليه وسلم قال من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلته أمها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل (فآمنوا بالله ورسوله) أي عيسى وغيره ولا تؤمنوا ببعض وتكفروا ببعض (ولا تقولوا) كما قالت النصارى الآلهة (ثلاثة) (الله وعيسى وأمه) قال تعالى (انتموا) عن ذلك واعتصموا (خير لكم) من ذلك وهو التوحيد (انما الله اله واحد) أي لا تعدد فيه بوجه ما (سبانه) تنزيهه (أن) أي عن ان (يكون له ولد) أي كما قلتم أيها النصارى فان ذلك يقتضى

الحاجة ويقتضى التركيب والمجانسة ثم علل ذلك بقوله (له ما في السموات وما في الارض)
 خلقا وملاكا فلا يتصور أن يحتاج الى شئ منهما ولا الى شئ متخيفيه - ما ولا يصح بوجه أن يكون
 بعض ما يملكه المالك جزأ منه وولده لان المكة تنافي البنوة وعيسى وأمه كل منهما محتاج
 الى ما في الوجود (وكفى بالله وكيلًا) أي يحتاج اليه كل شئ ولا يحتاج هو الى شئ فهو غني عن الولد
 فان الحاجة اليه ليكون وكيلًا لآبيه والله سبحانه وتعالى قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن
 عن مخلقه أو بعينه روى ان وفد نجران قالوا يا رسول الله لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم
 قالوا عيسى قال وأي شئ أقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار أن يكون عبد الله قالوا
 بلى فنزل قوله تعالى (لن يستنكف) أي يتكبر ويأنف (المسيح) أي الذي زعمتم انه اله (أن)
 أي عن أن (يكون عبد الله) فان عبوديته له شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية
 غيره وقوله تعالى (ولا الملائكة المقربون) أي عند الله عطف على المسيح أي ولا تستنكف
 الملائكة المقربون أن يكونوا عبيدا لله - وهذا من أحسن الاستطراد ذكر للرد على من زعم
 انها آلهة أو بنات الله كما رد على من قاله على النصارى الزاعمين ذلك المقصود خطابه - ثم فلاحجة
 فيه على أن الملائكة أفضل من الانبياء كما زعمه بعض المعتزلة قائلا بأن الماطوف أعلى
 درجة من المعطوف عليه قال الطيبي وانما تنهض الحجة على النصارى اذا سلموا ان الملائكة
 أفضل من عيسى ودونه خوط القنادف فكيف والنصارى رفعوا درجة عيسى الى الالهية
 فظهر ان ذكر الملائكة للاستطراد كما رد على النصارى وأنه من باب التميم لامن باب
 الترقى اه أو من باب الترقى في الخلق لا في الخلق كما قاله البقاعي قال لان الملائكة أعجب خلقا
 من عيسى في كونهم ليسوا من ذكر ولا أنثى ولا ما يجانس عضو البشر فكانوا لذلك أعجب خلقا
 من آدم عليه الصلاة والسلام أيضا وفي القوة لانهم أقوى من عيسى لانهم يقتلعون الجبال
 ويأتون بالمياه العظيمة والعبادات الدائمة المستمرة (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) أي
 يطلب التكبر عن ذلك قال الراغب الاستنكاف تكبر في أنفة والاستكبار بخلافه (فسيحشرهم)
 أي المستكبرين وغيرهم (اليه جميعا) في الآخرة بوعده لا يخاف فيجازيهم (فأما الذين
 آمنوا وعملوا الصالحات) تصديقا لاقرارهم بالايمان (فيرقيهم أجورهم) أي ثواب أعمالهم
 (ويرزقهم من فضله) أي مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وأما الذين
 استنكفوا واستكبروا) عن عبادته (فيعذبهم عذابا أليما) أي مؤلما هو عذاب النار بما
 وجدوا من لذة الترفع والتكبر (ولا يجدون لهم) أي حالا ولا مآلا (من دون الله) أي غيره
 (وليا) يدفعه عنهم (ولا نصيرا) يمنعهم منه (يا أيها الناس) أي كافة أهل الكتاب وغيرهم (قد
 جاءكم برهان من ربكم) أي حجة نيرة واضحة مقيدة لليقين التام وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بالادلة القاطعة من المعجزات وغيرها (وأنزّلنا اليكم نورًا مبينًا) أي واضحًا في نفسه موضحًا لغيره
 وهو القرآن الجامع بأعمازه وحسن بيانه فلم يبق لكم عذر ولا علة وقيل المراد بالبرهان المعجزات
 والنور القرآن (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم) أي بوعده لا يخاف فيه (في رحمة

منه) أى ثواب عظيم هو رحمة لهم لا بشئ استوجبوه (وفضل) أى احسان زائد عليه
(ويهدىهم) أى فى الدنيا والآخرة (إليه صراط مستقيماً) أى طريقاً مستقيماً وهو الاسلام
والطاعة فى الدنيا والآخرة (يستفتونك) أى فى الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه
روى ان جابر بن عبد الله قال عادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مريض لا أعقل فتوضأ
وصب على من وضوئه فعقلت وقلت يا رسول الله لمن الميراث وانما يرثنى كلالة فتزل يستفتونك
(قل الله يفتيكم فى الكلالة) وقد تقدم معنى الكلالة وحكم الآية فى أول السورة وفى
هذه الآية بيان حكم ميراث الاخوة للاب والام وأولاد وقوله تعالى (أن امرؤ) هو مرفوع
يفعل يفسره (هلك) أى مات (ليس له ولد) أى ولا والد وهو الكلالة قال الاصمهانى عن
الشعبى اختلاف أبو بكر ومهر رضى الله تعالى عنه ما فى الكلالة فقال أبو بكر هو ماء عدا الوالد
وقال عمر ماء عدا الوالد والولد ثم قال عمر انى لا استحي من الله أن أخالف أبا بكر وقوله تعالى (وله
أخت) يحتل الحلال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين أو الاب لانه جعل أخوها
عصبة والذى لام لا يكون عصبة والولد يشمل الذكر والانثى فان الاخت وان ورثت مع البنت
قد لا ترث النصف وذلك عند تعدد البنات (فلها نصف ما ترك وهو) أى هذا الاخ للميت (يرثها)
أى ان ماتت هى وبنتى هو جميع ما لها (ان لم يكن لها ولد) فان كان لها ولد ذكر فلا تثنى له أو أنثى
فله ما فضل عن نصيبها ولو كانت الاخت أو الاخ من الام ففرضه السادس كما مر أول السورة
(فان كانتا) أى الاختان (اثنتين) أى فصاعداً لانهم نزلت فى جابر وقدمات عن أخوات
(فلهما الثلثان مما ترك) أى الاخ (وان كانوا) أى الورثة (اخوة رجالا ونساء فللذكر
منهم) (مثل حظ الانثيين بين الله لکم) أى ولم يكلکم فى بيانه الى بيان غيره وقال مرغبا مرها
(أن) أى كراهة أن (تضلوا) وقيل لثلاثة أضلوا وحذف لا وهو قول الكوفيين وقيل بين الله لکم
ضلالکم أى الذى من شأنکم أى اذا خلیتم وطباعکم لتحتدوا عنه وتعدوا خلافه (والله بكل
شئ عليم) فهو عالم بمصالح العباد فى الحیا والممات ومنه الميراث روى عن البراء رضى الله تعالى
عنه انه قال آخر سورة نزلت كاملة براءة وأخر آية نزلت قال السيوطى أى من القرائض خاتمة
سورة النساء يستفتونك الآية وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان آخر آية نزلت آية
الربا وآخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله والفتح وروى عنه ان آخر آية نزلت قوله تعالى واتقوا يوماً
ترجعون فيه الى الله وروى بعد ما نزلت سورة النصر عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها عاماً
فنزلت بعدها سورة براءة وهى آخر سورة نزلت كاملة فعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها ستة
أشهر ثم نزل فى طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة فسميت آية الصيف ثم نزل
هو واقب بعرفة اليوم أكلت لکم دينکم فعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها احداً وعشرين
ويوماً ثم نزلت آية الربا ثم نزلت واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله فعاش النبي صلى الله عليه وسلم
بعدها احداً وعشرين يوماً وقول البيضاءى تبع اللز مخشرى عن النبي صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ورث ميراثاً وأعطى

من الاجر كن اشترى محزرا أى رقيقا وحزره وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم حديث موضوع

﴿سورة المائدة مدنية﴾

مائة وعشرون آية واثنان أو ثلاث وكلماتها ألفان وخمسمائة وأربع كلمات وحروفها أحد عشر ألفا وسبعمائة وثلاثة وثلاثون حرفا

(بسم الله) الذى له الامر كله فلا يسل عمایفه (الرحمن) الذى عم بنعمة ايجاده وبيانه فنعمة أتم نعمة وأشمل (الرحيم) الذى خص بخلص عباده بتوفيقه وأتم نعمته عليهم وأكل (يا أيها الذين آمنوا) وقوا بالعقود أى التى عقد ها الله تعالى على عباده وألزمها إياهم من مواجب التكليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب والعقد العهد الموثق شبه به عقد الحبل ونحوه قول الخطيب

قوم اذا عقدوا عقد الجارهم * شذوا والعناج وشذوا فوقه الكربا والعناج جبل يشد في أسفل الدلو ثم يشد الى العراق ليكون عون له والكرب جبل الذى يشد في وسط العراق والعرقوتان الشجرتان المعترضتان على الدلو كالصليب وقوله تعالى (أحلت لكم بهيمة الانعام) تنصير للعقود لان العقود مجملها فهو شامل لجميع العقود لان ذلك أمهات التكاليف وجميع ما في هذه السورة من الاحكام تفصيل لذلك * (فائدة) * روى عن ابن مسعود قال أنزل الله تعالى في هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها في غيرها قوله تعالى والمنخقة والموقودة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيت وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والمحصات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ونظام الطهر في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم الآية وما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقوله تعالى شهادة بينكم لاذ حضرا أحدكم الموت وزيد عليها تاسع عشر وهو قوله تعالى واذا ناديتهم الى الصلاة ليس للاذان ذكر في القرآن الا في هذه السورة وأما في سورة الجمعة فهو مخصوص بالجمعة وهو في هذه السورة عام في جميع الصلوات والبهيمة كل حي لا يميز أى من شأنه أنه لا يميز فلا يدخل في ذلك المجنون ونحوه والانعام الابل والبقر والغنم وهى الأزواج الثمانية والحق بها الغنم وبقر الوحش * (تنبيه) * اضافة البهيمة الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام (فان قيل) لم أفرد البهيمة وجع الانعام (أجيب) بارادة الجنس وقوله تعالى (الا ما لي عليكم) أى تحريمه في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الآية استثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلا والتحرير عرض من الموت ونحوه وقوله تعالى (غير محلى الصيد) حال من ضمير لكم وقوله تعالى (وأنتم حرم) مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال من الضمير

في محلي جمع حرام وهو المحرم (ان الله يحكم ما يريد) من تحليل وتحريم وغيرهما على سبيل
 الاطلاق لا يجب عليه مراعاة مصلحة ولا حكمة كما تقوله المعتزلة فلا يستل عن تخصيص
 ولا تفصيل بخلافه من حكمته فذلك وما لا فكلوه اليه وارغبوا في أن يلهمكم حكمته (يا أيها
 الذين آمنوا اتحلوا شعائر الله) جمع شعيرة وهي اسم ما أشعر أي جعل شعارا وعلم للنفس من
 مواقف الحج ومراعى الجمار والمطاف والمسي والافعال التي هي علامات الحاج يعرف به امن
 الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر وقيل معالم دينه وقيل فرائضه التي حددها لعباده
 (ولا تحلوا) (الشهر الحرام) أي بالقتال فيه قال تعالى ان عدة الشهر عند الله اثنا عشر شهرا
 في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم
 ورجب فيجوز أن يكون ذلك إشارة الى جميع هذه الاشهر كما يطلق اسم الواحد على الجنس لأن
 الاشهر كلها في الحرمة سواء ولكن قال الزمخشري والشهر الحرام شهر الحج (ولا تحلوا
 الهدى) أي بالتعرض له وهو ما أهدى الى الحرم من النعم (ولا تحلوا) (القلائد) أي صاحب
 القلائد من الهدى وعبر به امبالغة في تحريمها أو القلائد أنفسها والنهي عن احلالها امبالغة
 في النهي عن التعرض للهدى والقلائد جمع قلادة وهي ما قلده الهدى من نعل أو غيره لم يعلم
 به أنه هدى فلا يتعرض له (ولا تحلوا) (أمين) أي قاصدين (البيت الحرام) لزيارته أي بان
 تقابلوهم (يتغفون فضلا من ربهم) وهو الثواب (ورضوانا) أي وأن يرضى عنهم والجملة
 في موضع الحال من المستكن في أمين أي لا تعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا
 أن يتعرض لمثلهم وقيل معناه يتغفون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزمعهم لانهم كانوا يظنون
 ذلك فوصفوا به بناء على ظنهم ولأن الكافر لا نصيب له في الرضوان كقوله تعالى ذق انك أنت
 العزيز الكريم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا
 فنهى الله تعالى المسلمين أن ينعوا أحدا عن حج البيت بقوله تعالى لا تحلوا شعائر الله فعلى الأقل
 الآية منسوخة قال الحسن ليس في المائدة منسوخ وعلى الثاني قال البيضاوي قال لا ية
 منسوخة أي لما فيها من حرمة القتال في الشهر الحرام ومن حرمة منع المشركين عن المسجد
 الحرام والاقول منسوخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والثاني بقوله تعالى فلا
 يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فقول منسوخ منزل على هذا لكن اذا قلنا بشمول أمين
 للمسلمين والمشركين انما يكون الفسخ في حق المشركين خاصة وهو في الحقيقة تخصيص لانسخ
 ففي تسميته نسخا تسمع وقرأ شعبة بضم الراء والباقون بالكسر (واذا حللتم) أي من الاحرام
 وقوله تعالى (فاصطادوا) أمر اباحة اباح لهم الاصطياد بعد حظره عليهم كأنه قيل واذا حللتم
 فلا جناح عليكم ان تصطادوا كما في قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض
 (ولا يجرمكم) أي يحملنكم أو يكسبنكم (شئان قوم) أي شدة بغضهم وقرأ ابن عامر وشعبة
 يسكون النون بعد الشين والباقون بنصبها وقوله تعالى (ان صدوكم) قرأ ابن كثير وأبو عمرو
 بكسر الهمزة على ان الشرطية والباقون بنصبها أي لاجل أن صدوكم في عام الحديبية أو غيره

(عن المسجد الحرام) وقوله تعالى (أن تعتدوا) أى يشتد عدوكم عليهم بأن تقتلهم أو تقتلهم بالقتل وغيره ثانياً مفعولى يجرم منكم فإنه تعالى إلى واحد وإلى اثنين ككسب (وتعاونوا) والنقوى) أى بفعل ما أمرتم به (ولا تعاونوا) فيه حذف إحدى التائين فى الأصل (على) أى المعاصى للتشنى (والعدوان) أى التعدى فى حدود الله للانتقام (واتقوا الله) أى عاقبه بأن تطيعوه (إن الله شديد العقاب) لمن خالفه فانتقامه أشد وقوله تعالى (حرمت الميتة) أى أكلها بيان ما يلى عليكم والميتة ما فارقت الروح من غير ذكاة شرعية (والدم) أى المسفوح قال تعالى أودما مسفوحا وكان أهل الجاهلية يصبونه فى الأمعاء ويشوونها (ولحم الخنزير) قال العلماء الغذاء يصير جزءاً من جوهر المتغذى ولا بد أن يحصل للمتغذى أخلاق وصفات من جنس ما كان حاصله فى الغذاء والخنزير مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة فى المنهيات فحرم أكله على الإنسان كالتكليف بتلك الكيفية ولذلك انفرج لما واظبوا على أكل لحم الخنزير وأورثهم الحرص العظيم والرغبة الشديدة فى المنهيات وأورثهم عدم الغيرة فإن الخنزير يرى الذكركم من الخنازير يترفع على الأنثى التى له ولا يعرض له لعدم الغيرة (وما أكل أهل غير الله به) أى رفع الصوت به لغير الله بأن ذبح على اسم غيره والاهلال رفع الصوت ومنه يقال فلان أهل بالحج إذا لم يكنوا يقولون عند الذبح باسم اللات والعزى قال ابن عادل وقد دم هنا لفظ الجلالة فى قوله لغير الله به وأخرت فى البقرة لأنهم اهانك فاصلة أو تشبه الفاصلة بخلافها هنا لأن بعدها معطوفات (والمختنقة) وهى التى ماتت بالخلق سواء أفعال به اذ لك آدمى أم اتفق لها ذلك (والموقوذة) وهى التى وقذت أى ضربت حتى ماتت ويدخل فى الموقوذة ما رمى بالبندقى (والمتردية) أى الساقطة من علويان سقطت من جبل أو مشرف أو فى بئر فماتت ولورمى صيدا فى الهواء بسهم فأصابه فسقط على الأرض ومات حل لأن الوقوع على الأرض من ضرورته وإن سقط على جبل أو شجر ثم تردى منه فمات لم يحل لأنه من المتردية إلا أن يكون السهم ذبحه فى الهواء فيحل كيف ما وقع لأن الذبح قد حصل قبل المتردية * (تنبيه) * دخلت الهاء فى هذه الكلمات لأن المختنقة هى الشاة المختنقة كأنه قيل حرمت عليكم الشاة المختنقة والموقوذة والمتردية وخصت الشاة لأنه من أعم ما يأتى كل الناس والكلام يخرج على الأعم ويكون المراد الكل وأما الهاء فى قوله تعالى (والنطيحة) وهى التى تنطعها أخرى فموت فلتنقل من الوصفية إلى الاسمى والافكان من حقها أن لا تدخلها تاء التأنيث كقتيل وجريح وما فى قوله تعالى (وما أكل السبع) بمعنى الذى وعائده محذوف أى وما أكل السبع ولا بد من حذف ولهذا قال الزمخشري وما أكل بعضه السبع وهذا يدل على أن جوارح الصيد إذا أكلت ما اصطادته لم يحل أكله وقوله تعالى (الاماذ كيتم) استثناء متصل أى إلا ما أدر كنتم ذكاته وصار فيه حياة مستقرة من ذلك فهو حلال وقيل الاستثناء مخصوص بما أكل السبع وقيل الاستثناء منقطع أى ولكن ما ذكيت من غيرها فحلال أو فكلوه وكانت هذا القائل رأى أنها وصلت بهذه الأسباب إلى الموت أو إلى حالة قريبة منه فلم تغد ذكيتها عنده شيئاً وقيل الاستثناء

من التحريم لامن المحرمات أى حرم عليكم ما مضى الاماذا كيت فانه لكم حلال فيكون الاستثناء منقطعاً أيضاً وأقل الذكاة في الحيوان المقدور عليه قطع الحلقوم والمرى وكما لها أن يقطع إلودجين معهم ما وهما عرفان في صفتي العنق ويجوز بكل محدديجرح من خديد أو قصب أو زجاج أو غير ذلك السن والظفر وقوله صلى الله عليه وسلم ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر وقوله تعالى (وما ذبح على النصب) في محل رفع عطف على الميتة أى وحرم عليكم ذلك والنصب واحد الانصاب وهي حجارة كانت حول الكعبة يذبح عليها قرباناً اليها وتعظيمها وقيل هي الاصنام لانها تنصب لتعبد وعلى بعض اللام أو على أصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الانصاب وقيل هو جمع والواحد نصاب ويدل للاول قول الاعشى

وذا النصب المنسوب لا تعبدنه * ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

وقوله تعالى (وان تستمعوا بالالزام) في محل رفع أيضاً فكان عطف على الميتة أى وحرم عليكم ذلك والالزام جمع زلم يفتح الزاي وضعها مع فتح اللام قدح يكسر القاف صغيره وهو سهم لا ريش له ولا نصل وذلك انهم كانوا اذا قصدوا فعلاً لاضر بواثلاثة اقداح مكتوب على أحدها أمرني ربي وعلى الآخر نهي ربي والثالث غفل أى لاسمة عليه فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل أداروها ثانياً فغنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالالزام وقيل هو قسمة الخبز وبالاقداح على الانصاب المعلومة وقوله تعالى (ذلكم فسق) اشارة الى ما ذكر بحريمه أى خروج عن الطاعة وقيل اشارة الى الاستقسام وكونه فسقاً لانه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علمه علام الغيوب وقد قال تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وضلال باعقاد ان ذلك طريق اليه وقوله أمرني ربي ونهي ربي اقتراء على الله عز وجل ان كان أراد بربي الله وما يدريه ان الله أمره أو نهاه فالكهنة والمنجمون يسمون هذه المثابة وجهالة وشركاً ان أراد به الصنم وقوله تعالى (اليوم) لم يرد به يوماً بعينه وانما أراد الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والآتية وقيل الالف واللام للعهد قيل أراد يوم نزولها وقيل نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع وقيل هو يوم دخوله صلى الله عليه وسلم مكة سنة تسع وقيل غمان وقوله تعالى (يتس الذين كفروا من دينكم) فيه قولان أحدهما يتسوا من أن يحملوا هذه الخبائث بعد أن جعلها الله تعالى محرمة والثاني يتسوا من أن يغلبوكم على دينكم فترتدوا عنه بعد طمعهم في ذلك لما رأوا من قوته لانه تعالى كان وعداً بعلاء هذا الدين على كل الاديان بقوله تعالى ليظهره على الدين كله فحقق ذلك النصر وأزال الخوف (فلا تخشوهم) أن يظهر واعليكم (واخشون) أجمع القراء السبعة على حذف الياء بعد النون لحذفها في الرسم أى واخلصوا الخشية لي وحدي فان دينكم قد اكتمل بدينه وجل عن انمحاق محله وقدره ورضى به الامر ومكنه على رغم أنوف الاعداء وهو قادر وذلك قوله تعالى مسوقاً مساق التعليل (اليوم اكملت لكم دينكم) أى الذي أرسلت به أكل خلقى محمد صلى الله عليه وسلم

نزلت هذه الآية يوم الجمعة يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم
 واقف بعرفات على ناقته العضاء فكادت عضد الناقة تنشق من ثقلها فبركت وعن عمر رضي
 الله تعالى عنه أن رجلا من اليهود قال له يا أمير المؤمنين آية من كتابكم تقرؤونها لو علينا
 معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً قال أي آية قال اليوم أكملت لكم دينكم
 (وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) قال عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي
 أنزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة أشار عمر إلى أن ذلك اليوم كان
 عيداً قال ابن عباس كان ذلك اليوم خمسة أعياد جمعة وعرفة وعيد اليهود وعيد النصراري
 والمجوس ولم يجتمع أعياد أهل الملل في يوم قبله ولا بعده وروى أنهم لما نزلت هذه الآية بكى عمر
 رضي الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر قال ابكاني أنا كفا في زيادتم من ديننا
 فإذا اكملتم لم يكمل شيء الا نقص قال صدقت فكانت هذه الآية نهي رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عاش بعدها أحداً وثلاثين يوماً ومات يوم الاثنين بعد ما زاغت الشمس لليلتين خلتا من شهر
 ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة وقيل توفي يوم الثاني عشر من شهر ربيع
 الأول وكانت هجرته في الثاني عشر منه فقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم أي الفرائض
 والسنن والحدود والجهاد والحلال والحرام فلم ينزل بعد هذه الآية - لال ولا حرام ولا شيء من
 الفرائض وهذا معنى قول ابن عباس وقال سعيد بن جبير وقتادة اليوم أكملت لكم دينكم
 فلم يحج معكم مشرك وقيل أظهرت دينكم وأمنتكم من عدوكم (فان قيل) قوله تعالى
 اليوم أكملت لكم دينكم يقتضي أن الدين كان ناقصاً قبل ذلك وذلك يوجب أن الدين الذي
 كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم أكثر منه كان ناقصاً وانما وجه ذلك أن الدين الكامل في آخر عمره
 مدة قليلة (أجيب) بأن الدين لم يكن ناقصاً بل كان أبداً كاملاً وكانت الشرائع النازلة من
 عند الله في كل وقت كافية في ذلك الوقت الا أنه تعالى كان عالمياً في أول وقت المبعث بأن ما هو
 كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا مصلحة فيه فلا جرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان ينزل
 بعد العدم وأما في آخر زمان المبعث فأنزل شريعة كاملة وحكم يقاؤها إلى يوم القيامة فالشرع
 أبداً كان كاملاً الا أن الأول كمال إلى زمان مخصوص والثاني كمال إلى يوم القيامة فلهذا قال
 اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي بأكمله وقيل بدخول مكة آمين ورضيت أي
 اخترت لكم الاسلام ديناً من بين الاديان وهو الذي عند الله لا غير قال الله تعالى ومن يتبع غير
 الاسلام ديناً فلن يقبل منه وقوله تعالى (فن اضطر) متصل بذكر المحرمات وما بينهم ما اعتراض
 بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة
 التامة والاسلام المرضي والمعنى فن اضطر إلى تناول شيء من هذه المحرمات (في محصة) أي
 جماعة (غير متجانس) أي مائل (لاشم) أي معصية بأن يأكل ذلك فلهذا تجاوز أحد الرخصة
 كقوله تعالى غير باغ ولا عاد (فان الله غفور) له ما أكل (رحيم) به في إباحته له فلا يؤاخذ به ومن
 المائل إلى الاثم قاطع الطريق ونحوه فلا يحمل له الا كل محاذ كقرأ أبو عمرو وعاصم وحجزة بكسر

فون من اضطر في الوصول والباقون بالضم (يستلونك) يا محمد (ماذا أحل لهم) من الطعام
وانما أتى بقوله لهم بلفظ الغيبة لتقديم ضمير الغيبة في قوله تعالى يستلونك ولوقيل في الكلام
ماذا أحل لنا لكان جائزا على حكاية الجملة كقولك أقسم زيد ليضربن ولا ضربن بلفظ الغيبة
والتكلم الا ان ضمير المتكلم يقتضي حكاية ما قالوه كما أن لا ضربن يقتضي حكاية الجملة
المقسم عليها وماذا مبتدأ وأحل لهم خبره كقولك أي شيء أحل لكم منها فقال تعالى (قل)
اهم (أحل لكم الطيبات) أي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يأت تحريره في كتاب أو سنة
أو قياس مجتهد ولا مستفاد من ذي الطباع السليمة وهذا يشمل كل ما ذبح وهو مأذون في ذبحه
مما كانوا يحرمونه على أنفسهم من السائبة وما معها وكل ما أذن فيه من غير ذبح كحيوان البحر
وما أذن فيه من غير المطاعم وقوله تعالى (وما علمتم من الجوارح) معطوف على الطيبات
أي أحل لكم الطيبات وصيد ما علمتم لحذف المضاف للعلم به والجوارح جمع جارحة من
سباع البهائم والطيور كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والباز والشاهين والهاء للمبالغة
سميت بذلك لان الجرح الكسب لانه انكسب الصيد ومنه قوله تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار
أي كسبتم اولانها تجرح الصيد غالباً وقوله تعالى (مكئين) حال من ضمير علمت أي حال كونكم
معلمين هذه الكواكب الصيد والمكبل المؤتب الجوارح ومغريها مأخوذة من الكاب يسكون
اللام وهو الحيوان الناجح لان التأديب أكثر ما يكون في الكلاب فأخذ من لفظه لكثرة
في جنسه اولان السبع يسمى كلباً ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في عتبة بن أبي لهب حين أراد سقر
الشأم فغاض النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فأكله الاسد
وقوله تعالى (تعلمونهن) حال ثانية من ضمير علمت أو استثناف (فان قيل) ما فائدة هذه الحال وقد
استغنى عنها بعلمت (أجيب) بأن فائدتها أن يكون من يعلم الجوارح فقيها عالمياً بالشرائط المعتمدة
في الشرع لحل الصيد وفي هذا فائدة جليلة وهي أن على كل طالب لشيء ان لا يأخذه الا من أجل
العلماء به وأشدهم دراية له وأغوصهم على لطائفه وحقائقه وان احتاج في ذلك الى أن يضرب
اليه أكباد الابل فكلم من أخذ من غير متقن قد ضيع أيامه وعرض عند لقاء التصاريح أنامله
(مما علمكم الله) أي من علم التكليب لانه الهام من الله تعالى أو مكتسب بالعقل الذي هو منحة
منه أو مما علمكم الله أن تعلموه من اتباع الصيد برسالة صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه
بدعائه وامسالك الصيد عليه وأن لا يأكل منه (فكلوا مما أمسكن) أي الجوارح مستقراً
امساكها (عليكم) أي على تعليمكم وان قتلته بأن لم تأكل منه بخلاف غير المعلة فلا يحل صيدها
وشروط التعليم فيها ثلاثة أشياء اذا ارسلت استرسلت واذا زجرت انزجرت واذا أخذت الصيد
أمسكته ولم تأكل منه وأقل ما يعرف به ذلك ثلاث هنات فان أكلت منه فليس مما أمسكن على
صاحبها فلا يحل أكله كما في حديث الصبيحين وان أكل منه فلا تأكل منه انما أمسك على نفسه
وعن علي رضي الله عنه اذا أكل البازي فلا تأكل والى هذا ذهب أكثر الفقهاء وبعضهم
لا يشترط ذلك في سباع الطير لان تأديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون لا يشترط مطلقاً في هذا

الحديث ان صيد السمسم اذا ارسل وذكر اسم الله عليه كصيد المعلم من الجوارح (واذكروا اسم الله عليه) في هذه الكتابة ثلاثة أوجه أحدها انها تعود الى المصدر المفهوم من الفعل وهو الاكل كانه قيل واذكروا اسم الله عليه على الاكل ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم اسم الله وكل مما يليك الثاني انها تعود الى ما علمتم أي اذكروا اسم الله على الجوارح عند ارسالها على الصيد ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم اذا ارسلت كلبك وذكرت اسم الله عليه الثالث انها تعود الى ما أمسكن أي اذكروا اسم الله تعالى على ما أدركتم ذكره مما أمسكت عليكم الجوارح (وانقوا الله) أي في محرماته (ان الله سر يع الحساب) فيؤخذ كم بما جل ودق وقوله تعالى (اليوم) الكلام فيه كالكلام فيما قبله (أحل لكم الطيبات) أي المستلذات (وطعام الذين أوتوا الكتاب) أي ذبايح اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم (حل) أي حلال (لكم) فأما من دخل في دينهم بعد المبعث فلا تحل ذبيحتهم ولو ذبح به ودي أو نصراني على اسم غير الله تعالى كالنصراني يذبح على اسم المسيح لم تحل ذبيحته وأما المجوس فقد سن بهم سنة أهل الكتاب في تقريرهم بالجزية دون كل ذبايحهم ونكاح نسائهم قال صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة أهل الكتاب غيرنا لكي نسائهم ولا آكل ذبايحهم رواء الامام مالك (وطعامكم) أي اياهم (حل لهم) فلا عليكم أن تطعموهم ولا تتبعوهم منهم ولو سرق عليهم لم يجر ذلك (والمحصنات من المؤمنات) أي الحرائر (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) وهم اليهود والنصارى أي حل لكم أن تنكحوهن وان كن حريات وقال ابن عباس لا تحل الحريات وأما الاماء المسلمات فيصل نكاحهن في الجملة بخلاف الاماء الكتابات فلا يحل نكاحهن عندنا ويحل عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى (اذا آتيتوهن أجورهن) أي مهورهن فتقبيد الحل باتيانها تأكيده وجوبها والحلت على الاولى وان من تزوج امرأة وعزم أن لا يعطى صداقها كان في صورة الزاني وورد فيه حديث وتسميته بالاجريد على انه لا حد لقله كما ان أقل الاجر في الاجارة لا يتقدر (محصنين) أي قاصدين الاعفاف والعفاف وقيل متزوجين (غير مسافحين) أي معلنين بالزنا بهن (ولا متخذى أخدان) أي مسربين بالزنا منهن والخذن الصديق يقع على الذكروا الانثى قال الشعبي الزنا ضربان السفاح وهو الزنا على سبيل الاعلان واتخاذ الخدن وهو الزنا سرا والله تعالى حرمهما في هذه الآية وأباح القمع بالمرأة على جهة الاحصان وهذه الآية مخصصة لقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن فبقى على التحريم ما تضمنته تلك ما عدا الكتابات من الوثنيات وغيرهن من جميع المشركات حتى المستقلة من الكتابات من دينها الى غير دين الاسلام وقرأ الكسائي بكسر صاد المحصنات والباقون بنصبها وقوله تعالى (ومن يكفر بالايمان) اختلاف المفسرون في معناه فقال ابن عباس ومجاهد ومن يكفر بالايمان أي بالله الذي يجب الايمان به وانما حسن هذا الجواز لانه يقال رب الايمان ورب الشيء على سبيل الجواز وقال الكلبي ومن يكفر بالايمان أي بكلمة التوحيد وهي شهادة أن لا اله الا الله لان الايمان من لوازمها واطلاق الشيء على لازمه مجاز مشهور وقال قتادة ان ناسا من المسلمين قالوا كيف

تتزوج نساءهم مع كونهم على غير ديننا فنزل الله هذه الآية ومن يكفر بما أنزل الله في القرآن فهو كذا وكذا فسمى القرآن إيمانا لأنه مشتمل على بيان كل ما لا بد منه في الإيمان والمراد من ذلك أن يأتي بشئ يصير به مرتدا (فقد حبط) أي فسد (عمله) الصالح قبل ذلك أن اتصل ذلك بالموت بدليل قوله تعالى (وهو في الآخرة من الخاسرين) وقوله تعالى في آية أخرى قيمت وهو كافر أما من أسلم قبل الموت فإن نوابه يفسدون عمله فلا يجب عليه إعادة حج قد فعله ولا صلاة قد صلاها قبل الردة (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) أي أردتم القيام إليها كقوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من أن يبادر إليكم بأحث من الموت فاستعذ بالله من أن يبادر إليكم بأحث من الموت لا ينفك الفعل عن الإرادة وظاهر الآية الكريمة يوجب الوضوء على كل قائم إلى الصلاة وإن لم يكن محدثا لكن صد عنه الإجماع لما روى أنه صلى الله عليه وسلم صلى الخمس بوضوء واحد يوم القح فقال له عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عدا فعلته فقيل هو مطلق أريد به التقييد والمعنى إذا قمتم إلى الصلاة محدثين وقيل الأمر فيه للنسب وقيل كان ذلك أول الأمر ثم نسخ قال البيضاوي وهو ضعيف لقوله صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالاتهم وأحرمتهم (فاغسلوا وجوهكم) أي أروا الماء عليها ولا يجب ذلك خلافا لما لاك رضى الله تعالى عنه (و) اغسلوا (أيديكم إلى المرافق) أي معهما أن وجدت وقدرها أن فقدت لما روى مسلم عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه في صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه توضع فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى أشرف في العضد الخ وللإجماع وأن إلى في الآية بمعنى مع كافي قوله تعالى من أنصاري إلى الله ويزدكم قوة إلى قوتكم أو يجعل اليد التي هي حقيقة إلى المتكبر مجازا إلى المرفق مع جعل إلى غاية للغسل الداخلة هنا في المغيا بقراءة الإجماع والاحتياط للعبادة والمعنى اغسلوا أيديكم من رؤس الأصابع إلى المرافق أو تجعل باقية على حقيقة أنها إلى المتكبر مع جعل إلى غاية للترك المقدرة فتخرج الغاية والمعنى اغسلوا أيديكم وأتركوا أيديهم إلى المرافق والمرافق جمع مرفق بفتح الميم وكسر القاء على الصريح من اللغة وهو فصل ما بين العضد والمعصم ولو قطع بعض ما يجب غسله وجب غسل الباقي لأن اليسور لا يقطع بالمعصور وان قطع من المرفق فإن سئل عظم الذراع وبقي العظام المسماة برأس العضد وجب غسل رأس عظم العضد لأنه من المرفق وهو مجموع العظمين والابرة الداخلة بينهما وان قطع من فوق المرفق ندب غسل باقي عضده (وامسحوا برؤسكم) أي يعضها لما روى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم مسح بخاصيته وعلى عمامته واكتفى بمسح البعض لأنه المفهوم من المسح عند إطلاقه ولم يقل أحد بوجوب خصوص الناصية وهي الشعر الذي بين التزعتين والاكتفاء بها يمنع وجوب الاستيعاب ويمنع وجوب التقدير بالربع أو أكثر لأنهم أدونه والباء إذا دخلت على متعدد كافي الآية ~~تكون~~ للتبعض أو على غيره كافي قوله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق تكون للالصاق (فان قيل) صبغة الرأس بمسح الرأس والوجه في التيمم واحدة فهل لا وجبت التعميم أيضا (أجيب) بأن المسح ثم بدل للضرورة فاعتبر بيده

ومسح الرأس أصل فاعتبر انقطاعه (فان قيل) المسح على الخف بدل فهل لا وجب تعميمه كبده
 (أجيب) بقيام الاجماع على عدم وجوبه ولا فرق بين أن يمسح على بشرة الرأس أو شعرها
 ولو شعرة واحدة في حد الرأس لان ذلك يصدق عليها مسح الرأس عرفا فان الرأس اسم لما رأس
 وعلا وقوله تعالى (وأرجلكم) قراءة نافع وابن عامر وحفص والصكسكي ساق بنصب اللام
 عطف على وجوهكم وقيل على أيديكم والباقون بالكسر على الجوار ومنهم من عطف على
 الجهر وعلى قراءة الجزو والمسوح ليفيد مسح الخف وعطف على المنسوب على قراءة النصب على
 المغسول ليفيد غسل الرجل المتجردة منه فيفيد كل من القراءتين غير ما أخاذته الاخرى وقوله
 تعالى (الى الكعبين) وهما العظمان الناثان في كل رجل من جانين عند مفصل المساق والقدم
 دل على دخوله ما في المفصل ما دل على دخول المرفقين فيه وقدمت * (تنبيه) * الفصل بين الايدي
 والارجل المغسولة بالرأس الممسوح فيه دليل على وجوب الترتيب في طهارة هذه الاعضاء
 وعليه الشافعي رضي الله عنه ولو قطع بعض القدم وجب غسل الباقي وان قطع فوق الكعب
 فلا فرض عليه ونصب غسل الباقي كما مر في اليد ويؤخذ من السنة وجوب التنية فيه
 كغيره من العبادات (وان كنتم جنبا) من جماع وغيره (فاطهروا) أي بالغسل لجميع
 البدن لانه أطلق ولم يخص الاعضاء كما في الوضوء (وان كنتم مرضى) أي مرضا يضره الماء
 (أو على سفر) أي مسافرين سفرا مباحا طويلا أو قصيرا (أو جاء أحد منكم من
 من الغائط) أي الموضع المظلم من الارض الذي يقضى فيه حاجته الانسان التي لا بد منها
 سمى باسمه الخارج للمجاورة قيل وفي ذلك حكمة وهي شدة بهز الانسان ليكف عن اعجابه
 وكبره وترفعه ونفخه كما حكى أن بعض الامراء لقي بعض البله فلم يقص له فغضب وقال كأنك
 لم تعرفني فقال بلى والله اني لا عرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قدرة وأنت فيما بين ذلك
 تحمل العذرة وقرأ قالون والبري وأبو عمرو وباسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر ومسل
 ودرش وقبل الهمزة الثانية وحقق الباقيون الهمزتين معا (أو لامستم النساء) بالذكر أو غيره
 أم نيتهم أم لا وقرأ حمزة والصكسكي غير ألف بين اللام والميم والباقيون بالالف (فلم تجدوا ماء)
 بعد طلبه لفقده حسا أو معنى بالهمز عن استعماله للمرئس بجرح أو غيره (فتيمموا) أي أقصدوا
 (صعيدا) أي ترابا (طيبا) أي طهورا خالصا (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) مع المرفقين
 (منه) بضميرتين والباء للالصاق وينت السنة أن المراد استيعاب العضوين بالمسح وتقدم مثل
 هذه الآية في النساء قال البيضاوي وأهل تكريرها لينصل الكلام في بيان أنواع الطهارة
 (ما يريد الله ليجعل عليكم) في الدين (من سرج) أي ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل
 والتيمم (ولكن يريد ليظهركم) من الاحداث والذنوب فان الوضوء يكفر الذنوب (وليم نعمته
 عليكم) ببيان شرايع الدين (لعلكم تشكرون) نعمه فينبى بكم قال البيضاوي والآية مشتقة على
 سبعة أمور كلها مشتق طهارتان أصل ويدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير
 المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدد وغير محدد ودوران التيمم ما يقع وباطماد

وموجبهما حدث أصغراً وأكبراً وإن المبيع للعدول إلى البديل مرض أو سفر وإن الموعد عليه تطهير
الذنوب وإتمام النعمة (واذكروا نعمة الله عليكم) أي في هدايته لكم إلى الإسلام بعد أن كنتم
على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها وفي غير ذلك من جميع النعم ليدرككم المذموم ويرغبكم في شكره
لأن كثرة النعم توجب على المنعم عليه الاشتغال بخدمة المنعم والانقياد لأوامره ونواهيهِ وقال
تعالى نعمة الله ولم يقل نعم الله لأن هذا الجنس لا يقدر عليه إلا الله لأن نعمة الحياة والنعمة
والعقل والهداية والصون من الآفات وإيصال الخيرات في الدنيا والآخرة لا يعلمه إلا الله
تعالى وإن المراد التأمل في هذا النوع من حيث أنه ممتاز عن نعمة غيره (فان قيل) قوله تعالى
واذكروا نعمة الله يشعر بسبق النسيان وكيف يعقل نسيانها مع أنها امتواثرة متواليه علينا
في جميع الساعات والأوقات (أجيب) بأنها الكثرة وتعاقبها صارت كالامر المعتاد فصار غاية
ظهورها وكثر أسباب الوقوعها في محل النسيان (و) اذكروا (ميثاقه) أي عقده الوثيق (الذي
وآثقتكم به) أي بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بايعكم إليه العقبة على السمع والطاعة
في العسر واليسر والمنشط والمكره والمنشط من النشاط وهو الامر الذي ينشط له والمكره
مفعل من الكرم وهو الامر الذي تذكره النفس وأضاف الميثاق الصادر من رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى نفسه كقوله إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله وكذلك بأنكم التزمتموه (اذ)
أي حين (قلتم سمعنا وأطعنا) وفي ذلك تذكير بما أوجب الله صلى الله عليه وسلم عليكم من الشكر
بهدايته لكم إلى الإسلام ثم حذركم عن نقض تلك العهود بقوله (واتقوا الله) أي في ميثاقه أن
تنقضوه (إن الله) الذي له صفات الكمال (عليم) أي بالعلم بذات الصدور أي بما في القلوب
فغيره أولى فيجازيكم عليها فضلاً عن جليات أعمالكم وقيل المراد بالميثاق هو الذي أخذ الله
منهم حين أخرجهم من ظهر آدم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى قاله مجاهد وقيل
المراد به الدلائل العقلية والشرعية التي نصبها الله على التوحيد والشرائع قاله السدي وأدغم
أبو عمر والقاف في واثقتكم في الكاف بخلاف عنه (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين) أي
مجتهدين في القيام (لله) تعالى بمحقوقه (شهداء) أي متيقظين محضرين أفعالكم غاية الاحضار
بمحيط لا يشذ عنها شيء مما تريدون الشهادة به (بالقسط) أي العدل (ولا يجرمنكم) أي
ولا يحملنكم (شئان) أي شدة بغض (قوم) أي الكفار (على أن لا تعدلوا) فتعدوا
عليهم بارتكاب ما لا يحل كقتله وقذفه وقتل نساء وصية ونقض عهدتكم فيما عفا في قلوبكم
(اعدلوا) أي تحمروا العدل واقتصدوه في كل شيء (هو) أي العدل (أقرب) من تركه (للتقوى)
لكونه لطفاً فيها وفيه تنبيه عظيم على أن وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله إذا كان
بهم هذه الصفة غا للظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباءؤه (تنبيه) يؤخذ من
هذا أن التكليف مع كثرتها محصورة في نوعين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فقوله
تعالى كونوا قوامين لله إشارة إلى التعظيم لامر الله ومعنى القيام هو أن تقوم لله بالحق في كل
ما يلزمك وقوله تعالى شهداء بالقسط إشارة إلى الشفقة على خلق الله وفيه قولان الأول قال عطاء

لا تخاف في شهادتك أهل ولدك وقربائك ولا تمنع شهادتك أعدائك واضدأك الثاني أمرهم
 بالصدق في أفعالهم وأقوالهم وتقدم نظير هذه الآية في النساء الآن هناك قدم لفظة القسط
 وهذا آخرها قال ابن عادل فكان الغرض من ذلك والله أعلم أن آية النساء هي بها في معرض
 الاقرار على نفسه ووالديه وأقاربه فبدأ فيها بالقسط الذي هو العدل من غير محاباة نفس
 ولا والد ولا قرابة والتي هي ما في معرض ترك العداوة فبدأ فيها بالامر بالقيام به لانه أردع
 للمؤمنين ثم ثنى بالشهادة بالعدل فجاء في كل معرض بما يناسبه وقال البيضاوي وتكرر بهذا
 المصمم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود ولمزيد
 الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نار الغيظ (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون)
 فيجازيكم به (وعدا الله الذين آمنوا) أي أقروا بالايان بأنفسهم (وعملوا) تصديقاً لهذا الاقرار
 (الصالحات) وحذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله (لهم مغفرة وأجر عظيم) فانه استئناف
 بيينه وقيل الجملة في موضع المفعول فان الوعد ضرب من القول لانه لا يعقد الا به فكأنه قال
 وعدهم هذا القول والاجرا العظيم هو الجنة (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب
 الجحيم) أي النار التي اشتد توقدها فاشتد حرارها فلا يراها أحد الا بهم عنها فيلقون فيها
 ثم يلازمونها فلا يتفككون عنها كما هو شأن صاحب وهذا من عادة الله سبحانه وتعالى انه يتبع
 حال أحد الفريقين حال الفريق الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطبيب
 لقلوبهم (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم) رسمت نعمت هنا بالتاء فوق فوقف عليها
 ابن كثير وأبو عمرو والكسائي باللهاء والباقيون بالتاء وفي الوصل الجميع بالتاء روى أن المشركين
 رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا الى صلاة الظهر يصلون معه وذلك بعد ما كان
 وهو وادينه وبين مكة من حلتان في غزوة ذي أنمار فلما وصلوا اندسوا ان لا كانوا اكبروا عليهم
 فقالوا ان لهم بعدها صلاة هي أحب اليهم من آياتهم وأبناهم يعنون صلاة العصر وهموا
 بأن يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فنزل جبريل عليه السلام بصلاة الخوف رواء مسلم وغيره والآية
 اشارة الى ذلك وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بنى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة
 يستقرضهم أي يطلب منهم ما لاقرضه الديانة مسلمين قتلهم ما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما
 مشركين لكن في رواية البيهقي أن المقتولين كانوا معاهدين للمسلمين وأن الخروج كان لبني
 النضير لا الى قريظة فتناولوا نعم يا أبا القاسم وكانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم على ترك
 القتال وعلى أن يعينوه في الديار فقالوا قد آن لك ان تأتينا وتسألنا حاجة اجلس حتى نطعمك
 ونعطيك الذي تسألنا فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وخلاب بعضهم ببعض وقالوا
 انكم لن تجدوا محمداً أقرب منه الا نفن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيرى محمداً
 منه فقال عمرو بن جحاش أنا نجاء الى رعا عظيمة ليطرحها عليه فامسك الله تعالى يده فنزل
 جبريل عليه السلام فأخبره فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً الى المدينة ثم دعا علياً
 وقال لا تبرح مقامك فخرج عليك من أصحابي فسأل عنى فقل توجه الى المدينة ففعل ذلك حتى

تناهوا اليه ثم تبعوه وقبل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وتفرق الناس في العشاء
يستظلون بها فعاق رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحه بشجرة فحاء اعراحي فسل سيف رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله فأسقطه جبريل من يده فأخذه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال لأحد أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا
رسول الله فزلات (اذهم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم) ليفتكم وا بكم يقال بسط اليه لسانه
إذا شقه وبسط اليه يده إذا بطش به قال تعالى ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ومعنى
بسط اليد مدها الى المبطوش به ألا ترى الى قوله فلان بسط الباع ومديد الباع بمعنى
(فكف أيديهم عنكم) أي منعها ان تغداليكم ورد مضرتهما عنكم (واتقوا الله) في جميع
أموركم (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فإنه الكافي لا يصل الخير ودفع الشر (ولقد أخذ
الله ميثاق بني اسرائيل) أي العهد الموثق بما أخذ عليكم من السمع والطاعة (ويعثنا منهم اثني
عشر نقيبا) أي شاهدا على كل سبط نقيب يكفلهم بالوفاء بما عليهم الوفاء به كما يعثنا منكم ليلته
العقبه اثني عشر نقيبا وأخذنا منكم الميثاق على ما به كمال الاسلام والنقيب الذي ينقب
عن احوال القوم كما قيل له عريف لانه يتعرفها ومن ذلك المناقب وهي الفضائل لانها
لا تظهر الا بالنقيب عنها روى أن بني اسرائيل لما استقروا بصر بعد هلاك فرعون أمرهم
الله تعالى بالمسير الى ارضهم بالمتأرض الشام وكان سكنها الكنعانيون الجبابرة وقال اني كتبتهما
لكم دارا وقرارا فخرجوا اليها وجاهدوا فيها واني ناصرهم وأمرهم موسى صلوات الله وسلامه
عليه أن يأخذ من كل سبط نقيبا يكون كضلع على قومه بالوفاء بما أمروا به بوثقه عليهم
واختار النقباء وأخذ الميثاق على بني اسرائيل وتلقاهم النقباء وسار بهم فلما دنا
من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا ابراما عظيمة وقوة وشوكه فهابوا ورجعوا
وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام أن يتحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا
من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرايم بن يوسف وكانا من النقباء (وقال) لهم
(الله اني معكم) أي بالعون والنصرة (لان) لام قسم (أقم الصلاة) التي هي صلة العبد والخالق
بجميع شروطها وأركانها (وآتيت الزكاة) التي تقرب العبد الى الله عز وجل (وآمنتم برسلي)
أي بجميع الرسل (وعزرتوهم) أي نصرتهم وهم وقيل التعزير التعظيم وقيل هو الثناء بخير قاله
يونس وهو قريب من الثاني (فان قيل) لم آخر الايمان بالرسول عن اقام الصلاة وآيتاء الزكاة مع
انه مقدم عليهما (أجيب) بأن اليهود كانوا مقررين بأنه لا بد في حصول النجاة من اقام الصلاة
وآيتاء الزكاة الا أنهم كانوا مصرين على تكذيب بعض الرسل فذكر أن بعد اقام الصلاة
وآيتاء الزكاة لا بد من الايمان بجميع الرسل حتى يحصل المقصود والالم يكن لا اقام الصلاة وآيتاء
الزكاة تأثير في حصول النجاة بدون الايمان بجميع الرسل (فان قيل) قوله تعالى (وأقرضتم الله
قرضا حسنا) داخل تحت آيتاء الزكاة فافائدة اعادته (أجيب) بأن المراد بالزكاة الواجبة
وبالقرض الصدقة المندوبة وخصها بتبنيها على شرفها وقرضا يحتمل المصدر والمفعول به

ولما كان الانسان محل التقصان فهو لا ينقل عن زلل أو تقصير وان اجتهد في صلاح العمل قال
 سيد الجواب القسم المدلول عليه باللام في لئن مسد جواب الشرط (لا ككفرن) أى لا سترن
 (عنكم سيما تكلم) أى فعلكم الذى من شأنه أن يسوء (ولا دخلكم) فضلا ورحمة منى (جنات
 تجري من تحتها الانهار) أى من شدة الرى (فن كفر بعد ذلك) الميثاق (منكم فقد ضل) أى
 ترك وضيع (سواء السيل) أى أخطأ طريق الحق والسواء فى الأصل الوسط (فان قيل) من
 كفر قبل ذلك أيضا فقد ضل سواء السيل (أجيب) بأن الضلال بعد أظهر وأعظم لانه الكفر
 بعد البيان العظيم فهو أعظم من غيره لانه قد يكون له قبل ذلك شبهة يتوهم له معذرة وقرأ قالون
 وابن كثير وعاصم باظهار دال قد عند الضاد والباقون بالادغام وقد تقدم ولما نقضوا الميثاق
 مرة بعد مرة بتكذيب الرسل وقتل الانبياء وكتمهم صفة النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم
 فى سورة البقرة قال تعالى (فبما) ما مزيدة للتأكيد (نقضهم ميثاقهم لعناهم) قال عطاء
 أبعدناهم من رحمتنا وقال الحسن ومقاتل مسخناهم قردة وخنازير وقال ابن عباس ضربنا
 الجزية عليهم (وجعلنا قلوبهم قاسية) أى لاتلين لقبول الايمان وقرأ أجزءة والكسافى بغير
 ألف بعد القاف وتشديد الياء بمعنى رديئة من قولهم درهم قسى اذا كان مغشوشا وهو أيضا
 من القسوة فان المغشوش فيه ييس وصلابة والباقون بألف بعد القاف وتخفيف الياء وقوله
 تعالى (يحزفون الكلم عن مواضعه) استئناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة أشد من تغيير
 كلام الله تعالى والافتراء عليه (ونسوا حظا) أى نصيبا نافعاً (مما ذكرناه) أى من التوراة على
 أنبيائهم عيسى ومن قبله عليهم الصلاة والسلام تركوه ترك النامى للشئ لقله مبالاة بهم بحيث
 لم يكن لهم رجوع اليه وقيل معناه انهم حزفوها فزلت لشؤمهم أشياء منها عن حفظهم وعن ابن
 مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا
 نصيب أنفسهم مما مروا به من الايمان بحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعمته (ولا تزال) أى بما
 نطاعك عليه يا أكرم الخلق فهو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (تطلع) أى تظهر (على خائنة)
 أى خيانة (منهم) بنقض العهد وغيره لان ذلك من عادتهم وعادة أسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم
 (الا قليلا منهم) لم يحضروا وهم الذين آمنوا منهم (فأعف عنهم) أى امح ذنبهم ذلك (واصفح) أى
 أعرض عن ذلك أصلا ورأسا ان تابوا وآمنوا وعاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق ونسخ
 بآية السيف وقوله تعالى (ان الله يحب المحسنين) تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبية
 على أن العفو عن الكافرين الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره روى الشيخان وغيرهما عن
 عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم سحره رجل من اليهود يقال له لبيد بن الاعصم
 وفى رواية البخارى أنه رجل من بنى زريق حليف لليهود وكان منافقا حتى كان يخيل اليه أنه يأتى
 النساء ولا يأتين وذلك أشد السحر ثم ان الله تعالى شفاه واعلمه أن السحر فى بئر ذروان فقالت له
 عائشة رضى الله عنها أفلا أخرجته فقال لا إنما أنا فقد عافاني الله وكرهت ان أتبع على الناس شرا
 فأمرت به فدنته وهو فى مجمع الطبراني الكبير وهذا القطة وعن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال

كان رجل يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فعهقه له عقدا فجعله في بئر رجل من الانصار فأتاه ملكان يعودانه فعهقه أحدهما عند رأسه والاخر عند رجله فقال أحدهما أتدري ما وجعه قال قتلان الذي يدخل عليه عقدا فأتاه في بئر فلان الانصاري فلما أرسل رجلا لوجد الماء أصفر فبعث رجلا فأخذ العقد فخلها فبرئ فكان الرجل بعد ذلك يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يذكر له شيئا منه ولم يعاتبه وعن أنس رضي الله عنه أن امرأة يهودية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فقالت أردت لاقلاك فقال ما كان الله ليسطلك على ذلك أو قال على قالوا أفلا نقتلها قال لا قال أنس فازلت أعرفها في لهوات النبي صلى الله عليه وسلم فانظر الى عفوه صلى الله عليه وسلم واقتدبه وفي ذلك غاية العفو والاحسان امتثال الامر ربه تعالى

وقيل فاعف عن مؤمنهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم (ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا من مشاقهم) أي وأخذنا من النصارى مشاقهم كما أخذنا من قبلهم (فان قيل) هلا قال من النصارى (أجيب) بأنهم انما سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله تعالى لقولهم لعيسى نحن أنصار الله وليسوا موصوفين به قال الحسن فيه دليل على أنهم نصارى بتسميتهم لا بتسمية الله تعالى (فقسوا) أي تركوا ترك الناسي (حظا) أي نصيبا عظيما يتنافس في مثله (عما ذكرناه) أي في الانجيل من الايمان ومن أوصاف محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ونقضوا الميثاق (فأغرينا) أي أوقعنا (بينهم) أي النصارى بعد أن جعلناهم فرقا متباينين وهم نسطورية ويعقوبية ومساكنية وكذا بينهم وبين اليهود (العداوة والبغضاء الى يوم التمامة) أي بتفرقهم واختلاف أهوائهم فكل فرقة تكفر الاخرى وقرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير بتحقيق الهزلة الاولى وتهيل الثانية والباقيون بتحقيقه هما (وسوف ينتههم الله) أي يجزيهم في الآخرة (بما كانوا يصنعون) فيجازيهم عليه وقوله تعالى (يا أهل الكتاب) خطاب لليهود والنصارى ووجد الكتاب لانه للجنس (قد جاءكم رسولنا) وهو أفضل الخلق محمد صلى الله عليه وسلم (يبين لكم) أي يوضح ايضا حاشافيا (كثيرا مما كنتم تحفون) أي تكفون (من الكتاب) أي التوراة والانجيل كفت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم في التوراة وبشارة عيسى بأحد في الانجيل (ويعفون عن كثير) أي عما تحفونه فلا يبينه اذ لم يكن فيه مصلحة في أمر ديني أو عن كثير منكم فلا يؤاخذهم بجرمه (قد جاءكم من الله نور) هو محمد صلى الله عليه وسلم الذي جلا ظلمات الشرك والشرك (وكتاب) هو القرآن العظيم (مبين) أي يبين في نفسه مبين لما كان خافيا على الناس من الحق (يهدي به الله) أي بالكتاب وقيل بهما ووجد الضمير لان المراد بهما واحدا لانهما كواحد في الحكم (من اتبع رضوانه) أي رضاه بأن آمن (سبل) أي طرق (السلام) أي السلامة من العذاب أو الله باتباع شرائع دينه (ويخرجهم من الظلمات) أي أنواع الكفر والوساوس الشيطانية (الى النور) أي الاسلام (بأذنه) أي بإرادته أو بتوفيقه (فيهديهم الى صراط مستقيم) أي طريق هي أقرب الطرق الى الله تعالى ومؤداه الى المحالة وهو الدين الحق (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) وذلك حيث جعلوه الها وهم البعقوبية فرقة من النصارى وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم يؤدى اليه حيث

اعتقدوا أنه يخلق ويحيي ويميت ويدبر أمر العالم (قل) لهم يا محمد (فإن ذلك) أي يدفع (من) عذاب (الله شيئاً) أي من الأشياء التي يتوهم أنها قد تنفعهم بما يريد (أن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً) أي لا أحد علك ذلك ولو كان المسيح الها القدر عليه فدل ذلك على أنه معزل من الألوهية وأنه مقدور مقهور وقابل للقضاء كسائر الممكات وأراد يعطف من في الأرض على المسيح وأمه أنهم ما من جنسهم لا تفاوت بينهم وبينهما في البشرية (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما) أي بين النوعين وبين أفرادهما ما يحابه تمام أمرهما (يخلق ما يشاء) أي على أي كيف أراد (والله على كل شيء قدير) أي قادر على الإطلاق يخلق من غير أصل كما خلق السموات والأرض ومن أصل كما خلق ما بينهما وينشئ من أصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات ومن أصل يجانسه أمان ذكر وحده كما خلق حواء من آدم أو من أنثى وحدها كعيسى بن مريم أو منهما كسائر الناس وقوله تعالى (وقالت اليهود والنصارى) أي كل طائفة قالت على حديثها (نحن أبناء الله وأحباؤه) اختلف المفسرون في معنى ذلك على أربعة أوجه أحدها أن هذا من باب حذف المضاف أي نحن أبناء رسل الله كقوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله الثاني أن لفظ الابن كما يطلق على ابن الصلب قد يطلق أيضاً على من اتخذ ابناً بمعنى تخصيصه بجزء الشفقة والمحبة فالقوم لما ادعوا عناية الله بهم ادعوا أنهم أبناء الله الثالث أن اليهود زعموا أن العزيز ابن الله والنصارى زعموا أن المسيح ابن الله ثم زعموا أن العزيز والمسيح كانا منهم فصار كأنهم قالوا نحن أبناء الله ألا ترى أن أقارب الملك إذا فارقوا أحد أبنائه يقولون نحن ملوك الدنيا والمراد كونهم محتصين بالشخص الذي هو الملك فكذا هنا الرابع قال ابن عباس رضي الله عنهما إن النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود إلى دين الإسلام وخوفهم من عقاب الله فقالوا كيف نخوفنا بعذاب الله ونحن أبناء الله تعالى وأحباؤه فهذه الرواية إنما وقعت عن تلك الطائفة وأما النصارى فأنهم يقولون في الإنجيل إن المسيح قال لهم اني ذاهب إلى أبي وأبيكم وقيل أرادوا أن الله كالاب لنا في الحنو والعطف ونحن كالأبناء له في القرب والمنزلة وقال إبراهيم النخعي إن اليهود وجدوا في التوراة يا أبناء أبحاري فبدلوه يا أبناء أبحاري فمن ذلك قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وجعله الكلام أن اليهود والنصارى كانوا يرون لأنفسهم فضلاً على سائر الخلق بسبب أسلافهم من الأنبياء إلى أن ادعوا ذلك (قل) لهم يا محمد (فلم يعذبكم بذنوبكم) أي فإن صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم ولا يعذب الاب ولده ولا الحبيب حبيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والأسر والمسح واعترفتم بأنه سيعذبكم بالنار أيام مدودة وقرأ البرزى في الوقف فلم يخلاف عنه (بل أنتم بشر من) (من خلقه) الله تعالى من البشر لكم ما لهم وعليكم ما عليهم (يعزبكم ما يشاء) أي من خلقه منه ومن غيركم تفضلاً منه تعالى (ويعذب من يشاء) كذلك كما شاهدونه بكرم ناساً منكم في هذه الدار ويهين آخرون لا اعتراض عليه وقرأ أبو عمرو بادغام الراء في اللام من يغفر والياء في الميم من يعذب بخلاف عنه ورقق ورش الراء على أصله (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما)

أى وأنتم عما بينهما فمن كان هكذا وقدرته هكذا كيف يستحق عليه البشر الضعيف حقاً واجبا
 وكيف يملك عليه الجاهل بعبادته الناقصة ديناً لازماً كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون
 الا كذباً ثم قال (والله المصير) أى المراجع فيجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته (يا أهل
 الكتاب) أى من الفريقين (قد جاءكم رسولنا) محمد صلى الله عليه وسلم (بين لكم) أى ما كنتم
 وحذف لتقدم ذكره أو الدين وحذف لظهوره ويجوز أن لا يقدر مفعول على معنى ويبدل
 لكم البيان ووجه بين لكم فى موضع الحال أى جاءكم رسولنا مبيناً لكم وقوله تعالى (على قبرة من
 الرسل) متعلق بجاءكم أى جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحى قال ابن
 عباس يريد على انقطاع من الانبياء فتشبه بفتورهم وبعده العهد بهم ونسبهم إلى أخبارهم وبلاء
 رسوهم وآثارهم وانطما س معالمهم وأنوارهم بشئ كان يغفل فتور لم يبق من وصفه المقصود
 منه الا أثر خاف ورسم دارس يقال قتر الشئ يفتقر تور اذا سكنت حركته وصار أقل مما كان
 عليه وسعت المدة بين الانبياء فترة الفتور الدواعى فى العمل بترك الشرائع واختلفوا فى مدة
 الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فقال أبو عثمان النهدي ستمائة سنة وقال قتادة خمسمائة
 وستون سنة وقال معمر والكلبي خمسمائة وستة وأربعون سنة وعن الكلبي بين موسى وعيسى
 الف وسبعمائة سنة وألف نبى وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم أربعة من الانبياء ثلاثة من
 بني اسرائيل وواحد من العرب وهو خالد بن سنان العبسي وفى الآية امتنان عليهم بان بعث
 اليهم حين انظمت آثار الوحى وكانوا أحوج ما يكون اليه قال البقاعى ولعله عبر بالمضارع
 فى بين إشارة الى ان دينه وبيانه لا ينقطع أصلاً بحفظ كتابه فكما درست سنة من الله تعالى به العالم
 يرد الناس اليها بالكتاب العزيز المجز القاسم أبداً فلذلك لا يحتاج الامر الى نبى مجدداً الا عند
 الفسنة التى لا تطيقها العلماء وهى فتنسة الدجال ويأجوج وماجوج ثم علل ذلك بقوله تعالى
 (أن) أى كراهة ان (تقولوا) أى اذا حشرتم وسلمتم عن أهلكم (ما جاءنا من بشير) أى بشير فر
 زائدة لتأكد النقي أى يبشرنا لترغب فعمل بما يسعدنا فنه فوز (ولا نذير) أى يحذرنا لترهب فتترك
 ما يشقينا فسلم وقوله تعالى (قد جاءكم بشير ونذير) متعلق بمحذوف أى لا تعتذروا بما جاءنا من
 بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير (والله على كل شئ قدير) أى فيقدر على ارسال تنورا واحدا بعد
 واحد على التعاقب كما فعل بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وعلى ارسال على فترة كما
 فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (واذ قال موسى لقومه) أى من اليهود (يا قوم
 اذكروا نعمة الله عليكم) أى انعامه فذكرهم بثلاثة أمور أولها قوله تعالى (اذ) أى حين (جعل
 فيكم) أى منكم (انبياء) فأرشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث فى أمة ما يبعث فى بني اسرائيل من الانبياء
 وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم وحزة والكسائي باظهار ذال اذ عند الجسيم وأدغمها
 أبو عمرو وهشام وثانيها قوله تعالى (وجعلكم ملوكة) أى وجعل منكم أوفكم فقد تكاثرت فيهم
 الملوك تكاثرا لانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهو ما يقتل عيسى وقال ابن عباس أصحأب
 خدم وحشم قال قتادة كانوا أول من ملك الخدم ولم يكن قبلهم مخدم وعن أبي سعيد الخدري

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان بنو اسرائيل اذا كان لا حدهم خادم وامرأة ودابة يكتب ملكا وقال أبو عبد الرحمن الجبلي سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال السفام من فقراء المسلمين المهاجرين فقال عبد الله له يا هذا ألك امرأة تأوى اليها قال نعم قال ألك مسكن تسكنه قال نعم قال فأنت غنى من الاغنياء قال ألك خادم قال نعم قال أنت من المولود قال السدى وجعلكم احرارا تكون امرأتكم بعد ما كنتم في أيدي القبط يستعبدونكم وقال النضال كانت منازلهم واسعة في امية جارية من كان مسكنه واسعا وفيه نهر جار فهو ملك وثالثها قوله تعالى (وأتاكم مالم يوت أحد من العالمين) وذلك لانه تعالى خصهم بأنواع عظيمة من الاكرام كخلق البحر لهم وأهلك عدوهم وأورثهم أموالهم وأنزل عليهم المن والسلوى وأخرج لهم المياه الغزيرة من الحجر وأحل فوقهم الغمام ولم يجمع الملك والنبوة لقوم كما اجتمع الهيم وكانوا في تلك الايام هم العلماء بالله تعالى وهم أحباب الله وأنصار دينه وقيل المراد بالعالمين عالمو زمانهم وقال الكلبي ان جعلت العالمين عاما واجب تخصيص ما تلائم انهم أو توأما لم توت هذه الامة من الكرامة والفضل وغير ذلك وان خصته بعالمى زمانهم فباقية على عمومها اذا لاحذوره ولما ذكرهم هذه النعم وشرحها لهم أمرهم بعد ذلك بجهاد العدو فقال (يا قوم ادخلوا الارض المقدسة) أى المطهرة وهى أرض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت مسكن الانبياء والمؤمنين وقال مجاهد فى الطور وما حوله وقال الكلبي هى دمشق وفلسطين وبعض الاردن وهو بضم الدال وتشديد النون اسم نهر أو كورة بالشأم قاله الجوهري وقال قتادة هى الشأم كلها (التي كتب الله لكم) أى فى اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقال السدى أمركم بدخولها (فان قيل) على القول الاول كيف كتبها لهم بعد قوله تعالى بعد فانهم محرمة عليهم (أجيب) بأجوبة أولها قال ابن عباس انها كانت هبة ثم حرمها عليهم بثمن ثم رددهم ومساكنهم ثانيا للفظ وان كان عاما لكن المراد به الخصوص فكأنها كتبت لبعضهم وحرمت على بعضهم ثالثها ان الوعد بقوله تعالى كتب الله لكم مشروط بقيد الطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط رابعها انها محرمة عليهم أربعين سنة فلما مضت الأربعون حصل ما كتب (ولا تزدوا على أدباركم) أى ولا ترجعوا مدبرين خوفا من العدو (فتنقلبوا خاسرين) أى فى سعيكم وذلك ان قوم موسى لما أخرجوا من مصر وعدهم الله تعالى اسكان أرض الشأم قال الكلبي سعد ابراهيم عليه السلام جبل لبنان فقل له انظر ما أدرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك وكان بنو اسرائيل يسمون أرض الشأم أرض الموعد ثم بعث موسى عليه السلام اثني عشر نقيبا ليتجسسوا لهم عن أحوال تلك الارض فلما دخلوا تلك الاماكن رأوا أجساما عظيمة قال ابن عادل قال المفسرون فأخذهم أحد أولئك الجبارين وجعلهم فى كه مع فأكهة قد جعلها من بساينه وأتى بهم للملك وثرهم بين يديه وقال تعجب الملك هؤلاء يريدون قتالنا فقال الملك ارجعوا الى صاحبكم فاخبروه بما شاهدتم ثم انصرف هؤلاء النقباء الى موسى عليه السلام فاخبروه بالواقعة فأمرهم أن يكفوا ما شاهدوه فلم يقبلوا قوله الا رجلين منهم وهما يوشع ابن نون بن افرائيم بن يوسف ففى موسى وكالب بن يوفناقى - موسى وكان من سبط يهوذا فانما

سهلا الامر وقال هي بلاد طيبة كثيرة النعم والاقوام وان كانت اجسامهم عظيمة الا ان قلوبهم
ضعيفة واما العشرة الباقية من النقباء فانهم اذقهوا الجبن في قلوب الناس حتى اظهروا
الامتناع ورفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا يا ليتنا متنا في ارض مصر او ليتنا غوت في هذه البرية
ولا يدخلنا الله ارضهم فتكون نساؤنا واولادنا واثقالنا غنيمة لهم ويقولون لاهلنا هم
تعالوا نجعل علينا رؤساء وننصرف الى مصر فذلك قوله تعالى (قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين)
اي عتاة قاهرين لغيرهم ~~مهم~~ رهين لغيرهم على ما يريدون (وانا لن ندخلها) خوفا منهم (حتى
يخرجوا منها) اي باى وجه كان (فان يخرجوا منها فاناد اخلون) لها واصل الجبار المتعظم المتنع
عن القهر يقال نخلة جبارة اذا كان طويلا تمتنعة عن وصول الايدي اليها وسمى هؤلاء القوم
جبارين لامتناعهم بطولهم وقوة اجسادهم وكانوا من العمالة وبقية قوم عاد فلما قال بنو
اسرائيل ما قالوا وهموا بالانصراف الى مصر خرم موسى وهرون عليهم السلام ساجدين وخرق
يوشع وكالب مباهما وهما اللذان اخبر الله تعالى عنهما في قوله (قال رجلان من الذين يخافون)
اي مخالفة امر الله تعالى (انتم الله عليهم) اي بالتوفيق والعصمة (ادخلوا عليهم الباب) اي باب
قرية الجبارين ولا تخشوهم فانار ايتناهم واجسادهم عظيمة بلا قلوب (فاذا دخلتموه فانكم
غالبون) اي لان الله تعالى منجز وعده (وعلى الله فتوكلوا وان كنتم مؤمنين) به ومصدقين بوعد
فأراد بنو اسرائيل ان يرجعوا بالجارية وعصوا امرهما ثم (قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا)
نقوادخلهم على التأكيد والتأييد وقوله تعالى (ماداموا فيها) بدل من ابد ابدل البعض
(فاذهب أنت وربك فقاتلا) هم (انا ههنا قاعدون) عن القتال لا القعود الذي هو ضد القيام
قالوا ذلك اسمته الله ورسوله وعدم مبا لاقم ما وقيل وربك أي هرون لانه أكبر منه وقيل
تقديره اذهب أنت وربك يعينك فلما سمع من قومه ذلك (قال رب انى لا أملك الاتقى وأخى)
أي لا أملك التصرف ولا نفذاً لمرى الا فى نفسى وأخى لان الانسان لا يملك نفسه فى الحقيقة انما
المراد به التصرف وانى أفعل ما أمرنى به وأخى كذلك قاله لشكوى شته وحرته الى الله عز وجل
لما خالفه قومه وأيس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون عليه السلام والرجلان
المذكوران وان كانا موافقانه لم يثق بهما كما كلب من تلون قومه أو ان المراد بأخى من
يوأخىنى فى الدين فبدخلان فيه وأظهر وجوه الاعراب فى أخى أنه منصوب عطفا على نفسى
والمعنى ولا أملك الا أخى مع ملكى نفسى دون غيرنا (فأفرق) أي فافصل (بيننا وبين القوم
الفاسقين) بأن تحكم لنا بما نسحقه ومحكم عليهم بما يستحقونه أو بالتبديد بيننا وبينهم (قال)
تعالى (فانها) أي الارض المقدسة (محترمة عليهم) ان يدخلوها وقوله تعالى (اربعين سنة
يتيمون) أي يصيبون (فى الارض) اختلاف فى العامل فى اربعين فقبل محترمة فيكون التحريم
مؤقتا غيره وبذلك لا يخالف ظاهر قوله تعالى التى كتب الله لكم وقيل هو يتيمون أى يسيرون
فيها متهمين قال الزجاج والاول خطأ لانه جاء فى التفسير انهم محترمة عليهم ابدافنصبا يتيمون
أى فيكون التحريم مطلقا قال البغوى لم يرد به تحريم تعبد وانما أراد تحريم منع وأوحى الله

تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام بي حلفت لاحترمت عليهم دخول الارض المقدسة غير
 عبدي يوشع وكاب ولا تيهنهم في هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الايام التي
 تجسسوا فيها سنة ولا لقين جيفهم في هذه القفار وأما بنوهم الذين لم يعملوا الشرف فدخلوها
 فلبثوا أربعين سنة في ستة فراعين وقيل تسعة فراعين قال ابن عباس وهم سقانة ألف مقاتل
 وكانوا يسرون كل يوم جادين فاذا أمسوا كانوا في الموضع الذي ارتحلوا عنه وكان الغمام
 يظلمهم من الشمس وعمود نور يطلع بالليل فيضي لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم
 من الحجر الذي يحملون فاذا ولدوا لاهدهم مولود كان عليه ثوب مثل الظفر في رأى العين يطول
 بطوله ويتسع بقدره الله والله أعلم بما يحكى من ذلك (فان قيل) كيف ينزل المن والسلوى
 في حال العقوبة (أجيب) بأنه سبب البقاء وهو أبقى للعقوبة فهو كاقامة الحد ومع بقاء الخطاب
 واختلاف اهل كان موسى وهرون عليهم السلام فيهم أولا قال البغوي الاصح انهما كانا فيهم
 الا انه كان ذلك راحة لهما وزيادة في درجاتهما وعقوبة لهما وهو أبلغ في الاجابة أن يشاهدوا
 في حال العقوبة فلا يسميهم ماما أصابهم ولم يدخل الارض المقدسة أحد من قال ان ندخلها بل
 هلكوا في التيه واما قاتل الجبارة أولادهم واختلافوا اهل مات موسى وهرون في التيه أم لا
 قال البيضاوي الاكثر انهما كانا معهم في التيه وانما ماتا فيه مات هرون قبل موسى
 وموسى بعده بسنة قال عمرو بن ميمون مات هرون قبل موسى وكانا خرجا الى بعض الكهوف فأتى
 هرون فدفنه موسى وانصرف الى بني اسرائيل فقالوا قتله لحبنا اياه وكان محببا في بني اسرائيل
 فتضرع موسى الى ربه فأوحى الله تعالى اليه ان انطلق بهم الى هرون فاني باعته فانطلق بهم الى
 قبره فناداه هرون فخرج من قبره ينفض رأسه فقال أنا قتلتك قال لا ولكن مات قال فعاد الى
 مضجعتك وانصرفوا وعاش موسى صلى الله عليه وسلم بعده سنة روى عن أبي هريرة رضي الله عنه
 انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ملك الموت الى موسى فقال له أجب أم ربك فاطم
 موسى عين ملك الموت ففقاها فقال ملك الموت يا رب انك أرسلتني الى عبدا لا يريد الموت وقد فقا
 عيني قال فرد الله عينه وقال ارجع الى عبدي وقل له الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك
 على متن نور فاوارت يدك من شجرة فانك تعيش به سنة قال ثم قال ثم عوت قال الآن من
 قريب قال رب أدنني من الارض المقدسة رمية حجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أني
 عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكتيب الاسمر قال وهب خرج موسى ليقضي حاجة
 فخر بها من الملائكة يحفرون قبره لم ير شيئا أحسن منه ولا مثل ما فيه من الحضرة والنضرة
 والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لن تحفرون هذا القبر فقالوا لعبد كريم على ربه فقال
 ان هذا العبد لن الله عزله ما رأيت كالיום أحسن منه مضجعا فقالت الملائكة يا ربنا الله
 تحب أن يكون لك قال وددت قالوا فانزل فاضطجع فيه وتوجه الى ربك قال فاضطجع فيه وتوجه
 الى ربه ثم تنفس أسهل نفس فقبض الله تعالى روحه ثم سوت عليه الملائكة التراب وقيل
 ان ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض الله روحه وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة

فلما مات موسى عليه السلام وانقضت الاربعون سنة بعث الله تعالى يوشع عليه السلام نبيا
فأخبرهم ان الله تعالى قد أمرهم بقتال الجبارة فصعدوه وبايعوه فتوجه بني اسرائيل الى
اريجامومعه تابوت الميثاق وأحاط بمدينة أريحا مدة أشهر ونهضوها في الشهر السابع
ودخلوها فقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم وكانت العصابة من بني اسرائيل
يجمعون على عنق الرجل يضربونها وكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس
تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد الشمس علي وقال للشمس انك في طاعة الله وأنا في
طاعة الله فسأل الشمس ان تقف والقمر ان يقيم حتى ينتقم من أعداء الله قبل دخول
السبت فردت عليه الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين وروى الامام أحمد
في مسنده حديثا ان الشمس لم تجلس على بشر الا ليوشع ليالي سار الى بيت المقدس ثم تتبع
ملوك الشام فاستباح منهم أحدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع أرض الشام وصارت الشام
كلها لبني اسرائيل وفرق عماله في نواحيها وجمع الغنائم فلم تنزل النار فأوحى الله تعالى الى
يوشع ان فيها غلولا فخرهم فليبايعوك فبايعوه فالتصقت يدرجل منهم يده فقال لهم ما عندك
فاتاه برأس نور من ذهب مكمل باليواقيت والجواهر وكان قد غلبه فجعله في القربان وجعل
الرجل معه فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان ثم مات يوشع ودفن في جبل ابراهيم وكان
عمره مائة وستة وعشرين سنة وتدرأمر بني اسرائيل بعد موسى سبعا وعشرين سنة فسبحان
الباقي بعد قنائه خلته * ولما قدم موسى عليه السلام على الدعاء عليهم قال تعالى (فلاتأس
على القوم الفاسقين) فبين تعالى انهم أحقاء بذلك لفسقهم (واتل عليهم نبأ ابني آدم) وهو ما
هايل وقايل وقوله تعالى (بالحق) صفة مصدر محذوف أي تلاوة متلبسة بالحق وقصتهما أن
الله تعالى أوحى الى آدم أن يزوج كل واحد منهما ما توأم الا آخر وكانت حواء تلد لآدم كل بطن
غلاما وغازية وظاهر كلام المؤرخين ان آدم لا يحل له أن يتزوج بواحدة من بناته ولا من
بنات أولاده ولهذا الغرض يعضهم بقوله ماتت زوجة رجل فحرم عليه نساء الدنيا وكان جميع
ما ولدته أربعين ولدا في عشرين بطنا أولهم قاييل وثوأمته اقليميا وثانيهم هايل وثوأمته يلودا
وآخرهم عبيد المغيث وثوأمته أم المغيث ثم بارك الله تعالى في نسل آدم عليه السلام قال ابن
عباس رضي الله عنهم ما لم يميت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفا فأراد آدم ان ينكح قاييل
يلودا أخت هايل وينكح هايل اقليميا وكانت أخت قاييل أحسن من أخت هايل فذكر ذلك
لولده فرضى هايل ومخط قاييل وقال هي أختي وأنا أحق بها فقال له أبوه انها لا تحل لك فأبى أن
يقبل ذلك وقال ان الله لم يأمر بهذا وانما هو من رأيك فقال لهما آدم قربا قربا فليكما تقبل قربانه
فهو أحق بها وكانت القرايين اذا كانت مقبولة نزلت من السماء نار يضاها كلفتها واذا لم تكن
مقبولة لم تنزل النار وأكله الطير والسباع فخر جاليقربا وكان قاييل صاحب زرع فقرب صبرة
من طعام من أورد ازرعه وأضمر في نفسه ما أبالي تقبل مني أم لا لا يتزوج أختي أبدا وكان هايل
صاحب غنم فعمدا الى أحسن كبش في غنمه فقربه وأضمر في نفسه رضا الله عز وجل فوضعا

قربانهم ما على الجبل ثم دعا آدم فتراب نار من السماء فأكلت قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل
كما قال تعالى (أذقرباناً قابلاً من أحدهما) وهو هابيل (ولم يقبل من الآخر) وهو قابيل
لأنه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد إلى أخس ما عنده فغضب قابيل لرد قربانه
وأضمر الحسد في نفسه إلى أن أتى آدم مكة لزيارة البيت الحرام فلما غاب آدم أتى قابيل لهابيل وهو
في غفاه (قال لاقتلتك) قال ولم قال لأن الله تعالى قبل قربانك ورد قرباني وتكبح أخى الحسنة
وأنت تكبح أخاك الدمية فيه تحدث الناس أنك خير مني ويفتخرون بذلك على ولدي (قال) هابيل
وما ذنبى (انما يقبل الله من المتقين) فان قيل كيف كان قول هابيل انما يقبل الله من المتقين
جواباً لقوله لاقتلتك (أجيب) بأنه لما كان الحسد لاخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله
على نؤعه بالقتل قال له انما أوتيت من قبل نفسك لانسلاخهما من لباس التقوى لأن قبلى
فلم تقبلنى ومالك لا تعاقب نفسك ولا تحملها على تقوى الله تعالى التى هى السبب فى القبول
فأجاب به بكلام حلیم مختصر جامع لمعان وفيه اشارة الى أن الحسد ينبغى أن يرى حرمانه من
تقصيره ويجهتد فى تحصيل ما صار به المحذور ومحظوظاً لا فى ازالة حظ المحذور فان ذلك مما
يضره ولا ينفعه وأن الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق وعن عامر بن عبد الله أنه بكى حين
حضرته الوفاة فقبل له ما يهيكك وقد كنت وكنت فقال انى أسمع الله يقول انما يقبل الله من
المتقين (لئن) لام قسم (بسطت) أى مددت (الى يدك لقتلنى ما أنا بياسط يدي اليك لاقتلك انى
أخاف الله رب العالمين) قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ما وایم الله ان كان المقتول لاشد
الرجلين ولكن منعه التخرج أن يسط الى أخيه يده خوفاً من الله عز وجل لان الدفع لم يبع به
أو تحزباً لما هو الافضل قال عليه الصلاة والسلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل
وانما قال ما أنا بياسط فى جواب لئن بسطت للتبرى عن هذا الفعل الشنيع رأساً والتحزب من أن
يوصف به ويطلق عليه ولذلك أكد لئن بالباء وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص يفتح الياء من يدي
والباقون بالسكون واتفق القراء السبعة على بقائه صفة الطاء فى بسطت وادغام الطاء فى التاء
لان مخرج الطاء والتاء واحد ولكن الصفة مختلفة فالطاء منطبعة والتاء منفتحة والطاء
مستعيلة والتاء مستقلة والطاء مجهورة والتاء مهموسة ويقال فى ذلك ادغام الحرف وابقاء
الصفة (اننى أريد أن تبوء) أى ترجع (بائى) أى بائعاً نفسي (وانك) الذى ارتكبه من قبل
(فتكون من أصحاب النار) ولا أريد أن أبوء بانك اذا قتلتك فأكون منهم (فان قيل) كيف قال
أريد أن تبوء بائى وانك واردة القتل والمعصية لا تجوز (أجيب) أن ذلك ليس بحقيقة ارادة
لكنه لما علم انه يقتله لا محالة ووطن نفسه على الاستسلام طلباً للثواب فكأنه صار يريد
اقله مجازاً وان لم يكن مریداً حقيقة (وذلك جزاء الظالمين) أى الراغبين فى وصف الظلم وأكون
أنا من أصحاب الجنة جزاء لى باحسانى فى ايتارى حياتك على حياتى وذلك جزاء المحسنين
(فطوعت) قال قتادة فزيت (له نفسه قتل أخيه فقتله) قال ابن جرير عثله ابليس وأخذله
طائراً ووضع رأسه على حجر وشدخ رأسه بحجر آخر وقابل ينظر اليه فعلمه القتل فرضع قابيل

رأس هابيل بين حجرين وقتله وهو مستلم وقيل اغتاله في النوم وهو نائم فشدخ رأسه فقتله
 (فأصبح) أي قصار (من الخاسرين) بقتله ولم يدر ما يصنع به لانه أول ميت على وجه الارض من
 بني آدم وكان له ايل يوم قتل عشرون سنة فعمله بعد قتله في جراب أربعين يوما وقال ابن عباس
 سنة حتى أروح وعكف عليه الطير والسباع تنظر متى يرمي فتأكله فبعث الله غوايين فاقتلوا
 فقتل احدهما صاحبه ثم حفروا له بقارور وجليه حتى مكنه ثم ألقاه في الحفرة وواراه وقايل ينظر
 اليه فذلك قوله تعالى (فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه) أي الله أو ليريه الغراب أي ليعلمه
 لانه لما كان سبب تعليمه فكانه قصد تعليمه على سبيل الجواز (كيف يوارى) أي يستر (سواة)
 أي جيفة (أخيه) وقيل عورته لانه كان سلبه ثيابه فلما رأى قاييل ذلك (قال يا ويلتي) كلمة
 جزع وتحسر والاف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا أو انك والويل
 والويل الهلكة (أعجزت) أي مع ما جعل الله لي من القوة اللاطقة (أن) أي عن أن (أكون)
 مع مالي من الجوارح الصالحة لا أعظم من ذلك (مثل هذا الغراب فاوارى سواة أخى) أي
 لا تهدي الى ما اهتدى اليه وقوله تعالى فأوارى عطف على أكون وليس جواب الاستفهام
 اذ ليس المعنى لو عجزت لو اريت (فأصبح) أي بسبب قتله (من النادمين) أي على ما فعل لانه فقد
 أخاه وأغضب ربه وأباه وما انتفع من قتله بشئ قال المطلب بن عبد الله بن حنطب لما قتل ابن
 آدم أخاه رجعت الارض بما فيها سبعة أيام وعن ابن عباس لما قتل آدم عليه السلام بمكة
 اشتك الشجر وتغيرت الاطعمة وحضت وأمر الماء واغبرت الارض فقال آدم عليه السلام
 قد حدث في الارض حدث وروى أنه لما قتل اسود جسده وكان أبيض وشربت الارض الدم
 فسأله آدم عليه السلام بعد مجيئه من مكة عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيفا فقال بل قتلته
 ولذلك اسود جسدي قال فأين دمه ان كنت قتلته فحرم الله عز وجل على الارض من يومئذ
 أن تشرب دما بعده أبدا وعن الواقدي ان السودان كلهم من ولده وعن محمد بن اسحق
 كان نوح نائما فراه ابنه حام عريا فلم يستره فاسود في الوقت قال السودان من ولده ورآه ابنه سام
 فستره وروى ان آدم صلوات الله وسلامه عليه مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وأمه لما اتى
 من مكة الى الهند وثابه بشعر وهو

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح

تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الملاح

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال من قال ان آدم قال شعرا فقد كذب ان محمدا
 والانباء كلهم عليهم الصلاة والسلام في النهي عن الشعر سواء روى انه وثابه فلم يزل ينقل
 حتى وصل الى يعرب ابن خطان وكان يقول الشعر فنظر الى المراثية فاذا هي صبيح فقال ان هذا
 يقوم منه شعر فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا وزيد فيه أبيات منها

أرى طول الحياة على غما * فهل أنا من حيائي مستريح

ومالي لا أجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح

فلم يمتض من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بحسين سنة ولدت له حواء شيئا
وتفسيره هبة الله أي أنه خلف الله من هابيل عليه الله ساعات الليل والنهار وأعلمه الله عبادة
الخلق في كل ساعة منها وأنزل عليه خمسين صحيفة وصار وصي آدم وولي عهده وأما قاييل فقتل
له أذهب طريقا شريدا فزاعمر عوبالا يأمن من يراه فأخذ بيد أخته اقليميا وهرب بها إلى عدن
من أرض اليمن فأتاه ابليس لعنه الله تعالى وقال له انما كنت النار قربان أخيك لأنه كان يعبد
النار فانصب أنت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من عبد النار قال مجاهد
واخذ أولاد قاييل آلات الله من البراع والطبول والمزامير والعيودان والطنابير
وانهم مكوا في الله وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والقوا - ش حتى أغرقهم الله تعالى بالطوفان
أيام نوح عليه السلام وبقي نسل نوح عليه السلام قال البقاعي في تفسيره والله أعلم بما روى
من ذلك ولا يعتمد على مثل هذه الأحاديث وقد أحسن الطبري بقوله أخبر الله تعالى
بقتله ولا خير يقطع العذر بصفة قتله على ما ذكرنا منه في مثله ولا فائدة في طلب الصحيح منه في الدين
هـ وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل
من دمها لأنه أول من سن القتل (من أجل ذلك) أي الذي فعله قاييل (كتبنا) أي قضينا
(على بني إسرائيل) في التوراة لأنهم كانوا أشد الناس جراءة على القتل ولذلك كانوا يقتلون
الأنبياء (أنه) أي الشأن (من قتل نفسه) أي من بني آدم (بغير نفس) أي بغير قتل نفس يوجب
الاقصاص (أو) قتلها بغير (فساد) أتاها (في الأرض) كالشرك والزنا بعد الإحصان وقطع
الطريق وكل ما يبيع أراقة الدم (فكأنما قتل الناس جميعا) أي من حيث هي تلك حرمة الدماء وسن
القتل وحرمة الناس عليه أو من حيث أن قتل الواحد وقتل الجميع سواء في استحلال غضب الله
والعذاب العظيم (ومن أحيها) أي بسبب من الأسباب كإفقاد من هلكة أو غرق أو دفع من
يريد أن يقتلها ظلما (فكأنما أحيى الناس جميعا) قال ابن عباس من حيث عدم انتهاك حرمتها
وصونها قال سليمان بن علي قلت للعسن يا أبا سعيد أهي لنا أي هذه الآية كما كانت لبني
إسرائيل قال أي والذي لا اله غيره ما كانت دماء بني إسرائيل أكرم على الله من دماءنا هـ ومما
يحسن إرادته هنا ما ينسب لامير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقيل أنه للشافعي رحمه
الله تعالى

الناس من جهة التمثيل أكفاء * أبوهم آدم والام حواء
نفس كنفس وأرواح مشاكلة * وأعظم خلقت فيهم وأعضاء
فان يكن لهم في أصلهم حسب * يقاخرون به فالطين والماء
ما الفخر إلا لاهل العلم انهم * على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل أمرئ ما كان يحسنه * وللرجال على الأفعال أسماء
وضد كل أمرئ ما كان يجمله * والجاهلون لاهل العلم أعداء
فدفع علم تعش حيا به أبدا * فالناس موقى وأهل العلم أحياء

(ولقد جاءتهم) أي بني إسرائيل (رسالة بالبينات) أي المجزات وقرأ أبو عمر وبسكون السين

والباقون بعضهم) ثم ان كثير منهم بعد ذلك) أي بعدما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم وأرسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة تأكيذا للامر وتجديدا للعهد (في الأرض لمسرفون) أي مجاوزون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها ونزل في العربيين لما قدموا المدينة وهم مرضى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وهم كذبة فبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم الى ابل الصدقة ليشربوا من البئر وأبو الهافلما صهوا قتلوا الراعي وأسامة قوا الابل (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) أي يحاربون أولياءه ما هم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهم ما تعظيما (ويسعون في الأرض فسادا) أي بقطع الطريق (أن يقتلوا) أي ان قتلوا (أو يصلبوا) أي مع ذلك ان قتلوا وأخذوا المال أي والصلب ثلاثا بعد القتل (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) أي أيديهم أي يمينهم وأرجلهم اليسرى ان اقتصروا على أخذ المال (أو ينقلوا من الأرض) أي ان أرعبوا ولم يأخذوا شيئا أي ينقلوا من بلاد الى بلد ان رأى الامام ذلك وان رأى حبسهم فله ذلك ولو في بلادهم هكذا فسر الآية ابن عباس رضي الله عنهما فحمل كلمة أو على التنوين لا التخيير كما في قوله تعالى وقالوا كونوا هودا أو نصارى أي قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى اذ لم يخيرا أحد منهم بين اليهودية والنصرانية (ذلك) أي الجزاء العظيم (لهم خزي) أي ذل واهانة (في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) هو عذاب النار واحتج أكثر أهل العلم على أن هذه الآية نزلت في قطاع الطريق بقوله تعالى (الا الذين تابوا) أي رجعوا عما كانوا عليه من المحاربة خوفا من الله تعالى (من قبل أن تقدروا عليهم) أي فان حقوقه تعالى تسقط عنهم كالقطع والصلب وتحتم القتل وينفي القصاص والمال لانه حق آدمي لا يسقط بالتوبة (فاعلموا أن الله غفور) لهم ما أتوا (رحيم) بهم ولو كانت نزلت في الكفار لكانت توبتهم بالاسلام وهو رافع للعقوبة قبل القدرة وبعدها (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أي خافوا عقابه بأن تطيعوه (وابتغوا اليه الوسيلة) أي اطلبوا ما توسلون به الى ثوابه والزلزني منه من فعل الطاعات وترك المعاصي من وصل الى كذا اذا تقرب اليه قال لبيد

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم * ألا كل ذي لب الى الله واسل
وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة (وجاهدوا في سبيله) بمحاربة أعدائه لتكون كلمة الله هي العليا (لعلكم تفلحون) بالوصول الى الله عز وجل والفوز بكرامته (ان الذين كفروا لو) ثبت (أن لهم ما في الأرض) من صنوف الاموال وأكده بقوله (جميعا ومثله معه ليفتدوا به) أي ليحصلوه ثدية لانفسهم (من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم) أي لان المدفوع اليه ذلك تام القدرة وله الغنى المطلق (ولهم) بعد ذلك (عذاب أليم) أي مؤلم (يريدون أن يخرجوا) أي أن يكون لهم الخروج في وقت ما اذا دفعهم اللهب الى أن يكاد أن ياقظهم خارجا (من النار) ثم نفي خروجهم على وجه التأكيذ فقال (وما هم بخارجين منها) أي ما ثبت لهم خروج اصلا (ونهم) خاصة دون عصاة المؤمنين (عذاب مقيم) أي دائم تارة بالبرد وتارة بالحتر وتارة بغيرهما (فان قيل)

قال تعالى لا يذوقون فيها برءافه وما ذكري (أجيب) بأن المراد بالبرد في الآية النوم فلا
مناقاة وأل في قوله تعالى (والسارق والسارقة) موصولة بمبتدأ أي والذي سرق والتي سرقت
ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو (فاقطعوا أيديهما) أي يمين كل واحد منهما من
الكوع كما بينته السنة كما بينت أنه لا بد أن يكون المسروق ربع دينار وفصاعدا من حوز مثله من
غير شبهة له فيه وأنه إذا عا د قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليد اليسرى ثم الرجل اليمنى ثم
بعد ذلك يعززه ثم على تعالى ذلك بقوله (جزاء بما كسبا) أي فعلا من ذلك ثم على تعالى هذا الجزاء
بقوله (نكالا) أي عقوبة لهما (من الله) وأعاد الاسم الأعظم تعظيما للامر فقال (والله عزيز)
أي غالب على أمره (حكيم) أي بالغ الحكيم والحكمة في خلقه (فن تاب) أي من السراق
(من بعد ظله) أي سرقة (وأصلح) أمره بالتخلص من التبعات والعزم على أن لا يعود إليها
(فإن الله يتوب عليه) أي يقبل توبته تفضلا منه تعالى (إن الله غفور رحيم) فلا يعذبه في
الآخرة وأما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند الأكثرين وإذا قطع السارق يجب عليه غرم
ما سرق من المال عند أكثر أهل العلم وقال سفيان الثوري وأصحاب الرأي لا غرم عليه
وبالاتفاق إن كان المسروق قائما عنده يسترد وتقطع يده لأن القطع حق الله عز وجل والغرم
حق العبد ولا يمنع أحدهما الآخر وقوله تعالى (ألم تعلم) الاستفهام للتقرير والخطاب مع النبي
صلى الله عليه وسلم وقيل معناه ألم تعلم أيها الإنسان فيكون خطا بالكل أحد من الناس (أن
الله له ملك السموات والأرض) أي أن الملك خالص له عن جميع الشوائب (يعذب من يشاء)
تعذيبه (ويغفر لمن يشاء) المغفرة له (والله على كل شيء قدير) أي ومنه التعذيب والمغفرة فليس
هو كغيره من الملوكة الذين قد يهجز أحدهم عن تقريب ابنه وتبعية أعداءه (يا أيها الرسول)
أي المبلغ لما أرسل به وقوله تعالى (لا يحزنك) قرأنا نافع بضم الياء وكسر الزاي والباقون بفتح
الياء وضم الزاي (الذين يسارعون في الكفر) أي يتعجلون فيه بسرعة بأن يظهره إذا وجدوا
منه فرصة وقوله تعالى (من الذين قالوا آمنا) للبيان وقوله تعالى (بأفواههم) أي بالسنتهم
متعلق بقالوا (ولم تؤمن قلوبهم) وهم المنافقون وقوله تعالى (ومن الذين هادوا) عطف على
من الذين قالوا وقوله تعالى (سماعون للكذب) خبر مبتدأ محذوف أي هم سماعون والضمير
في سماعون للفرقة أول الذين يسارعون ويجوز أن يكون مبتدأ ومن الذين خبره أي ومن
اليهود قوم سماعون للكذب الذي أفترته أخبارهم سماع قبول (سماعون) منك (لقوم)
أي لأجل قوم (آخرين) من اليهود (لم يأتوك) أي لم يحضروا مجلسك وتجاوزوا عنك تكبرا
وافراطا في البغضاء (يحترفون الكلام) أي الذي في التوراة كآية الرجم (من بعد ما وضعه)
أي التي وضعها الله عليها أي يدلونه (يقولون) أي الذين يحترفونه لمن يرسلونهم للنبي صلى الله عليه
وسلم (إن أوئيت هذا) أي المحترف أي أفتاكم به محمد صلى الله عليه وسلم (نخذه) أي فاقبلوه منه
واعلموا أنه الحق واعملوا به (وإن لم تؤتوه) أي بأن أفتاكم بخلافه (فاحذروا) أن تقبلوه منه فإنه
الباطل والضلال روى أن شريفا في خيبر زنا بشريفة وكانا محصنين وحدهما الرجم في التوراة

فكرهوا رجمه ما شرفه ما قالوا ان هذا الرجل الذي يثرب ليس في كتابه الرجم ولكن الضرب فأرسلوه مامع رهط منهم الى بنى قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وقالوا ان أمركم بالجلد والتعصيم أى تسويد الوجه من الحمة بالضم والتشديد وهى السواد فاقبلوا وان أمركم بالرجم فلا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد أخبرنا عن الزانى والزانية اذا أحصنا ما حدتهما في كتابك فقال هل ترضون بقضائى فقالوا نعم فنزل به بريل عليه السلام بالرجم فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا أمردا يسمى عور يسكن فذلك يقال له ابن صوريا قالوا نعم فقال هو أى رجل فيكم فقالوا هو أعلم به ودى بى على وجه الارض بما أنزل الله على موسى بن عمران فى التوراة قال فأرسلوا اليه فقه لواءا تأتهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم قال أعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال فجعلوا له بينى وبينكم قالوا نعم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجىكم وأغرق آل فرعون والذى أنزل عليكم كتابه وحلله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحسن قال نعم فوثب عليه سفلته اليهود فقال خفت ان كذبت أن ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء كان يعرفها من أعلامه فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن رسول الله النبي الاتى العربى الذى بشر به المرسلون فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزنايين فرجما عند باب مسجده وقال اللهم انى أول من أحيا أمرك اذا ما أتوه فأنزل الله عز وجل يا أيها الرسول الآية وروى أن اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم قالوا نقتضهم ويجلدون قال عبد الله ابن سلام كذبتم ان فيها آية الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم وقرأ ما بعدها فقال له عبد الله ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم قالوا صدقت يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فرأيت الرجل يلقى يده عن المرأة الحجارة (فائدة) كانت آية الرجم فى القرآن فنسخت تلاوتها وبقي حكمها روى البيهقى عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهما أنه قال فى خطبة ان الله بعث محمدا وأنزل عليه كتابا وكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقتلوناها ووعيناها الشيخ والشحنة اذا زنا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم وسيأتى الكلام فى سورة الاحزاب أن هذه الآية كانت فيها (ومر يرد الله فتنته) أى اضلاله أو فضيخته (فمن غلث) أى ان تستطيع (له من الله شيئا) فى دفعها واذا لم غلث أنت وأنت أقرب الخلق الى الله تعالى فمن غلث (أولئك) أى البعدا من الهدى (الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم سم) أى من الكفر ولولوا راده لكان وهذا كما ترى نص على فساد قول المعتزلة بأنه أراد ذلك (لهم فى الدنيا خزي) أى ذل بالفضيحة والخزبة والخوف من المؤمنين (وله سم فى الآخرة عذاب عظيم) وهو الخلود فى النار والضمير للذين

هادوا ان استأنفت بقوله تعالى ومن الذين والاقلاضريقين وقوله تعالى (سماعون للكذب) كره
 للتأكيد (أكلون للسحت) وهو كل ما لا يحل كسبه وهو من سخته اذا استأصله لانه مسحوت
 البركة كما قال الله تعالى يحق الله الربا والربا باب منه وكانوا يأخذون الرشاعلى الاحكام وبحليل
 الحرام وعن الحسن رحمه الله تعالى كان الحاكم في بنى اسرائيل اذا اتاه أحدهم برشوة جعلها في
 كفه فأراه اياها وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فياكل الرشوة ويسمع الكذب
 وعنه صلى الله عليه وسلم كل لحم أنبتته السحت فالتارأولى به وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي
 بضم الحاء والباء قون بالسكون (فان جاؤك) أى لتحكم فيهم (فاحكم بينهم أو أعرض عنهم)
 هذا تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا هل نسخ هذا التخير أم لا فقال أكثر أهل العلم
 هو محكم ثابت وليس في سورة المائدة منسوخ وحكام المسلمين بالخيار في الحكم بين أهل الكتاب ان
 شاؤا حكموا وان شاؤا لم يحكموا بحكم الاسلام وهو قول النخعي والشعبي وعطاء وقتادة
 وقال قوم يجب على حكام المسلمين ان يحكموا بينهم والاية منسوخة نسخها قوله تعالى وان
 احكم بينهم بما أنزل الله وهو قول مجاهد وعكرمة ومروى ذلك أيضا عن ابن عباس وقال لم ينسخ
 من المائدة الا آيتان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله نسخها قوله تعالى اقتلوا المشركين وقوله تعالى
 فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم نسخها قوله تعالى وأن احكم بينهم بما أنزل الله ومذهب
 الشافعي رضى الله تعالى عنه ان الذميين وان اختلفت ملتهم ما كيهودى ونصرانى يجب الحكم
 بينهم ما عند الترافع وكذا الذى مع المعاهد بخلاف المعاهدين فان الحكم لا يجب بينهم لانهم لم
 يلتزموا بأحكامنا ولا التزمنا دفع بعضهم عن بعض فيحمل التخير على هذا والاية الاخرى على
 أهل الذمة ويعلم من ذلك ان الحكم بين الحريين لا يجب بطريق الاولى ولوترافع الينا ذميان في
 شرب خمر لم نقتلهم وان رضيا بحكمنا لانهم لا يعتقون تحريمه ولوترافع الينا مسلم وذمى وجب
 الحكم بينهم الجاعا (وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا) بأن يعادوك لا عراضك عنهم فان الله
 تعالى يعصمك من الناس (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) أى بالعدل الذى أمر الله تعالى به
 (ان الله يحب) أى يثيب (المقسطين) أى العادلين في الحكم وقوله تعالى (وكيف يحكمونك)
 وعندهم التوراة فيها حكم الله استفتهاهم تعجب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان
 الحكم منصوص عليه في كتابهم الذى هو عندهم وتنبه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة
 الحق واقامة الشرع وانما طلبوا منه ما يكون أهون عليهم وان لم يكن حكم الله تعالى في زعمهم
 (ثم يقولون) أى يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم (من بعد ذلك) التحكيم وهذا داخل في
 حكم التعجب فانه معطوف على يحكمونك (وما أولئك) أى البعداء من الله (بالمؤمنين)
 أى بكتابهم لا عراضهم عنه أولا أولئك وبه (انا أنزلنا التوراة فيها هدى) يهتدى من الضلالة
 الى الحق (ونور) يكشف ما اشتبه عليهم من الاحكام (يحكمهم النبيون) أى من بنى
 اسرائيل وقوله تعالى (الذين أسلموا) ذكر على وجه الصفة للانبياء للتنبؤ به بشأن الصفة
 دون التخصيص والتمييز لانهم كلهم هم هذه الصفة منقادون لله تعالى والتنبية على عظم قدرها

حيث وصف بها عظيم كما وصف الانبياء بالصلاحي والملائكة بالايان فان أوصاف الاشراف
أشراف الاوصاف وقوله تعالى (للذين هادوا) متعلق بأنزل أو يصحكم أي يحكمون بها في تحاكمهم
وهو يدل على أن النبيين أنبياء وهم وقوله تعالى (والرانيون) أي الزهاد الذين انسلخوا من الدنيا
وبالغوا فيما يوجب النسبة الى الرب (والاحبار) أي العلماء السالكون طريقة أنبيائهم عطف على
النبيون (بما) أي بسبب الذي (استحفظوا) أي استودعوه (من كتاب الله) أي استحفظهم الله
تعالى اياه بأن يحفظوه من التضييع والتصرف أو بأن يحفظ فلا ينسى وقد أخذ الله على العلماء
حفظ كتاب الله من هذين الوجهين معا أحدهما أن يحفظ في صدورهم ويدرسوه بالسننهم والثاني
أن لا يضيعوا أحكامه ولا يملوا شرائعه والراجع الى ما حذف ومن للتبيين والضمير في
استحفظوا للانبياء والرانيين والاحبار جميعا وكذلك الضمير في قوله تعالى (وكانوا عليه شهداء)
أي رقباء حاضرين لا يغيبون عنه ولا يتركون مراعاته أصلا وقوله تعالى (فلا تخشوا الناس
واخشوني) نهي للحكام أن يخشوا غير الله تعالى في حكوماتهم خوفا من سلطان ظالم أو خيفة
أذية أحد من الاقرباء والاصدقاء وقرأ أبو عمرو وبأشبات المياه في الوصل دون الوقف والباقون
يحذفها وصلا ووقفا (ولا تشتروا) أي تستبدلوا (بأشياء) أي بأحكامي التي أنزلتها (ثمنا قليلا) أي
من الرشا وغيرها التكتوا وتبدلوا كما فعل أهل الكتاب وقوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك
هم الكافرون) قال عكرمة معناه ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحدا له فقد كفر ومن أقربه ولم يحكم
به فهو ظالم فاسق في كل الآيات على هذا وهو ظاهر وقال الضحاك وقتادة نزلت هذه الآيات
الثلاث في اليهود ودون من أساء من هذه الامة (وقيل) أولئك هم الكافرون في المسلمين لاتصالها
بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصاري (وكتبتنا) أي فرضنا (عليهم) أي اليهود
(فيها) أي التوراة (أن النفس) تقتل (بالنفس) اذا قتلها (والعين) تقف (بالعين) أي بعين من فقهاها
(والأنف) تجدد (بالأنف) أي بأنف من جدعه (والاذن) تقطع (بالاذن) أي باذن من قطعها
(والسن) تقلع (بالسن) أي بسن من قلعها (والجروح قصاص) أي يقتص فيها اذا أمكن كاليد
والرجل والذكر ونحو ذلك وما لا يمكن فيه القصاص فيه الحكومة وهذا الحكم وان كتب عليهم
فهو مفروض في شرعنا وقرأ الكسائي هذه الالفاظ الخمسة وهي العين بالعين الى آخرها بالرفع على
انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكأنه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس
والعين بالعين فان الكتابة والقراءة يقعان على الجمل كالقول أو مستأنفة ووافق الكسائي ابن
كثير وأبو عمرو وابن عامر في الجروح فقط والباقون بالنصب في الجميع وسكن نافع الذال من الاذن
وقرأ الباقر برفعها (فمن تصدق به) أي القصاص بأن مكن من نفسه (فهو) أي التصدق
بالقصاص (كفارة) أي لما أتاه فلا يعاقب ثانيا في الآخرة وقيل فمن تصدق به من أصحاب
الحق فالتصدق به كفارة للمتصدق بكفر الله تعالى به من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر
طاعاته وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ما تبهم عنه دنوبه بقدر ما تصدق به وقيل
فهو كفارة لليمان اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه (ومن لم يحكم بما أنزل الله) أي

في القصاص وغيره (فأولئك هم الظالمون) أي الذين تركوا العدل ففصلوا وأمكن يمشي
 في الظلام فإن كان تدينا بالترك كان نهاية للظلم وهو الكفر والالكان عصيانا لآلات الله تعالى أحق
 أن يخطئ ويربى (وقفينا) أي أتبعنا (على آثارهم) أي النبيين الذين يحكمون بالتوراة
 (بعيسى بن مريم) صلى الله عليه وسلم ونسبه تعالى إلى أمته إشارة إلى أنه لا والد له تكذبا
 لليهود وإلى أنه عبد مربوب تكذبا للنصارى (مصدقاً لما بين يديه) أي قبله مما أتى به موسى
 عليه السلام (من التوراة) وأشار تعالى بقوله (وآتيناه الانجيل) أي أنزلناه عليه كما أنزلنا
 التوراة على موسى عليهما الصلاة والسلام إلى أنه ناسخ لكثير من أحكامها (فيه هدى)
 من الضلالة (ونور) أي بيان للأحكام وقوله تعالى (ومصدقاً) أي الانجيل حال (لما بين يديه)
 أي قبله * ولما كان الذي نزل قبله كثير من المراد بقوله (من التوراة) أي ما فيها من الأحكام
 فالاول صفة لعيسى عليه الصلاة والسلام والثاني صفة لكتابه أي فهو التوراة والانجيل
 يتصادقون فكل من الكافرين يصدق الآخر وهو يصدقهم لم يتخالفوا في شيء بل هو متضاق
 بجميع ما أتى به (وهدى وموعظة للمتقين) أي كل ما فيه يهتدون به ويتعظون فترق قلوبهم
 ويعتبرون به (وليحكم أهل الانجيل) وهم اتباع عيسى عليه الصلاة والسلام (بما أنزل الله فيه) أي
 من الأحكام وقرأ جزء بكسر اللام ونصب الميم عطف على معمول آتيناه والباقيون بكسر
 اللام وسكون الميم على الأمر أي فليمنه أهل التوراة عما نسخ منها وليحكم أهل الانجيل الخ
 (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) أي المختصون بكل الفسق فإن كان تدينا كان
 كفراً وإن كان لا اتباع للشهوات كان مجرد معصية لأن المخطوط والشهوات تحمل على الخروج
 من دائرة الشرع مرة بعد أخرى (وأنزلنا إليك) يا محمد خاصة (الكتاب) أي الكامل في جمعه
 لكل ما يطلب منه وهو القرآن وقوله تعالى (بالحق) متعلق بأنزلنا (مصدقاً لما بين يديه) أي
 قبله * ولما كانت الكتب السماوية من شدة تصادقها كالشيء الواحد عبر تعالى بالمفرد فقال (من
 الكتاب) أي الكتب المنزلة التي جاء بها الأنبياء من قبل فاللام الأولى في الكتاب للعهد لانه
 عني به القرآن والثانية للجنس لانه عني به جنس الكتب المنزلة (ومهمنا عليه) أي رقيباً على سائر
 الكتب أي يحفظها من التغير والتبديل ويشهد لها بالصحة والثبات (فاحكم بينهم) أي بين
 جميع أهل الكتاب اذ اترافعوا إليك (بما أنزل الله) إليك في هذا الكتاب الناسخ لكتبهم
 المهيمن عليها في إثبات ما أسقطوه منها من أمرهم باتباعك ونحو ذلك من أوصافك (ولا تتبع
 أهواءهم) فيما خالفه عادلاً (عما جاءك من الحق) بالاضراف عنه إلى ما يشتهونه (لكل جعلنا
 منكم) أيها الأمم (شريعة) أي ديناً موصلاً إلى الحياة الأبدية والشريعة هي الطريقة إلى
 الماء شبه بها الدين لانها موصلة إلى الماء الذي به الحياة الدنيوية (ومنهاج) أي طريقاً واضحاً
 في الدين ناهضاً لما قبله وقد جعلنا شركتك ناسخة لجميع الشرائع وأمثاله مما يدل على أننا نسنا
 متعبدين بالشرائع المتقدمة وأن كل رسول غير متعبد بشرع من قبله وهو محمول على الفروع
 ومادل على الاجتماع كآية شرع لكم من الدين محمول على الأصول (ولو شاء الله لجعلكم أمة)

أى جماعة (واحدة) أى متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل (ولكن) لم يشأ ذلك بل شاء أن تكونوا على شرائع مختلفة (ليبلوكم) أى ليختبركم (فما آتاكم) من الشرائع المختلفة ليبرز إلى الوجود المطيع منكم والعاصي (فاستبقوا الخيرات) أى استدروها انتهزوا الفرصة بغاية الجهد فقد من يسابق شخصاً يخشى العار بسببه وقوله تعالى (إلى الله مرجعكم جميعاً) أى بالبعث استئناف فيه تعليل للأمر بالاستباق ووعده للمبادرين ووعده للمقصرين (فينبئكم) أى يخبركم (بما كنتم فيه تختلفون) أى من أمر الدين ويجزى كلامكم بهمه وقوله تعالى (وان احكم بينهم بما أنزل الله) عطف على الكتاب أى أنزلنا إليك الكتاب والحكم أو على الحق أى أنزلناه بالحق وبأن احكم وقرأ أبو عمرو وعاصم وحذرة بكسرون وأن احكم والباقون بضمها (ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن) أى أن لا يفتنوك أى يضلوك ويصرفوك (عن بعض ما أنزل الله إليك) روى أن احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا إلى محمد لعلمنا نقتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا احبار اليهود وأنا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وأن بيننا وبين قومنا خصومة فتحمكم فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (فان تولوا) أى عن الحكم المنزل وأرادوا غيره (فاعلم أنما يريد الله أن يصيهم) أى بالعقوبة في الدنيا (ببعض ذنوبهم) أى التي أتوها ومنها التولي ويجازيهم على جميعها في الآخرة (وان كثيرا من الناس) أى هم وغيرهم (لقاسقون) أى خارجون عن دائرة الطاعات ومعادن السعادات (أخكم الجاهلية) أى خاصة مع أن احكامها لا يرضى بها عقل لكونها لم يدع اليها كتاب بل هي مجرد أهواءهم أهل الكتاب (يغفون) أى يريدون باعراضهم عن حكمك مع ما دعا اليه كتابهم من اتباعك وشهد كتابك المهج عن معارضته من وجوب رسالتك إلى جميع الخلائق وهذا استفهام انكاري وقرأ ابن عامر بالتاء على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب وهو أدل على الغضب والباقون بالياء على الغيبة وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحكم بما كان يحكم به الجاهلية من النفاضل بين القتلى أى بين ديات بعضهم على بعض (ومن) أى لأحد (أحسن من الله حكما لقوم) أى عند قوم (يوقنون) به خصوصاً بالذكر لأنهم الذين يتدبرون الامور ويختليون الاشياء بانتظارهم فيعلمون ان لا أحسن حكماً من الله جل وعلا (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) أى توالوهم وتوادوهم وتعاشروهم معاشرة الاحباب وقوله تعالى (بعضهم أولياء بعض) فيه ايعاء إلى علة النهي أى فأنهم متفقون على خلافكم توالى بعضهم بعضاً لاتحادهم في الدين واجتماعهم على مضارقتكم (ومن يتولاهم منكم) أى ومن والاهم منكم (فانه منهم) أى من جنسهم وهذا انشديد في وجوب مجازيتهم أولان الموالين كانوا منافقين (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) أى الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفار ومن لم يرد الله هدايته لم يقدر أحد أن يهديه (تنبيه) * اختلف في سبب نزول هذه الآية فقال قوم نزلت في عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي ابن سلول المناق وذكلك انهم ما اختصما فقال عبادة ان لي أولياء من

اليهود كثيرا عددهم شديدة شوكتهم واني ابرأ الى الله والى رسوله من موالاتهم ولا مولى لي الا
الله ورسوله فقال عبد الله لکنى لا ابرأ من ولاية اليهود لاني اخاف الدوائر ولا بد لي منهم فأنزل الله
تعالى هذه الآية وقال السدي لما كانت وقعة أحد اشتدت على طائفة من الناس وتخوفوا
أن تدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين أنا ألحق بفلان اليهودي آخذ منه أمانا لاني أخاف
أن تدال علينا اليهود وقال الآخر أمانا فألحق بفلان النصراني من أهل الشام وآخذ منه أمانا
فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال عكرمة نزلت في أبي لبابة بن المنذر بعثه النبي صلى الله عليه
وسلم إلى بني قريظة حين حاصروهم فاستشاروه في النزول وقالوا ماذا يصنع بنا إذا نزلنا فجعل
أصبعه على حلقه يعني أنه الذبح أي يقتلكم فنزلت (فترى الذين في قلوبهم مرض) أي ضعف
اعتقادهم عبد الله بن أبي (يسارعون فيهم) أي في موالاتهم (يقولون) معذرين عنها (فخشى)
أي تخاف خوفا بالغا (أن تصيبنا دائرة) أي مصيبة تحيط بنا ويدور بها الدهر علينا من جذب
أو غلبة ولا يتم أمر محمد فلا يغيرونا (فعمى الله أن يأتي بالفتح) أي باظهار الدين على الأعداء
(أو أصر من عنده) أي بهتك ستر المنافقين وافتضحهم (فيمضوا) أي هؤلاء المنافقون (على
ما أصرنا في أنفسهم) أي على ما استبطنوه من الكفر والشك في أمر الرسول فضلا عما أظهره
عما أشعر به نفاقهم (فادمين) أي ثابت لهم غاية الندم في الصباح وغيره وقوله تعالى (ويقول
الذين آمنوا) قرأه عاصم وحمة والكسائي بالرفع على أنه كلام مبتدأ أو يؤيده قراءة ابن كثير
ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على أنه جواب قائل يقول فلماذا يقول المؤمنون حينئذ وقرأ
بالنصب ابو عمرو وعطفا على يأتي باعتبار المعنى وكأنه قال عمى الله أن يأتي بالفتح ويقول الذين
آمنوا (أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم) أي غاية اجتهادهم فيها (انهم لمعكم) في الدين
أي يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتعجبا بما من الله تعالى عليهم من
الاخلاص أو يقولون لليهود فأن المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكي الله تعالى عنهم بقوله
وان قوتنا لننصرنكم (حبطت) أي بطلت (أعمالهم) أي الصالحة (فأصصوا) أي فصاروا
(خاسرين) الدنيا بالفضيحة والآخرة بالعقاب (بأيها الذين آمنوا) أي أقروا بالايان
(من يرتدد) أي يرجع (منكم عن دينه) إلى الكفر وهذا من الكائنات التي أخبر الله تعالى
عنها في القرآن قبل وقوعها وكان أهل الردة إحدى عشرة فرقة ثلاثة في عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم الأولى بنو مدلج وكان رئيسهم ذوالحمار بالحاء المهملة قال التقطازاني كان له حمار
يقول له قف فيقف وسرفيسير وكانت النساء أي نساء أصحابه يتعطرون برون حماره وقيل
يعقدون روثه بخمرهن فسمي ذوالحمار أيضا بالحاء المهملة وذو هنا وفيما قبله بالواو وعلى الحكاية
وهو العنسي بفتح العين وسكو النون منسوب إلى عنس وهو يزيد بن مذبح بن اد بن كعب العنسي
ويلقب بالاسود كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلادها وأخرج عمال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه وإلى
سادات اليمن وأمرهم أن يحثوا الناس على التمسك بدينهم والنهوض إلى حرب الاسود فقتله

فيروز الدبلي على فراشه قال ابن عمر رضي الله عنهما وأتى الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من
 السماء الليلة التي قتل فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل الأسود البارحة قتل رجل
 مبارك قبل ومن هو قال فيروز ففسر المسلمون فبشر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بهلاك الأسود
 وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد وأتى خبر مقتل العنسي المدينة في آخر شهر ربيع
 الأول وكان ذلك أقل فتح جاء إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه وأرضاه والفرقة الثانية بنو حنيفة
 باليمامة ورئيسهم مسيلة الكذاب وكان تنبأ في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر سنة
 عشر وزعم أنه اشتراك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في النبوة وكتب إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم من مسيلة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصها إلى وندنها لك
 وبعثه إليه مع رجلين من أصحابه فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الرسل لا تقتل
 لضربت أعناقكما ثم أجاب من محمد رسول الله إلى مسيلة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها
 من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ومرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفى فبعث أبو بكر
 رضي الله عنه خالد بن الوليد في جيش كبير حتى أهلكه الله تعالى على يد وحشي غلام مطعم بن عدي
 الذي قتل حمزة بن عبد المطلب ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حرب شديد وكان وحشي
 يقول قتل خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام أراد في جاهليتي واسلامي الفرقة
 الثالثة بنو أسد ورئيسهم طليحة بن خويلد وكان طليحة أحد من ارتد وادعى النبوة في عهد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول من قوتل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الردة
 فبعث أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد رضي الله عنه إليه فهزمهم خالد بن الوليد رضي الله
 عنه بعد قتال شديد وأفلت طليحة ففر على وجهه هارباً نحو الشام ثم انه أسلم بعد ذلك وحسن
 إسلامه وسبع في عهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه الأولى قزارة قوم عيينة بن حصن والثانية
 غطفان قوم قرة بن سلمة والثالثة بنو سليم قوم الفجاءة بن عبد البيل والرابعة بنو يربوع قوم مالك بن
 نويرة والخامسة بعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلة الكذاب وفيها
 يقول أبو العلاء المعري أنت سجاح ووالها مسيلة * كذابة في بني الدنيا وكذاب
 والسادسة كندة قوم الأشعث بن قيس والسابعة بنو بكر بن وائل بالبصرين قوم الحطيم بن زيد
 وكفى الله تعالى أمرهم على يد أبي بكر رضي الله عنه وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله تعالى
 عنه وهي غسان قوم جبلة بن الأيهم تنصروا إلى الشام والجهو وإنه مات على رذته وذكر
 طائفة انه عاد إلى الإسلام وقرأ نافع وابن عاصم يرتد دبدب إلى الأولى مكسورة مخففة والثانية
 ساكنة والباقيون بدال مفتوحة متددة واختلف في القوم في قوله تعالى (فسوف يأت
 الله بقوم يحبهم ويحبونه) قال قتادة بن غنم الأزدي لما نزلت الآية قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قوم هذا وأشار إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وكانوا من اليمن وعن أبي
 هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الإيمان يمان والحكمة يمانية وقال
 الكلبي هم أسياء من اليمن ألفان من الضع وخمسة آلاف من كندة وجميلة وثلاثة آلاف من

أفناء أى لم يعلم بمن هم قاله الجوهرى فجاهدوا فى سبيل الله يوم القادسية وقيل هم الانصار
وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب على عاتق سلمان رضى الله عنه فقال هذا
وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لثاله رجال من أبناء فارس والراجم الى من محذوف
تقديره فسوف يأتى الله بقوم مكانهم أو بقوم غيرهم أو ما أشبه ذلك ومحبة الله تعالى لعباده
أن يشبههم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم ومحبة العباد لهم
طاعته واستغناء مرضاته وأن لا يقعوا ما يوجب سخطه وعقابه (أدلة على المؤمنين) أى عاطفين
عليهم مثلكم لهم جمع ذليل وأما ذلول فجمعه ذال ومن زعم أنه من الذل الذى هو تقيض
الصعوبة فقد فنى عنه لأن ذلول لا يجمع على أدلة (فان قيل) هلا قال أدلة للمؤمنين (أجيب)
بأنه تضمن معنى الخنو والعطف كأنه قال عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع وأنهم
مع شرفهم وعلو طبعتهم وفضاهم على المؤمنين خاضعون لهم أجنتهم وللمقابلة فى قوله تعالى
(أعزة على الكافرين) أى شدد امتغلبين عليهم من عزه إذا غلبه وقوله تعالى (يجاهدون
فى سبيل الله) حال من الضمير فى أعزة أو صفة أخرى لقوم وقوله تعالى (ولا يخافون لومة لائم)
يحمل أن تكون الواو للعال على أنهم يجاهدون وحالهم فى المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم
كانوا موالين لليهود فاذا خرجوا فى جيش المؤمنين خافوا أو ألباهم اليهود فلا يعملون شيئا
مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم وأما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون
لومة لائم قط وان يكون للعطف على يجاهدون بمعنى أنهم الجاهدون بين المجاهدة فى سبيل الله
والتصلب فى دينه واللومة المرة من اللوم وفيها وفى تنكير لائم بالفتان (ذلك) إشارة الى
الاصناف المذكورة وقوله تعالى (فضل الله يؤتية من يشاء) أى ينعمه ويوفى له فيبذل الانسان
جهده فى طاعته لينظر اليه هذا النظر برحمته (والله واسع) أى كثير الفضل (عليه) أى بمن
هو أهله ونزل لما قال ابن سلام رضى الله عنه يا رسول الله ان قومنا هجرونا وانما وليكم الله ورسوله
والذين آمنوا وانما قال وليكم ولم يقل أولياؤكم للتنبيه على أن الولاية لله على الامالة
ورسوله والمؤمنين على التبعية اذ التقدير انما وليكم الله وكذا رسوله والمؤمنون ولو قيل انما
أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن فى الكلام أصل وتبع ثم وصف المؤمنين بقوله تعالى
(الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) أى متخشعون فى صلاتهم وركعتهم
وقيل يصلون صلاة التطوع (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) أى ومن يتخذهم أولياء
وقيل من يعينهم وينصرهم (فان حزب الله هم الغالبون) أى فانهم هم الغالبون ولكن وضع
الظاهر موضع المنضمرا لظهارا لما شرفهم به ترغيبا لهم فى ولايته وتشريفا لهم بهذا الاسم
فكانه قيل ومن يتول هؤلاء فانهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتعريضاً بمن يوالى هؤلاء
بأنه حزب الشيطان وأصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبه ووزل فى رفاعه بن زيد وسويد
ابن حارث اللذين أظهرهما الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهم (يا أيها الذين آمنوا
لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم) أى الذى شرفكم الله به (هزوا) أى مهزوا به (والعيا)

ثم بين المنهى عنه والاتهم بقوله تعالى (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) أي اليهود. ولما
 خصص عموم بقوله (والكفار) أي من عبدة الأوثان وغيرهم (أولياء) أي فأن الفريقين اجتمعوا
 على حسدكم وازدراءكم فلا تصح لكم مولاتهم وقرأ أبو عمرو والكسائي بخفض الراء والباقون
 بالنصب عطفًا على الذين اتخذوا على أن المنهى عن موالاة من ليس على الحق رأسا سواء من كان
 ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين (واتقوا الله)
 أي بترك المناهي (ان كنتم مؤمنين) أي صادقين في إيمانكم فأن الإيمان حقا يقتضي ذلك
 وقوله تعالى (واذا ناديتهم) معطوف على الذين قبله أي ولا تتخذوا الذين إذا ناديتهم أي
 دعوتهم (إلى الصلاة) بالأذان (اتخذوها) أي الصلاة (هزوا ولعبا) بأن يستهزؤا بها
 ويتضحكوا ويقولوا صاحوا كصياح العير وفي هذا دليل على أن الأذان مشروع للصلاة
 المكتوبات روى الطبراني أن نصرانيا بالريثة كان إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا
 رسول الله قال أحرقت الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وأهله نيام فطأ برشره
 في البيت فأحرقه وأهله (ذلك) أي الاتخاذ (بأنهم) أي بسبب أنهم (قوم لا يعقلون) أي فأن
 السفة يؤدى إلى الجهل بالحق والهزيمة والعقل يمنع منه ونزل لمسأل نصر من اليهود النبي صلى
 الله عليه وسلم عن يؤمن به من الرسل فقال أومن بالله وما أنزل البنا الآية فقالوا حين سمعوا
 ذكر عيسى ما نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا ديناً شر من دينكم
 (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون) أي تنكرون (مننا) وتعيبون يقال نقم منه كذا أنكروه وانتقم
 إذا كذا (الآن آمننا بالله وما أنزل البنا وما أنزل من قبل) أي إلى الأنبياء وقوله تعالى
 (وان أكثركم فاسقون) عطف على ان آمننا والمعنى ما تنكرون مننا إلا إيماناً ومخالفتكم
 في عدم قبول الإيمان المعبر عن عدم قبوله بالفسق اللازم عن عدم القبول وليس هذا مما
 ينكر (قل) أهم يا محمد (هل أنبشكم) أي أخبركم (بشر من ذلك) أي الذي تنقمونه (مشوبه
 عند الله) نصب مشوبه على التمييز أي ثواباً بمعنى جزاء (فان قيل) المثوبة مختصة بالاحسان كما
 أن العقوبة مختصة بالشر (أجيب) بأن ذلك على سبيل التكميم كما في قوله تعالى فيشرهم بعذاب
 أليم وقوله تعالى (من أعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير) بدل من بشر على
 حذف مضاف قبل لفظ ذلك أو قبل لفظ من أعنه وتقديره بشر من أهل ذلك من أعنه الله أو
 بشر من ذلك دين من أعنه الله لأن الدين المشار إليه غير مطابق لقوله من أعنه الله في معنى
 يشترك فيه لفظ شرفية قدر أهل قبل ذلك أو دين قبل من ليطابق (فان قيل) هذا يقتضي
 كون الموصوفين بذلك الدين محكوماً عليهم بالشر ومعلوم أنه ليس كذلك (أجيب) بأنه
 انما خرج الكلام على حسب قولهم واعتقادهم فانهم حكموا بأن اعتقاد ذلك الدين شرف قبل
 لهم هب ان الامر كذلك ~~كن~~ أعنه الله وغضبه ومسح الصور شر من ذلك والذين أعنهم الله
 في هذه الآية هم اليهود أبعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهم ما كهم في المعاصي بعد
 وضوح الآيات ومسح بعضهم قردة وهم أصحاب البيت وبعضهم خنازير وهم كفار أهل

مائدة عيسى وقيل كالا مسخين في أصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير
 روى أنها المنزلة كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا أخوة القردة والخنازير فينسكبون
 رؤسهم وقوله تعالى (وعبد الطاغوت) عطف على صلة من كآته قيل ومن عبد الطاغوت وقرأ
 حمزة بضم باء عبد وكسرتاء الطاغوت على أنه اسم جمع لعبد عطف على من والباقون ينصب
 الباء من عبد والتاء من الطاغوت والطاغوت الشيطان أو العجل لأنه معبود من دون الله
 ولأن عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت
 وعن ابن عباس رضى الله عنهم الطاغوت الكهنة وكل من أطاعوه في معصية الله تعالى
 • (تنبيه) • روى في منهم معنى من وفيما قبلها لفظها وهم اليهود (أو لئلا) أى الملعونون
 الملعونون (شر مكانا) لأن ما وأهم النار وجمعت الشرارة للمكان وهى لاهله وفيه مبالغة
 ليست في قولك أو لئلا شر ومكانا تميز (وأضل عن سواء السبيل) أى طريق الحق وأصل السواء
 الوسط (فان قيل) ذكر شر وأضل يقتضى مشاركة المؤمنين والكفار في الشر والضلال
 وإن الكفار أشرو وأضل مع أن المؤمنين لم يشاركوا الكفار في شئ من ذلك (أجيب) بأن
 مكان هؤلاء فى الآخرة شر وأضل من مكان المؤمنين فى الدنيا لما يلحقهم فيها من الشر والضلال
 الحاصل لهم بالهموم الدنيوية كسماع الأذى وغيره وأن ذلك على سبيل التنزل والتسليم للنص
 على زعمه الزامه بالباخنة وهذا أولى * ونزل في يهود نافقوا النبي صلى الله عليه وسلم (وإذا جاؤكم
 قالوا آمنا وقد) أى قالوا ذلك والحال أنهم قد (دخلوا) اليكم متلبسين (بالكفر وهم قد خرجوا)
 من عندكم متلبسين (به) أى الكفر كما دخلوا لم يتعلق بهم شئ مما سمعوا به من تذكيرك
 بآيات الله ومواعظك (والله أعلم بما كانوا يكتمون) من الكفر وغيره في جميع أحوالهم من
 أقوالهم وأفعالهم وفى هذا وعيد لهم (وترى كثيرا منهم) أى اليهود أو المنافقين (يسارعون) أى
 يقعون سريعا (فى الآثم) أى الكذب بدليل قوله تعالى عن قولهم الآثم (والعدوان) أى الظلم
 وقيل الآثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى إلى غيرهم (وأكلهم السحت) أى الحرام كالرشا
 (لبئس ما كانوا يعملون) عملهم هذا (لولا) هلا (ينهاهم) أى يجتهد لهم النهى (الربانيون) أى
 المدعون للتخلي من الدنيا إلى سبيل الرب (والأخبار) أى العلماء (عن قولهم الآثم) أى الكذب
 (وأكلهم السحت) أى الحرام هذا تحضيض لعلائهم على النهى عن ذلك فإن لولا إذا دخل على
 الماضى أفاد التوبيخ وإذا دخل على المضارع المستقبل أفاد التحضيض (لبئس ما كانوا
 يصنعون) ترك نهيمهم (فان قيل) لم عبر فى الأول يعملون وفى الثانى يصنعون (أجيب) بأن
 كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب ولذلك ذم بهذا
 خواصهم ولأن ترك الانكار على المعصية أقبح من موافقة المعصية لأن النفس تلتذ بها وتقبل
 إليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بأبلغ الذم فيدخل فى الذم كل من كان قادرا على
 النهى عن المذكور من العلماء وغيرهم وتركه وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو أشد آية نزلت
 فى القرآن وعن الضحاك ما فى القرآن آية أخوف عندى منها (وقالت اليهود) مما ضيق عليهم

بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا أكثر الناس مالا وأخصبهم ناحية (يد الله مغلولة) أي
 هو معسك يتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك
 مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من تكلم به إثبات يد ولا غل ولا بسط ولو أعطى
 الأقطع إلى المنكب عطاء جزيل لقالوا ما أبسط يده بالنوال لأن بسط اليد وقبضها عبارة عن
 وقعتها متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوها حيث لا تصح اليد كقوله لهم بسط اليأس كفيه
 في صدرى فجعلت لليأس الذي هو معنى من المعاني لا من الأعيان كقوله (فإن قيل) قد تقدم
 أن قوله يد الله مغلولة عبارة عن البخل فما تنفع في قوله تعالى (غلت أيديهم) ومن حقه أن يطابق
 ما تقدمه (أجيب) بأنه يجوز أن يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والتكدر ومن ثم كانوا أبخل
 خلق الله تعالى وأنكدهم والمطابقة على هذا ظاهرة ويجوز أن يكون دعاء عليهم بغل الأيدي
 حقيقة يغفلون في الدنيا أسارى وفي الآخرة معذبين باغلال جهنم كما قال تعالى إذا اغللال
 في أعناقهم والسلاسل وعلى هذا تكون المطابقة حاصلة من حيث لفظ مغلولة وغلت من
 حيث ملاحظة الأصل في القول الشنيع أن يقابل بالدعاء على قائله (ولعنوا) أي أبعدها
 مطرودين عن الجنتاب الكريم (بما قالوا) فمن لعنهم أنهم مسخو وأقردة وخنازير ثم رد الله تعالى
 عليهم بقوله (بل يدها مبسوطة) مشيرة بالثنية إلى غاية الجود وإن غاية ما يذله السخط من ماله
 أن يعطى بيديه جميعا (ينفق كيف يشاء) أي هو مختار في إنفاقه يضيئ تارة ويوسع أخرى على
 حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا اعتراض عليه وقيل القائل هذه المقالة فخص بن عازر وأهله
 لم ينهه الآخرون ورضوا بقوله أشركهم الله تعالى فيها (وليزيدن كثير منهم) أي ممن أراد
 الله فتنته ثم ذكر فاعل الزيادة فقال (ما أنزل إليك من ربك) من القرآن (طغيانا) أي غاديا
 في الجحود (وكفرا) بآيات الله فيزدادون على كفرهم وطغيانهم طغيانا وكفرا محاسنهم من
 القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للأصحاء (والقينا بينهم العداوة
 والبغضاء إلى يوم القيامة) فكل فرقة منهم تخالف الأخرى فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق
 أقوالهم (كلأ) وقد واثق العرب أطفالها الله أي كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا لم يقم
 لهم نصر من الله تعالى على أحد وقد آتاهم الإسلام وهم في ملك الجحوس وقيل خالفوا حكم
 التوراة فبعث الله عليهم بجهنم ثم أفسدوا فسلط الله عليهم فطرس بالفاء الروي ثم أفسدوا فسلط
 الله عليهم الجحوس ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم نصر عليهم وعن قتادة لا تلقى اليهود بيلدة إلا وجدتهم من أذل الناس (ويسعون في الأرض
 فسادا) أي ويجهتدون في الكيد للإسلام ومحوذ كر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتبهم
 وإثارة الحرب والفتن وهتك المحارم (والله لا يحب المفسدين) أي فلا يجازيهم إلا شرا (ولو أن
 أهل الكتاب آمنوا) أي بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به (واتقوا) أي الكفر (لكفرنا عنهم
 سيئاتهم) أي التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها (ولا دخلناهم جنات النعيم) مع المسلمين وفي هذا
 إعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة رحمة الله تعالى

وقصه باب التوبة على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى
 وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكافي لا يدخل الجنة ما لم يسلم (ولو أنهم أمّ أقاموا
 التوراة والانجيل) أي أقاموا أحكامهما وحدودهما وما فيه ما من نعت محمد صلى الله عليه
 وسلم (وما أنزل اليهم) أي من الكتب المنزلة (من ربه) لانهم مكلفون بالايمان بجميعها
 فكانهم أنزلت اليهم وقيل هو القرآن وقوله تعالى (لا كلا ومن فوقهم ومن تحت أرجلهم)
 عبارة عن التوسعة أي لوسع عليهم أرزاقهم بأن يفيض عليهم من بركات السماء والارض
 أو ان تكثرا الاشجار المثمرة والزروع المغلة أو ان يرزقهم الجنان البانعة الثمار فيجنيونهم من رأس
 الثمر والشجر ويلتقطون ما تنساقط على الارض من تحت أرجلهم بين سحجانه وتعالى بذلك
 ان ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا يقبلوا الفيض ولو أنهم آمنوا وأقاموا ما أمروا به
 لوسع عليهم وجعل لهم خيرا دارين (منهم أمة) أي جماعة (مقتصدة) أي عادلة غير غالية
 ولا مقصرة وهم عبد الله بن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى آمنوا بالنبي صلى الله
 عليه وسلم وقيل متوسطة في عداوته (وكثير منهم ساء) أي بئس (ما) أي شيا (يعملون) فيه معنى
 التجهيز كأنه قيل وكثير منهم ما سوا عملهم وقيل هو كعب بن الاشرف وأصحابه والروم روى
 مسروق عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت من حدثك أن محمدا كتب شيئا مما أنزل الله فقد
 كذب وهو يقول (يا أيها الرسول بلغ) جميع (ما أنزل اليك من ربك) أي لا تكتم شيئا منه خوفا ان
 تنال بكمروه (وان لم تفعل) أي وان لم تبلغ جميع ما أنزل اليك (فابالغت رسالته) أي لان كتمان
 بعضها ككتمان كلها أي ولان بعضها ليس بالاولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكأنك
 أغفلت أداءها جميعا كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بأكملها وعن ابن عباس رضي الله
 تعالى عنها ما ان كتبت آية لم تبلغ رسالتى واختلف في سبب نزول هذه الآية فقيل نزلت في عتب
 اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الاسلام فقالوا أسلمنا قبلك وجعلوا يستمزون
 به ويقولون تريد أن نخذلك حنا كما اتخذت النصارى عيسى حنا فإلما رأى النبي صلى الله عليه
 وسلم ذلك نزلت هذه الآية وقيل نزلت في الجهاد وذلك ان المنافقين كانوا يكرهونه فكان يسلك
 أحبا ناعن حنهم على الجهاد وقيل لما نزلت آية التخيير وهي قوله تعالى يا أيها النبي قل لازواجك
 فلم يعرضها عليهن خوفا من اختيارهن الدنيا فنزلت وقيل غير ذلك وقرأ نافع وابن عامر وشعبة
 بألف بعد اللام وكسر التاء والباقون بغير ألف ونصب التاء (والله يعصمك من الناس) أي
 يحفظك ويعصمك منهم (فان قيل) أليس قد شج وجهه وكسرت ربا عيته صلى الله عليه وسلم وأذى
 بضروب من الأذى (أجيب) بأن معناه يعصمك من القتل فلا يصلون الى قتلك وفي هذا تنبيه على
 أنه يجب عليه أن يحتمل كل ما دون النفس من أنواع البلايا فما أشد تكليف الانبياء عليهم الصلاة
 والسلام وقيل نزلت هذه الآية بعد ما نزع رأسه لانت سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن
 وروى اسحق بن راهوية في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بعثنى الله برسالاته
 فضقت بها ذراعا فأوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن أنس

أرسلنا رسلا ليدكرهم وليبينوا لهم أمر دينهم (كلما جاءهم رسول بما لا تؤمنون أنفسهم) أي بما
 يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف (فريقا) أي من الرسل (كذبوا) أي كذبهم
 بنو إسرائيل من غير قتل كعيسى (وفريقا) منهم (يقتلون) كزكريا ويحيى وإسماعيل ويعقوب
 قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضار تلك الحالة الشنيعة للتعجب منها وتنبهها على أن ذلك
 ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافضة على رؤس الآي (وحسبوا) أي ظن بنو إسرائيل (أن
 لا تكون) أي توجد (فتنة) أي لا يصيبهم بها عذاب في الدنيا ولا في الآخرة بل استغفوا بأمرها
 فلا تعجب أنتم من جرائمهم في ادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه وقرأ أبو عمرو وحمة والكسائي برفع
 الذون تنزيلا للعساب منزلة العلم فتكون مخففة من الثقل وأصله أنه لا تكون فتنة والباقون
 بالنصب على أن الحساب على يابه (فعموا) أي عن الحق فلم يصروه وهذا العمى هو الذي لا عى
 في الحقيقة سواء وهو انطماس البصائر فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
 (وصموا) عنه فلم يسمعهوا أي عموا وصموا بعد موسى ويوشع عليهما السلام والصمم أضر من العمى
 فصاروا كمن لا يهتدى إلى سبيل أصلا لأنه لا يبصر له بعين ولا قلب ولا سمع (ثم تاب الله عليهم) يبعث
 عيسى بن مريم فرفعوه إلى الحق (ثم عموا وصموا) كزرة أخرى بالكفر بعمد صلى الله عليه وسلم وقوله
 تعالى (كثير منهم) بدل من الضمير (والله بصير عما يعملون) أي وإن دق فيجازيهم به وفق أعمالهم
 (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم) وهم اليهودية منهم القائلون بالاتحاد (وقال
 المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم) أي أنى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالق وخالقكم
 (أنه من يشرك بالله) أي يشرك في العبادة غيره (فقد حرم الله عليه الجنة) أي منعه من دخولها
 منعام متحقا فانهم أداروا الموحدين (وأولاء النار) أي محل سكناها فانها المعدة للمشركين (ومال الظالمين
 من أنصار) أي ومالهم أحد ينصرهم من النار لا بقداء ولا بشفاعاة ولا بغيرهما فوضع الظاهر
 موضع المضمتر تسجيلا على أنهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل أن يكون من
 كلام الله تعالى نبيه على أنهم عدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك
 لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وأنكره وإن كانوا عظمين له بذلك ورافعين من مقداره
 وأن يكون من كلام عيسى عليه السلام على معنى ولا ينصركم أحد مني فيما تقولون ولا يساعدهم
 عليه لاستحالته وبعده عن العقول أو لا ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب الله (لقد كفر
 الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) أي أحد ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية وفيه
 اضمار معناه ثالث ثلاثة الآلهة لأنهم يقولون الإلهية مشتركة بين الله ومريم وعيسى وكل واحد
 من هؤلاء الهة فهم ثلاثة آلهة بين هذا قوله تعالى للمسيح أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين
 من دون الله ومن قال إن الله تعالى ثالث ثلاثة بالعلم ولم يردبه إلا آلهة لم يـكـفـر فأن الله يقول
 ما يكون من فجوى ثلاثة الأهورا ببعثهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يـكـر ما ظنك باثنين
 الله ثالثهما ثم قال الله تعالى رد عليهم (وما من إله إلا الله واحد) أي وما في الموجودات واجب
 مستحق للعبادة من حيث أنه مبدأ جميع الموجودات إلا الله واحد موصوف بالوحدانية متعال

عن الشركه ومن مزيدة للاستغراق (وان لم ينتهوا) أى الكفرة بجميع أصنافهم (عما يقولون)
 أى من هاتين المقاتلتين ومادانا هما (ليستن) أى مباشرة من غير حائل (الذين كفروا) أى داوموا
 على الكفر (منهم عذاب أليم) أى مؤلم لم يتقطع عنهم لعدم توبتهم ولذلك عقبه بقوله تعالى
 (أفلا يتوبون) أى يرجعون بعد هذا الكفر الذى لا أوضح من بطلانه ولا أبين من فساد
 (الى الله ويستغفرونه) أى يطلبون منه غفران ما أقدموا عليه من تلك العقائد والاقوال
 الزائفة ويستغفرونه بالتوحيد والتزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد (والله
 غفور) أى بالغ المغفرة يعفو الذنوب فلا يعاقب عليها ولا يعاتب (رحيم) أى بالغ الإكرام لمن أقبل
 عليه فيغفر لهم ويغفرهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجب من اصرارهم (ما المسيح
 ابن مريم الا رسول قد خلت) أى مضت (من قبله الرسل) أى ليس هو باله كالرسل الذين مضوا
 لم يكونوا آلهة وما من خارقة له الا وقد كان مثلها أو أعجب منها لمن كان قبله فان كان قد أحيا
 الموتى على يده فقد أحيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو أعجب وان كان قد خلقه
 من غير أب فقد خلق آدم من غير أب وأم وهو أغرب (وأمة صديقه) أى بليغة الصدق في نفسها
 كسائر النساء اللاتي يلزم الصدق او يصدقن الانبياء كما قال تعالى في وصفها وصدق
 بكلمات ربها وهذه الآية من أدلة من قال ان مريم عليها السلام لم تكن نبيه فانه تعالى ذكر
 أشرف صفاتها في معرض الرد على من قال بالهيتها ما أشار الى ما هو الحق في اعتقاد مالها من
 اعلى الصفات فان أعظم صفات عيسى عليه السلام الرسالة وأكمل صفات أمه عليها السلام
 الصديقية * (فائدة) * مريم من أزواج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الجنة * ولما بين سبحانه
 وتعالى أقصى مالها من الكمالات بين أن ذلك لا يوجب لها ما اللوهمية بقوله (كانا يا كلان
 الطعام) لأن من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم لم يكن الاجسام مركبا من
 عظم ولحم وعروق وأعصاب وخلط وغير ذلك مما يدل على أنه مصنوع وذو ف مدبر كغيره من
 الاجسام فكيف يكون الها وخص الاكل بالذكر لانه أصل الحاجات والاله لا يكون محتاجا وقيل
 هذا كناية عن الحدث لأن من أكل وشرب لا بد له من البول والغائط ومن كانت هذه صفته كيف
 يكون الها * ثم لما أوضح الله تعالى لهم الادلة في أمرهما حتى ظهر كالشمس بعدهما عما ادعوا فيه ما
 اتبعه التعجب بقوله (انظر) متعجبا (كيف نبين لهم الآيات) على وحدا نبينا (ثم انظر أنى) أى
 كيف (يؤفكون) أى يصرفون عن الحق مع قيام البرهان (فان قيل) ما معنى التراخي في قوله
 تعالى ثم انظر (أجيب) بأن معناه التفاوت بين المجيبين أى أن بيانا للآيات عجب واعراضهم
 عنها أعجب (قل أتعبدون من دون الله) أى غيره يعنى عليه السلام (ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا)
 أى لا يستطيع أن يضركم كم يملك ما يضركم الله تعالى به من البلايا والمصائب في الانفس والاموال
 ولأن ينفعكم بمثل ما ينفعكم الله به من صحة الابدان والسعة والخصب وكل ما يستطبعه الشر
 من المضار والمنافع فبقادر الله تعالى وتمكينه وكأنه لا يملك شيئا وهذا دليل قاطع على ان أمر
 عيسى مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب تعالى أن يكون قادرا

على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته تعالى (فان قيل) اذا كان المراد السيد عيسى فلم عبر بما دون
من مع ان المراد من يعقل (أجيب) بأنه أقي بما نظر الى ما هو عليه في ذاته توطئة لتفي القدرة
عنه رأسا ونسبها على أنه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن
الالوهية أو ان المراد كل ما عبد من دون الله تعالى سواء كان ممن يعقل أم لا (والله هو السميع)
لا قوا لكم (العليم) بأحوالكم فيجازي عليها ان خير الخيرة وان شر الشرور والاستفهام لا انكار
(قل يا اهل الكتاب) أي عامة (لا تغلوا) أي تجاوزوا الحد (ودينكم) وقوله تعالى (غير الحق)
صفة لا مصدر أي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق أي غلوا باطلا لان الغلو في الدين غلوان حق وهو
أن يجتهد في تحصيل حجة كما يفعل المتكلمون وغلو باطل وهو أن يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض
عن الأدلة فيرفعوا عيسى عليه السلام الى أن يدعوا له الالهية أو يضعوه ويرتابوا فيه وقيل
الخطاب للنصارى خاصة (ولا تتبعوا أهواءهم) قوم قد ضلوا من قبل في غلوهم وهم أسلافهم الذين
قد ضلوا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في شريعةهم (وأضلوا كثيرا) أي من الناس
بتقاديهم في الباطل من التثليث وغيره حتى ظن حقا (وضلوا) أي بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم (عن سواء السبيل) أي طريق الحق وهو الاسلام والسواء في الاصل الوسط والاهواء
ههنا المذاهب التي تدعو اليها الشهوة دون الحجة قال أبو عبيدة لم يذكر الهوى الا في موضع الشر
لا يقال فلان يهوى الخير انما يقال يريد الخير ويحبه وقيل سمي الهوى لأنه يهوى بصاحبه
الى النار وقال رجل لابن عباس الحمد لله الذي جعل هواي على هواي فقال كل هوى ضلالة
(لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود) أي لعنهم الله في الزبور على لسان داود
وان اهل ايله لما اعتدوا في السبت قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم آية ففسخوا
قرعة وخنازير وقوله تعالى (وعيسى بن مريم) عطف على داود أي لعنهم الله في الانجيل على لسان
عيسى بن مريم وهم أصحاب المائدة لما لم يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم
آية ففسخوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبى قال بعض العلماء ان اليهود
كانوا يفتخرون باناس من اولاد الانبياء فذكر الله تعالى هذه الآية ليدل على أنهم ملعونون على
ألسنة الانبياء (ذلك) أي اللعن المذكور (بما) أي بسبب ما (عصوا وكانوا بعتدون) ثم فسر
المعصية والاعتداء بقره تعالى (كانوا لا يتناهون) أي لا ينهون بعضهم بعضا (عن منهكر)
أي معاودة منهكر (فعلوه) أو عن مثل منهكر أو عن منكر ارادوا فعله وتهيؤوا له وانما قد رما ذكر
لان التناهي عن منهكر قد مضى محال (لبئس ما كانوا يفعلون) أي يفعلونه والخصوص بالذم
محذوف أي فعلهم هذا قال بعض المفسرين فيا حسرتا على المسلمين في اعراضهم عن باب التناهي
عن المناكير وقلة عيبتهم به كأنه ليس من ملة الاسلام في شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه
من المبالغات في هذا الباب (ترى كثيرا منهم) أي من اهل الكتاب (يتولون الذين كفروا) أي
يوالون المشركين بغض الرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم)
من العمل لمعادهم (أن يحط الله عليهم) أي غضب عليهم (وفي العذاب هم خالدون) أي دائما

(ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي محمد صلى الله عليه وسلم) وما أنزل اليه من عند الله تعالى أعم من القرآن وغيره إيماناً خالصاً من غير نفاق (ما اتخذوهم) أي المشركين (أولياء) إذا الإيمان يمنع ذلك (ولكن كثير منهم فاسقون) أي خارجون عن الإيمان وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدعون ما اتخذوا المشركين أولياء كالم يولاهم المسلمون (لتجدن) يا محمد (أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) من أهل مكة لتضاعف كفرهم وجهالهم وانهم ما كهم في اتباع الهوى وفي جعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين دلالة على شدة عداوتهم لهم بل نبه على تقدم قدمهم فيها على الذين أشركوا وكذلك فعل في قوله تعالى وتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا وعنه صلى الله عليه وسلم ما خلاهم يوديان بعلم الإلهما بقتله (وتجدن أقربهم) أي الناس (مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) إنما أسند تسميتهم نصارى إليهم دون تسمية اليهود لأنهم الذين سمو أنفسهم نصارى حين قال لهم عيسى عليه السلام من أنصاري إلى الله الآية ولأنهم كانوا يسكنون قرية يقال لها ناصرة وكلهم لم يكونوا مسلمين فيها وعلى التقديرين فتسميتهم نصارى ليست حقيقة بخلاف تسمية اليهود يهوداً فإنها حقيقة سواء سمو بذلك لكونهم أولاد يهود ابن يعقوب أو لكونهم تابوا عن عبادة المجل بل قولهم أنا هدنا إليك أول تحركهم في دراستهم ثم على سبحانه وتعالى سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بقوله تعالى (ذلك بأن منهم قسيسين) أي علماء (ورهبانا) أي عباداً (وأنهم لا يستكبرون) عن اتباع الحق كما استكبر اليهود والمشركون من أهل مكة نزلت في وفد النجاشي القادمين من الحبشة لافي كل النصارى لأنهم في عداوتهم للمسلمين كاليهود في قتلهم المسلمين وأسرههم وتخريب ديارهم وعدم مساجدهم وحرق مصاحفهم قال أهل التفسير اتخرفت قريش أن يقتلوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذبونهم فافتتن من افتتن وعصم الله تعالى منهم من شاء ومنع الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بعه أبي طالب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بأصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمن بعد بالجهاد أمرهم بالخروج إلى أرض الحبشة وقال إنهم ما كما صالحو لا يظلم ولا يظلم عنده أحد فخرجوا إليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجاً وأراد به النجاشي واسمه أحممة وهو بالعربية عطية وانما النجاشي اسم الملك كقولهم قيصرو كسرى فخرج إليه سراً أحد عشر رجلاً وأربع نسوة من جماعتهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا إلى البحر وأخذوا سفينة إلى أرض الحبشة بنصف دينار وذلك في شهر رجب في السنة الخامسة من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة الأولى ثم خرج جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب وتابع المسلمون إليهما فكان جميع من هاجر إلى الحبشة من المسلمين اثنين وعشرين رجلاً سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك أرسلوا إلى النجاشي بالهدايا ليردهم إليهم فعصمهم الله تعالى وانصرفوا خائبين وأقام المسلمون هناك بحسن دار وخير جوارى أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلا دينه في سنة ست من الهجرة ~~كتب~~

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري ليروجه أم حبيبة بنت أبي
 سفيان وكانت قد هاجرت اليه مع زوجها فأتى زوجها فأرسل النجاشي الى أم حبيبة جارية
 تخبرها بخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمرت بذلك وأذنت للحالدين سعيد أن يرزوها
 وكان الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي فأنفذ اليها أربع مائة دينار وقالت أم حبيبة
 فخرجنا الى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخير فخرج من خرج اليه وأقت بالمدينة
 حتى قدم ووافي جعفر بن أبي طالب وأصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا
 عليهم ثياب الصوف منهم اثنتان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام فقرأ عليهم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فبكوا وأسلموا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى قال تعالى (وإذا
 سمعوا ما أنزل الى الرسول) من القرآن (ترى أعينهم قفيض من الدمع) أي جعلت أعينهم من
 فرط البكاء كأنها تفيض بأنفسها (مما عرفوا من الحق) من الأولى للابتداء والثانية لتبيين
 ما عرفوا من الحق أو التبعيض فانه بعض الحق والمعنى أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم فكيف
 إذا عرفوا كله وقال ابن عباس يريد النجاشي وأصحابه رضى الله عنهم بعث اليه رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بكتابه فقرأ عليهم ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه وأحضر الرهبان
 والقسيسين وأمر جعفر أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ عليهم كهيعص فآزالوا يكون حتى فرغ
 جعفر من القراءة قالوا آمنا كما قال تعالى (يقولون ربنا آمنا) أي صدقنا نبيك وكتابك
 (فاكتبنا مع الشاهدين) أي أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون على الامم يوم
 القيامة دليله قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس وإذا تطرقت مكاتبات النبي صلى الله
 عليه وسلم ازدادت بصيرة في صدق هذه الآية فانه ما كتب نصرانيا الا آمن أو كان
 إيمنا ولم يسلم كهزقل والمقوقس وهودة بن علي وغيرهم وغايتهم أنهم ضنوا بملكهم وأما غير
 النصارى فانهم كانوا على غاية في القضاظة ككسرى فانه مزق كتابه صلى الله عليه وسلم ولم يجز
 رسوله بشيء قال البقاعي السري ذلك انه لما كان عيسى عليه الصلاة والسلام أقرب الانبياء
 زمنا من زمن النبي صلى الله عليه وسلم كان المنتقمون اليه ولو كانوا كفرة أقرب الامم مودة
 لاتباع النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا في جواب من عيرهم بالاسلام من اليهود (وما لنا
 لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق) وهو القرآن لا مانع لنا من الايمان مع وجود مقتضيه وقوله
 تعالى (ونطمع) معطوف على نؤمن (أن يدخننا ربنا مع القوم الصالحين) أي المؤمنين
 الجنة (فأثابهم الله بما قالوا) أي جعل نوابهم على هذا القول المسند الى خلوص النية
 الناشئ عن حسن الطوية (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك) أي الجزاء
 العظيم (جزاء المحسنين) أي بالايمان (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب
 الجحيم) أي الذين لا يتقون عنها لاغيرهم من عصاة المؤمنين وان كثرت بكائرهم وعطف
 التكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم
 في معرض المصدايقين بها جعلا بين الترغيب والترهيب (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا) أي

لا تغنوا أنفسكم بنذرا وعين أو غير ذلك (طيبات) أي مستلذات (ما أحل الله لكم) كنع
 التحريم أي لا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم
 وتوقفا (ولا تعتدوا) حدود ما أحل الله لكم إلى ما حرم عليكم (إن الله لا يحب المعتدين) أي
 لا يفعل فعل الحب من الأكرام للمفترطين في الورع بحيث يحرمون ما أحلت ولا للمفترطين فيه
 الذين يخطئون ما حرم أن يفعلوا فعل المحرم من المتع وفعل المحلل من التناول فالآية ناهية
 عن تحريم ما أحل وتحليل ما حرم داعية إلى القصد بينهما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وصف يوم القيامة لأصحابه فيالغ وأشبع في الكلام في الإنذار ففرق الناس وبكوا واجتمع
 عشرة من الصحابة رضي الله عنهم في بيت عثمان بن مظعون وهم أبو بكر الصديق وعلي بن
 أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وأبو ذر الغفاري وسالم مولى أبي حذيفة
 والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسي ومعاقل بن مقرن وعثمان بن مظعون رضي الله تعالى
 عنهم وتشاوروا واتفقوا على أن يترهبوا ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويحبوا ما ذا كبرهم
 ويصوموا الدهر ويقوموا الليل ولا يشاموا على الفراش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا
 النساء والطيب ويسبحوا في الأرض فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا قالوا بلى يا رسول الله ما أردنا إلا الخير
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى لم أؤمر بذلك ثم قال إن لا تنفسم عليكم حقا فصوموا
 وأفطروا وقوموا واناموا غافى أقوم وأنام وأصوم وأفطروا كل اللحم والدم وآتى النساء فغنى
 رغب عن سنتي فليس منى ثم جمع الناس وخطبهم وقال ما بال أقوام يحرمون النساء والطعام
 والطيب والنوم وشهوات الدنيا ما إلى لست أمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانا فإنه ليس
 في ديني ترك اللحم ولا النساء ولا اتخاذ الصوامع وإن سياحة أمي الصوم ورهبانية هم الجهاد
 اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وجوا واعلموا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان
 واستقيموا يستقيم لكم فأنما هلك من كان قبلكم بالشد يد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم
 فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع فأنزل الله تعالى هذه الآية فقالوا يا رسول الله فكيف
 نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها وكانوا حلفوا على ما عليه اتفقوا فأنزل الله تعالى لا يؤاخذكم الله
 باللغو في أيمانكم الآية وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الدجاج والقالوز
 وكان يحب الحلواء والعسل وقال المؤمن لا يحب الحلاوة وعن ابن مسعود رضي الله تعالى
 عنه أن رجلا قال له اتى حرم الفراش فقتلاه هذه الآية وقال ثم على فراشك وكفر عن يمينك
 وعن الحسن أنه دعى إلى طعام ومعه فرقد السمجي وأصحابه فتعدوا على المائدة وعليها الألوان
 من الدجاج والقالوز وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن أهوصائم فقالوا لا ولكن يكره
 هذه الألوان فقال يا فرقد أتري لعاب النحل بلباب البربخا الص السم يعبه مسلم وعنه أنه قيل
 له فلان لا يأكل القالوز يقول لا أؤدى شكره قال أفيشرب الماء البارد قال نعم قال أنه جاهل
 إن نعمة الله عليه في الماء البارد أكثر من نعمته عليه في القالوز وعنه أن الله تعالى أدب عباده

فأحسن أديهم قال تعالى لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا
 وأطاعوه ولا عذر قوماً ذواها عنهم فعصوه وروى أن عثمان بن مظعون أتى النبي صلى الله عليه
 وسلم فقال أئذن لي في الاختصاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منكم من خصي ولا من
 اختصى ان خصاء أمي الصيام فقال يا رسول الله أئذن لي بالسباحة فقال ان سباحة أمي الجهاد
 في سبيل الله قال يا رسول الله أئذن لي في التهرب قال ان تهرب أمي الجلوس في المساجد لا تظنار
 الصلاة وروى ان رجلاً قال يا رسول الله اني أصبت من اللحم فانتشرت فأخذتني شهوة فخرمت
 اللحم فانزل الله تعالى هذه الآية ولا تعارض بين الخبرين لان الشيء الواحد قد يكون له أسباب
 جمة بعضها أقرب من بعض وروى أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن التبتل نهياً شديداً وقال
 تزوجوا الولود والودود فاني مكاثربكم الامم يوم القيامة (وكاوا عمار زركم الله) ولما كان
 الرزق يقع على الحرام قبله بعد القيد بالتبعية بقوله (حلالا طيبا) وهو مفعول كلوا وما حال
 منه تقدمت عليه لانه نكرة وقوله تعالى (واقتوا الله) تأكيدياً للتوصية بما أمر الله به
 وزاده تأكيدياً بقوله (الذي أنتم به مؤمنون) لان الايمان به يوجب التقوى في الانتهاء الى ما أمر
 به وعما نهى عنه (لا يؤاخذكم الله باللغو) الكائن (في أيمانكم) هو ما يبدو من المرة بلا قصد
 كقول الانسان لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي رحمه الله تعالى وقبل هو الحلق على
 ما يظن أنه كذلك ولم يكن واليه ذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالى (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم)
 أي وثقتكم (الائمان) عليه بأن حلفت عن قصد روى أن الحسن سئل عن اغوا اليمن وكان عنده
 القرز قد قال يا أبا عبد الله عجب عنك فقال

ولست بما خوذت بل فؤادك قوله * اذا لم تعد عاقدات العزائم

والمعنى ولكن يؤاخذكم الله بما عقدتم اذا حنثتم أو ينكث ما عقدتم في حذف التقدير بأحد
 الامرين لا لم به وقرأ ورش يؤاخذكم بأبدال الهمزة واوا مفتوحة وقرأ ابن ذكوان عاقدتم
 بألف بعد العين وتخفيف القاف والباقون بغير ألف مع تشديد القاف (فكفارتهم) أي اليمن
 اذا حنثتم فيه التي تذهب انهم وتزيل أثره بحيث تصيرون كأنكم ما حلفتهم (اطعام عشرة
 مساكين) أي لكل مسكين مذعنا ونصف صاع عند أبي حنيفة رحمه الله (من أوسط) أي
 أعدل (ما تطعمون أهليكم) من برأ وغيره لا من أعلاه ولا من أدناه (أو كسوتهم) بما يسمى كسوة
 كقميص وعمامة وأزار وسراويل ومقنعة من صوف وقطن وكان حرير ولولرجل وان لم
 يجزله لبسه لوقوع اسم الكسوة عليه ردينا كان أوجيد أو يجزئ لبداً وغرورة اعتبر في البلد لبسها
 ولا يكفي دفع ما ذكر لمسكين واحد وعليه الشافعي ولا يكفي المكعب والنعل والخف والقلنسوة
 والتبائن وهو سراويل قصيرة لا يبلغ الركبة ونحو ذلك مما لا يسمى كسوة (أو تحرير رقبة) أي
 مؤمنة ككافي كفارتهم القتل والظهار حلالاً للمطلق على المقيد وجوز أبو حنيفة عتق الكافرة
 في كل كفارة الا القتل وخروج بالتصييرين هذه الثلاثة أنه لا يجزئ أن يطعم خمسة ويكسو
 خمسة كما لا يجزئ اعتاق نصف رقبة واطعام خمسة (فمن لم يجد) أي بان عجز عن أحد ما ذكر

(فصيام ثلاثة أيام) أي فكفارته صيام ثلاثة أيام ولا يجب متابعتها (فان قيل) قرئ شاذاً متتابعات والقراءة الشاذة كغير الواحد في وجوب العمل كما أوجبنا قطع يد السارق اليمنى بالقراءة الشاذة في قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيماهما - ما ولان من عادة الشافعي رحمه الله تعالى حل المطلق على المقيد من جنسه وهو الظهار والقتل (أجيب) بأن آية اليمين نسخ فيها متتابعات تلاوة وحكافلا يستدل بها بخلاف آية السرقة فانها انسخت تلاوة لاحكاماً وبأن المطلق ههنا متردد بين أصليين يجب التتابع في أحدهما وهو كفارة الظهار والقتل ولا يجب في الآخر وهو قضاء رمضان فلم يكن أحداً الأصليين في التتابع بأولى من الآخر وبسن متابعتها خروجاً من خلاف أبي حنيفة فانه شرط متابعتها * (تنبيه) * المراد بالعجز أن لا يقدر على المال الذي يصرفه في الكفارة كن يجد كفايته وكفاية من قلزمه مؤنته فقط ولا يجزئ ما يفضله عن ذلك وضابط ذلك أن من جازله أن يأخذ منهم الفقراء والمساكين من الزكاة والكفارات جازله أن يكفر بالصوم لانه فقير في الأخذ فكذا في الإعطاء (ذلك) أي المذكور (فقارة أيما منكم اذا حلقتهم) أي وحنثتم (واحفظوا أيما منكم) أي من أن تنكثوه ما لم تكن من فعل بر أو إصلاح بين الناس كما تر في سورة البقرة (كذلك) أي مثل ما بين لكم ما ذكر (بين الله لكم آياته) أي أعلام شريعته (اعلمكم تشكرون) أي يحصل منكم شكر بحفظ جميع الحدود والآمرة والنهي (أيام الذين آمنوا والذين هاجروا) أي المسكر الذي حامر العقل سواء فيه كثيره وقليله (والميسر) أي القمار (والانصاب) أي الاصنام (والأزلام) أي قداح الاستقسام (رجس) أي خيث مستقذر وانما وحد الخبر للنص على الحرج والاعلام بأن أخبار الثلاثة حذفت وقدرت لأنها أهل لان يقال في كل واحدة منها على حديثها كذلك ولا يكفي عنها خبر واحد على سبيل الجمع ثم زاد في التفسير عنها قائل **كبد الرجسيتها بقوله تعالى (من عمل الشيطان) الذي يزييه (فاجتنبوه) أي الرجس المعبر به عن هذه الاشياء أن تفعلوه (اعلمكم تفعلون) أي تظفرون بجميع مطالبكم واعلم أنه سبحانه وتعالى أكد تحريم الحرج والميسر في هذه الآية بأن صدر الجمل به بأنما وقرنه ما بالاصنام والأزلام وسماهما رجساً وجعلهما من عمل الشيطان تنبيهاً على أن الاشتغال بهما شر خالص أو غالب وأمر بالاجتناب عن عيئهما وجعل الاجتناب سبباً يريح منه الفلاح ثم قرر ذلك بأن بين ما فيه من المفاسد الدينية والدينية المقضية للتحريم بقوله تعالى (انما يريد الشيطان) أي بتزيين الشرب والقمار لكم (أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الحرج والميسر) أي اذا أثبتوهم لما يحصل فيهما من الشر والفتن أما العداوة في الحرج فإن الشارب اذا سكر عر يد كما فعل الانصارى الذي شج رأس سعد بن أبي وقاص بلحى الجمل وأما العداوة في الميسر فقال قتادة كان الرجل يقامر على الأهل والمال ثم يبق حزيناً مملوياً بالاهل والمال فمتاظا على حرقائه (ويصدكم) بالاشتغال بهما (عن ذكر الله وعن الصلاة) وذلك لان من اشتغل بشرب الحرج والقمار أهمل الله عن ذكر الله وشوش عليه صلاته كما فعل بأصناف عبد الرحمن بن عوف تقدم رجل منهم وصلى بهم صلاة المغرب بعدما مشربوا فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبدوا بحذف لا وانما**

خصهما بإعادة الذكر وشرح ما قيم - ما من الوبال تنبيهها على أنهما المقصودان بالبيان وذكر
 الانصاب والازلام للدلالة على أنهما مثلهم في الحرمة والشرارة لقوله صلى الله عليه وسلم شارب
 الخمر كعابد الوثن ر واه البزار ورواه ابن حبان بلفظ مدم من الخمر كعابد الوثن قال ويشبهه أن
 يكون فيمن يستحلها وهو كذلك وخص الصلاة بالذكر للأفراد بالتعظيم والاشعار بأن الصادق
 عنها الصادق عن الإيمان من حيث إنه عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم أعاد الحث
 على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتباً على ما تقدم من أنواع الصوارف بقوله تعالى (فهل أنتم
 منتهون) أي أنا بأن الأمر في المنع والتحذير بلغ الغاية وأن الاعتذار قد انقطعت فلقطه
 الاستفهام ومعناه أمر كقوله تعالى فهل أنتم شاكرون (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) فيما
 أمراكم به من اجتناب ذلك (واحدروا) مخالفتهم ما فيها ينهيكم عنه (فان توليتهم) أي عن الطاعة
 (فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين) أي فلا يضره توليتكم فأنما عليه البلاغ المبين وقد أتى
 وأنما ضررتهم أنفسكم * ولما نزل تحريم الخمر قال الصحابة رضي الله عنهم - يا رسول الله فكيف
 يا خواتنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وبأكلون الميسر نزل (ليس على الذين آمنوا وعمالوا
 الصالحات) تصديقاً لإيمانهم (جناح) أي حرج (فيما طعموا) أي من مال الميسر وشربوا من
 الخمر قبل التحريم (إذا ما آمنوا) أي المحرمات (وآمنوا وعمالوا الصالحات) أي يتوابعوا على الإيمان
 والأعمال الصالحة (ثم اتقوا) ما حرم عليهم بعد الخمر (وآمنوا) بتحريمه (ثم اتقوا) أي استمروا
 وابتغوا على اتقاء المعاصي (وأحسنوا) أي وتحجروا الأعمال الجميلة واشتغلوا بها وأأن
 التمسك بربا اعتبار الأوقات الثلاثة الماضي والحال والمستقبل التي تقع فيها الأفعال
 المذكورة وباعتبار الحالات الثلاث استعمال الإنسان التقوى والإيمان بينه وبين نفسه
 وبينه وبين الناس وبين الله عز وجل ولاجل استعمال الإنسان التقوى بينه وبين الله
 ابتذل الإيمان بالاحسان في السكرة الثالثة إشارة إلى ما قاله عليه الصلاة والسلام في نفسه -
 الاحسان من قوله الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراه أو باعتبار المراتب
 الثلاثة المبدأ والوسط والمنتهى أو باعتبار ما يتقرب به فانه ينبغي أن يترك المحرمات توقفاً من العقاب
 والشبهات تحزراً للنفس عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات صوناً لها عن الخسة وتهذیباً لها
 عن دنس الطبيعة (والله يحب المحسنين) أي يشيهم * ونزل عام الحديبية وكانوا محرمين ابتلاهم
 الله بالصيد فكانت الوحوش تغشى رحالهم فهموا بأخذها (يا أيها الذين آمنوا ابلوكم الله)
 أي ليختبركم (بشيء) يرسله لكم (من الصيد) وأنما بعض لانه ابتلاهم بصيد البر خاصة وفائدة
 الابتلاء اظهار المطيع من العاصي والافلا حاجة به إلى البلى (تناله أيديكم) أي ما لا يقدر أن
 يفتر من الصيد لصغره أو غيره (ورما حكمكم) أي ما يقدر على الفرار لكبر أو غيره (ليعلم الله) أي علم
 ظهور فانه تعالى يعلم ما تخفى الصدور (من يخافه بالغيب) أي ليقير من يخاف عقاب الله وهو
 غائب منتظر في الآخرة فيجذب الصيد والمعنى أنه سبحانه وقعا ليخرج بالامتحان ما كان من
 أفعال العباد في عالم الغيب إلى عالم الشهادة فيصير تعلق العلم به تعلقاً شهودياً كما كان تعلقاً غيبياً

ليقوم بذلك على الفاعل الحجة في مجاري عاداتكم (فن اعتدى) أي فاصطاد (بعد ذلك) أي الابتلاء بالصيد (فله عذاب أليم) أي مؤلم وإن من لا يملك نفسه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون فيه النفس أميل إليه وأحرص عليه (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) أي محرمون بذلك أو في الحرم والنهي عما يؤكل لحمه لأنه الغالب فيه عرفاً وأما غير المأكول فيعمل قتله فإنه لا حيلة للنفس في قتله إلا الراحة من أذاه ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم خمس يقتلن في الحل والحرم الخدأة والغراب والعقرب والفأرة والكلب وفي رواية أخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل مؤذٍ وانما ذكر القتل دون الذبح والذكاة للعميم فإن مذبح المحرم ميتة (ومن قتله منكم متعمداً) أي قاصداً للصيد ذكراً للآحرام إن كان محرماً والحرم إن كان فيه عالماً بالتحريم وذكر العمد ليس لتقييد وجوب الجزاء فإن اتلاف العامد والمخطئ واحد في إيجاب الضمان بل لقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه ولأن الآية ترات فيمن تعمد اذروى أنه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش قطعته أبو قتادة برمحه فقتله فترأت وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد ابن جبيل لا أرى في الخطأ شيئاً باشتراط العمد في الآية وعن الحسن روايتان وقوله تعالى (الجزاء) منون في قراءة عاصم وحزرة والكسائي وما بعده مرفوع أي فعلية جزاء هو (مثل ما قتل من النعم) أي شبهه في الحلقة لا التساوي في القيمة وقرأ الباقر وغيره تنوين في جزاء وخفض لام مثل (يحكمهم) أي المثل رجلان (ذو عدل منكم) أي لهم ما فطنة يميزان بها أشبه الأشياء به فيمكن به وقد ذهب إلى إيجاب المثل جماعة من الصحابة حكموا في بلدان مختلفة بالمثل من النعم فحكم ابن عباس وعمر وعلي في النعامة بيذنة وهي لا تساوي بيذنة وعمر في الضبع بكبش وهو لا يساوي كبش أو ابن عباس وأبو عبيدة في بقرة الوحش وحماره بيذرة وابن عمر وابن عوف في الظبي بشاة وحكمهم ابن عباس وعمر وغيرهما في الحمام لانه يشبهها في اللعب والحمام كل ما عب وهذر من الطير كالقواخت والقسمري والدبسي فدل ذلك على أنهم ينظرون إلى ما يقرب من الصيد شبهاً من حيث الحلقة لا من حيث القيمة وقوله (هدياً) حال من جزاء وقوله تعالى (بالغ الكعبة) أي يبلغ به الحرم فيذبح فيه ويتصدق به على مساكينه ولا يجوز أن يذبح حيث كان وهو نعت لما قبله وإن أضيف إلى معرفة لأن إضافته لفظية لا تقييد تعريفاً فإن لم يكن للصيد مثل من النعم كالصقور والجراد فعليه قيمته (أو) عليه (كفارة طعام مساكين) في الحرم من غالب قوت البلد ما يساوي قيمة الجزاء لكل مسكين مثلاً وقرأ نافع وابن عامر كفارة بغير تنوين وخفض ميم طعام والباقر بالتنوين ورفع ميم طعام أي هي طعام (أو) عليه (عدل) أي مثل (ذلك) أي الطعام (حسباً) يصومه في كل موضع يتيسر له عن كل مذبذباً وللتنبيه لانه الأصل فيها قال البقاعي والقول بأن الترتيب يحتاج إلى دليل وقوله تعالى (ليذوق وبال أمره) متعلق بمحذوف أي فعلية الجزاء أو الطعام أو الصوم ليدوق سوء عاقبة هتك حرمة الاحرام والوبال المذكور والضرر الذي يناله في العاقبة من عمل سوء لنقله عليه من قوله تعالى فأخذناه أخذاً ويلاً أي

ثقيلا والطعام الويل الذي ينقل على المعدة ولا يسقر (عفا الله عما سلف) أى من قتل الصيد قبل تحريره فلا يؤاخذكم به (ومن عاد) الى تعمده شئ من ذلك بعد النهي وقوله تعالى (فانتقم الله منه) خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء والمحذوف ذلك قوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخس ولا رهقا أى ينتقم الله تعالى منه فى الآخرة واذا تمكث من المحرم قتل الصيد تمعدت عليه الكفارة عند عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح لا كفارة عليه تعلقا بظاهر الآية فإنه لم يذكر الكفارة قال لان الانتقام من العائد يمنع وجوب الكفارة (والله) الذى له صفات السكال (عزيز) أى غالب على أمره (ذواته) أى عن أمر على عصيانه • ولما كان هذا عاما فى كل صيد بين تعالى أنه خاص بصيد البر فقال (أحل لكم) أى ما الناس حلالا كنتم أو محرمين (صيد البحر) أى ما صيده منه وهو ما لا يعيش الا فى الماء كالسمك بخلاف ما يعيش فيه وفى البر عند الشافعى رحمه الله تعالى وذهب قوم الى أن جميع ما فى البحر حلال وظاهر الآية نجمة له وعند أى حنفية رحمه الله تعالى لا يحل منه الا السمك وقوله تعالى (وطعامه) عطف على صيد البحر أى وأحل لكم طعام البحر وهو ما يقذفه من السمك ميتا قال صلى الله عليه وسلم فى البحر هو الطهور وماؤه الحلى ميتته رواه أبو داود والترمذى وغيرهما وصححه وقال قتادة صيده طريه وطعامه مالحه وقيل الضمير للصيد وطعامه أكله وعلى هذا فالصيد بمعنى الاصطياد والمعنى أحل لكم اصطياد الصيد وأكل المصيد من الانهار والبحر وغيرهما من جميع المياه كالبحر وقوله تعالى (متاعا) مفعول أى أحل لكم (لكم) تميتكم لكم تأكلونه طريا (واللباية) أى المسافر ين منكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى صلى الله عليه وسلم فى مسيره الى الخضر الحوت (وحرم عليكم صيد البر) أى اصطياده وأكل ما صيده منه لكم وهو ما لا يعيش الا فيه وما يعيش فيه وفى البحر فان صيد الحلال حل للعصرم أكله لقوله صلى الله عليه وسلم لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه أو يصد لكم (مادمتم حرما) أى محرمين وقد ذكر تعالى تحريم الصيد على المحرم فى ثلاث مواضع من هذه السورة قوله تعالى غير محلى الصيد وأنتم حرم الى قوله تعالى وإذا حلتم فاصطادوا وقوله تعالى لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم وقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر مادمت حرمات شديد على المحرم أنه لا يتعاطى ذلك وكذلك بقوله تعالى (وانقوا الله) أى فى ذلك الاصطياد وغيره (الذى اليه تحشرون) فإنه مجاز يكمل بأعمالكم (جعل الله الكعبة) أى صبرها وصلى البيت كعبة لتكعبه أى ترعبه وقال مجاهد سميت كعبة لترفعها والعرب تسمى كل بيت مرتفع كعبة وقال مقاتل سميت كعبة لانفرادها من البناء وقوله تعالى (البيت الحرام) أى المحترم عطف بيان على جهة المدح لاعتلى جهة التوضيح كما تنبى الصفة كذلك (قيام الناس) أى يقوم به أسرديتهم بالحج أو العمرة اليه وديانهم بأمن داخله وعدم التعرض له وجبى غرات كل شئ اليه قال الرازى والمراد بعض الناس وهم العرب وانما حسن هذا الجواز لان أهل كل بلد اذا قالوا الناس فعلاوا كذا وصنعوا كذا فهم لا يريدون الا أهل بلدتهم فلهذا السبب خوطبوا بهذا الخطاب على وفق عادتهم وقرأ ابن عامر قريبا بغير ألف مصدر قام غير معلى والباقون بالالف

(والشهر الحرام) أى الأشهر الحرم وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب أى صير الأشهر
الحرم قياماً للناس يأمنون فيها من القتال (والهدى) أى الذى لم يقلد (والقلائد) أى الهدى
الذى يقلد فيذبح ويقسم على الفـ قراءـ ومتر الكلام عليه فى أول السورة (ذلك) أى الجعل
المذكور وهو الأربعة الأشياء التى جعلها الله قياماً للناس (تعلموا أن الله يعلم ما فى السموات
وما فى الأرض) فإن شرع الأحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل على
علمه بما فى الوجود وما هو كائن وقوله تعالى (وإن الله بكل شئ عليم) تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد
إطلاق وقوله تعالى (اعلموا أن الله شديد العقاب) فيه وعيد لأعدائه عن انتهك محارمه وقوله
تعالى (وإن الله غفور) فيه وعد لأوليائه من حافظ عليها (رحيم) بهم وقوله تعالى (ما على الرسول
ألا البلاغ) فيه تشديد على إيجاب القيام بما أمر به وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ مما
وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم فى التفریط (والله يعلم
ما تبدون) أى تظهرون من العمل (وما تكتون) أى تخفون منه فيجوزيكم به وقوله تعالى (قل
لا يستوى الخبيث والطيب) حكم عام فى نفي المساواة عند الله تعالى بين الردى من الأشخاص
والأعمال والأموال وجيدها رغب به فى صالح العمل وحلال المال (ولو أعجبك كثرة الخبيث)
اذلا عبرة بالقلة والكثرة بل بالجودة والرداءة فإن المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب
لكل معتبر ولذلك قال تعالى (فاتقوا الله) أى فى ترك الخبيث وإن كثرت الحسن لنقصه فى المعنى
وآثروا الطيب وإن قل فى الحسن لكثرتة فى المعنى (يا أولى الألباب) أى أصحاب العقول السليمة
(لعلكم تفلحون) أى لتكونوا على رجا من أن تغوزوا بجميع المطالب * ونزل لما كثرت أسئلة
صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذين آمنوا لا تنسوا أن تبدوا أى تظهر (لكم نسوكم) أى
لما فيها من المشقة فقل سبب نزولها ما فى الصحيحين عن أنس رضى الله تعالى عنه أنهم لما سألوا
النبي صلى الله عليه وسلم حتى أحضروه المسئلة أى بالغوا فى السؤال فغضب وصعد المنبر وقال
لا تسألوني اليوم عن شئ إلا بينته لكم وشرع يكثر ذلك وإذا رجع إلى الرجال يدعى
لغير أبيه فقال يا رسول الله من أبى فقال حذافة فقال عمر رضى الله تعالى عنه رضينا بالله رباً
وبالاسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً نعوذ بالله من الفتن فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما رأيت فى الخير والشر كالיום قط أنه قد صورت لى الجنة والنار حتى رأيتها وراء
الحائط فى آخره فنزلت هذه الآية وروى أن عمر رضى الله تعالى عنه قال يا رسول الله أنا حديث
عهد بجاهلية أعف عنا يعف الله عنك فسكن غضبه وللبخارى فى التفسير عن أنس أيضاً قال
خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلاً قط قال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً
ولبكيتكم كثيراً فخطب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم حين فقال رجل
من أبى قال فلان فنزلت هذه الآية وللبخارى أيضاً عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان قوم
يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استنزهام فى قول الرجل من أبى ويقول الرجل نضل
ناقتهم أين ناقتى فأنزل الله فيهم هذه الآية وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما أنه صلى الله

عليه وسلم كان يخطب ذات يوم وهو غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيههم فقال
صلى الله عليه وسلم لا أسأل عن شيء إلا وأجيب فقال رجل أين أمّا قال في النار وقال آخر من أبي
قال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت هذه الآية وقيل غير ذلك ولا تعارض بين هذه الاخبار
ولو تعذر ردّها الى شيء واحد لما مرّ عند قوله تعالى لا تعجزوا أطيبات ما أحل الله لكم من أن الأمر
الواحد قد تعدّد أسبابه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية مع تحقيق
الاولى والباقيون بتحقيقهما ولما كان رجاء وقع في وهم متعنت أن هذا الزجر إنما هو لقصد راحة
المسؤول عن السؤال خوفاً من عواقبه قال تعالى (وان تسألوا عنها) أي تلك الأشياء التي
تتوقع مساءة تكلم عند أبحاثها (حين ينزل القرآن بتدلكم) المعنى إذا سألتكم عن أشياء في زمنه صلى
الله عليه وسلم ينزل القرآن يابداً متى أبداها مساءة تكلم فلا تسألوا روى أنه صلى الله عليه وسلم
قال إن الله تعالى قد فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها ثم عقاب عن أشياء
من غير نسيان فلا تبسئوا عنها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون وتخفيف الزاي والباقيون
بفتح النون وتشديد الزاي وقوله تعالى (عفا الله عنها) استئناف أي عفا الله عما سلف من
مسئلتكم فلا تعودوا الى مسئلتها وصفة أخرى أي عن أشياء عفا الله عنها ولا يكلف بهاروى انه
لما نزل ولله على الناس حج البيت قال سراق بن مالك الكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى أعاد ثلاثاً فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم فاتركوني ما تركتكم
فإنما أهلكم من كان قبلكم بكثره سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بأمر فخذوا منه
ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه (والله غفور) يعجز الزلات عينا وأثرا ويهتبطها
بالأكرام (حليم) لا يجمل على العاصي بالعقوبة وقوله تعالى (قد سألتهم) الضمير فيه للمسئلة
التي دل عليها تسألوا ولذلك لم يعد بعن أو الأشياء بمحذف الجار وقوله تعالى (من قبلكم) قال
البيضاوي متعلق بسألتهم وليس صفة لقوم فإن ظرف الزمان لا يكون صفة للشيء ولا حالاً منها
ولا خبراً عنها قال أبو حيان هذا محله في ظرف الزمان المجزئ من الوصف أما إذا لم يجزئ عنه
فيصح أن يكون صفة للشيء أو حالاً منها وأخبار عنها وقبل وبعد وصفان في الأصل فإذا قلت
جاء زيد قبل عمرو فالمعنى جاء في زمان قبل زمان مجيء أي تقدم عليه ولذا صح وقوعه صلة
للموصول ولولم يلحظ فيه الوصف ولو كان ظرف زمان مجزئاً لم يجز أن يقع صلة قال تعالى والذين
من قبلكم ولا يجوز والذين اليوم ومن سألهم قبلهم ثم سألوا صالحاً الناقة وسأل قوم عيسى
المائدة (ثم أصبحوا) أي صاروا (بها) أي بسببها (كافرين) حيث لم يأثمروا بعيسى وأصبحوا
وقوله تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) ردوا نكاراً لما ابتدعه أهل
الجاهلية روى أن أهل الجاهلية كانوا إذا تجمعت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكراً يجر وأذننها
أي شقوها وتركوا الحمل عليها وركوبها ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلأ وقيل أنهم
كانوا ينتظرون إلى خامس ولدها فإن كان ذكراً ففروا فكله الرجال والنساء وإن كان أنثى فجرؤا
أذننها أي شقوها وتركوها حرم على النساء لبنها ومنافعها وكانت منافعها خاصة للرجال وإذا

ماتت حلت للرجال والنساء وأما السائبة فكان الرجل منهم يقول ان شقيت أو ردغائي فناقني
سائبة ثم يسبها فلا تجس عن مرضى ولا ماء ولا تركب ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها
وقيل كانت الناقة اذا تابعت فبقي عشرة سنة انا تاسبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم
يشرب لبنها الاضيف فان تجبت بعد ذلك أتى شق أذنهم ثم يحل سبيلها مع أمتها في الابل فلم يركب
ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الاضيف كما فعل بأمها فهي البهيرة بنت السائبة وأما الوصيلة
فمن الغنم كانت اذا ولدت سبعة أبطن قطر فان كان السابع ذكرا ذبحوه فأكل منه الرجال
والنساء وان كانت أنثى تركوها في الغنم وقيل اذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو
لأهلهم فان ولدت ذكرا أو أنثى قالوا واصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لأهلهم وكان ابن الأنثى
حراما على النساء فان مات منها شيء أكله الرجال والنساء جميعا وأما الحام فهو الفعل اذا ركب ولد
ولده ويقال اذا تجبت من صلب الفعل عشرة أبطن قالوا قد حرم ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه
ولا يمنع من ماء ولا مرضى واذا مات أكله الرجال والنساء وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لا كنتم
الخرابي يا أكثم رأيت عمرو بن لحي يجر قصبة في النار فخارأت من رجل أشبه برجل منكبه ولا به
منك وذلك انه أول من غير دين اسمعيل ونصب الاوثان وبحر البحيرة وسبب السائبة ووصل
الوصيلة وحى الحامى ولقد رأيت في النار يؤذى أهل النار يرج قصبة فقال أكثم أبيضرفى
شبهه يا رسول الله قال لا انك مؤمن وهو كافر ومعنى ما جعل الله أى ما شرع ذلك ولا أمر بالتجوير
ولا التسييب ولا غير ذلك (واكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) في قولهم ان الله أمرنا
بها (وأكثرهم لا يعقلون) أن ذلك افتراء لانهم قلند وفيه آباءهم كما قال تعالى (واذا قيل لهم تعالوا
الى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا احسننا) أى كافينا (ما وجدنا عليه آباءنا) اذا لم يستند لهم
سوى ذلك قال الله تعالى (أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) أى الى الحق والاستغفار
للاذكار أى أحسنهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين وقرأ هشام والكسائي قيل
بضم القاف قبل الباء والباقون بالكسر (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) أى احفظوها
والزموا صلاحها (لا يضركم من ضل اذا هتديتم) أى لا يضركم الضال اذا كنتم مهتدين ومن
الاهتداء أن ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه الصلاة والسلام من رأى من ~~كفرا~~
واستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وروى عن أبي
بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال يا أيها الناس انكم تقرأون هذه الآية يا أيها الذين آمنوا
عليكم أنفسكم الآية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هي والى سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا المنكر فلم يغيروا يوشك أن يعذبهم الله بعذابه وفي رواية
لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر اوبستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب
ثم لي دعون الله شياركم فلا يستجاب لهم قال أبو عبيدة خاف الصديق رضى الله عنه أن يأول
الناس الآية غير متأولها فمدعوهم الى ترك الامر بالمعروف فأعلمهم أنها ليست كذلك قال أبو
نعمان الخثعمي سألت عن هذه الآية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل اتقوا بالمعروف

وتناها عن المنكر حتى اذا رأيت نهاما طاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واجتباب كل ذي رأى برأيه ورأيت الامر لا يبدلك منه فعليك نفسك ودع أمر العامة وان وراءكم أيام الصبر فمن صبر فحين قبض على الجروان وراءكم أياما لا تعمل فيهن مثل أجر خسين رجل لا يعملون مثل عمله قال ابن المبارك وزادني غيره قال يا رسول الله أجر خسين منهم قال أجر خسين منكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية قرئت عنده فقال ان هذا ليس بزمانها انما اليوم مقبولة ولكن يوشك أن يأتي زمان تأمررون فلا يقبل منكم فيقتل عليكم أنفسكم فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره وعنه ليس هذا زمان تأويلها قيل فحقى قال اذا حال دونها السيف والسوط والحبس وروى المؤمن القوي خيرا وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا فان لو تفتح عمل الشيطان ولكن قل قدرا لله وما شاء فعل وقيل كان الرجل اذا أسلم قال والله سقيت آياتي ولاموه فنزلت عليكم أنفسكم وعليكم من أسماء الفاعل بمعنى الزموا أنفسكم ولذلك نصب أنفسكم (الى الله مرجعكم جميعا) الضال والمهتدي (فببشكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم به وفي ذلك وعد ووعد للغيريقين وتنبية على أن أحد الايواخذ بذنوب أحد غيره (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) أي فيما أمرتم شهادة بينكم فشهادة مبتدأ خبره محذوف قيل هذه الآية وما بعدها من أشكال أي القرآن حكما واعرابا وتفسيرا والمراد بالشهادة الاشهاد بالوصية وقيل المراد بها اليمين بمعنى ما بينكم أن يحلف اثنان قال القرطبي ورد لفظ الشهادة في القرآن على أنواع مختلفة بمعنى الحضور قال تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه وبمعنى قضى قال تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو وبمعنى أقر قال تعالى والملائكة يشهدون وبمعنى حكم قال تعالى وشهد شاهد من أهلها وبمعنى حلف قال تعالى فشهادة أحدهم أربع شهادات وبمعنى وصى قال تعالى يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم (اذا حضر أحدكم الموت) أي أسبابه (حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم) وهذا خبر بمعنى الامر أي يشهد واضافة شهادة لبيان على الاتساع وحين يدل من اذا أو ظرف لحضر واثنان فاعل شهادة أو خبر مبتدأ محذوف أي الشاهدان اثنان وقوله تعالى (أو آخران من غيركم) عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا وقد اتفق الاكثرون على انه لا نسخ في سورة المائدة وعن مكحول نسخها قوله تعالى وأشهدوا ذوي عدل منكم وانما جازت في قول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر (ان أنتم ضربتم) أي سافرتم (في الارض فاصابكم مصيبة الموت) أي قاربتم الاجل وقوله تعالى (تحبسونهم) أي توقفونهم ما وتصبرونهم ما صفة لا آخران (من بعد الصلاة) أي صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل أي صلاة كانت (فيقسمان) أي يحلفان (بالله) وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليمين انما تكون اذا كانا من غيرنا فان كانا مسايين فلا يمين وعن غيره ان كان الشاهدان على حقيقةهما فقد نسخ تحليفهما وان كانا الوصيين فلا

فلا ثم شرط هذا الحلف شرطاً فقال اعتراضاً بين القسم والمقسم عليه (ان ارنبتكم) أى شكركم فيما
أخبر به عن الواقعة ثم ذكر المقسم عليه بقوله (لأنشترى به ثمناً) أى بهذا الذى ذكرناه ثمناً أى لم
نذكره ليحصل لنا به غرض دينوى وان كان فى نهاية الجلالة وليس قصدنا به الاقامة الحق (ولو كان)
أى المقسم له (ذاق ربى) أى لنا (ولأنكم شهداء الله) أى التى أمرنا بأقامتها (أنا إذا) أى اذا أقمناها
(لمن الا تخبر فان هنر) أى اطلع بعد حلفهما (على أنهما استحقا ثمناً) أى فعلاً ما يوجب من خيانة
أو كذب فى الشهادة بان وجد عندهما مثلاً ما اتهم به وادعيا أنهما يتبعاه من الميت أو وصى لهما
به (فأخرا) أى فشهدا أن أخرا (يقومان مقامهما) أى فى توجبه البين عليهما (من الذين
استحق عليهم) الوصية وهم الورثة على قراءة غير حفص بضم التاء وكسر الحاء على البناء للمفعول
وعلى البناء للفاعل فهو الاوليان ويبدل من أخرا (الاوليان) بالميت أى الاقربان اليه وقرأ
حمزة وشعبة بتشديد الواو وكسر اللام وبسكون الياء وفتح النون على الجمع على أنه صفة للذين
أوبدل منه أى من الاولين الذين استحق عليهم والباقيون بسكون الواو وفتح اللام والياء واللف
بعد الياء وكسر النون على التثنية على انه بديل من أخرا كما مر وأخبر بحذف أى هما الاوليان
(فيصحبان) أى هذان الاخران (بأنه) ويقولان (الشهادتنا) أى يميننا (أحق) أى أصدق
من شهادتهما) أى يمينهما (وما اعتدينا) أى تجاوزنا الحق فى اليمين (أنا إذا) أى اذا وقع منا
اعتداء (لمن الظالمين) أى الواضعين الشئ فى غير موضعه ومعنى الآيتين أن المحتضر اذا أراد
الوصية ينبغي أن يشهد عدلين من ذوى نسبه أو دينه على وصيته أو يوصى اليهما احتياطاً فان
لم يجدهما بان كان فى سفر فأخرا من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتاب أقسم على صدق
ما يقولان بالتغليب فى الوقت فان اطلع على انه كاذباً بامارة ومظنة حلف أخرا من أولياء
الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فان الشاهد لا يحلف ولا تعارض بينه وبين
الوارث وثابت ان كانا وصيين ورثة اليمين الى الورثة أما الظهور بخيانة الوصيين فان تصديق
الوصى باليمين لا ماته أول تغير الدعوى وتخصيص الحلف فى الآية بأثنين من أقرب الورثة
لخصوص الواقعة التى نزلت لها وهى ما روى أن رجلاً من بنى سهم خرج مع قيم الدارى وعدى
ابن زيد الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلماً
فلما قدموا الشام مرض بديل فدون مامعه فى صحيفة وطرحها فى متاعه ولم يخبرهما بها وأوصى
اليهما بأن يدفعا مامعه الى أهله ومات ففتشاه وأخذاه من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا
بالذهب ثم قضيا حاجتهما وانصرفا الى المدينة ودفعا المتاع الى أهل الميت فنقشوا فأصابوا
الصحيفة فيها تسعة ما كان معه فجاءوا ثمناً وعديا فقالوا هل باع صاحبنا شيئاً قال لا قالوا هل
اشترى تجارة قال لا قالوا فهل طال مرضه فأنفق على نفسه قال لا قالوا فانا وجدنا فى متاعه صحيفة
فيها تسعة مامعه وانفقنا منها انا من فضة مموها بالذهب ثلثمائة مثقال من فضة قال لا ما ندري
انما أوصى لنا بشئ وأمرنا أن ندفعه لكم فدفعناه وما لنا عمل بالاناء فاخضعوا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاجترأ على الإنكار وحلفاً فأنزل تعالى يا أيها الذين آمنوا الآية فلما نزلت هذه

وعدى بن زيد هكذا
فى بعض النسخ كما فى
البضاوى والكشاف
وفى نسخة ابن بداء كما
فى حاشية العلامة
الجل وعبارته وعدى
ابن بداء بفتح الموحدة
وتشديد الدال
المهملة محدود
مصرف اه

الآية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا قوما وعديا فاستحل قهما عند المنبر بالله
 الذى لا اله الا هو انهم ما لم يجتأنا شيئا مما دفع اليهما فخلعا على ذلك وخلقى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم سبيلهما ثم وجد الا ناء في أيديهما فبلغ ذلك بنى سهم فأتوهما في ذلك فقالا انا كنا قد اشترينا
 منه فقالوا ألم ترعما ان صاحبنا لم يبيع شيئا من متاعه قال لم يكن عندنا بيعة وكرهنا ان نقرأ لكم
 فكتمنا لذلك فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان عثرفقام عمرو بن العاص
 والمطلب بن أبي رفاعة السهميان وحلفا وتقدم أن تخصيص الحلف في الآية باثنين من أقرب
 الورثة لخصوص الواقعة التي نزلت لها (ذلك) أى الحلف المذكور من رد العين على الورثة
 (أدنى) أى أقرب (أن) أى الى أن (بأنوا) أى الذين شهدوا أولا (بالشهادة) أى الواقعة
 في نفس الامر (على وجهها) أى الذى تحملوها عليه من غير شتر يف ولا خيانة (أو) أقرب الى
 أن (يخافوا أن تردا أيمان بعد ايمانهم) أى على الورثة المدعين فيصلفون على خيانتهم وكذبهم
 فيفتضحون ويغرمون فلا يكذبوا وانما جمع الضمير لانه حكمهم بالشهود كلهم (واقفوا الله) بترك
 الخيانة والكذب (واسمعوا) ما تؤمرون به سمع قبول (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أى
 الخارجين من طاعته لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة وقوله تعالى (يوم يجمع الله الرسل)
 أى يوم القيامة منصوب باضمار اذكر وقيل بدل من مذعول واتقوا بدل اشتمال (فيقول) لهم
 توبوا لقومهم كما أن سؤال المؤودة لتوبيع الوائد (ماذا) أى الذى (أجبتهم) به حين دعوتهم الى
 التوحيد (قالوا لا علم لنا) أى لا علم لنا بما أنت تعلمه (انك أنت علام الغيوب) فتعلم ما أجابونا
 وأظهروا لنا وما لم نعلم مما أضمرنا في قلوبهم وقوله تعالى (اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر
 نعمتى عليك وعلى والدتك) أى اشكرها منصوب باضمار اذكر وقيل بدل من يوم يجمع وهو على
 طريقة ونادى أصحاب الجنة والمعنى أنه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم
 وتعدد ما أظهر واعاينهم من الآيات فكذبهم طائفة وموهم صخرة وغلا آخرون فأتخذوهم
 آلهة وقوله تعالى (اذ أيدتك) أى قوتك نظرف لنعمتى أوحال منه (بروح القدس) أى جبريل
 عليه السلام فكان له في الصغر حفظ لم يكن لغيره وقوله تعالى (تمكلم الناس) حال من الكاف
 في أيدتك (في المهد) أى طفلا (وكهلا) أى تكلمهم في الطفولية والكهولة على السواء
 والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحال الكهول في كمال العقل والتكلم به وبه استدلل على انه
 ينزل قبل الساعة لانه رفع قبل الكهولة كما سبق في آل عمران (واذ علمت الكتاب) أى الخط
 الذى هو مبدأ العلم (والحكمة) أى الفهم لحقائق الاشياء والعمل بما يدعو اليه العلم (والتوراة)
 أى المتزلة على موسى صلى الله عليه وسلم (والانجيل) أى المنزل عليك (واذ تخلق من الطين) أى
 هذا الجنس (كهية) أى كصورة (الطين) والكاف اسم بمعنى مثل مفعول (بأذنى) أى بأمرى
 (فتنفخ فيها) أى في الصورة المهيأة (فتكون) تلك الصورة التي هيأتها (طيرا بأذنى) أى
 بأمرى وقرأنا نافع بالمذهب الطاء وبعد الالف همزة مكسورة وورش يرقق الراء على أصله
 والباقرن ياء ساكنة بعد الطاء (وتبرئ الاكس والابرص بأذنى) وسبق تفسيرهما في سورة آل

عمران (واذخرج الموقى) أى من قبورهم احياء (بأذى واذا كففت بنى اسرائيل) أى اليهود
 (عنك) أى حين هم وابتقتك وقوله تعالى (اذجنتهم) ظرف لكففت (بالبيئات) أى
 المهجرات (فقال الذين كفروا منهم ان) أى ما (هذا) الذى جنت به (الاسحريين) أى بين ظاهر
 وقرأ حمزة والكسائي بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء اشارة الى عيسى عليه السلام
 والباقون بكسر السين وسكون الحاء ولا ألف بعدها اشارة الى ما جاء به (واذا أوحيت) أى
 بالالهام باطنا وبإيصال الاوامر على لسانك ظاهرا (الى الحواريين) أى الانصار (أن) أى
 بان (امنوا بى ورسولى) عيسى صلى الله عليه وسلم (قالوا آمنا) بهم (واشهد بأننا مسلمون) أى
 منقادون أتم انقياد وقوله تعالى (اذ قال الحواريون) منصوب باذكر وقيل ظرف لقولوا
 فيكون تنبيها على أن ادعاهم الاخلاص مع قولهم (يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك) قرأ
 الكسائي بالتاء على الخطاب وادغام لام هل فيها على أصله وفتح الباء الموحدة من ربك أى هل
 يستطيع ربك أى سؤال ربك والمعنى هل تسأل فلك من غير صارف وقرأ الباقر بالباء على
 الغيبة ورفع الباء أى يحبك ربك اذا سأله (أن ينزل علينا مائدة) وهى الطعام ويقال أيضا
 للخوان اذا كان عليه الطعام والخوان شئ يوضع عليه الطعام لئلا كل هو فى العموم بمنزلة
 السفرة لما يوضع فيه طعام المسافر بالخصوص وقال أهل الكوفة سميت مائدة لانها تقيد بالا
 أى تميل وقال أهل البصرة فاعله بمعنى مفعولة أى تميد أيدي الاكلين اليها كقولهم عيشة راضية
 أى مرضية وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبسكون النون وتحقيف الزاى والباقر بفتح النون وتشديد
 الزاى وقولهم (من السماء) أى لا صنع للادميين فيها لخصص بها عن تقدمنا من الامم لم يكن
 بعد عن تحقيق واستحكام معرفة (قال) عيسى عليه الصلاة والسلام بحسبهم (اتقوا الله)
 أن تسألوه شيئا لم تسأله الامم من قبلكم (ان كنتم مؤمنين) بكمال قدرته تعالى وصحة نبوتى وأصدقتمكم
 فى ادعائكم الايمان فنهاهم عن اقتراح الآيات بعد الايمان (قالوا نريد) أى بسؤالنا من أجل (أن
 نأكل منها) تبركا لا كل حاجة وقولهم (ونطمئن) أى تسكن (قلوبنا) بانضمام علم المشاهدة الى
 علم الاستدلال بكمال قدرته ببيان ما دعاهم الى السؤال وتهديد عذرهم وقولهم (ونعلم) أى نزداد علما
 (أن) محققة أى انك (قد صدقتنا) فى ادعاء النبوة وان الله يحجب دعوتنا وقيل ان عيسى عليه
 السلام أمرهم أن يصوموا ثلاثين يوما فاذا أفطروا لا يسألون الله شيئا الا أعطاهم ففعلوا
 وسألوا المائدة وقالوا ونعلم ان قد صدقتنا فى قولك أنا اذا صمنا ثلاثين يوما لا نأل الله تعالى شيئا
 الا أعطانا (ونكون عليها من الشاهدين) اذا استشهدتنا ومن الشاهدين للعين دون السامعين
 للخبر (قال عيسى بن مريم) لما رأى أن لهم غرضا صحيحا فى ذلك وأنهم لا يقطعون عنه فأراد الزامهم
 الحجة بكمالها (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة) وحقق موضع الانزال بقوله (من السماء تكون)
 هى أو يوم نزولها (لنأعيدا) نعظمه ونشرفه وقال سفيان ثعلبى فيه وروى أنه انزلت يوم الاحد
 فلذلك اتخذها النصارى عبدا وقيل ان عيسى عليه السلام اغتسل ولبس المسح وصل ركعتين
 وطأ رأسه وغض بصره وبكى ثم قال اللهم ربنا الخ وقيل العبد السرور والعابد ولذلك سمي

يوم العبد بعد ادوا قوله (لا قلنا وآخرنا) بدل من اننا باعادة العامل أى عبد الاله زمانا ولما
جاء بعدنا وقال ابن عباس يا كل منها آخر الناس كما أكل أولهم وقوله (وآية) عطف
على عبد ادوا قوله (منك) صفة لها أى آية كاشفة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتك (وارزقنا)
المائدة والشكر عليها (وأنت خير الرازقين) أى من يرزق لانه تعالى خالق الرزق ومعطيه
بلا غرض (قال الله) تبارك وتعالى مجيبا لعيسى عليه السلام (انى منزلها عليكم) أى المائدة
وقرأنا فاع و ابن عامر وعاصم بفتح النون وتشديد الزاى والباقون بسكون النون وتخفيف
الزاى (فمن يكفر بعد أى بعد نزولها (منكم فانى أعذبه عذابا) أى تعذيبا أو فغولابه على
السعة والضعيفى (لأعذبه) للمصدر ولو أريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بدم الباء (أحدا
من العالمين) أى عالمي زمانهم أو العالمين مطلقا فانهم مسخو اقردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك
غيرهم قال عبد الله بن عمران أشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من أصحاب
المائدة وقوم فرعون واختلف العلماء هل نزلت المائدة أولا فقال مجاهد والحسن لم تنزل فان
الله تعالى لما أوعدهم على كفرهم بعد نزول المائدة خافوا أن يكفر بعضهم فاستغفروا وقالوا
لا نريدها فلم تنزل وقوله تعالى انى منزلها عليكم أى ان سألتهم والصحيح الذى عليه الاكثر أنها
نزلت لقوله تعالى انى منزلها عليكم ولتواتر الاخبار فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واختلافه فى صفة فقال عطاء بن أبى رباح عن سلمان الفارسي لما سأل الحواريون المائدة
لبس عيسى عليه السلام مسها وبكى وقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة الآية فنزلت سفرة حمراء
بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهما يتظرون إليها وهى منقضة حتى سقطت
بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها راحة
ولا تجعلها عقوبة فقام فتوضأ وصلى وكشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة
مشوية بلا فلوس أى بلا قشر كالفلوس ولا شوك تسيل دهنا وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل
وحولها من ألوان البقول ما خال الكرات واذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى
الثانى عسل وعلى الثالث سمع وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال سمعون الصغار
وهو رأس الحوار بين ياروح الله آمن طعام الدنيا هذا ثم من طعام الآخرة فقال لبس شيئا مما
ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكنه شئ اخترعه الله تعالى بقدرته كلوا مما
سألتكم واشكروا يمدكم ويرزقكم من فضله فقال ياروح الله كن أول من يأكل منها فقال معاذ الله
أن أكل منها ولكن يأكل منها من سألتها فخافوا أن يأكلوا منها فعدا أهل الفاقة والمرضى
وأهل البرص والجذام والمقعدين وقال كلوا من رزق الله لكم الهناء ولا تغيركم البلاء فأكلا
وصدروا عنها وهم ألف وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير وزمن ومريض ومبتلى كلهم شبه جان
والسمكة كهينتها حين نزلت ثم طارت المائدة صعودا وهم يتظرون إليها حتى توارت فلم يأكل
منها زمن ولا مريض ولا مبتلى الا عوفى ولا فقيرا الا استغنى وندم من لم يأكل فلبثت أربعين
سبعا تنزل ضحا فاذا نزلت اجتمعت الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء

ولا تزال منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء التي أي زالت الشمس طارت وهم ينظرون في ظلها حتى
توارث منهم وكانت تنزل غبا تنزل يوما ولا تنزل يوما ككافة نود وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة
وعشا حيث كانوا كالمق والسلوى لبني اسرائيل وقال وهب بن منبه أنزل الله تعالى أقراسا
من شعير وحيثا فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ويحيى آخرون فيأكلون حتى أكلوا جميعهم
وقال عطية العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال الكلبي كان عليها خبز أرز
وبقل وقال قتادة كان عليها تمر من ثمار الجنة وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس أنزل على
المائدة كل شيء الا الخبز واللحم وقال كعب الاحبار نزلت منكسة تطير بها الملائكة بين السماء
والارض عليها كل الطعام ويمكن الجمع بين هذه الروايات بأنها كانت تنزل تارة كذا وتارة كذا
وقيل لما نزلت قالوا يا رسول الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال يا سمكة احبي باذن الله
تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا وبعدها
فسفوا ففسخ منهم ثلثمائة وثلاثون رجلا من ليانهم على فراشهم مع نسائهم فأصبحوا خنازير
يسعون في الطرقات والكسائات يأكلون العذرة في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى
عيسى وبكوا فلما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكى وجعلت تطوف بعيسى وجعل
عيسى يدعوهم باسمائهم فيشربون برؤسهم ويكون ولا يقدر أن يمشي الكلام فعاثوا ثلاثة أيام
ثم هلكوا وفي حديث أنزلت المائدة من السماء خبزا ولحما فأمروا أن لا يخنثوا ولا يدخروا
لغد فخانوا ودخروا وفسخوا فردة وخنزير (و) اذكر (اذ قال الله) أي يقول لعيسى
في القيامة توبينا لقومه وانما عبر بالماضي لتحقق وقومه كقوله تعالى أتى أمر الله (يا عيسى
ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله) أي غيره وقال السدي قال الله
هذا القول لعيسى حين دفعه إلى السماء لأن حرف اذ يكون للماضي وسائر المفسرين على
الاول وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبشيميل الهـمزة النائية وأدخل ألفا بينهما ما قالون
وأبو عمرو وورش وابن كثير لم يدخلوا ألفا بينهما والباقيون بتحقيق الهمزتين ولا ألف بينهما وقرأ
نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص أي بفتح الياء والباقيون بالسكون (فان قيل) ما وجه هذا
السؤال مع علم الله عز وجل أن عيسى عليه السلام لم يقله (أجيب) بأنه ذكر لتوبيخ قومه كما مر
ولتهظيم أمر هذه المقالة كما يقول القائل لا تخرف أفعالت كذا وكذا فيما يعلم أنه لم يفعلها علما
واستعظاما لا استخبارا واستفهاما وأيضا أراد الله عز وجل أن يقر عيسى على نفسه بالعبودية
فيسمع قومه ويظهر كذبهم عليه أنه أمرهم بذلك قال أبو روق اذا سمع عيسى عليه السلام هذا
الخطاب ارتعدت فرائقه ومفاصله وانفجرت من أصل كل شعرة من جسده هين من دم ثم (قال)
وهو يرعد مجيبا لله (سبحانك) أي أنزهك عن أن يكون لك شريك (ما يـكون) أي ما ينبغي
(لي أن أقول ما ليس لي بحق) خبر ليس ولي للتبيين وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو في الاولى بفتح
الياء والباقيون بالسكون (ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما) أخفيه (في نفسي ولا أعلم ما في نفسي)
أي ما أخفيه عني من الاشياء وقوله في نفسك للمشاكاة وقيل المراد بالنفس الذات وقوله

(أنت علام الغيوب) تقرير لما قلنا تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك باعتبار منطوق أنك أنت علام الغيوب ومفهوم ما لا يدل بمنطوقه على أنه تعالى لا يعلم الغيب غيره فيكون تقريراً لقوله تعالى ولا أعلم ما في نفسك وقرأ آخرة وشعبة بكسر الفين والباقون بالضم (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به) وهو (أن اعبدوا الله وربي وربكم) أي فانا وإياهم في العبودية سواء (وكنتم عليهم شهيداً) أي رقيباً منهم عما يقولون (مادمت فيهم فلما توفيتني) بالرفع إلى السماء لقوله تعالى اني متوفيك ورافعتك إلى والتوفي أخذ الشيء وافيها والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها (كنتم أنت الرقيب) أي الحفيظ (عليهم) أي لأعمالهم (وأنت على كل شيء) من قولي وقولهم وغير ذلك (شهيد) أي مطلع عالم به (أن تعدبهم) أي من أقام على الكفر منهم (فانهم عبادك) وأنت مالكهم تتصرف فيهم كيف شئت لا اعتراض عليك (وان تغفر لهم) أي لمن آمن منهم (فانك أنت العزيز) أي الغالب على أمره (الحكيم) في صنعه فان عذبت فعدل وان عفوت فتفضل (قال الله تعالى) هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم (أي في الدنيا كعيسى فان النافع ما كان حال التكليف لا صدقهم في الآخرة وقرأ نافع بنصب الميم على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف والمعنى هذا الذي من كلام عيسى عليه السلام واقع يوم ينفع والباقون بالرفع على الخبر وقيل أراد بالصادقين النبيين وقال الكلبي ينفع المؤمنين إيمانهم وقال قتادة متكلمان بخطبان يوم القيامة عيسى عليه الصلاة والسلام وهو ما قص الله تعالى وعد الله ابليس وهو قوله تعالى وقال الشيطان لما قضي الأمر فصدق عدو الله يومئذ وكان كاذباً لم ينفعه صدقه قال ولما كان عيسى صادقاً في الدنيا والآخرة نفعه صدقه ثم بين تعالى ثوابهم فقال (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) وأكده معنى ذلك بقوله تعالى (أبداً) ولما كان ذلك لا يتم الا برضا الله تعالى قال (رضي الله عنهم) بطاعته (ورضوا عنه) بشوابه (ذلك) أي هذا الأمر العلي لا غيره (الفوز العظيم) وأما الكاذبون في الدنيا فلا ينفعهم صدقهم في ذلك اليوم كالكفار المؤمنون عند رؤية العذاب (لله ملك السموات والأرض) أي خزائن المعار والنبات والرزق وغيرها (وما فيهن) من انس وجن وملك وغيرهم ملكا وخلقاً وأتى بعبادون من تغليباً لغير العاقل (وهو على كل شيء قدير) ومنه إثابة الصادق وتعذيب الكاذب قال السيوطي ونخص العقل ذاته فليس عليها بقادر وقول البيضاوي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة أعطى من الاجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعد كل يهودى ونصرانى يتنفس في الدنيا حديث موضوع

(سورة الانعام مكية)

روى أنهم أنزلت بمكة ليلة واحدة ليلا ونزل معها سبعون ألف ملك قد سدوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتعجب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان ربى العظيم وختر

اى يسونهم في العباداة وعلى هذا فيعدلون من العدل وهو التسوية والباء متعلقة بـ يعدلون
 أو على قوله الحمد لله على معنى ان الله تعالى حقيق بالحمد على ما خلقه وانعمه على العباد ثم الذين
 كفروا برهم يعدلون فيكفرون نعمته وعلى هذا فيعدلون من العدول والباء متعلقة بكفروا
 ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد وضوح آيات قدرته (هو الذى خلقكم من طين) أى ابتداء
 خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذى هو أصل البشر خاق منه أو خاق أبائكم فحذف
 المضاف قال السدى بعث الله جبريل عليه السلام الى الارض ليأتيه بطائفة منها فقالت
 الارض انى أعوذ بالله منك ان تنقص منى فرجع جبريل عليه السلام ولم يأخذ قال يارب عاذت
 بك فبعث ميكائيل عليه السلام فاستعاذت فرجع فبعث ملك الموت عليه السلام فعاذت بالله
 منه فقال أنا أعوذ بالله ان أخالف أمره فأخذ من وجه الارض فخلط الحمر والسوداء والبيضاء
 فلذلك اختلف ألوان بني آدم ثم عجنهم بالماء العذب والملح والمزج فلذلك اختلفت أخلاقهم
 فقال الله تعالى لملك الموت رحم جبريل وميكائيل الارض ولم ترجعها لاجرم اجعل ارواح
 الخلق من هذا الطين بيدك وروى عن أبي هريرة رضى الله عنه خلق الله تعالى آدم عليه السلام
 من تراب وجهه طينا ثم تركه حتى كان حامسا ثم ناثم خلقه وصوره وتركه حتى كان صالصالا
 كالنخار ثم نفخ فيه من روحه (ثم قضى أجلا) أى أجلا لكم تموتون عند انتهائه (وأجل مسمى)
 أى مضروب (عنده) أى وهو أجل القيامة وقال الحسن الاول بين وقت الولادة الى وقت
 الموت والثاني من وقت الموت الى البعث فان كان الرجل برا تقيا وصولا للرحم زيد له من أجل
 البعث في أجل العمر وان كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من أجل العمر وزيد في أجل البعث
 وذلك قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب وقيل الاول النوم والثاني
 الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن يأتي (ثم أنتم) أيها الكفار (تقررون)
 أى تشهدون في البعث بعد علمكم أنه ابتداء خلقكم ومن قدر على الابتداء فهو على
 الاعادة أقدر ومعنى ثم استبعاد أيضا كما مر لان عتروا فيه بعد ما ثبت أنه محييم ومحييهم
 وباعثهم (وهو الله) الضمير لله والله خبره وقرأه قالون وأبو عمرو والكسائي يسكون الهاء من
 وهو والباقون بالضم وقوله تعالى (في السموات وفي الارض) متعلق بعنى اسم الله كأنه
 قيل هو مستحق العبادة فيه ما ومنه قوله تعالى وهو الذى فى السماء الله وفى الارض الله أو هو
 المعروف بالالهية أو المتوحد بالالهية فيه ما وقال الزجاج فيه تقديم وتأخير تقديره وهو الله
 (يعلم سرهم) أى ماتسرون (وجهرهم) أى ماتجهرون به بينكم فى السموات والارض وقيل
 معناه وهو الله السموات والارض كقوله تعالى وهو الذى فى السماء الله وفى الارض الله
 (ويعلم ما تكسبون) أى ماتعملون من خيرا وشرا فينبى عليه أو يعاقب (فان قيل) الافعال
 افعال القلوب وهى المسماة بالسر وأما أفعال الجوارح وهى المسماة بالجهر والافعال
 لا تخرج عن السر والجهر فقوله تعالى ويعلم ما تكسبون يقتضى عطف الشئ على نفسه
 وهو غير جائز (أجيب) بأن المراد بالسر ما يخفى وبالجهر ما يظهر من أحوال الانفس

رب المكسب أعمال الجوارح فهو كما يقال هذا المال كسب فلان أى
 مكتسبه فلا يحمل على نفس الكسب والالزم عطف النى على نفسه (وماتايتهم) أى
 الكفار (من آية من آيات ربهم) من الأولى مزية للاستغراق والثانية للتبعية
 أى ما يظهر لكم دليل قط من الأدلة أو مجيزة من المجيزات أو آية من آيات القرآن
 (الا كانوا عناء معرضين) أى تاركين لها وبها مكذبين (فقد صدوا بالحق لما جاءهم) أى
 بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما أتى به من المجيزات (فوفياتهم أنباء) أى هواقب
 (ما كانوا يستترون) بنزول العذاب بهم فى الدنيا والآخرة أو عند ظهور الاسلام
 وارتضاع أمره (الم يروا) أى فى أسفارهم الى الشام وغيرها (كم) خبرية بمعنى كثيرا (أهلكنا من
 قبلهم من قرن) أى أمة من الأمم الماضية وعلى هذا القرن الجماعة من الناس وجمعه قرون
 وقيل القرن مدة من الزمان قبل انهاء عشرة أعوام وقيل عشرون وقيل ثلاثون وقيل أربعون
 وقيل خمسون وقيل ستون وقيل سبعون وقيل ثمانون وقيل تسعون وقيل مائة لما روى أن
 النبى صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن بشر المازنى تبعش قرنا فعاشر مائة سنة وقيل مائة
 وعشرون فيكون معناه على هذه الأقاويل من أهل قرن (مكناهم فى الأرض) أى جعلنا لهم فيها
 مكانا بالقوة والسعة وقرناهم فيها (ما لم تمكن لكم) أى ما لم تجعل لكم من السعة والقوة فيه
 التفات عن الغيبة والمعنى لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عادا وثمودا وغيرهم من البسطة
 فى الأجسام والسعة فى الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا (وأرسلنا السماء) هى المطر
 (عليهم مدرارا) أى متتابعا (وجعلنا الأنهار تجري من تحته) أى تحت مساكنهم
 (فأهلكناهم بنوبهم) أى بسبب ذنوبهم يتكذيبهم الأنبياء فلم يغنى ذلك عنهم شيئا (وأنشأنا)
 أى أحدثنا (من بعدهم قرنا آخرين) بدلا منهم (فان قيل) ما فائدة ذكر أنشأنا قرنا آخرين بعدهم
 (أجيب) بأنه ذكر للدلالة على انه تعالى لا يماثلهم أن يهلك قرنا ويحرب بلادهم منهم فانه قادر على
 أن ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلادهم فهو قادر على أن يفعل ذلك بكم * ونزل لما قال النضر بن
 الحرث وعبد الله بن أمية ونوفل بن خويلد يا محمد لن نؤمن بك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ووجه
 أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند الله وأنك رسوله (ولو أنزلنا عليك كتابا) أى مكتوبا
 (فى قرطاس) أى رقى كما اقترحوه (فالمسوه بأيديهم) أبلغ من عاينوه لانه أننى للشك (لقال الذين
 كفروا ان) أى ما (هذا الا هم مبین) أى تغتوا وعنادا كما قالوا فى انشقاق القمر (وقالوا لولا)
 أى هلا (أنزل عليه) أى محمد صلى الله عليه وسلم (ملك) يكلمنا انه نبى كقوله تعالى لولا أنزل الله
 ملك فيكون معه نذيرا (ولو أنزلنا ملكا بحيث) عاينوه كما اقترحوا فلم يؤمنوا (لقضى الامر) أى
 لحق ادلائهم فان شئت الله تعالى جرت فيمن قبلهم أنهم اذا جاءهم مقررهم فلم يؤمنوا به يهلكهم
 (ثم لا ينظرون) أى لا يميلون لتوبة أو معذرة (ولو جعلناه) أى المنزل اليهم (ملكا لجعلناه)
 أى الملك (رجلا) أى على صورته ليقدرنا من رؤيته اذ لا قوة للبشر على رؤية الملك
 فى صورته وانما آراء كذلك الافراد من الانبياء لقوتهم القدسية وقوله تعالى (وليبسنا

عليهم ما يلبسون) جواب محذوف أي ولو أنزلناه وجهه ثناء رجلا للبسنا أي تلخطنا عليهم يجعلنا
 أيام رجلا ما يخلطون على أنفسهم وعلى غيرهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وانما كان
 نبي يا لانهم لبسوا على ضعفهم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انما هو بشر مثلكم
 ولورأوا الملك رجلا للدهم من اللبس مثل ما لحق الضعفاء منهم فيكون اللبس نقمة من الله
 وعقوبة لهم على ما ~~سكان~~ منهم من التخلط في السؤال واللبس على الضعفاء وقوله تعالى
 (ولقد استهزى برسل من قبلك) فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه (خفاق)
 قال الربيع بن أنس قتل وقال عطاء قتل وقال الضعفاء ساط (بالذين حضر رانهم) أي من
 أولئك الرسل (ما كانوا يستهزئون) وهو العذاب فكذا يحقيق عن استهزاء بلة (قل) لهم
 (سيروا في الارض) أي أوقعوا السير للاعتبار فيها ولا تغفروا بامها لكم وتكفيكم (ثم انظروا
 كيف كان عاقبة) أي آخر أمر (المكذبين) الرسل من هلاكهم بالعذاب فانكم اذا شاهدتم تلك
 الاثام كل لكم الاعتبار بهم (قل) لهم (لمن مافي السموات والارض) خلقا وملكوا وهو سؤال
 تكبيته (قل لله) ان لم يقولوه لا جواب غيره لانه المتعين للجواب بالاتفاق اذ لا يمكنهم ان يذكر واغيره
 (كتب) اي قضى (على نفسه الرحمة) تفضلا منه واحسانا فالرحمة ثم الدارين ومن ذلك الهداية
 الى معرفته والعلم بتوحيد بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفرة والعصاة
 والمذنبين ولو شاء لسلط عليهم المضار وجعل عيشهم من غير اللذيق كالتراب وبعض انقاذورات
 التي تعيش فيها الحيوانات روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله الخلق كتب كتابا عنده فوق
 عرشه ان رحمتي غلبت غضبي وفي رواية بسقت غضبي وفي رواية ان الله تعالى مائة رحمة واحدة بين
 الجن والانس والبهائم والهوام فيها يتعاطفون وبها يتراحون وبها تعطف الوحوش على اولادها
 وان ترسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة وروى أنه صلى الله عليه وسلم قدم عليه سبي
 فاذا امرأة من السبي قد غلبت نديها اذ وجدت صبي في السبي أخذته والصقته بطنها وأرضعته
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار وهي تقدر على أن
 لا تطرحه فقلنا لا والله يا رسول الله فقال الله أرحم بعباده من هذه بولدها وقوله تعالى (ليجمعنكم)
 استئناف واللام لام القسم أي والله ليجمعنكم (الي يوم القيامة) أي في يوم القيامة والى بمعنى
 في أو ليجمعنكم في القبور بعد حين الى يوم القيامة فيجازيكم بأعمالكم وقيل بدل من الرحمة بدل
 البعض فان من رحمة بعنه اياكم وانعامه عليكم (لا ريب) أي لا شك (فيه) أي اليوم أو الجمع
 وقوله تعالى (الذين خسروا أنفسهم) في موضع نصب على الذم أو رفع على الخبر أي وأنتم الذين
 خسروا أنفسهم تضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية أو بتدأ خيره (فهم لا يؤمنون)
 (فان قيل) الفاء تدل على أن عدم ايمانهم مسبب عن خسارتهم مع أن الامر على العكس
 (أجيب) بأن ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانه مال في التقليد واغفال النظر ادى بهم
 الى الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان وقوله تعالى (وله ما سكن) أي حل (في الليل
 والنهار) عطف على لله أي له كل شيء من حيوان وغيره لانه خالقهم ومالكهم وقيل له ما سكن

فيها أو تحركه أو كتنى بأحد الضدين عن الآخر (وهو الجمع) أى لكل ما يقال (العليم)
 أى بكل ما يفعل فلا يخفى عليه شئ سبحانه وتعالى ونزل لما دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الحدين آياته (قل) لهم (أغفر الله اتخذوليا) أى ربا ومعبودا وناصرا ومعيانا وهو استغفارهم
 ومعناه الإنكار أى لا اتخذ غير الله وليا (فاطر السموات والأرض) أى خالقهما ابتداء من غير
 سبق وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما عرفت معنى الفاطر حتى أتاني أعز بيان يختصمان
 في بثر فقال أحدهما انى فطرتهما أى ابتدأتها (وهو يطعم) أى يرزق (ولا يطعم) أى ولا يرزق
 وصف سبحانه وتعالى ذاته بالغنى عن الخلق باحتياجهم إليه لأن من كان من صفته أن يطعم
 الخلق لا احتياجهم إليه ولا يطعم لاستغنائه عنهم وجب أن يتخذ ربا وناصرا ووليا (قل انى أمرت
 أن أكون أول من أسلم) لله من هذه الأمة لأن النبي سابق أمته في الدين والدين وضع الهى
 سائق لذوى العقول السليمة بسبب اختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات (ولا تكون من
 المشركين) أى وقيل لى يا محمد لا تكون من المشركين أى فى عدادهم باتباعهم فى شئ من
 أغراضهم وهذا التأكيد لقطع أطماعهم عنه صلى الله عليه وسلم فى سؤالهم أن يكون على
 دين آياته وقوله تعالى (قل انى أخاف ان عصيت ربي) بعبادة غيره (عذاب يوم عظيم) مبالغة
 أخرى فى قطع أطماعهم وتعريض لهم بأنهم عصاة مستوجبون للعذاب وقوله تعالى (من يصرف
 عنه) العذاب (يومئذ) أى يوم القيامة قرأه أبو بكر وحزرة والكسائى بفتح الياء وكسر الراء
 على البناء للفاعل والضمير لله تعالى والمفعول محذوف وقرأه الباقون بضم الياء وفتح الراء
 على البناء للمفعول فالضمير للعذاب (فقد رجه) ربه تعالى أى أراد به الخير (وذلك) أى
 الصرف أو الرجة (الفوز المبين) أى النجاة الظاهرة (وان يمسك الله بضر) أى يبلاء كمرض
 وفقر والضر اسم جامع لما ينال الانسان من ألم ومكروه وغير ذلك مما هو فى معناه (فلا كاشف)
 أى لا رافع (لله الا هو) لا غيره (وان يمسك بخير) أى بصحة وغنى والخير اسم جامع لكل ما ينال
 الانسان من لذة وفرح وسرور وغير ذلك (فهو على كل شئ قدير) من الخير والضر وهذه الآية
 وان كانت خطبا للنبي صلى الله عليه وسلم فهى عامة لكل أحد والمعنى وان يمسك الله بضر
 أمها الانسان فلا كاشف لذلك الضر الا هو وان يمسك بخير أمها الانسان فهو على كل شئ
 قدير من رفع الضر وإيصال الخير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان قال أهدى للنبي
 صلى الله عليه وسلم بقله أهداه الله كسرى فركبها بجبل من شعر ثم أردفنى خلقه فسارنى مليا ثم
 انفتحت الى فقال لى يا غلام فقلت لىك يا رسول الله قال أملك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ
 الله تحبده أمامك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الأمة لو اجتمعت
 على ان يتفعلوا بشئ لم يتفعلوا الا بشئ قد كتبه الله لك وان اجتمعت على أن يضروك بشئ
 لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف وفى رواية واعلم أن النصر مع
 الصبر والفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا ولين يغليب عسر يسرين وفى رواية فقد مضى
 القلم بما هو كائن فلو جهد الخلق ان يتفعلوا بما لم يقضه الله لعلهم يقدروا عليه ولو جهدوا أن

يضر ولا يجال يكتب الله عليك ما قدر واعليه (وهو القاهر) أي القادر الذي لا يعجزه شيء
 مستعليا (فرق عباده) فهم مقهورون تحت قدرته وكل من قهر شيئا فهو مستعل عليه بالقهر
 والفلبسة (وهو الحكيم) في خلقه (الخبير) بواطنهم كظواهرهم ونزل لما قالت قريش للنبي
 صلى الله عليه وسلم يا محمد ادعنا لنعاينك اليه ودوا نصارى فزعوا أن ليس لك عندهم
 ذكر ولا صفة فأرنا ما يشهد لك (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبونك ويحسدون نبوتك
 من قومك (أي شيء) بيني وبينكم (أكبر شهادة) تميز بحول عن المبتدأ (قل الله) أكبر
 شهادة أن لم تقولو له لأجواب غيره ثم ابتدأ (شهيد بيني وبينكم) أي هو شهيد بيني وبينكم
 ويحتمل أن يكون الله شهيدا هو الجواب لأنه تعالى إذا كان هو الشهيد كان أكبر شيء شهادة
 (وأوحى إلى هذا القرآن لا تذكركم) يا أهل مكة (به) أي القرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر
 البشارة وقوله تعالى (ومن بلغ) عطف على ضمير مخاطبين أي لا تذكركم به يا أهل مكة ومن بلغه من
 الأنس والجن إلى يوم القيامة وهو دليل على أن أحكام القرآن تم للموجودين وقت نزوله ومن
 بعدهم وأنه لا يؤاخذ بها من لم يبلغه قال محمد بن كعب القرطبي من بلغه القرآن فكأنما رأى
 النبي صلى الله عليه وسلم وقال أنس بن مالك لما نزلت هذه الآية كتب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم إلى كسرى وقبصر وكل جبار يدعوهم إلى الله تعالى وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال
 بلغوا عني ولو آية وحدثنا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من
 النار وفي رواية تضر الله عبدا سمع مقالتي فحفظها وعماها وأذاها فأقرب مبلغ أوعى من سامع
 وفي رواية قرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه وقال مقاتل من بلغه
 القرآن من الجن والانس فهو نذيره وقوله تعالى (أنشكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى)
 استفهام إنكارى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين جحدوا نبوتك واتخذوا آلهة غيري أنكم
 أي المشركون تشهدون أن مع الله آلهة أخرى وهي الأصنام التي كانوا يعبدونها
 (قل) لهم (لأشهد) بما تشهدون به أن مع الله آلهة أخرى بل أبجد ذلك وأنكره (قل انما هو اله
 واحد) لا شريك له وبذلك أشهد (وانني يرى مما تشركون) معكم من الأصنام وفي الآية دليل على
 اثبات التوحيد ونفي الشريك لأن كلمة انما تفيد الحصر فنبت بذلك إيجاب التوحيد والتبري
 من كل معبود سوى الله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب) أي التوراة والإنجيل وهم علماء اليهود
 والنصارى (يعرفونه) أي محمد صلى الله عليه وسلم بنعمته وصفته (كما يعرفون أبناءهم) من بين
 الصبيان روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وأسلم عبد الله بن سلام قال عمر رضي
 الله تعالى عنه إن الله تعالى أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بحكمة هذه الآية فكيف
 هذا فقال عبد الله بن سلام قد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ولانا أشد معرفة بمحمد صلى الله
 عليه وسلم من ابني فقال له عمر كيف ذلك فقال أشهد أنه رسول الله حقا ولا أدري ما تصنع النساء
 (الذين خسروا أنفسهم) من أهل الكتاب والمشركين (فهم لا يؤمنون) به لما سبق لهم من
 القضاء بالشقاء (ومن) أي لا أحد (أظلم من افترى على الله كذبا) كقولهم الملائكة بنات الله

واتخذ الله ولدا (أو كذب بآياته) الاتي به الرسل كالقرآن وغيره من المعجزات (أنه) أي
 الثاني (لا يفلح الظالمون) أي لا ينجح القائلون على الله الكذب والمفترون عليه الباطل
 (و) أذكر (يوم نحشرهم جميعا) أي أهل الكتاب والمشركين وغيرهم ومعبوداتهم وهو يوم
 القيامة (ثم نقول) توبعنا (للذين أشركوا) أي سوا شيئا من دوتنا لها وعبدوه من الاصنام
 أو عزيرا أو المسيح أو الظلمة أو النور أو غير ذلك (أين شركاؤكم) أي الهتهم التي جعلتموها شركاء
 لله تعالى وأضافها إلى ضميرهم لتسميتهم لها بذلك وقوله تعالى (الذين كنتم تزعمون) معناه كنتم
 تزعمونهم شركاء وانها تشفع لكم عند الله فحذف المفعولان (ثم لم تكن فتنتهم) أي معذرتهم
 (الأن قالوا) أي قولهم (والله ربنا ما كنا مشركين) فيضمت على أفواههم وتشهد جوارحهم
 عليهم بالشرك وقرأ أحزرة والكسافي يكن بالياء على التذكير والباقون بالتاء على التأنيث
 وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص فتنتم بضم التاء والباقون بالنصب وقرأ أحزرة والكسافي
 ربنا بنصب الباء على النداء أو المدح والباقون بالكسر قال الله تعالى (انظر) يا محمد
 (كيف كذبوا على أنفسهم) باعتذارهم الباطل وتبريرهم من الاصنام والشرك الذي
 كانوا عليه واستعمالهم الكذب مثل ما كانوا عليه في دار الدنيا وذلك لا ينفعهم (وصل) أي
 غاب (عنهم ما كانوا يفترون) أي يكذبون وهو قولهم ان الاصنام تشفع لهم وتنصرهم فبطل ذلك
 كله في ذلك اليوم (فان قيل) كيف يصح ان يكذبوا حين يطلعون على حقائق الامور
 وعلى ان الكذب والجحود لا وجه لثبته (أجيب) بأن الممتحن ينطق بما يتقعه وبما
 لا يتقعه من غير تمييز بين ما حيرة ودهشة الاتراهم يقولون ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون
 وقد آمنوا بالخلود ولم يشكوا فيه وقالوا ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضى عليهم (وممن
 من يستمع اليك) حين تلاوا القرآن روى انه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة
 وأبو جهل وأضرابهم يستمعون القرآن فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال والذي جعلها بينه يعني
 الكعبة ما أدري ما يقول الا أنه يحرك لسانه فيقول أساطير الاولين مثل ما كنت أحدثكم
 عن القرون الماضية وكان النضر كثيرا حديث عن القرون الماضية وأخبارها فقال أبو
 سفيان اني لا أرى بعض ما يقول حقا فقال أبو جهل كلا لا تقر بشئ من هذا فانزل الله تعالى
 ومنهم من يستمع اليك (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أي أغشية (أن) أي كراهة ان (يفقهوه)
 أي يفهموا القرآن (و) جعلنا (في آذانهم وقرا) أي صمما فلا يسمعونهم معاق قبول ووجه
 اسناد الفعل الى ذاته تعالى وهو قوله تعالى وجعلنا للدلالة على أنه أمر ثابت فيهم لا يزول عنهم
 كأنهم مجبولون عليه وهي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفي آذاننا وقر ومن
 بيننا وبينك حجاب (وان يروا كل آية) أي معجزة من المعجزات الدالة على صدقك (لا يؤمنوا بها)
 لقرط غنادهم واستصكام التقليد فيهم (حتى اذا جاؤك يجادلونك) أي بلغ تكذيبهم الآيات
 الى انهم جاؤك يجادلونك وينكرونك وحتى هي التي تقع بعدها الجدل لا عمل لها والجملة اذا
 وجوابها وهو (يقول الذين كفروا ان) أي ما (هذا الا أساطير) أي أكاذيب (الاولين) أي

أحاديثهم من الأمم الماضية وأخبارهم وأما صيغهم وما سطر وأجمعى كتبوا والاساطير جمع
أسطورة بالضم قال البخاري عن ابن عباس وهي الترهات (وهم يهون) الناس (عنه) أي
اتباع النبي صلى الله عليه وسلم أو القرآن (ويأتون) أي يتباعدون عنه فلا يؤمنون به قال
محمد بن الحنفية والسدي والفضال نزالت في كفار مكة وقال ابن عباس ومقاتل في أبي طالب
كان ينهي الناس عن أذى النبي صلى الله عليه وسلم وينعمهم وينأي عن الإيمان به أي يبعد
حتى روى أنه اجتمع له رؤس المشركين وقالوا خذ شيئا من أحسن أصحابنا وبها وادفع
الينا محمدا فقال أبو طالب ما أنصفتموني أدفع اليكم ولدي لتقتلوه وأربي ولدكم وروى أنه صلى
الله عليه وسلم دعاه إلى الإيمان فقال لولان تعيرني قريش لا قررت بيم عينك ولكن أذب عنك
ما حيت وروى أنهم اجتمعوا إلى أبي طالب وأرادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوأ فقال
والله إن يصلوا إليكم بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة * وأبشر بذلك وقرمته عيونا
ودعوتني وزعت أنك ناصح * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت ديننا لا محالة أنه * من خير أديان البرية ديننا
لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمعا بذلك مينا

(وان) أي ما (يهلكون) بالنأي عنه (الأنفسهم) لأن ضرره عليهم (وما يشعرون) أن ضرره
لا يتعداهم إلى غيرهم وقوله تعالى (ولو ترى) يا محمد (أذوققوا) أي عرضوا (على النار)
جوابه محذوف أي لو تراهم حين يقعون على النار فيعرفون مقدار عذابها رأيت أمر أشنعها
(فقالوا) أي الكفار (يا) للتنبية (ليتنازرد) أي إلى الدنيا (ولا تكذب بآيات ربنا ونكون من
المؤمنين) ثم أن ردوا إلى الدنيا ولا يكذبوا بآيات ربهم وقرأ قص وحزرة ينصب الباء من
يكذب على جواب التقى والباقيون بالرفع على الاستئناف وقرأ ابن عامر وخض وخزرة بفتح
النون من نكون على جواب التقى والباقيون بالضم على العطف وقوله تعالى (بل بداهم) أي
ظهر لهم (ما كانوا يخفون من قبل) للاضراب عن ارادة الإيمان المفهوم من التقى والمعنى أنهم
ظهر لهم ما كانوا يخفون من نقاتهم وقبائح أعمالهم فتمنوا ذلك ضمير الاعزاء على أنهم لو ردوا
لا آمنوا كما قال تعالى (ولو ردوا) إلى الدنيا أي لو فرض ذلك بعد الوقوف والظهور (لعادوا لما
نموا عنه) من الكفر والمعاصي (وانهم لكاذبون) في قولهم لو ردونا إلى الدنيا لم تكذب بآيات
ربنا وكما من المؤمنين (وقالوا ان) أي ما (هي الاحيائنا الدنيا وما نحن بمبعوثين) كما كانوا
يقولون قبل معاشة القيامة ويجوز أن يعطف على قوله وانهم لكاذبون على معنى وانهم لقوم
كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الاحيائنا وكفى به دليلا على كذبهم (ولو ترى) يا محمد
(أذوققوا) أي عرضوا (على ربهم) لرأيت أمر أعظيما (قال) لهم على لسان الملائكة توبوا
(أليس هذا) البعث والحساب (بالحق) وقوله تعالى (قالوا بلى وربنا) اقراهم وكذبوا باليمين
لا نجلاء الا مراغبة الانجلاء (قال فذوقوا العذاب) أي الذي كنتم به توهدون (بما كنتم

تكفرون) أي بسبب كفركم وبجودكم البعث (قد خسر الذين كذبوا بآباءهم الله) أي بالبعث
 واستمر تكذيبهم (حتى إذا جاءتهم الساعة) أي القيامة (بغتة) أي فجأة وسحبت القيامة ساعة
 لأنها تنفخ الناس بغتة في ساعة لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى وقيل لسرعة الحساب فيها لأن
 حساب الخلائق يوم القيامة يكون في ساعة واحدة وأقل من ذلك (قالوا يا حسرتنا) أي ياندامتنا
 والحسرة التلطف على الشيء الضائع وشدة التألم ونداؤها بما جازى أي هذا أو أنك فاحضري (على ما
 فرطنا) أي قصرنا (فيها) أي الحياة الدنيا حتى مضى عمرها وان لم يجز لها ذكر لكونها معلومة لأنها
 موضع التفريط في الأعمال الصالحة ويجوز أن يكون للساعة على معنى قصرنا في شأنها
 والایمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت في جنب الله وقوله تعالى (وهم يحملون
 أوزارهم) أي أثقالهم وأثامهم (على ظهورهم) تشبيل لاستهفافهم آصار الآثام وقال السدي
 وغيره إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورة وأطيبه ريحاً فيقول هل تعرفني
 فيقول لا فيقول أنا عملك الصالح فأركبني فقد طال ما ركبك في الدنيا فذلك قوله تعالى يوم نحشر
 المتقين إلى الرحمن وفداً أي ربكنا وأما الكافر فيستقبله أقبح شيء صورة وأتنته ريحاً فيقول هل
 تعرفني فيقول لا فيقول أنا عملك الخبيث طال ما ركبك في الدنيا واليوم أركبك فهو يوم في قوله
 تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم (الآسام) أي بشر (ما يزرون) أي ما يحملون حملهم
 ذلك وقوله تعالى (وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو) جواب لقولهم إن هي إلا حياتنا الدنيا أي وما
 أعمالها إلا لعب ولهو يلهي الناس ويشتغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقة وقيل معناه
 إن أمر الدنيا والعمل فيها اللعب ولهو فآما فعل الخير والعمل الصالح فهو من فعل الآخرة (والدار
 الآخرة) أي الجنة واللام فيه لام القسم (خير) أي من الدنيا وأفضل لأن الدنيا سريرة الزوال
 والانقطاع (للذين يتقون) أي الشرك وقيل الله واللعب (أفلا يعقلون) أي إن الآخرة
 خير من الدنيا فيعملوا لها وقرأ ابن عامر ولدار يتخفف الدال وجزا التام من الآخرة والباقون
 ولدار يتشديد الدال ورفع التاء وقرأ نافع وابن عامر وحفص قعقلون على الخطاب والباقون
 بالياء على الغيبة (قد) للتحقيق (نعلم أنه) أي الشأن (ليحزنك الذي يقولون) من التكذيب وقرأ
 نافع بضم الياء وكسر الزاي والباقون بفتح الياء وضم الزاي (فأنهم لا يكذبونك) أي يقولونهم
 ولكن يحسدون بالسفهم وأنهم لا يكذبونك لأنك عندهم الصادق الموسوم بالصدق (ولكن
 الظالمين بآيات الله يجحدون) أي يكذبون وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما كان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يسمي الأمين فعرفوا أنه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون قال السدي
 التقي الأخنس بن شريق وأبوجهل بن هشام فقال الأخنس لابي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن
 محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس ههنا أحد يسمع كلامك غيري فقال أبوجهل والله إن محمداً
 لصادق ما كذب محمد قط ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة
 فماذا يكون لسائر قريش فأنزل الله تعالى هذه الآية وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى
 عنه إن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم أنا لا نكذبك ولكنك كاذب الذي جئت به فأنزلت

ووضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على أنهم ظلموا في جحودهم والباء لتضمن الجحود معنى
 التكذيب وقرأ نافع والكسافي يكذبونك بككون الكاف وتخفيف الدال من أكذبه
 اذا وجد كاذبا ونسبه للكذب والباءقون بفتح الكاف وتشديد الدال من التكذيب وهو أن
 ينسبه الى الكذب وقوله تعالى (ولقد كذبت رسل من قبلك) تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم
 وهذا دليل على أن قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذبه مطلقا وانما هو من قولك لغلامك
 ما أهانوك ولكنهم أهانوني (فصبروا على ما كذبوا) أي على تكذيبهم لهم (وأوذوا) أي وصبروا
 على إيذائهم لهم (حتى أتاهم نصرنا) باهلاك من كذبهم فتأس بهم واصبر حتى يأتيك النصر
 باهلاك من كذبك وفي ذلك إيحاء بوعد النصر للصابرين (ولامبدل لكلمات الله) أي لمواعيد
 من قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات (ولقد جاءك من نبي المرسلين) أي من
 قومههم وما كابدوا من قومهم مما يسكن به قلبك قيل من مزيدة وقيل للتبعية ويبدل له قوله
 تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك (وان كان كذبا) أي عظم وشق
 (عليك اعراضهم) عنك وعن الايمان بما جئت به (فان استطعت أن تبتغي) أي تطلب بجهدك
 وغاية طاقتك (نفقا) أي منفذا (في الارض) تنفذ فيه الى ما عساك تقدر الى الانتهاء اليه
 (أو سلفا في السماء) أي جهة العلو لترتقي فيه الى ما تقدر عليه (فتأتيهم بآية) أي مما اقترحوه
 عليك فافعل لتشاهد انهم لم يزدادون عند اتيانك بها الا اعراضا كما أخبرناك لأن الله تعالى
 شاء ضلال بعضهم والمقصود بهذا بيان شدة حرصه صلى الله عليه وسلم على هدايتهم وأنه لو قدر
 أن يتكاثف النزول الى تحت الارض أو فوق السماء فيأتيهم بما يؤمنون به لافعل (ولو شاء الله)
 هدايتهم (لجمعهم على الهدى) أي لوفقههم له ولكن لم يشأ ذلك فلم يؤمنوا والمعتزلة أو لولو شاء
 الله بانه لو شاء لجمعهم على الهدى بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة
 وجري على هذا الزمخشري في كشافه والمعنى أن اسناد مشيئة الجمع الى الله تعالى ظاهر في أنه هو
 المهدى والمضل والمعتزلة لما قالوا انه يفعل العباد احتاجوا الى التأويل (فلا تكون من
 الجاهلين) أي لا يشتد تحسرنا على تكذيبهم ولا تجزع من اعراضهم عنك فتقارب حال الجاهلين
 الذين لا صبر لهم وانما ناه عن هذه الحالة وغلط عليه الخطاب تبعيد الله عن هذه الحالة (انما
 يستجيب) دعاء الى الايمان (الذين يسمعون) سماع تفهم واعتبار كقوله تعالى وألقى السمع
 وهو شهيد وهم المؤمنون الذين فتح الله تعالى لهم أسماع قلوبهم فهم يسمعون الحق ويستجيبون
 له ويتبعونه دون من ختم الله على سمع قلبه وهو قوله (والموتى) أي الكفار لشبههم بهم في عدم
 السماع (ييعنهم الله) في الآخرة (ثم اليه يرجعون) أي يردون فيجازيهم بأعمالهم (وقالوا) أي
 رؤساء قريش (لولا) أي هلا (نزل عليه آية) مما اقترحوا (من ربه) المحسن اليه كالثاقفة
 والعصاة والمائدة أو آية تضطرهم الى الايمان كمنق الجبل أو آية ان يجحدوها هلكوا (قل) لهم
 (ان الله قادر على أن ينزل آية) مما اقترحوه أو آية تضطرهم الى الايمان أو آية ان يجحدوها هلكوا
 لا يمجزه شيء (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي ماذا عليهم في انزالها من العذاب ان لم يؤمنوا بها

ولهم فيما أنزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بسكون النون وتخفيف الزاي والباقون
بفتح النون وتثنية الزاي والمعنى واحد (ومامن دابة في الارض) أي تدب على وجهها
(ولا طائر يطير بجناحيه) في الهواء وهو بالمتمايين السماء والارض وهو المراد هنا وأما الهوى
بالقصر فهو النفس وليس مراداً وإنما قال بجناحيه مع أن الطيران لا يكون إلا بمقطع الجناح
السرعة ونحوها كما تقول كتبت يدي ونظرت بعيني (الأمم أمثالكم) أي محفوظة أحوالها
مقدرة أرفاقها وأجالها قال العلماء جميع ما خلق الله تعالى لا يخرج عن هاتين الحالتين حتى ما
في البحر لأن سيرها في الماء إما أن يكون دينياً وطيراً تاجراً وإما خاص ما في الارض بالذكردون
ما في السماء وأن كان ما في السماء مخلوقاً لأن الاحتجاج بالمشاهد أظهر وأولى مما لا يشاهد
واختلاف العلماء في وجه هذه المماثلة فقال مجاهد أضاف مصنفه تعرف بأسمائهم مثل بني آدم
يعرفون بأسمائهم يريد أن كل جنس من الحيوان أمة فالطير أمة والدواب أمة والسباع أمة
وقال ابن قتيبة أمم أمثالكم في الغذاء وابتغاء الرزق ووقوف المهالك وقال عطاء أمثالكم في
التوحيد والمعرفة وقيل غير ذلك والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة
تدبيره ليكون كالدليل على أنه قادر على أن ينزل آية (ما فرطنا) أي ما تركنا أو ما أغفلنا
(في الكتاب) أي اللوح المحفوظ (من شيء) فلم نكتبه فانه مشتمل على ما يجري في العالم من
الخليل والدقيق ولم يمل فيه أمر حيوان وقيل المراد بالكتاب القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج
اليه من أمر الدين مفصلاً ومجملًا ومن مزينة وشئ في موضع المصدر لا المفعول به فان قرط
لا يتعدى بنفسه وقد عدى بنى الى الكتاب (ثم الى ربهم يحشرون) قال ابن عباس والضحاك
حشرها موتها وقال أبو هريرة يحشر الله الخلق كله يوم القيامة الدواب والطيور وكل شئ
فيأخذ للجمام من القرناء ثم يقول كوني تراباً فيمئذ تنبئ الكافر ويقول يا ليتني كنت تراباً
وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤذن الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى يقاد
للشاة الجمام من القرناء (والذين كذبوا بآياتنا) أي القرآن (صم) عن سماعها سماع قبول
(وبكم) عن النطق بالحق (في الظلمات) أي في ضلالات الكفر (من يشأ الله) اضلاله (يضلله
ومن يشأ) هدايته (يجعله على صراط مستقيم) هو دين الاسلام وهو دليل واضح لاهل السنة
على المعتزلة في قولهم انهم مامن العبد كما مر (قل) يا محمد لاهل مكة وقوله تعالى (أرأيتمكم)
استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب أي أخبروني (ان أنا كم عذاب الله) أي في الدنيا كما أني
من قبلكم من الفرق أو الخسف والمسح والصواعق ونحو ذلك من العذاب (أرأيتمكم
الساعة) أي القيامة المشتملة على العذاب (أغير الله تدعون) في كشف العذاب عنكم
(ان كنتم صادقين) ان الاصنام آلهة وجواب الاستفهام محذوف أي فادعوه وهو تنكيت لهم
(بل اياه تدعون) أي تخصونه بالدعاء كما حكى الله تعالى ذلك عنهم في موضع كما في قوله تعالى وإذا
مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً وقائماً الآية (فيكشف ما تدعون اليه) أي ما تدعون
الى كشفه (ان شاء) كشفه في الدنيا نقضاً لعلكم كما هو عادته معكم في وقت شدائدكم ولكم

لا يشاء كشفه في الآخرة لانه لا يريد ان يقول لديه وان كان له ان يفعل ما يشاء (وتسبون) أي
 تتركون في تلك الاوقات دائما (ما تشركون) معه من الاصنام فلا تدعونها عليكم أنها لا تضر
 ولا تنفع (ولقد أرسلنا) رسلا (إلى أمم من قبلك) أي قبلك ومن مزيدة فكذبوهم
 (فأخذناهم بالأساء) أي شدة الفقر (والضراء) أي الامراض والابجاع وهم مصفنا تأيت
 لا مذكر لهم (لعلهم يضرعون) أي يتذللون ويتوبون عن ذنوبهم فيؤمنون (فلولا) أي فهلا
 (أذبحناهم بأسنا) أي عذابنا (نضربوا) أي لم يفعلوا ذلك مع قيام المقتضى له (ولكن قست
 قلوبهم) فلم تلن للايمان (وزين لهم الشيطان) أي بما أدخل عليهم من باب الشهوات (ما كانوا
 يعلمون) من المعاصي فأصروا عليها (فلانسوا) أي تركوا (ما ذكرنا) أي وعظوا وخوفوا
 (به) وانما كان القسيان بمعنى التزلزل التارك للشيء معرضا عنه كأنه قد صيره بمنزلة ما قد نسي
 (فصنعنا عليهم أبواب كل شيء) أي من الخيرات والارزاق والملاذ التي كانت مغلقة عنهم فنقلناهم
 من الشدة الى الرخاء استدراجا لهم وقرأ ابن عامر بتشديد التاء والباقون بالتخفيف (حق إذا
 فرحوا بما أوتوا) أي فرح بطار (أخذناهم) بالعذاب (بفتة) أي فجأة (فأذاهم مبلسون) أي
 متحسرون آيسون من كل خير (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أي آخرهم بأن استؤصلوا
 (والحمد لله رب العالمين) أي على نصر الرسل واهلاك الكافرين والعصاة فان اهلاكم من حيث
 انه تخليص لاهل الارض من شوم عقائدهم وأعمالهم نعمة جليلة يحق أن يحمدها عليها (قل) أي
 لاهل مكة (أرايتم) أي أخبروني (ان أخذ الله سمعكم) أي أصمكم (وأبصاركم) أي أعماكم
 (ونختم) أي طبع (على قلوبكم) أي بأن يغطي عليها ما يزيل به عقلاكم وفهمكم فلا تعرفون شيئا
 (من امر الله غير ما يحسدكم به) أي بذلك أو بما أخذ منكم ونخم عليه لان الضمير في به يعود على
 معنى الفعل أو بما أخذ هذه المذكورات ويجوز أن يعود الى السمع الذي ذكره أولا ويندرج
 غيره تحته كقوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه قالها واجعة الى الله تعالى ورضاء رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يندرج في رضا الله تعالى (انظر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل
 فيه غيره أي انظر يا محمد (كيف نصرّف) أي نبين لهم الآيات أي العلامات الدالة على التوحيد
 والنبوة ونكردها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترهيب والترهيب وتارة
 بالتبسيه والتذكير بأحوال المتقدمين (ثم هم يصدفون) أي يعرضون عنها فلا يؤمنون (قل)
 لهم (أرايتم) أي أخبروني (لن أناكم عذاب الله بفتة) أي فجأة (أو بجهرة) أي معاينة ترويه
 عند نزوله وقال ابن عباس والحسن ليلا ونهارا (هل يهلك) أي ما يهلك به هلاك سحق وتعذيب
 (الا القوم الظالمون) أي المشركون لانهم ظلموا أنفسهم بالشرك (وما نرسل المرسلين
 الا مبشرين) من آمن بالجنة (ومنذرين) من كفر بالنار أي ليس في ارسلهم أن يأتوا الناس
 بما يقترحون عليهم من الآيات انما أرسلوا بالبشارة والندارة (فن آمن) أي بهم (وأصلح) أي
 عملهم (فلا خوف عليهم) أي من العذاب (ولا هم يحزنون) في الآخرة بفوات الثواب (والذين
 كذبوا بآياتنا يصيبهم العذاب) أي يصيبهم (بما كانوا يفتنون) أي بسبب خروجهم عن

الطاعة (قل) لهم (لا أقول لكم عندي خزائن الله) نزلت حين اقترحوا عليه الآيات فأمره الله
 تعالى أن يقول لهم انما بعثت بشيرا ونديرا ولا أقول لكم عندي خزائن الله جميع خزائنه وهي اسم
 للهيكل الذي يحزن فيه الشيء وخزن الشيء احراره بحيث لا تناله الايدي خزائن رزقه أو مقدوراته
 فاعطيكم منها ما تريدون لانهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت رسولا من الله
 فاطلب منه أن يوسع علينا ويغني فقرنا فأخبر أن ذلك بيد الله لا يدي (ولا) أقول لكم اني (أعلم
 الغيب) أي فأخبركم بما مضى وما هو آت وذلك أنهم قالوا له أخبرنا بمصالحنا ومضارنا في المستقبل
 حتى نستعد لتحصيل المصالح ودفع المضار فأجابهم بقوله ولا أعلم الغيب فأخبركم بذلك (ولا أقول
 لكم اني ملك) وذلك أنهم قالوا له هذا الرسول بأكل الطعام ويعشى في الأسواق ويتزوج
 النساء فأجابهم بذلك لان الملك يقدر على ما لا يقدر عليه البشر ويشاهد ما لا يشاهدونه أي
 لا أقول لكم شيئا من ذلك فتسكرون وتجهلون (فان قيل) قد يستدل بهذا على أن الملائكة
 أفضل من الانبياء لان معنى الكلام لا ادعى منزلة أقوى من منزلتي ولولا أن الملائكة أفضل لم
 يصح ذلك (أجيب) بأنه صلى الله عليه وسلم انما قال ذلك تواضعا لله تعالى واعترافا بالعبودية
 حتى لا يعتقد فيه مثل اعتقاد النصارى في المسيح وبأن المراد بما قاله نفي قدرته عن أفعال
 لا يقوى عليها الا الملائكة وذلك لا يدل على أنهم أفضل من الانبياء (ان أتبع الامايوحى الى)
 تبرا صلى الله عليه وسلم من دعوى الألوهية والملكية وادعى النبوة مع الرسالة التي هي أعلى
 كمالات البشرية الاستبعادهم دعواه وجرهم على فساد مدعاه وظاهر هذه الآية يدل على أنه
 صلى الله عليه وسلم ما كان يجتهد في شيء من الاحكام بل جميع أوامر الله ونواهيه انما كانت
 بوحى ولكن المرجح أنه يجتهد (قل) لهم (هل يستوى الاعمى والبصير) أي هل يكونون سواء من
 غير منزلة فان قالوا نعم كبروا الحس وإن قالوا لا قيل في تبع هذه الآيات الجليات فهو البصير
 ومن أعمى فهو الاعمى وقيل المراد بالاول الكافر وبالثاني المؤمن وقيل الضال والمهتدى
 وقيل الجاهل والعالم (أفلا تذكرون) في أنهم لا يستويان فتؤمنوا (وأنذر) أي خوف
 اذا انذار اعلام مع تخويف (به) أي القرآن وقوله تعالى (الذين يخافون أن يحشروا الى
 ربهم) اما قوم داسخون في الاسلام ومقررون بالبعث الا أنهم مغرطون في العمل واما أهل
 الكتاب لانهم مقررون بالبعث واما ناس من المشركين علم من حالهم أنهم يخافون اذا سمعوا
 بحدوث البعث أن يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجح أن ينصع فيهم الانذار دون المتردين منهم
 وقوله تعالى (ليس لهم من دونه) أي غير الله تعالى (ولي) أي ينصرهم (ولاشفيع) أي يشفع
 لهم حال من ضمير يحشرون بمعنى يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا شفعوا عنهم ولا بد
 من هذه الحلال لأن كلامهم محشور فان الخوف هو الحشر على هذه الحالة (فان قيل) اذا فسر
 ما ذكره المؤمنون كان مشكلا لانه قد ثبت بصح النقل شفاعته فينا صلى الله عليه وسلم للمذنبين
 من أمته وكذلك تشفع الملائكة والانبياء والمؤمنون بعضهم لبعض (أجيب) بأن الشفاعة
 لا تكون الا بإذن الله تعالى كما قال منذ الذي يشفع عنده الا بآذنه واذا كانت الشفاعة لا تكون

الاباذن الله صح قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع حتى يؤذن لهم بالث - فاعمة فاذا اذن فيها
 كان للمؤمنين ولي وشفيع (لعلهم يتقون) الله باقلا عنهم عما هم فيه وعمل الطاعات (ولا تطرد
 الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) بعد ما أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بانذار غير
 المتقين ليستقوا أمره باكرام المتقين وتقريبهم وأن لا يطردهم ترضية لقريش روى أن رؤساءهم قالوا
 للنبي صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء الا عبيد يعنون الفقراء المسلمين وهم عمار وصهيب
 وخباب وسلمان واضرابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه
 الصلاة والسلام ما نابطارد المؤمنين فقالوا فاقهم عنا اذا اجئنا فاذا اقمنا فاقعدهم معك ان شئت
 قال نعم طمعا في ايمانهم وروى أن عمر رضى الله عنه قال له لو فعلت حتى تنظر الى ماذا يصيرون
 قالوا فاكتب بذلك كتابا فدعا بالصعيفة وبعل رضى الله تعالى عنه فنزلت فرمى بالصعيفة واعتذر
 عمر رضى الله تعالى عنه من مقالته قال سلمان وخباب فينا نزات فكان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقعد معنا وندنومه حتى تمس ركبته ركبته فكان يقوم عنا اذا أراد القيام فنزل واصبر
 نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى أن نقوم عنه وقال لنا الحمد لله الذى لم يمتنى حتى
 أمرنى ان اصبر نفسى مع قوم من أتتى معكم الحيا ومعكم الملمات وقال الكلبي قالوا له
 اجعل لنا يوما ولهم يوما قال لا أفعل قالوا فاجعل واحدا واقبل علينا ولهم ظهرنا فأنزل الله
 تعالى هذه الآية وقال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن أم معبد لبايعنا محمد فانزل الله تعالى
 هذه الآية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يعنى صلاة الصبح وصلاة العصر وروى
 عنه أن المراد منه الصلوات الخمس وذلك أن ناسا من الفقراء كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم
 فقال ناس من الاشراف اذا صلبنا فآخر هؤلاء فلبسوا خلقنا فنزلت هذه الآية وقوله تعالى
 (يريدون وجهه) حال من يدعون أى يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيهها
 على انه ملاك الامر (ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ) أى ليس
 عليك حساب فى اختيار ربواطنهم واخلاصهم لما اتسموا به - برة المتقين وان كان لهم باطن غير
 مرضى كما ذكره المشركون وطعنوا فى دينهم فحسابهم عليهم لاية هذا هم اليك كما أن حسابك
 لا يتعداك اليهم كقوله تعالى ولا تزروا زرة وزرا أخرى (فان قيل) هلا كتفى بقوله ما عليك من
 حسابهم من شئ وعن وما من حسابك عليهم من شئ (أجيب) بأن الجملتين جعلتا بمنزلة جملة واحدة
 وقصد بهما وذى واحد وهو المعنى فى قوله تعالى ولا تزروا زرة وزرا أخرى ولا يفيد هذا المعنى
 الا الجملتان جميعا كانه قيل لا تؤاخذ أنت ولاهم بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركون
 والمعنى لا يؤاخذون بحسابك ولا أنت بحسابهم حتى يهلك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا
 فيه وقوله تعالى (فتطردهم) أى فتبعدهم جواب النفي وقوله تعالى (فتكونون من الظالمين)
 جواب النهى وهو لا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة واحتج الطاعنون فى عصمة الانبياء عليهم
 الصلاة والسلام بهذه الآية فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هم بطرد الفقراء عن مجلسه
 لاجل اشراف قريش عاتبه الله تعالى به صلى ذلك ونهاهم عن طردهم وذلك قدح فى العصمة وقوله

تعالى فتطردهم فتكون من المظالمين (وأجيب) بأنه صلى الله عليه وسلم ما طردهم ولا هم به لاجل
استخفاف بهم وإنما كان هذا الهم لمصلحة وهي التلطف بهم ولا الاشراف في ادخالهم في الاسلام
فكان ترجيح هذا الجانب أولى وهو اجتهاد منه صلى الله عليه وسلم فاعلمه الله تعالى أن تقرب
هؤلاء الفقراء أولى من الهم بطردهم فتقربهم منه وأدناهم والظلم في اللغة وضع الشيء في غير محله
أي فلا تهم بطردهم عنك فتضع الشيء في غير موضعه فهو من باب ترك الافضل والاولى لامن باب
ترك الواجبات (وكذلك قتنا) أي ابتلينا (بعضهم ببعض) أي الشريف بالوضيع والفقير
بالغني بأن قدمناه بالسبق للايمان (ليقولوا) أي الشرفاء والاغنياء (أهؤلاء) الفقراء (من الله
عليهم من بيننا) بالهداية أي لو كان ما هم عليه هدى ما سبقونا اليه ونحن الاكبر والرؤساء وهم
المساكين والضعفاء قال الله تعالى (أليس الله باعلم بالشاركين) أي بمن يقع منهم الايمان
والشكر فيوفقه وعن لا يقع منه فيخذله (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) وقوله تعالى (فقل)
لهم (سلام عليكم) أما أن يكون أمرا يتبلغ سلام الله تعالى اليهم وأما أن يكون أمرا بأن
يبدأهم بالسلام اكراماً لهم وتطيباً لقلوبهم (كذب) أي قضى (ربكم على نفسه الرحمة) روى
أنها نزلت في الذين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طردهم فوصفهم الله تعالى بالايمان
بالقرآن واتباع الحجة بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادات وأمره بأن يبدأ بالتسليم أو يبلغ سلام
الله تعالى اليهم ويشرهم بسعة رحته وفضله بعد النهي عن طردهم ايذاً بأنهم الجاهلون
لغضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي أن يقرب ولا يطردهم ولا يذل ويشر من الله
تعالى بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة وقال عطاء نزلت في الخلفاء الاربع وجماعة من
العصابة وقيل الآية على اطلاقها في كل مؤمن وقيل لما جاء عمر بن الخطاب واعتذر من
مقاتله التي تقدمت وقال ما أردت الا الخير فنزلت وقيل أن قوماء جاؤا الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقالوا انا أصبنا ذنوباً عظيماً فلم يرد عليهم شيئاً فانصرفوا فنزلت (انه من عمل منكم سوء) أي
سوء كان ملتبساً (بجهالة) أي عمله وهو جاهل وفيه معنيان أحدهما انه فاعل فعل الجهلة لأن
من عمل ما يؤدي الى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك أو ظان فهو من أهل السعة والجهل
لأن من أهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر

على أنها قالت عشية زرتها * جهلت على عمد ولم تكن جاهلاً

والثاني انه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم أن لا يقدم على شيء حتى
يعلم حاله وكيفية وقيل انها نزلت في عمر رضي الله تعالى عنه حين أشار بإجابة الكفرة الى ما سأله
ولم يعلم أنها مفسدة وقرانافع وابن عامر وعاصم انه بفتح الهمزة على انه بدل من الرحمة والباقون
بالكسر على انه ضمير الشأن (ثم تاب) أي رجع (من بعده) أي من بعد ارتكابه ذلك السوء
(وأصلح) عمله (قانه) أي الله (غفور) له (رحيم) به وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الهمزة على تقدير أن
المغفرة له والباقون بالكسر (وكذلك) أي ومثل ذلك التفصيل الواضح وهو تفصيل أحوال
الطوائف الاربع الاولى المطبوع على قلوبهم وهم من في آية والذين كذبوا بآياتنا والثانية

المرجوا سلامهم وهم من في آية وأتذريه الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم والثالثة
المطيعون وهم من في آية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي والرابعة الداخلون
في الإسلام لكنهم لا يحفظون حدوده وهم من في آية وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا
(نفصل الآيات) أي نين آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين المصيرين منهم والأتاين
(ولتستبين سبيل) أي طريق (المجرمين) قرأ أبو بكر وشعبة وسجدة والكسائي بالياء بعد اللام على
التذكير أي وليظهر ويتضح سبيل المجرمين يوم القيامة إذا صاروا إلى النار والباقون بالناء
على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي وليظهر لك الحق يا محمد وتبين لك سبيلهم فتعامل
كلهم بما يحق له وقرأ نافع سبيل بنصب اللام والباقون بالرفع (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين
(الذين هيت أن أعبد الذين تدعون) أي تعبدون (من دون الله) وهي الأصنام التي يعبدونها
أو ما تدعونها آلهة أي تسمونها لأن الجادات أخس من أن تدعى وقوله تعالى (قل لا أتبع
أهواءكم) تأكيده لقطع أطماعهم وبيان لمبدأ ضلالهم وأن ما هم عليه هوى وليس بهدى (قد
ضلت إذا) أي ان اتبع أهواءكم فأنضال (وما آمن المهتدين) أي وما آمن من المهتدين في شيء
أي لانكم كذلك (قل اني على بينة) أي بيان (من ربي) أي معرفة وانه لا معبود سواه (و قد
كذبت به) أي برى حيث أشركتم به غيره (ما عندي ما تستعجلون به) أي العذاب الذي
استعجلوه بقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء (ان) أي ما (الحكم) في ذلك وغيره
(الآله) فهو يفصل بين المختلفين ويقضي بانزال العذاب متى شاء (يقص الحق) قرأ نافع وابن
كثير وعاصم بضم القاف وصادمه ملة مستددة مع الرفع ومعناه يقول الحولان كل ما أخبر به فهو
حق والباقون بسكون القاف وضاد معجمة مخففة مع الكسر أي انه تعالى يقضي القضاء الحق
(وهو خير الفاصلين) أي الحاكمين (قل) لهم (لوان عندي) أي في قدرتي وممكني
(ما تستعجلون به) أي من العذاب (لقضي الامر بيني وبينكم) أي لا تفصل ما بيني وبينكم بأن
أهلككم عاجلا بما تستعجلون به من العذاب غضبا لربي ولكنه عند الله تعالى (والله أعلم
بالظالمين) أي ما تستحقونه من العذاب والوقت الذي يستحقون فيه (وعنده) سبحانه وتعالى
(مفاتيح الغيب) أي خزائنه جمع مفتاح بفتح الميم وهو الخزن أو ما يصل به إلى المغيبات مستعار
من المفاتيح الذي هو جمع مفتاح بالكسر وهو المفتاح (لا يعلمها الا هو) وهي الخمسة التي في قوله ان
الله عنده علم الساعة الآية كما رواه البخاري في علم أوقاتها وما في تعجيلها وتأخيرها من الحكم
فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقته به مشيئته وفيه دلائل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل
وقوعها (ويعلم ما) يحدث (في البر والبحر) قدم البر لأن الانسان أكثر ما يبتلى به بما فيه من
القرى والمدن والمفاوز والجبال والحيوان والنبات والمعادن وغير ذلك وأخر البحر لأن أحاطة
العقل بأحواله أقل وقال مجاهد البر المفاوز والتفادير والبحر القرى والامصار التي على الانهار
وقوله تعالى (وما تسقط من ورقة) أي ورقة من يد (الا يعلمها) مباالغة في احاطة علمه تعالى
بالجزئيات وقوله تعالى (ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس) عطف على ورقة

واختلف في الحبة فقيل هي من هذا الحب المعروف تكون في بطن الارض قبل ان تنبت وقيل هي الحبة التي تنبت في العذرة التي في أسفل الارض واختلف في معنى الرطب واليابس فقال ابن عباس الرطب الماء واليابس البادية وقال عطاء يريد ما ينبت وما لا ينبت وقيل المراد بالرطب الخبز وباليابس الميت وقيل هو عبارة عن كل شيء لان جميع الاشياء اما رطبة واما يابسة (فان قيل) جميع هذه الاشياء داخله تحت قوله تعالى وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو فلم أفرد هذه الاشياء بالذكر (أجيب) بأنه تعالى ذكرها أولا مجمله ثم فصل بعضها من ذلك الاجمال ليبدل بها على غيرها وقوله تعالى (الافى كتابه مبين) فيه قولان أحدهما انه علم الله الذي لا يغير ولا يبدل والثاني انه اللوح المحفوظ لان الله تعالى كتب فيه علم ما يكون وما قد كان قبل أن يخلق السموات والارض فهو على الاول بدل من الاستثناء الا قبل بدل الكل وعلى الثاني بدل الاشتمال (وهو الذي يتوفاكم بالليل) أى يقبض أرواحكم عند النوم (ويعلم ما جرحتم) أى كسبتم (بالتهارثم يبعثكم) أى يوقظكم برزأرواحكم (فيه) أى النهار (فان قيل) لم خص الليل بالنوم والنهار بالكسب مع ان ذلك يقع في غير هذا (أجيب) بأن ذلك جرى على الغالب (ليقضى أجل مسعى) أى ليبلغ المستيقظ آخر أجله المسمى له في الدنيا (ثم اليه مرجعكم) بالموت والبعث (ثم ينشئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم به (وهو القاهر) مستعليا (فوق عباده) لان من قهر شيئا وغلبه فهو مستعل عليه اما قهره للمعدوم فبالتمسك وبن والايجاد واما قهره للموجود فبالافناء والافساد ينقل الممكن من العدم الى الوجود تارة ومن الوجود الى العدم أخرى ويقهر النور بالظلمة والظلمة بالنور والنهار بالليل والليل بالنهار الى غير ذلك من ضروب الكائنات وصنوف الممكنات (ويرسل عليكم) من ملائكته (حفظة) أى تحفظ أعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن أبي حاتم السخستاني أنه كان يكتب عن الاصمعي كل شيء تلاحظ به من فوائد العلم حتى قال فيه أنت شبيه الحفظة كتب لفظ الحفظة فقال أبو حاتم وهذا أيضا مما يكتب (فان قيل) الله تعالى غنى عن كتابة الملائكة فما فائدتها (أجيب) بأن فع الطفال للعباد لانهم اذا علموا أن الله رقيب عليهم والملائكة موكلون بهم يحفظون عليهم أعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤس الاشهاد في مواقف القيامة كان ذلك أزجر لهم عن القبيح وأبعد عن السوء (حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا) أى ملك الموت وأعوانه (وهم لا يفترطون) أى لا يقصرون فيما يؤمرون وقيل ملك الموت وحده نذكر الواحد بلفظ الجمع وجاء في الاخبار أن الله تعالى جعل الدنيا بين يدي الموت كالماندة الصغيرة فيقبض من ههنا ومن ههنا فاذا كثرت عليه الارواح يدعوها فتستجيب له (فان قيل) قال الله تعالى في آية أخرى الله يتوفى الانفس حين موتها وفي أخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم وقال هنا توفته رسلنا فكيف الجمع (أجيب) بأن المتوفى في الحقيقة هو الله تعالى فاذا حضر أجل العبد أمر الله تعالى ملك الموت أن يقبض روحه وملك الموت أعوان من الملائكة يأمرهم بنزع روح ذلك العبد من جسده فاذا وصلت الى الحلقوم تولى قبضها ملك الموت بنفسه فحصل الجمع بين الآيات وقال

مجاهد ما من أهل بيت شعر ولا مدرا لا وملك الموت يطوف بهم - ثم كل يوم مرتين وقرأ سورة بعد
 فاه توفته بألف عمالة على التذكير والباقون بالتاء على التأنيث وسكن السين من رسلنا أبو عمرو
 ورفعها الباكون (ثم ردوا) أي الخلق (إلى الله) أي إلى حكمه وجزائه (مولاهم) أي سيدهم
 ومدبر أمورهم كلها (الحق) أي الثابت الولاية وكل ولاية غير ولايته تعالى عدم (الاله الحكم)
 أي القضاء النافذ فيهم فلا حكم عليه (وهو أسرع الحاسين) يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف
 نهار من أيام الدنيا الحديث بذلك لانه لا يحتاج إلى فكرة وروية وعقد فيحاسب خلقه بنفسه
 لا يشغله حساب بعضهم عن بعض (قل) يا محمد لاهل مكة (من يحييكم من ظلمات البر والبحر)
 أي من الخسف في البر والفرق في البحر ومن شدائد هما استعيرت الظلمة للشدّة لمشاركتهما في
 الهول وإبطال الابصار ف قيل لليوم الشديد يوم مظلم وغيره يوم ذو كواب وقيل حمله على
 الحقيقة أولى وظلمات البر هي ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب فيحصل من ذلك الخوف
 الشديد لعدم الاهتداء إلى الطريق الصواب وظلمات البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة
 السحاب وظلمة الرياح العاصفة والأمواج الهائلة فيحصل من ذلك أيضا الخوف الشديد من
 الوقوع في المهالك والمقصود ان عند اجتماع هذه الاسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع
 الانسان فيها الا إلى الله تعالى لانه هو القادر على كشف الكروب وإزالة الشدائد وهو المراد من
 قوله (تدعونه تضرعا) أي علانية (وخفية) أي سرا أو قوله تعالى (لئن) اللام لام القسم
 على إرادة القول أي يقولون والله لئن (أنجيئنا من هذه) أي الظلمات والشدائد (لنكونن من
 الشاكرين) لك على هذه النعمة والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقوقها المن أنعم به أي
 فنكون من المؤمنين وقرأ عاصم وحزرة والكسائي أنجيانا بحذف التاء وألف بعد الجيم بدل الياء
 ليوافق قوله تعالى تدعونه وأمالها حذرة والكسائي والباقون بالتاء بعد الداء (قل الله يحييكم
 منها ومن كل كرب) أي غم سوى ذلك (ثم أنتم تشركون) أي تعودون إلى شركه الأصنام معه التي
 لا تضر ولا تنفع ولا توفون بالعهود وانما وضع تشركون موضع لا تعبدون تنبيهها على ان من
 أشرك في عبادة الله تعالى فكأنه لم يعبد (قل) لهم (هو القادر على أن يبعث) في كل وقت يريد
 (عليكم) في كل حالة (عذابا من فوقكم) بإرسال الصيحة والجمرة والريح والطوفان كما فعل بقوم
 نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب القليل (أو من تحت أرجلكم) بالفرق أو الخسف كما فعل
 بفرعون وقارون وعن ابن عباس ومجاهد عذابا من فوقكم السلاطين الظلمة أو من تحت
 أرجلكم العبيد السوء وقال الضحاك من فوقكم أي من قبل كباركم أو من تحت أرجلكم أي
 من أسفل منكم (أو يلبسكم) أي يخلطكم (شيعا) أي فرقا وينسب فيكم الأحوال المختلفة بقتل
 بعضهم بعضا روى لما زلت هذه الآية قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال
 صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك ومن تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك أو يلبسكم شيعا (ويذيق
 بعضهم بأس بعض) أي بالقتال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أهون أو أيسر وفي رواية
 انه صلى الله عليه وسلم قال سألت ربي طويلا أن لا يهلك أمتي بالفرق فأعطانيها وأسأله أن لا يهلك

أنتى بالسنيين فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فنحنها وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم
سأل الله تعالى ثلاثاً فأعطاه اثنتين ومنعهُ واحدة سأل أن لا يسلط على أمته عدو من غيرهم يظهر
عليهم فأعطاه ذلك وسأل أن لا يهلكهم بالسنيين فأعطاه ذلك وسأل أن لا يجعل بأس بعضهم على
بعض فنعته ذلك (انظر) يا محمد (كيف نصرف) أي نين لهم (الآيات) الدالة على قدرتنا
(اعلمهم بفقهمون) أي يعلمون أن ما هم عليه باطل فيرجعوا عنه (وكذب به) أي القرآن أو
العذاب (قومك) أي الذين من حقهم أن يقوموا بجميع أمرك ويسروا بسياذك فإن القبيلة
إذا ساد أحدهم عزت به فإن عزه عزها وشرفه شرفها ولا سيما إذا كان من بيت الشرف ومعدن
السيادة وإذا سفل أحدُها اهتت به غاية الاهتمام وسرت عيوبه مهما أمكنها فإن عاره لاحق
بنا فهو من عظيم التوبيخ لهم ودقيق التقرير لهم وزاد ذلك بقوله (وهو) أي والحال أنه (الحق)
أي الثابت الذي لا يضره التكذيب به ولا يمكن زواله (قل) لهم (لست عليكم بوكيل) أي حفيظ
وكل إلى أموركم فأجازيكم أو أمنعكم من الذكذب انما أنا مذكروا الله الحفيظ (لكل نبأ) أي
خبر أخبركم به من هذه الاخبار (مستقر) أي وقت يقع فيه ويستقر ومنه عذابكم (وسوف
تعلمون) صحة ذلك عند وقوعه أما في الدنيا وأما في الآخرة وفي ذلك تهديد لهم (وإذا رأيت
الذين يخوضون في آياتنا) أي القرآن بالاستهزاء والتكذيب (فاعرض عنهم) أي فاتركهم ولا
تجالسهم (حتى يخوضوا في حديث غيره) أي حتى يكون خوضهم في غير الآيات والاستهزاء بها
وذكر الضمير على معنى الآيات لأنها القرآن والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ليكون
أردع أولئك أي وإذا رأيت أيها الإنسان (وأما) فيه ادغام نون ان الشرطية في ما المزيدة
(بسينك الشيطان) أي فقعدت معهم ثم تذكرت (فلا تتعد بعد الذكري) أي التذكر لهذا النهي
(مع القوم الظالمين) أظهره وضع الاضمار تفهم ما ودلالة على الوصف الذي هو سبب الخوض
وروى ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزأ بالقرآن لم نستهطع أن نجالس بالمسجد ونطوف
فنزل (وما على الذين يتقون) الله (من حسابهم) أي الخائضين (من شيء) أي شيء مما يحاسبون
عليه إذا جالسوهم من مزيد لنا كبد (ولكن) عليهم (ذكرى) أي تذكرة لهم ووعظ ومنع وهم من
الخوض وغيرهم من القبائح ويظهر وراحتها وقال سعيد بن جبير ومقاتل هذه الآية منسوخة
بالآية التي في سورة النساء وهي قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله
الآية وذهب الجهور إلى أنها محكمة لانسخ فيها لانها خبر والخبر لا يدخله النسخ ولأنه انما أباح
لهم القعود معهم بشرط التسذكرة والموعظة (اعلمهم يتقون) الخوض في الآيات (وذر الذين
اتخذوا دينهم) أي الذي كلفوه (لعباً ولهوياً) باستهزائهم به (وغرتهم الحياة الدنيا) أي خدعتهم
وغلّب حبها على قلوبهم فأعرضوا عن دين الحق أي فاتركهم ولا تبال بكذبيهم واستهزائهم
وهذا يقتضي الاعراض عنهم وهو قبل الامر بالقتال ثم نسخ ذلك الاعراض بالآية السيف
(وذكر) أي وعظ (به) أي القرآن الناس (أن) أي كراهة ان (تسل قس) أي تسل إلى الهلاك
(بما كسبت) أي بسبب ما عملت وأصل الابل والبسل المنع ومنه أسد بادل لأن فرسته

قوله منسوخة بالآية
الخ كذا في النسخ
ولينظر ٥١

لا تغفل منه والباسل الشجاع لا امتناعه من قرنه وهذا بسل عليك أي حرام (ليس لها من دون
 الله) أي غيره (ولي) أي ناصر (ولا شفيع) يمنع عنها العذاب (وأن تعدل) أي تلك النفس لا جل
 التوصل إلى الفكاك (كل عدل) أي وإن تفد كل فداء والعدل القديس لأنم اتعدل المقدي
 (لا يؤخذ منها) ما تغدي به (أولئك) أي الذين هموا هذه الأعمال البعيدة عن الخير (الذين
 أبسلوا) أي سلوا إلى العذاب (بما كسبوا) أي بسبب أعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائفة
 (لهم شراب من حميم) أي ماء هوى غاية الحرارة (ولهم) (عذاب أليم) أي مؤلم (بما) أي بسبب
 ما (كانوا يكفرون) أي هم بين ما يغلي يتجر جرح في بطونهم ونارتشعل في أبدانهم بسبب كفرهم
 (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين دعوك إلى دين آبائهم (أندعو) أي نعبد (من دون الله)
 أي غيره (مالا ينفعنا) أي بعبادته (ولا يضرنا) أي بتركها وهم الأصنام (ونزد على أعقابنا)
 أي نرجع إلى الشرك (بعدا هذا أنا الله) تعالى إلى التوحيد ودين الإسلام (كاذبي استهوته)
 أي أضلته (الشياطين في الأرض) حالة كونه (حيران) تائها ضالالايم - تدى لوجه ولا يدرى
 كيف يسلك وقرأه بعد الوأوفي استهوته بألف مما لعل على التذكير والباقون بالتاء على
 التأنيث ورقق ورش را حيران بخلاف عنه (له) أي المستهوى (أصحاب) أي رفقة (يدعونه
 إلى الهدى) أي إلى الطريق المستقيم وسماء هدى تسمية للمفعول بالمصدر يقولون له (اثننا)
 فلا يجيبهم فيهلك والاستفهام للانكار وجهه التشبيه للحال من ضير يزد وهذا مثل ضربه الله
 تعالى لمن يدعو إلى عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع ومن يدعو إلى عبادة الله عز وجل الذي
 يضر وينفع يقول مثلهم كمثل رجل في رفقة ضل به الغيلان والشياطين عن الطريق
 المستقيم فجعل أصحابه من أهل رفقة يدعونه إليهم يقولون لهم إلى الطريق المستقيم وجعل
 الغيلان يدعونه إليهم فبقى حيران لا يدرى أين يذهب فان أجاب الغيلان ضل وهلك وان أجاب
 أصحابه اهتدى وسلم (قل) لهم (إن هدى الله) الذي هو الإسلام (هو الهدى) وحده وما عداه
 ضلال (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) أي بأن نخلص العبادة له لأنه المستحق للعبادة لا غيره
 وقوله تعالى (وأن أقيموا الصلاة واتقوا) عطف على لنسلم أي للإسلام ولا إقامة الصلاة لأن
 فيها ما يقرب إلى الله وروى أن عبد الرحمن بن أبي بكر دعا أباه إلى عبادة الأوثان فنزلت (فان
 قبل) إذا كان هذا واردا في شأن أبي بكر رضي الله تعالى عنه فكيف قبل الرسول صلى الله
 عليه وسلم قل أندعو (أجيب) بأن ذلك أظهر للاتحاد الذي كان بينه صلى الله عليه وسلم وبين
 المؤمنين خصوصا الصديق رضي الله تعالى عنه (وهو الذي إليه) لا إلى غيره بعد بعثكم من
 الموت (تمشرون) يوم القيامة فيميزكم بأعمالكم (وهو الذي خلق السموات والأرض)
 على عظمهما (بالحق) أي بسبب إقامة الحق وقيل خلقهما بكلامه الحق الذي هو قوله
 تعالى كن وهو دليل على أن كلام الله تعالى ليس بمخلوق لأنه لا يخلق مخلوق بخلاف (و) أذكر
 (يوم يقول) الله للخلق (كن فيكون) أي فهو يكون وهو يوم القيامة يقول بمخلوق قوموا
 أحياء (قوله) تعالى (الحق) أي الصدق الواقع لا محالة (وله الملك يوم ينفع في الصور) أي

نة الثانية من اسرافيل عليه الصلاة والسلام وانما أخبر سبحانه وتعالى عن ملكه يومئذ
 كان الملك له سبحانه وتعالى في كل وقت في الدنيا والاخرة لانه لا منازع له يومئذ فان كان
 الملك من الجبابرة والافراعنة وسائر الملوك الذين كانوا في الدنيا قد زال ملكهم فاعترفوا أن
 الله الواحد القهار وأنه لا منازع له تعالى فيه وعلموا أن الذي كانوا يدعونونه من الملك في
 ما غرور وباطل * (تنبيه) * اختلفت العلماء في الصور المذكورة في الآية فقال قوم هو قرن
 فيه وهو لغة أهل اليمن وقال مجاهد الصور قرن كهية البوق ويدل على صحة هذا القول
 رى أن أعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور قال قرن ينفخ فيه وروى أنه
 الله عليه وسلم قال كيف أنتم وقد التقم صاحب القرن القرن وحتى جبهته واضنى سمعه
 وأن يؤمر فينفخ فكان ذلك ثقل على الصحابة فقالوا كيف نعمل يا رسول الله أو كيف
 قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وقال أبو عبيدة الصور جمع صورة
 نفخ فيها حياؤها والاول أصح لما روى الحديث ولا جماع أهل السنة أن المراد بالصور هو
 بن الذي ينفخ فيه اسرافيل نفختين نفخة الصعق ونفخة البعث للحساب (عالم الغيب
 مهادة) أى ما غاب وما شوهد فلا يغيب عن علمه تعالى شئ (وهو الحكيم) أى في جميع أفعاله
 يخلق (الخبير) بباطن الاشياء كظاهرها بكل ما يعلمونه من خيراً وشر (واذ قال ابراهيم
 آزر) اختلف العلماء في لفظة آزر فقال مجاهد آزر اسم أبي ابراهيم وهو تارح ضبطه
 بهم بالحاء المهملة وبعضهم بالحاء المججمة وقال البخارى في تاريخه الكبير ابراهيم بن آزر
 في التوراة تارح فعلى هذا يكون لابي ابراهيم اسمان آزر وتارح مثل يعقوب واسرائيل
 ن لرجل واحد فيحمل أن يكون اسمه آزر وتارح لقب له وبالعكس فالله سماه آزر
 كان عند النسايين والمؤرخين اسمه تارح ليعرف بذلك وكان آزر أبو ابراهيم من كوفى
 قرية من سواد الكوفة وقال سعيد بن المسيب ومجاهد آزر اسم صنم كان والد ابراهيم
 وانما سماه بهذا الاسم لأن من عبد شيئاً أو أحبه جعل اسم ذلك المعبود أو المحبوب اسماً له
 لقوله تعالى يوم ندعو كل أناس بإمامهم وقيل معناه واذ قال ابراهيم لآبيه يا عبد آزر فخذف
 ف وأقيم المضاف اليه مقامه والاول أصح لأن آزر اسم أبي ابراهيم لأن الله تعالى سماه به
 ج البخارى في افراده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم عليه الصلاة والسلام
 ز يوم القيامة على وجهه أى آزر فترة وغبرة الحديث سماه النبي صلى الله عليه وسلم آزر
 ولم يقل أباه تارح كما نقل عن النسايين والمؤرخين فثبت بهذا أن اسمه الاصلى آزر ولا تارح
 كان أهل تلك البلاد وهم الكنعانيون يعتقدون الهية النجوم في السماء والاصنام
 رض فيجعلون لكل نجم صنما فاذا أرادوا التقرب الى ذلك النجم عبدوا ذلك الصنم
 مع لهم عند ذلك النجم فقال ابراهيم منكر عليهم منبههم على ظهور فساد ما هو من تركبه
 (ذ) أى أتكلف نفسك الى خلاف ما تدعو اليه الفطرة الاولى بان تجعل (أصناماً آلهة)
 بسدها وتخضع لها ولا تنفع فيها ولا ضرر (انبار الوقومك) أى في اتفاقكم على هذا

(في ضلال) أي بعد عن الصراط المستقيم (مبين) أي ظاهر جذا يديه العقل مع مخالفته
 لكل نبي تنبأ الله تعالى من آدم عليه السلام فن بعده وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء
 والباء قون بالسكون (وكذلك) أي ومثل هذا التبصير العظيم الشأن (نرى إبراهيم) أي نبصر
 وهي حكاية حال ماضية (ملكوت السموات والأرض) أي بمجائهم ما وبدا لهما الملكوت أعظم
 الملك والتألف فيه للمبالغة كالرهوت والرهوت والرغبة والرغبة والرجة وقال
 ابن عباس خلق السموات والأرض وقال مجاهد وسعيد بن جبيرة عن آيات السموات والأرض
 وذلك أنه أقيم على صخرة وكشف له عن السموات حتى رأى العرش والكرسي وما في السموات
 من العجائب وحتى رأى مكانه في الجنة فذلك قوله تعالى وآتيناه أجره في الدنيا معناه أريناه
 مكانه في الجنة وكشف له عن الأرض حتى نظر أسفل الأرضين ورأى ما فيها من العجائب
 وروى عن سلمان ورفعه بعضهم عن علي قال لما رأى إبراهيم ملكوت السموات والأرض
 أبصر رجلا على قاحشة فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فأراد أن يدعو عليه فقال الرب تبارك
 وتعالى يا إبراهيم انك رجل مجاب الدعوة فلا تدعو علي عبادي فأعماه فأنما من عبدي على ثلاث
 خلال أما أن يتوب إلى قاتوب عليه وأما أن أخرج منه نسمة تعبدني وأما أن يبعث إلى فان
 شئت عفوت عنه وإن شئت عاقبته وفي رواية فان تولى فان جهنم من ورائه وقال قتادة ملكوت
 السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الأرض الجبال والشجر والبحار وقيل إن
 هذه الرؤية كانت بعين البصيرة لأن ذلك لا يدرك إلا بالعقل فأريناه ذلك ليستدل به
 على توحيدنا (وليكون من الموقنين) واليقين عبارة عن علم يحصل بسبب التأمل بعد زوال
 الشبهة لأن الإنسان في أول الحال لا ينفك عن شبهة فاذا كثرت الدلائل وتوافقت صارت سببا
 لحصول اليقين والطمأنينة في القلب وزالت الشبهة عند ذلك قال ابن عباس في وليكون من
 الموقنين جلي له الأمر سره وعلايته فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلائق فلما جعل يلعب أصحاب
 الذنوب قال الله تعالى انك لا تستطيع هذا فرقه الله تعالى كما كان قبل ذلك (فلما جن عليه
 الليل) أي دخل فيه (رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل) أي غاب (قال لأحب الآفلين) وذلك
 أن إبراهيم صلى الله عليه وسلم ولد في زمن غروب كنعان وكان النمرود أول من وضع التاج على
 رأسه ودعا الناس إلى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلد هذه السنة غلام
 يغرب دين أهل الأرض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك
 في كتب الانبياء وقال السدي ان النمرود رأى في منامه كأن كوكبا طلع فذهب بضوأي الشمس
 والقمر حتى لم يبق لهم ضوء فنزع من ذلك فزعاشيدا ودعا السحرة والكهنة فسألهم فقالوا
 هو مولود يولد في ناحيتك في هذه السنة فيكون هلاكك وهلاك ملكك وأهل بيتك على يديه
 فأمر بدمج كل غلام يولد في ناحيته في تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل
 عشرة رجل امرأة خلى بينها وبين زوجها لانهم كانوا لا يجامعون في الحيض فاذا
 طهرت حبل يمينها فرجع أزرق فوجد امرأته قد طهرت فواقعها فحملت بإبراهيم قال محمد بن

اسحق بعث غمرا الى كل امرأة حبلى بقرية يحبسها عنده الا ما كان من أم ابراهيم فانه لم يعلم
 حبسها لانها كانت صغيرة لم يعرف الحبلى يطنها وقال السدي خرج غمرا بالرجال الى العسكر
 ونهاهم عن النساء خوفا من ذلك ثم بدت له حاجة الى المدينة ولم يأمن عليها أحد من قومه
 الا آزر فبعث اليه وأقسم عليه أن لا يدنو من أهله فقال آزر أنا أشجع على ديني من ذلك فأوصاه
 بحاجة فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال لودخلت على أهلي فنظرت اليهم فلما نظرت الى أم
 ابراهيم لم يتألم حتى واقعها فحملت بابراهيم قال ابن عباس لما جلت أم ابراهيم به قال الكهات
 لغمرا ذاك الغلام الذي أخبرناك عنه قد سجلته أمه الليلة فأمر غمرا وذبيح الغلمان قال محمد بن اسحق
 لما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة وكانت قرية منها فولدت فيها ابراهيم عليه
 الصلاة والسلام وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت الى بيتها
 وكانت تحتلم اليه فتستظمر ما فعل فتجده يحض من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع عسلا
 ومن اصبع غمرا ومن اصبع سمنا وقال محمد بن اسحق كان آزر قد سأل أم ابراهيم عن حملها
 فقالت ولدت غلاما ميتا فصدقها وكان اليوم على ابراهيم في الشباب كالشهر والشهر كالسنة
 فلم يمكث ابراهيم في المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى قال لآتمه اخرجيني فأخرجته عشاء فنظروا
 وتفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقتني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي مالي
 اله غيره ثم نظروا في السماء فرأى كوكبا فقال هذا ربي ثم أتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب فلما أفل
 قال لأحب الآفلين (فلما رأى القمر بازغا) أي مبتدئا في الطلوع (قال هذا بى) فاتبعه بصره
 (فلما أفل قال انى لم يمدنى ربي لا كون من القوم الضالين) وقيل انه كان في السرب سبع سنين
 وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة قال بعض أهل التفسير فلما شب ابراهيم وهو
 في السرب قال لآتمه من ربي قالت أنا قال فن ربي قالت ابوك قال فن ربي أبي قالت اسكت
 فسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت الغلام الذى كنا نتحدث أنه يغرب دين أهل الارض فانه ابنك
 ثم أخبرته بما قال فأتاه أبوه فقال له ابراهيم يا أبتاه من ربي قال أنتك قال فن ربي أمى قال أنا
 قال فن ربي قال غمرا قال فن ربي غمرا فاطمه وقال اسكت فلما أخرج من السرب وجئ عليه
 الليل رأى المشتري قد طلع وقيل الزهرة وكانت تلك الليلة في آخر الشهر فأتاه القمر فيها فرأى
 الكوكب فقال ذلك وهل ذلك جاز على ظاهره أو مؤول جرى بعضهم على الاول وقال كان
 ابراهيم مسترشدا طالبا للتوحيد حتى وفقه الله تعالى فلم يضره ذلك وأيضا كان ذلك في طفولته
 قبل قيام الحج عليه فلم يكن كفرا والاصح الثانى اذ لا يجوز أن يكون لله تعالى رسول يأتي عليه
 وقت من الاوقات الا وهو الله تعالى موحد وبه عارف ومن كل معبود سوا مبرى ثم قال في تأويله
 أوجه أحدها وهو الاصح ان ابراهيم ذكر ذلك على وجه الاحتجاج عليهم بقوله هذا بى أى فى
 زعمكم فلما غاب قال لو كان الها لما غاب كما قال تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم أى عند نفسك
 وبزعمك وكما أخبر عن موسى انه قال وانظر الى الهك أى فى زعمك فلما أفل قال لأحب الآفلين
 فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاج يقتضى الامكان والحدوث وينافى الألوهية فلم

ينبغي فيهم ذلك فلما رأى القمر بازغا قال لهم هـ ذاربي فلما أقبل أى غاب قال لئن لم يهدني ربي أى
يثبتني على الهدى لانه لم يكن مهتديا والانبياء لم يزلوا يسألون الله تعالى الثبات على الايمان
وكان ابراهيم عليه السلام يقول واجنبنى وبني أن نعبد الاصنام (فلما رأى الشمس بازغة) أى
عند طلوع النهار (قال) لهم (هداربي هذا أكبر) أى من الكواكب والقمر ولم يقل هذه مع
أن الشمس مؤنثة لانه أراد هـ ذا الطالع أو رده الى المعنى وهو الضياء والنور لانه رأى أضواء من
النجم والقمر أو ذكره لانه ذكر خبره (فلما أفلت) أى غربت وقويت عليهم الخسوف فلم يرجعوا
(قال يا قوم انى يرى مما تشركون) أى بالله من الاصنام والاعمال المحدثه المحتاجة الى محدث
التي تجعلونها شركاء لنا لقلوبها والوجه الثانى من التأويل أنه قال ذلك على وجه الاستفهام
تقديره أهذاربي كقوله تعالى أفأنت متفهم الخالدون أى أفهم الخالدون وذكره على وجه
التوبيخ منكر الفعلهم والوجه الثالث انه أراد أن يستدرجهم بهذا القول ويعترفهم خطأهم
وجهلهم ومثل هذا مثل من ورد على قوم يعبدون صنما فأظهر تعظيمه فأكرموا حتى صدروا
في كثير من الامور عن رأيه الى أن دهمهم عدو فشا وروى في أمره فقال الراى أن ندعو
هـ ذا الصنم حتى ينكشف عنا ما أصابنا فاجتمعوا حوله يضرعون فلما تبين لهم أنه لا ينفع
ولا يدفع دعاهم الى أن يدعوا الله تعالى فدعوه فصرف عنهم ما كانوا يعبدون فأسلموا (فان قيل)
لم احتج عليهم بالافول دون البرزخ وكلاهما انتقال من حال الى حال (أجيب) بأن الاحتجاج
بالافول أظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب ولما ظهر خلاف قومه واستترت وافي شركهم وقالوا
له من تعبد أتأنت أظهر لهم ما هو عليه من الحق بقوله (انى وجهت وجهي) أى أخلصت
قصدى وصرفت عبادتى (للذى فطر السموات والارض) أى خلقهم ما وابتدعها وهو الله تعالى
(حنيفا) أى ما تلا الى الدين القويم عن كل دين يخالفه وأصل الحنيف الميل وهو عن طريق
الضلال الى طريق الاستقامة وقيل الحنيف هو الذى يستقبل الكعبة بصلاته (وما أنا من
المشركين) تبرأ من الشرك الذى كان عليه قومه أى وما أنا منكم ولا أعدى أعداءكم بشئ أقاربكم
به (وحاجه قومه) أى خاصه في التوحيد وهدوه بالاصنام أن تصيبه بسوء ان لم يرجع عن
الكلام فيها (قال) لهم (أحتاجونى) أى أحتاجوننى (فى الله) أى فى وحدانيته وقرأ نافع وابن
عامر بتخفيف النون وهى نون الرفع عند النحاة ونون الوقاية عند القراء والباقون بالتشديد
وقد أى والحال انه قد (هدانى) الى توحيدى ومعرفته (ولا أخاف مما تشركون به)
شأ وذلك ان ابراهيم لما رجع الى أبيه وصار من الشباب بحاله سقط عنه طمع الذباحين أى
ذبايح غروذ وضعه آزر الى نفسه وجعل آزر يصنع الاصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب
بها ابراهيم وينادى من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها أحد فاذا بارت عليه ذهب بها
الى نهر فصوب رؤسها وقال اشربى استنزاه بقومه وما هم عليه حتى فشا استنزاه بها فى قومه
وأهل قريته فقالوا له احذر الاصنام فاننا نخاف أن تمسك بخيل أو جنون بعيبك اياها فقال
انما يكون الخوف من يقدّر على النفع والضر وهو قوله تعالى (الا أن يشاء ربي شيئا) وهـ ذا

استثناء منقطع معناه لكن ان شاء ربى شيا من المكروه يصيبني فيكون لانه قادر على النفع
والضرر وانما قال ابراهيم ذلك لاحتمال ان الانسان قد يصيبه في بعض حالاته وأيام عمره ما يكرهه
فلو احابه مكروه نسبوه الى الاصنام فنفى هذه الشبهة بذلك (وسع ربى كل شئ علما) أى احاط
علمه بكل شئ من معلومه (أفلاتنكرون) أى يقع منكم تذكر فتميزوا بين الحق والباطل والقادر
والعاجز (وكيف أخاف ما أشركتم) به أى الاصنام وهى لا تبصر ولا تسمع ولا تضرو ولا تنفع
(ولا تخافون) أنتم (أنكم أشركتم بالله) وهو تعالى حقيق بأن يخاف منه كل الخوف لانه
اشركتم الله صنوع مع الصانع وتبوية بين المقدور والعاجز والقادر الضار النافع (ما لم ينزل به)
أى بعبادته (عليكم سلطانا) أى حجة وبرهانا وهو القادر على كل شئ (فأى الفريقين) أى حزب
الله وحزب ما أشركتم ولم يقل فأينا تعميها الله معنى (أحق بالامن) أهم الموحدون أو المشركون
(ان كنتم تعلمون) من الاحق أى ان كان لكم علم فأخبروني عما سألتكم عنه والا حق بذلك هم
الموحدون فاتبعوهم قال تعالى قاضيا بينهما (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) أى لم يخلطوا
ايمانهم بشرك روى انه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله فأينالم يظلم
نفسه فقال ليس ذلك انما هو الشرك ألم تسمعو الى ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك
لظلم عظيم (أولئك) أى الموصوفون بما ذكر (لهم الامن) أى من العذاب المؤبد (وهم مهتدون)
وقوله تعالى (ولئك) مبتدأ ويبدل منه (حجتنا) وهى ما احتج به ابراهيم على قومه من قوله تعالى
فلما حجت عليه الليل الى قوله وهم مهتدون أو من قوله تعالى أتتاجونى اليه والخبر (أتيناها
ابراهيم) أى أرشدناه لها حجة (على قومه) ثم انه سبحانه وتعالى لما تفضل على خليله صلى الله
عليه وسلم برفعه على قومه قال تعالى (نرفع درجات من نشاء) فى العلم والحكمة وقرأ عاصم
وحزرة والكسائى بتدوين التاء والباقون بغير تنوين (ان ربك حكيم) فى صنعته فيرفع من يشاء
ويخفض من يشاء (عليه) بخلقه فهو القهار لما يريد (وهناك) أى ابراهيم (اسحق) أى ابنه
(يعقوب) أى ابنا لاسحق فهو ابن ابنه (كلا) منهما ومن أيهما (هدينا) الى سبيل الرشاد
ووقفنا الى طريق الحق والصواب (ونوحا هدينا) (من قبل) أى قبل ابراهيم (ومن ذريته)
أى نوح لا ابراهيم لانه تعالى ذكر فى جملتهم يونس ولوطا ولم يكونا من ذرية ابراهيم وقيل الضمير
لا ابراهيم ويكون ذلك من باب التغليب فان التغليب سائغ شائع فى اتساب العرب (داود) وهو
ابن ايشاهديناه وكان من آباء الله الملك والنبوة (وسليمان) هو ابن داود وهما اللذان بنيانيت
المقدس بأمر الله تعالى داود بنخطه وتأسيسه وسليمان بكامله ونشيداه (وأيوب) هو ابن أموص
ابن رزاح بن روم بن عيصون اسحق بن ابراهيم (ويوسف) هو ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
(فان قيل) لم قدم أيوب على يوسف مع ان يوسف أقرب منه (أجيب) بأنه قدمه للمناسبة بينه وبين
سليمان لان كلا منهما ابتلى بأخذ كل ما فى يده ثم رده الله تعالى اليه (وموسى) هو ابن عمران
ابن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب (وهرون) هو أخو موسى أكبر منه بسنة صلوات الله
وسلامه عليهم أجمعين (وكذلك) كما جزنا ابراهيم على توحيدده وصبره على أذى قومه

بأن رفعنا درجته ووهبنا له أولادا أنبياء (نحزى الحسين) على إحسانهم (وزكريا) هو ابن أدن
 ابن بركا وقرأ حصص وحمة والكسائي بغير همز والباقون بالهمز (ويحيى) هو ابن زكريا
 (وعيسى) هو ابن مريم بنت عمران (والياس) قال ابن مسعود هو أدريس وله اسمان مثل يعقوب
 وإسرائيل قال البغوي والصحيح أنه غيره لأن الله تعالى ذكره في ولد نوح وأدريس جد أبي نوح
 وهو الياس ابن ياسين بن فضايل بن العيزار بن هرون بن عمران (كل) منهم (من الصالحين) أي
 الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي (واسماعيل) هو ابن إبراهيم وأما
 أخذ ذكره إلى هنا لأنه ذكره الحق وذكر أولاده من بعده على نسق واحد فلهذا السبب أخذ ذكر
 اسمعيل إلى هنا (واليسع) هو أخطوب بن العجوز وقرأ حمة والكسائي بتشديد اللام وسكون
 الباء والباقون بسكون اللام وفتح الباء (ويونس) هو ابن مق (ولوطا) هو بن هاران أخى إبراهيم
 (وكلا) منهم (فضلنا على العالمين) أي بالنبوة وفيه دليل على فضلهم على من عداهم من
 الخلق من أنس ومالك وبسندل بهذه الآية من يقول إن الأنبياء أفضل من الملائكة وقوله تعالى
 (ومن آياتهم ذرياتهم وأخوانهم) عطف على كلاً ونوحا ومن التبعض أي وفضلنا بعض آياتهم
 وبعض ذرياتهم وأخوانهم لأن آباء بعضهم كانوا مشركين وعيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان
 في ذرية بعضهم من كان كافرا كابن نوح وقوله تعالى (واجتنبناهم) أي اخترناهم عطف على
 فضلنا أوهدينا (وهديناهم) أي وأرشدناهم (إلى صراط مستقيم) هو الدين الحق (ذلك) أي
 الذي هدوا إليه (هدى الله يهدي به من يشاء من عباده) سواء كان له أب يعلمه أو كان له من يحمله
 على الضلال أم لا فهو سبحانه وتعالى هو المفضل بالهداية (ولو أشركوا) أي ولو فرض أشركوا
 هؤلاء الأنبياء بعد علو درجاتهم وفضلهم (لحبط عنهم) أي لفسد وسط (ما كانوا يعملون)
 أي لكانوا كغيرهم في حبوط أعمالهم بسقوط ثوابها (أولئك الذين آتيناهم الكتاب) أي أولئك
 الذين سميناهم من الأنبياء وهم ثمانية عشر نبيا أعطيناهم الكتاب فالمراد بالكتاب الجفص
 (والحكم) أي العمل المتقن بالعلم (والنبوة) أي وشرقناهم بالنبوة والرسالة (فان يكفربها) أي
 بهذه الثلاثة (هؤلاء) أي أهل مكة الذين آتيت بين أظهرهم (فقدو كتابها) أي وفقدنا للإيمان بها
 والقيام بحقوقها (قوما ليسوا بها بكافرين) كما يوكل الرجل بالشئ ليقوم به ويتعهد به ويحافظ
 عليه واختلاف في ذلك القوم فقال ابن عباس هم الأنصار وأهل المدينة وقال الحسن وقتادة هم
 الأنبياء الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج قال والدليل عليه قوله تعالى
 (أولئك الذين هدى الله فبهم اهتدوا) وقال عطاء العطار دى هم الملائكة ونظر فيه لأن اسم
 القوم لا يطلق إلا على بنى آدم وقيل هم القرس وقيل هم المهاجرون والأنصار واستظهر وقال
 ابن زيد كل من لم يكفر فهو منهم سواء أكان ملكاً أم نبياً أم محسباً أم تابعاً والمراد بهم ما
 ما وافقوا عليه من التوحيد وأصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانهم ليست هدى مضافا
 إلى الكل ولا يمكن التأسى بهم جميعا فليس فيه دليل على أنه صلى الله عليه وسلم متبدي بشرع من
 قبله واستدل بعض العلماء بهذه الآية على أنه صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء عليهم الصلاة

قوله ابن العجوز
 كذا في النسخ والذي
 في حاشية الجليل ابن
 العجوز اه

والسلام قال وبيانه ان جميع الخصال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم فكان نوح صاحب
احتمال على اذى قومه وكان ابراهيم صاحب كرم وبذل مجاهدة في الله عز وجل وكان اسحق
ويعقوب من اصحاب الصبر على البلاء والحن وكان داود وسليمان من اصحاب الشكر على
النعمة كما قال تعالى اعملوا آل داود شكرا وكان ايوب صاحب صبر على البلاء كما قال تعالى
انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وكان يوسف قد جمع بين الخالتين اى الصبر والشكر وكان
موسى صاحب الشريعة الظاهرة والمهجرات الباهرة وكان زكريا ويحيى وعيسى والياس من
اصحاب الزهد في الدنيا وكان اسمعيل صاحب صدق وكان يونس صاحب تضرع واحسان ثم
ان الله تعالى امر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان يقتدى بهم وجميع له جميع الخصال المحمودة
والمتميزة فثبت بهذا البيان انه صلى الله عليه وسلم افضل الانبياء لما اجتمع فيه من الخصال
التي كانت متفرقة في جميعهم اه وقرأ حمزة والكسائي بحذف الهاء في الوصل وحرك الهاء
بحركة مختلصة ابن عامر ومذ على الهاء ابن ذكوان بخلاف عنه وسكن الهاء الباقيون في الوصل
واما في الوقف فجميع القراء يثبتون الهاء ويسكنونها (قل) يا محمد لاهل مكة (لا اسألكم عليه)
اى القرآن او التبليغ (أجرا) اى لا اطلب على ذلك جعللا (ان هو) اى القرآن او التبليغ
(الاذكرى) اى عظة (للعالمين) اى الانس والجن (وما قدر وا) اى اليهود (الله حق قدره) اى
ما عرفوه حق معرفته او ما عظموه حق عظمتهم (اذ قالوا) للنبي صلى الله عليه وسلم وقد خاصموه
في القرآن (ما أنزل الله على بشر من شيء) قال سعيد بن جبيرة جاء رجل من اليهود يقال له مالك
ابن الصيف من اخبار اليهود ورؤسائهم يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم عكة فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أن الله تعالى
يفض الخبر السمين وكان حبرا سمينا والخبر بالفتح والكسر وهو أفصح العالم بتفسير الكلام والعلم
وتحسينه قاله الجوهري فغضب فقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ويلك
ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه أغضبني فزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقال السدي
نزلت في قنصاص بن عازوراء وهو قاتل هذه المقالة وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قالت
اليهود يا محمد أنزل الله تعالى عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما أنزل الله من السماء كتابا
قال الله تعالى (قل) لهم (من أنزل الكتاب) اى التوراة (الذي جاء به موسى) اى الذى أنتم
ترزعون التمسك بشريعة حال كون الكتاب (نورا) اى اذا نور اى ضياء من ظلمة الضلالة
(وهدى) اى اذ هدى (للناس) اى يفرق بين الحق والباطل من دينهم وذلك قبل أن
يتدل ويغير (يجعلونه قراطيس) اى يكتبونه في دفاتر مقطعة (يبدونها) اى يظهرون
ما يحبون اظهار منها (ويخفون كثيرا) اى مما كتبوه في القراطيس وهو ما عندهم من
صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما أخفوه أيضا آية الرجم وكانت مكتوبة عندهم في التوراة
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبالياء في المواضع الثلاثة على الغيبة جلا على قالوا وما قدر وا
والباقيون بالتاء على الخطاب وتضمن ذلك تويعهم على سوء جهلهم للتوراة وذمهم على تجزئتها

بأبداء بعض التنبؤ وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه وقوله تعالى (وعلمتم)
 أي على لسان محمد صلى الله عليه وسلم (ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) خطاب لليهود أي علمتم
 زيادة على ما في التوراة وبيان لما التبس عليكم وعلى آباؤكم الذين كانوا أعلم منكم وقطيره إن
 هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون يذكرهم النعمة فيما عليهم
 على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب لمن آمن من قريش وقوله تعالى (قل الله أنزله
 راجع إلى قوله تعالى قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى أي فان أجابوك بأن الله أنزله فذلك
 والافقل أنت الله أنزله اذ لا جواب غيره (ثم ذرهم) أي اتركهم (في خوضهم) أي باطلهم
 (يلعبون) أي يستمزجون ويسخرون وفيه وعيد وتهديد للمشركين وقال بعضهم هذا منسوخ
 بآية السيف (وهذا) أي القرآن (كتاب أنزلناه مبارك) أي كثير الخير والبركة دائم النفع يبشر
 المؤمنين بالثواب والمغفرة ويزجر عن القبيح والمعصية وأصل البركة النماء والزيادة وثبوت
 الخير (مصدق الذي بين يديه) أي قبله من الكتب الإلهية المنزلة من السماء على الأنبياء لانها
 مشقة على التوحيد والتزويه لله تعالى وعلى البشارة والندارة فثبت بذلك كون القرآن مصدقا
 لجميع الكتب المنزلة وقوله تعالى (ولينذر) قرأه شعبة بالباء على الغيبة أي لينذر الكتاب
 والباقون بالتاء على الخطاب أي ولينذريا محمد (أم القرى) أي أهل مكة وسيت أم القرى لانها
 قبله أهل القرى ومحجهم ومجتههم وأعظم القرى شأننا وبعض المجاورين
 فمن يلق في بعض القريات رحله * فأتم القرى ملقى رحلى ومنتابي

وقيل لأن الأرض دحيت من تحتها أولانها مكان أول بيت وضع للناس (ومن حولها) أي جميع
 البلاد والقرى التي حواها شرقا وغربا (والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به) لأن من صدق
 بالاخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب
 والضمير يحملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة في قوله تعالى (وهم على صلاتهم
 محافظون) لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن حافظ عليها كانت لطفاله في المحافظة على
 أخواتها (ومن) أي لأحد (أظلم ممن افترى) أي اختلق (على الله كذبا) فزعم أن الله بعثه نبيا
 كسيلة الكذاب والاسود العنسي أو اختلق عليه أحكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه (أو قال أوحى
 إلى ولم يوح إليه شيء) قال قتادة نزات في مسيلة الكذاب من بني حنيفة وكان يسبح
 ويتكهن فادعى النبوة وزعم أن الله تعالى أوحى إليه وكان قد أرسل إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم رسولين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشهدان أن مسيلة نبي قالانهم فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما وعن أبي هريرة رضي
 تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم إذا أوتيت خزائن الأرض فوضع
 في يدي سواران من ذهب فكبر اعلى وأهمني فأوحى الله تعالى إلى أن اتضعهما فضعتهما فطارا
 فأولتهما ما لكذا بين الذين أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة مسيلة الكذاب وفي لفظ
 الترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت في المنام كأن في يدي سوارين فأولتهما

كذابين يخرجان بعدى يقال لاحدهما مسيلة صاحب اليمامة والعنسي صاحب منعم وقوله
صلى الله عليه وسلم لم فأوحى الله الى أن اتصهما بالحاء المهملة ومعناه الرمي والدفع من نعت
الدابة برجلها ويروي بالحاء المعجمة من النسخ وهو قريب من الاول فأما مسيلة الكذاب
فانه ادعى النبوة في اليمامة ونسبه قوم من بني حنيفة وقتل في خلافة أبي بكر قتله وحذى قاتل
جزرة رضى الله تعالى عنهم ما وكان يقول قتل خير الناس يعني جزرة وقتل شر الناس يعني مسيلة
الكذاب قتل الاول وهو كافر وقتل الثاني وهو مسلم وأما الاسود العنسي بالنون ويقال له
ذوالجمار ادعى النبوة باليمن في آخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل في حياته صلى الله
عليه وسلم قبل موته بيومين وأخبر صلى الله عليه وسلم أم حنيفة بقتله فقتله فيروز الدبلي فقال صلى
الله عليه وسلم فازيروز بقتل الاسود العنسي (ومن قال سأ نزل مثل ما أنزل الله) قال السدي
نزلت في عبد الله بن أبي سرح وكان قد أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فكان اذا أملى
عليه صلى الله عليه وسلم سمعها بصيرا كتب عليها حكيميا واذا أملى عليه عليا حكيميا كتب
غفورا رحيميا فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين أملاها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فحجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اكتبها هكذا نزلت فشكل عبد الله بن أبي سرح وقال ان كان محمد صادقا فقد
أوحى الى مثل ما أوحى اليه فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع بعد ذلك الى الاسلام
فأسلم قبل فتح مكة حين نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة الظهران وقال ابن عباس ومن قال
سأ نزل مثل ما أنزل الله يريد المستهزئين وهو جواب لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا قال العلماء
وقد دخل في حكم هذه الآية كل من اقترى على الله كذبا في ذلك الزمان وبعده لان خصوص
السبب لا يمنع عموم الحكم (ولوزي) يا محمد (إذا الظالمون) حذف مفعوله لدلالة الطرف عليه
أي ولوزي الظالمين المذكورين (في غمرات) أي شدائد (الموت) من غمره الماء اذا غشي فاستعير
لشدة الغلبة (والملائكة باسطوا أيديهم) أي اقبض أرواحهم كالمقتاضي الملازم لغريمه
لا يفارقه أو بالعذاب أو الضرب يضربون وجوههم وأديبارهم يقولون لهم تعبنا (أخرجوا
أنفسكم) المبالغة قبضها (فان قيل) انه لا قدرة لاحد على اخراج روحه من بدنه فما فائدة هذا
(أجيب) بأنهم يقولون لهم أخرجوها كرها لان المؤمن يحب لقاء الله بخلاف الكافر وقيل
يقولون لهم خلصوا أنفسكم من هذا العذاب ان قدرتم على ذلك فيكون هذا القول توبيخا لهم
لانهم لا يقدررون على خلاص أنفسهم من العذاب في ذلك الوقت (اليوم تجزون عذاب
الهمون) أي الهوان (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) أي كادعاء الولد والشريك له تعالى
ودعوى النبوة والايحاء كذبا (وكنتم عن آياته تستكبرون) أي تستكبرون عن الايمان بها وجواب
لوجه حذف تقدير ما أتت امر اقطيعا (و) يقال لهم اذا بعثوا للحساب والجزاء (اقد جفتونا
فرادى) أي منفردين عن الاهل والمال والولد وسائر ما آثرتموه من الدنيا وعن الاعوان
والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فردوا الالف للتأنيث ككسالى وفي هذا تقرير

قوله ويروي الخ هو
الذي اقتصر عليه
الزرقاني في شرح
المواهب والذي
في الصحاح نعت
الناقصة برجلها
ضربت اه

وتوبخ لهم لانهم صرفوا همهم في الدنيا الى تحصيل المال والولد والجاه وافنوا اعمارهم في عبادة الاصنام فلم يغن عنهم ذلك شيأ يوم القيامة فبقوا فرادى عن كل ما حصلوه في الدنيا (كما خلقناكم أول مرة) أي حفاة عراة غرلا روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قرأت هذه الآية فقالت يا رسول الله وأدواء أن الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر بعضهم الى سوءة بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه لا ينظر الرجال الى النساء ولا النساء الى الرجال وروى عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا أي غير محتونين وفي رواية زيادة على ذلك يهملهم قال الجوهري وغيره أي ليس معهم شيء قالت عائشة رضي الله عنها فقامت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الامر أشد أن يهملهم ذلك (وتركتهم ما خولناكم) أي ما مضى من دنياهم في الدنيا فغلبت به عن الآخرة (وراء ظهوركم) أي في الدنيا فما أغنى عنكم ما كنتم منه تستكثرون (و) يقال لهم توبخا (ما ترى معكم شفعاكم) أي الاصنام (الدين زعمتم أنهم فيكم) أي في استحقاق عبادتكم (شركاء) أي الله وقوله تعالى (لقد تقطع بينكم) قرأه نافع وحفص والكسائي بنصب النون أي لقد تقطع ما بينكم من الوصل والباقون بالرفع أي لقد تقطع وصلكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل (وضل) أي ذهب (عنكم ما كنتم تزعمون) أي من أنها شفعاؤكم أو أن لا بعث ولا جزاء (إن الله قال) أي شاق (الحب) أي عن النبات (والنوى) أي عن النخل وقيل المراد الشق الذي في الخنطة والنواة والحب جمع الحبة وهو اسم لجميع البرزور والحبوب من البر والشعير والذرة وكل ما لم يكن له نوى والنوى جمع نواة وهي كل ما لم يكن حبا كالتمر والمشمس وغيرهما وقال الضعاف قال الحب والنوى يعني خالق الحب والنوى (يخرج الحي من الميت) أي كالانسان من النطفة والطار من البيضة (ويخرج الميت من الحي) كالنطفة من الانسان والبيضة من الطائر (تنبيه) * يخرج معطوف على قال كما قاله الزمخشري ويصح عطفه على يخرج لأن عطف الاسم المشابه للفعل على الفعل صحيح كعكسه وهو عطف الفعل على الاسم الشبيه بالفعل كقوله تعالى إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا فأقرضوا معطوف على المصدقين لشبهه بالفعل لكونه اسم فاعل ويخرج شبيه بالفعل لكونه اسم فاعل وقرأ نافع وحفص وجزء والكسائي بتشديد الياء والباقون بالتخفيف (ذلكم) المحي والميت هو (الله) الذي تحق له العبادة (فاني) أي فكيف (تؤفكون) أي تصرفون عن الحق فتعبدون غير الله الذي هو خالق الاشياء كلها وقوله تعالى (فاني) (قال) (اصباح) مصدر بمعنى الصبح أي شاق عمود الصبح وهو أقول ما يبدو من النهار عن ظلمة الليل أو ثاق ظلمة الاصباح وهو الغيب الذي عليه في آخر الليل (وجاعل الليل سكا) أي يسكن فيه الخلق راحة لهم قال ابن عباس إذا كل ذي روح يسكن فيه لأن الانسان قد أتعب نفسه فأحتاج الى زمان يستريح فيه ليسكن فيه عن الحركة وذلك هو الليل وقرأ عاصم وجزء والكسائي بنصب العين واللام ولا ألف قبل العين على الماضي جلا على معنى المعطوف عليه

فان قالق بمعنى فلق والباقون بكسر العين ورفع اللام وانف قبل العين وقوله تعالى (والشمس
والقمر) منصوبان باضمار فعل دل عليه جاعل الليل أى وجعل الشمس والقمر (حسباناً) أى
حساباً باللاوقات أو الباء محذوفة وهو حال من مقدار أى يجريان بحسبان كفى آية الرحمن وقوله
تعالى (ذلك) إشارة الى ما تقدم ذكره فى هذه الآية من الاشياء التى خلقها بقدرته وكمال علمه وهو
المراد بقوله (تقدير العزيز العليم) فالعزیز إشارة الى كمال قدرته والعليم إشارة الى كمال علمه (وهو
الذى جعل) أى خلق (لكم النجوم لتتدوا به فى ظلمات البر والبحر) أى فى ظلمات الليل فى البر
والبحر و اضافتها اليهم باللام لاسبأه فى مشتهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو
افراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما أجملها بقوله لكم ومن منافعها أنها زينة للسماء كما قال تعالى
ولقد زيننا السماء الدنيا بصايج ومنها رعى الشياطين كما قال تعالى وجعلنا هارجوما للشياطين
(قد فصلنا) أى بينا (الآيات) أى الدالات على قدرتنا وتوحيدنا (لقوم يعلمون) أى يتدبرون
فانهم المستفعلون به (وهو الذى أنشأكم) أى خلقكم (من نفس واحدة) أى من آدم عليه الصلاة
والسلام فهو أبو البشر كلهم وحواء مخلوقة منه وعيسى أيضاً لان ابتداء خلقه من مريم وهى من
بنات آدم فثبت ان جميع البشر من آدم عليه السلام (فستقر ومستودع) أى فستقر فى الرحم
ومستودع فى القبر الى أن يبعث أو فستقر فى أرحام الاتهات ومستودع فى أصلاب الآباء قال
سعيد بن جبیر قال لى ابن عباس هل تزوجت قلت لا قال أما انه ما كان مستودعاً فى ظهرك
فسيخرجه الله عز وجل أو مستقر فى الرحم ومستودع فوق الارض قال تعالى ونقر فى الارحام
ما نشاء أو فستقر على وجه الارض ومستودع عند الله فى الآخرة أو فستقر فى القبر ومستودع
فى الدنيا وكان الحسن يقول يا ابن آدم أنت ودبعة فى أهلاك يوشك ان تلحق بصاحبك أو فستقر فى
القبر ومستودع فى الجنة أو النار قال تعالى فى صفة الجنة حسنت مستقر أو فى صفة النار
وساءت مستقر أو قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر القاف على اسم الفاعل والمستودع مفعول أى فتمكم
قارو منكم مستودع لان الاستقرار من الله تعالى دون الاستبداع لان الاستقرار فى الاصلاب
أوفوق الارض لا صنع للعبد فيه بخلاف الاستبداع فى الارحام أو تحت الارض والباقون
بالنصب (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) أى يفهمون ما يقال لهم ذكر النجوم يعلمون
لان أمرها ظاهر و ذكر مع تخليقه بنى آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصر يفهم بعين
أحوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر (وهو الذى أنزل من السماء
ماء) أى مطرا وهو من السحاب أو من جانب السماء وقيل ان الله تعالى ينزله من السماء الى
السحاب ثم من السحاب الى الارض (فأخرجنا به) أى بالماء وفى ذلك التفات حيث لم يقل
فأخرج على وفق أنزل (نبات كل شئ) أى شئ ينبت وينمو من جميع أصناف النبات فالسبب
واحد وهو الماء والمسيبات صنوف متفرقة كما قال تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على
بعض فى الاكل (فأخرجنا منه) أى من النبات أو الماء (خضرا) أى شياً أخضر يقال أخضر
وخضر مثل أعور وعور والآخر هو جميع البقول والزرور والبقول الرطبة (تخرج منه)

أى الخضر (حبامترا كجا) أى يركب بعضه بعضا كسنايل الحنطة والشعير والارز والذرة وقوله
 تعالى (ومن النخل) خبر مقدم ويبدل منه (من طلعتها) وهو أقول ما يخرج منها والمبتدأ (قنوان)
 أى عراجين (دائسة) أى قريبة من التناول يتناولها النائم والقاعد أو قريب بعضهما من بعض
 وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها وهى البعيدة للدلالة عليها كقوله تعالى مرايسل تقيكم الخمر
 أى والبرد واكتفى بذكر أحدهما وحكمة تخصيص دانية بالذكر زيادة النعمة فيها وقوله تعالى
 (وجنات) عطف على نبات كل شئ أى وأخرج ثمانية بساكنين (من أعناب) وقوله تعالى (والزيتون
 والرمان) عطف أيضا على نبات أى وأخرج ثمانية شجر الزيتون والرمان (مشبهها وغيره مثابه) قال
 قتادة معناه مشبهها ورقها مختلفا غيرها لأن ورق الزيتون يشبه ورق الرمان وقيل مشبهها
 فى النظر مختلفا فى الطعم والله سبحانه ذكر فى هذه الآية أربعة أنواع من الشجر بعد ذكر الزرع
 وقدم الزرع على سائر الأشجار لأن الزرع غذاء وثمار الأشجار فواكه والغذاء مقدم على
 الفواكه وقدم النخل على غيرها لأن ثمرها يجرى مجرى الغذاء وفيها من المنافع والخواص ما ليس
 فى غيرها من الأشجار قال بعضهم وليس لنا شئ من الشجر يحتاج إلى ذكر غير النخل أى فى تطيب
 ثمرها وذكر العنب عقب النخل لأنه من أشرف أنواع الفواكه ثم ذكر عقب الزيتون لما فيه من
 البركة والنفع ثم ذكر بعده الرمان لما فيه من المنافع أيضا (انظروا) أيها المخاطبون نظرا اعتبار
 (إلى ثمره) قرأ جزء والكسائي بضم الشاء والميم والباقون بالنصب وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر
 وخشبة وخشب (إذا ثمر) أى حين يبدو من أكمامه ضعيفا قليل النفع أو عديمه (و) انظروا إلى
 (ينعه) أى إلى أدراكه إذا أدرك ثمره وحيث قطفه كيف يصير ذائقه لذته والمعنى انظروا وانظر استدل
 واعتبروا كيف أخرج الله هذه الثمرة اللطيفة من هذه الشجرة الكثيفة اليابسة وهو قوله تعالى
 (إن فى ذلكم لآيات) أى دلالات على قدرته تعالى على البعث وغيره فان حدوث الاجناس
 المختلفة والانواع المنسنة من أصل واحد ونقلها من حال إلى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم
 تفاصيلها ويرجع ما تقتضيه حكمته عما يمكن من أحوالها ولا يعوقه عن فعله نذبه براضه
 أو ضديه بانه وخصر المؤمنين بالذكر بقوله (لقوم يؤمنون) لانهم المنفعون بها بخلاف
 الكافرين ولذلك عقبه بتوبيخ من أشرك به والرد عليه فقال تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن) أى
 الشياطين لانهم أطاعوه فى عبادة الاوثان فجعلوا شركاء لله (فان قيل) لله مفعول ثان لجعلوا
 وشركاء مفعول أول ويبدل منه الجن فافائدة التقديم (أجيب) بأن فائدته استعظام أن يتخذ الله
 شريك من جن أو انس أو ملك فلذلك قدم اسم الله تعالى على الشركاء وقيل المراد بالجن الملائكة
 بأن عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وبما هم جنالاتناهم تحقير الشأنهم وقال الكلبي
 نزلت فى الزنادقة أثبتوا الشرك لا بليس فى الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام
 وابليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب فيقولون هو شريك الله فى تدبير هذا العالم
 فما كان من خير فمن الله وما كان من شر فمن ابليس تعالى الله عن قوله سمعوا كبيرا وقوله تعالى
 (وخلقهم) حال بتقدير قد والضمير اما أن يعود الى الجن فيكون المعنى والله خلق الجن فكيف

يكون شريك الله عز وجل محمدنا مخلوقا واما أن يعود الى الجاعلين لله شركاء فيكون المعنى
وجعلوا لله الذي خلقهم شركاء لا يخلقون شيئا وهذا كالدليل القاطع بأن المخلوق لا يكون شريكا
لله وكل ما في الكون محدث مخلوق والله تعالى خالق لجميع ما في الكون فامتنع أن يكون لله
شريك في ملكه (وخرقوا) قرأه نافع بتشديد الراء والباقون بالتخفيف أى اختلقوا (له بنين
و بنات بغير علم) وهو قول أهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة يقال خلق
الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة غريبة كانت العرب تقولها
كان الرجل اذا كذب كذبة في نادى القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله (سبحانه) تنزيها له
(وتعالى عما يصفون) بأن له شريكا أو ولدا (بديع السموات والارض) أى مبتدعهما
من غير سبق مثال ورفع بديع على الخبر والمبتدأ محمد وف أى هو بديع أو على الابتداء والخبر
(أنى يكون له ولد) أى من أين يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) يكون منها الولد لان الولد لا يكون
الامن صاحبة أى (وخلق كل شئ) أى من شأنه أن يخلق (وهو بكل شئ عليم) لا تقتضى عليه خافية
وفى الآية استدلال على نفي الولد من وجوه الاقول انه مبدع السموات والارض وهى أجسام
عظيمة من جنس ما يوصف بالولادة لكونها مخلوقة لا يستقيم أن توصف بالولادة لاستمرارها
وطول مدتها ومختزع الاجسام لا يكون جسمها حتى يكون والدا الشئ أن الولادة لا تكون
الامن ذكر وأنى مجانسين وهو متعال عن مجانس فلم يصح ان تكون له صاحبة فلم تصح الولادة
والثالث أنه ما من شئ الا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شئ والولد
انما يطلبه المحتاج وقوله تعالى (ذلكم) اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ
وقوله تعالى (الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ) أخبار مترادفة ويجوز أن يكون
البعض فى غير الله تعالى بدلا أو صفة لان الله تعالى أول وليس بصفة والبعض خبرا وقوله تعالى
(فاعبدوه) مسبب عن مضمون ذلك فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة (وهو على
كل شئ وكيل) أى وهو مع تلك الصفات مالك لكل شئ من الارزاق والآجال رقيب على
الاعمال فيجازى عليها (لا تدركه الابصار) جمع بصرو وهى حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث
انها محله أو الادراك احاطة بكنه الشئ وحقيقته ونمسا بظاهر هذه الآية قوم من أهل البدع
وهم الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة وقالوا ان الله تبارك وتعالى لا يراه أحد من خلقه وان
رؤيته مفصلة عقلا لان الله تعالى أخبر أن الابصار لا تدركه وادراك البصر عبارة عن الرؤية اذ لا
فرق بين قولك أدركته يبصرى ورأيت يبصرى فثبت بذلك أن لا تدركه الابصار بمعنى لا تراه
الابصار وهذا يفيد العموم وذهب أهل السنة ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفى
الجنة واستدلوا المذهب بأشياء من الكتاب والسنة واجماع الصحابة ومن بعدهم من السلفين
الكتاب قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فى هذه الآية دليل على أن المؤمنين
يرون ربهم يوم القيامة وقال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الشافعى رضى الله
تعالى عنه حجب قوم بالمعصية وهى الكفرة ثبت أن قوم ما يرونه بالطاعة وهى الايمان وقال مالك

قوله وهى اجسام
عظيمة من جنس الخ
عبارة البضاوى
وهى مع أنها من
جنس ما يوصف
بالولادة مبرأة عنها
لاستمرارها الخ اه

رضى الله تعالى عنه لولم ير المؤمنون ربه يوم القيامة لم يعبر الله تعالى الكفار بالجاب وقال
 تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وهذه الزيادة مفسرة بالنظر الى الله تعالى يوم القيامة
 ومن السنة ما روى عن جرير بن عبد الله البجلي رضى الله تعالى عنه قال كان عند رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر
 لاتضامون في رؤيته فان استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
 فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومنها أن ناسا قالوا يا رسول الله
 هل نرى ربنا يوم القيامة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضامون في القمر ليلة البدر
 أى هل تشكون قالوا لا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ترونه كذلك وعن أبي رزين
 العقيلي رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أكلنارى ربه مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت
 وما آية ذلك من خلقه قال يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فأنه
 أعظم انما هو خلق من خلق الله أى القمر فأنه أعظم وأجل وأحق أهل السنة أيضا على جواز
 رؤية المؤمنين ربه يوم القيامة بقول كلهم الله موسى عليه السلام رب أوفنى أنظر اليك اذ لا يسأل
 نبي مما لا يجوز أو يستع وقد خلق الله تعالى الرؤية على استقرار الجبل بقوله تعالى فان استقر مكانه
 فسوف ترانى واستقرار الجبل جائز والمعلق على الجائز جائز وأما قول المتكفين بظاهر الآية
 وان الادراك بمعنى الرؤية فممنوع لان الادراك هو الوقوف على كنه الشيء والاحاطة به والرؤية
 المعانية وقد تكون المعانية بلا ادراك قال الله تعالى فى قصة موسى عليه السلام قال أصحاب
 موسى اننا لم ندركون قال كلا وكان قوم فرعون قد رأوا قوم موسى ولم يدركوه ثم فتنى موسى
 عليه السلام الادراك مع ثبوت الرؤية فأنه تعالى يصح أن يرى من غير ادراك ولا احاطة
 كما يعرف فى الدنيا ولا يحاط به قال تعالى ولا يحيطون به علما فتنى الاحاطة مع ثبوت العلم قال
 سعيد بن المسيب لا يحيط به الابصار وقال عطاء كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به وقال ابن
 عباس رضى الله تعالى عنه ما ومقاتل لا تدركه الابصار فى الدنيا وهو يرى فى الآخرة وظاهر
 هذا التوبة بين الادراك والرؤية ويدل على هذا التخصيص قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة
 الى ربها ناظرة فقوله ناظرة مقيد يوم القيامة ويكون هذا جمعا بين الآيتين (وهو يدرك
 الابصار) أى يراها أو يحيط بها علما فلا يخفى عليه شئ ولا يفوته شئ (وهو اللطيف الخبير) قال ابن
 عباس رضى الله تعالى عنه ما اللطيف بأوليائه الخبير بهم وقال الزهري اللطيف الرقيق بعباده
 وقيل اللطيف الموصل الشئ بالرفق واللين وقيل اللطيف الذى ينسى العباد ذنوبهم لئلا يحجلوا
 (قد جاءكم بصائر) جمع بصيرة أى حجج (من ربكم) تبصرون به الهدى من الضلالة والحق
 من الباطل (فمن أبصر) أى عمل بالادلة (فلنفسه) أى خاصة ابصاره لانه خلصها من الضلال
 الى الهدى (ومن همى) أى لم يهتد بالادلة (فعلينا) أى خاصة عماه لانه يضل فلا يضره لانه
 (وما أنا عليكم بحفيظ) أى رقيب لأعمالكم وانما أنا منذر والله تعالى هو الرقيب عليكم يحفظ
 أعمالكم ويجازيكم عليها (وكذلك) أى كما ينما ذكر (نصرف) أى نبين (الآيات) من حال

الى حال في المعاني المتنوعة سالكن من وجوه البراهين بجاية قوت القوى ويعجز القدر ليعتبروا
 (وليقولوا) اعتذارا عند ظهور عجزهم (دارست) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بألف بين الدال والراء
 أي ذكرت أهل الكتاب والباقون بغير الف أي درست كتب الماضين وجئت بهذا منها وقرأ
 ابن عامر بفتح السين وسكون التاء من الدروس أي هذه الآيات التي تتلوها علينا قد عدا قد
 درست وانجحت كقولهم أساطير الاولين وقيل اللام فيه لام العاقبة أي عاقبة أمرهم أن يقولوا
 دارست أي قرأت على غيرك وقيل قرأت كتب أهل الكتاب كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون
 ليكون لهم عدوا وحزنا (وانبيئه) أي الآيات وذكر الضمير لانها في معنى القرآن كأنه قيل
 وكذلك نصرف القرآن أو القرآن وان لم يجزله ذكر لكونه معلوماً وإلى التبيين الذي هو مصدر
 الفعل كقولهم ضربته زيدا (لقوم يعلمون) فانهم المستفهمون به وقوله تعالى (اتبع) خطاب للنبي
 صلى الله عليه وسلم أي اتبع يا محمد (ما أوحى إليك) أي القرآن فالزم العمل به ثم أكد مدحه بقوله
 (من ربك) أي المحسن إليك بهذا البيان وقوله تعالى (لا اله الا هو) اعتراض أكد به إيجاب
 الاتباع لما في كلمة التوحيد من القسك بجبل الله والاعتصام به والاعراض عما سواه وقول
 البيضاءي أو حال مؤكدة من ربك بمعنى منفرد في الألوهية مبنى على جواز تأكيده بالجملة
 الفعلية بالاسمية وهو نادر (وأعرض عن المشركين) ولا تحتفل بأقوالهم ولا تلتفت إلى رأيهم
 ومن جعله مفسوخاً بآية السيف حل الاعراض على ما يعم السيف عنهم (ولو شاء الله)
 إيمانهم وعدم اشراكهم (ما أشركوا) وهذا نص صريح في أن شركهم كان بمشقة الله تعالى
 خلافاً للمعتزلة في قولهم لم يرد الله من أحد الكفر والشرك والآية ورد عليهم (وما جعلناك
 عليهم حفيظاً) أي رقيباً فتجازيهم بأعمالهم (وما أنت عليهم بوكيل) أي فتجبرهم على الإيمان
 وهذا قبل الأمر بالقتال (ولانسبوا الذين يدعون) أي يعبدون (من دون الله) وهي الأصنام
 أي ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح (فيسبوا الله عدواً) أي اعتداء وظلماً
 (بغير علم) أي جهلاً منهم بالله وبما يجب أن يذكر به روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يطعن
 في آلهتهم فقالوا للثغنين عن سب آلهتنا ولتسبون الهك فنزلت وقال السدي لما حضرت
 أباطالب الوفاة قالت قريش انطلقوا فلندخلن على هذا الرجل فلنأمره أن ينهي عنا ابن أخيه
 فأنانفسي أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان يمنعهم فلما مات قتلوه فانطلق أبو سفيان وأبو
 جهل وأبي بن خلف ومعهم جماعة إلى أبي طالب فقالوا يا أباطالب أنت كبيرنا وسيدنا وإن محمدًا
 قد أذانا وآلهتنا فذهب أن تدعوه وتنهاه عن ذكر آلهتنا وندهه والهه فطلبه وقال هؤلاء قومك
 وبنو عمك يقولون نريد أن تدعنا وآلهتنا وندهك والهك وقد أنصفك قومك فاقبل منهم فقال
 النبي صلى الله عليه وسلم أرايتم أن أعطيتمكم هذا أهل أنتم معطي كلمة أن تكلمتم بها للمسلمين
 العرب ودانت لكم بها الهجيم فقال أبو جهل نعم وأبيك لنعطينكمها وعشرة أمثالها فما هي قال
 قولوا لا اله الا الله فابوا ونضروا فقال أبو طالب قل غير هذا يا ابن أخي فقال يا عم ما أنا بالذي أقول
 غير هذا فقالوا لتكفن من سبك آلهتنا ولتشتكك ومن يأمرك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونهم

فمنهم من لا يكون سبب السبب الله تعالى وفيه دليل على أن الطاعة إذا أدت إلى معصية واجبة وجبت كرها فان ما يؤدى إلى الشر شر (كذلك) أى كإزالة هؤلاء ما هم عليه من عبادة الأوثان وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان (رؤية الكل أمة عملهم) أى من الخير والشر بأحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخيلا وفي هذه الآية دليل على تصحيح كذب القرينة والمعتزلة حيث قالوا لا يحسن من الله تعالى خلق الكفر رتبه فيه فهو الفعل لما يريد لا يستل عملا يفعل (ثم إلى ربهم مرجعهم) فى الآخرة (فبينهم بما كانوا يعملون) فى الدنيا فيصايرهم به (واقسموا) أى كفار مكة (بأن الله جهداً بآياتهم) أى غاية اجتهداهاهم فيها (الذين جاءتهم من آية) أى بما اقترحوه (الذين آمنوا بها) روى أن قريشا قالوا يا محمد انك تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فيتغير منه الماء اثنتى عشرة فينا وتغيرنا أن عيسى كان يحيى الموتى فأتانا من الآيات حق صدقت فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى شئ تعجبون قالوا اتجمل لنا الصفا ذهباً وتبعث لنا بعض أمواتنا - حق نسأله عنك - أى ما تقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فعلت بعض ما تقولون أتصدقوننى قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعك أجمعين وسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله أن يجعل الصفا ذهباً فجاء جبريل عليه السلام فقال يا رسول الله لك ما شئت أن شئت أصبح ذهباً ولكن إن لم يصدقوا البعدت بهم الله وإن شئت تركتهم حتى يتوب تأت بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تأت بهم فنزلت قال الله تعالى (قل) لهم (انما الآيات عند الله) ينزلها كيف يشاء وانما أنا نذير (وما يشعركم) أى وما يدريكم أيها المسلمون بآياتهم إذا جاءت قائمهم كانوا يتحدون بحجج الآيات طمعاً بآياتهم أى أنهم لا يدرون ذلك (انها إذا جاءت لا يؤمنون) لما سبق فى على وقرأ أبو عمرو وبسكون الراء وروى عن الدوري اختلاس الضم **كسر** الهزقة من انها ابن كثير وأبو عمرو على الابتداء وقالاتم الكلام عند قوله تعالى وما يشعركم والباقون بالفتح فهي بمعنى لعل وهو شائع فى كلام العرب اتت السوق أنك تشتري لنا شيئاً بمعنى لعلك ومنه قول عدي بن زيد

عاذل ما يدريك أن منيتى إلى ساعة فى اليوم أوفى ضمى غد

أى لعل منيتى وقرأ ابن عاصم وحجة لا تؤمنون بالتاء منطاباً بالكفار والباقون بالباء على الغيبة (ونقلب أفئدتهم) أى ونحول قلوبهم عن الحق فلا يبقوهونه (ونقلب) (أبصارهم) عن الحق فلا يسمونه فلا يؤمنون لأن الله تعالى إذا صرف القلوب والأبصار عن الإيمان بقيت على الكفر **كسر** (كما لم يؤمنوا به) أى بما أنزل من الآيات (أول مرة) أى التى جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغيره من المعجزات الباهرات وقيل معجزات موسى وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كقوله تعالى أولم يكفروا بما أوفى موسى من قبل وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المرة الأولى دار الدنيا أى لوردوا من الآخرة إلى الدنيا فقلب أفئدتهم وأبصارهم عن الإيمان كما لم يؤمنوا فى الدنيا قبل حماهم كما قال تعالى ولوردوا العادوا

لما نزلوا منه (ونذرهم) أي نذرهم (في طغيانهم) أي ضلالهم (بعمهون) أي يترددون متغيرين
 لانهم هداه المتقين (ولو انزلنا اليهم الملائكة وكلهم الموتى) كما اقترحوا (وحشرنا) أي
 جمعنا (عليهم كل شيء قبلا) قرأ نافع وابن عامر بكسر القاف وفتح الباء أي معاينة قشهم - دوا
 بصدقك والباقون بضم القاف والباء جمع قبيل أي فوجا فوجا (ما كانوا يؤمنوا) لما سبق في علم
 الله وقوله تعالى (الا أن يشاء الله) استثناء منقطع أي لكن ان شاء الله ايمانهم فيؤمنون أو
 استثناء من أعم الاحوال أي لا يؤمنون في حال الاحال مشيئة الله تعالى ايمانهم (ولكن أكثرهم
 يجهلون) أي انهم لو أتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك
 استند الجاهل إلى أكثرهم لأن بعضهم معاند مع أن مطلق الجاهل بعمهم فيشتمل المعاند ولكن
 أكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيؤمنون نزول الآية طمعا في ايمانهم (وكذلك) أي ومثل
 ما جعلنا لك أعداء من كفار الانس والجن (جعلنا لكل شيء) أي عن كان قبلك (عدوا) ويبدل
 منه (شياطين) أي مرادة (الانس والجن) وفي هذا دليل على أن عداوة الكفرة للانبياء عليهم
 الصلاة والسلام بفعل الله تعالى وخلقه (يوسى) أي يوسوس (بعضهم) أي الشياطين من النوعين
 (إلى بعض زخرف القول) أي عموهه من الباطل (غرورا) أي لاجل أن يغروهم بذلك (ولو شاء
 ربك) ايمانهم (ما فعلوه) أي هذا الذي أنبأتك به من عداوتهم وما تفرع عليها وفي هذا دليل أيضا
 (فذرهم) أي اترك الكفرة على أي حاله اتفقت (وما يعترفون) من الكفر وغيره مما زين لهم
 وهذا قبل الامر بالقتال وقوله تعالى (واتصفي) عطف على غرورا ان جعل عله أي ولتقبل ميلا
 قويا (إليه) أي الزخرف الباطل (أفسدة) أي قلوب (الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي ليس
 في طبعهم الايمان بها لانها غيب واهم لبلاذتهم واقفون مع وهمهم ولذلك استوات عليهم الدنيا
 التي هي من أصل الغرور أو متعلق بمحذوف أي وليكون ذلك جعلنا لكل شيء عداوا والمعتزلة
 لما اضطروا فيه قالوا لا الم العاقبة وهو قول الزمخشري في كشفه ان اللام للصيرورة
 (وليرضوه) أي الزخرف الباطل لانفسهم (وليقتربوا) أي يكتسبوا (ما هم مقتربون) من
 الاستقام فيعاقبوا عليها ونزل لما قال مشركو اقرش للنبي صلى الله عليه وسلم لم اجعل بيننا
 وبينك حكما من اخبار اليهود وان شئت من أساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم - من
 أمرنا (أفغرا لله) أي قل لهم يا محمد أفغرا لله (ابتغى) أي أطلب (حكما) أي قاضيا بيني وبينكم
 (وهو الذي أنزل اليكم الكتاب) أي الاكمل المجز وهو هذا القرآن الذي هو تبيان لكل شيء
 (مفضلا) أي مبينا فيه الحق من الباطل (والذين آتيناهم الكتاب) أي المعهود انزلهم من
 التوراة والانجيل والزبور (يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) لما عندهم به من البشارة في كتبهم
 ولما من موافقتهم في ذكر الاحكام المحمكة والمواعظ الحسنة وكثرة ذكر الله على وجوه
 ترقق القلوب وتفيض الدموع وتصدع الصدور مع ما يزيد به على ما في كتبهم من التفصيل بما يفهم
 المعارف الالهية والمقامات الصوفية في ضمن الاحكام السياسية وانما وصف جمعهم بالعلم
 لان أكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متدكن بادنى تأمل وقيل المراد مؤمنوا أهل الكتاب كعبد

الله بن سلام وأصحابه وقرأ ابن عامر وحفص بفتح النون وتشديد الزاي والباقون يسكون النون
 وتخفيف الزاي (فلا تكون) يا محمد (من الممتريين) أي الشاكين في أن علماء أهل الكتاب
 يعلمون أن هذا القرآن حق وأنه منزل من عند الله وقيل فلا تكون في شك عما قصصنا فيكون من
 باب التحريض فانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط وقيل الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى
 الله عليه وسلم إلا أن المراد به غيره أي فلا تكون أيها الإنسان السامع لهذا القرآن في شك انه
 منزل من عند الله لما فيه من الإعجاز الذي لا يقدر على مثله إلا الله تبارك وتعالى (ومتى كلمت
 ربك) أي بلغت الغاية أخبارهم وأحكامهم ومواعيدهم وقرأ عاصم وحجزة والكسائي بغير ألف
 بين الميم والتاء والباقون بالألف (صدقا) في الأخبار والمواعيد لا يقدر أحد أن يمدى في شيء منها
 خدشا يتخلف عما عن مطابقة الواقع (وعدلا) أي في الأقضية والأحكام ونصهم ما على التمييز
 ويحتمل الحال والمفعول له (لا مبدل لكلماته) بنقض أو تخالف بل كل ما أخبرت به فهو كائن
 لا محالة رضى من رضى ومضط من مضط وقيل المراد بالكلمات القرآن لا مبدل له لا يزيد فيه
 المغيرون ولا ينقصون (وهو السميع) لكل ما يقال (العليم) بكل ما يفعل (وان قطع أكرم من في
 الأرض يضلوك عن سبيل الله) أي دينه وأكثر أهل الأرض كانوا على الضلالة وقيل الأرض
 مكة وذلك أن المشركين جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في كل الميتة فقالوا للمسلمين
 انكم تزعمون انهم تعبّدون الله فكيف تأكلون ما قتلتم ولأننا كلون ما قتل ربكم فزلت
 وقيل لا تطعمهم في اعتقاداتهم الفاسدة فانك ان تطعمهم يضلوك عن سبيل الله أي يضلوك عن
 طريق الحق ومنهج الصدق ثم علل ذلك بقوله (ان) أي لانهم ما (يتبعون) في مجادلتهم لك
 (إلا الظن) وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق (وان) أي ما (هم الا يخرصون) أي يكذبون على
 الله عز وجل فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الأوثان وصله اليه وتحليل الميتة
 وتحريم البهائم ونحو ذلك (ان ربك هو) أي لا غيره (أعلم) أي عالم (من يضل عن سبيله وهو) أي
 لا غيره (أعلم) أي عالم (بالمهتدين) فيجازي كلامهم بما يستحقه وقوله تعالى (فكأوأعماذ كراسم الله
 عليه) مسبب عن انكار اتباع المسلمين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى كلوا
 مما ذكر اسم الله تعالى على ذبحه ولأنما كانوا عما ذكر عليه اسم غيره تعالى أو مات حتف أنفه (ان كنتم
 بآياته مؤمنين) أي ان كنتم محققين الإيمان فكأوأعماذ كراسم الله عليه فان الإيمان يقتضي
 استباحة ما أحله الله تعالى واجتناب ما حرّمه (وما لكم) أي أي غرض لكم في (ان لآئنا كلوا
 مما ذكر اسم الله عليه) من الذبائح (وقد فصل) أي بين (لكم ما حرّم عليكم) أي مما يحرم في آية
 حرمت عليكم الميتة تفصيلا واضح البيان ظاهر البرهان وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر
 بضم الفاء وكسر الصاد والباقون بفتحهما وقرأ نافع وحفص بفتح الحاء والراء والباقون بضم
 الحاء وكسر الراء (إلا ما اضطررتم اليه) أي مما حرّم عليكم فانه أيضا حلال حال الضرورة (وان
 كثيرا) من الذين يجادلونكم في كل الميتة ويحتجون عليكم في ذلك بقولهم كيف تأكلون ما قتلتم
 ولأننا كلون ما قتل ربكم (ليضلون بأهوائهم) أي بما تهوى أنفسهم من تحليل الميتة وغيرها وقرأ

عاصم وحزرة والكسافي بضم الياء والباقون بقصها (بغير علم) يعتقدونه في ذلك وقيل المراد بذلك
 هرون بن الحنفي فمن دونه من المشركين لانه أقل من بجر البطار وسيد السواب وأباح الميتة وغير
 دين ابراهيم صلى الله عليه وسلم (ان ربك هو أعلم بالمعتدين) أي الذين تجاوزوا الحق الى الباطل
 والحرام الى الحلال (وذروا) أي اتركوا (ظاهر الاثم وباطنه) أي ما أعلنته به وما أسروا به من
 الذنوب كلها وقيل المراد بظاهر الاثم افعال الجوارح وبباطنه أفعال القلوب فيدخل فيه
 الحسد والكبر والهجب وارادة الشر للمسلمين ونحو ذلك وقيل ظاهر الاثم الزناة في الحوانيت
 وباطنه المرأة يتخذها الرجل صديقة فيأتيها سرا (ان الذين يكسبون الاثم) في الدنيا بارتكاب
 المعاصي (سيجزون) في الآخرة (بما كانوا يفترون) أي يكسبون وظاهر هذا النص يدل على
 عقاب المذنب ومذهب أهل السنة انه اذا لم يتب فهو في خطر المشيئة ان شاء عاقبه وان شاء عفا
 عنه بفضل الله اما اذا تاب من الذنب توبة صحيحة لم يعاقب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له
 (ولانما كلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) قال ابن عباس الآية في تحريم الميتات وما في معناها من
 المتخنة وغيرها وقال عطاء الآية في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الاصنام واختلف
 أهل العلم في ذبيحة المسلم اذا لم يذكر اسم الله تعالى عليهم اذهب قوم الى تحريمها سواء أتركت
 التسمية عدا أم نسياناً وهو قول ابن سيرين والشعبي واحتجوا بظاهر الآية وذهب قوم الى حلها
 مطلقاً ويروي ذلك عن ابن عباس وهو قول الشافعي وأجد وذهب قوم الى أنه ان ترك التسمية
 حامداً لم تحل أو ناسياً حلت وهو مذهب مالك ومن قال بالاباحة مطلقاً قال المراد من الآية
 الميتات وما ذبح على غير اسم الله بدليل قوله تعالى (وانه افسق) أي ما ذبح على اسم غير الله كما
 قال تعالى في آخر السورة قل لا أجد فيما أوحى الى محرماً الى قوله أو فسقاً أهل اغير الله به والضعيف
 لما يجوز أن يكون للكل الذي دل عليه لائناً كانوا واحتجوا أيضاً في إباحتها بما روي
 البضاري في صحيحه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قالوا يا رسول الله ان هنا أقواماً حديث
 عهد هم بشرك يأتوننا بالهتان فلا ندري أي ذكروا اسم الله عليهم أم لا قال اذكروا أنتم اسم الله
 وكلاؤا لو كانت التسمية شرطاً للاباحة لكان الشك في جودها مانعاً من أكلها كالشك في أصل
 الذبح (وان الشياطين ليوحون) أي يوسوسون (الى أوليائهم) من الكفار (ليجادلوكم)
 في تحليل الميتة بقولهم تأكلون ما قتلتم أنتم وجوارحكم وتدعون ما قتل الله وهذا يؤيد
 التأويل بالميتة (وان أظعنوهم) أي باسختلال ما حرم (أنكم لمشركون) أي مثلهم
 في الشرك قال الزجاج فيه دليل على أن كل من أحل شيئاً حرم الله أو حرم شيئاً أحل
 الله فهو مشرك (أو من كان ميتاً) أي بالكفر (فأحييناه) أي بالايان وانما جعل الكفر
 موتاً لانه جعل الايمان حياة لأن الحى صاحب بصيرة يتدبر به الى رشده ولما كان الايمان يهتدى
 الى الفوز العظيم والحياة الابدية شبه بالحياة وقرأنا نافع بتشديد الياء والباقون بالتخفيف
 (ويجعلناه نوراً) يعني به في الناس أي تبصر به الحق من غيره وهو الايمان وقال قتادة هو كتاب
 الله القرآن بينة من الله مع المؤمنين بما يعملون وبما يأخذون واليه ينتهي (كن مثله) أي كن هو

(في الظلمات) فخل فائدة (ليس بخارج منها) وهو الكافر أي ليس مثله نزلت هذه الآية في حجة
 ابن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه وأبي جهل بن هشام وذلك أن أبا جهل روى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يفرث فاخبر حجة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قصصه ويده قوس وحجة
 لم يؤمن بعد فأقبل غضباً بأن حتى علا أبا جهل بالقوس وهو يقول يا أبا علي ما ترى ما جاء به سفيه
 محولنا وسفيه آلهتنا وخالف آباءنا فقال حجة ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله
 أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وقيل في عمر بن الخطاب أو عمار بن ياسر وأبي
 جهل (كذلك) أي كافرين لله ومؤمنين بآلهتهم (زين للكافرين ما كانوا يعملون) أي من
 الكفر والمعاصي قال أهل السنة المزين هو الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى زيناهم أعمالهم
 وقالت المعتزلة المزين هو الشيطان وردت الآية المذكورة (وكذلك) أي كما جعلنا
 فساق أهل مكة كبرها (جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها) أي عظماءها وأكابر جمع أكبر
 كأفضل وأفاضل وأسود وأسود وذلك سنة الله تعالى أنه جعل في كل قرية أتباع الرسل ضغائنهم
 كما قال في قصة نوح أنؤمن لك واتبعك الأرذلون وجعل فساقهم أكابرهم (ليكفروا
 فيما) بالصدقة من الإيمان وذلك أنهم أجلسوا على طرقات مكة أربع نفر ليصرفوا الناس عن الإيمان
 بمحمد صلى الله عليه وسلم يقولون لكل من يقدم إياكم وهذا الرجل فانه كاهن ساحر كذاب
 فكان هذا مكبرهم (وما يكفرون الا بأنفسهم) لأن وبالله يصدق بهم (وما يشعرون) أي ومالهم
 نوع شعور بذلك (واذا جاءتهم) أي أهل مكة (آية) على صدق النبي صلى الله عليه وسلم (قالوا
 لن تؤمن) به (حق نؤتي مثل ما أوتى رسل الله) أي من النبوة وذلك أن الوليد بن المغيرة قال للنبي
 صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك لأنني أكبر منك سناً وأكثر منك مالاً
 فنزلت وقال مقاتل نزلت في أبي جهل حين قال زاحنا بنو عبد مناف في الشرف حتى إذا
 صرنا أكثر مني رهان قالوا من أنبي يوحى إليه والله لا نرضى الا أن يأتينا وحى كما يأتيه وقوله تعالى
 (الله أعلم حيث يجعل رسالته) استئناف للرد عليهم بأن النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي
 بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجيب رسالته من علم أنه يعلم لها حيث
 يفعل به لفعل محمد ذوف دل عليه أعلم لأن أفعال التفضيل لا ينصب المقعول به أي يعلم
 الموضع الصالح لوضعها فيه فيضها وهو لا يسوا أهلها وقرأ ابن كثير وحفص ينصب
 التاء ورفع الهاء ولا ألف قبل التاء على التوحيد والباقون بكسر التاء والهاء وألف قبل التاء
 على الجمع (سيعيب الذين أجمعوا) بقولهم ذلك (مغفار) أي ذل وهو ان (عند الله) يوم القيامة
 وقيل تقديره من عند الله (وعذاب) أي مع الصغار (شديد) أي في الدنيا بالقتل والاسر وفي
 الآخرة بالنار (بما) أي بسبب ما (كانوا يكفرون) من صدقهم الناس عن الإيمان وطلبهم ما
 لا يستحقونه (فنير الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) بأن يقذف في قلبه نوراً فينفتح له
 ويقبله هو لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور
 يقذفه الله في قلب المؤمن يشرح له قلبه وينفتح قيل فهل لذلك أمانة قال نعم الا نابة الى

دار الخلود والتجافي عن دار القرور والاستعداد للموت قبل لقي الموت (ومن يرد) أى الله
(أن يفضله يجعل صدره ضيقاً) أى عن قبول الايمان حتى لا يدخله وقرأ ابن كثير يسكون الباء
والباقون بتشديد هاء مع الكسر وقوله تعالى (حرجاً) قرأه نافع وأبو بكر بكسر الراء أى شديد
الضيق والباقون بالفتح وصفا للمصدر وفى الآية دلائل على أن جميع الاشياء بمشيئة الله واراادته
حتى ايمان المؤمن وكفر الكافر (كانما يصعد فى السماء) أى يشق عليه الايمان كما يشق عليه
صعود السماء شبه ما لفته فى ضيق صدره بنزاول ما لا يقدر عليه وقرأ ابن كثير يسكون الصاد
وتخفيف العين من غير ألف بعد الصاد وقرأ شعبة بتشديد الصاد وتخفيف العين وألف بعد الصاد
بمعنى يتصاعد (كذلك) أى مثل ما جعل الله الرجس على من أراد ضلاله من أهل هذا الزمان
(يجعل الله الرجس) أى العذاب أو الشيطان أى يسلطه (على الذين لا يؤمنون) وقال الزجاج
الرجس فى الدنيا اللعنة وفى الآخرة العذاب (وهذا) أى الدين الذى أنت عليه يا محمد (صراطاً) أى
طريقاً (بذلك مستقيماً) لا عوج فيه ونصبه على الحال المؤكدة للجملة والعامل فيها معنى الاشارة
(قد فصلنا) أى بينا (الآيات لقوم يذكرون) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الذال أى يتعلمون
فيعلمون أن القادر على كل شئ هو الله عز وجل وأن كل ما يحدث من خير أو شر فهو بقضائه وقدره
وخلقه وأنه تعالى عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم وخصوا بالذكرا لانهم المستفيعون
(لهم) أى المتدكرين (دار السلام) هى الجنة وأضافها لنفسه فى قول جميع المفسرين فإن
السلام كما قال الحسن هو الله تعالى تشریفاً لها أو تحميتهم فيه لسلام أو أراد بهما دار السلامة
(عند ربهم) أى ذخيرة لهم عنده لا يعلم كثرة ما غيرها (وهو وليهم) أى المتكفل بتولى أمورهم
ولا يكلفهم الى أحد سواه (بما) أى بسبب ما (كانوا يعملون) من الاعمال الصالحة التى كانوا
يتقربون بها اليه فى الدنيا (و) اذكريا محمد (يوم نحشرهم) أى الخلق (جميعاً) أى لا تترك منهم
أحداً وقرأ حفص بالياء والباقون بالنون وقوله تعالى (يا معشر الجن) فيه حذف تقديره
ويقال لهم يا معشر الجن والمعشر الجماعة والمراد من الجن الشياطين (قد استكثرتم من الانس)
أى من اضلالهم واغوائهم حتى صاروا اكثرهم اتباعكم (وقال أولياؤهم) أى الذين أطاعوهم
(من الانس ربنا استمتع بعضهم ببعض) أى اتفّع الانس بتزيين الجن لهم الشهوات والجن بطاعة
الانس لهم (وبلغنا اجلنا الذى أجلت لنا) أى ان ذلك الاستمتاع كان الى أجل معين ووقت
محدد ثم ذهب وبقيت الحسرة والتندامة قال الحسن الاجل الموت وقيل هو وقت البعث
للعساب فى القيامة (قال) الله تعالى على لسان الملائكة لهؤلاء الذين استمتع بعضهم ببعض من
الجن والانس (النار مثواكم) أى ما أراكم (خالدين فيها) أى الى ما لا آخر له فان الجزاء
من جنس العمل (الامشاء الله) أى من الاوقات التى يتقلبون فيها من النار الى الزمهرير فقد
روى انهم يدخلون واديافيه من الزمهرير ما يميز بعض أوصالهم من بعض فيتعادون ويطلبون
الرقاى بالبحيم وقيل الامشاء الله قبل الدخول بمرحلة بعثتهم ووقوفهم للحساب وقال ابن عباس
الاستثناء يرجع الى قوم سبق فيعلم الله انهم يسلمون فيضربون من النار قال البغوي فابغى من

على هذا التأويل (إن ربك حكيم) في صنعه (عليم) بعواقب أُمور خلقه وما هم صائرون إليه
 (وكذلك) أي كما متعنا عصاة الانس والجن بعضهم ببعض (تولى) من الولاية (بعض الظالمين
 بعضاً) أي على بعض روى عن ابن عباس في تفسيرها هو أن الله تعالى إذا أراد بقوم خيراً
 ولى أمرهم خيأهم وإذا أراد بقوم شراً ولى أمرهم شرأهم (بما) أي بسبب ما (كانوا
 يكسبون) من الكفر والمعاصي (بأعشر الجن والانس) ألم يأتكم رسل منكم) أي من مجموعكم
 وهم الانس إذا الرسل منهم خاصة ولكن لما جمع الجن مع الانس في الخطاب صح ذلك ونظيره قوله
 تعالى يخرج منهم اللؤلؤ والمرجان فان ذلك يخرج من الملح دون العذب أو ان رسل الجن نذروهم
 الذين يسمعون كلام الرسول فيبلغون قومهم كما قال تعالى واذصرنا اليك نفر من الجن الآية
 وتعلق بظاهر الآية قوم فقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم (يقصون عليكم آياتي)
 أي يخبرون بما أوحى اليهم من آياتي الدالة على توحيدى وتصدق رسلى (وينذروكم لقاء
 يومكم هذا) أي ويحذرونكم لقاء عذابى في يومكم هذا وهو يوم القيامة (قالوا شهدنا
 على أنفسنا) أي اعترفوا بأن الرسل قد أتتهم وبلغتهم رسالات ربهم وأنذرتهم لقاء يومهم هذا
 وانهم كذبوا الرسل ولم يؤمنوا بهم وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال
 الله تعالى (وعزتهم الحياة الدنيا) أي انما كان ذلك بسبب انهم عزتهم الحياة الدنيا وما لوالها
 (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) أي في الدنيا (فان قيل) كيف أقروا على أنفسهم
 بالكفر في هذه الآية ويحمدوا في آية أخرى وهي قواهم والله ربنا ما كنا مشركين (أجيب)
 بتفاوت الاحوال والمواطن في ذلك اليوم المتطاوّل فيقرون في بعضها ويحمدون في بعض آخر
 (فان قيل) لم كثر شهادتهم على أنفسهم (أجيب) بأن الاولى حكاية لقولهم كيف يقولون
 وكيف يعترفون والثانية ذم لهم على سوء منظرهم وخطارأيهم فانهم اغتروا بالحياة الدنيوية
 والذات المخدجة وأعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة أمرهم ان اضطروا الى
 الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذير السامعين عن مثل حالهم (ذلك)
 أي ارسال الرسل (أن) أي لاجل أن (لم يكن ربك مهلك القرى بظلم) أي بسبب ظلم ارتكبه
 (وأهلها غافلون) أي لم يتنبهوا برسول يبين لهم (واكل) أي من العاملين بطاعة أو عصية (درجات)
 أي جزاء (مما عملوا) أي من خير وشر ان كان خيراً فخير وان كان شراً فشر وانما سميت درجات
 لتفاضلها في الارتفاع والانخفاض كتفاضل الدرج (ومار بك بغافل عما تعملون) أي عن شئ
 يعمله أحد من الفريقين بل هو عالم بكل شئ من ذلك وبما يستحقه العامل من ثواب أو عقاب وقرأ
 ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة والباقون بالياء على الغيبة (وربك الغنى) أي الغنى
 المطلق عن كل عابد وعبادته فليعمل العامل لتفقه نفسه أو ضررها (ذوالرحمة) أي التجاوز عن
 خلقه من رحمة ارسال الرسل وتأخير العذاب عن المذنبين لعلهم يتوبون ويرجعون (ان يشأ
 يذهبكم) يا أهل مكة بالاهلاك ففيه وعيد وتهديد لهم (ويستخلف من بعدهم) أي بعد اهلاككم
 (ما يشاء) أي خلقاً غيركم أمثلكم وأطوع منكم (كما أنشأكم من ذرية) أي نسل (قوم)

آخرين) أذهبهم لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام ولكنه أبقاكم
 راحة بكم (انما وعدون) من مجي الساعة والبعث بعد الموت والحشر للحساب يوم القيامة
 (لا ت) لا محالة (وما أنتم بمجزيين) أي فأتين عذابنا (قل) يا محمد لقومك من كفار قريش
 (يا قوم اعملوا على مكاتكم) أي حالسكم التي أنتم عليها (اني عامل) على حالي التي انا عليها
 والمعنى ائتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم والتهديد
 بصيغة الامر مبالغة في الوعيد (فسوف تغفلون) غدا في القيامة (من) موصولة مفعول العلم
 (تكون لعاقبة الدار) أي العاقبة المحمودة في الدار الاخرة أنحن أم أنتم (انه لا يفلح) أي
 بعد (الظالمون) أي الكافرون (وجعلوا) أي كفار مكة (لله مما ذرأ) أي خلق (من الحنث) أي
 الزرع (والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزرعهم وهذا لشركائنا) وذلك أن المشركين كانوا يجعلون
 قه من حروثهم وانعامهم وثمارهم وسائر أموالهم نصيبا للآوثان نصيبا فجعلوه لله صرفوه الى
 الضيفان والمساكين وجعلوه للانعام أنفقوه على الاصنام وخدمها فان سقط شيء من نصيب
 الآوثان فيما جعلوه لله ردوه الى الآوثان وقالوا انها محتاجة وكان اذا هلك او انتقص شيء مما
 جعلوه لله لم يسألوا به واذا هلك شيء مما جعلوه للانعام جبروه بما جعلوه لله فذلك قوله تعالى (فما
 كان لشركائهم) أي ما جعلوه لها من الحنث والانعام (فلا يصل الى الله) أي لجهنم فلا
 يعطونه للمساكين ولا ينفقونه على الضيفان (وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) وفي قوله تعالى
 مما ذرأ تنبيه على فراط جهالتهم فانهم أشركوا مع الخالق تعالى في خلقه جهادا لا يقدر على شيء
 ثم رجحوه عليه بأن جعلوا الزاكي له وفي قوله تعالى بزرعهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم
 الله تعالى به وقرأ الكسائي برفع الزاي والباقون بالنصب (سأه) أي يئس (ما يحكمون) حكمهم
 هذا (وكذلك) أي ومثل ما زين لجميع المشركين تضييع أموالهم والكفر بربهم شركاؤهم
 (زين لكثير من المشركين قتل أولادهم) أي بالوأد خشية الاملاق (شركاؤهم) من الجن
 أو من السدنة أي الخدمة وقرأ غير ابن عامر بفتح الزاي والياء ونصب لام قتل وكسر دال
 أولادهم وشركاؤهم بالواو مضمومة الهمزة على أنه فاعل وقرأ ابن عامر بضم الزاي وكسر الياء
 ورفع لام قتل ونصب دال أولادهم وشركائهم بالياء مكسورة الهمزة باضافة القتل اليه مفصولا
 بينهما بمفعوله قال البيضاوي تعالى الزمخشري وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورة
 الشعر اه وقد أنكر جماعة على الزمخشري في ذلك بأن القراءة المذكورة صحيحة متواترة
 وتركيبها صحيح في العربية فلا يجوز الطعن فيها ولا في نقلها قال التفازاني وهذا على عادته
 يطعن في متواتر القراءات السبع ويسند الخطأ نارة اليهم كما هنا ونارة الى الرواية عنهم وكلاهما
 خطأ لأن القراءات متواترة وكذا الروايات عنهم وأطال في بيان ذلك وقال ابن مالك في كافيه
 اضافة المصدر الى الفاعل مفصولا بينهما بمفعول المصدر جائزة في الاختيار اذا لم يحد وفيها مع أن
 الفاعل كجزء من عاملة فلا يضر فصله واطرافه في اللغة الاحلاك وقال ابن عباس ليردوهم
 ليرسلوهم بذلك الفعل الذي أمرهم به والارداء في اللغة الاحلاك وقال ابن عباس ليردوهم

قوله مع أن الفاعل
 الخفية تأمل

في النار (وليلبسوا) أي وليخلطوا (عليهم دينهم) قال ابن عباس ليس دخلوا عليهم الشك في دينهم
وكانوا على دين إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام فوضعوا لهم هذه الاصنام وزينوها لهم
(ولولاه الله) عصمة هؤلاء من ذلك الصيغ الذي زين لهم (ما فعلوه) فجميع الاشياء بعينته
وارادنه (قدروهم) أي اتركهم يا محمد (وما يفترون) أي وما يمتنعون من الكذب على الله فان الله
لهم بالمرصاد وفي ذلك تهديد لهم كما مر (وقالوا) أي المشركون سفها وجهلا (هذه) اشارة الى
قطعة من أموالهم عينوها لآلهتهم (أنعام وحوش حجر) أي حرام محجور عليه لا يصل أحد اليه
وهو وصف يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لان حكمه حكم الامعاء غير الصفات
(لا يطعمها) أي لا يأكل منها (الامن نشاء) أي من خدمة الاوثان والرجال دون النساء
(برعهم) أي لاجتهلهم فيه (وانعام حرمت ظهورها) أي فلا يركبونها كالبحائر والسواحب
والحوامى (وانعام لا يذكرون اسم الله عليها) أي عند ذبحها وانما كانوا يذكرون عليها اسم
الاصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يركبونها الفعل خبر لان العاد قتل جرت بكثرة الله على الخير
ذم هؤلاء على ترك فعل الخير ونسبوا ما فعلوه الى الله تعالى (اقتراء عليه) أي اختلافا وكذبا انه
أمرهم بها (سيجز بهم) أي بوعده صادق لا خاف فيه (بما) أي بسببها (كانوا يفترون وقالوا ما في
بطون هذه الانعام) أي أجنة البعائر والسواحب وقوله تعالى (خالصة) حلال (لذ كورنا) أي
خاصة بهم دون الاناث كما قال تعالى (ومحرم على أزواجنا) أي النساء وحذف الهاء من محرم
اما حلال على اللفظ أو تحقيقا لان المراد بخاصة المبالغة (وأن يكن) أي ما في بطونها (مينة فهم
فيه شركاء) أي الذكور والانات جميعا سواء أي أن ما ولد منها حيا فهو للذكور دون الاناث وما ولد
منها ميتا كله الذكور والانات جميعا وقرأ ابن عامر وشعبة بالتأنيث في تكن والباقون بالتذكير
وقرأ ابن كثير وابن عامر مينة بالرفع على أن تكن تامة والباقون بالنصب على أنها ناقصة
(سيجز بهم) الله (وصفهم) أي سيكافئهم على وصفهم بالكذب على الله تعالى بالتكليل والتحريم
(انه) أي الله (حكيم) في صنعه (عليم) بخلقهم (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها) أي جهلا
(بغير علم) نزات في ربيعة ومضر وبعض من العرب من غيرهم كانوا يذنون البنات أحياء مخافة
السبي والفقر وكان ينو كانه لا يفعلون ذلك وسبب حصول هذه السفاهة هو قلة العلم بل عدمه
بأن الله هو رزق أولادهم لان الجهل كان غالباً عليهم قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولهذا هو واجهلية وسبب هذا الخسران أن الولد نعمة عظيمة أنعم الله تعالى به على الوالد
فاذا تسبب في ازالة هذه النعمة وبطلانها فقد استوجب الذم وخسر في الدنيا والآخرة أما
خسارته في الدنيا فقد سعى في نقص عدده وازاله ما أنعم الله تعالى به عليه وما خسارته في الآخرة
فقد استوجب بذلك العذاب العظيم وقرأ أبو عمرو وابن عامر بتشديد التاء والباقون بالتخفيف
(وحرم) وأما نذرهم الله) وتفضل به عليهم رحمة لهم من تلك الانعام والغلات بغير شرع ولا تقع
بوجه (اقتراء) أي تمسك بالكذب (على الله) وهذا أيضا من أعظم الجهالة لان الجراءة على
الله والكذب عليه من أعظم الذنوب والكبائر ولهذا قال تعالى (لقد ضلوا) أي في فعلهم عن

قوله أو تحقيقا لان
المراد الخ لا يفتي
ما فيه وصلة
الكشاف وأنت
خالصة للعمل على
المعنى لأن ما في
معنى الاجتهاد وذكر
محرم للعمل على
اللفظ ونظيره ومنهم
من يستمع اليك حتى
إذا خرجوا من
عندك ويجوز ان
تكون التاء المبالغة
مثلا في رادية
الشعروا أن تكون
مصدرا وقع موقع
الخالص كالعاقبة
أي ذو خالصة ويدل
عليه قراءة من قرأ
خالصة بالنصب على
ان قوله لذ كورنا
هو الخبر وخالصة
مصدر مؤكد ولا
يجوز ان يكون حالا
متقدمة لان الجرور
لا يتقدم عليه حاله
وقرأ ابن عباس
خالصة على الاضافة
وفي مصنف عبد الله
خالص اه

الحق والرشاد) وما كانوا مهتدين) أى الى طريق الحق والصواب في فعلهم روى عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما أنه قال اذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة
الانعام قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها الى قوله وما كانوا مهتدين وروى عن مهدي بن ميمون
أنه قال سمعت ابا رجاء العطاردي يقول كان عبد الحجر فاذا وجدنا حجرا أحسن منه ألقيناه
وأخذنا الآخر واذا لم نجد حجرا جعنا حشوة من تراب ثم جئنا بالشاة فلقينا عليه ثم طفنا به فاذا
دخل شهر رجب قلنا منصل الاسنة فلاندع رحما فيه حديدة ولا سمها فيه حديدة الا نزعناه
فالقينا في رجب (وهو الذي أنشأ) أى خلق (جنات) أى بساتين (معروشات) أى مبسوطات
على الارض كالبطيخ والقنا (وغير معروشات) بأن ارتفعت على ساق كالنخل وشجر الرمان وقال
الضحاك كلاهما في الكرم خاصة لان منه ما يعرش بأن يبقى على وجه الارض منبسطا ومنه ما لم
يعرش بأن يرتفع على ساق وقيل المعروشات ما عرشه الناس في البساتين واهتموا به فعرشوه من
كرم وغيره وغير المعروشات هو ما أنبت الله تعالى في البراري والجلال من كرم أو شجر (و) أنشأ
(النخل والزروع مختلفا أكله) أى غره وجهه في الهيئة والطعم منها الحلو والحامض والجيد
والردي والضمير للزروع والباقي مقيس عليه وللنخل والزروع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه
أو للجمع على تقدير كل ذلك أو كل واحد منها ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء
وقرأنا فاع وابن كثير يجزم الكاف والباقون بالرفع (والزيتون والرمان متشابه) أى ورقيهما (وغير
متشابه) أى في طعمهما وقيل متشابهين في المنظر مختلفين في الطعم * ولما ذكر الله تعالى ما أنعم به
على عباده من خلق هذه الجنات المحتوية على أنواع الثمار ذكر ما هو المقصود الاصل وهو الارتفاع
بها فقال تعالى (كلوا من ثمره) أى كل واحد من ذلك (اذا أثمر) أى ولو قبل نضجه وهذا أمر بإباحة
وأما قوله تعالى (وأتوا حقه يوم حصاده) فالامر فيه للوجوب والاية مدنية والحق هو الزكاة
المفروضة والامر باتيانها يوم الحصاد ليتم به حقيقتها حتى لا يؤخره عن أقل وقت يمكن فيه الاتيان
ويعلم ان الوجوب بالادراك لا بالنسبة وقيل الاية مكية والزكاة انما فرضت بالمدينة فالحق ما كان
يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نضجه اقتراض العشر ونصف العشر
وقرأ حزة والكسائي برفع التاء والميم من ثمره والباقون بنصبها وقرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم
بفتح حاء حصاده والباقون بكسرها ومعناها واحد (ولا تسرفوا) أى باعطاء كلة فلا يبقى لعبالك
شي روى أن ثابت بن قيس صرم خمسمائة نخلة وقسمها في يوم واحد ولم يترك لاهلها شأفا فزات (أنه
لا يحب المسرفين) أى المتجاوزين ما حلتهم وفي ذلك وعيد وزجر عن الاسراف في كل شيء قال
مجاهد الاسراف ما قصرت به عن حق الله تعالى وقال لو كان أبو قيس ذهابا لرجل أتفق في طاعة
الله تعالى لم يكن مسرفا ولو أتفق درهم واحد أو مدافى معصية كان مسرفا وقوله تعالى (ومن
الانعام) عطف على جنات أى وأنشأ من الانعام (حولة) أى صالحة للعمل عليها كالابل والبقار
والبغال (وفرشا) أى لانصلح للعمل كالابل الصغار والعجايل والغنم - ميت فرشا لانها كالفرش
للارض لدنوها منها وقيل هو ما ينسج من وبره وصوفه وشعره للفرش (كلوا مما رزقكم الله) أى

بما أحله لكم من هذه الانعام والحُرث (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أى طرائقه فى التحليل
 والتحرير من عند أنفسكم كما فعل أهل الجاهلية وقرأ قبل وابن عامر وحفص والكسائي بضم
 الطاء والباءون بالسكون (أنه) أى الشيطان (لكم عدومين) أى بين العداوة وقوله تعالى
 (ثمانيه أزواج) أى أصناف بدل من جولة وفرشا والزوج لغة الفرد إذا كان معه آخر من
 جنسه لا ينفك عنه فيطلق لفظ الزوج على الواحد كما يطلق على الاثنين فيقال للذكر زوج
 وللأنثى زوج (من الضأن) زوجين (اثنين) أى ذكر وأنثى والضأن ذوات الصوف من الغنم
 والذكر ضأن والأنثى ضائنة والجمع ضوائن (ومن المعز) زوجين (اثنين) أى ذكر وأنثى وقرأ ابن
 كثير وأبو عمرو وابن عامر بفتح العين والباءون بالسكون والمعز والمعزى جمع لا واحد له من
 لفظه وهى ذوات الشعر من الغنم وقال البغوي جمع الماعز مع بز جمع الماعزة مواعر (قل)
 يا محمد إن حرم ذكورا لانعام نارة وانائها أخرى وأولادها كيفما كانت ذكورا وانائها ومختلطة
 نارة ونسبوا ذلك لله تعالى (الذكرين) من الضأن والمعز (حرم) الله عليكم (أم الاثنين) منهما
 (أما) أى أم حرم ما (اشتلت) أى انضمت (عليه أرحام الاثنين) ذكرًا كان أو أنثى (نبؤنى) أى
 أخبرونى (بعلم) عن كيفية ذلك بأمر معلوم من جهة الله تعالى على تحريم ما حرمت (إن كنتم
 صادقين) فى دعواكم والاستفهام للانكار والمعنى من أين جاء التحريم فإن كان من قبل
 الاكورة فجميع الذكور حرام وإن كان من قبل الاثنية فجميع الاناث حرام أو من قبل اشتغال
 الرحم فالزوجان حرام فمن أين التخصيص * (تنبيه) * اتفق القراء على أن فى همزة الوصل وهى
 التى بين همزة الاستفهام ولام التعريف وجهين وهما البدل والتسهيل والبدل هو مدها
 مبدلة والتسهيل هو ان تصهرها مسهلة (ومن الابل اثنين) ذكرا وأنثى (ومن البقر اثنين) كذلك
 (قل) يا محمد لهؤلاء الذين اختلجوا جهلا وسفها (الذكرين حرم) الله عليكم (أم الاثنين) منهما
 (أما) أى أم حرم ما (اشتلت) أى انضمت (عليه أرحام الاثنين) ذكرًا كان أو أنثى (أم كنتم
 أى بل أكنتم (شهداء) أى حاضرين (أذوصاكم الله بهذا) أى حين وصاكم بهذا التحريم
 إذا كنتم لا تؤمنون بى فلا طر يق لكم الى معرفة أمثال ذلك الا بالمشاهدة والسماع فكيف
 تثبتون هذه الاحكام وتسمونها الى الله تعالى * ولما احتج عليهم بهذه الحجة وبين أنه لا سند لهم فى
 ذلك قال تعالى (فمن) أى لأحد (أظلم ممن افترى) أى نعد (على الله كذبا) كعمر بن لحي فإنه
 أقول من بحر البصائر وسبب السوائب وغير دين ابراهيم عليه السلام ويدخل فى هذا الوعيد كل
 من كان على طريقته أو ابتدأ شيئا لم يأمر الله به ولا رسوله ونسب ذلك الى الله تعالى لان الاقطاع
 فلا وجه للتخصيص فكل من أدخل فى دين الله ما ليس منه فهو داخل فى هذا الوعيد (ليضل
 الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين) أى لا يرشد ولا يوفق من كذب عليه وأضاف
 اليه ما لم يشرع لعباده * ولما بين سبحانه وتعالى فساد طريقة أهل الجاهلية وما كانوا عليه من
 التحريم والتحليل من عند أنفسهم واتباع أهوائهم فيما أحلوه وحرموا من الملعومات أتبعه
 بالبيان الصحيح فى ذلك وبين أن التحريم والتحليل لا يكون الا بوحي سماوى وشرع نبوى فقال

قوله والمعز والمعزى
 جمع لا واحد له الخ
 الذى فى حاشية زاده
 أن معز بفتح العين
 وسكونها لغتان
 فى جمع معز وقد
 تقدم أن فاعلا
 يجمع نارة على فعل
 كآبر وتجر وعلى
 فعل أخرى نحو
 خادم وخدم ويجمع
 أيضا على معزى اهـ

تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء الجاهلة الذين يخللون ويحرمون من عند أنفسهم (لا أجد في ما أوحى
 إلى محرماً) أى طعماً محرماً مما حرمتموه * (فائدة) * فى ما أوحى الى فى مقطوعة من ما فى الرسم
 (على طاعم) أى طاعم كان من ذكر أو أنثى (يطعمه) أى يتناوله أكلاً أو شرباً أو داءً أو غير ذلك
 (الأن يكون) أى ذلك الطعام (ميتة) وهى كل ما زالت حياته بغير ذكاة شرعية وقرأ ابن كثير
 وابن عامر وحزرة ~~تكون~~ بالتأنيث والباقون بالتذكير ورفع ميتة ابن عامر على أن كان هى
 التامة وعلى هذه القراءة يكون قوله تعالى (أو دماً مسفوحاً) عطف على أن مع ما فى حيزه أى
 الوجود ميتة أو دماً مسفوحاً أى مصبوحاً كالدم فى العروق لا كالكبدة والطحال (أو لحم خنزير
 فأنه) أى الخنزير (رجس) أى نجس فالضمير يعود على المضاف اليه لأن اللحم دخل فى قوله ميتة
 وحينئذ فى الآية دلالة على نجاسة الخنزير وهو حى فلهمة وكذا سائر أجزائه بطريق الأولى ثم
 انى رأيت البقاعى فى تفسيره جرى على ذلك وقوله تعالى (أو فسقاً أهل لغير الله به) أى ذبح على
 اسم غيره عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل * (تنبيه) * ظاهر الآية أن المحرمات
 محصورة فى هذه الأربعة وأنه لا يحرم شئ من سائر الأطعمة والحيوانات غيرها وهى الميتة
 والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح على اسم غير الله تعالى ويروى ذلك عن ابن عباس وعائشة
 وسعيد بن جبيرة رضى الله تعالى عنهم لانه ثبت أنه لا طريق الى معرفة المحرمات الا بوحى وثبت أن
 الله تعالى نص فى هذه الآية على هذه الأربعة أشياء وقال تعالى فى سورة البقرة أنما حرم عليكم
 الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله وانما تنفید الحصر فصارت هذه الآية المدنية
 مطابقة للآية المكية فى الحكم ولكن الذى ذهب اليه جمهور العلماء أن التحريم لا يختص
 بهذه فقط بل المحرم ما كان بنص كتاب أو سنة وقد وردت السنة بتحريم أشياء غير ذلك منها تحريم
 الحمر الأهلية وكل ذى ناب من السباع أو مخاب من الطيور وورد النهى عن أكل الهر وأكل غنمه
 ويحرم أيضاً كل ما أمر بقتله كالحداة والغراب الأبقع وأنهى عن قتله كالهدد والنقاش وما
 لا نص فيه بتحريم أو تحليل أو بيايدل على أحدهما كالامر بالقتل وأنهى عنه ان استطابته عرب
 ذور يسار وطباع سليمة حال رفاهية حل وان استخبشوه فلا يحل فان اختلفوا فى استطابته اتبع
 الأكثر فان استو وافقر يش لانهم قطب العرب وفيهم الفتوة فان اختلفت أولم تحكم بشئ اعتبر
 الاشبه به من الحيوانات فان استوى الشبهان أولم يوجد ما يشبهه فخلال لهذه الآية وما جهل
 اسمه عمل بتسمية العرب له مما هو حلال أو حرام * ولما حرم الله تعالى هذه الأشياء أباح أكلها
 عند الاضطرار بقوله تعالى (فن اضطر) أى حصل له جوع خفى منه التلف (غير باغ) أى على
 مضطر مثله (ولا عاد) أى ولا متجاوز قدر الضرورة وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر والنكسافى
 بضم النون فى الوصل والباقون بالكسر (فان ربك غفور) لا يؤاخذهم بالا كل (رحيم) به حيث
 أباح له ذلك (وعلى الذين هادوا) أى اليهود واليهود علم على قوم موسى عليه الصلاة والسلام
 وهو ايه اشتقاق من هادوا أى مالوا ما من عبادة الجمل وما من دين موسى عليه السلام أو من
 هادوا يرجع من خير الى شر أو من شر الى خير لكثرة اتقاهم عن مذاهيمهم وقيل لانهم يهودون أى

يختار كون عند قراءة التوراة وقيل معرب من يهودا بن يعقوب بالذال المججمة ثم نسب اليه فقيل
يهودي ثم حذف الياء في الجمع فقيل يهود (حرمنا) أي بسبب ظلمهم عليهم (كل ذي ظفر) أي
ما هو كالاصبع للآدمي من دابة أو طير وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم عليهم
فهم التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم
(ومن البقر والغنم) أي التي هي ذوات الاظلاف (حرمنا عليهم شعورهما) أي الصنفين والمراد
شعور الجوف وهو الثروب قال الجوهري هو شعير قد غشي الكرش والامعاء رقيق ثم استثنى من
الشعور ما ذكره بقوله (الاما حلت ظهورهما) أي الامعاء التي هي متعاطفة ملوينة جمع حوية فوفرتها فاعاقل
(أو الحوايا) أي ما حلتها الحوايا وهي الامعاء التي هي متعاطفة ملوينة جمع حوية فوفرتها فاعاقل
كسفينة وسفائن وقيل جمع حاوية أو حاوية كقاصعاه فهو فواعل (أو ما اختلط) أي من الشعور
(بعظم) مثل شعور الالية فان ذلك لا يحرم عليهم روى أنه صلى الله عليه وسلم قال عام الفتح وهو
بعكة ان الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام فقيل يا رسول الله أرايت شعور
الميتة فانها تطل بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام أي بيعها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك قاتل الله اليهود ان الله تعالى لما حرم عليهم
شعورهما أجلاوه أي اذابوه ثم باعوه وأكلوا منه (ذلك) أي التحريم العظيم وهو تحريم الطيبات
(جزئناهم) به (بغيرهم) أي بسبب مجاوزتهم الحدود (وانا لصادقون) أي في الاخبار عما حرمنا
عليهم وعن بغيرهم (فان كذبوك) أي اليهود يا محمد فيما أخبرناك به عنهم (فقل) لهم (ربكم ذو رحمة
واسعة) أي بتأخير العذاب عنكم فلم يعاجلكم بالعقوبة في ذلك تلطفا بدعائهم الى الايمان
(ولا يرد بأسه) أي عقابه (عن القوم المجرمين) اذا جاء وقته وقيل ذو رحمة واسعة للمطيعين
وذو بأس شديد للمجرمين وقوله تعالى (سيقول الذين أشركوا) اخبار عن مستقبل وقوع محبته
يدل على عجزه ولما لم ينفعهم الحجة وثبتهوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك بالله وتحريم ما لم يحرمه
الله قالوا (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرمنا من شيء) أرادوا ان يجعلوا قولهم لو شاء الله
ما أشركنا حجة لهم على اقامتهم على الشرك وقالوا ان الله قادر على ان يحول بيننا وبين ما نحن فيه
حتى لا نفعله فلو لا انه رضى ما نحن فيه واراد منا وأمرنا به لحال ينشأ ويغير ذلك فقال الله تعالى
تكذبا لهم (كذلك كذب الذين من قبلهم) أي من كناز الامم الماضية (حتى ذاقوا بأسنا)
أي عذابنا ويستدل أهل القدر بهذه الآية يقولون انهم لما قالوا لو شاء الله ما أشركنا كذبهم
الله ورد عليهم ثم فقال كذلك كذب الذين من قبلهم وأجاب أهل السنة بأن التكذيب ليس
في قولهم لو شاء الله ما أشركنا بل ذلك القول صدق ولكن في قولهم ان الله أمرنا به ورضي
ما نحن عليه كما أخبر تعالى عنهم في سورة الاعراف واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا
والله أمرنا به فاقال رد عليهم في هذا كما قال تعالى قل ان الله لا يأمر بالفسحشاء والليليل على أن
التكذيب ورد فيما قلنا لا في قولهم لو شاء الله ما أشركنا قوله تعالى كذب الذين من قبلهم بالتشديد
ولو كان كذلك خبرهم الله عن كذبهم في قولهم لو شاء الله ما أشركنا لقال كذب الذين من

قبلهم بالتحقيق وكان ينسبهم الى الكذب لا الى التكذيب وقال الحسين بن الفضل لو ذكرنا
هذه المقالة تعظيما واجلالا لله تعالى ومعرفة منهم لما عابهم بذلك لان الله تعالى قال ولو شاء الله
ما أشركوا وقال تعالى وما كانوا يؤمنوا الا أن يشاء الله والمؤمنون يقولون ذلك ولكن المشركين
قالوا تكذبا وتحريضا وجدا لمن غير معرفة بالله وبما يقولون نظيره قوله تعالى وقالوا لو شاء
الرحمن ما عبدناهم قال الله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا بخرصون وقد علم من ذلك ان أمر
الله تعالى بعزل عن مشيئته وإرادته فانه مريد لجميع الكائنات غير أمر بجميع ما يريد وعلى
العبد أن يتبع أمره وليس له أن يتعلق بمشيئته فان مشيئته لا تكون عذرا لاحد (قل) يا محمد
لهؤلاء المشركين القائلين ماذا كرم (هل عندكم) أيها الجهلة (من علم) أي من أمر معلوم يصح
الاحتجاج به على ما زعمتم من تحريم ما حرمت وإن الله راض بشرككم (فتحرر جوه لنا) أي
فتظهروا لنا وتبينوا لنا كما بينا لكم خطأكم (إن) أي ما تتبعون في ذلك (الا الظن) أي فيما
أنتم عليه ولا علم عندكم (وإن أنتم الا تخرصون) أي وما أنتم في ذلك كله الا تكذبون وتقولون
على الله تعالى الباطل (قل) لهم حين عجزوا عن اظهار الحججة (فقل الحججة البالغة) أي السامة على
خلقه ما نزال الكتب وارسل الرسل قال الربيع بن أنس لا حجة لاحد عصي الله وأشرك به على
الله ولكن لله الحججة البالغة على عباده (فلو شاء) الله هدايتكم (أهداكم أجمعين) ولكنه لم يشأ ذلك
بل شاء هداية بعض وضلال بعض آخر فوقع ذلك على الوجه الذي شاء لا يستل عما يفعل (قل)
لهم (هلم) أي أحضروا (مهدياء) هم الذين يشهدون لكم (إن الله حرم هذا) أي ما تقدم من
تحريمهم الاشياء على أنفسهم ودعواهم أن الله أمرهم به وهلم اسم فعل لا يتصرف يستوي فيه
الواحد والاثان والجمع والمذكر والمؤنث عند الجازيين وعند بني تميم فعل مؤنث ويثنى ويجمع
(فان شهدوا) أي فان تجرؤا على الشهادة كذبا (فلا تشهد معهم) أي فاطركم ولا تسلم لهم
فانهم على ضلال وليست شهادتهم مستفدة الا الى الهوى (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا باياتنا)
انما وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على أن مكذب الايات متبع الهوى لا غير وان متبع الحججة
لا يكون الامسدد قايما (ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة) التي هي دار الجزاء فانهم
لو جوزوها ما اجتروا على ذلك (وهم برهم يعدلون) أي يشركون فيجعلون له عديلا (قل) لهم
(تعالوا) أي اقبلوا على (أتل) أي أقرأ (ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا) وذلك أنهم
سألوا وقالوا أي الذي حرم الله فأمر الله تعالى نبيه أن يبين لهم ذلك (فان قيل) ما معنى قوله
تعالى حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به والمحرم هو الشرك لا ترك الشرك (أجيب) بأن وضع أن
رفع أي هو أن لا تشركوا وقيل نصب واختلقوا في وجهه فقيل معناه حرم عليكم ان تشركوا ولا
صلة كقوله تعالى ما منعك أن لا تسجد أي ما منعك أن تسجد وقيل تم الكلام عند قوله حرم ربكم
ثم قال عليكم ان لا تشركوا به شيئا على وجه الاغراء وقال الزجاج يجوز أن يكون هذا مجولا على
المعنى أي أتل عليكم تحريم الشرك وجائز ان يكون على معنى أوصيكم أن لا تشركوا (وياالوالدين
احسانا) أي فأحسنوا بهم احسانا وضعه موضع النهي عن الاساءة اليهم بالمبالغة والدلالة

على أن ترك الاساءة في شأنهم غير كاف بخلاف غيرهما (ولا تقتلوا اولادكم من اطلاق) أي من أجل فقر تحافونه والمراد بالقتل وأد البنات وهن أحياء وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية فنهاهم الله تعالى عن ذلك وحرمه عليهم وقوله تعالى (نحن نرزقكم وآياهم) منع لموجبة ما كانوا يفعلونه لأجله واحتجاج عليهم لأن الله تعالى إذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على الوالد القيام بحق الولد وتربيته والاعتكال في أمر الرزق على الله (ولا تقربوا الفواحش) أي سائر المعاصي (ما ظهر منها وما بطن) أي علانياتها وسرها وقيل المراد الزنا علانيته وسره وكان أهل الجاهلية يستقصون الزنا في العلانية ولا يرون به بأسا في السر فحرم الله عز وجل الزنا في السر والعلانية وأجاب الأول بأن السب إذا كان خاصا لا يمنع من حمل اللفظ على العموم ثم صرح بالقتل لشدة أمره بالتخصيص بعد التعميم فقال (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله) عليكم قتلها (الابالحق) وهي التي أبيع قتلها بردة أو قصاص أو زنا بعد احصان وهو الذي يوجب الرجم أو نحو ذلك قال صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله الا الله وأني رسول الله الا بأحدى ثلاث الذب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة وقوله تعالى (ذلكم) إشارة الى ما ذكره مفصلا (وصاكم به) أي أمركم به وأوجبه عليكم (اعلمكم تعلقون) أي تدبرون ما في هذه التكاليف من الفوائد والمناقع فان كمال العقل هو التدبر (ولا تقربوا مال اليتيم) أي بنوع من أنواع عمل فيه أو غيره (الاباتي) أي بالخصلة التي (هي أحسن) بحاله كحفظه وتربيته وتثمينه ويستقر ذلك (حتى يبلغ أشده) وهو سن يبلغ به أو ان حصول عقله عادة وهو البلوغ بالسن أو الاحتملام أو عقل يحصل به رشده وقيل الأشد من الثماني عشر الى ثلاثين سنة وقيل الى أربعين وقيل الى ستين (وأوفوا) أي أتموا (الكيل والميزان بالقسط) أي العدل من غير تقرب ولا إفراط (لا تكلف نفسا الا وسعها) أي طاقتها في إيفاء الكيل والميزان لم يكلف الماعطى أكثر مما وجب عليه ولا يكلف صاحب الحق الرضا بأقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عليه بل أمر كل واحد منهم بما يجاسه مما لا سرج عليه فيه وذلك كدفع الأمر عنه أن إيفاء الحق صبر فعليكم بما في وسعكم وما وراء الوسع معفو عنه (وإذا قلتم) أي في حكم أو شهادة أو غير ذلك (فاعدوا) فيه بالصدق (ولو كان) المقول له أو عليه (ذاقربي) أي من ذوى قرابتكم (وبعهد الله أوفوا) أي ما عهد اليكم من ملازمة العدل وأدبية أحكام الشرع (ذلكم) أي الذي ذكر في هذه الآيات (وصاكم) بالعمل (به لعلكم تذكرون) أي تتعظون فتأخذون بما أمرتكم به وقرأ حفص وحزرة والكسائي بخفيف الذال والباقون بالتشديد (واق هذا) الذي وصيتكم به (صراطى مستقيما) والاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانها بأسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرأ ابن عامر بخفيف النون والباقون بالتشديد وكسر الهمزة حمزة والكسائي على الاستئناف وقصها الباقون على تقدير اللام وفتح الياء من صراطى ابن عامر وسكتها الباقون وتقدم مذهب قبل في الصراط بالسين ومذهب خالف في اشمام الصاد (فاتبعوه) أي بغاية جهدهم لانه الجامع للعباد على الحق الذي فيه كل خير

(ولا تتبعوا)

(ولا تتبعوا السبل) أى الطرق المخالفة لدين الاسلام (فتفرق) فيه حذف احدى التامين أى
 فقبيل (بكم) أى هذه الطرق المضلة (عن سبيله) أى طريقه التى ارتضاها لعباده وبها أوصى
 (ذلكم) أى الامر العظيم من اتباعه (وصاكم به لعلكم تتقون) الضلال والتفرق عن الحق
 روى انه صلى الله عليه وسلم خط خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطا وطاعن عيینه وعن شماله
 وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه وقرأ وان هذا صراطى مستقيما فاتبوه
 (ثم آتينا موسى الكتاب) أى التوراة (فان قيل) ثم للترتيب وايتاء موسى الكتاب كان قبل مجي
 القرآن (أجيب) بأن ثم لترتيب الاخبار أى ثم أخبركم انا ايتاء موسى الكتاب فدخل ثم لترتيب
 الخبر لا لتأخير النزول وقوله تعالى (تماما) حال أى لم ينقص الكتاب عما يسطهم شيئا (على) الوجه
 (الذى أحسن) أى أتى بالاحسان فأثبت الحسن وجعه بما بين من الشرع وبما حى طوائف
 أهل الارض به من الاهلاك العام روى ان الله تعالى لم يهلك قوما هلا كاعاما بعد نزول التوراة
 وقيل غامما على المحسنين من قوم موسى فيكون الذى يعنى من أى على من أحسن من قومه وكان
 قيمهم محسن وموسى وقيل الذى أحسن هو موسى عليه السلام أى اتماما للنعمة عليه لاحسانه
 بالعبادة أو الذى يعنى ما أى ما أحسن وقوله تعالى (وتذريلا) عطف على غامما أى وياتانا (لكل شئ)
 أى يحتاج اليه فى الدين (وهدى) أى فيه هدى من الضلالة (ورحمة) أى انزاله عليهم رحمة لهم
 (اعلمهم) أى بنى اسرائيل (بلقاء ربهم) أى بالبعث والجزاء (يومنون) أى ليكون حالهم بعد
 انزال الكتاب لما يرون من حسن شرائعه ونفاعة كلامه وجلالة أمره حاله من يرجو ان يجدد
 الايمان فى كل وقت بلقاء ربه وليذكرا ما أنعم به عليهم من اخراجهم من مصر من العبودية
 والرفق (وهذا) أى القرآن (كتاب) أى عظيم (أنزلناه) اليكم أى بلسانكم حجة عليكم (مبارك)
 أى كثير الخير والنفع والبركة (فاتبعوه) أى اتبعوا ما فيه من الاوامر والنواهي والاحكام
 (واتقوا) الكفر (لعلكم ترحمون) أى بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه ثم بين تعالى المراد من
 انزاله فقال (أن) أى كراهة ان (تقولوا انما أنزل الكتاب) أى التوراة والانجيل (على طائفتين
 من قبلنا) أى اليهود والنصارى (وان كنا) أى وقد كنا وان هى الخفيفة من الثقلية ولذلك
 دخلت اللام الفارقة بينها وبين النافية فى خبر كان أى وانه كنا (عن دراستهم) قراءتهم لكتابهم
 قراءة مردودة (لغافلين) أى لانعرف حقيقة ما ولا ثبت عندنا حقيقتها ولا هى بلساننا (أو نقولوا)
 أى أيها العرب لم نكن عن دراستهم غافلين بل كنا عالمين بها ولكنه لا يجب اتباع الكتاب الاعلى
 المكتوب اليه فلم تتبعه و (لو أننا) أهلتنا لأهلوا له حتى (أنزل علينا الكتاب) أى بنفسه (لكنا
 أهدي منهم) أى لما لنا من الاسعاد بوفور العقل وحسنة الالهام واستقامة الافكار
 واعتدال الامزجة والاذعان للحق (فقد جاءكم بينة من ربكم) أى القرآن فيه بيان وحجة واضحة
 تعرفونها على لسان رجل منكم تعرفون انه أولاكم بذلك (وهدى) من الضلالة لمن تدبره
 (ورحمة) أى وهو رحمة ونعمة أنعم بها عليكم فقاتلوا فيه واعلموا به (فن) أى لا أحد (أظلم من
 كذب بآيات الله وصدف) أى أعرض (عنها) فضل وأضل (سبحزى الذين يصدفون)

عن آياتنا ولا يتوبون (سوء العذاب) أي شدته (بما كانوا يصدفون) أي بسبب اعراضهم
 (هل ينظرون) أي ما ينظرون هؤلاء المكذبون (الأن تأتيهم الملائكة) أي لقبض أرواحهم
 أو بالعذاب وقرأ جزء والكسافي بالياء على التذكير والباقون بالتاء على التأنيث (أو يأتي ربك)
 أي أمره بالعذاب (أو يأتي بعض آيات) أي علامات (ربك) الدالة على الساعة كطلوع الشمس
 من مغربها وعن حذيفة والبراء بن عازب كانت إذا كر الساعة أذ طلع علينا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال ما تذاكرون قانما كانت إذا كر الساعة فقال إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر
 آيات الدخان ودابة الأرض وخسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدجال
 وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج وماجوج ونزول عيسى وناار يخرج من عدن (يوم يأتي
 بعض آيات ربك) وهو طلوع الشمس من مغربها كما في حديث الصحيحين (لا يتفق نفسا إيمانها لم
 تكن آمنت من قبل) صفة نفسا (أو) نفسا لم تكن (سببت في إيمانها خيرا) أي
 طاعة لا ينفعها توبتها قال صلى الله عليه وسلم يدا الله مبسوطتان لسيء الليل ليتوب بالنهار ولسيء
 النهار ليتوب بالليل حتى تطلع الشمس من مغربها وقال صلى الله عليه وسلم من تاب قبل أن تطلع
 الشمس من مغربها تاب الله عليه وقال صلى الله عليه وسلم إن الله جعل بالمغرب بابا ميرة عرضه
 سبعون عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث إذا خرجن
 فلا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل الدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها (قل
 انتظروا) بعض هذه الأشياء (انما ينظرون) ذلك ويثبت لنا الفوز عليكم ولكم الويل (إن
 الذين فترقوا دينهم) أي بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض واقتروا فيه قال صلى الله عليه
 وسلم افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الواحدة وافترقت النصارى على
 ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الواحدة وافترقت ائمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها
 في الهاوية الواحدة رواه أبو داود والترمذي والحاكم وصحاحهم وفي بعض الروايات قالوا من
 هم يارسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي وقرأ جزء بتخفيف الراء وألف قبلها والباقون بتشديد
 ولا ألف (وكانوا شيعا) أي فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى في قول مجاهد وقتادة كانوا
 الكتاب فانهم ابتدعوا في دينهم بدعا أوصلتهم إلى تكفير بعضهم بعضا فآمنوا ببعض الأنبياء
 وكفروا ببعض وكالجوس الذين فترقوا دينهم باعتقاد أن الإله اثنان النور والظلمة وعبدوا
 الأصنام والنجوم وجه لوالكل نجم قسمها يتوسل به في زعمهم إليه وقيل هم أهل البدع وأصحاب
 الأهواء من هذه الأمة روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة يا عائشة إن الذين فترقوا دينهم
 وكانوا شيعا هم أهل البدع وأصحاب الأهواء من هذه الأمة وعن العرياض بن سارية قال صلى
 يارسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فوعظنا موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب
 فقال قائل يارسول الله كأنهم موعظة مودع فإوصنا قال أوصيكم بتهوى الله والسمع والطاعة
 وإن كان عبدا حبشيا فإن من يعيش منكم فسيروا خلفا كثيرا فليكن بكنى وسنة الخلفاء
 الراشدين المهديين عضو عليهم بالثواب والجزاء ومحمدات الآم ورفاق كل محدثة بدعة وكل

بدعة ضلالة وروى ان أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم
 وشرا الامور محمد ثاتها (است منهم في شئ) أى من السؤال عنهم فلا تتعرض لهم (انما أمرهم
 الى الله) يتولى جزاءهم (ثم يذبهم بما كانوا يفعلون) فيجازيهم به وهذا منسوخ بآية السيف
 (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) أى عشر حسنات أمثالها فضلا من الله تعالى (ومن جاء
 بالسيسة فلا يجزى الا مثلهما) أى جزاءه اقضية للعدل (وهم لا يظلمون) أى بقص الثواب وزيادة
 العقاب وما ذكر في اضعاف الحسنات هو اقل ما عدم من الاضعاف فقد قال صلى الله عليه وسلم
 اذا أحسن أحدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشرة أمثالها الى سبعمائة ضعف
 وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتى يلقي الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل
 من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن جاء بالسيسة فله سيئة مثلهما وأغفر ومن تقرب مني
 شبرا تقربت منه ذراعا ومن لقيني بقراب أهل الارض خطيئة لا يشركني شيئا لقينته بمثلها
 مغفرة وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى اذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا
 تكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فاكثروها بمثلها وان تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة
 وان عملها فاكثروها بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهم الآية
 في غير الصدقات من الحسنات فأما الصدقات فانها تضاعف سبعمائة ضعف (قل) يا محمد اهؤلاء
 المشركين من قومك (اننى هدى ربي الى صراط مستقيم) بالوحى والارشاد الى ما نصب من
 الحجج وقرأ نافع وأبو عمرو وفتح الياء والباقون بالسكون وقوله تعالى (دينا) بدل من محمد الى
 صراط مستقيم والمعنى وهذا الى صراطا كقوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما (قيما)
 أى مستقيما وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وفتح القاف وكسر الياء مشددة والباقون بكسر
 القاف وفتح الياء مخففة على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما فاعل لا علل فعله كالقيام
 وقوله تعالى (ملة ابراهيم) عطف بيان لدينا اذا الملة بالكسر الدين وان فرق بينهم ما بأن الملة
 لا تضاف الا الى النبي الذى تستند اليه والدين لا تختص اضافته بذلك وقوله تعالى (حنيفا)
 حال من ابراهيم أى ما تلا من الضلالة الى الاستقامة والعرب تسمى كل من حج أو اختن حنيفا
 تنبيهها على انه دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى (وما كان) ابراهيم صلى الله
 عليه وسلم (من المشركين) رد على كفار قريش لانهم يزعمون انهم على دين ابراهيم فأخبر الله تعالى
 ان ابراهيم لم يكن من المشركين (قل) يا محمد (ان صلاتى ونسكى) أى عبادتى من حج وغيره
 (ومحياى ومماتى) أى وما أنا عليه فى حياتى وأموت عليه من الايمان والطاعة وأطاعات الحياة
 والخبرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير والحياة والممات أنفسهما وقرأ نافع ومحياى
 يسكون الياء بخلاف عن ورش اجراء للوصل مجرى الوقف والباقون بالفتح وفتح الياء من محياى
 نافع وسكنها الباقون (لله رب العالمين لا شريك له) فى ذلك (وبذلك) أى وبهذا التوحيد (أمرت
 وأنا قول المسلمين) أى من هذه الامة لأن اسلام كل نبي مقدم على اسلام أمته وقرأ نافع بعد أنا
 قبل الهمزة المفتوحة وقالون بالمد والقصر لانها عندهم متنفصل والباقون بالامتدأ صلا (قل)

يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك (أغبر الله أبني) أي أطلب (ربا) أي الهافا شره في عبادتي
وهذا جواب عن دعائهم - له إلى عبادة آلهتهم والهزمة للانكار أي منكر ان أبني ربا غيره
(وهو رب كل شيء) فكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال تعالى قل
أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون (ولا تكسب كل نفس ذنبا) (الاعليها) أي اثم الجاني
عليه لا على غيره وقوله تعالى (ولا تزر) أي ولا تحمل نفس (وازره) أي آثمة (وزر) نفس (أخرى)
جواب عن قولهم اتبعوا سيدنا ولعلنا ونعمل خطاياكم (ثم إلى ربكم مرجعكم) يوم القيامة (فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون) في الدنيا فبيني الرشد من الغي والمحق من المبطال (وهو الذي جعلكم
خلائف الأرض) جمع خليفة لأن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين خلفت أمته سائر الأمم
أو يخلف بعضهم بعضا فيها أو هم خلفاء الله تعالى في أرضه على كونهم أو يتصرفون فيها (ورفع
بعضكم فوق بعض درجات) أي في الشرف والرزق (ليبلوكم) أي ليختبركم (في ما آتاكم) أي
اعطاكم ليظهر المطيع منكم والمعاصي * (فائدة) * في تكذيب مقطوعة عن ما (ان ربك سريع
العقاب) لمن عصاه لأن ما هو آت قريب أو لأنه يسرع إذا أراد (وانه لغفور) لاهل مؤمنين
(رحيم) بهم وصف الله تعالى العقاب ولم يصفه إلى نفسه ووصف تعالى ذاته بالمغفرة وضم إليه
الوصف بالرحمة وأتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيه على انه تعالى غفور بالذات معاقب
بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها فتنسأل الله العظيم أن يباهنا وأن يعفو
زلاتنا ولا يؤاخذنا بذنوبنا وفعالنا وان يفعل ذلك بالديننا وأقاربنا وأحبابنا وأصحابنا وجميع
المسلمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(سورة الاحزاب مكية)

الانعمان آيات من قوله تعالى واسئلهم عن القرية التي قال تعالى واذا تقننا الجبل وهي محكمة
كلها وقبل الاقوله تعالى وأعرض عن الجاهلين وعدد آياتها مائتان وخمس آيات وكلما تم
ثلاثة آلاف وثلثمائة وخمس وعشرون كلمة وحروفها أربعة عشر ألفا وثلثمائة وعشرة أحرف
(بسم الله) الواحد الذي لا يقدر أحد قدره (الرحمن) الذي عظم بنعمة البيان من أوجب عليهم
شكره (الرحيم) الذي خص أهل وده فاجتنبوا منه وامثلوا أمره (المص) سبق الكلام على
معاني الحروف المقطعة في أول سورة البقرة وقوله تعالى (كتاب) خبر مبتدأ محذوف تقديره
هو وهذا أو خبر المص والمراد بالكتاب السورة أو القرآن وقوله تعالى (أنزل الملك) صفة
والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (فلا يكن في صدوركم حرج) أي ضيق (منه) أي لا يضيق
صدركم بالأبلاغ وتأدية ما أرسلت به مخافة أن تكذب لأنه كان يخاف قومه وتكذيبهم - له
واعراضهم عنه واذاهم وكان يضيق صدره من الأذى ولا ينبسط له فأمنه الله ونمائه عن
المبالاة بهم وقيل الحرج الشك والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته وسمى الشك
حرجا لأن الشك يضيق الصدر كما ان المتيقن منشرح الصدر وقوله تعالى (لنذكر) متعلق بأنزل

أي للانداز به (وذكرى) أي وتذكرة (للمؤمنين) به وحذف المفعول يدل على عموم الرسالة لكل
 من أمكن انذاره وتذكيره من العقلاء قال بعض المفسرين وهذا من المؤخر الذي معناه
 التقديم تقديره كتاب أنزلناه إليك لتذكيره وذكرى للمؤمنين فلا يمكن في صدره كخرج منه ويدل
 لهذا انعلق لتذكير بانزل وقوله تعالى (اتبعولما أنزل اليكم من ربكم) يعني القرآن والسنة لقوله
 تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ولقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه
 وما نهاكم عنه فانتهوا أي قل لهم يا محمد اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم وذروا ما أنتم عليه من
 الشرك (ولا تتبعوا من دونه) أي ولا تتخذوا من دون الله أي غيره (أولياء) تطيعونهم من
 شياطين الانس والجن فيأمرهم بعبادة الاصنام واتباع البدع والاهواء الفاسدة (قل لا
 ما أنذركم) أي تهفظون وقرأ ابن عامر ياء قبل التاء وتخفيف الذال وقرأ حفص وحزة
 والكسائي بتخفيف الذال ولا ياء قبل التاء والباقون بتشديد الذال ولا ياء قبل التاء (وكم من
 قرية أهلكناها) أي أهلكنا أهلها وقيل لا يحتاج الى تقدير مضاف لان القرية تهلك كما هي لك
 أهلها وانما يقتدر في فجاءها لاجل قوله تعالى أو هم قاتلون وكم خبرية مفعول أهلكنا وهي للتكثير
 والاهلاك على حقيقته أو يقتدر اردنا اهلكها لقوله تعالى (فجاءها) أي أهلها (أسنا) أي عذابنا
 فان مجيء الباس قبل الاهلاك فتقدر الارادة وقيل الاهلاك الخذلان وعلى هذا فلا حاجة الى
 تقدير (بيانا) أي وقت الاستسكان في البيوت ليلا كما جاء قوم لوط عليه السلام (أو هم قاتلون)
 أي نائمون وقت القاتلة وهي نصف النهار أو مستريحون من غير نوم كما أهلكنا قوم شعيب عليه
 السلام أي مرة جاء هالكا لا مرة نهارا وانما خص هذين الوقتين لانهم ما وقت دعة واستراحة
 فيكون مجيء العذاب فيهما أقطع وفي هذا وعيد وتخويف للكفار كما أنه قبل لا تغتروا بأسباب
 الامن والراحة فان عذاب الله اذا نزل نزل دفعة واحدة (فما كان دعواهم) أي قولهم (اذ جاءهم
 بأسنا) أي عذابنا (الآن قالوا) أي الاقوالهم (انا كنا ظالمين) أي فيما كنا عليه حيث لم تتبع ما أنزل
 اليهم من ربنا وذلك حين لا ينفعهم الاعتراف (فانسلطن الذين أوصل اليهم) أي المرسل اليهم وهم
 الامم يسألهم الله تعالى عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل (ولنسلتن المرسلين) أي عما اجيبوا به كما
 قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتهم وقيل نسأل المرسلين عن الابلاغ والمراد من هذا
 السؤال توبيخ الكفرة وتقرير بهم والمنق في قوله تعالى ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال
 الاستعلام الاول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة (فلنقصن عليهم) أي
 الرسل والمرسل اليهم (بعلم) نخبرهم عن علم بما فعلوه باطنا وظاهرا وبما قالوه سرا وعلاية
 (وما كنا غائبين) عنهم فيخفى علينا شئ من أحوالهم وأقوالهم (والوزن) أي لصانق الاعمال
 بوزان له لسان وكفتان ينظر اليها الخلاق اظهار العدل وقطع الممذرة كما يسألهم عن أعمالهم
 فتعترف بها ألسنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روى ان رجلا يؤتى به الى الميزان فينشر
 عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل ممد بالبصر فيخرج له بطاقة فيها كل كلمة كهداة فتوضع
 السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثابتت البطاقة والبطاقة رقعة صغيرة

تجعل في طي الثوب يكتب فيها ثمنه وقيل توزن الاعمال روى عن ابن عباس يؤتى بالاعمال
الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان وقيل توزن
الانخاص لما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لما أتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة
فلايزن عند الله جناح بعوضة وقوله تعالى (يومئذ) أي يوم السؤال المذكور وهو يوم القيامة
خبر المبتدأ الذي هو الوزن وقوله تعالى (الحق) أي العدل السوي صفته (فمن ثقلت موازينه)
أي رجحت على ما يعهد في الدنيا بصناف الاعمال أو حسناته أو به على الاقوال الماضية وعن
الحسن وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يرجح ويثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان
يحق (فان قيل) الميزان واحد فما وجه الجمع (أجيب) بأن العرب قد توضع لفظ الجمع على الواحد
وقيل انه ينصب لكل عبد ميزان وقيل انما يجمعه لان الميزان يشتمل على الكفتين واللسان
والساهون ولا يتم الوزن الا بذلك كله وقيل يجمع لاختلاف الموزونات وتعدد الجمع فهو جمع
موزون أو ميزان (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بالنجاة والثواب (ومن خفت) أي طاشت
(موازينه) أي السيئات أي بسيمها (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) أي تصيبها الى النار
(بما كانوا بآياتنا يظلمون) أي يمجدون (ولقد مكناهم) يابى آدم (في الارض) أي في
مسكنها وزرعها والتصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) جمع معيشة أي اسبابا تعيشون بها
أيام حياتكم من أنواع التجارات والصنائع والمساكن والمشارب وذلك بفضل الله تعالى
وانعامه على عبده وكثرة الانعام توجب الطاعة للمنعم بها والشكر له عليها ثم بين تعالى انه مع
هذا الافضال على عبده وانعامه عليهم لا يقومون بشكرها كما ينبغي فقال تعالى (قليلًا
ما تشكرون) أي على ما صنعت اليكم وأنعمت به عليكم وفيه دليل على انهم قد يشكرون
لان الانسان قديد كنعمة الله فيشكره عليها فلا يخالف في بعض الاوقات من الشكر على النعم
وحقيقة الشكر تصور النعمة واظهارها وبيادته الكفر وهو نسيان النعمة وسترها (ولقد
خلقناكم) أي اباكم آدم (ثم صورناكم) أي اباكم آدم والمراد يعني خلقنا اباكم آدم طينًا غير
مصور ثم صورناه فنزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره م وقيل خلقناكم في
اصلاب الرجال ثم صورناكم في ارحام النساء (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) (فان قيل)
ثم للترتيب والتراخي وهي ظاهرة على القول الاول فما وجهه على الثاني (أجيب) بأنها تكون
بمعنى الواو أي وقلنا للملائكة اسجدوا لآدم سجود تحية بالافتخار (فسجدوا) أي الملائكة
كلهم لآدم (الا ابليس) أبا الجن كان بين الملائكة (لم يكن من الساجدين) أي ممن سجد (قال)
الله تعالى لابليس (ما منعك أن تسجد) أي ان تسجد (إذا أمرتك) فلا زائدة لتسا كمد كما
في قوله تعالى لا أقسم أي أقسم وقوله تعالى وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون أي
يرجعون نعم ان جل ما منعك على ما حلك لم تكن زائدة (قال) ابليس مجيبًا له تعالى (أنا خير منه)
(فان قيل) كيف يكون قوله أنا خير منه جوابًا لما منعك وانما الجواب أن يقول منعي كذا
(أجيب) بأنه جواب من حيث المعنى استأنف به استبعاد الان يكون مثله ما مورًا بالسجود

لمثله كأنه قال المانع أني خير منه ولا يحسن للفاضل أن يسجد للمفضول فكيف يحسن أن
 يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين أقول وأعلل الخيرية بقوله تعالى
 (خلقني من نار) فهي أغلب أجزائي وهي مشرقة مضيئة عالية غالبة (وخلقته من طين) أي
 خوأ أغلب أجزائه وهو كدر مظلم ساقل مغلوب فكل منهما مركب من العناصر الأربعة فالإضافة
 إلى ما ذكر باعتبار الجزء الغالب قال ابن عباس رضي الله عنهما أول من قاس إبليس فأخطأ من
 قاس الدين بشئ من رأيه قرنه الله تعالى مع إبليس قال ابن سيرين ما عبدت الشمس إلا بالقياص
 وإنما خطأ إبليس لأنه رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما أشار
 إليه بقوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه
 عليه تعالى بقوله ونفخت فيه من روحي فقهوا الساجدين وباعتبار الغاية وهي ملاكته ولذلك
 أمر الملائكة بالسجود لمائتين لهم أنه أعلم منهم وإن له خواص ليست لغيره وقال محمد بن جرير
 طعن الحديث أن النار خير من الطين ولم يعلم أن المفضل ما جعل الله له الفضل وقد فضل الله الطين
 عن النار بوجوه منها أن من جوهر الطين الرذالة والوقار والحلم والصبر وهو الداعي لآدم بعد
 السعادة التي سبقت له إلى التوبة والتواضع والتضرع فأورثته الاجتهاد والمنزلة والهداية
 ومن جوهر النار الخفة والطيش والحدة والارتفاع وهو الداعي لإبليس بعد الشقاوة
 التي سبقت له إلى الاستكبار والاصرار فأورثته اللعنة والشقاوة ولأن الطين سبب جمع
 الأشياء والنار سبب تفرقها ولأن التراب سبب الحياة لأن حياة الأشجار والنبات لا تكون
 إلا مع الطين والنار سبب الهلاك (فان قيل) لم سأله الله تعالى عن المانع من السجود وهو عالم
 بما منعه (أجيب) بأنه للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره واقتضار بأصله وازدراءه أصل
 آدم عليه الصلاة والسلام (قال) الله تعالى لإبليس (فاهبط منها) أي من الجنة وقيل من السماء
 إلى الأرض والهبوط الانزال والانحدار من فوق على سبيل القهقري والهوان والاستحقاق
 (فما يكون) أي فما يصح (لأن تكبر فيها) عن أمرى لأن الجنة أو السماء مكان الخاشع
 المطيع لأمر الله تعالى وفيه تنبيه على أن التكبر لا يليق بأهل الجنة والسماء وأنه تعالى إنما طرد
 إبليس لتكبره لا لجهرد المعصية قال صلى الله عليه وسلم كما رواه البيهقي من تواضع لله رفعه الله ومن
 تكبر وضعه الله وعن محمد رضي الله عنه من تواضع رفع الله حكمته ومن تكبر وضعه الله
 الله إلى الأرض (فاخرج منها) (أنك من الصاغرين) أي الكفرة الأذلاء المهانين والصغار الذل
 والمهانة قال الزجاج استكبر بعد والله إبليس فإبلاه الله تعالى بالصغار والذلة وقيل كان له
 ملك الأرض فأخرجه الله منها إلى جزائر البحر الأخضر وعرشه عليه فلا يدخل الأرض إلا خائفا
 كهيئة السارق مثل شبح عليه أطمار رثة يروغ فيها حتى يخرج منها (قال) إبليس عند ذلك
 (أنظرني) أي أخرى ولا تغنى ولا تجعل عقوبي (إلى يوم يعثون) أي الناس وهو النخسة
 الأخيرة عند قيام الساعة وهذا من جهالة إبليس الحديث لأنه سأل ربه الإمهال وقد علم أنه
 لا سبيل لأحد من الخلق إلى البقاء في الدنيا ولكنه كره أن يذوق الموت فطلب البقاء والخلا لئلا

فلم يجب الى ما سأل بل أجابه الله تعالى بقوله (قال انك من المنظرين) لاني ذلك الوقت بل الى الوقت المعلوم كما ينه تعالى في سورة الحجر بقوله تعالى فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وذلك هو النسخة الاولى التي تحوت فيها الخلق (فان قيل) لم أجيب الى الاظهار وانما استنظر لفساد عبادهم ويقتو بهم (أجيب) بأنه أجابه لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفتهم من عظيم الثواب وحكمة ما خلق الله تعالى من صنوف الزخارف وأنواع الملاذ والملاهي وما ركب في الانفس من الشهوات ليختن بهم عبادهم (قال) أي ابليس (فيماء غويته) أي فباغوائك لي والباء للقسم أي اقسم باغوائك وجوابه (لا قعدن لهم) أي لبني آدم (صراطك المستقيم) أي على الطريق الموصل اليك وانما أقسم بالاغواء لانه كان تكليفاً والتكليف من أحسن افعال الله تعالى لكونه تعريضا للسعادة الابد فكان جديرا لان يقسم به ويجوز أن تتعلق الباء بفعل القسم المحذوف تقديره فمما أغويتني أقسم بالله لا قعدن أي فبسبب اغوائك أقسم (ثم لا يتنهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم) أي من جميع الجهات الأربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت أرجلهم قال ابن عباس رضي الله عنهما ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم لتلايحول بين العبد وبين رحمة ربه وقيل لم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحيش وعنه انه قال من بين أيديهم من قبل الآخرة فيخبرهم أن لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من قبل الدنيا فيزينها لهم وعن أيمنهم أي من قبل حسناتهم أي فيبطؤهم عنها وعن شمائلهم من قبل سيئاتهم أي فيزين لهم المعاصي ويدعوهم اليها وانما عذى الفاعل الى الاولين يعرف الابداء لانه منهم ما توجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهم ما كالمصرف عنهم المات على عروضهم ونظيره قوله جلست عن يمينه وعن شقيق ما من صباح الا قعد لي الشيطان على أربع مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي أمام من بين يدي فيقول لا تخف ان الله غفور رحيم فأقرأ وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وأمام من خلفي فيخوفني الضيعة على من خلفي فأقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وأمام من قبل يميني فيأتيني من قبل النساء فأقرأ والعاقبة للمتقين وأمام من قبل شمالي فيأتيني من قبل السموات فأقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون (ولا نجد أكثرهم شاكرا) أي مطيعين (فان قيل) كيف علم الخبيث ذلك (أجيب) بأنه انما قال ذلك ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدء الشر متعديا وهو الشيطان والنفوس والهوى ومبدء الخير واحدا وهو الملك الملهم وقيل سمع ذلك من الملائكة (قال) الله تعالى لابليس حين طرده عن بابه وأبعده عن جنابه بسبب عصيانه ومخالفته (أخرج منها) أي الجنة أو السماء كما مر فانه لا ينبغي أن تسكن فيها (مذموما) أي محقورا ومحتورا (مذمورا) أي مبعدا طرودا عن الرحمة وقوله تعالى (لمن تبعك منهم) أي من الناس اللام فيه موطئة للقسم وجوابه (لا ملأ من جهم مثكم أجمعين) وهو ساقط مستد جواب الشرط وهو من تبعك أي لا ملأ من جهم مثلك بذيتك ومن الناس وفيه تغليب الحاضر على الغائب (ويا آدم) أي وقلنا يا آدم (اسكن) فهذه القصة معطوفة على قوله تعالى قلنا للملائكة

وقوله تعالى (أنت) تأكيد للضمير في سكن أي عطف عليه (وهو وجك) أي حواء بالمقدور ذلك بعد
 أن أهبط منها إبليس وأخرجته وطرده من الجنة (الجنة فكلما من حيث شئتما) من خيار الجنة
 أي من أي مكان شئتما (فإن قيل) قال تعالى في سورة البقرة وكذا بالواو وهما بالقاء فيها الفرق
 أنجاب الفخر الرازي بأن الواو تفيد الجمع المطلق والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب فالقهور
 من القاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو ولا منافاة بين النوع والجنس في سورة البقرة
 ذكر الجنس وهما ذكر النوع (ولا تقربا هذه الشجرة) أي بالكل منها مشيرا إلى شجرة بهيئتها
 أو نوعها وهي الجنة وقيل شجرة الكرم وقيل غيرها (فتشكروا من الظالمين) أي بالكل
 منها أي فتصبروا به لك من الذين ظلموا أنفسهم وتكبروا بحزم عطاها على تقربها والنصب
 على جواب انتهى (فوسوس لهما الشيطان) أي إبليس بما يمكنه الله تعالى منه من أنه يجري
 من الإنسان مجرى الدم ويلقي له في سر مما يميل به قلبه إلى ما يريد وهو أحقر وأذل من أن يكون له
 فعل وإنما الكل بيد الله سبحانه وتعالى وهو الذي جعله آلة لمراده منه ومنهم من يهدي الله
 فهو المتهدي ومن يضل فأولئك هم الخاسرون ثم بين على الوسوسة بقوله تعالى (ليبدى) أي
 ليظهر (أههما وورى) أي ستر وعطى (عنهما من سواتهما) أي عوراتهما وكأنا لا يرى بانها من
 أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وفيه دليل على أن كشف العورة في الخلوة وعند الزوجة
 من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه صلى الله عليه
 وسلم ولا رأي من أي الفرج (وقال) أي إبليس لا دم وحواء (ما نها كاربكما عن هذه الشجرة)
 أي عن الأكل منها (الآن) أي كراهة أن (تكونا ملكين) أي في عدم الشهوة وفي القدوة
 على الطيران والتشكيل وغير ذلك من خواصهم (أو تكونا من الخالدين) أي الذين لا يموتون
 ولا يخرجون من الجنة أصلا كما في آية أخرى هـ لي لدلك على شجرة الخلد ومثل لايلي
 (وقامهما) أي أقسم لهما بالله على ذلك وأخرجه على رنة المفاعلة للمبالغة وقيل أقسم الله
 بالقبول وقيل أقسم عليه بالله أنه لهما من المناهضين فاقسم لهما (أفليسكان) أي لكانا
 نجعل ذلك مقابلة وقال قتادة حلف لهما بالله حين خدعهما لوقد يخدم المؤمن بالله تعالى فقال
 أفليسكان وأنا أعلم فأتى بجاني أرشده كما وفيه تنبيه على الاحتراز من الحالف وإن الأغلب
 أن كل حلاف كاذب وأنه لا يحلف إلا عند ظنه أن سامعه لا يهمله ولا يفتن ذلك إلا وهو معتاد
 للكذب وقال بعض العلماء من خادعنا بالله خدعنا عنه وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه
 كان إذا رأى من عبده طاعة وحسين صلاة أعنته وكان عبده يفتن ذلك طلبا للفتن
 فقيل له أنهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله الخدعنا عنه وإبليس لعنه الله تعالى أول من حلف
 بالله تعالى كاذبا فلما حلف ظن آدم أن أحد الأيلاف بالله تعالى كاذبا فاعتز به (فدلاهما بغرور)
 أي خدعهما يقال ما زال يبدى لغيره ما زال يغدر به ويكلمه بزخرف القول
 الباطل وقيل حطهما من منزلة الطاعة إلى حالة العصية والغرور أظهر النجس مع إبطان النفس
 (فلما ذاقا الشجرة) أي أكلهما من ثمرها وفي ذلك دليل على أنهما تناولا وليس يرمي ذلك قصدا إلى

معرفة طعمه اذ الذوق يدل على الاكل اليسير وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قبل
 ازدرادهما اخذتهما العقوبة والعقوبة هي قوله تعالى (بدت) أي ظهرت (لهما مساواتهما)
 أي سورتهما وتجاقت عنهما الباس ما حتى أبصر كل واحد منهما ما ووري عنه من سواة
 صاحبه بأن رأى قبل نفسه وقبل صاحبه ودبره وكأنه لا يريان ذلك وسمى كل منهما سواة لأن
 انكشافه يسو صاحبه قال وهب كان لبا من النور يحول بينهما وبين النظر وقال قتادة
 كان ظفرا ألبسهما الله من الظفر لبا سا فلما وقع في الذنب بدت لهما مساواتهما فاستحيا (وطغقا)
 أي أقبلوا وجعلوا (يخصفان) أي يلزقان (عليهما من ورق الجنة) أي من ورق التين قال
 البغوي حتى صار كهيئة الثوب قال الزجاج يجعلان ورقة على ورقة ليسترا سواتهما وروى عن أبي
 ابن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان آدم رجلا طوالا كأنه نخلة صوف كثير
 شعر الرأس فلما وقع في الخطيئة بدت له سواته وكان لا يراها فانطلق ها وبالي الجنة فعرضت له
 شجرة من شجر الجنة فحبسته بشعره فقال لها ارسلي في فقاتك لست بمسلك فناداه الله عز وجل
 يا آدم أمي تفرق فقال لا يارب ولكفي استحييتك (وناداهما) أي خاطبهما (ربهما) بقوله (ألم أنهيكما
 عن تلكا الشجرة) أي عن الاكل من ثمرها (وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) أي بين
 العداوة لكما وقد بان لكما عدوته بترك السجود تغتسا وحسدا وفي ذلك عتاب على مخالفة النهي
 وتوبيخ على الاعتراض بقول العدو ودليل على أن مطلق النهي للتصريح قال محمد بن قيس لما أكل
 آدم من الشجرة ناداه ربه يا آدم أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها قال حواء أمرتني وقال
 لحواء ألم أطعمت آدم قالت أمرتني الحية وقال للحية لم أمرتها قالت أمرني ابليس قال الله تعالى
 أما أنت يا حواء فكما آدميت الشجرة فتدمين في كل شهر وأما أنت يا حية فأقطع قوائمك فتمشين
 على وجهك ويشدخ رأسك من لقبك وأما أنت يا ابليس فطعون مدحور وفي رواية لابن عباس
 انه قال لحواء فإني أعطيتها أن لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا) أي
 ضررناها بمخالفة أمرنا وطاعة عدونا وعدوك فان لم تقب علينا نسقم عاصين (وان لم تغفر لنا)
 أي فقموا علينا عينا وأثرا (وترحنا) أي فتعلد درجاتنا (لنكونن من الخاسرين) في الارض
 فأعربت الآية انها فزها الى الانصاف وبالاعتراف بذنبهما وان كان انما هو خلاف الاولى
 لانه بطريق التيسار كما في سورة طه قال قتادة قال آدم أرايت ان تبت اليك واستغفرتك قال
 أدخلك الجنة وأما ابليس فلم يسأل التوبة وسأل النظرة فاعطى كل واحد منهما ما سأل له وقال
 الضحاك في قوله تعالى قالا ربنا ظلمنا أنفسنا قال هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه تعالى
 وقد استدل من يرى صدور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية وروى بأن
 درجة الانبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله تعالى في اعلى الدرجات ولا يمكن يؤخذون
 بمالم يؤخذ به غيرهم وانهم ربما عوتبوا بأموهم صدرت منهم على سبيل التأويل فهم بسبب ذلك
 خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علومهم منصبهم ومعاصيهم بالنسبة الى كمال طاعتهم لانها
 ذنوب صك ذنوب غيرهم ومعاصيهم غيرهم فكان ما صدر منهم مع طهارتهم وزاھتهم

ومحاربة واطنهم بالوسى السماوى والنكر القدسى ومحاربة طواغيتهم بالعمل الصالح والخشية
 لله تعالى ذنوب بالنسبة الى احوالهم فقال لذلك على عادة المقربين فى استعظام الصغير من
 البسيئات وتحقير العظيم من الحسنات وقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة البقرة ومن جملة
 ذلك ان آدم انما أكل من الشجرة قبل النبوة (قال) الله تعالى (اهبطوا) أى آدم وحواء
 بما شتمتا عليه من ذريتهما ويدل لذلك قوله تعالى فى سورة طه اهبطا بضمير التثنية (بعضكم)
 أى بعض الذرية (لبعض عدو) أى من ظلم بعضهم بعضا وقيل يعود الضمير لآدم وحواء وابليس
 وقيل لآدم وحواء وابليس والحية وعلى هذين فالعداوة ثابتة بين آدم وابليس والحية
 وذرية كل واحد من آدم وابليس (ولكم فى الارض) أى بنفسها (مستقر) أى
 موضع استقرار (و) لكم فيها (متاع) أى تمتع (الى حين) أى انقضاء آجالكم وقيل الى انقطاع
 الدنيا وعن ثابت البناني رحمه الله تعالى لما هبط آدم وحضرته الوفاة أحاطت به الملائكة
 فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلى ملائكة ربى قائما أصابى الذى أصابى منك فلما
 نوى غسله الملائكة بسرنديب بماء وسدر وترأوا حنطته وكفنته فى وترى الثياب وحفروا له
 ولحدوه بسرنديب بأرض الهند وقالوا لنبية هذه سفتكم من بعده (قال) الله تعالى (فيها) أى
 الارض (تحيون) أى تعيشون أيام حياتكم (وفيها تموتون) أى وفيها وفاتكم وموضع
 قبوركم (ومنها تخرجون) أى يوم القيامة تخرجون للعشر والجزاء وقرأ ابن ذكوان وحجة
 والكسائى بفتح التاء وضم الراء والباقون بضم التاء وفتح الراء (يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا)
 أى خلقناه لكم بتدبيرات سماوية وأسباب نازلة من مطر ونحوه وتطهيره قوله تعالى وأنزل
 لكم من الانعام وقوله تعالى وأنزلنا الحديد وقيل كل بركات الارض منسوبة الى السماء
 (يواى) أى يستر (سواتكم) أى عوراتكم روى أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عمرة
 ويقولون لانطوف فى ثياب عصينا الله تعالى فيها وكان الرجال يطوفون بالنهار والنساء يطوفون
 بالليل عمرة قال قتادة كانت المرأة تطوف وتضع يدها على فرجها وتقول
 اليوم يبدو بعضه أو كله • وما بدامنه فلا أحله

فخرت قال البيضاوى وأعله سبحانه ذكر قصة آدم تقدمه لذلك حتى نعلم ان انكشاف العورة أقبل
 سوء أصاب الانسان من الشيطان وانه أغواهم فى ذلك كما أغوى أبويهم (وريشا) أى ولباسا
 تتجملون به والريش اللطائف معروف وهو لباسه وزينته كالثياب للانسان فاستعير للانسان لانه
 لباسه وزينته والمسمى وأنزلنا عليكم لباسا يواى سواتكم ولباسا لزينتكم لان الزينة غرض
 صحيح كما قال تعالى لتركبوها وزينة وقال تعالى ولهم فيها جمال وقال صلى الله عليه وسلم
 ان الله جميل يحب الجمال وقال ابن عباس وريشا أى مالا يقال تريش الرجل تمول ولما ذكر
 سبحانه وتعالى اللباس الحسى وقسمه الى ساتر وحزين أتبعه اللباس المعنوى فقال (ولباس
 التقوى) قال ابن عباس هو العمل الصالح ثم زاد الله تعالى فى تعظيم المعنوى بقوله (ذلك خير)
 أى ولباس التقوى هو خير من لباس الثياب لكونه أهم للباسين لان نزعه يكشف العورة الحسية

والمعنوية فلو تجمل الانسان بأحسن الملابس وهو غير متقى كان كاه سوات ولو كان متقيا وليس عليه الاخرقة ثوب ثواري عورته كان في غاية الجمال والكمال وأنشدوا في المعنى اذا أنت لم تلبس ثيابا من التقى * عريت وإن وارى القميص قميص وقال قتادة لباس التقوى هو الايمان وقال الحسن هو الحياء لانه يبعث على التقوى وقال عثمان ابن عفان رضي الله عنه هو السمت الحسن وقال ابن الزبير هو خشية الله تعالى والعمل الصالح يشمل هذه الامور كلها وقرأنا نافع وابن عامر والكسائي ينصب الحسين عطفاء على لباسا والباقرن بالرفع على الاستدوام والخبر ذلك خير (ذلك) أي انزال اللباس (من آيات الله) الدالة على فضله ورحمته (لعلهم يذكرون) فيعرفون نعمة الله فيتعظون ويتورعون عن القبائح وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقب ذكر بقا السوات وخصف الورق عليها اظهار الامنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة اظهار اواشع اربابان الستر باب عظيم من ابواب التقوى (يا آدم) أي الذي خلقته يدي ونفخت فيه من روحي ثم أسكنته جنقا وانزلته منها الى دار محنقى (لا يفتننكم) أي يضلنكم (الشيطان) أي البعيد المحترق بالذنوب أي لا تتبعه وفتنته واقمعهكم بذلك من دخول الجنة ويدخلكم النار (كلما أخرج أبوكم من الجنة) بفتنته بعد ان كان ساكنا وبعثها ووطنها ووقد علمتم ان الدفع أسهل من الرفع وقوله تعالى (ينزع عنهم اللباس) حال من أخرجكم أو من فاعل أخرج واغيا وأضاف نزع اللباس الى الشيطان وان لم يباشر ذلك لان نزع لباسهم بسبب وسوسة الشيطان وضروره فأسند اليه واختلفوا في اللباس الذي نزع عنهم فقال ابن عباس وقتادة كان لباسهما الطفر فلما أصابا المصيبة نزع عنهم ما بقيت الاطراف نذكرة وزينة ومنافع وقال وهب بن منبه كان ثورا يحول بينهما وبين النظر وتقدم بعض ذلك وقال مجاهد كان لباسهم ما التقوى وقيل كان لباسهما من ثياب الجنة قال بعض المفسرين وهذا أقرب لان اطلاق اللباس يطلق عليه وان النزع لا يكون الا بعد اللبس اه وتقدم الكلام على قوله (ليريهما سواتهما انه) أي الشيطان (يراكم هو وقبيله) أي جنوده وقال ابن عباس قبيله ولده وقال أبو زيد نسله وانما أعاد الكتابة في قوله هو ليعين العطف والقبيل جمع قبيلة وهي الجماعة المجتمعة التي يقابل بعضها بعضها (من حيث لا ترونهم) أي للطائفة أجسامهم أو عدم ألوانهم وعن ابن عباس انه قال ان الله تعالى جعلهم مجرون من ابن آدم مجرى الدم وجعل صدور بني آدم مباحا كن اهل الامن عصمه الله تعالى كما قال تعالى الذي يوسوس في صدور الناس فهم يرون بني آدم وبنو آدم لا يرونهم وعن مجاهد قال ابليس جعل لنا أربعة بصرى ولا يرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا قتي وعن ابن دينار ان عدواير الك ولا تراهم لشديد المؤنة الامن عصمه الله تعالى ومنع الرؤية اذا كانوا على خلقهم الاصلية ولا فقدان واعند تشكهم بصورة حيوان أو طير أو غير ذلك فالت للجن قوة التشكل وهذا أمر شائع ذائع وقد روي ابليس على صورة شيخ وعمل لكثير من العباد على صورة حية بل قال شيخنا القاضي زكريا والحق جواز رؤيتهم حتى من تلك الجهة

كما هو ظاهر الاحاديث الصحيحة وتكون الآية مخصوصة بها فيكونون مرشدين في بعض
 الاحيان لبعض الناس دون بعض (انا جعلنا الشياطين اولياء) أي اهل انا وقرناه (للذين
 لا يؤمنون) لما بينهم من التناسب في الطباع (واذا فعلوا فاحشة) كالشرك وطوافهم بالبيت
 حرة فنهوا عنه (قالوا) معطين لا يرتكبن اياها بأمر من أحد مما قولهم (وجدنا عليها) أي
 الفاحشة (آباءنا) فاقتدينا بهم والناس في قولهم (والله أمرنا بها) افتراء عليه سبحانه وتعالى
 فاحرض الله تعالى عن الاقل لظهور فسادهم ورد عن الثاني بقوله (قل) لهم يا محمد (ان الله لا يأمر
 بالفساد) لان محادثة سبحانه وتعالى بمرت على الامر بحسن الافعال والحث على مكارم الخصال
 (أتقولون على الله ما لا تعلمون) انه قاله فانكم لم تسمعوا كلام الله من غير واسطة ولا أخذوه
 عن الانبياء الذين هم وسائط بين الله وبين عباده وهو استفهام انصاري يتضمن النهي عن
 الافتراء على الله وقرأنا نافع وابن كثير وأبو عمرو يبدل الهمزة الثانية ياء في الوصل والباقيون
 بالتعقيق (قل) يا محمد لهؤلاء الذين يقولون ذلك (أمر ربى بالقسط) أي بالعدل وهو الوسيط من
 كلام المتجاني عن طرفي الافراط والتفريط وقال ابن عباس بلا اله الا الله (وأقيموا) أي وقل
 لهم أقيموا (وجوهكم) لله (عند كل مسجد) أي اخلصوا له سجودكم (فان قيل) قل أمر ربى خبر
 وأقيموا وجوهكم أمر وعطف الامر على الخبر لا يجوز (أجيب) بأن فيه اشعاراً وحذفاً تقديره
 قل أمر ربى بالقسط وقل أقيموا كما تقدم تقديره حذف قل لدلالة الكلام عليه وقيل معنى في
 الآية وجهوا وجوهكم حينئذ كنتم في الصلاة الى الكعبة وقيل معناه صلوا في أي مسجد
 حضرتمكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم (وادعوه) أي اعبدهم (مخلصين له
 الدين) أي الطاعة ولا تشركوا به شيئاً فان اليه مصيركم و (كابدكم) أي كما أنشأكم ابتداء
 (تهودون) أي يعيدكم احياء يوم القيامة حالة كونكم فريقين (فريقاً هدى) أي خلق الهداية
 في قلوبهم فحق لهم ثواب الهداية (وفريقاً حق) أي ثبت ووجب (عليهم الضلالة) أي عتقني
 القضاء السابق وقيل ان الله تعالى بدأ خلق بني آدم مؤمناً وكافراً كما قال تعالى هو الذي
 خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدكم يوم القيامة كما خلقكم كافرين ومؤمنين وقيل
 يعنون على ما كانوا عليه روى أنه صلى الله عليه وسلم قال يبعث كل عبد على مامات عليه المؤمن
 على ايمانه والكافر على كفره وقيل من ابتدأ الله خلقه على الشقوة صار اليها وان عمل
 أهل السعادة كما أن ابليس كان يعمل بعمل أهل السعادة ثم صار الى الشقاوة ومن ابتدأ الله
 خلقه على السعادة صار اليها وان عمل أهل الشقاوة كما أن السحرة كانوا يعملون عمل أهل
 الشقاوة فصارتوا الى السعادة روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان العبد يعمل فيما يرى الناس
 يعمل أهل الجنة وانه من أهل النار وانه لي عمل فيما يرى الناس يعمل أهل النار وانه من أهل
 الجنة وانما الاهمال بالخطواتهم واتصاب فريقاً بقوله يفسره ما بعده أي وخذل فريقاً وقوله تعالى
 (انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله) أي دونه تعطيل لحد لانهم وتحقق لضلالتهم
 (ويحسبون) أي يظنون (انهم) مع ضلالهم (معتدون) أي على هداية وحق وفيه دليل على ان

الكافر الذي يظن انه في دينه على الحق والجاحد والمعاد في الكفر سواء (يا بني آدم خذوا زينتكم) أي ما يستر العورة والتجمل عند الاجتماع للعبادة (عند كل مسجد) أي كلما صليتم أو طعمتم وكانوا يطوفون عراة وعن طأوس رحمه الله لم يأمرهم بالحرير والديباغ وإنما أحدهم كان يطوف عرباناً ويضع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لأنهم قالوا لا نعبد الله في ثياب أذنبا فيها وقيل تفاؤلاً ليعتبروا من الذنوب كما تعبروا من الثياب وقيل الزينة المشطوقيل الطيب والسنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئة للصلاة وكان بنو عاصم في أيام جهنم لا يأكلون الطعام الا قوتاً ولا يأكلون دسماً به ظمون بذلك جهنم فقال المسلمون فأنما أحق أن تفعل ففعل وقيل لهم (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) بتحريم الحلال أو بالتعري في الطواف أو بإفراط الطعام أو الشرب عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت واذرب ما شئت والبس ما شئت ما أخطأته خصلتان سرف ومخيلة وروى أن الرشيد كان له طيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علان علم الأبدان وعلم الأديان فقال له لقد جمع الله تعالى الطب كله في نصف آية من كتابه فقال وما هي قال قوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر عن نبيكم شيء في الطب فقال جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب في ألفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء فأعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم بل بالينوس طباً (أنه لا يجب المسرفين) أي لا يرتضى فعلهم في الآية الوعيد الشديد على الاسراف (قل) يا محمد لهؤلاء الجاهلة من الذين يطوفون بالبيت عراة (من حرم زينة الله التي أخرج لعباده) من الثياب كل ما يتجمل به قيدخل تحته أنواع الملبوس والحلي ولولا النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير للرجال لدخل في هذا العموم ولكن ورد النص في تحريمه على الرجال دون النساء (و) قل أيضاً لهؤلاء الجاهلة الذين كانوا لا يأكلون دسماً به ظمون بذلك جهنم من حرم (الطيبات من الرزق) التي أخرج لعباده وخلقه ألهم فيدخل تحت ذلك كل ما يستلذ ويستحب من سائر المطعومات الا ما ورد نص بتحريمه وقد دلت الآية على أن الأصل في الملابس وأنواع التجملات والمطاعم الاباحة الا ما ورد النص بخلافه لأن الاستفهام في من للانكار (قل هي) أي الزينة والطيبات (للذين آمنوا في الحياة الدنيا) أي بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها تتبع ولذا لم يقل تعالى للذين آمنوا وغيرهم (خالصة يوم القيامة) لا يشاركونهم فيها غيرهم وقرأنا فاعرف رفع التاء على أنها خبر بعد خبر والباقيون بالفتح على الحال (كذلك) أي مثل هذا التفصيل البديع (تفصل الآيات) أي بين احكامها وغيز بعض المشتبهات من بعض (لقوم يعلمون) أي يتدبرون فانهم المستفهمون بها (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يطوفون بالبيت عراة ويحرمون أكل الطيبات من الرزق وغير ذلك مما أحل الله تعالى (انما حرم ربي الفواحش) أي الكبائر والكبيرة ما توقع عليها يقولون أو غضب بخصوصها في الكتاب أو السنة غالباً كالزنا جامع فاحشة (ما ظهر منها وما بطن) أي جهرها وسرها وقرأ حزمة يسكون الياء والباقيون بفحها

(و) حرم (الانتم) أى الصغار وروهي ماعدا الكبار كالنظر الى بدن أجنبية (و) حرم (البغى) على الناس أى الظلم أو الكبر وأفرده بالذ كرمع انه من الكبار للمبالغة وقوله تعالى (بغير الحق) متعلق بالبغى مؤكده معنى (و) حرم (أن تشر كوا بالله ما لم ينزل به) أى بالاشراك (سلطانا) أى حجة وفى ذلك تم كتم بالشركين وتنبه على تحريم ما لم يدل عليه برهان وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف والباقون بالتشديد (و) حرم (أن تقولوا على الله ما لا تعلمون) فى تحريم ما لم يحرم وغيره (ولكل أمة أجل) أى وقت معلوم وفى ذلك وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل فى أجل معلوم عند الله كما نزل بالامم الماضية (فاذا جاء أجلهم) أى حان وقتهم (لا يستأخرون ساعة) عنه (ولا يستقدمون) ساعة علمه وانما ذكرت الساعة وان كان دونها كذلك لانها أقل اسم للاوقات فى العرف وذلك حين سألوا أنزل العذاب فأنزل الله تعالى هذه الآية وقرأ قالون والبرى وأبو عمرو وباسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وورش وقبله سلا الثانية وابدلاها حرف مد والباقون بالتحقيق فيه ما (يا بنى ادم اتما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما الزائدة (يا بنىكم رسل منكم) أى من نوعكم من عند ربكم (يقصون عليكم آياتي) أى يقرؤون عليكم كتابي وأدلة أحكامي وشرائعي التي شرعت لعبادي وجواب الشرط قوله تعالى (فإن اتى) الشرك ومخالفة رسل (واصلح) عمله الذى أمرته به رسله فعمل بطاعتي وتجنب معصيتي وما نهيت عنه (فلا خوف عليهم) حين يخاف غيرهم يوم القيامة من العذاب (ولاهم يحزنون) أى يتجدد لهم فى وقت ما حزن على شئ فاتهم لأن الله يعطيهم ما تقر به أعينهم (والذين كذبوا بآياتنا) أى جحدوها وكذبوا رسلنا (واستكبروا) أى تكبروا (عنها) أى عن الايمان بها لأن كل مكذب وكافر متكبر قال تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون (أولئك) هؤلاء البعداء البغضاء (أصحاب النار هم فيها خالدون) أى لا يخرجون منها أبدا وادخل الفاء فى خبر المبتدأ الاول دون خبر الثانى للمبالغة فى الوعد والمساخمة فى الوعيد (فإن) أى لا أحد (أظلم من افترى على الله كذبا) أى بنسبة الشرك والولاء اليه أو قال عليه ما لم يقله (أو كذب بآياته) أى القرآن (أو املك يئالهم) أى بصيهم (نصيهم) أى حظهم (من الكتاب) أى مما كتب لهم فى اللوح المحفوظ من الرزق والابل وغير ذلك (حتى اذا جاءتهم) أى هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب (رسلنا) أى ملك الموت واعوانه (يتوفونهم) بقبض أرواحهم عند استكمال أعمارهم وأرزاقهم وقوله تعالى (قالوا) جواب اذا أى قال الرسل لهم تكبينا وتو بضا وتقر بها (أين ما كنتم تدعون) أى تعبدون (من دون الله) أى غيره ادعوهم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم وقيل ان هذا يكون فى الآخرة أى اذا جاءتهم ملائكة العذاب يتوفونهم أى يستوفون عددهم عند حشرهم الى النار (قالوا) أى الكفار مجيبين للرسل (ضلوا) أى غابوا (عنا) وتر كونا عند حاجتنا اليهم فلم ينفعونا (وشهدوا على أنفسهم) أى بالغو فى الاعتراف عند الموت أو عند ما ينزل العذاب (انهم كانوا كافرين) أى جا حدين وحداية الله تعالى (قال) الله تعالى لهم يوم القيامة أو أحد من الملائكة (ادخلوا فى أم) أى فى جملة جماعات و فرق أم بعضها بهضا (قد خلت) أى مضت

وساقت (من قبلكم من الجنة والانس) أى كفار الامم الماضية من الفريقين وقوله تعالى
 (فى النار) متعلق بادخلوا (كلما دخلت أمة) أى جماعة النار (لأنتم أختها) أى التى ضاقت
 بالاقدياء بها (حتى اذا اذركوا) أى تلاحقوا واستقروا (فيها) أى النار (جميعا قالت أخرجهم)
 أى منزلة أو دخلوا وهم الاتباع (لأولاهم) أى لأجلهم وهم المتبعون اذا انطلقوا مع الله تعالى
 لا معهم (ربنا هؤلاء) أى الاولون (أضلونا) أى لانهم أول من سن الضلال وقرأ نافع وابن
 كثير وأبو عمر وبأبدال الهمز فى الثانية يا فى الوصل والباقون بالتحقيق (فأثمهم) أى أذقهم
 بسبب ذلك (هذا بأضعاف) أى يكون بقدر عذاب غيرهم مرتين لانهم ضلوا وأضلوا ومن سن سنة
 سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ومنه لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم
 الاقل كفل من دمها لانه أول من سن القتل ثم أكد واشدة العذاب بقولهم (من النار قال) الله
 تعالى (للكل) أى منكم ومنهم (ضعف) أى عذاب مضاعف أما القادة فكفرهم وتضليلهم
 وأما الاتباع فكفرهم وتقليد لهم (ولكن لا تعلمون) أى ما أهد الله تعالى لكل فريق من
 العذاب وقرأ شعبة يعلمون بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب (وقالت أولاهم) أى
 فى الكفر وهم القادة (لا أخرجهم) أى الاتباع (فما كان لكم علينا من فضل) أى لانكم لم تكفروا
 بسببنا فقد جاءكم الرسل والنذر فارجعتم عن ضلالكم وكفركم فحق وأنتم سواء قال الله
 تعالى لهم (فذوقوا العذاب بما) أى بسبب ما (كنتم تكسبون) أى من الكفر والاعمال الخبيثة
 (أن الذين كذبوا بآياتنا) أى بدلائل التوحيد فلم يصدقوا ولم يتبعوا رسلى (واستكبروا عنها) أى
 وتكبروا عن الايمان بهم والانقياد لها والعمل بمقتضاها (لا تنفع لهم أبواب السماء) لصعود
 أعمالهم ولالدعائهم ولالارواحهم ولانزول البركات عليهم لانهم اطهروا عن الارجاس الحسية
 والمعنوية فاذا صعدت ارواحهم الخبيثة بعد الموت مع ملائكة العذاب أغلقت الابواب دونها
 ثم أقيمت من هنالك الى جهنم بخلاف المؤمنين فيفتح لهم ويصعد بروحهم الى السماء السابعة كما ورد
 فى حديث وقرأ أبو عمرو وحزرة والكسائي بسكون الفاء وتخفيف التاء بعدها الآن أباعرو
 يقرأ بالتاء على التانيث وحزرة والكسائي بالياء على التذكير وقرأ الباقر بالتانيث وفتح
 الفاء وتشديد التاء بعدها (ولا يدخلون الجنة) أى القى هى أطهر المنازل وأشرفها (حتى) يكون
 ما لا يكون بان (يلج) أى يدخل (الجل) على كبره (فى سم الخطا) أى ثقب الابرة وهو غير ممكن
 فكذلك ادخلهم الجنة فهو تعليق على محال وعن ابن مسعود انه سئل عن الجمل فقال
 زوج الناقة استحبها للانسائل وإشارة الى أن طلبهم فى آخر تكلف (وكذلك) أى ومثل
 ذلك الجزاء بهذا العذاب وهو ان دخولهم الجنة محال عادة (نحزى المجرمين) أى الكافرين
 لانه تقدم من صفتهم انهم كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها وهذه صفة
 الكفار فوجب حمل لفظ المجرمين على أنهم الكفار وما بين تعالى أن الكفار لا يدخلون الجنة
 أبدا بين أنهم من أهل النار ووصف ما أهد الله لهم فيها فقال تعالى (لهم من جهنم مهاد) أى
 فراش وأصل المهاد والمهاد الذى يقعد عليه ويضطجع عليه كالسباط (ومن فوقهم غواش)

أى أغطية من النار جمع غاشية والتنوين فيه عوض عن الياء التى هى حرف علة وقيل عن
 حركتها (وكذلك تجزى الظالمين) خبر عنهم بالجر من تارة وبالظالمين أخرى اشعاراً بأنهم
 يتكذبونهم الآيات انصفوا بهذه الأوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم
 مع التعذيب بالنار تنبيها على أنه أعظم الاجرام وقوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات)
 مبتدأ وقوله تعالى (لأنكلف نفسا الاوسعها) أى طاقتهما من العمل اهتراس بينه وبين خبره
 وهو (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) وانما حسن وقوع ذلك بين المبتدأ والخبر لانه من
 جنس هذا الكلام لأن الله تعالى لما ذكر عملهم الصالح دل ذلك على أن ذلك العمل من وسعهم
 وطاقاتهم وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على أن الجنة مع عظم قدرها ومجدها يومئذ
 اليها بالعمل السهل من غير تحمل كلفة ولا مشقة صعبة وأتبع الوعيد بالوعد على عادته فقال تعالى
 (وزعنا ما فى صدورهم من غل) أى غش وعداوة كانت بينهم فى الدنيا فمن كان فى قلبه على أخيه
 غل فى الدنيا زرع فسلت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا التوادد والتعاطف وعن على رضى
 الله عنه انى لا رجوان أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال
 يخلص المؤمنون من النار فيجسسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض
 مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده
 لا أحدهم أهدى بمنزلة فى الجنة منه بمنزلة كان فى الدنيا وقال السدى فى هذه الآية ان أهل الجنة
 اذا سيقوا الى الجنة وجدوا عند بابها شجرة فى أصل ساقها عينان فشربوها من احدها ما نزع
 ما فى صدورهم من غل وهو الشراب الطهور واغتسلوا من الآخر فحرت عليهم بنصرة النعيم
 فلا يشعروا بعبدها أبداً وقيل ان درجات الجنة متفاوتة فى العلو والكمال فبعض
 أهل الجنة أعلى من بعض فأخرج الله تعالى الغل والحسد من صدورهم وأزاله عنهم وزعاه من
 قلوبهم فلا يحسد صاحب الدرجة النازلة صاحب الدرجة العالية (تجبرى من تحتهم الانهار)
 أى من تحت قصورهم زيادة فى لذتهم وسرورهم (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا) أى ان المؤمنين
 اذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذى وفقنا وأرشدنا للعمل الذى هدانا اليه وتفضل علينا به رحمة
 منه واحسانا وصرف عنا عذاب جهنم بفضل وكرمه فله الحمد على ذلك (وما كنا لنهتدى لولا أن
 هدانا الله) أى لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوصيد النفي وجواب لولا محذوف دل
 عليه قوله تعالى وما كنا لنهتدى وتقديره لولا هداية الله لنا وجودة لشقينا أو ما كنا مهتدين وقرأ
 ابن عامر بجذف الواو قبل ما والياقون بالواو واذا دخل أهل النعيم الجنة ورأوا ما أعد الله
 تعالى لهم من النعيم قالوا (لقد جاءت رحل ربنا بالحق) فاهدينا بأمرناهم يقولون ذلك سرورا
 واعتباطا بما نالوا وتلذذوا بالتكلم به وتبجها بأن ما علموه يقيننا فى الدنيا صار لهم عين اليقين
 فى الآخرة وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الهمزة والياء بالادغام
 (وفودوا) اذا راواهم من بعيد أو بعد دخولها والمنادى هو الله تعالى أو الملائكة ينادون بأمر
 الله تعالى (أن تارككم الجنة) التى كانت الرسل وعدكم بها فى الدنيا وروى أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى مناد ان لكم ان تحبوا فلا توفوا أبدا
 وان لكم ان تحبوا فلا تنقموا أبدا وان لكم ان تشبهوا فلا تهرموا أبدا وان لكم ان تنعموا
 فلا تناسوا أبدا فذلك قوله تعالى ونودوا أن تلهكم الجنة (أورثقوها) أى أعطيقوها
 (بما كنتم تعملون) أى بسبب أعمالكم الصالحة التى عملتموها لان الجنة جعلت جزاء وثوابا
 لكم على الاعمال الصالحة ولا يعارض هذا ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لن يدخل
 الجنة أحد بعمله انما يدخلونم ابرجة الله تعالى فان الباء فى الحديث للمعوض وهى الداخلة على
 الأعمان نحو شريت الفرس بألف فلا تكون الجنة مشهورة بمرآة له يعمل به فكون عمله غناها
 أو ان دخول الجنة بركة الله وافتتاح الدرجات بالاعمال أو ان العمل الصالح لن يناله المؤمن
 ولن يبلغه الا بركة الله وتوفيقه واذا كان العمل الصالح بسبب البركة كان دخول الجنة فى
 الحقيقة بركة الله وجعلها الله تعالى ثوابا وجزاء لهم على تلك الاعمال الصالحة التى عملوها فى
 دار الدنيا وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد الا وله منزل فى الجنة ومنزل
 فى النار أما الكافر فيرث المؤمن منزله من الجنة والمؤمن يرث الكافر منزله من النار وأن فى
 المواضع الخمسة التى فيها المتلذذة والتأذين هى المنفعة أو المفسدة لان المنادة والتأذين من
 القول وقرأنا فى ابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار التاء عند التاء والباقيون بالادغام
 (ونادى أصحاب أى اهل الجنة أصحاب أى اهل النار) أى تقول اهل الجنة يا اهل النار
 (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا أى فى الدنيا على لسان الرسل من الثواب على الايمان به وبرسله
 وطاعته) (حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم أى من العذاب على الكفر) (حقا قالوا) أى قال
 اهل النار مجيبين لاهل الجنة (نعم) وجدنا ذلك حقا وهذا النداء انما يكون بعد استقراء اهل
 الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار (فان قيل) الجنة فى السماء والنار فى الارض فكيف يصح
 أن يقع هذا النداء (أجيب) بأن الله قادر على أن يقوى الاصوات والاسماع فيصير البعيد
 كالقريب (فان قيل) هذا النداء من كل اهل الجنة لكل اهل النار ومن البعض للبعض
 (أجيب) بأن ظاهر الآية العموم ويحتمل أن كل واحد من اهل الجنة ينادى من كان يعرف
 من الكفار فى دار الدنيا والله أعلم بحقيقة ذلك وقرأ الكسافى بكسر العين والباءون بالفتح
 وهم الغتان (فأذن مؤذن) أى وهو اسرافيل صاحب الصور كما قاله ابن عباس وقيل واحد
 من الملائكة وأصل الاذان فى اللغة الاعلام والمعنى نادى مناد (بينهم) أى الفريقين
 أجمعهم (أن لعنت الله على الظالمين) وقرأ البزى وابن عامر وجزء والكسافى بتشديد أن
 ونصب التاء والباقيون بتخفيف أن ورفع التاء ثم فسر الظالمين منهم بقوله تعالى (الذين يصدون
 عن سبيل الله) أى يمنعون الناس عن الدخول فى دين الاسلام (ويغفونها) أى يطالبون السبيل
 (هو ج) أى معوجة قال ابن عباس يصلون لغفر الله ويعظمون مالم يعظمه الله والعوج بكسر
 العين فى الدين والامر وكل مالم يكن قائما وبالفتح فى كل ما كان قائما كالحائط والريح (وهم
 بالآخرة كافرون) أى يكون الآخرة واقعة باحدون منكرين لها (ويقيمها) أى اهل الجنة

وأهل النار (حجاب) لقوله تعالى فضرب بينهم بسوراً وبين الجنة والنار ليمنع وصول أثر
أحداهم إلى الأخرى (وعلى الأعراف) وهو سور الجنة جمع عرف وهو المكان المرتفع ومنه
عرف الديك لارتفاعه على ما سواه من جسده وقال السدي سمي ذلك السور أعرافاً لأن أصحابه
يعرفون الناس أي أهل الجنة والنار (رجال) أي طائفة من الموحدين استوت حسناتهم
وسميتهم كما في الحديث فقضيت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار
فوقوا هذا حتى يقضى الله تعالى فيهم ما يشاء ثم يدخلون الجنة بفضل الله تعالى ورحمته وهم
آخر من يدخل الجنة وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن
كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته
بواحدة دخل النار ثم قرأ قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت
موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ثم قال إن الميزان تحف بثقال حبة أو ترجيح قال ومن
استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف وقيل هم قوم خرجوا إلى الفوز وبغير إذن
آبائهم فقتلوا فأتوا من النار بقتلهم في سبيل الله وحسبوا عن الجنة بعصية آبائهم فهم
آخر من يدخل الجنة وقيل هم الذين ماتوا في الفترة ولم يبدلوا دينهم وقيل هم أطفال
المشركين (يعرفون) أي أصحاب الأعراف (كلاً) من أهل الجنة والنار (بسميائهم) أي
بعلاماتهم وهي بياض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين لرؤيتهم لهم أدم وضعهم عال
(ونادوا) أي ونادى أصحاب الأعراف (أصحاب الجنة أن سلام عليكم) إذا نظروا إليهم سلموا
عليهم (لم يدخلوها) أي أصحاب الأعراف الجنة (وهم يطعمون) في دخولها قال الحسن
لم يطعمهم إلا لكرامة يريد بها بهم وروى الحاكم عن حذيفة قال بينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك
فقال قوموا ادخلوا الجنة فقد غفرت لكم وقال مجاهد أصحاب الأعراف قوم صالحون فقهوا
علماء وعلى هذا إنما يكون لبثهم على الأعراف على سبيل التزكية وليرى غيرهم شرفهم وفضلهم
وحكى ابن الأنباري أنهم أنبياء وعلى هذا إنما أجلسهم على ذلك العالي تمييزاً لهم على أهل
القيامة وإظهاراً لفضلهم وعلو مرتبتهم وليكونوا مشرفين على أهل الجنة والنار ومطلعين على
أحوالهم ومقادير ثواب أهل الجنة وعقاب أهل النار وقال أبو مخنف هم ملائكة يرون في
صورة الرجال والأقوال الأولى تدل على أن أصحاب الأعراف دون أهل الجنة في الدرجات
وان كانوا يدخلون الجنة برحمة الله والأقوال الأخيرة تدل على أنهم أفضل من أهل الجنة لأنهم
أعلى منهم منزلة وأفضل (وإذا صرفت أبصارهم) أي أصحاب الأعراف (تلقاه) أي جهة
أصحاب النار فنظروا إليهم والحساد وجوههم وما هم فيه من العذاب (قالوا ربنا لا تجعلنا مع
القوم الظالمين) أي الكافرين في النار قال ابن عباس إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى
أصحاب النار وما هم فيه نضروا إلى الله تعالى وسألوه أن لا يجعلهم منهم وقرأ قالون وأبو عمرو
والبرقي بإسقاط الهمزة الأولى وأبدلها ورش وقتبل حرف مد ومهلاها والباقون بالتحقيق
(ونادى أصحاب الأعراف رجالاً) أي كانوا عظماء في الدنيا من أهل النار (يعرفونهم بسميائهم)

أى بسماء أهل النار (قالوا) أى أصحاب الاعراف لهؤلاء الذين عرفوهم فى النار (ما أغنى
عنكم جمعكم) أى ما كنتم تجدون معون من الاموال فى الدنيا أو كنتم تكم واجتماعكم فيها
(وما كنتم تستكبرون) أى وما أغنى عنكم تكبركم عن الايمان شيئاً قال الكلبي ينادونهم
على السور يا وليد بن المغيرة يا أباجهل بن هشام يا فلان ويا فلان ثم ينظرون الى الجنة فيرون فيها
الفقراء والضعفاء ممن كانوا يستهزئون بهم مثل سلمان الفارسي وخبيب وصهيب وبلال
وأشباههم فيقول أصحاب الاعراف لهؤلاء الكفار (أهؤلاء) لفظ استفهام أى هؤلاء
الضعفاء (الذين أقسمتم) أى حلفتم بالله (لا ينالهم الله برحمة) أى لا يدخلون الجنة وقد قيل لهم
(ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) وقيل أصحاب الاعراف اذا قالوا لأهل النار
ما قالوا قال لهم أهل النار ان دخل هؤلاء فانتم لم تدخلوها فيعبرونهم بذلك ويقولون أنهم
لا يدخلون الجنة ولا ينالهم الله برحمة فتقول الملائكة الذين حبسوا أهل الاعراف ادخلوا
الجنة برحمة الله لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون وهذا ظاهر على الاقوال الاول وقرأ أبو عمرو
وعاصم وحزرة بكسر تنوين رحمة فى الوصل وابن ذكوان بوجهين الضم والكسر والباقون
بالضم (وزادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء) أى صبوه وهو دليل على
أن الجنة فوق النار (أو يمارزكم الله) أى من سائر الاشربة لئلا تم الافاضة لان الافاضة
ملائمة للماء وسائر المائعات فملت الافاضة على افاضة جميع المائعات أو من سائر
المشروب والمأكل قول بعضهم أفيضوا ألقوا كقوله

عافتها بنا وما باردا • حتى غدت همالة عيناها

أى فائضة عيناها (قالوا) أى أهل الجنة يحسبون لهم (أن الله حرمهما) أى منعهما (على
الكافرين) أى منعهم طعام الجنة وشراها كما ينزع المكاف ما يحرم عليه ويحظر كقوله
• حرام على هينى أن تطعم الكرا • وقيل لما كانت شهواتهم فى الدنيا لذة الاكل والشرب
وعذبهم الله فى الآخرة بشدة الجوع والعطش فسألوا ما كانوا يعقدونه فى الدنيا من طلب
الاكل والشرب فأجيبوا بأن الله تعالى حرم طعام الجنة وشراها على الكافرين ثم وصف الله
تعالى الكافرين بقوله (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبة) وهو ما زين لهم الشيطان من تحريم
البصرة والتصدية حول البيت وسائر الخصال الذميمة التى كانوا يفعلونها فى الجاهلية وقيل كانوا
إذا دعوا الى الايمان هزوا عن دعاهم وهزوا به والله هو صرف الهيم بما لا يحسن أن يصرف
له واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به (وغرتهم الحياة الدنيا) أى وخذعهم عاجل
ماهم فيه من رغد العيش والدعة وشغلهم ماهم فيه من ذلك عن الايمان بالله ورسوله ومن الاخذ
بنصيهم فى الآخرة حتى أتتهم المنية وهم على ذلك والفرقة غفلة فى البقطة وهو طمع الانسان فى
طول العمر وحسن العيش وكثرة المال وقيل الجاهل ونيل الشهوات فاذا حصل له ذلك صار محجوباً
عن الدين وطلب الخلاص لانه غريق فى الدنيا بلذاته وما هو فيه من ذلك ولما وصفهم الله تعالى
بهذه الصفات الذميمة قال (قال يوم) أى يوم القيامة (نساهم) أى تركهم فى النار وضرهم

عنهم فلا تجيب دعاءهم ولا ترحم ضعفهم (كما نسوا لقاء يومهم هذا) أى كآثر كوا العمل للقاء
 يومهم هذا كفعل الناس فلم يحطروا بالهم ولم يمتقوا له وأعرضوا عن الإيمان فقابل الله تعالى
 جزاء نسيانهم بالنسيان على الجاهل لأن الله تعالى لا يفسى شيئا فهو كقوله تعالى وجزا سبعة سبعة
 مثلها (وما كانوا يأتنا يجحدون) أى وما كانوا منكرين أنهم آمن عند الله تعالى (ولقد
 جنتناهم) أى هؤلاء الكفار (بكتاب) أى قرآن أنزلناه عليك يا محمد (فصلناه) أى بينا معانيه
 من العقائد والاحكام والمواظف مفصلة (على علم) أى عالين وجه تفصيله وقوله تعالى (هدى
 ورحمة لقوم يؤمنون) أى به حال من منصوب فصلناه كما أن على علم حال من مرفوعه (هل
 ينظرون) أى ما ينظرون (إلا تأويله) أى الاعاقبة أمره وما يؤل إليه من تبين صدقه وظهور صحة
 ما نطق به من الوعد والوعيد (يوم يأتى تأويله) أى يوم القيامة لأنه يوم الجزاء (يقول الذين
 نسوه من قبل) أى تركوه ترك الناس (قد جاءت رسلنا بالحق) أى قد تبين لهم واعترفوا يوم
 القيامة بأن ما جاءت به الرسل من الإيمان والحشر والتشر والبعث والثواب والعقاب حق حين
 لا يتفهم ذلك الاعتراف * ولما رأوا أنفسهم فى العذاب قالوا (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا)
 اليوم (أو نرد) أى أو هل نرد إلى الدنيا وقولهم (ففعل غير الذى كنا نعمل) فيما قبل الكفر
 بالإيمان والتوحيد والمعاصى بالطاعة والانبابة جواب الاستفهام الثانى (قد خسروا أنفسهم)
 أى اذ صاروا إلى الهلاك لأنهم كانوا فى الدنيا أول مرة فلم يعملوا بطاعة الله ولوردوا إلى الدنيا
 لاعدوا إلى ما كانوا عليه من الكفر والعصيان لسابق علم الله فهم (وضل) أى ذهب (عنهم
 ما كانوا يفكرون) أى من دعوى الشريك فلم يتفهمهم (أن ربكم) أى سيدكم ومولاكم ومصلح
 أموركم وموصل الخيرات إليكم ودافع المكروه عنكم هو (الله الذى خلق السموات
 والأرض) أى ابتدعهما وأنشأ خلقهما على غير مثال سبق (فى ستة أيام) أى من أيام الدنيا
 وقيل من أيام الآخرة كل يوم ألف سنة (فان قيل) اليوم من أيام الدنيا عبارة عن مقدار من
 الزمان وذلك المقدار من طلوع الشمس إلى غروبها ولم يكن اذئذ الشمس ولا قرولا سما (أجيب)
 بأن معنى ذلك فى مقدار ستة أيام فهو كقوله تعالى لهم رزقهم فيها بكرى وعشيا أى على مقادير
 البكر والعشى فى الدنيا لان الجنة لا ليل فيها ولا نهار قال سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادرا
 على خلق السموات والأرض فى لحظة فخلقهن فى ستة أيام تعليم خلقه الثبوت والتأنى
 فى الامور وقد جاء فى الحديث الثانى من الله والمجلى من الشيطان واختلاف العلماء فى اليوم
 الذى ابتداء الله خلق الاشياء فيه فقيل هو يوم السبت لخبر مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال
 أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يبدى فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم
 الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المذكر يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها
 الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق فى آخر ساعة من النهار
 وفيما بين العصر إلى الليل وقيل يوم الاحد لقول بعضهم سمى يوم الاثنين لأنه ثانى الايام
 والخميس لأنه خامس الايام قال الاسنوى والصواب الاول للخبر المذكور (ثم استوى على

(العرش) أى استوى أمره وقال أهل السنة الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب
 الايمان به ونسكل فيه العلم الى الله تعالى والمعنى أن له سبحانه وتعالى استواء على العرش على الوجه
 الذى عناء منزه عن الاستقرار والتمكن وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله تعالى الرحمن على
 العرش استوى فأطرق رأسه ملياً وعلاه الرضاء ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير
 معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أظنك الاضالا ثم أمر به فأخرج وروى
 من سفيان الثوري والاوزاعي والليث بن سعد وغيرهم من علماء السنة فى هذه الآيات التى
 جاءت فى الصفات المتشابهة أمرؤها كما جاءت أقرؤها بلا كيف واجماع السلف منعقد على أن
 لا يزيدوا على قراءة الآية والعرش فى اللغة السرير قال كعب ابن السعوى فى العرش
 كالقنديل معلق بين السماء والارض وقال الطائى العرش يا قوتة جبراء وشذ قوم فقالوا
 العرش بمعنى الملك وهذا عدول عن الحقيقة الى التجوز مع مخالفة الاثر لم يسمعوا قوله تعالى
 وكان عرشه على الماء أترام كان الملك على الماء وكيف يكون الملك يا قوتة جبراء وبعضهم يقول
 استوى بمعنى استولى ويحجج بقول الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهران

وقال آخر هما استويا بفضاهما جيعا * على عرش الملوك بغير زور

وهذا منكر عند أهل اللغة قال ابن الاعراب لا يعرف استولى فلان على كذا الا اذا كان
 بعيدا منه غير ممكن منه ثم تمكن منه والله تعالى لم يزل مستوليا على الاشياء والبيتان قال ابن
 فارس اللغوى لا يعرف قائلهما ولو صح الا حجة فيهما لما ينما من استيلاء من لم يكن مستويا ما نعوذ
 بالله من تعطيل الملهدة وتشبيه المجسمة وقيل هو ما علا فأطل ومنه عرش الكرم (يغشى الليل
 النهار) أى يغطيه ولم يذكر عكسه اما للعلم به واما لان اللفظ يحتملها بما بأن يكون المعنى بأنه يلحق
 الليل بالنهار والنهار بالليل وقر أشعبة وحزة والكسافى بفتح الغين وتشديد الشين والباقون
 يسكون الغين وتخفيف الشين (يطلبه) أى يطلب كل منهما الاخر طلبا (حشيشا) أى سريعا فهو
 صفة مصدر محذوف ويحتمل أن يكون حالا من النساء على معنى حانا أو المفعول بمعنى المحفوث
 (والشمس والقمر والنجوم مسخرات) أى مذلات لما يراى منهن من طلوع وأقول وسير على
 حسب ارادة المدبراهن (بأمره) أى بقضائه وتصريفه وقرأ ابن عامر برفع الاربعة على الابتداء
 والخبر والباقون بالنصب عطف على السموات ومسخرات منصوب بالكسرة (ألا اله الا خلق)
 جميعا (والامر) كانه فانه الموجد والمتصرف فى ذلك وفى هذا رد على من يقول ان الشمس والقمر
 والكواكب تخلق له الامر المطلق وايس لاحد أمر غيره فهو الامر والنهى الذى يفعل
 ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد من خلقه عليه واستخرج سفيان بن عيينة من هذا ان
 كلام الله تعالى ايس بخلق فقال ان الله تعالى فرق بين الخلق والامر فمن جمع بينهما فقد كفر أى
 ان جعل الامر وهو كلامه من جملة ما خلقه فهو كفر لان الخلق لا يقوم الا بخلق (تبارك الله رب
 العالمين) أى تعالى بالوحدانية وقهظهم بالتفرد فى الربوبية قال البيضاوى وتحقيق الآية والله

أعلم أن الكفرة كانوا متخذين أربابا فيبين الله تعالى لهم أن المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لأنه الذي له الخلق والأمر فأنه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم قابع في الأفلاك ثم زينها بالكواكب كما أشار إليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين وعد إلى إيجاد الأجرام السفلية فخلق جسماتها بالصور المتبدلة والهيات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والأفعال وأشار إليه بقوله تعالى خلق الأرض في يومين أي ما في جهة السفلى في يومين ثم أنشأ أنواع المواليد الثلاثة أي وهي النبات والحيوان والمعدن بتركيب موادها أولا وتصويرها ثانيا كما قال تعالى بعد قوله خلق الأرض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام أي مع اليومين الأولين اللذين خلق فيهما السموات لقوله تعالى في سورة السجدة الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم لم يتله عالم الملك محمد إلى تدبيره كالمالك الجالس على عرشه لتدبير المملكة قدبر الأمر من السماء إلى الأرض بتحريك الأفلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليل إلى الأيام ثم صرح بما هو نتيجة ذلك فقال أله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ثم أمرهم أن يدعوه متذللين مخلصين بقوله تعالى (ادعوا ربكم) لأن الدعاء هو السؤال والطلب وهو نوع من أنواع العبادة لأن الداعي لا يقدم على الدعاء إلا إذا عرف من نفسه الحاجة إلى ذلك المطلوب وهو عاجز عن تحصيله وعرف أن ربه سبحانه وتعالى يسمع الدعاء ويعلم حاجته وهو قادر على إيصالها إلى الداعي فعند ذلك يعرف العبد نفسه بالجزء والنقص ويعرف ربه بالقُدرة والكمال وهو المراد من قوله تعالى (تضرعاً) أي ادعوا ربكم تذلاً واستكانة وهو ظاهر الدل في النفس والخشوع يقال ضرع فلان لفلان إذا ذل له وخشع (وخفية) أي سراً في أنفسكم وهو ضد العلانية والادب في الدعاء أن يكون خفياً لهذه الآية وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني النضير يهودي بالكوفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس اربعوا على أنفسكم انكم لا تدعون أصم ولا غائباً انكم تدعون سميعاً بصيراً وهو معكم قال أبو موسى وأنا خلقه أقول لأحول ولا قوة إلا بالله في نفسي فقال يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قلت بلى قال لأحول ولا قوة إلا بالله وقال الحسن بن دعوة السر والجهر سبعون ضعفاً ولقد كان المسلمون يجهدون في الدعاء لا يسمع لهم صوت إن كان الأهمسائينهم وبين ربهم وذلك أن الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعاً وخفية فإن الله تعالى أثنى على ذكره عليه الصلاة والسلام فقال إذا نادى ربه نداه خفياً وعن الحسن أيضاً أن الله يعلم التقي والدعاء الخفي أن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر الناس به وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة وعند الزوار وما يشعرون به ولقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدر أن يفعلوه في السر فيكون علانية أبداً (أنه) تعالى (لا يحب المعتدين) أي المهاجرين ما أمروا به في الدعاء وغيره منه به على أن الداعي ينبغي له أن لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الأنبياء عليهم الصلاة

والسلام والصعود الى السماء روى أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم اني أسألك القصر
الايض عن عيين الجنة اذا دخلتها فقال يا بني أسأل الله الجنة وتعوذ به من النار فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في هذه الآفة قوم يعتدون في الطهور والدعاء
وقيل أراد به الاعتداء في الجهر قال ابن جريج من الاعتداء رفع الصوت والتدعاء بالدعاء
والصباح وعنه صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم
اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل
ثم قرأ انه لا يحب المعتدين (ولا تفسدوا في الارض) أي بالشرك والمعاصي (بعد اصلاحها)
أي بيعت الرسل وشرع الاحكام وقيل لا تفسدوا في الارض فليسك الله المطر ويهلك الحرث
بمعاصيكم وعلى هذا فمعنى قوله تعالى بعد اصلاحها أي بعد اصلاح الله تعالى اياها بالمطر
والخصب (وادعوه خوفا) منه ومن عذابه (وطمعا) أي فيما عنده من مغفرته ونوابه وقال
ابن جريج خوف العدل وطمع الفضل (ان رحمت الله قريب من المحسنين) أي المطيعين وفي
ذلك ترجيح الطمع وتنبية على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب المخبر به عن رحمة لاضافتها
الى الله تعالى وقال سعيد بن جبيرة الرحمة ههنا الثواب فرجع النعت الى المعنى دون اللفظ وقيل
ان تأنيث الرحمة ليس بتحقيق وما كان كذلك جاز فيه التذكير والتأنيث عند أهل اللغة وقيل
ذكره للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره حيث يجب التأنيث في الاول فيقال
فيه فلانة قريبة مني ويجوز في الثاني فيقال فلانة قريبة وقريب مني في المكان وكون الرحمة
قريبا من المحسنين لان الانسان في كل ساعة من الساعات في اديار من الدنيا واقبال على
الآخرة واذا كان كذلك كان الموت اقرب اليه من الحياة وليس بينهم وبين رحمة الله التي هي
الثواب في الآخرة الا الموت وهو قريب من الانسان * (فائدة) * رحمة الله يكتب بالياء
المجرورة فوق عليها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالهاء والباقون بالياء وأما الهاء الكسائي
في الوقف وقوله تعالى (وهو الذي يرسل الرياح) عطف على ما قبله والمعنى ان ربكم الله الذي
خلق السموات والارض وهو الذي يرسل الرياح وقرأ ابن كثير وحجزة والكسائي بالتوحيد
والباقون بالجمع (نشر ايدي رحمة) أي متفرقة قدام المطر الذي هو من أجل النعم وأحسنها
أثر وقرأ عاصم بالياء الموحدة وسكون الشين أي مبشرا وحجزة والكسائي بانون مفتوحة
وسكون الشين على انه مصدر في موضع الحال بمعنى ناشرات أو مفعول مطلق فان الارسال
والنشر متقاربان وابن عامر بالنون مضمومة وسكون الشين تخفيفا والباقون بضم النون
والشين جمع نشور بمعنى ناشر (حتى اذا أقلت) أي حلت الرياح (سحابا ثقالا) أي بالمطر يقال
أقل فلان الشيء اذا حمله واشتقاق الاقلال من القلة فان من يرفع شيئا يراه قليلا (سقناه) أي
السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ وفيه التفات عن الغيبة ولو جعل على المعنى كالثقال لانت
كما لو جعل على اللفظ على الوصف لقيل ثقيل ثقيل والسحاب جمع سحابة وهو الغيم فيه ماء أو لم يكن فيه
ماء سمى سحابة لان سحابه في الهواء قال السدي ان الله سبحانه وتعالى يرسل الرياح فتأتي

بالسحاب من بين الخافقين وهما طرفا السماء والارض حيث يلتقيان فتخرجه ثم تنشره فتبسطه
 في السماء كما يشاء ثم تفتح له أبواب السماء فيسيل الماء على السحاب ثم يطر السحاب به ذلك (بلبلد
 ميت) لا نبات فيه أي لا حيائه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة بتخفيف الياء والباقون بالتشديد
 (فانزلناه) أي بالبلد أو بالسحاب (الماء فأخرجناه) أي بذلك الماء لان انزال الماء كان حينا
 لاخراج الثمرات (من كل الثمرات) أي من كل أنواعها قال الازهرى قال الليث بن سعد رحمه
 الله تعالى البلد هو كل موضع من الارض عامرا وغير عامر خال أو مسكون والطائفة منها بلدة
 والجمع بلاد (كذلك) أي مثل هذا الاخراج (يخرج الموق) أي حيا من قبورهم بعد فنائهم ودرس
 آثارهم (لعلكم تذكرون) أي لكي نقتبروا وتذكروا والخطاب للذكرى البعث يقول أنكم
 شاهدتم الاشجار وهي من هرة موروقة ممتدة في أيام الربيع والصيف ثم أنكم شاهدتموها يابسة
 عارية من تلك الاوراق والثمار ثم إن الله أحياها مرة أخرى فالتقادر على احيائها بعد موتها
 قادر على أن يحيي الاجساد بعد موتها قال أبو هريرة وابن عباس رضي الله تعالى عنهم إذا مات
 الناس كلهم في النفخة الاولى أرسل الله تعالى عليهم مطرا من ماء تحت العرش
 فينبثون في قبورهم نبات الزرع حتى إذا استكملت أجسادهم نفخ فيها الروح ثم يلقى عليهم
 نومة فينامون في قبورهم ثم يحشرون بالنفخة الثانية وهم يجدون طم النوم في رؤسهم وأعينهم
 فعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقرأ حفص وحزرة والكسائي بتخفيف الذال
 والباقون بالتشديد (والبلد الطيب) أي والارض الكريمة التربة السهلة السحبة (يخرج نباته
 باذن ربه) أي بمشيئته وتيسيره عبره عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانها وقعت
 في مقابلة (والذي خبت) أي والبلد الذي خبت أرضه فهي سجة (لا يخرج) نباته (الانكدا)
 أي عسرا بمشقة وكلفة قال المفسرون وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر فشبه المؤمن
 بالارض الطيبة وشبه نزول القرآن على قلبه بنزول المطر على الارض الطيبة فاذا نزل المطر عليها
 أخرجت أنواع الازهار والاثمار فكذلك المؤمن اذا سمع القرآن آمن به وانتفع به وظهر منه
 الطاعات والعبادات وأنواع الاخلاق الحيدة وشبه الكافر بالارض الرديئة الغليظة السجة
 التي لا ينتفع بها وان أصابها المطر فكذلك الكافر اذا سمع القرآن لا ينتفع به ولا يصدق ولا يزيد
 الاعتقاد وكفرا وان عمل الكافر حسنة في الدنيا كانت بمشقة وكلفة ولا ينتفع بها في الآخرة وقيل
 هو مثل ضربه الله تعالى لآدم وذرية كلهم منهم طيب ومنهم خبيث (كذلك) أي كما بينا ما ذكر
 (نصرف) أي نبين (الآيات) الدالة على التوحيد والايان آية بعد آية ووجه بعد حجة (نقوم
 يشكرون) نعمة الله تعالى فينتفكرون فيها ويعتبرون بها وانما خص الشاكرين بالذكر لانهم هم
 الذين ينتفعون بسماع القرآن ولما ذكر الله تعالى في الآيات المتقدمة دلائل آثار قدرته الدالة
 على توحيده وربوبيته وأقام الأدلة القاطعة على صحة البعث بعد الموت اتبع ذلك بقصص
 الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما جرى لهم مع أعدائهم فقال (لقد) جواب قسم محذوف تقديره
 والله لقد (أرسلنا نوحا) عليه السلام (الى قومه) ولما تكاد تطلق هذه اللام الامع قد لانها مظنة

التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح هو ابن ملك بن متوشلح بن أخنوخ وهو ادريس عليه السلام وهو أول نبي بعثه الله تعالى بعد ادريس وكان نجارا بعثه الله تعالى الى قومه وهو ابن خمسين سنة وقال ابن عباس رضي الله عنهما وهو ابن أربعين سنة وقيل وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة وقال ابن عباس سمى نوحا لكثرة ما نوح على نفسه واختلقوا في سبب نوحه فقال بعضهم لدعوتهم على قومه بالهلاك وقيل لمراجعته ربه في شأن ابنه كنعان وقيل لانه مرتكب كذب مجذوم فقال له اخسأ يا قبيح فأوحى الله تعالى اليه أعبتني أو أعبت الكلب وفي ذكر القصة تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن اعراض قومه عن قبول الحق فقط بل قد اعرض عنه غالب الامم الخالية والقرون الماضية وفيه تنبيه على ان عاقبة أولئك الذين كذبوا الرسل كانت للخسار والهلاك في الدنيا والآخرة والعذاب الاليم فن كذب محمد صلى الله عليه وسلم من قومه كانت عاقبته مثل أولئك الذين خلوا من قبلهم من الامم المكذبة وفيه دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يلق أحدا من علماء زمانه وقد أتى بمثل هذه القصص والاخبار عن القرون الماضية والامم الخالية مما لم ينكره عليه أحد فعلم بذلك أنه انما أتى من عند الله وأنه أوحى اليه بذلك فكان ذلك دليلا واضحا وبرهانا قاطعا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم (فقال) نوح حال ارساله لقومه (يا قوم اعبدوا الله) أي اعبدوه وحده لقوله تعالى (ما لكم من آله غيره) قاته الذي يستحق العبادة لا غيره وقرأ الكسائي بكسر الراء والهاء على أنه صفة لاله والباقون برفعهم على البدل من محله (أني أخاف عليكم) ان لم تقبلوا ما أمركم به من عبادة الله تعالى واتباع أمره وطاعته (عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة أو يوم نزول الطوفان واهلاكهم فيه وقال اخاف على الشك وان كان يقينا من حلول العذاب بهم ان لم يؤمنوا به لانه لم يعلم وقت نزول العذاب بهم أي عاجلهم أم يتأخر عنهم العذاب الى يوم القيامة وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمر وشعيب الباقون بالسكون (قال الملا من قومه) أي الاشراف منهم فانهم يملكون العيون منظرا (ان الله في ضلال) أي خطأ وزوال عن الحق (مبين) أي بين (قال) نوح محسبا لهم (يا قوم ليس بي ضلالة) أي ليس بي شيء مما تظنون من الضلال (فان قيل) لم يقل ليس بي ضلال كما قالوا (أجيب) بأن الضلالة أخص من الضلال فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه كما لو قيل ألك عرق قلت مالي غرة ففسد بالغ في النفي كما بالغوا في الاثبات وقوله تعالى (ولكني رسول من رب العالمين) استدرال باعتبار ما يلزمه وهو كونه كانه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول الله (أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم) والنصح ارادة الخير لغيره كما يريد لنفسه ويقال نصحتة ونصحت له كما يقال شكرته وشكرت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على المحاض النصيحة وانما وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبها لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فتقصد للنفعين جميعا ولا نصيحة أمحض من نصيحة الله ورسوله وقيل حقيقة النصع تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه وقال بعض المفسرين والفرق بين ابلاغ نصيحة الرسالة وبين النصيحة

هو أن تبليغ الرسالة أن يعلمهم جميع أو أمر الله تعالى ونواهيهِ وجميع أنواع التكليف التي أوجبها الله تعالى عليهم وأما النصيحة فهي أن يرغبهم في قبول تلك الأوامر والنواهي والعبادات ويحذرهم عقابه إن عصوه وقرأ أبو عمرو وبسكون الباء وتخفيف اللام من الإبلاغ كقوله تعالى لقد أبليغكم رسالات ربي وقرأ الباقون بفتح الباء وتشديد اللام من التبليغ كقوله تعالى بلغ ما أنزل إليك من ربك (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أي من صفات الله وأحوال قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه وإن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين وقوله تعالى (أوعجبتم) الهمزة للأنكار والواو للعطف على محذوف أي كذبتم وعجبتم (ان جاءكم) أي من أن جاءكم (ذكر) أي موعظة (من ربكم على رجل) أي على لسان رجل (منكم) أي من جنسكم أو من جلتكم تعرفون نسبه وذلك أنهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ما سمعنا به ذا في آياتنا الأولى يعنون إرسال البشر ولو شاء ربنا لازلنا نزل ملائكة (ليذكركم) أي لاجل أن يذكركم عاقبة الكفر والمعاصي (ولتتقوا) أي ولاجل أن تتقوا الله (وأعلمكم ترجون) بالتقوى أن وجدت منكم لأن المقصود من إرسال الرسل الإنذار والمقصود من الإنذار التقوى عن كل ما لا ينبغي والمقصود بالتقوى الفوز بالرحمة في الدار الآخرة وفائدة حرف الترخي التنبه على أن التقوى غير موجبة والرحمة من الله تعالى محض تفضيل وإن المتقي ينبغي أن لا يعتقد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله (فكذبوه) أي نوحاً (فأنجيناهم والذين آمنوا به) من الغرق وكانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة وقبل تسعة بنوه الثلاثة سام وحام ويافت وستة من آمن به وقوله تعالى (في الفلك) متعلق بعه كانه قيل والذين آمنوا به في الفلك أو صحبوه في الفلك أو بأنجيناهم أي أنجيناهم في السفينة من الطوفان (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (انهم كانوا قوماً عَمِينَ) أي عمى القلوب عن الحق غير مستبصرين يقال رجل عم في البصيرة وأعمى في البصر وأنشدوا قول زهير

وأعلم علم اليوم والامس قبله • ولاكنني عن علم ما في غد عم

(والى عاد) أي وأرسلنا إلى عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهي عاد الأولى (أخاهم) (هودا) أي أخاهم في النسب لافي الدين وهو هود بن عبد الله بن رياح بن الخلود بن عاد بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح وقيل هو ابن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام واختلف في سبب الاخوة من أين حصلت على وجهين الأول قال الزجاج انه كان من بني آدم ومن جنسهم لأم الملائكة ويكنى هذا القدر في تسمية الاخوة والمعنى أنا أرسلنا إلى عادوا واحداً من جنسهم من البشر ليكون القهم والانس بكلامه أتم وأكمل ولم يبعث اليهم من غير جنسهم مثل الملك والجن والوجه الثاني أن أخاهم بمعنى صاحبهم والعرب تسمى صاحب القوم أخاهم وكانت منازل عاد بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل الذي عند عمان وحضر موت (قال يا قوم اعبدوا الله) أي وحدود ولا تجعلوا معه الها آخر (مالكم من الله غيره) (فان قيل) لم يحذف العاطف من قوله قال ولم يقل فقال كما في قصة نوح (أجيب) بأن هذا على تقدير سؤال

سائل قال فما قال لهم هو دقل قال يا قوم وقيل ان نوحا كان مواظبا على دعوته قومه غير
متوان فيها لان الفاء تدل على التعقيب واما هو فلم يكن كذلك بل كان دون نوح في المبالغة
في الدعاء فآخبر الله تعالى عنه بقوله قال يا قوم اعبدوا الله ما لکم من اله غيره (أفلا تتقون)
الله أى أفلا تتخافون عقابه فتؤمنون ولما كانت هذه القصة معطوفة على قصة نوح وقد علم ما حل
بهم من الفرق حسن قوله هنا أفلا تتقون أى أفلا تتخافون ما نزل بهم من العذاب ولما لم يكن
قبل واقعة قوم نوح شئ حسن تخويفهم من العذاب فقال هناك انى أخاف عليكم عذاب يوم
عظيم (قال الملا الذين كفروا من قومه انالترک فی سفاهة) أى فى حق وجهالة وضلالة عن
الصواب (فان قيل) لم قال قوم نوح انالترک فى ضلال مبين وقوم هو انالترک فى سفاهة
(أجيب) بأن نوحا لما خوف قومه بالطوفان وطفق فى عمل السفينة فى أرض ليس فيه امن الماء
شئ قال له قومه انالترک فى ضلال مبين حيث تتعب فى اصلاح سفينة فى هذه الأرض واما هو
عليه السلام لما زيف عبادة الاصنام ونسب من عبدها الى السفه وهو قوله العقل فاباؤه بمثله
فقالوا انالترک فى سفاهة (وانالظنک من الکاذبین) أى فى ادعائك انک رسول من رب العالمين
(قال) هو دلهمؤلاء الملا الذين نسبوه الى السفه (يا قوم ليس بى سفاهة) أى ليس الامر كما تزعمون
ان بى سفاهة (واما كفى رسول من رب العالمين أبلغکم رسالات ربى) أى أودى اليکم ما أرسلنى
به من أوامره ونواهيه وشرائعه وتكاليفه (وانالکم ناصح) أى فيما أمرکم به من عبادة الله
تعالى (أمين) أى مأمون على تبليغ الرسالة وأداء النصع والامین الثقة على ما ائتمن عليه
(فان قيل) لم قال نوح وأنصح لکم بصیغة الفعل وقال هو دوا نالکم ناصح بصیغة اسم الفاعل
(أجيب) بأن صیغة الفعل تدل على تجدد ساعة بعد ساعة وكان نوح يدعو قومه ليلا
ونهارا كما أخبر الله تعالى عنه بقوله رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلما كان ذلك من عادته
ذکره بصیغة الفعل فقال وأنصح لکم واما هو فلم يكن كذلك بل كان يدعوهم وقتادون
وقت فلهذا قال وانالکم ناصح أمين (فان قيل) مدح الذات بأعظم صفات المدح غير لائق
بالعقلاء (أجيب) بأنه فعل هو ذلك لانه كان يجب عليه اعلام قومه بذلك ومقصوده الرد عليهم
فى قولهم وانالظنک من الکاذبین فوصف نفسه بالأمانة وانه أمين فى تبليغ ما أرسل به من
هنا الله وفيه دليل على جواز مدح الانسان نفسه فى موضع الضرورة الى مدحها (أوعجبتم ان
جاءکم ذکر من ربکم على رجل منکم لينذرکم) سبق تفسيره (تنبيه) فى اجابة الانبياء
الکفرة عن کلماتهم الحقاء بما أجابوا والاعراض عن مقالتهم کمال النصع والشفقة وهضم
النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح (واذ کروا) نعمة الله علیکم (اذ جعلکم
خلفاء من بعد قوم نوح) أى خلفتموهم فى الارض أو جعلکم ملوکا فى الارض فان شداد بن
عاد عن ملکهم مورة الارض من رمل عاج وهو موضع بالبادية بهار مل الى شحر عمان وهو بضم
الشين المججمة وكسر ها وبالحاء المهمل ساحل البحر بين عمان وعدن (وزاد کم فى الخلق بسطة)
أى طولاً وقوة قال الجلال المحلى فى سورة الفجر كان طول الطويل منهم أربع مائة ذراع وقامة

القصيرتين ذراعا وقال أبو حمزة البجلي سبعون ذراعا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما غنونا
 ذراعا وقال مقاتل كان طول كل رجل اثني عشر ذراعا أخرجه ابن عساکر عن وهب بن ذراعهم
 أي على الأقوال كلها وقال وهب كان رأس أحدهم مثل القبة العظيمة وكان عين الرجل أي بعد
 موته تفرخ فيه الضبايع وكذا ما أخرجههم وقرأ نافع والبرقي وشعبة والـ كسائي بالصاد
 وأبو عمرو وهشام وقبيل وحفص وخلف بالسین وأما ابن ذكوان وخلاذ فقرأ بالسين والصاد
 (فادكروا آلاء الله) أي أنعمه أي أعمالا بما يليق بذلك الانعام وهو أن تؤمنوا به وتتركوا
 ما أنتم عليه من عبادة الاصنام (اعلمكم تفعلون) أي تفوزون بالنعيم المقيم في الآخرة (قالوا)
 أي قوم هود مجيبين له (اجتئنا) يا هود (لنعبد الله وحده ونذر) أي نترك (ما كان يعبد آباؤنا)
 أي من الاصنام استبعدوا الاختصاص بالله تعالى بالعبادة والاعراض عما أشرك به آباؤهم
 ومعنى المجيء في اجتئنا ما لا نهودا كان معتزلا عن قومه كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم
 بجراة قبل البعثة فلما أوحى إليه جاء قومه يدعوهم أو يريدون به الاستهزاء لأنهم كانوا يعتقدون
 أن الله تعالى لا يرسل إلا الملائكة فكأنهم قالوا اجتئنا من السماء كما يجيء الملك أو أن المقصود
 على الجاز كما تقول ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب (فأتنا بآياتنا) أي من العذاب
 (أن كنت من الصادقين) أي في قولك أني رسول الله (قال) هود مجيبا لهم (قد وقع عليكم) أي
 نزل عليكم (من ربكم رجس) عقاب (وغضب) أي سخط (أفجاد لوني في أسماء سميتوها) أي
 وضعتموها (أنتم وآباؤكم) أي من عند أنفسكم والاستغهام للانكار عليهم لأنهم هموا
 الاصنام بالآلهة فعبدوها من دون الله (ما نزل الله بها) أي بعبادتها (من سلطان) أي بجهة
 وبرهان لأن المستحق للعبادة بالذات هو الموجد لكل وانما الواسطة كانت استحقاقها بعمله
 تعالى أما بآيات آية أو نصب دليل (فانتظروا) أي نزل العذاب بسبب تكذيبكم لي (اني معكم
 من المنتظرين) ذلك فأرسل عليهم الريح العقيم (فأنجينا) أي هودا (والذين معه) أي من
 المؤمنين (برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) أي استأصلناهم وقوله تعالى (وما كانوا
 مؤمنين) عطف على كذبوا وروى أن قوم هود كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله تعالى إليهم
 هودا فكذبوا وازدادوا اعتوا فأمسك الله تعالى القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدوا وكان
 الناس حينئذ مسلمهم وكافرهم إذا نزل بهم بلا توجهوا إلى البيت الحرام وطلبوا من الله تعالى
 الفرج فجهروا إلى الحرم قبل بن عمرو بن عبد بن سعد في سبعين من أعيانهم وكان بمكة إذ ذاك
 العملاقة أولاد علق بن لاوذين سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة
 أنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان
 قمتان له وكان اسم أحدهما وردة والآخرى جردة فتسجنتهما جرادتان فيه تغليب والغينة
 الآلة مغنية أو غير مغنية فلما رأى ذهولهم باللهو وعابثوا له أهمه ذلك واستحى أن يكلمهم
 فيه مخافة أن يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقيتين فقالتا قل شعرا فنغمهم به ولا يدرون
 من قاله فلم القيتين معاوية الأياقيل ويحك قم فنهيم * والهيئة الصوت الخفي أي أخفي

الدعاء * لعل الله يخلصنا غمما * والقمام هنا المطر
 فيسقى أرض عاد ان عادا * قدامسوا الايبينون الكلاما
 من العطش الشديد فليس نرجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما
 فلما غتياه أزجهم ذلك وقالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم
 فادخلوا الحرم واستسروا القومكم فقال لهم من ثدين سعد والله لا تسقون بدعائكم ولا تكن
 ان أطعتم نبيكم وتبتم الى الله تعالى سقاكم وأظهر أسلامه فقالوا المعايير احبس عنا من ثدا
 لا يقدم من معنكم فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا
 ما كنت نسمة فيهم فأنشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وجرا وسوداء ثم ناداه من السماء يا قيل
 اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها أكثر ماء فخرجت على عاد من واد لهم
 يقال له المغيث فاستبشروا به وقالوا هذا عارض بمطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا
 هود ومن معه من المؤمنين وأتوا مكة فعبدا الله فيها حتى ماتوا وروى أن النبي من الانبياء
 صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين اذا هلك قومه هاجر والصالحون معه الى مكة فعبدوا الله
 تعالى فيها حتى يموتوا وروى عن علي رضي الله تعالى عنه ان قبر هود بمحضر موت في كتيب أحر
 وقال عبد الرحمن بن سابط بن الركن والمقام وزعم قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح
 وشعيب واسماعيل في تلك البقعة (والى غود) أى وأرسلنا الى غود قبيلة أخرى من العرب سموا
 باسم أبيهم الأكبر وهود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل سموه لقلته
 ما منهم من الغد وهو الماء القليل وكان مسكنهم الحجر وهو كسر الحامم وضع بين الجحاز
 والشأم الى وادي القرى واتفق القراء السبعة هنا على عدم صرف غود مراد به القبيلة وقرئ
 مصروفا في غير هذه السورة بتأويل الحى أو باعتبار الاصل وهو انه اسم لا يهيم الا كبرا وللماء
 القليل (أخاهم صالحا) أى أخاهم في النسب لافى الدين وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسع
 ابن عبيد بن حافر بن غود (قال) لهم صالح حين أرسله الله تعالى اليهم (يا قوم اعبدوا الله ما لكم
 من اله غيره) أى فلا يستحق أن يعبد سواه (قد جاءكم بينة من ربكم) أى معجزة ظاهرة
 الدلالة على صحة نبوتى وصدق ما أقول وادعوا اليه من عبادة الله تعالى ثم فسر تلك البينة بقوله
 (هذه ناقة الله لكم آية) أى علامة على صدقى أو آية نصبت على الحال عاملها ما دل عليه اسم
 الإشارة من معنى الفعل كانه قال أشير اليها آية ولكم بيان لمن هي له آية موجهة عليه الايمان
 خاصة وهم غود لانهم عابنوها وسائر الناس أخبروا وليس الخبر كالمعاينة كانه قال لكم
 خصوصا وانما أضيق الى الله تعالى تعظيما لها وتفضيلا شأنها كما يقال بيت الله ولانها جاءت
 من عند الله تعالى بلا وسائط وأسباب معهودة ولذلك كانت آية (فذروها) أى اتركوها
 (نأكل في أرض الله) أى العشب فليست الارض لكم ولا ما فيها من الثبات انباتكم
 (ولا تمسوها بسوء) أى بشئ من أنواع الاذى لا بعقر ولا بغيره وقوله (فياخذكم عذاب أليم)
 أى بسبب اذاها جواب النهى (واذكروا اذ جعلكم خلقا في الارض) (من بعد عاد) أى

ان الله تعالى اهلك عادا وجعلكم تخلفونهم في الارض وتعمرونها (وبوأكم) أي أسكنكم
 وأنزلكم (في الارض) أي أرض الجبر (تخذون من سهولها قصورا) أي تبنيون القصور من
 سهولة الارض لان القصور انما يبنى من اللبن والابجر المتخذ من اللبن السهل اللين غالبا
 (وتختون الجبال بيوتا) أي وتنبون في الجبال البيوت وكانوا في الصيف يسكنون بيوت الطين
 وفي الشتاء بيوت الجبال وقرأ ورش وأبو عمرو وحقق بضم الباء والباقون بخفضها (فأذكروا
 آلاء الله) أي فاذكروا نعمة الله عليكم واشكروها عليها فانكم منعمون مرفهون بما كن
 في الصيف وما كن في الشتاء (ولا تعثوا في الارض مفسدين) والعثوا أشد الفساد وقال
 قتادة معناه لا تسبوا مفسدين في الارض وقيل أراد به النهي عن عقر الناقة (قال الملا
 الذين استكبروا من قومه) أي تكبروا عن الايمان به (الذين استضعفوا) أي للذين استضعفهم
 واستبدلواهم وقوله تعالى (لمن آمن منهم) بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان
 الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين وقرأ ابن عامر وقال الملا بالواو والباقون بلا واو
 (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) أي أن الله أرسله اليكما واليكم قالوا ذلك على الاستهزاء
 (قالوا) أي الضعفاء (انما أرسل به) أي صالح من الدين والهدى (مؤمنون) أي مصدقون
 وانما عدلوا عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيهها على أن رساله أظهر من أن يشك فيه عاقل
 أو يخفى على ذي لب (قال) الملا (الذين استكبروا) عن أمر الله تعالى والايمان به وبرسوله صالح
 عليه السلام (انما بالذي آمنتم به كفرون) أي جاحدون متكبرون (ففسقوا الناقة) أي عقرها
 قد أربأ أمرهم فأسند العقر اليهم والعقر قطع عروق البعير ثم جعل التخرعقرا فانه قتلها بالسيف
 فان تاجر البعير يعقره ثم ينحره (وعتوا عن أمر ربهم) أي تكبروا عن أمر ربهم وعصوه وكذبوا
 نبيهم صالحا عليه السلام (وقالوا يا صالح اننا نبعثكنا) أي من العذاب (ان كنت من المرسلين)
 أي ان كنت تزعم أنك رسول الله فان الله ينصر رساله على أعدائه وانما قالوا ذلك لأنهم كانوا
 مكذبين في كل ما أخبرهم به من العذاب (فأخذتهم الرجفة) أي الزلزلة الشديدة من الارض
 والصيحة من السماء (فأصبحوا في ديارهم جائعين) أي ياركن على الركب ميتين روى ان عاد لما
 أهلكت عمرت غود بلادهم وخلقوهم في الارض وكثروا وعمر وأعمار أطول ا حتى ان الرجل كان
 يبني البيت المحكم فينهدم في حياته فيختون البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش
 ففسدوا وأفسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله تعالى اليهم صالحا عليه السلام من
 أشرفهم غلاما شابا فدعاهم الى الله تعالى حتى كبر لا يتبعه الا قليل مستضعفون فلما ألح عليهم
 صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر عليهم التحذير والتخويف سألوه آية فقال لهم أي آية تريدون
 فقالوا اخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم اهلهم في السنة فتدعوا لهك وتدعوا آل هنتا فان
 استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعنا قال لهم صالح نعم فخرجوا بأولادهم الى عيدهم
 وخرج صالح معهم ودعوا أولادهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال ساء لهم جندع بن عمرو
 وأشار الى حفرة مفردة في ناحية الجبل يقال لها الكأبة أنخرج لنا من هذه الحفرة ناقة

مختربة جوفاء وبراء والمختربة هي التي شاكلت البخت والجوفاء ذات الجوف والوبراء ذات
 الوبراء فان فعلت ذلك صدقنا له فأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت لتؤمنن ولتصدقن فقالوا نعم
 فصرى ودعا ربه فمخضت الصخرة أي تحركت للولادة فمخض التوج بولدها فانصدعت أي
 انشقت عن ناقة عسراء وهي التي مر عليها من يوم أرسل عليها الفصل عشرة أشهر جوفاء وبراء
 كما وصفوا الايعلم ما بين جنبها الا الله تعالى عظماء وعظماؤهم يتظرون ثم نجبت ولدا مثلها
 في العظم فآمن به جندح ورهط من قومه وأراد أن يرأسه فثود أن يؤمنوا به ويصدقوه فنهاهم
 ذو اب بن عمرو بن أسد والخباب صاحباً أو ثمانهم ورباب بن صمير كاهنهم وكانوا من أشرف ثود
 فلما خرجت الناقة قال لهم صالح هذه ناقة الله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فكشكت الناقة مع
 ولدها ترى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فارتفعه
 حتى تشرب كل ما فيها ثم تنفج وهو بتقديم الماء المهملة مثل التفسح وهو أن تفرج بين رجلها
 فيصلبون ماشاءوا حتى عتلى أي وانيهم في شريون ويدخرون وكانت تصيف أي تقيم زمن الصيف
 يظهر الوادي فترب منها أنعامهم إلى بطنه وتشتوا أي تقيم زمن الشتاء يبطنه فترب مواشهم
 إلى ظهره فتش ذلك عليهم وزين عقرها لهم امرأتان عنيزة بنت غنم وصدقة بنت المختار لما
 أضرت به من مواشيهما وكاتا كثيرى المواشى فعقروها واقتسموا لجهما فرق سقيا وهو بفتح
 السين والقاف ولدها الذكر جبلا اسمه قارة فرغائلا ثاو كان صالح عليه السلام قال لهم أدركوا
 الفصل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانجبت وهو بتشديد الجيم أي انفتحت
 الصخرة بعد درغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبغون غدا وجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم
 حمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة ثم يصحبكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه
 فأخبرهم الله تعالى إلى أرض فلطين فلما كان اليوم الرابع واشتد الضي تحنطوا بالصبر
 وتكفوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم وهلكوا وسيأتى لهذه القصة
 زيادة ان شاء الله تعالى في سورة النمل ويرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالجحر
 في غزوة تبوك قال لأصحابه لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على
 هؤلاء المعذنين الا أن تكونوا بأكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم وقال صلى الله عليه وسلم اعلى
 أتدرى من أشقى الا واين قال الله ورسوله أعلم قال عاقر ناقة صالح عليه السلام أتدرى من أشقى
 الا آخرين قال الله ورسوله أعلم قال فانتك (فتولى) أي أعرض صالح عنهم وفي هذا التولى
 قولان أحدهما أنه تولى عنهم بعد أن ماتوا وهلكوا ويدل عليه قوله تعالى فأصبحوا في دارهم
 جاثين فتولى عنهم والقاء للتعقيب فدل على أنه حصل هذا التولى بعد دجنومهم وهوموتهم
 والقول الثاني أنه تولى عنهم وهم أحياء قبل هلاكهم ويدل عليه أنه خاطبهم (وقال يا قوم لقد
 أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) وهذا الخطاب لا يليق الا بالاحياء
 وعلى هذا القول يحتمل أن في الآية تقديم وتأخير انة دبره فتولى عنهم وقال يا قوم لقد
 أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا

في دارهم جاعنين (وأجيب) من جهة الاول بأنه خاطبهم بعد هلاكهم تقريعا وتوبيخا كما خاطب
 نينا صلى الله عليه وسلم الكفار من قتلى بدر حين أقوا في القلب فجعل رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يناديهم بأسمائهم الحديث في الصحيحين وفيه فقال عمر يا رسول الله تكلم أمواتا قد
 جفوا فقال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون وقيل إنما خاطبهم صالح عليه السلام
 بذلك ليكون عبرة لمن يأتي من بعدهم فينزعروا عن مثل تلك الطريقة وروى أن عقربهم
 الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروى أنه خرج في مائة وعشرين من
 المسلمين وهو يكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم أنهم قد هلكوا وكانوا ألفا وخمسمائة دار
 وروى أنه وجع عن معه من المسلمين فسكنوا ديارهم (٢) وقال قوم من أهل العلم توفي صالح بمكة
 وهو ابن ثمان وخمسين سنة وأقام في قومه عشرين سنة (ولو طأ) أي وأرسلنا لوطا برهارة بن
 تارخ ابن أخي ابراهيم (اذ قال لقومه) أي وقت قوله لهم وقيل معناه واذ كر لوطا ويبدل منه
 اذ قال لقومه وهم أهل سدوم قال التفتا زاني هو بفتح السين قرية قوم لوط والذال المعجمة
 في رواية الا زهري دون غيره اه ومو به صاحب القاموس وغلط الجوهري في قوله انها
 مهمله وذلك أن لوطا عليه السلام لما اجتمع معه ابراهيم عليه السلام الى الشام فنزل ابراهيم
 عليه السلام أرض فلسطين وأنزل لوطا الأردن وهو بضم الهمزة والذال وتشديد النون ثم
 وكورة باعلى الشام فأرسله الله تعالى الى أرض سدوم يدعوهم الى الله تعالى وينهاهم عن
 فعلهم الفجيع وهو قوله تعالى (أتأتون الفاحشة) أي أتفعلون الفاحشة الخبيثة التي هي غاية
 القبح وكانت فاحشتهم اتيان الذكران في أدبارهم كما سيأتي (ما سبقكم بها من أحد من العالمين)
 أي ما فعلها أحد قبلكم والباء للتعدي ومن الاولى زائدة لتوكيد النبي واقادة معنى الاستغراق
 والثانية للتبعية والجملة استئناف مقر للانكار وبجهم أولياتيان الفاحشة ثم باختراعها
 فانه أسوأ قال عمرو بن دينار ما زاد كرا على ذكر في الدنيا حتى كان من قوم لوط ثم بين
 الفاحشة بقوله (أنسكم لتأتون الرجال) أي في أدبارهم (شهوة من دون النساء) أي ان أدبار
 الرجال أشهى عندكم من فروج النساء وقرأ نافع وحفص بكسر الهمزة ولا ياء بينهما وبين النون
 على الخبر وشهوة تاما مفعول له واما مصدر في موضع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمة
 الصرفة وتبنيه على أن العاقل ينبغي أن يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد
 وبقاء النوع لا قضاء الوطر وقرأ ابن كثيرهم مزتين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة
 مسهلة ولا مد بينهما ما وأبو عمرو وكذلك لأنه يمد بين الهـ مزتين وهشام بتحقيق الهمزتين
 بينهما مائة والباقيون بتحقيقهما من غير مدي بينهما وقوله (بل أنتم) أيها القوم (قوم مسرفون)
 أي مجاوزون الحلال الى الحرام اضراب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحالة التي توجب
 ارتكاب القبايح وتدعو الى اتباع الشهوات وانما ذمهم الله تعالى وعيبرهم ووجههم بهذا
 الفعل الخبيث لأن الله تعالى خلق الانسان وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمارة الدنيا
 وجعل النساء محلا لتلك الشهوة وموضع النسل فاذا تركهم ووضع النسي في غير محله

(٢) قوله وقال قوم
 الخ الذي في حاشية
 الجمل وعاش صالح
 مائتي سنة وثمانين سنة
 اه فليعز

الذي خلق له فقد أسرف وجاوز واعتدى لأن وضع الشيء في غير محله الذي وضع له اسراف
لأن أديار الرجال ليست محل للولادة التي هي مقصودة تلك الشهوة المركبة في الإنسان
وروى أن أول من عمل عمل قوم لوط ابليس لعنه الله تعالى لأن بلادهم أخصبت بالزرع والثمار
واتبعها أهل البلدان فقتل لهم ابليس لعنه الله تعالى في صورة شاب ثم دعا إلى نفسه فكان
أول من تكلم في دبره وقال محمد بن اسحق كانت لهم غار وقرى لم يكن في الأرض مثلها فقصدهم
الناس فأذوهم فعرض لهم ابليس لعنه الله تعالى في صورة شيخ وقال لهم ان فعلتم بهم كذا
وكذا انجوت منكم فلما ألح عليهم قصدوهم فأصابوا غلمانا حسنا فاستخنتوا واستصحبكم ذلك فيهم
(وما كان جواب قومه) له حين وبخهم على فعلهم القبيح وارتكابهم ما حرم الله تعالى
عليهم من العمل الخبيث (الأن قالوا) أي قال بعضهم لبعض (أخرجوهم من قريبتكم) أي
ما جاورا بما يكون جوابا عما كلهم به لوط عليه السلام من انكار الفاحشة وقبح أمرها ولكنهم
جاؤا بشيء آخر لا يتعلق بنصيحتهم وكلامه من الأمر بأخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم
ضجرا بهم وبما يسمعون من وعظهم ونصحهم وقولهم (انهم أناس يتطهرون) أي يتزهدون عن
فعلكم وعن أديار الرجال مخزية بهم وبطهريتهم من الفواحش واقتضارا بما كانوا فيه من
القاذورات كما تقول الفسقة لبعض الصالحين إذا وعظهم أبعدوا عنها هذا المتكشف وأريحونا
من هذا المتنزه (فأنجيئناه) أي لوطا (وأهله) أي من آمن به وقوله تعالى (الامرأته) استثناء
من أهله فانها كانت تسر الكفر موالية لأهل سدوم (كانت من الغابرين) أي من الذين
غبروا أي بقوا في ديارهم فهلكوا وروى أنها التفتت فأصابها حجر فماتت وانما قال تعالى
من الغابرين ولم يقل من الغابات لأنها هلكت مع الرجال فقلب الذكور على الإناث (وأمرنا
عليهم مطرا) أي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله تعالى وأمرنا عليهم بحجارة من سجيل أي
قد عجنت بالكبريت والنار يقال مطرت السماء وأمطرت وقال أبو عبيدة يقال في العذاب
أمطروني في الرحمة مطر وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافرهم (فاظفر) أي
أيها الإنسان (كيف كان عاقبة المجرمين) روى أن تاجر منهم كان في الحرم فوقف الحجر أربعين
يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وقال مجاهد نزل جبريل عليه السلام وأدخل
جناحه تحت مداثر قوم لوط فاقتلها ورفعها إلى السماء ثم قلبها فجعل أعلاها أسفلها ثم أتبعوا
بالحجارة كما قال تعالى فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل (والى مدين) أي
وأرسلنا إلى ولد مدين بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام (أخاهم) في النسب لآل الدين
(شعيبا) بن ميكيل بن شجر بن مدين وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه عليه
السلام وكان قومه أهل كفر وبخس للمكيال والميزان (قال) أي شعيب عليه السلام
(يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الة غيره قد جاء تكلم بينة) أي معجزة تدل على صدق ما جئت به
(من ربكم) أوجبت عليكم الإيمان بي والاختصاص بأمركم به (فان قيل) ما كانت معجزته إذ لم تذكر
له معجزة (أجيب) بأنه قد وقع العلم بأنه كان له معجزة لقوله قد جاء تكلم بينة من ربكم ولأنه

لا يبلد في النبوة من مهجزة تشبه له وتصدقها والالم تصح دعواه وكان متنبئاً لانبيا غير أن مهجزة
 لم تذكر في القرآن كما لم تذكر أكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم فيه ومن معجزات شعيب
 عليه السلام الواردة في غير القرآن ما روى من محاربة عصا موسى الثنين حين دفع إليه الغنم
 وولادة الغنم الدرع حين وعده أن يكون له الدرع من أولاده والدرع بوزن الصرد وهي الغنم
 التي أوائلها سواد وأواخرها بياض ووقوع عصا آدم عليه السلام على يده في المرات السبع
 وغير ذلك من الآيات لأن هذه كلها كانت قبل أن يستنبأ موسى عليه السلام فكانت مهجزة
 لشعيب وهذا أولى من جعله كرامة لموسى أو أرواحاً وهو علامة تظهر قبل النبوة وقيل أراد
 بالبيئة الموعظة وهي قوله تعالى (فأوفوا الكيل والميزان) أي أغوهم (ولا تبضوا) أي تنقصوا
 (الناس أشياءهم) فتطفقوا الكيل والوزن يقال بخسر فلان الكيل والوزن إذا نقصه
 وطفقه (فان قيل) هلا قال الميكال والميزان كما في سورة هود (أجيب) بأنه أراد بالكيل آلة
 الكيل وهو الميكال أو مكي ما يكال به بالكيل أو أريد وأوفوا كـ الكيل الميكال ووزن الميزان
 وانما قال أشياءهم لأنهم كانوا يخسرون الناس كل شيء في مبيعاتهم وكانوا مكاسين لا يدعون شيئاً
 الماكسوه كما يفعل أمراء الجور (ولا تفسدوا في الأرض) أي بالكفر والمعاصي (بعد
 اصلاحها) أي بعدما أصلح أمرها وأهلها الانبياء وأتباعهم بالشرائع (ذلكم) أي الذي
 ذكرت لكم وأمر تكلم به من الايمان ووفاء الكيل والميزان وترك المظالم والخسر (خير لكم) أي
 مما أنتم عليه من الكفر وظلم الناس (ان كنتم مؤمنين) أي مصدقين بما أقول لكم ومعنى خير لكم
 أي في الإنسانية وحسن ما يتحدث به وجمع المال لأن الناس ترغب في متاجرتكم اذا عرفوا
 منكم الامانة والتسوية (ولا تقعدوا بكل صراط) أي طريق من طرق الدين (توعدون) أي
 تمنعون الناس من الدخول فيه وتهتدونهم على ذلك وذلك انهم كانوا يجلسون على الطرقات
 فيخبرون من أتى عليهم ان شعيبا الذي يريدونه كذاب فلا يفتنكم عن دينكم وقيل كانوا
 يقطعون الطريق على الناس أو يقعدون لاختد المكس منهم وقوله تعالى (وتصدقون) أي
 تصرفون الناس (عن سبيل الله) أي دينه (من آمن به) دليل على أن المراد بالطريق سبيل الحق
 (فان قيل) صراط الحق واحد قال تعالى وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
 فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط (أجيب) بأن صراط الحق وان كان واحداً لكنه
 يتشعب الى معارف وحدود وأحكام كثيرة مختلفة وكانوا إذا رأوا أحداً يشترع في شيء منها
 أو عدوه وصدوه (وتبعونها) أي تطلبون الطريق (عوجاً) أي تصفونها للناس بأنها سبيل
 معوجة عن الحق غير مستقيمة اتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها أو يكون ذلك تمكيبهم
 وانهم يطلبون لها ما هو محال فان طريق الحق لا يعوج (واذكروا) نعمة الله عليكم وآمنوا به
 (اذ كنتم قليلاً فكثركم) أي كثر عددكم بعد القلة أو كثركم بالغنى بعد الفقر وكثركم بالقدرة بعد
 الضعف قيل ان مد بن ابراهيم تزوج بنت لوط عليهما السلام فولدت فرعى الله تعالى في نسلهما
 بالبركة والنفاء فكثروا ونموا (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) قبلكم بتكذيبهم

رسلهم أى آخر أمرهم من الهلاك وأقرب الام اليكم قوم لوط فانظروا كيف أرسل الله تعالى عليهم جبارة من السماء لماعصوه وكذبوا رسوله (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا) به أى وان اختلفتم فى رسالتى فصرتم فرقتين فرقة آمنتم بى وصدقت برسالتى وفرقة كذبت ومجدت برسالتى (فاصبروا) أى قاربوا (حتى يحكم الله بيننا) أى بين الفرقتين فيعزل المؤمنين أى المصدقين وينصرهم ويهلك المكذبين الجاحدين ويعذبهم وفى هذا وعد للمؤمنين ووعد للكافرين (وهو خير الحاكمين) أى لا حيف فى حكمه ولا معقب له لانه تعالى منزله عن الجور والميل فى حكمه وانما قال خيرا لئلا يكون لانه قد يسمى بعض الأشخاص حاكما على سبيل المجاز والله تعالى هو الحاكم فى الحقيقة (قال الملا) أى الجماعة (الذين استكبروا) أى تكبروا (من قومه) عن الايمان بالله ورسوله وتعظموا عن اتباع شعيب عليه الصلاة والسلام (لتخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أولتعودن) أى ترجعن (فى ملتنا) أى لابتدئ من أحد الأمرين اما اخرجك ومن اتبعك على دينك من بلدنا أو عودكم فى الكفر (فان قيل) شعيب لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع الى ما كان عليه (أجيب) بأن أتباع شعيب كانوا على مله أو تلك الكفار فخطبوا شعيبا واتباعه جميعا فدخل هو فى الخطاب وان لم يكن على ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا فاستعمل العود فى حقهم على سبيل المجاز وجرى معهم على ان العود يستعمل بمعنى صار كما يستعمل بمعنى رجع فلا يستلزم الرجوع الى حالة سابقة بل هو انتقال من حالة سابقة الى حالة مستأنة كما قال القائل

فان تكن الايام تحسن مرة * الى فقد عادت لهن ذنوب

راد فقد صارت لهن ذنوب ولم يرد أن ذنوبا كانت لهن قبل الاحسان (قال) لهم شعيب على سبيل الاستفهام الانكارى (أولو كما كارهين) أى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها وقيل لانعود فيها وان اكرهقونا وجبرعونا على الدخول فيها لا قبل ولا ندخل (قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نبأنا الله منها) والجواب عن هذا مثل ما أجيب به عن الاول وهو ان نقول ان الله نبى قومه الذين آمنوا به من تلك الملة الباطلة الا أن شعيبا نظم نفسه فى جملتهم وان كان بريأ مما كانوا عليه من الكفر فأجرى الكلام على حكم التغليب (وما يكون انما أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا) أى الا أن يشاء خذلاتنا وارتدادنا حينئذ يعضى قضاء الله فينا وينفذ حكمه علينا وفيه دليل على أن الكفر بعشيئة الله تعالى وقيل أراد به حسم طمعهم فى العود بالتعلق على ما لا يكون (وسمع ربنا كل شئ علمنا) أى وسع علمه كل شئ فلا يخفى عليه شئ مما كان وما يكون منا ومنكم (على الله توكلنا) فى أن يتبنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ولما أيسر شعيب من ايمان قومه دعاهم هذا الدعاء فقال (ربنا افتح) أى اقض وافصل واحكم (بيننا وبين قومنا بالحق) أى بالعدل الذى لا جور فيه ولا ظلم ولا حيف (وأنت خير القاضين) أى الحاكمين (وقال الملا) الذين كفروا من قومه) أى قال جماعة من أشرف قوم شعيب عن كفره لا آخرين منهم (لئن اتبعتم شعيبا) أى على دينه وتركتم دينكم وما أنتم عليه (انكم اذ انتم سرون) أى مغبونون

لقوات ما يحصل لكم بالبحر والتطفيف أو لاستبدال ضلالتهم به - داكم وجواب القسم
 الذي وطأه اللام في لثنته تبعتم شعيباً وجواب الشرط قوله انكم اذا خلاسرون فهو ساد مسد
 الجوابين (فأخذتهم الرجفة) أي الزلزلة الشديدة (فأصبحوا في دارهم) أي مدينتهم (جاثمين)
 أي باركين على الركب ميتين قال ابن عباس رضي الله عنهما فتح الله عليهم - م بإيمان جهنم فارسل
 عليهم حرأشديداً فأخذ بأناقاسهم ولم ينفعهم ظل ولا ماء فدخلوا في الأسراب ليتبرّدوا فيها
 فوجدوها أشد حرأ من الظاهر فخرجوا إلى البرية فبعث الله تعالى عليهم صحابة فيها ريح طيبة
 باردة فأظلمت وهي الظلة فوجدوا لها برداً ونسيماً فتنادى بعضهم لبعض - م بعضاً حتى اجتمعوا تحت
 الصحابة رجالهم ونسائهم وصبيانهم ألهمها الله عليهم ناراً ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما
 يحترق الجراد وصار وارماداً وروى أن الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة أيام ثم ساط عليهم الحر
 سبعة أيام ثم رفع لهم جبل من بعيد فأثناء رجل فاذا تحته انهار وعيون فأتاهم وأخبرهم فاجتمعوا
 تحته كاهم فوق ذلك الجبل عليهم فذلك قوله تعالى عذاب يوم الظلة وقال قتادة بعث الله تعالى
 شعيباً إلى أصحاب الأيكة وأصحاب مدين فأما أصحاب الأيكة فأهلكوا بالظلة وأما أصحاب مدين
 فأخذتهم الصيحة صاح بهم - م جبريل عليه السلام فهلكوا جميعاً قال أبو عبد الله الجلي كان
 أبو جاد وهو زوحطى وكلن وسعفص وقرشت ملوك مدين وكان ملكهم في زمن
 شعيب يوم الظلة كلن فلما هلك قالت ابنته شعرا ترثيه وتبكيه

كلن قد هدركني * هلكه وسط المحلة

سيد القوم أتاها * عتف نار تحت ظله

جعلت ناراً عليهم * دارهم كالمضحلة

وقوله تعالى (الذين كذبوا شعيباً) مبتدأ خبره (كان) مخففة واسمها محذوف أي كأنهم
 (لم يبقوا) أي لم يبقوا وينزلوا (فيها) أي في ديارهم يومان الدهر يقال غنيت بالمكان أي أقت به
 والمغنى المنازل التي بها أهلها واحد ما غنى قال الشاعر

ولقد غنوا فيها بآبائهم عيشة * في ظل ملك ثابت الاوتاد

أراد أقاموا فيها وقيل كأن لم يعيشوا فيها متنعين يقال غنى الرجل إذا استغنى وهو من الغنى
 الذي هو ضد الفقر قال الشاعر

غنيا زماناً بالتصعلك والغنى * وكل سقانا بكاسهم ما الدهر

فأزادنا بغياعلى ذى قرابة * غنى ولا أزرى بأحسابنا الفقر

قال الزجاج معنى غنيا عشنا والتصعلك الفقر يقال للفقر تصعلك (الذين كذبوا شعيباً)
 كانوا هم الخاسرين) أي دينا ودينا دون الذين اتبعوهم فانهم الراجحون في الدارين وأكذلك
 بإعادة الموصول وغيره للرد عليهم في قولهم السابق (فتولى) أي أعرض شعيب (عنهم) أي عن
 قومه (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي وذهبت لكنم) أي قال ذلك لما يقن نزول
 العذاب بهم تأسفوا حزناً عليهم لانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الإجابة والإيمان ثم أنكر

على نفسه فقال (فكيف أسي) أي أحرز (على قوم كافرين) لأنهم ليسوا أهل حزن لاستحقاقهم
 ما نزل عليهم بسبب كفرهم وقيل قال ذلك اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت
 في الإبلاغ والاعتذار وبذلك وسعي في النصيح فلم يصدقوا قولي فكيف أحرز عليهم وقوله تعالى
 (وما أرسلنا في قرية من نبي) فيه اضمحار وحذف تقديره فكذبوه (الآخذنا أهلها بالبأساء
 والضراء) قال ابن مسعود البأساء الفقر والضراء المرض وقبل البأساء الشدة وضيق العيش
 والضراء سوء الحال (لعلهم يضرعون) أي فعلنا بهم ذلك لكي يتضرعوا ويتوبوا والتضرع
 التذلل والخضوع والانقياد لأمير الله (ثم بدلنا مكان الشدة الحسنة) أي أعطيناهم بدل
 ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة كقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات
 فأخبر الله تعالى بهذه الآية أنه يأخذ أهل المعاصي والكفر تارة بالشدة وتارة بالرخاء على سبيل
 الاستدراج وهو قوله تعالى (حق عفو) أي كثروا وعووا في أنفسهم وأموالهم يقال عفا الشعر
 إذا كثر وطال ومنه قوله صلى الله عليه وسلم وأعفوا اللحي أي وفروها وأكثر واشعرها
 (وقالوا) كفرا للنعمة (قدمس آباءنا بالضراء والسرء) وهذه عادة الدهر قد عاينها نحن
 ولا آباءنا ولم يكن ما مسنا من الشدة والضراء عقوبة لنا من الله تعالى على ما نحن عليه فكونوا
 على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم من قبل فانهم لم يتركوا دينهم لما أصابهم من الضراء والسرء قال
 الله تعالى (فأخذناهم بغتة) أي فجأة أينما كانوا ليكون ذلك أعظم لحسرتهم
 (وهم لا يشعرون) أي ينزل العذاب بهم والمراد بذلك هذه القصة وغيرها من القصص
 وعيادهم من سمعها ينزع روعها وعليه من الذنوب ويرجع إلى الله تعالى ويزداد الذين آمنوا
 إيمانا (ولو أن أهل القرى) أي المكذبين (آمنوا) بالله ورسوله (واقفوا) أي الشرك والمعاصي
 (لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) أي لا تيناهم بالخير من كل جهة وقيل بركات السماء
 المطر وبركات الأرض النبات والثمار والانعام وجميع ما فيها من الخيرات وكل ذلك من
 فضل الله تعالى وإحسانه وأنعامه على عباده وقرأ ابن عامر تبشيدا للساء والباقون بالتخفيف
 (ولكن كذبوا) أي فعلنا بهم ذلك ليؤمنوا فآمنوا ولكن كذبوا الرسل (فأخذناهم) أي
 عاقبناهم بأنواع العذاب (بما) أي بسبب ما (كانوا يكسبون) من الكفر والمعاصي وقوله تعالى
 (أفأمن أهل القرى) عطف على قوله تعالى فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض
 والمعنى أبعد ذلك أمن أهل القرى (أن يأتيهم بأسنا) أي عذابنا (بياتا) أي ليلا وقوله تعالى
 (وهم نائمون) حال من ضميرهم البارز والمستتر في بياتا (أو أمن أهل القرى) هو استفهام بمعنى
 الإنكار وفيه وعيد وفجر وتهديد والمراد بالقرى مكة وما حولها وقيل هو عام في كل أهل
 القرى الذين كفروا وكذبوا وقرأناهم وابن كثير وابن عامر يسكون الواو والباقون
 بفتح الواو (أن يأتيهم بأسنا ضحى) أي نهار الا أن الضحى صدر النهار (وهم يلعبون) أي وهم
 ساهون لاهون غافلون عما يراد بهم وقوله تعالى (أفأمنوا مكر الله) تقرير لقوله تعالى أفأمن أهل
 القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد بالغم في الدنيا وأخذ من حيث لا يحتسب (فلا يأمن

مكر الله الا القوم الخاسرون) أى انه لا يأمن استدراجهم اياهم بالتم وأخذهم بغتة الا من خسر
 فى أنراهم وهلاك مع الهالكين فعلى العاقل أن يكون فى خوفه من الله تعالى كالحارب الذى
 يخاف من عدوه المتمكن البيات والقبلة وعن الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى ان ابنته قالت
 له ما لى أرى الناس ينامون ولا أرا التنام فقال يا ابتاه ان أباك يخاف البيات أو ادقوله تعالى
 أن يأتيهم بأسنا بياتا (أو لم يهد) أى يبين (للذين يرتون الارض) أن يسكنونها (من بعد) هلاك
 (أهلها) الذين كانوا من قبلهم فورتوها عنهم وخلفوهم فيها (أن لو نشاء أصبناهم) بالعذاب
 (بذنوبهم) كما أصبنا من قبلهم والهمزة للتوبيخ وأن لو نشاء مرفوع بأنه فاعل يهد أى أولم يهد
 للذين يخلفون من خلا قبلهم فى ديارهم ويرتون أرضهم هذا الشأن وهو أن لو نشاء أصبناهم
 بذنوبهم أى بسببها كما أصبنا من قبلهم وأهلكنا الوارثين منهم كما أهلكنا المورثين وانما عدى
 فعل الهداية باللام لانه جمع فى التبيين كما مر وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ببدال الهمزة
 الثانية واوا فى الوصل والباقون بتحقيقهما وقوله تعالى (ونطبع) أى نختم (على قلوبهم)
 معطوف على ما دل عليه أولم يهد كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم وأعلى يرتون
 الارض أو يكون منقطعاً عنى ونحن نطبع على قلوبهم (فهم لا يسمعون) موعظة أى لا يقبلونها
 ومنه سمع الله لمن حده قال الشاعر

دعوت الله حتى خفت أن لا يكون الله يسمع ما أقول

أى يقبله ويستجيبه (تلك القرى) أى القرى التى ذكرنا لك يا محمد أمرها وأمر أهلها وهى
 قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب (نقص عليك) يا محمد (من أنبيائها) أى تخبرك عنها
 وعن أهلها وما كان من أمرهم وأمر رسلكم الذين أرسلوا اليهم لتعلم أثباتهم لرسلكم واذن
 آمنوا معهم على أعدائهم من أهل الكفر والعناد وكيف أهلكناهم بكفرهم ومخالفتهم رسلكم
 وفى ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتحذير لكفار قريش أن يصيبهم مثل ما أصابهم (ولقد
 جاءتهم) أى أهل تلك القرى (رسلكم بالبينات) أى بالمعجزات الباهرات والبراهين الدالة على
 صدقهم وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم بالانظهار والباقون بالادغام وأمال حمزة وابن
 ذكوان الالف وسكن السين أبو عمرو ورفعها الباقر (فما كانوا يؤمنوا) أى عند مجيئهم بها
 (بما كذبوا) أى كفر وابه (من قبل) أى قبل مجيئ الرسل بل استقر وأعلى الكفر واللام لتأكيد
 النفي والدلالة على أنهم ما صلحوا للايمان لما فاتهم لحالهم فى التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم
 (كذلك) أى كما طبع الله على قلوب كفار الامم الخالية وأهلكهم بطبع الله على قلوب الكافرين
 الذين كتب عليهم أنهم لا يؤمنون من قومك (وما وجدنا لأكثرهم) أى لأكثر الناس على الاطلاق
 أولاً كثر الامم الخالية والقرون الماضية الذين قصصنا خبرهم عليك وكذا الاستغراف فقال (من
 عهد) أى من وقاء بالعهد الذى عهدناه اليهم وأوصيناهم به يوم أخذ الميثاق والآية على الاول
 اعتراض وعلى الثانى من قحة الكلام السابق (وان) مخففة أى وانا (وجدنا) أى فى علمنا فى عالم
 الشهادة (أكثرهم لفاسقين) أى خارجين عن دائرة العهد طبق ما كان علمه منهم فى عالم الغيب

وما أبرئنا في عالم الشهادة الا انقسم عليهم به الحجة على ما يتعارفونه بينهم في مجاري عاداتهم
ومدارك عقولهم (ثم يعثنا من بعدهم) أي الرسل المذكورين وهم نوح وهود وصالح ولوط
وشعيب عليهم الصلاة والسلام أو الامم المهلكين (موسى) عليه السلام (يا ياتينا) أي يجتنبنا
الدالة على صدقه كالبند والعصا (الى فرعون) هو علم جنس الملوك مصر ككسرى الملوك فارس
وقيصر الملوك الروم والنجاشي الملوك الحبشة وكان اسم فرعون موسى قابوس وقيل الوليد بن
مصعب بن الريان وكان ملك القبط (وملائه) أي عظماء قومه وخصمهم بالذكر لانهم اذا اذعنوا
اذعن من دونهم فكانتهم المقصودون والارسال اليهم ارسال الى الكل (فظلموا) أي كفروا
(بها) أي بسبب رؤيتها خوفا على رياستهم وعملكتهم الفانية أن تخرج من أيديهم (فانظروا) أي
المخاطب بعين البصيرة (كيف كان عاقبه المفسدين) أي آخر أمرهم أي كيف فعلنا بهم وكيف
أهلكناهم (وقال موسى) لما دخل على فرعون (يا فرعون) خاطبه بما يحبه امتنا لا لامر الله تعالى
له أن يلين في خطابه وذلك لان فرعون كان لقب مدح لمن ملك مصر (الذي رسول) أي مرسل اليك
والى قومك ثم بين مرسله بقوله تعالى (من رب العالمين) أي الاله الذي خلق الخلق وهو سيدهم
ومالكهم وقوله تعالى (حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق) جواب لتكذيب فرعون آياه
في دعوى الرسالة وانما لم يذكر دلالة قوله تعالى فظلموا بها والحق هو الثابت الدائم والحقيق
مبالغة فيه وكان المعنى أنا ثابت مستقر على أن لا أقول على الله الا الحق قرأ فافزع على بالتشديد
فحقيق مبتدأ خبره أن وما بعدها والباقون بالسكون وعلى هذا تكون على بمعنى الباء أو يضمن
حقيق معنى حر يص وأن لا مقطوعة في الرسم أي النون من لام الالف (قد جئتكم ببينة) أي
مجهزة (من ربكم) على صدقي فيما ادعى من الرسالة وهي العصا واليد البيضاء ثم ان موسى عليه
السلام لما فرغ من تبليغ رسالته رتب على ذلك الحكم قوله (فأرسل معي بنى اسرائيل) أي فخلهم
حتى يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدتهم واستخدمهم في
الاعمال الشاقة من ضرب اللبن ونقل التراب ونحوهما (قال) فرعون لعنه الله هجيبا موسى عليه
السلام (ان كنت جئت بآية) أي علامة على صحة رسالتك (فأت بها ان كنت من الصادقين
أي في عداد أهل الصدق العريقين فيه لتصح دعواي عندى وتثبت (فأتى عصاه فاذا هي) أي
العصا (تعبان مبيت) أي ظاهرا أمره لاشك فيه أنه تعبان والتعبان الذكر العظيم من الحيات
فان قيل أليس قال الله تعالى في موضع كأنهم جائف والجائف الحية الصغيرة (أجيب) بانها كانت
كالجائف في الخفة والحركة وهي في جشنها حية عظيمة روى أنه لما ألقاها صارت حية
عظيمة صفرا مشقرا فاغرة فاها بين لحبيها غمانون ذراعا وارتفعت عن الارض بشد رميل
وقامت على ذنبها واضعة لحبيها الاسفل في الارض والاعلى على سور القصر وتوجهت نحو
فرعون لتأخذه فوثب فرعون عن سريره هاربا وأحدث قبل أخذه البطن في ذلك اليوم
أربع مائة مرة وقد قيل انه كان يأكل الموز حتى لا يتغوط وجلت على الناس فانهزمو
وصاحوا ومات منهم خمسة وعشرون ألفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى أنت ذاك الله

الذي أرسلك أن تأخذها وأنا ومن بك وأرسل معك بنى اسرائيل فأخذها موسى فعادت عصا
كما كانت ثم قال هل معك آية أخرى قال نعم (ونزع يده) أي أخرجها من جيبه وقيل من تحت
ابطه بعد أن أراه أباها محترقة آدمًا كما كانت وهي عنده (فأذا هي بيضاء) نورانية (للتاظرين) لها
شعاع غلب شعاع الشمس قال ابن عباس كان لها نور ساطع يضيء ما بين السماء والارض له لمعان
مثل لمعان البرق نفخوا على وجوههم ثم ردها إلى جيبه فأذا هي كما كانت ولما كان البياض
المقرط عيبا في الجسد وهو البرص قال الله تعالى في آية أخرى من غير سوء أي من غير برص
(فان قيل) لم يتعلق قوله تعالى للتاظرين (أجيب) بأنه يتعلق بقوله تعالى يضاء والمعنى فإذا هي
بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة إلا إذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع
الناس للنظر إليه كما تجتمع النظارة للمعائب (فان قيل) أحد هذين الأمرين أما العصا وأما
اليد كان كافيا فخاف أن يجمع بينهما (أجيب) بأن كثرة الدلائل توجب القوة في اليقين وزوال
الشك وقول بعض المحدثين المراد بالثعبان وباليد البيضاء شيء واحد وهو أن حجة موسى عليه
السلام كانت قوية ظاهرة قاهرة من حيث أنها أبطلت أقوال المخالفين وأظهرت فسادها كانت
كالثعبان العظيم الذي يلتفح جميع المبطلين ومن أنها كانت ظاهرة في نفسها وصفت باليد
البيضاء كما يقال في العرف لفلان يد بيضاء في العلم الفلاني أي قوة كاملة ومرتبطة ظاهرة
مردود أذجل هاتين المعجزتين على هذا الوجه يجري مجرى دفع التواتر وتكذيب الله ورسوله
ولما أتى بالبيان وأقام واضح البرهان (قال الملا) أي الأكابر (من قوم فرعون أن هذا) أي
موسى (لساحر عليم) أي عالم بالسحر ما هرفبه قد أخذ بأعين الناس ويرى بهم الشيء بخلاف ما هو
عليه حتى يخيل إليهم أن العصا صارت حية وأن آدم أبيض كما أراههم يده بيضاء وهو آدم اللون
وانما قالوا ذلك لأن السحر كان هو الغالب في ذلك الزمان (فان قيل) قد أخبر الله تعالى في هذه
السورة أن هذا الكلام من قول الملا فرعون وقال في سورة الشعراء وقال أي فرعون للملا
حوله أن هذا الساحر عليم فكيف الجمع بينهما (أجيب) عن ذلك بجوابين الأول لا يمنع أن يكون
قاله فرعون أولا ثم أنهم قالوا به فآخبر الله عنهم هنا وأخبر عن فرعون في سورة الشعراء الثاني
أن فرعون قال هذا القول ثم إن الملا من قومه وهم خاصته سمعوه منه ثم أنهم بلغوه إلى العاقبة
فأخبر الله تعالى هنا عن الملا وأخبر هنا عن فرعون (يريد) أي موسى (أن يخرجكم) أي القبط
(من أرضكم) أي أرض مصر (فإذا قامرون) أي أي شيء تشيرون أن نفعل به فقوله فإذا
قامرون من قول فرعون وإن لم يذكره وقيل من قول الملا وتم كلام فرعون عند قوله يريد أن
يخرجكم من أرضكم فقال الملا محبين له فإذا قامرون وانما ساطبوه بلفظ الجمع وهو واحد على
عادة الملوك في التعظيم والتفخيم والمعنى فإنا قامرون أن نفعل به والقول الأول أصح لسياق
الآية التي بعدها وهي قوله تعالى (قالوا ارجعه) أي موسى (وأخاه) هرون عليهما السلام أي
أخا أمرهما ولا تعجل فيه حتى تنظر في أمرهما والارجاء في اللغة التأخير وقبل الحبس أي
أحبسه وأخاه ورد بأن فرعون ما كان يقدر على حبس موسى بعدما رأى من أمر العصا ما رأى

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بـهمزة ساكنة والباقون بغير همز (وأرسل في المدائن) جمع
 مدينة واشتقاقها من مدن بالمكان أي أقام به أي مدائن الصعيد مصر (حاشرين) أي أرسل
 رجالا من أعوانهم الشرط بضم الشين وفتح الراء طائفة من أعوان الولاة يحشرون اليك
 السحرة من جميع مدائن الصعيد وكان رؤساء السحرة بأقصى مدائن الصعيد فان غلبهم موسى
 صدقناه واتبعناه وان غلبوه علمنا انه ساحر فذلك قوله تعالى (يا نوح) أي الشرط (بكل ساحر علم)
 أي ما هر بصناعته والباء يحتمل أن تكون بمعنى مع ويحتمل أن تكون باء التعدية وقرأ حزة
 والكسائي بتشديد الحاء مفتوحة وألف بعدها ولا ألف قبلها والباقون بتخفيف الحاء
 مكسورة وألف قبلها ولا ألف بعدها ولم يختلفوا في سورة الشعراء انه سحر ارقيل الساحر الذي
 يعلم السحر ولا يعلم والسحار من يديم السحر روى أن فرعون لما رأى من سلطان الله وقدرته
 في العصا ما رأى قال انالانقاتل موسى الا بن هو أقوى منه فاتخذ غلمانا من بني اسرائيل
 وبعث بهم الى مدينة يقال لها الفرما يعلمونهم السحر فعلموهم سحرا كثيرا وواعد فرعون موسى
 موعدا ثم بعث الى السحرة الذين أرسلهم فجاءوا وعلمهم معهم فقال فرعون لله علم ما صنعت
 فقال علمهم سحرا لا تطيقه أهل الارض الا أن يأتي أمر من السماء فانهم لا طاقة لهم به ثم بعث
 فرعون في ملكه فلم يترك في سلطانه ساحرا الا أتى به وهذا يدل على أن السحرة كانوا كثيرين
 في ذلك الزمان وهو يدل على صحة ما يقوله المتكلمون وهو أنه تعالى يجعل معجزة كل نبي من
 جنس ما كان غالباً على أهل ذلك الزمان فلما كان السحر غالباً على أهل زمان موسى كانت معجزته
 شبيهة بالسحر وان كانت مخالفة للسحر في الحقيقة ولما كان الطب غالباً على أهل زمان عيسى
 عليه السلام كانت معجزته من جنس الطب ولما كانت الفصاحة غالباً على أهل زمان محمد صلى
 الله عليه وسلم كانت معجزته من جنس الفصاحة واختلفوا في عدد السحرة الذين جمعهم فرعون
 فمن مقل ومن مكثروا ليس في الآية ما يدل على المقدار والكيفية والعدد وذلك لاختلاف
 عددهم فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين اثنان من القبط وهما رؤساء القوم وسبعون من بني
 اسرائيل وقال الكلبي كان الذين يعلمونهم رجلين مجوسيين من أهل نينوى بلدة يونس عليه
 السلام وكانوا سبعين غير رئيسهم وقال كعب الاحبار كانوا اثني عشر ألفاً وقال محمد بن اسحق
 كانوا خمسة عشر ألفاً وقال عكرمة كانوا سبعين ألفاً وقال ابن المنكدر كانوا ثمانين ألفاً وقال
 مقاتل كان رئيس السحرة شمعون وقال ابن جرير كان رئيسهم يوحنا (وجاء السحرة فرعون)
 أي بعدما أرسل الشرط في طلبهم (قالوا أئن لنا اجرا) أي جعلاً وعطاءً مكرماً به (ان كنا نحن
 الغالبين) بل موسى (فان قيل) هلا قيل فقالوا بالفاء (أجيب) بأنه على تقدير سائل سأل ما قالوا اذ
 جاؤا فأجيب بقوله أئن لنا اجرا ان كنا نحن الغالبين وقرأ ابن كثير وحفص بهمزة مكسورة ونون
 مشددة بعدها على الخبر والباقون بهمزتين وسهل الثانية أبو عمرو وأدخل ألفاً بينهما والباقون
 بفتحهما وأدخل بينهما ألفاً هتام والباقون بغير ألف بينهما (قال) لهم فرعون (نعم) أي لكم
 الاجر والعطاء وقرأ الكسائي بكسر العين والباقون بالفتح وقوله تعالى (وانكم لمن المقربين)

عطف على محذوف ستمئة الجواب كأنه قيل جوا بالقولهم أشن لنا لاجرا ان لكم اجرا وانك
لن المقربين أراد ان لا يقتصر انكم على الثواب بل أزيدكم عليه وتلك الزيادة اني أجمعكم من
المقربين عندي قال الكلبي تكونون أول من يدخل وآخر من يخرج من عندي والآية تدل
على ان كل الخلق كانوا عاقلين بأن فرعون كان عبدا ذليلا مهينا عاجزا والما احتاج الى الاستعانة
بالسحرة في دفع موسى وتدل أيضا على أن كل السحرة ما كانوا قادرين على قلب الاعيان والالما
لما احتاجوا الى طلب الاجر والمال من فرعون لانهم لو قدروا على قلب الاعيان لقلبوا التراب
ذهبا ولنقلوا ملك فرعون الى أنفسهم ولجاءوا لأنفسهم ملوك العالم ورؤساء الدنيا والمقصود
من هذه الآيات تنبيه الانسان لهذه الدقائق وأن لا يغتر بكلمات أهل الاباطيل والاكاذيب
(قالوا) أي السحرة (ياموسى ائمان تلقى) أي عصاك (واما أن نكون نحن الملقين) أي عصينا
وحبنا لنا فراوعا مع موسى عليه السلام حسن الادب حيث قدموه على أنفسهم في الالتقاء
فعوضهم الله تعالى حيث تأذوا مع نبيه عليه السلام ان من عليهم بالايان والهداية ولما راعوا
الادب أقولوا وأظهروا ما يدل على رغبتهم (قال) لهم موسى (ألقوا) انتم فقدمهم على نفسه
في الالتقاء (فان قيل) كيف جازلنبي الله تعالى موسى عليه السلام أن يأمر بالالقاء وقد علم أنه
سحر وفعل السحر حرام أو كفر (أجيب) عن ذلك بأجوبة أحدها انه مناه ان كنتم محقين
في فعلكم فالقوا والافلا تلقوا الثاني أن القوم انما جاؤا للقاء تلك الجبال والعصى وعلم موسى
عليه السلام انه لا بد وأن يقع لهوا ذلك ووقع التصير في التقديم والتأخير فعند ذلك أذن لهم في
التقديم ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما وعده الله تعالى من التأييد والتقوية وأن
المحجزة لا يغلبها سحر أبدا الثالث انه عليه السلام كان يريد ابطال ما أتوا به من السحر وابطاله
ما كان يمكن الالبته قديمهم فأذن لهم في الايمان بذلك السحر ليتمكنه الاقدام على ابطاله فلهذا المعنى
أمرهم بالالقاء أولا (فلما ألقوا) حباهم وعصيم (سحروا) أي صرفوا (أعين الناس) عر
ادراك حقيقة ما فعلوه من التويع والتضليل وهذا هو الفرق بين السحر الذي هو فعل الشر وبين
محجزة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذي هو فعل الله تعالى وذلك لان السحر ليس فيه قلب
الاعيان وانما فيه صرف أعين الناس عن ادراك ذلك الشيء بسبب التمويهات والمحجزة قلب
ذلك الشيء حقيقة كقلب عصا موسى عليه السلام فاذا هي حبة تسمى (واسترهبوهم) أي
أرهبوهم والسين زائدة قاله المبرد وقال الزجاج استعدوا رهبة الناس حتى رهبهم الناس وذلك
بأن بعثوا جماعة ينادون عند القادم ذلك أيها الناس احذروا فهذه هو الاسترهاب (وجاؤا) أي
السحرة (بسحر عظيم) روى ان السحرة قالوا قد علمنا سحر الانطيقه سحرة أهل الارض الآن
يكون أمر من السماء فانه لا طاقة لنا به وذلك انهم ألقوا حبلا غلاظا وخشب باطوا لافاذا هي
حيات تسمى كأمنال الجبال قدملات الوادى يركب بعضها بعضا ويقال انهم طلقوا تلك الجبال
بالزئبق وجعلوا داخل تلك العصى زئبقا لضيء وألقوها على الارض فلما أثر الشمس فيها
تحررت وتوى بعضها على بعض حتى تحبيل للناس انها حيات تحرك وتلتوى باختبارها

ويقال ان الارض كان سعتها ميل في ميل فصارت كلها حيات وأفاعى ففرغ الناس من ذلك
وأوجس في نفسه خيفة موسى وهذه الخيفة لم تحصل لموسى عليه السلام لاجل سحرهم لانه
كان على ثقة ويقين من الله تعالى أنهم لم يغلّبوه وهو غالبهم وكان عالماً بأن ما أتوا به على وجه
المعارضة لمجزته فهو من باب السحر والتضليل وذلك باطل ومع هذا الجزم يمنع حصول الخوف
لموسى عليه السلام وانما كان خوفه لاجل فرغ الناس واضطرابهم بما رأوه من أمر تلك
الحيات فخاف موسى عليه السلام ان يفرّقوا قبل ظهور معجزته ووجهه فلذلك أوجس في نفسه
خيفة موسى (وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك) فألقاها فصارت حية عظيمة قد سدّت الافق
قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية وقال بلغ ذنب الحية من وراء البحر ثم فحت فاذا غمانين
ذراعا (فاذا هي تلقف) بحذف احدى التاء من الاصل أى تبلع (ما يأفكون) أى
ما يزقرونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه روى انه ابتلع كل ما أتوا به من
السحر فكانت تبلع حبالهم وعصيم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل ثم أقبلت على الذين
حضروا ذلك انجمع ففرعوا ووقع الزحام عليهم فمات منهم بسبب ذلك الزحام خمسة وعشرون
ألفا ثم أخذها موسى عليه السلام فصارت في يده عصا كما كانت أول مرة فلما رأى السحرة
ذلك عرفوا أنه أمر من السماء وليس بسحر وعرفوا ان ذلك ليس في قدرة البشر وقوتهم فمعدند
ذلك خروا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين وذلك قوله تعالى (فوقع الحق) أى فظهر الحق الذى
جاءه موسى (وبطل ما كانوا يعملون) أى من السحر وذلك أن السحرة قالوا لو كان ما صنع
موسى سحر البقيت حبالنا وعصينا فلما فقدت وتلاشت في عصا موسى علما ان ذلك من أمر الله
تعالى وقدرته وقرأ حفص تلقف يسكون اللزم وتخفيف القاف والباقون بفتح اللام وتشديد
القاف وشدة التاء البرى (فغلبوا) أى فرعون وجوعه (هنالك) أى عند ذلك الامر العظيم
العالى الرئيسة (واقبلوا صاغرين) أى رجعوا الى المدينة اذ لا مقهورين (والقى السحرة
ساجدين) أى ان الله تعالى الههم ذلك وجههم عليه حتى يشكس فرعون بالذين أراد بهم
كسر موسى وينقلب الامر عليه قال الاخفش من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا (قالوا آمنا
برب العالمين) قال فرعون اياي تعنون قالوا لا بل (رب موسى) فقال اياي تعنون لاني انا الذى
رييت موسى فلما قالوا (وهرون) زالت الشبهة وعرف الكل انه لم كفر وايفرعون وآمنوا بالله
السماء قال مقاتل قال موسى اكبر السحرة أتؤمن بي ان غلبتك فقال لا تبين بسحر
لا يغلبه سحر ولئن غلبتني لأؤمن بك وفرعون ينظر اليهم سما ويسمع كلامهما فذا قوله ان هذا
لا كرم كرموه في المدينة ويقال ان الحبال والعصى التى كانت مع السحرة كانت حل ثلثائة
بغير فلما ابتلعتها عصا موسى عليه السلام كلها قال بعضهم لبعض هذا أمر خارج عن هذا
السحر وما هو الا من أمر السماء فآمنوا وصدقوا (فان قيل) كان يجب ان يأتوا بالايمان
قبل السجود فائدة تقديم السجود على الايمان (أجيب) بأن الله تعالى لما دلف في قلوبهم
الايمان والمعرفة خروا سجدا لله تعالى شكرا على ما هداهم اليه وألهمهم من الايمان بالله

تعالى وتصديق رسوله ثم أظهر وأبعد ذلك إيمانهم قال قتادة كانوا أول النهار كفاراً - هرة
 وفي آخره شهادة بررة وعن الحسن نرى من ولد في الاسلام ونشأ بين المسابين يبيع دينه بكذا
 وكذا وهو لاء الكفار نشوا في الكفر بذلوا أنفسهم لله تعالى (قال فرعون) للسهرة منكرا
 عليهم موجهاً لهم بقوله (آمنتم) أي صدقتم (به) أي موسى أو بالله تعالى والاستفهام فيه
 للانكار والتوبيخ (فائدة) هنالك ثلاث همزات جميع القراء يبدل الثالثة ألقا وحقق الثانية
 شعبة وحزة والكسائي وسهلها نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأما حفص فإنه أسقط
 الأولى وأبدلها قبل في الوصل واوا (قبل ان آذن لكم) أي قبل أن أمركم بذلك وآذن لكم
 فيه (ان هذا لكم مكرهوه) أي ان هذا الصنيع لحيلة احتلة وها أنتم وموسى (في المدينة) أي
 مصر قبل خروجكم الى هذا الموضع وذلك ان فرعون رأى موسى يحدث كبير السهرة فظن
 فرعون ان موسى وكبير السهرة قد تواطوا عليه وعلى أهل مصر ليس تلووا على مصر كما قال
 (لتخرجوا منها أهلها) أي القبط وتخلص لكم ولبنى اسرائيل وقوله تعالى (فسوف تعلمون)
 فيه وعيد وتهديد أي فسوف تعلمون ما أفعل بكم ثم نسر ذلك الوعيد بقوله (لا قطع أيديكم
 وأرجلكم من خلاف) أي يخالف الطرف الذي تقطع منه اليد الطرف الذي تقطع منه الرجل
 قال الكلبي لا قطع أيديكم اليمنى وأرجلكم اليسرى (ثم لا صلبنكم) أي أعاقبكم - مدة
 أيديكم لتصير على هيئة الصليب أو حتى يقطر صلبكم وهو الدهن الذي فيكم (اجمعين) أي
 لا أترك منكم أحداً تفضي حالكم وتكيد لأمثالكم قال ابن عباس أول من صلب وقطع الأيدي
 والارجل فرعون أي انه أول من سن ذلك فشرعه الله تعالى للقطاع تعظيماً لجرمهم ولذلك سماه
 محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لشرط رجته (قالوا) أي السهرة مجيبين لفرعون حين
 وعدهم بما ذكر (انا الى ربنا) بعد موتنا على أي وجه كان (منقلبون) أي راجعون اليه في
 الآخرة (وما ننقم) أي نكرر (مما) أي في فعلك ذلك بنا وتعب علينا (الآن آمنا) أي الاما هو
 أصل المقام كراهوا وهو الايمان (بآيات ربنا لما جاءتنا) لم تأخر عن معرفة الصدق وهذا موجب
 الاكرام لا الانتقام ثم فرغوا الى الله تعالى فقالوا (ربنا أفرغ علينا صبراً) عند ما توقعدهم
 فرعون به أي اصعب علينا صبراً كاملاً تاماً ولهذا أتى بلفظ التنكير أي صبراً وأي صبر عظيم
 (وتوفنا مسلمين) أي واقبضنا على دين الاسلام وهو دين خليلك عليه السلام قال ابن عباس كانوا
 في أول النهار هرة وفي آخر النهار شهداء قال الطبري ان فرعون قطع أيديهم وارجلهم وصلبهم
 وقال غيره انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى بآياتنا أنتم آمنتم ومن اتبعكم الغالبون (تنبيه) في الآية فوائد
 الأولى قولهم أفرغ علينا صبراً كمال من قولهم أنزل علينا صبراً لان فراغ الاناء هو صلب ما فيه
 بالسكامة فكانهم طلبوا من الله تعالى كل الصبر لا بعضه الثانية ان قولهم صبراً مذكور بصيغة
 التنكير وذلك يدل على تمام الكمال أي صبراً تاماً كاملاً الثالثة ان ذكر الصبر من قبلهم ومن
 أعمالهم ثم انهم طلبوه من الله تعالى وذلك يدل على أن فعل العبد لا يحصل الا بتطبيق الله تعالى
 وقضائه الرابعة احتج القاضي بهذه الآية على أن الايمان والاسلام واحد فقال انهم قالوا أولاً

آمنا بآيات ربنا ثم قالوا لئلا يؤتونا مسلمين فوجب أن يكون ذلك الايمان هو ذلك الاسلام وذلك
 يدل على أن أحدهما هو الآخر واعلم أن فرعون بعد وقوع هذه الواقعة لم يتعرض لموسى
 لأنه كان كلما رأى موسى عليه السلام خافه أشد الخوف فلهذا السبب لم يتعرض له إلا أن القوم
 لم يعرفوا ذلك فقالوا له أنذر موسى وقومه كما حكى الله تعالى ذلك عنهم بقوله تعالى (وقال الملا)
 أي الاشراف (من قوم فرعون) له (أنذر) أي تترك (موسى وقومه) من بني اسرائيل (ليفسدوا
 في الارض) أي أرض مصر وأرادوا بافساد فيها أنهم يأمر ونههم بمخالفة فرعون وهو قولهم
 (ويذركم وآلهتكم) أي معبوداتكم أي فلا يعبدك ولا يعبدوها قال ابن عباس كان لفرعون
 بقرة حسنة يعبدوها وكان إذا رأى بقرة حسنة أمرهم بعبادتها ولذلك أخرج لهم السامري
 عجلا وقال السدي كان فرعون اتخذ لقومه أصناما وكان يأمرهم بعبادتها وقال لهم أناربيكم
 ورب هذه الاصنام وذلك قوله أناربيكم الاعلى (فان قيل) أن فرعون ان لم يكن عامل
 العقل لم يجز في حكمة الله تعالى ارسال الرسل اليه وان كان عاقلا لم يجز ان يعتقد في نفسه كونه
 خالق السموات والارض لان فساد معلوم بالضرورة (أجيب) بأن الاقرب أن يكون دهريا
 منكرا لوجود الصانع وكان يقول مدبر هذا السقف هو الكواكب واتخذ اصناما على
 صورة الكواكب وكان يعبدوها يأمر بعبادتها وكان يقول في نفسه انه المطاع المخدوم في
 الارض ولهذا قال أناربيكم الاعلى (قال) فرعون مجيبا للته حين قالوا له أنذر موسى وقومه
 (سقتل أبناءهم) أي المولودين (وأنهي نساءهم) أي تتركهم أحياء كما كان يفعل من قبل ليعلم
 أماعلى ما كنا عليه من القهر والغلبة ولايتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب
 ملكك على يديه وقرأ نافع وابن كثير بفتح النون ويكون القاف وضم التاء مخففة والباقون
 بضم النون وفتح القاف وكسر التاء مشددة (وانافوقهم قاهرون) أي غالبون وهم مقهورون
 تحت أيدينا ولا أثر غلبة موسى لنا في هذه المناظرة فأعادوا عليهم القتل فشكت بنو اسرائيل
 لموسى فأمرهم بالصبر كما قال تعالى (قال موسى لقومه) أي بني اسرائيل (استمعوا بالله
 واصبروا) أي استمعوا بالله على فرعون وقومه فيما نزل بكم من البلاء فان الله تعالى هو الكافي
 لكم واصبروا على ما نالكم من المكاره في أنفسكم وأبنائكم (ان الارض) أي أرض مصر
 وان كانت الارض كلها (لله) تعالى لان الكلام فيها (بورثها من يشاء من عباده) وفي هذا
 تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله عز وجل والتثبت في الامر وقوله تعالى (والعاقبة) أي
 المحودة (للمتقين) لان الله تعالى وعدهم بالنصر وتذكير ما وعدهم به من اهلاك القبط وتوريثهم
 ديارهم وتحقيق له ولما سمع بنو اسرائيل ما قال فرعون من توعددهم بالقتل مرة ثانية (قالوا)
 لموسى (أوذيئنا من قبل أن تأتينا) أي بالرسالة وذلك ان بني اسرائيل كانوا مستضعفين في يد
 فرعون وقومه وكان يأخذ منهم الجزية وكان يستعملهم في الاعمال الشاقة الى نصف النهار
 ويعينهم من الترفه والتنم ويقتل أبناءهم ويهني نساءهم فلما جاء موسى بالرسالة وجرى له
 ما جرى شدد فرعون في استعمالهم فكان يستعملهم جميع النهار بلا أجر وأراد أن يعيد القتل

عليهم فقالوا أؤذي من قبل أن تأتينا (ومن بعد ما جئتنا) أي بالرسالة (فان قيل) ظاهر هذا الكلام يوهم أن بني إسرائيل كرهوا مجي موسى بالرسالة وذلك كفر (أجيب) عن هذا الإيهام بأن موسى عليه السلام كان قد وعدهم بزوال ما كانوا فيه من الشدة والمشقة فظنوا أن ذلك يكون على الفور فلما رأوا أن المشقة قد زادت عليهم قالوا ذلك أي فني يكون ما وعدتنا به من زوال ما نحن فيه (قال) موسى عليه السلام مجيبا لهم (عسى ربكم أن يهلك عدوكم) أي فرعون وقومه (ويستخلفكم في الأرض) أي يجعلكم تخلفونهم في أرضهم بعد هلاكهم قال البيضاوي ولعله أي بفعل الطمع أي بعسى أعدم جزمه بأنهم المستخلفون بأعيانهم أو أولادهم وقد روى أن مصراغا فتح لهم في زمن داود عليه السلام ثم سبب عن الاستخلاف قوله تعالى مذكر لهم محذرا من سطوانه تعالى (فينظر) أي وأنتم خلفاءكم تكونون (كيف تعملون) أي يعاملكم معاملة المختبر وهو في الأزل أعلم بما تعملون منكم بعد ابتاعكم للآعمال ولكنه يفعل ذلك لتقوم الحجة عليكم على مجاري عادته وروى عن عمرو بن عبيد أنه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدة رغيف أو رغيفان فطلب زيادة لعمره فلم يجد فقرا عمر وهذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون (واقدا أخذنا آل فرعون) أي فرعون وقومه (بالسنين) أي بالقطط والجوع سنة بعد سنة فأتت السنة تطلق بالغلبة على ذلك كما تطلق على العام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف (ونقص من الثمرات) أي بالعاهات قال قتادة أما السنين فلا هل البوادي وأما نقص الثمرات فلا هل إلا ما روى عن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا مرة (لعلهم يذكرون) أي يتعظون فيؤمنون ويرجعون عما هم عليه من الكفر والمعاصي لأن الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله تعالى من الخيرات والدليل على ذلك قوله تعالى وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه وقوله تعالى وإذا مسه الضر فذودعاء عريض وقال سعيد بن جبيرة عاش فرعون أربعين سنة لم يرمكروها في نفسه ثلثمائة وعشرين سنة ولو أصابه في تلك المدة وجع أو جوع أو حى لما ادعى الربوبية ثم بين سبحانه وتعالى أنهم عند نزول تلك المحن عنهم يقتسمون على ما يزيد في كفرهم ومعصيتهم فقال (فإذا جاءتهم الحسنة) قال ابن عباس العشب والخصب والثمار والموائى والسعة في الرزق والعافية والسلامة (قالوا لها هذه) أي نحن مستحقون على العادة التي جرت من كثرة نعمتنا وسعة أرزاقنا ولم يعلموا أنه من الله تعالى فيشكروه على أنعامه (وإن نصبهم سيئة) أي فخط وجدب ومرض وبلاء ورأوا ما يكرهونه في أنفسهم (يطيروا) أي يتشاءموا وأصله يطيروا (بعسى ومن معه) من المؤمنين ويقولون ما أصابنا إلا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم في الغباوة والقساة فأتت الشدة ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانتهوا كما في البغي وانما عرفت الحسنة وذكرها مع ادانة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الإرادة بأحداثها بالذات ونكر السيئة وأتى بها مع حرف الشك لتبدو رها وعدم قصد لها إلا بالتبعية (الانما)

طائرهم عند الله) أى سبب خيرهم وشرهم عنده تعالى وهو حكمه ومشيتته أو سبب شؤمهم عند الله تعالى وهو أعمالهم المكتوبة عنده فانهم التي ساقط اليهم ما يسوءهم (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أى ان ما يصيبهم من الله تعالى وذلك لان أكثر الخلق يضيفون الحوادث الى الاسباب المحسوسة ويقطعونها عن قضاء الله تعالى وتقديره والحق ان الكل من الله تعالى لان كل موجود اما واجب لذاته أو ممكن لذاته والواجب لذاته واحد وما سواه ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته وبهذا الطريق يكون الكل من الله تعالى فاستناده الى غير الله تعالى يكون جهلا بكلال الله تعالى (وقالوا) أى فرعون وقومه القبط لموسى عليه السلام (مهما تأتينا به) وقوله تعالى (من آية) أى من عند ربك بيان لمهما وانما هو آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا (لتسحرنا بها) أى لتصرفنا عما نحن عليه من الدين (فما نحن لك بؤمنين) أى بمصدقين * (تنبيه) * اختلاف فى أصل مهمما ففيل أم لهما ما الاولى ما الشرطية والثانية ما الزائدة ضمت اليها للتأكيد ثم قلبت ألفها هاء استعقالاتا لذكر التخييل فصارت مهمما هذا قول الخليل والبصريين وقيل أصلهما هاء التي بعني اكفف وما الجزائية كأنهم قالوا اكفف ما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فهو كذا وكذا هذا قول الكسائي فهي مركبة على هذين القولين والمعتمد الذى جرى عليه ابن هشام وغيره انه بسيطة لان دعوى التركيب لم يقم عليها دليل ووزنه افعلى وأنها للالحاق والتأنيث والضمير ان فى به وبها راجعان لمهما الا أن أحدهما ذكر باعتبار اللفظ والثانى أنث باعتبار المعنى لانه فى معنى الآية وضحه قول زهير

ومهما يكن عند امرئ من خليقة * واذا خالها تخفى على الناس تعلم

قال فى الكشف وهذه الكلمة فى عدد الكلمات التى يحذفها من لا يذله فى علم العربية فضعها فى غير موضعها وبحسب انها معنى متى ما يقول مهمما جئتني أعطيتك قال ابن عباس ان القوم لما قالوا مهمما تأتينا به من آية من ربك فهي عندنا من باب السحرو نحن لانؤمن بها البتة وكان موسى عليه السلام رجلا حديدا فعند ذلك دعا عليهم فاستجاب الله تعالى له فقال تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان) وقال سعيد بن جبير لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا أبى هو وقومه الا الإقامة على الكفر والتمادى على الشرف تابع الله تعالى عليهم الآيات فأخذهم أولا بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات وأراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال يا رب ان عبدك فرعون علا فى الارض وبني وعتاوان قومه قد نقضوا العهد فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نعمة ولقوى عظة ولن بعدهم آية وعبرة فبعث الله تعالى عليهم الطوفان وهو الماء فأرسل الله تعالى عليهم المطر من السماء ويوت بنى اسرائيل ويوت القبط مشتبكة محتلمة قامت يوت القبط حتى قاموا فى الماء الى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء فى يوت بنى اسرائيل شئ وتركب ذلك الماء على ارضهم فلم يقدروا ان يمحروا ولا يعملوا شئ أودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت حتى كان الرجل منهم لا يرى شمسا ولا قرا ولا يستطيع الخروج من داره فصرخوا الى فرعون واستغاثوا به فأرسل الى موسى عليه

السلام فقال اكشف عنا العذاب فقد صار بجرا واحدا فان كشف هذا العذاب آمنابك فأزال
 الله تعالى عنهم المطر وأرسل الرياح فجفت الارض وخرج من النبات ما لم يرمثه قط فقالوا هذا
 الذي جزعنا منه خير لنا لكالم نشعر فلا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بنى اسرائيل وقيل المراد
 بالطوفان الجدري وهو بضم الجيم وفتح الدال ويقطعهما قروح في البدن تنفط وتنضج وقيل
 هو الموتان وهو بضم الميم موت في الماشية وقيل هو الطاعون فنكثوا العهد (و) لم يؤمنوا
 وأقاموا شهرافى عاقبة فأرسل الله تعالى عليهم (الجراد) فأكل النبات والثمار وأوراق الشجر
 حتى كان يأكل الابواب وسقوف البيوت وسامير الابواب من الحديد وابتلى الجراد بالجموع
 فكانت لا تتبع ولم يصيب بنى اسرائيل شئ من ذلك وعظم الامر عليهم حتى صارت عند طيراتها
 تغطي الشجر ووقع بعضها على بعض في الارض ذراعا فضجوا من ذلك وقالوا يا موسى ادع لنا
 ربك لننـ **ك**شفت عنا الرب لنؤمن لك فأعطوه عهدا لله وميثاقه فعدا موسى عليه السلام
 فكشف الله عنهم الجراد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت وفي الخبر مكتوب على
 صدر كل جرادة جند الله الاعظم ويقال ان موسى عليه السلام برز الى الفضاء وأشار بعصاه نحو
 المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت وقيل أرسل الله تعالى ريحا فاحتمل الجراد
 فألقاه في البحر وكان قديني من زرعهم وغلاتهم بقية فقالوا قديني لنا ما يكفينا فأنحن بتاركي ديننا
 (و) لم يؤمنوا وأقاموا شهرافى عاقبة وعادوا الى أعمالهم الخبيثة فأرسل الله تعالى عليهم (القمل)
 واختلقوا في القمل فعن ابن عباس انه السوم الذي يخرج من الحنطة وعن قتادة انه أولاد
 الجراد قبل نبات أجنتها وعن عكرمة انه الجنان وهو ضرب من القراد وعن عطاء القمل المعروف
 فأكل ما أبقاه الجراد وحلحس الارض وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلد فيهصه وكان أحدهم
 يأكل طعاما فيمتلي قفلا وكان أحدهم يخرج عشرة أجربة الى الرحا فلا يرد منها الا شيئا يسيرا وعن
 سعيد بن جبير كان الى جنبهم كتيب أعقر فضربه موسى عليه السلام بعصاه فصارت قفلا فأخذت
 ابشارهم وأشعارهم وأشعار عيونهم وحواجرهم ولزم جلودهم كأنه الجدري ومنعهم النوم
 واقتراد فصاحوا وصرخواهم وفرعوا الى موسى عليه السلام وقالوا اننا تور فادع لنا ربك
 يكشف عنا هذا البلاء فدعا موسى ورفع الله القمل عنهم بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت
 الى السبت فنكثوا وعادوا الى أخبت أعمالهم وقالوا ما كنا أحق أن نستيقن أنه ساحر منا اليوم
 جعل الرجل دواب (و) لم يؤمنوا فدعا موسى عليه السلام عليهم بعدما أقاموا شهرافى عاقبة
 فأرسل الله تعالى عليهم (الضفادع) فامتلائت منها بيوتهم وأطعمتهم وآيتهم فلا **ك**شف
 أحدهم عن ثوب ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس في الضفادع
 الى رقبته ويهم أن يتكلم فينب الضفدع في فيه وكان يثب في قدورهم فيفسد عليهم طعامهم
 ويطفئ نيرانهم وكان أحدهم يضطجع فيركبه الضفدع فيكون عليه ركما حتى لا يستطيع أن
 ينصرف الى شقه الاخر ويفتح فاه الى أكلة فيسبق الضفدع أكله الى فيه ولا يهجن عينا ولا
 يفتح قدرا الا امتلائت ضفادع وعن ابن عباس أن الضفادع كانت برية فلما أرسلها الله تعالى

الى آل فرعون سمعت فاطاعت فجعلت تلقى نفسها في القادر وهي تغلى وفي التناير وهي تفور
 فأناهم الله تعالى بحسن طاعتها برد الماء فلقوا منها آذى شديدا فشكوا الى موسى عليه السلام
 وقالوا ارجعنا هذه المرة فابقى الا أن تتوب التوبة النصوح ولا تعود فأخذ عهودهم ومواثيقهم
 ثم دعا ربه فكشف عنهم الضقار بأن أماتها وأرسل الله المطر والريح فاحتملها الى البحر بعد
 ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ثم نكثوا العهد (و) لم يؤمنوا وعادوا الكفر
 وأعمالهم الخبيثة فدعا عليهم موسى بعدما أقاموا شهر في عافية فأرسل الله تعالى عليهم (الدم)
 فصارت مياههم كلها دما غيايسة تقون من يثر ولا نهرا الا وجدوه دما عبيطا أحرقوا الى
 فرعون وقالوا اليس لنا شراب فقال انه مصركم فقالوا من أين سحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا
 شيئا من الماء الا دما عبيطا وكان فرعون لعنه الله تعالى يجمع بين القبطي والاسرائيلي على
 الاناء الواحدة فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويقومان الى البحر ترفيها الماء
 فيخرج للاسرائيلي ماء وللقبطي دم حتى كانت امرأة من آل فرعون تأتي للمرأة من بنى
 اسرائيل حين جهدهم العطش فتقول اسقيني من مائتك فتصب لها من قربتها فيعود في
 الاناء دما حتى كانت تقول اجعليه في فيك ثم يجبه في في فتأخذ في فيها ماء واذا شجته في فيها
 صار دما واغترى فرعون العطش حتى أنه كان يضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار
 ماء وهذا ما نكثوا على ذلك سبعة أيام لا يشربون الا الدم فأقوا موسى وشكوا اليه
 ما يلقونه وقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك وترسل معك بنى اسرائيل
 فدعا موسى عليه السلام ربه فكشف عنهم وقيل الدم الذي سلب عليهم هو الراف وقوله تعالى
 (آيات) نصب على الحال (مفصلات) أى مميزات لا تشكل على عاقل انها آيات الله تعالى
 ونقمة عليهم أو مفصلات لا متصان أحوالهم اذ كان بين كل آيتين منها شهر وكان امتداد كل
 واحدة اسبوعا كما مررت الاشارة الى ذلك وقيل ان موسى عليه السلام ليث فيهم بعد ما غلب
 الدهرة وآمنوا به عشرين سنة يرهم هذه الآيات على مهل (فاستكبروا) عن الايمان فلم
 يؤمنوا (وكانوا) أى فرعون وقومه (قوما مجرمين) أى كافرين (ولما وقع عليهم الرجز)
 أى نزل بهم العذاب وهو ما ذكره الله تعالى من الطوفان وما بعده وقال سعيد بن جبير الرجز
 الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس التي تقدمت فنزل بهم الطاعون فلبث به
 من القبط في يوم واحد - يهون الفناوتر كواخبر مدغونين قال الامام الرازي والقول الاول
 أقوى لأن لفظ الرجز مفرد محلى بالالف واللام فينصرف الى المعهود السابق وهذه المعهود
 السابق هو الانواع الخمسة التي تقدم ذكرها وأما غيرها فشكول وفيه فعمل القضا على المعالم أولى
 من حمله على المشكول فيه وعن أسامة بن زيد الطاعون رجز أرسل على طائفة من بنى اسرائيل
 وعلى من كان قبلكم فاذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا
 تخرجوا فرار منه (قالوا يا موسى ادع لنا ربك) ولم يبقوا لو ابنا كبراهمتوا (بما عهد عندك)
 أى بعهده عندك وهو النبوة وميث عهد الان الله تعالى عهد أن يكرم النبي وهو عهد

أن يستقل بأعبائها أو بالذي عهد الله لك أن تدعوه فيجيبك كما أجابك به في آياتك والباقي
 أن تتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين أحدهما أسعفنا إلى ما نطلب منك من الدعاء لك بحق
 ما عندك من عهد الله وكرامته بالعبودية وأدع الله لنا متوسلا إليه بعهد عندك وأما أن يكون
 قسما مجابا بقوله تعالى (لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننَّ لك) أي أقسمنا بعهد الله تعالى عندك
 لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننَّ لك (ولترسلنَّ معك بنى إسرائيل) أي لصدقنَّك بما جئت
 به ولظننَّ بنى إسرائيل ليذهبوا حيث شأرا (فلما كشفنا عنهم الرجز) أي بدعاء موسى عليه
 السلام (إلى أجل هم بالغوه) أي إلى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فغضبون فيه لا يتقهم
 ما تقدم لهم من الأمهال وكشف العذاب إلى حلوله وهو وقت أهلاكهم بالفرق في اليوم وقوله
 تعالى (إذا هم ينكتون) جواب لما أي فلما كشفنا عنهم فاجأوا النكت من غير توقف وتأمل
 فيه (فان قيل) إن الله تعالى علم من حال هؤلاء أنهم لا يؤمنون بخلق المعجزات فما العائدة في
 نوالها عليهم وإظهار الكثير منها (أجيب) بأن الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يستل
 عما يفعل قال تعالى (فانتقمنا منهم) أي كافأناهم على سوء صنيعهم وأصل الانتقام في
 اللغة سلب النعمة بالعذاب لانه تعالى لما كشف عنهم العذاب مراراً فلم يؤمنوا ولم يرجعوا عن
 كفرهم وياغوا الأجل الذي أجل لهم انتقم منهم بأن أهلكهم كما قال تعالى (فأغرقناهم
 في اليم) أي في البحر الذي لا يدرك ثغره وقبل هو لجة البحر ومعظم ما اشتقاقه من التيم لان
 المتفيعين به يقصدونه قال الأزهرى ويقع اليم على البحر الملح والبحر المذب ويدل على ذلك
 قوله تعالى فاقذفه في اليم والمراد بيل مصر وهو عذب واغراقهم (بأنهم) أي بسبب أنهم
 (كذبوا بآياتنا) الدالة على وحدانيتنا وصدق رسولنا (وكلوا عنها) أي الآيات (عافلين) أي
 لا تدبرونها وقيل الضمير في عنها يرجع للنقمة التي دل عليها قوله تعالى انتقمنا أي وكانوا عن
 النقمة قبل حلولها عافلين (فان قيل) المفعله ليست من فعل الانسان ولا تحصل باختياره فكيف
 جاء الوعيد على العقلة (أجيب) بأن المراد بالعقلة هنا الاعراض عن الآيات وعدم الالتفات
 إليها فهم أعرضوا عنها حتى صاروا كالعافلين عنها (فان قيل) أليس قد ضموا إلى التكذيب
 والعقلة معاصي كثيرة فكيف يكون الانتقام بهذين دون غيرها (أجيب) بأنه ليس في بيان أنه
 تعالى انتقم منهم بهذين دلالة على نفي ما عداهما قال الرافضى والآية تدل على أن الواجب
 في الآيات النظر فيها فدللت ذمتهم بأنهم غفلوا عنها وذلك يدل على أن التقليد طريق مذموم
 ولما بين تعالى إهلاك القوم بالفرق على وجه العقوبة بين تعالى ما فعله لبعث المؤمنين من النخيرات
 وهو أنه تعالى أودعهم أرضهم وديارهم فقال تعالى (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون)
 أي بالاستعباد وبيع الأبناء مأخذاً بطرية والأعمال الشاقة وهم بنو إسرائيل (مشارق الارض
 ومغاربها) أي أرض الشام وهي من المغارات إلى بحر سرف الموضع الذي ترجوا منه من البحر
 وغرق فيه مفرعون وآله كما نقله البقاعي في المائدة عن التوراة وقيل المراد بجملة الارض لانه
 خرج من جملة بنى إسرائيل داود وسليمان عليهما السلام وقدمنا كما الارض ويدل للاول قوله

تعالى (التي باركنا فيها) أي بالخصب وسعة الارزاق وذلك لا يليق إلا بأرض الشام (وعت كمت
 ربك الحسنى على بني اسرائيل) أي مضت عليهم واستقرت من قولهم تم عليه الامر اذا قضى وهي
 قوله تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض الخ والحسنى تأنيث الاحسن صفة
 للكلمة ومعنى تمت عليهم انجاز الوعد الذي تقدم به لاهلها واستخلافهم في الارض وانما
 كان الانجاز تاما للكلام لان الوعد بالشئ يبقى كالشئ المعلق فاذا حصل الموعد به فقد تم ذلك
 الوعد وكل (فائدة) • رسمت كلمة بالتاء الجرورة ووقف عليها بالهاء ابن كثير وأبو عمرو
 والكسائي ووقف الباقيون بالتاء وانما حصل لهم ما ذكر (بما صبروا) أي بسبب صبرهم وحسبك
 به ما نال على الصبر ودال على أن من قابل البلاء بالجزع وكاه الله تعالى اليه ومن قابله بالصبر
 وانتظار النصر ضمن الله تعالى له الفرج (ودمنا) أي أهلكنا قال اللبث الدمار الهلاك التام
 (ما كان يصنع فرعون وقومه) في أرض مصر من القصور والعمارات (وما كانوا يعرشون)
 أي من الجنان وما كانوا يرفعون من البنين كصرح هامان وقرأ ابن عامر وشعبة بضم الراء
 والباقيون بالجر وهذا آخر ما قص الله تعالى من بنا فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم
 ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص نبأ بني اسرائيل وما أحدثوه بعد انقاذهم من مملكتهم فرعون
 واستعبادهم ومعانيذهم الآيات العظام بقوله تعالى (وجاورنا بني اسرائيل البحر) أي قطعناه
 بهم روى أن جوازهم كان يوم عاشوراء وان موسى عليه السلام صامه شهرا لله تعالى على
 انجائهم واهلاك عدوهم ومع النعم التي أنعم الله تعالى به عليهم لم يراعوا حق رعايتها كما حكى الله
 تعالى عنهم ذلك بقوله تعالى (فأتوا على قوم) أي متروا عليهم (يعكفون على أصنام لهم) أي
 يقيمون على عبادتها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل قيل كانوا اقوما
 من لحم وكانوا نزولا بالرقعة وقيل كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم وقرأ حمزة
 والكسائي بكسر الكاف والباقيون بالضم (قالوا) أي قال بعضهم لم بعض لانه كان مع موسى
 السبعون المختارون وكان فيهم من يرتفع عن مثل هذا السؤال الباطل وهو قولهم
 (يا موسى) سموه كما ترى باسمه جفاء وغلظة (اجعل لنا الهة) أي صنما تعتكف عليه وهذا
 يدل على غاية جهلهم وذلك أنهم توهموا أنه يجوز عبادة غير الله تعالى بعدما رأوا الآيات
 الدالة على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وهي الآيات التي نالت على قوم فرعون حتى
 أغرقهم الله تعالى في البحر بكفرهم وهو عبادتهم غير الله سبحانه وتعالى فعملهم جهلهم
 إلى أن قالوا انبيهم موسى عليه السلام اجعل لنا الهة (كالههم آلهة) وفي ذلك تسلية للنبي
 صلى الله عليه وسلم مما رأى من بني اسرائيل بالمدينة تذكر لحال الانسان وانه ظالم جهول
 كنود الامن عصمه الله وقليل من عبادى الشجر (قال) موسى رداعليهم (أنكم قوم
 تجهلون) وصفهم بالجهل المطلق وأكده بعد ما صد رعتهم بعدما رأوا من الآيات العظمى
 والمعجزة الكبرى لانه جهل أعظم مما رأى منهم وأشنع (ان هؤلاء) أي القوم (متبراي هالك
 مدمر ما هم فيه) أي ان الله تعالى يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم أصنامهم ويحاجلها

رضا (وباطل) أى مضمحل (ما كانوا يعملون) من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى لان الاشتغال بعبادة غير الله ينزل معرفة الله تعالى من القلب والمقصود من العبادة رسوخ معرفة الله تعالى في القلب فكان هذا ضد الغرض ونقيض المطلوب (قال موسى عليه السلام بحسب الهم على سبيل الاتكاف عليهم والتعجب) (أغير الله أبعيكم الهاء) وأصله أبعي لكم أى أطلب لكم معبودا (وهو) أى والحال أنه هو وحده (فضلكم على العالمين) اذا لا اله ليس شيا يطلب ويلتمس ويتخذ بل الاله هو الذى يكون قادرا على الانعام بالايجاد واعطاء الحياة وجميع النعم فهذا الموجود هو الاله الذى يجب على الخلق عبادته فكيف يجوز العدول عن عبادته الى عبادة غيره وفي تفضيلهم على العالمين قولان الاول أنه تعالى فضلهم على عالمي زمانهم الا ما يخصه العقل من الانبياء والملائكة والثاني أنه تعالى خصهم تلك الآيات القاهرة ولم يحصل مثلها لاحد من العالمين وان كان غيرهم فضلهم بسائر الخصال مثل رجل يعلم علما واحدا وآخر يعلم علوما كثيرة وى ذلك العلم فصاحب العلم الواحد مفضل على صاحب العلوم الكثيرة بذلك العلم في الحقيقة (واذا أنجبناكم من آل فرعون) أى واذا كروا صنعه معكم في هذا الوقت وقرأ ابن عامر بحذف الياء والنون والباقون يثبتها وقوله تعالى (يسومونكم) أى يكافونكم ويذيقونكم (سوء العذاب) أى أشد استئناف لبيان ما أنجاهم أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون أو منهم ما وقوله تعالى (يقتلون أبناءكم ويستحيون) أى يستبقون (نساءكم) بدل من يسومونكم سوء العذاب (وفي ذلكم) أى الانجاء أو العذاب (بلاء) أى نعمة أو محنة (من ربكم عظيم) أى أفلا تتعظون وتنتهون عما قلتم (ورأى موسى ثلاثين ليلة) نكاهه عند انتهائها بان يصوم أيامها روى أن موسى عليه السلام وعد بنى اسرائيل بعصر أن يأتيهم بعد مهلك فرعون بكاب من الله تعالى فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك سأل ربه فأمر بصوم ثلاثين وهو شهر ذى القعدة فصامه فلما عت أنكر خلفه فقتل فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فأفسدته بالسؤال وقيل أوحى الله تعالى اليه أما علمت أن خلفكم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك فأمره الله تعالى بعشرة أخرى ليكلمه الله بخلافه كما قال تعالى (وأعمناها بعشر) أى من ذى الحجة (فتم ميعات ربه) أى وقت وعده بتكليمه إياه (أربعين ليلة) وقيل أمره أن يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم أنزل عليه التوراة في العشر وكلها فيها ولقد أجمل ذكر الأربعين في سورة البقرة وفصلها هنا وقرأ أبو عمرو وعدنا بغير ألف قبل العين والباقون بألف (فان قيل) ما فائدة قوله تعالى فتم ميعات ربه أربعين ليلة مع أن كل أحد يعلم أن الثلاثين مع العشر تكون أربعين (أجيب) بأنه تعالى انما قال أربعين ليلة إزالة لتوهم أن ذلك العشر من الثلاثين لانه يحتمل أعمناها بعشر من الثلاثين كانه كان عشرين ثم أتمه بعشر فصارت ثلاثين فأزال هذا الابهام * (ففيه) * الفرق بين الميعات والوقت أن الميعات ما قدر فيه عمل من الأعمال والوقت وقت الشيء قدره مدته ثم لا وقوله تعالى أربعين نصب على الحال أى تم بالغاه هذا العدد وليلة نصب على التمييز (وقال موسى لاختيه) وقوله (هرون) عطف بيان لاختيه أى قال له عند ذهابه الى الجبل للمناجاة (اخلفنى) أى كن

خليفة (في قومي وأصلح) أي ما يجب أن يصلح من أمورهم أو مصلحتهم (ولا تتبع سبيل
المفسدين) أي ومن دعا لهم منهم إلى الفساد فلا تتبعه ولا تطعه (فان قيل) ان هرون كان شريك
موسى عليه السلام في النبوة فكيف جعله خليفة لنفسه فان شريك الانسان أعلى حالا من
خليفته وودا الانسان من منصبه الأعلى إلى الأدنى يكون اهانة له (أجيب) بأن الامر وان كان
كما ذكر الآن موسى عليه السلام كان هو الاصل في تلك النبوة (فان قيل) لما كان هرون نبيا
والنبي لا يفعل الا الاصلاح فكيف وصي اليه بالاصلاح (أجيب) بأن المقصود من هذا الامر
التأكيد كقول الخليل ولكن ليطمئن قلبي (ولما جاء موسى لميقاتنا) أي للوقت الذي وعدناه
للكلام فيه (وقله ربه) ذات الآية الكريمة على أنه تعالى كلم موسى عليه السلام والناس
مختلفون في كلام الله تعالى قال الزمخشري في كشافه وكله ربه من غير واسطة كما يكلم الملك
وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح اه وهذا
مذهب المعتزلة ولا شك في بطلانه وفساده لان ذلك الجرم كالشجرة لا يقول أنا الله لا اله الا أنا
فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى فثبت بذلك بطلان ما قالوه وذهب بعض الحنابلة والخشوية إلى أن
كلام الله تعالى حروف وأصوات متقطعة وانه قديم قال الامام الرازي وهذا القول أخسر من
أن يلتفت اليه العاقل والذي عليه أكثر أهل السنة والجماعة أن كلام الله تعالى صفة مغيرة
لهذه الحروف والاصوات وان موسى سمع تلك الصفة الحقيقية الازلية قالوا كما أنه لا يبعد رؤية
ذاته مع أن ذاته ليست جسما ولا عرضا كذلك لا يبعد سماع كلامه مع أن كلامه لا يكون حرفا
ولا صوتا وفيما روى أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على أن
سماع كلامه تعالى القديم ليس من جنس كلام المحدثين وهل كان سبحانه وتعالى كلم موسى
وحده أو مع أقوام آخرين ظاهر الآية يدل للأول لان قوله تعالى وكله ربه يدل على تخصيص
موسى عليه السلام به هذا التشریف والتخصيص بالذكري يدل على نفي الحكم عن عداة وقال
القاضي بل السبعون المختارون سمعوا أيضا كلام الله تعالى قال لان الغرض باحضارهم أن
يجربوا قوم موسى عليه السلام عما يجري هناك وهذا المقصود لا يتم الا عند سماع الكل
وأيا فان تكليم الله تعالى موسى على هذا الوجه معجز وقد تقدمت نبوة موسى عليه السلام
فلا بد من ظهور هذا المعنى لغيره ولما سمع عليه السلام كلام ربه اشتاق إلى رؤيته سبحانه
وتعالى (قال رب أرني أنظر اليك) قال في الكشف ثاني مفعولي أرني محذوف أي أرني
نفسك أنظر اليك (فان قيل) الرؤية هي النظر فكيف قيل أرني أنظر اليك (أجيب) بأن معنى
أرني نفسك اجعلني متمكنا من رؤيتك بأن تجعلني قاتنرا اليك وأراك وفي هذا دليل على أن
رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال خصوصا ما يقتضي الجهل بالله
تعالى ولذلك رده بأن (قال) له (ان تراني) دون لن أرى ولن أريك ولن تنظر الي تنبيه على أنه
قاصر عن رؤيته لتوقه على بعد في الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيته قومه الذين
قالوا أرنا الله جهرة كما قاله الزمخشري أشد خطأ اذ لو كانت الرؤية بمنععة لوجب أن يجهاهم

ويزيل شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الهاء والاسم تدلال بالجواب وهو قوله تعالى لن
 تراني على استحيائهم أشد خطاً اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على أنه لا يراه أبداً
 وأن لا يراه غيره أصلاً فضلاً عن أن يدل على استحالة فأن أهل البدع والخواارج والمعتزلة
 وبعض المرجسة قالوا لن تكون لتأييد النفي وهو خطأ لأنها لو كانت للتأييد لزم التناقض بذكر
 اليوم في قوله تعالى فلن أكلم اليوم انسياء لزم التكرار بذكر أي في قوله تعالى ولن يغنوه أبداً
 ولن تجتمع مع ما هو لا انتهاء الغاية نحو قوله تعالى فلن أريح الارض حتى يأذن لي أي وأما تأييد
 النفي في قوله تعالى لن يخلقوا ذباباً فلا امر خارجي لامن مقتضيات لن ولا تقتضي تأكيدهم النفي
 أيضاً خلافاً للزمخشرى في كشافه بل قولك لن أقوم محتمل لان تريده انك لا تقوم أبداً وأنتك
 لا تقوم في بعض الازمنة المستقبلية وهو موافق لقولك لا أقوم في عدم افادة التأكيدهم وقوله
 تعالى (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني) استدلوا يريد أن يبين به أنه
 لا يطبق الرؤية في تعليق الرؤية بالاستقرار أيضاً دليل على جوازها لان استقرار الجبل عند
 التهيئ ممكن بان يجعل الله تعالى له قوة على ذلك والمعلق على الممكن ممكن وتراني في الحرفين
 الياء ثابتة وقفاً ووصلاً وقرأ أبو عمرو وعاصم وحزرة بكسر النون والباقون بالضم قال وهب
 ابن منبه ومحمد بن اسحق لما سأل موسى ربه الرؤية أرسل الله الضباب والصواعق والرعد
 والبرق حتى أحاطت بالجبل الذي عليه موسى أربعة فراعخ من كل جانب وأمر الله تعالى
 ملائكة السموات أن يعرضوا على موسى عليه السلام فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثيران
 البقر تنبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد ثم مرت به
 ملائكة السماء الثانية كأنهم كالسود لهم جلب بالتسبيح والتقديس ففرع مما رأى وسمع
 وامتدعت كل شعرة في جسده ورأسه ثم قال لقد ندمت على مسئلتى فهل ينبغي من مكافى الذى
 أنافىه شئ فقال له رئيس الملائكة يا موسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم مرت به
 ملائكة السماء الثالثة كأنهم كالسود لهم قصف ورجف وجلب شديد وأفواههم تنبع
 بالتسبيح والتقديس كلهم الجيش العظيم ألوانهم كلها نار ففرع موسى عليه السلام
 واشتد فزعهم وأيس من الحياة فقال له رأس الملائكة مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا صبر لك
 عليه ثم مرت به ملائكة السماء الرابعة لا يشبههم شئ من الذين مروا به ألوانهم كلها نار
 وسائر خلقهم كالثلج الأبيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شئ من الذين مروا
 به قبلهم فاصطكت ركبته وأربع قلبه واشتد بكاءه فقال له رأس الملائكة يا ابن عمران
 اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم مرت به ملائكة السماء الخامسة لهم سبعة ألوان فلم
 يستطع موسى أن يثبتهم بصروهم لم يسمع مثل أصواتهم فامتلا جوفه خوفاً واشتد حزنه
 وكثر بكاءه فقال له رأس الملائكة يا ابن عمران مكانك حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه ثم مرت به
 ملائكة السماء السادسة وفي يد كل واحد منهم مثل النحلة الطويلة نوراً أشد ضوءاً من
 الشمس ولباسهم كلها نار اذ اسبحوا وقد سوا جوابهم من كان قباهم من ملائكة السموات

كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبح قدوس رب العزة أبد الايوت في رأس كل ملك منهم أربعة
أوجه فلما رآهم موسى رفع صوته يسبح معهم وهو يكي ويقول يا رب اذكروني ولا تنس عبدك
لا أدري أنزلت مما أنا فيه أم لا ان خرجت احترقت وان مكثت احترقت فقال له رأس الملائكة
قد أوشك يا ابن عمران أن يشترد خوفك ويخلع قلبك فاصبر لنذي سألت ثم أمر الله تعالى أن
يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة فلما بدا نور العرش انصدع نور الجبل من عظمة الله تعالى
ورفعت الملائكة أصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبد الايوت بشدة
أصواتهم فارتحل الجبل وانك ذلك قوله تعالى (فلما تجلج ربه) أي أظهر من نوره قدر نصف أغلة
الخنصر كما في حديث صحبه الحاكم (للجبل) أي جبل زبير فتح الزاى والاضافة فيه بيانية لقول
الجوهري الزبير اسم للجبل الذي كلم الله تعالى موسى عليه السلام عليه (جعله دكا) أي
مذكورا كامفقتا وحكى عن سهل بن سعد الساعدي ان الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب
نورا قدر الدرهم فجعل الجبل دكا مستويا بالارض والملك والدق اخوان وقال ابن عباس
جعله ترابا وقال سفيان ساخ الجبل في الارض حتى وقع في البعرة ويذهب فيه وقال الكلبي
كسر جبال الصغار قال البغوي ووقع في بعض التفاسير صار لعظمته ستة أجبل وقعت ثلاثة
بالمدينة أحدها وورقان ورضوى ووقعت ثلاثة بمكة ثور وثير وحر وقرأ حمزة والكسائي
بأنف بعد الكاف وهمزة مفتوحة من غير تنوين وصلوا ووقفا أي مستويا ومنه ناقة دكا التي
لا سنام لها والباقون بالتنوين بعد الكاف والوقف على ألف التنوين (وخر) أي وقع (موسى
صهقا) أي مغشيا عليه من هول ما رأى غشية كالموت وروى أن الملائكة مرت عليه وهو
مغشى عليه فجعلوا يذكرونه بأرجلهم ويقولون له يا ابن النساء الخيض أطمعت في رؤية رب
العزة (فلما أفاق) من غشيته (قال) تعظيما لما رأى (سبحانك) أي تنزيها لك من النقائص كلها
(تبت اليك) أي من الجراءة والاقدام على السؤال بغير إذن وقيل لما كانت الرؤية مختصة
بمحمد صلى الله عليه وسلم فمنعها قال سبحانه تبت اليك من سؤال ما ليس لي وقيل لما سأل
الرؤية ومنعها قال تبت اليك من هذا السؤال وحسنات الابرار سياآت المقربين (وانا أقول
المؤمنين) أي في زمانى وقيل أنا أقول من آمن انك لا ترى في الدنيا أي لكل الانبياء والافارؤية
ثابتة لدينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء على الصحيح وللزحشرى هنا في كشافه على
مذهبه القاسد في عدم الرؤية مطلقا أو يلات فلحذر (قال يا موسى انى اصطفتك) أي
اخترتك (على الناس) أي الموحدين في زمانك وهرون وان كان نبيا من سلا كان مأمورا
باتباعه ولم يكن كليا ولا صاحب شرع وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح ياء أنى والباقون بالسكون
وقوله تعالى (برسالاتي) أي بأسفار التوراة قراءة نافع وابن كثير بغير ألف بعد اللام على
التوحيد والباقون بالالف بعد اللام على الجمع (وبكلامي) أي وبكلامي اياك (نخدمنا آيتك) أي
ما أعطيتك من الرسالة (وكن من الشاكرين) لانعمى لان موسى عليه السلام لما منع الرؤية عتد
الله تعالى عليه وجوه نعمه العظيمة التي له عليه وأمره أن يشتغل بشكرها كانه قال له ان كنت

منعك الرؤية فقد أعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا فلا يضيق صدرك بسبب منع الرؤية
 وانظر الى سائر أنواع النعم التي خصصتك بها واشتغل بشكرها والاشتغال بشكرها انما يكون
 بالقيام بلوازمها علما وعملا والمقصود تسليية موسى عليه السلام عن منع الرؤية قال الامام
 الرازي وهذا أيضا أحد ما يدل على أن الرؤية جائزة على الله تعالى اذ لو كانت ممنوعة في نفسها
 لما كان الى ذكر هذا القدر حاجة وروى ان موسى عليه السلام كان بعدما كلمه ربه
 لا يستطيع أحد أن ينظر اليه لما غشي وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت
 له زوجته انالم أول منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه فأخذها مثل شعاع الشمس فوضعت
 يدها على وجهها وخزت ساجدة وقالت ادع الله أن يجعلني زوجتك في الجنة قال ذال ان لم
 تزوجي بعدى لان المرأة لا آخر أزواجها (وكتبنا له) أي موسى (في الألواح) أي الألواح التوراة
 قال البغوي وفي الحديث كانت من سدر الجنة طول اللوح اثنتا عشرة ذراعا وجاء في الحديث
 خلق الله آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده والمراد بيده قدرته وقيل
 كانت من زبرجدة خضراء وقيل من ياقوتة حمراء وقيل من صخرة صماء لينها الله تعالى لموسى
 فقطعها بيده وأما كيفية الكتابة فقال ابن جريج كتبها جبريل بالقلم الذي كتب به الذكر
 واستقدم من نهر النور وقال وهب سمع موسى صرير القلم بالكلمات العشر وكان ذلك في أول
 يوم من ذى القعدة وقيل ان موسى خثر صغتي يوم عرفة وأعطى التوراة يوم النحر وكانت
 الألواح عشرة على طول موسى وقيل كانت تسعة وقيل سبعة وقال مقاتل وكتبنا له في الألواح
 كنش الخاتم وقال الربيع بن أنس نزلت التوراة وهي سبعون وقرع بعير يقرأ الجز منها في سنة
 ولم يقرأها الا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام أي لم يحفظها ويقرأها عن
 ظهر قلب الا هؤلاء الاربعة قال الامام الرازي وليس في لفظ الآية ما يدل على كيفية تلك
 الألواح وعلى كيفية تلك الكتابة فان ثبت ذلك التفصيل بدليل منفصل قوى وجب القول به
 والاوجب السكوت عنه وأما قوله تعالى (من كل شيء) فلا شبهة أنه ليس على العموم بل عما
 يحتاج اليه موسى عليه السلام وقومه من أمر الدين وقوله تعالى (موعظة وتفصيلا) أي تبينا
 (لكل شيء) بدل من الجار والمجرور قبله أي كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام وقوله
 تعالى (نخذاها) على اضممار القول عطفًا على كتبنا أو بدلا من قوله نخذا ما آتيتك والهاء
 للألواح أو لكل شيء فانه بمعنى الاشياء أو الرسالة وعن كعب الاحبار أن موسى عليه السلام
 نظرفي التوراة فقال اني أجد أمة هي خير الامم أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون
 عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخر ويقاثلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا
 الاعور والجال رب اجعلهم أمتي قال هي أمة محمد يا موسى قال يا رب اني أجد أمة هم الحامدون
 رعاة الشمس المحكمون اذا أرادوا أمرا قالوا نفعل ان شاء الله فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد قال
 يا رب اني أجد أمة يا كلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار وهم
 المستجابون والمستجاب لهم الشافعون والمشفعون لهم فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد قال

يارب اني اجد أمة اذا أشرف أحد هم على شرف كبر الله واذا هبط واذا جحد الله الصعيد لهم
 طهور والارض لهم مسجد حينما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم
 بالماء حيث لا يجدون الماء غزرجلون من آثار الوضوء فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد قال
 يارب اني اجد أمة اذا هم أحد هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة مثلها وان عملها كتبت له
 عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد قال يارب اني اجد أمة
 من حومة ضعفاء يرثون ان كتاب اصطفتيهم ففهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
 بالخيرات فلا اجد أحدا الامر حوما فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد قال يارب اني اجد أمة
 مصاحفهم في صدورهم يلبسون ألوان ياب أهل الجنة يصطفون في صلاتهم كصفوف الملائكة
 أصواتهم في مساجدهم كدوى النحل لا يدخل النار أحد منهم الا من برى من الحسنات مثل ما
 برى الخمر من ورق الشجر فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد فلما عجب موسى من الخير الذي أعطاه
 الله محمد راوأتمته قال يا ليتني من أصحاب محمد فأوحى الله تعالى اليه اي اصطفتك الخ فرضى
 موسى كل الرضا ومعنى (بقوة) أي بجدة وعزيمة (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) أي بأحسن ما
 فيها (فان قيل) ظاهره هذا يقتضي أن فيها ما ليس بأحسن وأنه لا يجوز لهم الاخذ به وذلك
 متناقض (وأجيب) عن ذلك بأجوبة الاول أن تلك التكليف منها ما هو حسن ومنها ما هو
 أحسن كالاقتصاد والعفو والاتصاف والصبر ففرهم أن يحملوا أنفسهم بما هو أدخل في الحسن
 وأكمل للثواب كقوله تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وقوله تعالى الذين
 يستمعون القول فيتبعون أحسنه هذا ما أجاب به في الكشف وتبعه البيضاوي والامام الرازي
 اسكن قال التفات زاني هذا في ما تقر من أن المكتوب على بني اسرائيل هو القصص قطعاً
 والجواب بأنه مثال للحسن والاحسن لا لكونه في التوراة بعيد جداً (فان قيل) يلزم عليه أيضاً
 منع الاخذ بالحسن وذلك يقدر في كونه حسناً (أجيب) عن هذا بأن الاخذ بالحسن الثاني على
 سبيل التدب فلا يقدر في منع الاخذ بالحسن الثاني ان الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب
 والمباح وأحسن هؤلاء الثلاثة الواجب الثالث أن المراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقاً
 لا بالاضافة وهو المأمورية كقولهم الصيف أحر من الشتاء أي هو في حره ابلغ من الشتاء في برده
 فكذا هنا المأمورية ابلغ في الحسن من المنهى عنه في القبح (سأريكم دار الفاسقين)
 أي دار فرعون وقومه وهي مصر كيف أقفرت منهم ودمروا فسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا
 مثل فسقهم فينكل بكم مثل ما نكل بهم وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين أهل بهم
 الله لفسقهم في عزمكم عليها في أسفاركم وقيل المراد دارهم في الآخرة وهي جهنم (سأصرف
 عن آياتي) المنصوبات في الآفاق والانس كخلق السموات والارض وما بينهما (الذين
 يتكبرون في الارض) أي أصرفها عنهم بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا
 يعتبرون بها وقال سفيان بن عيينة سأمنعهم فهم القرآن وقوله تعالى (بغير الحق) صلة يتكبرون
 بما ليس بحق وهو دينهم الباطل فان اظهرا الكبر على الغير قد يكون بالحق فان للمعق أن يتكبر

على المبطل وفي الكلام المشهور والتكبر على المتكبر صدقة (وان يروا كل آية) أى منزلة أو معجزة
(لا يؤمنوا بها) أى اعتقادهم وتكبرهم (وان يروا سبيلا) أى طريق (الرشد) أى الهدى الذى جاء
من عند الله (لا يتخذوه سبيلا) أى طريقا يسلكونه بقصد منهم وتظن وتعمد بل ان يسلكوه فعن
غير قصد وقرأ الحزنى والكسائى بفتح الراء والشين والباقون بضم الراء وسكون الشين (وان
يروا سبيلا الخ) أى الضلال (يتخذوه سبيلا) أى بغاية الشهوة والتعمد والاعتماد لسلكه (ذلك)
أى هذا الصنف العظيم الذى زاد عن مطاق الصنف بالعمى عن الايمان واتخاذ الرسالة (بأنهم)
أى بسبب أنهم (كذبوا بآياتنا) أى الدالة على وحدانيتنا (وكانوا عنها غافلين) أى كان
دأبهم ودينتهم معاملتهم ايانا بالاعراض عنها حتى كانوا مغفول عنها فلا يفكرون فيها
ولا يعتبرون بها غفلة وانما كافيا يشغلهم عنها من شغواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكرنا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت أمتى الدنيا نزاع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر
بالمعروف والنهى عن المنكر حرمت عليهم بركة الوحي (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة)
أى وكذبوا بلقاؤهم الدار الآخرة التى هى موعد الثواب فهو من اضافة المصدر الى المفعول
به ويجوز أن يكون من اضافة المصدر الى الطرف بمعنى ولقاء ما وعد الله فى الدار الآخرة
(حبطت) أى بطلت (أعمالهم) أى ما عملوه فى الدنيا من خير كصلة رحم وصدقة فلا ثواب لهم
لعدم شرطه (هل) أى ما (يجزون الا) جزاء (ما كانوا يعملون) أى من التكذيب والمعاصى
(واتخذ قوم موسى من بعده) أى بعد ذهابه الى المناجاة (من حلیم) أى الذى استعاروه من
القط بسبب عرش فبقى عندهم (فان قيل) كيف قال من حلیم وكان معهم معارا (أجيب) بأنه
لما أهلك الله تعالى قوم فرعون بقيت تلك الاموال فى أيديهم وصارت ملكا لهم كسائر املاكهم
بدليل قوله تعالى كم تركوا من جنات وعميون وزرورع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين
كذلك وأورشاقوما آخرين وقرأ الحزنى والكسائى بكسر الحاء والباقون بضمها (بحر) أى
صاغهم منه السامرى وقوله تعالى (جسدا) بدل منه أى صار جسدا اذا لحم ودم (له خوار)
أى صوت البقر روى أن السامرى لما صاغ العجل ألقى فى فيه قبضة من تراب أثر فرس جبريل
عليه السلام يوم قطع البحر فصار حيا له خوار وقيل صاغ به بنوع من الحيل فدخل الريح
جوفه وبصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به أو لان المراد اتخاذهم اياه
الها وقيل انه ما خارا لامرة واحدة وقيل انه كان يخور كثيرا فاذا خار جسده واله واذا سكت
رفعوا رؤسهم وقال وهب كان يسمع منه الخوار وهو لا يتحرك قال السدى كان يخور ويمشي
وقوله تعالى (لم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) تفریع على قرطض لا هم وافراطهم بالنظر
لان هذا العجل لا يمكنه أن يتكلم بصواب ولا يهدي الى رشد ولا يقدر على ذلك ومن كان كذلك
كان مجادا أو حيوانا ناقصا عاجزا وعلى كلا التقديرين لا يصلح أن يعبد * ثم وصفهم الله تعالى
بالظلم بقوله (اتخذوه) أى العجل الها (وكانوا ظالمين) أى واضعين الاشياء فى غير موضعها فلم يكن
اتخاذ العجل بدعائهم ولا أول منا كبرهم واختلفوا هل كل قوم موسى عبدوا العجل أو بعضهم

قال الحسن كلهم عبدوا العجل غير هرون واحتج عليه بوجهين الاول عموم هذه الآية والثاني قول موسى عليه السلام في هذه القصة رب اغفر لي ولأخي قال خص نفسه وأخاه بالدعاء وذلك يدل على أن من كان مغايرا لهما ما كان أهلا للدعاء ولو بقوا على الايمان ما كان الامر كذلك وقال غيره بل كان قد بقي في بني اسرائيل من ثبت على ايمانه وان ذلك الكفر انما وقع في قوم مخصوصين والدليل عليه قوله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (ولما سقط في أيديهم) أي ولما ندموا على عبادة العجل تقول العرب لكل نادم على أمر قد سقط في يده وذلك لأن من شأن من اشتد ندمه على أمر أن يعرض يده ثم يضرب فخذه فتصير يده ساقطة لأن السقوط عبارة عن النزول من أعلى إلى أسفل (ورأوا) أي علموا (أنهم قد ضلوا) عن الطريق الواضح باتخاذ العجل (قالوا) توبوا ورجعوا إلى الله تعالى كما قال أبوهم آدم عليه السلام (لئن لم يرحننا ربنا) الذي لم يقطع قط احسانه عنا فكيف غضبه ويديم احسانه (ويغفر لنا) أي يمسح ذنوبنا عنا وأثر التلاية تقم منا في المستقبل (أنكوا) من الخاسرين أي فينتقم منا بذنوبنا وهذا كلام من اعترف بعظيم ما قدم عليه من الذنوب وندم على ما صدر منه ورغب إلى الله تعالى في ازالة عثرته وانما قالوا ذلك لما رجع موسى عليه السلام اليهم كما قال تعالى (ولما رجع موسى) أي من مناجاته (إلى قومه غضبان) أي من جهتهم (أسفا) أي لأن الله تعالى كان قد أخبره أنه قد قتل قومه وأن السامري قد أضلهم فكان موسى في حال رجوعه غضبان أسفا قال أبو الدرداء الأسف أشد الغضب وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الأسف الحزن والأسف الحزين قال الواحدى والقولان متقاربان لأن الغضب من الحزن والحزن من الغضب وقرأ حمزة والكسائي بالخطاب في رحننا ويغفر لنا ونصب ربنا والباقون بالغيبة ورفع الباء (قال) موسى لهم (بئسما خلفتموني من بعدى) أي بئس الفعل فعلكم بعد فراقى أياكم وهذا الخطاب يحتمل أن يكون لعبدة العجل من السامري وأتباعه أي بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل وتركتم عبادة الله تعالى وأن يكون لاهرون والمؤمنين أي بئسما خلفتموني حيث لم تمنعوه من عبادة غير الله تعالى والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم (فائدة) اتفقوا على وصل بئسما هنا في الرسم (أجهلتم أمر ربكم) أي أتركتموه غير تامة كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدى تعديته أو أجهلتم أمر ربكم الذي وعدني من الأربعين وقدرتم موتى وغيرتم بعدى كما غيرت الأسم بعد أنبيائهم وروى أن السامري قال لهم حين أخرج لهم العجل وقال هذا الهكم واله موسى أن موسى لن يرجع وأنه قد مات وروى أنهم عدوا عشرين يوما بلباليها فجاءوها أربعين ثم أحدثوا ما أحدثوا (وألقي الألواح) أي ألواح التوراة أي طرحها من شدة الغضب وفرط الغضب أي عند استماعه حديث العجل حيث لادى وكان في نفسه حديثا شديدا الغضب روى أن التوراة كانت سبعة أسابيع في سبعة ألواح فلما ألقتها انكسرت فرفع ستة أصابعها أي ستة أسابيع ما فيها لسته أسابيعات نفسها القوله بعد وأخذ الألواح وكان فيها تفضيل كل شيء وثقي سبع فرفع ما كان من أخبار الغيب وثقي ما فيه المواعظ والاحكام والحلال

والحرام قال الرازي ولقاتل أن يقول ليس في القرآن إلا أنه ألقى الألواح فأتاه الله بها بحيث
تكرست فهذا ليس في القرآن وأنه جراءة عظيمة على كتاب الله ومثله لا يليق بالانبياء (وأخذ
رأس أخيه) أي بشعر رأسه بيمينه وشعر رجليه بشماله (يجزّه) أي أخاه (إليه) غضبا وكان هرون
عليه السلام أكبر من موسى ثلاث سنوات وأحب إلى بني إسرائيل من موسى
لأنه كان ابن من جانيه (قال) هرون عند ذلك (ابن أم) قراءة ابن عامر وشعبة والكسائي
بكسر الميم وأصله يا ابن أي فحذف الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالتنادي المضاف إلى الياء
والباقون بالنصب زيادة في التخفيف لطوله أو تشبيها بخمسة عشر (فان قيل) هرون وموسى
من أب وأم فلماذا ناداه بالأم فقط (أجيب) بأنه اتخذها لأنها كانت مؤمنة فاعتد بنفسها
ولأنها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقه بالبرقة عليه والطاعنون في عصمة
الانبياء يقولون أخذ برأس أخيه يجزّه على سبيل الإهانة والاستخفاف والمثبتون لعصمة الانبياء
قالوا جر رأس أخيه ليساره ويستكشف منه كيفية تلك الواقعة (فان قيل) فلماذا قال يا ابن أم
(ان القوم) الذين عبدوا العجل (استضعفوني) أي اني قد بذلت وسعي في كفهم فاستذلوني
وقهروني (وكادوا) أي قاربوا (يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء) أي فلا تفعل بي ما يشمتون بي
لأجله وأصل الشماتة الفرح بيلية من تعاديه ويعاديك يقال شمت فلان بفلان إذا سر به مكروه
نزل به أي لا تسر الأعداء بما تنال مني من مكروه فكيف فعل بأخيه ذلك (أجيب) بأن هرون
انما قال ذلك خوفا من أن يتوهم جهال بني إسرائيل أن موسى غضبان عليه كما هو غضبان على
عبدة العجل أي فلا تفعل بي ما تشمت به أعدائي فهم أعداؤك فان القوم يحملون هذا الفعل
الذي تفعله بي على الإهانة لأعلى الأكرام (ولا يصحاني مع القوم الظالمين) أي الذين عبدوا
العجل مع برامتي منهم بالمواخاة أو بنفسية التقصير وما اعتذر له أخوه وذكر شماتة الأعداء
(قال رب اغفر لي) أي ما حلف عليه مما صنعت بأخي (ولأخي) أي اغفر له ما فرط في كفهم عن
عبادة العجل ان كان وقع منه تغريط وضعه إلى نفسه في الاستغفار وترضية له ودفعاً للشماتة عنه
(وأدخلنا في رحمتك) بزيادة الأنعام علينا (وأنت أرحم الراحمين) فأنت أرحم بنا منا على
أنفسنا قال الله تعالى (ان الذين اتخذوا العجل) أي الهياكل بدونه من دون الله تعالى فهذا هو
المفعول الثاني من مفعولي اتخذوا (سينالهم غضب) أي عقوبة (من ربهم وذلة في الحياة الدنيا)
وهي خروجهم من دارهم والمفسرين في هذه الآية طريقان الأول أن المراد بالذين اتخذوا
العجل الذين باثروا عبادة العجل (فان قيل) أولئك تاب الله عليهم بسبب ان قتلوا أنفسهم
في معرض التوبة على ذلك الذنب وإذا تاب الله عليهم فكيف ينالهم الغضب والذلة (أجيب)
بأن ذلك الغضب انما حصل لهم في الدنيا وهو نفس القتل فكان ذلك القتل غضبا عليهم والمراد
بالذلة هو استسلامهم أنفسهم للقتل واعترافهم على أنفسهم بالضلal والخطا وقيل خروجهم
من ديارهم لأن ذل الغربة مثل مضروب (فان قيل) السين في قوله سينالهم للاستقبال فكيف
تكون للماضي (أجيب) بأن هذا انما هو خبر عما أخبر الله تعالى به موسى عليه السلام حين

أخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل ثم أخبره الله تعالى في ذلك الوقت انه سينالهم غضب من
 ربهم وذلة فـكان هذا الكلام سابقا لوقته وهو القتل الذي أمرهم الله تعالى به بعد ذلك
 والطريق الثاني أن المراد بالذين اتخذوا العجل الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
 فوصف اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم باتخاذ العجل وان كان ما فعل ذلك
 الآباء وهم لانهم رضوا بفعلمهم ولان العرب تعبر الابناء بقبايح أفعال الآباء كما يفعل ذلك في المناقب
 يقولون للآباء ما فعلتم كذا وكذا وانما فعله من مضي من آباءهم ثم حكم عليهم بأنهم سينالهم
 غضب من ربهم في الآخرة وذلة في الحياة الدنيا كما قال تعالى في صفتهم ضربت عليهم الذلة
 والمسكنة (وكذلك) أي كما جزيناهاهم (بجزى المفترين) أي كل مفتر في دين الله فجزاؤه غضب الله
 في الآخرة والذلة في الدنيا قال مالك بن أنس ما من مبتدع الا ويجد فوق رأسه ذلة ثم قرأ هذه
 الآية لان المبتدع مفتر في دين الله (والذين علموا السيئات) أي عملوا الاعمال السيئة ويدخل
 في ذلك كل ذنب حق الكفر (ثم تابوا) أي رجعوا عن ما إلى الله تعالى (من بعدها) أي من بعد
 أعمالهم السيئة (وآمنوا) أي صدقوا بالله تعالى بأنه لا اله غيره وأنه يقبل توبة التائب ويغفر
 الذنوب وان عظمت (ان ربك) أي يا محمدا وبأيام الانسان التائب (من بعدها) أي التوبة
 (لغفور) أي ستور عليهم محالما كان منهم (رحيم) بهم أي منعم عليهم بالجنة وفي الآية دليل على
 أن السيئات بأسرها صغيرة وكبيرة مشتركة في التوبة وأن الله تعالى يغفرها جميعا بفضله
 ورحمته فان عفوه وكرمه أعظم وأجل وهذا من أعظم ما يفيد البشارة والفرح للذين تابين
 وتقدير الآية أن من أتى بجميع السيئات ثم تاب إلى الله تعالى وأخلص التوبة فان الله
 يغفرها له ويقبل توبته (ولما سكنت) أي سكن (عن موسى الغضب) أي باهتذاره وروحه
 وتوبتهم فعند ذلك سكن غضبه وهو الوقت الذي قال رب اغفر لي ولاخي وفي هذا الكلام
 استعارتان استعارة بالكناية في الغضب عن الشخص الناطق واستعارة تصريرية أو تخيلية
 في السمكوت عن طغ غضب موسى وسكون هيجانه وغليانه وقال عكرمة ان المعنى سكنت
 موسى عن الغضب فقلب كما قالوا أدخلت القلنسوة في رأسي والمعنى أدخلت رأسي في القلنسوة
 (أخذ الألواح) أي وكاد عالاخيه منها بذلك على زوال غضبه عليه فكذلك أخذ الألواح التي
 ألقاها منها على زوال غضبه قال الامام الرازي وظاهر هذا يدل على ان شيئا منها لم يتكسر ولم
 يطل وان الذي قيل من أن ستة اسباع التوراة رفعت إلى السماء ليس الامر كذلك اه ومرت
 الإشارة إلى ما يدل على الجمع بين ما هنا وبين ما مر (وفي نسختها) أي ما نسخ فيها من كتب والنسخ
 عبارة عن النقل والتحويل فاذا نسخت كتابا من كتاب حرفا بحرف فقد نسخت ذلك الكتاب فهو
 نقل ما في الاصل إلى الفرع لان الألواح نسخت من اللوح المحفوظ والنسخة فعلة بمعنى مفعولة
 كالخطبة وقيل ان موسى عليه السلام لما أتى الألواح فتكسرت صام أربعين يوما فردت
 عليه في لوسين وعلى قول من قال ان الألواح لم تكسر وأخذها موسى بعينها بعدما ألقاها يكون
 المعنى وفي نسختها أي المكتوب فيها (هدى) أي يان للعق (ورحمته) أي ارشاد إلى الصلاح

والخبر وقال ابن عباس هدى من الضلالة ورجة من العذاب (للذين هم لرجم يرهبون) أي يخافون (فان قيل) التقدير الذين يرهبون ربهم فما الفائدة في الالام في قوله لرجم (أجيب) بأوجه الأول أن تأخير الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفاً دخلت اللام لتقوية وتطهيره قوله تعالى ان كنتم لارؤيا تعبرون الثاني انها لام الاجل والهاء في اللذين هم لاجل ربهم يرهبون لارياة ولا سمعة الثالث انه قد زاد حرف الجر في المفعول وان كان الفعل متعدياً كقولك قرأت السورة وقرأت بالسورة (واختار موسى قومه) أي من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل اليه فنصب يقال اخترت من الرجال زيدا واخترت الرجال زيدا وأنشد واقول الفرقوق

ومنا الذي اخترت الرجال سماعة * وجودا اذا هب الرياح الزعازع

قال أبو علي والاصل في هذا الباب ان في الافعال ما يتعدى الى المفعول الثاني بحرف الجر ثم يتسع فيه حذف حرف الجر فيتعدي الى المفعول الثاني من ذلك قولك اخترت من الرجال زيدا ثم يتسع فيقال اخترت الرجال زيدا واستغفر الله من ذنبي واستغفر الله ذنبي قال الشاعر استغفر الله ذنبا است محصيه * ويقال أمرت زيدا بالخير وأمرت زيدا الخير قال الشاعر أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * قال الرازي وعندي فيه وجه آخر وهو أن يكون التقدير واختار موسى قومه لميقاتنا وأراد بقومه المعبرين منهم اطلاقاً لا اسم الخير على ما هو المقصود منه وقوله (سبعين رجلاً لميقاتنا) عطف بيان وعلى هذا الوجه فلا حاجة الى ما ذكر من التكلفات (فلما أخذتهم الرجفة) روى ان الله تعالى أمره أن يأتيه في سبعين رجلاً من بني اسرائيل فاختر من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليخلف منكم رجلاً فمشا حوافاً قال لمن قد أخرج من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب معه الباقيون روى أنه لم يصب الاستين شيئاً فاروحى الله تعالى اليه أن يختار من الشبان عشرة فاخترهم فأصبحوا شيوخاً وقيل كانوا ابناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الأربعين قد ذهب عنهم الجهل والصباء فأمرهم موسى عليه السلام أن يصوموا ويظهروا ويظهروا شيابهم ثم خرج الى طور سيناء لميقات ربه وكان أمره أن يأتيه في سبعين من بني اسرائيل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى غشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى عليه السلام اذا كلبه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر اليه فضرب دونه الحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجداً فسمعوه يكلم موسى بأمره وينهاه وافعل لا تفعل فلما فرغ من أمره ونهيه وانكشف عن موسى الغمام فأقبل اليهم فقالوا له لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهي الرجفة فماتوا جميعاً فقام موسى يناشد ربه ويدعوه (قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل) أي من قبل خروجهم الى الميقات (وايأى) معهم فكان بنو اسرائيل يعاينون ذلك ولا يهتمون اذا رجعت اليهم وما هم ممي وعنى بذلك انك قدرت على اهلا كههم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلا كههم وباغراقهم في البحر وغيرهما فترجت عليهم بالاتقاد منهما فان ترجت عليهم مرة أخرى لم يعد من عبي احسانك وقال وهب لم تكن تلك الرجفة موتاً ولا سكن القوم لما رأوا تلك الهيئة

أخذتهم الرجفة حتى كادت أن تبين منهم مفاصلهم فلما رأى موسى ذلك رجهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا له وزرا على الخير سامعين مطيعين فعند ذلك دعا وبكوا ناشدوه فكشف الله تعالى عنهم تلك الرجفة واطمأنوا وسعوا كلام ربهم وذلك قوله تعالى قال أى موسى رب لو شئت أهلكتهم من قبل أى من قبل عبادة العجل وإياى بقتلى القبطى (أتهلككم بما فعل السفهاء منا) أى عبدة العجل وظن موسى أنهم عوقبوا بما فادى أسراتيل العجل وقال هذا على طريق السؤال وقال المبرد هو استعظام أى لتهلككم وقد علم موسى عليه السلام أن الله تعالى أعظم من أن يأخذ بجريرة الجاني غيره وقبل بما فعل السفهاء من العناد والتجاسر على طاب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم (أنهى) أى ماهى (الافتتنك) قال الواحدى الكناية فى هى تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الأزيد والمعنى ان تلك الفتنة التى وقع فيها السفهاء لم تكن الافتتنك أى اختيارك وإبتلاؤك وهذا كما يدل قوله تعالى أتهلككم بما فعل السفهاء منا لا معنى لآلهلاككم بما فعلتم فان تلك الفتنة كانت اختبارا منكم وإبتلاء أضللت بها قوم ما فافتتنوا وبأن أوجدت فى العجل خوارا فزاعوا به وأسعتهم كلامك حتى طمعوا فى الرؤية هديت قومافعصمتهم حتى نبذوا على دينك فذلك معنى قوله (تضل بهم من تشاء وتهدى من تشاء) ولما أثبت ان الكل بيده تعالى استأنف سؤاله فى أن يفعل لهم الاصلح فقال (أنت) أى وحدك (وإينا) أى نعتقد أن لا يقدر على عمل مصالحنا غيرك وأنت لاتقع لك فى شئ من الامرين ولا ضرر لك بالكل بالنسبة اليك على حد سواء ونحن على بصيرة من أن أفعالك لاتعمل بالاغراض وعقولك عنايفعنا واتقاكم منا بضرنا ونحن فى حضرتك قد انقطع عنا السك وحططنا رحال افتقارنا اليك (فاغفر لنا) أى امح ذنوبنا (وارحمنا) أى اشفنا برحمتك التى وسعت كل شئ (وأنت خير الغافرين) أى لان غيرك يتجاوز عن الذنب طلبا للثناء أو للثواب أو دفعا للصفه الخبيسة وهى صفة الحق وقد ونحوه وأنت منزّه عن ذلك فتغفر السيئة وتبدلها حسنة (واكتب) أى أوجب أو أثبت أو اقسم (لنا) أى فى مدة احيائنا (فى هذه الدنيا) أى الحاضرة والدنية (حسنة) أى حسن معيشة وتوفيق طاعة (وفى الآخرة) أى واكتب لنا فى الحياة الآخرة حسنة وهى الجنة ثم علل ذلك بقوله (انا هدنا) أى تبنار اليك) أى عمالا بليق بجنانك وأصل اليهود الرجوع برفق واليهود جمع هائد وهو التائب ولبعضهم

ياراكب الذنب هدهد • واجدد كائنك هدهد

قال بعضهم وبه سميت اليهود وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم ثم صار اسم ذم بعد نسخها (قال) الله تعالى لموسى (عذابي أصيب به من أشاء) من خلقى أذنب أو لم يذنب لا اعتراض على (ورحمتى وسعت) عمت وشملت (كل شئ) من خلقى فى الدنيا ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب فى نعمتى وهذا معنى حديث أبى هريرة فى الصحيحين ان رجلى سبقت غضبى وفى رواية غلبت غضبى وأما فى الآخرة فقال تعالى (فسأكتبها للذين يتقون) الله (ويؤتون الزكاة) ونحوها بالذكر انفعها المتعدى ولانها كانت أشق عليهم قال قتادة لما نزل ورحمتى وسعت

كل شيء قال ابليس أنا من ذلك الشيء فقال تعالى فسأ كتب الذين يتقون ويؤتون الزكاة (والذين هم بآياتنا يؤمنون) ولا يكفرون بشيء منها فأبى ابليس منها وعتاها اليهود والنصارى وقالوا نحن نتيقن ونؤمن بآيات ربنا فأخرجهم الله تعالى بقوله (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) وانما سمى رسولا باضافته الى الله عز وجل لانه الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه لرسالاته وأوامره ونواهيه وشرائعه اليهم ونبيلا لانه رفيع الدرجة عند الله ثم وصفه بالامى وهو الذى لا يكتب ولا يقرأ وهى صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب والعرب أكثرهم ما كانوا يكتبون ولا يقرؤون أى الخط والنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك قال أهل التحقيق وكونه أميا بهذا التفسير كان من جملة معجزاته وبيانه من وجوه الاول أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ عليهم كتاب الله تعالى منظوما مرة بعد أخرى من غير تبديل الفاظه ولا تغيير كلماته والخطيب من العرب اذا ارتجل خطبة ثم أعادها فلا بد وأن يزيد فيها أو أن ينقص عنها بالقليل والكثير ثم انه عليه الصلاة والسلام مع انه ما كان يكتب ولا يقرأ يلو كتاب الله تعالى من غير زيادة ولا نقصان ولا تغيير فكان ذلك معجزة واليه الاشارة بقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى الثانى انه لو كان يحسن الخط والقراءة لكان متما في أنه ربما طالع كتب الاولين فحصل هذه العلوم من تلك المطالعة فلما أتى به هذا القرآن العظيم المشتمل على العلوم الكثيرة من غير تعلم ولا مطالعة كان ذلك من المعجزات وهذا هو المراد من قوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تحط به بينك اذا الارتاب المبطلون الثالث تعلم الخط شى سهل فان أقل الناس ذكاه وفطنة يتعلمون الخط بأدنى سعى فعدم تعلمه يدل على نقصان عظيم فى الفهم ثم انه تعالى آتاه علوم الاولين والاخرين وأعطاه من العلوم والحقائق ما لم يصل اليه أحد من الخلق ومع تلك القوة العظيمة فى العقل والفهم جعله بحيث لم يتعلم الخط الذى يسهل تعلمه على أقل الخلق عقلا وفهما فكان الجميع بين هاتين الحالتين المتضادتين جارا يجرى الجمع بين الضدين وذلك من الامور الخارقة للعادة وجارية بجرى المعجزات وهذا الاتباع تارة يكون بالقوة فقط لمن تقدم موته على زمانه صلى الله عليه وسلم وتارة يخرج من القوة الى الفعل كمن لحق زمان دعوته فحين علم الله تعالى منه انه لا يتبعه اذا أدركه لا يغفر له ولو عمل جميع الطاعات غير ذلك وعرفه لهم بجميع خواصه حتى لا يتطرق اليه عند مجيئه ريب ولا يتعلل فى أمره بعلة ولذلك اتبعه (الذى يجذونه) أى علماء بني اسرائيل (مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) باسمه ونعمته وانما كنهم كقوا ذلك وبدلوه وغيروه حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل لهم ما كانوا يخافونه فقد زالت رياستهم ووقعوا فى الذل والهوان وعن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة فقال اجل انه موصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرز اللاميين أنت عيسى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا مصاب فى الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يهتد ويغفر وان يقبضه الله تعالى حتى

يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفضحه أعيناهما واذناهما وقولوا باغلفاء انتهى
(شرح غريب ألفاظه) اللفظ السبي الخلق والغليظ الجافي القاسي والسخاب بالسين والصاد الكثير
الصباح والاعوجاج ضد الاستقامة والملة العوجاء الكفر والقلب الاغلف الذي لا يصل اليه شيء
يتقنه كانه في خلاف وقوله تعالى (يا أمرهم بالمعروف) قال الزجيج يجوز ان يكون استغنافا
وجوزان يكون المعنى يبعدونه مكتوبا عندهم انه يأمرهم بالمعروف قال الرازي ومجامع
المعروف في قوله عليه الصلاة والسلام التعظيم لأمر الله والشفقة على خلقه وذلك لأن
الموجود أما واجب الوجود لذاته وأما ممكن لذاته أما الواجب لذاته فهو الله تعالى ولا معروف
أشرف من تعظيمه وأظهر العبوديته وأظهر الخشوع والخضوع على باب عزته والاعتراف
بكونه موصوفاً بصفات الكمال مبرأ عن النقائص والآفات منزها عن الاضداد والانداد وأما
الممكن لذاته فإن لم يكن حيوياً فلا سبيل الى اتصال الخير اليه لأن الانتفاع مشروط بالحياة
ومع ذلك فإنه يجب النظر الى كماله بعين التعظيم من حيث انه سبحانه لوقته ومن حيث ان كل
ذرة من ذرات المخلوقات لما كانت دليلاً لظاهرها وبرهاناً باهر اعلى توحيداً وتنزيهاً فإنه يجب
النظر اليه بعين الاحترام ومن حيث ان الله سبحانه وتعالى في كل ذرة من ذرات المخلوقات
اسراراً عجيبة وحكماً خفية فيجب النظر اليه بعين الاحترام وأما ان كان ذلك المخلوق من جنس
الحيوان فإنه يجب الشفقة عليه بأقصى ما يقدر الانسان عليه ويدخل فيه بر الوالدين وصلة
الارحام وبث المعروف فثبت ان قوله صلى الله عليه وسلم التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق
الله كلمة جامعة لجميع جهات الامر بالمعروف (وينهاهم عن المنكر) وهو ضد الامور
المذكورة وقال عطاء يأمرهم بالمعروف بنخل الانداد وبمكارم الاخلاق وبصلة الارحام
وينهاهم عن المنكر أي عبادة الاوثان وقطع الارحام (ويجعل لهم الطيبات) أي ما حرم عليهم في
شرعهم كالشهوة (ويحرم عليهم الخبيثات) كالدم ولحم الخنزير والربا والرشوة (ويضع عنهم
أصრهم) أي ثقلهم الذي كان يحمل عليهم وقرأ ابن عامر بفتح الهمزة الممدودة والصاد والف بعد
الصاد على الجمع والباقون بكسر الهمزة وسكون الصاد ولا ألف بعدهما على التوحيد (والاغلال
التي كانت عليهم) أي ووضع الاثقال والشدائد التي كانت عليهم من الدين والشريعة وذلك مثل
قتل النفس في التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض النجاسة من البدن والثوب بالمقراض
وغير ذلك من الشدائد التي كانت على بني اسرائيل شبهت بالاغلال التي تجمع اليد الى العنق كما
ان اليد لا تمتد مع وجود الغل فكذلك لا تمتد الى الحرام الذي نهيت عنه وكانت هذه الاثقال
في شريعة موسى عليه الصلاة والسلام فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم نسخ ذلك كله وبذل عليه
قوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة (فالذين آمنوا به) أي بمحمد صلى الله عليه
وسلم (وعزوه) أي وقروه وعظموه وأصل التعزير المنع والنصرة وتعزير النبي صلى الله عليه
وسلم تعظيمه واجلاله ودفع الاعداء عنه (ونصروه) على أعدائه (واتبعوا التوراة التي أنزل معه)
أي القرآن سمى نوراً لأنه يستنير قلب المؤمن فيخرج من ظلمات الشك والجهالة الى ضياء

اليقين والعلم وقيل الهدى والبيان والرسالة وقيل الحق الذي بيانه في القلوب كبيان النور
 (فان قيل) كيف يمكن حمل النور هنا على القرآن والقرآن ما أنزل مع محمد صلى الله عليه
 وسلم وانما أنزل مع جبريل عليه السلام (أجيب) بان معناه انه أنزل مع نبوته لان نبوته
 ظهرت مع ظهور القرآن ثم انه تعالى لما ذكر هذه الصفات قال (أولئك هم المفلحون) أي
 الفائزون بالمطلوب في الدنيا والاخرة ولما تم ما نظمته تعالى في اثنا هذه القصص من جواهر
 أوصاف هذا النبي الكريم حنا على الايمان واجبا له على وجه يعلم منه انه رسول الله الى كل
 مكافئة قدم زمانه أو تأخر قال تعالى (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم) الخطاب عام
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين بل والى الملائكة قاله السبكي
 والبقاعي وغيرهما وهذا هو اللائق بمقامه صلى الله عليه وسلم وان خالف في ذلك بعضهم وأما
 سائر الرسل فمبعوثون الى أقوامهم فقط لقوله صلى الله عليه وسلم أعطيت نجما يعطهن أحد
 قبلي أرسلت الى الاحمر والاسود وجعلت في الارض طيبة مسجدا وطهورا ونصرت على
 عدوي بالرعب رعب منى مسيرة شهر وأطعمت الغنية دون من قبلي وقيل لي سل تعطه واخبأت
 شفاعتي لامتي (فان قيل) كان آدم عليه السلام مبعوثا الى جميع أولاده ونوح عليه السلام لما
 خرج من السفينة كان مبعوثا الى الذين كانوا معه مع ان جميع الناس في ذلك الزمان ما كانوا
 الا ذلك القوم (أجيب) بأن ذلك لم يكن اعموم رسالتهم بل للعصر المذكور فليس ذلك من
 باب عموم الرسالة وقوله (جميعا) حال من اليكم أي ان الكل يشترط عليهم الايمان بي والاتباع لي
 وقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى كل أفق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله أهل
 مدبر ولا وبر ولا مهمل ولا جبل ولا بحر ولا برقي مشارق الارض ومغاربها الا وقد القاه اليهم وملا
 به مسامعهم والزمهم به الحجة وهو سائله عنهم يوم القيامة وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله
 عنه حين رفع اليه الذراع فنهش منها فقال أنا سيد الناس يوم القيامة وعن جابر رضي الله عنه
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا فائدهم اذا وفدوا
 وأنا خطيبهم اذا أنصتوا وأنا مستشفعهم اذا حيسوا وأنا مبشرهم اذا يسألوا والحد يومئذ
 بيني وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا نفرو عن أبي بن كعب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
 وسلم قال اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير نفرو عن ابن
 عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا أنا حبيب الله ولا نفرو أنا حامل لواء
 المحديوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا نفرو أنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا نفرو أنا
 أكرم الاولين والاخرين ولا نفرو عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
 وسلم قال أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا نفرو بيدي لواء المحديوم القيامة ولا نفرو ما من نبي يومئذ
 آدم فمن سوا الا تحت لوائي والنفرا دعا العظمة والكبر والشرف أي لا أقول تبصروا ولكن شكروا
 وتحدثوا بالنعمة وما اجتمع بهم في مجمع الا كان امامهم قبل موته وبعد ما اجتمع بهم ليلة الاسراء
 في بيت المقدس فعلى بهم اماما ثم اجتمع بهم في السماء فعلى بهم جميع أهل السماء اماما واما اليوم

الجمع الاكبر والكرب الاعظم فيصير الكل عليه وما حال بعض الاكبر على بعض العلم منهم
 بأن الختام يكون به ليكون أظهر للاعتراف بامامته والانقياد لطاعته لأن المهيل على المهيل على
 الشيء مهيل على ذلك والحاصل انه صلى الله عليه وسلم تظهر في ذلك الموقف رسالته بالفعل إلى
 كافة الخلق فيظهر سر هذه الآية الذين يتبعون الرسول قال البقاعي ولما دل بالاضافة إلى اسم
 الذات ما يدل على جميع الصفات على عموم دعونه وشمول رسالته حتى للجن والملائكة أي ذلك
 بقوله (الذي له ملك السموات والارض) فيكون محله جزاء على الوصف وان قيل بين الصفة
 والموصوف بقوله اليكم جميعا لانه متعلق المناف اليه فهو كلمة تقدم عليه قال الزمخشري
 والاحسن أن يكون محله نصباً بأضمار أعني وهذا الذي يسمى النصب على المدح قال البيضاوي
 أو مبتدأ خبره (لا اله الا هو) أي قال كل منقادون لامره خاضعون له ثم علل ذلك بقوله (يحيي
 ويميت) أي له هاتان الصفتان مختصتان به ما ومن كان كذلك كان منقاداً بما ذكر قال البقاعي
 وإذا راجعت ما يأتي ان شاء الله تعالى في أقل الفرقان مع ما مضى في أوائل الانعام لم يبق عندك
 شك في دخول الملائكة عليهم السلام في عموم الدعوة اه وقد مرت الإشارة إلى ذلك ولما أمر
 الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأن يقول للناس اني رسول الله اليكم جميعاً أمر الله
 تعالى جميع خلقه بالايان به وبرسوله بقوله (فا آمنوا بالله ورسوله) وذلك أن الايمان بالله هو
 الاصل والايمان برسوله فرع عليه فلهذا بدأ بالايمان بالله ثم ثنى بالايمان برسوله ثم وصفه تعالى
 بقوله (النبي الامي) وتقدم معناهما (الذي يؤمن بالله وكلماته) أي بما أنزل عليه وعلى سائر
 الرسل من كتبه ووجبه وقال قتادة المراد بكلماته القرآن وقال مجاهد عيسى بن مريم لانه خلق
 بقوله كن فكان ولم يكن من نطفة عني ولهذا سمى كلمة الله وقيل هو الكلمة التي تكون عنها
 عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن (واتبعوه) أي واقتدوا به أيها الناس فيما يأمركم به وينهاكم
 عنه (لعلكم تهتدون) أي لكن تهتدوا وترشدوا جعل تعالى رجاء الاهتداء أثر الايمان
 والاتباع تنبيهاً على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شريعته فهو بعد في خطيئة الضلالة
 (ومن قوم موسى) أي من بني اسرائيل (أمة) أي جماعة (يهـدون بالحق) أي يهدون الناس
 محقين أو بكلمة الحق (وبه) أي بالحق (يعبدون) أي يحكمون والمراد بتلك الأمة الثابتون
 على الايمان القائلون بالحق من أهل زمان موسى عليه السلام اتبع ذلك المرتابين
 الكافرين من بني اسرائيل بذكر اصدادهم كما هو عادة القرآن تنبيهاً على أن تعارض الخير
 والشر وتزاحم أهل الحق والباطل مستقر وقيل هم الذين أسلموا من اليهود في زمن النبي
 صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه (واعترض) بأنهم كانوا قليلين في العدد ولفظ
 الأمة يقتضي الكثرة (وأجيب) بأنهم لما كانوا مختصين في الدين جاز إطلاق لفظ الأمة عليهم
 كما في قوله تعالى ان ابراهيم كان أمة وقيل ان بني اسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا
 اثني عشر سبطاً قبرا سبط منهم مما صنعوا واعتكفوا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبين اخوانهم
 ففزع الله تعالى لهم تنقفاً في الارض فساروا فيه سنة ونصف حتى خرجوا من وراء الصين وهم

هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل ذهب
به ليلة الاسراء فحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل عليه السلام هل تعرفون من تكلمون
قلو الا قال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى عليه السلام اوصانا
ان من أدرك منكم أحدا فليقرأ مني عليه السلام فرد محمد على موسى صلى الله عليه وسلم
السلام ثم أقرأهم عشر سور من القرآن أنزلت بحكمة ولم تكن فريضة نزلت غير الصلاة والزكاة
وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يستبشرون فأمرهم أن يحجموا ويتركوا السبت ولا يتطالموا ولا
يتحاسدوا ولا يصل اليهم من أحد ولا ينالهم أحد قال بعض المحققين هذا القول ضعيف وان
كان البغوي صحيحه لوجه الاقل كونه أقرأهم عشر سور وقد نزل عليه أكثر من ذلك وكان فرض
الزكاة بالمدينة فكيف يأمرهم بها قبل فرضها الثاني كون جبريل ذهب اليهم به ليلة الاسراء
لم يرد بذلك نقل صحيح ولا رواه أحد من أئمة الحديث الثالث ان أحد امهم لا يصل اليها ولا يصل
اليهم من أحد فمن الذي أوصل خبرهم اليها ثبت بذلك بطلان هذا القول (فان قيل) ان يا جوح
وما جوح قد وصل خبرهم اليها ولم يصل خبرنا اليهم (أجيب) بانع فمن أين يعرف أنه لم يصل
خبرنا اليهم ثم قال فالتخالف في تفسير هذه الآية انها اما أن تكون قد نزلت في قوم كانوا متمسكين
بدين موسى قبل التبديل والتغيير ثم ماتوا وهم على ذلك واما ان تكون قد نزلت فيمن أسلم
من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه (وقطعناهم)
أي فرقنا بني اسرائيل وقوله تعالى (اثنتي عشرة) حال وتأتيه جملة على الامة (اسباطا) بدل
منه ولذلك جمع قبائل والاسباط اولاد الولد وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد
يعقوب عليه السلام (أعما) بدل بعد بدل أو نعت لاسباط أي وقطعناهم أعما لان كل سبط كان
أمة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تتكاد تألف
(وأوحينا الى موسى اذا استسقاء قومه) أي حين استسقوه في التيه (ان اضرب بعصاك الحجر
فانبعثت) أي انفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة يقال يبعث الماء فانبعث
أي فجرته فانفجر قاله الجوهرى وعلى هذا انتقير فلا تبين بين الانبجاس المذكور هنا وبين
الانفجار المذكور في سورة البقرة وقال آخرون الانبجاس خروج الماء بقله والانفجار
خروجه بكثرة وطريق الجمع أن الماء ابتدأ بالخروج قليلا ثم صار كثيرا وهذا الفرق مروى
عن عمرو بن العلاء (فان قيل) هلا قيل فضر به فانبعثت (أجيب) بأنه انما حذف ذلك للايعاء
على أن موسى لم يتوقف في الامتنال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته (منه)
أي من الحجر (اثنتا عشرة عينا) أي بعدد الاسباط (قد علم كل أناس) أي كل سبط منهم
(مشربهم) أي لا يدخل سبط على سبط في مشربهم (وظلمنا عليهم الغمام) أي في التيه ليقبهم من
حر الشمس (وأنزنا عليهم المن) الترغيبيل (والسلوى) أي الطير السجاني بتخفيف الميم والقصر
جعل الله تعالى ذلك طعاما لهم في التيه وقيل المن الخبز والسلوى الادام وقال ابن يحيى
السلوى طائر يشبه السجاني وخاصيته ان أشكل له يلين القلوب القاسية يموت اذا سمع صوت

الرعد كما ان الخفاف يقتله البرد فليهم الله تعالى أن يسكن جزائر البحر التي لا يكون
 فيها مطر ولا رعد الى انقضاء أو ان المطر والرعد فيخرج من الجوزا ثم يتشرب في الارض
 (كلوا) أي وقتلناهم كلوا (من طيبات ما رزقناكم) مما لم تعالجوه نوع معالجة وقوله تعالى
 (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) فيه حذف ترك ذكره للاستغناء عنه ودلالة الكلام
 عليه تقديره كلوا من طيبات ما رزقناكم فامتنعوا من ذلك وسئموه وقالوا لن نصبر على
طعام واحد وسألوه غير ذلك لان المكلف اذا أمر بشئ فتركه وعدل عنه الى غيره يكون عاصيا
بفعل ذلك فلماذا قال تعالى وما ظلمونا أي بفعل شئ مما قالوا به الاحسان بالكفران ولكن
 كانوا أنفسهم يظلمون بخالفهم ما أمروا به وقد سبق تفسير هذه الآية في سورة البقرة (واذ
 قيل لهم) أي واذا كرر يا محمد لقومك اذ قيل لبني اسرائيل (اسكنوا هذه القرية) أي بيت
 المقدس (وكلوا منها) أي من القرية (حيث شئتم وقولوا) أمرنا (حطة وادخلوا الباب) أي باب
 القرية (سجدا) أي سجودا فخناء وقوله تعالى (نفقر لكم) قرأنا نافع وابن عامر بضم الناء وفتح
 الفاء على التانيث والباقون بنون مفتوحة وكسر الفاء وقوله تعالى (خطاياكم) قرأنا نافع بكسر
 الطاء بعدها همزة مفتوحة بمدودة وبعد الهمزة تاء مضمومة على الجمع وابن عامر كذلك
 الا أنه يقصر الهمزة على التوحيد وأبو عمرو بفتح الخاء والطاء وبعد الطاء ألف بعد هاء ياء وبعد
 الياء الف على وزن قضاياكم والباقون بكسر الطاء بعدها همزة مفتوحة بمدودة بعدها
 تاء مكسورة (سنزيد المحسنين) أي بالطاعة ثوابا (فبذل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم)
 فقالوا حبة في شعرة ودخلوا يزحفون على أستاههم أي ادبارهم (فأرسلنا عليهم رجلاً) أي هذا ابا
 (من السماء بما كانوا يظلمون) وهذه القصة أيضاً تقدمت في سورة البقرة لكن اللفاظ هذه
 الآية تخالف الآية المذكورة في سورة البقرة من وجوه الاول انه قال هناك واذا قلنا ادخلوا
 هذه القرية وهنا قال واذا قيل لهم اسكنوا هذه القرية والثاني انه قال هناك فكلوا بالفاء وقال
 هنا وكلوا بالواو والثالث انه قال هناك رغداً واسقطه هنا والرابع انه قال هناك وادخلوا
 الباب سجداً وقولوا حطة وقال هنا على التقديم والتأخير والخامس انه قال هناك نفقر لكم
 خطاياكم وقال هنا نفقر لكم خطاياكم والسادس انه قال هناك وسنزيد المحسنين وهنا
 حذف الواو والسابع انه قال هناك فانزلنا على الذين ظلموا وقال هنا فأرسلنا عليهم الثامن انه
 قال هناك بما كانوا يفسقون وقال هنا بما كانوا يظلمون ولانما فاء بين هذه الالفاظ المختلفة
 اما الاول وهو انه قال هناك ادخلوا هذه القرية وقال هنا اسكنوا فلامنا فاء بينهما لان كل
 ساكن في موضع فلا يمتن الدخول فيه وأما الثاني وهو قوله هناك فكلوا بالفاء وقال هنا وكلوا
 بالواو فالفرق بينهما أن الدخول حالة مقتضية لاد كل عقب الدخول فحسن دخول الفاء
 التي هي للتعقيب ولما كانت السكونية حالة استمرار حسن دخول الواو عقب السكونية
 فيكون الاكل حاصل من شأوا فظهر الفرق وأما الثالث وهو انه ذكر هناك رغداً واسقطه
 هنا فلان الاكل عقب النقول الذواكل والاكل مع السكون والاستمرار ليس كذلك فحسن

دخول لفظ رغدا هناك دون هنا وأما الرابع وهو قوله هناك ادخلوا الباب سجدا وقولوا
 حطة وقال هناك على التقديم والتأخير فلا منافاة في ذلك لأن المقصود من ذلك تعظيم أمر الله
 تعالى وإظهار الخضوع والخشوع له فلم يفتاوت الحال بحسب التقديم والتأخير وأما
 الخامس وهو أنه قال هناك خطاياكم وقال هنا خطاياكم فهو إشارة إلى أن هذه الذنوب سواء
 كانت قليلة أم كثيرة فهي مغفورة عند الاتيان بهذا الدعاء والتضرع وأما السادس وهو
 قوله تعالى هناك وسنزيد بالواو وقال هنا بمذها فالفائدة في حذف الواو أنه تعالى وعد
 بشيئين بالغفران وبالإضافة للمحسنين من الثواب واسقاط الواو لا يخل بذلك المعنى لأنه استئناف
 مرتب على تقدير قول القائل ماذا حصل بعد الغفران ف قيل أنه سيزيد المحسنين وأما السابع وهو
 الفرق بين أنزلنا وبين أرسلنا فلان الانزال لا يشعر بالكثرة والارسل يشعر بها فكانت تعالى
 بدأ بانزال العذاب القليل ثم جعله كثيرا وهو نظير ما تقدم من الفرق بين أنجبت وأنجبرت
 وأما الثامن وهو الفرق بين قوله تعالى يفسقون وبين قوله تعالى يظلمون فلأنهم لما ظلموا أنفسهم
 فيما عروا وبدلوا فاسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله فوصفوا بكونهم ظالمين لاجل أنهم
 ظلموا أنفسهم وبكونهم فاسقين لأنهم خرجوا عن طاعة الله فالفائدة في ذكر هذين الوصفين
 التنبية على حصول هذين الأمرين هذا ملخص كلام الرازي رحمه الله تعالى ثم قال وتعالى العلم
 بذلك عند الله تعالى (واسألهم) أي أسأل يا محمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك سؤال توبيخ
 وتقريع (عن القرية) أي عن خبرها وما وقع بأهلها لا سؤال استغفام لأنه صلى الله عليه وسلم
 كان قد علم حال هذه القرية بوحى من الله تعالى إليه وأخباره أيام بعثهم وإنما المقصد من هذا
 السؤال تقرير اعتداء اليهود وأقدامهم على الكفر والمعاصي قديما وإن اصرارهم على الكفر
 بمحمد صلى الله عليه وسلم وانكارهم نبوته ومجهزاته ليس بشئ قد حدث الآن في زمانه بل
 اصرارهم على الكفر كان حاصلا في قديم الزمان وفي الأخبار بهذه القصة معجزة للنبي صلى الله
 عليه وسلم لأنه كان أميا لم يقرأ الكتب القديمة ولم يعرف أخبار الأقاليم ثم أخبرهم بما جرى
 لأسلافهم في قديم الزمان وأنهم بسبب مخالفتهم لأمر الله تعالى مسخوا قرده واختلّفوا في هذه
 القرية فقال ابن عباس رضي الله عنهما هي قرية يقال لها ايلة بين مدين والطور على شاطئ البحر
 وقال الزهري هي طبرية الشام وقيل مدين والعرب تسمى المدينة قرية وعن أبي هريرة بن
 العلاء ما رأيت قرويين أقصع من الحسن والحجاج يعني رجلين من أهل المدن (التي كانت
 حاضرة البحر) أي مجاورة بحر القلزم على شاطئه والحضور نقض الغيبة كقوله تعالى ذلك
 لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام (اذ) أي حين (يعدون) أي يعددون (في السبت) أي
 يتجاوزون حدود الله تعالى بالصيد فيه وقد نهوا عنه وقوله تعالى (اذنابتهم حينئذ) ظرف
 ليعدون (يؤم سبتهم شرعا) أي ظاهرة على الماء كثيرة جمع شارع وقال الفضالة متابعة وعن
 الحسن تشرع على أبوابهم كأنها الكباش البيض والحيتان السمك وأكثر ما تسجد عمل
 العرب الخوت في معنى السمكة والسبت مصدر سببت اليهود إذا عظمت سببها بترك الصيد

والاشتغال بالعبادة فغناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم
 أمر السبت يدل عليه قوله تعالى (ويوم لا يفتنون) أي لا يعظمون السبت أي سائر الأيام
 (لأنهم) أي الحيتان ابتلاهم الله تعالى (كذلك) أي مثل ذلك البلاء الشديد (ببلوهم
 بما) أي بسبب ما (كانوا يفسقون) وقوله تعالى (وإذا معطوف على أذنبه) (قالت أمة) أي
 جماعة (منهم) أي من أهل القرية لم تصدقوا منه لمن نهى (لم تعظون قوما الله مهلكهم)
 في الدنيا عذاب من عنده لأنهم لا ينتهون عن الفساد ولا يتعظون بالمواعظ (أو معذبهم عذابا
 شديدا) في الآخرة لقادهم في العصيان (قالوا) أي الواعظون مواعظنا (معذرة) نعتذر بها
 (إلى ربكم) أي لئلا نسب إلى نقص في ترك النهي فإن النهي عن المنكر يجب وأن علم الناهي
 أن تركه لا يقطع عن معصيته وقيل إذا علم الناهي حال المنهي وأن النهي لا يؤثر فيه سقط
 النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث ألا ترى أنك لو ذهبت إلى المكاسين القاعدين
 على الماصر والجلادين المرتين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك
 ولم يكن الأسبيل للتلهي بك (وإعلمهم يتقون) أي وجازعنا أن يتقوا بالمواعظة فيتقوا الله
 ويتركو ما هم فيه من الصبيح إذا اليأس لا يحصل إلا بالهلاك (فلما نسوا) أي تركوا ترك
 الناسي (ماذا كروا) أي وعظوا (به) ولم يرجعوا (أنجيئنا الذين يتهون عن السوء وأخذنا الذين
 ظلموا) أي بالاعتداء ومخالفة أمر الله تعالى (بعذاب بئيس) أي شديد (بما) أي بسبب ما (كانوا
 يفسقون) روى عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أسمع الله تعالى يقول أنجيئنا
 الذين يتهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس فلا أدري ما فعلت الفرقة الساكنة
 وجعل يسكي قال عكرمة فقلت جعلني الله تعالى فداك ألا تراهم قد أنكروا وكرهوا ما هم
 عليه قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وإن لم يقل الله أنجيئهم لم يقل أهلكهم قال فأجبه قولي
 ورضي به وأمر لي بريدن قال بسنهما وقال فحبت الساكنة وقال عمار بن زيان نجت الطائفتان
 الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم والذين قالوا معذرة وأهلك الله الذين أخذوا الحيتان
 وهذا قول الحسن (فإن قيل) إن ترك الوعظ معصية والنهي أيضا عنه معصية فوجب دخول
 هؤلاء التاركين للوعظ الناهين عنه تحت قوله تعالى وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس ولهذا
 قال ابن زيد نجت الناهية وهلكت الفرقتان (أجيب) بأن هذا غير لازم لأن النهي عن المنكر
 إنما يجب على الكفاية فإذا قام به البعض سقط عن الباقي (فلما اعتوا عما نهوا عنه) قال ابن
 عباس أبوا أن يرجعوا عن المعصية والعتو عبارة عن الإباء والعصيان أي فلما تكبروا
 عن ترك ما نهوا عنه وتمردوا في العصيان من اعتدائهم في السبت واستصلاهم ما حرم الله تعالى
 عليهم من صيد السمك في يوم السبت وأكله (قلنا لهم) كنوا قردة خاسئين (أي صاغرين
 فكانوها كقوله تعالى إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون وهذا يقتضي أن الله
 تعالى عذبهم أولا بعذاب شديد فاعتوا بعد ذلك فحضرهم ويجوز أن تكون الآية الثانية تقريراً
 وتفصيلاً للأولى وروى أن اليهود أمروا باليوم الذي أمرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا

يوم السبت فابتلوا به وحرم الله عليهم فيه الصيام يدوا صرا وابتغطيه فكانت الحيتان تأتيتهم يوم
السبت شرعا ايضا سمانا كانوا الخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يستبشرون لا تأتيتهم فكانوا
كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم اغناهم بتم عن أخذها يوم السبت فأتخذوا
حياضا وسوقا للحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتأخذونهم يوم الاحد
وأخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شوا يوم الاحد فوجد
جاره ربح السمك فتطلع في تنوره فقال اني أرى الله سيغذيك فلما لم يره عذب أخذ في السبت
القايل حوتين فلما رأوا ان العذاب لا يعاجلهم صادوا وأكلوا وطمعوا وبيعوا وكانوا نحو امان
سبعين ألفا فصار أهل القرية اثلاثا ثلثانهم وكانوا نحو امان اثني عشر ألفا وثلثا قالوا لم تعظون
قومنا وثأناهم أصحاب الخطيئة فلما لم ينتموا قال المسلمون اننا لنساكنكم فقموا القرية بجدار
للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم
يخرج من المعتدين أحد فقالوا ان للناس شأنا فعملوا الجدار فنظروا فإذا هم قردة ففتحوا الباب
ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسابها من الانس والانس لا يعرفون أنسابهم من القردة فجعل
القردي ياتي نسيبه فيشتم شياهه ويكي فيقول ألم تنهك في قول برأسه بلي وقيل صار الشباب قردة
والشيوخ خنازير واختلقوا في ان الذين مسحوا هل بقوا قردة وهل هذه القردة من نسلهم أو
هلكوا وانقطع نسلهم لادلالة في الآية على شيء من ذلك وعن الحسن أكلوا واقه أو خمأ كلة
أكلها أهلها أثقلها خزي في الدنيا وأطولها عذابا في الآخرة وعن جابر بن العبد وبين رزقه حجاب
فان صبر خرج البسه والاهلك الحجاب ولم يزل الا ما قدر له قال الزمخشري هاهنا وايم الله ما حوت
أخذ قوم فأكوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم ~~وايضا~~ كن الله تعالى جعل موعدة
والساعة أدهى وأمر وقوله تعالى (وآذ) عطف على وأسألهم أي واذكر لهم حين (تأذن) أي اعلم
(ربك) وأجرى مجرى القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أجيب بجوابه وهو (ليبعثن عليهم) أي
اليهود (الي يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) أي باللاهانة والذل وأخذ الجزية منهم فبعث
الله تعالى عليهم سليمان وبعدهم بختنصر فقتلهم وسبواهم وضرب عليهم الجزية وكانوا يؤذونها
الي الجحوس الي أن بعث الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فضربهم اعليهم ولا تزال مضروبة
عليهم الي آخر الدهر حتى ينزل عيسى بن مريم فإنه لا يقبل الجزية ولا يقبل الا الاسلام (فان قيل)
انه يحكم بشرية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشريعته أخذ الجزية أو الاسلام (أجيب)
بان شريعته بذلك مغاية بنزل عيسى عليه السلام وقوله تعالى (ان ربك سريع العقاب) أي لمن
أقام على الكفر كهينة الدليل على انه يجمع لهم مع ذل الدنيا عذاب الآخرة فيكون العذاب
مسقرا عليهم في الدنيا والآخرة ثم انه تعالى ختم الآية بقوله (وانه لغفور) أي لمن آمن منهم
ورجع عن الكفر واليهودية ودخل في دين الاسلام (رحيم) بهم (وقطعتاهم) أي فرقناهم
(في الارض أعمى) أي فرقنا بحيث لا يكاد يخالو قطر منهم تمة لا ديارهم حتى لا تكون لهم شوكة
قط وأعمالهم قول ثان أو حال وقوله تعالى (منهم الصالحون) صفة أو بدل منه وهم الذين آمنوا

بالمدينة ونظروا هدمهم (منهم) أي اناس (دون ذلك) أي مضطرون عن الصلاح فهم كفرتهم
 وقسمتهم (وبلوانهم) أي اختبرناهم جميعا الصالح وغيره (بالحسنة) أي بالحبس والعاقبة
 (والسيات) أي بالبور والشدة (اعلمهم يرجعون) أي كي يرجعوا الى طاعة ربهم ويتوبوا اليه
 قال أهل المعاني وكل واحد من الحسنة والسيات تدعو الى الطاعة اما النعم فلاجل
 الترغيب واما النقم فلاجل التهيب (تخاف من بعدهم) أي هؤلاء الذين وصفناهم (خلق)
 والخلف القرن الذي يحيى من بعده وهو يسكنون اللام شائع في الشر ويقعها في الخير
 يقال خلف صدق بفتح اللام وخلف وسو يسكنونها وقد تحرك في الذم وتسكن في المدح قال
 حسنان بن ثابت

لنا القدم الاولى اليك وخلفنا • لاولنا في طاعة الله تابع

وقال لبيد في الذم

ذهب الذين بعاش في كفافهم • وبقيت في خلف بخلد الاجرب

فترك اللام والخلف مصدر زعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع والمراد به الذين كانوا في عهد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم (ورثوا الكتاب) أي التوراة من املاهم يقرونها ويقضون
 على ما فيها (ياخذون عرض هذا الادنى) أي هذا الشيء القاني الادنى أي الدنيا وما يتمتع به
 فيها وفي قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير والادنى امان الدنيا بمعنى القرب لانه عاجل قريب
 واطمن دون الحال وسقوطها وقلتها والعرض بالفتح جميع متاع الدنيا كما يقال الدنيا عرض
 حاضر يأكل منها البر والفاجر والعرض بكون الراجيع المال سوى الدراهم والدنانير
 ويجمع عروض والمعنى انهم يأخذون طعام الدنيا وهو الشيء التافه الخسيس الحقير لان الدنيا
 بأسرها فانية حقيرة والراغب فيها أحقر منها قالهم ودوروا التوراة وعلموا ما فيها وضيعوا العمل
 بما فيها وتركوه وأخذوا الرشاق الاحكام ويعلمون أنه حرام (و) مع اقدامهم على هذا المذهب
 العظيم واصرارهم عليه (يقولون سيغفر لنا) أي لا يؤاخذهم الله تعالى بذلك فيمتحنون على الله
 الاماني الباطلة ومن شدداد بن أوس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه
 وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها ومتقى على الله الاماني لان اليهود كانوا
 يقولون على الذنوب ويقولون سيغفر لنا وهذا هو التي بعينه وقوله تعالى (وان يأتيهم عرض
 مثله يأخذوه) الواو فيه للعال أي يرجعون المغفرة وهم مصرون عائدون الى مثل فعلهم غير
 تائبين وليس في التوراة بعد المغفرة مع الاصرار وقوله تعالى (ألم يؤخذ) استنهام تقرير
 (عليهم ميثاق الكتاب) أي التوراة والاضافة بمعنى في (ان لا يقولوا على الله الا الحق) أي
 المعلوم شأنه وايسر من المعلوم اثبات المغفرة على القطع بغير توبة بل ذلك خروج عن ميثاق
 الكتاب وقوله تعالى (ودرسوا ما فيه) أي ما في ذلك الميثاق الذي في الكتاب أو الكتاب بتقرير
 القراءة للفظ عطف على ألم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا ألم يؤخذ اعتراض
 (والدار الاخرة خير) أي وما في الدار الاخرة مما احده الله خير للذين يتقون الله ويخافون

عقابه (أفلا يعقلون) أي حين أخذوا ما يشقهم ويفنى بدل ما يسعدهم ويبقى أن الدار الآخرة خير وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب ويكون المراد الاعلام بتناهي الغضب والباقون بالياء على الغيبة (والذين يسكنون بالكتاب) يقال مكنت بالشئ وتمكنت به وأمسكت به والتمسك بالكتاب العمل بما فيه واحلال حلاله وتحريم حرامه واقامة حدوده والتمسك بأحكامه وقرأ شعبة بسكون الميم وتخفيف السين والباقون بفتح الميم وتشديد السين (وأقاموا الصلاة) أي وداوموا على اقامتها في اوقاتها وانما أفردوها بالذكر وان كانت الصلاة داخلية في التمسك بالكتاب تنبيهها على عظم قدرها وانما من أعظم العبادات بعد الايمان بالله تعالى وهذه الآية ترأت في الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه وقوله تعالى (أنا لنضيق أجور الصالحين) الجملة خبر الذين وفيه وضع الظاهر موضع المضمر أي أجورهم (وإذ) أي اذ كرم يا محمد اذ (تقننا) أي رفعنا (الجبل فوقهم) أي من أصله (كانت ظلة) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كأنه سقينة والظلة كل ما أظلك من سقف بيت أو صهابة أو جناح حائط والجمع ظلل وظلال (وظنوا) أي ايقنوا (أنه واقع بهم) أي ساقط عليهم بوعده الله بوقوعه ان لم يقبلوا أحكام التوراة روى أنهم لم يقبلوا أحكام التوراة لعظمها وثقلها فرفع الله تعالى الطور على رؤسهم مقدار عشرين فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والالبقن عليكم فلما نظروا الى الجبل خز كل واحد منهم ساجدا على حاجبه وهو ينظر بعينه الى من يخوفه من سقوطه فلذلك لا ترى بهم وديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة وقوله تعالى (خذوا) هو على اضمار اقول أي قلنا لهم خذوا أو تأملين خذوا (ما آتيناكم) أي من الكتاب وقوله تعالى (بقوة) أي بجهد وعزم على تحمل مشاقه حال من واخذوا (وإذ كروا ما فيه) أي باعمل به ولا تتركوه كالنسي (أعلكم تتقون) أي فضائح الاعمال ورذائل الاخلاق (وإذ) أي واذكر يا محمد حين (أخذ ربك من بنى آدم) وقوله تعالى (من ظهروهم) بدل اشقيال مما قبله باعادة الجار كما قاله السيبوطي أو بدل بعض كما قاله البيضاوي (ذرياتهم) أي بأن أخرج بعضهم من صلب بعض نسلا بعد نسل كصومايت والدون كالذر ونصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلا عرفوا به كما جعل للحيال عقولا حين خوطبوا بقوله تعالى يا جبال أو بى معصه والطير كما جعل تعالى للبعير عقلا حتى سجد للنبي صلى الله عليه وسلم وكذا للشجرة حين سمعت لامرهم وانقادوا وكذا للثعلب حين قالت يا أيها الثعلب ادخلوا مساكنكم وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر بالالف بعد الباء وكسر التاء على الجمع والباقون بغير ألف وفتح التاء على التوحيد (وأشهدهم على أنفسهم) قال (ألسن بربكم قالوا بلى) أنت ربنا وعن مسلم بن يسار الجهني أنه قال ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عنهما فقال ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح على ظهره بيمنه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء الجنة وبهم مل أهل الجنة يعملون ثم مسح على ظهره فاستخرج منه ذرية فقال هؤلاء

الى النار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله تعالى آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل ذنبة هو خالقها من ذنوبه الى يوم القيامة وجعل بين عيني كل انسان وبصا من نور وعرضهم على آدم فقال أي رب من هؤلاء قال ذريتك فرأى رجلا منهم فأعجبه وبص ما بين عينيه فقال يا رب من هذا قال داود قال يا رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال يا رب زد من عمري أربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انقضى عمر آدم الأربعةين سنة جاءه ملائكة الموت فقال آدم أولم يبق من عمري أربعون سنة قال أولم تعطها ابنيك داود فجعد آدم فجعدت ذريته ونسي آدم فأكل من الشجرة فذريت ذريته وخطي فخطت ذريته أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أبصر آدم في ذريته قوم ألهم نور فقال يا رب من هم فقال الانبياء ورأى واحدا هو أشبههم نورا فقال يا رب من هو قال داود قال فكم عمره قال ستون سنة قال آدم هو قليل وكان عمر آدم ألف سنة فقال يا رب زد من عمري أربعين سنة فلما تم عمر آدم تسعمائة وستين سنة أتاه ملك الموت ليقبض روحه فقال بقي من أجلي أربعون سنة فقال ألت قد وهبتها من ابنيك داود فقال ما كنت لأجعل لاحد من أجلي شيئا فعند ذلك كتب لكل نفس أجلاها وعن مقاتل ان الله تعالى مسح صفحة ظهر آدم البني فخرج منه ذرية بيض كهيئة الذر تتحرك ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فخرج منه ذرية سود كهيئة الذر فقال يا آدم هؤلاء ذريتك ثم قال لهم ألت بربكم قالوا بلى فقال للبيض هؤلاء في الجنة برحمتي وهم أصحاب اليمين وقال للسود هؤلاء في النار ولا أبالي وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة ثم أعادهم جميعا في صلب آدم فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلا ب الرجال وراحم النساء وقال تعالى فيمن نقص العهد الاقل وما وجدنا لأكثريهم من عهد وقال بعض المفسرين ان أهل العادة أقروا طوعا وقالا وبلى وأهل الشقاوة قالوا بقتة وكرها وذلك معنى قوله تعالى وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واختافوا في موضع الميثاق فقال ابن عباس رضي الله عنهما يظن نعمان وهو وادالي جنب عرفة وعنه أيضا أنه بدنه من أرض الهند وهو الموضع الذي أهبط فيه آدم عليه السلام وقال الكلبي بين مكة والطائف (فان قيل) ما معنى قوله تعالى واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم وأغاث أخرجهم من ظهورهم (أجيب) بأن الله تعالى أخرجه ذرية آدم بعضهم من ظهوره وبعض على مايتوالدون فالأبناء من الآباء في الترتيب فاستغنى عن ذكر ظهور آدم لما علم أنهم كلهم بنوه وأخروا من ظهوره فأنخرج من ظهورهم مخرج من ظهوره وقوله (شهدنا) أي على أنفسنا بذلك وانما أشهدهم على أنفسهم كراهة (أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا) التوحيد (خافلين) أي لعدم الأدلة فلذلك أشركنا وقوله تعالى (أو يقولوا) أي

لَوْلَمْ تَرْسِلِ إِلَيْهِمُ الرِّسْلَ عَطْفَ عَلَى أَنْ يَقُولُوا وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو بِالْيَاءِ عَلَى الْغَيْبَةِ وَالْبِقَاوْنَ بِالْتَاءِ عَلَى الْخَطَابِ (أَتَمَّا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلَ) أَيْ قَبْلَ أَنْ تُوْجِدَ (وَكَذَلِكَ مِنْ بَعْدهُمْ) أَيْ فَلَمْ نَعْرِفْ لَنَا مِنْ بِيَاغِيهِمْ فَكُنَّا لَهُمْ تَبَاعُثًا فَلَمَّا اتَّبَعَهُمْ عَنِ النَّظَرِ وَلَمْ يَأْتِنَا رَسُولٌ مِنْهُ فَيَتَسَبَّبُ عَنْ ذَلِكَ أَنْكَارُهُمْ فِي قَوْلِهِمْ (أَفْتَمَّا كُنَّا بِفَعْلٍ الْمُبْطَلُونَ) أَيْ مِنْ آبَائِنَا قَالَ أَبُو حَيَّانَ وَالْمَعْنَى أَنَّ الْكُفْرَةَ لَوْلَمْ يَتَوَخَّذْ عَلَيْهِمْ عَهْدٌ وَلَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مَذْكُورٌ بِمَا تَضَمَّنَ الْعَهْدُ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ لَكَانَتْ لَهُمْ حِجَّتَانِ أَحَدَاهُمَا كَأَغَاغِلَيْنِ وَالْآخَرَى كَأَنَّهُمَا لَا سَلَا فَنَافَكِيْفٌ وَالذُّبُّ أَيْ مَا هُوَ لَمْ يَنْطَرِقْ لَنَا وَأَصْلُهُ انْتَهَى (فَإِنْ قِيلَ) كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ الْمِيثَاقُ عَلَيْهِمْ حِجَّةٌ قَانَهُمْ لَمَّا أَخْرَجُوا مِنْ ظَهْرِ آدَمَ رَكِبَ فِيهِمُ الْعَقْلُ وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ فَلَمَّا أُعِيدُوا إِلَى صُلْبِهِ بَطَلَ مَا رَكِبَ فِيهِمْ قَتُولُ الدَّوَانِاسِ لِذَلِكَ الْمِيثَاقِ (أَجِيبْ) بِأَنَّ التَّذْكِيرَ بِهِ عَلَى لِسَانِ صَاحِبِ الْمِحْجَةِ قَانَهُمْ مَقَامُ ذِكْرِهِ فِي النَّفْسِ وَبِذَلِكَ قَامَتِ الْحِجَّةُ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَخْبَارِ الرِّسْلِ أَيَاهُمْ بِذَلِكَ الْمِيثَاقِ فِي الدُّنْيَا نَحْنُ أَنْهَكَرَهُ كَانَ مَعَانِدًا نَاقِضًا لِلْعَهْدِ وَلَزِمَتْهُمْ الْحِجَّةُ وَلَا تَقْطَعُ الْحِجَّةُ بِنَسْيَانِهِمْ وَعَدَمُ حِفْظِهِمْ بَعْدَ أَخْبَارِ الصَّادِقِ صَاحِبِ الشَّرْعِ وَالْمِحْجَاتِ الْبَاهِرَاتِ وَالْمَقْصُودُ مِنْ إِرَادَةِ هَذَا الْكَلَامِ هُنَا الزَّامُ لِلْيَهُودِ مَقْتَضَى الْمِيثَاقِ الْعَامِّ بَعْدَ مَا أُلْزِمَهُمْ بِالْمِيثَاقِ الْخُصُوصِ بِهِمْ وَالِاحْتِيَاجُ عَلَيْهِمْ بِالْحُجْجِ السَّمْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ وَمَنْعُهُمْ مِنَ التَّقْلِيدِ وَجَاهِلِهِمْ عَلَى النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ كَمَا قَالَ تَعَالَى (وَكَذَلِكَ) أَيْ وَمِثْلُ ذَلِكَ التَّفْصِيلُ الْبَدِيعُ الْجَلِيلُ الرَّفِيعُ (تَفْصِيلُ الْآيَاتِ) أَيْ كَمَا هِيَ الثَّلَاثُ أَوْ اقْعُوا مَا لَا يَلِيقُ بِجِنَانِنَا جَهْلًا لَعَدَمِ الدَّلِيلِ (وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) أَيْ عَنِ التَّقْلِيدِ وَاتِّبَاعِ الْبَاطِلِ (وَاتْلُ) أَيْ يَا مُحَمَّدُ (عَلَيْهِمُ) أَيْ الْيَهُودَ (نَبَأُ) أَيْ خَبَرُ (الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا) أَيْ خَرَجَ بِكَفَرِهِ كَمَا تَخْرُجُ الْحَيَّةُ مِنْ جِلْدِهَا وَهُوَ بَلَمُ بْنُ بَاعُورٍ مِنْ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقِيلَ مِنَ الْكُفَّاعِينَ سَتَلُ أَنْ يَدْعُو عَلَى مُوسَى وَأَهْدَى إِلَيْهِ شَيْءٌ فَدَعَا فَانْقَلَبَتْ عَلَيْهِ وَانْدَلَعَ لِسَانُهُ عَلَى صَدْرِهِ (فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ) أَيْ لَحِقَهُ وَأَدْرَكَهُ وَصَبَّرَهُ لِنَفْسِهِ تَابِعَانِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى تَخَالَفَ أَمْرُ رَبِّهِ وَأَطَاعَ الشَّيْطَانَ وَهُوَ (فَكَانَ مِنَ الْقَاوِينَ) أَيْ مِنَ الضَّالِّينَ الْهَالِكِينَ وَقَصَّتْهُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَغَيْرُهُ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا قَصَدَ حَرْبَ الْجَبَّارِينَ وَنَزَلَ أَرْضَ بَنِي كَنْعَانَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ أَتَى قَوْمَ بَلْعَمَ وَكَانَ عِنْدَهُ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فَقَالُوا إِنَّ مُوسَى رَجُلٌ حَلِيدٌ وَمَعَهُ جُنْدٌ كَثِيرٌ وَانْهَ قَدْ جَاءَ بِحَرْبِنَا مِنْ بِلَادِنَا وَيَقْتُلُنَا وَيَحْلُمُنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَنْتَ رَجُلٌ مَحْجَابُ الدَّعْوَةِ فَأَخْرَجَ فَادَعَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرُدَّهُمْ عَنْهُمَا فَقَالَ وَيْلَكُمْ نَبِيَّ اللَّهِ وَمَعَهُ الْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ فَكَيْفَ أَدْعُو عَلَيْهِمْ وَأَنَا أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَإِنِّي أَنْ فَعَلْتُ هَذَا ذَهَبَتْ دُنْيَايَ وَآخِرَتِي فَرَا جَعُوهُ وَالْحَوَاكِيْسُ فَقَالَ حَقِّي أَوْ أَمْرُ رَبِّي وَكَانَ لَا يَدْعُو حَقِّي يَنْتَظِرُ مَا يَوْمُرُ بِهِ فِي الْمَنَامِ فَوَامَرَ فِي الدَّعَاءِ عَلَيْهِمْ فَقِيلَ لَهُ فِي الْمَنَامِ لَا تَدْعُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ اقُومْهُ إِنِّي قَدْ وَامَرْتُ رَبِّي وَإِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أَدْعُو عَلَيْهِمْ فَأَهْدُوا إِلَيْهِ هَدِيَّةً فَقَبِلَهَا أَوْ رَاجَعُوهُ فَقَالَ حَقِّي أَوْ أَمْرُ رَبِّي فَوَامَرَ فَلَمْ يَوْمُرْ بِشَيْءٍ فَقَالَ قَدْ وَامَرْتُ رَبِّي فَلَمْ يَأْمُرْ بِشَيْءٍ فَقَالُوا لَوْ كَرِهْنَا أَنْ تَدْعُو عَلَيْهِمْ لَتَهْلِكَ كَانَتْ هَالِكٌ فِي الْمَرَّةِ الْآخِرَةِ فَلَمْ يَزَلُوا يَتَضَرَّعُونَ إِلَيْهِ حَتَّى قَتَلُوهُ فَاقْتَنَى فَرَكِبَ أَنَا لَهُ مَتَوَجِّهًا إِلَى جَبْشَلٍ يَطْلَعُهُ عَلَى عَسْكَرٍ

بنى اسرائيل يقال له حسب ان فلما سار على اتانه غير بعيد ربت فتزل عنها وضرب بها فقامت
 فركبها فلم تسرب به كثيرا حتى ربت فضر بها فاذا ن الله تعالى لها في الكلام وانطقها الله فكلمته
 بحجة عليه فقالت ويحك يا بلعم أين تذهب أما ترى الملا ~~التي~~ أممي تردني عن وجهي ويحك
 أنت تذهب الى نبي الله والمؤمنين فتدعو عليهم فلم ينزج رجلي الله تعالى سبيل الاتان فانطلقت به
 حتى أشرف على جبل حسب ان فجعل يدعو عليهم فلا يدعوا بشرا الا صرف الله تعالى به لسانه
 الى قومه ولا يدعوا لقومه بخيرا الا صرف الله تعالى به لسانه الى بنى اسرائيل فقال له قومه يا بلعم
 أنت ترى ما تصنع انما تدعوا لهم وتدعو علينا فقال هذا ما لا أملكه هذا شئ قد غلب الله عليه
 فاندلع لسانه فوقع على صدره فقال لهم قد ذهب الآن مني الدنيا والاخرة ولم يبق الا المكر
 والحيلة فسا مكراكم واحتملوا النساء وزيهون وأعطوهن السبع ثم أرسلوهن الى
 عسكر بنى اسرائيل يبعثنها فيه ومروهن ان لا تمتنع امرأة تقسمهن رجل أرادها فانه ان زنا رجل
 بواحدة كفيقوهم ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مررت امرأة من الكنعانيات على رجل من
 عظماء بنى اسرائيل وكان رأس سبط شمعون بن يعقوب فقام الى المرأة وأخذ يديها حتى أعجبه
 جمالها ثم أقبل بها حتى وقف على موسى وقال اني لا ظنك أن تقول هذه حرام عليك قال أجل
 هي حرام عليك لا تقرب بها قال فوالله لا نطيعك ثم دخل بها فبقيته فوقع عليها فأرسل الله تعالى
 عليهم الطاعون في الوقت فهلك منهم سبعة من ألفا في ساعة من النهار وقيل الآية نزلت في أمية
 ابن أبي الصلت كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى يرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا أن
 يكون هو فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسده وكفربه وقيل نزلت في منافق أهل
 الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم وقيل انها نزلت
 في البسوس وهو رجل من بنى اسرائيل وكان قد أعطى ثلاث دعوات مستجابات وكان له امرأة
 وكان له منها أولاد فقالت له اجعل لي منها دعوة فقال لها لك منها واحدة فما تريدن قالت ادع الله
 أن يجعل لي امرأة في بنى اسرائيل فدعا الله تعالى فصارت أجمل النساء في بنى اسرائيل
 فلما علمت أنه ليس في بنى اسرائيل أجمل منها رغبت عنه فغضب ودعا عليها فصارت كلبة نباحة
 فذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها وقالوا ليس لنا على هذا اقرا وقد صارت امنا كلبة نباحة
 وقد عيرنا الناس ادع الله أن يردها الى الحال التي كانت عليها فدعا الله تعالى فعادت كما كانت
 فذهب فيها الدعوات كلها وقيل غير ذلك ويدل للاقول الاقول قوله تعالى (ولو شئنا لرفعناه) أي
 منازل الابرار (بها) أي بسبب تلك الآيات (ولكنه أخلد الى الارض) أي مال الى الدنيا
 قال البيضاوي والسقالة قال الجوهرى السقالة بالضم نقيض العلو وبالفتح النذالة (واتبع
 هواه) أي في آثار الدنيا واسترضى قومه وأعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه بمشينة
 الله تعالى ثم استدركه عنه بفعل العبد تنبيهها على ان المشينة سبب لافعله الموجب لرفعها وان عدمه
 دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء مسببه وان السبب الحقيقي هو المشينة وان ما نشاهده
 من هذه الاسباب وسائط معتبرة في حصول المسبب من حيث ان المشينة تعلقت به كذلك

وكان مقتضى ظاهر الكلام أن يقول ولكنه أعرض عنها فأوقع موقعه أخذا إلى الأرض
 واتبع هواه بالغة وتنبه على ما حمله عليه وإن حب الدنيا رأس كل خطيئة وهذه الآية من
 أشد الآيات على أصحاب العلم وذلك لأنه بعد أن خص هذا الرجل بآياته وعلمه الاسم
 الأعظم وخصه بالدعوات المستجابة لما اتبع الهوى انسحق من الدين فصارت درجة الكلب
 وذلك يدل على أن كل من كانت نعم الله تعالى في حقه أكثر فاذا أعرض عن متابعة الهدى
 وأقبل على متابعة الهوى كان بعده عن الله أعظم وإلى الإشارة بقوله من ازداد علما ولم يزد
 هدى فلم يزد من الله الأبعدا (فقل) أي فصفته التي هي مثل في الخسة (كمثل الكلب) أي كمثل في
 أخس أوصافه وهو (أن تحمل عليه) أي بالطرود والزجر (يلهث) أي يدلح لسانه (أو) ان (تركه
 يلهث) فهو يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرود أو ترك وليس غيره من الحيوان كذلك
 قيل كل شيء يلهث انما يلهث من اعياء أو عطش الا الكلب فانه يلهث في حال الكلال والراحة
 لأن الله طبيعة أصاية فيه فكذلك حال من كذب بآيات الله ان وعظته فهو ضال وان تركه
 فهو ضال وكذلك حال الحريص على الدنيا ان وعظته فهو سريص لا يقبل الوعظ ولا يتبع فيه
 وان تركه ولم تعظه فهو سريص أيضا لأن الحرص على طلب الدنيا صار طبيعة له لازمة كما أن
 الله طبيعة لازمة للكلب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما الكلب منقطع القواد يلهث ان
 حمل عليه أو لم يحمل عليه ومحل الجملة الشرطية النصب على الحال كأنه قيل كمثل الكلب
 ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالين وقيل لما دعا عليهم على موسى عليه السلام فخرج لسانه فوقع
 على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب (ذلك) أي المثل (مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا)
 فم بهذا المثل جميع من كذب بآيات الله وبجدها ووجه التمثيل بينهم وبين الكلب اللاهث
 انهم اذا جاءتهم الرسل ليهدوهم لم يهتدوا بل هم في ضلال على كل حال (فاقصص القصص)
 أي فاخبر يا محمد قومك بهذه الاخبار التي سبقت بها مواقع الوقائع وآثار الايمان حتى لم تدع
 في شيء منها لبسا على كل من يسمع لك من اليهود وغيرهم (لعلمهم يتفكرون) أي يتدبرون فيها
 فيؤمنون (ساء) أي بش (مثلا القوم) أي مثل القوم (الذين كذبوا بآياتنا) أي بعد قيام
 الحججة عليها وعلمهم بها (وأنفسهم كانوا يظلمون) أي كان ذلك في طبعهم جعله لهم لا يقدر غير الله
 تعالى على تغييره وتقديم المفعول به للاختصاص كأنه قيل وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعداها إلى
 غيرها وقوله تعالى (من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون) تصریح
 بأن الهدى والضلال من الله تعالى وأن هداية الله تعالى تختص ببعض دون بعض وانها
 مستلزمة للاهتمام والافراد في الاول والجمع في الثاني باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على
 أن المهتدين كواحد لا يتحد طريقهم بخلاف الضالين والاقصاء في الاخبار عن هدى الله
 بالمهتدي تعظيم لشأن الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له
 غيره لكفاه وانه المستلزم للقول بالنعم الآجلة والعنوان له (ولقد ذرأنا) أي خلقنا (بلهثهم
 كثيرا من الجن والانس) أخبر الله تعالى انه خلق كثيرا من الجن والانس للنار وهم الذين

حقت عليهم الكرامة الازلية بالشقاوة ومن خلقه الله تعالى للنار فلاحيله له في الخلاص منها
 روى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من
 الانصار فقلت يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال
 أو غير ذلك يا عائشة ان الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم في اصلاب آباؤهم وخلق النار وخلق لها
 أهلا وهم في اصلاب آباؤهم أخرجه مسلم قال النووي في شرح مسلم أجمع من يعتد به من
 علماء المسلمين أن من مات من أطفال المسلمين فهو في الجنة لانه ليس مكافا وتوقف فيه من لا يعتد
 به لهذا الحديث وأجاب العلماء عنه بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمهم انما عن المسألة الى
 القطع من غير أن يكون عن دليل قاطع كما أنكر على سعد بن أبي وقاص قوله اعطه فاني لا راء
 مؤثقا فقال أو مسلما قال بعضهم ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم قاله قبل أن يعلم أن أطفال
 المسلمين في الجنة فلما علم ذلك أخبر به قال وأما أطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب قال الاكثرون
 هم في النار تبعالا بآبائهم وتوقف طائفة منهم والثالث وهو الصحيح الذي ذهب اليه المحققون
 انهم من أهل الجنة واستدلوا بأشياء منها حديث ابراهيم الخليل عليه السلام حين رآه النبي
 صلى الله عليه وسلم في الجنة وحوله أولاد الناس قالوا يا رسول الله وأولاد المشركين قال
 وأولاد الشركين رواه البخاري في صحيحه ومنها قوله تعالى وما كنا بمعذبين حتى نبعث رسولا
 ولا يوجه على المولود التكليف ولا يلزمه قبول قول المرسل حتى يبلغ وهذا متفق عليه وفي
 الآية دليل وحجة واضحة لمذهب أهل السنة في ان الله تعالى خالق افعال العباد جميعها خيرا
 وشرها لانه تعالى بين باللفظ الصريح أنه خلق كثيرا من الجن والانس للنار ولا مزيد على بيان
 الله تعالى ولان العاقل لا يختار لنفسه دخول النار فلما عمل بما يوجب عليه دخول النار به علم أن
 له من يضطره الى ذلك العمل الموجب لدخول النار وهو الله تعالى وقالت المصنفات ان اللزوم في
 قوله لجهنم ثم لام العاقبة واستدلوا بذلك بآيات واشياء اخرى والآيات قوله تعالى فالتقطه آل
 فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم ما التقطوه لهذا الغرض ومنها قول موسى ربنا انك آتيت
 فرعون وملائمته فزينت وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ومن الاشعار قول بعضهم
 وللهوت تغذو والوالدات مضالها * كما تخرب الدهر تبني المساكن
 وقال آخر أموالنا ذوى المبراث نجمة * ودورنا الخراب الدهر تبنيها
 وقال آخر له ملك ينادي كل يوم * لدوا للموت وابنوا للخراب
 وقال آخر وأتم شمال فلا تجزى * فلا يموت ما تلد الوالدات

وهذا مردود لان المصير الى التأويل انما يصح من اذا ثبت الدليل العقلي على امتناع حمل اللفظ
 على ظاهره فاذا لم يثبت كان المصير الى التأويل في هذا المقام عبثا فالحق مذهب أهل الحق
 جهنم الله تعالى وأهل مودتنا منهم محمد صلى الله عليه وسلم وآله ثم وصف الله تعالى هؤلاء
 الذين أضلهم بقوله تعالى (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها) أي لا يبصرون
 بها طريق الحق والهدى (ولهم آذان لا يسمعون بها) أي الآيات والمواعظ سمع تأمل وتذكر

وقال اهل المعاني ان الكفار لهم قلوب يفقهون بها مصالحهم المتعلقة بالدنيا ولهم أعين يبصرون بها المرئيات وآذان يسمعون بها الكلمات وهذا الاشك فيه ولما وصفهم الله تعالى بأنهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون مع وجود هذه الحواس الدراكه علم أن المراد من ذلك يرجع الى مصالح الدين وما فيه نفعهم في الآخرة والعرب تقول مثل ذلك لمن ترك استعمال بعض جوارحه فيما لا يصلح له ومنه قوله الشاعر

وعوراء الكلام صممت عنها * وانى ان أشاء بها سميع

فانه أثبت له صمم مع وجود السمع ولم يسلب عنهم هذه المعاني كانت النتيجة (أو تلك) أي البعداء من المعاني الانسانية (كالانعام) في انهم الاتقهم ولا تعقل ذلك لان الانسان وسائر الحيوانات مشتركة في هذه الحواس الثلاث التي هي القلب والبصر والسمع وانما فضل الانسان على سائر الحيوانات بالعقل والادراك والفهم المؤدى الى معرفة الحق من الباطل والخير من الشر فاذا كان الكافر لا يعرف ذلك ولا يدركه كان لافرق بينه وبين البهائم التي لا تدرك شيئا ولما كانوا قد زادوا على ذلك بفقد نفع هذه الحواس قال تعالى (بل هم أضل) سبيلا من الانعام لان الانعام تعرف ما يضرها وما ينفعها فاذا رأت نارا مضلا لا تقع فيها واذا رأت كلاما مثلا دخلت فيه والكافر لا يعرف ذلك ولان الحيوان لا قدرة له على تحصيل هذه الفضائل والانسان أعطى القدرة على تحصيلها ومن أعرض عن اكتساب الفضائل العظيمة مع القدرة على تحصيلها كان أخسر حالا ممن لم يكتسبها مع العجز عنها ولان الانعام مطيعة لله تعالى والكافر غير مطيع ولان الانعام تعرف ربها وتذكره وهم لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولانها تفضل اذا لم يكن معها مرشد فأما اذا كان معها مرشد فقل أن تفضل وهو لا الكفار قد جاءهم الانبياء وأنزل عليهم الكتب وهم يزادون في الضلالة ثم انه تعالى ختم الآية بقوله (أو تلك هم الغافلون) قال عطاء عما أعد الله تعالى لاوليائه من الثواب ولاعدائه من العقاب (ولله الاسماء الحسنى) ذكر ذلك في أربع سور أولها هذه السورة وثانيها في آخر سورة بني اسرائيل في قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وثالثها في أول طه وهو قوله تعالى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ورابعها في آخر الحشر في قوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى والحسنى مؤنث الاحسن كالصبرى والصغرى (فادعوه بها) أي فسموه بتلك الصفات والادعاء شروط منها أن يعرف الداعي معاني الاسماء التي يدعوا بها ومنها أن يستحضر في قلبه عظمة المدعو سبحانه وتعالى ومنها أن يخلص اليه في دعائه وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من أحصاها دخل الجنة انه وتر يحب الوتر وكان صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقال المشركون ان محمد أو أصحابه يزعمون أنهم يعبدون رباً واحداً فبال هذا يدعوا اثنين فأنزل الله تعالى هذه الآية والاسماء الحسنى كما في الحديث الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق

البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم التواب الباسط
الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير
العليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل
الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق
الوكيل القوى المتين الولي المجيد المحصي المبدئ المعيد المحي المميت الحي
القيوم الواحد الماجد الواحد الاحد الفرد الصمد القادر المقدر المقدم المؤخر
الاول الاخر الظاهر الباطن الوال المتعال البر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك
الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع
النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور رواء الترمذي قال النور
اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لاسمائه تعالى وليس معناه أنه ليس له أسماء غير
هذه التسعة والتسعين وقوله من أحصاها دخل الجنة المراد الاخبار عن دخول الجنة بأحسابها
لا الاخبار بحصر الأسماء ولهذا جاء في حديث آخر سألك بِكُلِّ اسم سميت به نفسك
أو استأثرت به في علم الغيب عندك وقد ذكر الحافظ أبو بكر ابن العربي المالكي عن بعضهم
أن الله تعالى ألف اسم قال ابن العربي وهذا قليل وقوله صلى الله عليه وسلم من أحصاها دخل
الجنة قال البخاري من حفظها وهو قول أكثر المحققين ونعني الرواية الأخرى من حفظها
دخل الجنة وقيل من أحضر بياله عند ذكرها معناه وتفكر في مدلولها وقوله صلى الله عليه
وسلم أن الله وتر يحب الوتر الوتر الفرد ومعناه في وصف الله تعالى الواحد الذي لا شريك له ولا
تظير واختلجوا هل الاسم الأعظم الله أو الحى القيوم وهل الاسم عين المسمى أو غيره وفي ذلك
خلاف وقد حقت ذلك في مقدمتي على البسملة والحمدلة (وذروا) أي اتركوا (الذين يحدون)
أي يميلون عن الحق (في أسمائه) أي حيث اشتقوا منها أسماء لا الهتهم كالكلمات من الله والعزى
من العزيز ومئات من المئتان وقال أهل المعاني الأحاديث أسمائه تعالى هو أن تسميه بمالم
يسم الله به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لأن أسمائه تعالى كلها توقيفية فيجوز أن
يقال يا جواد ولا يجوز أن يقال يا سخى ويجوز أن يقال يا عالم ولا يجوز أن يقال يا عاقل ويجوز
أن يقال يا حكيم ولا يجوز أن يقال يا طيب (سيجزون) أي في الدنيا والآخرة (ما كانوا يعملون)
وفي هذا وعيد شديد لمن الحذف في أسمائه تعالى وهذا قبل الأمر بالقتال وقرأ سورة يحدون بفتح
الياء والخاء من الحذف والباءون بضم الياء وكسر الخاء من الحذف ولما ذكر سبحانه وتعالى
أنه خلق للناس طائفة ضالين مضلين لم يحد عن الحق ذكر أنه خلق للجنة أمة هادين في الحق
عادلين في الأمر بقوله تعالى (ومن خلقنا أمة) أي جماعة (يهدون بالحق وبه) أي بالحق خاصة
(يهدون) أي يجعلون الأمور متعادلة لازيادة في شيء منها على ما ينبغي ولانقص لانا وفقناهم
فكشفنا عن أبصارهم حجاب الغفلة التي أزمناها وأهلك واستدل بذلك على صحة الإجماع
لأن المراد منه أن في كل قرن طائفة بهذه الصفة وأكثر المفسرين أنهم أمة محمد صلى الله عليه

وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال من أمتي طائفة على الحق الى أن يأتي أمر الله رواء الشيطان وعن معاوية رضي الله تعالى عنه قال وهو يخطب جمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضترهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك اذ لو اختص بعهد الرسول أو غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم وعن الكلبي هم الذين آمنوا من أهل الكتاب وقبلهم العلماء والدعاة الى الدين (والذين كذبوا بآياتنا) أي القرآن أو غيره من أهل مكة وغيرهم (سنستدرجهم) أي سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا وأصل الاستدراج الاستبعاد والاستئزال درجة بعد درجة (من حيث لا يعلمون) أي سنأخذهم قليلا قليلا من حيث لا يحتسبون وذلك ان الله تعالى يفتح عليهم من النعم ما يغبطون به ويركنون اليه ثم يأخذهم على غرة أغفل ما يكونون وقيل سقتربهم الى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراهم لانهم كانوا اذا أتوا بذنب فتح الله تعالى عليهم من أبواب الخير والنعمة في الدنيا فيزدادوا بذلك عماديا في الغي والضلالة ويتدرجوا في الذنوب والمعاصي بسبب ترادف النعم يظنون ان تواتر النعم يقرب من الله تعالى وانما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله تعالى فيأخذهم الله تعالى أخذة واحدة اغفل ما يكونون عليه وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما حمل اليه كنوز كسرى قال اللهم اني أعوذ بك أن أكون مستدرجا فاني سمعتك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون (وأملئ لهم) أي أمهلهم وأطيل مدة أعمارهم ليمتدوا في الكفر والمعاصي ولا أعاجلهم بالعقوبة ولا أفتح لهم باب التوبة (ان كيدى) أي أخذى (متين) أي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان (أولم يتفكروا) فيعملوا (ما بصاحبهم) محمد صلى الله عليه وسلم (من جنة) أي جنون وروى أنه صلى الله عليه وسلم صعد على الصفا فدعاهم فخذوا يابني فلان يابني فلان يحذرهم بأمر الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم لجنون بات يهوت الى الصباح فزلت ومعنى يهوت يصوت يقال هيت به وهوت به أي صاح قاله الجوهري وانما نسبوه الى الجنون وهو يرى منه لانه صلى الله عليه وسلم خالفهم في الاقوال والافعال لانه كان معرضا عن الدنيا ولذا اتهم مقبلا على الآخرة ونعيمها مشغلا بالدعاء الى الله تعالى وانه يذرههم بأسه ونقمته لئلا ينهار من غير ملال ولا يجزع فعند ذلك نسبوه الى الجنون فبرأه الله تعالى من الجنون بقوله تعالى (ان) أي ما (هو الانذير مبين) أي بين الانذار بحيث لا يخفى على ناظر (أولم يتقروا) أي نظرا اعتبارا واستدلال (في ملكوت السموات والارض) أي ملكهما ما البالغ (وما) أي وفيما (خلق الله من شيء) أي غيرهما مما يقع عليه الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدل لهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شأن ملكها ومتولى أمرها ليظهر لهم وحدة ما يدعوههم اليه وقوله تعالى (وأن عسى أن يكون قدا اقترب) أي دنا (أجلهم) عطف على ملكوت وان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون ولا يصح أن تكون أن مصدرية خلافا للبيضاوي قال التفزازي لان المصدرية لا تدخل الافعال غير المتصرفية التي لا مصادر لها والمعنى أولم

ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينصهم قبل
مفاجأة الموت ونزول العذاب فلعن أجلهم قد اقرب فيموتوا على الكفر قبل أن يؤمنوا فيصيروا
الى النار فيجب على العاقل المبادرة الى التفكير والاعتبار والنظر المودى الى الفوز والنعيم
الدائم (قبأى حديث) أى كتاب (بعده) أى الكتاب الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
(يؤمنون) أى يصدقون وليس بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي ولا بعد كتابه كتاب لانه خاتم الانبياء
وكتابه خاتم الكتب لانقطاع الوحي بعده صلى الله عليه وسلم (فان قيل) قوله تعالى قبأى حديث
بعده يؤمنون يدل على أن القرآن حادث كما تمسك به بعض المعتزلة (أجيب) من جهة أهل السنة
بأن ذلك محمول على الالفاظ من الكلمات ولا نزاع في حدانها ثم ذكر تعالى علة اعراضهم عن
الايان بقوله تعالى (من يضل الله فلا هادى له) بوجه من الوجوه اى ان اعراض هؤلاء عن
الايان لاضلال الله اياهم ولو هداهم لآمنوا (ويذرهم) أى يتركهم (في طغيانهم) أى ضلالهم
وتعاديهم في الكفر (يعمهمون) أى يترددون متحيرين لا يهتدون سبيلا وقرأ نافع وابن كثير
وابن عامر ونذرهم بالنون والباقون بالياء وجرم حمزة والكسائي الراى قال سيبويه انه عطف على
محل الفاء وما بعدهما من قوله تعالى فلا هادى له لان موضع الفاء وما بعدهما جزم بحواب الشرط
ورفعها الباقون استئنافا وهو منقطع عما قبله ولما بين تعالى التوحيد والنبوة والنساء والقدر
أتممه المعاد لتكمل المطالب الاربعة التى هي أمهات مطالب القرآن مبيها ما اشتمل عليه عامة
الكلام من تليدهم في العسمه وتلدهم في أشراك الشبه بقوله تعالى (يسئلونك) يا محمد سؤال
استهزاء (عن الساعة) أى عن وقتها واختلفوا في ذلك السائل فقال ابن عباس ان قوما من
اليهود قالوا يا محمد أخبرنا متى تقوم الساعة ان كنت نبيا كما تقول فاننا نعلم متى هي فنزلت هذه
الآية وقال الحسن وقتادة ان قرينا قالوا يا محمد بيننا وبينك قرابة فاذا كررنا متى الساعة
والساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أولان حساب
الخلق يقضى فيها في ساعة واحدة فسميت بالساعة لهذا السبب ولانها على طولها عند الله
تعالى كساعة واحدة وقوله تعالى (أيان) سؤال استفهام عن الوقت الذى تقوم فيه
الساعة ومعناه متى (مرساها) قال ابن عباس منتهى امرها والمرسى هنالمصدر بمعنى الاراء
كقوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها أى اجراؤها وارساؤها والاراء الاثبات يقال
رسايرسوا اذا ثبت قال الله تعالى والجبال أرساها (قل) لهم يا محمد (انما علمها) أى متى تكون
(عند ربى) أى لا يعلم الوقت الذى تقوم فيه الساعة الا الله تعالى استأثر الله تعالى بعلمها فلم يطلع
عليه أحد من خلقه ولهذا الماسأل جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
متى الساعة فقال عليه الصلاة والسلام ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال المحققون
والسبب في اخفاء الساعة عن العباد أنهم اذا لم يعلموا متى تكون كانوا على حذر منها فيكون ذلك
أدعى الى الطاعة وأزجر عن المعصية ثم انه تعالى أكد هذا المعنى فقال (لا يعلمها) أى يظهرها
(لوقتها) أى في وقتها المعين فاللام بمعنى في وهو أولى من قول البيضاوى انها للتأقيت (الاهو)

أى لاية - مدر على اظهار وقتها المعين بالاعلام والاخبار الا هو (ثقلت) أى عظمت (في السموات
 والارض) أى ثقل أمرها وثنى علمها على أهل السموات والارض وكل شئ ثنى فهو ثقیل
 شديد وقال الحسن اذا جاءت ثقلت وعظمت على أهل السموات والارض وانما ثقلت عليهم لأن
 فيها فناءهم وموتهم وذلك ثقیل على القلوب وقوله تعالى (لاتأنيكم الابهة) نأ كيد أيضاً لما
 تقدم وتقرر لكونها بحيث لا تجيء الا فجأة على حين غفلة من الخلق وعن أبي هريرة رضى الله
 تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتقومن الساعة وقد نشر الرجال ثوبهم - ما
 فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقعته فلا يطعمه ولتقومن
 الساعة والرجل قد رفع الاكسلة الى فيه فلا يطعمها ولتقومن الساعة وهو يلط حوضه
 فلا يستقي فيه اللقعة بفخ اللام وكسرهما الناقة القرية العهد بالساج وقوله يلط حوضه ويروى
 يلوط حوضه أى يطينه ويصلحه يقال لاط حوطه يلطه ويلوطه اذا طينه والاكاة بضم الهمزة
 اللقعة وفي رواية ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته
 والرجل يقوم بسلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه رواه بعض ادا الشبخان (يسألونك)
 أى يسألك قومك عن الساعة (كانك - حنى عنها) أى عالم بها من قولهم أحفيت في المسئلة
 اذا بالغت في السؤال عنها حتى علمتها وقيل الحنى البارة اللطيف ومنه قوله سبحانه وتعالى انه
 كان بي حفيا أى باراً لطيفاً محبب دعائى اذا دعوته أى يسألونك كانك باراً بهم لطيف
 العشرة معهم وهذا قول الحسن ويؤيده ما روى في تفسيره أن قريشاً قالت لمحمد صلى الله عليه
 وسلم ان يفتنا وبينك قرابة فاذا كرنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كانك حنى - فحنى بهم
 أى فقصهم لاجل قرابتك بتعليم وقتها وتزوى علمها عن غيرهم ولو أخبرت بوقتها المصلحة علمها الله
 تعالى في اخبارك لانه لكانت مبلغه القريب والغريب من غير تخصيص كسائر ما أوحى اليك وقيل
 كانك حنى بالسؤال عنها تحبسه وتؤثر ما أى انك تكره السؤال عنها لانه من علم الغيب الذى
 استأثر الله تعالى بعلمه ولم يؤته أحداً من خلقه كقوله تعالى (قل) يا محمد (انما علمها عند الله) أى
 استأثر الله تعالى بعلمها فلا يعلم متى الساعة الا هو (فان قيل) قوله تعالى يسألونك عن الساعة
 أيان مرساها وقوله تعالى نأيا يسألونك كانك حنى عنها فيه تكرار (أجيب) بأنه لا تكرار لأن
 السؤال الاول عن وقت قيام الساعة والثانى عن كنهه ثقل الساعة وشدها ومهابتها
 فلا يلزم التكرار وقيل ذكر الثانى للتأكيده ولما جاء به من زيادة قوله كانك حنى عنها
 وعلى هذا تكرار العلماء الخذاق في كتبهم لا يحصلون المكرر من فائدة ومنهم محمد بن الحسن
 صاحب أبى حنيفة رحمه الله تعالى (فان قيل) لم أجاب عن الاول بقوله انما علمها عندى ربي
 وعن الثانى بقوله انما علمها عند الله (أجيب) بأن السؤال الاول لما كان واقعا عن وقت قيام
 الساعة والثانى كان واقعا عن مقدار شدتها ومهابتها عبر عن الجواب فيه بقوله علم ذلك عند
 الله لانه أعظم أسماؤه مهابة وعظمة ثم انه تعالى ختم هذه الآية بقوله (ولكن أكثر الناس
 لا يعلمون) أى لا يعلمون السبب الذى من أجله أخفيت معرفة علم وقت قيامها المغيب عن

الخلق وقيل لا يعلمون ان علمها عند الله وانه استأثر بعلم ذلك حتى لا يسألوا عنه وروى أن أهل مكة قالوا يا محمد ألا تخبرنا بالسعر الرخيصة قبل أن يغلو فتشترىه وتربح فيه عند الغلاء وبالأرض التي تريد أن تجذب قدر حل عنها إلى ما قد اخصبت فأنزله الله تعالى (قل) لهم (لا أملكت لنفسي نفعا) اجتلاب نفع بأن أربح فيما اشتريه (ولا ضررا) أي ولا أقدر أرفع عن نفسي ضرا أنزل به بأن أرتحل إلى الأرض الخصبية أو من الأرض الجديبة (الاماشاء الله) من ذلك فيلهم في آياه ويوفقني له وقيل انه صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة بني المصطلق عصفت ريح في الطريق ففترت الدواب منها فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بموت رفاعة بالمدينة وكان فيها غيظ للمنافقين وقال صلى الله عليه وسلم انظروا أين ناقتي فقال عبد الله بن أبي المنافق مع قومه ألا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن موت الرجل بالمدينة ولم يعرف أين ناقتي فقال صلى الله عليه وسلم ان ناسا من المنافقين قالوا كيت وكيت وناقتي في هذا الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فوجدوها على ما قال صلى الله عليه وسلم فأنزله الله تعالى هذه الآية (ولو كنت) أي من ذاتي (أعلم الغيب) أي جنسه (لا استكثرت) أي أوجدت لنفسي كثيرا (من الخير وما مسني السوء) أي ولو كنت أعلم لما لفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع ويدخل فيه ما يتصل بالخصب واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء (ان) أي ما (أنا الانذير) بالنار للكافرين (وبشير) بالجنة (اقوم يؤمنون) أي يصدقون وقيل اقوم يؤمنون متعلق بذيروا وبشيرا لانهم المستفعدون بهما (هو الذي خلقكم) أي ولم تكونوا شيئا (من نفس واحدة) أي خلقها ابتداء من تراب وهي آدم عليه السلام (وجعل منها) أي من جسدها من ضلع من اضلاعها وقيل من جنسها لقوله تعالى وجعل لكم من أنفسكم أزواجا (زوجها) أي حواء قالوا والحكمة في كونها خلقت منه ان الجنس إلى الجنس أميل والجنسية على الضم (ليسكن اليها) أي ليأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشيء إلى جزئه أو بنفسه وانما ذكر الضمير في يسكن بعد ان أنت في قوله تعالى من نفس واحدة ذهبا إلى معنى النفس ليناسب تذكر الضمير في قوله تعالى (فلما تغشاها) أي جامعها ولثلايوهم لو أنه نسبة السكون إلى الشيء والأمير بخلافه ازالة لاستيحاشه فكانت نسبة الموانسة اليه أولى (حملت حملا خفيفا) أي خف عليها ولم تاق منه ما يلقي الحوامل غالباً من الاذى أو محمولا خفيفا وهو النطفة (فترت به) أي فعالجته به أعمالها وقامت وقعدت ولم يعقها عن شيء من ذلك لخفته (فلما أثقلت) أي صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها (دعوا الله) أي آدم وحواء عليهما السلام (رهبما) مقسمين (لئن آتينا صالحا) أي ولدا سويا لا عيب فيه (لنكونن من الشاكرين) أي نحن وأولادنا على نعمتك علينا وذلك انهم ما جاوزا ان يكون غير سوى لقدرة الله تعالى على كل ما يريد لانه الفاعل المختار (فائدة) اتفق القراء على ادغام تاء التانيث الساكنة في الهمزة (فلما آتاها صالحا) أي جنس الولد الصالح في تمام الخلق بدنا وقوة وعقلا فكثر وافي الأرض وانتشروا في نواحيها ذكورا وإناثا (جعلنا) أي النوعان من أولادهم الذكور والإناث لان الصالح صفة للولد وهو الجنس فيشمل الذكر والانثى

والقليل والكثير فكانه قيل فلما آتاها أولادها حتى الخلقة من الذكور والاناث جعل
النوعان (له شركاء) أي بعضهم أصناما وبعضهم نارا وبعضهم شمسا وبعضهم غير ذلك وقيل
جعل أولادها له شركاء (فيما آتاها) أي فيما آتى أولادها فسموه عبد العزى وعبد مناف على
حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ويدل عليه قوله تعالى (فتعالى الله عما يشركون
أي يشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون) أي الأصنام (فإن قيل) كيف وحدهم يخلق ثم جمع فقال وهم
يخلقون (أجيب) بأن لفظ ما يقع على الواحد والاثني والجمع فوحد بحسب ظاهر اللفظ وجمع
باعتبار المعنى (فإن قيل) كيف جمع بالواو والنون لمن لا يعقل وهو جمع من يعقل من الناس
(أجيب) بأنه لما اعتقد عبادة الأصنام أنها تعقل وتميز وردها هذا الجمع على ما يعتقدهونه وقيل
لما حلت حواء آتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك ولعله بهيمة أو كلب وما
يدريك من أين يخرج نخاف من ذلك وذكرت لآدم فهمامته وهو بضم الهاء وتشديد الميم من
الهم وهو هنا الحزن ثم عاد إليها وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله على أن يجعله خلقا مثلك
ويسمى عليك خروجه فسميه عبد الحرث وكان اسم ابليس حارثا في الملائكة ففعلت ولما ولدته
سمته عبد الحرث (فإن قيل) قد قال البيضاوي وأمثال ذلك لا تليق بالانبياء ويحتمل أن يكون
الخطاب في خاتمة لآل قصي من قريش فانهم خلقوا من نفس قصي وكان لها زوج من جنسها
عربية قرشية فطلبها من الله تعالى الولد فأعطاهما أربعة بنين فسمي بهم عبد شمس وعبد مناف وعبد
قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما أولا عقاب ما المقتدين بهما (أجيب) بأنه
تقرر في ذلك إلى الظاهر والافتقار روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لما ولدت حواء طاف بها ابليس
وصكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحرث فإنه يعيش فسمته فعاش فكان ذلك من وصي
الشیطان وأمره رواء الحاكم وقال صحيح والترمذي وقال حسن غريب وروى عن ابن عباس
أنه قال كانت حواء تلد لآدم فتسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصينهم الموت فأتاها
ابليس فقال ان شركا أن يعيش لك ولد فسمياه عبد الحرث فسمياه فعاش وجاء في حديث خديجة
ابليس مرتين مرة في الجنة ومرة في الارض وهو قول كثير كجهد وسعيد بن المسيب وهذا كما
قال البغوي ليس اشرا كافى العبادة ولا أن الحرث ربه ما فان آدم كان نبيا معصوما من الشرك
ولكن قصد الى أن الحرث كان سبب نجاته الولد وبلا لآدمه وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به
أنه مملوك كما يطلق اسم الرب على من لا يراد به أنه معبود هذا كما لرجل اذا نزل به ضيف يسمى
نفسه عبد الضيف على وجه الخضوع لآعلى وجه ان الضيف يملكه قال الشاعر

واني لعبد الضيف مادام ناويا * ولا شعبة لي بعدها تشبه العبد

وتقول للغير ناعبدك قال الرازي ورأيت بعض الافاضل كتب على عنوان عبده ودود فلان
وقال يوسف عليه السلام اعز بزمصرانه ربي ولم يرد به معبوده كذلك هذا فقوله تعالى فتعالى
الله عما يشركون ابتداء كلام وأريد به اشراك أهل مكة وقرأ نافع وشعبة شركا بكسر
السين وسكون الراء وألف منونة بعد الكاف في الوصل وفي الوقف بغير تنوين أي شركا

والباقون بضم السين وفتح الراء وبعد الكاف ألف بعدها همزة مفتوحة (فان قيل) المطاع ابليس فكيف يعبر بالجمع (أجيب) بأن من أطاع ابليس فقد أطاع جميع الشياطين هذا ان حلت هذه الآية على القصة المشهورة اما اذا لم نقل به فلا حاجة الى التأويل (ولا يستطيعون) أى الاصنام (لهم) أى لعابديهم (نصرا) أى لا تقدر على النصر لن أطاعها وعبدها ولا تنصر من عصاها والمعبود الذى يجب عبادته يكون قادرا على ايصال النفع والضرر وهذه الاصنام ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل أن يعبدها (ولا أنفسهم ينصرون) أى وهى لا تقدر أن تدفع عن نفسها مكرها فان من أراد كسرها قدر عليه وهى لا تقدر على دفعه عنها والاستنهام للتوبيخ ثم خاطب المؤمنين بقوله تعالى (وان تدعوهم) أى المشركين (الى الهدى) أى الى الاسلام (لا يتبعوكم) أى لان الله تعالى حكم عليهم بالضلالة فلا يقبلوا الهداية وقرأ نافع يسكون التاء وفتح الباء الموحدة والباقون بفتح التاء مشددة وكسر الباء الموحدة (سواء عليكم ادعوتهم) الى الهدى (أم أنتم صامتون) أى ساكتون عن دعائهم فهم فى كلا الحالتين لا يؤمنون وقيل الضمير فى تدعوهم للاصنام أى ان هذه الاصنام التى يعبدها المشركون معلوم من حالها أنها لا تنصر ولا تنفع ولا تسمع من دعاها الى خير وهدى وذلك أن المشركين كانوا اذا وقعوا فى شدة وبلاء تنصر عوا الى أصنامهم واذا لم يكن لهم الى الاصنام حاجة سكتوا فقبل لهم لافرق بين دعائكم الى الاصنام وسكوتكم عنها فانها عاجزة فى كل حال (ان الذين تدعون) أى تعبدون (من دون الله عباد) أى مملوكة (أمثالكم) فهى لا غلظ ضرا ولا نفعها (فان قيل) كيف وصفها بأنها عباد مع أنها جاد (أجيب) بأن المشركين لما ادعوا أن الاصنام تنصر وتنفع وجب أن يعتقدوا فيها كونها عاقلة فاهمة فوردت هذه اللفاظ على وفق معتقدهم تكيئا لهم وتوخيخا ولذلك قال (فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) فى كونها آلهة ولم يقل فادعوهن فليستجيبن وقال ان الذين لم يقل التى وبأن هذا اللفظ انما ورد فى معرض الاستهزاء بالمشركين لانهم لما نحتوها بصورة الاناسى قال لهم ان تصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء أمثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما انه لا يستحق بعضكم عبادة بعض فلم جعلتم أنفسكم عبدا وجعلتموها آلهة وأربابا ثم أبطل أن يكونوا عبادا أمثالكم بقوله تعالى (ألهم أرجل يمشون بها أم) (لهم أيدي يطشون بها أم) (لهم أعين يبصرون بها أم) (لهم أذان يسمعون بها) وهذا الاستفهام انكارى أى ليس لهم شئ من ذلك مما هو لكم فكيف تعبدونهم وأنتم أنتم حالانهم اذ لا يليق بالانسان العاقل أن يشتغل بعبادة الاخرى الادون الارذل ونظير هذا قول ابراهيم الخليل عليه السلام لا يه لم تعبدوا ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شئ وقد تعلق بعض الجهال بهذه الآية فى اثبات هذه الاعضاء لله تعالى فقال ان الله تعالى جعل عدم هذه الاعضاء لهذه الاصنام دليلا على عدم الهيئتها فلو لم تكن هذه الاعضاء موجودة لله لكان عدمها دليلا على عدم الالهية وذلك باطل فوجب القول باثبات هذه الاعضاء لله تعالى (أجيب) بأن المقصود من هذه الآية بيان أن الانسان أفضل وأحسن حالا من الصنم لان الانسان له رجل

ماشية ويد باطشة وعين باصرة وأذن سامعة والصنم رجله غير ماشية ويده غير باطشة وعينه غير مبصرة وأذنه غير سامعة فكان الانسان أفضل وأكل حلالا من الصنم فاشتغال الافضل الاكل بحال الاخس الادون جهل فلهذا هو المقصود من ذكر هذا الكلام لا ما ذهب اليه وهم هؤلاء الجهال (قل ادعوا) أى قل يا محمد هؤلاء المشركين ادعوا (شركاءكم) أى الى هلاكى (ثم كيدون) قال الحسن كانوا يخوفونه صلى الله عليه وسلم بأنهم فقال الله تعالى له قل لهم ادعوا شركاءكم ثم كيدون أى ليظهر لكم أنهم لا قدرة لها على ابطال المضار الى بوجهه وقرأ أبو عمر وبائبات الباء وصلا ووقفا وهشام له فيها وجهان الاثبات والحذف وصلا ووقفا والباقيون يحذفونها وصلا ووقفا ثم تهكم عليهم صلى الله عليه وسلم بقوله (فلا تنظرون) أى فاجعلوا فى كيدى أنتم وشركاؤكم فانكم لا تقدرون على ذلك وعلى عدم قدرتهم على ذلك بقوله (ان ولى الله) الذى يتولى حفظى ونصرى هو الله (الذى نزل الكتاب) المشتمل على هذه العلوم العظيمة النافعة فى الدين وهو القرآن (وهو) أى الله سبحانه (يتولى الصالحين) أى ينصره وحفظه فلا يضرهم عداوة من عاداهم قال ابن عباس يريد بالصالحين الذين لا يعدلون بالله شيئا ولا يعصونه فى عاداته تعالى أن يتولى الصالحين من عبادته فضلا عن أنبيائه وفى هذا مدح للصالحين وأن من تولاها الله تعالى يحفظه لا يضره شئ وعن عمر بن عبد العزيز أنه ما كان يدخر لاولاده شيئا ففعل له فيه فقال ولدى اما أن يكون من الصالحين أو من المجرمين فان كان من الصالحين فوليه هو الله تعالى ومن كان الله تعالى له وليا فلا حاجة له الى مالى وان كان من المجرمين فقد قال الله تعالى فلن أكون ظهيرا للمجرمين ومن رده الله تعالى لم أكن مشتغلا به ماته (والذين تدعون من دونه) أى الله (لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) أى فكيف أبالى بهم (فان قيل) هذه الاشياء قد صارت مذكورة فى الآيات المتقدمة فما الفائدة فى تكريرها (أجيب) بأن الاول مذكور على جهة التقرير وهذا مذكور على جهة الفرق بين من تجوز له العبادة وبين من لا تجوز كانه قبل الاله المعبود يجب أن يكون بحيث يتولى الصالحين وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تكون صالحة للالهية (وان تدعوهم) أى الاصنام (الى الهدى لا يسمعون) ادعاهم (وتراهم) يا محمد (ينظرون اليك) أى يقابلونك كالناظر (وهم لا يصرون) لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه وقال الحسن المراد بهذا المشركون ومعناه ان تدعواهم المؤمنون المشركين الى الهدى لا يسمعون ادعاهم لان آذانهم قد صمت عن سماع الحق وتراهم ينظرون اليك يا محمد وهم لا يصرون أى يصائر قلوبهم * ولما بين تعالى أن الله هو الذى يتولاها وان الاصنام وعابديها لا يقدررون على الايذاء والاضرار بين ما هو المنهج القويم والصراط المستقيم فى معاملته الناس بقوله تعالى (خذ العفو) أى اقبل الميسور من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس وذلك مثل قبول الاعتذار ويدخل فى ذلك ترك التشديد فى كل ما يتعلق بالحقوق المالية ويدخل فيه أيضا التعلق مع الناس بالخلق الطيب وترك الغلظة والفظاظة قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفصوا من حولك وقال صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا وقال

الشاعر خذى العفوفى تستدعى مودتى * ولا تنطقى فى سورى حين أغضب
وقال عكرمة لما نزلت هذه الآية قال عليه الصلاة والسلام يا جبريل ما هذا قال لأدرى حتى
أسأل ثم رجع فقال إن الله تعالى يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو
عن ظلمك (وأمر بالعرف) أى بالمعروف قال عطاء بلا اله الا الله (وأعرض عن الجاهلين) أى
فلا تقابلهم بالسفه وذلك مثل قوله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وذلك سلام المتاركة
وقال جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه ليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الاخلاق من هذه
الآية وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا
ولا متفحشا ولا سخابا فى الاسواق ولا يهزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وعن جابر
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعثنى بمكارم الاخلاق وعظام محاسن
الافعال قال أبو يزيد لما نزل قوله تعالى وأعرض عن الجاهلين قال النبى صلى الله عليه وسلم
كيف يارب والغضب فتزل (واما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما الزائدة (ينزعجتك من
الشیطان نزع) أى وسوسة وقوله تعالى (فاستعذ) أى فاستعبد (بالله) جواب الشرط
وجواب الامر محذوف أى يدفعه عنك * (تنبيه) * احتج الطاعنون فى عصمة الانبياء بهذه
الآية وقالوا لولا أنه يجوز من النبى الاقدام على المعصية والذنب لم يحتج الى الاستعاذة
(وأجيب) عن ذلك بأجوبة الاول ان معنى هذا الكلام ان حصل فى قلبك نزع فاستعذ بالله
كما أنه تعالى قال لئن أشركت ليحبطن عملك ولم يدل ذلك على أنه أشرك الثانى على تقدير أنه
لو حصل وسوسة من الشيطان لكن الله تعالى قد عصم قلب نبيه صلى الله عليه وسلم من قبولها
وثباتها فى قلبه وانما القادح لو قبل صلى الله عليه وسلم وسوسة والآية لا تدل على ذلك وروى
أنه صلى الله عليه وسلم قال ما من انسان الا ومعه شيطان وفى رواية ما منكم من أحد الا وقد
وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وياك يا رسول الله قال وياى الا أن الله تعالى
أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى الا بخير وفى رواية لكنه أسلم بعون الله فلقد آتاني فأخذت بحلقه
ولولا دعوة سليمان لأصبح فى المسجد طريحا قال النووى يروى بفتح الميم وضمها فى ضمها معناه
فأسلم أنا من شره وقتته ومن فتحها قال معناه ان القرين أسلم أى صار مسلما فلا يأمرنى الا بخير
الثالث أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره أى واما ينزعجتك أيها الانسان من
الشیطان نزع فاستعذ بالله كقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله (انه سميع) لا تقول
(علم) بالفعل وفى الآية دليل على أن الاستعاذة باللسان لا تنفذ الا اذا حضر فى القلب العلم
بمعنى الاستعاذة فكانه تعالى قال اذ كر لفظ الاستعاذة بلسانك فاني سميع واستحضر معنى
الاستعاذة بعقلك وقلبك فاني علم بما فى ضميرك وفى الحقيقة القول اللسانى بدوين المعارف
القلبية عديم الفائدة والاثر (ان الذين اتقوا اذا مسهم) أى أصابهم (طيف) أى شئ ألم بهم
(من الشيطان تذكروا) عقاب الله وثوابه (فاذا هم مبصرون) الحق من غيره فيرجعون وقرأ
ابن كثير وأبو عمرو والكسائي يسامسا كنه بعد الطاء والباقون بألف بعد الطاء بعد هاهنزة

مكسورة (واخوانهم) أى واخوان الشياطين من الكفار (يعدونهم) أى يعدهم الشياطين
(فى النقي) أى يزيدونهم فى الضلالة بالتزيين والحل عليها (ثم لا يقصرون) أى لا يكفون عن الضلالة
ولا يتركونها وهذا بخلاف حال المؤمنين المتقين لأن المؤمن إذا أصابه طيف من الشيطان تذكر
وعرف ذلك فترج عنه وتاب واستغفر والكافر مستتر فى ضلاله لا يتذكر ولا يرعى (وإذا لم تأتهم)
أى أهل مكة (بآية) أى مما اقترحوها كقولهم إن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
(قالوا لولا اجتماعنا) أى هلا تقواتنا من عند نفسك كسائر ما ترقوه فانهم كانوا يقولون ان هذا
الافق مفترى تقول العرب اجييت الكلام اختلقته واقدمته وأنشأته من عندك وهلا طلبتها
من ربك منزلة عليك مقترحة قال الله تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سألو الآيات
(انما أتبع ما يوحى الى من دلى) أى ليس لى ان أقترح على ربي فى أمر من الامور انما انتظر الوحي
فكل شئ أكرهنى به قلته والا فالواجب السكوت وترك الاقتراح ثم بين ان عدم الايات بتلك
المعجزات التى اقترحوها لا يدح فى الغرض لان ظهور القرآن على وفق دعواه معجزة بالغة باهرة
فاذا ظهرت هذه المعجزة الواحدة كانت كافية فى تصحيح النبوة فكان طلب الزيادة من باب
التعنت فذكر فى وصف القرآن ألقاها ثلاثة أولها قوله (هذا بصائر من ربكم) أى هذا القرآن
فيه حجة وبرهان وأصل البصائر الابصار وهو ظهروا لى حتى يصبره الانسان ولما كان القرآن
سبيل البصائر العقول فى دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أطلق عليه لفظ البصيرة فهو من باب
تسمية السبب باسم المسبب وثانيها (وهدى) أى وهو هدى وثالثها (درجة) أى وهو درجة (لقوم
يؤمنون) فان قيل ما الفرق بين هذه المراتب الثلاث (أجيب) بأنهم متفاوتون فى درجات
العلوم فتنهم من بلغ الغاية فى علم التوحيد حتى صار كل واحد منهم أصحاب عين اليقين ومنهم من بلغ
درجة الاستدلال والنظروهم أصحاب علم اليقين ومنهم المسلم المستسلم وهم عامة المؤمنين وهم
أصحاب حق اليقين فالقرآن فى حق القسم الاول وهم السابقون بصائر وفى حق القسم الثانى
وهم المستدلون هدى وفى حق القسم الثالث وهم عامة المؤمنين درجة (واذا قرئ القرآن فاستمعوا
له وأنصتوا) أى عن الكلام (لعلكم ترجعون) أى لى يرحمكم ربكم باتباعكم ما أمرتم به من أوامره
واختلفوا فى سبب نزول هذه الآية فذهب قوم الى أنها نزلت فى الصلاة كانوا يتكلمون فيها
فأمروا بالاستماع قراءة الامام والانصات وروى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنهم كانوا يتكلمون
فى الصلاة بجوامعهم فأمروا بالسكوت والاستماع الى قراءة القرآن وقال قوم نزلت فى ترك
الجهل بالقراءة خلف الامام وروى زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة قال نزلت هذه الآية فى رفع
الاصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة وقال الكلبي **كانوا يرفعون**
اصواتهم فى الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار وعن ابن مسعود أنه سمع ناسا يقرؤن مع
الامام فلما انصرفوا قال أما أن لكم أن تفقهوا واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا كما أمركم
الله وهذا قول الحسن والزهرى ان الآية نزلت فى القرآن فى الصلاة وقال سعيد بن جبيل وعطاء
ومجاهد ان الآية نزلت فى الخطبة أمره وبالا انصات لخطبة الامام يوم الجمعة وقال عمر بن عبد

العزير الانصات اكل واعظ وقبل معناه واذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له
وانصتوا وقبل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تبجوا وزوه قال البغوي والاقول اولها وهو انها
في القراءة في الصلاة لان الآيات مكينة والجمعة وجبت بالمدينة قال البيضاوي وظاهر اللفظ يقتضي
وجوب ما حدث بقرآن القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحباب ما خارج الصلاة واحتج به من
لا يرى وجوب القراءة على المأموم وهو ضعيف اهـ أي مردود بخبر الصحيحين لا صلاة لمن لم يقرأ فيها
بفاتحة الكتاب وقوله تعالى (واذكر ربك في نفسك) عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما
والمراد بالذكر في النفس أن يستحضر في قلبه عظمة الله تعالى جل جلاله لان الذكر باللسان اذا
كان عاريا عن ذكر القلب كان عديم الفائدة لان فائدة الذكر حضور القلب واشعاره عظمة
المذكور تعالى قال الرازي سمعت به من الاكابر من أصحاب القلوب كان اذا أودأن يأمر
واحد من المريدين بالخلاوة والمذكر أمره أربعين يوما بالخلاوة والتصفية ثم عند استكمال هذه
المدت وحصول التصفية الكاملة يقرأ عليه الاسماء التسعة والتسعين ويقول للمريد اعتبر
حال قلبك عند سماع هذه الاسماء فكل اسم وجدته قلبك عند سماعه قوى تأثره وعظم تشوقه
فاعلم ان الله تعالى انما يفتح أبواب المكاشفات عليك بواسطة المواظبة على ذكر ذلك الاسم
بمعينه وهذا طريق حسن لطيف في هذا الباب اهـ وقيل ذلك أمر للمأموم بالقراءة سرا
بعد فراغ الامام من قراءة الفاتحة كما هو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى (نضربا) أي تذلا
(وخيفة) أي خوفا منه (فائدة) انما قال تعالى واذا ذكر ربك ولم يقل واذا ذكر الهك ولا غير من
الاسماء وانما سماه في هذا المقام باسم كونه ربا وأضاف نفسه اليه وكل ذلك يدل على نهاية الرحمة
والتقريب والفضل والاحسان والمقصود منه أن يصير العبد قدام سرورا مستجابا عند سماع
هذا الاسم لان لفظ الرب مشعر بالتربية والفضل وعند سماع هذا الاسم يتذكر العبد أقسام انعام
الله تعالى عليه وبالحققة لا يصل عقله الى أقل أقسامه كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
فعند انكشاف هذا المقام في القلب يتقوى الرجاء فاذا سمع بعد ذلك قوله تضرعا وخيفة عظم
الخوف وحينئذ يحصل في القلب موجبات الرجاء وموجبات الخوف وعنده يكمل الايمان كما
قال عليه الصلاة والسلام لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لا يعتدلا وهذا جرى عليه بعضهم في حالة
الصحة فيكون الخوف والرجاء مستويا والذي جرى عليه الغزالي وهو التحقيق أنه ان قوى
رجاؤه يقوى جانب الخوف والعكس بالعكس وأما حال المريض فيكون جانب الرجاء أريج وعن
أنس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف
تجبد قال أرجو الله يا رسول الله والى أخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان
في قلب مؤمن في مثل هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو وامنه عما يخاف (ودون الجهر من القول)
أي ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر أي قصدا بينهما فانه أدخل في الخشوع والاخلاص
(بالقدوة) جمع غداة وقيل انه مصدر (والأصال) جمع أصيل وهو ما بين صلاة العصر الى الغروب
وانما خص هذين الوقتين بالذكر لان الانسان يقوم بالغداة من النوم الذي هو آخر الموت الى

الليقظة التي هي كالحياة فاستحب له أن يستقبل حالة الاتقياء من النوم وهو وقت الحياة من موت النوم بالذكري ليكون أقول أعماله ذكر الله تعالى وأما وقت الآصال وهو آخر النهار فإن الإنسان يريد أن يستقبل النوم الذي هو أخو الموت فيستحب له أن لا ينام حالة تشبه الموت ولعله لا يقوم من تلك النومة فيكون موته على ذكر الله تعالى وهو المراد من قوله تعالى (ولا تسكن من الغافلين) عن ذكر الله وقيل إن أخصا بالذكري لأن الصلاة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر مكروهة واستحب للعبد أن يذكر الله تعالى فيه ما يكون في جميع أوقاته مستغلا بما يقربه إلى الله تعالى من صلاة وذكر وقيل إن أعمال العباد تصعد أول النهار وآخره فيصعد عمل الليل عند صلاة الفجر ويصعد عمل النهار بعد العصر إلى الغروب فاستحب له الذكر فيه ما يكون ابتداء عمله بالذكري وختامه بالذكري (إن الذين عند ربك) أي الملائكة المقررين بالفضل والكرامة (لا يستكبرون) أي لا يتكبرون (عن عبادته) لأنهم عبيده خاضعون لعظمته وكبريائه (ويسبحونه) أي وينزهونه عن جميع النقائص ويقولون سبحان الله ربنا (وله يسجدون) أي ويخضعون له بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وفي هذا الإشارة إلى أن الأعمال تنقسم إلى قسمين أعمال القلوب وأعمال الجوارح فأعمال القلوب هي تنزيه الله تعالى عن كل ما سواه وهو الاعتقاد القلبي عبر عنه بقوله ويسبحونه وعبر عن أعمال الجوارح بقوله وله يسجدون ليوافق الملائكة المقررين في عبادتهم وعن معمر بن قيس قال سألت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت حدثني حديثا ينفعني الله به قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يسجد لله سجدة أرفعه الله بها درجة وخط عنه بها خطيئة وفي رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليك بكثرة السجود لله فإنك لا تسجد سجدة أرفعه الله بها درجة وخط عنه بها خطيئة وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن فيقرأ سورة فيها سجدة فيسجد وتسجد معه حتى ما يجد بعضا موضعا لمكان جبهته في غير وقت صلاة وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلتي أمرا ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرا بالسجود فأبى في النار والحديث الذي ذكره البيضاوي تعالى مخشري وهو من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة حديث موضوع

﴿سورة الأنفال مدنية﴾

وقيل الاو اذ يكره الذين كفروا الآيات السبع فكية وهي خمس أوست أوسبع وسبعون آية وألف وخميس وسبعون كلمة وخمسة آلاف وثمانون حرفا

(بسم الله) الذي له العظمة الظاهرة والحكمة الباهرة (الرحمن) الذي عم جميع خلقه بنعمه المتواترة (الرحيم) الذي خص من أراد من عبادته بما يرضيه فكان حامده وشاكره (يستأنونك) بأشرف الخلق يا محمد (عن الأنفال) أي الغنائم لمن هي وكيف مصرفها وانما سميت النعمة

فخلا لانه عطية من الله تعالى وفضل منه كما يسمى به ما بشرطه الامام لمقتهم خطر عطية له وزيادة
 على اسمه (قل) يا محمد لهم (الانفال لله والرسول) يجعل لانها حيثما أو أكثر المفسرين ان سبب
 نزولها اختلاف المسلمين في غنائم بدر كيف تقسم فقال الشبان هي لنا لاننا بشارنا القتال وقال
 الشيوخ كارد ألكم ولوانا كشفتم لغنم البنا فترت وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لمن كان له غناء وهو يفتح الغين المعجمة والمد المنقوع أن ينقله فساو شربانهم حتى قتلوا سبعين
 وأسروا سبعين ثم طلبوا انقلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند
 الرايات كارد أي عونا لكم وفئة تنصرون البنا فترت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بينهم على السواء رواء الحياكم في المستدرك وعن عباد بن الصامت نزلت فينا معاشر أصحاب
 بدر حين اختلفنا في النفل وسامت فيه أخلاقنا فترعه الله من أيدينا فجعله لرسوله صلى الله عليه
 وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 واصلاح ذات البين وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه انه قال لما كان يوم بدر وقاتل
 أخى عمير وقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه وأتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم
 واستوهبته منه فقال هذا ليس لي ولالك اطرحه في القبض وهو يفتح حيتين ما قبض من الغنائم
 فطرحت وبني ما لا يعلم الا الله تعالى من قتل أخى وأخذ سبلي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة
 الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتني السيف وايس لي وانه قد صار لي اذهب
 لخذ وقيل انه نزلت فيما يصل من المشركين الى المسلمين بغير قتال من عبد أو أمة أو متاع فهو
 للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما يشاء واختلفوا هل هذه الآية منسوخة أو لا فقال مجاهد
 وعكرمة هي منسوخة بقوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء فان الله خسه وللرسول الآية فكانت
 الغنائم يومئذ للنبي صلى الله عليه وسلم قسمتها الله تعالى بالخمس وقال بعضهم هي ناسخة من وجه
 ومنسوخة من وجه وذلك أن الغنائم كانت حراما على الامم الذين من قبلنا في شرائع انبيائهم
 وأباحها الله تعالى بهذه الآية لهذه الامة وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا ثم نسخت بالآية الخمس
 وقال عبد الله بن زيد بن أسلم هي ثابتة غير منسوخة ومعنى الآية قل الانفال لله وللرسول
 يضعها حيث أمر الله تعالى وقدين الله تعالى مصارفها في قوله واعلموا أنما غنمتم من شيء فان
 الله خسه الآية (فان قيل) ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول (أجيب) بأن معناه أن حكم
 الغنيمة يختص بالله ورسوله بإمر الله يقسمها على ما تقتضيه حكمته ويمثل الرسول صلى الله
 عليه وسلم أمر الله تعالى فيها وليس الامر في قسمها مفوضا الى رأى أحد (فاتقوا الله) بطاعته
 واتركوا مخالفته واتركوا الخصامة والمنازعة في الغنائم (وأصلحو ذات بينكم) أي وأصلحوا
 الحال فيما بينكم بالمودة وترك النزاع وتسليم أمر الغنائم الى الله ورسوله (وأطيعوا الله ورسوله)
 فيما يأمركم به وينهاكم عنه (ان كنتم مؤمنين) حقا فان الايمان يقتضي ذلك (انما المؤمنون)
 أي الكاملون في الايمان (الذين اذا ذكر الله) أي وعبيده (وجلّت) أي خافت وخضعت وورقت
 (قلوبهم) أي أن المؤمن انما يكون مؤمنا كاملا اذا كان خائفا من الله تعالى وتطيره قوله

تعالى والذين هم من عذاب ربهم مشفقون وقوله تعالى الذين هم في صلاتهم خاشعون (فان قيل)
 انه تعالى قال هنا وجلت قلوبهم وفي آية أخرى وتطمئن قلوبهم بذكر الله فكيف الجمع بينهما
 (أجيب) بأنه لامناحات بينهما لأن الوجع هو خوف العقاب والاطمئنان انما يكون من اليقين
 وشرح الصدر معرفة التوحيد وهذا مقام الخوف والرجاء وقد اجتمع في آية واحدة وهي قوله
 تعالى ففتح عنهم غيبتهم الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله عند رجاء ثواب
 الله وقال أهل التحقيق الخوف على قسمين خوف العقاب وهو خوف العصاة وخوف الجلال
 والعظمة وهو خوف الخواص لأنه تعالى غنى بذاته عن كل الموجودات وما سواها من المخلوقات
 محتاجون اليه والمحتاج اذا حضر عند الملك الغنى هابه وخافه وليست تلك الهيبة من العقاب
 بل مجرد علمه بكونه غنيا عنه وكونه محتاجا اليه يوجب تلك المهابة وذلك الخوف وأما العصاة
 فيخافون عقابه والمؤمن اذا ذكر الله وجل قلبه وخافه على قدر معرفته (واذا نليت عليهم آياته
 زادتهم ايمانا) أى تصديقا وبقينا لأن زيادة الايمان بزيادة التصديق وذلك على وجهين الوجه
 الاول وهو الذى عليه عامة أهل العلم على ما حكاه الواحدى ان كل من كانت عنده الدلائل
 أكثر وأقوى كان أزيد ايمانا لأن عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين
 فتكون معرفته بالله أقوى فيزداد ايمانه واليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام لو وزن
 ايمان أبى بكر بايمان أهل الارض لرجح الوجه الثانى وهو انهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند
 الله ولما كانت التكاليف متوالية في زمنه صلى الله عليه وسلم فكما تجد تكليف كانوا
 يزدادون تصديقا واثارا ومن المعلوم أن من صدق انسانا في شئين كان أكثر من يصدق في شئ
 واحد فقوله تعالى واذا نليت عليهم آياته زادتهم ايمانا معناه أنهم كلما سمعوا آية جديدة أتوا
 باقرار جديد فكان ذلك زيادة في الايمان والتصديق (فان قيل) ان تلك الآيات لا توجب الزيادة
 وانما الموجب هو سماعها ومعرفة ما (أجيب) بأن ذلك هو المراد من الآية واختلاف أهل
 الايمان يقبل الزيادة والنقصان أولا فالذين قالوا ان الايمان عبارة عن التصديق القلبي قالوا لا
 يقبل الزيادة ولا النقصان والذين قالوا انه مجموع الاعتقاد والاقرار والعمل قالوا يقبل
 الزيادة والنقصان واحتجوا بهذه الآية من وجهين الاول أن قوله تعالى زادتهم ايمانا يدل على
 أن الايمان يقبل الزيادة ولو كان عبارة عن التصديق فقط لما قبل الزيادة واذا قبل الزيادة فقد
 قبل النقص الوجه الثانى انه تعالى ذكر في هذه الآية أوصافا متعددة من أحوال المؤمنين ثم قال
 يمد ذلك أولئك هم المؤمنون حقا وذلك يدل على أن تلك الأوصاف داخله في معنى الايمان
 وروى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الايمان بضع وسبعون
 شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها امانة الاذى عن الطريق والحيا شعبة من الايمان
 ففي الحديث دليل على أن للايمان أدنى وأعلى فيكون قابلا للزيادة والنقص وقال غير بن
 حبيب ان للايمان زيادة ونقصا فقبل له فبازيادته وما نقصانه فقال اذا ذكرنا الله وحده ناهى ذلك
 زيادته واذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه ~~كتب~~ عمر بن عبد العزيز الى عدى بن عدى ان

للإيمان فرائض وشرائط وحدود وأستغنا عن استكملها فقد استكمل الإيمان ومن لم يستكملها
 لم يستكمل الإيمان * ثم وصف الله تعالى المؤمنين الكاملين بصفة أخرى ثالثة وهي الاتكال عليه
 بقوله تعالى (وعلى ربهم يتوكلون) أي يفوضون جميع أمورهم إليه لا يرجون غيره ولا يخافون
 سواه لأن المؤمن إذا كان واثقا بوعده الله تعالى ووعيده كان من المتوكلين عليه لا على غيره
 وهذا الحال مرتبة عالية ودرجة شريفة وهي أن الإنسان بحيث يصير لا يبقى له اعتقاد في أمر
 من الأمور إلا على الله تعالى وهذه الصفات الثلاث مرتبة على أحسن صفات الترتيب فإن
 المرتبة الأولى هي الوجع عند ذكر الله والمرتبة الثانية هي الانقياد لمقامات تكليفه والمرتبة
 الأخيرة الانقطاع بالكلية عما سوى الله والاعتماد بالكلية على فضل الله بل الغنى بالكلية
 عما سوى الله ثم إن هذه المراتب الثلاث أحوال معتبرة في القلوب والبواطن ثم انقل منها إلى
 رعاية أحوال الظاهر فقال (الذين يقيمون الصلاة) أي الذين يؤدونها بحجة وقها (وعما رزقناهم)
 أي أعطيناهم (يتفقون) في طاعة الله لأن رأس الطاعات المعتبرة في الظاهر ورئيسها بذل
 النفس في الصلاة وبذل المال في مراضاة الله ويدخل في ذلك صلاة الفرض والنفل والزكاة
 والصدقات والاتفاق في الجهاد والاتفاق على المساجد والقناطر ثم قال تعالى (أولئك) أي
 الموصوفون بهذه الصفات الخمسة (هم المؤمنون - ق) لأنهم حققوا إيمانهم بأن ضموا إليه مكارم
 أعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن أفعال الجوارح التي المعيار عليها
 وهي الصلاة والصدقة وحققوا مصدر مؤكد للجملة التي هي أولئك هم المؤمنون كقوله هو
 عبد الله حقا أي أحق ذلك حقا * (تنبيه) * اختلف العلماء في أنه هل للشخص أن يقول أنا مؤمن
 حقا ولا فقال أصحاب الشافعي رضي الله تعالى عنه الأولى أن يقول الرجل أنا مؤمن إن شاء
 الله تعالى ولا يقول أنا مؤمن حقا وقال أصحاب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه الأولى أن يقول
 أنا مؤمن حقا ولا يجوز أن يقول إن شاء الله تعالى وأستدل للأول بوجوه الأول أن قوله
 أنا مؤمن إن شاء الله تعالى ليس على سبيل الشك ولكن الشخص إذا قال أنا مؤمن فقد مدح
 نفسه بأعظم المدائح فربما حصل له بذلك عجب فاذا قال إن شاء الله تعالى زال ذلك العجب
 وحصل الانكسار له الثاني أن الله تعالى ذكر في أول الآية ما يدل على الحصر وهو قوله تعالى
 أنا المؤمنون هم كذا وكذا وكلمة أنا تفيد الحصر وذكر في آخر الآية قوله تعالى أولئك هم
 المؤمنون حقا وهذا أيضا يفيد الحصر فلما دل هذه الآية على هذا المعنى ثم إن الإنسان لا يمكنه
 القطع على نفسه بحصول هذه الصفات الخمس فكان الأولى له أن يقول إن شاء الله تعالى ومن
 الحسن أن رجلا سأله أم مؤمن أنت فقال الإيمان إيمانان فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله
 وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن بها وإن
 كنت تسألني عن قوله تعالى أنا المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم - الآية فلا أدري
 أنا منهم أم لا وقال سفيان الثوري من زعم أنه مؤمن حقا عند الله ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة
 فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه أي كمالا لا قطع أنه من أهل الجنة قطعا فلا تقطع

أنه مؤمن حقا الثالث أن قوله أنا مؤمن أن شاء الله تعالى للتبرك فهو قول له صلى الله عليه وسلم وأنا أن شاء الله بكم لا حقون مع العلم القطعي بأنه لا حق بأهل القبور الرابع أن المؤمن لا يكون مؤمنا حقا إلا إذا ختم له بالإيمان ومات عليه وهذا لا يحصل إلا عند الموت فلهذا السبب حسن أن يقول أنا مؤمن أن شاء الله تعالى فالمراد صرف هذا الاستثناء إلى الجماعة الخامس أن ذكر هذه الكلمة لا ينافي حصول الجزم والقطع ألا ترى أنه تعالى قال لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام أن شاء الله آمنين وهو تعالى منزعه عن الشك والريب فثبت أنه تعالى اغنا ذلك تعليماته لعباده فالأولى ذكر هذه الكلمة الدالة على تفويض الأمور إلى الله تعالى حتى يحصل ببركة هذه الكلمة دوام الإيمان واستدل الثاني بوجهين الأول أن المتحرك يجوز أن يقول أنا متحرك ولا يجوز أن يقول أنا متحرك أن شاء الله تعالى وكذا القول في القائم والقاعد فكذا هذا الثاني أنه تعالى قال أولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم الله لهم بكونهم مؤمنين حقا فكان قوله أن شاء الله بوجب الشك فيما قطع الله تعالى لهم به وذلك لا يجوز وأجاب الأول عن قولهم المتحرك لا يجوز أن يقول أنا متحرك أن شاء الله تعالى بالفرق بين وصف الإنسان بكونه مؤمنا وبين وصفه بكونه متحركا إذا الإيمان يتوقف حاله على الجماعة والحركة فعل للإنسان نفسى لفصل الفرق بينهما وعن قولهم أنه تعالى قال أولئك هم المؤمنون حقا حكم لهم بكونهم مؤمنين حقا إذا أتوا تلك الأوصاف الخمسة على الحقيقة ونحو ذلك فثبت حينئذ أن الصواب مع أصحاب القول الأول (لهم) أي للموصوفين بتلك الصفات (درجات) أي منازل في الجنة (عند ربهم) بعضها أعلى من بعض لأن المؤمنين تتفاوت أحوالهم في الأخذ بتلك الأوصاف المذكورة فلهذا تتفاوت منازلهم في الجنة على قدر أعمالهم قال عطاء درجات الجنة يرتفعون فيها بأعمالهم وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في أحدها لنوسعتهم (ومغفرة) أي لما فرط منهم (ورزق كريم) أعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي أمدته (فان قيل) أليس المفضل إذا علم حصول الدرجات لعالية القاضل وحرمانه منها فإنه يتألم قلبه ويتنفس عيشه وذلك يحيل كون الثواب رزقا حسنا (أجيب) بأن استغراق كل أحد في سعادته الحاضرة تمنعه من حصول النظر إلى غيره وبالجمله فأحوال الآخرة لا تناسب أحوال الدنيا إلا بالاسم وقوله تعالى (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) يقتضى تشبيه شيء بهذا الأخرى واختلافوا في تقدير ذلك فقال المبردة تقديره الانفصال لله والرسول وإن كرهوا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق إلى القتال وإن كانوا كارهين له قال الرازي وهذا الوجه أحسن الوجوه المذكورة في هذا الموضع وقال عكرمة تقديره فأتقوا الله وأصلحو أفعالكم فان ذلك خير لكم كما أن إخراج محمد من بيته خير لكم وإن كرهه فريق منكم وقال الكسائي الكاف متعلق بما بعده وهو قوله يجادلونك في الحق والتقدير كما أخرجك

ربك من بيتك بالحق على كره فريق من المؤمنين كذلك هم يكرهون القتال ويجادونك فيه وقبل الكاف بمعنى على تقديره امض على الذي اخرجك ربك وقيل الكاف بمعنى اذ تقديره واذا كره اذا اخرجك ربك من بيتك بالحق (وان فريقا من المؤمنين الكارهون) الخروج والجملة حال من كلف اخرجك وقيل كما خبر مبتدأ محذوف أي هذه الحالة في كراهتهم لها مثل اخرجك في حال كراهتهم وقد كان خيرا لهم فكذلك هذه أيضا وذلك ان أباسفيان قدم بعير من الشام في أربعين راكبا منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهري وفيها تجارة كثيرة فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأعجبهم لقي العير لكثرة المال وقلة العدد فلما سمع أبوسفيان بعير النبي صلى الله عليه وسلم اليه استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري وبعته الى مكة وأمره أن يأتي قريشا فيستنفرهم ويخبرهم أن محمدا وأصحابه قد خرجوا العيرهم فخرج ضمضم سريعا الى مكة وكانت عاتكة أخت العباس بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رأت رؤيا فقالت ل أخيها العباس اني رأيت عجبا رأيت راسكبا أقبل على بعيره حتى وقف بالابطح ثم صرخ بأعلى صوته ألا انظروا يا آل غدر لم صار عكم في ثلاث فأرى الناس قد اجتمعوا عليه ورأيت كأن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها ورعى أي رعى بها الى فوق فلم يبق بيت من بيوت مكة الا أصابه حجر من تلك الصخرة فقال العباس اقيموا فلان ذلك كرهها لاحد ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان صديقا له فذكرها له واستكفه فذكرها الوليد لآبيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش قال العباس فغدوت أطوف بالبيت وأبوجهل بن هشام في رهط من قريش معه وديتحدثون برؤيا عاتكة فلما رأي أبو جهل قال يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فأقبل علينا قال فلما فرغت من طوافي أقبلت حتى جلست معهم فقال أبو جهل يا بني عبد المطلب متى حدثت هذه الفتنة فيكم قلت وما ذلك قال الرؤيا التي رأيت عاتكة قلت وما رأيت قال يا بني عبد المطلب أما رضيتم ان تتبأرجالكم حتى تتبأ نساؤكم قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال انظروا في ثلاث فنتربص بكم الثلاث فان يكن ما قالت حقا فيه يكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا أنكم اكذب أهل بيت في العرب قال العباس فوالله ما كان مني اليه كبير أمر الا أني وجدت ذلك وأنكرته ان لا تكون عاتكة رأيت شيئا ثم تفرقنا فلما أصيبت لم يبق أمر أمة من بني عبد المطلب الا اتتني فقالت أقررتن لهذا الفاسق الحديث أن يقع في رجالكم ثم تناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت قال قلت والله ما كان مني اليه من شيء وايم الله تعالى لا تعرضن له فان عاد لا كفيتكنه قال فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى ان قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه قال فدخلت المسجد فرأيت قال فوالله اني لامشي نحووه لا تعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به ~~وهو~~ كان أبو جهل رجلا خفيا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر اذا خرج نحو باب المسجد يشتد قال قلت ماله لعنه الله اكان هذا فرقامني أن أشأته قال فاذا هو سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ يظن الوادي واقفا على بعيره وقد حوّل

رحله وشق قبضه وهو يقول يا معشر قريش هذه أموالكم مع أبي سفيان وقد عرض لها محمد
 وأصحابه فنأدى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء وهو بالمذا الاسراع منصوب على
 الاغراء أي الزموا الاسراع على كل صعب وذلول أي أسرعوا مجتمعين ولا تفقن لان تخافوا
 للركوب ذلولادون صعب غيركم أموالكم ان أصحاب محمد ان تفلحوا بعدها أبدأ فخرج أبو جهل
 بجميع أهل مكة وهم النفير في المثل لافي العير ولا في النفير فقبل له ان العير أخذت طريق الساحل
 ونجت فارجع بالناس فقال والله لا يكون ذلك أبدا حتى تخرج الجزور ونشرب الخمر ونقيم القينات
 والمعازف بيدرفيتساع جميع العرب بخيرنا وان محمد لم يصب العير فانا قد أعضضناه فغضى
 بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوماني السنة ونزل جبريل عليه السلام
 وقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه
 وسلم أصحابه وقال ما تقولون ان التوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب
 اليكم أم النفير قالوا بل العير أحب الينا من لقاء العدو وتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ثم رقد عليهم وقال ان العيرة لمحضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله
 عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضي الله
 عنهما فأحسن الكلام وأمالاه الى المضي الى العدو ثم قام سعد بن عباد فقال انظر امرنا فاقض
 فوالله لو سرت الى عدن أبين وهي مدينة معروفة باليمن وأبين بوزن أبيض اسم رجل من حيرة عدن
 بها أي أقام ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما
 أمرك الله فانامعك حيمما أحييت لانقول لك كما قال بنو اسراييل لموسى عليه السلام
 اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون
 فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أشيروا علي أيها الناس وهو يريد الانصار لانهم
 قالوا له حين يابعوه على العقبة انا برآ من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الى ديارنا فانت
 في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يخوف ان تكون
 الانصار لا ترى عليهم نصرته الاعلى عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لك تريدنا
 يا رسول الله قال أجل قال قد آمننا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق وأعطيناك
 على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالله الذي بعثك
 بالحق نبيا لو اسسته عرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره
 ان تلقى بنا عدونا وانما لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله تعالى يريك منا ما تقربه
 منك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد رضي الله عنه
 قال سيروا على بركة الله تعالى وأبشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر
 الى مصارع القوم وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حدثه عن
 أهل بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالامس يقول هذا
 مصارع فلان غدا ان شاء الله تعالى وهذا مصارع فلان غدا ان شاء الله تعالى قال عمر فوالذي بعثه

بالحق نبيا ما أخطأ الحدود التي حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلوا في بر بعضهم على
 بعض فأنطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إليهم فقال يا فلان بن فلان هل وجدتم
 ما وعد الله ورسله حقاً فاني وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر كيف تكلم أجساد الأرواح
 فيها فقال ما أنتم اسمع لما أقول لهم منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شيأ وروى أنه قيل
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قرع من بدر علمك بالعباس دونهاشي فناداه العباس وهو في
 وثاقه أي قيداً وكان العباس حينئذ مأسوراً مقيداً لا يسمع فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال
 لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك فكانت الكراهة من بعضهم لقوله تعالى
 وإن فر يقامن المؤمنين لكارهون (يجادلونك في الحق) أي القتال (بعد ما تبين) أنك لا تصنع شيئاً
 إلا بأمر ربك (كأنما يساقون إلى الموت وهم يتظرون) إليه أي يكرهون القتال كراهة من
 من يساق إلى الموت وهو يشاهد أسبابه وذلك أن المؤمنين لما يقنوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا لم
 يعلمنا أن تأتي العدو فتستعد للقائهم وانما خرجنا لطلب العير اذ روى أنهم كانوا رجالاً وما كان
 فيهم إلا فارسان وفيه إيمان إلى أن مجادلتم كانت اضطر فزعهم ورعبهم (واذ) أي واذكر **ك**راذ
 (بعد كم الله إحدى الطائفتين) أي العير والنفير واحد ثانی مفعولي بعدكم وقد أبدل منها
 (أنها لكم) بدل اشتمال (وتؤذون) أي تريدون (أن غير ذات الشوك) أي القوة والشدة
 والسلاح وهي العير (تكون لكم) لقلة عددها وعددها اذ لم يكن فيها إلا أربعون فارساً بخلاف
 النفير لكثرة عددهم وعددهم وقرأ أبو عمرو بإدغام التاء في التاء بخلاف عنه (ويريد الله أن
 يحق الحق) أي يظهره (بكلماته) أي بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوك وبما أمر الملائكة
 من نزولهم للنصرة وبما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر (ويقطع دابر الكافرين)
 أي يستأصلهم والمعنى أنكم تريدون أن تصيبوا ما لا ولا تلقوا مكرها والله يريد إعلال الدين
 وإظهار الحق وما يحصل لكم من فوز الدارين (ليحق الحق) أي يثبت الإسلام (ويبطل الباطل)
 أي يحق الكفر (ولو كره المجرمون) أي المشركون ذلك (فان قيل) قوله تعالى ليحق الحق
 بعد قوله أن يحق الحق يشبه التكرار (أجيب) بأن المعنيين متباينان وذلك أن الأول
 لبيان المراد وما بينه وبين مراده من التفاوت والثاني لبيان الداعي إلى حل الرسول على
 اختيار ذات الشوك على غيرها ونصره عليها (اذ) أي واذكر اذ (تستغيثون ربكم) واستغاثتهم
 أنهم لم يعلموا أن لا محيص عن القتال أخذوا يقولون ربنا انصرنا على عدوك أغثنا يا غياث
 المستغيثين وعن عمر رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى
 أصحابه وهم ثلثمائة أي وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لي ما وعدتني
 اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه وأخذ أبو بكر
 رضي الله تعالى عنه فألقاه على منكبيه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك
 فإنه سينجز لك ما وعدك وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم بإظهار ذال اذ عند التاء
 والباء قون بالإدغام (فاستجاب لكم أني) أي بآتي فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله

(محمّد كم بألف من الملائكة مردين) أي متتابعين يردف بعضهم بعضا وقروا نافع بفتح الدال وقيل بالفتح والكسر والباقون بالكسر وعددهم بالالف أو لاثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف كما في آل عمران فليل نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة ملك على المينة وفيها أبو بكر رضى الله تعالى عنه وميكائيل عليه السلام على الميسرة وفيها على رضى الله تعالى عنه في صور الرجال عليهم عمام بيض وشباب بيض قد أدرخوا أذنانهم بين أكافهم فقاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا يوم الاحزاب ويوم خيبر وروى أن أبا جهل قال لابن مسعود من أين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال أبو جهل هم غلبونا لأنهم وروى أن رجلا من المسلمين بينما هو يشتد في طلب رجل من المشركين إذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر إلى المشرك وقد خرم مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقاتلوا يوم بدر سبعين وأسروا سبعين وعن أبي داود المازني تبعته رجلا من المشركين لا ضربه يوم بدر فوق رأسه بين يدي قبل أن يصل إليه سبني وروى أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال قال لقدر أتنا يوم بدر وان أحدنا ليسر بسيفه إلى المشرك فقتل رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف وقيل انهم لم يقاتلوا وإنما كانوا يكثر السواد ويثبتون المؤمنين والافلك واحد كاف في أهل الدنيا كما هم فأت جبريل عليه السلام أهل كبريتة من جناحه مدائن قوم لوط وأهلك بلاد دعوذ قوم صالح عليه السلام بصيحة واحدة وقيل يدل على هذا قوله تعالى (وما جعله الله الا بشري) لكم أي وما جعل الاردا ف بالملائكة الا بشري لكم (ولتطمئن به قلوبكم) فيزول ما بها من الوحل اقلتكم وذلتكم والعصم أنهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيما سواهم لما تقدم (وما النصر الا من عند الله) أي لا من عند غيره وأما مدد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها فهي وسائط لا تأثر لها فلا تحسبوا ان النصر منها ولا تياسوا منه بفقد ما وفي ذلك تنبيه على أن الواجب على المسلم أن لا يتوكل الا على الله تعالى في جميع أحواله ولا يثق بغيره فان الله تعالى بيده النصر والاعانة (ان الله عزيز) أي انه تعالى قوى منيع لا يقهره شيء ولا يغلبه غالب بل هو يقهر كل شيء وبغلبه (حكيم) في تدبيره ونصره ينصر من يشاء ويخذل من يشاء من عباده (اذ) أي واذا كراذ (يفشاكم النعاس) وهو النوم الخفيف (أمنة) أي أمنا بما حصل لكم من الخوف من عدوكم (منه) أي من الله تعالى لأنهم لما خافوا على أنفسهم لكثرة عددهم وعددهم وقلة المسلمين وقلة عددهم وعطشوا عطشا شديدا ألقى الله عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم الكلال والعطش وتمكنوا من قتال عدوهم كان ذلك النوم نعمة في حقهم لانه كان خفيضا بحيث لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله اليهم وقدروا على دفعه عنهم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما النعاس في القتال أمنة من الله تعالى وفي الصلاة وسوسة من الشيطان وقروا نافع بضم الياء وكسر الشين مخففة وابن كثير وأبو عمر وفتح الياء والشين مع التخفيف فيها والباقون بضم الياء وكسر الشين مشددة ورفع السين من النعاس ابن كثير وأبو عمر ونصبها

الباقون على أن الله تعالى هو الفاعل (وينزل عليكم من السماء ماء) أي مطرا (ليظهركم به) أي من الأحداث والجنابات وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون وتخفيف الزاي والباقون يقع النون وتشديد الزاي وذلك أن المسلمين نزلوا يوم بدر على كتيب رمل أعفرتسوخ فيه الأقدام وجوافر الدواب فناموا فاحتمل أكثرهم وكان المشركون قد سبقوهم على ماء بدر فنزلوا عليه وأصبح المسلمون على غير ماء وبعضهم محدث وبعضهم جنب وأصابهم العطش فوسوس إليهم الشيطان أو قال لهم المنافقون تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله صلى الله عليه وسلم وأنتم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون محدثين فكيف ترجون أن تظهروا على عدوكم وما ينتظرون بكم إلا أن يجهدكم العطش فإذا قطع العطش أعناقكم مشوا إليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم إلى مكة فجزوا حزننا شديدا وأشفقوا فأنزل الله تعالى مطرا أسال منه الوادي فشرب منه المؤمنون واغتسلوا ووضوا وسقوا الدواب وملوا الأسقية وطفي الغبار وعظمت النعمة من الله عليهم بذلك وكان دليلا على حصول النصر والظفر وزالت عنهم وسوسة الشيطان كما قال تعالى (ويذهب عنكم رجز الشيطان) أي وسوسة الشيطان التي ألقاها في قلوبكم وقيل الجنابة لأنها من تخييل (فان قبيل) يلزم على هذا التكرار فإن هذا تقدم في قوله تعالى ليظهركم به (وأجيب) عنه بأن المراد من قوله تعالى ليظهركم به حصول الطهارة الشرعية ومن قوله تعالى ويذهب عنكم رجز الشيطان أن الرجز هو عين المني فإنه شيء مستقذبت وطابت أنفسهم كما قال تعالى (وليربط) أي يحبس (على قلوبكم) باليقين والصبر ولبدت الأرض حتى ثبتت عليها الأقدام كما قال تعالى (ويثبت به الأقدام) أي أن تسوخ في الرمل والضمير في به للماء ويجوز كما قال الزمخشري أن يكون للربط لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر والجراءة ثبتت الأقدام في مواطن القتال وقوله تعالى (أذيوحى ربك) متعلق بثبت أو بدل من أذيعدكم (إلى الملائكة) أي الذين أمتهبهم المسلمين وقوله تعالى (إني) أي بأني (معكم) أي بالعون والنصرة مفعول بوحى (فثبتوا الذين آمنوا) أي قوا قلوبهم بأن تقاتلوا المشركين معهم وقيل بالتبشير والاعانة فكان الملك يشي في صورة رجل أمام الصف ويقول أبشروا فإن الله تعالى ناصركم عليهم فانكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه وقيل بالقائه الإلهام في قلوبهم كما أن للشيطان قوة في القاء الوسوسة في قلب ابن آدم بالشر ويسمى ما يلقيه الشيطان وسوسة وما يلقيه الملك الهام ثم بين تعالى المعية بقوله تعالى (سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب) أي الخوف فلا يكون لهم ثبات وكان ذلك نعمة من الله تعالى على المؤمنين حيث ألقى الخوف في قلوب المشركين وقرأ ابن عامر والكسائي برفع العين والباقون بالسكون وقوله تعالى (فاضربوا) خطاب للمؤمنين والملائكة (فوق الأعناق) أي أعاليها التي هي المذايح والمفاصل والرؤس فأنها فوق الأعناق وقيل المراد الأعناق وفوق مسئلة أو بمعنى على أي اضربوا على الأعناق (واضربوا منهم كل بنان) قال ابن عطية يعني كل مفصل وقال ابن عباس يعني الأطراف والبنان جمع بنانة وهي أطراف الأصابع من اليسدين والرجلين وقال ابن

الاباري كانت الملائكة لا تعلم كيف تقابل بنى آدم فعلمهم الله تعالى قبل انما خست الرأس
 والبنان بالذكر لان الرأس أعلى الجسد وأشرف الاعضاء والبنان أضـعف الاعضاء فيدخل
 في ذلك كل عضو في الجسد وقيل أمرهم بضرب الرأس وبه هلاك الانسان وبضرب البنان
 وبه تبطل حركته عن القتال لان البنان يتمكن من مسك السيف والسلاح ووجهه والضرب
 به فاذا قطع بنانه تعطل ذلك كله (ذلك) أى التسليط العظيم الذى وقع من القتل والاسير يوم بدر
 والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد (بأنهم) أى الذين تلبسوا بالكفر (شاقوا الله)
 الذى لا يطاق انتقامه (ورسوله) أى خالفوه ما فى الاوامر والنواهي والمشاقة المخالفة
 وأصلها الجحابة فكانهم صاروا فى شق وجانب غير الذى يرضيانه (ومن يشاقق الله ورسوله
 فان الله شديد العقاب) له فان الذى أصابهم فى ذلك اليوم من الامر والقتل شئ قليل فى جنب
 ما أعد الله تعالى لهم من العقاب يوم القيامة وقوله تعالى (ذلكم) خطاب للكفرة على
 طريق الالتفات من الغيبة فى شاقوا أى ذلكم الذى عمل لكم به بدر من القتل والاسير
 (فذوقوه) عاجلا (وأن للكافرين) آجلا فى الآخرة (عذاب النار) ووضع الظاهر فيه موضع
 المضمرة للدلالة على أن الكفر سبب للعاجل والآجل (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الذين كفروا
 زحفا) أى مجتهدين فكانهم لم يذكروا أى يدبون ديبا من زحف الصبي اذا دب على
 استه قليلا قليلا يسمى به وجمع على زحوف واتصاه على الحال وهو مصدر موصوف به كالعدل
 والرضا ولذلك لم يجمع (فلا تولوهم لادبار) أى منهزمين منهم وان كنتم أقل منهم (ومن يولهم
 يومئذ) أى يوم لقائهم (دبره) أى يجعل ظهره اليهم منهزما (الاستحرفا) أى منعظا (لقتال) بأن
 يريهم أنه منهزم خذا عاثم يكر عليهم وهو باب من مكاييد الحرب (أو تمهيدا) منضمها وصاروا (الى فئة)
 أى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التى هو فيها على القرب يستجديها ومنهم من لا يعتبر
 القرب لما روى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه كان فى سرية بعثهم رسول الله صلى الله عليه
 سلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم العكارون وفى رواية
 الكرارون أى المتعاطفون الى الحرب وأنافتكم وانهمز رجل من القادسية فأتى المدينة الى
 عمر رضى الله تعالى عنه فقال يا أمير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر انا فئتك
 (فقدباء) أى رجوع (بغضب من الله وما أواجهنهم وبئس المصير) أى المرجع هي وعن ابن عباس
 ان الفرار من الزحف من أكبر البكائر هذا اذا لم يزد العدد على الضعف لقوله تعالى الآن
 خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا وقيل هذا فى أهل بدر خاصة لانه ما كان يجوز لهم الانهزام
 يوم بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم قاله مجاهد ولم انصرف المسلمون من قتال بدر كان
 الرجل يقول أنا قتلت فلانا ويقول الآخر أنا قتلت فلانا فنزل قوله تعالى (فلم تقتلوهم) أى
 بقوةكم (ولكن الله قتلهم) أى بنصره اياكم بأن هزمهم لكم قال البيضاوى تبعا للزمخشري
 والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم اه ورده
 ابن هشام بأن الجواب المنفى بلم لا تدخل عليه الفاء واختلاف فى سبب نزول قوله تعالى

(وما ربيت) يا محمد (اذ ربيت واكن الله ربي) على ثلاثة أقوال الاول وهو قول أكثر المفسرين
 نزات في يوم بدر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ندب الى قتال بدر نزوا بدر او بدرت
 عليهم رقاد قريش وفيهم أسلم غلام أسود لبني الحجاج وأبو يسار غلام لبني العاصي بن سعد
 فأتوا بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما أين قريش فقالا لهم وراء هذا الكتيب
 الذي بالعسدة القصوى الكتيب العنقل وهو الكتيب العظيم المتداخل الرمل قاله
 الجوهري فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالوا كثير قال ما عدتهم قال لا ندري
 قال كم ينحرون كل يوم قالوا يوم عشرة ويوم تسعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم
 ما بين التسعمائة الى الالف ثم قال لهما من فيهم من اشراف قريش قالوا عتبة بن ربيعة وشيبة
 ابن ربيعة وأبو الجعثري بن هشام وأبو جهل بن هشام وعدا جماعة أخرى فقال صلى الله عليه
 وسلم هذه مكة قد ألفت اليكم أفلا ذكبتها فلما طلعت قريش من العنقل قال عليه الصلاة
 والسلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني أسألك ما وعدتني فأنا
 جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمع ان قال لعلي رضي الله
 عنه أعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهد الوجوه أي قبحت فلم يبق
 مشرك الا دخل في عينيه وغه ومنخره فانهم زوا وردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم والمعنى
 ان الرمية التي رميتها بلغ أثرها الى ما لا يبلغه أثر البشر لكونها كانت برمي الله حيث أثرت ذلك
 الاثر العظيم لان كذا من الحصباء لا يعلو عيون الجيش الكثير برمية البشر فأثبت الرمية لرسول
 الله صلى الله عليه وسلم لان صورتها وجدت منه وفاها عنه لان أثرها الذي لا تطيقه البشر فعل
 الله تعالى فكان الله تعالى هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانهم لم توجد من الرسول صلى الله
 عليه وسلم أصلا القول الثاني انها نزات يوم خيبر روى انه عليه الصلاة والسلام أخذ قوسا وهو
 على باب خيبر فرمى سهمها فأقبل السهم حتى قبل لبابة بن أبي الحقيق وهو على فرسه فنزلت
 القول الثالث انها نزات في يوم أحد في قتل أبي بن خلف وذلك انه أتى النبي صلى الله عليه وسلم
 بعظم رميم وقتته وقال يا محمد من يحيي هذه وهي رميم فقال صلى الله عليه وسلم يحييه الله ثم عمتك
 ثم يحييك ثم يدخلك النار فأمرهم بدرفلما اقتدى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عندي
 فرسا أعضها كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أنا أقتلك
 ان شاء الله تعالى فلما كان يوم أحد اقبل أبي بكر رضي الله عنه على ذلك الفرس حتى دنا من رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فاعترض له رجال من المسلمين ليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأخروا
 ورماء بحربة كسر ضلعها من أضلاعها فمات ببعض المارقين فترات والاصح الاول والا أدخل في
 اثناء القصة كلاما أجنبيا عنها وذلك لا يليق وقال الرازي لا يبعد أن يدخل تحته سائر الوقائع
 لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقرأ ابن عامر وحزرة والكسائي ولكن الله قتلهم
 ولكن الله ربي بكسر النون مخففة ورفع الهاء من اسم الله فيهما والباقون بفتح النون مشددة
 ونصب الهاء وقوله تعالى (وليبلى المؤمنين من بلاء حسنا) معطوف على قوله تعالى ولكن الله

رعى أى وليتم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنية ثم ختم الله تعالى هذه الآية بقوله تعالى (إن الله
 جميع) لا قوا لكم (علم) بأحوال قلوبكم وهذا جرى مجرى التهذيب والترهيب لكلا يفتر العد
 بطواهر الامور ويعلم ان الخالق تعالى يطالع على ما في الضمائر والقلوب وقوله تعالى (ذلكم)
 اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع أى الغرض ذلكم وقوله تعالى (وان الله موهن كيد
 الكافرين) معطوف على ذلكم أى المقصود ابلاء المؤمنين وتوهمين كيد الكافرين وابطال
 حيلهم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الواو وتشديد الهاء وتنوين النون ونصب الدال
 وقرأ حفص بسكون الواو وتخفيف الهاء وعدم تنوين النون وخفض الدال والباقيون بسكون
 الواو وتخفيف الهاء مع تنوين النون ونصب الدال وقوله تعالى (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح)
 أكثر المفسرين على انه خطاب للكفار روى ان أبا جهل لعنه الله قال يوم بدر اللهم أينما كان
 أقطع للرحم وأجرفا هلكه الغداة وقال السدي ان المشركين لما أرادوا الخروج الى بدر أخذوا
 باستار الكعبة وقالوا اللهم انصرأ على الجندين وأهدى القبيلتين وأكرم الحزبين بأفضل
 الدين فأمر الله تعالى هذه الآية أى ان تستنصر والاهدى القبيلتين وتستعصوا فقد جاءكم
 النصر والقتال من هو كذلك وهو أبو جهل ومن قتل معه دون النبي صلى الله عليه وسلم
 والمؤمنين وقيل خطاب للمؤمنين وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما رأى المشركين وكثرة عددهم
 وعددهم استغاث بالله تعالى وطلب ما وعده الله تعالى به من احدى الطائفتين وتضرع الى الله
 تعالى وكذلك الصحابة ورضي الله تعالى عنهم فقال تعالى ان تستفتحوا أى ان تطلبوا النصر الذى
 تقدم به الوعد فقد جاءكم الفتح أى حصل ما وعدتم فاشكروا الله تعالى والزمو الطاعة قال
 القاضى عياض وهذا القول أولى لان قوله تعالى فقد جاءكم الفتح لا يليق الا بالمؤمنين اه وقال
 البيضاوى انه خطاب لاهل مكة عن سبيل التهمك اه ويدل له قوله تعالى (وان تنهوا) أى
 عن الكفر ومعاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فهو خير لكم) أى تضمنه سلامة الدارين
 وخير الميزانين (وان تعودوا) أى لقتال النبي صلى الله عليه وسلم (نعد) أى لنصرته عليكم
 (ولن تغنى) أى تدفع (عنكم فتتكم) أى جماعتكم (شيأ) لان الله تعالى على الكافرين
 فيخذلهم (ولو كثرت) فتتكم (وان الله مع المؤمنين) بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر
 وحفص بفتح الهمزة على ولان الله تعالى والباقيون بالكسر على الاستئناف (يا أيها الذين آمنوا
 أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا) أى تعرضوا (عنه) أى الرسول صلى الله عليه وسلم بمخالفة
 أمره فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذ كر طاعة الله للتوطئة
 والتفبيح على ان طاعة الله فى طاعة الرسول لقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقيل
 الضمير للجهاد (وانتم تسمعون) أى القرآن والمواظعة فهم وقصديق (ولا تكونوا كالذين
 قالوا سمعنا) أى بالسنتهم (وهم لا يسمعون) سمعوا يتفهمون به وهذه صفة المنافقين (ان شر
 الدواب عند الله) أى ان شر من دب على وجه الارض من خلق الله عنده (الصم) عن سماع
 الحق (البكم) عن النطق بالحق فلا يقولونه (الذين لا يعقلون) أمر الله وسميهم دواب لقلة

انفعاهم بعقوباتهم كما قال تعالى أولئك كالانعام بل هم أضل قال ابن عباس هم نضر من بني عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عما جاء به محمد فقتلوا جميعاً بحد وكانوا أصحاب اللواء ولم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة (ولو علم الله فيهم خيراً) أي سعانة كذب لهم أو انتفاعاً بالآيات (لا تسمعهم) سماع تفهم (ولو أسمعهم) على سبيل الفرض وقد علم أن لا خير فيهم (لتولوا) عنه ولم ينتفعوا به وارتدوا عن التصديق والقبول (وهم معرضون) لعنادهم وبجودهم الحق بعد ظهوره وقيل انهم كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا قسماً فانه كان شياً بما بارك فيه ذلك بالنبوة فنؤمن بك فقال الله تعالى ولو أسمعهم كلام قصي اتولوا وهم معرضون (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول) أي أجبوا وهما بالطاعة ووحداً الضمير في قوله تعالى (إذا دعاكم) لأن دعوة الله تعالى تسمع من الرسول صلى الله عليه وسلم روى الترمذي انه صلى الله عليه وسلم مر على أبي بن كعب وهو يصلي فدعاه فجهل في صلاته ثم جاء فقال له صلى الله عليه وسلم ما منعك عن اجابتي قال كنت أصلي قال ألم تجد فيما أوحى الي استجبوا لله وللرسول ويؤخذ من ذلك ان اجابته صلى الله عليه وسلم بالقول لا تقطع الصلاة وهو كذلك بل ولا بالفعل الكثير كما قاله بعض أصحابنا وهو ظاهر الحديث أيضاً ولما كان اجتناء ثمرة الطاعة في غاية التقرب منه به على ذلك باللام دون الى فقال (لما يحيبكم) من العلوم الدينية فانما حياة القلوب والجهل موتها قال أبو الطيب

لا تهجين الجهول حليمه * فذا لثمت وثوبه كفن

أومما يورثكم الحياة الابدية في النعيم الدائم من العقائد وقال السدي هو الايمان لان الكافر ميت فيحيا بالايمان وقال ابن ابي عمير هو الجهاد أعزكم الله تعالى به بعد الذل وقال العتي هو الشهادة لقوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) أي انه يحسنه فتقونه الفرصة التي هو واجدها وهي التمسك من اخلاص القلب ومعالجة ادوائه وعلاجه ورده سليماً كما يرد الله تعالى فاعثاً فهاهنا الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله وقال الضحالك يحول بين المرء المؤمن والمعصية وبين الكافر والطاعة وقال السدي يحول بين المرء وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا أن يكفر الا باذنه وقال مجاهد يحول بين المرء وقلبه فلا يعقل ولا يدري ما يعمل وعن أنس بن مالك رضى الله عنه انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال القلوب بين اصبغين من أصابع الله يتقلبها كيف يشاء (وانه) أي واعلموا أنه تعالى (اليه تحشرون) لا الى غيره فلا تتركوا مهمالين مظلومين فيجازيكم بأعمالكم وفي هذا تشديد في العمل وتحذير عن الكسل والغفلة (وانتوا قسنة) أي ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين أظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل قسنة عذابا وقوله تعالى (لاتصين الذين ظلموا منكم خاصة) جواب الامر والمعنى ان أصابكم لا تصب الظالمين منكم خاصة ولكنها أعمكم كما يحكي ان علماء بني اسرائيل لم ينهوا عن المنكر فعمهم الله تعالى بالعذاب (فان قيل) كيف جازان تدخل

النون المؤكدة في جواب الامر (أجيب) بأن فيه معنى النهي قوله انزل عن الدابة لا تطرحن ولا تطرحنك وقوله تعالى يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطركم سليمان (واعلموا ان الله شديد العقاب) لا خالفه (واذكروا) يا معاشر المهاجرين (اذ أنتم) في أوائل الاسلام (قليل) أي عددكم (مستضعفون) أي لامنعة لكم (في الارض) أي أرض مكة واطلاقها لانها اعظمها كانها هي الارض كلها أولان حالهم كان في بقية البلاد كما لهم فيها أو قريبا من ذلك ولهذا عبر بالناس في قوله تعالى (تخافون أن يتخطفكم الناس) أي تأخذكم الكفار بسرعة كما تخطف الجوارح الصيد (فأواكم) إلى المدينة أو جعل لكم مأوى تحصنون فيه على أعدائكم (وأيدكم) أي قواكم (بنصره) أي بامداد الملائكة يوم بدر وعظاهرة الانصار (وزرقكم من الطيبات) أي الغنائم أحلها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم (لعلكم تشكرون) هذه النعم العظيمة (يا أيها الذين آمنوا لا تخفوا الله والرسول) أي بأن تضمروا خلاف ما تظهرون روى انه صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح كما صالح اخوانهم بنى النضير على أن يسيروا إلى اخوانهم بأذرع وأربحان الشام فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم ذلك الا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل الينا أبا لبابة واسمه رفاعه أو مر وان بن عبد المذرك كان مناصحا لهم لان ماله وعياله عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقالوا يا أبا لبابة ما ترى أن تنزل على حكم سعد بن معاذ فأشار أبو لبابة يده إلى حلقه انه الذبح أي حكم سعد هو القتل فلا تنزلوا فقال أبو لبابة والله ما زال قدماي من مكانهما حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا أذوق طعما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فلبا بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما لو جاءني لاستغفرت له وأما ذفعل ما فعل فاني لا أطلقه حتى يتوب الله تعالى عليه فكثرت سبعة أيام لا يذوق طعما ولا شرابا حتى خرم غشيا عليه ثم تاب الله عليه فقبل له قد تب عليه فخل نفسه فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فخل يده فقال ان من تمام توبتي ان أهبردار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي فقال له صلى الله عليه وسلم يجوز لك الثلث ان تصدق به فنزلت هذه الآية وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وعن جابر بن عبد الله ان أبا سفيان خرج من مكة فعلم النبي صلى الله عليه وسلم خروجه وعزم على الذهاب اليه فكتب رجل من المنافقين اليه ان محمد يريدكم فخذوا حذركم فنزلت وقيل معنى لا تخفوا الله بأن لا تعطوا افرأئضه ورسوله بأن لا تستنوابه وأصل الخون النقص كما ان أصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لضمه اياه وقوله تعالى (وتخفوا أماناتكم) أي ما أثقتكم عليه من الدين وغيره مجزوم بالعطف على الاول أي ولا تخفوا أو منصوب بأن مضمرة بعد الواو في جواب النهي أي لا تجزم جوابين الخياطين قوله * لانه عن خلق وتأتي منه * (وأنتم تعملون)

أنكم تخونون أي وأنتم علماء مميّزون الحسن من القبيح (وأعلموا أنما أموالكم وأولادكم
فتنة) أي محنة من الله تعالى ليلوكم فيهم فلا يحمتكم بهم على الغواية ككأبي لبابة
لأنه يشغل القلب بالدنيا ويصيره حجابا عن خدمة المولى ثم انه تعالى نبه بقوله تعالى (وأن الله
عنده أجر عظيم) على أن سعادات الآخرة خير من سعادات الدنيا لأنها أعظم في الشرف
وأعظم في القوة وأعظم في المدة لأنها تبقى بشا لأنها لا نهاية لها فهذا هو المراد من وصف الله الأجر
الذي عنده بالعظم قال الرازي ويمكن أن يمتثل بهذه الآية في بيان أن الاشتغال بالنوافل
أفضل من الاشتغال بالنكاح لأن الاشتغال بالنوافل يفيد الأجر العظيم عند الله والاشتغال
بالنكاح يفيد الولد ويوجب الحاجة إلى المال وذلك فتنة ومعلوم أن ما يقضي إلى الأجر العظيم
عند الله هو خير مما يقضي إلى الفتنة اهـ لكن محله في غير المحتاج إلى النكاح الواحد أهيته
والأفالنكاح حينئذ أفضل وأولى من التخلي للعبادة ولما حذر الله تعالى عن الفتنة بالأموال
والأولاد رغب في التقوى التي توجب ترك الميل والهوى في محبة الأموال والأولاد بقوله
(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أي بالامانة وغيرها (يجعل لكم فرقا) أي هداية في
قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل (ويكفر عنكم سيئاتكم) أي يسترها ما دمتم على التقوى
(ويغفر لكم) أي يمح ما كان منكم غير صالح عينا وأثرا وقبل السيئات الصغائر والذنوب
الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لأنهم في أهل بدر وقد غفر الله تعالى إياهم وقوله تعالى
(والله ذو الفضل العظيم) تنبيه على أن ما وعده لهم على التقوى تفضل منه وإحسان وأنه ليس
بما توجبونه تقواهم عليه كالسيد إذا وعده عبده أنما على عمله ولما ذكر سبحانه وتعالى المؤمنين
بنعمه عليهم بقوله تعالى واذكروا إذا أنتم قليل إلى آخره عطف عليه قوله تعالى (واذكروا
الذين كفروا) فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمه عليه وهو دفع كيد المشركين ومكر الماكرين
عنه وهذه السورة مدنية وهذا المكر كان بكة ولكن الله تعالى ذكره بالمدينة مكره قریش به
حين كان بكة ليس كنعمة الله تعالى عليه في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وكان ذلك
المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من المفسرين أن قریش لما أسلمت الانصار وبايعوه فرقوا
أن يتأقلم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعت رؤسائهم كآبي جهل وعتبة وشيبة
ابن ربيعة وآبي سفيان وهشام بن عمرو وطعينة بن عدي والنضر بن الحارث وآبي الجحترى
ابن هشام في دار الندوة متشاورين في أمره صلى الله عليه وسلم فدخل عليهم إبليس لعنه الله
تعالى في صورة شيخ فلما رأوه قالوا من أنت قال شيخ من نجد سمعت بأجتماعكم فأردت أن
أحضركم ولن تعدوا مني رأيا ونصحاً قالوا ادخل فدخل فقال أبو الجحترى رأيت أن تحبوه
في بيت ونسأ وأباب البيت غير كوة تلحقون إليه طعامه وشرابه منها وترتبوا به ريب المنون
حتى يهلك مثل ما هلك من قبله من الشعراء فصرخ عبد الله الجدي وقال بئس الرأي رأيتم
والله لئن حبسته في بيت ليايتكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم قالوا صدق الشيخ

النجدي فقال هشام بن عمرو رأي ان تمعلوه على جبل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم
 ما صنع واسترحم فقال النجدي بنس الرأي تعمدون الى رجل قد أفسد سفهاءكم فتخرجوه
 الى غيركم فيفسدهم ألم تروا الى حلاوة منطقته وطلاوة لسانه وأخذ القلوب ما يسمع من حديثه
 والله لئن فعلتم ذلك فيذهب ويسقط قلوب قوم ثم يسير بهم اليكم ويخرجكم من بلادكم قالوا
 صدق والله الشيخ النجدي فقال أبو جهل لعنه الله تعالى والله لا شيعن عليكم برأي لا رأي غيره
 اني أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شابا وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل
 واحد فيقتلوه في التباثل فلا تقوى بنو هاشم على حرب قريش كاهم فاذا طلبوا العقل
 عقلناه واسترحنا فقال ابليس الملعون صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا القول ما قال لا رأي
 غيره فتفرقوا على قول أبي جهل مجمعين على قتله فأتى جبريل عليه الصلاة والسلام النبي
 صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك وأمره ان لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه وأذن الله
 تعالى له عند ذلك بالخروج الى المدينة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه
 فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردي فإنه لن يخلص اليك أمر تكرهه ثم خرج النبي صلى الله عليه
 وسلم فأخذ قبضة من تراب وأخذ الله تعالى أبصارهم عنه وجعل يثر التراب على رؤسهم
 وهو يقرأ أنا جعلنا في أعناقهم أغلالا الى قوله تعالى فهم لا يصرون ومضى الى الغار هو وأبو
 بكر وخلف عليا بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت بمكة عنده وكانت الودائع تودع عنده
 لصدقه واماته وبنات المشركون يحرسون عليا على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون
 انه النبي صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا بادروا اليه فرأوا عليا فقالوا له وأين صاحبك
 فقال لا أدري فاقتصروا أثره وأرسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار رأوا علي بابنه نسيج العنكبوت فقالوا
 لو دخل لم تكن نسيج العنكبوت على بابنه فكث فيه ثلاثا ثم قدم المدينة وأبطل الله مكرهم
 وهذا معنى قوله تعالى واذ يكررك الذين كفروا (النبئتولك) أي يوثقوك ويحبسوك (أو يقتلوك)
 كاهم قتله رجل واحد (أو يخرجوك) من مكة (ويكفرون) بك (ويكفرون) أي يرتكبون مكرهم عليهم
 بتدبير أمرك بأن أوحى اليك ما دبروه وأمرك بالخروج الى المدينة وأخرجهم الى بدر وقتل
 المسلمين في أعينهم حتى جلاوا عليهم فقتلوا (والله خير الماكرين) أي أعلمهم به فلا يتقدم مكرهم دون
 مكره قال البيضاوي واسناد أمثال هذا انما يحسن لامرأوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لمفاهيم
 من ايها الذم اه واعترض عليه بأنه لا يتعين في مثل ذلك المشاكاة بل يجوز أن يكون ذلك
 استعارة لان اطلاق المصكر على اخفاء الله تعالى ما وعد من استوجبه ان جعل باعتبار أن
 صورته تشبه صورة المكرف استعارة أو باعتبار الوقوع في حجة مكر العبد فشاكاة وعلى هذا
 لا يحتاج كما قال الطيبي الى وقوعه في حجة مكر العبد قال ومنه قول علي رضي الله عنه
 من وسع الله تعالى عليه في ديناه ولم يعلم انه مكر به فهو مخدوع في عقله (وإذا تلى عليهم آياتنا)
 أي القرآن (قالوا) أي هؤلاء الذين اتقروا في أمره صلى الله عليه وسلم (قد سمعنا ونشأ)
 اقلنا مثل هذا وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك لفعلوه والافانتمهم

لو كانوا مستطيعين وقترعهم بالهجز عشرين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا بسورة مع
انفتحهم وفرط استنكافهم أن يغلبوا خصوصا في باب البيان وقيل قائله النضر بن الحرث
المقتول صبرا لانه كان يأتي الحيرة يتجرف يشتري كتب أخبار الهجم ويحدث بها أهل مكة واسناده
إلى الجميع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فكانه كان قاضيههم وقد أسره المقداد يوم بدر فأمر
النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فقال المقداد أسيرى يا رسول الله فقال انه كان يقول في كتاب الله
تعالى ما يقول فعاد المقداد لقوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أغن المقداد من فضلك
فقال ذاك الذي أردت يا رسول الله فقتله النبي صلى الله عليه وسلم فأشدت أخته
ما كان ضرر لو مننت وربما * من الفتي وهو المغيظ المحقق

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو بلغني هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه (أن) أى ما (هذا) أى
القرآن (الأساطير الأولين) أى أخبار الأمم الماضية وأسماءهم وما سطر الاقوالون في كتبهم
والأساطير جمع أسطورة وهى المكتوبة من قولهم سطر أى كتبت وقيل أساطير جمع أسطور
وأساطير جمع سطر (واذ قالوا اللهم ان كان هذا) أى الذى يقرؤه محمد (هو الحق) المنزل
(من عندنا فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) أى مؤلم على انكاره غير الحجارة قاله
النضرو غيره استهزاء وإيهاما أنه على بصيرة وجزم بطلانه وعن معاوية رضى الله عنه أنه قال
لرجل من سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومي قومك قالوا اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك الآية وما قالوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا اليه (فان قيل) قد
حكى الله تعالى هذه المقالة عن الكفار وهى من حسن نظم القرآن فقد حصلت المعارضة
في هذا القدر وأيضا حكى عنهم أنهم قالوا في سورة بنى اسرائيل وقالوا ان تؤمن لك حتى تفجر لنا
من الارض ينبوعا الآية وذلك أيضا كلام الكفار فقد حصل من كلامهم ما يشبه نظم القرآن
وذلك يدل على حصول المعارضة (أجيب) بأن الاتيان بهذا القدر لا يكفي في حصول المعارضة
لانه كلام قليل لا تظهر فيه وجوه المعارضة والفصاحة والبالغة لان أقل ما وقع به التحدى سورة
أو قدرها قال الله تعالى (وما كان الله ليعذبهم) أى بما سألوهم (وأنت فيهم) أى لان العذاب اذا
نزل عم ولم يعذب أمة الا بعد خروج نبيها أو المؤمنين منها (وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون)
أى وفيهم من يستغفرون وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
المستضعفين وعن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه كان في هذه الامة أمانان أما النبي
صلى الله عليه وسلم فقد مضى وأما الاستغفار فهو كائن فيكم الى يوم القيامة فاللفظ وان كان
عاما الا أن المراد ببعضهم كما يقال قدم أهل البلدة الفلانية على القتال والمراد ببعضهم (ومالهم
أن لا يعذبهم الله) بالسيف بعد خروجهما والمستضعفين فتى تعالى في الآية أنه لا يعذبهم مادام
الرسول والمؤمنون فيهم وذكر في هذه الآية أنه يعذبهم اذا خرجوا من بينهم وقال الحسن الآية
الأولى منسوخة بهذه ورد بيان الاخبار لا يدخلها النسخ واختلفوا في هذا العذاب فقال به ضمه
لحقهم هذا العذاب المتوعد به يوم بدر وقيل يوم فتح مكة وقال ابن عباس هذا العذاب هو عذاب

الآخرة والعذاب الذي نفي عنهم هو عذاب الدنيا ثم بين تعالى ما لا جله يعذبهم فقال (وهم
 يستدون) أي يمنعون النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين (عن المسجد الحرام) أن يطوفوا به وذلك
 عام الخديبية ونبه تعالى على أنهم يصدونهم لأدعائهم أنهم أولياؤه فكانوا يقولون نحن ولاة البيت
 والحرم فنصدمن نشاء وندخل من نشاء ثم بين تعالى بطلان هذه الدعوى بقوله تعالى (وما كانوا
 أولياءه) كما زعموا (إن) أي ما (أولياؤه إلا المتقون) أي الذين يهتزون عن المنكرات الذين
 لا يعبدون فيه غيره وقيل الضمير ان لله (ولكن أكثرهم) أي الناس (لا يعلمون) أن لا ولاية لهم
 عليه وكأنه نبه بالأكثر على أن منهم من يعلم ويعاند أو أراد به الكل كما يراد بالقلة العدم
 (وما كان صلاتهم عند البيت) أي دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة أو ما يضعون موضعها (الأمكاه)
 أي صفيرا (وتصدية) أي تصفيقا قال ابن عباس كانت قریش يطوفون بالبيت عراة يصفرون
 ويصفقون وقال مجاهد كان نفر من بني عبد الدار يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في
 الطواف ويستتزون به ويدخلون أصابعهم في أفواههم ويصفرون ويخطون عليه طوافه
 وصلاته فأمكاه جعل الأصابع في الشدق والتصدية الصفير وقال مقاتل كان النبي صلى الله
 عليه وسلم إذا دخل المسجد الحرام قام رجلان عن يمينه ورجلان عن يساره يصفران ويصفقان
 ليخطوا على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته (فذوقوا العذاب) أي عذاب القتل والاسر
 بيد في الدنيا وعذاب النار في الآخرة (بما) أي بسبب ما (كنتم تكفرون) اعتقادا وعلما
 ولما ذكر تعالى عبادة الكفار البدنية وهي الأمكاه والتصدية ذكر عقبه عبادتهم المالية التي
 لا جدوى لها في الآخرة بقوله تعالى (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم) في حرب النبي صلى
 الله عليه وسلم (ليصدوا عن سبيل الله) أي ليصرفوا عن دين الله تعالى نزلت في المطعمين يوم بدر
 وكانوا اثني عشر رجلا منهم أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وكلهم من قریش وكان
 يطعم كل واحد منهم أيام بدر عشر جزائر أو في أبي سفيان استأجر يوم أحد الفين من العرب سوى
 من استجاش أي اتخذ جيشا وانفق عليهم أربعين أوقية والواقية اثنان وأربعون مثقالا أو في
 أصحاب العير فانه لما أصيب قریش بيدر قيل لهم أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعنا ساندرك
 ثأرا نفقهوا (فسينفقونها ثم تكون) أي عاقبة الأمر (عليهم حسرة) أي ندامة لفواتها
 وفوات ما قصدوه (ثم يغلبون) أي آخر الأمر وإن كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك كما اتفق لهم
 في بدر فانه لم أنفقوا مع الكثرة والقوة ولم يغن عنهم شيء من ذلك بل كان وبالاً عليهم فانه
 كان سببا لجراحتهم حتى قدموا لما كان في الحقيقة الاقوة للمؤمنين (والذين كفروا)
 أي ثبتوا على الكفر (إلى جهنم يحشرون) أي يساقون إليها يوم القيامة فهم في خزي في الدنيا
 والآخرة (فان قيل) لم يقل تعالى وإلى جهنم يحشرون (أجيب) بأنه اسلم منهم جماعة
 كابي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وحكيم بن حزام بل ذكر أن الذين ثبتوا على الكفر
 يكونون كذلك (لميز الله الخبيث) أي الفريق الكافر (من الطيب) أي من الفريق
 المؤمن (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركه جميعا) أي يجمعه مترا كما بعضه على بعض

كقوله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا أي لفرط أودحهم وقيل لميز المال الخبيث الذي أنفق الكافر على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم من المال الطيب الذي أنفق المؤمن في جهاد الكفار كإتفاق أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم فيركه جميعا (فيصعله في جهنم) في جملة ما يعذبون به كقوله تعالى فتكوى به أجباهم وجنوبهم وظهورهم الآية واللام على هذا متعلقة بتكون من قوله تعالى ثم تكون عليهم حسرة وعلى الأول متعلقة بصيغرون أو يغلبون وقرأ البيهقي زة والكسائي بضم الياء الأولى وفتح الميم وتشديد الياء الثانية مع الكسر والباقيون بفتح الياء الأولى وكسر الميم وسكون الياء الثانية وقوله تعالى (أولئك) إشارة إلى الذين كفروا (هم الخاسرون) أي الكاملون في الخسران لأنهم خسروا أنفسهم وأموالهم ولما بين تعالى ضلالهم في عباداتهم البدنية والمالية أرشدهم إلى طريق الصواب فقال (قل) يا محمد (للذين كفروا) كافي في بيان وأصحابه (أن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) أي قل لأجلهم هذا القول وهو أن ينتهوا عن الكفر وقتال النبي صلى الله عليه وسلم يغفر لهم ما قد سلف من ذلك ولو كان بمعنى خاطبهم به لقليل أن تنتهوا يغفر لكم (وإن يعودوا) أي إلى الكفر ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم (فقد مضت سنة الأولين) أي باهلاك أعدائه ونصر أنبيائه وأوليائه واجمع العلماء على أن الإسلام يجب ما قبله واختلفوا هل الكافر الأصلي مخاطب بفروع الشريعة وهل يقطع عن المرتدة ماضى في حال ردة كالكافر الأصلي كما هو ظاهر الآية وهل الردة تحبط ماضى من العبادات قبلها ذهب أصحاب الشافعي رضي الله تعالى عنه إلى أنه مخاطب بدليل قوله تعالى ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المسلمين الآية وأن المرتدة لا تعلق عنه العبادات الفاتية في الردة تغلظا عليه وأن الردة لا تحبط ماضى وقد تقدم الكلام على ذلك في المائة وعن يحيى بن معاذ أنه قال يوحى لهم يعجز عن هدم ما قبله من كفر أرجو أن لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب ولا بين تعالى أن هؤلاء الكفار انتهوا عن كفرهم حصل لهم الغفران وإن عادوا فهم متوبون سنة الأولين أتبعه بالامر بقتالهم إذا أصروا فقال تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) أي شرك كما قاله ابن عباس وقال الربيع حتى لا يفتن أحدكم عن دينه لأن المؤمنين كانوا يفتنون عن دين الله في مبدأ الدعوة فاقتن من المسلمين بعضهم وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا إلى الحبشة وقتنة ثانية وهو أنه لما بايعت الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة ثالثة تيريش أن يفتنوا المؤمنين بحكمة عن دينهم فأصاب المؤمنين جهد شديد فأمر الله تعالى بقتالهم حتى تزول هذه الفتنة (ويكون الدين كله) خالصا لله تعالى وحده لا يعبد غيره (فإن انتهوا) عن الكفر (فإن الله بما يعملون بصير) أي فيجزيهم به (وإن تولوا) عن الإيمان (فاعلموا أن الله مولاكم) أي ناصركم ومتولى أموركم (نعم المولى) هو فانه لا يضيع من تولاه (ونعم النصير) أي الناصر فلا يطلب من ينصره فمن كان في حاية هذا المولى وفي حفظه وكفايته كان آمنا من الآفات مصونا من المخالفات (واعلموا أنما غنمتم) أي أخذتم من الكفار الحربيين

(من شيء) مما يقع عليه اسم شيء مما هو لهم ولو اختصا (فإن الله خسه وللرسول) واعلم أن الغنيمة
والتي اسمان لما يصيبه المسلمون من الحربيين والصحيح أنهم مختلفان قالني ما حصل لنا مما
هو لهم بلا إيجاب كجزية وعشر تجارة وما جلاوا عنه ولولغير خوف كضر أصابهم ثم تركه مرتد
وكافر معصوم بلا وارث وكذا القاضل عن وارث له غير حائز وسيأتي حكمه إن شاء الله تعالى عند
قوله تعالى ما آفأه الله على رسوله وأما الغنيمة فهي ما حصل لنا منهم مما هو لهم بإيجاب أو سرقة
أو التقاط وكذا ما انهمزوا عنه عند التقاء الصقين ولو قبل شهر السلاح أو أهداه الكافر لنا
والحرب قائمة ولم تحل الغنائم لاحد قبل الاسلام بل كانت الانبياء إذا غنموا ما لاجعوه فتأني
نار من السماء تأخذه ثم أحلت للنبي صلى الله عليه وسلم وكانت في صدر الاسلام له خاصة لانه
كالقائلين كلهم نصرة وشجاعة بل أعظم ثم نسخ ذلك واستقل الامر على أنه اتجعل خمسة أقسام
متساوية ويؤخذ خمس رفاع ويكتب على واحدة لله أو للمصالح وعلى أربع للغنائم ثم تدرج
في بنادق مستوية ويخرج لكل خمس رقعة فما خرج لله أو للمصالح جعل بين أهل الخمس على
خمس أصناف وهو النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه وذكر الله تعالى في الآية للتبرك وأما
ما كان له صلى الله عليه وسلم فهو لمصالح المسلمين كسد الثغور وأرزاق علماء بعلوم تتعلق
بمصلحتنا كفسير وفقه وحديث والصنف الثاني ما ذكره الله تعالى بقوله (ولذي القربى) أي
قرباة النبي صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم وبنى المطلب دون من عداهم لاقتصاره صلى الله
عليه وسلم في القسم عليهم مع سؤال غيرهم من بنى عمهم نوفل وعبد شمس له لقوله صلى الله عليه
وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين أصابعه فيعطون ولو أغنياء ويفضل الذكر
على الانثى كالارث لانه عطية من الله تعالى تستحق بقرباة الأب كالارث فلا يعطى أولاد البنات
من بنى هاشم والمطلب شيئا لانه صلى الله عليه وسلم لم يعط الزبير وعثمان مع أن أم كل واحد منهما
كانت هاشمية والصنف الثالث ما ذكره الله تعالى بقوله (والبيتى) اليتيم صغير ولو أتى الخبير
لا يترك بعد احتلام لأب له وان كان له أم وجد ومن فقد أمه فقط يقال له منقطع واليتيم في البهائم
من فقد أمه وفي الطير من فقد أباه وأمه والصنف الرابع ما ذكره الله تعالى بقوله (والمساكين)
الصادقين بالفقراء والمساكين من له مال أو كسب لا تقيه يقع موقعان كفايته ولا يكفيه العسر
الغالب وقيل سنة كن يملك أو يكسب سبعة أو ثمانية ولا يكفيه الا عشرة والفقير من لا مال له أو له
ذلك ولا يقع موقعان كفايته كن يحتاج الى عشرة ولا يملك أو لا يكسب الا درهمين أو ثلاثة
والخامس ما ذكره الله تعالى بقوله (وابن السبيل) وهو المسافر المحتاج ولا مصيبة يسفره
والاخماس الاربعة الباقية للغنائم وهم من حضر القتال ولو في أثناءه بغية القتال وان لم يقاتل
أو حضر بلاية وقاتل كأجير لحفظ أمتعة وتاجر ومحترف وقوله تعالى (ان كنتم آمنتم بالله)
متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا أي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم
واقنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فإن العلم العمل اذا أمر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود
بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وقوله تعالى (وما) عطف على بالله (أنزلنا على عبدنا)

محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات والملائكة والنصر (يوم الفرقان) أي يوم بدو فاته فرق به
 بين الحق والباطل (يوم التقى الجمعان) أي جمع المؤمنين وجمع الكافرين وهو يوم بدر وهو أول
 مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم
 الجمعة لتسعة عشر وأربعة عشر من رمضان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة
 وبضعة عشر رجلاً والمشركون ما بين الألف والتسعمائة فهزم الله تعالى المشركين وقتل
 منهم سبعون وأسر منهم مثل ذلك (والله على كل شيء قدير) فيقدر على نصر القليل على الكثير
 والدليل على العزيز كما فعل ذلك بكم ذلك اليوم وقوله تعالى (أذ أنتم بالعدوة الدنيا) أي القربى
 من المدينة بدل من يوم الفرقان أو من يوم التقى الجمعان أو منصوب بأذكر وأمقدرا والعدوة
 الدنيا مما يلي المدينة (وهم بالعدوة القصوى) أي البعدي من المدينة وهي مما يلي مكة وكان
 الماسيها وكان استظها والمشركين من هذا الوجه أشد والقصوى تأنيث الأقصى وكان
 قياسه قلب الواو كالديا والعليا ولكن لم تقلب بفرقة بين الاسم والصفة فانها قلبت في الاسم
 دون الصفة على الأكثر وقبل بالعكس وعلى الأول القصوى وإن كان صفة للعدوة في الآية
 كالديا لكن غلب عليها الأسمية لترك الوصف بها في أكثر الاستعمالات كما قاله ابن جني فالقصوى
 بالواو على القوانين شاذ بالنظر إلى اسميتها في الأول وإلى وصفيتها في الثاني ومثال الصفة
 الخالصة حلوى تأنيث الاحلى فهي بالواو مقيسة على الأول شاذة على الثاني ومثال الاسم
 الخالص حروى اسم مكان فهو بالواو شاذ على الأول مقيس على الثاني وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
 العدوة وهي شط الوادي بكسر العين فيهما والباقون بضم العين فيهما وأما الدنيا والقصوى
 فأما الهما حزة والكسائي محضة وأبو عمرو بين بين وورش بالفتح وبين اللفظين (والركب) أي
 العير التي خرجوا إليها التي يقودها أبو سفيان (أسفل منكم) أي أسفل منكم على ساحل البحر
 على ثلاثة أميال من بدر وأسفل نصب على الظرفية معناه مكانا أسفل من مكانكم وهو مرفوع
 المحل لأنه خبر المبتدأ (ولو تواعدتم) أنتم والنفسير للقتال (لاختلفتم في الميعاد) وذلك أن المسلمين
 خرجوا ليأخذوا العير راغبين في الخروج وخرج الكفار مرعوبين مما بلغهم من تعرض
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لأموالهم فيمنعوهما من المسلمين فالتقوا على غير ميعاد لقتلهم وكثرة
 عدوهم (ولكن) جمع الله تعالى بينهم على هذه الحالة من غير ميعاد (ليقتضى الله أمرا كان
 مفعولا) في علمه وهو نسر أوليائه وأعز أذنيه وأعلاء كلمته وقهر أعدائه وقوله تعالى (ليهلك
 من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) بدل من ليعتدى أو متعلق بقوله مفعولا واستعير
 الهلاك والحياة للكفر والإسلام أي ليصدركم من كفر عن وضوح بينة لا عن محالطة
 شبهة حتى لا يبق له على الله حجة ويصدرا سلام من أسلم أيضا عن يقين وعلم بأنه دين الحق الذي
 يجب الدخول فيه والتسليم به فأن وقعت بدر من الآيات الواضحة التي من كفر بعدها كان
 مكابرا لنفسه مغالطالها وقرأ نافع والبرزى وشعبة بيا من الأولى مكسورة والثانية مقترحة
 والباقون بيا واحدة مشددة ثم انه تعالى ختم الآية بقوله (وان الله لسميع عليم) أي يسمع دعاءكم

يعلم حاجتكم وضعفكم لا تخفى عليه خافية (اذ) أى واذا ذكر يا محمد نعمته الله عليك اذ
 ربهكم الله (أى المشركين) فى منامك (أى نومك) قليلا) فأخبرت أصحابك ففسروا وقالوا روبا
 نبي صلى الله عليه وسلم حق وصار ذلك سببا لجرأتهم على عدوهم وقوة لقلوبهم (فان قيل) رؤيا
 كثير قليل لا غلط فكيف يجوز على الله تعالى (أجيب) بأن الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
 لا يسئل عما يفعل وأنه تعالى أراهم بعضهم دون بعض فحكم صلى الله عليه وسلم على أولئك الذين
 أراهم بأنهم قليلون وقال الحسن ان هذه الاراء كانت فى البقعة قال والمراد من المنام العين التى
 فى موضع النوم (ولو اراهم كثيرا فقتلتم) أى ولو أراهم كثيرا لذكروا له للقوم ولو سمعوا
 لك لقتلوا أى جبنوا (ولتنازعتم) أى اختلفتم (فى الامر) أى أمر القتال وتفرقت أراؤكم بين
 فرار والقتال (واكن الله سلم) أى سلمكم من الفشل والتنازع فيما بينكم وقيل سلمكم من
 هزيمة والقتل (انه) تعالى (عليه) أى بالغ العلم (بذات الصدور) أى بما فى القلوب من الجراءة
 الجبن والجزع وغير ذلك (واذ يركمهم) أيها المؤمنون (اذ التقيتم فى أعينكم قليلا) أى ان
 ته تعالى قتل عدد المشركين فى أعين المؤمنين يوم التقوا فى القتال لئلا يكد فى البقعة ما رآه
 نبي صلى الله عليه وسلم فى منامه وأخبر به أصحابه وتقوى بذلك قلوب المؤمنين وتردد أجراءتهم
 لا يجبنوا عن قتالهم قال ابن مسعود اقد قتلوا فى أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى أراهم سبعين
 ال أراهم مائة فأسرنا رجلا منهم فقلنا كم كذبت قال ألفا والضعيران مفعول لا يرى وقليلا
 ال من الثانى (ويقللكم فى أعينهم) أى ويقللكم بأمعشرا المؤمنين فى أعينهم أى المشركين لئلا
 يربوا واذا استقلوا عدد المسلمين لم يبالغوا فى الاستعداد واتأهب لقتالهم فيكون ذلك
 بيانا لظهور المؤمنين قال السدى قال ناس من المشركين ان العير قد انصرفت فارجعوا فقال
 بوجهل الآن اذبرزلكم محمد وأصحابه فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم انما محمد وأصحابه أكلة
 زور يعنى جمع آكل أى قليل يشبعهم جزور واحد يضرب مثلا فى القلة والامر الذى
 يعبأ به ثم قال فلا تقتلوههم وأربطوهم بالحبال أراد بقوله ذلك القدرة والقوة (فان قيل) كيف
 كن قليل الكثير وتكثير القليل (أجيب) بأن ذلك ممكن فى قدرة الله تعالى وان الله تعالى على
 ايشاء قدير ويكون ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم والمعجزة هى من خوارق العادات
 لا يتكرر ذلك وأن الله تعالى يستر عنهم بعضه بسائر أو يحدث فى أعينهم ما يستقلون له الكثير كما
 حدث فى عيون الحول ما يرون له الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان
 بن يديه ذلك قال تعالى لا أرى هذين الديكين أربعة وهذا قبل التهام القتال فلما التهم أراهم اياهم
 ثلثهم كما فى آل عمران (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) أى فى علمه وهو اعلاء كلمة الاسلام ونصر أهله
 فان قيل) قد تقدم ذلك فى الآية المتقدمة فكان ذكره هنا محض تكرار (أجيب) بأن المقصود
 من ذكره فى الآية المتقدمة هو أنه تعالى فعل تلك الافعال ليحصل استيلاء المؤمنين على الكافرين
 الى وجه يكون معجزة دالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم والمقصود من ذكره هنا ليس هو
 لك المعنى بل المقصود أنه تعالى ذكرها أنه قلل عدد المؤمنين فى أعين الكفار فيبين تعالى أنه

انما فعل ذلك ايضاً بذلك سبباً لا لئلا يبالغ الكفار في تحصيل الاستعداد والحذر فيه من ذلك سبباً
 لانكسارهم (والى الله ترجع الامور) كلها فلا يتفقد الا ما يريد انفاذه فلا تجري الامور على
 ما يظنه العباد وفي هذا تنبيه على أن أمور الدنيا غير مقصودة واعمال المراد منها ما يصلح أن يكون
 زاد اليوم المعاد * ولما ذكر تعالى أنواع نعمه على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين
 يوم بدر علمهم اذا التقوا بالفتنة وهي الجماعة من المحاربين نوعين من الادب بقوله تعالى (يا أيها
 الذين آمنوا اذا القيمت) أي قاتلتهم لان اللقاء سبب للقتال غالباً (فتة) أي جماعة كافترة (فانتوا)
 لقتالهم كما ثبت في بدر ولا تقعدوا أنفسكم بفرار هذا هو النوع الاول (واذكروا الله كثيراً)
 بقولكم والستكم قال ابن عباس أمر الله تعالى أولياءه بذكره في أشد الأحوال هم تنبيهها على أن
 الانسان لا يجوز له أن يخلو قلبه واسانه عن ذكر الله ولو أن رجلاً أقبل من المشرق الى المغرب
 على أن يتفق الاموال صفاء والاخر من المغرب الى المشرق يضرب بسيفه في سبيل الله لكان
 المذاكر لله أعظم أجراً وقيل المراد من هذا الذكر الدعاء بالنصر والتفكير لان ذلك لا يحصل
 الا بمعونة الله تعالى (لعلكم تفلحون) أي تظفرون بمرادكم من النصر والتثبيت (فان قيل) هذه
 الآية توجب الثبات على كل حال وذلك يوهم أنهم بانصاف لا ية التحرف والتصير (أجيب)
 بأن المراد من الثبات الجدي في المحاربة بل كان الثبات في هذا المقصود لا يحصل الا بذلك التحرف
 والتصير ثم قال تعالى مؤكداً لذلك (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) في سائر ما أمران به لان الجهاد
 لا يتفقد الا مع التمسك بسائر اطاعات (ولا تنازعوا) أي تختلفوا فيما بينكم (فتفشلوا) أي
 تفشلوا (وتذهب ريحكم) أي قوتكم ودولتكم والريح مستعارة للدولة شبهها في نفوذ أثرها
 بالريح ثم أدخل التشبيه في جنس التشبيه ادعاء وأطلق اسم التشبيه على التشبه وقبل المراد بها
 الحقيقة لانه لم يكن قط نصر الا بريح يبعثها الله تعالى وفي حديث الشيعين نصرت بالصبا
 وأهلك عابد البور وعن النعمان بن مقرن قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان
 اذا لم يقاتل من أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر أخرجه
 أبو داود (واصبروا) أي عند لقاء العدو ولا تنهزموا عنه (ان الله مع الصابرين) بالنصر
 والمعونة روى أنه صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس لا تقموا لقاء العدو وما لوال الله العافية
 فاذا القيمتوهم قاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السدوف ثم قال صلى الله عليه وسلم اللهم
 منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم (ولا تكونوا كالذين
 خرجوا من ديارهم) أي لينعوا واهزمهم ولم يرجعوا بعد فجاتهم (بما لوال) أي نخر او طغيا نافي النعمة
 وذلك ان النعم اذا كثرت من الله تعالى على العبد فان صرفها في المخاخرة على الاقران
 وكأثر جأ أبناء الزمان وأنفسهم في غير طاعة الرحمن فذلك هو البطرفي النعمة وان صرفها في
 طاعة الله واستغناء من ضاته فذلك شكرها (ورثاء الناس) أي لينتوا عليهم بالشجاعة والسماحة
 وذلك أنهم لما بلغوا الجنة وأنهم رسول أبي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت غيركم فقال أبو جهل
 لا والله حتى تقدم يدرا وكان بدر موسم من مواسم الحرب يجتمع لهم فيها سوق في كل عام

ونشرب به الخمر وتعزف علينا القينات والعزف اللهب بالمعازف وهي الدفوف وغيرها
 مما يضرب به قاله ابن الاثير وغيره والقينات الجواري ونظم به لمن حضرنا من العرب فذلك
 بطرهم وديارهم الناس باطعاسهم فراقوه فاقوا المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوايح
 مكان القينات فنهى الله تعالى المؤمنين أن يكونوا أمثالهم بطرين مرادين وأمرهم أن يكونوا
 أهل تقوى وإخلاص من حيث إن النهى عن الشيء أمر بضده (ويصدون عن سبيل الله) أي
 ويمنعون الناس الدخول في دين الله (والله بما يعملون محيط) لا يخفى عليه شيء لأنه محيط بأعمال
 العباد كلها فيجازيهم بأعمالهم (واذ) أي واذكروا أي المؤمنين نعمة الله عليكم إذ (زين لهم)
 أي المشركين (الشيطان) أي ابليس (أعمالهم) الخبيثة بأن شجعهم على لقاء المسلمين لما خافوا
 الخروج من أعدائهم بنى بكر بن الحرث جاء ابليس وجنده من الشياطين معه راية فقتل لهم
 في صورة سراق بن مالك بن جعشم الشاعر الكفاي وكان من أشرفهم (وقال) غار الله
 في أنفسهم (لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم) أي يجبر لكم من كنفاته (فلما
 ترامت الفشتان) أي التفتي الفريقتان رأى ابليس الملائكة قد نزلوا من السماء علم عدو الله
 ابليس أنهم لا طاقة لهم بهم (نكص على عقبيه) قال الضعالب مدبراً وقال النضر بن سمير
 رجع القهقري على قضاء هاربا (وقال أني برى منكم) قال الكلبي لما التقي الجمعان كان ابليس
 في صف المشركين على صورة سراق بن مالك وهو أخ ذبيد الحرث بن هشام فنكص عدو الله
 ابليس على عقبيه فقال له الحرث إلى أين أتيت ذلنا في هذه الحالة فقال له عدو الله ابليس
 (أنى أرى ما لاترون) ودفع في صدر الحرث وانطلق فانهزموا قال الحسن رأى ابليس جبريل
 بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وفي يده اللجام يقود الفرس ماركب قال قتادة قال ابليس أني
 أرى ما لاترون وصدق وقال (أنى أخاف الله) وكذب والله ما به مخافة الله ولكن علم أنه لا قوة له
 ولا منعة فأوردتهم وأسلمهم وذلك من عادة عدو الله ابليس لعنه الله لمن أطاعه إذا التقي الحق
 والباطل أسلمهم وقبرأ منهم وقال عطاء مخاف ابليس أن يهلكه الله تعالى فيمن يهلك وقيل
 أخاف الله عليكم وقيل أنه لما رأى جبريل خافه وقيل لما رأى الملائكة تنزل من السماء خاف أن
 يكون الوقت الذي أنظر إليه قد حضر فقال ما قال أشدنا قاعاً على نفسه • ولما انهزموا وبلغوا مكة
 قالوا هزم الناس سراقاً فبأخه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمةكم فلما أسلموا علموا
 أنه الشيطان وقوله تعالى (والله شديد العقاب) يجوز أن يكون من كلام ابليس أي أنى أخاف
 الله لأنه شديد العقاب وأن يكون مستأنفاً أي والله شديد العقاب لمن خالفه وكفر به (فان قيل)
 كيف يدرك ابليس أن يتصور بصورة البشر وإذا تشكل بصورة البشر فكيف يسمى شيطانا
 (أجيب) بأن الله تعالى أعطاه قوة وأقدره على فعل ذلك كما أعطى الملائكة قوة وأقدرهم على
 أن يتشكوا وبصورة البشر لكن النفس الباطنية لم تتغير فلم يلزم من تغير الصورة تغير الحقيقة
 وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ما روى ابليس يوم فبه أصغر ولا أدم ولا أحقر ولا أعظم
 منه يوم عرفة وما ذاك إلا لما يرى من نزول الرحمة وتجاويز الله عن الذنوب العظام إلا ما كان

من يوم بدر (اذ) أى واذا كراذ (يقول المنافقون) أى من أهل المدينة والمنافق هو من يظهر
 الاسلام ويخفى الكفر كما أن المرائى هو من يظهر الطاعة ويخفى المعصية (والذين فى قلوبهم
 مرض) أى شك وارتياب وهم قوم من أهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يقع الاسلام فى قلوبهم
 ولم يتمكن فلما خرج قريش الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم الى بدر فلما
 نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا (غزو هؤلاء) المسلمين (دينهم) اذ خرجوا مع
 قلتهم يقاتلون الجمع الكثير توهموا أنهم ينصرون بسببه فقتلوا جميعا منهم - م قيس بن الوليد بن
 المغيرة وعدى بن أمية بن خلف الجمعي والعاص بن أمية بن الحجاج قال تعالى فى جوابهم (ومن
 يتوكل على الله) أى يثق به يغلب (فإن الله عزيز) أى غالب على أمره (حكيم) أى فى صنعته يفعل
 بحكمته البالغة ما يستتبعه العقل ويجز عن ادراكه ولما شرح تعالى أحوال هؤلاء
 الكفار شرح أحوال موتهم والعذاب الذى يصل اليهم فى ذلك الوقت بقوله تعالى (ولو ترى)
 أى عاينت وشاهدت يا محمد (اذ يتوفى الذين كفروا والملائكة) أى بقيةض أرواحهم عند الموت
 (يضربون وجوههم وأديبارهم) أى ظهورهم واستاهمهم قال اليساوى ولعل المراد
 نعيم المضرب أى يضربون ما أقبل منهم وما أدبر بمقامع من حديد (و) يقولون لهم (ذوقوا
 عذاب الحريق) أى النار قال ابن عباس كان المشركون اذا أقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربوا
 وجوههم بالسيف واذا ولوا ضربوا أديبارهم فلا جرم قابلهم الله بمثله فى وقت نزاع الروح
 وجواب لو محذوف والتقدير رأيت منظرها ثلاثا وأمر أظفعا وعقايا شديدا والملائكة
 مرفوع بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز أن يكون فى قوله يتوفى ضمير الله تعالى والملائكة
 مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر (ذلك) أى الذى نزل بكم من القتل والضرب والحريق
 (بما) أى بسبب ما (قدمت) أى كسبت (أيديكم) من الكفر والمعاصى وانما عبر بالأيدي دون
 غيرها لأن أكثر الأفعال تراول بها والتمهيد أن الانسان جوهر واحد وهو الفاعل
 وهو الدال وهو المؤمن وهو الكافر وهو المطيع وهو العاصى وهذه الأعضاء آلة له وأدوات
 فى الفعل فأضيف الفعل فى الظاهر الى الآلة وهو فى الحقيقة مضاف الى جوهر ذات
 الانسان (وأن الله ليس بظلام للعبيد) فلا يعذب أحدا من خلقه بغير ذنب وظلام للتعذيب
 لأجل العبيد أى أنه بمعنى ذى ظلم (كدأب) أى دأب هؤلاء الكفار بكفرهم مثل دأب (آل
 فرعون) وهو عادتهم وعلمهم الذى دأبوا فيه أى داموا عليه فجوزى هؤلاء بالقتل والاسريوم
 بدرهم كما جوزى آل فرعون بالاعراق وأصل الدأب فى اللغة ادامة العمل يقال فلان
 دأب فى كذا أى داوم عليه وسميت العادة دأبا لأن الانسان مسداوم على عادته مواظب
 عليها (والذين من قبلهم) أى من قبل آل فرعون وقوله تعالى (كفروا بآيات الله)
 تفسير لدأب آل فرعون (فاخذهم الله بذنوبهم) أى بسبب كفرهم كما أخذ هؤلاء
 (إن الله قوى) أى على ما يريد فينتقم من كفرهم وكذب رسوله (شديد العقاب) بمن كفر
 وكذب رسوله وقوله تعالى (ذلك) إشارة الى ما قبلهم من العقاب (بأن) أى

بسبب ان (الله لم يغير انعمه انعمها على قوم) أي مبدلها بالنقمة (حتى يغير واما بانفسهم)
 أي بأن يبدلوا ما به من الحال الى حال أسوأ منه (فان قيل) فما كان من تغيير آل فرعون
 ومشركي مكة حتى غير الله تعالى نعمته عليهم ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها الى حال مسخوطة
 (أجيب) بأنه تعالى كما يغير الحال المرضية الى المسخوطة يغير الحال المسخوطة الى المسخوطة
 منها وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم كفرة عبدة أو ثنان فلما بعث اليهم بالآيات
 اليناث فكذبوه وعادوه وتخربوا عليه ساعين في اراقة دمه غير واحالهم الى أسوأ مما كانت
 عليه فغير الله تعالى ما أنعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب (وان الله سميع) لما يقولون
 (علم) بما يفعلون (ككذب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم
 بذنوبهم) أي أهلكنا بعضهم بالرحمة وبعضهم بالنسب وببعضهم بالحجارة وبعضهم بالريح
 وبعضهم بالمسخ كذلك أهلكنا كفار قريش بالنسب (وأغرقنا آل فرعون) أي هو وقومه
 (فان قيل) ما فائدة تكرير هذه الآية مرة ثانية (أجيب) بأن فيها فوائد منها أن الكلام الثاني
 يجري مجرى التفصيل للكلام الاول لان الكلام الاول فيه ذكر أخذهم وفي الثاني ذكر
 اغراقهم وذلك تفصيل ومنها أنه ذكر في الآية الاولى انهم كفروا بآيات الله وفي الآية الثانية
 أنهم كذبوا بآيات ربهم ففي الآية الثانية اشارة الى أنهم كذبوا بهامع بخودهم لها وكفرهم بها
 ومنها أن تكرير هذه القصة للتأكيد وللمنايطة به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم
 وبيان ما أخذ به آل فرعون ومنها أن الاولى لسياسة الكفر والثانية لسياسة التغيير والنقمة
 بسبب تغييرهم ما بانفسهم (وكل) أي من الفرق المكذبة أو من غرق القبط وقتلى قريش (كانوا
 ظالمين) أنفسهم بالكفر والمعاصي وغيرهم بالاضلال واضعين الآيات في غير موضعها وهم
 يظنون بأنفسهم العدل ولما وصف تعالى كل الكفار بقوله تعالى وكل كانوا ظالمين أفرد بعضهم
 بمزية في الشر والفساد فقال (ان شر الدواب عند الله) في حكمه وعلمه (الذين كفروا) أي أصروا
 على الكفر (فهم لا يؤمنون) أي لا يتوقع منهم ايمان وقوله تعالى (الذين عاهدت منهم ثم
 ينقضون عهدهم في كل مرة) بدل البعض من الذين كفروا وهم يهود قريظة عاهدتهم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا أي يساعدا عليه فنكثوا بأن أعانوا مشركي مكة بالسلاح
 وقالوا نسينا وأخطأنا ثم عاهدتهم فنكثوا ومالوا معهم يوم الخندق وانطلق **كعب بن**
الاشرف الى أهل مكة فخالفهم وانما جعلهم الله تعالى شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر
 الكفار المصرون منهم وشر المصيرين الناكثون اليهود (وهم لا يتقون) الله في حذرهم
 (فاما) فيه ادغام ان الشرطية في ما الزائدة (تتقونهم) أي تجتهدون هؤلاء الذين نقضوا العهد
 ونقضت بهم (في الحرب فشرد) قال ابن عباس فنكل (بهم) أي بهؤلاء الذين نقضوا العهد
 (من خلفهم) أي من وراءهم من أهل مكة واليمن وغيرهما فيخافون أن تفعل بهم كفعول هؤلاء
 وقال عطاء أئخذ فيهم القتل حتى يخافك غيرهم (لعلهم) أي الذين خلفهم (يذكرون) أي يتعظون
 بهم (واما متحافن) أي تعلن يا محمد (من قوم) عاهدتهم (خيابة) في العهد بامارات تلوح لك

كما ظهر من قرينة والتفسير (قائداً) أي اطرح عهدهم (اليوم) وقوله تعالى (على سواء) حال
 أي مستويا أنت وهم في العلم بنقض العهد بأن تعلمهم به كإلالتهم مولد بالغدر إذا نصبت
 الحرب معهم (إن الله لا يحب الخائنين) أي في نقض العهد أو غيره روى أن معاوية
 كان بينه وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم حتى إذا انقضى العهد غزاها فغزا
 رجل على فرس أو برزون وهو يقول الله أكبر الله أكبر فاه لا غدر فآذا هو عمر بن
 عتبة فأرسل إليه معاوية يسأله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه
 وبين قوم عهد فلا ينبذ عقده ولا يحلها حتى ينقض أمدها أو ينبذ اليهم على سواء فرجع معاوية
 قال الرازي حاصل الكلام في هذه الآية أنه تعالى أمره بقتل من ينقض العهد على أفصح الوجوه
 وأمره أن يتباعه على أقصى الوجوه من كل ما يؤهم نكث العهد ونقضه قال أهل العلم إذا ظهرت
 آثار نقض العهد عن عاهدهم الامام من المشركين بأمر ظاهر مستفيض أما أن يظهر ظهورا
 محتملا أو ظهورا مقطوعا به فان كان الاقل وجب الاعلام عليه على ما هو مذكور في هذه الآية
 وذلك أن قرينة عاهد وارسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أجابوا بأبوابهم ومن معه من المشركين
 الى مظاهرتهم على النبي صلى الله عليه وسلم فحصل للنبي صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به
 وبأصحابه فهنا يجب على الامام أن ينبذ اليهم على سواء ويعلمهم بالحرب وأما إذا ظهر نقض
 العهد ظهورا مقطوعا به فهو لا حاجة الى نبذ العهد بل يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بأهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرعهم الا
 وجيش النبي صلى الله عليه وسلم لم ير الظهران وذلك على أربعة فرائض من مكة وما بين تعالى
 ما بينه صلى الله عليه وسلم في حق من يجده في الحرب ويتحكن منه وذكر أيضا ما يجب أن يفعله
 فيمن ظهر منه نقض العهد بين أيضا حال من فاته في يوم بدر وغيره لكي لا تبقى حسرة في قلبه فقد
 كن فيهم من بلغ في أذية النبي صلى الله عليه وسلم مبلغا عظيما بقوله تعالى (ولا تحسبن الذين
 كفروا سيقوا) أي خلصوا من القتل والاسر يوم بدر (انهم لا يهجزون) الله أي لا يفوتونه بهذا
 السبق في الانتقام منهم اما في الدنيا بالقتل واما في الآخرة بعذاب النار وفيه تسلية للنبي صلى
 الله عليه وسلم فيمن فاته من المشركين ولم ينتقم منه فأعلمه الله تعالى انهم لا يهجزونه وقرأ ابن عامر
 وحزرة وحفص يحسبن بالياء على الغيبة على أن الفعل للذين كفروا والباقون بالتاء على الخطاب
 للنبي صلى الله عليه وسلم ولما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يشرد من صدره منه نقض
 العهد الى من خاف منه النقص وانفق لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قصدوا الكفار بلا
 آلة ولا عدة أمرهم في هذه الآية بالأعداد لاهول الكفار بقوله تعالى (وأعدوا لهم) أي لقتالهم
 (ما استطعتم من قوة) الأعداد اتخذ الشئ لوقت الحاجة اليه وفي المراد بالقوة اقوال الاول
 الرمي وقد جاءت مفسرة به عن النبي صلى الله عليه وسلم في عاروا عتبة بن عامر قال سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم الا ان القوة الرمي ثلاثا
 أخرجه مسلم وعن أبي أسيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين

قوله فرجع معاوية
 في نسبه عما قبله
 تأمل اه صححه

صفة فنانا فريش وصفوا لنا اذا كبسوكم فعليكم بالنبل وفي رواية ليس من الله وهو مور الاثلاثة
 تأديب الرجل قرسه وملاعبة أهله ورميه بقوسه أى نبهه فانهم من الحق ومن ترك الرمي بعد
 ما علمه رغبة عنه فانهم انعمه تركها أو كفرها أخرجه الترمذى والثانى انها الحصون والثالث
 انها جميع الأسلحة والآلات التى تكون لكم قوة فى الحرب على قتال عدوكم وقوله تعالى
 (ومن رباط الخيل) مصدريه فى حبسها فى سبيل الله سواء كانت ذكورا أو إناثا وقال عكرمة
 المراد الاثا وروى عن خالد بن الوليد انه قال لا يركب فى القتال الا الاثا نقله صميلها وعن
 ابى محيرزانه قال كانت الصحابة يستحبون ذكورا الخيل عند الصغوف واثا الخيل عند
 البسات والغارات وقيل رباط الفحول أولى لانهم أقوى على الكثرة والفر ويدر للآول ما روى
 عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا فى سبيل الله
 ايماننا بالله ونصديقا بوعده فان شبعه وريه وبوله وروثه فى ميزانه يوم القيامة يعفى حسنة
 وعن عروة البارقي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم
 القيامة الاجر والمغنم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجرف قال ما أنزل على فيها الا هذه
 الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (ترهون)
 أى تخوفون (به) أى بتلك القوة أو بذلك الرباط (عدوا لله وعدوكم) أى الكفار من أهل مكة
 وغيرهم وذلك ان الكفار اذا علموا ان المسلمين متأهبون للجهاد مستعدون له مستكملون لجميع
 الأسلحة والآلات الحرب واعداد الخيل مربوطة للجهاد خافوهم فلا يقدرون دخول دار الاسلام
 بل يصبر ذلك سببا لدخول الكفار فى الاسلام أو بذل الجزية للمسلمين (و ترهون) آخرين من
 دونهم (أى غيرهم وهم المنافقون لقوله تعالى (لا تعلمونهم) لانهم معكم يقولون بالسنتهم ما ليس
 فى قلوبهم (الله يعلمهم) أى انهم منافقون (فان قيل) المنافقون لا يخافون القتال فكيف يوجب
 ما ذكره الارهاب (أجيب) بأن المنافقين اذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة آلاتهم وأسلحتهم كان
 ذلك مما يخوفهم ويقطع طمعهم من أن يصيروا غلبين فيصلمهم ذلك على أن يتركوا الكفر من
 قلوبهم وبواطنهم ويصيروا مخلصين فى الايمان وقيل هم اليهود وقيل القرس (وما تنفقوا من
 شئ) وان قل (فى سبيل الله) أى طاعته جهادا كان أو غيره (يوفى اليكم) قال ابن عباس أجره
 أى لا يضيع فى الآخرة أجره ويكمل الله عوضه فى الدنيا (وأنتم لا تظلمون) أى لا تنقصون من
 الثواب ولما سئل ابن عباس عن هذا التفسير تلا قوله تعالى آتأكلها ولم تظلم منه شيئا ولم يبين
 تعالى ما يرب به المصدق من القوة والاسلحة تظلمها ريب جواز الصلح بقوله تعالى (وان جنحوا
 أى مالوا للسلام) أى الصلح (فاجنح) أى غل (لها) وعاهدهم وتأنيت الضمير فى لها لجل السلم مع انه
 مذكر على ضده وهو الحرب قال الشاعر

السلم فأخذ منها ما رضى به * والحرب يكفيك من انقاسها جرع

فأنث ضمير السلم فى تأخذ منها على ضده وهو الحرب وعن ابن عباس هذه الآية منسوخة بقوله
 تعالى فقاتلوا الذين لا يؤمنون بآلهة من مجاهد بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم

وقال غيرهما الصحيح ان الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب
 أو سلم وليس يحتم أن يقتلوا أبدا أو يجلبوا الى الهدنة أبدا وهذا ظاهر وقرأ شعبة بكسر السين
 والباءون بالفتح (وقول كل على الله) أى فوض أمرك اليه فبما عقده معهم ليكون عونك في
 جميع أحوالك (أنه هو السميع) لا قوالهم فهو يسمع كل ما أبرموه في ذلك وفي غيره كما يسمعه
 علانية (العلم) بنياتهم فهو يعلم كل ما أخفوه كما أنه يعلم كل ما أعلنوه (وان يريدوا) أى الكفار
 (أن يحددوا) أى باظهار الصلح ايدهم والى (فان حسبك) أى كافيك (الله هو الذى أيدك
 بنصره) فى سائر أيامك فان أمر النبي صلى الله عليه وسلم من أول حياته الى وقت وفاته كان أمرا
 الهيا وتديرا علويا وما كان لكسب الخلق فيه مدخل (و) أيدك (بالمؤمنين) أى الانصار (فان
 قيل) فاذا كان الله تعالى مؤيده بنصره فإى حاجة مع نصره تعالى الى المؤمنين (أجيب) بأن
 التأييد ليس الا من الله تعالى دائما لكنه على قسمين أحدهما ما يحصل من غير واسطة اسباب
 معلومة معتادة والثانى ما يحصل بذلك فالأول هو المراد من قوله تعالى أيدك بنصره والثانى هو
 المراد من قوله تعالى وبالمؤمنين والله تعالى هو سبب الاسباب وهو الذى أقامهم بنصره ثم بين
 تعالى كيف أيدهم بالمؤمنين بقوله تعالى (وَأَلْفَ) أى جمع (بين قلوبهم) وذلك ان النبي صلى الله
 عليه وسلم لم يبعث الى قوم أنفهم شديدة وحجنتهم عظيمة حتى لو أن رجلا من قبيلة لطم لطمعة واحدة
 قاتلت عنه قبيلته حتى يدركوا ناره ثم انهم لم انقلبوا عن تلك الحالة حتى قاتل الرجل أباه وأخاه
 وابنه واتفقوا على الطاعة وصاروا أنصارا دعاة فازالة تلك العداوة الشديدة وتبدلها
 بالمحبة القوية بما لا يقدر عليها الا الله تعالى وصارت تلك معجزة ظاهرة على صدق نبوة محمد
 صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى (لو اتفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) أى
 تناهت عداوتهم الى حد لو اتفقت فى اصلاح ذات بينهم ما فى الارض من الاموال لم تقدر على
 الافة والصلاح بينهم (ولكن الله ألفت بينهم) بقدرته البالغة فانه تعالى المالك للقلوب بقلبها
 كيف يشاء (أنه) أى الله تعالى (عزيز) أى غالب على أمره لا يعصى عليه ما يريد (كبير)
 لا يخرج شئ عن حكمته وقيل الآية نزلت فى الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع
 ما أهلك ساداتهم ورؤساءهم فأنساهم ما لله تعالى ذلك وألف بين قلوبهم بالاسلام حتى تصادقوا
 وصاروا أنصارا وما ذاك الا باطيف صنعه وبلغ قدرته (يا أيها النبي حسبك) أى كافيك
 (الله) (فان قيل) هذا مكرر (أجيب) بأنه تعالى لما وعده بالنصر عند محاربة الاعداء
 وعده بالنصر والظفر فى هذه الآية مطلقا على جميع التقديرات فلا يلزم حصول التكرار لان
 المعنى فى الآية الاولى ان أرادوا خداعك كفاك الله تعالى أمرهم والمعنى فى هذه الآية عام
 فى كل ما يحتاج اليه فى الدين وقوله تعالى (ومن اتبعك من المؤمنين) اتماما فى محل نصب على
 المفعول معه كقول الشاعر
 فحسبك والضحاك سيف مهند
 يروى الضحاك بالنصب على انه
 مفعول معه والمعنى كفاك وكفى اتباعك المؤمنين الله ناصر أو رفع عطف على اسم الله تعالى
 أى كفاك الله وكفى المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيداء فى غزوة بدر قبل القتال وعن سعيد بن

جبراً أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة ثم أسلم عمر فقيم الله تعالى به الأربعين فنزلت هذه الآية (يا أيها النبي حرض المؤمنين أي حثهم على القتال) للكفار والتحريض في اللغة كالتحريض وهو الحث على الشيء (أن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) منهم (وأن يكن منكم مائة) صابرة (يغلبوا ألفاً من الذين كفروا) وهذا خبر بمعنى الأمر أي ليقاتل العشرون منكم المائتين والمائة ألف قتال عشرة أمثالكم * (تنبيه) * تقييد ذلك بالصبر يدل على أنه تعالى ما أوجب هذا الحكم إلا بشرط كونه صابراً قادراً على ذلك وانما يحصل هذا الشرط عند حصول أشياء منها أن يكون شديد الأعضاء قوياً جليداً ومنها أن يكون قوى القلب شديد البأس شجاعاً غير جبان ومنها أن يكون غير متحرف لقتال أو متهيئاً إلى قتله فإن الله تعالى استثنى هاتين الحالتين في الآيات المتقدمة فعند حصول هذه الشروط كان يجب على الواحد أن يثبت للعشرة (فإن قيل) حاصل هذه العبارة المطولة أن الواحد يثبت للعشرة فما الفائدة في العدول إلى هذه العبارة المطولة (أجيب) بأن هذا إنما ورد على وفق الواقعة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث السرايا والغالب أن تلك السرايا ما كان ينقص عددها عن العشرين وما كانت تزيد على المائة فلهذا المعنى ذكر الله تعالى هذين العديدين وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بالتاء على التانيث والباقون بالياء على التذكير (بأنهم) أي بسبب أنهم (قوم لا يفتقرون) أي جهلهم بالله تعالى واليوم الآخر فلا يقاتلوا لطلب ثواب وخوف عقاب إنما يقاتلون حمية فاذا صدق قوتهم في القتال لا يثبتون معكم وكان هذا يوم بدر فرض الله تعالى على الرجل الواحد من المسلمين قتال عشرة من الكافرين فنقلت على المؤمنين قال عطاء عن ابن عباس لما نزل التكليف بهذه الآية صاح المهاجرون وقالوا يارب نحن جباة وعدونا شباة ونحن في غربة وعدونا في أهلهم ونحن قد أخرجنا من ديارنا وأموالنا وعدونا ليس كذلك فنسخها الله تعالى بقوله تعالى (الآن خفف الله عنكم) أيها المؤمنون (وعلم أن فيكم ضعفاً) أي في قتال الواحد للعشرة (فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) منهم (وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين) منهم (بإذن الله) أي بإرادته تعالى فرقة وامن العشرة إلى اثنين فاذا كان المسلمون على قدر النصف من عدوهم لا يجوز أن يقرؤوا وقال عكرمة إنما أمر الرجل أن يصبر لعشرة والعشرة لمائة حال ما كان المسلمون قليلين فلما كثروا خفف الله تعالى عنهم وقال ابن عباس رضي الله عنهم ما أعمار رجل فر من ثلاثة فلم يعرفان فر من اثنين فقد فر (والله مع الصابرين) بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون قال سفيان بن شبرمة وأرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل ذلك ونزل لما أخذوا القدامن أسرى بدر (ما كان) أي ما صنع وما استقام (لنبي أن تكون له أسرى) قرأ أبو عمرو وبالتاء على التانيث والباقون بالياء على التذكير (حتى يثخن في الأرض) أي يكثر قتل الكفار ويبلغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الإسلام ويستولى أهله لأن الملك والدولة إنما تقوى وتستتب بالقتل قال الشاعر

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى * حتى يراق على جوانبه الدم

روى انه صلى الله عليه وسلم أتى يوم بدر سبعين أسيراً فيهم العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم
 وعقيل بن أبي طالب فاستأثر فيهم فقال أبو بكر رضي الله عنه قومك وأهلك استبقهم
 لعل الله تعالى أن يتوب عليهم ويخفف عنهم فديته تقوى بهم أصحابك وقال عمر رضي الله عنه
 كذبوك وأخرجوك فقدمهم وأضرب أعناقهم فان هؤلاء أئمة الكفر وإن الله أغناك عن
 القدامكن علياً من عقيل وحزرة من العباس ومكث من فلان لنسيب له فلنضرب أعناقهم وقال
 عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرم عليهم نارا فقال له
 العباس قطعت رجلك فبكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصيحهم ثم دخل فقال ناس ياخذ
 يقول أبي بكر وقال ناس ياخذ يقول عمر وقال ناس ياخذ يقول ابن رواحة ثم خرج رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله لين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وإن الله ليشدد
 قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال من تبعني فانه مني
 ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثل عيسى في قوله وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم
 ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذرعني الأرض من الكافرين ديارا ومثل موسى حيث قال
 ربنا اطع من على أموالهم ومال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قول أبي بكر روى انه صلى الله
 عليه وسلم قال له مرياً يا أحفص وكان ذلك أقول ما كناه أنا مري أن أقتل العباس فجعل عمر
 يقول ويل لعمر ثكلته أمه ثم قال لأصحابه أنتم اليوم عالة ولا يفتن أحد منهم إلا بضء أو ضرب
 عنق فقال ابن مسعود الانهليل بن يضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم واشتد خوفه فمأرا يتن في يوم أخوف من أن تقع على الحجارة من السماء من
 ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانهليل بن يضاء ثم قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم للقوم ان شئتم قتلوههم وإن شئتم فاديتوهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل
 نأخذ الفداء فاستشهدوا بأحد وكان قدا الأسارى عشرين أوقية والأوقية أربعة درهما
 فيكون مجموع ذلك ألفا وستمائة درهم وقال قتادة كان الفداء يومئذ لكل أسير أربعة آلاف
 قال عمر رضي الله عنه فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وأبو بكر رضي الله عنه يبيكان قلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء يبيكان أنت وصاحبك
 فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تبأكيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي على
 أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة للشجرة قرية منه
 (تريدون) أيها المؤمنون (عرض الدنيا) بأخذ فداء من المشركين وانما سمى منافع الدنيا
 عرضا لانها لا ثبات لها ولا دوام فكانتها تعرض ثم تزول بخلاف منافع الآخرة (والله يريد
 لكم) (الآخرة) أي ثوابها بقهركم المشركين ونصركم الدين (والله عزيز) لا يهزم ولا يغلب
 (حكيم) أي لا يصد رمنه فعل الا وهو في غاية الاتقان قال ابن عباس كان هذا يوم بدر والمسلمون
 يومئذ قليل فلما كثروا واستدسلوا منهم أنزل الله تعالى في الأسرى فاما مناهم فاما فداءهم فجعل
 الله تعالى نبيه والمؤمنين في أمر الأسرى بالخير وإن شأوا قتلوههم وإن شأوا فادواهم وإن شأوا

أحقه وهم أي فهم هذه الآية تنصت تلك قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت الغنائم حراما على
الأنبياء والامم وكانوا إذا أصابوا غنما جمع لواءه للقربان وكانت تنزل نار من السماء فتأكله فلما
كان يوم بدر أسرع المؤمنون وأخذوا القدام فأنزل الله تعالى (لولا كتاب من الله سبق) أي لولا
قضاء الله سبق في اللوح المحفوظ بأنه يحل لكم الغنائم (لمسكم) أي لئلا لكم (فما أخذتم) أي من
القدام (عذاب عظيم) وقال الحسن ومجاهد لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب أحدا من شهد
بدر مع النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لم يكن من المؤمنين أحد إلا أحب الغنائم الأمر
ابن الخطاب فإنه أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الأسرى وسعد بن معاذ قال يا رسول
الله كان الانحياز في القتل أحب إلى من استبقاء الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل
من السماء عذاب ما نجا منه غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ وروى لما نزلت هذه الآية كف
رسول الله صلى الله عليه وسلم أيديهم أن يأخذوا من القدام فقلت (فكروا بما عظمتم) أي من
القدام فإنه من بخله الغنائم (حلالا طيبا) فأحل الله الغنائم بهذه الآية لهذه الأمة وقال صلى
الله عليه وسلم أحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لم تحل
الغنائم لأحد قبلنا ثم أحل لنا الغنائم ذلك بأن الله رأى ضعفنا وعجزنا فما حلها لنا (فان قيل)
ما معنى القاء في قوله تعالى فكروا (أجيب) بأنها سببية والسبب محذوف تقديره أجبتم لكم
الغنائم فكروا وبخوه تشبث من زعم أن الأمر الوارد بعد الحظر للإباحة وحلالا حال من
المفهوم أو صفة للمصدر أي كلالا وفائدته إزاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك
المعاسة ولذلك وصفه بقوله طيبا (واتقوا الله) في مخالفة (إن الله غفور) غفر ذنوبكم (رحيم)
أباح لكم ما أخذتم وقوله تعالى واتقوا الله إشارة إلى المستقبل وقوله تعالى إن الله غفور
رحيم إشارة إلى الحالة الماضية ولما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم القدام من الأسارى وأق
عليهم أخذ أموالهم منهم ذكر الله تعالى هذه الآية استمالة لهم فقال عز من قائل (يا أيها النبي
قل لمن في أيديكم من الأسارى) قرأ أبو عمرو وبضم الهمزة وفتح السين بعدها ألف والباقون بفتح
الهمزة وسكون السين ولا ألف بعدها وأمال الألب بعد الراء أبو عمرو وجرزة والكسائي تحضة
وورش بين بين (إن يعلم الله في قلوبكم خيرا) أي خلوص إيمان وصحة نية (يؤتمكم خيرا مما أخذ
منكم) من القدام قال ابن عباس نزلت في العباس وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث كان
العباس أسيرا يوم بدر ومعه عشرون أوقية من الذهب أخرجها ليظم الناس فكان أحد
العشرة الذين ضمنوا الطعام لاهل بدر فلم يلقه النوبة حتى أسرف فقال العباس كنت مسلما
الأنهم الزموني فقال صلى الله عليه وسلم إن يكن ما تذكره حقا فإله يجزيك وأما ظاهر الأمر
فقد كان علينا قال العباس وكلت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يترك ذلك الذهب لي فقال
أما نرى خرجت به فتعين به علينا فلا قال فكافني فداء ابن أخي عقيل بن أبي طالب عشرين أوقية
وفداء نوفل بن الحرث فقال العباس تركتني يا محمد أتكفف قريشا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأين ما دفعته إلي أم الفضل وقت خرويلك من مكة وقلت إله ما أدري ما يصيبني فإن

حدثني حادث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال العباس وما يدريك يا ابن أخي
قال أخبرني به ربي فقال العباس أنا أشهد أنك صادق وأشهد أن لا إله الا الله وأنت عبده ورسوله
والله لم يطلع عليه أحد الا الله واقد دفعته اليها في سواد الليل واقد كنت مرتابا في أمرك فاما اذ
أخبرتني بذلك فلاريب قال العباس فأبدلني الله خيرا من ذلك الى الآن عشرون عبدا وان أدناهم
ليضرب في عشرين ألفا وأعطاني زمزم وما أحب ان لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر
المغفرة من ربي وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم عليه مال الحريرين ثمانون ألفا فتوضأ
لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ منه ما قدر على حمله وكان يقول
هذا خير مما أخذتني وأنا أرجو المغفرة من ربكم يعني الدعوة بقوله تعالى (ويغفر لكم والله غفور
رحيم) واختلف المفسرون في أن الآية نزلت في العباس خاصة أو في جملة الاسارى قال بعضهم
انها نزلت في الكل قال الرازي وهذا أولى لان ظاهر الآية يقتضي العموم من ستة أوجه أحدها
قوله تعالى قل لمن في أيديكم وثانيها قوله تعالى من الاسرى وثالثها قوله تعالى ان يعلم الله في قلوبكم
خيرا ورابعها قوله تعالى يؤتكم خيرا وخامسها قوله تعالى مما أخذ منكم وسادسها قوله تعالى ويغفر
لكم فدللت هذه الالفاظ الستة على العموم فما الموجب للتخصيص أقصى ما في الباب أن يقال
سبب نزول هذه الآية هو العباس الا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (وان يريدوا)
أي الاسارى (خيانتك) أي بما أظهره من القول (فقد خانوا الله) بالكفر ونقض ميثاقه
المأخوذ بالعهد (من قبل) أي قبل بدر (فأمكن منهم) بيد قتلوا واسرا فليست وقعة واثم ذلك ان
عادوا (والله عليم) بما في بواطنهم وضمائرهم من ايمان وتصديق وخيانة (حكيم) أي بالغ الحكمة
فهو يتقن كل ما يريد فهو يوهن كيدهم ويتقن ما يقابلهم به فيلحقهم لاجل حاله وكذا فعل تعالى في
ابن عزة الجمحي فانه سأل النبي صلى الله عليه وسلم في المتي عليه بغير شيء لفقره وعياله وعاهده على
أنه لا يظاهر عليه أحد اثم خان فظفر به في غزوة جراء الاسد عقب يوم أحد أسيرا فاعتذره وسأله
العفو عنه فقال لا لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين وأمر به فضربت عنقه (ان الذين آمنوا) أي
بالله ورسوله (وهاجروا) أي وأوقعوا الهجرة من بلاد الشرك وهم المهاجرون الا قولون هجروا
أوطانهم وعشائرهم وأحبابهم حبا لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم (وجاهدوا) أي
وأوقعوا الجهاد وهو بذل الجهد في توهين الكفر (بأموالهم) وكانوا في غاية العزة في أول
الامر (وأنفسمهم) باقدامهم على القتال مع شدة الاعداء وكثرتهم وقدم المال لانه سبب قيام
النفس أي بانفاقهم لها في الجهاد ونضيق بعضها بالهجرة من الديار والخييل وغيرها وآخر
قوله تعالى (في سبيل الله) لذلك وفي سببية أي جاهدوا بسببه حتى لا يصده عنه صاد ويسهل المرور
فيه من غير قاطع (والذين آووا) أي من هاجر اليهم من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
فأسكنوهم في ديارهم وقسموا لهم من أموالهم وعرضوا عليهم أن ينزلوا لهم عن بعض نسائهم
ليتزوجوهن (ونصروا) أي الله ورسوله والمؤمنين وهم الانصار رضى الله عنهم حازوا هذين
الوصفين الشرعيين فكانوا في الذروة من هذين الجنسيتين ولكن المهاجرون الا قولون أعلى منهم

لسبقهم في الايمان الذي هو رئيس الفضائل ولجلهم الاذى من الكفار زمانا طويلا وصبرهم
 على فرقة الاهل والاطنان وأشار تعالى الى القسمين بإداة البعد لعلو مقامهم فقال (أولئك) أى
 العالو الرتبة (بعضهم أولى ببعض) أى دون أقاربهم من الكفار قال ابن عباس في الميراث فكانوا
 يتوارثون بالهجرة فكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون ذوى الارحام وصحكان من آمن
 ولم يهاجروا لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة انقطعت الهجرة وتوارثوا بالارحام حيث
 كانوا وصار ذلك منسوخا بقوله تعالى وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله (والذين
 آمنوا ولم يهاجروا) أى آمنوا وأقاموا بمكة (مالكم من ولايتهم من شئ) أى فلا يرث بينكم
 وبينهم ولا نصيب لهم في الغنيمة (حتى يهاجروا) أى الى المدينة (وان استنصروكم في الدين) أى
 ولم يهاجروا (فعليناكم النصر) أى فيجب عليكم أن تنصروهم على المشركين (الاعلى قوم بينكم
 وبينهم ميثاق) أى عهد فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم (والله بما تعملون بصير) في ذلك
 ترغيب في العمل بما احث عليه من الايمان والهجرة وغير ذلك مما تقدم وترهيب من العمل
 باضدادها وفي البصير إشارة الى العلم بما يكون من ذلك خالصا ومشوبا فافيه من يذبح على
 الاخلاص (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) أى في النصر لان كفار قريش كانوا معادين
 اليهود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه جميعا وفي الميراث فبرث بعضهم
 بعضا ولا يرث بينكم وبينهم (الاتقوا) أى ما أمرتم به من التواصل بينكم وتولى بعضكم لبعض
 حتى في الميراث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار (تكن) أى تحصل (قننة) أى عظيمة (في الارض)
 بضعف الايمان وقوة الكفر (وفساد كبير) في الدين ولما تقدمت أنواع المؤمنين المهاجروا والناصر
 والقاعد وذكر أحكام موالاتهم أخذ بين تغاوتهم في الفضل بقوله تعالى (والذين آمنوا) أى بالله
 ورسوله وما أتى به (وهاجروا) في الله تعالى من يعادى نبيه صلى الله عليه وسلم سابقين (وجاهدوا
 في سبيل الله) بما تقدم من المال والنفس وغيرهما فبذلوا الجهد في اذلال الكفار ولم يذكر آلة
 الجهاد لانها مع تقدم ذكرها لازمة (والذين أووا) أى من هاجر اليهم (ونصروا) أى حزب الله
 (أولئك هم المؤمنون) أى الكاملون في الايمان (حقا) أى لانهم حققوا ايمانهم بتحقيق
 مقتضاء من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ثم وعدهم الموعد الكريم بقوله تعالى
 (لهم مغفرة) أى لزلاتهم وهفواتهم لان مبنى الاذى على العجز اللازم عند التقصير وان اجتهد
 ولن يشاد الدين أحد الا غلبه ولما ذكر تطهيرهم بالمغفرة ذكر تركبتهم بالرحمة بقوله تعالى (ورزق)
 أى من الغنائم وغيرها في الدنيا والآخرة (كريم) أى لا تبعه ولا منة فيه ثم الحق بهم في الامرين
 من يستلحق بهم ويتسم بسمتهم بقوله تعالى (والذين آمنوا من بعد) أى بعد السابقين الى الايمان
 والهجرة (وهاجروا) أى لاحقين للسابقين وعن ابن عباس رضى الله عنهما انهم من هاجر بعد
 الحديبية قال وهى الهجرة الثانية (وجاهدوا معكم) أى من تجاهدونه من حزب الشيطان
 (فأولئك منكم) أى من جماعتكم أيها المهاجرون والانصار فلهم مالكم وعليهم ما عليكم من
 الموارث والمغانم وغيرها لان الوصف الجامع هو المداير الاحكام وان تأخرت رتبته عنكم بما

أفهمته اداة البعد (وأولوا الارحام) أى ذروا القرابات (بعضهم أولى ببعض) قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالهجرة والاخاء حتى نزلت هذه الآية فبين الله تعالى بهما ان سبب القرابة أقوى وأولى من سبب الهجرة والاخاء ونسخ به اذلك التوارث وقوله تعالى (فى كتاب الله) أى فى حكمه فى اللوح المحفوظ أو القرآن وتسلط أصحاب أبى حنيفة رحمه الله تعالى به هذه على توريث ذوى الارحام وأجاب عنه الشافعى رضى الله تعالى عنه بأنه لما قال فى كتاب الله كان معناه فى حكم الله الذى بينه فى سورة النساء فصارت هذه السورة مقدمة بالاحكام التى ذكرها فى سورة النساء فى قسمة الموارث واعطاء أهل الفروض فروضهم ومابقى فللعصبات فوجب أن يكون المراد من هذا هو ذلك فقط فلا يتعدى الى توريث ذوى الارحام ثم قال تعالى فى ختم السورة (ان الله بكل شئ عليم) أى ان هذه الاحكام التى ذكرتها وفصلتها كلها اكتمت وصواب وصلاح وليس فيها شئ من العيب والباطل لان العالم بجميع المعلومات لا يحكم الا بالصواب وتطهيره ان الملائكة لما قالوا اتقبل فى ما من يفسد فيها ويسفك الدماء قال الله تعالى يحيبا لهم انى أعلم ما لا تعلمون أى كما علمتم يكونى عالما بكل المعلومات فاعلموا أن حكمى يكون منزها عن الغلط فكذا هنا وقول البيضاوى فى بعض التسخيع للزخمشى وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبرائة فأنشفع له يوم القيامة وشاهد أنه برى من النفاق وأعطى عشر حسنة بعد ذلك منافق ومنافقة وكان العرش وجملة يستغفرون له أيام حياته فى الدنيا حديث موضوع

(سورة التوبة مدنية)

الايتين من قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم وهى آخر ما نزلت وآيهامائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون وعدد كلماتها ألفان وأربعمائة وسبع وتسعون كلمة وحروفها عشرة آلاف وثمانمائة وسبعة وثمانون حرفا ولها عدة أسماء التوبة براءة المقشقة البعثة المبعثرة المنقرة المثيرة المخافة المخزية الفاضحة المشككة المشردة المدممة سورة العذاب وانما سميت بذلك لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقة من النفاق وهى التبرئ منه والنجت عن حال المنافقين وانارتها والحفر عنها وما يحزبهم ويفضهم ويشكاهم ويشردهم ويدمدم عليهم ولم تكتب فيها البسمة لانه صلى الله عليه وسلم لم يأمر بذلك كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم وأخرج فى معناه عن على ان البسمة أمان وهى نزلت لرفع الامن بالسيف وعن حذيفة انكم تسعونها سورة التوبة وهى سورة العذاب وروى البخارى عن البراء انها آخر سورة نزلت وقيل كان صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه سورة أو آية بين موضعها فتوفى ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتسميتها لان فى الانفال ذكر اليهود وفى براءة تشابه فضمت اليها قال القاضى يبعد أن يقال انه عليه الصلاة والسلام لم يبين كون هذه السورة قالية لسورة الانفال لان القرآن مرتب من قبل الله تعالى ومن قبل رسوله صلى الله عليه وسلم على الوجه الذى نقل ولوجوزنا فى بعض السور أن لا يكون ترتيبها من الله تعالى على سبيل الوجى بلوزنا مثله فى سائر السور وفى آيات السورة الواحدة وذلك يخرج به عن كونه

حجة بل الصحيح انه عليه الصلاة والسلام أمر بوضع هذه السورة بعد سورة الانفال وحياءه
 عليه الصلاة والسلام حذف بسم الله الرحمن الرحيم من هذه السورة وحياءا والقول بأن قصتها
 تشابه قصتها ونسبها فقصت اليها انما يتيم اما قلنا انهم انما وضعوا هذه السورة من قبل أنفسهم
 لهذه العلة وقيل ان العصابة رضى الله عنهم اختلقوا في أن سورة الانفال وسورة براءة سورة
 واحدة أم سورتان فقال بعضهم هما سورة واحدة لأن كلتيهما نزل في القتال ومجموعهما هو
 السورة السابعة من الطوال وهي سبع وما بعدها المؤن لانهم اجمعوا ما تلتان وست آيات
 فها بمنزلة سورة واحدة ومنهم من قال سورتان فلما ظهر الاختلاف من العصابة في هذا
 تركوا بينهم ما فرجة تنبيهها على قول من يقول هما سورة واحدة وقال بعض أصحاب الامام
 الشافعي رضى الله عنه اعلم الله لما علم من بعض الناس انهم ينازعون في كون بسم الله
 الرحمن الرحيم من القرآن أمر أن لا تكتب ههنا ليدل ذلك على كونها آية من كل سورة فانها
 لما لم تكن آية من هذه السورة وجب كونها آية من كل سورة وقيل غير ذلك والصحيح من هذه
 الاقوال ما ذهب اليه القاضي من أن القرآن مرتب من قبل الله ومن قبل رسوله صلى الله عليه
 وسلم على الوجه الذي نقل وانه صلى الله عليه وسلم حذف بسم الله الرحمن الرحيم من هذه السورة
 وحياءا وانما ذكرت هذه الاقوال تشهيدا للاذهان وقوله تعالى (براءة) خبر مبتدأ محذوف أى
 هذه براءة وقوله تعالى (من الله ورسوله) من ابتدائية متصلة بمحذوف تقديره واصلة من الله
 ورسوله ويجوز أن يكون براءة مبتدأ تخصيصها بصفتها والخبر (الى الذين عاهدتم) أى أو قعتم
 العهد بينكم وبينهم (من المشركين) أى وان كانت معاهدتكم لهم انما كانت باذن من الله
 ورسوله فكما فعلتم المعاهدة باذنهم ما فاقوا النقص تعالها ما وذل سياق الكلام وما حواه من
 بديع النظام ان العهد انما هو لاجل المؤمنين واما الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فغنيان
 عن ذلك اما الله فبالغنى المطلق واما الرسول صلى الله عليه وسلم فبالذى اختاره للرسالة لانه
 ما فعل ذلك الا وهو قادر على نصره بسبب وبغير سبب روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج
 الى تبوك كان المنافقون يرجعون الارجيف وجعل المشركون ينقضون عهدا كانت بينهم
 وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الله تعالى بنقض عهودهم وذلك قوله تعالى واما
 تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء الآية ونقض العهد بما يذكر في قوله تعالى
 (فسبحوا) أى سبحوا آمنين أيها المشركون (في الارض أربعة أشهر) لا يهزم من لكم فيها
 ولا أمان لكم بعدها وكان ابتداء هذه الاشهر يوم الحج الاكبر وانقضائها الى عشر من ربيع
 الآخر وقال الازهرى هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لانها انزلت في شوال وقيل في ذى
 الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاقل وعشرين من شهر ربيع الآخر وكانت حرم لانهم آمنوا
 فيها وحرم قتلهم وقتالهم وأعلى التغليب لأن ذى الحجة والمحرم منها قال البغوى والاقول هو
 الاصول وعليه الاكثرون اه وقيل العشر من ذى القعدة الى عشر من شهر ربيع الاقل لأن
 الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسب الذى كان فيهم ثم صار في السنة الثانية من ذى الحجة

وكان نزولها في سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الأمير فيها عتاب بن أسيد فأمر رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه على موسم الحج سنة تسع ثم أتبعه علياً رضي الله عنه
 راكباً العضباء ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقرأها على أهل الموسم فقيل له لو بعثت به إلى
 أبي بكر فقال لا يؤذي عنى الرجل منى فلما أدنا على من أبي بكر سمع أبا بكر الرغاء فوقه وقال هذا
 رغاء ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصل العضباء المشقوقه الأذن ولم تكن ناقته صلى الله
 عليه وسلم كذلك ولكن كان ذلك علماً أهلها والرغاء بالمد صوت ذوات الخف قاله الجوهري فلما لحقه
 قال أميراً ومأموراً وروى أن أبا بكر رضي الله عنه لما كان ببعض الطريق هبط جبريل وقال يا محمد
 لا يبلغن رسالتك الرجل منك فأرسل علياً رضي الله عنه فرجع أبو بكر رضي الله عنه وقال
 يا رسول الله أشيئ نزل قال نعم فسر وأنت على الموسم وعلى ينادى بالآي فلما كان قبل التروية
 يوم خطب أبو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جرة العقبة فقال أيها الناس اني
 رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية وعن مجاهد
 ثلاث عشرة ثم قال أمرت بأربع آي بأن أخبروا نأدي بها أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك
 ولا يطوف به عربان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا
 عند ذلك أبلغ ابن عمك ان قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن
 بالرمح وضرب بالسيف ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع (فان قيل) قد
 بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة لان يؤذوا عنه كثيراً ولم يكونوا من هجرته (أجيب) بأن
 هذا ليس على العموم بل مخصوص باليهود لان العرب عادتهم أن لا يتولى العهد ونقضه على
 القبيلة الا رجل من الاقارب فلو تولاه أبو بكر رضي الله تعالى عنه لجاز أن يقولوا هذا خلاف
 ما يعرف قينا من نقض العهد فربما لم يقبلوا فلم يخف عليهم ثم تنوأت عليه ذلك ويدل على ذلك
 ان في بعض الروايات لا ينبغي لاحد أن يبلغ هذا الرجل من أهلي وقيل لما خص أبا بكر بتولية
 الموسم خص علياً بهذا التبليغ تطبيعا للقلوب ورعاية للجوانب وقيل قرأ أبا بكر على الموسم وبعث
 علياً خليفة التبليغ هذه الرسالة حتى يصلي خلف أبي بكر ويكون ذلك جارية مجرى تنبيهه على
 امامة أبي بكر (فان قيل) ما وجه اطباق أكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الاشرار الحرم
 وقد صانها الله تعالى عن ذلك (أجيب) بأنهم قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وأببح قتال المشركين
 فيها (واعلموا انكم غير مجزى الله) أي لا تفوتونه وان أمهلكم (وأن الله مخزى الكافرين)
 أي مذلهم في الدنيا بالقتل والاسروفي الآخرة بالعذاب (وأذان) أي اعلام واقع (من الله
 ورسوله الى الناس) اذا الاذان في اللغة الاعلام ومنه الاذان للصلاة فانه اعلام بوقتها وارتفاعه
 كارتفاع براءة على الوجهين (فان قيل) لم علفت البراءة بالذين عاهدوا من المشركين
 وعلق الاذان بالناس (أجيب) بأن البراءة مختصة بالمعاهدين والناس كثير منهم واما الاذان
 فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث
 (يوم الحج الاكبر) أي يوم عيد النحر لان فيه معظم أفعاله من طواف وفحرو حلق ورمي ببقع

فيه ولان الاعلام كان فيه وروى انه صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجمرات في حجة الوداع فقال أي يوم هذا فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الأكبر وروى ان علياً رضي الله عنه خرج يوم النحر على بغلة يضايريد الجبابة فجاءه رجل فأخذ بلجامه وابته وسأله عن يوم الحج الأكبر فقال يومك هذا فخل سبلها وقيل يوم عرفة ا قوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وقيل أيام منى كلها الآن اليوم قد يطلق ويراد به الحين والزمان كقوله يوم صفين ويوم الجمل لان الحرب دامت في هذه الايام ويطلق عليها يوم واحد وقيل هو الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليمود وعيد التصاري وعيد المشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده ووصف الحج بالأكبر لان العمرة تسعى الحج الاصغر وانما قيل لها الاصغر لقصان أعمالها عن الحج وقيل وصف بذلك موافقة حج النبي صلى الله عليه وسلم بحجة الوداع وكان ذلك اليوم يوم الجمعة وودع الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وقيل وصف بذلك لاجتماع اعياد الملل في ذلك اليوم وقيل لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين وقوله تعالى (ان الله يرى من المشركين) أي من عهودهم فيه حذف تقديره وأذان من الله ورسوله بأن الله يرى من المشركين وانما حذف الجار لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى (ورسوله) مرفوع على انه مبتدأ حذف خبره أي ورسوله كذلك وحكى ان اعراباً يسمعون رجلاً يقرأ ورسوله بالجر فقال ان كان الله يرى من رسوله فأنامنه يرى قلبه الرجل الى عمر رضي الله عنه فخكى الاعرابي الواقعة فينثذأ مر عمر بتعليم العربية وحكى أيضاً ان اعرابياً قدم في زمن عمر فقال من يقرئني مما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم فأقرأه رجل براءة فقال ان الله يرى من المشركين ورسوله بالجر فقال الاعرابي أو قد يرى الله من رسوله ان يكن الله يرى من رسوله فأنابرى منه فبلغ عمر رضي الله عنه مقالة الاعرابي فدعاه فسأله فأخبره الاعرابي بذلك فقال ههنا ليس هكذا يا اعرابي فقال فكيف هي يا أمير المؤمنين فقال ان الله يرى من المشركين ورسوله بالرفع فقال وأنا واقه أبرأ مما يرى الله ورسوله منه فأمر عمران لا يقرأ القرآن الاعمال باللغة وأمر أبا الاسود الدؤلي فوضع النحر (فان تبتم) أي عن الكفر والفدر (فهو) أي ذلك الامر العظيم وهو المتاب (خير لكم) أي من الافاسه على الشرك وهذا ترغيب من الله في التوبة والاقلاع عن الشرك الموجب لدخول النار (وان توليتم) أي اعرضتم عن الايمان والتوبة من الشرك (فاعلموا انكم غير معجزى الله) وذلك وعيد عظيم واعلام بأن الله تعالى قادر على انزال أشد العذاب بهم كما قال تعالى (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) أي مؤلم وهو القتل والاسرف في الدنيا والنار في الآخرة ولفظ البشارة هنا ورد على سبيل الاخبار وعلى سبيل الاستهزاء كما يقال محبتهم المضرب واكرامهم الشتم وقوله تعالى (الا الذين عاهدتم من المشركين) استثناء من المشركين وهم بنو ضمرة حتى من كنانة أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بان تمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقضوا كما قال تعالى (ثم لم ينقضوكم شيئاً) أي من عهودكم التي عاهدوهم عليها (ولم يظاهروا) أي ولم يعاونوا (عليكم أهدأ) من عدوكم (فأنفروا)

اليوم عهدهم الى قديمهم) أى الى انقضائها ولا تجزئهم مجرى الناكثين وقوله تعالى (ان الله يحب
 المتقنين) تعليل وتنبية على ان اتمام عهدهم من باب التقوى (فاذا انسحل) أى انقضى وخرج
 (الاشهر الحرم) التى حرم الله تعالى عليهم فيها قتالهم وضربت أجلا لسياحتهم والتعريف بمثله
 فى فارس لنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول والمراد بكونها حرما ان الله تعالى حرم
 القتل والقتال فيها وقيل هى رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم قال البيضاوى وهذا يخل
 بالنظم أى نظم الآية اذ قطعها يقتضى نوال الاشهر المذكورة (فاقتلوا المشركين) أى الناكثين
 الذين ضربت لهم هذا الاجل احسانا وكرما (حيث وجدتموهم) أى فى حل أو حرم أو فى شهر
 حرام أو غيره (وخذوهم) أى بالاسر (واحصروهم) أى بالحبس عن اتيان المعبود الحرام
 والتصرف فى بلاد الاسلام فى القلاع والحصون حتى يضطروا الى الاسلام أو القتل (واقعدوا
 لهم) أى لاجلهم خاصة فان ذلك من أفضل العبادات (كل مرصد) أى طريق يسلكونه
 لئلا ينسبوا فى البلاد واتصاب كل على الظرفية كقوله لا قعدن لهم صراطك المستقيم
 وقيل بنزع الخافض قال الحسن بن الفضل نسخت هذه الآية كل آية فيها ذكر الاعراض عن
 المشركين والمصبر على أذى الاعداء (فان تابوا) أى عن الكفر بالابحان (وأقاموا الصلاة
 وآتوا الزكاة) تصديقات بربهم وإيمانهم فوصلوا ما بينهم وبين الخالق وما بينهم وبين الخلائق
 (تخلوا سبلهم) أى فدعوههم ولا تتم رضوا لهم بشئ من ذلك وفى هذه الآية دليل على ان تأدية
 الصلاة وما نزع الزكاة لا يخلى سبيله لانه ان كان جاحدا للوجوب - ما فهو مرتد والاقول بترك
 الصلاة وأخذت منه الزكاة قهرا وقوتل على ذلك كما نقل عن أبي هريرة رضى الله عنه انه قال لما
 نوى النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر كغمر من كفر من العرب قال عمر لابي بكر رضى الله
 تعالى عنهما كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت ان أقاتل الناس
 حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله فن قال لا اله الا الله فقد عصم منى ماله ونفسه الا بجهتها
 وحسابه على الله فقال أبو بكر والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال
 والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية عقالا كانوا
 يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال عمر فوالله ما هو الا أن رأيت
 أن الله شرع صدرا بى بكر الى القتال فعرفت انه الحق (ان الله غفور) أى بليغ المحو للذنوب
 التى تاب صاحبها عنها (رحيم) به (وان أحد من المشركين) أى الذين أمرت بقتالهم (استجارك)
 أى طلب أن تعامله فى الأكرام معاملة الجار بعد انقضاء مدة السياحة (فأجره) أى
 فأمنه ودافع عنه من يقصده بسوء (حتى يسمع كلام الله) أى القرآن بسماع التلاوة الدالة عليه
 فيه لم بذلك ما يدعى اليه من الحسن ويتحقق انه ليس من كلام الخلق (ثم) ان أراد الانصراف
 ولم يسلم (أبلغه مأمنه) أى الموضع الذى يأمن فيه وهو دار قومه لينظر فى امره ثم بعد ذلك
 يجوز لك قتلهم وقتالهم من غير غدر ولا خيانة قال الحسن هذه الآية محكمة الى يوم القيامة
 • (تنبيه) • أحد مرفوع بفعل مضمر يفسره الظاهر وتقديره وان استجارك أحد ولا يجوز أن

يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل فلا تدخل على غيره (ذلك) أى الأمر بالاجارة للغرض
 المذكور (بأنهم) أى بسبب انهم (قوم لا يعملون) أى لا علم لهم لانهم لا عهد لهم بنبوة ولا رسالة
 ولا كتاب فاذا علموا أو شك أن يقعهم العلم وقوله سبحانه وتعالى (كيف يكون للمشركين عهد
 عند الله وعند رسوله) استنفهم معناه الجحد أى لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله
 وهم يغدرون وينقضون العهد (الا الذين عاهدتم) أى من المشركين (عند المسجد الحرام) يوم
 الحديبية وهم المستثنون قبل (فما استقاموا اليكم) أى أقاموا على العهد ولم ينقضوه (فاستقيموا
 لهم) أى على الوفاء وهو كقوله تعالى فأتوا اليهم عهدهم الى مدتهم فبرأه مطاق وهذا مقيد
 وما تضمن الشرطية والمصدرية (ان الله يحب المتقين) أى من اتقى يوفى بعهد من عاهده وقد
 استقام صلى الله عليه وسلم على عهدهم حتى نقضوه باعانة بني بكر على خيانة وقوله تعالى (كيف
 تكرار للاستبعاد يثبت المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما أى كيف يكون لهم
 عهد ثابت (وان) أى والحال انهم مضطرون لكم الغدر والخيانة فهم ان (يظهروا عليكم) أى
 يعملوا أمرهم على أمركم بأن يظهروا بكم بعد العهد والميثاق (لا يرقبوا) أى لا يراعوا (فيكم) أى
 في اذا كم بكل جليل وحقيق (الا) أى قرابة محقة قال حسان

لعمرك انك من قريش • كأل السقب من رأل النعام

السقب ولد الناقة والرأل ولد النعامة والخطاب في لعمرك لاني سفيان أى لا قرابة بينك وبين
 قريش كما لا قرابة بين ولد الناقة وولد النعامة وقيل الالهة وقيل جبريل (ولاذمة) أى عهدا
 بل يؤذوك ما استطاعوا وقوله تعالى (يرضونكم بأفواههم) أى بكلامهم كلام مبتدأ في وصف
 حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد (وتأبى قلوبهم) أى عن
 الوفا به لمخالفة ما فيها من الاضغان (وأكثرهم فاسقون) أى راسخوا الاقدام في الفسق (فان
 قيل) الموصوفون بهذه الصفة كفار والكفر أقبح وأخبث من الفسق فكيف يحسن وصفهم
 بالفسق في معرض المبالغة في الذم وأيضا الكفار كلهم فاسقون فلا يبقى لقوله وأكثرهم فائدة
 (أجيب) بأن الكافر قد يكون عدلا في دينه فلا ينقض العهد وقد يكون فاسقا خبيث النفس
 في دينه فينقضه فالمراد بالفسق هنا نقض العهد وكان في المشركين من وفى بعهده فلهذا
 قال وأكثرهم أى ان هؤلاء الكفار الذين من عاداتهم نقض العهد أكثرهم فاسقون
 في دينهم وعند اقوامهم وذلك يوجب المبالغة في الذم وقال ابن عباس لا يبعد ان يكون بعض
 أولئك الكفار قد أسلم وتاب فلهذا السبب قال وأكثرهم فاسقون حتى يخرج عن هذا الحكم
 أولئك الذين دخلوا في الاسلام (استروا) أى استبدلوا (بآيات الله) أى القرآن (غنا قليلا)
 أى عرضا يسيرا من الدنيا وهو اتباع الاهواء والشهوات مع مصاحبة الكفر وذلك ان أبا
 سفيان بن حرب أطمح لقاء وتزلفا لحلفاء النبي صلى الله عليه وسلم فنقض العهد الذي بينهم
 بسبب تلك الاككلة (فصدوا) أى فتسبب لهم ذلك وأداهم الى ان صدوا (عن سبيله)
 أى منعوا الناس من الدخول في دينه (انهم ساء) أى بش (ما كانوا يعملون) أى عملهم

هذا وما دل عليه قوله تعالى (لا يرقبون في مؤمن الا ولاءة) فهو نفسه لا تكرير وقيل
الاول عام في المنافقين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود والاعراب الذين جمعهم أبو سفيان
وأطعمهم (وأولئك) أي هؤلاء البعدهاء من كل خير (هم المعتدون) الذين تعدوا ما حذر الله لهم
في دينه وما يوجب العقد والعهد ولما بين تعالى حال من لا يرقب في الله الا ولاءة وينقض
العهد وينطوي على الخفاق ويتعدى ما حذر الله تعالى له بين ما يصيرون به من أهل دينه بقوله تعالى
(فان تابوا) أي رجعوا عن الشرك الى الايمان وعن نقض العهد الى الوفاء به (وأقاموا الصلاة)
أي المفروضة عليهم بجميع حدودها وأركانها (وآتوا الزكاة) المفروضة عليهم طيبة بها
نفوسهم (فأخوانكم) أي فهم اخوانكم (في الدين) لهم مالكم وعليهم ما عليكم وقوله تعالى
(ونفصل الآيات لقوم يعلمون) اعتراض للبحث على تأمل ما فصل من أحكام المعاهدين وخصال
التائبين (وان تكثروا) أي نقضوا (ايمانهم) أي عهودهم (من بعد عهدهم) الذي عاهدوكم
عليه أن لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم (وطعنوا في دينكم) أي وعابوا
دينكم الذي أنتم عليه وقد حوافيه (فقاتلوا أئمة الكفر) أي الكفار بأسرهم وانما خص
الأئمة منهم بالذكر لأنهم هم الذين يحرضون الاتباع منهم على هذه الاعمال الباطلة وقال ابن
عباس نزلت في أبي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وأبي جهل وسائر رؤساء قريش وهم الذين
نقضوا عهودهم وهموا باخراج الرسول وفيه وضع الظاهر موضع المضمرة وقرأ نافع وابن كثير
وأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية المكسورة وحقة الباقون وقول البيضاوي والتصرييح
بالياء لحن تباع فيه الكشف التابع للأفراء وهو مردود فالجهور من النخاعة والقراء على جواز
قلب الهمزة الثانية حرف لين فبعضهم على جعلها بين بين وبعضهم على قلبها ياء خالصة وقوله
تعالى (انهم لا ايمان لهم) قرأ ابن عامر بكسر الهمزة أي لا تصديق لهم ولا دين وليس في ذلك
دلالة على أن توبة المرتد لا تقبل والباقون بالنقض جمع عين أي لا ايمان لهم على الحقيقة وايمانهم
ليست بايمان والالماطعنوا في دينكم ولم ينكثوا وفيه دليل على أن الذي اذا طعن في الاسلام
فقد نكث عهده أي ان شرط ذلك عليه كما هو مذهبنا ونكث أبو حنيفة رحمه الله تعالى بهذا
على أن يمين الكافر لا تكون يميناً وعند الشافعي رحمه الله تعالى يمينهم منعقدة ومعنى هذه
الآية عندهم هم لما لم يؤمنوا بها صارت ايمانهم كأنها ليست بايمان والدليل على أن يمينهم
منعقدة أن الله تعالى وصفها بالنكث في قوله تعالى وان نكثوا ايمانهم ولم تكن منعقدة
لما صرح وصفها بالنكث وقوله تعالى (اعلمهم ينهون) متعلق بقاتلوا أي لا يـ كن غرضكم
في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم ان ينهوا عما هم عليه من الكفر والطعن في
دينكم والمظاهرة عليكم وهذا في غاية كرم الله تعالى وفضله على الانسان وليس الغرض ابطال
الاذية لهم كما هو طريقة الموحدين ولما قال تعالى فقاتلوا أئمة الكفر اتبعه بثلاثة أسباب
تتمشككم على مقاتلتهم كل واحد منها يوجب مقاتلتهم لو انقرد فكيف بمحال الاجتماع أحدها
ما ذكره تعالى بقوله (الاتقاتلون قوما نكثوا ايمانهم) أي نقضوا عهودهم وهم الذين نقضوا

عقد الصلح بالحديبية واعانوا بنى بكرة على خراعة وهـ ذابدل على أن قتال الناكثين أولى من قتال غيرهم من الكفار ليكون ذلك زجرا لغيرهم ونائبها قوله تعالى (وهو ما يخرج الرسول) من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة على ما ذكر في قوله تعالى واذ يكررك الذين كفروا وقبل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهو ما يخرجهم من المدينة وهذا من أوكد ما يجب القتال لأجله وثالثها قوله تعالى (وهم بدوكم) أي بالقتال (أول مرة) أي هم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم بالكتاب المنير وتحققوا بهم به فعدلوا عن المعارضة لهجزم عنها إلى القتال فهم البادون بالقتال والبادي أظلم فإيضا عنكم من أن تقتالوهم بمثلهم وان تصدموهم بالشر كما صدموكم وجنهم الله تعالى بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الخس عليه وتقرر ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بأن لا تترك مصادمته وأن يوجب من فترط فيها (أتخشونهم) أي أتخافونهم أيها المؤمنون فتتركون قتالهم (فأله أحق أن تخشوه) فقاتلوا أعداءه (ان كنتم مؤمنين) أي مصدقين بوعده الله تعالى ووعيده لأن قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بنسوة كقوله تعالى ولا يخشون أحدا الا الله ولما وجههم الله تعالى على ترك القتال جدد له الامر به بقوله تعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) أي بالقتل والاسر واغتنام الاموال (فان قيل) قد قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم فكيف قال تعالى هنا يعذبهم الله بأيديكم (أجيب) بأن المراد بالعذاب في الآية الاولى عذاب الاستئصال وبه هذه الآية القتل والاسر والفرقات عذاب الاستئصال قديمة تنى إلى غير المذنب وانه في حق ملز يد الثواب وعذاب القتل مقصور على المذنب وهذا كالتصريح بأن هذا الفعل وما عطف عليه فعلة تعالى وان كان جاريا على أيدي العباد كسب الايراد على ذلك أنه لا يقال يعذب الله المؤمنين بأيدي الكافرين لأن ذلك انما امتنع لشناعة العبارة كما لا يقال يا خالق القاذورات والابوال والعذرات وان كان هو الخالق لها (ويخزهم) أي بالذل والفضيحة في الدنيا والعذاب في الآخرة (وينصركم عليهم) أي يكثركم من قتلهم واذلالهم (ويثف صدور قوم مؤمنين) أي طائفة من المؤمنين وهم خراعة وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم بطون من الين وسباقدموا مكة فاسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال أبشروا فان الفرج قريب (ويذهب غيظ قلوبهم) أي كربها وجدها وقد وفي الله تعالى بما وعد والآية من المعجزات وقوله تعالى (ويتوب الله على من يشاء) استئناف أي ان الله تعالى يهدي من يشاء إلى الاسلام كما فعل بأبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو فهؤلاء كانوا من أئمة الكفر ورؤساء المشركين ثم من الله تعالى عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فاسلموا وحسن اسلامهم (والله اعلم) أي يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان فهو علم بكل شئ فيعلم من يصلح للتوبة ومن لا يصلح لها أو يعلم ما في قلوبكم من الاقدام والابحام (حكيمة) أي أحكم جميع أموره (أم حسبتم) أي أظنتم (ان تتركوا) فلا تؤمروا بالجهاد ولا تقنؤا ليظهر الصادق من

الكاذب والخطاب للمؤمنين حين ذكره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وأم بمعنى
 همزة الانكار (ولما يعلم الله الذين ياهدوا منكم) أى على ظاهره تقوم به الحجة عليكم في مجازى
 عاداتكم على مقتضى عقولكم بأن يقع الجهاد في الواقع بالفعل وعبر تعالى بـ لما دون لم دلالتها
 مع استغراق الزمان على أن تبين ما بعدها متوقع كأن رقبته تعالى (ولم يتخذوا من دون الله
 ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) عطف على ياهدوا داخل في حيز الصلة كأنه قيل ولما يعلم الله
 المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولىح كالخيلة
 من دخل وهى البطانة من المشركين يتخذونهم يفشون اليهم أسرارهم وقال قتادة هى الخيانة
 وقال عطاء بن الأولياء (والله خير بما تعملون) من موالاة المشركين وغيرها فيجازيكم عليه
 قال ابن عباس رضى الله عنهم لما أسر العباس يوم بدر عبيد المسلمون بالكفر وقطعة الرحم
 وأغلظ على رضى الله عنه عليه القول فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون
 محاسنا فقال له على وهل لكم محاسن قال نعم نحن أفضل منكم أنا لنعمر المسجد الحرام
ونحجب الكعبة ونسقى الحجيج وننقل العاني يعنى الأسير فأمر الله تعالى ردا على العباس (ما كان
 للمشركين أن يعمروا مساجد الله) أى ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مسجدا لله بدخوله
 والقعود فيه وخدمته فإذا دخل بغير إذن مسلم عزروا أن دخل بأذنه لم يعزروا لكن لابد من حاجة
 فيشترط للجواز الإذن والحاجة ويدل على جواز دخول الكافر المسجد بالأذن أن النبي صلى
 الله عليه وسلم شد غمامة بن أثال إلى سارية من سواري المسجد وهو كافر وذهب جماعة إلى أن
 المراد منه العمارة المعروفة من بناء المسجد وترميمه عند خرابه فيمنع منه الكافر وقرأ ابن كثير
 وأبو عمرو بسكون السين ولا ألف بعدها على التوحيد وفي هذا دلالة على أن المراد المسجد
 الحرام والباقيون بفتح السين وألف بعدها على الجمع وفيه دلالة على أن المراد جميع المساجد
 وقيل المراد على القراءة بين المسجد الحرام وانما جمع لأنه قبله المساجد وأما ما فيها كراهة
 الجميع وقوله تعالى (شاهدني على أنفسهم بالكفر) حال من الواو في يعمروا أى ما استقام
 لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى
 شهادتهم على أنفسهم بالكفر ظهور كفرهم قال الحسن لم يقولوا نحن كفار ولكن
 كلامهم بالكفر شاهد عليهم وعن ابن عباس رضى الله عنهم ما شاهدتهم على أنفسهم
 بالكفر سجودهم للأصنام وذلك أن كفار قريش كانوا نصبوا أصنامهم حول البيت وكانوا
 يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف بنباب قد عملناها المعاصي وكلما طافوا أسبوعا
 سجدوا للأصنام فلم يزدادوا من الله إلا بعدا وقيل هو قولهم ليس لك لا شريك لك لا شريك
 هو لك تملكه وما ملك وقال السدي شاهدتهم على أنفسهم بالكفر هو أن النصراني يستل من
 أنت فيقول نصراني واليهودي يقول يهودي والمشركي يقول مشرك (أولئك حبطت) أى
 بطلت (أعمالهم) أى الأعمال التي عملوها من أعمال البر واقتضوا بها مثل العمارة والحجابة
 والسقاية فلك العنة مع الكفر لا تأثيرها (وفي النار هم خالدون) يعلمهم الكفر مكان الإيمان

واخرج أصحابنا بهذه الآية على أن مرتكب الكبيرة من أهل الإيمان لا يبقى مخلداً في النار
من وجهين الأول قوله تعالى وفي النار هم خالدون يقيد الحصر أي هم فيها خالدون لا غيرهم وبما
كان هذا وارداً في حق الكفار ثبت أن الخلود لا يحصل إلا للكافر الثاني أنه تعالى جعل الخلود
في النار جزاء للكفار عن كفرهم فلو كان هذا الحكم جزاء لغير الكافر لما صح تهديد الكافر به
وفي الكشف أن الكبيرة تهدم الأعمال وهو جار على مذهبه الفاسد وبما بين تعالى أن الكافر
ليس له أن يعمر مساجد الله بين المستحق لعمارتها بقوله تعالى (انما يعمر مساجد الله من آمن
بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش) أحداً (إلا الله) أي انما تتم عمارتها
لهؤلاء الجامعين بين الكمالات العملية والعلمية (فان قيل) لم لم يذكر الإيمان برسوله صلى الله
عليه وسلم مع أن الإيمان به شرط في صحة الإيمان (أجيب) بأنه تعالى لما ذكر الصلاة والصلاة لا تتم
إلا بالشهد وهو مشغل على ذكره كان ذلك كافياً وعماعلم من أن الإيمان بالله تعالى قريبه وعمامه
الإيمان به فكان الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم مذكوراً بطريق أبلغ وهو طريق الكفاية
لما تم من مقارنتهما وعدم انفكاك أحدهما عن الآخر وقيل إن المشركون كانوا يقولون إن
محمد إذا ادعى رسالة الله طلبا للرياسة والملك فلذلك تزلزله النبوة فإنه يقول مطلوب
من تبليغ الرسالة ليس إلا الإيمان بالمبدأ والمعاد فذكر المقصود الأصلي وحذف ذكر النبوة
تنبيهاً للكفار على أنه لا مطلوب له من الرياسة (فان قيل) كيف قال تعالى ولم يخش إلا الله
والمؤمن يخاف الظلمة والمفسدين (أجيب) بأن المراد من هذه الخشية الخوف والتقوى في
أبواب الدين وإن لا يختار على رضا الله تعالى عنه رضا غيره لتوقع مخوف وإذا عترضه أمران
أحدهما حق الله تعالى والآخر حق نفسه أن يخاف الله تعالى فيؤثر حق الله تعالى على حق
نفسه وقيل كانوا يخشون الأصنام ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم ومن عمارة المساجد
ترميمها ورفرشها وتنويرها بالسراج التي لا سرف فيها وإدامة العبادة فيها والذكر ومن الذكر
درس العلم فيها بل هو أجل وأعظمه وصيانتها بمحرمات المساجد لأجل حديث الديار روى أنه
صلى الله عليه وسلم قال يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأفون المساجد فيفقهعدون حلتها ذكروهم
الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل
الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وفي الكشف أنه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى
إن بيوتى في أرضي المساجد وإن زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارنى في بيتى
لفق على المزور أن يكرم زائره قال شيخنا ابن حجر لم أجده هكذا وفي الطبراني عن سلمان رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم إن توضع في بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر
الله وحق على المزور أن يكرم زائره وروى عنه صلى الله عليه وسلم لم من ألف المسجد ألقه الله
تعالى وقال صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان وعن أنس
رضي الله عنه من أخرج في مسجد سراجاً لم تزل الملائكة وجلة العرش تستغفر له ما دام في ذلك
المسجد ضوؤه وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال من غدا إلى المسجد وراح أعد الله تعالى له نزلاً

من الجنة كلما غدا وراح وفي قوله تعالى (فمسي أولئك) أي الموصوفون بهذه الصفات (أن يكونوا من المهتدين) تبعيد للمشركين عن موافق الاهتداء وحسم اطماعهم والارتفاع بأعمالهم التي قداسة عظموها واقتخروا بها وأملوا عاقبتها فإنه تعالى بين أن الذين آمنوا وضموا إلى إيمانهم العمل بالشرائع وضموا إليه الخشعية من الله تعالى فهو لا صار حصول الاهتداء لهم دائريين اهل وعسى فبال هو لاء المشركين يقطعون بأنهم مهتدون وبجزءون بفوزهم بخير من عند الله ومنع للمؤمنين من أن يغتروا بأحوالهم ويتكلموا عليها وذكر المفسرون في سبب نزول قوله تعالى (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله) أقوالا فمن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل لأبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أسقى الحاج وقال آخر ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فنزلت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال العباس حين أسري يوم بدر لئن كنتم سبقتونا بالاسلام وبالهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج فنزلت وقبل أن المشركين قالوا لليهود نحن هلينا سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقالت لهم اليهود أنتم أفضل فنزلت وقيل إن عليا قال للعباس رضي الله عنه ما ياعم ألا تهاجرون الاتهقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألسنت في أفضل من الهجرة أسقى حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فالانزات قال العباس ما أرا في الاتاركة قايتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقيموا على سقايةكم فان لكم فيها خيرا وكان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم بيده سقاية الحاج وكان يليها في الجاهلية فلما جاء الاسلام وأسلم العباس أمره صلى الله عليه وسلم على ذلك وروى انه صلى الله عليه وسلم جاء السقاية فاستسقى فقال العباس رضي الله عنه لابنه الفضل يا فضل اذهب الى أمك فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرب من عندها فقال له صلى الله عليه وسلم اسقني قال يا رسول الله يجع لون أيديهم فيه قال اسقني فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يسقون ويحملون فيها فقال اعملوا فانكم على عمل صالح وعن أبي بن عبد الله المزني رضي الله عنه قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فأتناه امرأتي فقال مالي أرى بني عمكم يسقون العسل واللبن وأنتم تسقون النبيذ أمن حاجة بكم أم من مجل فقال ابن عباس رضي الله عنهما الحمد لله ما بنا من حاجة ولا مجل انما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي راحلته وخلفه اسامة فاستسقى فأتيناه ما بنا من نبيذ فشربه وسقى فضله اسامة وقال أحسنتم وأجملتم كذا فاصبنا من عود فلا تريد تغيير ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبيذ يقر ينقع في الماء غدوة وهو حلال فان غلا وخمر حرم (تنبيه) السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية فلا بد من مضاف محذوف تقديره اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله (لا يستويون عند الله) أي لا يستوي حال هؤلاء الذين آمنوا بالله

وجاهدوا في سبيل الله بحال من سقى الحجاج وعمر المسجد الحرام وهو مقيم على كفره لأن الله تعالى لا يقبل عملاً إلا مع إيمان به وبين عدم تساويهم بقوله تعالى (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم منهم كون في الضلال فكيف يباورون الذين عاهدهم الله تعالى ووفقههم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسقون بينهم وبين المؤمنين (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله) أي أعلى مرتبة وأكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات والمراد من كون العبد عند الله بالاستغراق في عبوديته وطاعته وليس المراد منه قطع العندية بحسب الجهة والمكان لأن الأرواح البشرية إذا تطهرت من دنس الاوصاف البدنية أشرقت بأنوار الجلال وتجلت فيها أضواء عالم الكمال وسرت من العبودية إلى العندية وقيل أعظم درجة عند الله من افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام (فان قيل) على هذا كيف قال في وصفهم أعظم درجة مع أنه ليس للكافر درجة (أجيب) بأن هذا ورد على حسب ما كانوا يقدرون لأنفسهم من الدرجة والفضيلة عند الله ونظيره قوله تعالى قل آتته خيراً مما يشركون وقوله تعالى أذلك خير من لا أم ثمرة الرقوم (وأولئك) من هذه صفتهم (هم الفائزون) أي بسعادة الدنيا والآخرة (يشترهم) أي يخبرهم (ربهم) والبخارة الخبر السار الذي يفرح الإنسان عند سماعه وتستبشر بشرة وجهه عند سماع ذلك الخبر السار ثم ذكر سبحانه وتعالى الذي يشترهم به بقوله تعالى (برحمة منه ورضوان) فهذا أعظم البشارات لأن الرحمة والرضوان من الله تعالى سبحانه وتعالى على العبد نهاية مقصوده (وجنات) أي بساتين كثيرة الأشجار والثمار (لهم فيها) أي الجنات (نعيم) أي جزاء خالص عن كدر مما (مقيم) أي غير منقطع وقوله تعالى (خالدين فيها) حال مقدرة وحقق الخلود بقوله تعالى (أبداً) ولما ذكر تعالى هذه الأحوال قال (إن الله عنده أجر عظيم) وناهيك بما يصفه الله بالعظم وخص هؤلاء المؤمنين به هذا الثواب المعبر عن دوامه به هذه العبارات الثلاث المقرونة بالعظم والاسم الأعظم فكان أعظم الثواب لأن إيمانهم أعظم الإيمان وذكروا المفسرون في سبب نزول قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء) أقوالاً فقال مجاهد هذه الآية متصلة بما قبلها نزلت في العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة فنهض من تعلق به أهله وولده يقولون نشدك الله أن لا تضع عنا فيرق لهم فيقيم عندهم ويدع الهجرة فنزلت فهاجر وأجعل الرجل ياتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقربائه فلا يلتفت إليه ولا ينزله ولا ينفق عليه حتى رخص لهم بعد ذلك قال مقاتل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بجمعة أي لا تتخذوهم أولياء يمنعوكم عن الإيمان ويصدوكم عن الطاعة لقوله تعالى (ان استحبوا) أي اختاروا (الكفر على الإيمان) أي أقاموا عليه تركوا الإيمان بالله ورسوله (ومن يتولهم منكم) أي ومن يختار المقام معهم على الهجرة والجهاد (فاولئك هم الظالمون) أي فقد ظلم نفسه بخالفه أمر الله تعالى واختيار الكفار على

المؤمنين • ولما نزلت هذه الآية قال الذين أسلموا ولم يهاجروا ان نحن هاجرنا ضاعت أموالنا
 وذهبت تجارتنا ونوبت دورنا وقطعنا أرحامنا فنزل قوله تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء الذين قالوا
 هذه المقالة (ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأقرباكم وعشيرتكم) أي أقرباؤكم مأخوذ
 من العشرة وقيل من العشرة فان العشرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة (وأموال
 فترة عيولها) أي اكتسبوها (وتجارة فخصون كسادها) أي عدم نفاقها بفراقكم لها
 (ومساكن ترضونها) أي نسي وطنونها راضين بسكانها (أحب اليكم من الله ورسوله) أي
 الهجرة الى الله ورسوله (وجهاد في سبيله) فقعدتم لاجل ذلك عن الهجرة والجهاد أي
 ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة
 في سبيل الله (فترسوا) أي انتظروا متربين وهو تهديد بليغ (حتى يأتي الله بأمره) قال
 مجاهد بفضائه أي عقوبة عاجله أو آجله وقال مقاتل بفتح مكة (والله لا يهدي القوم) أي
 لا يخلق الهداية في قلوب (الفاسقين) أي الخارجين عن طاعته وفي هذا دليل على انه اذا وقع
 تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا
 (لقد نصركم الله) النصر المعونة على الاعداء باظهار المسلمين عليهم (في مواطن) أي
 أما كن للحرب (كثيرة) كبدرو وقريظة والنضير والمراد بذلك غزواته صلى الله عليه وسلم
 وسراياه وبعوثه وكانت غزواته صلى الله عليه وسلم على ما ذكر في الصحاح من حديث زيد
 ابن أرقم تسع عشرة غزوة زاد بريدة في حديثه قاتل في ثمان منها وأما جميع غزواته وسراياه
 وبعوثه فقبل سبعون وقبل غنائون (ويوم) أي واذا كريوم (حنين) وهو وادي بين مكة والطائف
 أي يوم قتالكم فيه هو اذن وقوله تعالى (اذا عجبتكم كثيرتمكم) بدل من يوم حنين وكانت
 سنة حنين على ما نقله الرواة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وقد بقي من شهر رمضان
 أيام وخرج متوجها الى حنين لقتال هوازن وثقيف واختلفوا في عدد عسكر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا ستة عشر ألفا وقال الكلبي كانوا
 عشرة آلاف وقال قتادة كانوا اثني عشر ألفا عشرة آلاف الذين حضر وافتح مكة وألفان
 انضموا اليهم من الطلقاء وهم الاسراء الذين أخذوا يوم فتح مكة وأطلقوا وبالجملة كانوا
 عددا كثيرا وكان هوازن وثقيف أربعة آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن تغلب اليوم
 من قلة انجما بأكفرتهم فسأه رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلا الى كلمة الرجل وقبل
 قائمها أبو بكر رضي الله عنه وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا القول بعد جد الانه
 صلى الله عليه وسلم كان في أحواله كاهما متوكلا على الله تعالى منقطع القلب عن الدنيا وأسبابها
 ثم اقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وتخلوا عن الذراري ثم نادوا يا حجة السوداء اذكروا
 لقضائل فتراجعوا وانكشف المسلمون حتى بلغ منهمزمهم مكة وبقي رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في مكة ليس معه الا عمه العباس أخذ ابليهم بقلته وابن عمه أبو سفيان بن الحارث
 وزاهيك بهذا شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم على تنهيه شجاعته قال البراء بن عازب كانت

هو اذن رماة فلما احلنا عليهم ان تكشفوا وكينا على الغنائم واستقبلونا بالسهم فانكشف
المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق معه الا العباس وابوسفیان قال البراء والذي
لا اله الا هو ما ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم دبره قط قد رأيتهم وابوسفیان اخذ بالركاب
والعباس اخذ بلجام الدابة وهو يقول انا النبي لا كذب * انا ابن عبد المطلب فطوق
بركض بغلته فهو الكفار لا يولي ثم قال للعباس وكان صيتا صم يا عباس فتأدى يا عباد الله
يا أصحاب الشجرة وهم أصحاب بيعة الرضوان المذكورون في قوله تعالى لقد رضي الله عن
المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة يا أصحاب سورة البقرة قال الطيبي وهم المذكورون في قوله
تعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون وقيل الذين أنزلت عليهم سورة البقرة فرجعوا
بجماعة واحدة يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه الصلاة
والسلام هذا حين حى الوطيس أى اشتد الحرب ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفامن
تراب فرماهم ثم قال انهم زموا ورب المكة فانهم زموا وروى أنه صلى الله عليه وسلم نزل
عن البغلة ثم أخذ قبضة من تراب الارض ثم استقبل بها وجوههم ثم قال شأهت الوجوه قال
سلمة بن الاكوع فما خلق الله تعالى منهم انسانا الا ملائكة تراب تلك القبضة فولوا
مدبرين فهزمهم الله تعالى (فلم تغن) أى الكثرة (عنكم شيئا) وضافت عليكم الارض بما
رجعت أى برحبها أى بسعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه فتوقدكم من شدة الرب
ولا تثبتون فيها كما لا يسعه مكانه (ثم وليتم مدبرين) أى الكفار ظهروا لكم مدبرين أى
منهم زمين والادبار الذهاب الى خلف خلافا لاقبال (ثم أنزل الله سكينته) أى رحمته التي
سكنوا اليها وأمنوا (على رسوله وعلى المؤمنين) أى على الذين انهم زموا فرددوا الى النبي صلى
الله عليه وسلم لما ناداهم العباس باذنه صلى الله عليه وسلم وقيل هم الذين بقوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين وقع الحرب (وأنزل جنودا) أى ملائكة (لم تروها) بأعينكم قال سعيد
ابن جبير مد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة آلاف من الملائكة مستومين وقيل ثمانية آلاف
وقيل ستة عشر ألفا وروى ابن جرير عن النضر قال للمؤمنين بعد القتال أين الخيل الباق
والرجال الذين عليهم ثياب بيض ما كانوا كم فيهم الا كهيئة الشامة وما قد لنا الا بأيدىهم فاخبروا
بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال ذلك الملائكة (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسروسي
العيال وسلب المال (وذلك جزاء الكافرين) أى ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا وروى أنه صلى
الله عليه وسلم لما قسم ما أقام الله عليه يوم حنين في الناس وفي الموافقة قلوبهم لم يعط الانصار شيئا
فكأنهم وجدوا اذ لم يصيبهم ما أصاب الناس فخطبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر
الانصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالة فأنصركم
الله نى كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله آمن قال ما يمنعكم أن تعجبوا وارسول الله لو شئتم قلتم جئتنا
كذا وكذا أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي الى رسالكم لولا الهجرة
لكنت امرا من الانصار لو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادى الانصار وشعبهم الانصار

شعار والناس دنا وانكم ستملقون بعدى أثره فاصبر واحق تلقوني على الحوض وعن رافع بن خديج أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس كل انسان منهم مائة من الابل واعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال العباس بن مرداس

أتجعل نبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع
فما كان حصن ولا حابس • يفوقان مرداس في جمع
وما كنت دون امرئ منهما • ومن يحقق اليوم لا يرفع

قال فأتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم له مائة (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) منهم بالتوفيق للاسلام (والله ففور رحيم) فتيجاروز عنهم ويتفضل عليهم روى ان ناسا منهم جاؤا فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد سبى أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا قبل سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الابل ما لا يحصى فقال ان عندى ما ترون ان خير القول أحدقه اختاروا اما ذرايركم ونساءكم واما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالا حساب شيئا والحسب ما يعده الانسان من مفاخر آبائه كدوا بذلك من اختيار الذراير والنساء على استرجاع الاموال لان تركهم في ذل الاسر يفضي الى الطعن في احسابهم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراير والاموال فلم يعدلوا بالا حساب شيئا فمن كان يده شئ وطابت نفسه ان يرد فشاؤه أى فليلزم شأنه وأمره ومن لا تطب نفسه ليعطنا وليكن قرضا علينا أى بمنزلة القرض حتى نصيب شئاً فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال انى لأدري لعل فيكم من لا يرضى فروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك اليما فرفعت اليه العرفاء ان قدرضوا (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) أى ذوو نجس لأن معهم الشرك الذى هو بمنزلة النجس وأنهم لا يطهرون ولا يغتسلون ولا يتجنبون النجاسات فهى ملايسة لهم أوجعلوا كلهم النجاسات بعينها مباغلة في وصفهم بها وعن ابن عباس رضى الله عنهما اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن رحمه الله تعالى من صافح مشركا قوضأ وأهل المذاهب على خلاف هذين القولين والنجس مصدر يستوى فيه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع (فلا يقر بوا المسجد الحرام) أى لنجاستهم وانما نهي عن الاقتراب للمباغلة والمنع من دخول الحرم قال العلماء ووجهه بلاد الاسلام في حق الكفار على ثلاثة أقسام أحدها الحرم فلا يجوز للكافر أن يدخل المسجد بحال ذميا كان أو مستأمنا لظاهر هذه الآية واذا جاء رسول من دار الكفر الى الامام والامام في الحرم لا يؤذن له في دخول الحرم بل يخرج اليه الامام أو يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم ويجوز أبو حنيفة وأهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم القسم الثاني من بلاد الاسلام المجاز فيجوز للكافر دخوله بالاذن ولا يقيم فيه أكثر من ثلاثة أيام لما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى

لادع الاسلام فاجلاهم عمر في خلافته وأجل لمن قدم منهم تاجرا ثلاثا وجزيرة العرب من
 أقصى عدن أبين إلى ريف العراق في الطول وأما في العرض فمن جدة وما والاها من ساحل
 البحر إلى أطراف الشام والقسم الثالث سائر بلاد الاسلام يجوز للكافر أن يقسم فيها بذقة
 أو أمان لكن لا يدخل المساجد الا باذن مسلم لحاجة وقوله تعالى (بعد عامهم هذا) إشارة إلى
 العام الذي حج فيه أبو بكر رضي الله تعالى عنه وفادى على رضي الله عنه براءة وهو سنة تسع من
 الهجرة وقبل سنة حجة الوداع ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا أن يقرأ على مشرك
 مكة أو يقرأ براءة وينبذ إليهم عهدهم وإن الله يرى من المشركين ورسوله قال أناس يا أهل مكة
 ستعلمون ما تلقون من الشدة لا تقطع السبل وفقد الحوليات وذلك أن أهل مكة كانت معاشهم
 من التجارات وكان المشركون يأبون مكة بالطعام ويتجرون فلما امتنعه وأمن دخول الحرم
 خافوا الفقر وضيق العيش فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى (وإن
 خففتم عيلة) أي فقر أو حاجة بانقطاع تجارتهم عنكم (فدوف يغنيكم الله من فضله)
 أي من عطائه وتفضله من وجه آخر وقد أنجز الله تعالى وعده بأن أرسل المطر عليهم مدرارا
 فكثرت خيرهم وأسلم أهل جدة وصنعاء وتبالة وجرش وجلبوا الميرة الكثيرة إلى مكة
 فكفاهم الله تعالى ما كانوا يخافون وتبالة بفتح التاء وجرش بضم الجيم وفتح الراء وشين محجمة
 قريتان من قرى اليمن وقيد ذلك بقوله تعالى (إن شاء) لئلا يقطع إلا ما مال إليه تعالى ولينبه على
 أنه متفضل في ذلك وإن الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام (إن الله) أي
 الذي له الاحاطة الكاملة (عليم) أي بوجوه المصالح (حكيم) أي فيما يعطي ويمنع وعن ابن
 عباس رضي الله تعالى عنهما ألقى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من أين تأكلون فأمرهم
 الله تعالى بقتال أهل الكتاب كما قال تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر)
 (فإن قيل) اليهود والنصارى يزعمون أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر فكيف أخبر الله تعالى
 عنهم بذلك (أجيب) بأن من اعتقد أن العزيز ابن الله وأن المسيح ابن الله فليس يؤمن بل هو
 مشرك وبأن من كذب رسولا من الرسل فليس يؤمن واليهود والنصارى يكذبون أكثر الأنبياء
 (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) من اشركوا وكل أموال الناس بالباطل وتبديل التوراة
 والانجيل وغير ذلك (ولا يدينون دين الحق) أي الثابت الذي هو ناسخ لسائر الأديان وهو
 الاسلام كما قال تعالى إن الدين عند الله الاسلام (من الذين أتوا الكتاب) أي اليهود والنصارى
 بيان للذين لا يؤمنون (حتى يعطوا الجزية) وهي الخراج المضروب على رقابهم في تطهير سكاهم
 في بلاد الاسلام آمين مأخوذ من المجازاة الكفنا عنهم وقيل من الجزاء بمعنى القضاء قال الله
 تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا أي لا تنقضي وقوله تعالى (عن يد) حال من الضمير
 أي منقادين مقهورين يقال لكل من أعطى شيئا كرهه من غير طيب نفس أعطى عن يد وقال
 ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما يعطونهم بأيديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم وهل يجوز أن
 يوكوا مسلما في دفعها أولا ينبغي على تفسير الصغار المذكور في قوله تعالى (وهم صاغرون)

أى أذلا منقادون لحكم الامم ويكتفى في الصفا ران يحجى عليهم الحكم بما لا يعتقدون
 حله أن يجوز التوكيل على هذا تفسيره ان يجلس الاخذ ويقوم الكافرو يطأطن رأسه ويحني
 ظهره ويضع الجزية في الميزان ويقبض الاخذ لحية ويضرب لهزمته وهم بالجمع اللحم بين
 الماضخ والاذن من الجانبين مردود بأن هذه الهيئة باطلة ودعوى سفيتها ووجوبها أشد بطلانا
 ولم ينقل ان النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحدا من الخلفاء الراشدين فعل شيئا من ذلك وعلى
 تفسيرها بما ذكره مجمع التوكيل اذا قيل بوجوبه لا باستحبابه (تنبيه) مفهوم الآية يقتضى
 تخصيص الجزية بأهل الكتاب ولكن ألحق بهم الجوس لانه صلى الله عليه وسلم أخذها من
 مجوس هجر وقال سنوابهم سنة أهل الكتاب وكذا من زعم التمسك بعصف ابراهيم وزبور داود
 صلى الله عليهم ما وسلم ومن أحد أبويه كتابي والاخر وثي وأولاد من تهود أو تنصر قبل النسخ
 أو شبه ككافي وقت اليهود والنصارى كان قبل النسخ أم بعده فلا تعقد لأولاد من تهود أو تنصر
 بعد النسخ في ذلك الدين ولا لعبد الاوثان والشمس والملائكة والسامرة والصابثون
 ان خالفوا اليهود والنصارى في أصول دينهم فليس وامنهم والاختم وعن مالك تؤخذ الجزية
 من كل كافر الا المرتد وعن أبي حنيفة الا مشركي العرب وأقل الجزية دينار لكل سنة عن كل
 واحد لقوله صلى الله عليه وسلم لعاذ بن جبل لما بعثه الى اليمن خذ من كل عالم أى محتل وديارا
 معه ابن حبان والحاكم وتؤخذ من زمن وشيخ هرم وأعمى وراهب وأجير وفقير عجز عن كسب
 فاذا تمت سنة وهو مسرف في ذمته حتى يوسر وقال أبو حنيفة على الفقى ثمانية وأربعون درهما
 وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على فقير غير كسوب ولا بد أن يكون
 المأخوذ منه - راذرا غير صبي ومجنون وتلحق افاقة مجنون كثرت فان قل زمن الجنون
 كساعة من شهر فلا أثر لها ولو بلغ ابن ذى ولده ط جزية ألحق بأمته وان أعطاه اعدله وقيل
 عليه جزية أبيه ولا يحتاج الى عقده اكتفاء بعقد أبيه ومن مات عن عقد له الجزية أو أسلم أو
 جن أو هجر عليه بفلس أو سقه بعد سنة بجزية كدين آدمى أو فى أثناءها فقسط وقسط بالاسلام
 والموت عند أبي حنيفة (وقالت اليهود عزير ابن الله) اختلفوا فى قائل هذه المقالة على أقوال
 أحدها قال عبيد بن عمير انما قال هذا القول رجل واحد من اليهود اسمه فخصاص بن عازوراه
 وهو الذى قال ان الله فقير ونحن أغنياء وثانيها قال ابن عباس فى رواية سعيد بن جبيرة وعكرمة
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود سلام بن مشكم وذهمان بن أوفى وشاس
 ابن قيس ومالك بن الصبيخ فسألوا كيف تتبع دينك وقد تركت قبلتنا وأنت لاتزعم
 ان عزير ابن الله فانزل الله تعالى هذه الآية وعلى هذين القولين القائل انما هو بعض
 اليهود الا أن الله تعالى نسب ذلك الى اليهودية على عادة العرب فى ايقاع اسم الجماعة على اسم
 الواحد يقال فلان ركب الخيول وامله لم يركب الا واحدا منها وفلان يجالس السلاطين وامله لم
 يجالس الا واحدا وثالثها أن هذا المذهب لعله كان ثباتا فيهم ثم انقطع فحكى الله تعالى ذلك عنهم
 ولا عبرة بانكار اليهود لذلك فان الآية تليق عليهم فما أنكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على

التكذيب واختلف في السبب الذي قالوا ذلك لاجله فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
ان اليهود أضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فأنساهم الله تعالى التوراة ونسخها من صدورهم
فتضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه أن يرده اليه الذي نسخ من صدورهم فيمنها هو يصلي مبتلأ
الى الله تعالى نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت اليه التوراة فأذن في قومه وقال يا قوم
قد آتاني الله تعالى التوراة وردّها الى فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شاء الله تعالى ثم ان التابوت
أنزل بعد مدتها به عنهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما ~~كان~~ كان فيه على الذي كان يعلمهم عزير
فوجدوه مثله فقالوا ما أوتي عزير هذا الا أنه ابن الله وقيل لما رفع الله تعالى عنهم التوراة خرج
عزير وهو غلام يسبح في الارض فأتاه جبريل عليه السلام فقال له الى أين تذهب قال أطلب
العلم حفظه التوراة وأملاها عليهم عن ظهر قلبه لا يخترع منها حرفاً فقالوا ما جمع الله التوراة
في قلبه وهو غلام الا أنه ابنه وقال الكلبي ان يجتصر لما ظهر على بني اسرائيل وقتل من قرأ
التوراة وكان عزير اذ ذاك صغيراً فاستغفره فلم يقتله فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت
المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة فبعث الله تعالى عزير ليجتدلهم التوراة ويكون لهم آية
بعد ما أماته الله تعالى مائة سنة وأرسل اليه ملكاً بانامه فيه ما فقه ثقات التوراة في صدره فلما
أتاهم وقال لهم أنا عزير كذبوهم وقالوا ان كنت كما تزعم قاتل علينا التوراة فكتبها لهم من صدره
ثم ان رجلاً منهم قال ان أبي حدثني ان التوراة جعلت في خاية ودفنت في كرم فانطلقوا
معه حتى أخرجوها فعارضوا بها ما كتبه عزير فلم يجدوه غادروا فقالوا ان الله تعالى لم يقذف
التوراة في قلب عزير الا أنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله وقرأ عاصم والكسائي
عزير بالتسوين والباقيون بغير تنوين قال الزجاج الوجه اثبات التسوين فقوله عزير مبتدأ وقوله
ابن خبره واذا كان كذلك فلا بد من التسوين في حال السعة لان عزير لا ينصرف سواء كان عربياً أم
عجمياً وسبب كونه منصرفاً امران أحدهما أنه اسم خفيف فينصرف وان كان أعجمياً كهود
ولوط والثاني أنه على صيغة التصغير وأن الاسماء الأعجمية لا تنصرف وأما الذين تركوا التسوين
فلهم فيه أوجه أحدها أنه أعجمي معرفة فوجب أن لا ينصرف وثانيها قال القراءون
التسوين ساكنة من عزير والباء من ابن الله ساكنة فحصل ههنا التقاء الساكنين فحذف التسوين
للتخفيف ورد هذا الوجه بأنه مخالف لما تقر من ان الوجه عند ملاقات التسوين للساكن
التصريك لا الحذف وثالثها ان الابن رصف والخبر محذوف والتقدير عزير بن الله معبودنا ردة
هذا أيضاً بأنه يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر لان من أخبر عن ذات موصوفة بصفة
بأمر من الامور وانكر منكر توجبه الانكار الى الخبر فكان المقصود بالانكار قولهم عزير ابن
الله معبودنا وحصل تسليم كونه ابن الله وهو معلوم أن ذلك كفر (وقالت النصارى المسيح) عيسى (ابن
الله) واختلف في السبب الذي قالوا ذلك لاجله فقبل انما قالوه استهالة لان يكون وليد بلا أب وقيل
ان النصارى كانوا على دين الاسلام احدى وعشرين سنة بعد ما رفع عيسى عليه الصلاة والسلام
يصالحون الى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع

يقال له بولص قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود ان الحق مع عيسى
 وقد كفرناوهم صبرنا الى النار ونحن مغبونون ان دخلوا الجنة ودخلنا النار فاني ساحقنا وأضلهم
 حتى يدخلوا النار وكان له فرس يقاتل عليه يقال له العقاب فمركبه وأظهر الندامة والتوبة
 ووضع التراب على رأسه وقال للنصارى نوديت من السماء ليس لك توبة الا أن تنصروا وقد تبت
 وأنبتكم فأدخلوه الكنيسة ونصروه ودخل بيتافيماء كث فيه سنة لا يخرج منه ليلا
 ولا نهار حتى تعلم الانجيل ثم خرج منه وقال انه نودي ان الله قبل توبتك فصدقوه وأحبوه وعلا
 شأنه فيهم ثم عد الى ثلاث رجال اسم واحد منهم نسطورا والاخر يعقوب والاخر مذكافهم
 نسطورا ان عيسى ومريم والاله ثلاث وعلم به يعقوب ان عيسى ليس با انسان ولا جسم ولكنه
 ابن الله وعلم ملكا ان عيسى هو الاله لم يزل ولا يزال فلما اشتهر ذلك فيهم دعا كل واحد منهم وقال له
 أنت خالستي قاعد الناس لما علمت وأمره أن يذهب الى ناحية من البلاد ثم قال لهم اني رأيت
 عيسى في المنام وقد رضى عني وقال لكل واحد منهم سأذبح نفسي تقربا الى عيسى ثم ذهب الى
 المذبح فذبح نفسه وتفرق أولئك الثلاثة فذهب واحد الى الروم وواحد الى بيت المقدس
 وواحد الى ناحية أخرى وأحكم كل واحد منهم مقاتله ودعا الناس اليها فتبعه على ذلك
 طوائف من الناس فتفرقوا واختلفوا ووقع القتال فهذا هو السبب في وقوع الكفر
 في طوائف النصارى هذا ما حكاه الواحدى رحمه الله تعالى قال الرازى عقب هذه الحكاية
 والاقرب عندي أن يقال ورد لفظ الابن في الانجيل على سبيل التشريف ثم ان القوم لاجل
 عداوة القوم بالغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة الحقيقية والجها ل قبلوا ذلك وفسا هذا المذهب
 الفاسد في اتباع عيسى عليه السلام والله سبحانه وتعالى اعلم بالحقيقة (ذلك قولهم بأفواههم) أى
 لا مستند لهم عليه (فان قيل) كل قول يقال بالقلم فامعنى بأفواههم لا يقولون بل لا يعضده
 برهان فاهو اللفظ فهو هوا به فارغ من معنى فحتمه كالاتفاط المهمة التي لا تدل على معان
 وذلك أن القول الدال على معنى لفظه مقول بالقلم ومعناه مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول
 بالقلم لا غيراً وبأن يراد بالقول المذهب كقوله هم قول الشافعى رحمه الله تعالى يريدون
 مذهبه وما يقول به كأنه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بأفواههم لا يقولون بل لا حجة معه ولا شبهة
 حتى تؤثر في القلوب وذلك أنهم اذا اعترفوا أنه لا صاحب له ولا ولد لم تكن لهم شبهة في انتفاء
 الولد قال أهل المعاني لم يذكروا الله تعالى قولاً مقروناً بأفواههم والاسن الا كان ذلك زوراً
 (يضاهون) قال ابن عباس يشابهون وقال مجاهد يواظنون وقال الحسن يوافقون (قول الذين
 كفروا من قبل) أى من قبلهم ولا يتم حذف مضاف تقديره يضاهى قولهم قول الذين كفروا
 ثم حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعاً والمضى في ان الذين كانوا
 في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهى قولهم قول قدمائهم فالكفر
 قديم فيهم غير مستحدث أو يضاهى قول المشركين الملائكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى
 أى يضاهى قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم أقدم منهم وقرأ أعاصم بكسر
 الهاء وبعد هاء مضمومة والباقون بضم الهاء ولا همز بعدها وقوله تعالى (فاتلهم الله) دعاء

عليهم بالهلاك فان من قاتله الله تعالى هلك أو تعجب من شناعة قولهم كما يقال لمن فعل فعلا لا يتعجب منه قاتله الله ما أعجب فعله وقيل لعنهم الله روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال كل شيء في القرآن مثله فهو امن (أني يؤفكون) أي كيف يصرفون عن الحق الى الباطل مع قيام الدليل بأن الله تعالى واحد أحد فجعلوا له ولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله تعالى لا يتعجب من شيء ولكن هذا الخطاب على عادة العرب في مخاطباتهم فالله تعالى عجب نبيه صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق واصرارهم على الباطل (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم) أي اتخذ اليهود أحبارهم أي علماءهم والخبر في الاصل العالم من أي طائفة كان واختص في العرف بعلماء اليهود من ولد هرون وكان أبو الهيثم يقول واحد الاحبار رجب بالفتح وينكر الكسر واتخذ النصارى رهبانهم أي عبادهم أصحاب الصوامع والراهب في الاصل من تمكنت الرهبة من قلبه فظهر آثارها على وجهه ولباسه واختص في العرف بعلماء النصارى أصحاب الصوامع (أربابا من دون الله) لانهم أطاعوه في تحريم ما أحل الله تعالى وفحليل ما حرم الله تعالى كما طاع الارباب في أوامرهم ونحوه تسمية أتباع الشيطان فيما يوسوس به عباده كما قال تعالى بل كانوا يعبدون الجن وقال ابراهيم الخليل عليه السلام يا أبت لا تعبد الشيطان وعن عدي بن حاتم أنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك فطرحته ثم انتهيت اليه وهو يقرأ سورة براءة فوصل الى هذه الآية فقلت اننا لنعبدهم فقال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه فقالوا قل بلى قال تلك عبادتهم قال عبد الله بن المبارك

وهل يدل الدين الا الملوك * وأحبار سوء ورهبانها

(فان قيل) انه تعالى كفرهم بسبب ان أطاعوا الاحبار والرهبان فالقاسق بطبع الشيطان فوجب الحكم بكفره على ما هو قول الخوارج (أجيب) بأن القاسق وان كان يقبل دعوى الشيطان الا أنه لا يعظمه بل يلعنه ويستخف به وأما هؤلاء فكانوا يقبلون قول الاحبار والرهبان ويعظمونهم وقد بالغ بعض الجهال في تعظيم شيخه بحيث عيّل طبعه الى القول بالحلول والاتحاد وذلك الشيخ اذا كان طالبا للدين بعيدا عن الآخرة بعيدا عن الدين قد يلقى اليهم ان الامر كما يقولون ويعتقدون وعن الفضيل رضي الله تعالى عنه ما أبالي أظعت مخلوقا في معصية الخالق أو صليت لغير القبلة (والمسيح بن مريم) أي اتخذوه كذلك لكونهم جعلوه ابنيا فأهلوه للعبادة بذلك مع كونه ابن مريم فهو لا يصلح للالهية بوجه لمشاركته لآدم في الحمل والولادة والاكل والشرب وغير ذلك من أحوال البشر الموجبة للحاجة المناهضة للالهية (وما أمرنا) أي في التوراة والانجيل (الا لعبادوا) أي ليطيعوا على وجه التعبد (الها واحدا) أي لا يقبل القسمة بوجه لا بالذات ولا بالمماثلة وهو الله تعالى وأما طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعة من أمر الله بطاعته فهي في الحقيقة طاعة الله تعالى وقوله تعالى (لا اله الا هو) صفة ثانية أو استئناف مقر للتوحيد (سبحانه عما يشركون) أي تعالى وتنزه عن أن يكون له

شريك في العبادة والاحكام وأن يكون له شريك في الالهية يستحق التعظيم والاحلال (يريدون)
 أي رؤساء اليهود والنصارى (أن يطفئوا نور الله) أي شرعه وبرايمه الدالة على وحدانيته
 وتقديسه عن الولد أو القرآن أو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (بافواههم) أي بأقوالهم
 الكاذبة وشركهم وفي تسمية دينه أو القرآن أو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم نورا وهما
 اطفاءه بافواههم تمثيل لحالهم في طلبهم أن يطلوا نور الله بالكذب بالشرك بحال من يريد أن
 ينفخ في نور عظيم مثبت في الآفاق يريد الله أن يزيده ويلفه الغاية القصوى في الاشراق
 والاضاءة لطفته بنفخه ويطمسه (ويأبى الله) أي لا يرضى (الأن يتم نوره) بأعلاء التوحيد
 واعزاز الاسلام (فان قيل) كيف جازأبى الله الكذا ولا يقال كرهت أو أبغضت الا زيدا
 (أجيب) بأنه أبى أي مجرى لم يجرى لم يرد ألا ترى كيف قيل يريدون أن يطفئوا بقوله ويأبى الله
 وكيف أوقع موقع ولا يريد الله إلا أن يتم نوره وقوله تعالى (ولو كره الكافرون) محذوف
 الجواب لدلالة ما قبله أي ولو كرهوا غلبته (هو الذي أرسل رسوله) محمدا صلى الله عليه وسلم
 (بالمهدي) أي القرآن الذي أنزل عليه وجعله هادي له (ودين الحق) أي دين الاسلام (ليظهره)
 أي ليعليه (على الدين كله) أي جميع الاديان المخالفة له وهذا كالبيان لقوله تعالى ويأبى الله
 إلا أن يتم نوره ولذلك كرر (ولو كره المشركون) غير أنه وضع المشركون موضع الكافرون
 للدلالة على أنهم ضمو الكفر بالرسول إلى الشرك بالله تعالى (فان قيل) الاسلام لم يضم غالب السائر
 الاديان في أرض الصين والهند والروم وسائر بلاد الكفر (أجيب) عن ذلك بأوجه الاول بأنه
 لا دين بخلاف الاسلام الا وقد قهرهم المسلمون وظهروا عليهم في بعض المواضع وان لم يكن ذلك
 في جميع مواضعهم فقهروا اليهود وأخرجوهم من بلاد العرب وغلبوا النصارى على بلاد
 الشام وما والاها إلى ناحية الروم والمغرب وغلبوا المجوس على ملكهم وغلبوا عباد الاصنام
 على كثير من بلادهم مما يلي الهند وترك وكذا سائر الاديان فثبت ان الذي أخبر الله تعالى عنه
 في هذه الآية قد وقع وحصل فكان ذلك اخبارا عن الغيب فكان مجهزا الوجه الثاني ما روى
 عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال هذا وعد من الله تعالى يجعل الاسلام غالباً على
 جميع الاديان وتتمام هذا انما يحصل عند خروج عيسى عليه السلام فانه لا يبقى أهل دين
 الا دخلوا في الاسلام وقال السدي ذلك عند خروج المهدي لا يبقى أحد الا دخل في الاسلام
 أو أدى الخراج الوجه الثالث أن المراد اظهاره في جزيرة العرب وقد حصل ذلك فانه تعالى
 ما أتى فيها أحد من الكفار وقال ابن عباس الهاء في يظهره إلى الرسول صلى الله عليه وسلم
 والمعنى ليعلمه شرائع الدين كلها ويظهره عليها حتى لا يخفى عليه شيء منها (يا أيها الذين آمنوا ان
 كثير من الاحبار) أي علماء اليهود (والرهبان) أي عباد النصارى (أباً كلون) أي يتناولون
 (أموال الناس بالباطل) كالرشا وانما عبر بالاكل لانه معظم المراد من المال وإشارة إلى تحقير
 الاحبار والرهبان بأن يفعلوا ما ينال في مقامهم الذي أقاموا أنفسهم فيه باظهار الزهد والمبالغة
 في التدين قال الرازي ولعمري من تأمل أحوال الناس في زماننا وجد هذه الآيات كأنها

ما أنزلات الا في شأنهم وشرح أحوالهم فتري الواحد منهم يدعى أنه لا يلتفت الى الدنيا ولا يتعلق
 خاطره بجميع المخلوقات وأنه في الطهارة والعظمة مثل الملائكة المقربين حتى اذا آل
 الامر الى الرغيف الواحد تراه يتهاك عليه ويحمل نهاية الذل والدناءة في تحصيله (ويصدون)
 الناس (عن سبيل الله) أي دينه ولما كان مطلوب الخلق في الدنيا المال والجلبابين تعالى في صفة
 الاحبار والرهبان كونهم مشغوفين بهذين الامرين أما المال فهو المراد بقوله تعالى ايا كاون
 أموال الناس بالباطل وأما الجلباب فهو المراد بقوله ويصدون عن سبيل الله فانهم لمواقر واثبات
 محمد صلى الله عليه وسلم على الحق لزومهم متابعته وحينئذ كان يطل حركتهم وتزول
 حرماتهم ولاجل الخوف من هذا المحذور كانوا يبالغون في المنع من متابعته صلى الله عليه وسلم
 ويبالغون في القاء الشبهات وفي استخراج وجوه المكر والتدبيرة وفي منع الخلق من قبول
 دينه الحق (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) يحتمل أن يراد بقوله
 الذين أولئك الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص الشديد على أخذ أموال
 الناس بقوله تعالى ليا كاون أموال الناس بالباطل ووصفهم أيضا بالجلل الشديد والامتناع
 من انخراج الواجبات عن أموال أنفسهم بقوله تعالى والذين يكتزون الذهب والفضة
 وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ولا يؤدونه حقه ويكون اقترانهم بالمرتشين من اليهود
 والنصارى تغليظا ودلالة على ان من يأخذ منهم السحت ومن لا يعطى منكم بطيب زكاة ماله
 سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم وأن يراد كل من كثر المال ولم يخرج منه الحقوق
 الواجبة سواء كان من الاحبار والرهبان أو كان من المسلمين لما روى عن زيد بن وهب قال
 مررت على أبي ذر بالبصرة فقلت ما أنزلت به هذه الارض فقال كنا بالثأم فقرأت والذين
 يكتزون الذهب الآية فقال معاوية ما هذا فذا فذا ما هذا الا في أهل الكتاب فقلت انهم ليقوم
 وفيما فصار ذلك سببا لوحشة بني وبنه فكتب الى عثمان ان أقبل الى فلما قدمت المدينة
 انصرف الناس عني كأنهم لم يروني من قبل فشكوت ذلك الى عثمان فقال لي قم فريفت
 اني والله لن أدع ما كنت أقول وأصل الكثر في كلام العرب الجمع وكل شيء جمع بعضه الى بعض
 فهو مكتوز يقال هذا جسم مكتز الاجزاء اذا كان مجتمعا الاجزاء واختلف علماء الصائبة
 في المراد بهذا الكثر المذموم على قولين الاول وهو ما عليه الاكثر أنه المال الذي لم تؤد زكاته
 لما روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه
 الله ما لا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زببتان بطوقه يوم القيامة ثم يأخذ
 بلهزمتيه يعني شذقيه ثم يقول أما مالاً أنا كثرلتم تلاقوا ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من
 فضله الآية والشجاع الحية والاقرع صغته لطول حمرة لانه من طال حمرة غرق شعره وذهب وهي
 صفة أخشب الحيات والزببتان الزائدتان في الشدقين وروى لما نزلت هذه الآية كبر على
 المسلمين فذكر عمر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا
 لطيبهم اما بقى من أموالكم وقال ابن عباس في قوله تعالى ولا ينفقونها في سبيل الله يريد الذين

لا يؤدون زكاة أموالهم قال القاضي عياض تخصيص هذا المعنى بمنع الزكاة لاسبيل اليه بل
الواجب أن يقال الكنز هو الذي ما أخرج عنه ما وجب أخراجه ولا فرق بين الزكاة وبين ما يجب
من الكفارات وبين ما يلزم من نفقة الحج وبين ما يجب أخراجه في الدين والحقوق والانفاق
على الأهل والعيال وضمان المتلفات وأروش الجنائيات فيجب في كل هذا الاثام وأن يكون
داخلا في الوعيد والقول الثاني أن المال الكثير إذا جمع فهو الكثير المذموم واحتج المذهبون
إلى هذا القول بعموم الآية وبما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت هذه الآية
تباً للذهب تباً للفضة قالها ثلاثا فقالوا له أي مال تصدق قال لسانا إذا كرا وقلبا خاشعا وزوجة
تعين أحدكم على دينه وقال عليه الصلاة والسلام من ترك مائة درهم أو مائة دينار أو مائة
شخص فوجد في منزله دينار فقال صلى الله عليه وسلم كية وتوفي آخر فوجد في منزله ديناران
فقال كيتان وأجاب القائلون بالاول بأن هذا كان قبل فرض الزكاة فأثامه بد فرض الزكاة
فإنه أعدل وأكرم أن يجمع عبده ما لا من حيث أذن فيه ويؤدى ما أوجب عليه فيه ثم يعاقبه
وقد روى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه سئل عن هذه الآية فقال كانت قبل أن تنزل
الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهارة للأموال وقال ما بالي لو أن لي مثل أحد ذهباً أعلم عدده أركبه
وأعمل فيه بطاعة الله تعالى وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال صلى
الله عليه وسلم ما أدى ذكاته فليس بكنز وكان في زمانه صلى الله عليه وسلم جماعة معهم الأموال
كعثمان وعبد الرحمن بن عوف وكان عليه الصلاة والسلام يعدّهم من أكابر الصحابة وما عليهم
أحد من أعرض عن الغنية لأن الأعراض اختيار لا فضل والادخل في الورع والزهد في الدنيا
والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه وكونه أدخل في الورع لا موزع منها أن كسب المال شاق شديد
وحفظه بعد حصوله أشد وأشق وأصعب فيبقى الإنسان طول عمره تارة في طلب التحصيل وأخرى
في طلب الحفظ ثم إنه لا يفتق من المال بالقليل ومنها أن كثرة المال والجماء تورث الطغيان كما قال
تعالى إن الأنبياء أبطئ أن رآه استغنى فالطغيان يمنع من وصول العبد إلى مقام رضوان
الرحمن ويوقع في الخذلان والخسران ومنها أنه تعالى أوجب الزكاة وذلك سعى في تنقيص
المال ولو كان تكثره فضيلة لماسعى الشرع في تنقيصه (فان قيل) قال عليه الصلاة والسلام
اليد العليا خير من اليد السفلى (أجيب) بأن اليد العليا إنما أفادته صفة الخيرية لأنه لما أعطى
ذلك القليل تسبب أنه حصل في ماله ذلك النقصان القليل فحصل له الخيرية وبسبب أنه حصل
للفقير بذلك الزيادة القليلة حصلت له المرحوحية (فان قيل) أنه تعالى ذكر شيئين وهما الذهب
والفضة ثم قال ولا ينفقونهما فلم أفرد الضمير (أجيب) بأن الضمير راجع إلى المعنى دون اللفظ
لأن كل واحد منهما جله وأفيه وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله تعالى وإن طائفتان من
المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به إلى المكنوز وقيل إلى الأموال وقيل التقدير ولا ينفقون
الفضة وحذف الذهب لأنه داخل في الغضة من حيث أنهم ما عايشتر كان في غيبة الأشياء
أو أن ذكر أحدهما يغني عن الآخر كقوله تعالى وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها جعل

الضعيف للتجارة وقيل التقدير والذهب كذلك كما أن قول القائل «فاني وقيار به الغريب» أي
 وقيار كذلك (فان قيل) ما السبب في كونه خصهما بالذكر من سائر الاموال (أجيب) بأنهما
 خصا من دون سائر الاموال لأنهما أشرف الاموال وهما اللذان يقصدان بالكثرو من كنزا
 عنده لم يعد سائر أجناس المال فكان ذكر كثرة ما دليلا على ما سواه ما ثم انه تعالى لما
 ذكر من يكثر الذهب والفضة قال تعالى (فبشرهم) أي أخبرهم (بعذاب أليم)
 أي مؤلم وعبر بالبشارة على سبيل التهكم (يوم يحصى عليها) أي الكنوز بأن تدخل (في نار جهنم)
 فيوقد عليها (فتكوى) أي تحرق (بها) أي بهذه الاموال (جباههم وجنوبهم وظهورهم)
 قال ابن مسعود رضي الله عنه لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده
 حتى يوضع كل دينار ودراهم في موضع على حدة وسئل أبو بكر الوراثي لم خصت الجباه
 والجنوب والظهور بالكي قال لان الغنى صاحب الكنز اذا راى الفقير قبض جبهته واذا
 جلس الفقير يجنبه تاءد عنه وولى عليه ظهره وقيل المعنى انهم يكوون على الجهات الاربع
 أمام من مقدمه فعلى الجبهة وأمام من خلفه فعلى الظهر وأمام من يمينه ويساره فعلى الجنبين وقيل
 لان جمعهم وامساكهم المال كان اطلب الوجاهة بالغنى والتسم بالمطاعم الشهية والملابس
 البهية وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من
 صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت لصفائح من نار
 فأحى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباهه وجنبيه وظهوره كل ابردت عليه أعيدت له في يوم كان
 مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار وقوله
 تعالى (هذا ما كنتم) على ارادة القول أي يقال لهم هذا ما كنتم (لأنفسكم) أي لمنفعتهم
 وكان عين مضرتهم واسبب تعذيبها (فدوقوا ما كنتم تكثرون) أي تمنعون حقوق الله تعالى
 في أموالكم وعن أبي ذر رضي الله عنه قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس
 في ظل الكعبة فلما رايتي قال هم الاخسرون ورب الكعبة فقلت يا رسول الله فدا أبي وأمي
 من هم قال هم الاكثرون أموالا الامن قال هم كذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن عيينه
 وعن شماله وقيل ما هم (ان عدة الشهور) أي عددها (عند الله اثنا عشر شهرا) وهي المحرم
 وصفر وشهر ربيع الاول وشهر ربيع الثاني وجادى الاول وجادى الثاني ورجب
 وشعبان وشهر رمضان وشوال وذوالقعدة وذوالحجة هذه شهور السنة القمرية التي هي
 مبنية على سير القمر في المنازل وهي شهور العرب التي يعتد بها المسلمون في صيامهم ومواقيت
 حجهم واعبادهم وسائر أمورهم وأحكامهم وأيام هذه الشهور اثنا عشر وخمسة وخمسون
 يوما والسنة الشمسية عبارة عن دور الشمس في الفلك دورة واحدة تامة وهي اثنا عشر
 وخمسة وستون يوما وربع يوم فتتص السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة أيام فبسبب
 هذا النقصان تدور السنة الهلالية فيقع الصوم والحج تارة في الشتاء وتارة في الصيف قال
 المفسرون وسبب نزول هذه الآية من أجل النسي الذي كانت العرب تفعله في الجاهلية

قوله وأيام هذه
 الشهور الخ المذكور
 في كتب النقلة
 أن السنة الهلالية
 اثنا عشر وأربعة
 وخمسون يوما
 وخمسة يوم وسدسه
 وأن السنة الشمسية
 اثنا عشر وخمسة
 وستون يوما وربع
 يوم الاجزاء من
 اثنا عشر جزء من
 اليوم ٥١

فكان حجهم يقع تارة في وقته وتارة في المحرم وتارة في صفر وتارة في غيره ما من الشهر وفأعلم الله تعالى ان عدة الشهور سنة المسلمين التي يعتدون بها اثنا عشر شهرا على منازل القـمـر وسيره فيها وهو قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا أي في علمه وحكمه (في كتاب الله) أي في اللوح المحفوظ الذي كتب فيه أحوال مخلوقاته بأسرها على التفصيل وهو أصل الكتب التي أنزلها الله تعالى على جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل فيها أثبتة وأوجبته من حكمه ورآه حكمة وصوابا (يوم خلق السموات والارض) أي ان هذا الحكم حكم به وقضاه يومئذ أي السنة اثنا عشر شهرا (منها) أي الاشهر (أربعة حرم) ثلاثة سواء ذوالقعدة وذوالحجة والقاف وذوالحجة بكسر الحاء على المشهور وفيه ما ومما بذلك لقعودهم عن القتال في الأول ولوقوع الحج في الثاني والمحرم بتشديد الراء المفتوحة سمى بذلك التحريم القتال فيه وقيل لتحريم الجنة فيه على إبليس ودخلته اللام دون غيره من الشهور لانه أولها فعرفوه كأنه قيل هذا الشهر الذي ابتدأ أول السنة وواحد فرد وهو رجب ويجمع على ارجاب ورجاب ورجوب ورجبات ويقال له الاصم والاصب وقيل لم يعذب الله أمة في شهر رجب ورد عليه بأن الله تعالى أغرق قوم نوح فيه فإله الشعلبي وهذا الترتيب الذي ذكرناه في عدة الاشهر الحرم وجعلها من ستين هو الصواب كما قاله النووي في شرح مسلم ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وعدّها الكوفيون من سنة واحدة فقالوا الحرم ورجب وذوالقعدة وذوالحجة قال ابن دحية وظاهر فائدة الخلاف فيما اذا نذر صيامها مرتبة فعلى الأول يتبدى بذى القعدة وعلى الثاني بالحرم ومعنى الحديث أن الاشهر رجعت الى ما كانت عليه وعاد الحج في ذى الحجة وبطل التمسى الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذوالحجة وكانت حجة أبي بكر رضي الله عنه قبلها في ذى القعدة ومعنى الحرم ان المعصية فيها أشد عقابا والطاعة فيها أكثر ثوابا والعرب كانوا يعظمونها اجدا حتى لو لقي الرجل قاتل أبيه لم يعرض له (فان قيل) أجزاء الزمان متشابهة في الحقيقة فما السبب في هذا التمييز (أجيب) بأن هذا المعنى غير مستبعد في الشرائع فان أمثلته كثيرة ألا ترى أنه تعالى ميز البلد الحرام عن سائر البلاد بزيادة الحرمه وميز يوم الجمعة عن سائر أيام الأسبوع بزيادة الحرمه وميز يوم عرفة عن سائر الأيام بتلك العبادة المخصوصة وميز شهر رمضان عن سائر الشهور بزيادة الحرمه وهو وجوب الصوم وميز بعض ساعات اليوم بوجوب الصلاة فيها وميز بعض الليالي عن سائرها وهي ليلة القدر وميز بعض الأشخاص عن سائر الناس بإعطاء خلع الرسالة وإذا كانت هذه الأمثلة ظاهرة مشهورة فأى استبعاد في تخصيص بعض الاشهر بزيادة الحرمه (ذلك) أي تحريم الاشهر الأربعة (الدين القيم) أي المستقيم وهو دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما وقيل المراد بالدين الحساب يقال الكيس من دان نفسه أي حاسبها والقيم معناه المستقيم فتفسير الآية على

هذا التقدير ذلك الحساب المستقيم الصحيح والعدد المستوي وقال الحسن ذلك الدين القيم الذي لا يبدل ولا يغير فإقيم هنا بمعنى القائم الدائم الذي لا يزول وهو الدين الذي فطر الناس عليه (فلا تظلموا فيه) أي الأشهر الحرم (أنفسكم) بالمعاصي فأنه فيها أعظم وزرا لأن الله تعالى خص هذه الشهور بزيادة احترام في آية أخرى وهو قوله تعالى الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج فهذه الأشياء غير جائزة في غير الحج أيضا إلا أنه تعالى أكد في المنع منها في هذه الأيام تنبيهها على زيادتها في الشرف وقال ابن عباس إن المراد فلا تظلموا في الشهر والاثنين عشر أنفسكم والمقصود من منع الإنسان من الإقدام على الفساد مطلقا في جميع العمر قال القراء والاول أولى لأن العرب تقول فيما بين الثلاثة إلى العشرة فيهن فاذا جاوز هذا العدد قالوا فيها والاصل فيه أن جمع القلة يكتفى عنه كما يكتفى عن جماعة مؤنثة ويكتفى عن جمع الكثرة كما يكتفى عن واحدة مؤنثة كما قال حسان

لنا الجففات الغزيلعن في الضحى * وأسبافنا يقطرن من نجدة دما

قال يلعن ويقطرن لأن الأسباف والجففات جمع قلة ولو جمع جمع الكثرة لقال تلع وتقطر وهذا في الاختيار ثم يجوز إجراء أحدهما مجرى الآخر كقول النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

فقال بهن والسيوف جمع كثرة وقيل المراد بالظلم المقاتلة في هذه الأشهر وقيل النسيء الذي كانوا يعملونه فينتقلون الحج من الذي أمر الله تعالى بإقامته فيه إلى شيء آخر ويغيرون تكاليف الله تعالى والجمهور على أن حرمة المقاتلة في الأشهر الحرم منسوخة وعن عطاء لا يحل للناس أن يغزوا في الحرم والأشهر الحرم الآن يقاتلوا ويؤيد الأول ما روى أنه صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف وغزاهوا زن مجنين في شوال وذى القعدة وقوله تعالى (وقاتلوا المشركين كافة) أي جميعا في كل الشهور (كما يقاتلونكم كافة) واعلموا أن الله مع المتقين) بالعون والنصرة ومن كان معه نصر لا محالة (إنما النسيء) أي التأخير لحرمة شهر إلى آخر كما كانت الجاهلية تفعل كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهرا آخر ورفضوا خصوص الأشهر واعتبروا مجرد العدد فكانوا يؤخرون تحريم الحرم إلى صفر فيحرمون صفر ويستحلون الحرم فإذا احتاجوا إلى تأخير تحريم صفر أخروه إلى ربيع وهكذا شهر ربيع شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذى القعدة عامين ثم حجوا في الحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذا باقي شهور السنة فوافقت حجة أبي بكر رضي الله عنه في السنة التاسعة في ذى القعدة قبل حجة الوداع بسنة ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع فوافق حجه في شهر ذي الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف بعرفة في اليوم التاسع وخطب الناس في اليوم العاشر وأعلمهم أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض الحديث المتقدم وأمرهم بالمحافظة على ذلك لئلا يتبدل في مستأنف الأيام وقد رجع الحرم إلى موضعه الذي وضعه الله تعالى وذلك بعد دهر طويل وروى عن أبي

بكر رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته لنا أى شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس ذا الحجة قلنا بلى قال أى بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس البلد الحرام قلنا بلى قال أى يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألکم عن أعمالکم ألا فلا ترجعوا بعدي ضللاً لا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا يبلغ الشاهد الغائب فاعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه ألا هل بلغت ألا هل بلغت الأهل بلغت الأهل بلغت قلنا نعم قال اللهم أشهدوا ختافوا في أول من نسا النفس فقال ابن عباس بنو مالك بن كنانة وكان يليه أبو عثيمة وجنادة بن عوف بن أمية الكنانى كان يقوم على جبل بالموسم فينادى ان آهتكم قد أحلت لكم المحرم فأجلوه ثم ينادى في قابل ان آهتكم قد حرمت عليكم المحرم فخرموه وقال الكلبي أؤل من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وقبل أول من فعل ذلك عمرو بن لحي وهو أول من سب السواب وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي يجرّ قصبه في النار وقوله تعالى (زيادة في الكفر) معناه انه تعالى حكى عنهم أنواعا كثيرة من الكفر فلما ضجوا تحريم ما أحل الله تعالى وتحليل ما حرم الله تعالى وهو كفر كان ضم هذا العمل الى تلك الأنواع المتقدمة من الكفر زيادة في الكفر لان الكافر كلما أحدث معصية ازداد كفرأفزادتهم رجسا الى رجسهم كما ان المؤمن كلما أحدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهدم يستبشرون وقرأ ورش النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها فبقيت ياء مضمومة مشددة والباقون بهم - مزنة مضمومة هذا في الوصل وأما الوقف فورش يفتي ياء مشددة ساكنة وحزة كذلك وله فيه الروم والاشمام والباقون بهم مزنة ساكنة (يصل به) أى به ذا التأخير الذى هو النسي (الذين كفروا) قرأ حفص وحزة والكسائي بضم الياء وفتح الضاد لقوله تعالى زين لهم سوء أعمالهم والباقون بفتح الياء وكسر الضاد على معنى انهم هم الضالون لقوله تعالى (يحلونه) أى يحلون النسي من الاشهر الحرم (عاما) ويحرمون مكانه شهر آخر (ويحرمونه عاما) فيتركونه على حرمة وانما فعلوا ذلك (ليواطوا) أى ليوافقوا (عدة) أى عدد (ما حرم الله) من الاشهر فلا يزيدون على تحريم أربعة أشهر ولا ينقصون عنها ولا ينظرون الى أعيانها (فيحلوا ما حرم الله) بواطئة العدة من غير مراعاة الوقت الذى يحلون اليه الاشهر الحرم (زين لهم سوء أعمالهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان هذا العمل حتى حسبوا هذا القبيح حسنا (والله لا يهدي القوم الكافرين) أى هداية موصلة الى الاهتداء لما سبق لهم في الازل انهم من أهل النار ولما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف الى المدينة وحدث على غزوة تبوك وكان ذلك الوقت زمان عسرة وشدة حر وطابت ثمار المدينة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الاورى بديرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا زجلا للناس أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم

فشق عليهم الخروج وتناقلوا قنزل (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم أنفروا في سبيل الله
 أنما قلتم) بادغام التاء في الأصل في المثناة واجتلاب همزة الوصل إذا أصله تناقلتم ومعناه تباطأتم
 وملتم عن الجهاد (إلى الأرض) والعود فيها والاستفهام للتوبيخ قال المحققون وانما تناقل
 الناس من وجوه الأول شدة الزمان في الصيف والقمط والثاني بعد المسافة والحاجة إلى
 الاستعداد الكثير الزائد على ما جرت به عادتهم في سائر الغزوات والثالث ادراك الثمار بالمدينة
 في ذلك الوقت والرابع شدة الحر في ذلك الوقت ثم قال لهم الله تعالى (أرضيتُم بالحياة الدنيا)
 وغرورهما (من الآخرة) بدل الآخرة ونعيمها (فما متاع الدنيا في) جنب متاع (الآخرة
 الأقل) أي حقير لأن متاع الدنيا يفقد عن قريب ونعيم الآخرة باق على الدوام فلهذا السبب
 كان متاع الدنيا بالنسبة إلى نعيم الآخرة قليلا وفي الآية دليل على وجوب الجهاد في كل حال
 وفي كل وقت لأن الله تعالى نص على أن تناقلهم عن الجهاد أمر منكرف لو لم يكن الجهاد واجبا لما
 عاتبهم الله على التناقل ويؤكد هذا الوعيد المذکور في قوله تعالى (إلا) أي بادغام نون أن
 الشرطية في لا في الموضعين (تنفروا) أي تخرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم للجهاد (يعذبكم
 عذابا أليما) أي مؤلما في الآخرة لأن العذاب الأليم لا يكون إلا فيها وبالاهلاك بسبب فطامع
 كقطع وظهور عدو وقيل باحتباس المطر عنهم قال ابن عباس استنفر رسول الله صلى الله عليه
 وسلم حيا من أحياء العرب فتناقلوا فأمسك الله عنهم المطر فكان ذلك عذابهم (ويستبدل قوما
 غيركم) أي يات بهم بدلكم قال ابن عباس هم التابعون وقال سعيد بن جبير أبناء فارس وقال أبو
 روق هم أهل اليمن قال الرازي وهذه الوجوه ليست تفسيرا للآية لأن الآية ليس فيها شعار بها
 بل حمل ذلك المطلق على صورة معينة شاهدوها وقال في الكشف بعد ذكر ذلك والظاهر
 مستغن عن التخصيص (ولا تضروه شيئا) أي لا يقدح تناقلكم في نصر دينه شيئا فإنه الغنى عن كل
 شيء وفي كل أمر وقيل الضمير راجع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أي ولا تضروه لأن الله تعالى
 وعده أن ينصره ووعد كائن لا محالة (والله على كل شيء قدير) أي فيقدر على التبديل وتغيير
 الأسباب والنصرة بلا عدد كما قال تعالى (الانصروه) أي محمد صلى الله عليه وسلم أيها المؤمنون
 (فقد نصره الله) فإنه المتكفل بنصرة رسوله صلى الله عليه وسلم في أعز أدينه وأعلاء كلمته أعظموه
 أولم تعينوه فإنه قد نصره عند قلة الأواباء وكثرة الأعداء فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد
 والعدد وقد نصره (آذ) أي حين (أخرجهم الذين كفروا) من مكة حين مكروا به حيث تشاوروا
 في قتله أو أخرجه أو أثباته في دار الندوة فكان ذلك لأن الله في الخروج من بينهم حالة كونه
 (ثاني اثنين) أي أحدهما أبو بكر ورضي الله عنه لا ثالث لهما لم يصروهما إلا الله تعالى وقوله تعالى
 (آذ) بدل من آذ قبله (هما في الغار) أي غار ثور الذي في أعلى الجبل المواجه للركن اليماني بأسفل
 مكة على مسيرة ساعة منها لما كنفاه ثلاث ليال ليفتر عنهما الطلب وذلك قبل أن يصل إليكم
 ويعقولا في النصر عليكم وقوله تعالى (آذ) بدل ثان (يقول) صلى الله عليه وسلم (لصاحبه) أي بكر
 الصديق رضي الله عنه وثوقا بربه غير مترجم من شيء وقد قال له أبو بكر لما رأى أقدام المشركين

لو نظر أحدهم تحت قدميه لا يبصرنا (لا تحزن) والحزن هم غلبت توجع يرق له القلب وانما كان
خوفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم لما وصلوا الغار نزل أبو بكر الغار وأولاً يلتبس ما في
الغار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم مالك فقال بأبي أنت وأُمِّي الغار ما وى السباع والهوام
فان كان فيه شيء كان بي لا بك وكان في الغار حجر فوضع عقبه عليه لئلا يخرج ما يؤذى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما طلب المشركون الاثر وقربوا يكر أبو بكر خوفاً على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال له صلى الله عليه وسلم لا تحزن (ان الله معنا) فقال له أبو بكر وان الله لمعنا فقال
الرسول صلى الله عليه وسلم نعم فجعل يلحس الدموع عن خده وروى لما طلع المشركون فوق
الغار وأشفق أبو بكر رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان تصب اليوم ذهب
دين الله فقال عليه الصلاة والسلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وروى لما دخل الغار بعث الله
تعالى حمامتين بأصناف أسفله والعنكبوت نهجت عليه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم أعم
أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يرون أحداً ويقولون لودخلنا هذا الغار تكسر بيض
الحمام وتفسخ بيت العنكبوت (تنبيه) * ذات هذه الآية على تفضيل أبي بكر رضى الله عنه
من وجوه منها ان الهجرة كانت بأذن الله تعالى وكان في خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
جماعة من المخلصين وكانوا في النسبة الى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرب من أبي بكر
رضي الله عنه فلولا ان الله تعالى أمره بأن يستحب في تلك الواقعة الصعبة الهائلة والالكان
الظاهر أن لا يخص به هذه الصعبة وتخصيص الله تعالى له بهذا التشريف دال على منصب عال له
في الدين ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا ولا شك ان المراد من هذه المعية المعية
بالحفظ والنصرة والحراسة والمعونة وقد شرب صلى الله عليه وسلم بين نفسه وبين أبي بكر في هذه
المعية وكنى بها شرفاً ومنها أن قوله لا تحزن نهى عن الحزن مطلقاً والنهى يوجب الدوام
والتكرار وذلك يقتضى أنه لا يحزن أبو بكر رضى الله عنه بعد ذلك البتة قبل الموت وعند
الموت وبعد الموت ومنها طباق الكل على أن أبا بكر هو الذي اشترى الراحلة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وعلى أن عبد الرحمن بن أبي بكر واسمها بنت أبي بكر هما اللذان كانا يأتياهما
بالطعام وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لأبي بكر أنت صاحبى في الغار وصاحبى على الحوض قال الحسن بن الفضل من قال ان أبا بكر
رضي الله عنه لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لان كافر نص القرآن وفي سائر
الصحابة اذا أنكر يكون مبتدعاً لا كافراً واختلف في عود الضمير في قوله تعالى (فأنزل الله
سكينته) أى طمأنينته (عليه) هل هو للنبي صلى الله عليه وسلم أو لأبي بكر رضى الله عنه رجع
الثاني لوجوه الاوّل ان الضمير يجب عوده الى أقرب المذكورات وأقرب المذكورات المتقدمة
في هذه الآية هو أبو بكر لانه تعالى قال اذ يقول لصاحبه والتقدير اذ يقول محمد لصاحبه أبي
بكر لا تحزن وعلى هذا التقدير فأقرب المذكورات السابقة هو أبو بكر فوجب عود الضمير اليه
والثاني ان الحزن والخوف كانا حاصلين لأبي بكر لالرسول صلى الله عليه وسلم فانه كان آمناً

ساكن القلب فيما وعده الله تعالى أن ينصره على قريش فلما قال لابي بكر لا تحزن صاوامنا
فصرف السكينة لابي بكر ليصير ذلك سبيل روال خوفه أولى من صرفها الى الرسول صلى الله
عليه وسلم مع أنه كان قبل ذلك ساكن النفس قوى القلب الثالث انه لو كان المراد انزال السكينة
على الرسول صلى الله عليه وسلم لوجب أن يقال ان الرسول كان قبل ذلك خائفا ولو كان
خائفا لما أمكنه أن يقول لابي بكر لا تحزن ان الله معنا فتي كان خائفا لم يمكنه أن يزيد الخوف
عن قلب غيره ولو كان راجعا الى الرسول لوجب أن يقال فأنزل الله سكينة عليه فقال لصاحبه
لا تحزن فيكون ذلك مما يدل على فضيلة أبي بكر رضي الله تعالى عنه ومنها حديث الهجرة على
صاحبها أفضل الصلاة والسلام عن عائشة رضي الله عنها عن أبي بكر قال لم أعقل أبوي
الا وهما يدينان الدين ولم يمر عليهما يوم الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينا طرقي النهار بكرة
وعشية فلما ابتلى المسلمون قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر اني رأيت دار هجرة تكلم سبعة
ذات نخل بين لابتيين وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عاقبة من كان
هاجر بأرض الحبشة الى المدينة ونجى أبو بكر رضي الله عنه قبل المدينة فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر وهل ترجوت ذلك يا رسول
الله قال نعم فقبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاف راحتيين كانتا عنده
من ورق الشجر وهو الخبط أربعة أشهر قالت عائشة فيمنهما نحن جالوس في بيت أبي بكر في حذر
الظهيرة قال قائل لابي بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن يأتيها فيها
فقال أبو بكر روا الله ما جاء به في هذه الساعة الا أمر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستأذن فأذن له فدخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر أخرج من عندك فقال أبو
بكر انما هم أهالك يا رسول الله فقال قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله قال نعم
قال أبو بكر فخذ احدي راحتي هاتين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثمن قالت عائشة
فجهزناهما أحب الجهاز ووضعا لهما مسفرد في جراب فقطعت اسماء بنت أبي بكر قطعة من
نطاقها فربطت به على قم الجراب فسميت بذلك ذات النطاقين قالت ثم لحق رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور فكنافيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الرحمن بن أبي بكر
وهو غلام شاب فيدلج من عندهما بسهر فيصبح مع قريش بككة بكات فلا يسمع أمرا يكاد ان
به الاوعاء حتى يأتيهم ما يخبر بذلك حين يحتلط الظلام وكان يرعى عليهم ما عاين من فهيرة مولى
أبي بكر من غنم فيريحهم اعلهم ما حين تذهب ساعة من العشاء يفعل ذلك كل ليلة من الليالي
الثلاث واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الدئل هاديا عارفا بالهداية
وهو على دين كفار قريش فأمناه ودفعنا اليه راحتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما
بعد صبح ثلاث فارتحلا وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الدبلي فأخذهم طريق الساحل
فعلم بهم سراقه بن مالك المدلجي وكان كفار قريش بعوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي
بكر كل واحد منهما من قبله أو أسره دية قال سراقه فتبعهم حتى دنوت منهم فعمرت قريش فخررت

عنها فقامت وأهويت يدي إلى كتابي فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها أضرمهم أم لا
 فخرج الذي أكره فرسيت فرسي وعصيت الأزلام فقربت بي حتى سمعت قراءة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات فساخنت يد افرسي في الأرض حتى
 بلغت الركبتين فخررت عنها ثم زحرتها فنهضت فلم تكأ تخرج يديها فلما استوت قاعة أذلاثر
 يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره فناديتهم الأمان
 فوقفوا فركبت فرسي حتى جثتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر
 أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له أن قومك جعلوا فيك الدية وأخبرتهم بما يريد الناس
 بهم وعرضت عليهم الراد والمنازع فلم يرزأني ولم يسألاني إلا أن قالوا أخف عنا فإلته أن يكفبلى
 كتاب أمان فأمر عامر بن فهيرة فكتب لي رقعة من ادم ووضي رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فلقى الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا أقبلوا من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وأبا بكر يا بيايضافا لما قربا من المدينة وصل الخبر إلى الانصار فخرجوا مسرعين
 فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فأخذ بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو
 ابن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام في بني عمرو بضع عشرة ليلة وأسس
 المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته
 وصار يعيش معه الناس حتى بركت عند مكان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة
 وكان يريد غراسه وسهيل فساومهم ما صلى الله عليه وسلم ليتخذ مسجدا فقالوا بل نهبه لك يا رسول
 الله ثم بناه مسجدا وصار صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنائه ويقول وهو ينقل اللبن
 هذا الجبال لاجال خير * هذا أبر ربنا وأطهر

ويقول أيضا ان الاجر أجزا الآخرة * فارحم الانصار والمهاجرة

قال ابن شهاب لم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عثلى بيت شعرتام غير هذا
 فظاهر خروجه صلى الله عليه وسلم لابي بكر ورضي الله تعالى عنه ما يدل على فضيلته وفضائله رضى
 الله عنه وعن بقية الصحابة أجمعين وفيما ذكرناه كفاية وأما الضعيف في قوله تعالى (وأبده) فانه قوا
 انه للنبي صلى الله عليه وسلم فهو معطوف على قوله تعالى فقد نصره الله (بجندولم تزوها) أى من
 الملائكة الكرام في الغار ويوم بدر والاحزاب وحين وجميع مواطن قتاله (وجعل كلمة) أى
 دعوة (الذين كفروا) إلى الكفر (السفلى) أى المغلوبة فغيب سعيهم ورد كيدهم (وكلمة الله)
 أى إلى الاسلام (هى العليا) أى الغالبة الظاهرة وقيل كلمة الذين كفروا ما كانوا قدرها بينهم من
 الكيد بالنبي صلى الله عليه وسلم وكلمة الله هى ما وعده بالنصر والظفر بهم فكان ما وعده الله تعالى
 حقا وصدقا (والله عزيز) فى ملكه (حكيم) فى أمره وتدبيره لا يمكن أن ينتهض شئ من مراده
 فلا محيص عن تفوذ ما أراد وما بلغت هذه المواقف من القلوب الواعية مبلغا هابيا هابه
 لا قبول أقبل عليها سبحانه وتعالى فقال (انفروا خفا وثقالا) أى على الصفة التى يحف عليكم
 الجهاد فيها وعلى الصفة التى ينقل عليكم وهذا ان الوصفان يدخل تحتها أقسام كثيرة ولهذا

اختلفت عبارات المفسرين فيها فقال ابن عباس نشاطا وغير نشاط وقال الحسن شيئا وشيئا
وقال عطية العوفي ربكنا ومشاة وقال أبو صالح فقراء وأغنياء وقال الحكم بن عيينة مشاغيل
وغير مشاغيل وقال حرة الهمداني أصحاب مرض وعن صفوان بن عمرو كنت واليا
على حصن فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم
لقد أعذرا لله اليك فرفع حاجبيه وقال استغفرنا الله خفافا وثقالا ألا أنه من يحبه الله يبتليه وعن
الزهري خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقبل أنك لعلي صاحب
مرض فقال استغفرنا الله الخفيف والثقيل فان لم يكن الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع
وعن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلی ان أنصر قال ما أنت الا خفيف
أو ثقيل فرجع إلى أهله ولبس سلاحه ووقف بين يديه صلى الله عليه وسلم فتزل قوله تعالى ليس
على الأعمى حرج أي فهي منسوخة بذلك وقال ابن عباس نهضت بقوله تعالى ليس على الضعفاء
ولا على المرضى الآية وقال السدي لما زلت اشتد شأنها على المسلمين فنسخها الله تعالى وأنزل ليس
على الضعفاء ولا على المرضى وقال عطاء الخراساني منسوخة بقوله تعالى وما كان المؤمنون
لننفروا كافة وقوله تعالى (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) أمر إيجاب للجهاد
أي ما يمكن لكم به ما كليهما أو أحدهما على حسب الحال والحاجة (ذلكم) أي هذا الأمر
العظيم (خير لكم) أي خاص بكم ويجوز أن يكون أفعل تفضيل أي عبادة المجاهد بالجهاد خير
من عبادة القاعد بغيره كما قال صلى الله عليه وسلم لمن سأله هل يمكن بلوغ درجة المجاهد فقال هل
تستطيع ان تقوم فلا تفتر وتصوم فلا تفطر ثم ختم تعالى الآية بقوله تعالى (ان كنتم تعملون)
أي ما حصل من الخيرات في الآخرة على الجهاد لا يدرك الا بالتأمل ولا يعرفه الا المؤمن الذي
عرف بالدليل ان القول بالقيامه حق وان القول بالثواب والعقاب صدق ونزل في المنافقين
الذين يخلفون عن غزوة تبوك (لو كان) ما تدعوهم اليه (عرضا) أي متاعا من الدنيا يقال الدنيا
عرض حاضر يأكل منه البر والقابر (قريبا) أي سهل المأخذ وقوله تعالى (وسفر أقاصدا)
أي وسطا فحذف اسم كان وهو ما قدوته قال الزجاج لدلالة ما تقدم عليه وانما هي السفر أقاصدا
لان المتوسط بين الإفراط والتفريط يقال له مقتصد قال تعالى فثم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد لان
المتوسط بين الكثرة والقلة يتقصد كل أحد وقوله تعالى فاصدا أي ذاق صدقته قولهم لابن
وتامر (لا تبعوك) أي وافقوك طلبا للنعمة (ولكن بعدت عليهم الشقة) أي المسافة التي تقطع
بمشقة (وسيجلفون) أي المتخلفون (بالله) اذا رجعت من تبوك معذرين (لو استطعنا) أي
لو كان لنا استطاعة بالبدن أو العدة (لخرجنا) أي في هذه الغزاة (معكم يهلكون أنفسهم) أي
بسبب هذه الايمان الكاذبة كما قال تعالى (والله يعلم انهم لكاذبون) في ذلك لانهم كانوا
مستطيعين الخروج (عني الله عنكم لم أذن لهم) أي عفا الله تعالى عنكم يا محمد ما كان منك
في ذلك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك في ترك الخروج معك إلى تبوك واختلقوا هل في ذلك
معابة للنبي صلى الله عليه وسلم أم لا فقال عمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه

وسلم لم يؤمر به ما اذنه للمنافقين وأخذوا القدا من أسارى بدر فعاتبه الله تعالى كما سمعون وقال
 سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأ الله تعالى بالعضوقبل أن يعيره وقال القاضي عياض
 في الشفاء ان هذا أمر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى شيء في عدم معصية
 ولا عدم الله تعالى معصية عليه بل لم يعده أهل العلم معصية وغلطوا من ذهب الى ذلك وليس عفا
 يعني غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والريق ولم تجب
 عليهم قط أى لم يكن يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من
 لا يعرف كلام العرب وقال مكي هو استفاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك وقال السمرقندي
 ان معناه عفا لك الله وقال الرازي ان ذلك يدل على مباغلة الله في توقيره وتعظيمه كما يقول الرجل
 لغيره اذا كان معظما عنده عفا الله عنك ما جوابك عن كلامي ورضى الله عنك ما صنعت في
 أخرى فلا يكون غرضه من هذا الكلام الا مزيد التعجيد والتعظيم أى كما كانت عادة العرب في
 مخاطبتهم لا كبرهم بأن يقولوا أصلح الله الأمير والملك ونحو ذلك (حتى يبين لك الذين صدقوا)
 أى في اعتذارهم (وتعلم السكاذبين) أى فيما أظهروا من الايمان باللسان ولم يؤذن لهم لقعدوا
 بلا اذن غير مصرعين مينا قهم الذي واثقوك عليه بالطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره
 قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت براءة
 (لا يستأذنك) أى لا يطلب اذنك بغاية الرغبة فيه (الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر) أى الذي
 يكون فيه الجزاء بالثواب والعقاب (ان) أى فى ان (يجاهدوا) وانما حسن هذا الحذف
 لظهوره (بأموالهم وأنفسهم) بل يبادرون الى الجهاد عند اشارتك اليه وبعثك عموما عليه فضلا
 عن أن يستأذنوك فى التخلف عنه فان الخلف من المهاجرين والانصار كانوا يقولون لا نستأذنه
 صلى الله عليه وسلم فى الجهاد فان ربنا ندبنا اليه مرة بعد مرة فأى فائدة فى الاستئذان ولنجاهد
 معه بأموالنا وأنفسنا وكانوا يجيبون لو أمرهم صلى الله عليه وسلم بالجهاد لائق عليهم كما وقع
 لعلى رضى الله عنه فى غزوة تبوك لما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبقى فى المدينة شق
 عليه ولم يرض حتى قال له صلى الله عليه وسلم ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى
 (والله عليم بالمتقين) أى الذين يتقون مخالفتهم ويسارعون الى طاعته (انما يستأذنك) يا محمد
 فى التخلف عن الجهاد معك من غير عذر (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) وهم المنافقون
 لانهم لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابا (وارتابت) أى شككت (قلوبهم) فى الدين وانما أضاف
 الشك والارتباب الى القلب لانه محل المعرفة والايمان فاذا دخله الشك كان ذلك نقا ق
 (فهم) أى فتسبب عن ذلك انهم (فى ريبهم يترددون) أى المنافقون يتحيدون لامع الكفار
 ولامع المؤمنين (تنبيه) * اختلف علماء النامخ والمنسوخ فى هذه الآيات فقيل انها منسوخة
 بالآية التى فى سورة النور وهى قوله تعالى ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله
 ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فاذن لمن شئت منهم وقيل انها محكمات كلها ووجه الجمع
 بين هذه الآيات ان المؤمنين كانوا يسارعون الى طاعة الله تعالى وجهاد عدوهم من غير

استئذان فاذا عرض لاحدهم عذرا استأذن في التخلف فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم محمدا
في الاذن لهم بقوله تعالى فاذن لمن شئت منهم وأما المنافقون فكانوا يستأذنون في التخلف من غير
عذر فعبرهم الله تعالى بهذا الاستئذان لكونه بغير عذر (ولو أرادوا الخروج) الى الغزو معك
(لاعدوا له) أى قبل حلوله (عدة) أى قوة وأهبة من المتاع والسلاح والكراع بحيث يكونون
كالحاضرين في صلب الحرب الواقفين في الصف قد استعدوا لها بجميع عدها * ولما كان
قوله تعالى ولو أرادوا الخروج يعطى معنى تخرجهم واستعدادهم للغزو أى تعالى بحرف
الاستدراك فقال تعالى (ولكن كره الله انبعاثهم) أى لم يرخص خروجهم معك الى الغزو (فنبطهم)
أى حبسهم بالجيز والكسل (وقيل) لهم (أقعدوا مع القاعدين) أى مع النساء والصبيان
والمرضى وأهل الاعذار ومعنى قيل لهم أى قدر الله تعالى عليهم ذلك بان ألقى في قلوبهم
القعور لما كره الله انبعاثهم مع المؤمنين وقيل القائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استأذنه
في القعود فقال لهم أقعدوا مع القاعدين (فان قيل) خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه
وسلم اما أن يكون فيه مصلحة أو مفسدة فان كان فيه مصلحة فلم قال تعالى ولكن كره الله انبعاثهم
فنبطهم وان كان فيه مفسدة فلم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عفا الله عنك لم أذنت لهم
في ترك الخروج (أجيب) بأن خروجهم فيه مفسدة عظيمة بدليل قوله تعالى (لو خرجوا فيكم)
أى معكم (ما زادوكم) بخروجهم (الاخبالا) أى فسادا وشرا بتخذيّل المؤمنين وتقدم الكلام
على قوله لم أذنت لهم * (تنبيه) لا يصح أن يكون فيه الاستثناء منقطع لان الاستثناء المنقطع
يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقوله ما زادوكم خيرا الاخبالا والمستثنى منه
في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء من أعم العام كانه قيل ما زادوكم شرا
الاخبالا (ولا وضعوا) أى أسرعوا (خلالكم) أى بينكم فيما يحل بكم بالمشى بالنسيئة
(يغزونكم الفتن) أى يطلبون منكم ما تفتنون به وذلك انهم يقولون للمؤمنين لقد جعوا
لكم كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم وانكم ستزعمون منهم وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من
الاحاديث الكاذبة التي تعجنهم (وفيككم) أى والحال ان فيكم (سمعون لهم) أى عيون لهم
يؤدون لهم أخباركم وما يسمعون منكم وهم الجواسيس أو مطيعون لهم يسمعون كلام المنافقين
ويطيعونهم وذلك انهم يلقون اليهم أنواعا من الشبهات الموجبة لضعف القلب فيقربونهم منهم
(فان قيل) كيف يكون في المؤمنين الخالصين من يطيع المنافقين (أجيب) بأنهم ربما قالوا قولا
أثر في قلوب ضعفة المؤمنين في بعض الاحوال وقوله تعالى (والله عليم بالظالمين) وعبدو تهديد
للمنافقين الذين يلقون الفتن والشبهات بين المؤمنين (أقعدوا الفتن) أى العنت ونصب
الفرائل والمدي في تشبث شملك وتضريق أصحابك عندك كما فعل عبد الله بن أبي يوم أحد وحين
انصرف بمن معه وعن ابن جريج وقصو الرسول الله صلى الله عليه وسلم على النية ليلة العقبة
وهم اثنا عشر رجلا ليقتكوا به (من قبل) أى قبل غزوة تبوك (وقلبوا لك الامور) أى ودبروا
لك الحيل والمكايد ودبروا الآراء بينهم في ابطال أمرك (حتى جاء الحق) وهو تأييدك ونصرتك

(وظهر أمر الله) أي غلب دينه وعلا شرعه (وهم كارهون) له أي على رغم منهم قد دخلوا فيه ظاهرا * ولما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة تبوك قال للجعد بن قيس وكان من المنافقين يا أباهب هل لك في جلاد بنى الأصفر يعني الروم تتخذ منهم سراي ووصفاء فقال الجعد ابن قيس يا رسول الله لقد علم قومي أنني مغرم بالنساء وأنا أخشى أن رأيت بنات بنى الأصفر أن لا أصبر عنهن أنذن لي بالعودة ولا تفتني وأعينك بما لي قال ابن عباس اعتل الجعد بن قيس ولم تكن له إلا النفاق فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُنزل الله تعالى فيه (ومنهم) أي المنافقين (من يقول أنذن لي) أي في العودة في المدينة (ولا تفتني) أي بنات بنى الأصفر وقيل لا توقعني في الفتنة وهي الاثم بأن لا تأذن لي فأنك إن منعتني من العودة وقعدت بغير ذلك وقعت في الاثم وقيل لا تلتقني في الهلاك فإن الرمان زمان شدة الحر ولا طاقة لي بها وقيل لا تفتني بسبب ضياع المال والعيال إذ لا كافل لهم بعدى قال الله تعالى (ألا في الفتنة سقطوا) أي إن الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التعلف وظهور النفاق لما أخبروا عنه (وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) أي جامعة لهم لا محيص لهم عنها يوم القيامة أو هي محيطة بهم - م الآن لأن أسباب الاحاطة معهم فكانتهم في وسطها (ان تصبك) يا محمد في بعض الغزوات (حسنة) أي نصرة وغنمة (تسوهم) أي تحزنهم لما في قلوبهم من الضعف والمرض (وان تصبك مصيبة) أي نكبة وان صغرت في بعض الغزوات كما وقع يوم أحد (يقولوا) أي سرورا وتبجعا بحسن رأيهم (قد أخذنا أمرنا) أي بالجد والحزم في العودة عن الغزو (من قبل) أي قبل هذه المصيبة (ويتولوا وهم قرحون) أي مسرورون بما نالكم من المصيبة وسلامتهم منها قال الله تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء الذين يقرحون بما يصيبكم من المصائب والمكروه (ان يصيبنا إلا ما كتب الله) أي قدره (لنا) في اللوح المحفوظ لأن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة من خير وشر فلا يقدر أحد أن يدفع عن نفسه مكروها نزل به أو يجلب لنفسه نفعا إن أراد ما لم يقدر له (هو) أي الله (مولانا) أي ناصرنا وحافظنا وهو أول بنا من أنفسنا في الموت والحياة ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) في جميع أمورهم لأن حقهم أن لا يتوكلوا على غيره فليقبلوا ما هو حقهم (قل) يا محمد لهؤلاء المنافقين (هل تربصون) فيه حذف إحدى التامين من الأصل أي تنتظرون أن يقع (بنا) أيها المنافقون (الاحدى الحسنين) تثنية حسنى تأنيث أحسن أي الاحدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصر أو الشهادة وذلك أن المسلم إذا ذهب إلى الجهاد في سبيل الله إما أن يسلم ويقم فيحصل له المال وإما أن يقتل في سبيل الله فيحصل له الشهادة وهي العاقبة القصوى وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرج منه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مـهـكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنمة (وتحن تربص بكم) أي احدى السوريتين من العواقب إما (أن يصيبكم الله بعداب من عنده) لاسبب لنافيه كان ينزل عليكم فارة من السماء كما نزلت على عاد

ونعود (أو) بعذاب (بأيدينا) أي بسببنا من قتل ونهب وأسر وغير ذلك (فترصوا) بئاماذ كرنا
 من عواقبنا (انامعكم مترصون) ما هو عاقبتكم ولا بد أن يلقي كل ما ما يترصه لا يتجاوز (قل)
 يا محمد لهؤلاء المنافقين (أنفقوا طوعاً أو كرهاً) أي من غير الزام من الله ورسوله أو ملزمين وسمى
 الزام أكرهاها لانهم منافقون فكان الزامهم الاتفاق شاقاً عليهم - م كالا كراه أو طائعين من غير
 أكرام من رؤسائكم لأن رؤساء أهل النفاق كانوا يجمعون على الاتفاق لما يرون من المصلحة فيه
 أو مكرهين من جهتهم (لن يقبل منكم) أي لا تقبل منكم نفقاتكم على أي حال كان
 (فان قيل) كيف أمرهم بالاتفاق ثم قال لن يقبل منكم (أجيب) بأن هذا أمر في معنى الخبر
 كقوله تعالى قل من كان في الضلالة فليمد له الرحمن مداً وروى أنه أنزلت في الجذب بن قيس حين
 تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مالي أعينك به فاتركني ثم علل
 تعالى سبب منع القبول بقوله تعالى (أنكم) أي لانكم (كنتم قوماً فاسقين) والمراد بالفسق هنا
 الكفر ويدل عليه قوله تعالى (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله ورسوله) أي وما
 منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم - م وقرأ حذرة والكسافي يقبل بالياء على التذكير لأن تأنيث
 النفقات غير حقيقي والباقون بالتاء على التأنيث (ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى) أي متشاقلون
 لا يأتونها قط بنشاط (ولا ينفقون) أي تفقة من واجب وغيره (الا وهم كارهون) أي في حال
 الكراهة وان ظهر خلاف ذلك وذلك كله لعدم النسبة الصالحة وهذا لا ينا في طوعاً ولا ذلك
 بحسب الظاهر وهذا بحسب الواقع (فلا تعجبك) يا محمد (أموالهم) أي وان أنفقوها في سبيل الله
 وجه زوايا الغزاة فان ذلك من غير اخلاص منهم ولا حسنة ولا جيل طوية (ولاً أولادهم)
 الذين يتجهلون بهم فان ذلك استدراج ووبال كما قال تعالى (انما يريد الله ليذهبهم بها
 في الحياة الدنيا) وان كان يترامى أنها للذيذة لان ذلك من شأن الحياة وتعد ذبيهم فيها بسبب
 ما يكابدون من جمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب (فان قيل)
 هذا لا يختص بالمنافق فما الفائدة تخصيصه به (أجيب) بأن المؤمن قد علم أنه مخلوق للآخرته وأنه
 يثاب بالمصائب الحاصلة في الدنيا فلم يكن المال والولد في حقه عذاباً والمنافق لا يعتقد ذلك فبقى
 ما يحصل له في الدنيا من التعب والمشقة والغم والحزن على المال والولد عذاباً عليه في الدنيا (وترهق)
 أي تخرج (أنفسهم) بسببها (وهم) أي والحال انهم (كافرون) أي يموتون على الكفر فتكون
 عاقبتهم بعد عذاب الدنيا عذاب الآخرة وهكذا كل من أراد الله تعالى استدراجه في الغالب كثر
 ماله وولده فكثر أعجابه بماله وولده وبطره وكفره نعمة الله تعالى والاعجاب السرور بالشئ
 مع نوع الاقتضائه ومع اعتقاده أنه ليس لغيره ما يساويه وهذه الحالة تدل على استغراق النفس
 بذلك الشئ وانقطاعه عن الله تعالى فانه لا يعدي حكم الله تعالى أن يزيل ذلك الشئ عن ذلك
 الانسان ويجعله لغيره والانسان متى كان متذكراً لهذا المعنى زال إعجابه بذلك الشئ ولذلك
 قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه وكان صلى
 الله عليه وسلم يقول هلك المكثرون وقال أيضاً مالك من مالك الا ما أكلت فأنتيت أو لبست

فأبليت أو تصدقت فأبقيت وروى من كثر ما له اشتد حسابه ومن أراد من السلطان قرباً أو زاد
 من الله بعدد أو الأخبار الواركة في هذا الباب كثيرة والمقصود منها الزجر عن الاطّباب من الدنيا
 والمنع من التماثل في حبها والاقتضار بها لأن الانسان خلق للآخر لا الدنيا فينبغي أن لا يشتد
 محبه بالدنيا وان لا يميل قلبه اليها فان المستحسن الاصل له هو الآخر لا الدنيا ولما بين
 تعالى كون المنافقين مستجمعين لكل مضار الدنيا والآخرة خالين عن جميع منافع الآخر
 والدنيا عادى ذكراً فضائهم وحبائهم فغنا اقدامهم على الايمان الكاذبة كما قال تعالى
 (ويحلفون) أى المنافقون (بالله) للمؤمنين اذا جاؤا معهم (انهم لمنكم) أى على دينكم
 ومنكم (وما هم منكم) أى لا كفر قلوبهم (ولكنهم قوم يفرقون) أى يخافون منكم أن تفعلوا
 بهم ما تفعلوا بالمشركون فيظهرون الاسلام تقيّة (لو يجدون ملجأ) أى حصناً يلجئون اليه وقبل
 لو وجدوا مهراً يهربوا اليه وقبل لو يجدون قوماً يأمنون عندهم على أنفسهم منكم اصاروا اليهم
 وفارقوكم (أو مقاربات) أى سرايب جمع مغارة وهو الموضع الذى يغور فيه الانسان أى يستتر
 (أو مدخلا) أى موضعاً يدخلونه (لولا اليه) والمعنى انهم لو وجدوا مكاناً على أحد هذه الوجوه
 الثلاثة مع انها سر الامكنة لدخلوا اليه وتحرّزوا فيه (وهم يجمعون) أى يسرعون في دخول
 ذلك المكان اسراعاً لا يردّ وجوههم شئ ومن هذا يقال جمع الفرس وهو فرس جوح وهو الذى
 اذا حمل لا يردّه اللجام ثم ذكر تعالى نوعاً آخر من قبائح المنافقين وهو طعنهم في رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بسبب أخذ الصدقات بقوله تعالى (ومنهم من يلزك) أى يعيبك (في الصدقات)
 قال أبو علي الفارسي ههنا محذوف والتقدير يعيبك في تقسيم الصدقات واختلف في سبب
 نزول هذه الآية فقال أبو سعيد الخدرى بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم ما لا اذا ناه
 ذوالخويصرة وهو رجل من بني عتم رأس الخوارج وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم
 غنائم حنين واستعطف قلوب أهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال يا رسول الله اعدل فقال له
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك ان لم أعدل فمى يعدل قد خبت وخسرت ان لم أكن أعدل
 فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله انك لى فيه أضرب عنقه فقال له صلى الله عليه وسلم دعه
 فان له أصحاً يا محقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم بقرؤ القرآن لا يجاوز
 نراقيهم يقرؤون من الدين كما يقرق السهم من الرمية وقال الكلبي قال رجل من المنافقين يقال له
 الجواط المنافق ألا ترون الى صاحبكم يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أبالك أما كان يومى راعياً أما كان داود راعياً فلما ذهب قال
 صلى الله عليه وسلم احذروا هذا أصحابه فانهم منافقون وقال ابن زيد قال المنافقون والله
 ما يعطيها محمد الا من أحب ولا يؤثرها الا هواه فتزات وروى أبو بكر الاصم في تفسيره أنه صلى
 الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه ما علمك بفلان فقال ما لى به علم الا انك تدنيه في المجلس
 وتجزل له العطاء فقال صلى الله عليه وسلم انه منافق أداريه عن ثقاقه واخاف أن يفسد على
 غيره فقال لو أعطيت فلاناً بعض ما تعطيه فقال صلى الله عليه وسلم انه مؤمن أكمل ايمانه وأما

هذا اتفاق أداريه خوف فسادهم (فإن أعطوا منها) أى من الصدقات (رضوا) أى رضوا عنك
 في قسمتها (وان لم يعطوا منها إذا هم يضطون) أى وان لم تعطهم عابوا عليك وضطوا قال أهل
 المعاني ان هذه الآية تدل على ركازة اخلاق المنافقين ودناءة طباعهم وذلك لانه لشدة شرهم
 الى أخذ الصدقات عابوا رسول صلى الله عليه وسلم ونسبوه الى الجور في القسمة مع أنه كان أبعد
 خلق الله تعالى عن الميل الى الدنيا وقال الفضال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقسم بينهم
 ما آتاه الله تعالى من قليل المال وكثيره وكان المؤمنون يرضون بما أعطوا ويحمدون الله تعالى
 وأما المنافقون فإن أعطوا كثيرا فرحوا وان أعطوا قليلا اضطوا وذلك يدل على أن رضاهم
 وضغطهم اطلب النصيب لا لاجل الدين وكلمة اذا للمفاجأة أى وان لم يعطوا منها فاجأوا السخط
 (ولو أنهم) أى المنافقين (رضوا ما آتاهم الله ورسوله) أى ما أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وسلم من الغنائم والصدقات وأغبرها وذكر الله تعالى للتعظيم والتنبيه على أن ما فعله رسول الله
 صلى الله عليه وسلم كان بأمره (وقالوا) أى مع الرضا (حسبنا الله) أى كافينا الله من فضله
 (سيؤتي الله من فضله ورسوله) أى من غنية أو صدقة أخرى ما يكفينا (إنا الى الله) أى في أن
 الله تعالى يقيننا عن الصدقة وغيرها من أموال الناس ويوسع علينا من فضله (راغبون)
 أى عريقون في الرغبة ولذلك فكتفى بما يأتي من قبله كائنا ما كان وجواب لو محذوف والتقدير
 لكان خيرا لهم نقل عن عيسى عليه السلام أنه مرتب يقوم يذكرون الله تعالى فقال ما الذي
 جعلكم عليه فقالوا الخوف من عقاب الله فقال أصبتم ومر على قوم يشتغلون بالذكرك فسألهم
 فقالوا لا نذكره للخوف من العقاب ولا للرغبة في الثواب بل لاطهار ذلة العبودية وعزة الربوبية
 وتشريف القلب بعرفته وتشريف اللسان بالاقتا الدالة على صفات قدسه فقطل أنتم المحققون
 المحققون ثم بين سبحانه وتعالى مصارف الصدقات تحقيقا لما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم
 فقال عز من قائل (انما الصدقات) أى الزكوات مصروفة (للفقراء) والفقير هو الذي لا يجد
 ما يقع موقعه من كفايته كأن يحتاج الى عشرة دراهم وهو لا يجد الا درهمين أو ثلاثا ما أخذ
 من الفقار كأنه أصيب فقاره (والمساكين) جمع مسكين وهو الذي يجد ما يقع موقعه من
 كفايته ولا يكفيه كأن يحتاج الى عشرة وهو يجد سبعة أو ثمانية ما أخذ من السكون
 كان العجز أسكنه والمسكين أعلى من الفقير ويدل عليه قوله تعالى أما السقينة فكانت لمساكين
 وروى أنه صلى الله عليه وسلم تعود من الفقر وقيل الفقير أعلى لقوله تعالى أو مسكينا إذا متربة
 والعبرة عند الجمهور في عدم كفاية الفقير والمسكين بالعم الغالب بناء على أنه يعطى كفاية
 ذلك (والعاملين عليها) أى الزكاة فيعطى العامل وان كان غنيا ويدخل في اسم العامل
 الساعي وهو الذي يعيشه الامام لاخذ الزكاة والكاتب والحاشر والعريف وهو الذي
 يعرف أرباب الاستحقاق والحاسب والحافظ للأموال والكيال والوزان والاعداد عمال انميزوا
 أنصباة الاصناف لا المميزون للزكاة من المال وجامعوه فان أجزتهم على المالك (والمؤلفة قلوبهم)
 وهم اما ضعيف النية في الاسلام فيعطى ليقيموا اسلامه أو شريف في قومه يتوقع باعطائه

اسلام غيره او كاف لناشر من يلبسه من الكفار او مانعي الزكاة فيعطى حيث اعطاهم اهلون
 علينا من بعث جيشاً وأمامو لفسه الكفار لترغيبهم في الاسلام فلا يعطون من الزكاة ولا من
 غيرها للالاجاع ولأن الله تعالى أعز الاسلام وأهله وأغنى عن التأليف (وفي الرقاب) وهم
 المكاتبون كتابة صحيحة فيعطون ما يؤدون من التجمون ان يحجزوا عن الوفاء ولولم يحمل النجم لأن
 قوله تعالى وفي الرقاب كقوله تعالى وفي سبيل الله وهذا يعطى المال للمجاهدين فيعطى للرقاب
 فلا يشتري به رقاب للعنق كما قيل به (والغارمين) وهم من لزمهم الديون وهم ثلاثة أضرب دين
 لزمه لمصلحة نفسه ودين لزمه بضممان لا لتسكين فتنة ودين لزمه لتسكينها وهو اصلاح ذات البين
 فن استدان لمصلحة نفسه أعطى لان استدان في معصية الا ان تاب عنها فيعطى اذا احتاج
 وكان بحيث لو قضى دينه بمعامته تسكن فيترك له ما يكفيه ويعطى ما يقضى به بقية دينه ويعطى
 ولو قدر على قضاءه بالكسب وكذا المكاتب ويشترط حلول الدين في اعطاء الغريم وان ضمن
 لا لتسكين فتنة وهو معسر ملتزم بمال على معسر أعطى ما يقضى به دينه واذا قضى به دينه
 لا يرجع على الاصيل وان ضمن باذنه وانما يرجع اذا غرم من عنده ويعطى معسر ملتزم بمال على
 موسر بلا اذن من الاصيل لانه اذا غرم لا يرجع عليه بخلاف ما اذا ضمن باذنه ولا يعطى موسر
 ملتزم بمال على موسر وان ضمن موسر ما على معسر أعطى الاصيل دون الضامن والغارم لاصلاح
 ذات البين يعطى مع الغنى ولو في غير دم ويعطى المستدين لقرى ضيف وعمارة مسجد وبناء
 قنطرة وفك أسير ونحو ذلك من المصالح العامة عند الهجز عن النقد (وفي سبيل الله) وهم الغزاة
 المتطوعون أى الذين لا رزق لهم في النقي ويعطون ولو أغنياء اعانة لهم على الغزو وتحرم الزكاة
 على الغزاة المورثون ولو كان عاملاً فاذا عدم النقي واضطررنا الى المرتزق ليكفينا شر الكفار
 اعانة الاغنياء لامن الزكاة (وابن السبيل) أى الطريق وهو من ينشئ سفراً مباحاً من محل
 الزكاة فيعطى ولو كان كسواً أو كان مسافراً للزهوة ويعطى أيضاً المسافر الغريب المجتاز بعمل
 الزكاة وانما يعطيان ان لم يجدوا معهما شيئاً يكفيهما السفرهما وقوله تعالى (فريضة من الله)
 نصب بفعله المقدراً أى فرض لهم الصدقات فريضة أو حال من الضمير المستكن في للفقر (والله
 عليم) أى بالغ العلم بما يصلح الدين والدنيا ويوافق بين قلوب المسلمين (حكيم) يضع الاشياء
 في مواضعها وانما أضيفت الصدقات الى الاصناف الاربعة الاولى بلام الملك والى الاربعة
 الاخيرة بنى الظرفية للاشعار باطلاق الملك فى الاربعة الاولى وتقييده فى الاخيرة حتى اذا لم يحصل
 الصرف فى مصادرها استرجع بخلافه فى الاولى ويجب تعميم الاصناف الثمانية فى القسم ان
 أمكن بأن قسم الامام ولو بناية ووجود والظاهر الآية سواء فى ذلك زكاة الفطور وزكاة المال
 وان لم يمكن بأن قسم المالك اذا عامل أو الامام ووجود بعضهم كأن جعل عاملاً بأجرة من بيت
 المال فتعميم من وجود منهم وعلى الامام تعميم احاد كل صنف من الزكاة الحاصلة عنده اذا
 لاية مذر عليه ذلك وعلى المالك أيضاً ان انحصر الاحاد بالبدان سهل عادة ضبطهم ومعرفة
 عددهم وفى بهم المال فان أخل أحدهما بصنف ضمن وان لم ينحصر الأولم يفهم المال ويجب

اعطاء ثلاثة فأكثر من كل صنف لذكره في الآية بصيغة الجمع وهو المراد في سبيل الله وابن السبيل
الذي هو للجنس ولا عامل في قسم المالك ويجوز حيث كان أن يكون واحداً ان حصلت به الكفاية
كما يستغنى عنه فيما سطر وتجب التسوية بين الاصناف غير العامل لابين آحاد الصنف الا أن يقسم
الامام وتتساوى الحاجات فتجب التسوية لان عليه التعميم فعليه التسوية بخلاف المالك اذا لم
ينصروا أو لم يفهم المال ولا يجزيه نقل الزكاة من بلد وجوبها مع وجود المستحقين
فيه الى بلد آخر أو حال الحول والمال يادية فترقت الزكاة بأقرب البلاد اليه أما الامام ولو بناه
فله نقلها ولو امتنع المستحقون من أخذها قوتلوا وشرط أخذ الزكاة من هذه الثمانية حصرية
واسلام وأن لا يكون هاشمياً ولا مطلبياً ولا مولى لهما كما بينته السنة هذا مذهب الشافعي رضي
الله تعالى عنه وقال الرازي وغيره لادلالة الآية على قول الشافعي في أنه لا بد من صرفها
الى جميع الاصناف لانه تعالى جعل جملة الصدقات لهؤلاء الاصناف وأما ان صدقة زيد بعينها
يجب توزيعها على الاصناف كلها فلا كما ان قوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة
الآية يوجب قسم الخمس على الطوائف من غير توزيع بالاتفاق وما ذهب اليه الشافعي رضي
الله تعالى عنه قول عكرمة وما ذهب اليه الأئمة الثلاثة من جواز صرفها الى صنف واحد هو قول
عمرو وحذيفة وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين وكل على هدى من ربهم (فان قيل) كيف
وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم (أجيب) بأنه تعالى ذكر ذلك ليدل
على أن هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسماً
لا طمأعهم واشعاراً باستحقاقهم الحرمان وانهم بعداء عنها وعن مصارفها فإلهم ومالها وما
سلطهم على التكلم فيها وبين قاسمها (ومنهم) أي المنافقين (الذين يؤذون النبي) هذا نوع
آخر من جهالات المنافقين وهو أنهم كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم ويعيبونه وينقلون
حديثه (ويقولون) اذ انهم واعن ذلك لتلايلغه (هو أذن) أي يسمع كل ما يقال له ويصدق به
بالبارحة للمبالغة كأنه من قرط استماعه صار جلته آلة للسمع كما يسمى الجاسوس عينا
لذلك واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس نزلت في جماعة من المنافقين كانوا
يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض لا تفعلوا فانا نخاف أن ييلغه
ما نقولون فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد وهو من المنافقين بل نقول ما شئنا ثم نأتيه فنتذكر
ما قلنا ونخلف له فيصدقنا فيما نقول فان محمد أذن أي أذن سامعة يسمع كل ما يقال له ويقبله
وقال محمد بن اسحق نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبيل بن الحرث وكان رجلاً ثاراً الشهر
أحر العينين أسفع الخدين مشوه الخافة وقد قال صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر الى
الشیطان فليتنظر الى نبيل بن الحرث وكان يتم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الى المنافقين
فقيل له لا تفعل ذلك فقال انما محمد أذن فن حدثه شياً صدقه فنقول ما شئنا ثم نأتيه فنخلف له
فيصدقنا فنزلت وقال الحسن كان المنافقون يقولون ما هذا الرجل الا أذن من شاء صرفه حيث
شاء لا عزة له ومقصود المنافقين بقوله هم هو أذن ايسر له ذكاه ولا بعد غور بل هو سليم القلب

أربع الاغتراب بكل ما يسمع فلهذا السبب سمعوا بأذن وقوله تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء
 المنافقين (أذن خير لكم) تصديق لهم بأنه أذن لكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث
 أنه يسمع الخير ويقبله ثم فسر تعالى ذلك بقوله تعالى (يؤمن بالله) أي يصدق به لما قام عنده
 من الأدلة (ويؤمن للمؤمنين) أي ويصدقهم ويقبل قولهم ولا يقبل قول المنافقين (فان قيل)
 لم يهدى فعل الايمان بالباء الى الله تعالى والى المؤمنين باللام (أجيب) بأن الايمان المهدى الى
 الله تعالى المراد منه التصديق الذي هو تقيض الكفر فعدى بالباء والايمان المهدى للمؤمنين
 معناه الاستماع منهم والتسليم لقولهم فعدى باللام كما في قوله تعالى وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا
 صادقين وقوله تعالى فما آمن لموسى الا ذرية من قومه وقوله تعالى أنؤمن لك واتبعك الارذلون
 وقوله آمنتم له قبل أن آذن لكم وقرأنا فاع آذن في الموضع عين يتسكن الذال والباقون بالرفع
 (ورجعة) أي وهو رجعة (للذين آمنوا منكم) أي ان أظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره
 وفيه تنبيه على أنه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقابكم وترجاء عليكم وقرأ جزء ورجعة
 بالجر عطفًا على خير والباقون بالرفع * ولما بين سبحانه وتعالى كونه سببا للخبرين أن كل من اذا
 استوجب العذاب الا ايم بقوله تعالى (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) أي مؤلم لانه اذا
 كان يسعى في ايصال الخير والرحمة اليهم مع كونهم في غاية الخبيث والغري ثم انهم مع ذلك يقابلون
 احسانه بالاساءة وخبراته بالشرور فلا شك انهم يستحقون العذاب الشديد من الله تعالى ثم ذكر
 نوعا آخر من قبائح أفعال المنافقين بقوله تعالى (يخلفون بالله لكم) أي المؤمنون (ليرضوكم)
 أي اترضوا عنهم واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال مقاتل والكلبي نزلت في رهط من
 المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أتوا بعتذرون اليهم
 ويؤكدون معاذيرهم بالخلف ليعذروهم ويرضوا عنهم وقال قتادة والسدي اجتمع ناس من
 المنافقين فيهم جلاس بن سويد ووديع بن ثابت فوقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا ان كان
 ما يقول محمد حقا فنحن أشرم من الخير وكان عندهم غلام من الانصار يقال له عامر بن قيس فحقوقه
 وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام وقال والله ما يقول محمد حق وأنتم أشرم من الخير ثم أتى النبي
 صلى الله عليه وسلم فأخبره فدعاهم فسألهم فخلقوا ان عامرا كذب وحلف عامر أنهم كذبة
 فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو الله ثم صدق الصادق وكذب الكاذب فنزلت
 (والله ورسوله أحق أن يرضوه) أي بالارضاء بالطاعة والوفاق وانما وحده الضمير لانه لا تفاوت
 بين رضا الله ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم لتلازمهما ما صكك قولك احسان زيد واجاله
 نعتي وجبرمني أو ان العالم بالاسرار والضمائر هو الله تعالى واخلاص القلب لا يعلمه
 الا الله تعالى ولهذا السبب خص الله تعالى نفسه بالذكر أولان الكلام في ايداء الرسول
 وارضائه وخبر الله أو رسوله محذوف وفي كلام البيضاوي اشارة الى ان المذكور خبر الاول
 لانه المتبوع وفي كلام سيدي به انه للثنائي لكونه أقرب مع السلامة من الفصل بين المبتدأ
 والخبر (ان كانوا) أي هؤلاء المنافقون (مؤمنين) أي مصدقين بوعد الله ووعده في الآخرة

(ألم يعلموا) قال أهل المعاني هذا خطاب لمن علم شيئا ثم نسب به وتركه فيقال له ألم تعلم أنه كان كذا وكذا ولم يطال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهر المؤمنين والمنافقين وعلمهم من أحكام الدين ما يحتاجون إليه خاطب المنافقين بقوله تعالى ألم يعلموا أن من شرايع الدين التي علمهم رسولنا (أنه) أي الشأن (من يحادد الله) أي من يخالف الله (ورسوله) وأصل المحاداة في اللغة المخالفة والمجانبة والمعاداة واشتقاقه من الحاد يقال حاذ فلان فلانا أي صار في حد غير حده كقولك شقه أي صار في شق غير شقه ومعنى يحادد الله أي يصير في حد غير حد أولياء الله تعالى بالمخالفة وقوله تعالى (فأن له نار جهنم) أي على حذف الخبر أي فحق أن له نار جهنم لأن الفاء واقعة في جواب الشرط فتقتضي جملة وفان له نار جهنم مقرر في موضع رفع بالابتداء وقد رخصه مقدما لأن أن لا يتدأ بها قال الرازي وأما معناه فله نار جهنم وإن تكررت للتوكيد واعتراض بأن فيه الفصل بين المؤكد والمؤكد بأجنبي ثم قال أو جواب من محذوف والتقدير ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله يملك فأن له نار جهنم (خالدا فيها) أي دائما من غير انقضاء كما كانت نيته المحادة أبدا ثم نبه على عظم هذا الجزاء بقوله تعالى (ذلك) أي الأمر البعيد الوصف العظيم الشأن (الحزى العظيم) أي الهلاك الدائم (يحذر) أي يخاف (المنافقون أن تنزل عليهم) أي المؤمنين (سورة تنبئهم) أي تحذرهم (بما في قلوبهم) أي بما في قلوب المنافقين من النفاق والحسد والعداوة للمؤمنين كانوا يقولون فيما بينهم ويستهزئون ويخافون القضية بنزول القرآن في شأنهم قال قتادة هذه السورة كانت تسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة أثارت مخازيهم ومناقبهم قال ابن عباس أنزل الله تعالى ذكر سبعين رجلا من المنافقين بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم نسخ ذكر الأسماء رحمة على المؤمنين لئلا يعبر بعضهم ببعض إلا أن أولادهم كانوا مؤمنين (قل) يا محمد لهؤلاء المنافقين (استهزؤا) أمر تهديد (أن الله يخرج) أي مظهر (ما تحذرون) إخراجهم من نفاقكم قال ابن كيسان نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقهر الرسول الله صلى الله عليه وسلم على العقوبة لما رجع من غزوة تبوك ليهتمسكوا به إذا علاها ومعهم رجل مسلم يخفيهم شأنه وتسكروا له في ليلة مظلمة فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدروا وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوههم ويأخذهم ويأخذهم فبصرهم فاضربها حذيفة حتى نحاها عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم أعرف منهم أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم فلان وفلان حتى عددهم كلهم فقال حذيفة لا تبعث إليهم فتقتلهم فقال أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله (ولئن) اللام لام القسم (سألتم) أي المنافقين عن استهزائهم بك والقرآن وهم سائرون معك إلى تبوك (لبيقولن) معذرين (أنما كنا نخوض ونلعب) في الحديث لنقطع به الطريق ولم نقصد ذلك قال قتادة كان النبي صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان يستهزئان بالنبي صلى الله عليه وسلم والقرآن والثالث يضحك قيل كانوا يقولون إن محمدا يغلب الروم ويفزع

مدانهم ما أبعد من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمد ايرغم انه نزل في أصحابنا المقيمين بالمدينة
قرآن وانما هو قوله وكلامه فأطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احسبوا
الركب على قدعاهم وقال لهم قلم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب أى كنا نتحدث
ونخوض في الكلام كما يفعل الركب لنقطع الطريق بالحديث واللعب قال الله تعالى (قل) يا محمد
اهؤلاء المنافقين (أبأن الله) أى بفرائضه وحدوده وأحكامه (وآياته) أى القرآن وسائر ما يدل على
الدين الذى لا يمكن تبديله ولا يخفى على بصير ولا بصيرة (ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم الذى عظمت
من عظمتة وهو مجتهد فى اصلاحكم وتشريفكم واعلائكم (كنتم تستهزئون) توحيث
وتقريعهم على استهزائهم بما لا يصلح الاستهزاء به والزما للعبه عليهم ولا يعاب باعتقادهم الكاذب
ولما كان الاستهزاء بذلك كقرا قال الله تعالى (لا تعذروا) أى لانت تغلوا باعتذار انكم
الباطلة (قد كفرتم) أى أظهرتم الكفر بقولكم هذا (بعد ايمانكم) أى بعد اظهار الایمان
(فان قيل) المنافقون لم يكونوا مؤمنين فكيف قال تعالى قد كفرتم بعد ايمانكم (أجيب)
بأنهم كانوا يكتفون الكفر ويظهرون الايمان فلما حصل ذلك الاستهزاء منهم وهو كفر فقد أظهروا
الكفر بعدما أظهروا الايمان كما تقرّر (ان نغف عن طائفة منكم) أى باخذائهم التوبة
واخلاصهم الايمان بعد النفاق (نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين) أى مصرين على النفاق
والاستهزاء قال محمد بن اسحق الذى عفا الله عنه رجل واحد وهو مخشي بن حير الاشجعي يقال
هو الذى كان يضحك ولا يخوض وكان يمشى بجانبهم وكان ينكر بعض ما يسمع والعرب توقع
لفظ الجمع على الواحد فتقول خرج فلان الى مكة على الجمال والله تعالى يقول الذين قال لهم
الناس يعنى بن معود فلما نزلت هذه الآية تأب من نفاقه وقال اللهم انى لأزال أسمع آية
تقرأ تنشر منها الجلود وتحقق منها القلوب اللهم اجعل وفائى قتلا فى سبيلك لا يقول أحد أنا
غسلت أنا كفت أنا دفت فأصيب يوم اليمامة فلم يعرف أحد من المسلمين مصرعه وقرأ عاصم
نغف بالنون مفتوحة وضم الفاء وتعذب طائفة بنون مضمومة وكسر الذاو وطائفة بالنصب
والباقون ان يغف بياء مضمومة وتعذب بضم التاء وفق الذاو وطائفة بالرفع ثم بين تعالى نوعا
آخر من أنواع فضائحهم وقبائحهم والمقصود منه بيان ان اناتهم كذ كورهم فى تلك الاعمال
المنكرة والافعال الخبيثة بقوله تعالى (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) أى متشابهة
فى النفاق والبعث عن الايمان كالبعض الشئ الواحد كما يقول الانسان لغيره أنا منك وأنت
منى أى امرنا واحد لا مباينة فيه (يا مرون بالذكر) أى يا مبر بعضهم بعضا بالشر والعتصية
وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم (وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم) أى عن الانفاق
فى كل خير من زكاة وصدقة وانفاق فى سبيل الله والاصل فى هذا ان المعطى يديده ويسطها
بالعطاء فقبل لمن منع ويخل قد قبض يده فقبض اليد كناية عن الشح وقوله تعالى (نسوا الله فسيهم)
لا يمكن اجراؤه على ظاهره لاننا لو حملنا النسيان على الحقيقة لما استحقوا عابه ذمالا لان النسيان
ليس فى وسع البشر ونسب رفع عن أمي انطما والنسيان وأيضافه فى حق الله تعالى محال

فلا بد من التأويل وهو من وجهين الاول معناه انهم تركوا امره حتى صار بمنزلة المنسى
 فجازاهم بأن صيرهم بمنزلة المنسى من ثوابه ورجته وجاءه هذا على من اوجبه الكلام كقوله تعالى
 وجزا سبعة سيئة مثلها الثاني التسيان ضد الذكرك فلما تركوا ذكر الله بالعبادة والثناء على الله ترك
 الله تعالى ذكرهم بالرحمة والاحسان وانما حسن جعل التسيان كتابة عن ترك الذكرك لان من
 نسي شيئا لم يذكره فجعل اسم الملزوم كتابة عن اللازم (ان المنافقين هم الفاسقون) أى الكاملون
 فى الفسق الذى هو الاقتراف فى الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا أن يلم بما يكسبه
 هذا الاسم القاحش الذى وصف الله تعالى به المنافقين حتى بالغ فى ذمهم وقد ذكره رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لانه لم أن يقول كرهت كسالت لان المنافقين وصفوا بالكسل فى قوله تعالى
 الا وهم كسالى فاطنك بالفسق ولما بين سبحانه تعالى كثيرا من أحوال المنافقين والمنافقات
 وانه قسمهم أى جازاهم على تركهم التمسك بطاعة الله تعالى كدهذا الوعيد وضم المنافقين
 الى الكفار فيه بقوله تعالى (وعدا لله المنافقين والمنافقات والكفار) أى الجماهيرين فى عنادهم
 يقال وعده بالخير وعدا وأوعده بالشر وعيدا (نار جهنم خالدين فيها) أى مقدرين بالخلود ولا شك
 ان النار المخلدة من أعظم العقوبات (هى حسبهم) أى كافيتهم فى العذاب (ولعنهم الله) أى
 ابعدهم مع من ابعدهم من رجته ولما كان الخلود قد يتجاوز به عن الزمن الطويل فيكون
 بعده فرج تفى ذلك بقوله تعالى (ولهم عذاب مقيم) أى دائم لا ينقطع وقوله تعالى (كالذين من
 قبلكم) رجوع من القبيبة الى خطاب الحضور والكاف فى كالذين للتشبيه والمعنى فعلتم كفعال
 الذين من قبلكم شبه فعل المنافقين بفعل الكافرين الذين كانوا من قبلهم فى الامر بالمعكر والنهي
 عن المعروف وقبض الايدى عن فعل الخير والطاعة ثم انه تعالى وصف الكفار بأنهم كانوا أشد
 من هؤلاء المنافقين قوة وأكثر أموالا وأولادا بقوله تعالى (كانوا أشد منكم قوة) أى بطش
 ومنعاً (وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بجاهلهم) أى فتمتعوا بنصيبهم من الدنيا باتباع
 الشهوات ورضوا بها عوضا عن الآخرة والخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان وقد رله من خير
 وشر كما يقال قسم له (فاستمتع بجاهلهم) أى فتمتع أيها المنافقون والكافرون بخلقكم فهو
 خطاب للعاشرين (كما استمتع الذين من قبلكم بجاهلهم) ذم الاولين باستمتاعهم بما أولوا
 من حظوظ الدنيا العاجلة وحرمانهم من سعادة الآخرة بسبب استغراقهم فى تلك الحظوظ
 العاجلة ثم هيد الذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء أثرهم ولما بين تعالى مشابة هؤلاء المنافقين
 لآلئك المتقدمين فى طلب الدنيا وفى الاعراض عن طلب الآخرة بين حصول المشابهة بين
 الفريقين فى تكذيب الانبياء وفى المكروا الخديعة بقوله تعالى (وخضتم) أى ودخلتم فى الباطل
 والكذب على الله تعالى وتكذيب رسوله والاستمراء بالمؤمنين (كالذى خاضوا) أى كالذين
 خاضوا أو كالفوج الذى خاضوا هذا كاه اذا جهلنا الذى موصولا اسما فان جعلناه موصولا
 حرفيا اول مع صلته بمصدر أى كخوضهم والقوج الجماعة (فان قيل) أى فائدة فى قوله تعالى
 فاستمتعوا بجاهلهم وقوله تعالى كما استمتع الذين من قبلكم بجاهلهم من عنده كما أغنى

قوله تعالى كالذي خاضوا عن أن يقال وخاضوا فخصم كالذي خاضوا (أجيب) بأن فائدة ذلك أن يذم الأولين بما ترمي شبهة بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم فيكون ذلك نهاية في المبالغة كما تريد أن تنبه بعض الظلمة على قبح ظلمه بقولك أنت مثل فرعون كان يقتل بغير حرم ويعذب من غير موجب وأما وخصم كالذي خاضوا فخطوف على ما قبله مستند إليه مستغن بإسناده إليه عن تلك المقدمة (أو لئلا) أي هؤلاء الأشقياء (حبطت) أي بطلت (أعمالهم في الدنيا) أي بزوالها عنهم ونسيان لذاتها (والآخرة) أي وفي الدار الآخرة لانهم لم يسعوا لها سعيها فلم تنفعهم أعمالهم في الدارين بل يعاقبون عليها وزاد في التنبيه على بعدهما عما قصدوا والانتباه من النفع بقوله تعالى (وأولئك هم الخاسرون) أي الذين خسروا الدنيا والآخرة والمعنى أنه كما بطل أعمال الكفار الماضين وخسروا تبطل أعمالكم أي المنافقون ويخسرون وفي الالتفات إلى مقام الخطاب إشارة إلى تحذير كل سامع عن مثل هذه المقالة قال بعض كبراء التابعين أدركت سبعين ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه وذكر أن ما ليكرهه الله تعالى دخل المسجد بعد العصر ووجد من لا يرى الركوع بعد العصر فجلس ولم يركع فقال له صبي يا شيخ قم فاركع فقام وركع ولم يحاجه بما يراه مذهباً فقبل له في ذلك فقال خشيت أن أكون من الذين إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال بيننا وبين المنافقين شه ود العمة والصبح لا يستطيعونهم ما وقال تعالى لا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ينظر المنافق الى ما يقطع فضائل أهل الفضل ويتعاضى عن محاسنهم كما روى أن الله تعالى يفيض التاولك لحسنه المؤمن الاخذاسيته والمؤمن الصادق يتغافل عن مساوى أهل المساوى فكيف بما يبأ أهل المحاسن والمنافق يأخذ من الدين ما يتقنع في الدنيا ولا يأخذ ما يتقنع في العقبى ويحتجب في الدين ما يضرب في الدنيا ولا يحتجب ما يضرب في العقبى مما لا يضرب في الدنيا * ويذكر أن رجلاً من صلحاء المسلمين دخل كنيسة فقال لراهب فيها داني على موضع طاهر أصلى فيه فقال له الراهب طهر قلبك عما سواه وقم حيث شئت قال المسلم فجلست منه وقوله عز من قائل (ألم يأتهم) فيه رجوع من الخطاب الى الغيبة أي ألم يأت هؤلاء المنافقين والكفار وهو استفهام بمعنى التقرير أي قد أتاهم (نبأ) أي خبر (الذين من قبلهم) من الأمم الماضية الذين خلوا من قبلهم وكيف أهلكناهم حين خالفوا أمرنا وعصوا أمرنا * ولما شبه تعالى المنافقين بالكفار المتقدمين في الرغبة في الدنيا وفي تكذيب الأنبياء والمبالغة في إيذائهم لرسولهم بين منهم ستة طوائف الأولى (قوم نوح) أهلكوا بالطوفان (و) الثانية (عاد) وهم قوم هود أهلكوا بالريح والثالثة ثمود وهم قوم صالح أهلكوا بالرجفة (و) الرابعة (قوم إبراهيم) أهلكوا بسلب النعمة وأهلك نمرود بعبودية الله تعالى على دماغه فقتله (و) الخامسة (أصحاب مدين) وهم قوم شعيب ويقال انهم من ولد مدين بن إبراهيم أهلكوا بعذاب يوم الظلة (و) السادسة (المؤتفكات) وهم قوم لوط أي أهلها أهلكوا بأن جعل الله تعالى أعلى أرضهم سافلها وامطر عليهم حجارة وأما ذكر الله تعالى هذه الطوائف الستة لأن آثارهم باقية وبلادهم بالشام

في صفة جنات عدن فقال الحسن سألت عمران بن الحصين عن قوله تعالى وما سكن طيبة
 فقال علي الخبير سقطت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قصر في الجنة من اللؤلؤ فيه
 سبعون داراً من ياقوتة حراء في كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريراً
 على كل سرير سبعون فراشاً على كل فراش زوجة من الخور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل
 مائدة سبعون لوناً من الطعام وفي كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن من القوة في غداة
 واحدة ما يأتى على ذلك أجمع وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار
 الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر أي دار الله تعالى التي أعدها لوليائه وأهل طاعته
 والمقربين من عباده وعن أبي هريرة رضي الله عنه قلت يا رسول الله حدثني عن الجنة ما بناؤها
 قال ابنة من ذهب وابنة من فضة وبلاطها المسك الأذفر وتربها الزعفران وحصبهاؤها الدر
 والياقوت فهي النعيم بلا يؤس والخلود بلا موت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه وقال ابن مسعود
 جنات عدن بطنان الجنة قال الأزهرى بطنانها وسطها وقال عطاء عن ابن عباس هي قصر
 في الجنة وسقفها عرش الرحمن وهي المدينة التي فيها الرسل والأنبياء والشهداء وأئمة الهدى
 وسائر الجنان حولها وفيها عين التسليم وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتب ریح طيبة
 من تحت العرش فتدخل عليهم كشياب المسك الأذفر وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله
 تعالى عنهم ما إن في الجنة قصر يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة آلاف باب لا يدخله
 الأنبياء أو صدق أو شهيد أو حكم عدل وقال عطاء بن السائب عدن نهر في الجنة قبابه على
 حافتيه وقال الرازي حاصل الكلام إن في جنات عدن قواين أحدهما أنه اسم علم لموضع معين في
 الجنة وهذه الأخبار والأثر تقوى هذا القول وقال في الكشف وعدن علم بدليل قوله تعالى
 جنات عدن التي وعد الرحمن عباده والقول الثاني أنه صفة الجنة قال الأزهرى مأخوذ من قولك
 عدن بالمكان إذا أقام به يعدن عدونا فهذا الاشتقاق قالوا الجنات كلها جنات عدن جعلنا
 الله تعالى ومن نحبه من أهلها وأهل علينا رضوانه فانه المقصود الأعظم كما قال تعالى
 (ورضوان من الله أكبر) لانه المبدأ الكل سعادة وكرامة والمؤدى الى نيل الوصول والفوز باللقاء
 روى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله تبارك
 وتعالى يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم
 فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول أنا أعطيتكم أفضل من
 ذلك فيقولون وأي شئ أفضل من ذلك قال تعالى أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً
 وهذا هو النوع الثالث وقرأ شعبة ورضوان بضم الراء والياقوت بالكسر (ذلك) أي الرضوان
 أو جميع ما تقدم (هو الفوز العظيم) الذي تستصغرونه الدنيا وما فيها وما وصف الله تعالى
 المنافقين بالصفات الخبيثة وتوعدهم بأنواع العقاب وكانت عادة الله تعالى في هذا الكتاب
 الكريم جارية بذكر الوعد مع الوعيد لا جرم ذكر عقبه وصف المؤمنين بالصفات الشريفة
 الطاهرة الطيبة ووعدهم بالثواب الرفيع والدرجة العالية ثم عاد الى شرح أحوال الكفار

والمنافقين بقوله تعالى (يا أيها النبي جاهد الكفار) أي الجاهرين (والمنافقين) أي الساترين
كفرهم بظهور الاسلام (فان قيل) الآية تدل على وجوب مجاهدة المنافقين وهو غير جائز
فان المنافق كما مر من يستتر كفره ويقر بلسانه ومن كان كذلك لم تجز محاربته ومجاهدته
(أجيب) بأن ليس في الآية ما يدل على ان ذلك الجهاد بالسيف أو باللسان أو بطريق آخر
وانما تدل على وجوب الجهاد مع الفريقين وكيفية تلك المجاهدة انما تعرف من دليل آخر
وقد دلل الدلائل المقصولة على ان المجاهدة مع الكفار يجب أن تكون بالسيف ومع المنافقين
بالجبة والبرهان وحمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا أسبابها
قال القاضي وهذا ليس بشئ لان اقامة الحدود واجب على من ليس بمنافق فلا يكون لها تعلق
بالنفاق ولما كان صلى الله عليه وسلم مطبوعا على الرفق وحسن الخلق قال تعالى (واغلف عليهم)
أي بالانتهاز والمقت في الجهادين لانما لهم مثل ما عاملتهم به من اللين عند استئذانهم في القعود
وهذا بخلاف ماضى في وعيد المنافقين حيث قدمهم فقال المنافقون والمنافقات فقدم في
كل سياق الاليق به (وما واهم) أي مسكنهم في الآخرة (جهنم وبئس المصير) أي
المرجع هي (يخلفون) أي المنافقون (بالله ما قالوا) أي ما بلغك عنهم من السب والمفسرون
ذكروا في أسباب نزول هذه الآية وجوها الا قول روى أنه عليه الصلاة والسلام أقام في غزوة
تبوك ثم من ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد ثلث كان ما يقول
نجد في اخواننا الذين خلفناهم بالمدينة حتى شرم من الحيرة فقال عامر بن قيس الانصارى
للجلاس أجل والله ان محمد اصادق وأنت شر من الحمار فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستحضره فحلف بالله عز وجل ما قاله فرفع عامريده وقال اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق
الصادق وتكذيب الكاذب فنزلت فقال الجلاس لقد ذكر الله تعالى التوبة في هذه الآية
ولقد قلت هذا الكلام وصدق عامر ثم تاب وحسنت توبته الثانی أنها نزلت في عبد الله بن أبي
لما قال لن رجعتا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وأراد به الرسول صلى الله عليه وسلم
فسمع زيد بن أرقم ذلك فبلغه النبي صلى الله عليه وسلم فهم هم رضى الله عنه بقتل عبد الله بن
أبي الجاهل عبد الله بن أبي وحلف أنه لم يقل الثالث روى قتادة أن رجلين اقتتلا احدهما من
جهينة والاخر من غفار وكانت جهينة حلفاء الانصار فظهر الجاهلي على الغفارى فقال عبد الله
ابن أبي لاوس انصروا أخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل من كلبك يا كلك
فسمى بهما رجل من المسلمين الى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه فحلف بالله ما قاله فنزلت
(ولقد قالوا كلمة الكفر) وهي سب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هي كلمة الجلاس بن سويد
وقيل هي كلمة عبد الله بن أبي (وكفروا بعد اسلامهم) أي وأظهروا كفرهم بعد اظهار اسلامهم
الاسلام (وهو ما عاينوا) أي من قتل النبي صلى الله عليه وسلم عند مرجعه من تبوك توافق
خمسة عشر منهم اذا تسنم العقبة أي عسلاها بالليل فأخذ عمار بن ياسر بخطام ناقته يقودها
وحذيفة خلفها يسوقها فيمنعهاهم كذلك اذ مع حذيفة بوقع أخفاف الابل وبضعفة

السلاح فالتفت فاذا قوم مثلثون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون
 هموا بقتل عامر حين ردت على الجلاس وقيل أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبي وان لم يرض
 رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما نقموا) أي وما أنكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا
 (الآن أغناهم الله ورسوله من فضله) فان أكثر أهل المدينة كانوا قبل قدوم النبي صلى الله
 عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحرزون الغنمة وبعد قدومه أخذوا
 الغنائم وفازوا بالاموال ووجدوا الدولة وذلك يوجب أن يكونوا محبين له مجتهدين في بذل النفس
 والمال لأجله وقتل للجلاس مولى فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته اثني عشر ألفا
 فاستغنى فالمنافقون علوا بضد الواجب فوضعوا موضع شكره صلى الله عليه وسلم ان نقموا منه
 وقال ابن قتيبة معناه ليس هنالك شيء ينقمون منه ولا يهيبون من الله الا الصنيع وهذا
 كقول الشاعر

مانقموا من بني أمية الا انهم يحلون ان غضبوا

وكقول النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سبوقهم • بين قول من قراع الكتاب

أي ليس فيها عيب (فان يتوبوا) أي من كفرهم ونفاقهم (بك خيرا لهم) في العاجل والآجل من
 اصراؤهم على ذلك وهذا الذي حمل الجلاس على التوبة والاضمير في بك التوبة (وان يتولوا) أي
 يعرضوا عن الايمان والتوبة ويصروا على النفاق والكفر (بعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا)
 بالقتل والاسر والاذلال (والآخرة) بالعذاب الاكبر الذي لا خلاص لهم منه وهو خلودهم
 في النار (ومالهم في الارض) أي التي لا يعرفون غيرها السفول هم منهم (من ولي) يحفظهم منه
 (ولانصير) ينفعهم وأما العامة فهم أقل من أن يطعموا ومنهم في شيء ناصرا وغيره وأغلظ اكباد
 من أن يرتقي فكرهم الى ما به من العجائب وما به امن الجنود واعلم أن هذه السورة أكثرها
 في شرح أحوال المنافقين ولا شك انهم أقسام وأصناف فلهذا السبب يذكرهم الله تعالى على
 التفصيل فيقول تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ومنهم من يمارك في الصدقات ومنهم من يقول
 انذن لي ولا تفتني (ومنهم من عاهد الله ان لا يقاتلنا ثم انما هم فضلة لصدقت) فيه ادغام التاء في الاصل
 في الصاد (ولنكونن من الصالحين) قال ابن عباس رضي الله عنهما ان ثعلبة بن حاطب أبطأ عنه
 ماله بالثأم فلهمة شدة خاف بالله وهو واقف ببعض مجالس الانصار لئن آتانا الله من فضله لاصدقن
 ولا تؤدين منه حق الله تعالى والمشهور في سبب نزول هذه الآية ان ثعلبة بن حاطب الانصاري
 قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة قليل
 تؤدى شهركه خير من كثير لا تطيقه فراجع فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما لك في
 رسول الله اسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهبا وقضة لساوت
 ثم أتاه بعد ذلك وقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لنرزقني الله مالا
 لا عطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاحذغنا

ففتحت كما تنهى الدود حتى كثرت ونزل به أواديا من أودية المدينة واشتغل بهما حتى صار يصلي مع
النبي صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلي في غنمه باقي الصلوات ثم كثرت وغت حتى تباعد
عن المدينة أيضا فصار لا يشهد إلا الجمعة ثم كثرت وغت حتى تباعد عن المدينة أيضا فصار
لا يشهد إلا الجمعة ولا جماعة فكان إذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس يسألهم عن الأخبار
فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ غنما
ما يسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة ثلاثا فزات آية الصدقة فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجليزا لآخذ الصدقة وكتب لهم ما اصناف الصدقة وكيف
ياخذون وقال لهم ما رايت ثعلبة وخذا صدقاته فأتيهم وسأله الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الآية أخت الجزية انطلقا حتى تغرغان عودا إلى فانطلقا
فاستقبلا ما الناس بصدقاتهم ثم رجعا إلى ثعلبة فقال له كفايته الأولى ولم يدفع اليها شيئا فرجعا
إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبراهما بالذي صنع ثعلبة فأنزل الله تعالى هذه الآية وعند
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك
يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأله أن
يقبل صدقته فقال إن الله تعالى منعني من أن أقبل صدقتك فجعل يحثو على رأسه التراب فقال
صلى الله عليه وسلم لقد قلت لك غشا طعتني فرجع إلى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
لخاء به إلى أبي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها ثم جاء بها إلى عمر أيام خلافة فلم يقبلها فلما ولي عثمان
أتاهم فلم يقبلها واهلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه (فان قيل) العبد إذا تاب تاب الله
عليه فلماذا منع الله تعالى من قبول صدقته (أجيب) بأن الله تعالى لما قال خذ من أموالهم
صدقته تطهرهم وتركهم بها وكان هذا المقصد وغير حاصل في ثعلبة مع نفاقه فلهذا السبب
امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ تلك الصدقة ثم قال الله تعالى (فلما أتاهم من فضله
بجملوا به) أي منعوا حتى أتاهم منه (وقولوا) عن طاعة الله تعالى (وهم معرضون) أي عن
طاعة الله تعالى (فأعقبهم) أي صبر عاقبتهم (نفاقا) متمكنا (في قلوبهم إلى يوم يلقونه) أي الله
يوم القيامة (بما أخلقوا الله ما وعدوه) أي بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصديق والصلاح
لأن الجزاء من جنس العمل (وبما كانوا يكذبون) أي يبعدون الكذب دائما مع الوعد
ومنفسكا عنه فقد استكملوا النفاق عاهدوا فغدروا ووعدوا فأخلفوا وحدهم فأكذبوا وقد
قال صلى الله عليه وسلم آية المنافق أي علامته ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا
اتقن خان (ألم تعلموا) أي المنافقون (أن الله يعلم سرهم) أي ما أمروا في أنفسهم من النفاق
والعزم على اخلاف ما وعدوه (وشجواهم) أي ما تناجوا بينهم من المطاعن في الدين وتسمية
الصدق جزية وتدبير منعها فكيف يجترئون على النفاق الذي الأصل فيه الاستمرار والتناجى
فيما بينهم مع علمهم بأن الله تعالى يعلم ذلك من حالهم كما يعلم الظاهر وأنه يعاقب عليه كما يعاقب على
الظاهر (وإن الله علام الغيوب) والعلام مبالغة في العالم والغيب ما كان غائبا عن الخلق

فكيف يحزن الاخفاء عنه وقوله تعالى (الذين) مبتدأ (يلزومون) أي يعيبون (المطوعين) المستغفرين
 (من المؤمنين) أي الراضين في الايمان (في الصدقات والذين لا يجحدون الاجهدهم) أي
 طاعتهم فيأتون به (فيستخرون منهم) أي يستهزون بهم والخبر (حضر الله منهم) أي جازاهم على
 حضرتهم (ولهم عذاب أليم) على كفرهم وهذا نوع آخر من أعمال المنافقين القبيحة وهولزهم
 لمن يأتي بالصدقات روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم وحث على الصدقة
 فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله
 مالي ثمانية آلاف درهم جئتك بأربعة آلاف درهم فاجعلها في سبيل الله وأمسكت أربعة آلاف
 لي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله
 تعالى في مال عبد الرحمن حتى أنه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وتسعين ألف
 درهم وجاء عاصم بن عدي الانصاري بسبعين وسقاً من تمر وجاء عثمان بن عفان بصدقة عظيمة وجاء
 أبو قبيل الانصاري بصاع من تمر وقال أجزت الليلة الماضية نفسي من رجل لارسال الماء الى
 نخله فأخذت صاعين من تمر فأمسكت أحدهما العياى وأيتك بالآخر فأمر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بوضعه في الصدقات فلزهم المنافقون وقالوا عبد الرحمن وعثمان ما يعطيان الا رياء
 والله ورسوله لغيران عن صاع أبي عقيل ولكن أحب أن يذ كر نفسه ليعطى من مال الصدقات
 فنزلت وقوله تعالى (استغفروا لهم) يا محمد (أولا تستغفروا لهم) تخيير للنبي صلى الله عليه وسلم
 في الاستغفار لهم وتركه قال صلى الله عليه وسلم انى خيرت فاخترته يعنى الاستغفار رواء
 البخارى (ان تستغفروا لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) روى أن عبد الله بن عبد الله بن أبي
 وكان من المخاضين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرض أليه أن يستغفر له ففعل فنزلت
 فقال عليه الصلاة والسلام سأزيد على السبعين وذلك لانه صلى الله عليه وسلم فهم من السبعين
 العدد المخصوص لانه الاصل لجواز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ماوراه فبين تعالى أن
 المراد التسعة كعدد الحديد وانما خص السبعين من العدد بالذكرا لان العرب كانت تستكثر
 السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حزة ورضى الله عنه سبعين تكبيرة
 ولان آحاد السبعين سبع وهو عدد شريف فان السموات سبع والارضين سبع والايام سبع
 والاقاليم سبع والبحار سبع والنجوم سبع وقد ائاع استعمال السبعة والسبعين والسبع مائة
 ونحوها في التسعة كثر لا شتمال السبعة على جملة أقسام العدد أى عدة مراتبه الاصلية
 والفرعية مع ذكر أول فروع فروع وهى سبعة آحاد عشرات مئين آحاد ألوف
 عشرات ألوف مئين ألوف آحاد ألوف الألوف وقوله تعالى (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله)
 اشارة الى أن اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس ليجل متاولا قصور فيك بل لعدم
 قابليتهم بسبب الكفر الصارف عما (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي المقردين في كفرهم
 وهو كالتقية على عذر النبي صلى الله عليه وسلم في استغفاره وهو عدم يأسهم عن ايمانهم
 ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله تعالى ما كان

لنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم (فرح المخلفون) من غزوة تبوك (بعقد هـ) أي بقعود هـ فهو اسم للمصدر (خلاف رسول الله) هـ ذانوع آخر من قبائح أعمال المنافقين وهو فرحهم بالعودة وكرههم الجهاد والمخلف المتروك من مضي (فان قيل) انهم احتالوا حتى تخلفوا فكانوا متخلفين لا مخلفين (أجيب) بأن من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خروجه الى الجهاد مع المؤمنين يوصف بأنه مخلف حيث لم ينهض وأقام (تنبيه) قوله تعالى خلاف فيه قولان الأول وهو قول الزجاج بمعنى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ساروا فأما قال وهو منصوب لأنه مفعول له والمعنى بأن قعدوا مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني قال الاخفش ان خلاف بمعنى خلف ومعناه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) تعريض للمؤمنين بضمحلهم المشاق لوجه الله تعالى بما فعلوا من بذل أنفسهم وأموالهم وإيثارهم ذلك على السكون والراحة وكره ذلك المنافقون وكيف لا يصحكرهون وما فيهم مافي المؤمنين من باعث الايمان وداعى الايقان (وقالوا) أي قال بعض المنافقين لبعض أو قالوا لاهلهم ومنسبين بتبطل (لا تنفروا) أي لا تخرجوا الى الجهاد (في الحز) وكانت غزوة تبوك في شدة الحر فأجاب الله تعالى عن هذا بقوله تعالى (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) أي يعلمون أن بعد هذه الدار دارا أخرى وان بعد هذه الحياة حياة أخرى وان هذه مشقة منقضية وذلك مشقة باقية ماتخلفوا ول بعضهم

مسرة أحقاب تلقيت بعدها • مساة يوم اربها شبه الصابي
فكيف بأن تلقى مسرة ساعة • وراء تقضيها مساة أحقاب

وقوله تعالى (قل ضحكوا قليلا) أي في الدنيا (وليبتكوا كثيرا) أي في الآخرة ورد بصيغة الامر ومعناه الاخبار بأنه ستحصل لهم هذه الحالة ودليل ذلك قوله تعالى (جزاء بما كانوا يكتسبون) أي أن ذلك البكاء في الآخرة جزاء لهم على ضحكهم وأعمالهم الخبيث في الديار روى أن أهل النفاق سيكون في الآخرة في النار عمر الدنيا لا ير قالهم دمع ولا يكملون بنوم ففرحهم وضحكهم طول أعمارهم في الدنيا قليل بالنسبة الى الآخرة لأن الدنيا قانية والآخرة باقية والمنقطع القاني بالنسبة الى الدائم الباقي قليل روى عن أنس أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس ابتكوا فان لم تستطعوا فاقبوا كوا فان أهل النار يكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء مقتنرة العينون حتى لو أن سفنا اجريت فيها الجرت قال البيضاوي ويجوز أن يكون الضحك والبكاء كائنين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم (فان رجعت) أي ردت (الله) من غزوة تبوك (الى طائفة منهم) أي من تخلف بالمدينة من المنافقين وانما حال الى طائفة منهم لأن منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلي أو اعتذر به ذرهم وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين وأراد بالطائفة المنافقين

منهم) (فاستأذنوك للخروج) معك الى غزوة أخرى بعد تبوك (فقل) يا محمد لهؤلاء الذين طلبوا
الخروج معك وهم مقيمون على اتفاقهم (لن يخرجوا هي أبداً) أى فى سفر من الاسفار ان الله
تعالى قد أغثنى عنكم وأحوجكم الى (ولن تقاتلوا معي عدواً) اخبار بمعنى النهى لله بالغة
وقوله تعالى (انكم رضيتم بالعود أول مرة) تعليل له وكان اسقاطهم من ديوان
الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم وأقل مرة هي المرحلة الى غزوة تبوك (فأقعدوا مع الخالفين)
أى المتخلفين عن الغزوة من النساء والصبيان وغيرهم قال الرازى واعلم ان هذه الآية تدل
على ان الرجل اذا ظهر له من بعض اخوانه مكر وخداع ورأه مثلاً دافيه مما يغا في تقرير
موجباته فانه يجب عليه أن يقطع العلاقة بينه وبينه وأن يحتز عن صاحبه * ولما أمر الله
تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بمنع المنافقين من الخروج معه الى الغزوات اذ لا اله
أمره بمنع الصلاة على من مات منهم اذ لا اله الا الله (ولا تصل على أحد منهم مات
أبداً) روى أن ابن أبي راس المنافقين دعا النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه فلما
دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم سأله أن يصلى عليه واذا مات يقوم على قبره ثم أرسل للنبي
صلى الله عليه وسلم يطلب منه قبضه امكف فيه فأرسل اليه القميص القوقاني
فردّه وطلب الذي يلى جلده ليكفن فيه فقال عمر رضى الله عنه لم تعطى قبضك
للمرجس النجس فقال صلى الله عليه وسلم ان قبضى لا يغنى عنه من الله شيئاً وانى أو قتل من الله
أن يدخل في الاسلام ثبريم هذا السبب فيروى أنه اسلم ألف من الخزيج لما رأوه طلب
الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مات جاء ابنه يعرفه وكان ابنه محمداً
خالصاً صالحاً فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صل عليه وادفنه فقال ان لم تصل عليه يا رسول
الله لم يصل عليه مسلم فقام عليه الصلاة والسلام ليصلى عليه فقام عمر رضى الله عنه بينه وبين
القبلة فنزلت هذه الآية وأخذ جبريل عليه السلام بثوب النبي صلى الله عليه وسلم وقال
لا تصل على أحد منهم مات أبداً قال عمر ففجيت من جرائى على النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ
وهذا يدل على منقبة عظيمة من مناقب عمر رضى الله عنه وذلك ان الوحي ينزل وفق قوله في آيات
كثيرة منها آية أخذ الفدية من أسارى بدر وقد سبق شرحه ومنها آية تحرير النجس ومنها آية
تحويل القبلة ومنها آية أمر النساء بالحجاب ومنها هذه الآية فصارت نزول الوحي على مطابقة
قول عمر منصباً عالياً ودرجة رفيعة له في الدارين ولهذا قال في حقه عليه الصلاة والسلام
لولا أبعث لبعثت يا عمر نبياً وانما لم يبعث صلى الله عليه وسلم عن التكفين في القميص ونهى عن
الصلاة عليه لان الضنة بالقميص كانت تحل بالكرم وكان الله تعالى أمره أن لا يرد ساقلاً
بقوله تعالى وأما السائل فلا تنهر ولان ابنه كان بالوصف المتقدم فأكرمه النبي صلى الله عليه
وسلم لمكان ابنه ولان الرحمة والرافة كانت غالبية عليه صلى الله عليه وسلم ولائها كانت مكافأة
لابنائه العباس قبضه حين كان أسيراً يدروا المراد من الصلاة الدعاء للميت والاستغفار له وهو
ممنوع في حق الكافر قال الواحدى مات في موضع جرائه دفنة لا مكره كانه قبلى

على احد منهم ميت وقوله تعالى أبدا متعاقب قوله ولا تصل والتقدير ولا تصل أبدا على أحد
منهم منها كنياد انما وقال البيضاوي مات أبدا يعني الموت على الكافر فان احياء الكافر
للعذاب لا لا تمتنع فكأنه لم يحيى واختلف في تفسير قوله تعالى (ولا تقم على قبره) فقال الزجاج
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فنع ههنا منه قال الكلبي
لا تقم لاصلاح مهمات قبره وهو من قولهم قام فلان بأمر فلان اذا كفاه أمره وتولاه وقيل
لا تقم عند قبره لدفن أو زيارة والاول أولى لأن النهي للتصريح ثم انه تعالى علل المنع من الصلاة
عليه والقيام على قبره بقوله تعالى (انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) أى كفرون
يعنى لم يتوبوا قبل موتهم عن كفرهم فـ قط بذلك ما قيل ان الفسق أدنى من الكفر فالفائدة في
وصفهم بعد ذلك بالفسق واجب أيضا بأن الكافر قد يكون عدلا في دينه وقد يكون فاسقا
فوصف الله تعالى المنافق بالفسق بعد ان وصفه بالكفر تنبيهها على ان طريقة التناق طريقة
مذمومة عند كل أهل العلم (فان قيل) كيف هم صلى الله عليه وسلم أن يصلى على هذا المنافق مع
قيام الكفر فيه وقيل انه صلى عليه (أجيب) بأن التكليف مبني على قوله صلى الله عليه وسلم
نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فانه كان ظاهرا للسلام فلما علمه الله تعالى بذلك امتنع فلم
يصلى على منافق بعد ذلك ولا قام على قبره حتى قبض (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله
أن يعذبهم به في الدنيا وترحق أنفسهم وهم كفرون) سبق ذكر هذه الآية في هذه السورة بعينها
ولكن حصل بينهم تفاوت في الفاظ أربعة أولها أن في الآية المتقدمة فلا تعجبك بالفاء وههنا
بالواو لأن الآية الاولى ذكرت بعد قوله تعالى ولا ينفقون الا وهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين
للانفق وانما كرهوا ذلك الانفاق لكونهم محبين بكثرة الامول والاولاد فلهذا المعنى نهى
الله تعالى عن ذلك الإعجاب بقاء التعقيب وأما ههنا فالتعاقب لهذا الكلام بما قبله فجاء بحرف
الواو نايها أنه قال تعالى في الآية الاولى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم وههنا كلمة لا تحذوفه
لأن مثل هذا الترتيب يبدأ فيه بالأدون ثم يترقى الى الاشرف فيقال لا تعجبني أمر الأمير ولا أمر
الوزير وهذا يدل على انه كان إعجاب أولئك الاقوام بأولادهم فوق إعجابهم بأموالهم
وهذه الآية تدل على عدم التفاوت بين الامرين عندهم ثالثها أنه تعالى قال هناك انما يريد
الله ليعذبهم وههنا قال انما يريد الله أن يعذبهم فالفائدة فيه التنبيه على ان التعليل في أحكام
الله تعالى محال وان ورد حرف التعليل ومعناه انه كقوله تعالى وما أمروا الا لعباد الله
وما أمروا الا بأن يعبدوا الله وابعها انه ذكر في الآية الاولى في الحياة الدنيا وههنا أسقط
لفظ الحياة تنبيهها على ان الحياة الدنيا باطلت في الحسبة مبالغا الى أنها لا تستحق أن تسمى حياة بل
يجب الاقتصاد عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيهها على كمال دنائتها قال الرازي فهذه وجوه في
الفرق بين هذه الالفاظ والعالم بتحقيق القرآن هو الله تعالى (فان قيل) ما الحكمة في
التكرير (أجيب) بأنه أشد الاشياء جذبا وطلب للنخوة والاشغال بالدنيا وهي الاموال
والاولاد وما كان كذلك يجب التحذير عنه مرة بعد أخرى في المطلوبة والمرغوبة كما أعاد تعالى

قوله في سورة النساء ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء مرتين وقبل انما كرر
 هذا المعنى لان الآية الاولى في قوم منافقين اهم اموال واولاد في وقت نزولها وهذه الآية في
 قوم آخرين والكلام الواحد اذا احتج الى ذكره مع اقوام كثيرين في اوقات مختلفة لم يكن ذكره
 مع بعضهم مغنيا عن ذكره مع آخرين وقوله تعالى (واذا انزلت سورة) يحتمل ان يراد بالسورة غماها
 وان يراد بعضها أي طائفة من القرآن وقبل المراد بالسورة سورة براءة لان فيها الامر بالايان
 والجهاد (ان آمنوا بالله) أي بأن آمنوا ويجوز أن تكون أن المنسوبة (وجاهدوا مع رسوله) فان
 قيل كيف يأمر المؤمنين بالايان فان ذلك يقتضي الامر بتحصيل الحاصل وهو محال (أجيب)
 بأن معناه الدوام على الايمان والجهاد في المستقبل وقيل هذا الامر وان كان ظاهره العموم
 لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون أي اخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله صلى الله
 عليه وسلم وانما قدم الامر بالايان على الامر بالجهاد لان الجهاد بغير الايمان لا يفيد شيئا ثم حكى
 الله تعالى ان عند نزول هذه السورة ماذا يقولون فقال تعالى (استأذناك أولوا الطول منهم)
 قال ابن عباس يعني أهل الغنى وهم أهل القدرة والثروة والسعة من المال وقيل هم رؤساء
 المنافقين وكبرائهم (وقالوا) أي أولوا الطول (ذرنا نحن مع القاعدتين) أي الذين قعدوا العذر
 كالمرضى والزمنى وقيل مع النساء والصبيان ثم ذمهم الله تعالى بقوله (رضوا بأن يكونوا مع
 الخوالف) جمع خالفة أي النساء اللاتي تخلفن في البيوت وقيل الخوالف ادنياء الناس
 وسفلتهم يقال فلان خالفة قومه اذا كان دونهم وانما خص أولوا الطول بالذكر لان الذم لهم
 لازم لكونهم قادرين على السفر والجهاد وأما من لا مال له ولا قدرة له على السفر فلا يحتاج الى
 الاستئذان فان المقسرون كان يصعب على المنافقين تشبيههم بالخوالف (وطبع) أي رخم
 (على قلوبهم) أي هؤلاء المنافقين (فهم لا يفقهون) أي لا يعلمون ما في الجهاد من الفوز
 والسعادة وما في التخلف من الشقاوة والخذلان ولما شرح الله سبحانه وتعالى حال المنافقين من
 القرار عن الجهاد بين حال الرسول والذين آمنوا معه بالاضمة بقوله تعالى (لكن الرسول والذين
 آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أي بذلوا المال والنفس في طلب رضوان الله تعالى
 والتقرب اليه وفي قوله تعالى لكن فائدة وهي تقرير أنه وأن تخلف هؤلاء المنافقون عن الغزوة قد
 توجه اليه من هو خير منهم وأخلص نية واعتقادا كقوله تعالى ان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا
 بها قوماً ولما وصفهم الله تعالى بالمسارعة الى الجهاد ذكر ما حصل لهم من النوائد والمنافع
 وهو أنواع أولها ما ذكره تعالى بقوله سبحانه (وأولئك لهم الخيرات) أي منافع الدارين النصر
 والغلبة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الخيرات الحور العين لقوله تعالى فيهن
 خيرات حسان ثانيها ما ذكره الله تعالى بقوله (وأولئك هم المفلحون) أي القاتلون بالمطالب
 المخلصون من العقاب والعتاب وثالثها ما ذكره بقوله تعالى (أعد الله لهم جنات تجري من
 تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) هذا بيان ما لهم من الخيرات الآخوية (وجاء
 المذنبون) بادغام التاء في الاصل في الذال أي المذنبون بمعنى المذنبون (من الاعراب) الى

النبي صلى الله عليه وسلم (ليؤذن لهم) في القعود لمذرتهم فأذن لهم واختلف في هؤلاء المعتبرين
فقبلهم أسد وغطفان قالوا إن لنا عيالاً وان بنا جهداً فاذن لنا في التخلف وقيل هم رهط
عامر بن الطفيل قالوا ابن غزونا معك أغارت أعراب طي على أهلينا وهما وشينا فقال صلى الله
عليه وسلم سيغنيني الله عنكم وقيل نفر من غفارا اعتذروا فلم يعذرهم الله وعن قتادة اعتذروا
بالكذب والاعتذار في كلام العرب على قسمين يقال اعتذرا إذا كذب في عذره ومنه قوله
تعالى يعتذرون اليكم إذا رجعت إليهم فرد الله تعالى عليهم بقوله قل لا تعتذروا فدل ذلك على
فساد عذرهم وكذبهم فيه ويقال اعتذرا إذا أتى بعذر صحيح كافي قول لبيد
* ومن يترك حولا كاملا فقد اعتذر * يريد فقد جاء بعذر صحيح وقيل هو التعذر الذي
هو التقصير يقال عذري عذرا إذا قصرت ولم يبلغ فعله هذا المعنى يحتمل أنهم كانوا صادقين في
اعتذارهم وإنهم كانوا كاذبين ومن المفسرين من قال إنهم كانوا صادقين بدليل أنه تعالى
لما ذكره قال بعده (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) أي في ادعاء الإيمان من منافق الأعراب
عن الجبي ولا يعتذار فلما فصل بينهم وميزهم عن الكاذبين دل ذلك على أنهم ليسوا كاذبين ويروى
عن عمرو بن العلاء أنه لما قيل له هذا الكلام فقال إن أقواما تكلفوا عذرا يباطل فهم الذين
عذاهم الله تعالى بقوله وجاء المعتذرون وتختلف الآخرون لا لعذر ولا لشبه عذر جراءة على الله
وهم المراد بقوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله (سبب صيب الذين كفروا منهم) أي من
الأعراب أو من المعتذرين فإن منهم من اعتذر بالكسالة والكفر (عذاب أليم) في الدنيا بالقتل وفي
الآخرة بالنار وما بين سبحانه وتعالى الوعيد في حق من توهم العذر مع أنه لا عذر له ذكر أصحاب
الاعتذار الحقيقية وبين أن تكليف الله تعالى بالغزو والجهاد عنهم ساقط بقوله تعالى (ليس على
الضعفاء) كالشمس وخ ومن خلق في أصل الفطرة ضمه عينا ضيقا (ولاعلى المرضى) كالزمنى
والعرج والعمى (ولاعلى الذين لا يجدون ما ينفقون) في الجهاد (خرج) أي أثم في التخلف عنه
فمن سبحانه وتعالى عن هذه الأقسام الثلاثة الحرج فيجوز لهم أن يتخلفوا عن الغزو وليس
في الآية بيان أنه يحرم عليهم الخروج لأن الواحد من هؤلاء لو خرج لبعين المجاهدين بقدر قدرته
أما لفظ متاعهم أو تكثير سوادهم بشرط أن لا يجعل نفسه كلاً ووبالاعليم كان ذلك
طاعة مقبولة ثم أنه سبحانه وتعالى شرط في جواز هذا التأخر عن الغزو بشرط بقوله (إذا نصحو
لله ورسوله) في حال قعودهم بالإيمان والطاعة في السر والعلانية وأن يحسن تروا عن انقاء
الاربابات وعن إثارة الفتن ويسعوا في إيصال الخير إلى المجاهدين الذين سافروا أما أن يقوموا
باصلاح مهمات بيوتهم وأما أن يسعوا إلى إيصال الاخبار والسارة من بيوتهم إليهم فإن جملة
هذه الأمور جارية مجرى الإطاعة على الجهاد وقوله تعالى (ماعلى المحسنين) في موضع ما عليهم
إبيان احسانهم بنصحهم مع عذرهم (من سبيل) أي طريق إلى ذمهم أو لوهم والمعنى أنه سدد
بإحسانه طريق العتاب ومن أعظم الاحسان من شهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله
مخلصاً من قلبه فإن ما عليه من سبيل في نفسه وما له لا باحة الشرع بدليل منفصل إذا العبرة

بهموم اللفظ لا بخصوص السبب والمحسن هو الالف بالاحسان ورأس أبواب الاحسان
ورئيسها هو قول لا اله الا الله محمد رسول الله (والله غفور) أى محام للذنوب (رحيم) أى
يجمع عباده وفي ذلك اشارة الى أن الانسان محل التقصير وان اجتهد فلا يسهل له الا العفو ولما
ذكر الله سبحانه وتعالى الضعفاء والمرضى والفقراء وبين أنه يجوز لهم التخلف عن الجهاد
بشرط ان يكونوا باحسين الله ورسوله وهو كونهم محسنين وأنه ليس لاحد عليهم سبيل ذكر قسم
رابعاً من المعذورين بقوله تعالى (ولا على الذين اذا ما أوفوا لعهدهم) الى الغزو وهم
البكاؤون سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عير
ونعيلة بن غنمة وعبد الله بن معقل وعليه بن زيد أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا بديننا
بالخروج أى أسرعنا فاحلنا على الخلفاء المرقوعة والنعال المخصوصة نفزوفة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا أجداً ما أجلكم عليه فتولوا وهم يكون ولذلك سموا البكاكين وقيل هم بنو
مقرن من مزينة وكانوا ثلاثة اخوة معقل وسويد والنعمان وقيل أبوه وسى وأصحابه وقيل
نزلت في العرياض بن سارية ويحتمل أنها نزلت في كل من ذكر وقوله تعالى (قلت لا أجداً
ما أجلكم عليه) حال من الكاف فى أولك يا ضار قد وقوله تعالى (تولوا) جواب اذا (وأعينهم
تفيض) أى تسيل (من الدمع) أى دمعها فان ومن للبيان كقولك أفديك من رجل وهو أبلغ
من يفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعاً ففاض وقوله تعالى (حزننا) منصوب على
العله (ان لا يجدا) أى لا يجداً ولا يجداً ولا يجداً نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذى هو حزننا
(ما ينفقون) فى الجهاد ولما قال تعالى ما على المحسنين من سبيل قال تعالى فى حق من يعتذر
ولا عذرله (انما السبيل) أى انما يتوجه الطريق بالعقوبة (على الذين يسئ) تأذونك يا محمد فى
التخلف عند الجهاد (وهم أغنياء) أى قادرون على أهبة الخروج معك وقوله تعالى (رضوا
بأن يكونوا مع الخوفا) استئناف كأنه قيل ما بالهم اسئ تأذونوا وهم أغنياء فقيل رضوا بالدناءة
والضعة والانتظام فى جملة الخوفا وهم النساء والصبيان (وطبع الله على قلوبهم) فلاجل ذلك
الطبع قال الله تعالى (فهم لا يعلمون) أى ما فى الجهاد من منافع الدارين أما فى الدنيا فالقوز
بالفتنة والظفر بالعدو وأما فى الآخرة فالثواب والنعيم الدائم الذى لا ينقطع (يعتذرون)
أى هؤلاء المنافقون (اليكم) أى فى الخلف (اذا رجعت) من الغزو (اليهم) بالاعتذار الباطلة
والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيماً له ويحتمل ان يكون له وللمؤمنين
يروى ان الذين تخلفوا عن عزوة تبوك من المنافقين كانوا بضعة وثلاثين رجلاً فلما رجع النبي
صلى الله عليه وسلم جاؤا يعتذرون اليه بالباطل قال تعالى (قل لهم يا محمد لا تعتذروا) بالمعاذير
الباطلة (لن تؤمن لكم) أى لن نصدقكم فيما اعتذرت به وقوله تعالى (قد نبأنا) أى أعلمنا (الله
من أخباركم) أى بعض أحوالكم التى أنتم عليها من الشر والفساد عله لا تنقض تصديقهم
لان الله تعالى اذا أوحى الى رسوله صلى الله عليه وسلم الاعلام بأهوالهم وما فى زعمائهم
من الشر والفساد لم يسقط مع ذلك تصديقهم فى معاذيرهم (وسيرى الله علمكم ورسوله) أى

أتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه (ثم تردون) أي بالبعث (الو عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) أي الله المطلع على ما في ضمائركم من الخيانة والكذب واخلاف الوعد وغير ذلك من الخبايا التي أنتم عليها في أريكم عليه (سجلفون بالله لكم إذا انقلبتم) أي رجعتهم (اليهم) من تبولنهم معذورون في التخلف (لترضوا عنهم) أي لتصفحوا عنهم فلا تعاتبوهم (فأعرضوا عنهم) أي فدعوههم وما اختاروا لانفسهم من النفاق قال ابن عباس يريد ترك الكلام والسلام قال مقاتل قال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالوههم ولا تكلموهم قال أهل المعاني هؤلاء مذبذبوا اعراض الصقح فأعطوا اعراض المقت ثم ذكره على علة الاعراض بقوله (انهم رجس) أي قد رخصت باطنهم فكما يجب الاحتراز عن الانجاس الجسمانية يجب الاحتراز عن الارجاس الروحية خوفا من سريانها الى الانسان وحذرا من أن يميل طبع الانسان الى تلك الاعمال وقوله تعالى (وما أوهام جهنم) من تمام العلة (جزأبها كانوا يكسبون) من الاعمال الخبيثة في الدنيا واختلفوا في نزلت فيه هذه الآية فقال ابن عباس نزلت في الجدين قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما كانوا غائبين رجلا من المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالوههم ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت في عبد الله بن أبي لهف للنبي صلى الله عليه وسلم بالله الذي لا اله الا هو لا يتخلف عنه بعدها وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يرضى عنه فأمر الله تعالى هذه الآية ونزل (يحلفون لكم لترضوا عنهم) أي يحلف لكم هؤلاء المنافقون لترضوا عنهم يحلفهم فتستدبروا عليهم ما كنتم تفعلون بهم (فان رضوا عنهم) أي فان رضيت عنهم أيها المؤمنون بما حلفوا لكم وقبلتم عذرهم (فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) لانه تعالى يعلم ما في قلوبهم من النفاق والشك فلا يرضى عنهم والمقصود من الآية عدم الرضا عنهم والاعتذار بعذارهم بعد الامر بالاعراض عنهم وعدم الالتفات نحوهم ونزل في سكان البادية (الاعراب) أي أهل البدو (أشد كفرا ونفاقا) أي من أهل الحضرة فاضمهم وغلظ طباعهم وبعدهم عن أهل العلم وقلة استماعهم الكتاب والسنة واستيلاء الهواء الحار اليابس عليهم وذلك يوجب مزيد التيه والتكبر والتخوة والغرور والطيش عليهم وليسوا تحت سياسة سانس ولا تأديب مؤدب ولا ضبط ضابط فنشوا كما نشأوا ومن كان كذلك خرج على أشد الجهات نفاقا ولو قابلت القواك الجبلية بالقواك البسانية لعرفت الفرق بين أهل الحضرة وأهل البادية قال العلماء من أهل اللغة يقال رجل عربي اذا كان له نسب في العرب ووجه العرب كما يقال مجوسي وميودي ثم تحذف باء النسب في الجمع فيقال المجوس واليهود ورجل اعرابي بالالف اذا كان بدويا يطلب مساقط الغيث والكلا وسواء كان من العرب أم من مواليهم ويجمع الاعرابي على الاعراب والاعرابي اذا قيل له يا عرابي فرح والعربي اذا قيل له يا عرابي غضب له فن استوطن القرى العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم اعراب والذي يدل على الفرق بينهما أنه صلى الله عليه وسلم قال حب العرب من الايمان وأما الاعراب فقد ذمهم الله تعالى في هذه الآية وقيل سموا بالعرب لان ألسنتهم معربة عما

في ضمائرهم ولا شك أن اللسان العربي مختص بأنواع من الفصاحة والجزالة لا توجد في سائر
الالسنة قال الرازي ورأيت في بعض الكتب عن بعض الحكماء أنه قال حكمة الروم في أدبهم
وذلك لأنهم يقدرون على التركيبات المحيية وحكمة الهند في أوامهم وحكمة اليونان في
أفنديهم وذلك لكثرة ما لهم من المباحث العقلية وحكمة العرب في ألسنتهم وذلك لخلاوة ألسنتهم
وعذوبة عباراتهم ثم حكى الله تعالى على الأعراب بحكم آخر بقوله تعالى (وأجدر) أي أحق
وأولى (أن) أي بان (لا يعلموا) وما أنزل الله على رسوله من الأحكام والشرائع فرائضها
وسننها (والله عليم) بما في قلوب عباده (حكيم) فيما فرض من فرائضه وأحكامه (ومن الأعراب
من يتخذ ما ينفع في سبيل الله تعالى مغرماً) أي غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفعه الرجل
وليس يلزمه لأنه لا ينفع الاتقية من المسلمين ورياء لوجه الله تعالى وابتغاء المشيئة عنده وهم
أسد وغطفان (ويتربص) أي ينتظر (بكم الدوائر) أي دوائر الزمان أن ينقلب عليكم فيموت
النبي صلى الله عليه وسلم ويظهر المشركون قال الله تعالى (عليهم دائرة السوء) دعاء عليهم معترض
قال التفنيزاني بين كلامين لا في أثناء كلام ولا في آخره دعاء عليهم بمصومادعوا به قال الله تعالى
وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم أي يدور عليهم البلاء والحزن ولا يرون في محمد صلى الله
عليه وسلم دينه وأصحابه إلا ما يسوؤهم ويكيدهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم السين والباء قون
بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل سوء في نقيض قولك رجل صدق (والله صميع)
لا قوالهم (عليم) بما تخفي ضمائرهم ولما بين سبحانه وتعالى أنه حصل في الأعراب من يتخذ انفاقه
في سبيل الله مغرماً بين أن فيهم قوماً مؤمنين صالحين مجاهدين يتخذ انفاقه في سبيل الله مغرماً
بقوله تعالى (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) كبعض جهينة ومزينة فوصفهم
الله تعالى بوصفين كونهم مؤمنين بالله واليوم الآخر والمقصود التنبيه على أنه لا بد في جميع
الطاعات من تقديم الإيمان وفي الجهاد أيضاً كذلك والثاني ما ذكره بقوله تعالى (ويتخذ ما ينفع
قرباً) جمع قرينة أي يقربه (عند الله) الذي لا أشرف من القرب عنده (و) وسيلة إلى (صلوات)
أي دعوات (الرسول) صلى الله عليه وسلم لأنه كان يدعو للمصدقين عنده بالخير والبركة
وبستغفر لهم كقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى قال تعالى وصل عليهم أي ادع
إلهم ولما كان ما ينفع سبباً لذلك قيل يتخذ ما ينفع قربات وصلوات الرسول (إلا انها) أي نفقاتهم
(قرينة لهم) عند الله وهذا شهادة من الله تعالى للمؤمن المتصدق بصحة ما اعتقد من كون
نفقاته قربات عند الله وصلوات الرسول وقد أكد تعالى هذه الشهادة بحرف التنبيه وهو قوله
تعالى (أو بحرف التحقيق وهو قوله تعالى إنها ثم زاد في التأكيده فقال تعالى (سيدخلهم الله
في رحمته) فإن دخول السين توجب مزيد التأكيده وهذه النعمة هي أقصى مرادهم وقرأ ورش
قربة برفع الراء والباء قون بالسكون والاصل هو الضم والاسكان تخفيف (إن الله غفور) أي
بلغ الستر لقبائح من تاب (رحيم) بهم ولما ذكر تعالى فضائل الأعراب الذين يتخذون ما ينفعون
قربات عند الله وما أعد لهم من الثواب بين تعالى أن فوق منزلتهم منازل أعلى وأعظم منها

بقوله تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) أما من المهاجرين فقال سعيد
ابن المسيب هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطاء بن أبي رباح هم أهل بدر وقال الشعبي هم أهل
بيعة الرضوان وقال محمد بن كعب هم جاهل العصابة وقيل هم الذين أسلموا قبل الهجرة
واختلف في أول الناس اسلاما وأول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض
العلماء أول من أسلم بعد خديجة على بن أبي طالب وهذا قول جابر واختلفوا في سنة وقت
اسلامه فقيل كان ابن عشرين وقيل أقل من ذلك وقيل أكثر وقيل كان بالغاً والاكثرون
على انه لم يكن بالغاً وقت اسلامه وقال بعضهم أول من أسلم بعد خديجة أبو بكر الصديق وهذا
قول ابن عباس وقال بعضهم أول من أسلم بعد خديجة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهذا قول عروة بن الزبير وكان اسحق بن ابراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الروايات
فيقول أول من أسلم من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان علي ومن الموالى زيد
ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو هؤلاء أربعة سباق الخلق الى الاسلام وأما من
الانصار فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهي الاولى وكانوا ستة
نفر ثم العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر رجلاً ثم أصحاب العقبة الثالثة وكانوا
سبعين رجلاً فهو هؤلاء سباق الانصار وقيل المراد بالسابقين الاولين من سبق الى الهجرة والنصرة
وبدل على هذا انه تعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين لهم انهم سابقون فيما ذابقي اللفظ مجلاً
فوجب صرف ذلك اللفظ الى ما قد صاروا به مهاجرين وانصاراً وهو الهجرة والنصرة فوجب
أن يكون المراد منه السابقين الاولين في الهجرة والنصرة ازالة للاجمال عن اللفظ وأيضاً فان
الهجرة طاعة عظيمة ومرتبة عالية ومنقبة شريفة لانهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على أعدائه وآووه وآسوه وآووا أصحابه وآسوه فلذلك اثنى الله تعالى عليهم ومدحهم
(والذين اتبعوه هم) أي الفريقين الى يوم القيامة (باحسان) أي في اتباعهم فلم يحولوا عن شيء
من طريقتهم وقال عطاء هم الذين يذكرون المهاجرين والانصار ويرجعون عليهم ويدعون لهم
ويذكرون محاسنهم وقيل بقية المهاجرين والانصار سوى السابقين الاولين وعن أبي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل
أحد ذهب ما بلغ مداً واحداً ولا نصفه والمذربيع الصاع والنصف نصفه والمعنى لو أن أحداً
عمل ما قدر عليه من أعمال البر والاتفاق في سبيل الله ما بلغ هذا القدر الصغير من عمل
العصابة واتفاقهم لانهم أنفقوا وبذلوا الجهد في وقت الحاجة وعن عمران بن حصين ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري
أذكر بعد قرنين أم ثلاثاً والقرن الامة من الناس يقارن بعضهم بعضاً واختلفوا في مدته من
الزمان من عشرين سنة الى عشرين سنة وقيل من مائة الى مائة وهذا هو المشهور وقيل من مائة
الى مائة وعشرين سنة ثم جمعهم الله تعالى في الثواب فقال (رضي الله عنهم) فالسابقون مرتفع
بالابتداء وخبره رضي الله عنهم أي يقبل طاعتهم وارتضاء أعمالهم (ورضوا عنه) بما أفاض عليهم

من نعمة الجلالة في الدنيا والآخرة (وأعدّ لهم جنات تجري تحتها الأنهار) أي هي كثيرة المياه
فكل موضع أردته نبع منه ماء يجري منه نهر وقرأ ابن كثير بانه من تحتها ويجزئ الماء بعد الحاء
والباقيون بغير من وفتح الماء ثم نفي سبحانه الانقطاع بقوله تعالى (خالدين فيها) وأكدم المراد من
الخلود بقوله تعالى (أبداً) ثم استأنف مدح هذا الذي أعدّه لهم بقوله تعالى (ذلك) أي الأمر
العالي الرتبة (الفوز العظيم) ولما شرح تعالى أحوال منافق المدينة ثم ذكر بعده أحوال
منافق الأعراب ثم بين أن في الأعراب من هو مؤمن صالح مختص ثم بين أن رؤساء المؤمنين من هم
وهم السابقون والمهاجرون والأنصار ذكر أن جماعة من حول المدينة موصوفون بالنفاق بقوله
تعالى (ومن حولكم) أي أهل بلادكم وهي المدينة (من الأعراب منافقون) وهم جهينة
وأسلم وأثجج وغفار كانوا نازلين حولها وقوله تعالى (ومن أهل المدينة) عطف على خبر المبتدأ
الذي هو من حولكم ويجوز أن يكون جملة معداوفة على المبتدأ والخبر إذا قدرت ومن أهل
المدينة قوم (مردوا على النفاق) على أن مردوا صفة موصوف محذوف كقول الشاعر
أنا ابن جلا وطلاع الثنايا • أي أنا ابن رجل جلا فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه
وقال الزجاج في الآية تقديم وتأخير والتقدير ومن حولكم من الأعراب ومن أهل المدينة
منافقون مردوا على النفاق أي ثبتوا واستمروا فيه ولم يوبوا عنه وأصل المردو الملاساة ومنه
صرح حمزة وغلّام أمر د (لا تعلمهم) بأعيانهم أي يحضون عليك مع فطنتك ونهايتك وصدق
فراستك لفرط توقيهم ما يشك في أمرهم ثم هددهم وبين خسارتهم بقوله تعالى (نحن نعلمهم) أي
لا يعلمهم إلا الله تعالى ولا يطلع على سرهم غيره لأنهم يطنون الكفر في سويداوات فلوهم أبطانا
ويبرزون لك ظاهرا كظاهرا المخلصين من المؤمنين لا تشك معهم في إيمانهم وذلك أنهم مردوا على
النفاق وضروا به فلمهم فيه اليد الطولى واختلغوا في تفسير قوله تعالى (نحن نعلمهم مرتين) فقال
الكلبي والسدي قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً يوم الجمعة فقال أخرج يا فلان فانك منافق
أخرج يا فلان فانك منافق فأخرج من المسجد جماعة من المنافقين وفتحهم فها هو العذاب
الاول والثاني عذاب القبر (فان قيل) كيف هذا مع قوله تعالى لا تعلمهم نحن نعلمهم (أجيب)
بأنه تعالى أعلمهم بعد ذلك وقال مجاهد الاول القتل والسبي والثاني عذاب القبر وقال ابن زيد
الاول المصائب في الاولاد والثاني عذاب الآخرة وقال ابن عباس الاول إقامة الحدود عليهم
والثاني عذاب القبر وقيل عذبوا بالجويع مرتين وقيل الاول ضرب الملائكة وجوههم
وأدبارهم عند قبض أرواحهم والثاني عذاب القبر وقيل الاول إحراق مسجدهم مسجد
الضرار والثاني إحراقهم بنار جهنم كما قال تعالى (ثم يردون) أي في الآخرة (إلى عذاب عظيم)
هو النار وقوله تعالى (وآخرون) أي وقوم آخرون مبتدأ وقوله تعالى (اعترفوا بذنوبهم) (م)
ولم يمتدروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة نعتهم والخبر (خلطوا أعمالهم) أي وهو جهادهم
قبل ذلك أو اعترفوا بذنوبهم أو غير ذلك (وآخر سياً) أي وهو تخلفهم (عسى الله أن يتوب عليهم
إن الله غفور رحيم) يتجاوز عن الثائب ويتفضل عليه نزلت في طائفة من المتخلفين عن غزوة

تبوك واختلف في عددهم فعن ابن عباس انهم كانوا ثلاثة عشر وروى عنه انهم كانوا خمسة وقال
 سعيد بن جبير كانوا اثنى عشر وقيل كانوا ثلاثة تدمر والمباينة منهم ما نزل بالمخاضين وتابوا وقالوا ان يكون
 في الظلال ومع النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الجهاد واللاذواء فلما رجع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب من المدينة قالوا والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى
 فلا نطاقة حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقها ويعذرنا فربطوا أنفسهم
 في سوارى المسجد فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد على عادته في رجوعه من
 سفره فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له انهم أقسموا لا يحلوا أنفسهم حتى تحلهم وترضى
 عنهم فقال وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر باطلاقهم رغبوا عنى وتخلعوا عن الغزو ومع المسلمين
 فأنزل الله تعالى هذه الآية فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم وأطلقهم وعذرهم فلما
 أطلقوا قالوا يا رسول الله هذه أموالنا وانما تخلفنا عنك بسبب ما أخذها فتصدق بها عنا وطهرنا
 واستغفر لنا فقال عليه الصلاة والسلام ما أمرت أن أخذن من أموالكم شيئا فأنزل الله تعالى
 (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم) من الذنوب وأوجب المال المؤدى الى مثله وتجبرى لهم مجرى
 الكفارة هذا قول الحسن كان يقول ليس المراد من هذه الآية الصدقة الواجبة وانما هي
 كفارة الذنب الذى صدر ويذل عليه انه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلث أموالهم وتصدق بها وابقى
 لهم الثلثين ولم يأخذ الجميع لأن الله تعالى قال خذ من أموالهم والصدقة الواجبة لا يؤخذ
 فيها ثلث المال (وتركهم بها) أى وتنبى بها حسنتهم وترفعهم الى منازل المخلصين (وصل عليهم)
 أى واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم والسنة أن يدعو أخذ الصدقة لصاحب الصدقة اذا
 أخذها وعن الشافعى رضى الله عنه انه كان يقول أحب أن يقول الوالى عند أخذ الصدقة
 اجرك الله فيما أعطيت وجعله لك طهورا وبارك لك فيما أبقيت (ان صلاتك سكن لهم) أى
 تسكن اليها نفوسهم وتطامن بها قلوبهم لأن روحه صلى الله عليه وسلم كانت روحا قوية مشرقة
 صافية باهرة فاذا دعاه صلى الله عليه وسلم لهم وذكرهم بالخير فاضت آثار من قوة روحه الروحانية
 على أرواحهم فأشرق قلبهم بهذا السبب أرواحهم وصفت أسرارهم واثق قلوبهم من الظلمة الى النور
 ومن الجحمانية الى الروحانية فحصل لهم بذلك غاية العلمانية وقرأ حصن وحزة والكسافى
 صلاتك بغير واو بعد اللام ونصب التاء على التوحيد والباقون بالواو وكسر التاء على الجمع
 لتعذر المدعولهم وقيل ان هذه الآية كلام مبتدأ والمقصود منها إيجاب أخذ الزكوات من
 الأغنياء وعليه أكثر الفقهاء اذا استدلووا بهذه الآية في إيجاب الزكاة وقالوا فى الزكاة انها
 طهرة (والله صميع) لا قوالهم واعترافهم ودعائهم لهم (عليهم) بندا متهم ونياتهم وملكى سبحانه
 عن القوم الذين تقدم ذكرهم انهم تابوا عن ذنوبهم وانهم تصدقوا وهالك لم يذكر الا قوله صلى
 الله أن يتوب عليهم وما كان ذلك صريحا فى قبول التوبة ذكر به ذلك انه يقبل التوبة وانه
 سبحانه يأخذ الصدقات ترغيبا لمن لم ينسب فى التوبة وترغيبا لكل العصاة فى الطاعة بقوله تعالى
 (ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ) أى يقبل (الصدقات) والضعير الملمتوب

عليهم والمراد أن يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم وأما غيرهم والمراد به
التخصيص عليها والآية وإن وردت بصيغة الاستفهام إلا أن المراد بها التقرير في النفس ومن
عادة العرب في أفهام المخاطب وإزالة الشك عنه أن يقولوا أمألت أن من علمك يجب عليك
خدمته أمألت أن من أحسن إليك يجب عليك شكره فبشر الله تعالى هؤلاء التائبين بقبول
توبتهم وصدقاتهم ترغيباً في التوبة وبذل الصدقات وذلك أنه لما نزلت توبة هؤلاء التائبين قال
الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معناباً لا مرسلاً يكامون ولا يجالسون فإلهام اليوم فأنزل
الله تعالى هذه الآية ترغيباً في التوبة ثم زادها كيداً بقوله تعالى (وأن الله هو انتواب الرحيم)
أي وإن من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وفي هذا تعظيم أمر الصدقات وتشريفها
وأن الله يقبلها من عبده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من عبد مؤمن يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الاطيبا ولا يصعد الى
السماء الا الطيب الا يضعها في يد الرحمن عز وجل فيريها له كما يرى أحدكم فلوله حتى إن اللقمة
لتأق يوم القيامة وانها كمثل الجبل العظيم ثم قرأ أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ
الصدقات (وقل اعلموا) أي وقل لهم أول الناس يا محمد اعملوا ما شئتم (فسيرى الله عملكم) فانه
لا يخفى عليه شيء خيراً كان أو شراً فيه ترغيب عظيم للمطيعين ووعيد عظيم للمذنبين فكانه قال
اجتهدوا في العمل في المستقبل فان الله تعالى يرى أعمالكم ويجازيكم عليها (و) يرى أيضاً (رسوله
والمؤمنون) أعمالكم أما رؤية النبي صلى الله عليه وسلم فبإطلاع الله إياه على أعمالكم وأما رؤية
المؤمنين فببذوق الله تعالى في قلوبهم من محبة الصالحين وبغض المفسدين (وستردون الى عالم
الغيب والشهادة) أي وسترجعون يوم القيامة الى من يعلم سرركم وعلايتكم ولا يخفى عليه شيء
من أعمال بواطنكم وظواهركم (فينبئكم) أي فيخبركم (بما كنتم تعملون) من خير وشئ
فيجازيكم على أعمالكم واعلم أن الله تعالى قسم المتخلفين عن الجهاد ثلاثة أقسام أولهم
النافقون الذين مردوا على النفاق والثاني التائبون وهم المرادون بقوله تعالى وآخرون
اعترفوا بذنوبهم وبين انه تعالى قبل توبتهم والقسم الثالث الذين بقوا موقوفين وهم
المذكورون في قوله تعالى (وآخرون) أي من المتخلفين (مرجون) أي مؤخرون عن التوبة
وقرأ نافع وحفص وحزرة والكسائي بغير همز بين الجيم والواو والباقيون بهززة مضمومة بين
الجيم والواو (لامر الله) أي لحكم الله تعالى فيهم والفرق بين القسم الثاني وبين هذا أن أولئك
سارعوا الى التوبة وهؤلاء لم يسارعوا اليها قال ابن عباس نزلت هذه الآية في كعب بن مالك
ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وسماق قصتهم عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا
تخلفوا كسلاً وميلاً الى الراحة لا تفاناً ولم يعتذروا الى النبي صلى الله عليه وسلم كغيرهم فوقف
أمرهم خمسين ليلة حتى نزلت توبتهم بعد (أما يعذبهم) بأن يميتهم من غير توبة (وأما يتوب
عليهم) أن تابوا (فان قبل) كلمة أما وأما لا شك والله تعالى منزّه عن ذلك (أجيب) بأن التردد
بالنسبة للعباد أي أيكن أمرهم عندكم على هذا في الخوف والرجاء فان الله تعالى لا يخفى عليه

خافية وفي هذا دليل على ان كلا الامرين باورادة الله تعالى (والله عليم) باحوال عباده (حكيم)
 فيما يفعل بهم * ولما ذكر تعالى اصناف المنافقين وطرائقهم المختلفة قال تعالى (والذين اتخذوا
 مسجدا) قال ابن عباس رضى الله عنه وهم اثناعشر رجلا من المنافقين بنوا مسجدا (ضرارا)
 أى مضارة لاخوانهم أصحاب مسجد قباء (وكفرا) أى وقوية للنفاق وقال ابن عباس يريدون به
 ضرارا للمؤمنين وكفرا بالنبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به وقال غيره اتخذوه ليكفروا فيه بالطعن
 على النبي صلى الله عليه وسلم والاسلام (وتقرى قايين المؤمنين) لانهم كانوا جميعا يصلون بمسجد
 قباء فبنوا مسجدا للضرار ليصلى فيه بعضهم فيؤدى ذلك الى الاختلاف واقتراق الحكمة
 (وارصادا) أى ترعبا (لمن حارب الله ورسوله) وهو أبو عامر والد أبي حنظلة الذى غسلته الملائكة
 وكان قد ترهب فى الجاهلية وتنصر وليس المسوح فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة عاداه
 لانه زالت رياسته وقال للنبي صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى جئت به قال جئت بالحنيفية دين
 ابراهيم عليه السلام فقال له أبو عامر انا عليها فقتال له النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليهم ا فقال
 أبو عامر أمات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غريبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين وسماء
 الفاسق فلما كان يوم أحد قال أبو عامر لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم ولم يرزل يقاتله
 الى يوم حنين فلما انهمزمت هوازن خرج الى الشام وأرسل الى المنافقين ان استعدوا بما
 استطعتم من القوة والسلاح وابنوا الى مسجد افانى ذاهب الى قيصر ملك الروم فأتى بجند من
 الروم فأخرج محمد وأصحابه فبنوا مسجد الضرار الى جنب مسجد قباء وانتظروا محمدا بنى عامر
 ليصلى بهم فى ذلك المسجد وقوله تعالى (من قبل) متعلق بحارب أى حارب من قبل أن يبنى مسجد
 الضرار أو باتخذوا أى اتخذوا من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف * ولما وصف تعالى هذا المسجد
 بهذه الصفات الاربعة قال تعالى (وليجلفن ان أردنا الا الحسنى) أى وليحلفن ما أردنا بيناته
 الا الفعل الحسنى وهى الرقى بالمسلمين فى التوسعة على أهل الضعف والعلالة والمجزع عن المصير
 الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انهم قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد بنينا
 مسجد الذى العلة والحاجة والليله المظلمة والليله الشامية (والله يشهد انهم لكاذبون) فى
 قوالهم * (تنبيه) * قوله تعالى والذى اتخذوا محله نصب على الاختصاص كقوله تعالى والمقيم
 الصلاة أو رفع على الابتداء والخبر محذوف أى وعن ذكرنا الذين * ولما بنى المنافقون ذلك
 المسجد للاغراض الفاسدة عند ذهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك وقالوا
 يا رسول الله بنينا مسجد الذى العلة والليله المظلمة والليله المطيرة والشامية ونحن نحب أن نصلى
 لنا فيه وتدعوا لنا فيه بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم انى على جناح سفر فى حال شغل
 واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل أى رجع صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك
 سأله اتيان المسجد نزل قوله تعالى (لا تقم فيه أبدا) قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه لا تصل
 فيه أبدا وقال الحسن هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يذهب الى ذلك المسجد فنادى جبريل
 لا تقم فيه أبدا فدار رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن النخشم ومعن بن عدي وعامر بن

السكن ووحشياً فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاحدموه وأحرقوه فخرجوا
 جميعاً سر يعا حتى أتوا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك انظروني حتى
 أخرجكم بنار من أهلي قد دخل الى أهله وأخذ من الغنل فاشعل فيه ناراً ثم خرجوا
 يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فهدموه وأحرقوه وتفرق عنه أهله وأمر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ان يتخذ ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات أبو عامر الراهب
 بالشام وحيداً فريداً غريباً وقيل كل مسجد بني مباهاة ورياء وسعفة أو لغرض سوى ابتغاء وجه
 الله تعالى أو عمال غير طيب فهو ملحق بمسجد الضرار وعن عطاء لما فتح الله تعالى الأمصار على عمر
 رضي الله تعالى عنه أمر المسلمين أن يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار
 أحدهما صاحبه وقوله تعالى (المسجد) اللام فيه للإبتداء وقيل لام التسمي تقديره والله لمسجد
 (أسس) أي وضع أساسه وقواعده (على التقوى) أي تقوى الله تعالى (من أول يوم) أي من أول
 أيام وجوده لأن من نعم الزمان والمكان أي فأحاطت به التقوى لأنها إذا أحاطت بأقواله أحاطت
 بآخره (أحق) أي أولى (أن) أي بأن (تقوم) أي تصلي (فيه) واختاف في هذا المسجد الذي
 أسس على التقوى فقيل هو مسجد المدينة قاله زيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري قال أبو سعيد
 رضي الله عنه دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه فقلت يا رسول الله
 أي المسجد الذي أسس على التقوى قال فأخذ كفاً من حصباء فضرب به الأرض ثم قال هو
 مسجدكم هذا مسجد المدينة وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي وعن أم سلمة قالت قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ان قوائم منبري هذا روايت في الجنة أي ثوابت وقيل هو مسجد قباء
 قاله سعيد بن جبيرة قتادة أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء وهو يوم
 الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة ويدل على هذا قوله تعالى (فيه رجال
 يحبون أن يتظاهروا) أي من المعاصي والخصال المذمومة طلباً لرضا الله تعالى عليهم (والله
 يحب المطهرين) أي ينيبهم ويرضاهم ويدينهم من جناب ادناء المحب حبيبه روى أنها
 لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فإذا
 الانصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فمكت القوم ثم أعادها فقال عمر يا رسول الله انهم
 مؤمنون وأنا معهم فقال عايه الصلاة والسلام أترضون بالقضاء فقالوا نعم قال أتصبرون على
 البلاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فحس ثم قال يا معشر الانصار
 ان الله عز وجل قد أثنى عليكم فإذا الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول
 الله تتبع الغائط الا حجاراً ثلاثة ثم تتبع الاحجار الماء فتلار رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال
 يحبون أن يتظاهروا وروى ابن خزيمة في صحيحه عن ابن ساعدة انه صلى الله عليه وسلم أتاهم
 في مسجد قباء فقال ان الله تعالى قد أحسن اليكم التناء في الطهر وفي قصة مسجدكم في
 الطهور الذي تطهرون به قالوا والله يا رسول الله ما نعلم شيئاً الا انه كان لنا جيران من اليهود فكانوا

يغسلون أديابهم من الغائط فغسلنا كما غسوا وفي حديث رواء البزار قالوا تتبع الحجارة بالماء
فقال هو ذلك فعليكموه وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء أثر البول ومن
الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون أن يتطهروا بالحصى المكفرة لذنوبهم فغموا
عن آخرهم (أفن أسس بنيانه) أي بنيان دينه (على تقوى من الله ورضوان) أي على قاعدة قوية
محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه (خير أم من أسس بنيانه على شقا) أي طرف
(جرف) أي جانب (هار) أي على قاعدة هي أضعف القواعد وأقلها بقاء وهو الباطل والنفاق
الذي مثله مثل شفا جرف هار أي مشرف على السقوط (فانهار به) أي سقط مع بنيانه (في نار جهنم)
خسر وهذا تعميل للبناء على ضد التقوى بما يؤل إليه والاستفهام للتقرير أي الأقل خسر وهو
مثال مسجد قباء والثاني مثال مسجد الضرار قال الرازي ولا نرى في العالم مثالا أحسن
مطابقة لأمر المنافقين من هذا المثال وحاصل الكلام أن أحد البنين قصد بنيانه بنيانه تقوى
الله تعالى ورضوانه والبناء الثاني قصد بنيانه المعصية والكفر فكان البناء الأقل شريفا
واجب الإبقاء وكان الثاني خسيرا واجب الهدم * قيل حفر بقعة في مسجد الضرار
فرؤى الدخان يخرج منها وقرأ نافع وابن عامر أفن أسس يضم الهمزة وكسر السين الأولى
مع التشديد وضم النون قبل الهاء والباقون بفتح الهمزة والسين مع التشديد أيضا ونصب
النون قبل الهاء وقرأ شعبة رضوان بضم الراء والباقون بالكسر وروى سمع أم هانم مقطوعة
من من والكلام على أسس بنيانه كالكلام على التي قبلها وقرأ ابن عامر وشعبة وحركة جرف
بسكون الراء والباقون بالرفع وأما شفا فلا عمل بخلاف هار فان أباعرو وشعبة والعكس في
يتروونه بالامالة المحضة وابن ذكوان بالفتح والامالة وورش بالامالة بين بين والباقون بالفتح (والله
لا يهدي القوم الظالمين) أي إلى ما فيه صلاح ونجاة (لا يزال بنيانهم الذي بنوا) أي بناؤهم الذي
بنوه وهو مصدرك الغفران والمراد هنا المبني وإطلاق لفظ المصداق على المفعول مجاز مشهور
يقال ضرب الأمير ونسج زيد والمراد مضر وبه ومنسوجه وليس يجمع خلافا للواحدى
في تجويزه أن يكون جمع بنيانه لانه وصف بالمفرد وأخبره بقوله (ربيبة) أي شكا (في قلوبهم)
والأعني أن بناء ذلك البنيان صار يبطل حصول الربيبة في قلوبهم فجعل نفس ذلك البنيان ربيبة
وانما جعل سببا للربيبة لأن المنافقين فرحوا ببناء مسجد الضرار فلما أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بتخريبه عظم خوفهم في كل الأوقات وصاروا مرتابين في أنهم هل يتركهم على ما هم
فيه أو يأمر بقتلهم ونهب أموالهم وقال الكلبي صار حسرة وندامة لأنهم ندموا على بنيانه وقال
السدي لا يزال هدم بنائهم ربيبة أي حراة وغيطا في قلوبهم (الآن تقطع قلوبهم) قطعاً تاماً
بالسيف وأما بالموت بحيث لا يبقى لهم قابلية الإدراك وقيل التقطع بالتوبة ندماً وأسفا (والله أعلم)
بأحوالهم وأحوال عبادهم (حكيم) في الأحوال التي يحكم بها عليهم وعلى غيرهم * ولما تقدم
الانكار على المتناقضين عن النفر في سبيل الله في قوله تعالى ما لكم إذا قيل لكم أنفروا في سبيل
الله الآية ثم الحزم بالجهد بالنفس والمال في قوله تعالى أنفروا خفافاً وثقالا الآية ذكر فضيلة
الجهاد وحقيقته بقوله تعالى (إن الله اشترى) أي بعهداً أكيدة وواثقة غليظة شديدة (من)

(المؤمنين) باقته ورسوله وبما جاء به من عنده (أنفسهم) التي تفرد بخلقها (وأموالهم) التي
 تفرد برزقها وهو على كمالها دونهم وقدم النفس إشارة إلى أن المبايعة سابقة على اكتساب المال
 ولما ذكر البيع اتبعه الثمن بقوله تعالى (بأن لهم الجنة) مثل الله تعالى إثباتهم على بذلهم
 أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشراء وروى تاجرهم الله تعالى فأغلى لهم الثمن وعن عمر رضي
 الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعاً وعن الحسن أنفسهم ما هو خلقها وأموالها هو رزقها وروى
 أن الأنصار لما بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفساً قال عبد
 الله بن رواحة اشترط ربك ولنفسك ما شئت فقال اشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً
 ولنفسى أن تمنعوني عما تمنعون به أنفسهم وأموالكم قالوا فإذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا
 ربح البيع لا نقييل ولا نستقيل فزلت ومزأع رابى على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرؤها
 فقال الاعرابى كلام من قال عليه الصلاة والسلام كلام الله عز وجل فقال الاعرابى والله يبيع
 مبيع لا نقييل ولا نستقبله فخرج إلى الفزوف واستشهد وقال الحسن اسمعوا والله يبيعة رابحة وكفة
 رابحة يبيع الله تعالى به أكل مؤمن والله ما على الأرض مؤمن الا وقد دخل في هذه البيعة والمراد
 بالاموال انفاقها في سبيل الله وعلى أنفسهم وأهلهم وعيالهم وفي جميع وجوه البر والطاعات
 وقوله تعالى (يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) استئناف بيان ما لاجله الشراء وقيل
 يقاتلون في معنى الامر وقرأ حذرة والكسافى بتقديم المقتولين على القتاتلين لان الواو لا تقتضى
 الترتيب ولان فعل البعض قديم سندا الى الكل أى فيقتل بعضهم ويقا تل الباقي والباقون بتقديم
 القتاتلين وقوله تعالى (وعدا عليه حقا) مصدران منصوبان به عليهما المخذوفين ثم أخبر الله
 تعالى بأن هذا الوعد الذى وعده للمجاهدين في سبيله وعده ثابت (فى التوراة) كتاب موسى
 عليه السلام (والانجيل) كتاب عيسى عليه السلام (والقرآن) أى قد أثبتة فيهما كما أثبتة
 فى القرآن أى الكتاب الجامع لكل ما قبله (ومن أوفى بعهده من الله) أى لا أحداً وفى منه سبحانه
 لان الاخلاف لا تقدم عليه الكرام من الناس فكيف يخالفهم الذى له الفنى المطلق وقوله تعالى
 (فاستبشروا) فيه التفات عن الغيبة أى فافرحوا غاية الفرح (بيعكم الذى بايعتم به) فانه
 أوجب لكم عظام المطالب كما قال تعالى (وذلك هو الفوز العظيم) * (تنبيه) * هذه الآية
 مشتملة على أنواع من التأكيد أولها قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بكون
 المشتري هو الله تعالى المقدس عن الكذب والخيانة وذلك من أدل الدلائل على تأكيد هذا
 العهد ثانيها انه تعالى عبر من ايصاله هذا الثواب بالبيع والشراء وذلك حق مؤكدا ثالثها
 قوله تعالى وعدا ووعد الله تعالى حق رابعها قوله تعالى عليه وكلمة على للوجوب خامسها قوله
 تعالى حقا وهو لتأكيد التحقيق سادسها قوله تعالى فى التوراة والانجيل والقرآن وذلك مجرى
 مجرى اشهاد الكتب الالهية بجميع الانبياء والرسل على هذه المبايعة سابعها قوله تعالى
 ومن أوفى بعهده من الله وهو غاية فى التأكيد ثامنها قوله تعالى فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به
 وأيضاً هو مبالغة فى التأكيد تاسعها قوله تعالى وذلك هو الفوز وعاشرها قوله تعالى العظيم فثبت

اشتمال هذه الآية على هذه الوجوه العشرة في التأكيذ والتقرير والتحقيق ولما ذكر تعالى في هذه الآية انه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بين أن أولئك المؤمنين هم الموصوفون بهذه الصفات التسعة الآية أولها قوله تعالى (التائبون) وهو من فوع على المدح أي هم التائبون يعني المذنبون في قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين وقال الزجاج لا يبعد أن يكون قوله التائبون مبتدأ وخبره محذوف تقديره التائبون من أهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى أو خبره ما بعده أي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال والتائبون صبغة عموم محلاة بالالف واللام فتناول التوبة من كل معصية والتوبة انما تحصل عند أربعة أمور أولها احتراق القلب عند صدور المعصية ثانياً الندم على ما مضى ثالثاً العزم على الترت في المستقبل رابعاً أن يكون الحامل له على هذه الأمور الثلاثة طلب رضوان الله تعالى وعبوديته فان كان غرضه منها رفع مذمة الناس ونحصيل مدحهم أو لغرض من الافراض الديونية فليس بتائب ولا يمدن رد المظالم الى أهلها ان كانت الصفة الثانية قوله تعالى (العابدون) أي الذين أخلصوا العبادة لله وقال الحسن هم الذين عبدوا الله في السراء والضراء وقال قتادة قوم أخذوا من أيدائهم في ليالهم ونهارهم الصفة الثالثة قوله تعالى (الحامدون) وهم الذين يقومون بحق شكر الله تعالى على نعمه دينا ودنيا ويجعلون اظهار ذلك عادة لهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء الصفة الرابعة قوله تعالى (السانحون) واختلف في المراد منهم فقال ابن مسعود وابن عباس هم الصائمون قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما ذكر في القرآن من السباحة فهو الصوم وقال صلى الله عليه وسلم سباح أتى الصوم وعن الحسن أن هذا صوم القرض وقيل هم الذين يديعون الصيام قال الأزهري قيل للصائم سائح لان الذي يسبح في الارض متعبداً لزاماً معه كان ممسكاً عن الأكل والصائم ممسك عن الأكل فلهذه المشابهة يسمى الصائم سائحاً وقال عطاء السائحون الغزاة في سبيل الله تعالى وروى عن عثمان بن مظعون انه قال يا رسول الله ائذن لنا في السباحة فقال ان سباحة أتى الجهاد في سبيل الله وقال عطاء السائحون هم طلاب العلم والسياحة أمر عظيم في تكميل النفس لانه يلقى أفاضل مختلفين فيستفيد من كل واحد فائدة مخصوصة وقد يلقى الاكابر من الناس فيستحقرونهم في مقابلتهم وقد يصل الى المدارس الكثيرة فينتفع بها وبعدها شاهد اختلاف أحوال أهل الدنيا بسبب ما خلق الله تعالى في كل طرف من الاحوال الخاصة بهم فتقوى معرفته وبالحكمة فالسياحة لها أثر قوي في الدين الصفة الخامسة والسادسة قوله تعالى (الراكعون الساجدون) أي المصلون وانما عبر عن الصلاة بالركوع والسجود لان بهما يتميز المصلي عن غيره بخلاف حالة القيام والوقوف لانهم احالة المصلي وغيره ولان القيام أقل مراتب التواضع لله تعالى والركوع وسطها والسجود غايتها انخفض الركوع والسجود بالذكر لدلائلها على غاية التواضع والعبودية تنبيهها على أن المقصود من الصلاة

نهاية الخسوع والتعظيم الصفة السابعة والثامنة قوله تعالى (الأمرون بالمعروف والناهون
 عن المنكر) أي الأمرون بالإيمان والطاعة والناهون عن الشرك والمعصية ودخول
 الواو في والناهون عن المنكر للدلالة على أنه بماء طوف عليه في حكم خصلة واحدة فكأنه قال
 الجامعون بين الوصفين ولأن العرب تعطف بالواو على السبعة ومنه قوله تعالى وثامنهم كلبهم
 وقوله تعالى في صفة الجنة وقحت أبوابها إذا نادى بأن التعداد قد تم بالسابع من حيث أن السبعة
 هو العدد التام والثامن ابتدأ تعداد آخر معطوف عليه ولذلك تسمى واو الثمانية وقيل
 الموصوفون بهذه الصفات هم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعلى هذا يكون قوله
 تعالى الثابون إلى قوله الساجدون مبتدأ خبره هم الأمرون بالمعروف والناهون عن
 المنكر الصفة التاسعة قوله تعالى (والحافظون لحدود الله) أي لأحكامه بما مل بها والمقصود
 أن تكاليف الله تعالى كثيرة وهي محصورة في نوعين أحدهما ما يتعلق بالعبادات والثاني
 ما يتعلق بالمعاملات (فان قيل) ما الحكمة في أن الله تعالى ذكر تلك الصفات الثمانية على
 التفصيل ثم ذكر عقوباتها ثم أقسام التكاليف على سبيل الإجمال في هذه الصفة التاسعة (أجيب)
 بأن التوبة والعبادة والاشتغال بحمد الله والسياسة والركوع والسجود والأمرون
 بالمعروف والنهي عن المنكر أمور لا ينفك المكلف عنها في أغلب أوقانه فلهذا ذكرها الله
 تعالى على سبيل التفصيل وأما البقية فقد ينقل المكلف عنها في أكثر أوقانه مثل أحكام البيع
 والشراء وأحكام الجنایات ودخل في هذه الصفة التاسعة رعاية أحوال القلوب بل البحث
 عنها والمبالغة في الكشف عن حقائقها أولى لأن أعمال الجوارح اغتازاد لاجل تفصيل
 أعمال القلوب ثم ذكر سبحانه وتعالى عقب هذه الصفات التسعة قوله تعالى (وبشر المؤمنين)
 تنبيها على أن البشارة في قوله تعالى فاستبشروا لم تتناول إلا المؤمنين الموصوفين بهذه الصفات
 التسعة وحذف تعالى المبشر به للتعظيم فكأنه قيل وبشرهم بما يجبل عن احاطة الأفهام وتعبير
 الكلام باختلاف في سبب نزول قوله تعالى (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا
 للمشركين ولو كانوا أولي قربى) فقال سعيد بن المسيب عن أبيه أنه نزل في شأن أبي طالب
 وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء لعمه أبي طالب لما حضرته الوفاة فوجد عنده أبا جهل
 وعبد الله بن أمية فقال أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بهما عند الله فقال أبو جهل
 وعبد الله بن أمية أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان
 عليه إلى تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلهم أنا على ملة عبد المطلب وأبي أن يقول لا إله
 إلا الله فقال صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك فنزل ذلك وعن أبي هريرة
 رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه قل لا إله إلا الله أشهد لك به يوم
 القيامة قال لولا أن يعرفني قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لا قررت به لصينك فأ نزل
 الله تعالى أنك لا تهدي من أحببت الآية وقال بريدة لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة أتى
 قبر أمه آمنه فوقف عليه حتى حبت الشمس وجاء أن يؤذن له يستغفر لها فنزل ما كان للنبي

الآية وقال أبو هريرة زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه آمنه فبكى وأبكى من حوله وقال
 استأذنت ربي أن أستغفر لها فلم يأذن لي واستأذنته أن أزورها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكروا
 الموت وقال قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تستغفروا لابي كما استغفر ابراهيم لآبيه فأنزل الله
 تعالى هذه الآية وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه سمعت رجلا يستغفر لآبيه وهما
 مشركان فكان له استغفر لهما وهما مشركان فقال استغفر ابراهيم عليه السلام لآبيه وهو
 مشرك فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية لا يورى العبد ربي بسنة عنه
 قتادة قال ذكر لنا أن رجلا قالوا يا نبي الله إن من آباءنا من كان يحسن الجوار ويصل الرحم
 ويفك العاني أفلا نستغفر لهم فقال صلى الله عليه وسلم والله لا نستغفرن لابي كما استغفر ابراهيم
 لآبيه فأنزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي
 قربى (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) أي بأن ما نوا على الكفر قال البيضاوي وفيه
 دليل على جواز الاستغفار لأحيائهم فإنه طلب توفيقهم للإيمان وبه دفع النقص باستغفار
 ابراهيم عليه السلام لآبيه الكافر فقال (وما كان استغفار ابراهيم لآبيه إلا عن موعدة
 وعدها إياه) أي وعدها ابراهيم آياه بقوله لا تستغفرن لك أي لا طلبت مغفرة لك بالتوفيق للإيمان
 فإنه يجب أي يقطع ويمحو ما قبله وقرأ هشام ابراهيم بالالف بعد الهاء في الموضعين والباقون
 بالياء فيهما (فلما تبين له أنه عدو لله) بأن مات على الكفر وأوحى الله تعالى إليه أنه لن يؤمن
 (تبرأ منه) أي قطع استغفاره (إن ابراهيم لأقوام) أي كثير التضرع والدعاء (حليم) أي صبور
 على الأذى والجله لبيان ما حمله على الاستغفار لآبيه مع صعوبة خلق آبيه عليه (وما كان الله ليضل
 قوما) أي يفعل بهم ما يفعل بالضالين من العقوبة لأجل ارتكابهم المنهي عنه (بعد اذ هداهم)
 للإسلام (حتى بيناهم) بيانا شافيا للداء العمى (ما يتقون) أي ما يجب اتقاؤه للنهي عما قبل
 العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤخذون بشرب الخمر ولا بيع الصاع بالصاعين قبل التصريح
 وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذه بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه وقيل أنه
 في قوم مضوا على الأمر الأول في القبلة والخمر وغير ذلك وفي الجمله دليل على أن الغافل غير
 مكلف (إن الله بكل شيء عليم) أي بالغ العلم فيه ويبين لكم ما تأتونه وما تذكرون مما يتوقف
 عليه الهدى وما تتركه تعالى فانما يتركه رحمة لكم لا يضل ربي ولا ينسى (إن الله له ملك السموات
 والأرض) فلا يخفى عليه شيء وخبر بكل ما يتقونكم أو يضركم (يحيي ويميت) أي يحيي من
 شاء على الإيمان ويميت عليه ويحيي من شاء على الكفر ويميت عليه لا اعتراض لا حد عليه
 في حكمه وعبيده (وما لكم) أي الناس (من دون الله) أي غيره (من ولي) يحفظكم منه
 (ولا نصير) يمنع عنكم ضرره (لقد تاب الله) أي أدام توبته (على النبي والمهاجرين والانصار)
 وافتتح الله تعالى الكلام بذكر توبة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان سبب توبتهم فذكر معهم
 كقوله تعالى فإن الله حسبه وللرسول ونحوه وقيل هو بعث على التوبة والمعة في ما من أحد
 الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والانصار لقوله تعالى وتوبوا

الى الله جميعا اذ ما من أحد الا وله مقام ينتهص دونه ما هو فيه والترقى اليه قوة من تلك النقيصة
 واظهار فضلها بأنهم مقام الانبياء والصالحين من عبادهم * (فائدة) * اتفق القراء على ادغام
 دال قد في التاء (الذين اتبعوه في ساعة العسرة) أي في وقت العسرة لم يرد ساعة بعينها وكانت
 غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش يسمى جيش العسرة والعسرة الشدة فكانت عليهم
 عسرة في الظهر والزاد والماء قال الحسن كان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يتعقبونه
 يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم القراموس والشعر المتغير
 وكان النفر يخرجون مامعهم الا القمرات اليسيرة بينهم فاذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ القمرة
 فلا كها حتى يجد طعمها ثم يعطيها صاحبه فيمصها ثم يشرب عليها جرعة من ماء كذلك حتى تأتي
 على آخرهم ولا يبقى من القمرة الا النواة فوضوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على صدقهم ويقينهم
 رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين ورضى عناهم أمين وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرجنا
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قبط شديد فترانا منزلا أصابنا فيه عطش شديد حتى
 ظننا أن رقابنا ستقطع حتى ان الرجل لينخر بعيره فيعصر فرثه ويشربه ويجعل ما بقي على كبده
 وحتى ان الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبتة ستقطع فقال أبو بكر
 يا رسول الله ان الله تعالى قد عودك في الدعاء خيرا فادع الله تعالى قال أئخب ذلك قال نعم فرفع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فلم يرجعها حتى أظلت السماء ثم سكبت فلا تاما معنا ثم ذهبنا
 ننظر فلم نجد ماجاوزت العسكر (من بعد ما كاد تزيع) أي قرب أن تميل (قلوب فريق منهم) أي هم
 بعضهم عند تلك العسرة العظيمة أن يفارق النبي صلى الله عليه وسلم لكنه صبر واحتسب
 ولم يرد الميل عن الدين فلذلك قال الله تعالى (ثم تاب عليهم) لما صبروا وابتغوا وندموا على ذلك الامر
 العسير (فان قيل) قد ذكر الله تعالى التوبة أولا ثم ذكرها ثانيا فافائدة التكرار (أجيب) بأن الله
 تعالى ذكر التوبة أولا قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطيبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك وأردفه
 بذكر التوبة مرة أخرى تعظيما للشأنهم وليعلموا أنه تعالى قد قبل توبتهم وعفا عنهم وقرأ
 حفص وحزرة يزيع بالياء على التذكير لان تأييد القلوب غير حقيقي والباقون بالتاء على التأنيث
 وأدغم أبو عمر والدال من كاد في التاء بخلاف عنه (انهبهم - موقوف رحيم) هاتان صفتان لله
 تعالى ومعناه مام تقارب فالأفة عبارة عن السعي في ازالة الضرر والرجعة عبارة عن السعي
 في ايصال المنفعة وقيل احداهما للرجعة السابقة والاخرى لله - متقبلة وقوله تعالى (وعلى
 الثلاثة الذين خلفوا) أي عن غزوة تبوك وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية وعمرارة بن الربيع
 معطوف على الآية الاولى والتقدير لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه
 في ساعة العسرة وعلى الثلاثة الذين خلفوا وفائدة هذا العطف بيان قبول توبتهم وهذه الثلاثة
 كلهم من الانصار وهم المذكورون في قوله تعالى وآخرون هم رجولان الله روى عن ابن
 شهاب الزهري قال أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من رقبته
 حين عني قال وكان أعلم قومه وأوعاهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت كعب

بشيء أحكام الجهاد فعلى الأول يقال وما استقام لهم ان ينقروا جميعا نحو غزو وطلب علم كما
لا يستقيم لهم ان ينبطوا جميعا فانه يحل باصر المعاش (قلولا) أى فهلا (نقر من كل فرقة) أى
قبيلة (منهم طائفة) أى جماعة ومكت الباقون (ليتفقوهوا) أى ليتكفوا الفقهاء (فى الدين)
ويتجنبوا مشاق تحصيلها ليعرفوا الحلال من الحرام ويعودوا الى أوطانهم (ولينذروا
قومهم اذا رجعوا اليهم) أى وأبصروا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقه ارشاد القوم
وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه أهم وفيه دليل على أن التفقه والتذكير من فروض الكفاية
وأنه ينبغي أن يكون غرض المتكلم فيه أن يستقيم ويقسم لا الترفع على الناس وصرف
وجوههم اليه والتبسط فى البلاد ليدخل فى قوله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه
فى الدين وفى قوله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل على أدناكم وفى قوله
صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله تعالى له طريقا الى الجنة (لعلمهم
يحذرون) عقاب الله تعالى بامتنال أمره ونهييه وعلى الاحتمال الثانى يقال انه لما نزل
فى المتكلمين ما نزل سبق المؤمنون الى النصير وانقطعوا عن التفقه فأمر وأبان ينقر من كل فرقة
طائفة الى الجهاد ويمكت الباقون يتذقون حتى لا ينقطع التفقه الذى هو الجهاد الا كبر لان
الجهد بالجملة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير فى ليتفقوهوا و لينذروا البواق
الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفى رجعوا للطوائف و لينذروا الباقى قومهم النافرين
اذا رجعوا اليهم بما حصلوا أيام غيبتهم من العلوم قال ابن عباس فهذه مخصوصة بالسرايا والى
قبلها بالتهى عن تخلف أحد فيما اذا خرج النبى صلى الله عليه وسلم (بأيها الذين آمنوا قاتلوا
الذين يوفونكم من الكفار) أمر وابتال الاقرب منهم فالاقرب كما أمر صلى الله عليه وسلم أولا
بأنذار عشيرته الاقربين وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب
الجزاز ثم غزا الشام وقيل لهم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لانهم كانوا يسكنون
الشام والشام أقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المغرب ومن على أهل كل ناحية أن
يقاتلوا من وليهم ما لم يضطروا الى أهل ناحية أخرى (وليجدوا فيكم غلظة) أى شدة وصبر على
القتال والغلظة ضد الرقة أى اغلظوا عليهم (واعلموا ان الله مع المتقين) بالعون والنصرة
والحراسة (واذا ما أنزل سورة) من القرآن (فمنهم) أى المنافقين (من يقول) أى لاصحابه
انكارا واستمزا بالمؤمنين (أيكم زادت هذه) السورة (إيمانا) أى تصديقا قال الله تعالى
(فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا) بزيادة العلم الحاصل فى تحصيل السورة وانضمام الايمان بها واما
فيمالى ايمانهم (وهم يستبشرون) أى يفرحون بنقلها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع
درباتهم (وأما الذين فى قلوبهم مرض) أى شك وفساد فى المشك فى الدين مرضا لانه فساد
فى القلب يحتاج الى علاج كالمرض فى البدن اذا حصل يحتاج الى علاج (فزادتهم) أى السورة
أى نزولها (رجسا الى رجسهم) أى كفر اربا مضموما الى الكفر بغيرها (وملأوا) أى هؤلاء
المنافقون (وهم كفرون) أى وهم جاحدون لما أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم

قال مجاهد في هذه الآية دليل على أن الإيمان يزيد وينقص وكان على رضى الله تعالى عنه يأخذ بيد الرجل والرجلين من الصلبة ويقول تعالوا حتى نزداد إيماناً وقوله تعالى (أولايرون) قرأه حمزة بالتاء أى أيها المؤمنون والباقيون بالياء على الغيبة أى المنافقون (أنهم يقتنون) أى يتلون (في كل عام مرة أو مرتين) بالامراض والقعط والحرب (ثم لا يتوبون) من نفاقهم ونقض عهودهم إلى الله تعالى (ولا هم يذكرون) أى ولا يتعظون بما يرون من نصرته صلى الله عليه وسلم وتأنيده (وإذا ما أنزلت سورة) فيها عيب المناقفة بين وتوبيخهم وقرأها صلى الله عليه وسلم (نظر بعضهم إلى بعض) أى تفاخر وأبايعون إذ كانوا الهارضية أو غيظاً لما فيها من عيوبهم ويريدون الهرب يقولون (هل يراكم من أحد) أى من المؤمنين إذا قمت فإن لم يرههم أحد قاموا وخرجوا من المسجد وانعلموا أن أحداً يراهم فبنوا على تلك الحالة (ثم انصرفوا) على كفرهم ونفاقهم وقيل انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها ما يكرهون وقوله تعالى (صرف الله قلوبهم) أى عن الهدى يحتمل الاخبار والدعاء (بأنهم) أى بسبب أنهم (قوم لا يفقهون) أى لسوء فهمهم وعدم تدبرهم (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) أى من جنسكم عربى منكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم تعرفون حسب ونسبه قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه ما ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبى صلى الله عليه وسلم ولقيها نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شئ من ولادة الجاهلية من زمن آدم عليه السلام وعن الطبراني قال صلى الله عليه وسلم انى خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدنى من سفاح أهل الجاهلية شئ ما ولدنى الانكاح كنكاح الاسلام وعن واثة بن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم وقرأ أبو عمرو وحزرة والكشاف بادغام دال قدفى الجسيم والباقيون بالانظهار (عزيز) أى شديد شاق (عليه ما عنتم) أى عنيتكم وايتاؤكم المكره وقيل يشق عليه ضلالتكم (حريص عليكم) أى ان تهتدوا وعلى اقبال الخير اليكم (يا مؤمنين) أى منكم ومن غيركم (رؤف) أى شديد الرحمة بالمطيعين (رحيم) بالمذنبين وقدم الابن وهو الرؤف محافظ على الفواصل وعن الحسن بن الفضل لم يجمع الله تعالى لاحد من الانبياء بين اسمين من اسمائه الا لنبينا صلى الله عليه وسلم فسماه رؤفاً رحيماً وقال تعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص عبد الله همزة من رؤف والباقيون بالقصر (فان تولوا) أى فان أعرضوا هؤلاء الكفار والمنافقون عن الإيمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وناصروا الحرب (فقل حسبى الله) أى يكفينى الله وينصرنى عليكم وانما كان كافياً لانه (لا اله الا هو) فلا مكافئ له ولا راد لأمره ولا معقب لحكمه (عليه توكلت) أى فلا أرجو الا اياه ولا أخاف الا منه لان أمره نافذ فى كل شئ (وهو رب العرش) أى الكرسي (المنظـم) وخصه بالذكور تشريفاً له ولانه من أعظم مخلوقاته سبحانه وتعالى روى عن أبي بن كعب قال آخر ما نزل من القرآن هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر

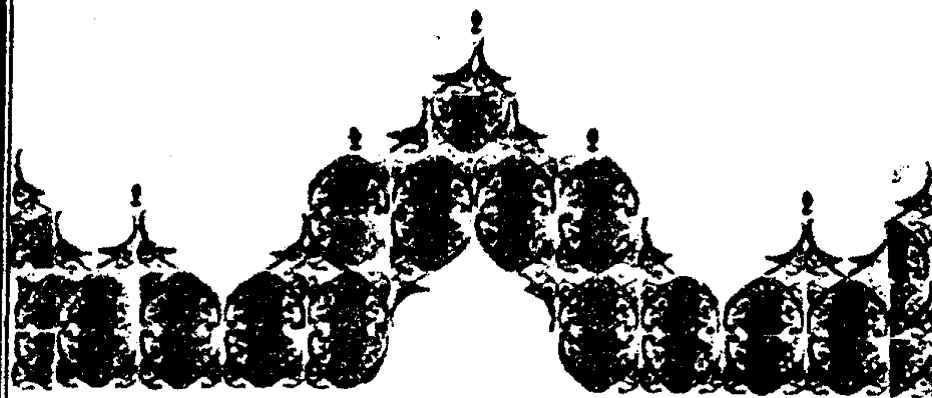
السورة وقال هما أحدث الآيات بالله عهدا وما رواه البيضاوي رحمه
الله تعالى تعالى تكشاف من أنه صلى الله عليه وسلم قال ما أنزل على
القرآن إلا آية آية وسرفا حرقا ما خلا سورة براءة وقل هو الله
أحد فانهم ما أنزل على وهم ما سبهون ألف صف
من الملائكة حديث منكر ومخالف لما مر عن
أبي من أن آخر ما نزل الآياتان
اتهي والله سبحانه
وتعالى اعلم

• (تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني وأوله سورة يونس) •

فهرسة الجزء الاول من تفسير الخطيب الشربيني

سورة النساء ٢٧٨	سورة آل عمران ١٩٣	سورة البقرة ٠١٤	سورة فاتحة الكتاب ٣
سورة الانفال ٥٥١	سورة الاعراف ٤٦٢	سورة الانعام ٤٠٨	سورة المائدة ٣٥٠
سورة التوبة ٥٨٦			

الجزء الرابع من السراج المنير في الالة على معرفة بعض
معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للشيخ الامام
الخطيب الشريفي قدس الله روحه
وعنه بالرجة ضريحه
آمين



بسم الله الرحمن الرحيم

{ سورة الاحقاف مكية }

الاقوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله الآيه والا فاصبر كما صبرا ولولا العزم من الرسل
الآيه والا ووصينا الانسان بوالديه الثلاث آيات وهي خمس وثلاثون آيه وستمائة وأربع
وأربعون كلمة وألفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا (بسم الله) الذي لا يذل من والى ولا يعز
من عادى (الرحمن) الذي سبقت رحمته غضبه (الرحيم) الذي خص حزنه بعمل الابرار للنفوز
في دار القرار وتقدم الكلام على قوله تعالى (حم) مرارا وقرأ ابن ذكوان وشعبة وحجة
والكسائي بامالة الحاء محضة وقرأ ورش وأبو عمرو وبأما التهابين بين وفتحها الباقون وقبل المراد
بحم حكمة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي النهاية في الصواب والسداد أحكمها الذي أحاطت
قدرته فهو لا يخاف الميعاد وقوله تعالى (تنزيل الكتاب) أي الجامع لجميع الخيرات بالتدريج على
حسب المصالح (من الله) أي الجبار المتكبر المختص بصفات الكمال (العزیز) في ملكه (الحكيم)
في صنعه لانه لم يفعل شيئا الا في أوفق محاله وأنه الخالق للخير والشر وأنه يعز أوليائه ويذل أعداءه
(ما خلقنا) أي على ما لنا من العظمة الموجبة للتفرد بالكبرياء (السموات والارض) على ما فيها
من الآيات (وما بينهما الا) خلقا ملتبسا (بالحق) أي الامر الثابت من القدرة التامة والتصرف
المطلق ليدل على قدرتنا ووحدايتنا (وأجل) أي بتقدير أجل (مسمى) ينتهي اليه وهو يوم
القيامة (والذين كفروا عما أئذروا) أي خوفوا به من القرآن من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل
خلق من انتهائه اليه (معرضون) أي لا يؤمنون به ولا يهتدون للاستعداد له ثم قال الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم (قل) أي لهؤلاء المعرضين أنفسهم لغاية الخطوب منكر اعليهم تبكينا وتوبيخا

(أرأيتم) أي أخبروني عن حال آلهتكم بعد تأمل وروية باطنية (ماتدعون) أي تعبدون ثم نبه على
 سقواهم بقوله تعالى (من دون الله) أي المالك الأعظم الذي كل شيء دونه فلا كف له مفعول أول
 وقوله تعالى (أروني) أي أخبروني تأكيد وقوله (ماذا خلقوا) مفعول ثان وقوله تعالى (من
 الأرض) بيان لما أي ليصح ادعاء أنهم شركاء فيها باختراع ذلك الجزء (أم لهم) أي الذين تدعونهم
 (شرك) أي مشاركة (في) خلق (السموات) أي بنوع من أنواع الشراكة مع الله تعالى وأم بمعنى
 همزة الانكار ولما كان الدليل أحد شيئين سمع وعقل قال تعالى (أتتوني بكتاب) أي منزل على
 دعواكم في هذه الاصنام أنها خلقت شيئاً أو أنها تستحق أن تعبد * (تنبيه) * أبدل ورش
 والسومى الهمزة من اتوني في الوصل ياء وحققها بالباقون وأما الابداء بهم الجبيع القراء
 أبدلوه ياء بعد الابداء بهم همزة الوصل مكسورة (من قبل هذا) أي القرآن الذي أنزل على
 كالنوراة والانجيل والزبور وهذا من أعلام النبوة فإنها كلها شاهدة بالوحدانية لو أتت بها آت
 شهدت عليه ولما ذكر تعالى الاعلى الذي لا يجب التكليف الابه وهو النقل القاطع سهل عليهم
 فنزل الى مادونه فقال (أو أئمة) أي بقية (من علم) يؤثر عن الاولين بصحة دعواكم في عبادة
 الاصنام أنها تقربكم الى الله تعالى وقال المبرد أئمة ما يؤثر من علم كقولك هذا الحديث يؤثر عن
 فلان ومن هذا المعنى سميت الاخبار بالآثار يقال جاء في الاثر كذا وكذا وقال الواحدى وكلام
 أهل اللغة في هذا الحرف يدور على ثلاثة أقوال الأول الاثارة واشتقاقها من أثرت الشيء أثيرة
 اثارة كأنها بقية تستخرج فتشار والثاني من الاثر الذي هو الرواية والثالث من الاثر بمعنى
 العلامة وقال الكلبي في تفسير الاثارة أي بقية من علم يؤثر عن الاولين أي يسند اليهم وقال
 مجاهد وعكرمة ومقاتل رواية عن الانبياء قال الرازي وهمنا قول آخر وأثارة من علم هو علم الخط
 الذي يخط في الرمل والعرب كانوا يخطونه وهو علم مشهور روى أنه صلى الله عليه وسلم قال كان
 نبي من الانبياء يخط فن وافق خطه خطه علم علمه فعلى هذا الوجه معنى الآية اتوني بعلم من قبل
 هذا الخط الذي تخطونه في الرمل يدل على صحة مذهبكم في عبادة الاصنام فان صح تفسير الآية
 بهذا الوجه كان ذلك من باب التكميم بهم وأقوالهم ودلائلهم ثم أشار الى تقريرهم بالكذب اذ لم
 يقيموا دليلاً على دعواهم بقوله (ان كنتم صادقين) أي عريقين في الصدق على ماتدعون لانفسكم
 ولما أبطل سبحانه قولهم في الاصنام بعدم قدرتها أتبعه ابطاله بعدم علمها بقوله تعالى (ومن أضل)
 وهو استفهام بمعنى النفي أي لا أحد أضل (من يدعو) أي يعبد ما لا قدرة له ولا علم ومن اتفت
 قدرته وعلمه تصح عبادته ببدنية العقل وأرشد الى سفولها بقوله عز وجل (من دون الله) أي من
 أدنى رتبة من رتب الذي له صفات الكمال فهو يعلم كل شيء ويقدر على كل شيء فهو بحيث يجب
 الدعاء ويكشف البلاء ويحقق الرجا اذا شاء ويدبر عبده لما يعلم من سره وعلمه بما لا يقدر هو
 على تدبير نفسه به ويريد العبد في كثير من الاشياء ما لو وكل فيه الى نفسه وأجيب الى طلبته كان
 فيه حقه فيدبره سبحانه بما تشد كراهته فيكشف الحال على أنه لم يكن له فخرج الالف (من
 لا يستجيبه) أي لا توجد الاجابة ولا يطلب ايحداها من الاصنام وغيرها لانه لا أهلية له لذلك

والمعنى انه لا أحد أبعد عن الحق وأقرب الى الجدل ممن يدعو من دون الله الاصنام فيتحذرها آلهة
ويعبدها وهي اذا دعيت لاتسمع ولا تجيب لافي الحال ولا في المآل (الى يوم القيامة) وانما جعل
ذلك غاية لان يوم القيامة قد قيل ان الله تعالى يحياها ويخاطب من يعبدها فلذلك جعله الله تعالى
سحدا وقيل المراد عبدة الملائكة وعيسى وأنهم يوم القيامة يظهرون عبادة هؤلاء العابدين (وهم
عن دعائهم) أي دعاء المشركين اياهم (نغفلون) أي لهم هذا الوصف لا ينضكون عنه لا يعلمون من
يدعوهم ومن لا يدعوهم وعبر بالغفلة التي هي من أوصاف العقلاء للجمادات تغليباً ان كان المراد أعم
من الاصنام وغيرها مما يعبدوه من عقلاء الانس وغيرهم ولما غلب سبحانه يوم القيامة فأنهم أنهم
يستجيبون لهم فيه بين ما يحاورونهم به اذ قال تعالى (واذا نزلنا من السماء) أي جمع بكروه على ايسر
وجه وأسهل أمر (الناس) أي يوم القيامة (كانوا) أي المدعون (لهم) أي الداعين (أعداء)
ويعطيهم الله تعالى قوة الكلام فيخاطبونهم بكل ما يخاطب به العدو عدوه (وكانوا) أي المعبودون
(بعبادتهم) أي الداعين وهم المشركون اياهم (كافرين) أي جاحدين لانهم كانوا عنها غافلين كما قال
تعالى في سورة يونس عليه السلام وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون ثم بين تعالى أنهم في نهاية
الغباوة بانكار ما لا شيء أي من بقوله سبحانه (واذا تتلى) أي تقرأ من أي قارئ كان على وجه
المتابعة (عليهم) أي هؤلاء البعداء البغضاء (آياتنا) التي لا أعظم منها في أنفسها باضافتها اليها
وهي القرآن وقوله تعالى (بينات) أي ظاهرات حال قالوا هكذا كان الاصل ولكنه تعالى بين
الوصف الحامل لهم على القول فقال عز وجل (قال الذين كفروا) أي سترتوا تلك الانوار التي
أبرزتم تلك التلاوة لها هكذا كان الاصل ولكن قال تعالى (للق) أي لاجله (لما) أي حين
(جاءهم) أي من غير نظر وتأمل (هذا) أي الذي يتلى (سحر) أي خيال لا حقيقة له (مبين) أي
ظاهر في أنه خيال باطل وقوله تعالى (أم يقولون افتراء) اضرب عن ذكر تسميتهم اياه سحراً الى
ذكر ما هو أشنع وانكار له وتجب ثم بين تعالى بطلان شبهتهم بقوله تعالى (قل) أي يا أشرف الخلق
(ان افتريته) أي تعمدت كذبه على زعمكم وأنا انما أريد به نصيحتكم فالذي أفتريه عليه وأنسبه
اليه يعاقبني على ذلك ولا يتركني أصلاً وذلك هو معنى قوله (فلا تملكون) أي أيها المنصوحون
بوجه من الوجوه ولا في وقت من الاوقات (لن من الله) أي المتكبر الحليم (شيأ) من الاشياء لما يرد
عني انتقامه لان الملك لا يترك من كذب عليه مطلق كذب فكيف من يتعمد الكذب عليه في الرسالة
بأمر عظمي وملازمته مساء وصباحاً فأى حامل لي حيث نذ على افتراءه ثم علل ما أفاده الكلام من
وجوب الانتقام بقوله (هو) أي الله سبحانه (أعلم) أي منكم ومن كل أحد (بما تفيضون فيه) أي
بما تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه بأنه سحر (كفى به شهيداً) أي شاهد بليغ
الشهادة لانه أعلم بجميع أحوالنا (بينى وبينكم) أي أن القرآن جاء من عنده فيهدى بالصدق
ولكم بالكذب وقد شهد بصدقى بهجركم عن معارضة شئ من هذا الكتاب الذي أنبت به فثبت
بذلك أنه كلامه لافي لا أقدر على ما تقدرون عليه فرادى ولا جمعة عين وأنتم عرب مثلى بل وأنا أمي
وفيكم أنتم الكتبة والذين خالطوا العلماء وسمعوا أحاديث الامم وضرى بوابعد بلاد العرب في بلاد

النجم فظهر بذلك ظهور الشمس أنكم كاذبون (وهو) أي وحده (الفقور) أي الذي من شأنه أن
يجو الذنوب أعيانها وأثارها فلا يعاقب عليها ولا يعاتب (الرحيم) أي الذي يكرم بعد المغفرة
ويفضل بالتوفيق لما يرضيه قال الزجاج هذا دعاء إلى التوبة ومعناه غفور لمن تاب منكم رحيم به
ولما حكى تعالى طعنهم في كون القرآن معجزا بقولهم أنه يحتلقه من عند نفسه ثم نسبته إلى أنه
كلام الله تعالى على سبيل القرية حكى عنهم شبهة أخرى وهو أنهم كانوا يقترحون عليه معجزات
عجيبة ويطالبونه بأن يخبرهم عن المغيبات فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله عز وجل (قل) أي
لهؤلاء الذين نسبوا إلى الافتراء (ما كنت) أي كونا ما (بدعا) أي منشأ ما يتدعا محمدنا مخترا
بحيث أكون أجنبيا منقطعاً (من الرسل) أي لم يتقدم لي منهم مثال في أصل ما جئت به وهو
التوحيد ومحاسن الأخلاق بل قد تقدمني رسل كثيرون أتوا بمثل ما أتيت به ودعوا إليه كادعوت
إليه وصدقهم الله تعالى بمثل ما صدقني به فثبت بذلك رسالتهم وسعديهم من صدقهم من قومهم
وشقي من كذبهم فأنظروا إلى أثارهم وأسألوا عن سيرهم من أتباعهم وأنصارهم وأشياعهم
(تنبيه) * البدع والبدع من كل شيء المبدأ والبدعة ما اخترع مما لم يكن موجودا قبله وفي
المحدث كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار قال البقاعي معناه والله أعلم أنه يتدع ما يخالف
السنة إذا كانت البدعة ضد السنة فإذا أحدث ما يخالفها كان باحداثة ضالا مشركا وكان ما
أحدث في النار ولم يدخل تحت هذا ما يخرعه الإنسان من أفعال البر يسمى بدعة لعدم فعله قبل
ذلك فيخرج عما ذكره وقال ابن عبد السلام البدعة منقسمة إلى واجبة ومحترمة ومنذوبة
ومكروهة ومباحة قال والطريق في ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة فإن دخلت في
قواعد الإيجاب فهي واجبة كالاشتغال بعلم النحو أو في قواعد التحريم فمحترمة كذهب القدونية
والجسمة والرافضة قال والرد على هؤلاء من البدع الواجبة أو في قواعد المندوب فمندوبة كبناء
الربط والمدادس وكل أحسان لم يحدث في العصر الأقل كصلاة التراويح أو في قواعد المكروه
فمكروهة كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف أو في قواعد المباح فباحة كالمصافحة عقب الصبح
والعصر والتوسع في الماء كل والملابس وروى البيهقي بإسناده في مناقب الشافعي رضي الله
تعالى عنه أنه قال المحدثات ضربان أحدهما ما خالف كتاباً أو سنة أو إجماعاً فهو بدعة وضلالة
والثاني ما أحدث من الخيرة فهو غير مذموم واختلف في تفسير قوله تعالى عن قوله عليه الصلاة
والسلام (وما أدرى ما يفعل بي ولا بكم) على وجهين أحدهما أن يحمل ذلك على أحوال الدنيا
والثاني أن يحمل على أحوال الآخرة أما الأقل ففيه وجوه أحدها أن معناه لا أدرى ما يصير
إليه أمري وأمركم ومن الغالب منا ومن المغلوب ثانياً قال ابن عباس في رواية الكلبي لما اشتد
البلاء بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بمكة رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض ذات نخيل وشجر
بوماء فقصها على أصحابه فاستبشروا بذلك ورأوا أن ذلك فرج ما بهم من أذى المشركين ثم انهم
مكثوا برهة من الدهر لا يرون أثر ذلك فقالوا يا رسول الله ما رأينا الذي قلت مقى تهاجر إلى الأرض
التي رأيتها في المنام فبكت النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى قل ما كنت بدعاً من الرسل

وما أدري ما يفعل بي ولا بكم هو شئ رأيت في المنام (ان) أي ما (أتبع) أي بغاية جهدي وجدي
 (الاما) أي الذي (يوحى) أي يجتهد القارئ من لا يوحى بحق سواء (التي) على سبيل التدرج لا يطلع
 عليه حق اطلاعه غيري فالكلام قال الضحالك لا أدري ما تقومون به ولا ما أمر به من التكليف
 والشرايع ولا من الامتلاء والامتحان (وما أنا) أي باخباري لكم عما يوحى الي (الانذير مبين) أي
 بين الانذار رابعها كأنه يقول ما أدري ما يفعل بي في الدنيا موت أو أقتل كما قتل الانبياء قبلي ولا
 أدري ما يفعل بكم أيها المكذبون ارمون بالحجارة من السماء أو يصف بكم أو يفعل بكم ما يفعل
 بسائر الامم قال السدي ثم أخبره الله تعالى أنه يظهر دينه على الاديان بقوله تعالى هو الذي أرسل
 رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال في آتته وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم
 وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فأخبره الله تعالى بما يصنع به وبآتته * وأما من حل الآية
 على أحوال الآخرة فروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لما نزلت هذه الآية فرح
 المشركون والمنافقون واليهود وقالوا كيف تتبع نبيا لا يدري ما يفعل به ولا بنا فأنزل الله تعالى
 أنا فضنا لك فصاحبينا بغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر إلى قوله تعالى وكان ذلك عند الله
 فوزا عظيما فقالت الصحابة هنيأ لك يا رسول الله قد علمنا ما يفعل بك فما يفعل بنا فأنزل الله عز وجل
 ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار الآية وأنزل وبشر المؤمنين بأن لهم
 من الله فضلا كبيرا فيبين لهم ما يفعل به وبهم وبهذا قال أنس والحسن وعكرمة وقالوا انما قال هذا
 قبل أن يخبر بغفران ذنبه لانه انما أخبر به عام الحديبية ففسخ ذلك قال الرازي وأكثر المحققين
 استبعدوا هذا القول من وجهين أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لا بد وأن يعلم من نفسه
 يومئذ علم كونه نبيا علم أنه لا تصدر عنه الكاثروا أنه مغفور له واذا كان كذلك امتنع كونه شاكيا
 أنه هل هو مغفور له أو لا ثانيهما أن الانبياء ارفع حلالا من الاولياء وقد قال تعالى في حقهم ان الذين
 قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكيف يعقل أن يبقى الرسول الذي هو
 رئيس الانبياء وقدوة الاولياء شاكيا انه هل هو من المغفور لهم فثبت ضعف هذا القول (قل)
 يا أفضل الخلق لهؤلاء المصريين على التكذيب (أو أيتم) أي أخبروني (ان كان) أي هذا الذي
 آتيتكم به وهو القرآن (من عند الله) أي الملك الاعظم (وكفرتم به) أي أيها المشركون (وشهد
 شاهد) واحد أو أكثر (من بني اسرائيل) أي الذي جرت عادتك أن تستفتوهم وتنقوا بهم
 (على مثله) أي مثل ما في القرآن من ان من وحده فقد آمن ومن أشرك فقد كفر وأن الله تعالى
 أنزل ذلك في التوراة والانجيل وجميع أسفارهم قطبا بقت عليه كتبهم وقطافرت به رسلمهم
 ونوازت على الدعاء اليه والامر به أنبياءهم عليهم الصلاة والسلام (فأمن) أي هذا الذي شهد
 هذه الشهادة (واستكبرتم) أي أوجدتم الكبر بالاعراض عنه طال بين ذلك الرياسة والفخر فكنتم
 بعد شهادة هذا الشاهد معاندين من غير شبهة فضلتهم فوضعتم الشئ في غير موضعه فأنست عليكم
 باب الهداية واختلف في هذا الشاهد فقال قتادة والضحالك وأكثر المفسرين هو عبد الله بن
 سلام شهد نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم وآمن به واستكبرت اليهود فلم يؤمنوا به كما روى أنس

قال سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه فتطرق الى وجهه فعلم أنه ليس
وجهه كذاب وتأمله فحقق أنه النبي المنتظر فقال له أني سألك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما أؤل
أشراط الساعة وما أؤل طعام أهل الجنة وما ينزع الولد الى أبيه أو الى أمه فقال صلى الله عليه
وسلم أخبرني بهن جبريل أنفا قال جبريل قال نعم قال ذلك أعدو اليه يهود من الملائكة فقرأ من كان
عدو الجبريل فانه نزل على قلبك باذن الله ثم قال أما أول أشراط الساعة فتأثر تحشر الناس من
المشرق الى المغرب وأما أول طعام تأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وأما الولد فإذا سبق ماء
الرجل نزعه وإذا سبق ماء المرأة نزعه فقال أشهد انك لرسول الله حقا ثم قال يا رسول الله ان
اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل أن تسألهم عنى بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم
النبي صلى الله عليه وسلم أى رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا
وأعلمنا وابن أعلمنا قال أفرايتم ان أسلم عبد الله بن سلام فقالوا أعاده الله من ذلك فخرج اليهم
عبد الله فقال أشهد ان لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانه قصوه
فقال هذا ما كنت أخاف منه يا رسول الله قال سعد بن أبي وقاص ما سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول لاحد عشي على الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت هذه الآية
وشهد شاهد من بني اسرائيل وقيل الشاهد هو موسى بن عمران قال الشعبي قال مسروق في هذه
الآية والله ما نزلت في عبد الله بن سلام لان آل حم نزلت بحكمة وانما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة
قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين فكيف يمكن حمل هذه الآية المكية على واقعة
حدثت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وانما نزلت الآية في محاجة كانت من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت بالمدينة وأجاب الكلبي بأن السورة مكية الا هذه الآية
فانها مدنية وان الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يضعها في هذه السورة المكية في هذا
الموضع المعين وقيل المراد بالشاهد موسى ومثل القرآن هو التوراة فشهد موسى على التوراة
ومحمد على الفرقان فكل واحد يصدق الآخر لان التوراة مشتملة على البشارة بمحمد صلى الله
عليه وسلم والقرآن مصدق للتوراة وجواب الشرط الستم ظالمين دل عليه قوله تعالى (ان الله)
أى الملك الاعظم ذا العزة والحكمة (لا يهدي القوم) أى الذين لهم قوة على القيام بما يريدون
(الظالمين) أى الذين من شأنهم وضع الامور في غير مواضعها فلاجل ذلك لا يهديكم اذ لا احد
ارسخ منكم في الظلم الذى تسبب عنه هلاككم (وقال الذين كفروا) أى تعدوا واتغطية الحق
(للذين) أى لاجل ايمان الذين (أمنوا) أى سبقوهم الى الايمان (لو كان) أى ايمانهم بالقرآن
(خيرا) أى من جملة الخيرات (ما سبقونا اليه) ونحن أشرف منهم وأكثر اموالا واولادا وأعلم
بتحصيل العز والسود الذى هو مناط الخير كما لم يسبقونا الى شئ من هذه الخيرات التى نحن
فائزون بها وهم صفر منها المكن ليس بخير فلهذا سبقونا اليه (واذ) أى وحين (لم يهتدوا به) أى
بالقرآن كما اهتدى به اهل الايمان (فسيقولون هذا) أى القرآن الذى سبقتم اليه (افك) أى شئ
مصروف عن وجهه الى قهقهة (قديم) أى افك غير وعثر هو عليه فأتى به ونسبه الى الله تعالى كما

قالوا اساطير الاولين (ومن) اى قالوا ذلك والحال انه كان في بعض الزمن الذي من (قبله) اى
القرآن (كتاب موسى) كليم الله تعالى حال كون كتابه وهو التوراة (اماما) اى يستحق ان يؤتم
كل من سمع به (ورحة) لما فيه من نعم الدلائل على الله تعالى والبيان الشافي وفي الكلام محذوف
تقديره وتقدمه كتاب موسى اماما ورحة ولم يهتدوا به كما قال تعالى في الآية الاولى واذ لم يهتدوا به
(وهذا) اى القرآن (كتاب) اى جامع لجميع الخيرات (مصدق) اى لكتاب موسى عليه السلام
وغیره من الكتب التي تصح نسبتها الى الله تعالى في ان محمد صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله
تعالى وقوله تعالى (لسانا) حال من الضمير في مصدق وقوله (عربيا) صفة للسانا وهو المسوق لوقوع
هذا الجامد حالا اى في أعلى طبقات اللسان العربي مع كونه اسهل الكتب تناولا وابعدها عن
التكلف ليس هو بحيث ينعى علوه بفخامة الالفاظ وجلالة المعاني ودقة الاشارة عن سهولة الفهم
وقرب التناول وقوله تعالى (لينذر) اى الكتاب بحسن بيانه وعظم شأنه (الذين ظلموا) اى سواء
كانوا عربيين في الظلم ام لا وقرأ نافع وابن عامر بالتاء خطا باى ايها الرسول والباقون بالياء غيبة
بخلاف عن البرى (وبشرى) اى كاملة (للعسنيين) اى المؤمنين بأن لهم الجنة * ولما قررد لائل
التوحيد والنبوة وذکر شبهات المتكبرين وأجاب عنهم اذ كر بعد ذلك طريقة المحققين فقال تعالى
(ان الذين قالوا ربنا) اى خالقنا ومولانا والمحسن اليانا (الله) وحده (ثم استقاموا) اى جمعوا بين
التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة فى الامور التى هى منتهى العلم وثمر الدلالة على تأخر
رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد (فلا خوف عليهم) اى من لحوق مكروه (ولا هم
يخزنون) اى على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط (اولئك) اى العالون
الدرجات (اصحاب الجنة خالدين فيها) خلودا لا آخر له جوزوا بذلك (جزاء) اى بسبب ما
(كانوا) طبعوا وخلقوا (يعملون) اى على سبيل التجديد المستمر * ولما كان رضا الله تعالى فى رضا
الوالدين وسخطه فى سخطهما كما ورد به الحديث بحث عليه بقوله تعالى (ووصينا) اى بما لثامن
العظمة (الانسان) اى هذا النوع الذى أنس بنفسه (بوالديه) وقرأ (حسنا) نافع وابن كثير
وأبو عمرو وابن عامر بضم الحاء وسكون السين وقرأ الكوفيون بسكون الحاء وقبلها همزة
مكسورة وفتح السين وبعدها ألف فهو منصوب على المصدر بفعل مقدر اى وصينا ان يحسن
اليهما حسنا ومثله حسنا وقرأ (حلمته أمه كرها) اى على مشقة (ووضعت كرها) اى بمشقة
الكوفيون وابن ذكوان بضم الكاف فيهما والباقون بالفتح وهما الغتان بمعنى واحد مثل الضعف
والضعف وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وليس المراد ابتداء الحمل فان ذلك لا يكون بمشقة
لقوله تعالى فلما اتفشاها حملت حلا خفة فافترت به فلما أثقلت فحينئذ حملته كرها ووضعت كرها
* (تنبيه) * دلت الآية على أن حق الأم أعظم لأنه تعالى قال ووصينا الانسان بوالديه حسنا
فذكرهما معا ثم خص الام بالذكر فقال حملته أمه كرها ووضعت كرها وذلك يدل على أن حقها
اعظم وان وصول المشاق اليها بسبب الولد كثيرة والاخبار كثيرة فى هذا الباب (وحله وفصاله)
اى من الرضاع (ثلاثون شهرا) كل ذلك يان لما تكابده الام فى تربية الولد ومبالغة فى الوصية

بها وفي ذلك دلالة على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لانه لما كان مجموع مدة الحمل والرضاع ثلاثون شهرا وقال تعالى والوالدان يرضعن اولادهن حواين كاملين فاذا أسقطنا الحواين الكاملين وهي أربعة وعشرون شهرا من ثلاثين بقي مدة الحمل ستة أشهر روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا حملت المرأة تسعة أشهر أرضعت أحدا وعشرين شهرا واذا حملت ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهرا وروى عن أبي بكر أن امرأة دفعت اليه وقد ولدت لستة أشهر فأمر برجها فقال عمر لا رجم عليها وذكر الطريق المتقدمة وعن عثمان نحوه وأنه هم بذلك فقرأ ابن عباس رضي الله عنهما عليه الآية وأما مدة أكثر الحمل فليس في القرآن ما يدل عليه واختلاف الأئمة في ذلك فعند الشافعي أربع سنين وقوله تعالى (حتى اذا بلغ أشده) لا بد فيه من جملة محدودة تكون حتى غاية لها أي عاش واستقرت حياته حتى اذا بلغ أشده قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء الأشعثان عشرة سنة وقيل نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو ما بين ثماني عشرة سنة إلى أربعين سنة فذلك قوله تعالى (وبلغ أربعين سنة) وقال السدي والضحاك نزات في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وقيل نزات في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأبيه أبي خنافة عثمان بن عمرو وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الآية في أبي بكر الصديق أسلم أبواه جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين أبواه غيره أو صاء الله تعالى بهما ولزم ذلك من بعده وكان أبو بكر يصحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة في تجارته إلى الشام فلما بلغ أربعين سنة وتنبأ النبي صلى الله عليه وسلم آمن به ثم آمن أبواه ثم ابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبو عتيق ثم ابن أبي بكر دعاربه بأن (قال رب أوزعني) أي ألهمني وقرأ ورش والبرقي بفتح الباء في الوصل والباقون بسكونها (أبشركم نعمتي التي أنعمت) أي بها (علي) أي وعلى أولادي (وعلى والدي) وهي التوحيد وأما أكثر المفسرين على أن الأشد ثلاث وثلاثون قال الرازي مراتب الحيوان ثلاثة لأن بدن الحيوان لا يكون الا برطوبة غريزية وحرارة غريزية والرطوبة الغريزية زائدة في أول العمر ناقصة في آخره والانتقال من الزيادة إلى النقصان لا يعقل حصوله الا اذا حصل الاستواء في وسط هاتين المديتين فثبت أن مدة العمر منقسمة إلى ثلاثة أقسام فأولها أن تكون الرطوبة الغريزية زائدة على الحرارة الغريزية وحينئذ تكون الاعضاء عظيمة المقد في ذواتها وزيادتها في الطول والعرض والعظم وهذا هو سن الهش والثانية وهي المرتبة المتوسطة أن تكون الرطوبة الغريزية وافية بحفظ الحرارة الغريزية من غير زيادة ولا نقصان وهذا هو سن الوقوف وهو حين الشباب والمرتبة الثالثة أن تكون الرطوبة الغريزية ناقصة عن الوفاء بحفظ الحرارة الغريزية ثم هذا النقصان على قسمين فالأول هو النقصان الخفي وهو سن الكهولة والثاني هو النقصان الظاهر وهو سن الشيخوخة قال المفسرون لم يبعث نبي قط الا بعد الأربعين سنة قال الرازي وهذا يشكل بعيسى عليه السلام فانه تعالى جعل له نبيا من أول عمره الا أنه يجب أن يقال الاغلب انه ما جاء الوحي

لا بعد الاربعين وهكذا كان الامر في حق نبينا صلى الله عليه وسلم ثم ان ابا بكر دعا ايضا فقال
 (وان اعمل صالحا ترضاه) قال ابن عباس اجاب الله تعالى دعاء ابي بكر فاعتق تسعة من المؤمنين
 يعذبون في الله تعالى منهم بلال ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا فقال (واصلح لي
 في ذرتي) فاجاب الله تعالى دعاءه فلم يكن له ولد الا آمن فاجتمع له اسلام ابويه وأولاده جميعا
 وأدرك ابواه وابنه عبد الرحمن وابن ابنه أبو عتيق النبي صلى الله عليه وسلم وهم مؤمنون ولم يكن
 ذلك لاحد من الصحابة (تنبيه) * أصل يتعدى بنفسه لقوله تعالى وأصلحنا له زوجه وانما
 تعدى بنى لتضمنه معنى الطف في ذرتي أولانه جعل الذرية طرفا للاصلاح والمعنى هب لي
 الصلاح في ذرتي وأوقعه فيهم (انتي تبت) أي رجعت اليك عن كل ما يقدح في الاقبال عليك
 وأكده اعلما بأن حاله في الاقبال على الشهوات حال من يعدم منه الاقلاق فينكر اخباره به
 وكذا قوله (واني من المسلمين) أي الذين أسلموا بظواهرهم وبواطنهم فانقادوا وأتموا انقياد
 (أولئك) أي العالون الرتبة القائلون هذا القول أبو بكر وغيره (الذين يتقبل) بأهل وجه
 (عنهم) وأشار بصيغة التفعّل الى أنه يعمل في قبوله عمل المعنى والتقبل من الله هو ايجاب
 الثواب له على عمله وقوله تعالى (أحسن ما عملوا) أي أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا
 (فان قيل) كيف قال الله تعالى أحسن والله تعالى يتقبل الاحسن وما دونه (أجيب) بوجهين
 أحدهما ان المراد بالاحسن الحسن كقوله تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم
 وكقوله الناقص والاشجع أعد لاني مروان أي عاد لاني مروان ثانياً ما ان الحسن من
 الاعمال هو المباح الذي لا يتعلق به نواب ولا عقاب والاحسن ما يغير ذلك وهو المنسوب أو
 الواجب ولما كان الانسان محل النقصان وان كان محسنا به على ذلك بقوله تعالى (ويتجاوز)
 أي بوعده لا خلاف فيه (عن سيئاتهم) أي فلا يعاقبهم عليها وقرأ حفص وحزرة والكسائي
 بنون مفتوحة قبل الفوقية من يتقبل ونصب أحسن ونون مفتوحة قبل الفوقية من
 يتجاوز والباقون بياء مضمومة قبل الفوقية من يتقبل ويتجاوز ورفع أحسن وقوله تعالى
 (في أصحاب الجنة) في محل الحال أي كائنين في جنة أصحاب الجنة كقولك أكرمني الأمير
 في أصحابه أي في جملتهم وقيل خبر مبتدأ مضمرة أي هم في أصحاب الجنة وقوله تعالى
 (وعدا الصدق) مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة لأن قوله تعالى أولئك الذين يتقبل عنهم
 في معني الوعد فيكون قوله تعالى يتقبل ويتجاوز وعدا من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز
 والمعنى يعامل من صفته ما قدمنا من هذا الجزء وذلك وعد من الله تعالى صدق لكونه مطابقا
 للواقع (الذي كانوا يعدون) أي يقع لهم الوعد به في الدنيا من لا أصدق منهم وهم الرسل
 عليهم الصلاة والسلام حين أخبروا بقوله تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات * ولما وصف
 تعالى الولد البار بوالديه وصف الولد العاق له ما بقوله تعالى (والذي قال لوالديه أف لكما)
 والمراد به الجنس وقال ابن عباس والسدي نزات في عبد الله بن أبي وقيل في عبد الرحمن بن أبي
 بكر قبل اسلامه كان أبواه يدعوانه الى الاسلام وهو يابى وهو قوله أف لكما وقال الحسن وقتادة

انها نزلت في كل كافر عاق لوالديه وعلى ثبوت انها نزلت فيمن تقدم لا يثافي ان المراد الجنس
 فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفي أف قراآت ذكرت في سورة بني اسرائيل
 (أتمدنا نبي) أي على سبيل الاستمرار بالتجديد في كل وقت وقراء هشام بادغام النون الاولى
 في الثانية وفتح الباء نافع وابن كثير وسكنها الباقيون (أن أخرج) أي من مخرج ما يخرجني
 من الارض بعد أن غبت فيها وصرت ترابا يحيني كما كنت أول مرة (وقد) أي والحال انه قد
 (خلت) أي مضت على سنن الموق (القرون) أي الامم الكثيرة مع صلابتهم (من قبلي) أي قرنا
 بعد قرن وتطاوات الازمان ولم يخرج منهم أحد من القبور (وهما) أي والحال انها كلما قال
 لهما ذلك (يستغيثان الله) أي يطلبان بدعائهما من جميع صفات الكمال أن يغنيهما ما بالهامه
 قبول كلامهما ويقولان ان لم ترجع (ويلك) أي هلاكك بمعنى هلكت (آمن) أي أوقع
 الايمان الذي لا ايمان غيره وهو الذي ينقذ من كل هلكة ويوجب كل فوز بالتصديق بالبعث
 وبكل ما جاء عن الله تعالى ثم عللا أمرهما على هذا الوجه مؤكدين في مقابلة انكاره بقولهما (ان
 وعد الله) أي الملك المحيط بجميع صفات الكمال (حق) أي ثابت أعظم ثبات لانه لو لم يكن حقا
 لكان نقصا من جهة الاخلاف الذي لا يرضاه لنفسه أقل الملوك فكيف بملك الملوك (فيقول)
 مسيبا عن قولهما ومعقباله (ما هذا) أي الذي تذكرانه من البعث (الأساطير) أي أكاذيب
 (الاولين) التي كتبوها (أولئك) أي البعداء من العقل والمرأة وكل خير (الذين حق) أي ثبت
 ووجب (عليهم القول) أي الكامل في بابيه بأنهم أسفل السافلين وهذا كما قال البيضاوي
 يرد على من قال انها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر لانه يدل على أنه من أهلها لذلك وقد جب عنه
 ان كان لاسلامه وقال البقاعي وهذا يكذب من قال انها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر فانه أسلم
 وصار من أكابر الصحابة فحقت له الجنة ولما أثبت لهم هذه الشنعة بين كثرة من شاركهم فيها
 بقوله تعالى (في) أي كائنين في (أمم) أي خلائق كانوا بحيث يقصدهم الناس ويتبع بعضهم
 بعضا (قد خلعت) أي تلك الامم (من قبلهم) وكانوا قدوتهم وأدخل الجارلات المحكوم عليه
 بعض السالفين (من الجن) لان العرب كانت تستعظمهم وتستجير بهم وذلك لانهم يتظاهرون
 لهم ويؤذونهم ولم يقطع أذاهم لهم وتسلطهم عليهم ظاهرا وباطنا الا القرآن فانه أحرقهم بأنواره
 وجلاهم عن تلك البلاد بتجلي آثاره (والانس) ولا نفعتهم كثرتهم ولا أغنت عنهم قوتهم وقوله
 تعالى (انهم) أي كاهم (كانوا) أي جيله وطبعوا وخلقوا لا يقدرون على الانفكاك عنه
 (خاسرين) أي عريقين في هذا الوصف تعليل للحكم على الاستئناف (واكل درجات مما عملوا)
 قال ابن عباس يريد من سبق الى الاسلام فهو أفضل ممن تخلف عنه ولوساعة وقال مقاتل ولكل
 واحد من الفريقين يعني البار بوالديه والعاق له ما درجات في الايمان والكفر والطاعة
 والمعصية (فان قيل) كيف يجوز اطلاق لفظ الدرجات على أهل النار وقد روى الجنة درجات
 والنار درجات (أجيب) من وجوه أحدها ان ذلك على جهة التغليب وثانيها قال ابن زيد درج
 أهل الجنة تذهب علوا ودرج أهل النار تذهب هبوطا وثالثها المراد بالدرجات المراتب المتزايدة

فدرجات أهل الجنة في الخيرات والطاعات ودرجات أهل النار في المعاصي والسيئات وقوله تعالى (وليوفيهم أعمالهم) أي جزاء ما عملوا محذوف تقديره جازا هم بذلك وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام وعاصم بالياء التحتية أي الله والباقون بالنون أي نحن وقوله تعالى (وهم لا يظلمون) أي شيأ ينقص للمؤمنين ولا يزيد للكافرين أما استئناف وأما حال مؤكدة (ويوم) أي واذكريا فضل الخلق لهؤلاء يوم يعرضون هكذا كان الأصل ولكنه تعالى أظهر الوصف الذي أوجب لهم الخزي بقوله تعالى (يعرض الذين كفروا على النار) أي يصلون لهيها ويقبلون فيها كما يعرض اللحم الذي يشوى وقبل تعرض عليهم النار ليروا أهوالها مقولا لهم على سبيل التنديم والتقريع والتوبيخ والتشنيع لانهم لم يذكروه تعالى حق ذكره عند شهواتهم بل نالوها عند مخالفة أمره سبحانه وتعالى (أذهبتم طيباتكم) أي لذاتكم باتباعكم الشهوات وقرأ ابن كثير وابن عامر قبل الدال بهمزتين مفتوحتين الأولى محققة بلا خلاف والثانية مسهلة بخلاف عن هشام وأدخل هشام بينهما ألفا ولم يدخل ابن كثير وابن ذكوان والباقون بهمزة واحدة محققة (في حياتكم الدنيا) أي القرية الدنية المؤذن وصفها من يعقل بحياة أخرى بعدها فكان سعيكم في حركاتكم وسكناتكم لاجلها حتى نلتوها (واسمعتهم) أي طلبتم وأوجدتم انتفاءكم (بها) وجعلتوها غاية حظكم في رفعتكم ونعمتكم والمعنى أن ما قدر لكم من الطيبات والدرجات فقد استوفيتوه في الدنيا فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شي منها وعن عمر رضي الله عنه لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا وأمكنى أستبق طيباتي قال الواحدى إن الصالحين يؤثرون التقشف والزهد في الدنيا رجاء أن يكون ثوابهم في الآخرة أكمل لأن هذه الآية لا تدل على المنع من التمتع لانها وردت في حق الكافر وإنما ويح الله تعالى الكافر لانه يمتنع بالدنيا ولم يؤذ شكر المذم فلا يوجب تمتعه ويدل على ذلك قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق نعم لا ينسكرا أن الاحتراز عن التمتع أولى لأن النفس اذا اعتادت التمتع صعب عليها الاحتراز والانقياد وحينئذ ربما حمل الميل الى تلك الطيبات على فعل ما لا ينبغي روى عمر قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو على رمال حصير قد أثر الرمال بجنبه فقلت يا رسول الله ادع الله تعالى أن يوسع على أمتك فان فارس والروم قد وسع عليهم وهم يعبدون غير الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنها أنها قالت كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه نارا وما هو الا الماء والتمر وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت اللبالي المتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم الشعير والاحاديث في هذا كثيرة ولما كانت الاستهانة بالأوامر والنواهي استهانة بيوم الجزاء سبب عنه قوله تعالى (قال يوم تجزون) أي على اعراضكم عنا (عذاب الهون) أي الهوان العظيم المجتمع الشديد الذي فيه ذل وخزي (عما كنتم) أي جبهلة وطبعها (تستكبرون)

أى يطلبون الترفع وتوجدونه على الاستقرار (في الارض) التي هي لكونها تاربا وموضوعة على
الزوال والخراب أحق شئ بالتواضع والذل والهوان (بغير الحق) أى الامر الذي يطابقه
الواقع وهو أواخرنا ونواهيها (وبما كنتم) أى على الاستقرار (تفسقون) أى بسبب الاستكبار
الباطل والفسوق عن طاعة الله تعالى * (تنبه) * دلت الآية على أن الكفار يخاطبون
بفروع الشريعة لأن الله تعالى علل عذابهم بأمرين أولهما الكفر وثانيهما الفسق وهذا
الفسق لا بد وأن يكون مغاير لذلك الكفر لأن العطف يوجب المغايرة فنبت أن فسق الكفار
يوجب العقاب في حقهم ولا معنى للفسق الا ترك الأمور وفعل المنهيات * ولما كان قوم عاد
أكثر أموالا وقوة وجاها من أهل مكة ذكر تعالى قصتهم ليعتبروا فيتركوا الاعتزاز بما وجدوه
في الدنيا فقال عز من قائل (واذ كر) يا أشرف الرسل لهؤلاء الذين لا يتعظون (أخاعد) وهو
أخوك هود عليه السلام الذي كان بين قوم أشد من قومك ولم يخف عاقبتهم وأمرهم ونهاهم
ونجيتهم منهم فهولاء قدوة وفيه أسوة واقومك في قصدهم أياك بالأذى من أمره موعظة وقوله
تعالى (اذنذر) بدل استمال من أخا (قومه) أى الذين لهم قوة على القيام فيما يحبوا ولونه
(بالاحقاد) قال ابن عباس وأدين عمان ومهرة وقال مقاتل كانت منازل عاد بين
في حضرموت بموضع يقال له مهرة اليها تنسب الابل المهرية وكانوا أهل عمد سبارة في الربيع
فاذا هاج العود وجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم قال قتادة ذكر لنا ان عادا كانوا احبا
من اليمن كانوا أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر (وقد) أى والحال أنه
قد (خلف النذر) أى مرت ومضت الرسل الكثيرون (من بين يديه) أى قبل هود كنوح وشيث
وآدم عليهم السلام (ومن خلفه) أى بعده والمعنى أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون
بعده كلهم منذرون فخو انذاره والجملة حال أو اعتراض ولما أشار الى كثرة الرسل ذكر وحدتهم
في أصل الدعاء فقال ففسر اللانذار معبرا بالنهي (أن لا تعبدوا) أى أيها العباد المنذرون بوجه
من الوجوه شيئا من الاشياء (الا لله) أى الملك الذى لا ملك غيره ولا خالق سواه ولا منعم الا هو
فانى أراكم تشركون به من لم يشركه فى شئ من تدبيركم والملك لا يقر على مثل هذا (انى أخاف
عليكم) لكونكم قومي وأعز الناس على (عذاب يوم عظيم) أى لا يدع جهة الاملاء عذابه
ان أصررتم على ما أنتم فيه من الشرك (قالوا) له فى جوابه منكبين عليه (أجئتنا) أى يا هود
(لتأفكنا) أى لتصرفنا عن وجه أمرنا الى قضاء (عن آلهتنا) فلا نعبدها ولا نعبد غيرها (فأتنا
بما تعدنا) من العذاب سمو الوعيد وعدا (ان كنت) أى يقال عنك كونا ثابتا (من
الصادقين) فى أنك رسول من الله وأنه يأتينا بما تخافه علينا من العذاب ان أصررنا (قال)
أى هود مكذبا لهم فى نسبتهم اليه ادعاء شئ من ذلك (انما العلم) أى المحيط بكل شئ عذابكم وغيره
(عند الله) أى المحيط بجميع صفات الكمال فهو ينزل علم ما توعدون به على من يشاء ان شاء
ولا علم لى الى الآن ولا لكم شئ من ذلك ولا قدرة (وأبلفكم) أى فى الحال والاستقبال وقرأ
أبو عمرو بسكون الباء الموحدة وتخفيف اللام والباقون بفتح الموحدة وتشديد اللام

(ما أرسلت به) بمن لا مرسل في الحقيقة غيره سواء كان وعدا أم وعيدا أم غير ذلك ولم يذكر
 الغاية لأن ما أرسل به صالح لهم ولغيرهم (ولكني أراكم) أي أعلمكم علما كالرؤية وقرأنا نافع
 والبزى وأبو عمرو وبفتح الياء والباقون يسكونها وأمال الالف بعد الراء ورش بين بين وأمالها
 أبو عمرو ووجهة والكسائي محضة والباقون بالفتح (قوما تجهلون) أي باستجمال العذاب
 فات الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا مقترحين (فلما رأوه) أي العذاب الذي توعدهم به (عارضاً)
 أي صحاباً أسود بارزاً في الأفق ظاهر الأمر عند من له أهلية النظر حال كونه قاصدا اليهم
 (مستقبل أوديتهم) أي طالب بالان يكون مقابلاً لها وموجد لذلك (قالوا) على عادة جهلهم
 مشيرين اليه بأداة القرب الدالة على أنهم في غاية الجهل لأن جهلهم به استمر حتى كاد
 أن يواقعهم (هذا عارض) أي صحاب معترض في عرض السماء أي ناحيتها (مطرنا) قال
 المفسرون كان حبس عنهم المطر أياما فساق الله تعالى اليهم صحابة سوداء فخرجت عليهم
 من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا وقالوا هذا عارض مطرنا فقال الله تعالى
 (بل هو) أي هذا العارض الذي ترونه (ما استجلمتم به) أي طلبتم الجملة في آياته وقوله تعالى
 (ريح) بدل من ما (فيها عذاب أليم) أي شديد الأيلام وروى أنها كانت تحمل القسطاط
 فترفعه في الجوّ وتحمل الطعينة في الجوف ترفعها وهودجها حتى ترى كأنها جردة وكانوا يرون
 ما كان خارجا عن منازلهم من الناس والمواشي تطير بهم الريح بين السماء والارض ثم تقذف
 بهم ثم وصف تلك الريح بقوله تعالى (تدمر) أي تهلك أهلا كاعظم شديدا (كل شيء) أي أتت
 عليه من الحيوان والناس وغيرهما هذا شأنها فمن سلم منها كهود عليه السلام ومن آمن به
 فسلامته أمر خارق للعادة كما أن أمرها في أهلاك كل ما مرت عليه أمر خارق للعادة (بأمر
 ربها) أي المبدع لها والمربي والمحسن بالانتقام من أعدائه (فان قيل) ما فائدة إضافة الرب إلى
 الريح (أجيب) بأن فائدة ذلك الدلالة على أن الريح ونصريف أعنتها عما يشهد بعظيم قدرته لأنها
 من أعاجيب خلقه وأكبر جنوده وذكر الأمر وكونه أمورة من جهته عز وعلو يعضد ذلك
 ويقويه فليس من تأثير الكواكب والقرانات قيل إن أول من أبصر العذاب امرأة
 منهم قالت رأيت ريحا فيها كسب النار وروى أن أول ما عرفوا به أنه عذاب أليم أنهم رأوا
 ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير به الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم
 وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم وأمال الله عليهم الاحقاف فكانوا تحتها سبع
 ليال وعمانية أيام لهم أنين ثم أمر الله تعالى الريح فـ كشفت عنهم الرمال وجلت بهم
 فرمت بهم في البحر وروى أن هودا عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين
 خطا إلى جنب عين تبسع وكانت الريح التي تصيهم ريحا طيبة هادية والريح التي تصيب قوم
 عاذرتهم من الارض وتطير بهم إلى السماء وتضربهم على الارض وعن ابن عباس اعتزل هود
 ومن معه في حظيرة ما يصيهم من الريح الا ما يلين على الجلود ولم يذوق الانفس وانهم القتر
 من عاد بالظلم بين السماء والارض وتدمغهم بالججارة وأثر المجهزة انما ظهر في تلك الريح

من هذا الوجه قال صلى الله عليه وسلم ما أمر الله تعالى خازن الریح أن يرسل على عاد الامم مقدار الخاتم وذلك القدر أهملهم بكليتهم كما قال تعالى (فأصبحوا لا ترى الامساكنهم) أى بجنائهم الریح فدمرتهم فأصبحوا بحيث لو خضت بلادهم لا ترى الامساكنهم وقرأ عاصم وحزرة بالياء التحتية المضعومة ورفع النون من مساكنهم لقيامه مقام الفاعل والباقون بالتاء الفوقية مفتوحة مبنيان للفاعل ونصب مساكنهم مقعولا به وأمال الالف بعد الراء ورش بين بين وأبو عمرو وحزرة والنكسائي محضة وكذلك من القرى (كذلك) أى مثل هذا الجزاء الهائل فى أصله أو جنسه أو نوعه أو شخصه من الاهلاك (تجزى) بعظم متنادا ثم اذا شئنا (القوم المجرمين) أى العريقين فى الاجرام الذين يقطعون ما حقه الوصل وذلك الجزاء هو الاهلاك على هذا الوجه الشنيع وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى الریح فزع وقال اللهم انى أسألك خيرها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به واذا رأى مخيلة أى صحابة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فنقول له يا رسول الله ما تخاف فيقول انى أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذاعارض ممطرنا فاحذروا أيها العرب مثل ذلك ان لم ترجعوا (فان قيل) قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم فكيف يحصل التخويف (أجيب) بأن ذلك كان قبل نزول الآية ثم أخبر الله تعالى عن مكنة عاد بقوله سبحانه (ولقد مكاهم) أى تمكيننا تظهر به عظمتنا (فيما) أى فى الذى (ان) نافية أى ما (مكاهم) أى أهل مكة (فيه) من قوة الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال وغيرها ثم انهم مع ذلك ما نجوا من عذاب الله تعالى فكيف يكون حالكم * (تنبيه) * قال البقاعى وجعل النافى ان لانها أبلغ من مالان ماتنى تمام القوت لتركها من الميم والالف التى حقيقة ادراكها فوت تمام الادراك وان تنفى أدنى مظاهر مدخولها فكيف بما وراءه من تمامه لان الهمزة أول مظهر لقوت الالف والنون لمطلق الاظهار هذا الى ما فى ذلك من عذوبة اللفظ وصونه عن ثقل التكرار الى غير ذلك من بديع الاسرار اه وقال الزمخشري ان نافية أى فيما مكاهم فيه الآن ان أحسن فى اللفظ فى جماعة ما بعثناهم من التكرار المستبشع ومثله مجتنب لا ترى أن الاصل فى مهماما ما قبل شاعة التكرير قلبوا الالف هاء ولقد أغتأ أبو الطيب فى قوله * لعمرك ما ما بان منك لضارب * وماضره لواقدي بعذوبة لفظ التنزيل فقال * لعمرك ما ان بان منك لضارب * وقد جعلت ان صلة مثلها فيما أنشده الاخفش رحمه الله تعالى

يرجى المرء ان لا يراه * وتعرض دون أدناه الخطوب

وتوكل بانامكاهم فى مثل ما مكاهم فيه والوجه هو الاول (وجعلنا لهم) أى على ما اقتضته عظمتنا (سمعا) وأفرده لقله التفاوت فيه (وأبصارا) وجعله لكثرة التفاوت فى أنوار الابصار وكذا فى قوله تعالى (وأقنودة) أى فتحنا عليهم أبواب النعم وأعطيناهم سمعا فاعملوا فى سماع الدلائل وأعطيناهم أبصارا فاعملوا فى دلائل ملكوت السموات والارض وأعطيناهم أفئدة أى قلوبا فاعملوا فى طلب معرفة الله تعالى بل صرفوا كل هذه القوى الى طلب

الدنيا ولذا اتهم فلا جرم قال تعالى (لنأخذن عنهم) في حال ارسالنا اليهم الرحمة على لسان هو عليه
 السلام ثم النعمة بيد الريح (معهم) وأكذبتني بتكرير النافي بقوله تعالى (ولا أبصارهم)
 وكذا في قوله تعالى (ولا أفقدهم) لما أردنا اهلاهم وأكذبنا بآيات الجبار بقوله تعالى (من شيء)
 أي من الأشياء وان قل وقال الجلال المحلى ان من زائدة وقوله تعالى (اذ) معمولة لاغنى
 وأشربت معنى التعليل أي لانهم (كانوا) أي طبعوا وخلقوا (يوجدون) أي يـ = تروون على عمر
 الزمان الحمد (بآيات الله) أي الانكار لما يعرب عن دلائل الملك الاعظم (وحاق) أي نزل (بهم)
 ما كانوا به يستهزئون لانهم كانوا يطلبون نزول العذاب على سبيل الاستهزاء ولما تم المراد من
 الاخبار بجهلهم على ما لهم من المكنة العظيمة ليتعظ بهم من مع أمرهم اتبعهم من كان
 مشاركالهم في التكذيب فشاركهم في الهلاك فقال تعالى (واقعد أهدمنا) أي ببالا
 من العظمة (ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) كجعرثود وعاد وأرض سدوم وسبأ ومدين
 والايكة وقوم لوط وفرعون وأصحاب الرس وغيرهم ممن فيهم معتبر (وصرفنا) أي بينا
 (الآيات) أي الحجج البينات (لعلهم) أي الكفار (يرجعون) أي ليكونوا عند من يعرف حالهم
 في رؤية الآيات حال من يرجع عن النفي الذي كان يرتكبه لتقليد أو شبهة كشتها الآيات
 وفضحها الدلائل فلم يرجعوا فكان عدم رجوعهم سبب اهلاهم (فلولا) أي فهلا ولم لا
 (نصرهم الذين) أي نصر هؤلاء المهملين الذين (اتخذوا) أي اجتهدوا في صرف أنفسهم
 عن دواعي العقل حتى أخذوا (من دون الله) أي الملك الذي هو أعظم من كل عظيم (قربانا)
 أي متقربا بهم الى الله تعالى (آلهة) معه وهم الاصنام ومفعول اتخذوا الاول ضمير محذوف
 يعود على الموصول أي هم قربانا للمفعول الثاني وآلهة بدل منه (بل ضلوا) أي غابوا (عنهم)
 وقت نزول النعمة وقرأ الكسائي بادغام اللام في الضاد والباقون بالاظهار (وذلك) أي
 اتخذهم الاصنام آلهة قربانا (افكهم) أي كذبهم (وما كانوا) أي على وجه الدوام لكونه
 في طبعهم (يفترون) أي يتعمدون كذبه لان اصرارهم عليه بعد مجيء الآيات لا يكون
 الا كذلك لان من نظرها محجرا نفسه عن الهوى اهتدى (واذ) أي واذكراذ (صرفنا) أي
 أملنا (اليك نفرا) وهو اسم يطلق على مادون العشرة وسياق في ذلك خلاف (من الجن) أي
 جن نصيبين الذين أوجن فنوى (يسمعون القرآن) أي يطلبون مسمع الذكر الجامع لكل خير
 الفارق بين كل ملبس وأنت في صلاة الفجر في فخله تصلي بأصحابك (فلما حضروه) أي صاروا
 بحيث يسمعون (قالوا) أي قال بعضهم لبعض ورضى الآخرون (أنصتوا) أي اسكتوا
 وميلوا بكلياتكم واستمعوا حفظا للادب على بساط الخدمة وفيه تأدب مع العلم في تعلمه قال
 القشيري فأهل الحضور صفتهم الذبول والسكون والهيبة والوقار (تنبيه) ذكرنا في كيفية
 هذه الواقعة قولين أحدهما قال سعيد بن جبير كان الجن تسمع فلما رجعوا قالوا هذا الذي
 حدث في السماء انما حدث لشيء في الارض فذهبوا يطلبون السبب وكان قد اتفق أن النبي
 صلى الله عليه وسلم لما أيس من أهل مكة أن يجيبوه خرج الى الطائف ليدعوهم الى الاسلام

فلما انصرف الى مكة وكان يظن نخاله قام يقرأ القرآن فتر به نفر من أشرا رجئ نصيبين كان
ابليس بعنهم ليعرف السبب الذي أوجب حراسة السماء بالرجم فسمعوا القرآن فعرفوا
أن ذلك هو السبب والقول الثاني أن الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يندرج الجن
ويدعوهم الى الله تعالى ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله تعالى اليه نفرا من الجن يستمعون منه
القرآن وينذرون قومهم روى أن الجن كانوا يهود والآن في الجن ملأ كما في الانس من اليهود
والنصارى وعبداء الاوثان والجوس وأطبق المحققون على أن الجن مكلفون مثل ابن عباس
هل للجن ثواب قال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب يلبثون في أبواب الجنة ويردحون على أبوابها
وروى الطبراني عن ابن عباس أن أولئك الجن كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وعن زر بن حبیش كانوا تسعة أحدهم زويدة
وعن قتادة ذكر لنا أنهم صرخوا اليه من ينزوي وروى في الحديث أن الجن ثلاثة أصناف
صنف لهم الجنة يطيرون في الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون
واختلفت الروايات هل كان عبد الله بن مسعود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن
أولا وروى عن أنس قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو بظاهر المدينة اذا قبل
شيخ يتوكأ على عكازة فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنها النعمة جنى ثم أتى فسلم على النبي
صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم إنها النعمة جنى فقال الشيخ أجل يا رسول الله فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم من أي الجن أنت فقال يا رسول الله أنا هام بن هيم بن لاقيس بن ايلدر
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا أرى بينك وبين ابليس إلا بوين قال أجل يا رسول الله قال كم
أتى عليك من العمر قال أكلت عمر الدنيا إلا القليل كنت حين قتل هابيل خلا ما بين اعوام
فكنت اتشرف على الآكام وأصطاد الهام وأورث بين الانام فقال النبي صلى الله عليه وسلم
وسلم بنفس العمل فقال يا رسول الله دعني من العتب فاني ممن آمن مع نوح عليه السلام ومعاذته
في دعوته فبكى وأبكاني وقال والله اني لمن النادمين واعوذ بالله أن اكون من الجاهلين
ولقيت هودا فعاتبته في دعوته فبكى وأبكاني وقال والله اني لمن النادمين واعوذ بالله أن
اكون من الجاهلين ولقيت ابراهيم وأمنت به وكنت بينه وبين الارض اذ رمى به في المنجنيق
وكنت معه في النار اذ ألقى فيها وكنت مع يوسف اذ ألقى في الحب فسبقتة الى قعره ولقيت
موسى بن عمران بالمكان الاثير وكنت مع عيسى بن مريم عليهما السلام فقال لي ان لقيت
محمدا فاقرأ عليه السلام قال أنس فقال النبي صلى الله عليه وسلم وعليه السلام وعليك يا هام
ما حاجتك قال أن موسى علمي التوراة وأن عيسى علمي الانجيل فعلمني القرآن قال أنس فعلمه
النبي صلى الله عليه وسلم سورة الواقعة وعم يتساءلون واذا الشمس كورت وقل يا أيها
الكافرون وسورة الاخلاص والمعوذتين (فلما قضى) أي فرغ من قراءته (ولوا) أي رجعوا
(الى قومهم) الذين فيهم قوة القيام بما يحاولونه (منذرين) أي مخوفين لهم ومخذرين عواقب
الضلال بامر من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس جعلهم رسول الله صلى الله

عليه وسلم رسلا الى قومهم * ولما كان كانه قيل ما قالوا لهم في انذارهم قيل (قالوا يا قومنا) مترققين لهم ومترفقين بهم يذكروا يذبل على أنهم منهم ما بهمهم (اناسمنا) أي ما بيننا وبين القارئ واسطة وأشاروا الى انه لم ينزل بعد التوراة شي جامع لجميع ما يراد منه مغن عن جميع الكتب غير هذا وبذلك عرفوا أنه ناسخ لجميع الشرائع بقوله م (كتابا) أي ذكر اجمعالا كما نزل بعد التوراة على بني اسرائيل (أنزل) أي عن لا منزل غيره وهو ملك الملوك لان عليه من رونق الكتب الالهية ما يوجب القطع لسماعه بأنه منها فكيف اذا انضم الى ذلك الانجاز وعلم اقطاع بعريته أنه عربي وبأنهم كانوا يضربون مشارق الارض ومغاربهم ساويسعون قراءة الناس لما يحدثونه من الحكم والخطب والكهانة والرسائل والاشعار وأنه مبين لجميع ذلك (من بعد موسى) فلم يقتدوا بما أنزل بين هذا الكتاب وبين التوراة من الانجيل وما قبله لانه لا يساوي التوراة في الجمع وروى عن عطاء والحسن انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الجن ما سمعوا امر عيسى فلذلك قالوا من بعد موسى ولما أخبروا بأنه منزل أتبعوه ما يشهد له بالصحة بقولهم (مصدق لما بين يديه) أي من جميع كتب بني اسرائيل الانجيل وما قبله ثم يبنوا تصديقه بقولهم (يهدى الى الحق) الامر الثابت الذي يطابق الواقع فلا يقدر أحده على ازالة شيء مما يخبر به الكامل في جميع ذلك (والى طريق) موصل الى المقصود (مستقيم) لا عوج فيه (يا قومنا) الذين لهم قوة العلم والعمل (أجيبوا داعي الله) أي الملك الاعظم المحيط بصفات الكمال فان دعوة هذا الداعي عامة لجميع الخلق فلا حاجة واجبة على كل من بلغه أمره وفي هذه الآية دلالة على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن كما كان مبعوثا الى الانس (وآمنوا به) أي أوقعوا التصديق بسبب الداعي وهو النبي صلى الله عليه وسلم لا بسبب آخر فان المفعول معه مفعول مع الله تعالى (فان قيل) قوله تعالى أجيبوا داعي الله أمر باجابه في كل ما امر به فيدخل فيه الامر بالايمان فكيف قال وآمنوا به (اجيب) بأنه انما ذكر الايمان على التعيين لانه أهم الاقسام واشرفها وقد جرت العادة في القرآن العظيم بان يذكر اللفظ العام ثم يعطف عليه اشرف أنواعه كقوله تعالى وملائكته ورسله وجبريل وميكال وقوله تعالى واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح * ولما أمر تعالى بالايمان ذكر فائدته بقوله تعالى (يغفر لكم) أي الله تعالى (من ذنوبكم) أي بعضها من الشرك وما شابه مما هو حق لله تعالى وكذا ما يجازي به صاحبه في الدنيا بالعقوبات والنكبات والهجوم ونحوها مما أشار اليه قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعصوهن كثير وأما المظالم فلا تغفر الا برضا ربها وقيل من زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل بل فائدته أن كلمة من هنا ابتداء الغاية والمعنى أنه يقع ابتداء الغفران بالذنوب ثم ينتهي الى غفران ما صدر عنكم من ترك الاولى والاكمل (ويجبركم) أي يمنعكم منع الجار لجاره لكونكم بالتهييز الى داعيه صرتم من حربه (من عذاب أليم) قال ابن عباس فاستجاب الله تعالى لهم من قومهم نحو سبعين رجلا من الجن فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافقوه في البطحاء فقرأ عليهم القرآن

وأمرهم ونهاهم * (تنبيه) * اختلفوا في أن الجن هل لهم ثواب أو لا فقل لا ثواب لهم إلا النجاة من النار ويقال لهم - م كونوا ترايا مثل البهائم واحضوا على ذلك بقوله تعالى ويجركم من عذاب أليم وهو قول أبي حنيفة والصحيح أن حكمهم حكم بني آدم يستحقون الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وهو قول ابن أبي ليلى ومالك وتقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا نحو ذلك قال الضحاك يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون لأن كل دليل دل على أن البشر يستحقون الثواب فهو بعينه قائم في حق الجن والفرق بينهما ما بعيد جدا وذكر النقاش في تفسيره حديثا أنهم يدخلون الجنة فقبل هل يصيرون بنعيمها قال يلهمهم الله تعالى تسييحهم وذكره فيصيحهم - م من لذته ما يصيب بني آدم من نعيم الجنة وقال أوطاة بن المنذر سألت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرأ لم يطمثت إنس قبله - م ولا جات وقال عرين عبد العزيز إن مؤمنى الجن حول الجنة في ريض ورحاب وليسوا فيها * ولما أفهم كلامهم أنهم ان لم يجيبوا ينتقم منهم بالعذاب الأليم أتبعوه ما هو أغلظ انذارا منه فقالوا (ومن لا يجب) أي لا يتجدد منه أن يجب (داعى الله) أي الملك الذي لا كف له (فليس يعجز) أي لا يعجز الله عز وجل بالهرب منه (في الأرض) فيقوته فانه أي مكان سلك فيها فهو في ملكه وملكه وقد رتة محيطة به (وليس له من دونه) أي الله تعالى الذي لا يعجز عليه (أو ليا) يفعلون لاجله ما يفعل القريب مع قريبه من الذب عنه والاستشفاع له والافتداء (أو لئلا) البعيدون من كل خير (في ضلال مبين) ظاهر في نفسه أنه ضلال يظهر لكل أحد قبح احاطته بهم * (تنبيه) * ههنا همزتان مضمومتان من كلمتين ولا تطير لهما في القرآن العظيم قرأوا لون والبرى يتسهل الاولى كالواو مع المد والقصر وسهل الثانية ورش وقبل بعد تحقيق الاولى ولهما أيضا ابدال الثانية ألفا وأسقط الاولى أبو عمر ومع المد والقصر والباقون بتحقيقهما وهم على مراتبهم في المد (أو لم يروا) أي يعلموا علما هو في الوضوح كالرؤية (أن الله) ودل على ما دل عليه هذا الاسم الاعظم بقوله تعالى (الذي خلق السموات) على ما احتوت عليه بما يعجز الوصف من العبر (والارض) على ما اشتملت عليه من الآيات المدركة بالعيان والخبر (ولم يعي) أي ولم يتعب ولم يعجز (بخلقهن) أي بسبب من الاسباب فانه لو حصل له شيء من ذلك أدى الى نقصان فيهما أو في احداهما * وأكدا الانكار المتضمن للنفي بزيادة الجار في خبر ان فقال (بقادر) أي قدرة عظيمة (على أن يحيي) أي على سبيل التجديد مستمرا (الموتى) والامر فيهم لكونه اعادة وكونه جزأ يسيرا مما ذكر اختراعه أصغر شأنا وأسهل صنعا وأجاب بقوله تعالى (بلى) لأن هذا الاستفهام الانكارى في معنى النفي أي قد علموا أنه قادر على ذلك علما هو في ايقانه كالبرهان لا أنهم يعملون أنه المخترع لذلك وأن الاعادة أهون من الابتداء في مجارى عاداتهم ولكنهم عن ذلك غافلون لانهم عنه معرضون * وقوله تعالى (انه على كل شيء قدير) تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كانه لما صدر السورة بتحقيق المبدأ اراد ختمها بآيات المعاد * ولما أثبت البعث بما أقام من الدلائل ذكر بعض ما يحصل في يومه من الاحوال بقوله تعالى (ويوم) أي واذا ذكر يوم (يعرض) أي بأبصار امر

قوله ابدال الثانية
الفا كذا في الاصول
واعله واوا ولتحرر
القراءة اه معصية

من أوامرنا (الذين كفروا) أي ستروا بغفلتهم وتعاديتهم الأدلة الظاهرة (على النار) عرض
 الجند على الملك فيسمعون من تغيبها وزفيرها ما لو قد رأوا أحدا يموت في ذلك اليوم لما توانوا من
 معاينته وهائل رؤيته ثم يقال لهم (أليس هذا) أي الأمر الذي كنتم به توعدون ولرسلنا
 في أخبارهم به تكذبون (بالحق) أي الأمر الثابت الذي يطابقه الواقع أم هو خيال وسحر
 (قالوا) أي مصدقين حيث لا ينفعهم التصديق (بلى) وما كفاهم البدار إلى تكذيب أنفسهم
 حتى أقسموا عليه بقولهم (وربنا) أي أنه لحق هو ثابت الأشياء وليس فيه شيء مما يقارب السحر
 (ففيه) المقصود من هذا الاستفهام التهم والتوبيخ على استهزائهم بوعده الله تعالى ووعيده
 (قال فذوقوا العذاب) أي بأشروه مباشرة الذائق باللسان ومعنى الأمر الإهانة بهم والتوبيخ لهم
 ثم صرح بالسب فقال تعالى (بما كنتم) أي خلقا مستمرا (تكفرون) في دار العمل ولما قرر
 تعالى المطالب الثلاثة وهي التوحيد والنبوة والمعاد وأجاب عن الشبهات أردفه بما يجري
 مجرى الوعد والنصيحة لنبه محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لأن الكفار كانوا يؤذونه ويوحشون
 صدره فقال تعالى (فاصبر) أي على مشاق ماترى في تبليغ الرسالة وعلى أذى قومك قال
 القشيري الصبر هو الوثوق بحكم الله تعالى والثبات من غير بث ولا استكراه (كما صبر أولوا
 العزم) أي الثبات والجلد في الأمور وقال ابن عباس رضي الله عنهما أولوا العزم وقوله تعالى
 (من الرسل) يجوز فيه أن تكون من تبعيضية وعلى هذا فالرسل أولو عزم وغير أولي عزم ويجوز
 أن تكون للبيان وعليه جرى الجلال المحلى فكلهم على هذا أولو عزم قال ابن زيد كل الرسل
 كانوا أولي عزم وحزم ورأي وكمال عقل وانما أدخلت من للتجنيس للتبعض كما يقال اشتريت
 أكسية من الخز وأردية من البر وقال بعضهم الأنبياء كلهم أولو العزم إلا يونس لعله كانت فيه
 ألا ترى أنه قيل لنبينا صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الخوت وقال قوم هم نجباء الرسل
 وهم المذكورون في سورة الانعام وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم أولئك الذين هدى
 الله فبهداهم اقتده وقال الكلبي هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الله
 تعالى وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق
 في سورة الأعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على أذى قومه وإبراهيم صبر على
 النار وإسحق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد ولده وذهب بصره ويوسف صبر في الحب
 والسجن وأيوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى
 أصحاب الشرائع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم خمسة ونظمهم بعضهم في بيت فقال
 محمد إبراهيم موسى كلمه * فعيسى فنوح هم أولو العزم فاعلم
 قال البغوي ذكرهم الله تعالى على التخصيص في قوله تعالى وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم
 ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وفي قوله تعالى شرع لكم من الدين
 ما وصى به نوحا الآية عن مسروق قال قالت عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة إن الله لم ير ض من أولي العزم

الا الصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض الا أن كفى ما كافهم قال تعالى فاصبر كما صبر
أولوا العزم من الرسل واني والله لا بد لي من طاعته والله لا صبر كما صبروا ولا جهدة ولا قوة
الا بالله * ولما أمره الله تعالى بالصبر الذي هو من أعلى الفضائل نهاه عن العجلة التي هي من
أتهات الرذائل فقال عز من قائل (ولا تستعجلهم) أي لا تطلب العجلة وتوجد هابان
تفعل شيئا مما يسوهم في غير حينه الا ليق به فانه نازل بهم في وقته لا محالة قيل ان النبي
صلى الله عليه وسلم فخر من قومه وأحب أن ينزل الله تعالى العذاب بمن أبي من قومه فأمر
بالصبر وترك الاستعجال * ثم أخبر أن ذلك العذاب اذا نزل بهم يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا
حتى يحسبونها ساعة من نهار فقال تعالى (كانهم يوم يرون ما يوعدون) أي من العذاب
بهم في الآخرة (لم يلبثوا) أي في الدنيا (الاساعة من نهار) استقصروا مدة لبثهم في الدنيا
والبرزخ كأنه ساعة من نهار أو كأنه لم يكن لهول ما عاينوا ولأن ماضى وان كان طويلا
صار كأنه لم يكن قال الشاعر

كان شيئا لم يكن اذا مضى * كان شيئا لم يكن اذا أتى

* (تنبيه) * تم الكلام ههنا وقوله تعالى (بلاغ) خبر مبتدأ محذوف قدومه بعضهم تلك السلعة
بلاغ لدلالة قوله تعالى الاساعة من نهار وبعضهم هذا أي القرآن بلاغ أي تبليغ من الله
تعالى اليكم وجرى عليه الجلال الهللي (فهل) أي لا (يهلك) أي بالعذاب اذا نزل (الا القوم)
أي الذين هم أهل القيام بما يحاولونه من اللدد (الفاسقون) أي العريقون في ادامة الخروج
عن الانقياد والطاعة وهم الكافرون قال الزجاج تأويله لا يهلك مع فضل الله ورحمته الا القوم
الفاسقون ولهذا قال قوم ما في الرجاء لرحمة الله أقوى من هذه الآية * وما قاله البيضاوي تعا
للزحخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الاحقاف كتب الله له عشر حسنات
بعد كل رملة في الدنيا حديث موضوع

﴿ سورة محمد صلى الله عليه وسلم مكتبة ﴾

وتسمى القتال والذين كفروا وهي ثمان وثلاثون آية وخسمائة وتسع
وثلاثون كلمة وألفان وثلاثمائة وتسعة وأربعون حرفا

(بسم الله) الملك الاعظم الذي أقام جنده للذب عن حماه (الرحمن) الذي عت رحمته تارة
بالبرهان وتارة بالسيف واللسان (الرحيم) الذي خص حربه بالحفظ في طريق الجنان واختلف
في قوله تعالى (الذين كفروا) من هم فصيل هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر منهم أبو جهل
والحرث ابنا هشام وعقبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل كفار قريش وقيل أهل الكتاب
وقيل كل كافر لانهم ستروا أنوار الادلة وضلوا على علم (وصدوا) أي امتنعوا بأنفسهم ومنعوا
غيرهم لعراقتهم في الكفر (عن سبيل الله) أي الطريق الرحب المستقيم الذي شرعه الملك
الاعظم (أضل) أي أبطل ابطلا عظيما يزيل العين والاثر (أعمالهم) كاطعام الطعام وصلة

الارحام وفك الاسارى وحفظ الجوار وغير ذلك فلا يرون لها في الآخرة ثوابا ويجزى عليها
 في الدنيا من فضله تعالى * (تنبيه) * أول هذه السورة مناسب لآخر السورة المتقدمة * ولما
 ذكر تعالى أهل الكفر معبراً عنهم بأدنى طبقاتهم ليشمل من فوقهم ذكر أصدادهم كذلك ليعلم
 من كان منهم من جميع الفرق بقوله تعالى (والذين آمنوا) أى أقروا بالايان باللسان (وعملوا)
 تصديقاً لدعواهم (الصالحات) أى الأعمال الكاملة فى الصلاح بتأسيسها على الايمان * ولما
 كان هذا الوصف لا يخص أتباع محمد صلى الله عليه وسلم خصهم بقوله تعالى (وآمنوا) أى مع
 ذلك (بما نزل) أى بمن لا منزل الا هو منجماً مفرقاً ليجتدوا بعد الايمان به اجمالاً الايمان بكل
 نجم منه (على محمد) النبى الامى العربى القرشى المحكى المدينى الذى يجدونه مكتوباً عندهم
 فى التوراة والانجيل صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (وهو) أى هذا الذى نزل عليه صلى الله
 عليه وسلم موصوف بأنه (الحق) أى الكامل فى الحقيقة ينسخ ولا يفسخ كما بنا (من ربهم) أى
 المحسن اليهم برسالة أما احسانه الى أمته فواضح وأما سائر الامم فبكونه هو الشافع فيهم
 الشفاعة العظمى يوم القيامة وأتمته هى الشاهدة لهم بجملة معترضة وقرأ قالون وأبو عمرو
 والكسائي وهو يسكون الهاء والباقون بضمها (كفر عنهم سيئاتهم) أى ستر أعمالهم السيئة
 بالايان وعلمهم الصالح (وأصلح بالهم) أى حالهم فى الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد (ذلك) أى
 الامر العظيم الذى ذكرهنا من جزاء الطائفتين (بأن) أى بسبب أن (الذين كفروا) أى ستروا
 مراعى عقولهم (اتبعوا) أى بغاية جهدهم ومعاملتهم (الباطل) من العمل الذى لاحقيقة له
 فى الخارج تطابقه وذلك هو الابتداع والميل مع الهوى فضلوا (وأن الذين آمنوا) أى ولو كانوا
 فى أقل درجات الايمان (اتبعوا) أى بغاية جهدهم (الحق) أى الذى له واقع يطابقه وذلك هو
 الحكمة وهو العلم بموافقة العمل وهو معرفة المعلوم على ما هو عليه (من ربهم) أى الذى
 أحسن اليهم بإيجادهم وما سببه من حسن اعتقادهم فاهتدوا (كذلك) أى مثل هذا
 الضرب العظيم الشأن (يضرب الله) أى الذى له الاحاطة بجميع صفات الكمال (للناس) أى
 كل من فيه قوة الاضطراب والحركة (أمثالهم) أى امثال أنفسهم أو امثال الفريقين المتقدمين
 أو امثال جميع الاشياء التى يحتاجون الى بيان أمثالها مبيهاً لها مثل هذا البيان لياخذ كل
 أحد من ذلك جزاء حاله فقد علم من هذا المثل أن من اتبع الباطل أضل الله تعالى عمله ووفر
 سيئاته وأفسد باله ومن اتبع الحق عمل به ضد ذلك كما بنا من كان وهو غاية الحث على طلب
 العلم فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والعمل بها * ولما بين تعالى أن الذين كفروا
 أضل أعمالهم وان اعتبار الانسان بالعمل ومن لا عمل له فهو همج أعداه خير من وجوده
 سبب عنه قوله تعالى (فاذا القيم الذين كفروا) أيها المؤمنون فى المحاربة وقوله تعالى
 (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضرباً تحذف الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه مضافاً
 الى المفعول ضمماً الى التأكيد الاختصار والحكمة فى اختيار ضرب الرقبة دون غيرها من
 الاعضاء أن المؤمن هنا ليس يدافع انما هو رافع وذلك لان من يدفع الصائل لا ينبغي أولاً ان يقصد

مقتله بل يتدرج ويضرب غير المقتل فان اندفع فذلك ولا يرقى الى درجة الاهلاله فأخبر تعالى
أنه ليس المقصود دفعهم عنكم بل المقصود دفعهم من وجه الارض فاذا ينبغي أن يكون قصدكم
أولاً الى قتلهم بخلاف دفع الصائل فالرقبة أظهر المقاتل وقطع الحلقوم والادراج مستلزم
للموت لكن في الحرب لا يتم اذالك والرقبة ظاهرة في الحرب ففي ضربها حوز العنق وهو مستلزم
للموت بخلاف سائر المواضع ولا سيما في الحرب وفي قوله تعالى لقيمتم ما ينبغي عن مخالفتهم
الصائل لان قوله تعالى لقيمتم يدل على أن القصد من جانبهم بخلاف قولنا لقيمكم ولذلك قال تعالى
في غير هذا الموضع فاقتلوه حيث ثقة قوتهم (حتى اذا أنخنقوهم) أي أكثرتم فيهم القتل وهذه
غاية الامر بضرب الرقاب للبيان غاية القتل (فشدوا) أي فأمسكوا عن القتل وأسرؤهم
(الوثاق) أي ما يوثق به الاسرى وقوله تعالى (فأما منابعد) أي في جميع ازمان ما بعد
الاسر (وأما فداء) فيه وجهان أشهرهما أنهم ما منصوبان على المصدر بفعل لا يجوز اظهاره
لان المصدر متى سبق تفصيلاً لعاقبة جملة وجب نصبه بأضمار فعل لا يجوز اظهاره والتقدير
فأما أن تنوأمنا أي باطلاقهم من غير شيء وأما أن تفدوا فداء أي تفادوهم بمال أو أسرى
مسلمين ومثل هذا قول القائل

لا جدن فامادره واقعة * تخشى واما بلوغ السؤل والامل

والثاني قاله أبو البقاء انه عام فمولان به ما للعامل مفتر تقديره أولوهم منا واقتلوا منهم فداء
قال أبو حيان وايس باعراب نحوى وقوله تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) أي أثقالها من
السلح وغيره بأن يسلم الكافر أو يدخل في العهد مجاز وقيل هو من مجاز الحذف أي أهل
الحرب وهو غاية للقتل والاسر والمعتق أنخنقوا المشركين بالقتل والاسر حتى تدخل الملل كلها
في الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى عليه
السلام وجاء في الحديث الجهاد حاضر منذ بعثني الله الى أن يقاتل آخر أمتي الدجال وقال الفراء
حتى لا يبقى الا مسلم أو مسلم * (تنبيه) * اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قوم هي
منسوخة بقوله تعالى فاماتت عقبتهم في الحرب فشردهم من خلفهم وبقوله تعالى فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم واليه ذهب قتادة والفضالة والسدي وابن جريج وهو قول الاوزاعي
وأصحاب الرأي وقالوا لا يجوز المن على من وقع في الاسر من الكفار ولا الفداء وذهب آخرون
الى ان الآية محكمة والامام بالخيار في الرجال العاقلين من الكفار اذا وقعوا في الاسر بين أن
يقتلهم أو يسترقهم أو يمن عليهم فيطلقهم بغير عوض أو يقادهم بالمال أو بأسارى المسلمين
واليه ذهب ابن عمرو به قال الحسن وعطاء أكثر العصاة والعلماء وهو قول الثوري والشافعي
وأحمد واسحق قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أكثر المسلمون واشتد سلطانهم أنزل الله تعالى
في الاسارى فاما منابعد واما فداء وهذا هو الاصح والاختيار لانه عمل به صلى الله عليه وسلم
والخلفاء بعده روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم
خيلاً قبل فجد فجات برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن اثال فربطوه في سارية من

سوارى المسجد فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا غمامة فقال عندي
خير يا محمد ان تقتلني تقتل ذامم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل ماشئت
حتى كان الغد فقال له صلى الله عليه وسلم ما عندك يا غمامة قال عندي ما قلت لك ان تنعم
تنعم على شاكر فتركه حتى اذا كان بعد الغد قال ما عندك يا غمامة قال عندي ما قلت لك قال
أطلقوا غمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا اله
الا الله وأن محمدا رسول الله والله ما كان على وجه الارض وجه أبغض الى من وجهك فقد
أصبح وجهك أحب الوجوه الى والله ما كان من دين أبغض الى من دينك فأصبح دينك أحب
الدين الى والله ما كان من بلد أبغض الى من بلدك فقد أصبح بلدك أحب البلاد الى وان
خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فاذا ترى فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر
فلما قدم مكة قال له قائل صبوت قال لا ولكن أسلمت مع محمد صلى الله عليه وسلم وعن عمران بن
حصين قال أسرا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال من عقيل فأوثقوه وكانت ثقيف
قد أسرت رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالرجلين اللذين أسرتهم ما ثقيف وقوله تعالى (ذلك) يجوز أن يكون خبر مبتدأ مضمرة أى الامر
ذلك وان ينتصب باضمار افعالوا قال الرازى ويحتمل أن يقال ذلك واجب أو مقدم كما يقول
القائل ان فعلت فذلك أى فذلك مقصود ومطلوب قال المفسرون ومعناه ذلك الذى ذكرت
وبيئت من حكم الكفار (ولو يشاء الله) أى الملك الاعظم الذى له جميع الكمال (لا تنصر
منهم) أى بنفسه من غير أحد انتصارا عظيما فيهم بأن لا يبقى منهم أحد أو كفاهم أمرهم بغير
قتال (وامكن) أمرهم بذلك (ليبلوا) أى يمتحرون (بعضكم ببعض) أى يفعل فى ذلك فعل المختبر
ليرتب عليه الجزاء فيصير من قتل من المؤمنين الى الجنة ومن قتل من الكافرين الى النار (فان
قبل) فمافائدة الابدال مع حصول العلم عند المبتلى فاذا كان الله تعالى عالما بجميع الاشياء فأى
فائدة فيه (أجيب) بأن هذا السؤال كقول القائل لم عاقب الكافر وهو مستغن ولم خلق النار
محروقة وهو قادر على أن يخلقها بحيث تنفع ولا تضر وجوابه لا يسئل عما يفعل ونزل يوم أحد
لما فشا في المسلمين القتل والجراحات (والذين قتلوا فى سبيل الله) أى لاجل تسهيل طريق الملك
الاعظم المتصف بجميع صفات الكمال (فلن يضل) أى لا يضيع ولا ييطل (أعمالهم) وقرأ
أبو عمرو وحفص يضم القاف وكسر التاء مبنيا للمفعول على معنى أنه أصاب القتل بعضهم
كقوله تعالى قتل معهم ربيون والباقون بفتح القاف والتاء وألف بينهما أى جاهدوا (سبيلهم)
أى أيام حياتهم فى الدنيا الى أرشد الامور وفى الآخرة الى الدرجات بوعده لا خلف فيه (ويصلح
بالهم) أى يرضى خصماهم ويقبل أعمالهم (ويدخلهم الجنة) أى الكاملة فى النعيم (عرفها)
أى أعلمها وبينها (الهم) أى بما يعلم به كل أحد منزلته ودرجته من الجنة قال مجاهد يهدى أهله
الجنة الى مساكنهم منها لا يخطئون كأنهم كانوا ساكنها منذ خلقوا يستدلون عليها وعن مقاتل
ان الملك الذى وكل بحفظ عمله فى الدنيا يمشى بين يديه فيعرفه كل شئ أعطاه الله تعالى وعن ابن

عباس رضي الله عنهم ما عرفه الله - م طيبها مشتق من العرف وهو الريح الطيبة يفتح ال طعام
معرف أي مطيب (يا أيها الذين آمنوا) أي أقروا بذلك (ان تنصروا الله) أي دينه ورسوله
صلى الله عليه وسلم (ينصركم) أي على عدوك فإنه الناصر لا غيره من عدد أو عدد (ويثبت
أقدامكم) أي في القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار ولما بين تعالى ما لاهل الايمان بين
ما لاهل الكفر ان بقوله تعالى (والذين كفروا) وهو مبتدأ أي ستروا ما دل عليه العقل وقادت
اليه الفطرة الاولى وخبره تعالى (وايدل عليه قوله تعالى (فتعسا لهم) أي هلاكهم وخيبة من
الله تعالى وقال ابن عباس أي بعد الهمة وقيل التمس الجزع على الوجه والنكس الجزع على الرأس
وقوله تعالى (وأضل أعمالهم) عطف على تعسا أي ابطلها وان كانت ظاهرة الاتقان
لاجل تضییع الاساس وهو الايمان وقوله تعالى (ذلك) يجوز أن يكون مبتدأ وان لم يجر الجار
بعده أو خبر مبتدأ مضمرة أي الامر ذلك (بأنهم) أي بسبب أنهم (كروا ما أنزل الله) أي الملك
الاعظم الذي لانعمة الامنه من القرآن وما أنزل الله تعالى فيه من التكليف والاحكام
لانهم قد ألقوا الالهة والاطلاق العنان في الشهوات والملاذق عشق عليهم ذلك وتعاضدهم
والذي أنزله من القرآن وغیره هو روح الوجود الذي لا يباد منه فلما كرهوا الروح الاعظم
بطلت أرواحهم فتبعها أشباحهم وهو معنى قوله تعالى (بيابنا له في اضلال أعمالهم
(فأحبط) أي أبطل ابطالا صلاح معه (أعمالهم) بسبب أنهم أفسدوها بنياتهم فصارت
وان كانت صورها صالحة ليس لها أرواح لكونها واقعة على غير ما أمر به الله الذي لا أمر الاله
ولا يقبل من العمل الا ما حقه ورسمه ثم خوف الكفار بقوله تعالى (أفلم يسروا في الارض) أي
التي فيها آثار الوقائع (فينظروا كيف كان عاقبة) أي آخر أمر (الذين من قبلهم - هم دمر الله)
أي أوقع الملك الاعظم الهلاك (عليهم) بناعم أهاليهم وأموالهم وكل من رضى أفعالهم أو مقالهم
وعدل عن أن يقول ولهم ولا إلى قوله تعالى (وللكافرين) تعميما وتعليقا للحكم بالوصف وهو
الغارقة في الكفر (أمثالها) أي أمثال عاقبة من قبلهم (ذلك) أي الامر العظيم وهو نصر
المؤمنين وقهر الكافرين (بأن الله) أي بسبب أن الملك الاعظم المحيط بصفات السكالك (مولى)
أي ولي وناصر (الذين آمنوا) فهو يفعل معهم بما له من الجلال والجمال ما يفعل القريب
بقريبه الحبيب له قال القشيري ويصح أن يقال أرجى آية في القرآن هذه الآية لان الله تعالى
لم يقل انه هادي العباد وأصحاب الاوراد والاجتهاد بل علق ذلك بالايمان (وان الكافرين)
أي الغريقين في هذا الوصف (لامولى لهم) في دفع المذاب عنهم وهذا لا يخالف قوله تعالى
وربوا الى الله مولا لهم الحق فان المولى فيه معنى المالك ثم ذكر سبحانه وتعالى ما لا يقين بقوله
تعالى (ان الله) أي الذي له جميع الصفات (يدخل الذين آمنوا) أي أوقعوا التصديق
(وعملوا) تصديقا لما ادعوا أنهم أوقعوه (الصالحات) أي الطاعات (جنات) أي بساتين
عظيمة الشأن ووصوفة بأنها (تجري من تحتها) أي من تحت قصورها (الانهار) فهي دائمة
النور والبهجة والنضارة والثمرة (والذين كفروا يمتعون) أي في الدنيا بالملاذ كما تمتع الانعام

ناسين ما أمر الله تعالى به معرضين عن كتابه (وبأيا كلون) على سبيل الاستمرار (كما تأكل
 الأنعام) أي أكل التذاذ ومرح من أي موضع كان وكيف الأكل من غير تميز الحرام من
 غيره اذ ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم لا يلتفتون الى الآخرة لان الله تعالى أعطاهم الدنيا
 ووسع عليهم فيها وفرغهم لها حتى شغلهم عنه هو انابهم وبغضالهم فيدخلهم ناراً وقودها الناس
 والحجارة كما قال تعالى (والنار منوى لهم) أي منزل ومقام ومصير ولما ضرب الله تعالى لهم
 مثلاً بقوله تعالى أفلم يسروا في الارض ولم ينفعهم مع ما تقدم من الدلائل ضرب للنبي صلى
 الله عليه وسلم مثلاً نسبية له فقال تعالى (وكافرين) أي وكم (من قرية) أريد أهلها أي كذبت
 رسولاها (هي أشد قوة) وأكثراً عدداً (من قرية) مكة أي أهلها وقوله تعالى (التي
 أخرجتك) روعي فيه لفظ قرية وقوله تعالى (أهلكتهم) أي بأنواع العذاب روعي فيه
 معنى قرية الاولى (فلاناصر لهم) يدفع عنهم الهلاك كذلك نفعل بهم فاصبر كما صبر رسولهم قال
 ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى الغار التفت الى مكة وقال أنت
 أحب أرض الله الى الله وأحب بلاد الله الى ولوائنا المشر كين لم يخرجوني لم أخرج منك فأنزله
 الله تعالى هذه (أفمن كان) أي في جميع أحواله (على بينة) أي حجة ظاهرة البيان في أنها حق
 (من ربه) أي المربي والمدير له المحسن اليه وهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون (كن زين له)
 بتزيين الشيطان بتسليطنا له عليه (سوء عمله) فراء حسنا وهم أبوجهل والكفار (واتبعوا
 أهواءهم) في ذلك ولا شبهة لهم في شئ من أعمالهم السيئة فضلاً عن دليل * ولما تكررت ذكر الجنة
 في هذه السورة بين صفتها بقوله تعالى (مثل) أي صفة (الجنة) أي البساتين العظيمة التي تستر
 داخلها من كثرة أشجارها (التي وعد المتقون) أي الذين حملتهم تقواهم بعد الوقوف عن فعل
 لم يدل عليه دليل على أن اسعة وامنك فاتفعوا بما دللتهم عليه من أمور الدين * (تنبيه) *
 اختلاف في اعراب هذه الآية على أوجه أحدها أن مثل مبتدأ وخبره مقدرة قدره النظر
 ابن شميل مثل الجنة ما تسمعون فماتسمعون خبره وفيها أن سارم فسرله وقدره سيديويه فيما يلي
 عليكم مثل الجنة والجملة بعدها أيضاً مقسرة للمثل ثانیها أن مثل زائدة تقديره الجنة التي
 وعد المتقون (فيها أنهار) ونظير زيادة مثل هنا زيادة اسم في قول القائل
 الى الخول ثم اسم السلام عليهما * ثانیها أن مثل الجنة مبتدأ والخبر قوله تعالى كن هو خالد
 في النار فقدره ابن عطية أمثل أهل الجنة كن هو خالد فقد رحرر الانكار ومضافاً اليه
 وقدره الزمخشري أمثل الجنة كمثل جواز من هو خالد والجملة من قوله تعالى فيها أنهار حال من
 الجنة أي مستقرة فيها أنهار (من ماء) ولما كان ماء الدنيا مختلف الطعوم مع اتحاد الارض
 ببساطها وشدة اتصالها بالدلالة على أن الفاعل ذلك قادر مختار وقد يكون أسنا أي متغيراً
 عن الماء الذي يشرب بريح منقنة من أصل خلقته أو من عارض عرض له من منبعه أو مجراه
 قال تعالى (غير آسن) أي ثابت له في وقت ما شئ من الطعم أو اللون أو الريح بوجه من الوجوه
 وان طالت اقامته وان أضيف اليه غيره فانه لا يقبل التغير بوجه بخلاف ماء الدنيا فيتغير

لعارض وقرأ ابن كثير بقصر الهمزة والباقون بمتداوها وهما الغتان (وأنا من ابن) ولما كان
التغير غير محمود قال تعالى (لم يتغير طعمه) أي بنفسه عن أصل خلقته وإن أقام مدى الدهر
بخلاف لبن الدنيا لخروجه من الضرع وهذا يقيم أنهم لو أرادوا تغييره لشهوة اشتها وتغير وانه
مع طيبه على أنواع كثيرة كما كان في الدنيا متنوعا (وأنا من خمر) ولما كان الخمر مكره
طعمها وانما يشرب بها شاربوها لاثرها وانه متى تغير طعمها زال اسمها وعرف أن كل ما في خمر
الجنة في غاية الحسن غير متعرض لطعم فقال تعالى (لذة) أي لذية (للشاربين) في طيب
الطعم وحسن العاقبة بخلاف خمر الدنيا فانها كريهة عند الشرب (وأنا من عسل) ولما كان
عسل الدنيا لا يوجد الا مخلوطا بالخروج من بطون النحل بالشمع وغيره من القذى قال تعالى
(مصفي) أي هو صاف صفاء ما اجتهد في تصفيته من ذلك وهذا الوصف ثابت لا دائما
لانفس كالكاف في وقت ما (تنبيه) قال أبو حيان في حكمة ترتيب هذه الانهار انه بدأ بالماء الذي
لا تستغنى عنه المشروبات ثم باللبن اذ كان يجري مجرى المطعومات في كثير من أوقات العرب
ثم بالخمر لانه اذا حصل الري والطعم تشوقت النفس الى ما تلذذه ثم بالعسل لان فيه الشفاء
في الدنيا مما يعرض من المطعوم والمشروب اه (فان قيل) ما الحكمة في قوله تعالى في الخمر لذة
للشاربين ولم يقل في اللبن لم يتغير طعمه للطاعمين ولا قال في العسل مصفى للناظرين (أجاب)
الرازي بأن اللذة تختلف باختلاف الأشخاص فرب طعم عام يلذذه شخص ويعافه الاخر فقال
لذة للشاربين بأسرهم ولأن الخمر كريهة الطعم في الدنيا فقال لذة أي لا يكون في خمر الاخرة
كراهة الطعم وأما الطعم واللون فلا يختلف باختلاف الناس فان الخلو والحامض وغيرهما يدركه
كل أحد لكن قد يعافه بعض الناس ويلذذه البعض مع اتفاقهم على أن له طعما واحدا
وكذلك اللبن فلم يكن للتصريح بالتعميم حاجة * (فائدة) * روى عن كعب الاحبار أنه قال نهر
دجلة نهر ماء أهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيجان وجيحان نهر
عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر وقال ابن عبد الحكم في فتوح مصر ان
كعب الاحبار سئل هل تجد لهذا النيل في كتاب الله عز وجل خيرا فقال اي والذي فلق البحر
لموسى اني لا جسد في كتاب الله تعالى ان الله عز وجل يوحى اليه في كل عام مرتين يوحى اليه عند
جريه ان الله يأمرك أن تجري فيجري ما كتب الله تعالى له ثم يوحى اليه بعد ذلك يا نيل غر جيدا
وعن كعب أيضا أنه قال أربعة أنهار من الجنة وضعها الله تعالى في الدنيا فالنيل نهر العسل
في الجنة والفرات نهر الخمر في الجنة وسيحان نهر الماء في الجنة وجيحان نهر اللبن في الجنة وعنه
أيضا أنه قال النيل في الاخرة يكون عسلا أغزر ما يكون من الانهار التي سمى الله عز
وجل ودجلة في الاخرة لبنا أغزر ما يكون من الانهار التي سمى الله عز وجل والفرات
خمر اغزر ما يكون من الانهار التي سمى الله عز وجل وجيحان ماء أغزر ما يكون من
الانهار التي سمى الله عز وجل وأصل هذا كله ما في الصحيح في وصف الجنة عن أبي هريرة أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال سيحان وجيحان والنيل والفرات من أنهار الجنة ولما كانت الثمار

ألذ مستطاب بعد منافع الشراب قال تعالى (ولهم فيها) وقوله تعالى (من كل الثمرات) فيه وجهان أحدهما أن هذا الجار صفة لما قدر ذلك المقدور مبتدأ وخبره الجار قبله وهو لهم وفيها متعلق بما يتعلق به والتقدير ولهم فيه أزواج من كل الثمرات كأنه انتزع من قوله تعالى فيها من كل فاكهة أزواج وقدوة بعضهم صنف والاول كما قال ابن عادل ألقى ثانيه ما أن من منيدة في المبتدا (ومغفرة من ربهم) فهو راض عنهم مع احسانه اليهم بما ذكر بخلاف سيد العبيد في الدنيا فانه قد يكون مع احسانه اليهم ساخطا عليهم وقوله تعالى (كن هو خالد في النار) خبر مبتدأ مقدر أي آمن هو في هذا النعيم كن هو مقيم اقامة لا انقطاع معها في النار التي لا ينطفئ لهيبها ولا ينفك أسيرها ووحده لأن الخلود يعنى من فيها على حد سواء (وسقوا) أي عوض ما ذكر من شراب أهل الجنة (ماء حيا) هو في غاية الحرارة (فقطع امعاءهم) أي مصارينهم فخرجت من أديارهم وهو جمع معى بالقصر وألفه عن ياء لقولهم معيان (ومنهم من يستمع اليك) أي في خطب الجمعة وهم المنافقون والضمير في قوله تعالى ومنهم يحتمل أن يعود الى الناس كما قال تعالى في سورة البقرة ومن الناس من يقول آمنا بالله بعد ذكر الكفار ويحتمل أن يعود الى أهل مكة لأن ذكرهم سبق في قوله تعالى هي أشد قوة من قريته التي أخرجتك ويحتمل أن يرجع الى معنى قوله تعالى هو خالد في النار وسقوا ماء حيا أي ومن الخالدين في النار قوم يستمعون اليك (حق إذا) أي واستمعوا لجهلهم لا أنفسهم في الاصغاء حق إذا (خرجوا) أي المستمعون والسامعون (من عندك قالوا) أي الفريقان تعاميا واستهزاء (للذين أتوا العلم) بسبب تهمة الله تعالى لهم من صفاء الافهام بتجردهم عن النفوس والخطوط وانقيادهم لما تدعو اليه الفطرة الاولى منهم ابن مسعود وابن عباس (ماذا قال) أي النبي صلى الله عليه وسلم (أنفا) أي قبل افتراقنا وخر وجنا عنه روى مقاتل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سألوا عبدا لله بن مسعود استهزاء ماذا قال محمد أنفا أي الساعة أي لانرجع اليه وقرأ البزى بقصر الهمزة بخلاف عنه والباقون بالمد وهم الغتان بمعنى واحد وهما اسماء فاعل كذا وحذر (أولئك) أي البعداء من كل خير (الذين طبع الله) أي الملك الاعظم (على قلوبهم) أي بالكفر فلم يفهموا فهم اتفاع لأن مثل هذا الجود لا يكون الا بذلك (واتبعوا) أي بغاية جهدهم (أهواءهم) أي في الكفر والنفاق فلذلك هم يتهاونون بأعظم الكلام ويقبلون على جمع الخطام فهم أهل النار المشار اليهم قبل آية مثل الجنة بأنهم زين لهم سوء عملهم ثم ذكر تعالى اضداد هؤلاء بقوله سبحانه (والذين اهتدوا) أي اجتهدوا باستماعهم منك في الايمان والتسليم والاذعان بأنواع المجاهدات وهم المؤمنون (زادهم) أي الله الذي طبع على قلوب الكفرة (هدى) بأن شرح صدورهم ونورها بأنوار المشاهدات فصارت أوعية للحكمة (وآتاهم تقواهم) أي ألهمهم ما يتقون به النار قال ابن برحان التقوى عمل الايمان كما أن أعمال الجوارح عمل الاسلام (فهل) أي ما ينتظرون وجودها اشارة الى شدة

قربها (الا الساعة) وقوله تعالى (أن تأتيهم) أى الكافرين بدل اشتغال من الساعة
أى ليس الامر الآن تأتيهم (بغتة) أى فجأة من غير شعور بها ولا استعداد لها وقوله تعالى
(فقد جاء أشراتها) جمع شرط بسكون الراء وفصحها قال أبو الاسود

فان كنت قد أزمعت بالصبر بيننا * فقد جعلت أشرطا قوله تبدو

والاشرط العلامات ومنه اشرط الساعة وأشرط الرجل نفسه أى ألزمها أمورا قال أوس
فأشرط فيها نفسه وهو يقسم * قال فى بأسباب له وتو كلا

والشرط القطع أيضا مصدر شرط الجملد بشرطه شرطا قال السهيلي عن ابن سعد عن أنس قال
رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قال بأصبعيه هكذا بالوسطى والى تلى الابهام بعنت والساعة
كهاتين وعن أنس قال لا حدثتكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان من اشرط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الربا ويشرب الخمر وتقتل الرجال
وتكثر النساء حتى يكون لحسين امرأة القيم الواحد وعن أبي هريرة قال بينما النبي صلى الله
عليه وسلم فى مجلس يحدث القوم اذ جاءه أعرابي فقال متى الساعة فغضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال وقال بعضهم لم يسمع حتى اذا قضى حديثه
قال أين السائل عن الساعة قال ها أنا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانظر الساعة فقليل
كيف اضاعتها قال اذا وسد الامر لغير أهله فانظروا الساعة ومن اشرطها انشقاق القمر
المؤذن بآية الشمس فى طلوعها من مغربها وغير ذلك وما بعد مقتدات الشئ الاحضوره (فأنى)

أى فكيف وأين (اهم) أى التذكروا لاتعاطوا والتوبة (اذا جاءتهم ذكراهم) أى الساعة
لاتنفعهم نظيره قوله تعالى يومئذ يذكرون الانسان وأنى له الذكري ولما علم بذلك أن الذكري
غير نافعة اذا انقضت هذه الدار التى جعلت للعمل أوجبات الاشرط المحققة الكاشفة لها سبب
عنه أمر أعظم الخلق تكوينا ليكون لغيره تكليف فقال (فاعلم أنه) أى الشأن العظيم (لا اله)
أى لا معبود بحق (الا الله) أى اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما أنت
عليه من العلم بالوحدانية فانه النافع يوم القيامة وقبل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم
والمراد غيره وقال الحسن بن الفضل فازدد علما الى علمك وقال أبو العالية وابن عيينة معناه
اذا جاءتهم الساعة فاعلم أنه لا ملجأ ولا مفرج عند قيامها الا الى الله (واستغفر لذنبك) أى لاجله
أمر بذلك مع عصمته لتسقين به أمتة وقد فعله قال صلى الله عليه وسلم انى لاستغفر الله فى اليوم
مائة مرة وقيل معنى قوله لذنبك أى لذنب أهل بيتك وللمؤمنين والمؤمنات الذين ليسوا من
أمتك بأهل بيت وقيل المراد النبي والذنب هو ترك الافضل الذى هو بالنسبة اليه ذنب وحسنا تانا
دون ذلك قال صلى الله عليه وسلم انه ليغفل على قلبي وانى لاستغفر الله فى كل يوم مائة مرة
وقيل هو كل مقام عال ارتفع منه الى أعلى منه وقوله تعالى (وللمؤمنين والمؤمنات) فيه اكرام
من الله تعالى لهذه الامة حيث أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم (والله) المحيط
بجميع صفات الكمال (يعلم متقلبكم) أى تصرفكم لاشغالكم بالنهار ومكانه وزمانه

(ومثواكم) أى ما أواكم الى مضاجعكم بالليل أى هو عالم بجميع أحوالكم لا يخفى عليه شئ منها
 فاحذروه والخطاب للمؤمنين وغيرهم وقيل يعلم متقلبكم فى أعمالكم ومثواكم فى الجنة والنار
 ومثله حقيق بأن يخشى ويتقى وأن يستغفروا ويسترحم وعن سفيان ابن عيينة أنه سئل عن فضل
 العلم فقال ألم تسمع قوله تعالى حين بدأ به فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فأمر بالعمل
 بعد العلم وقال اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهوا والآية (ويقول الذين آمنوا) طلبا للجهاد
 (لولا) أى هلا ولا التفات الى قول بعضهم ان لازائدة والاصل لو (نزلت سورة) أى سورة
 كانت نسر بسماعها وتعب دلتها ونعم عمل بما فيها (فاذا أنزلت سورة) أى قطعة من
 القرآن تكامل نزولها كلها تدرى مجاؤها ووجه وزاد على مطلوبهم فى الحسن بأنما (محكمة)
 أى مبينة لا يلتبس شئ منها بنوع اجال ولا ينسخ لكونه جامعا للمعاسن فى كل زمان ومكان
 وقال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهى محكمة وهى أشد القرآن على المنافقين (وذكر فيها
 القتال) أى الامر به (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) أى شك وهم المنافقون (ينظرون
 اليك) شذرا بتعديق شديد كراهية منهم للجهاد وجبنهم عن لقاء العدو (نظر المغشى)
 والاصل نظرا مثل نظر المغشى (عليه من الموت) الذى هو نهاية الغشى فهو لا يطرف بعينه
 بل شاخص لا يطرف كراهية القتال من الجبن والخوف والمعنى أن المؤمن كان ينتظر نزول
 الاحكام والتكاليف ويطلب تنزيلها واذا تأخر عنه التكليف كان يقول هلا أمرت بشئ من
 العبادة خوفا من أن لا يؤهل لها وأما المنافق فاذا أنزلت السورة أو الآية وفيها تكليف شق
 عليه ذلك فحصل التباين بين الفريقين فى العلم والعمل وقوله تعالى (فأولى لهم) وعيد بمعنى
 فويل لهم وهو أفعل من الولى وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يلهم المكروه وقوله تعالى
 (طاعة وقول معروف) مستأنف أى طاعة ومعروف خير لهم وأمثل أى لو أطاعوا وقالوا قولا
 معروفا لكان أمثل وأحسن وساغ الابتداء بالهمزة لانهما وصفت بدليل قوله تعالى وقول
 معروف فانه موصوف فكانه تعالى قال طاعة مخصصة وقول معروف خير وقيل يقول المنافقون
 قبل نزول السورة المحكمة طاعة ورفع على الحكاية أى أمرنا طاعة أو منا طاعة وقول معروف
 حسن وقيل متصل بما قبله واللام فى قوله تعالى لهم بمعنى الباء أى فأولى بهم طاعة الله ورسوله
 وقول معروف بالاجابة أولى بهم وهذا قول ابن عباس فى رواية عطاء ثم سبب عنهم ما قوله تعالى
 مستندا الى الامر ما هو لاهلنا كيد المضمون الكلام (فاذا عزم الامر) أى فاذا أمر بالقتال
 الذى ذكر فى أول السورة وغيره من الاوامر امرهم بمقرها عليه (فلو صدقوا الله) أى
 الملك الاعظم فى قوالهم الذى قالوه فى طلب التنزيل (لكان) أى صدقهم له (خير لهم) أى من
 تعللهم ووجهه لو جواب اذا فتحو اذا جاءنى طعام فلو جئتني لأطعمتك وقيل محذوف تقديره
 فاصدق كذا قدره أبو البقاء وعزم الامر على سبيل المجاز كقوله * قد جدت الحرب فجدوا *
 أو يـكون على حذف مضاف أى عزم أهل الامر وقوله تعالى (فهل عسيتم) فيه التفات
 عن الغيبة أى لعلمكم (ان توليتم) أى أعرضتم عن الايمان والجهاد (أن تفسدوا) أى

توقعوا الفساد العظيم الذي يستمر تجدد (في الارض) بالمعصية والبغى وسفك الدماء الذي
يسخط الله تعالى ويغضبه أشد غضب على فاعله وتكونوا في غاية الجراءة عليه وترجعوا الى
الفرقة بعد ما جمعكم الله بالاسلام وقرأنا نافع بكسر السين والباقون بقصها (وتقطعوا) أي
تقطعوا كثيرا (أرحامكم) أي تعودوا الى أمر الجاهلية في الاغارة من بعض على بعض وغير
ذلك قال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله تعالى ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا
الارحام وعصوا الرحمن وقال بعضهم هو من الولاية قال الفراء يقول فهل عسيتم ان توليتم
أمر الناس أن تفسدوا في الارض بالظلم نزلت في بني أمية وبني هاشم (أمرلك) أي المفسدون
(الذين لعنهم الله) أي طردهم أشد الطرد المالك الاعظم لما ذكر من افسادهم وتقطيعهم ثم سبب
عن لعنهم قوله تعالى (فأصمهم) أي عن الانتفاع بما سمعوه (وأعمى أبصارهم) أي عن
الانتفاع بما يبصرون فليس سمعهم سمع ادراك ولا ابصارهم ابصار اعتبار فلا سمع
ولا ابصار (أفلا تدبرون) بقلوب منفتحة مفسحة ليهتدوا الى كل خير (القرآن) أي يجهدوا
أنفسهم في أن يتفكروا في الكتاب الجامع لكل خير الفارق بين الحق والباطل حتى لا يجسروا
على المعاصي (فان قيل) قال تعالى فأصمهم وأعمى أبصارهم فكيف يمكنهم التدبر في القرآن
وهو كقول القائل للاعمى أبصر وللأصم اسمع (أجيب) بثلاثة أوجه مترتبة بعضها أحسن من
بعض الاول تكليف ما لا يطاق جائز والله تعالى أمر من علم منه بأنه لا يؤمن أن يؤمن فلهذا
جاز أن يصمهم ويعمىهم ويذمهم على ترك التدبر الثاني أن قوله أفلا تدبرون القرآن المراد منه
الناس الثالث أن يقال ان هذه الآية وردت محقة لمعنى الآية المتقدمة كانه تعالى قال
أولئك الذين لعنهم الله أي أبعدهم عنه وعن الصدق والخير وغير ذلك من الامور الحسنة
فأصمهم لا يسمعون حقيقة الكلام وأعماهم لا يبصرون طريقة الاسلام فاذا هم بين أمرين
أما لا تدبرون القرآن فيبعدون عنه لان الله تعالى لعنهم وأبعدهم عن الخير والصدق والقرآن
منهما هو الصنف الاعلى بل النوع الاشرف وأما تدبرون لكن لا تدخل معانيه في قلوبهم
لكونهم اعمى فلهذا قد بصره أفلا تدبرون القرآن لكونهم ملعونين مبعدين (أم) أي بل (على
قلوب) أي من قلوب الفاعلين لذلك (أفقالها) فلا تعي شيئا ولا تفهم أمرا ولا ترداد الاغباوة
وعناد الان لا تقدر على التدبير قال القشيري فلا يدخلها زواجر التنبيه ولا ينسبط عليها
شعاع العلم فلا يحصل لهم فهم الخطاب والباب اذا كان مغلقا فكما لا يدخل فيه شيء لا يخرج
ما فيه فلا كفرهم يخرج ولا الايمان الذي يدعون اليه يدخل اه (فان قيل) ما الفائدة في تنكير
القلوب (أجاب) الرخصي بقوله يحتمل وجهين أحدهما أن يكون للتنبيه على كونه موصوفا
لان النكرة بالوصف أولى من المعرفة كانه قال أم على قلوب قاسية أو مظلمة الثاني أن تكون
للتبعض كانه قال أم على بعض القلوب لان النكرة لا تعم تقول جاءني رجال فيفهم البعض وجاءني
الرجال فيفهم الكل والتنكير في القلوب للتنبيه على الانكار الذي في القلوب وذلك لان القلب
اذا كان عارفا كان معروفا لان القاب خلق للمعرفة فاذا لم تكن فيه المعرفة فكأنه لا يعرف قلبا

الظرفية (فأحبط) أي فلذلك تسبب عنه انه أفسد (أعمالهم) أي الصالحة فأسقطها بحيث لم ينق لها وزن أصلا لتضييع الأساس من مكارم الاخلاق من القرى والاخذ بالذم عيب والتصديق والاعتناق وغير ذلك من وجوه الارفاق (أم حسب الذين) وكان الاصل أم حسبوا اضعف عقولهم كما أفهمه التعبير بالحسبان ولكنه عبر تعالى بمادل على الآفة التي أدتهم الى ذلك بقوله تعالى (في قلوبهم) أي التي اذا فسدت فسدت جميع أجسادهم (مرض) أي آفة لا طب لها حاسبنا هو في غاية الثبات كما دل عليه التأكيدي في قوله تعالى (أن لن يخرج الله) أي يبرز من هو محيط بصفات الكمال للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على سبيل التجديد والاستمرار وقوله تعالى (أضغانهم) جمع ضغن وهي الاحقاد أي احقادهم على المؤمنين فيبديها حتى تعرفوا انفاقهم وكانت صدورهم تغلى حنقا عليهم (ولونشاء لا رينا كهم) من رؤية البصر وجاء على الافصح من اتصال الضميرين ولو جاء على اريئنا اياهم جاز وقال الرازي الاراءة هنا بمعنى التعريف وقوله تعالى (فلعرفتهم) عطف على جواب لو (بسيماهم) أي بسبب علاماتهم التي فجعلها غالبية عليهم عالية لهم في اظهار رضائهم غلبة لا يقدررون على مدافعها بوجهه ولم يذكرهم سبحانه بأسمائهم ابقاء على قربانهم الخلفين من الفتن وقوله تعالى (ولتعرفهم) جواب قسم محذوف (في لحن القول) أي الصادر منهم ولحنه لغواه أي معناه وما يدل عليه ويلوح عليه من ميله عن حقائقه الى عواقبه وما يؤل اليه أمره مما يخفى على غيره قال أنس ما خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم وعن ابن عباس لحن القول هو قولهم ما لنا ان أطعنا من الثواب ولا يقرولن ما علينا ان عصينا وقيل اللحن ان تطن بكلامك أي تميله الى نحو ومن الانحاء ليظن له صاحبك كالتعريض والتورية قال

ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا • واللحن يعرفه ذوو الالباب

وقيل للمعطى لحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب وقال أبو حيان كانوا اصطلموا على الفاظ يخاطبونهم الرسول صلى الله عليه وسلم بمخاطبه حسن ويعنون به القبيح (والله) أي بما له من الكمال (يعلم أعمالكم) كلها الفعلية والقولية جليها وخفيها علما تابعا غيبيا وعلما راسخا شهوديا يتجدد بحسب تجدد هاستمرا باستمرار ذلك (ولنبلونكم) أي نعلمكم معاملة المبلى بأن نخالطكم بالناس العظيمة بالاوامر الشديدة على النفوس والنواهي الكريهة اليها (حتى نعلم) أي بالابتلاء علماء شهوديا يشهدون غيرنا مطابقة لما كاذمنا علماء غيبيا فنستخرج من سرائرهم ما جبلناكم عليه مما لا يعلمه أحد منكم بل ولا تعلمونه حق علمه (المجاهدين منكم) في القتال وفي سائر الاعمال والشدائد والاهوال امتثالا للامر بذلك (والصابرين) أي على شدائد الجهاد وغيره من الانكاد قال القشيري غيا بالابتلاء والامتحان تبين جواهر الرجال فيظهر الخالص ويقتضح الممازق ويتكشف المناق ا هـ وعن الفضيل انه كان اذا قرأ هذه الآية بكى وقال اللهم لا تبلىنا فانك ان بلوتنا ففضمنا وهتك استارنا وعذبتنا (ونبلوا خبركم) أي نخالطها

بأن نسلط عليها من يحرفها فيجعل حسناتها قبيحا وقبيحها حسنا ليظهر للناس العامل لله والعامل
 للشيطان فان العامل لله اذا سمي قبيحه باسم الحسن علم ان ذلك احسان من الله تعالى اليه فيستحي
 منه ويرجع واذا سمي حسنه باسم القبيح وأشهر به علم ان ذلك لطف من الله تعالى به لكي لا يدركه
 العجب أو يهاججه الرياء فيزيد في احسانه والعامل للشيطان يزداد في القبايح لان شهرته عند
 الناس محط نظره ويرجع عن الحسن لانه لم يوصله الى ما أراد به من ثناء الناس عليه بالخير (ان
 الذين كفروا) أي غطوا ما دلتهم عليه عقولهم من ظاهرات آيات الله لاسيما بعد ارسال الرسول
 صلى الله عليه وسلم المؤيد بواضح المعجزات (وصدوا) أي امتنعوا وامنعوا غيرهم زيادة في كفرهم
 (عن سبيل الله) أي الطريق الواضح الذي نهجه الملك الاعظم (وشاقوا الرسول) أي الكامل
 في الرسالة المعروف غاية المعرفة (من بعد ما تبين) أي غاية البيان بالمعجز (لهم الهدى) بحيث
 صار ظاهرا بانه غير محتاج ما أظهره الرسول من الآيات الظاهرة وهم قريظة والنضير
 والمطعمون يوم بدر (لن يضروا الله) أي ملك الملوك (شيأ) بما هم عليه من الكفر والصدأ ولن
 يضره وارسوله صلى الله عليه وسلم بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفضيع مشاقته (وسيجب)
 أي يفسد فيبطل بوعده لا خلف فيه (أعمالهم) من المحاسن لبنائهم على غير أساس (يا أيها الذين
 آمنوا) أي أقروا بألسنتهم (أطيعوا الله) أي الملك الاعظم قصد يقال دعواكم طاعة لشدة الاجتهاد
 فيها أنما خالصة وعظم الرسول صلى الله عليه وسلم بأفراده فقال تعالى (وأطيعوا الرسول) لان
 طاعته من طاعة الذي أرسله فاذا علمت ذلك حصنتم أنفسكم وأعمالكم فتكون صحيحة ببنائها
 على الطاعة بتصحیح النيات وتصفيتهما مع الاحسان للصورة في الظاهر ليستكمل العمل صورة
 وروحا (ولا تبطلوا أعمالكم) قال عطاء بالشك والنفاق وقال الكلبي بالرياء والسمعة وقال
 الحسن بالمعاصي والكبائر وقال أبو العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون
 انه لا يضرهم مع الايمان ذنب كما لا يتفجع مع الشرك عمل فزلت هذه الآية فخافوا الكبائر ان
 تحبط الاعمال وقال مقاتل لا تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطلوا أعمالكم زلت
 في بني أسد قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمان والاذى وعن حذيفة فخافوا ان تحبط الكبائر
 أعمالهم وعن ابن عمر كانوا يرى انه ليس شيء من حسناتنا الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا أعمالكم
 فقلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا قلنا الكبائر الموجبات والقوا حس حق نزل ان الله لا يقفر
 أن يشرك به ويقفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من اصاب
 الكبائر وزجولن لم يصبها وعن قتادة رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السيئ وعن ابن
 عباس لا تبطلوا بالرياء والسمعة أعمالكم وعنه أيضا بالشك والنفاق وقيل بالعجب فان العجب
 يأكل الحسنات كائنا كل النار الحطب (ان الذين كفروا) أي أوقعوا الكفر بفعلهم فعل
 السائر لما دل عليه العقل من آيات الله المرئية والمسموعة (وصدوا عن سبيل الله) أي الملك
 الاعلى عن الواضح المستقيم الموصل الى كل ما ينبغي ان يقصد كل من أراد بهتادهم على باطلهم
 واذا هم لمن خالفهم (ثم ماتوا) بعد المذاهم في مضمارهم بالتطويل في أعمالهم (وهم) أي

والحال انهم (كفار قلن يغفر الله) أى المحيط بجميع صفات الكمال الذى يمنع من تسوية
المسىء بالهسن (لهم) فلا يجوز ذنوبهم ولا يستريحون بهم بل يفضح سرائرهم ويردّهم على أعقابهم
فى كل ما يتقلبون فيه لانهم قد أبطلوا أعمالهم بالخروج عن دائرة الطاعة فلم يبق لهم ما يغفر لهم
تسببه وقد دلت هذه الآية على ما دلت عليه آية البقرة من ان احباط العمل فى المرتد مشروط
بالموت على الكفر قيل نزلت فى أصحاب القليب قال الرمنشبرى والظاهر العموم ثم رغب
تعالى فى لزوم الجهاد محذرا من تركه بقوله تعالى (فلا تهنوا) أى تضعفوا ضعفا يؤدى بكم الى
الهوان والذل (وتدعوا) أعداءكم (الى السلم) أى المسالمة وهى الصلح (وأنتم) أى والحال
انكم (الاعلون) أى الظاهرون الغالبون قال الكلبي آخر الامر لكم وان غلبوكم فى بعض
الاقوات وأصل الاعلون الاعليون فأعلّ وقرا حزة وشعبة بكسر السين والباقون بقصهاتهم
عطف على الحال قوله تعالى (والله) أى الملك الاعظم الذى لا يعجزه شئ ولا كف له (معكم)
أى ينصره ومعوته وجميع ما يفعله الكريم اذا كان مع عبده ومن علم انه سيده وعلم انه قادر
على ما يريد لم يبال بشئ أصلا (ولن يترككم) أى ينقصكم (أعمالكم) أى ثوابها كما يفعله مع
أعدائكم فى احباط أعمالهم لانكم لم تبطلوا أعمالكم يجعل الدنيا محط أمركم (انما الحياة)
وأشار الى دناءتها تنفيرا عنها بقوله (الدنيا) أى الاشتغال بها (لعب) أى أعمال ضائعة سافلة
تزيد فى السرور ما يسرع اضمحلاله فيبطل من غير ثرة (واهو) أى مشغله يطلب به اثارة اللذة
كالغناء (وان تؤمنوا وتوقوا) أى تخافوا فجمعوا بينكم وبين غضبه سبحانه وتعالى وقاية
من جهاد أعدائه وذلك من أعمال الآخرة (يؤتكم) أى الله سبحانه الذى فعّلت ذلك من أجله
فى الدار الآخرة (أجوركم) أى ثواب كل أعمالكم بينائها على الاساس ولانه غنى لا ينقصه
الاعطاء (ولا يسألكم) أى الله فى الدنيا (أموالكم) أى لنفسه ولا كلها غيره بل يقتصر على
جزء يسير مما تفضل به عليكم ربع العشر وعشره (ان يسألكموها) أى كلها (فيحفظكم) أى
يبالغ فى سؤالكم ويبلغ فيه الغاية حتى يستأصلها فيجهدكم بذلك فالاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية
فى كل شئ يقال احفاء فى المسئلة اذا لم يترك شيئا من الاحاح واحق شاربه استأصله (تبخلوا) فلا
تعطوا شيئا (ويخرج أضغانكم) أى ما تضغنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والضغير فى
يخرج لله تعالى أو الرسول أو السؤال أو البخل واقتصر عليه الجلال المحلى قال قتادة علم الله تعالى
ان فى مسئلة الاموال خروج الاضغان يعنى ما طلبها ولو طلبها وألح عليكم فى الطلب ليجلتم كيف
وأنتم تبخلون باليسير فكيف لا تبخلون بالكثير (هاأنتم) وحقر أمرهم بقوله تعالى (هؤلاء)
أى أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى (تدعون لتنفقوا فى سبيل الله) أى الملك
الاعظم الذى يرجى خيره ولا يخشى غيره استئناف مقرر لذلك أوصله لهؤلاء على أنه بمعنى الذين
وهو دم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما (فمنكم من يبخل) أى ناس يبخلون وحذف القسم الآخر
وهو ومنكم من يجود لان المراد الاستدلال على ما قبله من البخل ولما كان بخله عن اعطائه
المال بجزء يسير منه انما يطلبه لينفع المطلوب منه فقط فاد الهجب بقوله تعالى (ومن) أى

والحال انه من (يخل) بذلك (فانما يخل) بما له بخلافه (عن نفسه) فان نفع الاتفاق
 وضرر البخل عائدان اليه والبخل يعدي بهن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدي فانه امساك
 عن يستحق (والله) أي الملك الاعظم الذي له الاطاعة بجميع صفات الكمال (القي) وخذ
 عن نفقتكم (وانتم) أي المكلفون خاصة (الفقراء) لاحتياجكم في جميع أحوالكم اليه
 (وان تتولوا) عطف على وان تؤمنوا وتتقوا (يستبدل قوما غيركم) أي يخلق قوما سواكم على
 خلاف صفتكم واغين في الايمان والتقوى (ثم لا يكونوا أمثالكم) في التولي عنه والزهد
 في الايمان كقوله تعالى ويأت بخلق جديد قيل هم الملائكة وقيل الانصار وعن ابن عباس كندة
 واتضع وعن الحسن العجيم وعن عكرمة فارس والروم ومثل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
 القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على نغذه وقال هـ ذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان
 الايمان منوطا بالثنا وله رجال من فارس رواه الترمذي والحاكم وصححه ومارواه
 البيضاوي بهما للزنجشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة محمد كان حقا على الله
 تعالى ان يسقيه من أنهار الجنة حديث موضوع

﴿سورة الفتح مكية﴾

وهي تسع وعشرون آية وخمسة وستون كلمة وألفان وأربع مائة وثمانية وثلاثون حرفا
 (بسم الله) أي المحيط بكل شيء قدرة وعلم (الرحمن) الذي عم خلقه بنعمه (الرحيم) الذي خص
 أهل وداده بمزيد فضله روى زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يسير مع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فقال له عمر عن شيء فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه قال عمر
 ففكرت بعيري حتى تفتت امام الناس وخشيت أن يكون نزل في قرآن فانشبت ان سمعت
 صارا خابصر غي ففكرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعت عليه فقال لقد أنزلت على الليلة
 سورة هي أحب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ (انا فتحنالك) أي بما لنا من العظمة التي
 لا تثبت لها الجبال (قصصا مبينا) أي لاليس فيه على احد واختلاف في هذا الفتح فروى عن
 أنس انه فتح مكة وقال بجاهد فتح خيبر والاكثرون على أنه صلح الحديبية قال أنس نزلت على
 النبي صلى الله عليه وسلم انا فتحنالك الى آخر الآية عند مرجعه من الحديبية وأصحابه هفالطوا
 الحزن والحكاية فقال نزلت على آية هي أحب الي من الدنيا جميعها فلما تلاها نبي الله صلى الله
 عليه وسلم قال رجل من القوم هنيأ مر يا قديين الله لك ما يفعل بك فاذا يفعل بنا فنزل الله تعالى
 ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى ختم الآية وقيل فتح الروم
 وقيل فتح الاسلام بالحنة والبرهان والسيف واللسان وقيل الفتح المحكم لقوله تعالى فافتح بيننا
 وبين قومنا بالحق وقوله تعالى ثم يفتح بيننا بالحق فن قال هو فتح مكة قال لأنه مناسب لا آخر
 السورة التي قبلها من وجوه أحدها انه تعالى لما قال ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل
 الله الى ان قال ومن يخل فانما يخل عن نفسه بين تعالى انه فتح لهم مكة وغفوا ديارهم وحصل

لهم اضعاف ما أنفقوا ولو بخلوا الضاع عليهم ذلك فلا يكون بخلهم الاعلى أنفسهم ثانياً لما قال
تعالى والله معكم وقال تعالى وأنتم الاعلون بين برهانه بفتح مكة فانهم كانوا هم الاعلون ثالثها
لما قال تعالى فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وكان معناه لا تسألوا الصلح بل اصبروا فانكم تستلوا
الصلح كما كان يوم الحديبية فكان المراد فتح مكة حيث أتى صناديد قريش مستأمنين ومؤمنين
ومسلمين ومستسلمين (فان قيل) ان كان المراد فتح مكة فمكة لم تكن فتحت فكيف قال تعالى
فتصا بمناقب الماضي (أجيب) من وجهين أحدهما فتصا في حكمنا وتقديرنا ثانياً ما قدره
الله تعالى فهو كائن فأخبر بصيغة الماضي إشارة الى أنه أمر واقع لا دافع له وأما حجة قول
الاكثرين على انه صلح الحديبية فلما روى البراء قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة
فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كما مع النبي صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة
والحديبية بترقرحنا فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على
شفيرها فدعا بالقاء فتوضأ ثم تغمض ودعا وصبه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه
وقبل جاش حتى امتلأت ولم يتقدماؤها بعد وقال الشعبي في قوله تعالى انا فتحنالك
فتصا مينا قال فتح الحديبية غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأطعموا فخل خيبر وبلغ الهدى
محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على الجوس قال الزهري
ولم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم
فتمكن الاسلام في قلوبهم واسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر سواد الاسلام وقال البغوي انا
فتحنالك فتصا مينا أي قسنا لك قضاء مينا وقال الضحاك أي بغير مال وكان الصلح من الفتح
واختلاف قول المفسرين في معنى اللام في قوله تعالى (ليغفر لك الله) أي الملك الاعظم فقال
البيضاوي علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في اعلاء الدين وازاحة
الشرك وتكميل النفوس الناقصة وقال البغوي قيل اللام لام كي معناه انا فتحنالك فتصا
مينا الصكي يجمع لك مع المغفرة تمام النعمة في الفتح وقال الجلال المحلى اللام لعله الغاية
فدخلها مسبب لاسبب وقال بعضهم انها لام القسم والاصل ليغفرن فكسرت اللام تشبيها
بالام كي وحذفت النون وردها بآب اللام لا تكسر وبأنها لا تنصب المضارع قال ابن عادل وقد
يقال ان هذا ليس بنصب وانما هو بقاء الفتح الذي كان قبل نون التوكيد يبقى اي دل عليها وانما
قول مردود وقال الزمخشري فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة
للمغفرة ولكن لاجتماع ما عد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهذاية الصراط
المستقيم والنصر العزيز كانه قال يسرنالك فتح مكة ونصرنا لك على عدوك لتجمع لك بين عز الدارين
واغراض الاجل والعاجل ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدوسبب للمغفرة
والثواب اه قال ابن عادل وهذا الذي قاله مخالف لظاهر الآية فان اللام داخله على المغفرة
فتكون المغفرة علة للفتح والفتح معلل به افكان ينبغي أن يقول كيف جعل فتح مكة معللا
بالمغفرة ثم يقول لم يجعل معللا اه وقيل غير ذلك والاسم ما اقتصر عليه الجلال المحلى واختلف أيضا

في الذنب في قوله تعالى (ما تقدم من ذنبك) فقال البقاعى أى الذى تقدم في القتال أمرك بالاستغفار له وهو ما تنتقل عنه من مقام كامل الى مقام فوقه أكل منه فترام بالنسبة الى اكملية المقام الثانى ذنبا وكذا قوله تعالى (وما تأخر) وقال الرازى المغفرة المعتبرة لها درجات كما أن الذنوب لها درجات حسنات الابراشيئات المقترين وقال عطاء الخراسانى ما تقدم من ذنبك يعنى ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك وما تأخر ذنوب أمتك بدعوتك وقال سفيان الثوري ما تقدم ما علمت في الجاهلية وما تأخر كل شئ لم تعمله قال البغوى ويذكر مثل ذلك على سبيل التأكيد كما يقال أعطى من رآه ومن لم يره وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد وقيل المراد به ترك الافضل وقيل الصغار على طريق من جوز الصغار على الانبياء وقيل المراد بالمغفرة العصمة ومعنى قوله تعالى وما تأخر قيل انه وعد النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لا يذنب بعد النبوة وقيل ما تقدم على الفتح وما تأخر عنه وقيل المراد ذنب المؤمنين وقيل غير ذلك والاولى في ذلك هو الاول واختلف أيضا في النعمة في قوله تعالى (ويتم نعمته عليك) فقال البقاعى بنقله من عالم الشهادة الى عالم الغيب ومن عالم الكون والفساد الى عالم الثبات والصلاح الذى هو أخص بحضوره وأولى برحمته واطهار أصحابك من بعدك على جميع أهل الملل وقال البيضاوى باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة وقال الجلال المحلى بالفتح المذكور وقيل ان التكليف عند الفتح تمت حيث وجب الحج وهو آخر التكليف والتكليف نعمة وقيل يا جللاء الأرض لك عن معانديك فان يوم الفتح لم يبق للنبي صلى الله عليه وسلم عدو فان بعضهم قتل يوم بدر والباقي آمنوا واستأنوا يوم الفتح وقيل ويتم نعمته عليك في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فباستجابة دعائك في طلب الفتح وفي الآخرة بقبول شفاعتك وقيل غير ذلك والاولى وأولى واختلف أيضا في معنى الهداية في قوله تعالى (ويهديك صراطا) أى طريقا (مستقيما) أى واضحا جليا فقال البقاعى أى بهداية جميع قومك * ولما كانت هدايتهم من هدايته أضافها سبحانه اليه اعلاما له أنها هداية تليق بجناحه الشريف سروراه وقال البيضاوى في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وقيل يهدي بك وقيل يديك على الصراط المستقيم وقيل جعل الفتح سبب الهداية الى الصراط المستقيم لانه سهل على المؤمنين الجهاد لعلمهم بقوائده العاجلة والآجلة وقيل المراد التعريف أى لتعرف انك على صراط مستقيم (وينصر لك الله) أى على ملوك الامم نصر ايليق اسناده الى اسمه المحيط بسائر العظم (نصرا عزيزا) أى يغلب المنصور به كل من ناواه ولا يغلبه شئ مع دوامه فلا ذل بعده لان الامة التى تصف به لا يظهر عايبها أحد والدين الذى قضاء لاجله لا يقسح شئ (فان قيل) ان الله تعالى وصف النصر بكونه عزيزا والعز يزمن له النصر (أجيب) من وجهين أحدهما قال الزمخشري انه يحتمل وجوها ثلاثة الاول معناه نصر اذا عزة كقولك في عيشة راضية أى ذات رضا ثانياها وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازا يقال له كلام صادق كما يقال له متكلم صادق ثالثها المراد نصر عزيزا صاحبه الوجه الثانى أن يقال انما يلزم ما ذكره الزمخشري اذا قلنا

العزة في الغلبة والعزير الغالب وأما إذا قلنا العزيز هو النفيس القليل النظير والمحتاج اليه
 القليل الوجود يقال عز الشئ في سوق كذا أى قل وجوده مع انه محتاج اليه فالنصر كان
 محتاجا اليه ومثله لم يوجد وهو أخذيت الله تعالى من الكفار المقيمين فيه من غير عدد ولا عدد
 (هو) أى وحده (الذى أنزل) أى في يوم الحديبية وغيره (السكينة) أى الثبات على الدين
 والطمأنينة (في قلوب المؤمنين) أى الراغبين في الايمان وهم أهل الحديبية بعد ان دهمهم فيها
 ما من شأنه ان يزجج النفوس ويزيغ القلوب من صد الكفار ورجوع العصاة دون بلوغ
 مقصودهم فلم يرجع أحد منهم عن الايمان بعد ان هاج الناس وزلزلوا حتى عمر مع انه فاروق
 ومع وصفه في الكتب السابقة بانه قرن من حديد فما لظن بغيره وكان عند الصديق من القدم
 الثابت والاصل الراشح ما علم به انه لم يسابق ثم ثبتهم الله تعالى أجمعين وقال الرازي السكينة
 الثقة بوعده الله والصبر على حكم الله وقيل السكينة ههنا معنى يجمع فوزا وقوة وروحا يسكن
 اليه الخائف ويتسلى به الحزين وأثر هذه السكينة الوفا والخشوع وظهور الحزم في الامور راه
 وقال أكثر المفسرين ان هذه السكينة غير السكينة المذكورة في قوله تعالى يأتيكم التابوت
 فيه سكينة من ربكم ويحتمل أن تكون هي تلك لأن المقصود منها على جميع الوجوه اليقين
 وثبات القلب (ليزدادوا) أى بصديق الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال لهم انه لا بد أن
 تدخلوا مكة وتطوفوا بالبيت (إيماننا) عند الصديق بالغيب (مع إيمانهم) الثابت من قبل هذه
 الواقعة وبشرائع الدين مع إيمانهم بالله واليوم الآخر وقال القشيري بطلوع اقدارين اليقين
 على نجوم عـ لم اليقين ثم بطلوع شمس حق اليقين على بدر عين اليقين وقال ابن عباس بعث الله
 رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا اله الا الله فلما صدقوا زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام
 ثم الحج ثم الجهاد حتى أكمل لهم دينهم فكما أمر وأبشى فصداقوه ازدادوا وتصديقوا الى
 تصديقهم وقال النخعي يقينه مع يقينهم وقيل ازدادوا إيمانا استدلالا مع إيمانهم الفطري
 (فان قيل) ما الحكمة في قوله تعالى في حق الكفار انما على لهم ليزدادوا انما ولم يقل مع كفرهم
 وقال في حق المؤمنين ليزدادوا إيماننا مع إيمانهم (أجيب) بأن كفر الكافر عنادى وليس
 في الوجود كفر فطرى ولا في الامكان كفر غير عنادى لينضم الى الكفر العنادى بل الكفر
 ليس الاعنادا وكذلك الكفر بالفروع لا يقال انضم الى الكفر بالاصول لأن من ضرورة الكفر
 بالاصول الكفر بالفروع وليس من ضرورة الايمان بالاصول الايمان بالفروع بمعنى الطاعة
 والانقياد ولهذا قال تعالى ليزدادوا إيماننا مع إيمانهم (ولله) أى الملك الاعظم الذى أنزل
 السكينة في قلوب المؤمنين (جنود السموات والارض) فهو قادر على اهلاك عدوه بجنوده
 بل بصيحة ولم يفعل بل أنزل السكينة على المؤمنين ليكون اهلاك أعدائهم بأيديهم فيكون لهم
 الثواب وجنود السموات والارض الملائكة وقيل جنود السموات الملائكة وجنود الارض
 الجن والحوانات وقيل الاسباب السماوية والارضية (وكان الله) أى الملك الاعظم أنزلا
 وأبدا (علما) أى بالذوات والمعاني (حكما) في اتقان ما يصنع وقوله تعالى (ليدخل) متعلق

بمحذوف أى امر بالجهاد ليدخل (المؤمنين والمؤمنات) الذين جبلتهم جبلته خير بجهاد بعضهم
 ودخول بعضهم في الدين بجهاد المجاهدين ولوسط على الكفار جنوده من أول الامر
 فأهلكوهم أو دمر عليهم بغير واسطة لفات دخول أكثرهم الجنة وهم من آمن منهم بعد صلح
 الحديبية (جنات) أى بساتين لا يصل الى عقولكم من وصفها الا ما تعرفونه بعقولكم وان كان
 الامر أعظم من ذلك (تجربى من تحتها الانهار) فأى موضع أردت أن تجربى منه نهر اقدرت
 على ذلك لان الماء قريب من وجه الارض مع صلاحيتها وحسنها (خالدين فيها) أى لا الى آخر
 (فان قيل) ما الحكمة في انه تعالى ذكر في بعض المواضع المؤمنين والمؤمنات وفي بعضها اكتفى
 بذكر المؤمنين ودخلت المؤمنات فيهم كقوله تعالى قد أفلق المؤمنون وقوله تعالى وبشر المؤمنين
 (أجيب) بأنه في المواضع التي فيها ما يوجب اختصاص المؤمنين بالخير الموعود به مع مشاركة
 المؤمنات لهم ذكرهن الله تعالى صريحا وفي المواضع التي فيها ما لا يوجب ذلك اكتفى بدخولهم
 في المؤمنين كقوله تعالى وبشر المؤمنين ولما كان ههنا قوله تعالى ليدخل المؤمنين متعلقا بالامر
 بالقتال والمرأة لا تقابل فلا تدخل الجنة الموعود بها فصرح الله تعالى بذكرهن (ويكفر)
 أى يستتر بربليغا (عنهم سيئاتهم) فلا يظهرها (فان قيل) تكفير السيئات قبل الادخال
 فكيف ذكره بعده (أجيب) بأن الواو لا تقتضى الترتيب وبأن تكفير السيئات والمغفرة
 من توابع كون المكاف من أهل الجنة فقدم الادخال في الذكر بمعنى انه من أهل الجنة
 (وكان ذلك) أى الادخال والتكفير (عند الله) أى الملك الاعظم ذى الجلال والاكرام
 (فوزا عظيما) لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع ودفع ضرر * (تنبيه) * عند متعلق بمحذوف
 على أنه حال من فوزاه ولما كان من أعظم الفوزا قرار العين بالانتقام من العدو وكان العدو
 الكاتم أشد من الجاهر المراغم قال تعالى (ويعذب المنافقين) المحضين للكفر المظهرين للايمان
 أى فيزيل كل ماله من العذوبة (والمناققات) لما غاظهم من ازدياد الايمان (والمشركين
 والمشركات) أى المظهرين الكفر لاهؤمنين وقدم المنافقين على المشركين في كثير من المواضع
 لانهم كانوا أشد على المؤمنين من الكفار الجاهرين لان المؤمن كان يتوقى المشرك الجاهر
 ويخالط المنافق لظنه ايمانه وكان يفشى أسراوه والى هذا اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله
 أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ولهذا قال الشاعر

احذر عدوك مرة * واحذر صديقك ألف مرة

فلربما انقلب الصديق فكان أخيرا بالمضرة

وقوله تعالى (الظانين بالله) أى المحيط بصفات الكمال صفة للفريقين وأما قوله تعالى (ظن السوء)
 فقال أكثر المفسرين هو أن لا ينصر محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة
 ظافرين (عليهم دائرة السوء) أى دائرة ما يظنونونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم
 لا يتخطاهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم السين والباقون بالفتح وهما القتان كالكره والكراهة
 والضعف والضعف من سوء الا أن المفتوح غلب في أن يضاف اليه ما يردفته من كل شئ

وأما السوء فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير (وغضب الله) أي الملك الاعظم بحاله من صفات الجلال والجمال فاستعلى غضبه (عليهم) وهو أنه تعالى يعاملهم معاملة الغضبان بما لا طاقة لهم به (ولعنهم) أي طردهم طردا زلوا به أسفل السافلين فبعدوا به عن كل خير (وأعد) أي هيا (لهم) الآن (جهنم) تلقاهم بالعبوسة والتغيظ والزفير والتجهم كما كانوا يجهمون عباد الله مع ما فيها من العذاب والحز والبرد والاحراق وغير ذلك من أنواع المشاق (وساءت) أي جهنم (مصيرا) أي مرجعا وقوله تعالى (ولله) أي الملك الاعظم (جنود السموات والارض) تقدم تفسيره وفائدة الاعادة التأكيد وجنود السموات والارض منهم من هو للرحمة ومنهم من هو للعذاب وقد ذكر جنود السموات والارض قبل ادخال المؤمنين الجنة ليكون مع المؤمنين ملائكة الرحمة فتبشرهم على الصراط وعند الميزان فاذا دخلوا الجنة أفضوا الى جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه فلا حاجة لهم بعد ذلك الى شيء وأخذ كل جنود السموات والارض بعد ذكر تعذيب الكفار والمنافقين ليكون معهم جنود السخط فلا يفرقونهم أبدا كما قال تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم (فان قيل) قال الله تعالى وكان الله عليا حكيما وقال هنا (وكان الله) أي الملك الذي لا أمر لاحد معه أزلا وأبدا (عزيزا) أي يغلب ولا يغلب (حكيما) أي يضع الشيء في أحكم مواضعه فلا يستطيع نقض شيء مما ينسب اليه (أجيب) بأنه لما كان في جنود السموات والارض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله تعالى ضعف المؤمنين ناسب أن تكون خاتمة الآية الثانية وكان الله عزيزا حكيما (أنا) أي بالنامن العز والحكمة (أرسلناك) أي بملائكتنا العظيمة الى الخلق كافة (شاهدا) على أفعالهم من كفر وإيمان وطاعة وعصيان من كان يحضرك فبنفسك ومن كان بعد موتك أو غابا عنك فبكاتبك مع ما أيدنا ليه من الحفظ من الملائكة الكرام (ومبشرا) أي لمن أطاع بأنواع البشائر (ونذيرا) أي مخوفا لمن خالفك وعصى أمرك بالنار ثم بين تعالى فائدة الارسل بقوله سبحانه (ليؤمنوا بالله) أي لا يسوغ لاحد من خلقه والكفر والكل خلقه التوجه الى غيره (ورسوله) أي الذي أرسله من له كل شيء ملكا وخلقا الى جميع خلقه (ويعزروه) أي يعينوه وينصرونه والتعزير نصر مع تعظيم (ويوقروه) أي يعظمونه والتوقير التعظيم والتبجيل (ويسبحوه) من التسبيح الذي هو التنزيه عن جميع النقائص أو من السجدة وهي الصلاة قال الرحمن عز وجل والمراد بعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فقد أبعد وقال غيره الكتابات في قوله ويعزروه ويوقروه راجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندنا هم الكلام فالوقوف على ووقروه وقف تام ثم يتبدى بقوله تعالى ويسبحوه (بكرة وأصيل) أي غدوة وعشيا أي دائما وعن ابن عباس صلاة الظهر وصلاة الظهر والعصر على أن الكتابة في ويسبحوه راجعة الى الله عز وجل وقال البقاعي الافعال الثلاثة يحتمل أن يراد بها الله تعالى لأن من سعى فيقع الكفار فقد فعل المعز والموقر فيكون اما عائدا على المذكور واما أن يكون جعل الاسمين واحدا إشارة الى اتحاد المسبحين

في الامر فلما اتخذا امرهما وحدا الضمير اشارة الى ذلك اه فعنده انه يصح رجوع الثلاثة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه فسروا بسجوه بقوله ينزهوه عن كل وخيمة باخلاف الوعد بدخول مكة والطواف بالبيت الحرام ونحو ذلك وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبالياء في الاربعة على الغيبة رجوعا الى قوله تعالى ليدخل المؤمنون والمؤمنات والباقون بالثناء على الخطاب ولما بين تعالى أنه مرسل ذكر أن من بايع رسوله فقد بايعه فقال تعالى (ان الذين يبايعونك) يا أشرف الرسل بالحديبية على أن لا يفروا (انما يبايعون الله) أي الملك الاعظم لان عملك كله من قول أو فعل له تعالى وما ينطق عن الهوى وسميت مبايعة لانهم باعوا أنفسهم فيهم امن الله تعالى بالجنة قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة الآية وروى يزيد بن أبي عبيد قال قلت لسلمة بن الأكوع على أي شيء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية قال على الموت وعن معقل بن يسار قال اقدرايتني يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وأنا رافع غصنا من أغصانها عن رأسه ونحن أربعة عشر مائة قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر قال أبو عيسى معنى الحديثين صحيح بايعه جماعة على الموت أي لانزال نقاتل بين يديك ما لم نقتل وبايعه آخرون وقالوا لا نفر وقوله تعالى (يد الله) أي المتردى بالكبرياء (فوق أيديهم) أي في المبايعة يحتمل وجوها وذلك أن اليد في الموضعين إما أن تكون بمعنى واحد وإما أن تكون بمعنى فان كانت بمعنى واحد ففيه وجهان أحدهما قال الكلبي نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة كما قال تعالى بل الله ين عليكم أن هذا لكم للإيمان ثانيهما قال ابن عباس ومجاهد يد الله بالوفاء بما وعدهم من النصر والخير أقوى وأعلى من نصرتهم إياه يقال اليد فلان أي الغلبة والقوة وان كانت بمعنى في حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة قال السدي كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبايعونه ويد الله تعالى فوق أيديهم في المبايعة وذلك أن المتبايعين اذا مداحدهما يده الى الآخر في البيع وبينهما ثالث يضع يده على أيديهما ويحفظ أيديهما الى أن يتم العقد ولا يترك أحدهما يتركيدا الآخر لكي يلزم العقد ولا يتفاسخان فصار وضع اليد فوق الايدي سببا لحفظ البيعة فقال تعالى يد الله فوق أيديهم يحفظهم على البيعة كما يحفظ المتوسط أيدي المتبايعين قال البقاعي فلعمرة الله على من حمله على الظاهر من أهل العناد بيدعة الاتحاد وعلى من تبعهم على ذلك من الذين شاقوا الله ورسوله عليه الصلاة والسلام وسائر الأمة الاعلام ورضوا لانفسهم بأن يكونوا أتباع فرعون اللعين وناهيك به من ضلال مبين اه وقد مر ان التأويل في الآيات المتشابهات مذهب الخلف ومذهب السلف السكوت عن التأويل وامر الصافات على ما جاءت وتفسيرها قراءتها والايان بها من غير تشبيه ولا تكليف ولا تعطيل (فن نسكت) أي نقض البيعة في وقت من الاوقات فجعلها كالكساة والحبل البالي الذي ينقض (فانما ينكت) أي يرجع وبال نقضه (على نفسه) أي فلا يضره الا هي (ومن اوفى) أي فعل الاتمام والا كما رواه الاطالة (بما عاهد) وقدم الطرف في قوله

(عليه الله) أي الملك المحيط بكل شيء قدرة وعلم من هذه المبايعات وغيرها اهتمام به وقرأ - فص
بضم الهاء قبل الاسم الجليل والباقون بكسر الهاء والترقيق (فسيؤتبه) بوعدم مؤ كد لا خلف
فيه (أجر عظيم) لا تسع عقولكم شرح وصفه قال ابن عادل والمراد به الجنة وقرأ أبو عمرو
والكوفيون بالياء التحتية والباقون بالنون * وما ذكر تعالى أهـ لبيعة الرضوان وأضافهم - م
إلى حضرة الرحمن ذكر من غاب عن ذلك الجنب وأبطأ عن حضرة تلك العمرة بقوله تعالى
(سيقول) أي بوعد لا خلف فيه (لك) أي لأنهم يعلمون شدة رحمتك ورفقتك وشفقتك على عباد
الله فهم يطعمون في قبولك من فاسد عذرهم ما لا يطعمون فيه من غيرك من خلص المؤمنين
(المخلفون) أي الذين خلقهم الله تعالى عنك فلم يرضهم لصحبتك في هذه العمرة فجعلهم كالشيء
التافه الذي يخلقه الإنسان لأنه لا فائدة فيه فلا يعاب به وقال تعالى (من الأعراب) ليخرج
من تخلف بالجسد من خلص الانصار وغيرهم ممن كان حاضرا معه صلى الله عليه وسلم بالقلب قال
ابن عادل وابن عباس ومجاهد يعني بالأعراب أعراب غفار ومن ينة وجهينة وأتجمع وأسلم
وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من
حول المدينة من الأعراب والبدو أي ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو
يصدوه عن البيت فأحرم بالعمرة وساق معه الهدى ليعلم الناس أنه لا يريد حربا فتناقل كثير من
الأعراب وتخلقوا واعتلوا بالشغل فأنزل الله تعالى فيهم سيقول لك المخلفون أي الذين خلفهم - م
الله تعالى من الأعراب عن صحبتك إذا رجعت إليهم من عمرتك وعاتبتهم - م على التخلف (شغلنا)
أي عن أجابتك في هذه العمرة (أموالنا وأهلونا) أي النساء والذراري فأنالوا تركناهم
لضاعوا لأنه لم يكن لنا من يقوم بهم - م وأنت قد نهيت عن ضياع المال والتفريط في العيال
ثم سبوا عن هذا القول المراد به سوء قولهم (فاستغفر) أي اطلب المغفرة (لنا) من الله تعالى
أن كنا أخطأنا وقصرنا فأكذبهم الله تعالى في اعتذارهم بقوله سبحانه وتعالى (يقولون بألسنتهم)
أي في الشغل والاستغفار وأكذبهم الله تعالى كما أفهمه ذكر اللسان من أنه قول ظاهري نقيا للكلام الحقيقي
الذي هو النفس بكل اعتبار بقوله تعالى (ما ليس في قلوبهم) لأنهم لم يكن لهم شغل ولا كانت
لهم نية في سؤال الاستغفار فانهم لا يبالون استغفارهم الرسول أم لا (قل) يا أشرف الرسل
لهؤلاء الأغنياء واعظا لهم مسييا عن مخادعتهم لمن لا تخفى عليه خافية إشارة إلى أن العاقل
يقبح عليه أن يقدم على ما هو بحيث تخشى عواقبه (فمن يملك لكم) أي أيها المخادعون (من)
الله) أي الملك الذي لا أمر لا خدمه لأنه لا كف له (شيأ) عنكم (أن أراد بكم ضرا) أي نوعا
من أنواع الضرر عظيما أو فقيرا فاهلك الأموال والاهلين وأنتم محتاطون في حفظها فلم ينفعها
حضوركم وأهلككم أنتم وقرأ حزة والكسائي بضم الصاد والباقون بفتحها (أو أراد بكم
نفعاً) يحفظهم ما به في غيبتكم فلا يضرهم بعدكم عنهم ويحفظكم في أنفسكم (بل كان الله)
أي المحيط أزلا وأبدا بكل شيء قدرة وعلم (بما تعملون) أي أيها الجهلة (خييرا) يعلم بواطن
أموالكم هذه وغيرها كما يعلم ظواهرها (بل ظننتم) أي فأنتم واقفون مع الظنون الظاهرة ليس

لكم نفوذ الى البواطن وقرأ الكسافي بادغام اللام في الظاء والباقيون بالاظهار وأشار الى
 قل كد ظنهم على زعمهم بقوله تعالى (أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا) أى
 ظننتم أن العدو ليس تأصلهم ولا يرجعون لما في قلوبكم من عظمة المشركين وحساسة المؤمنين
 فعملكم ذلك على أن قلتم ما هم في قريش إلا أكلة وأس (فان قيل) ما الفرق بين حرفي الاضراب
 (أجيب) بأن الاضراب الاول اضراب معناه رد أن يكون حكم الله أن لا يتبعوه واثبات الحسد
 والثاني اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين أى وصفهم بما هو أعم منه وهو الجهل
 وقلة الفقه (وزين ذلك) أى الامر القبيح الذى هو خراب الدنيا (فى قلوبكم) حتى قلتموه
 (وظننتم) أى بذلك وغيره مما يترتب عليه من اظهار الكفر وما يتفرع عنه (ظن السوء) أى
 الذى لم يدع شيئا مما يكره غاية الكراهة إلا حاط به وقوله تعالى (وكنتم قوما بورا) جمع بالمرأى
 ها لكن عند الله تعالى بهذا الظن وهذا بالنظر الى الجمع من حيث هو جمع لا بالنسبة الى كل
 فرد فانه قد أخلص منهم بعد ذلك كثير وثبتوا ولم يرتدوا (ومن لم يؤمن) أى منكم ومن غيركم
 (بالله) أى الذى لا موجود على الحقيقة سواه (ورسوله) أى الذى أرسله لاظهار دينه (فانا)
 على ما لنا من العظمة (اعتدنا) أى له هكذا كان الاصل ولكنه قال تعالى معللا لكم
 بالوصف (للكافرين) اذا اناباته لم يجمع الايمان به ما فهو كافرا وأعدله (سعيوا) أى نارا
 شديدة (وقه) أى الملك الاعظم وحده (ملك السموات والارض) أى من الجنود وغيرها
 يدبر ذلك كله كيف يشاء (يفقر لمن يشاء ويعذب من يشاء) أى لا اعتراض لاحد عليه
 لانه لا يجب عليه شئ ولا يكافئه أحد وليس هو كالمالوك الذين لا يتمكنون من مثل ذلك الكثرة
 الا كفاء المعارضين لهم فى الجملة وعلم من هذا أن منهم من يرتفع به ومنهم من يثبت على
 الاسلام فيغفر له لانه لا يعذب بغير ذنب وان كان له أن يفعل ذلك لانه لا يستل عما يفعله وملكه
 تام فتصرفه فيه عدل كيف كان (وكان الله) أى المحيط بصفات الكمال أزلا وأبدا لم يتجدد له
 شئ لم يكن (عقورا) أى لذنوب المسيئين (رحيما) أى مكرما بعد الاستر بما لا تسعه العقول
 وقدرته على الانعام كقدرته على الاتقام (سيقول) أى بوعده لا خلف فيه (المخلفون) أى الذين
 تخلفوا عن الحديبية (اذا انطلقتم) أى سرتهم أيها المؤمنون (الى مغنم لتأخذوها) أى مغنم
 خير وذلك أن المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من المغنم شيئا
 وعدهم الله تعالى فتح خير وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم أهل مكة
 حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيئا (ذرونا) أى على أى حالة شئتم من الاحوال الدينية
 (تبعكم) أى الى خير لتشهد معكم قتال أهلها وفى هذا بيان كذب المخلفين عن الحديبية حيث
 قالوا شغلنا أموالنا واهلونا اذ لم يكن لهم هذا الطمع فى الغنمة وهنا قالوا ذرونا تتبعكم حيث
 كان لهم طمع فى الغنمة (يريدون) أى بذهابهم معكم (أن يتلوا كلام الله) أى يريدون
 أن يغيروا مواعد الملك الاعظم لاهل الحديبية بغنمة خير خاصة وهذا قول جمهور المفسرين
 وقال مقاتل يعنى أمر الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حيث أمره أن لا يسير معه منهم أحد

الى خير وقال ابن زيد هو أن النبي صلى الله عليه وسلم لما تخلف القوم أطلعهم الله تعالى على
 ظنهم وأظهر له تفاقمهم وقال للنبي صلى الله عليه وسلم فاذا استأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا
 معي أبدا وقرأ حزة والكسافي بكسر اللام بعد الكاف ولا ألف بعد اللام والباقون بفتح اللام
 وألف بعدها (قل) يا أشرف الخلق لهؤلاء المبعدين اذا بلغك كلامهم أنت بنفسك فان غيرك
 لا يقوم مقامك في هذا الامر المهم قولوا مؤكدا (لن تتبعونا) أي وان اجتهدتم في ذلك وساقه
 مساقاة النبي وان كان المراد به النهي مع كونه آكد ليكون علما من أعلام النبوة وهو أن زجر
 وأدل على استهانتهم (كذلكم) أي مثل هذا القول البديع الشأن العالي الرتبة (قال الله) أي
 الذي لا يكون الا ما يريد وليس هو كالمولوك الذين لا قدرة لهم على الغفران لمن شاؤوا والعقاب لمن
 شاؤوا (من قبل) أي من قبل مرجعنا اليكم ان غنمة خير لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها
 نصيب ولما كانوا منافقين لا يعتقدون شيئا من هذه الاقوال بل يظنون انها حيل على التوصل
 الى المرادات الدنيوية بسبب عن قوله لهم ذلك قوله تعالى تنبيه على خلافهم وفساد ظنونهم
 (فسيقولون) ليس الامر كما ذكر مما ادعى أنه قول الله تعالى (بل) انما قلتم ذلك لانكم
 (تفسدوننا) فلا تريدون أن يصل الينامن مال الغنائم شيء وقرأ هشام وحزة والكسافي بادغام
 اللام في التاء والباقون بالظهار (بل كانوا) أي جبهة وطبعا (لا يفقهون) أي لا يفهمون
 فهم الحاذق الماهر (الاقليلا) أي في أمر دنياهم ومن ذلك اقرارهم باللسان لاجلها وأما أمور
 الآخرة فلا يفقهون منها شيئا (قل) أي يا أشرف الرسل (للمخلفين) وزاد في ذمتهم بنسبتهم
 الى الجلالة بقوله تعالى (من الاعراب) أي أهل غلظ الالكباد (ستدعون) بوعده لا خلف فيه
 (الى قوم أولى) أي أصحاب (بأس شديد) أي شدة في الحرب وشجاعة قال ابن عباس
 ومجاهد هم أهل فارس وقال كعب الروم وقال الحسن فارس والروم وقال سعيد بن جبير
 هو ازن وثقيف وقال قتادة هو ازن وغطفان قوم حنين وقال الزهري ومقاتل وشجاعة
 هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة أصحاب مسيلة الكذاب وقال رافع بن خديج كانوا قرأ هذه
 الآية ولا تعلم من هم حتى دعا أبو بكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا أنهم هم وقال أبو هريرة لم يأت
 تأويل هذه الآية بعد قال ابن الحارث وأقوى هذه الاقوال قول من قال أنهم هم هو ازن
 وثقيف لان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده قول من قال أنهم هم بنو حنيفة
 أصحاب مسيلة الكذاب وقوله تعالى (تقاتلونهم أو يسلمون) فيه اشارة الى وقوع
 أحد الأمرين اما المقاتلة منكم واما الاسلام منهم فان لم يسلموا كان القتال لا غير وان أسلموا
 لم يكن قتال لان الغرض ليس الا اعلاء كلمة الله تعالى (فان تطيعوا) أي تواقعوا الطاعة للداعي
 الى ذلك (يوثكم الله) أي الذي له الاحاطة (أجرا حسنا) دنيا وهو الغنمة وأخرى وهي الجنة
 (وان تتولوا) أي تعرضوا عن الجهاد (كما توليتم من قبل) أي عام الحديبية (يعذبكم) أي
 يخالطكم بعقوبة تزيل العذوبة في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما (عذابا أليما) لاجل تنكسر
 ذلك منكم فلما أنزلت هذه الآية قال أهل الزمالة كيف بنا يا رسول الله فأنزل الله عز وجل

(ليس على الاعشى) أى فى تخلفه عن الدعاء الى الخروج مع النبى صلى الله عليه وسلم أو مع غيره من أئمة الهدى (حرج) أى ميل بشقل الاثم لانه لا يمكنه الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز منه ولا الهرب (ولا على الاعرج) وان كان نقصه أدنى من نقص الاعشى (حرج) وفى معنى الاعرج الزمن المقعد والاقطع (ولا على المريض) أى بأى مرض كان ينعمه (حرج) وفى معناه صاحب السعال الشديد والطحال الكبير والذين لا يقدرّون على الكثر والقرّفة - هذه أذار مانعة من الجهاد ظاهرة ومن وراء ذلك أذار أخذون ماذكر كترريض المريض الذى ليس له من يقوم مقامه عليه * (تنبيه) * جعل تعالى كل جملة مستقلة تأكيذا لهذا الحكم وقدم الاعشى على الاعرج لأنّ عذرا الاعشى مستقر لا يمكن الانتفاع به فى حرس ولا غيره بخلاف الاعرج وقدم الاعرج على المريض لأنّ عذره أشد من عذرا المريض لا مكان زوال المرض عن قرب (ومن يطع الله) أى المحيط بجميع صفات الكمال المفيض من آثار صفاته على من يشاء ولو كان ضعيفا المانع منها من يشاء وان كان قويا (ورسوله) من المعذورين وغيرهم فيما نديا اليه بأى طاعة كانت (يدخله) أى الله الملك الاعظم جزاءه (جنات تجري من تحتها الأنهار) أى من أى موضع أردت أبحريت نهرا (ومن يتول) أى يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق (يعذبه) أى على تولى فى الدارين أو أحدهما (عذابا أليما) أى مؤلما وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون فيهما والباقون بالياء التسمية ولما بين تعالى حال المخلفين بعد قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله عادالى حال بيان المبايعين بقوله تعالى (لقد رضى الله) أى الذى له الجلال والكمال (عن المؤمنين) أى الراسخين فى الايمان أى فعل بهم فعل الراضى بما جعل لهم من الفتح وما قدر لهم من الثواب وأفهم ذلك أنه لم يرخص عن الكافرين فخذلهم فى الدنيا مع ما أعد لهم فى الآخرة فالآية تقرير لما ذكر من جزاء الفريقين بأمر ومشاهدة وقوله تعالى (اذ) أى حين (يبايعونك) منصوب برضى واللام فى قوله تعالى (تحت الشجرة) للعهد الذهنى وكانت شجرة فى الموضع الذى كان النبى صلى الله عليه وسلم نازلا به فى الحديبية ولاجل هذا الرضا سميت بيعة الرضوان وقصتها أن النبى صلى الله عليه وسلم والسلام حين نزل الحديبية بعث جواس بن أمية الخزاعى رسولا الى أهل مكة فهاجوا به فغناه الاحابيش وأحدها حبوش وهو الفوج من قبائل شتى فلما رجع دعا عمر لبيعة فقال انى أخافهم على نفسى لما أعرف من عداوتى اياهم وما بمكة عدوى يمنعنى ولكنى أدلك على رجل هو أعز بها منى وأحب اليهم عثمان بن عفان فبعثه فخيرهم أنه لم يأت الحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظم ما حرّمته فوقروه وقالوا ان شئت أن تطوف بالبيت فافعل فقال ما أفعل قبل أن يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبس عندهم فأرجف انهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم لا تبرح حتى تتأجر القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة روى البغوى من طريق الثعلبى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد من بايع تحت الشجرة وقال سعيد بن المسيب حدثنى أبى أنه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت

الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نذكر عليها وروى أن عمر مرتب ذلك المكان
 بعد أن ذهبت الشجرة فقال أين كانت فجعل بعضهم يقول ههنا وبعضهم يقول ههنا فلما أكثر
 اختلافهم قال سيروا قد ذهبت الشجرة وروى جابر بن عبد الله قال قال لنا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يوم الحديبية أنتم خير أهل الأرض وكنا ألفا وأربعمائة ولو كنت اليوم مبصرا لأريتكم
 مكان الشجرة وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في أصل الشجرة وعلى ظهره
 غصن من أغصانها قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على رأسه ويدي غصن من الشجرة
 اذبح عنه فرفعت الغصن عن ظهره وبأيعوه على الموت دونه على أن لا يفر وأقال لهم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم خير أهل الأرض وكان عدد المبايعين ألفا وخمسمائة وخمسة
 وعشرين وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة وقال عبد الله بن أبي أوفى كنا أصحاب
 الشجرة ألفا وثلاثمائة ولما دل على إخلاصهم بما وصفهم سبب عنه قوله تعالى (فعلم) أي بماله
 من الإحاطة (مافي قلوبهم) أي من الصدق والوفاء فيما يابيعوا عليه (فأنزل السكينة) أي
 الطمأنينة والامن بسبب الصلح (عليهم) أو بالتشجيع وسكون النفس في كل حالة ترضى الله
 ورسوله فلم يخافوا عاقبة القتال لما ندبوا إليه وإن كانوا في كثرة الكفار كالشجرة البيضاء
 في جنب النور الأسود (وأثابهم) أي أعطاهم جزاء لهم على ما وهبوه من الطاعة (فتحاقرىيا)
 هو فتح خيبر عقب انصرافهم وعن الحسن فتح هجر ونبه تعالى بصيغة منتهى الجموع في قوله
 تعالى (ومغانم) على أنها عظيمة ثم صرح بذلك بقوله تعالى (كثيرة تأخذونها) وهي مغانم خيبر
 وكانت أرضا ذات عقار وأموال فقسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم (وكان الله) أي
 الذي لا كف له (عزيزا) يغلب ولا يغلب (حكيم) أي يقضي ما يريد فلا ينقض فحكم لكم
 بالغنائم ولا عدايتكم بالهلال على أيديكم لينيبكم عليه (وعدكم الله) أي الملك الأعظم (مغانم)
 وحقق معناها بقوله تعالى (كثيرة تأخذونها) أي فيما يأتي من بلدان شتى لا تدخل تحت حصر
 وإيس المغانم كل الثواب بل الجنة والنظر إلى وجهه الكريم قد أمهم وانما هي كعاجلة عجل
 بها ولهذا قال تعالى (فجعل لكم) أي من الغنائم (هذه) أي مغانم خيبر (وكف أيدي الناس
 عنكم) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصرها هاهنا هاهنا قتال من أسد
 وغطفان أن يغيروا على عيال المسلمين وذراويهم بالمدينة فكف الله تعالى أيديهم بالقاء الرعب
 في قلوبهم فمكصوا وقيل أيدي أهل مكة بالصلح وقوله تعالى (ولتكون) أي هذه المعجزة
 عطف على مقدرا أي لتشكروه ولتكون (آية) أي علامة في غاية الوضوح (للمؤمنين) أي
 أنهم من الله تعالى بمكان أو صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه
 من الحديبية أو وعدهم الغنم أو عتوانا الفتح مكة (ويهدىكم صراطا) أي طريقا (مستقيما)
 أي يثبتكم على الإسلام ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر وذلك أن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج في سنة
 سبع إلى خيبر روى أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا بنا قوما لم يكن

يفز وبناحق يصبح ويظرفان سمع أذا ناكف عنهم وان لم يسمع أذا ناكف عنهم قال فخرجنا الى
خيبر فاتمهنا اليهم لم يلاقنا لم يصبح ولم يسمع أذا ناكف عنهم وركبنا وركبت خلف أبي طلحة وان
قدمي فمضى قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال فخرجوا اليها بكمالهم ومساحينهم فلما رأوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالوا والله محمد والخبيث أي الجيش فلما رأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الله أكبر خربت خيبر أنا اذ انزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وروى اياس بن سلمة
قال حدثني أبي قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعل عمي عامر يرنجز
بالقوم ثم قال

تالله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن عن فضلك ما استغنيينا * فثبت الاقدام ان لا قينا
* وأنزلن سكينتنا علينا *

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال أنا عامر فقال غفرلك ربك وما استغفر رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاحد الا استشهد قال فننادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يابني الله
لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب بخطر سيفه ويقول
قد علمت خيبراني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب
* اذا الحروب أقبلت تلتهب *

قال فبرز له عامر بن عثمان فقال

قد علمت خيبراني عامر * شاكي السلاح بطل مقامر

فاختلفا ضربتين فوق سيف مرحب في ترس عامر فرجع سيف عامر على نفسه فقطع أكله
فكانت فيها نفسه قال فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا بكى فقلت يا رسول الله بطل عمل
عامر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من أصحابك قال من قال ذلك
بل له أجره مرتين ثم أرسلني الى علي وهو أرمده فقال لا أعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله
ويحبه الله ورسوله فأتيت عليا فحثت به أقوده وهو أرمده حتى أتيت به رسول الله صلى الله عليه
وسلم فبصق في عينيه فبرئ وأعطاه الراية وخرج مرحب وقال

أنا الذي سمعتني أمي مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب

فقال علي كرم الله تعالى وجهه

أنا الذي سمعتني أمي حيدره * كليت غابات كرية المنظرة
* أكيلكم بالسيف كيل السندره *

قال فضرب رأس مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه ومعنى * أكيلكم بالسيف كيل السندره
أي أقتلكم قتلا واسعا ذريعا والسندرة ميكال واسع قيل يحتمل أن يكون اتخذ من السندرة
وهي شجرة يعمل منها النبل والقسي والسندرة أيضا الجملة والنون زائدة قال ابن الاثير
وذكرها الجوهري في هذا الباب ولم ينسبه علي زيادتها وروى فتح خيبر من طرق أخرى بعضها

زيادات وفي بعضها نقصان عن بعض وقوله تعالى (وأخرى) صفة مغنم مقدرا مبتدا وقيل
هي مبتدأ والخبر (لم تقدرُوا عليها) وهي كما قال ابن عباس فارس والروم وما كانت العرب
تقدر تقاتل فارس والروم بل كانوا خولا لهم حتى قدرُوا عليهما بالاسلام وقال الضحاك هي خير
وعدها الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم قبل أن يصيها ولم يكونوا يرجونها وقال قتادة هي مكة
وقال عكرمة حنين وقال البقاعي هي والله أعلم غنائم هوازن التي لم يحصل قبلها ما يقاربها
(قد أحاط الله) أي المحيط بكل شيء قدرة وعلمًا (بها) أي علم أنها ستكون لكم (وكان الله)
أي المحيط بجميع صفات الكمال أزلا وأبداً (على كل شيء) منها ومن غيرها (قديرا) أي بالغ
القدرة لأنه بكل شيء علِيم (ولو قاتلكم الذين كفروا) وهم أهل مكة ومن وافقهم وكانوا
قد اجتمعوا وجمعوا الأحاديث ومن أطاعهم وقدموا خالد بن الوليد طليعة لهم إلى كراع الغميم
ولم يكن أسلم بعد (لولا) أي بغاية جهدهم (الادبار) منهزمين (ثم) أي بعد طول الزمان
وكنة الأعوان (لا يجدون) أي في وقت من الاوقات (وليا) أي من يفعل معهم فعل
القريب من الشفقة (ولا نصرا) ينصرهم ولما كانت هذه عادة جارية قديمة مع أولياء الله
تعالى حيثما كانوا من الرسل وأتباعهم وأن جندنا لهم الغالبون قال تعالى (سنة الله) أي
سنن المحيط بكل شيء علما غلبة أنبيائه وأتباعهم (التي قد خلت من قبل) أي فيمن مضى من الامم
كما قال تعالى لا غلبن أنا ورسلي (ولن نجد) أيها السامع (سنة الله) أي الذي لا يخلف قوله لأنه
محيط بجميع صفات الكمال (تبدلا) أي تغييرا من غير ما يغيرها بما يكون بدلها ثم عطف على
ما تقديره هو الذي سن هذه السنة العاقمة قوله تعالى (وهو الذي كف) أي وحده (أيديهم)
أي الذين كفروا من أهل مكة وغيرهم فان الكف مشروع لكل أحد (عنكم وأيديكم) أيها
المؤمنون (عنهم يظن مكة) أي بالحدودية وقيل التنعيم وقيل وادي مكة وقيل داخل مكة (من
بعد ان أظفركم) أي أظهركم (عليهم) وهذا تبين لما تقدم من قوله تعالى ولو قاتلكم الذين كفروا
لولا الادبار بقدرانه كما كف أيديهم عنكم بالقرار وأيديكم عنهم بالرجوع عنهم وتركهم روى
ثابت عن أنس بن مالك أن عثمان بن رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من
جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأخذهم سلمان فاستحياهم
فنزلات هذه الآية وقال عبد الله بن مغفل المزني كما مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحدودية في أصل
الشجرة التي قال الله في القرآن وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره
وعلى بن أبي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في
وجوهنا فدعا عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الله أبصارهم فقمنا اليهم فأخذناهم فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم في عهد أهل جعل لكم أحدا ما قالوا اللهم لا نخلي
سبيلهم فأمر الله تعالى هذه الآية وعن ابن عباس أظهر الله المسلمين عليهم بالجارية حتى
أدخلوهم البيوت وقيل ان ذلك كان يوم فتح مكة وبه استشهد أبو حنيفة على ان مكة فتحت عنوة
لا صلحا (وكان الله) أي المحيط بالجلال والاکرام أزلا وأبدا وقرأ (بما يعملون) أبو عمرو وبالياء

فوالذي نفسي بيده لا فاتلتهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتي ولينه ذن الله أمره فقال بديل
 سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشاً فقال أنا قد جئناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً
 فان شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا فقال سفيهاؤهم لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشئ وقال ذو الرأى
 منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول **ك**ذا وكذا فخذتهم بما قال النبي صلى الله عليه
 وسلم فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال أي قوم ألسنتم بالوالد قالوا بلى قال أولست بالولد قالوا بلى
 فقال فهل تنهونى قالوا لا قال ألسنتم تعلمون انى استنقرت أهل عكاظ فلما بلغوا على جئتكم
 بأهلى وولدى ومن أطاعنى قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم خطبة ورشداً فاقبلوها
 ودعونى أنه قالوا الله فأتاه فجعل يكلمهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
 نحو من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك اى محمد أرايت ان استأصلت قومك فهل سمعت أحداً
 من العرب اجتراح أصله قبلك وان **ت**مكن الاخرى فوالله انى أرى وجوهاً وأشوايا من الناس
 خليفاً أن يفتروا ويدعوك فقال له أبو بكر الصديق امصص بنظر اللات والعزى أن نحن نقر عنه
 وندهه فقال من ذا قالوا أبو بكر فقال أما والذي نفسى بيده لولا يد كانت لك عندى لم أجزك
 بها لاجبتك قال وجعل يكلمهم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه أخذ بطيسته والمغيرة فاثم على
 رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده الى حمية النبي
 صلى الله عليه وسلم ضرب بيده بنعل السيف وقال أخريدك عن حمية رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فرفع عروة رأسه وقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبه فقال أى غدر ألسنتم أسعى في غدرتكم
 وكان المغيرة صاحب قوم فى الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي صلى الله عليه
 وسلم أما الاسلام فهدم ما قبله وأما المال فلست منه فى شئ ثم ان عروة جعل يرمى أصحاب النبي
 صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت
 فى **ك**ف رجل منهم فذلك به اوجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضعوا كادوا
 يقتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيماً له فرجع
 عروة الى أصحابه فقال أى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر و**ك**سرى
 والنجاشي والله ان أى ما أرايت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ومحمد والله ان أى
 ما تنخم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فذلك به اوجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره
 واذا توضعوا كادوا يقتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم وما يحدون النظر اليه
 تعظيماً له وانه قد عرض عليكم خطبة ورشداً فاقبلوها فقال رجل من بني كنانة دعونى أنه فقالوا الله
 فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا فلان من
 قوم يعظمون البدن فابعثوه له فبعثوه له واستقبله الناس يلبنون فلما رأى ذلك قال سبحان الله
 ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع الى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت وأشعرت
 فما أرى أن يصدوا عن البيت ثم بعثوا اليه الخليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الاحابيش فلما رآه
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا بالهدى فى وجهه حتى يراه

فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلانه قدأ كل أوتاده من طول الحبس عن
 محله رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما رأى فقال يا معشر قريش
 اني قد رأيت ما لا يصل صداهدى في قلانه قدأ كل أوتاده من طول الحبس عن محله قالوا له
 اجلس قائما أنت رجل أعرابي لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما
 على هذا حالناكم ولا على هذا عاقدناكم أن تصدوا عن بيت الله من جاءه معظما له والذي نفس
 الحليس بيده لتضلن بين محمد وبين ما جاءه أولا نفرن بالاحايش نفرة رجل واحد فقالوا له كف
 عنا يا حليس حتى نأخذ لانفسنا ما نرضى به فقام رجل يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني
 آتة فقالوا له انته فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فعمل
 يكلم النبي صلى الله عليه وسلم لم فينجاه ويكلمه اذ جاءه سهيل بن عمرو وقال عكرمة لما رآه النبي
 صلى الله عليه وسلم قال قد سهل لكم من أمركم قال الزهري في حديثه فجاءه سهيل بن عمرو فقال
 هات نكتب بيننا وبينك كتابا فدار رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب فقال اكتب
 بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما الرحمن فلا أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما
 كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه
 وسلم اعلى اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل والله
 لو كذا لم انك رسول الله ما صدقناك عن البيت وما فاتناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اني لرسول الله وان كذبتوني اكتب محمد بن عبد الله قال
 الزهري وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمة الله الا أعطيتهم
 اياها فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصططحا على وضع الحرب عشر
 سنين يأمن الناس فيه ويكف بعضهم عن بعض فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ان تخلوا
 بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا نتحدث العرب انا أخذنا ضغطة ولكن ذلك
 من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى أن لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا ردته
 الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما وروى ابن اسحق عن البراء
 قصة الصلح وفيها قالوا لو نعلم انك رسول الله ما مننا نال شيئا ولكن أنت محمد بن عبد الله قال
 أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله ثم قال لعلى ارح رسول الله فقال والله لا أحملك أبدا فقال
 فأرنيه فأراه ايام فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بيده وفي رواية فأخذ رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى محمد بن عبد الله قال البراء صالح على ثلاثة
 أشياء على أن من أتى من المشركين يرده اليهم ومن أتاهم من المسلمين لم يرده وعلى أن يدخلها
 من قابل ويقسم بها ثلاثة أيام ولا يدخلها بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه وروى
 في صلح الحديبية طرقا أخرى بعضها زيادات وفي بعضها نقصان عن بعض وقوله تعالى
 (والهدى) معطوف على كم من صدوكم أي وصدوا الهدى وهو البدن التي ساقها رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين وقوله تعالى (معصكوا) أي محبوسا حال وقوله تعالى

(أن يبلغ محله) أى مكانه الذى يصرفه عادة وهو الحرم بدل اشتمال (ولولا رجال) أى مقيمون
 بين أظهر الكفار بمكة (مؤمنون) أى غريقون فى الايمان فكانوا لذلك أهلاً للوصف
 بالرجولية (ونساء مؤمنات) أى كذلك حبس الكل عن الهجرة العذرة لان الكفار لكثرتهم
 استضعفهم فنعوهم الهجرة على أن ذلك شامل لمن جبله الله تعالى على الخير وعلم منه الايمان
 وان كان فى ذلك الوقت كافراً (لم تعلموهم) أى لم يحط علمكم بهم من جميع الوجوه لتمييزهم
 بأعيانهم عن المشركين لانهم ليس لهم قوة التمييز منهم وانتم لا تعرفون أما كنهم لتعاملوهم
 بما هم له أهل ولا سيما فى حال الحرب والظعن والضرب ثم أبدل من الرجال والنساء قوله تعالى
 (أن تطوهم) أى تؤذوهم بالقتل أو ما يقاربه من الجراح والضرب والنهب ونحو ذلك ومنه قوله
 صلى الله عليه وسلم اللهم أشدد وطأتك على مضر (فقصيكم) أى فتنسبب عن هذا الوطء أن
 تصيبيكم (منهم) أى من جهتهم وبسيهم (معرفة) أى مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم
 والتأسف عليهم وتعمير الكفار بذلك والاثم بالتقصير فى البحث مفعلة من عزه اذا عراه ما يكرهه
 وقوله تعالى (بغير علم) متعلق بأن تطوهم أى غير عالين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام
 عليه والمعنى ولولا كراهة أن تهلكوا أناساً مؤمنين بين أظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم
 باهلاصهم مكروه لما كف أيديكم عنهم (فان قيل) أى معرفة تصيبيهم اذا اقتلواهم وهم لا يعلمون
 (أجيب) بأنهم يصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء قالة المشركين انهم فعلوا بأهل دينهم
 مثل ما فعلوا بآمن غير تمييز والمآثم اذا جرى منهم بعض التقصير وقوله تعالى (ليدخل الله) أى
 الذى له جميع صفات الكمال متعلق بمقدراى كان انتفاء التسليط على أهل مكة وانتفاء العذاب
 ليدخل الله قال البغوى اللام فى ليدخل متعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام يعنى
 ليدخل الله (فى رحمته) أى فى اكرامه وانعامه (من يشاء) بعد الصلح قبل أن يدخلوها من
 المشركين بأن يعطفهم الى الاسلام ومن المؤمنين بأن يستنقذهم منهم على أرفق وجه وقوله
 تعالى (لوتزيلوا) يجوز أن يعود على المؤمنين فقط أو على الكافرين أو على الفريقين والمعنى
 لو تمزق هؤلاء (لعذبنا) أى بأيديكم بتسليطنا لكم عليهم بالقتل والسبي (الذين كفروا)
 أى أوقعوا ستر الايمان (منهم) أى أهل مكة (عذاباً أليماً) أى شديد الايجاع قال قتادة فى
 الآية ان الله تعالى يدفع بالمؤمنين عن الكافرين كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي
 مكة ولما بين شرط استحقاقهم للعذاب بين وقته وفيه بيان العلة فقال تعالى (آذ) أى حين
 (جعل الذين كفروا) أى ستروا ما تراى من الحق فى مراعى عقولهم وقوله تعالى (فى قلوبهم)
 أى فى قلوب أنفسهم يجوز أن يتعلق بجعل على انها بمعنى التى فتتعدى لواحد أى اذا أتى
 الكافرون فى قلوبهم الحجة وأن يتعلق بمحذوف على أنه مفعول ثان قدّم على أنها بمعنى صير
 (الحجة) أى المنع الشديد والاباء الذى هو فى شدة حره وفوقه فى أشد الاجسام كاسم والنار
 وأنشدوا الا انى منهم وعرضى عرضهم * كذا الرأس يحصى أنفه أن يشما
 وقرأ أبو عمرو فى الوصل بكسر الهاء والميم وحزرة والكسافى يضم الهاء والميم والباء نونهم بكسر

إلهاء وضم الميم وأظهر الذال عند الجيم نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم وأدغمها الباقون
 وقوله تعالى (حجة الجاهلية) بدل من الحجية قبلها ووزنها فاعيلة وهي مصدر يقال حجت من كذا
 حجة وحجة الجاهلية هي التي مدارها مطلق المنع سواء كان بحق أم باطل فتنع من الازعان للحق
 ومبتاها على التشقي على مقتضى الغضب لغیر الله فتوجب تخطي حدود الشرع ولذلك أنقوا
 من دخول المساكين مكة المشرفة لزيارة البيت العتيق الذي الناس فيه سواء قال مقاتل قال أهل
 مكة قتلوا أبناءنا وأخواننا ثم يدخلون علينا فتمتحدث العرب أنهم دخلوا علينا على رغم أنفنا
 واللات والعزى لا يدخلونها علينا فهذه حجة الجاهلية التي دخلت قلوبهم (فأنزل الله) أي الذي
 لا يغلبه شيء وهو يغلب كل شيء بسبب حجتهم (سكينة) أي الشيء اللائق اضافته إليه سبحانه من
 الفهم عن الله والروح الموجب لسكون القلب المؤثر للأقدام على العدو والنصر عليه انزالا
 كافيا (على رسوله) الذي عظمته من عظمته ففهم عن الله مراده في هذه القضية فجري على أتم
 ما يرضيه (وعلى المؤمنين) أي الغريقين في الايمان لانهم اتباع رسوله وانصار دينه فالزمهم
 قبول أمره وحماهم من همزات الشياطين ولم يدخلهم ما دخل الكفار من الحجية فيقاتلوا غضبا
 لانفسهم فيتعادوا حدود الشرع (والزمهم) أي المؤمنين الزام اكرام وتشريف لا الزام اهانة
 وتعنيف (كلمة التقوى) فانها السبب الاقوى وهي كل قول أو فعل ناشئ عن التقوى وأعلاه كلمة
 الاخلاص المتقدمة في القتال وهي لا اله الا الله التي هي أحق الحق ولا بد من قول محمد رسول
 الله والالم يتم اسلامه وعن الحسن كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد ومعنى اضافتها الى التقوى انها
 سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة أهل التقوى وقيل هي بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول
 الله (وكانوا) أي جبلة وطبعا (أحق بها) أي كلمة التقوى من الكفار (وأهلها) أي وكانوا
 أهلها في علم الله تعالى لان الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه أهل الخير (وكان الله) أي المحيط
 علما وقدره (بكل شيء) من ذلك وغيره (علما) أي محيط العلم وروى أنه صلى الله عليه وسلم رأى
 في المنام في المدينة عام الحديبية قبل خروجه انه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين ويحلقون
 ويقصرون فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا فلما خرجوا معه وصدهم الكفار بالحديبية رجعوا
 وشق عليهم ذلك ورأب بعض المنافقين فأنزل الله قوله تعالى (لقد صدق الله) أي الذي لا كفو
 له المحيط بجميع صفات الكمال (رسوله) الذي هو أعز الخلائق عنده وهو غني عن الاخبار
 عما لا يكون أنه يكون فكيف اذا كان المخبر رسوله (الرؤيا) التي هي من الوحي أي صدقه
 في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار وأوصل الفعل
 كقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه وروى عن مجمع بن حارثة الانصاري قال شهدنا
 الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الابرار فقال
 بعضهم ما بال الناس قالوا أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نرجف فوجدنا
 النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته على كراع الغميم فلما اجتمع عليه الناس قرأ أنا
 فحنالك فبحامينا فقال عمر أفتح هو يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده فقيه دليل على ان

المراد بالفتح صلح الحديدية وتحقيق الرؤيا كان في العام المقبل فقال جل ذكره لقد صدق الله
 رسوله الرؤيا بالحق أخبر أن الرؤيا التي أراه أياها في مخرجها إلى الحديدية أنه يدخل هو وأصحابه
 المسجد الحرام صدق وحق وقوله تعالى (بالحق) فيه أربعة أوجه أحدها أنه يتعلق بصدق
 ثانيها أن يكون صفة مصدور محذوف أي صدقا ملتبسا بالحق أي بالغرض الصحيح والحكمة
 البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلص وبين من في قلبه مرض ثالثها
 أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من الرؤيا أي ملتبسة بالحق رابعها أنه قسم وجوابه (لتدخلن)
 أي بعده هذا دخولا قد قصته أمره (المسجد) أي الذي يطاف فيه بالكعبة ولا يكون دخوله
 الا بدخول الحرم (الحرام) أي الذي أجاره من امتنان الجبارة ومنعه من كل ظالم قال
 الزمخشري وعلى تقديره قسما أما أن يكون قسما بالله تعالى فإن الحق من أسمائه تعالى وأما أن
 يكون قسما بالحق الذي هو نقيض الباطل (فان قيل) ما وجه دخوله (ان شاء الله) أي الذي له
 الاحاطة بصفات الكمال (أجيب) بأوجه أحدها أنه تعالى ذكره تعليما لعباده الادب لان يقولوا
 في غداتهم مثل ذلك متأدين بأداب الله ومقتدين بسنته لقوله تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل
 ذلك غدا إلا أن يشاء الله ثانيها أن يريد لتدخلن جميعا ان شاء الله ولم يمت منكم أحد ثالثها أن
 ذلك كان على لسان ملك فأدخل الملك ان شاء الله رابعها انها حكاية ما قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لأصحابه وقص عليهم وقال أبو عبيدة ان بعني اذ مجازاه اذ شاء الله كقوله تعالى
 ان كنتم تعلمون خاسمها انها للتبرك وقيل هي متعلقة بآمينين فالاستثناء واقع على الامن لا على
 الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك كقوله صلى الله عليه وسلم عند دخول المقبرة وانا ان شاء
 الله بكم لاحقون فالاستثناء راجع الى اللحق لا الى الموت وقوله تعالى (آمينين) حال من فاعل
 لتدخلن وكذا (مخلقين رؤسكم) أي كلها (ومقصرين) أي بعضها أي منقسمين بحسب التحليق
 والتقصير الى قسمين لا تخشون الا الله تعالى وفيه اشارة الى أنهم يتون الحج من أوله الى آخره
 فقوله لتدخلن فيه اشارة الى الاول وقوله مخلقين ومقصرين اشارة الى الآخر (فان قيل)
 مخلقين حال الداخلين والداخل لا يكون الا محرما والحرم لا يكون محلقا (أجيب) بأن قوله
 آمينين معناه متمكنين من أن تتموا الحج مخلقين ومقصرين وأشار بصيغة التفعيل الى السكثرة فيهما
 غير أن التقديم يفهم ان الاول أكثر وقوله تعالى (لاتخافون) أي لا يتجدد لكم خوف بعد
 ذلك يجوز أن يكون مستأنفا وأن يكون حالاً ثالثة أما من فاعل لتدخلن أو من ضمير آمينين أو
 مخلقين أو مقصرين فان كانت حالاً من آمينين أو حالاً من فاعل لتدخلن فهي حال للتوكيد
 وآمينين حال مقارنته وما بعده حال مقدرة الاقوله لاتخافون اذا جعل حالاً فانها مقدرة أيضا
 (فان قيل) قوله تعالى لاتخافون معناه غير خائفين وذلك يحصل بقوله تعالى آمينين (أجيب) بأن
 فيه كمال الامن لان بعد الخلق يخرج الانسان عن الاحرام فلا يحرم عليه القتال وكان عند
 أهل مكة يحرم قتال من أحرم ومن دخل الحرم فقال تدخلون آمينين وتخلقون ويبقى أمنكم بعد
 خروجكم عن الاحرام (فعلم) أي الله في الصلح من المصلحة (مالم تعلموا) من المصالح فان الصلاح

كان في الصلح وان دخولكم في سنتكم سبب لوطه المؤمنين والمؤمنات وهو قوله تعالى ولولا
 رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الآية (فان قيل) الفاء في قوله تعالى فعلم فاء التعقيب
 فقوله تعالى فعلم وقع عقب ماذا (أجيب) بأنه ان كان المراد من فعلم وقت الدخول فهو عقب
 صدق وان كان المراد فعلم المصلحة فالمراد علم الوقوع والشهادة لاعم الغيب والتقدير
 لما حصلت المصلحة في العام القابل فعلم ما لم تعلموا من المصلحة المتجددة (جعل) أي بسبب
 احاطة علمه (من دون) أي أدنى رتبة من (ذلك) أي الدخول العظيم في هذا العام (فما قرينا)
 يقويكم به من فتح خيبر ووضع الحرب بين العرب بهذا الصلح واختلاط بعض الناس بسبب
 ذلك ببعض الموجب لاسلام ناس كثيرة تتقون بهم فتكون تلك الكثرة والقوة بسبب هيبة
 الكفار والممانعة لهم من القتال فقتل القتلى ترفقا بأهل حرم الله اكراما لهذا النبي الكريم صلى
 الله عليه وسلم وقوله تعالى (هو الذي أرسل رسوله) أي الذي لا رسول أحق منه باضافته اليه
 (بالهدى) أي الكامل الذي يقتضي ان يهتدى به أكثر الناس تأكيد لبيان صدق الله تعالى
 للرؤيا لانه لما كان مرسل الرسول ليهدي لا يريه ما لا يكون فيحدث الناس فيظهر خلافه فيكون
 ذلك سببا للضلال (فان قيل) الرؤيا للواقع قد تقع لغير المرسل (أجيب) بأن ذلك قليل لا يقع
 لكل أحد * (تنبيه) * الهدى يحتمل أن يكون هو القرآن كقوله تعالى أنزل فيه القرآن هدى
 للناس وعلى هذا قوله تعالى (ودين الحق) هو ما فيه من الاصول والقواعد ويحتمل أن يكون
 الهدى هو المجزة أي أرسله بالمجزة فيكون قوله تعالى ودين الحق اشارة الى ما شرع والالف
 واللام في الهدى يحتمل أن تكون للعهد وهو قوله تعالى ذلك هدى الله يهدي به من يشاء وأن
 تكون للتعريف أي كل ما هو هدى * (تنبيه) * دين الحق يحتمل أن يكون المراد دين الله لان
 الحق من أسماء الله تعالى ويحتمل أن يكون الحق نقيض الباطل فكأنه قال ودين الامر الحق
 (ليظهره) أي دينه (على الدين كله) أي جميع باقي الاديان (وكفى بالله) أي الذي له الاحاطة
 بجميع صفات الكمال (شهادة) أي على أنك مرسل بما ذكر كما قال تعالى (محمد رسول الله)
 أي الملك الذي لا كفو له فهو الرسول الذي لا رسول يساويه فانه رسول الى جميع الخلق من
 أدرك زمانه بالفعل في الدنيا ومن تقدمه بالقوة فيه او بالفعل في الآخرة يوم يكون الكل تحت
 لوائه وقد أخذ على الانبياء كلهم الميثاق بأن يؤمنوا به ان أدركوه وأخذ ذلك الانبياء على أهمهم
 وأشار بذلك هذا الاسم بخصوصه في سورة الفتح الى أنه صلى الله عليه وسلم هو الخاتم بما اشارت
 اليه الميم التي مخرجها ختام الخارج واستنبط به بعض العلماء من محمد ثلثمائة وأربعة عشر
 رسولا فقال فيه ثلاث ميمات واذا بسطت كل منها قلت فيه م ي م وعدتها بحسب الجمل
 الكبير تسعون فيحصل منها مائتان وسبعون واذا بسطت الحاء والدال قلت دال بخمسة وثلاثين
 وحاء تسعة فالجمله ما ذكره الاسم واحد فتم عدد الرسل كما قيل انهم ثلثمائة وخمسة عشر وقد
 تقدم الكلام على أولى العزم منهم في سورة الاحقاف * (تنبيه) * يجوز أن يكون محمد خير
 مبتدا مفعول له لما تقدم هو الذي أرسل وموله دل على ذلك المقدور أي هو أي الرسول بالهدى

محمد ورسول الله بدل أو بيان أو نعت وأن يكون محمد مبتدأ وخبره رسول الله وقيل غير ذلك ولما
 ذكر الرسول ذكر المرسل اليهم فقال تعالى (والذين معه) أي بعبية العصابة من العصابة وحسن
 التبعية من التابعين لهم بإحسان (أشداء) أي غلاظ (على الكفار) منهم لا تأخذهم بهم رافة
 بل هم معهم كالأسد على فريسته لأن الله تعالى أمرهم بالغلظة عليهم لا يرحمونهم (رحما بينهم)
 أي متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد كما قال تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين
 وعن الحسن بلغ من تشددهم على الكفار أنهم كانوا يهزرون من يسابهم أن تلتق بنياهم ومن
 أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من تراحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا إلا صاحبه وعانقه
 ومن حق المسلمين في كل زمان أن يراعوا هذا التذلل وهذا التلطف فيشددوا على من ليس
 من دينهم ويتعاموا ويعاشرُوا إخوانهم المؤمنين في الإسلام متعطفين بالبر والصلة والمعونة
 وكف الأذى والاحتمال منهم * (تنبيه) * والذين معه مبتدأ خبره أشداء على الكفار ورحما
 بينهم خبر ثان وقيل غـ ير ذلك ثم بين تعالى الحامل لهم على ذلك بقوله سبحانه وتعالى (تراهم)
 أي أيها الناظر لهم (ركعا سجدا) أي دائمين الخشوع فأكثر أوقاتهم صلاة قد غلبت صفة
 الملكية على صفاتهم الحيوانية فكانت الصلاة آمرة بالخير مصينة عن كل نقص وضير ثم أشار
 إلى اخلاصهم بقوله تعالى (يتبعون) أي يطلبون بذلك وغيره من جميع أحوالهم بغاية جهدهم
 تغليباً للعقل على شهواتهم وحظوظهم (فضلا) أي زيادة من الخير (من الله) أي الذي له
 الإحاطة بصفات الكمال من الجلال والجمال الذي أعطاهم ملكة العظمة على الكفار بما
 وهبهم من جلاله والرافة على أوليائه (ورضوانا) أي رضامنه عظيم بما ناله من رحمته التي
 هياهم بها للإحسان إلى عياله فنزعوا الهوى من صدورهم فصاروا يرونه وحده سبيدهم
 المحسن إليهم لا يرون سيده غيره ولا محسن سواه ثم بين كثرة صلاتهم بقوله تعالى (سجداهم)
 أي علامتهم التي لا تفارقهم (في وجوههم) ثم بين تعالى العلامة بقوله (من أثر السجود) وهو نور
 وبياض في وجوههم يوم القيامة كما قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه رواء عطية العوفي
 عن ابن عباس * وعن أنس هو استنارة وجوههم من كثرة صلاتهم وقال شهر بن حوشب
 تكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر * وقال مجاهد هو السميت الحسن
 والخشوع والتواضع والمعنى أن السجود أورنتهم الخشوع والسميت الحسن الذي يعرفون
 به وقال الضمالي هو صفرة الوجه وقال الحسن إذا رأيتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى
 وقال عكرمة هو أثر التراب على الجباه قال أبو العالية لأنهم يسجدون على التراب لا على
 الثياب وقال عطاء استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل لأن من كثرت صلاته بالليل
 حسن وجهه بالنهار قال بعضهم دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس قال
 البقاعي ولا يظن أن من السجما ما يصنعه بعض المرائين من أثر هيئة السجود في جهته فإن ذلك
 من سيما الخواص وفي نهاية ابن الأثير في تفسير الثقات ومنه حديث أبي الدرداء أنه رأى
 رجلا بين عينيه مثل ثقتة البعير فقال لو لم يكن هذا كان خيرا يعني كان على جهته أثر السجود

وانما كرهها خوفا من الرياء عليه وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انى لا بغض الرجل وأكرهه اذا رأيت بين عينيه اثر السجود وعن بعض المتقدمين كان صلى الله عليه وسلم يفرى بين أعيننا شيئا ونرى أحدا لا أن يصلى ففرى بين عينيه ركة البعير فلا ندري أثقلت الرأس أم خسنت الارض وانما أراد بذلك من تعمد ذلك للنفاق ثم أشار تعالى الى علو مرتبة ذلك الوصف بقوله سبحانه (ذلك) أى هذا الوصف العالى جدا البديع المثل البعيد المثل (مثلهم) أى صفتهم (فى التوراة) وههنا تم الكلام فان مثلهم مبتدأ وخبره فى التوراة وقوله تعالى (ومثلهم فى الانجيل) أى الذى نسخ الله تعالى به بعض أحكام التوراة مبتدأ وخبره (كررع) أى مثل زرع (أخرج شطاه) أى فراخه يقال أشطأ الزرع اذا فرخ وهل يختص ذلك بالحنطة فقط أو بها والشعير أو لا يختص خلاف مشهور قال الشاعر

أخرج الشطأ على وجه الثرى * ومن الاشجار أفتان الثمر

وقرأ ابن كثير وابن ذكوان بفتح الطاء والباقون باسكانها وهما الغتان كالنهر والنهر وأدغم أبو عمر والجيم فى الشين بخلاف عنه ثم سبب عن هذا الاخراج قوله تعالى (فازره) أى قواه وأعانه وقرأ ابن ذكوان بقصر الهمزة بعد الفاء والباقون بالمد (فاستغلظ) أى فطلب المذكور من الزرع والشطأ الغلط وأوجدته فتسبب عن ذلك اعتداله (فاستوى) أى قوى واستقام وقوله تعالى (على سوقه) متعلق باستوى ويجوز أن يكون حالا أى كأننا على سوقه أى قائما عليها هذا مثل ضربه الله تعالى لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى الانجيل أنهم يكونون قديلا ثم يزادون ويكثررون قال قتادة مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى الانجيل مكتوب أنه سيخرج قوم يبنون نبات الزرع يأمررون بالمعروف وينهون عن المنكر وقيل الزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطأ أصحابه والمؤمنون وروى مبارك بن فضالة عن الحسن قال محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه أبو بكر الصديق أشداء على الكفار عمر بن الخطاب رجاء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا على بن أبى طالب يبتغون فضلا من الله العشرة المبشرون بالجنة كمثل زرع محمد صلى الله عليه وسلم أخرج شطاه أبو بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان يعنى استغلظ عثمان بالاسلام فاستوى على سوقه على بن أبى طالب رضى الله عنه استقام الاسلام بسيفه (يجب الزراع) قال المؤمنون (ليغيظ بهم الكفار) قول عمر لاهل مكة بعدما أسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم روى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ارحم أمتى أبو بكر وأشد هم فى أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأفرضهم زيدا وأقرؤهم أبى وأعلمهم بالحرام والحلال معاذ بن جبل ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح وفى رواية أخرى وأقضاهم على وروى بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات من أصحابي بأرض كان نورهم وقائدهم يوم القيامة * (تنبيه) * يجب حال أى مجيبا وههنا تم الكلام وقوله تعالى ليغيظ بهم الكفار فيه أوجه أحدها أنه متعلق بمحذوف دل عليه تشبيههم بالزرع فى غنائهم وقوتهم قال الزمخشري أى شبيههم الله تعالى بذلك ليغيظ ثانیها أنه متعلق بمبادل

عليه قوله تعالى أشد امتعلق على الكفار الخ أي جعلهم بهذه الصفات ليغيب ثلثها أنه متعلق بقوله تعالى (وعدا لله) أي الملك الأعظم (الذين آمنوا) لأن الكفار إذا سمعوا بعزة المؤمنين في الدنيا وما أعد الله لهم في الآخرة غاظهم ذلك وقوله تعالى (وعملوا الصالحات) فيه إشارة إلى تصديق دعواهم ومن في قوله تعالى (منهم) للبيان لا للتبعيض لأنهم كلهم كذلك فهي كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان * ولما كان الإنسان وأن اجتمع صدقة صرا عما يجب لله تعالى من العبادة أشار إلى ذلك بقوله تعالى (مغفرة) أي لما يقع منهم من الذنوب والهفوات (وأجر عظيم) بعد ذلك السر وهو الجنة وهما أيضا لمن بعدهم عن يأتي * (فائدة) * قد جمعت هذه الآية الخاتمة لهذه السورة جميع حروف المعجم وفي ذلك بشارة تلويفية مع ما فيها من البشائر التصريحية باجتماع أمرهم وعلا نصرهم رضي الله عنهم وحشرنا معهم نحن ووالدينا ومحبينا وجميع المسلمين عنه وكرمه قال وهذا آخر القسم الأول من القرآن وهو المطول وقد ختم كما ترى بسورتين هما في الحقيقة للنبي صلى الله عليه وسلم وحاصلهما الفتح بالسيف والنصر على من قاتله ظاهرا كما ختم القسم الثاني الفصل بسورتين هما النصر له صلى الله عليه وسلم بالحال على من قصده بالضرر باطنا اه ومارواه البيضاوي تعالى الزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الفتح فكاننا كان من شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة حديث موضوع وقال ابن عادل روى أن من قرأ في أول ليلة من رمضان أنا فقصنا لك قصا مبينا في التطوع حفظ في ذلك العام ولم أره لغيره اه

❖ (سورة النجم است مكية) ❖

وهي ثمان عشرة آية وثلاثمائة وثلاث وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وستة وسبعون حرفا

(بسم الله) الجبار المتكبر الذي أعز رسوله صلى الله عليه وسلم (الرحمن) الذي من عموم رحمة الآداب للتوصل إلى حسن المآب (الرحيم) الذي خص أولى الألباب بالاقبال على ما يوجب لهم دار الثواب * ولما توه سبحانه في القتال بذكر النبي صلى الله عليه وسلم وصرح في ابتدائها باسمه الشريف وسمى السورة به وملا سورة الفتح بتعظيمه وختمها باسمه ومدح اتباعه لاجله افتتح هذه السورة باشتراط الآداب معه في القول والفعل فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أي أقروا بالإيمان (لا تتقدموا) من قدم بمعنى تقدم أي لا تتقدموا وحذف المفعول ليعلم كل ما يصح تقديمه فيذهب الوهم كل مذهب ويجوز أن يكون حذفه من غير قصد إليه أصلا بل يكون النهي موجهها إلى نفس التقدم أي لا تتلبسوا بهذا الفعل (بين يدي الله) أي الملك الأعظم الذي لا يطاق انتقامه (ورسوله) أي الذي عظمته ظاهرة جدا لانها ياله لأن عظمته من عظمته ولذلك قرن اسمه باسمه واختلف في سبب نزول ذلك فقال الشعبي عن جابر أنه في الذبح يوم الاضحى قبل الصلاة أي لا تذبحوا قبل أن يذبح النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن أناسا ذبحوا قبله صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن يعيدوا الذبح وقال من ذبح قبل الصلاة فأنما هو لحم عجله لا هله ليس من

التسلك في شيء وعن مسروق عن عائشة رضي الله عنها انه في النهي عن صوم يوم الشك أي
 لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم وعن ابن الزبير أنه قدم ركب من بني عقيم على النبي صلى
 الله عليه وسلم فقال أبو بكر أتر القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر بل أسر الاقرع بن حابس
 فقال أبو بكر ما أردت الا خلا في فقال عمر ما أردت خلا فك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما
 فنزلت هذه الآية قال ابن الزبير فكان عمر لا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية
 حتى يستفهمه وعن ابن أبي مليكة نزل يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم وهذا أنسب
 وقال الضحاك يعني في القتال وشرائع الدين أي لا تقطعوا أمرادون الله ورسوله قال الرازي
 والاصح أنه ارشاد عام يشمل الكل ومنع مطلق يدخل فيه كل اقتيات وتقدم واستبداد بالامر
 واقدام على فعل غير ضروري من غير مشاورة * (تنبيه) * معنى بين يدي الله ورسوله أي
 بحضورهم حالان ما بحضور الانسان فهو بين يديه ناظر اليه وحقيقة قولهم جلست بين يدي فلان
 أن يجلس بين الجهتين المسميتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على
 سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره اذا جاوره وداناه في غير موضع وقد
 جرت هذه العبارة هنا على ضرب من المجاز وهو الذي يسميه أهل البيان تمثيلا وقيل المراد بين
 يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعالى تعظيم له وأشعار بأنه من الله تعالى بكان يوجب
 اجلاله (واتقوا الله) اجعلوا بينكم وبين غضب الملك الاعظم وقاية فان التقوى مانعة من أن
 تضيعوا حقه وتخالقوا أمره أو تقدموا على شيء لم تعلموا رضاه فيه (ان الله) أي الذي له الاحاطة
 بصفات الكمال (سميع) لا قوا لكم (عليم) بأعمالكم ونزل فيمن رفع صوته عند النبي عليه
 الصلاة والسلام (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم) أي في شيء من الاشياء عند النطق
 اذا نطقتم (فوق صوت النبي) اذا نطق * (تنبيه) * في اعادة النداء فوائد منها ان في ذلك بيان
 زيادة الشفقة على المسترشد كقول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله يا بني انها ان تك يا بني أقم
 الصلاة لان النداء تنبيه للمنادي ليقبل على استماع الكلام ويجعل بالله منه فاعادته تفيد تجديد
 ذلك ومنها أن لا يتوهم أن المخاطب ثانيا غير المخاطب أولا فان من الجائز أن يقول القائل يا زيد
 افعل كذا وكذا يا عمر وفاذا أعاد مرة أخرى وقال يا زيد قل يا زيد قل كذا وقل كذا يعلم أن
 المخاطب أولا هو المخاطب ثانيا ومنها أن يعلم أن كل واحد من الكلامين مقصود ليس الثاني
 تأكيذا للاول كقولك يا زيد لا تنطق ولا تتكلم الا بالحق وأنه لا يحسن أن يقول يا زيد لا تنطق
 يا زيد لا تتكلم كما يحسن عند اختلاف المطلوبين (ولا تجهروا له بالقول) أي اذا كلمتموه سواء كان
 ذلك مثل صوته أو أخفض من صوته فان ذلك غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء
 (بجهر بعضكم لبعض) أي ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا أصواتكم أخفض
 من ذلك فانكم ان لم تفعلوا ذلك لم يظهر فرق بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين غيره (فان قيل)
 ما الفائدة في ولا تجهروا بعد لا ترفعوا (أجيب) بأن المنع من رفع الصوت هو أن لا يجعل كلامه
 أو صوته أعلى من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وصوته وانتهى عن الجهر بمنع من المساواة

أى لا تجهروا له بالقول كما تجهرون لنظراتكم بل اجعلوا كلمته علياً ثم حذرهم بقوله تعالى
 (أن) أى كراهة أن (تجبط) أى تفسد فتسقط (أعمالكم) التى هى الإعمال بالحقيقة وهى
 الحسنات كلها (وأنتم لا تشعرون) أى بأنهم اجبطلت فإن ذلك إذا اجتراً الإنسان عليه استخف
 به وإذا استخف واظب عليه وإذا واظب عليه أو شك أن يستخف بالمخاطب فيكفر وهو لا يشعر
 روى أنس بن مالك قال لما نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم الآية جلس
 ثابت بن قيس فى بيته وقال أنا من أهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فسأل
 النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا أبا عمرو ما شأن ثابت أشتكى فقال سعد أنه
 لجارى وما علمت له شكوى قال فأما سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال ثابت نزلت هذه الآية وقد علمت أنى من أرفعكم صوتاً على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فانا من أهل النار فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال بل هو من أهل الجنة
 وروى لما نزلت هذه الآية فعد ثابت فى الطريق يبكى فخر به عاصم بن عدي فقال وما يبكيك
 يا ثابت قال هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت فى وأنا أرفع الصوت أخاف أن يجبط على
 وأكون من أهل النار فغضى عاصم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابتاً البكاء فأقى
 امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبي بن ساول فقال لها إذا دخلت بيت فرشى فسدى على الضبة
 بعسماء فضربت عليه بعسماء وقال لا أخرج حتى يتوفانى الله أو يرضى عني رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فأقى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره فقال اذهب فادعه إلى
 فجاءه عاصم إلى المكان الذى رآه فيه فلم يجد فجاء إلى أهله فوجدته فى بيت القرش فقال له
 إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال كسر الضبة فأتي رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال أنا صيت فأخاف أن تكون
 هذه الآية نزلت فى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل
 شهيداً وتدخل الجنة فقال رضيت بيشري الله ورسوله لا أرفع صوتي أبداً على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل (إن الذين يغضون) أى يخفون ويلبسون لما وقع
 عليهم من السكينة من هيبة حضرته قال الطبرى وأصل الغض الكف فى لبن (أصواتهم)
 تخشعاً وتخضعا ورعاية للادب وتوقيراً (عند رسول الله) أى الذى من شأنه أن يعلو كلامه
 على كل كلام لانه مبلغ عن الملك الأعظم وعبره عند الذى للظاهر إشارة إلى أن أهل حضرة
 الخصوصية لا يقع منهم إلا أكمل الادب (أو لك) أى عالو الرتبة (الذين امتن الله)
 أى فعل الهيطة بجميع صفات الكمال فعل المختبر (قلوبهم للتقوى) أى اختبرها وأخلصها
 لتظهر منهم من امتن الذهب إذا ذاب وميزابريزه من خبثه فان الامتنان اختياراً يبلغ يؤدى
 إلى خبر فالله أنى أنه طهر قلوبهم ونقاها كما تمص الصائغ الذهب والفضة بالاذابة والتنقية
 والتخلص من كل غش لاجل اظهار ما بطن فيها من التقوى ليصير معلوماً للخلق فى عالم الشهادة
 كما كان له سبحانه فى عالم الغيب (لهم مغفرة) أى طهر قلوبهم وزلاتهم (وأجر عظيم) لغضهم وسائر

طاعاتهم والتسكير للتعظيم قال أنس فكأن أي بعد نزول هذه الآية في حق ثابت تنظر إلى رجل
من أهل الجنة عيشي بين أيدينا فلما كان في يوم حرب مسيلة رأى ثابت من المسلمين بعض
الانكسار فأنهم زمت طائفة منهم فقال أف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى أبي حذيفة ما كنا
نقاتل أعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقائلا حتى قتلا واستشهد
ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام فقال له اعلم أن فلانا رجل من المسلمين
نزع درعي فذهب بها وهي في ناحية من العسكر عند فرس يستن في طوله وقد وضع على درعي
نوبه فانت أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان علي ديني حتى يقضيه عني
وفلان من رقيق عتيق فأخبر الرجل خالد أوجد درعه والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع
وأخبر خالد أبا بكر تلك الرؤية فأجاز أبو بكر وصيته قال مالك بن أنس لأعلم وصية أجزت بعد
موت صاحبها الا هذه واختلف في سبب نزول قوله عز وجل (ان الذين يتنادونك من وراء
الجزرات) فقال ابن عباس رضي الله عنهما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى بني
النضير وأمر عليهم عتبة بن حصن الفزاري فلما علموا هربوا وتركوا عيالهم فسيماهم عتبة وقدم
بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءهم بعد ذلك رجالهم يقدون الذراري فقدموا وقت
الظهيرة ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا في أهله فلما رأتهم الذراري اجهشوا إلى
آبائهم يهتفون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فجعلوا أن يخرج
اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى أيقظوه من نومه فخرج
اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيانا فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله تبارك وتعالى يأمرك أن
تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أترضون أن يكون بيني
وبينكم شربة بن عمرو وهو على دينكم فقالوا نعم فقال شربة أنا لا أحكم بينهم وعي شاهد وهو
الأعور بن بسامة فرضوا به فقال الأعور أرى أن تغادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت فغادي نصفهم وأعتق نصفهم فأنزل الله تعالى ان الذين
يتنادونك من وراء الجزرات جمع حجرة وهي ما تنحجره من الأرض بمحائط ونحوه كان كل واحد
منهم نادى خلف حجرة لانهم لم يعلموه في أيها مناداة الأعراب بغلظة وجفاء (أكثرهم) أي
المنادى والراضى دون الساكت لعدو (لا يعقلون) أي محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم
فلم يصبروا بل فعلوا معه صلى الله عليه وسلم كما يفعل بعضهم ببعض (ولو أنهم) أي المنادى
والراضى (صبروا) أي حبسوا أنفسهم ومنعوها عن مناداتهم والصبر حبس النفس عن أن
تنزع إلى هواها وهو حبس فيه شدة وصبر (حتى تخرج اليهم) من تلقاء نفسك عند فراغ
ما أنت فيه مما يهلك من واردات الحق ومصالح الخلق (لكان) أي الصبر (خيرا لهم) أي
من استجاب لهم ايقاظك في الهاجرة ومما لوقر عوا الباب بالاطافركما كان يفعل غيرهم من
الصحابة قال أبو عثمان الأدب عند الاكابر يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلا والخير في الأولى
والعقبى اه فانهم لو تأدبوا لربهم زادهم صلى الله عليه وسلم في الفضل فأعتق جميع سيدهم

وأطلقهم بلا فداء (والله) أي المحيط بجميع صفات الكمال (غفور) أي ستور ذنب من تاب من جهله (رحيم) أي يعاملهم معاملة الراحم فيسبغ عليهم نعمه وقال قتادة نزلت في ناس من أعراب تميم جاؤا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنادوا على الباب اخرج إلينا يا محمد فان مدحنا زين وذمتنا شين فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول انما ذلکم الله الذي مدحهم زين وذمتهم شين فقالوا نحن ناس من بني تميم جئنا بشاعرنا وخطيبينا نشاعرك ونفاخرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال شعري بعثت ولا بالفخار أحررت ولكن ها توأ فقام شاب منهم فذكر فضله وفضل قومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن ثمال و كان خطيب النبي صلى الله عليه وسلم قم فأجبه فأجابه وقام شاعر فذكر أبياتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت أجبه فأجبه فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمد المولى تسكلم خطيبينا فكان خطيبهم أحسن قولا وتسكلم شاعرنا فكان شاعرهم أشعروا أحسن قولا ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنتك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان من قبل هذا ثم أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وكان قد تحلف في ركابهم عمرو بن الاهيم لحدائة سنة فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم فأزرى به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الايات الاربع الى قوله تعالى غفور رحيم وقال زيد بن أرقم جاء ناس من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنعين أسعد الناس به وان يكن ما كان نعش في جناحه فجاءوا فجعلوا ينادون من وراء الحجرات يا محمد فأنزل الله تعالى ان الذين ينادونك الاية وقيل المراد بأكثرهم كلهم لان العرب تذكر الاكثر وتريد الكل احترازا عن الكذب واحتياطا في الكلام لان الكل ما لا يحيط به علم الانسان في بعض الاشياء فيقول الاكثر وفي اعتقاده الكل ثم ان الله تعالى مع احاطة علمه بالامور التي بما يناسب كلامهم وفيه اشارة الى لطيفة وهي ان الله تعالى يقول مع احاطة على بكل شيء جريت على عادتك استقصا تلك العادة وهي الاحتراز عن الكذب فلا تتركوها واجعلوا اختياري ذلك في كلامي دليلا قاطعا على رضاي بذلك منكم * (تنبيه) * جعل الزمخشري أنهم من ولو أنهم فاعلا بفعل مقدر أي ولو ثبت صبرهم وجعل اسم كان ضميرا عائدا على هذا الفاعل ولكن مذهب سيبويه أنها في محل رفع بالابتداء وحينئذ يكون اسم كان ضميرا عائدا على صبرهم المفهوم ويرى على الاول البضاوى وعلى الثاني الجلال المحلى واختاف في سبب نزول قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم) أي في وقت من الاوقات (فاسق) أي خارج من رتبة الديانة (بنبا) أي خبر يعظم خطبه فيشير بشرا (فتبينوا) صدقه من كذبه فقال أكثر المفسرين نزلت في الوليد بن عتبة بن أبي معيط وهو أخو عثمان لأمه وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الى بني المصطلق بعد الواقعة واليا ومصدقا أي ياخذ منهم الصدقة وكان بينه

وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيماً لأمير رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فخذته الشيطان أنهم يريدون قتله فهاجمهم فرجع من الطريق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وقال إنهم منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أن يغزوههم
 فبلغ القوم رجوعه فأثروا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا
 لتلقاه ونكرمك ونؤدى إليه ما قبلنا من حق الله فبداله في الرجوع نخشينا أنه انما رده من
 الطريق كآب جاءه منك لغضب غضبه علينا وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفيته في عسكره وأمره أن يخفي عليهم قدومه
 وقال انظر فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم وإن لم تر ذلك فاستعمل
 فيهم ما تستعمل في الكفار ففعل ذلك خالد ووافاهم فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء
 فأخذ منهم صدقاتهم ولم يرمهم إلا بالطاعة والخير وانصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وأخبره الخبر فقبل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا (أن تصيبوا) أي
 بأذى (قوماً) أي هم مع قوتهم النافعة لأهل الإسلام برآء مما نسب إليهم (بجهالة) أي مع الجهل
 بحال استحقاقهم لذلك (فمصبوا) أي فتصيروا أولئك من غير ذلك لأن أشنع الندم ما استقبل
 الإنسان صباحاً وقت انتباهه وفراغه وأقبله على لذاته (على ما فعلتم) أي من أصابتهم (نادمين)
 أي غريقين في الأسف على ما فات مما يوقع الله تعالى في نفوسكم من أمور ترجف القلوب وقال
 الرازي هذا ضعيف لأن الله تعالى لم يقل إني أنزلتها كذا والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقل عنه
 أنه قال وردت الآية لبيان ذلك حسب غاية ما في الباب أنها نزات في ذلك الوقت وهو مثل
 تاريخ نزول الآية ومما يصدق ذلك ويؤيده أن إطلاق لفظ الفاسق على الوليد بعيد لأنه توهم
 وظن فأخطأ والمخطئ لا يسمى فاسقاً فكيف والفاسق في أكثر المواضع المراد به من خرج عن رتبة
 الإيمان كقوله تعالى إن الله لا يهدي القوم الفاسقين وقوله تعالى ففسق عن أمر ربه وقوله
 تعالى وأما الذين فسقوا فأوهم الناس الآية إلى غير ذلك اه وقال ابن الخازن في تفسيره وقيل
 هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق وهذا أولى من حكم الآية على رجل
 بعينه * (تنبيه) * قوله تعالى أن تصيبوا مفعول له كقوله تعالى أن تحبط قال الرازي معناه على
 مذهب الكوفيين لثلاث تصيبوا وعلى مذهب البصريين كراهة أن تصيبوا وقرأ حجة والكسائي
 بعد التاء المثناة ثاء مثناة وبعدها الباء الواحدة ثاء مثناة فوق من التثبت أي فتوقفوا إلى أن
 يتبين لكم الحال والباقون بعد التاء المثناة بياء واحدة وبعدها ياء تحسية وبعدها نون من
 البيان (واعلموا) أي أيها الأمة (أن فيكم) أي على وجه الاختصاص بكم وبالله من شرف
 (رسول الله) أي الملك الأعظم المتصف بالجلال والأكرام فلا تقولوا الباطل فإن الله يخبره بالحال
 (لو يطيعكم) وهو لا يجب عنكم ولا شيئاً يشق عليكم (في كثير من الأمور) أي الذي تريدونه على
 فعله من أنه يعمل في الحوادث على مقتضى ما يعين لكم وتستصوبونه ليعمل فعله معكم فعل
 المطواع لغيره التابع له فينقلب حينئذ الحال ويصير المتبوع تابعاً والمطاع طائعاً (لعمركم) أي

لا نغم دونه وهلكتم لأن من أراد أن يكون أمر الرسول صلى الله عليه وسلم تابعا لأمره فقد
 زين له الشيطان الكفران وقوله تعالى (ولكن الله) أي الملك الأعظم الذي يفعل ما يريد
 (حبب إليكم الإيمان وزينه) أي حسنه (في قلوبكم) فلزمتم طاعته وعشقتم متابعتها استدرالك
 من جهة المعنى لأن جهة اللفظ لبيان عذرهم وهو أنه من فرط حبهم للإيمان وكراهتهم للكفر
 كما قال تعالى (وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان) جلهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد
 أو بصفة من لم يفعل ذلك منهم أحاد الفعلهم وتعرضا بغيرهم من فعل قال الرازي هذه الأمور
 الثلاثة في مقابلة الإيمان الكامل المزين وهو التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل
 بالاركان فقوله تعالى كفره إليكم الكفر وهو التكذيب وهو في مقابلة التصديق بالجنان
 وأما الفسوق فقبل هو الكذب كما قاله ابن عباس قال تعالى إن جاءكم فاسق بنبأ فسمى الكاذب
 فاسقا وقال البيضاوي الكفر تغطية نعم الله بالحدود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان
 الامتناع عن الانقياد وقال بعضهم الكفر ظاهر والفسوق هو الكبيرة والعصيان هو الصغيرة
 (أولئك) أي الذين أعلی الله تعالى مقاديرهم (هم الراشدون) أي الكاملون في الرشد الثابتون
 الاستقامة وعلى دينهم وفي تفسير الاصفهاني الرشد هو الاستقامة على طريق الحق مع تصلب
 فيه وقوله تعالى (فضلا) مصدر منصوب بفعله المقدر أي فضل وقيل تعليل لكفره أو حجب
 وما بينهما اعتراض فهو امتنان عظيم ودرجة عالية (من الله) أي الملك الأعظم الذي بيده
 كل شيء (ونعمة) أي وعيشا حسنا ناعما وكرامة (والله) أي المحيط بصفات الكمال (عليم)
 أي محيط العلم يعلم أحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل (حكيم) أي بانغ الحكمة فهو
 يضع الأشياء في أوفق محالها وأتقنها فكذلك وضع نعمته من الرسالة والإيمان على حسب
 علمه وحكمته ونزل في قضية (وان طائفتان من المؤمنين) الآية وهي أن النبي صلى الله
 عليه وسلم ركب جارا ومز على ابن أبي قبال الحارثي فدان أبي أنفه فقال ابن راحة
 لبول جاره أطيب ريحا من مسكك فكان بين قومه ما ضرب بالأيدي والنعال والسعف
 وعن أنس قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو أتيت عبد الله بن أبي قحافة لقلت له ما أتيتك
 عليه وسلم وركب جارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهو بأرض سبعة فلما أتاه النبي
 صلى الله عليه وسلم فقال اليك عنى فوالله لقد أذاني من جارك فقال رجل من الانصار
 منهم والله لجار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من
 قومه فتشامت فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي
 والنعال فبلغنا أنها نزلت فيهم ويروى أنها لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فاصطلموا وكف بعضهم عن بعض وعن قتادة نزلت في رجلين من الانصار كان بينهما مداواة
 في حق فقال أحدهما للآخر لا تخذل حتى منك عنوة لكثرة عشيرته وإن الآخر دعاه ليحاكمه
 إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أن يتبعه فلم يزل الأمر بينهما حتى تدافعا وتناول بعضهم
 بعضا بالأيدي والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وعن سفيان عن السدي قال كانت امرأة

من الانصار يقال لها أم زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شي فرق بينهما الى عينة وحبسها
 فبلغ ذلك قومها فخاراً ووجاهة قومه واقتتلوا بالأيدي والنعال فنزلت وجمع تعالى قوله سبحانه
 (اقتتلوا) نظراً للمعنى لأن كل طائفة جماعة وثى الضمير في قوله تعالى (فأصلحوا) أى أو قعوا
 الاصلاح ليحصل الصلح (بينهما) نظراً للفظ أى أصلحوا بينهم ما بالنهض والدعاء الى حكم الله
 تعالى (فان يغت) أى أو وقعت الارادات السيئة الكائنة من النفوس التي لا تأمر بخير
 (احداهما) أى الطائفتين (على الاخرى) فلم ترجع الى حكم الله الذي خرجت عنه ولم تقبل
 الحق (فقاتلوا) أى اطلبوا وأوجدوا مقاتلة (التي تبغى) أى توقع الارادة السيئة ونصر
 عليها وأدعوا القتال لها (حتى تنف) أى ترجع عما صارت اليه من حر القطيعة الذي كانه
 حر الشمس حتى نسخته الظل الى ما كانت فيه من البرد والخير الذي هو كالظل الذي نسخته
 الشمس وهو معنى قوله تعالى (الى أمر الله) أى التزام ما أمر به الملك الذي لا يهمل الظالم بل
 لا بد من أن يقاصمه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية كالبااء والباقون
 بتحقيقهما (فان قامت) أى رجعت الى ما كانت عليه من التمسك بأمر الله الذي هو العدل
 (فأصلحوا) أى أو قعوا الاصلاح (بينهم ما بالعدل) أى بالانصاف ولا يحملنكم القتال على
 الحق على المقاتلين فتخيفوا (وأقسطوا) أى وأزيلوا القسط بالفتح وهو الجور بأن تفعلوا
 القسط بالكسر وهو العدل الذي لا جور فيه في ذلك وفي جميع أموركم ثم علله ترغيباً فيه بقوله
 تعالى مؤكداً تنبيهاً على أنه من أعظم ما يتماجد به وردا على من اعده يقول انه لا يلزم نفسه
 الوقوف عنده الاضعف (ان الله) أى الذي بيده التصرف والخذلان (يحب المقسطين) أى
 يفعل مع أهل العدل من الاكرام فعل الحب (انما المؤمنون) أى كلهم وان تباعدت أنسابهم
 وبلادهم (اخوة) أى في الدين لا تنسابهم الى أصل واحد هو الايمان ولما كانت الاخوة
 داعية ولا بد الى الاصلاح تسبب عنها قوله تعالى (فأصلحوا بين أخويكم) كما تصطلحون
 بين أخويكم من النسب ووضع الظاهر موضع الضمير مضافاً الى المأمور بمبالغة في التقرير
 والتخصيص وخص الاثنين بالذكور لانهم أقل من يقع بينهم ما الشقاق وعن أبي عثمان الخيري
 ان اخوة الدين أثبت من اخوة النسب فان اخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين واخوة الدين
 لا تنقطع بمخالفة النسب (واتقوا الله) أى الملك الاعظم في مخالفة حكمه والاهمال فيه
 (اعلمكم ترجون) أى لتكونوا اذا فعلتم ذلك على رجاء عند أنفسكم أن يكرمكم الذي لا قادر
 على الاكرام في الحقيقة غيره بأنواع الكرامات كما رجتم اخوانكم باكرامكم عن افساد
 ذات البين وعن الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المسلم أخو
 المسلم لا يظلمه ولا يشتمه فمن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة ففرج
 الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة * (تنبيه) *
 في هاتين الآيتين دليل على أن البقي لا يزال اسم الايمان لأن الله تعالى سماهم اخوة مؤمنين
 مع كونهم باغين يدل عليه ما روى عن علي بن أبي طالب سئل وهو القديرة في قتال أهل

البغي عن أهل الجمل وصفين أمشركون فقال لا من الشرك فزوا فقبل آمنافقون هم فقال لا إن
 المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواتنا بغوا علينا والباغي في الشرع
 هو الخارج عن الامام العدل بتأويل محتمل وشوكة لهم ومطاع تحصل به قوة الشوكة
 وان لم يكن لهم امام والحكم فيهم أن يبعث اليهم الامام أميننا فطنا ناصحا ينصهم ما ينقدهون
 فان ذكروا مظلة أو شبهة أزالها وان أصرروا نصهم ثم أعلمهم بالقتال فان استهملوا اجتهد وفعل
 ما رآه صوابا والحكم في قتالهم أن لا يتبع مدبرهم ولا يقتل أسيرهم ويرد سلاحهم وخيلهم اليهم
 اذا انقضت الحرب وأمنت غائلتهم ولا يستعمل في قتال الا الضرورة ولا يقاتلون بعظيم كآر
 ومنجنيق الا للضرورة ولو أقاموا حدا أو أخذوا زكاة وجزية وخراجا وفرقوا سهم المرتزقة على
 جندهم صح ما فعلوه وما أتلفه باغ على عادل وعكسه ان كان بسبب قتال فلا ضمان على واحد
 منهما والا فعلى المتلف الضمان قال ابن سهل كانت في تلك الفتنة دماء يفرق في بعضها القاتل
 والمقتول وأتلف فيها أموال ثم صار الناس الى أن سكت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم
 فما رأته اقتص من أحد ولا أغرم ما لا أتلفه ولو أظهر قوم رأى الخوارج كترك الجماعات
 وتكفير ذي كبرة ولم يقاتلوا فلا تعرض لهم وروى أن عليا سمع رجلا يقول في ناحية المسجد
 لا حكم الا لله تعالى فقال على رضي الله عنه كلمة حق أريد بها باطل لكم علينا ثلاثة لا تمنعكم
 مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ولا تمنعكم التي مادامت أيديكم مع أيدينا ولا نبذوكم بقتال
 فان قاتلوا تخكمهم حكم قطاع الطريق وتفر يعات أحكام البغاة مذكورة في الفقه وفي هذا
 القدر كفاية واختلف في سبب نزول قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أي أوقعوا الاقرار
 بالتصديق (لا يسخر) أي لا يهزأ والسخرية هي أن لا ينظر الانسان الى أخيه بعين الاجلال
 ولا يلتفت اليه ويسقطه عن درجته (قوم) أي ناس فيهم قوة المحاولة وهم الرجال وفي التعبير
 بذلك تنبيه على قيام الانسان على نفسه وكفها عما تريده من النقائص منكر المأعطاء الله تعالى
 من القوة (من قوم) أي من رجال فان ذلك يوجب الشر لان أضعف الناس اذا استهزئ به
 قوى لما يشور عنده من حظ النفس فقال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس كان في أذنه وقر
 أي ثقل فكان اذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس أو دعوا له حتى يجلس
 الى جنبه فيسمع ما يقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي صلى
 الله عليه وسلم من الصلاة أخذ أصحابه بحاله هم فضن أي بخل كل رجل منهم بجلسه فلا يكاد
 يوسع أحد لا أحد فكان الرجل اذا جاء فلم يجد مجلسا قام قائما فلما فرغ ثابت من صلاته أقبل نحو
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس ويقول تصمحو تصمحو انفسخوا انفسخوا يتفحسون
 حتى انتهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تصمحو فقال الرجل
 قد أصبت مجلسا فاجلس مجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غرث ثابت الرجل فقال
 من هذا فقال له أنا فلان فقال له ثابت ابن فلانة ذكر أماله كان يعيرهم في الجاهلية فنكس الرجل
 رأسه فاصحيا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال الضمالة تزلزلت في وفدة غيم كانوا يستهزئون

بفقره أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخبيب وبلال وصهيب وسلمان وسالم
 مولى أبي حذيفة لما رأوا من رثاء حالهم ومعنى الآية لا تحقروا إخوانكم ولا تستصغروهم
 ثم علل النهي بقوله تعالى (عسى) أي لانه جدير وخلق لهم (أن يكونوا) أي المستتر بهم
 (خير منهم) فينقلب الأمر عليهم وتكون لهم سوء العاقبة قال ابن مسعود البلاء موصول
 بالقول لو حضرت من كاب خشيت أن أحول كلبا وقال القشيري ما استصغر أحد أحدا
 إلا سلط عليه ولا ينبغي أن يغتر بظاهر أحوال الناس فإن في الزوايا خبايا والحق سبحانه يستسر
 أوليائه في حجاب القنينة وكذا في الخبركم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله
 لأبره (ولا) يستخر (نساء من نساء) ثم علل النهي بقوله تعالى (عسى) أي ينبغي أن يخفن من
 (أن يكن) أي المسخور بهن (خير منهن) أي السائرات روى أنه أنزلت في نساء النبي صلى
 الله عليه وسلم عيرن أم سلمة بالقصر وروى عكرمة عن ابن عباس أنها نزلت في مصيبة بنت حبي
 ابن أخطب قال لها النساء يهودية بنت يهوديين * (تنبيهان) * أحدهما قال الرازي القوم
 اسم يقع على جمع من الرجال ولا يقع على النساء ولا على الأطفال لانه جمع قائم والقائم
 بالأمور هم الرجال وعلى هذا ففي أفراد الرجال والنساء فائدة وهي أن عدم الالتفات
 والاستهتار أن يصدر في أكثر الأمر من الرجال بالنسبة إلى الرجال لأن المرأة في نفسها ضعيفة
 قال صلى الله عليه وسلم النساء لحم على وضغ فالمرأة لا يوجد منها استحقاق لرجل لأنها مضطرة
 إليه في رفع حوائجها وأما الرجال بالنسبة إلى الرجال والنساء بالنسبة إلى النساء فإنه يوجد
 فيهن ذلك (الثاني) في حكمة قوله تعالى عسى أن يكونوا خيرا منهم هم هي أنهم إذا وجدوا منهم
 التكبر المقتضي إلى إحباط العمل جعل نفسه خيرا منهم كما فعل إبليس حيث لم يلتفت إلى آدم
 وقال أنا خير منه فصار هو خيرا منه ويحتمل أن يكون المراد بقوله تعالى يكونوا أي يصيروا
 فإن من استحقق أنسا بالفقر وضعفه لا يأمن أن يفتقر هو ويستغنى الفقير ويقوى الضعيف
 (ولا تلزوا) أي تعيبوا على وجه الخفية (أنفسكم) بأن يعيب بعضكم بعضا بإشارة أو نحوها
 فكيف إذا كان على وجه الظهور فانكم في التواصل والتراحم كنفس واحدة أو يعمل
 الإنسان ما يعاب به فيكون الإنسان قد لمز نفسه أو يلز غيره فيكون لمزه سبباً لأن يجت
 عن عيوبه فيلزمه فيكون هو الذي لمز نفسه (ولا تنازوا باللقاب) أي ولا يدع بعضكم بعضا
 بلقب السوء فإن اللفظ يختص بلقب السوء واختلاف في هذا اللقب فقال عكرمة هو قول
 الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر وقال الحسن كان اليهودي والنصراني يسلم فيقال له
 بعد إسلامه يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك وقال عطاء هو أن يقول الرجل لأخيه يا حمار
 يا خنزير وعن ابن عباس التناز باللقاب هو أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهى
 أن يعير بما سلف من عمله والحاصل أنه يحرم تلقيب الشخص بما يكره وإن كان فيه كالأعور
 والأعمش ويجوز ذكره بنية التعريف لمن لا يعرفه إلا به وأما ألقاب المدح فنعمها هي فقد لقب
 الصديق بعتيق وعمر بالفاروق وحزرة بأسد الله وخالد بن الوليد بسيف الله وما زالت الألقاب

الحسنة في الجاهلية والاسلام قال الزمخشري الاما أحدثه الناس في زماننا من التوسع
حتى لقبوا السفلة بالالقباب العلية وهب أن العذر مبسوط فاقول لمن ليس من الدين في قبيل
ولادير بفلان الدين لعمرى والله انها الغصة التي لا تنساغ ومعنى اللقب اسم زائد على الاسم
يشعر بضعة المسمى أو رفعتة والمقصود به الشهرة فما كان مكروهاً نهى عنه ويستأن أن يكنى
أهل الفضل الرجال والنساء وان لم يكن لهم ولد وأما التكنى بأبي القاسم فهو حرام وقيل
انما يحرم في زمانه صلى الله عليه وسلم فقط وقيل انما يحرم على من اسمه محمد ولا يكنى كافر
ولا فاسق ولا مبتدع لان الكنية لله كرمة وليسوا من أهلها بل أمرنا بالاعلاط عليهم
الانخوف فتنة من ذكره باسمه أو تعريفه كما قيل به في قوله تعالى ثبت يدا أبي لهب واسمه
عبد العزى ولا بأس بكنية الصغير ويستأن أن يكنى من له أولاداً كبيراً ولادة ويستأن لولد
الشخص وتليذه وعلامة أن لا يسميه باسمه والادب أن لا يكنى الشخص نفسه في كتاب أو غيره
الا ان كان لا يعرف بغيرها أو كانت أشهر من الاسم * (تنبيه) * ذكر في الآية ثلاثة أمور
مرتبة بعضها دون بعض كما علم من تقريرها (بئس الاسم) أي المذكور من السخرية واللمز
والتنابز وقوله تعالى (الفسوق) أي الخروج من رتبة الدين (بعد الايمان) بدل من الاسم
لأفادة انه فسق لتنكزه عادة وروى ان الآية نزلت في صفية بنت حيي أتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقرن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال هلا قلت ان أبي
هرون وعي موسى وزوجي محمد صلى الله عليه وسلم (ومن لم يتب) أي يرجع عما نهى الله عنه
نخفف على نفسه ما كان شتد عليها (فأولئك) أي البعداء من الله تعالى (هم الظالمون) أي
الغريقون في وضع الاشياء في غير مواضعها وأدغم أبو عمرو والكسائي الباء في الفاء واختلف
عن خلد والباقون بالاظهار (يا أيها الذين آمنوا) أي اعترفوا بالايمان وان كانوا في أول
مراتبه (اجتنبوا) أي كفوا أنفسكم أن تتركوا وتبعدوا وتجهلوا في جانب بعيد عنكم
(كثيرا من الظن) أي في الناس وغيرهم واحتاطوا في كل ظن ولا تمتدوا معه حتى تجزموا
بسببه * (تنبيه) * أفهم ذلك ان من الظن ما لا يجتنب كما في الاجتهاد حيث لا قاطع وكما في ظن
الخير في الله تعالى ففي الحديث أنا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي الا خيراً بل قد يجب كما في قوله
تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقيل نزات في رجلين اغتابا
رفيقهما وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج الى
رجلين مؤسرين يخدمهما ويتقدم لهما الى المنزل فيبي لهما طعامهما وشرابهما فضم سلمان
الفارسي الى رجلين في بعض أسفاره فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فلم يبي لهما فلما قدما
قالا له ما صنعت شيئا قال لا غلبتني عيناي قال لا انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب
لنامته طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله طعاما فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم انطلق الى أسامة بن زيد وقل له ان كان عندك فضل من طعام فليعطك وكان أسامة
خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فأتاه فقال ما عندى شيء فرجع سلمان اليهما

فأخبرهما فقالا كان عند أسامة ولكن بجل فبعنا سلمان إلى طائفة من العصابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قال له لوبعثناء إلى بئر سبعة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جآ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما قالوا والله يا رسول الله ماتنا ولنا يومنا هذا الحما قال ظلمت نأكلون لحم أسامة وسلمان فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن وقوله تعالى (إن بعض الظن اثم) تعليل مستأنف للامر قال صلى الله عليه وسلم إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه وجعل الرخص شريها مزمه بدلا من واو قال لانه يتم الاعمال أي يكسرهما قال ابن عادل وهذا غير مسلم بل تلك مادة أخرى قال سفيان الثوري الظن ظنان أحدهما اثم وهو أن يظن ويتكلم به والاخر ليس باثم وهو أن يظن ولا يتكلم به وقوله تعالى (ولا تجسسوا) حذف منه إحدى التاءين أي لا تتبعوا عورات المسلمين ومعاتبهم بالمبحث عنها قال صلى الله عليه وسلم لا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله أخوانا وقال عليه الصلاة والسلام يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الايمان إلى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضله ولوفي جوف رحله ويظن ابن عمر يومألى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم عند الله حرمة منك وقيل لابن مسعود هل لك في الوليد بن عتبة فقطر لحية خرافا قال انا نهيانا عن التجسس وان يظهر لنا شيئا نأخذه به * (تنبه) * قرأ ولا تنازروا ولا تجسسوا ولما عارفوا البزى في الوصل بتشديد التاء والباقون بغير تشديد ولما كانت الغيبة أعظم من التجسس قال (ولا يغتب) أي ولا يتعمد أن يذكر (بعضكم بعضا) أي في غيبته بما يكره قال القشيري وليس تحصل الغيبة للخلق الا من الغيبة عن الحق وقال أبو حيان قال ابن عباس الغيبة ادم كلاب الناس وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكر لك أخاك بما يكره قيل أفرأيت ان كان في أخي ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنهم ذكروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فقالوا لانا كل حتى يطعم ولا نرحل حتى يرحل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اغتبهوه فقالوا انما حدثنا بما فيه قال حسبك اذا ذكرت أخاك بما فيه وفي هذا اشارة إلى وجوب حفظ عرض المؤمن فان غزى عرض الانسان كغزى أدعيه ولحمه كما قال تعالى (أحبب أحدكم أن يأكل لحم أخيه) وقرأ (ميتا) نافع بتشديد الياء والباقون بالسكون ولما كان الجواب قطعا لا يجب أحد ذلك أشار إليه بما سببه من قوله تعالى (فكرهوه) أي بسبب ما ذكر طبعافنا ولى أن تكرهوا الغيبة المحرمة عقلا لان داعي العقل يصير عالم وداعي الطبع أعشى جاهل * (تنبه) * في هذا التشبيه اشارة إلى أن عرض الانسان كدمه ولحمه لان الانسان يتألم قلبه من قرص العرض كما يتألم جسمه من قطع اللحم وهذا

من باب القياس الظاهر لان عرض الانسان أشرف من لحمه ودمه فاذا لم يحسن من العاقل
 كل لحوم الناس لم يحسن منه قرص عرضهم بالطريق الاولى لان ذلك أشد ألما وقوله تعالى
 لحم أخيه **آكد** في المنع لان العدو يحمله الغضب على مضغ لحم العدو وفي قوله تعالى ميتا
 اشارة الى دفع وهم وهو أن يقال ان الشتم في الوجه يؤلم فيحرم وأما الاغتيا ب فلا اطلاع عليه
 فلا يؤلم فيقال لحم الاخ وهو ميت أيضا لا يؤلم ومع هذا هو في غاية القبح كما أنه لو اطلع عليه لتألم
 فان الميت لو أحس بأكل لحمه لآلمه وفيه معنى لطيف وهو أن الاغتيا ب أكل لحم الأدي ميتا
 ولا يصل أكله الا للمضطر بقدر الحاجة والمضطر اذا وجد لحم الشاة الميتة ولحم الأدي
 فلا يأكل لحم الأدي فكذلك المغتاب اذا وجد لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتيا ب
 قال مجاهد لما قيل لهم أيجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا قالوا لا قيل ففكرهموه أي
 كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا قال الزجاج تأويله ان ذكر لمن لم يحضر له بسوء
 بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحسن بذلك قال الرازي وفي ضمير فكرهموه وجوه أظهرها أن يعود
 الى الأكل وثانيها أن يعود الى اللحم أي فكرهم اللحم وثالثها أن يعود الى الميت في قوله
 تعالى ميتا تقديره أيجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا متغيرا فكرهموه فكانه صفة لقوله ميتا
 ويكون فيه زيادة مبالغة في التحذير يعني الميتة ان أكلت في الندرة تستطاب نادرا ولكن
 اذا أتت وأروح وتغير لا يؤكل أصلا فكذلك ينبغي أن تكون الغيبة وذلك يحقق الكراهة
 ويوجب النفرة الى حد لا يشتهي الانسان أن يبيت في بيت فيه ميت **فكيف** يشر به بحيث
 يأكله ففيه اذا كراهية شديدة وكذلك حال الغيبة وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال
 لما عرج بي مرت بقوم لهم أظافر من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم فقلت من هؤلاء
 يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم وقال مهون بن سنان
 بينما أنا نائم اذا أنا بحبيبة زنجي وقائل يقول لي كل هذا قلت يا عبد الله ولم آكل هذا قال انك
 اغتيت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكنك سمعت ورضيت فكان
 مهون لا يغتاب أحدا ولا يدع أحدا يغتاب عنده وقوله تعالى (واتقوا الله) أي اجعلوا
 بينكم وبين الملك الاعظم وقاية بطاعته معطوف على ما تقدم من الاوامر والنواهي أي
 اجتنبوا واتقوا الله (ان الله) أي الملك الاعظم (تواب) أي مكررا للتوبة وهي الرجوع
 عن المعصية الى ما كان قبلها من معاملة التائب وان كرر الذنب فلا بأس أحدا وان كثرت
 ذنوبه وعظمت (رحيم) يزيد على ذلك بأن يكرمه غاية الاكرام (تنبيه) ختم سبحانه وتعالى
 الآيتين بذكر التوبة فقال في الاولى ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون وقال ههنا ان الله تواب
 رحيم لكن لما كان الابتداء في الآية الاولى بالنهي في قوله تعالى لا يسخر قوم من قوم ذكر النبي
 الذي هو قريب من النهي وفي الثانية كان الابتداء بالامر في قوله تعالى اجتنبوا كثيرا فذكر
 الاثبات الذي هو قريب من الامر وقوله تعالى (يا أيها الناس) أي كافة المؤمنين وغيره (أما) أي
 على ما لان من العظمة (خلقناكم) أي أوجدناكم من العدم على ما أنتم عليه من المقادير

(من ذكر واثقى) الآية مبين ومقرر لما تقدم لان السخرية من الغير وغيبته ان كان ذلك بسبب
غير الدين والايان فلا يجوز لان الناس بعمومهم كافرهم ومؤمنهم يشتركون فيما يقتضيه المقطر
لان التكبر والافتخار ان كان بسبب الغنى فالكافر قد يكون غنيا والمؤمن فقيرا وبالعكس
وان كان بسبب النسب فالكافر قد يكون نسبيا والمؤمن مولى وعبد اسود وبالعكس فالناس
فيما ليس من الدين والتقوى متساوون ومتقاربون ولا يؤثر شيء من ذلك مع عدم التقوى كما قال
تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فقوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر واثقى أى آدم
وحواء فانتم متساوون في النسب فلا تفاخر لبعض على بعض لكونهم ابناء رجل واحد وامرأة
واحدة قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس وقوله للرجل الذي لم يفسح له ابن فلانة فقال
النبي صلى الله عليه وسلم من اذا كر فلانة قال ثابت انا يا رسول الله فقال انظر في وجوه القوم
فتنظر فقال ما رأيت يا ثابت قال رأيت أبيض وأحمر وأسود قال فانك لا تفضلهم الا في الدين
والتقوى فنزلت هذه الآية ونزل في الذي لم يفسح له يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا
في المجالس الآية وقال قتادة لما كان فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاجتناب
على ظهر الكعبة فاذن فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيص الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم ير
هذا اليوم وقال الحرث بن هشام أما وجد محمد أغبر من هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال
سهيل بن عمرو ان يرد الله شيئا بغيره وقال أبو سفيان اني لأقول شيئا أخاف أن يخبر به رب
العالمين رب السموات فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما قالوه فدعاهم وسألهم
عما قالوا فافقروا فأنزل الله تعالى هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال
والازدراء بالفقراء * (تنبيه) * الحكمة في اختيار النسب مع أن غيره من جملة أسباب
التفاخر ولم يذكر الامور التي يفتخر بها في الدنيا وان كانت كثيرة لان النسب أعلاها لان المال
قد يحصل للفقير فيبطل افتخار الغنى المقطر به عليه والسمن والجنس وغير ذلك لا يدوم والنسب
ثابت مستمر غير متقدور التحصيل لمن ليس له ذلك فاختره الله تعالى للذكر وأبطل اعتباره
بالنسبة الى التقوى ليعلم منه بطلان غيره بطريق الاولى (فان قيل) اذا كان ورود الآية
ليسان عدم جواز الافتخار بغير التقوى فما فائدة قوله تعالى انا خلقناكم (أجيب) بأن فائدة
أن كل شيء يرجع على غيره فاما أن يرجع بأمر فيه يلحقه ويرتب عليه بعد وجوده واما أن يرجع
عليه بأمر قبله فالذي بعده كالحسن والقوة وغيرهما من الاوصاف المطلوبة من ذلك الشيء
وأما الذي قبله فاما راجع الى أصله الذي وجد فيه أو الى الفاعل الذي أوجده فالاول كقولك
هذا من نحاس وهذا من فضة والثاني كقولك هذا عمل فلان وهذا عمل فلان فقال تعالى
لا ترجع بالنسبة الى فاعلكم لانكم كلكم خلق الله تعالى فان كان عندكم تفاوت فهو
بأمر يحصل لكم بعد وجودكم وأشرفها التقوى ولما كان تفصيلهم الى فرق كل منها يعرف
به أمر اباها عبر فيه بنون العظمة فقال تعالى (وجعلناكم) أي بعظمتنا (شعوبا) جمع شعب
بفتح الشين وهو أعلى طبقات الانسان مثل ربيعة ومضر والاوز والخزرج (وقبائل) أي تحت

الشعوب وذلك أن طبقات النسل التي عليها العرب سبعة الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والقصيلة والعشيرة وكل واحد يدخل فيما قبله فالقبائل تحت الشعوب والعمائر تحت القبائل والبطون تحت العمائر والانخاذ تحت البطون والقصائل تحت الانخاذ والعشائر تحت القصائل خزيمة شعب وكثانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وعبد مناف نفخذ وهاشم قصيلة والعباس عشيرة قال البغوي وليس بعد العشيرة حتى يوصف اه وسمى الشعب شعبا للشعب القبائل منه واجتماعهم به كشعب أغصان الشجرة والشعب من الاضداد يقال شعب أى جمع ومنه شعب القدر وشعب أى فترق والقبائل واحدتها قبيلة سميت بذلك لتقابلها شبهت بقبائل الرأس وهي قطع متقابلة وقيل الشعوب في العجم والقبائل في العرب والاسباط في بني اسرائيل وقيل الشعب النسب الابعد والقبيلة الاقرب والنسبة الى الشعب شعوبية بفتح الشين وهم جيل يغضون العرب والعمائر واحدتها عمارة بفتح العين والبطون واحدتها بطن والقصائل واحدتها قصيلة والعشائر واحدتها عشيرة وقال أبو روق الشعوب الذين لا يعتزون الى أحد بل يتسبون الى المدائن والقرى والقبائل العرب الذين يتسبون الى آبائهم ثم ذكر تعالى علة الشعب بقوله تعالى (لتعارفوا) أى ليعرف الانسان من يقاربه في النسب ليصل من رحمه ما يحق له لالتفاخروا (ان اكرمكم) أي المتفاخرون (عند الله) أى الملك الذى لا أمر لا حدمعه ولا كريم الامن أخبركم بكرمه ولا كمال لاحد سواه (أتقاكم) أى أرفعكم منزلة عند الله أتقاكم قال قتادة في هذه الآية أكرم الكرم التقوى وألأم اللوم الفجور وقال عليه الصلاة والسلام الحسب المال والكرم التقوى وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الأركان بمحجنه وهو عصا محنية الرأس فلما خرج لم يجد منا خافئز على أيدي الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه فقال الحمد لله الذى أذهب عنكم عبية الجاهلية يعنى كبرها وفخرها الناس رجل تقى كريم على الله وفاجر شقى حين على الله ثم تلايها يا أيها الناس اننا خلقناكم من ذكر وأنثى ثم قال أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم وعن أبي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس أكرم قال أكرمهم عند الله أتقاهم قالوا ليس عن هذا نسالك قال فأكرم الناس يوسف نبي الله بن نبي الله ابن نبي الله بن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسالك قال فمن معادن العرب تسألونى قالوا نعم قال خياركم فى الجاهلية خياركم فى الاسلام اذا فقهوا بضم القاف على المشهور ووحكى كسرهما ومعناه اذا تعلموا أحكام الشرع وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم قال الرازى فى المراد بالآية وجهان الاول ان التقوى تضد الاكرام الثانى ان الاكرام يورث التقوى كما يقال المخلصون على خطر والاول أشهر والثانى أظهر (فان قيل) التقوى من الاعمال والعلم أشرف لقوله صلى الله عليه وسلم افضيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد (أجيب) بأن التقوى ثمرة العلم لقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فلا تقوى

الا لعالم فالتقى العالم آخر علمه والعالم الذي لا يتق كشيعة لا تغر لها لكن الشجرة المثمرة أشرف
 من التي لا تثمر بل هي حطب قال الحسن البصري انما الفقيه العامل بعلمه أي وهو المراد من
 قوله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ومن قوله عز من قائل قل هل يستوي
 الذين يعلمون والذين لا يعلمون (فان قيل) خطاب الناس بقوله تعالى أكرمكم يقتضي اشتراك
 الكل في الاكرام ولا كرامة لكافر فانه أفضل من الانعام (أجيب) بأن ذلك غير لازم مع أنه
 حاصل بدليل قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم لان كل من خلق فقد اعترف بربه ثم من استمر عليه
 و زاد زيدا في كرامته ومن رجع عنه أزيل عنه أكثر الكرامة (ان الله) أي المحيط بكل شيء علما
 وقدرية (عليم) أي بالغ العلم بطواهر كرم يعلم أنسابكم (خير) أي محيط العلم بيوافظكم لا تخفى عليه
 أسراركم فاجعلوا التقوى رداكم ولما قال تعالى ان أكرمكم عند الله اتقاكم والاتي لا يكون
 الا بعد حصول التقوى وأصله الايمان والاتقاء من الشرك (قالت الاعراب) أي أهل
 البادية من بني أسد وغيرهم الذين هم معدن الغلظة والجفاء (أمانا) أي بجميع ما جئت به
 فامتثلنا ما أمرنا به في هذه السورة ولنا النسب الخاص فحن أشرف من غيرنا من أهل المدر
 (قل) يا أشرف الخلق تكذبا لهم مع مراعاة الادب في عدم التصريح بالكذب (لم تؤمنوا)
 أي لم تصدق قلوبكم لانكم لو آمنتم لم تموتوا الان الايمان التصديق بجميع ما لله من الكمال الذي
 منه انه لو لامنه بالهداية لم يحصل الايمان فله ورسوله الذي كان ذلك على يديه المتى والفضل
 (ولكن قولوا أسلمنا) أي أظهرنا الانقياد في الظاهر لا احكام الظاهرة وأما من أن نكون حربا
 للمؤمنين وعونا للمشركين فأخبر الله تعالى ان حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب وان الاقرار
 باللسان واطهار شرائعه بالابدان لا يكون ايمانا دون التصديق بالقلب والاخلاص فالاسلام
 هو الدخول في السلم كما يقال أشقى اذا دخل في الشتاء وأصاف اذا دخل في الصيف وأربع
 اذا دخل في الربيع فن الاسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان كقوله
 عز وجل لا يراهيم أسلم قال أسلمت لرب العالمين ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله
 تعالى ولكن قولوا أسلمنا (ولما يدخل الايمان) أي المعرفة التامة لم تدخل الى هذا الوقت
 (في قلوبكم) فلا يعتد اقرار اللسان ايمانا الا بما وطأه القلب قال ابن بريان فعموم الناس
 وأكثر أهل الغفلة مسلمون غير مؤمنين وعن سعد بن أبي وقاص قال أعطى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم رهطا وأنا جالس فيهم فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم لم يعطه وهو
 أعجبهم الى فتمت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار ربه فقلت مالك عن فلان والله اني
 لا اراه مؤمنا فقال صلى الله عليه وسلم أو مسلمانا كذا ذلك سعد ثلاثا وأجاب به عثل ذلك ثم قال اني
 لا أعطى الرجل وغيره أحب الى منه خشية أن يكب في النار على وجهه وقال الرازي المسلم
 والمؤمن واحد عند أهل السنة فنقول الفرق بين العام والخاص ان الايمان لا يحصل الا بالقلب
 والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالاسلام أعم لكن العامة في صورة ان الخاص
 متضمن للخاص ولا يكون أمرا آخر غيره مثاله الحيوان في صورة الانسان أمر لا يتفك عن

الانسان فلا يجوز أن يكون ذلك الحيوان عتوا أو لا يكون انسانا فالعلم والناس من مختلفان
في العموم متحدان في الوجود وكذلك المؤمن والمسلم وسياق في زيادة على ذلك في الذوايات
ان شاء الله تعالى - وقال الرازي في الآية اشارة الى بيان حال المؤلفه اذا أسلموا ويكون ايمانهم
ضعيفا فيقال لهم لم تؤمنوا لان الايمان ايقان وذلك بعد لم يدخل في قلوبهم وسيدخل باطلاعهم
على محاسن الاسلام انتهى بل الايمان دخل في قلوبهم ولكن لم يتألقوا باهل الاسلام * (تبيينه) *
التعبير بك يفهم انهم آمنوا بعد ذلك ويجوز أن يكون المراد بهذا النبي نبي التمكن في القلب
لانني مطلق الدخول بدليل انما المؤمنون دون انما الذين آمنوا (وان تطيعوا الله) أي الملك
الذي من خالفه لم يأمن عقوبته (ورسوله) أي الذي طاعته من طاعته على ما أنتم عليه من
الامر الظاهر فتؤمن قلوبكم (لا يأتكم) أي لا ينقصكم (من أعمالكم شيئا) بل يعطيكم
ما يليق به من الجزاء لان من حل الى ملك فأكفه طيبة قدرتها في السوق درهم فأعطاه الملك
درهما انتسب الملك الى البخل فهو يعطي ما توقعون بأعمالكم وزيادة من غير نقص فلا حاجة
الى اخباركم عن ايمانكم بغير ما يدل عليه من الاقوال والافعال وقرأ الدوري عن أبي عمر وبعد
الياء التحتية بهمزة ساكنة وأبدأها السوسى ألفا والباقيون بغير همز ولا ألف ولما كان
الانسان مبنيا على النقص وان اجتهد غاية اجتهاده قال الله تعالى (ان الله) أي الذي له صفات
الكمال (غفور) أي ستور للنفوس والزلات لمن تاب وصحت نيته وغيره ان شاء الله تعالى
ولا عقاب (رحيم) أي يزيد على السر عظيم الاكرام ثم بين تعالى لهم حقيقة الايمان بقوله
تعالى (انما المؤمنون) أي العريقون في الايمان الذي هو حياة القلوب قال القشيري والقلوب
لا تحيا الا بعد ذبح النفوس والنفوس لا تموت ولكنها تعيش (الذين آمنوا) أي صدقوا
معترفين (بالله) معتقدين بجميع ما له من صفات الكمال (ورسوله) شاهدين برسالة وهذا الاثبات
هنا يدل على ان المنق فيما قبل الكمال المطلق والاقوال تعالى انما الذين آمنوا (ثم لم يرتابوا)
أي لم يشكوا في دينهم وأيقنوا بأن الايمان ايقان * (تبيينه) * ثم للتراخي في الحكاية كأنه يقول
آمنوا ثم أقول شيئا آخر لم يرتابوا ويحتمل أن تكون للتراخي في الفعل أي آمنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا فيما نقل النبي صلى الله عليه وسلم من الحشر والنشر (وجاهدوا) أي أوجعوا
الجهاد بكل ما يتبع أن تجهد النفوس فيه تصديقا لما ادعوه بالسفهم من الايمان (يا أيها الذين آمنوا)
وذلك هو التينة وقوله تعالى (وأنفسهم) أعم من النية وغيرها وذلك هو الشجاعة وقدم
الاموال لقلتم عند العرب (في سبيل الله) أي طريق الملك الاعظم بقتال الكفار وغيره
من سائر العبادات المحتاجة الى المال والنفس لا الذين يتخلفون ويقولون شغلنا أموالنا
وأهلونا قال القشيري جعل الله تعالى الايمان مشروطا بخصال ذكرها وذكر ما يلفظ انما هو
للتضييق يقتضي الطرد والعكس فنأفرد الايمان عن شرائطه التي يجعلها له مردود عليه قوله
(أو لئن) أي العالو الرتبة (هم الصادقون) أي في قولهم وفعلهم انهم مؤمنون - ولما رمل لسان
اللاتبان أنت الاعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحافظون بالله انهم مؤمنون حذرون

وعلم الله منهم غير ذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) أي لهؤلاء الأعراب مجيها
لهم ومبكا (أتعلمون الله) أي أتخبرون أخبارا عظيما الملك الأعظم المحيط قدرة وعلم (بدينكم)
أي بقولكم آمنا (والله) أي والخال أن الملك المحيط بكل شيء (يعلم ما في السموات) كلها على
عظمتها وكثرة ما فيها (وما في الأرض) كذلك (والله) أي الذي له الاحاطة الكاملة (بكل
شيء) أي عما ذكره مما لم يذكر (عليه) أي لا تخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ (بمنون
عليك) أي يذكر من ذكر من اصطنع صنيعا وأسدى اليك نعمة (أن أسلموا) أي من غير قتال
بخلاف غيرهم ممن أسلم بعد قتال منهم ولما كان المن هو القطع من العطاء الذي لا يراد عليه جزاء
قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) أي في جواب قولهم هذا (لا تمنوا على إسلامكم) لو
فرض انكم كنتم متدينين بدين الاسلام الذي هو انقياد الظاهر مع اذعان الباطن أي
لا تذكروا الامتنان أصلا لأن الاسلام لا يطلب جزاءه الا من الله تعالى فلا ينبغي عده صنيعا
على أحد فان ذلك يفسده (بل الله) أي الملك الأعظم الذي له المنّة على كل موجود ولا منة
عليه بوجه (يمن عليكم) أي يذكر أنه أسدى اليكم نعمه (أن) أي بأن (هداكم للإيمان) أي
فهو المان عليكم لا أنتم عليه وعلى (فان قيل) كيف من عليهم بالهداية الى الإيمان مع أنه تبين
أنهم لم يؤمنوا (أجيب) بأوجه أحدها انه تعالى لم يقل بل الله يمن عليكم ان رزقكم الإيمان بل
قال أن هداكم للإيمان ثانيها انه تعالى من عليهم بما رزقوا فكأنه تعالى قال أنتم قلتم آمناف ذلك
نعمه في حقكم حيث تخلصتم من النار فقال تعالى هداكم في زعمكم ولهذا قال تعالى (ان كنتم
صادقين) أي في قواكم آمناف انه على تقدير الصدق انما هو بتوفيق الله تعالى وهو الذي خلق لكم
قدرة الطاعة فهو الفاعل في الحقيقة فله المنّة عليكم قال القشيري من لاحظ شيئا من أحواله
فان رآها من نفسه كان مشركا وان رآها لنفسه كان مكرافا كيف يمن العبد بما هو شرك أو
مكر والذي يجب عليه قبول المنّة كيف يرى لنفسه على غيره منة هذا العمري فضيحة والمنّة
تكثر الصنعة اذا كانت من المخلوقين وبالمنّة تطيب النعمة اذا كانت من قبل الله تعالى (ان
الله) أي المحيط بكل شيء قدرة وعلم (يعلم غيب السموات) أي ما غاب فيها كلها (والارض)
كذلك ولما أريد التعميم من غير تقييد بالخافقين أظهر ولم يضر قوله تعالى (والله) أي الذي
له الاحاطة بذلك وبغيره مما لا تعلمون (بصير) أي عالم أتم العلم (بما تعملون) أي من ظاهر
اسلامكم في الماضي والحاضر والآتي سواء أكان ظاهرا أم باطنا سواء أكان قد حدث
فصار بحيث تعلمونه أنتم أو كان مغروزا في جبالكم وهو خفي عنكم وقرأ ابن كثير بالياء
النسبة على الغيبة نظر القوله تعالى يمنون وما بعدهم والباقيون بالقوقية على الخطاب نظرا الى
قوله تعالى لا تمنوا على إسلامكم الى آخره وفي هذه الآية إشارة الى أنه يصير أعمال جوارحكم
الظاهرة والباطنة لا يخفى عليه شيء وما رواه البيضاوي تعالى لم يخش من أنه صلى الله عليه
وسلم قال من قرأ سورة الجرات أعطى من الاجر بعدد من أطاع الله وعصاه حديث موضوع

❖ (سورة ق مكية) ❖

الاقوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض الاية ثمانية وسبع وخمسون كلمة وألف وأربعمائة وأربعة وتسعون حرفاً

(بسم الله) أى الذى أحاط علمه بجميع خلقه العاكف منهم والبادى (الرحمن) أى الذى عم خلقه برحمته حين أرسل اليهم بشارته أصدق العباد (الرحيم) أى الذى خص بالقوى دار القرار أهل الرشاد واختلف فى تفسير قوله عز من قائل (ق) فقال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل اسم من أسماء القرآن وقال القرطبي هو مفتاح اسمه قدير وقادر وقاهر وقريب وقابض وقال عكرمة والضحاك هو جبل محيط بالارض من زمردة خضراء ومنه خضرة السماء والسماء مقببة عليه وعليه كنفها ويقال هو وراء الحجاب الذى تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة وقيل متصلة عروقه بالصخرة التى عليها الارض والسماء كهيئة القبة وعليه كنفها قال الرازى وهذا القول ضعيف لوجوه أحدها أن أكثر القراء يقف عليها ولو كان اسم جبل لما جاز الوقف فى الادراج لأن من قال ذلك قال ان الله تعالى أقسم به ثانياً أنه لو كان كما ذكر لكان يكتب قاف مع الالف والفاء كما يكتب عين جارية ويكتب أليس الله بكاف عبده وفى جميع المصاحف تندب حرف ق ثالثها ان الظاهر كون الافرقيه كالامرفى ص ون وحى وحى حروف لا كلمات فكذلك فى ق (فان قيل) هو منقول عن ابن عباس (نقول) المنقول عنه ان القاف اسم جبل وأما ان المراد ههنا ذلك فلا اه وقيل معناه قضى الامر وقضى ما هو كائن كما قالوا فى حم وفى ص صدق الله قال الرازى وقد ذكرنا أن الحروف تنبيهات قدمت على القرآن ليكون السامع بسببها يقبل على استماع ما يرد على الاسماع فلا يفوته شئ من الكلام الرائق والمعنى القائق وذكرنا أيضاً ان العبادة منها قلبية ومنها لسانية ومنها جارية ظاهرة ووجد فى الجارية ما عقل معناه ووجد فيها ما لم يعقل معناه كاعمال الحج من الرمي والسعي وغيرها وما وجد فى القلبية ما عقل بالدليل وعلم كالتوحيد وامكان الحشر وصفات الله تعالى وصدق الرسل ووجد فيها ما لم يعقل ولا يمكن التصديق به لولا السمع كالصراط الممدود والاحتم من السيف الارق من الشعر والميزان الذى توزن به الاعمال فكذلك ينبغى أن تكون الازكار التى هى العبادة اللسانية فيها ما يعقل معناه بجميع القرآن الا قليلاً منه وفيها ما لا يعقل ولا يفهم كحروف التهجي ليكون التلفظ به لحض الانقياد للامر لا لما يكون فى الكلام من طيب الحكاية واقتصد الى غرض كقولك ربنا اغفر لنا وارحمنا بل يكون النطق به تعبد المحض ويؤيد هذا وجه آخر وهو ان هذه الحروف مقسم بها لان الله تعالى لما أقسم بالتين والزيتون كان تشرىفاً لهما فاذا أقسم بالحروف التى هى أصل الكلام الشريف الذى هو دليل المعرفة والالتعريف كان أولى واذا عرفت هذا فنقول القسم من الله تعالى وقع بأمر واحد كما فى قوله تعالى والعصر وقوله تعالى والنجم وبحرف واحد كما فى قوله تعالى ص ون ووقع بأمرين كما فى قوله تعالى والضحى والليل وفى قوله تعالى والسماء والطارق وبحرفين كما قال فى قوله تعالى

قوله كما قالوا فى حم الخ عبارة فى سورة المؤمن وقال الضحاك والكسافى معناه قضى ما هو كائن كأنهما أشارا الى أن معنى حم حم بضم الحاء

طه وطس وحى ووقع بثلاثة أمور كما في قوله تعالى والصافات فالزائرات فالتاليات وقوله
 تعالى والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود وثلاثة أحرف كما في قوله تعالى
 الم وطس الر ووقع بأربعة أمور كما في قوله تعالى والذاريات فالحاملات فالجاريات
 فالمتسمات وفي قوله تعالى والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين وبأربعة أحرف
 كما في قوله تعالى المص والمر ووقع بخمسة أمور كما في قوله تعالى والطور وكتاب مسطور
 والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور وفي قوله تعالى والمرسلات فالعاصفات
 والناشرات فالفارقات فالملقيات وفي النازعات وفي القجر وبخمسة أحرف كما في قوله تعالى
 كهيعص وحى عسق ولم يقسم بأكثر من خمسة أشياء الا في سورة واحدة وهى والشمس
 وضحاها ولما أقسم بالاشياء المعهودة ذكر حرف القسم وهو الواو فقال والطور والنجم
 والشمس وعند القسم بالحروف لم يذكر حرف القسم فلم يقل وحى وق لان القسم لما كان
 بنفس الحروف كان الحرف مقسمابه فلم يورده في موضع كونه آله القسم تسوية بين
 الحرف وغيره ولم يدخل القسم بالحروف في أثناء السورة لانه يحل بالنظم وقوله تعالى (والقرآن)
 أى الكتاب الجامع الفارق (الجديد) أى الذى له العلو والشرف والكرام والعظمة على
 كل كلام قسم وفي جوابه أوجه أحدها قوله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم ثانيا
 ما يبدل القول لدى ثالثها ما يلفظ من قول رابعها ان في ذلك لذكرى خامسها بل يحبوا وهو
 قول كوفي قالوا لان معناه قد عجبوا سادسها انه محذوف قدره الزجاج والمبرد والاختف
 لتبعثن وغيرهم لقد جاءكم منذر وقره الجلال المحلى بقوله ما آمن كفار مكة بمحمد صلى الله عليه
 وسلم (تنبيه) * جوابات القسم سبعة ان المشددة كقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر
 وما النافية كقوله تعالى والضحى واللبل اذا سجي ما ودة عك ربك واللام المفتوحة كقوله
 تعالى فو ربك لتسألنهم أجمعين وان الخفيفة كقوله تعالى تالله ان كانى ضلال مبين ولا النافية
 كقوله تعالى وأقسموا بالله جهداً بما أنهم لم لا يبعث الله من يموت وقد كقوله تعالى والشمس
 وضحاها قد أفلح من زكاه وبلى كقوله تعالى والقرآن الجديد (بلى) أى ان تكذيبهم ليس لانكار
 شئ من محذوف ولا انكار صدق بل لانهم (عجبوا) أى الكفار وأضرهم قبل الذكر اشارة الى
 أنه اذا ذكر شئ خارج عن سنن الاستقامة انصرف اليهم والعجب تغير النفس لامر خارج عن
 العادة (ان جاءهم منذر منهم) أى رسول من أنفسهم يخوفهم بالنار بعد البعث واقتصر على
 الانذار لان المقام لتخويف من قدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من عليه باسلام
 أو غيره ولتخويف من أنكر البعث والعجب منهم هو العجب لان العادة عندهم وعند جميع الناس
 انه اذا كان النذير منهم لم يداخلهم في انذاره شك بوجه من الوجوه وهؤلاء الخلق اعادة الناس
 في تعجبهم من كون النذير وهو أحدهم خص بالرسالة دونهم ولم يدركوا وجه الخصوصية لكونه
 مثلهم فلذلك أنكر وارسالته وفضل كتابه بأسمائهم تعانداً وحسد الانهم كانوا معترفين بخصائصه
 التى رفعه الله تعالى بها عليهم قبل الرسالة لخطهم بحجهم ذلك الى الحضرة من دركات السدفة

وخفة الاحلام لانهم ههبوا ان كان الرسول بشرا ووجبوا ان يكون الاله حجرا وعجبوا ان
 يعادوا من تراب لم يكن له أصل في الحياة ولذلك سبب عنه قوله تعالى (فقال) أي بسبب انذاره
 بالبعث (الكافرون) وصرح به في موضع الاضمار اذ انا بأنهم لم يخف عليهم شيء من أمره
 ولكنهم سقروا تعديا برأي عقولهم الدالة على جميع أمره دلالة ظاهرة وعبر عما يدل على النذارة
 لانها المقصود الاعظم من هذه السورة وجميع سياق الحجرات ظاهر فيها (هذا) أي كون
 النذير منا خصص بالرسالة من دوننا وكون ما أنذريه هو البعث بعد الموت (شيء عجيب) أي
 بليغ في الخروج عن عادة اشكاله وقد كذبوا في ذلك أما من جهة النذير فان أكثر الرسل من
 الطوائف الذين أرسلوا اليهم وقليل منهم من كان غريبا عن إرسال اليه وأما من جهة البعث
 فان أكثر ما في الكون مثل ذلك من إعادة كل من المولود بعد ذهابه وأحياء الارض بعد
 موتها وإخراج النبات والاشجار والثمار وغير ذلك مما هو ظاهر جدا ولما كان المتعجب منه
 مجعلا أوضحه بقوله تعالى حكاية عنهم مباغين في الانكار بافتتاح انكارهم باستفهام انكارى
 (أئذ امتنا) ففارقنا أرواحنا أبدانا (وكنا ترابا) لافرق بينه وبين تراب الارض ولما كان
 العامل في الطرف ما تقديره نرجع دل عليه بقوله تعالى دالا بالاشارة بأداة البعد الى عظيم
 استبعادهم (ذلك) أي الامر الذي في غاية البعد وهو مضمون الخبر رجوعنا (رجع) أي ردة
 الى ما كنا عليه (بعيد) جدا لانه لا يمكن تمييز ترابنا من بقية التراب وقرأ قالون وأبو عمرو بتسهيل
 الهمزة الثانية وهي المكسورة وادخال ألف بينها وبين الهمزة الاولى المفتوحة وقرأ ورش
 وابن كثير بتسهيل الثانية من غير ادخال وقرأ الباقر بن يحيى قهما وأدخل هشام بينهما ألفا
 بخلاف عنه والباقر بن غير ادخال وكسر الميم من متنا نافع وحفص وحزرة والكسائي والباقر بن
 بالضم وقوله تعالى (قد علمنا) أي بما لنا من العظمة (ما تنقص الارض منهم) أي تأكل من
 أجزائهم المتحللة من أبدانهم بعد الموت وقبله رد لاستبعادهم لأن من لطف علمه حتى تغفل الى
 ما تنقص الارض من أجزاء الموتي وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجوعهم أحياء
 كما كانوا وعنه عليه الصلاة والسلام كل ابن آدم يلى الا عجب الذنب وعن السدي ما تنقص
 الارض منهم من يموت منهم ومن يبقى وهذه الآية تدل على جواز البعث وقدرته تعالى عليه لأن
 الله تعالى عالم باجزاء كل واحد من الموتي لا يشق عليه جزء واحد بجزء الاخر قادر على الجمع
 والتأليف فليس الرجوع منه بعيد وهذا كقوله تعالى وهو الخلاق العليم حيث جعل للعالم
 مدخلا في الاعادة وهذا جواب ما كانوا يقولون أئذا ضللنا في الارض أي انه تعالى كما يعلم
 أجزاءهم يعلم أعمالهم فيرجعهم ويعيدهم بما كانوا يقولون وبما كانوا يعملون (وعندنا)
 أي على ما لنا من الغنى عن كل شيء (كتاب) أي جامع لكل شيء (حفيظ) أي بالغ في الحفظ
 لا يشذ عنه شيء من الاشياء جل أودق وقيل محفوظ من الشياطين ومن أن يندرس او يغير وعلى
 الحالين الحفيظ هو اللوح المحفوظ قال الرازي والاول هو الاصح لأن الحفيظ معنى الحافظ وورد
 في القرآن قال الله تعالى وما أنت عليهم بحفيظ وقال تعالى حفيظ عليهم ولأن الكتاب للتشيل

ومعناه العلم عندى كما يكون فى الكتاب فهو يحفظ الاشياء وهو مستغن عن أن يحفظ وقوله تعالى (بل مذبذبوا بالحق) أى الامر الثابت الذى لا أثبت منه اضراب ثان قال الرحمن شرى اضراب اتبع للاضراب الاول للدلالة على انهم جازا بما هو أقطع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق (لما) أى حين (جاءهم) أى لما ثار عندهم من أجل تعجبهم من ارسال رسولهم من حظوظ النفوس حسد منهم من غير تأمل لما قالوه ولا تدبر ولا نظرية ولا تذكر فلذلك قالوا ما لا يعقل من أن من قدر على ايجاد شئ من العدم وابدائه لا يقدر على اعادته بعد اعدامه (فهم) أى لاجل مبادرتهم الى هذا القول السفساف (فى أمر مريج) أى مضطرب جدا محتلط من المريج الذى هو اختلاط النبات بالانواع المختلفة فهم تارة يقولون سحر وتارة كهانة وتارة شعرو تارة كذب وتارة غير ذلك لا يثبتون على شئ واحد والاضطراب موجب للاختلاف وذلك أدل دليل على الابطال كما ان الثبات والخلوص موجب للاتفاق وذلك أدل دليل على الحقيقة قال الحسن مترك قوم الحق الامر مريج أمرهم وكذا قال قتادة وزاد والتبس عليهم دينهم ثم ذكر تعالى الدليل الذى يدفع قوله -م ذلك رجع بعيد بقوله تعالى (أفلم ينظروا) أى بعين البصر والبصيرة (الى السماء) أى المحيطة بهم (فوقهم) فان غيرها انما هو فوق ناس منهم لافوق الكل (كف بيناها) أى اوجدناها على ما لنا من المجد والعز مبنية كالخيمة الا انها من غير عمد (وزيناها) أى جماعها من الكواكب البكار والصغار السيارة والثابتة (وما) أى والحال ان ما (لها) وأكده النبي بقوله تعالى (من فروج) أى فتوق وطاقات وشقوق بل هى ملساء متلاصقة الاجزاء (والارض) أى المحيطة بهم التى هم عليها (مددناها) أى بسطناها بالنام من العظمة (وألقينا) أى بعظمتنا (فيها رواسى) أى جبالا ثوابت كانت سببا لثباتها وخالفت عادة المراسى فى أنها من فوق والمراسى التى تعالجونها أنتم من تحت (وأثبتنا) أى بالنام من العظمة (فيها) أى الارض وعظم قدرته بالتبعض فقال تعالى (من كل زوج) أى صنف من النبات تراوحت اشكاله (بهمج) أى هى فى غاية الرونق والاعجاب فكان مع كونه رزقا من رزقها (تبصرة) أى جعلنا هذه الاشياء كلها لاجل أن تنظروا بأبصاركم وتتفكروا ويصايركم فتعبروا منها الى صانعها فتعلموا ما له من العظمة (وذكرى) أى ولتذكروا بها تذكرا عظيما بما لكم من القوى والقدرة فتعلموا بجزركم عن كل شئ من ذلك ان صانعها لا يحجزه شئ وأنه محيط بجميع صفات الكمال وقرأ أبو عمرو وحزرة والكسائى بالامالة محضة وقرأ ورش بالامالة بين بين والباقون بالقح (تنبيه) قال الرازى يحتمل أن يكون الامر ان عاشرين الى السماء والارض أى خلق السماء تبصرة وخلق الارض ذكرى ويدل على ذلك ان السماء وزينتها غير مستحجة فى كل عام فهى كالشئ المرقى على عمر الزمان وأما الارض فهى كل سنة تأخذ زينتها وزخرفها فتذكر فالسما تبصرة والارض تذكرة ويحتمل أن يكون كل واحد من الامرين موجودا فى كل واحد من الامرين فالسما تبصرة وتذكرة والارض كذلك والفرق بين التذكرة والتبصرة هو أن فيها آيات مستمرة منصوبة فى مقابلة البصائر وآيات متجددة مذكورة عند الناسى (لكل عبد) أى

لتبصر وتذكر كل عبد بحاله من النقص وبمبادل عليه هذا الصنع من الكمال أنه عبد مرئوب لصانعه (منيب) أي رجاع عما حطه اليه طبعه الى ما يغلبه عليه عقله فيرجع من شهوة هذه الافعال الى شهوة الصفات الى علم الذات ثم ذكر تعالى دليلا بقوله تعالى (وزلنا من السماء) أي المهل العالي الذي لا يمسك فيه الماء عن دوام التقاطر الا بقاها (ماء) أي شيئا فشيئا في أوقات وعلى سبيل التقاطر ولولا عظمتنا التي لا تضاهي لغلب بحاله من الثقل والميوع والنفوذ فنزل دفعة واحدة فأهلك ما نزل عليه فزال المسرة وعادت المنفعة مضرّة (مباركا) أي نافعا جدا كثيرا البركة وفيه حياة كل شيء وهو المطر فيكون الاستدلال بالسماء والارض وما بينهما وهو انزال الماء من فوق واخراج النبات من تحت (فأنبينا) أي بآلائنا من القدرة الباهرة (بهجنات) من الشجر والتمر والروع والريحان وغيره مما يجمعه البساتين فتجن أي تستر الداخل فيها (وحب الحصيد) أي النجم الذي من شأنه أنه يحصد كالبر والشعير ونحوهما وقوله تعالى (والنخل) منصوب عطفا على مفعول أنبتنا أي وأنبتنا النخل وقوله تعالى (باسقات) أي طوالا حال مقدرة لانهم لا يأتون الا في وقت طوالا والبسوق الطول يقال بسق فلان على أصحابه أي طال عليهم في الفضل ومنه قول ابن نوفل في ابن هبيرة

يا ابن الذين بمجدهم * بسقتهم قيس فزاره

وهو استعارة والاصل استعماله في بسقت النخله تسبق بسوقا أي طالت قال الشاعر

لنا خير وليست خسر كرم * ولكن من نتاج الباسقات

كرام في السماء ذهبن طولاً * وفات ثمارها أيدي الجناة

وبسقت الشاة ولدت وأبسقت الناقة وقع في ضرعها اللبن قبل انتاج وقال سعيد بن جبيرة باسقات مستويات وأفردها بالذ كر لضرط ارتفاعها (لها طلع) يجوز أن تكون الجملة حالا من النخل أو من الضمير في باسقات ويجوز أن يكون الحال وحدها وطلع فاعل به وقوله تعالى (فضيد) بمعنى منضود بعضها فوق بعض في اكمامها كما في سنبلة الروع وهو عجيب فان الاتجار الطوال ثمارها بارزة بعضها على بعض لكل واحدة منها أصل يخرج منه كالجوز واللوز والطلع كالسنبلة الواحدة تكون على أصل واحد وقوله تعالى (رزقا) يجوز أن يكون حالا أي مرزوقا (للعباد) ويجوز أن يكون مفعولا له وللعباد اما صفة واتما تعلق بالمصدر (فان قيل) ما الحكمة في قوله تعالى عند ذكر خلق السماء والارض تبصرة وذكرى وفي التمار قال رزقا والثمار أيضا فيها تبصرة وفي السماء والارض أيضا منفعة غير التبصرة والتذكرة (أجيب) بان الاستدلال وقع لوجود أمرين أحدهما الاطاعة والثاني البقاء بعد الاعادة فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحضرهم بحشر وجمع يكون بعده الثواب الدائم والعقاب الدائم وأنكروا ذلك فقال أما الاول فانه القادر على خلق السموات والارض قادر على خلق الخلق بعد القضاء واما الثاني فلان البقاء في الدنيا بالرزق والقادر على اخراج الارزاق من النخل والشجر قادر على أن يرزق بعد الحشر فكان الاول تبصرة وتذكرة بالخلق والثاني تذكرة بالبقاء والرزق ويدل على هذا الفصل بينهما بقوله تعالى

تبصرة وذكري حيث ذكر ذلك بين الآيتين ثم بدأ بذكر الماء وانزاله وانبات الثبات (تنبيه) •
 لم يقيد هنا العباد بالانابة وقيد في قوله تعالى تبصرة وذكري لكل عبد منيب لأن التبصرة
 لا تكون الا للمنيب والرزق يعطى كل أحد غير أن المنيب يأكل ذاكرا وشاكر الانعام وغيره يا كل
 كائنا كل الانعام فلم يخص بغيره ولما كان في ذلك أعظم مذكر للبصر ابعث بجميع صفات
 الكمال اتبعه ما لمن التذكير بالبعث بخصوصه فقال تعالى (وأحيينا به) أي الماء بعظمنا
 (بلدة) ومهما بالتأنيث اشارة الى انها في غاية الضعف والحاجة الى النبات والخلو عنه وذكر
 (ميتا) للزيادة في تقرير تمكن الحاجة فيها أو جملا على معنى المكان (فان قيل) ما الفرق بين هذا
 الموضع وبين قوله تعالى وآية لهم الارض الميتة حيث أثبت الهاء هناك (أجيب) بأن الاصل
 في الارض الوصف فقال الميتة لأن معنى الفاعلية ظاهر هناك والبلدة الاصل فيها الحياة لأن
 الارض اذا صارت حية صارت آهلة وأقام بها القوم وعمرها فصارت بلدة فأسقط التاء لأن
 معنى الفاعلية غير ظاهر فتثبت فيه الهاء واذا كان معنى الفاعل لم يظهر لا تثبت فيه الهاء ويحتمل
 هذا القول قوله تعالى بلدة طيبة حيث أثبت الهاء حيث ظهر معنى الفاعل ولم يثبت حيث لم يظهر
 (كذلك) أي مثل الانخراج العظيم (الخروج) من قبورهم على ما كانوا عليه في الدنيا اذ لا فرق بين
 خروج النبات بعد ما تم شمس وتفتت في الارض وصارت اربابا كما كان من بين أصفره وأبيضه وأحمره
 وأزرقه الى غير ذلك وبين انخراج ما تفتت من الموتى كما كانوا في الدنيا (تنبيه) • قال أبو حيان
 ذكر تعالى في السماء ثلاثة البناء والتزيين ونفى الفروج وفي الارض ثلاثة المد والقاء الرواسي
 والانبات فقابل المد بالبناء لأن المد وضع والبناء رفع والقاء الرواسي بالتزيين بالكواكب لارتكاب
 كل واحد منها أي على سطح ما هو فيه والانبات المترتب على الشق بانتفاء الفروج فلا شق فيها
 ونبه فيما تعلق به الانبات على ما يقطف كل سنة ويبيق أصله وما يزرع كل سنة أو سنتين ويقطف كل
 سنة وعلى ما اختلط من جنسين فبعض الثمار كما كمة لا قوت وأكثر الزرع قوت والثمار كما كمة
 وقوت وقوله تعالى (كذبت قبلهم) الآية فيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتنبيه بأن حاله
 كحال من تقدمه من الرسل كذبوا وصبروا فأهلك الله تعالى مكذبيهم ونصرهم ولما لم يكن لهؤلاء
 المكذبين شهرة يعرفون بها قال تعالى (قوم نوح) الذين كان آخر أمرهم أنه اتقى عليهم الما آن
 نزل عليهم ماء السماء وطلع عليهم ماء الارض فأغرقهم ووسم القمل بالداء اشارة الى هوانهم
 في جنب هذا الجهد وأسقط الجار من قوله تعالى قبلهم اشارة الى أن هؤلاء الاحزاب لتقوتهم
 وكثرتهم كانوا أهل الارض قد استغرقوا مكانهم اذ ما نهائهم اتبع قوم نوح بمشاييرهم بقوله تعالى
 (وأصحاب الرس) أي البئر كانوا مقيمين عليها بما شربهم يعبدون الاصنام ونيهم قيل حنظلة
 ابن صفوان وقيل غيره فحقت تلك البئر مع ما حولها فذهبت بهم وبكل ما لهم كما ذكرت قصتهم
 في القران ثم اتبع أصحاب الرس بقوم صالح عليه السلام فقال (وعود) لأن الرجفة التي
 أخذتهم مبدأ الخسف ثم اتبع غرد بقوم هود عليه السلام فقال تعالى (وعاد) لأن الريح التي
 أهلكتهم أثرت بها صيحة عود وقال تعالى (وفرعون) ولم يقل قوم فرعون لأنه ليس في عادة هذه

الفرق كافر غيره والنص عليه يفهم عظمتة وانه استخف قومه فاطاعوه (واخوان لوط) أى
اصهاره الذين صار بينه وبينهم مع المصاهرة المناصرة بلوكهم على من قاواهم بنفسه وعه خليل الله
ابراهيم عليهم السلام ومع ذلك عاملوه بالحياة والتكذيب (وأصحاب الايكة) أى الغيضة
وهم قوم شعيب والغيضة الشجر المتلف بعضه على بعض ولما كان تبع الجبري واصله سعد
وكنيته أبو كرب مع كونه فى قومه ملكا قاهرا وخالقوه مع ذلك وكان لقومه نار فى بلادهم
يتصاكون اليها فتأكل الطالم ختم بهم فقال تعالى (وقوم تبع) مع كونه ملكا وهوى دعوههم الى
الله تعالى فلا يظن أن التكذيب مخصوص بمن كان قويا لمن كان مستضعفا بل هو واقع بمن شقنا
من قوى وضعيف لا يخرج شئ عن مرادنا (كل) أى من هذه الفرق (كذب الرسل) أى كلهم
بتكذيب رسولهم فان الكل متساوون فيما يوجب الايمان من اظهار المهجز والدعاء الى الله
تعالى (لحق) أى فتسبب عن تكذيبهم لهم أن ثبت عليهم ووجب (وعيد) أى الذى كانوا
يكذبون به عند انذارهم لهم اياه فجعلنا لهم منه فى الدنيا ما حكمنا به عليهم فى الازل فأهلكناهم
اهلا كاعاما كاهلا لنقص واحدة على أنحاء مختلفة كما هو مشهور عند من له بامثاله عناية واتبعناه
ما هو فى البرقخ وأخرنا ما هو فى القيامة الى يوم البعث فتبين باهلا كآلهم على تناقض ديارهم وتباعد
أعمارهم وكثرة أعدادهم أن لنا الا حاطة البالغة فتسل باخوانك المرسلين وتأس بهم وليحذر
قومك ما حل بمن كذبهم ان أصروا (أفمينا بالخلق) أى أحصل لنا مع ما لنا من العظمة
الاعياء وهو الهجز بسبب الخلق فى شئ من ايجاده أو اعدامه (الاول) أى من السموات
والارض وما بينهما حين ابتدأناه اختراعنا من العدم ومن خلق الانسان وسائر الحيوان مجتدا
فى كل أو ان فى الاطوار المشاهدة على هذه التدرجات المعتادة بعد أن خلقنا أمسلة على ذلك
الوجه مما ليس له أصل فى الحياة ومن اعدامه بعد خلقه جملة كهذه الامم أو تدرجيا كغيرهم
(بل هم فى لبس) أى شك شديد وشبهة موجبة للتكلم بكلام محتلط لا يعقل له معنى بل السكوت
عنه أجهل (من) أى لاجل (خلق جديد) أى بالاعادة ولما ذكر الخافقين أتبعه خلق ما هو
جامع لجميع ما هو فيه فقال تعالى (ولقد) أى والحال أنما قد (خلقنا) أى بما لنا من العظمة
(الانسان) وهو أعجب خلقا وأجمع من جميع ما مضى ذكره بما فيه من الانس والطغيان والذكر
والنسيان والجهل والعرفان والطاعة والعصيان وغير ذلك من عجيب الشأن وكتابه من جنودنا
من يحفظه فيضبط حركانه وسكانه وجميع أحواله (وقلم) والحال اننا نعلم بما نعلم من الاطالة
(ما توسوس) أى تكلم على وجه الخفاء (به) أى الآن وفيما بعد ذلك (نفسه) مما لم يتقدح بعلم من
خزائن الغيب الى سر النفس كما علمنا ما تكلم نفسه وهى الخواطر التى تعرض له حتى انه هو راجع
عن ضبطها فمن نعلم أن قلوبهم عالة بقدرتنا على أكل ما يريد ونهضة القرآن واجهازه وصدق
الرسول به صلى الله عليه وسلم وامتيازهم وانما جعلهم الحسد والنفاسة والكبر والرياسة على
الانكار باللسان حتى صار لهم ذلك خلقا وتعادوا فيه حتى فطى على عقولهم فصاروا فى لبس محيط
بهم من جميع الجوانب (ونحن) أى بما لنا من العظمة (أقرب اليه) أى قرب علم وشهود من غير

مسافة (من جبل الوريد) لأن أبعاضه وأجزائه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب علم الله تعالى شئ
والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمتهما امتصلا من الرأس إلى الوتين وهو عرق
متصل بالقلب إذا قطع مات صاحبه وهذا مثل في فرط القرب وإضافته مثل مسجد الجامع أي
جبل العرق الوريد أولان الجبل أعم فأضيف للبيان نحو بئر ساقية أو يراد جبل العاتق وأضيف
إلى الوريد كما يضاف إلى العاتق لأنهما في عضو واحد وقال البغوي جبل الوريد عرق الفرق وهو
عرق بين الحلقوم والعلباوين يتفرق في البدن والجبل هو الوريد فأضيف إلى نفسه لاختلاف
اللفظين قال القشيري وفي هذه الآية هيبة وفزع وخوف لقوم وروح وأنس وسكون قلب اقوم
بقوله تعالى (اذ يتلقى) ظرف لا قرب ويجوز أن يكون منصوبا بإذ كراي واذ كرا يتلقى أي بغاية
الاجتهاد والمراقبة والمراعاة من كمال إنسان خلقناه وأبرزناه إلى هذا الوجود (المتلقيان)
أي الملكان الموكلان بعمل الإنسان ومنطقه يحفظانه ويكتبانه حال كونهما (عن اليمين) لكل
إنسان (وعن الشمال) أي أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فالذي عن اليمين يكتب الحسنات
والذي عن الشمال يكتب السيئات وقوله تعالى (قعيد) أي قاعدان مبتدأ وخبره ما قبله لأن
فعلما يطلق على الواحد والمتعدد كقوله تعالى بعد ذلك ظهير قال ابن عادل والاجود أن يدعى
حذف أمان الأول أي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد وأما من الثاني فيكون قعيدا المقفوظ
به للأول ومثله قوله رماني بأمر كنت منه والدي * بريأ من أجل الطوى رماني
وقال مجاهد القعيد المرصد ونحن أعلم منهما وأقرب وانما استخففظناهما لإقامة الحجية بهما على
مجارى عادتك وغير ذلك من الحكم (ما يلفظ) أي يرمى ويخرج المكلف من فيه وهم في النبي بقوله
تعالى (من قول) جل أو قل (الآلية) أي الإنسان أو القول على هيئة من القدرة والعظمة من
أغرب المستغرب (رقيب) من حفظنا شديد المراعاة في كل من أحواله (عتيد) أي حاضر مراقب
غير غافل بوجه قال الجلال الهلي وكل منهما بمعنى المثني أي رقيب عتيدان روى أبو أمامة أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار
الرجل وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا حمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا وإذا
عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر * (تنبيه) *
اختلف فيما يكتبان فقال مجاهد يكتبان عليه حتى آتينه في مرضه وقال عكرمة لا يكتبان
إلا ما يقر عليه أو يوزن فيه * (فائدتان) * أحدهما قال الحسن أن الملائكة يجتنبون الإنسان
عند حالتي همد غائطه وعند جماعه الثانية قال الضمالي جلسهما تحت الشجرة على الخنك ومثله
عن الحسن وكان الحسن يحب أن يتطف عنقه (وجاءت) أي أتت وحضرت (سكرة الموت)
أي حالته عند النزاع وشدة وغمرته بصير المريض بها كالسكران لا يعي وتخرج بها أقواله وأفعاله
عن قانون الاعتدال مجبأ ملتبسا (بالحق) أي الأمر الثابت الذي يطابقه الواقع فلا حيلة
في الاحتراس منه وقيل للميت بلسان الحال أن لم يكن بلسان المقال (ذلك) أي هذا الأمر العظيم
العالي الرتبة الذي يمتدح لكل أحد الاعتداله بغاية الجهد (ما) أي الأمر الذي (كنت) أي جبلة

وطبعا (منه محيد) أى عميل وتغزو وتروغ وتهرب * (تنبيه) * قيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم قال الرازي وهو منكر وقيل مع الكافر قال ابن عادل والاقوى أن يقال هو خطاب عام مع السامع وهذا أولى وقوله تعالى (ونفخ في الصور) عطف على قوله تعالى وجاءت سكرة الموت وهو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام للموت العام والبعث العام عند التكامل وانقطاع أوان التعامل وهو بحيث لا يعلم قدر عظمه واتساعه الا الله تعالى وهو عليه السلام قد التزم الصور من حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وحتى جبهته وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر فبالها من عظمة ما أغفلنا عنها وأنسانا لها والمراد به هذه نفخة البعث وقوله تعالى (ذلك) إشارة الى الزمان المقهوم من قوله نفخ لأن الفعل كما يدل على المصدر يدل على الزمان فكانه تعالى قال ذلك الزمان العظيم الا هو الال والوجال (يوم الوعيد) أى للكفار بالعذاب (وجاءت) أى فيه (كل نفس) أى مكلفة (معها سائق) أى ملك يسوقها اليه (وشهيد) يشهد عليها بعملها قال الضحاك السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم وهو الايدي والارجل وغيرها وهي رواية العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما وقيل هما جميعا من الملائكة فالسائق كما قيل لا تعلق له بالهامة ثلاث تقول تلك النفس انه خصم والخصم لا تقبل شهادته وقيل السائق هو الذى يسوقه الى الموقف ومنه الى مقعده والشهيد هو الكاتب والسائق لازم للبر والفاجر أما البر فيساق الى الجنة وأما الفاجر فالى النار قال تعالى وسيق الذين كفروا وقال تعالى وسيق الذين اتقوا والشهيد يشهد عليها بما عملت * (تنبيه) * يجوز فى جملة معها سائق وشهيد أن تكون فى موضع بر صفة لنفس وأن تكون فى موضع رفع صفة لكل وأن تكون فى موضع نصب على الحال من كل ويقال للكافر (أقد كنت) أى كونا كأنه جبه لك (فى عقله) أى عظمة محيطه بك ناشئة لك (من هذا) أى من تصور هذا اليوم على ما هو عليه من انقطاع الاسباب والجزاء بالثواب أو العقاب لانه على شدة جلالة خفى على من اتبع الشهوات (فكفنا) بعظمته بالموت ثم البعث (عنك غطاءك) الذى كان فى الدنيا على قلبك وسمعك وبصرك من الغفلة بالآمال فى الحال والمآل وسائر الخطوط والشهوات (فبصرك اليوم) أى بعد البعث (حديد) أى فى غاية الحدة والنفوذ فلذا تقر بما كنت تنكر فى الدنيا وقال مجاهد يعنى نظرك الى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك والمعنى أزلنا غفلة قلبك فبصرتك اليوم حديد وكان من قبل كليلًا واختلف فى القرنين فى قوله تعالى (وقال قرينه) فأكثر المفسرين على أنه الملك الما وكل به فيقول (هذا ما) أى الذى لدى عبيد) أى حاضر ونقل الكرماني عن ابن عباس رضى الله عنهما انه الشيطان الذى سيطر على اخوانه واستدراجه الى ما يريد فزين له الكفر والعصيان ويدل لهذا قوله تعالى وقبضنا لهم قرناه وقال تعالى نقبض له شيطانه فهو له قرين وقال تعالى فبئس القرين فالإشارة به هذا الى السوق المرتكب الفجور والفسوق والعبيد معناه المعتدل للنار ومعناه ان الشيطان يقول هذا العاصي هو شئ عندى معتد بهم أعدته لها بالاغواء والاضلال وقوله تعالى (ألقيا فى جهنم) أى النار التى تلقى الملقى فيها بما كان يعامل به عباد الله تعالى من الكبر والعبودية (كل كفار) خطاب من

الله تعالى للسائق والشهيد أو للملكين من خزنة النار أو الواحد وثنية الفاعل منزل منزلة تثنية
الفاعل وتكريره كانه قيل ألقى وقيل أراد القيا بالنون الخفيفة فأبدلها ألفا جوازا للوصل
بجري الوقت وقيل العرب تخاطب الواحد مخاطبة الاثنين تأكيذا كقوله

فان تزجراني يا ابن صفان أزدجر • وان تدعاني أحم عرضا معنا

قال ابن عادل وقيل المأمور مثنى وهذا هو الحق لأن المراد ملكان يفعلان ذلك اه وهو القول
المقدم (عنيد) وهو المبالغ في ستر الحق والمعادة لاهله بغير حجة وأتفة نظرا الى استحسان
ما عنده والثبات عليه تجبرا وتكبرا على ما عند غيره اذ رآه كافرا من كان (مناع) أى كثير المنع
(للخير) من المال وغيره من كل معروف يعلق بالمال والمقال والفعال وقيل المراد الاسلام فان
الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني أخيه عنه (معتد) أى تجاوز للحدود (مريب) أى
داخل في الريب وهو الشك والتهمة في أهل الدين وقوله تعالى (الذى جعل مع الله) أى الذى له
الاحاطة بجميع صفات الكمال (ألمّا آخر) يجوز أن يكون منصوبا على الذم أو على البسول من
كل وأن يكون مجرورا بدلا من كفارا ومرفوعا بالابتداء والخبر (فألقياه في العذاب) أى الذى
يزيل كل عذوبة (الشديد) ودخلت الفاء في الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط ويجوز أن يكون
خبر مبتدأ مضمرا أى هو الذى جعل ويكون فألقياه تأكيذا (قال قرينه) مناديا بإسقاط الاداة
كدأب أهل القرب أيها ما انه منهم (ربنا) أى أيها المحسن اليها الخلاق كلهم (ما أطفيتهم)
أى ما أوقعته فيما كان فيه من الطغيان فأنى لاسطان لى عليه وأنت أعلم بذلك (ولكن كان)
أى يجبلته وطبعه (في ضلال بعيد) أى يحيط به من جميع جوانبه لا يمكن رجوعه معه فلذلك
كان يبادر الى كل ما يغضب الله تعالى • (تبيسه) • هذا جواب لكلام مقدرفان الكافر حين
ما يلقي في النار يقول ربنا أطفاني شيطاني فيقول ربنا ما أطفيتك بدليل قوله تعالى لا تختصموا لى
لأن الخصامة تستدعى كلاما من الجانبين وتطيره قوله تعالى في سورة ص قالوا بل أنتم لامر حبا
بكم الى قوله تعالى ان ذلك لخلق خصام أهل النار قال الزمخشري وهذا يدل على أن المراد بالقرين
في الآية المتقدمة هو الشيطان لا الملك الذى هو شهيد وقعيد قال الرازى وجاءت هذه الآية
بلاوا وفي الاولى بواو عاطفة لان الاولى اشارة وقعت الى معنيين مجتمعين فان كل نفس في ذلك
الوقت تجي • ومعها سائق وشهيد فيقول الشهيد ذلك القول وفي الثانية لم يوجد هنالك معنيان
مجتمعان حتى تذكر الواو فان الفاء في قوله تعالى فألقياه في العذاب لا تناسب قوله تعالى قال
قرينه ربنا ما أطفيتهم فليس هنالك مناسبة مقتضية للعطف (فان قيل) كيف قال ما أطفيتهم مع
انه قال لا غوينهم أجمعين (أجيب) بأن المراد من قوله لا غوينهم أى لا دينهم على الغواية كما ان
الضال اذا قال له شخص أنت على الجادة فلا تتركها يقال انه يضل كذا هنا فقولهم ما أطفيتهم
أى ما كان ابتداء النفي منى وقوله تعالى (قال) أى الله تعالى المحيط علما وقدرة الذى حكمكم
عليهم بذلك في الازل (لا تختصموا) أى لا توقعوا الخصومة بهذا الجحد والاجتهاد استئناف
كان فائلا يقول فلذا قال الله تعالى فأجيب بقال لا تختصموا وقوله تعالى (لئى) أى

في دار الجزاء بهذه الحضرة التي هي فوق ما يمكنكم تدركونه من الاخبار عنها بكثير فيزيد
 مفهومه أن الاختصاص كان ينبغي أن يكون قبل الحضور والوقوف بين يدي وقوله تعالى (وقد
 قدمت اليكم بالوعيد) أي التهديد وهو التضييق العظيم على جميع ما ارتكبتوه من الكفر
 والعدوان جلة حاله ولا بد من تأويلها وذلك أن النهي في الآخرة وتقدمه الوعيد في الدنيا
 فاختلف الزمان فكيف يصح جعلها حالية وتأويلها هو أن المعنى وقد صرح أني قدمت وزمان
 الصفة وزمان النهي واحد وقد تمت يجوز أن يكون بمعنى تقدمت فتكون الواو الحال ولا بد
 من حذف مضاف أي وقد تقدمت قولي لكم ملتبساً بالوعيد ويجوز أن يكون قدمت على حاله
 متعتياً والباء مزيدة في المفعول أي قدمت اليكم الوعيد كقوله تعالى تنبت بالدهن على قول من
 قال بزيادتها هنالك وقيل الباء هنا للمصاحبة كقولك اشتريت القرس بطحامة أي معه فكانه قال
 تعالى قدمت اليكم ما يجب مع الوعيد على تركه والانداز (ما يدل) أي بغير وجه من الوجوه
 (القول لدى) أي الواصل اليكم من حضرة التي لا يحيط بها أحد من خلقي وعبر عما التي هي
 للماضين لا التي للمستقبل لأن الاوقات كلها عنده حاضرة (وما أنا) وأكد النفي بقوله تعالى
 (بظلام للعبيد) فأعذبهم بغير ظلم (فان قيل) الظلام مبالغة في الظلم ويلزم من اتقائه إثبات أصل
 الظلم فإذا كان القاتل هو كذاب يلزم أن يكون كثيراً الكذب ولا يلزم من نفيه نفي أصل الكذب
 لجواز أن يقال ليس بكذاب كثيراً الكذب لكنه يكذب أحياناً فقوله تعالى ما أنا بظلام لا يفهم
 منه نفي أصل الظلم وأن الله ليس بظالم (أجيب) بأربعة أجوبة أحدها أن الظلام بمعنى الظالم
 كالتماز بمعنى التماز فتكون اللام في قوله تعالى للعبيد لتحقيق النسبة لأن الأفعال حينئذ بمعنى
 ذي ظلم لقوله تعالى لا ظلم اليوم ثانياً قال الرحمن شري أن ذلك أمر تقديرى كأنه تعالى يقول
 لو ظلمت عبدي الضعيف الذي هو محل الرحمة لكان ذلك غاية الظلم وما أنا بذلك فيلزم من نفي كونه
 ظلاماً نفي كونه ظالماً ويحقق هذا الوجه اظهار لفظ العبيد حيث قال الله تعالى وما أنا بظلام
 للعبيد أي في ذلك اليوم الذي أملا فيه جهنم مع سعتها حتى تصيح وتقول لم يبق في طاقة جهنم ولم
 يبق في موضع لهم فهل من مزيد استهزام استنكار ثالثاً انه لم يقابل الجمع بالجمع والمعنى أن ذلك
 اليوم مع أني ألقى في جهنم عدداً لا يحصره لا أكون بسبب كثرة التعذيب كثيراً الظلم لانه تعالى
 قال وما أنا بظلام للعبيد (يوم نقول) أي على ما لنا من العظمة (لجهنم) ولم يقل ما أنا بظلام
 في جميع الأزمان وخصص بالعبيد ولم يطلق فلذلك خصص النفي بنوع من أنواع الظلم ولم يطلق
 ولم يلزم منه أن يكون ظالماً في غير ذلك الوقت لأن التخصيص بالذکر لا يدل على نفي ما عداه لانه نفي
 كونه ظالماً ولم يلزم منه كونه ظالماً نفي كونه ظالماً للعبيد ولم يلزم منه كونه ظالماً لغيرهم
 • (تنبيه) • محتمل أن يكون المراد بالعبيد الكفار كقوله تعالى يا حسرة على العباد ما يأتيهم من
 رسول الآية والمعنى أعذبهم وما أنا بظلام لهم ومحتمل أن يكون المراد منه المؤمنين والمعنى أن
 الله تعالى يقول لو بدلت قولي ورحمت الكافر لكنت في تكليف العباد ظالماً لآبادي المؤمنين
 لأن منعهم من الشهوات لأجل هذا اليوم فلو كان يقال من لم يأت بما آتاه المؤمن ما يناله

المؤمن لكان اتيان المؤمن بما أتى به من الايمان والعبادة غير مفيد وهذا معنى قوله تعالى لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ويحتمل أن يكون المراد التعميم وهذا أظهر وقوله تعالى لجهنم أي التي هي دار العذاب مع الكراهة والعبوسة والتجهم (هل امتلاّت) استقهام تحقيق لوعده عليها وهو قوله تعالى لا ملأّت جهنم من الجنة والناس أجمعين (رتقول) بصورة الاستقهام كالسؤال (هل من مزيد) أي قد امتلاّت ولم يبق في موضع لم يعتلى فهو استقهام انكار وقيل بمعنى الاستزادة رواه أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وعلى هذا يكون السؤال وهو قوله تعالى هل امتلاّت قبل دخول جميع أهلها فيها وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى سبقت كلمته لا ملأّت جهنم من الجنة والناس أجمعين فلما سبق أعداء الله إليها ليلقي فيها فوج الاذهب فيها ولا يملؤنها فتقول ألسنت قد أقسمت لقلأ في فيضع قدمه عليها فيقول هل امتلاّت فتقول هل من مزيد قط قط قد امتلاّت وليس في مزيد وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العرش وفي رواية رب العزة فيها قدمه فيزوي بعضها الى بعض وتقول قط قط بعد ذلك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله تعالى لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة ولا يحريرة رضي الله عنه فهو ولا يظلم الله تعالى من خلقه أحدا * (تنبيه) * هذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات وللعلماء فيه وفي أمثاله مذهبان أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وطائفة من المتكلمين أنه لا يتكلم في تأويلها بل تقوض بأنه لا حق على ما اراد الله ورسوله ونجربها على ظاهرها وألها معنى يليق بها وظاهرها غير مراد المذهب الثاني وهو قول جمهور المتكلمين أنها تقول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا في تأويل الحديث فقبل المراد بالقدم المتقدم وهو شائع في اللغة والمعنى يضع الله تعالى فيها من قدمه لها من أهل العذاب وقيل المراد به قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير في قدمه الى ذلك المخلوق المعالوم وقيل يحتمل أن في المخلوقات من يسمى بهذه التسمية وخلقوا لها قال القاضي عياض أظهر التأويلات أنهم استحقوها وخلقوا لها قال المتكلمون ولا بد من صرفه عن ظاهره اقيام الدليل العقلي القطعي على استحالة الجارحة على الله تعالى وقولها قط قط أي حسي حسي قد اكتفيت وفيها ثلاث لغات اسكان الطاء وكسر هاء منونة وغير منونة ولما ذكر النار التي هي دار القيامة وقدمها الآن المقام للانداز اتباعها دار البرار فقال تعالى سائر الهم باسقاط مؤنة الميسر وطى مشقة البعد (وأزاست الجنة) أي قربت بأيسر أمر مع الدرجات والحياض المتلثة (للمتقين) أي الفريقين في هذا الوصف فاذا رأوها تسابقوا إليها وتركوا ما كانوا فيه في الموقف من منابر النور وكشبان المسك ونحو هذا وأما غيرهم من أهل الايمان فقد يكون لهم غير هذا الوصف فيساق إليها الذين اتقوا كما مضى في الزمر وقوله تعالى (غير بعيد) يجوز أن يكون حالا من الجنة ولم يؤثرت لانها بمعنى البستان أو لأن فعلا لا يؤثرت لانه برتبة المصادر قاله الرمحشري ومنعه أبو حيان وتقدم الكلام على ذلك في قوله تعالى ان وجه الله قريب من المستنين ويجوز أن يكون منصوبا على الطرف المسكاني أي مكانا غير بعيد ويجوز أن يكون نعتا مصدر محذوف

أى ازلافا غير بعيد وهو ظاهر عبارة الزمخشري فانه قال أو شيئا غير بعيد (فان قيل) ما وجه
التقريب والجنة مكان والامكنة يقرب منها وهى لاتقرب (أجيب) من أوجه أولها أن الجنة
لاتزال ولا يؤمر المؤمن في ذلك اليوم بالانتقال اليها مع بعد هالككن الله تعالى يطوى المسافة
التي بين المؤمن والجنة فهو التقريب (فان قيل) فعلى هذا ليس ازلاف الجنة من المؤمن بأولى
من ازلاف المؤمن من الجنة فافائدة قوله تعالى أزلفت الجنة (أجيب) بأن ذلك اكرام للمؤمن
وبيان لشرفه وانه ممن يمشى اليه ثانياها قريب من الحصول في الدخول لاجبى القرب المكاني
ثالثها ان الله تعالى قادر على نقل الجنة من السماء الى الارض فيقربها للمؤمن ويحتمل انها
ازلفت بمعنى جمعت محاسنها لانها مخلوقة واما بمعنى قرب الحصول لئلا تنال بكلمة طيبة
وحسنة وخص المتقين بذلك لانهم أحق بها وقوله تعالى (هذا) أى الازلاف والذي تروونه من
كل ما يسركم (ما) أى الامر الذي (توعدون) أى وقع الوعد لكم به في الدنيا يجوز فيه وجهان
أحدهما أن يكون معترضا بين البذل والمبدل منه وذلك أن (لكل آواب) أى رجاء الى طاعة
الله تعالى بدل من المتقين باعادة العامل ثانياهما أن يكون منصوبا بقول مضموم ذلك القول
منصوب على الحال أى مقولا لهم وقرأ ابن كثير بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب
ونسب أبو حيان قراءة الياء لابن كثير ولا يعمرو وانما هى لابن كثير فقط وقال سعيد
ابن المسيب الاواب هو الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الشعبي ومجاهد هو الذى
يذكر ذنوبه في الخلافة تغفر منها وقال ابن عباس رضى الله عنهما وعطاء هو المسبح من قوله
تعالى يا جبال أتوبي معه وقال قتادة هو المصلى وقوله تعالى (حفيظ) اختلاف فيه فقال ابن
عباس رضى الله عنه ما هو الذى يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ريب تغفر منها وعن ابن عباس
رضى الله عنه ما أيضا الحفيظ لامر الله وقال قتادة الحفيظ لما استودعه الله تعالى من حقه
والاواب والحفيظ كلاهما من باب المبالغة أى يكون كثيرا لاوب شديد الحفظ ثم أبدل من كل
تتميم البيان المتقين قوله تعالى (من خشى) أى خاف ونبه على كثرة خشيته بقوله تعالى
(الرحمن) لانه اذا خافه مع استحضار الرحمة العامة للمطيع والعاصى كان خوفه مع استحضار
غيرها أولى وقال القشيري التعبير بذلك للاشارة الى أنها خشية تكون مقرونة بالانس يعنى
الرجاء كما هو المشروع قال ولذلك لم يقل الجبار أو القهار ويقال الخشية أطف من الخوف
فكانها قرينة من الهيبة وقوله تعالى (بالغيب) حال أى غابا عنه فيصتمل أن يكون حالا من
الفاعل او المفعول او منهما وقيل الباء للمصاحبة أى صاحب له من غير أن يطلب آية أو امرا
يصير به الى حد المكاشفة بل استغنى بالبراهين القطعية التي منها أنه مر بوب وهو أيضا بيان
لبليغ خشيته ويجوز أن يكون صفة لمصدر خشى أى خشية ملتبسة بالغيب ومعنى
الآية من خاف الرحمن فأطاعه بالغيب ولم يره وقال الفصالح والسدي يعنى في الخلوة حيث لا يراه
أحد وقال الحسن اذا أروى الستور وأخلق الباب وقوله تعالى (وجاء) أى بعد الموت (بقلب
منيب) أى راجع الى الله تعالى صفة مدح لان شأن الخائف أن يهرب فأما المتقن فجاء ربه لعله أنه

لا ينبغي الفرار منه والباء في بقلب امالللتعدية واما للمصاحبة واما للسبيبة والقلب المنيب كالقلب
 السليم في قوله تعالى اذ جاء ربه بقلب سليم أى سليم من الشرك والضمير في قوله تعالى (ادخلوها)
 عائدا الى الجنة وقوله تعالى (بسلام) حال من فاعل ادخلوها أى سالمين من العذاب والهموم
 فهي حال مقارنة أو بسلام من الله تعالى وملائكة الله عليه وسلم فهي حال مقدرة كقوله تعالى
 فادخلوها خالدين كذا قيل قال ابن عادل وفيه نظر اذ لا مانع من مقارنة تسليم الملائكة عليهم
 حال الدخول بخلاف فادخلوها خالدين فانه لا يعقل الخلود الا بعد الدخول (ذلك) أى اليوم
 الذى حصل فيه الدخول (يوم الخلود) أى الدوام فى الجنة الذى لا آخر له ولا انفاد لشيء من لذاته
 أصلا ولذلك وصل به قوله تعالى جوابا لمن قال على أى وجه خلودهم (لهم) بظواهرهم
 وبواطنهم (ما يشاؤون) أى تتجدد مشيئتهم أو يمكن مشيئتهم له (فيها) أى الجنة (ولدينا) أى
 عندنا من الامور التى هي فى غاية الغرابة عندهم وان كان كل ما عندهم مستغنيا (مزيد) أى
 مما لا يدخل تحت أوهامهم ليساؤه فان سياق الامتنان يدل على ان تنوينه للتعظيم والتعظيم
 بلدى يؤكده ذلك (فان قيل) ما الحكمة فى أنه تعالى قال ادخلوها بسلام على مخاطبة ثم قال لهم
 ولم يقل لكم (أجيب) من وجوه أولها أن قوله تعالى ادخلوها فيه مقدرا أى فيقال لهم ادخلوها
 فلا يكون التفاتا ثانياه اانه التفات والحكمة الجمع بين الطرفين كانه تعالى يقول غير محفل بهم
 فى غيبتهم وحضورهم فى حضورهم الحبور وفى غيبتهم الحور والقصور ثالثها أنه يجوز أن
 يكون قوله تعالى لهم كلاما مع الملائكة يقول للملائكة توكلا بخدمةهم واعلموا أن لهم
 ما يشاؤون فيها أنا حاضر وابين أيديهم ما يشاؤون وأما أنا فعندى ما لا يخطر ببالهم ولا تقدر أن
 عليه والمزيد يحتمل أن يكون معناه الزيادة كقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ويحتمل
 أن يكون بمعنى المفعول أى عندنا ما نزيده على ما يرجون ويأملون قال أنس وجابر وهو النظر
 الى وجه الله الكريم قيل يعجل لهم الرب تبارك وتعالى فى كل ليلة جمعة فى دار كرامته فهذا هو
 المزيد ولما ذكر تعالى أول السورة تكذيب الامم السابقة ذكر هنا اهلاك قرون ماضية بقوله
 تعالى (وكم أهلكنا) أى بما لنا من العظمة (قبلهم من قرن) أى جيل هم فى غاية القوة وزاد
 فى بيان القوة قوله تعالى (هم أشد منهم) أى من قريش (بطشاً) أى قوة وأخذ المايريدونه
 بالعنف والسطوة والشدّة (تنبيه) * * * من منصوب بما بعده وقدم امالا لانه استفهام واما لان
 كم الخبرية تجرى مجرى كم الاستفهامية فى التصدير ومن قرن تمييز وهم أشد صفة امالكم واما
 لقرن والفاء فى قوله تعالى (فانقبوا) عاطفة على المعنى كانه قيل أشد بطشهم فنقبوا (فى البلاد)
 والضمير فى نقبوا اماللقرن المتقدم وهو الظاهر واما القريش والتقيب التنقيب والتفتيش
 ومعناه التطواف فى البلاد قال الحرث بن حنظلة

نقبوا فى البلاد من حذر المو * * * توجالوا فى الارض كل مجال

• (وقال امرؤ القيس) •

وقد نقيت فى الآفاق حتى * * * رضىت من الغنمة بالاياب

ولما كان التقدير ولم يسلموا مع كثرة تنقيهم سؤال تنبيه للغافل الذاهل وتقرير
وتبكي للمعاندين الجاهل بقوله تعالى (هل من محيص) أي معدل ومحدد ومهرب وان دق من
قضاة ناب يكون أهولاه وجهه ما في رد أمرنا (أن في ذلك) أي فيما ذكر في هذه السورة من
الاساليب العجيبة والطرق الغريبة (لذكرى) أي تذكيرا عظيما جدا (لمن كان) أي كونا عظيما
(له قلب) أي عقل في غاية العظمة فهو بحيث يفهم ما يراه ويعتبر به ومن لم يكن كذلك فلا قلب له
سليم بل له قلب لاه (أو ألقى السمع) أي استمع الوعظ بغاية اصغائه حتى كأنه يرى بشي ثقيل من
علو إلى سفل (وهو) أي والحال انه في حال القائه (شهيد) أي حاضر بكليته فهو في غاية ما يكون
من تصويب الفكر وجمع الخاطر فلا يغيب عنه شيء مما تلى عليه وألقى اليه فينذكر وعطف على
قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان قوله تعالى (واقدر خلقنا) أي بما لنا من العظمة التي لا يقدر
قدرها ولا يطاق حصرها (السموات والارض) أي على ما هما عليه من العكبر وكثرة المنافع
(وما بينهما) من الامور التي لا ينتظم الامر على قاعدة الاسباب والمسببات بدونها (في ستة أيام)
الارض في يومين ومنافعهما في يومين والسموات في يومين ولو شاء لكان ذلك في أقل من لمح
البصر ولكنه تعالى سن لنا الثاني بذلك (ومامسنا) لاجل ما لنا من العظمة أدنى مس وعم
في النفي فقال تعالى (من الغوب) أي اعياء فانه لو كان لاقتضى ضعفا فاقضى فسادا فكان
من ذلك شيء على غير ما أردناه فكان تصرفنا فيه غير تصرفنا في الباقي وأنتم تشهدون الامر
في الكل على حد سواء من نفوذ الامر وتعام التصرف (فاصبر) يا أشرف الخلق (على
ما يقولون) أي اليهود وغيرهم من انكار البعث والتشبيه وغير ذلك فان من قدر على خلق
العالم بلا اعياء قدر على البعث وغيره (وسيج) أي أوقع التنزيه عن كل شائبة نقص ملتبسا
(بمحمد ربك) أي باثبات الاحاطة بجميع صفات الكمال للسيد المدبر المحسن اليك بجميع هذه
البراهين التي خصك بها مفضل لك على جميع الخلق وقوله تعالى (قبل طلوع الشمس وقبل
الغروب) اشارة الى طرفي النهار وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه) اشارة الى زاني من الليل
وتقريره أنه صلى الله عليه وسلم كان مستغلا بأمرين أحدهما عبادة الله تعالى والثاني هداية
الخلق فاذا لم يهتدوا قبل له أقبل على شغلك الآخر وهو العبادة قبل الطلوع وقبل الغروب
لانهما وقتا اجتماعهم ويكون المراد بقوله تعالى ومن الليل أوله لانه أيضا وقت اجتماعهم
وقال أكثر المفسرين قبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل
العشاء والتسجد (وأدبار السجود) التسفل بعد المكتوبات وقبل الوتر بعد العشاء
وقال مجاهد ومن الليل يعني صلاة الليل أي وقت صلى وقرأ نافع وابن كثير وحجة بكسر
الهمزة على أنه مصدر قام مقام ظرف الزمان كقولهم آتيتك خفوق النجم وخلافة الحاج ومعنى
وقت ادبار الصلاة أي انقضاءها وتامها والباقون بالفتح جمع دبر وهو آخر الليل وعقبها ومنه
قول أوس

على دبر الشهر الحرام فأرضنا • وما حولها جدي سنون تلح

ولم يختلفوا في وادبار النجوم وقوله تعالى وأدبار عطوف أما على قبل الغروب وأما على ومن الليل وقال عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما أدبار السجود الركعتان بعد صلاة المغرب وأدبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر وهي رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وروى عنه مرفوعا قال البغوي هذا قول أكثر المفسرين عن عائشة رضي الله عنها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل أشد معاهدة منه على الركعتين أمام الصبح وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها يعني بذلك سنة الفجر وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ما أحصى ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل الفجر يقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وعن مجاهد وأدبار السجود هو التسبيح باللسان في أدبار الصلوات المكتوبات وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبغ في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياهم وان كانت مثل زبد البحر وعنه أيضا أن قراء المهاجرين أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم فقال صلى الله عليه وسلم وما ذاك فقالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وأنفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال قال أفلا أخبركم بأمر تدركون به من قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتي أحد منكم ما جئتم به إلا من جاء بمثله تسبحون في دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا وقوله تعالى (واسمع) أي لما أخبرك به من أحوال القيامة فيه تهويل وتعظيم للخبر به والمحدث عنه كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سبعة أيام لمعاذين جبل بأمر ما أسمع ما أقول ثم حدثه بعد ذلك وقوله تعالى (يوم) ظرف لاسمع أي اسمع ذلك في يوم (ينادي المنادي) أي اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي بالحشر فيقول أيتها العظام البالية واللحم المتفرقة والشعور المتفرقة إن الله يأمر كنان أن تجتمع من لفصل القضاء وقيل المنادي جبريل (من مكان قريب) بحيث يسمع الصوت من بعد كما يسمعه من قرب يكونون في السماع سواء لاتفاوت بينهم أصلا واختلف في ذلك المكان القريب فأكثر المفسرين أنه صخرة بيت المقدس فانها أقرب الأرض إلى السماء باثني عشر ميلا وهي وسط الأرض وقيل من تحت أقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة أيتها العظام البالية وقوله تعالى (يوم يسمعون الصيحة) بدل من يوم ينادي والصيحة النفخة الثانية وقوله تعالى (بالحق) حال من الصيحة أي ملتبسة بالحق أو من الفاعل أي يسمعون ملتبسين بسماع حق (ذلك) أي اليوم العظيم الذي يظهر به المجد ويعاوبه فناء المؤمنين الجدة (يوم الخروج) أي الذي لا خروج أعظم منه وهو خروجهم من قبورهم من الأرض التي خلقوا منها إلى الحشر وهو من أسماء يوم القيامة (أنا) أي بالنامن العظيمة (نحن) أي خاصة (نحي ونحي) أي نجد ذلك شيأ بعد شيء سنة مسطرة

وعادة مستمرة كما تشهدونه فقد كان من باب الأحياء الأول المبدأ (والينا) أى خاصة بالامانة
ثم الأحياء (المصير) أى فى الآخرة وقيل تقديره نعيم فى الدنيا ونحيى فى الآخرة للبعث والينا
المصير بعد البعث وقوله تعالى (يوم) يدل من يوم قبله وما بينهما اعتراض وقرأ (تشرق الارض)
نافع وابن كثير وابن عامر بتشديد الشين والباقون بالتخفيف (عنهم) أى مجاوزة لهم بعد
أن كانوا فى بطنها فيخرجون منها أحياء كما كانوا على ظهرها أحياء حال كونهم (سراعا) أى
اجابة منادينا وهو جمع سريع وأشار الى عظمة الامر بقوله تعالى (ذلك) أى الانراج العظيم
جدا (حشر) أى جمع بكره وزاد فى بيان عظمة هذا الامر بدلالته على اختصاصه بتقديم الجار
فقال تعالى (علينا) أى خاصة (يسير) فكيف يتوقف فيه عاقل فضلا عن أن ينكره وأما غيرنا
فلا يمكنه ذلك بوجه * (تنبيه) * علينا متعلق بيسير ففصل بعمول الصفة بينهما وبين موصوفها
ولا يضر ذلك وقال الرمحشرى التقديم للاختصاص وهو ما أشرت اليه أى لا يتيسر ذلك
الا على الله تعالى وحده وهو عادة جواب قولهم ذلك رجع بعيد وقوله تعالى (نحن أعلم) أى
عالمون (بما يقولون) أى فى الحال والاستقبال من التكذيب بالبعث وغيره تسليمة للنبي صلى
الله عليه وسلم وتهديد لهم (وما أنت عليهم بجبار) أى بمسلط تجبرهم على الاسلام انما أنت
منذر وقد فعلت ما أمرت به ونحن القادرون على ردهم بما لنا من العلم المحيط وهذا قبل الامر
بالقتال (فذكر) أى بطريق البشارة والندارة (بالقرآن) أى الجامع بمجده لكل خيرا المحيط بكل
صلاح (من يخاف وعيد) فانه لا ينتفع به غيره وهم المؤمنون وقرأ ورش باثبات الياء بعد
الدال وصلالا وقفا وحذفها الباقون وصلاد ووقفا وما رواه البيضاوى تتعلا للزمخشري من
أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة ق هون الله عليه تأرات الموت وسكراته حديث
موضوع وتأرات الموت بثلاثة وهمزة مفتوحة أهواله

﴿سورة الذاريات مكية﴾

وهى ستون آية وثلاثمائة وستون كلمة وألف ومائتان وتسعة وثمانون حرفا

(بسم الله) أى المحيط بصفات الكمال فهو لا يختلف الميعاد (الرحمن) الذى عم الخلائق بعمه
الايحاد (الرحيم) الذى خص من اختاره بالتوفيق لما يرضاه من المراد ولما ختم الله سبحانه
وتعالى ق بالتذكير بالوعيد افتتح هذه بالقسم البالغ على صدقه فقال عز من قائل مناسب بين
القسم والمقسم عليه (والذاريات) أى الرياح تذر والتراب وغيره وقيل النساء والودات
فانهن يذرين الاولاد وقوله تعالى (ذروا) منصوب على المصدر المؤكد والعامل فيه فرعه وهو
اسم الفاعل والمفعول محذوف اقتصارا يقال ذرت الريح التراب وأذرته (فالحاملات) أى
السحب تحمل الماء وقيل الرياح الحاملة للسحاب وقيل النساء الحوامل (وقوله تعالى (وقرا)
أى ثقل مفعول به بالحاملات كما يقال حمل فلان عدلا ثقيلا قال الرازى ويحمل أن يكون
اسما أقيم مقام المصدر كقوله ضربته سوطا (فالجاريات) أى السفن وقيل الرياح الجارية

في مهامها وقيل الكواكب التي تجري في منازلها وقوله تعالى (يسرا) أي بسهولة مصدر
 في موضع الحال أي ميسرة (فالمقسمات) أي الملائكة التي تقسم الارزاق والامطار وغيرها
 بين العباد والبلاد وقوله تعالى (أمرا) يجوز أن يكون مفعولا به كقولك فلان قسم الرزق
 أو المال وأن يكون حالا أي مأمورة وهذه أشياء مختلفة فتكون الفاء على بابها من
 عطف المتغيرات والفاء للترتيب في القسم لافي المقسم به قال الزنجشيري ويجوز أن يراد الريا
 وحدها لانها تنشي السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجوى براسها ولا على هذا يكون من
 عطف الصفات والمراد واحدة فتكون الفاء على هذا الترتيب الامور في الوجود وعن علي بن
 أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال وهو على المنبر سألوني قبل أن لاتسألوني ولن تسألوا
 بعدي مثلي فقام ابن الكواء فقال ما الذاريات قال الرياح قال فالحاملات وقرأ قال السحاب
 قال فالحاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات أمرا قال الملائكة وكذا عن ابن عباس وعن
 الحسن المقسمات السحاب يقسم الله تعالى بها الرزاق العباد وقد حلت على الكواكب
 السبعة ويجوز أن يراد الرياح لا غير لانها تنشي السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجوى براسها
 سهلا وتقسم الامطار بتصرف السحاب (فان قيل) ان كان وقرا مفعولا فلم يجمع وقيل
 أو قارا (أجيب) بان جماعة من الرياح قد تحمل وقرا واحدا وكذا القول في المقسمات أمرا اذا
 قيل انه مفعول به لان جماعة من الملائكة قد تجتمع على أمر واحد * (فائدة) * أقسم الله تعالى
 بجمع السلامة المؤث في خمس سور ولم يقدم بجمع السلامة المذكور في سورة أصلا فلم يقل
 والصالحين من عبادي ولا المقربين الى غير ذلك مع ان المذكور أشرف لان جوع السلامة بالواو
 والنون في الغالب لمن يعقل ولما كانوا يكذبون بالوعد بدأ كد الجواب بعد التأكيدي بنفس
 القسم فقال تعالى (ان ما توعدون لصادق) أي مطابق الاخبار به للواقع وسترون مطابقة له
 * (تنبية) * ما يجوز أن تكون اسمية وعائدها محذوف أي توعدونه وأن تكون مصدريه
 فلا عائده على المشهور وحينئذ يحتمل أن يكون توعدون مبنيا من الوعد وأن يكون مبنيا من
 الوعيد لانه يصلح أن يقال أوعده فهو يوعد ووعدته فهو يوعد لا يختلفان في التقديران وعودكم
 أو ان وعيدكم (وان الدين) أي المجازاة لكل أحد بما كتب يوم البعث (لواقع) لا بد منه وان
 انكرتم (والسموات الحبك) قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق الحسن المستوى
 يقال للنساج اذا نسج الثوب فاجادما أحسن حبكه وقال سعيد بن جبيرة ذات الزينة أي المزينة
 بزينة الكواكب قال الحسن حبكتها النجوم وقال مقاتل والكلبي والضمم ذات الطريق
 حبكت الماء اذا ضربته الريح وحبك الرمل والشعر الجعد وهو آثار تنبيه وتكسره قال زهير
 مكلل باصول النجم تنسجه * ریح خريق اضاحى مائه حبك
 والحبك يحتمل أن يكون مفرد حبكة كطريقة وطرق أو حبك نخوجار وجر قال الشاعر
 كأنما جلها الحواك * ظننته في وشيها حبك
 وأصل الحبك احكام الشيء واتقانه ومنه يقال للدرع محبوك وجواب القسم (انكم) يامعشر

قريش (لنى قول) يحيط بكم فى أمر القرآن والآتى به وجميع أمر دينكم وغيره مما تريدون به
 ابطال الدين الحق (مختلف) فتقولون فى القرآن سحر وكهانة وأساطير الاولين وفى محمد صلى الله
 عليه وسلم ساحر وشاعر ومجنون وكاهن وكاذب (يؤفك) أى يصرف (عنه) أى عن النبي صلى
 الله عليه وسلم أو القرآن أى عن الايمان بذلك (من افك) أى صرف عن الهداية فى علم الله تعالى
 ومعناه حيفت الذم وقيل انه مدح للمؤمنين ومعناه يصرف عن القول المختلف من يصرف عن
 ذلك القول ويرشد الى القول المستوى (قتل) أى اعلن (الخراسون) أى الكذابون وهم الذين
 لا يجزمون بأمر بل هم شاكون متصرون وهم أصحاب القول المختلف ثم وصفهم الله تعالى فقال
 تعالى (الذين هم) أى خاصة (فى غمرة) أى جهل يغمهم (ساهون) أى غريقون فى السهو وهو
 النسيان والغفلة والحيرة وذهب القلب الى غير ما بهم ففاعل ذلك ذوالوان متخالف من
 هول ما هو فيه وشدة كربه (يسألون) النبي استهزاء (أيان) أى متى وأى حين (يوم الدين) أى
 وقوع الجزاء الذى تخبرنا به ولولا أنهم بهذه الحالة لتذكروا من أنفسهم أنه ليس أحد منهم يترك
 عبده واجراؤه فى عمل من الاعمال الا وهو يحاسبهم على أعمالهم ويتفرقوا فى أحوالهم
 ويحكم بينهم فى أقوالهم وأفعالهم فكيف الظن باحكم الحاكمين أن يترك عبده الذين خلقهم
 على هذا النظام المحكم وأبدع لهم هذين الخافقين وهما لا جملهم فيه ما كل ما يحتاجون اليه
 فيتركهم سدى ويوجد لهم عبدا وقوله تعالى (يوم هم) منصوب بضم رأى الجزاء كائن يومهم (على
 النار يفتنون) أى يعذبون فيها جواب لسؤالهم ايان يوم الدين وقال الرازى يحتمل وجهين
 أحدهما أن يكون جوابا عن قولهم ايان يقع فكما أنهم لم يسألوا سؤال مستفهم طالب للعلم
 كذلك لم يجيبهم جواب معلوم مبين بل قال يومهم على النار يفتنون فجهاهم بالشأن أقوى من
 جهلهم بالاقول ولا يجوز أن يكون الجواب بالآخى فلو قال قائل متى يقدم زيد فلو أجيب بقوله
 يوم يقدم رفيقه ولا يعلم يوم قدوم الرفيق لم يصح هذا الجواب ثانياً ما أن يكون ذلك ابتداء كلام
 تمامه فى قوله تعالى (ذوقوا فتنتكم) أى تعذيبكم (فان قيل) هذا يفضى الى الاضمار (أجيب)
 بأن الاضمار لا بد منه لان قوله تعالى ذوقوا فتنتكم لا يتصل بما قبله الا باضمار يقال (هذا) أى
 العذاب الملون (الذى كنتم به تستمجلون) فى الدنيا استهزاء ولما بين تعالى حال المجرمين بين بعده
 حال المتقين فقال تعالى (آآ المتقين) أى الذين كانت التقوى لهم وصفا ثابتا (فى جنات) أى
 بساكنين عظيمة تجن داخلها أى تستتره من كثرة ظلالها كثرة أشجارها وعظمتها (وعيون)
 جارية فى خلال الجنان * (تنبه) * المتقى له مقامات أدناها أن يتقى الشرك وأعلاها أن يتقى
 الدنيا والآخرة وأدنى درجات المتقى الجنة فامن مكلف اجتناب الكفر والاو يدخل الجنة وقرأ
 ابن كثير وابن ذكوان وشعبة وحجة والكسائى بكسر العين والباقون بالضم وقوله تعالى
 (آخذين) حال من الضمير فى خبران وقوله تعالى (ما آتاهم ربهم) أى الحسن اليهم المدبر لهم
 بتمام علمه وشامل قدرته ان كان محافى الجنة فتكون حلا حقيقة وان كان محافا آتاهم من أمره
 ونهيه فى الدنيا فتكون حلا محكية لا اختلاف الزمانين * (تنبه) * اعلم أن الله تعالى وحده الجنة

تارة قال تعالى مثل الجنة وأخرى جمعها كقوله تعالى هناء المتقين في جنات وتارة ثناها قال
تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان والحكمة فيه ان الجنة في وحيدها الاتصال المنازل
والاشجار والانهار كجنة واحدة وأما جمعها فانها بالنسبة الى الدنيا وبالاضافة اليها جنات
لا يحصرها عدد وأما تنبيهها فسيأتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى في سورة الرحمن وهو قوله
تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فقبل الجنة لخوفه من ربه وجنة لتركه شهوته وقيل جنة لخائف
الانس وجنة لخائف الجن فيكون من باب التوزيع قال الرازي غير أنا نقول ههنا ان الله تعالى
عند الوعد وحده الجنة وكذلك عند الشراء فقال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بأن لهم الجنة وعند الاعطاء جمعها اشارة الى ان الزيادة في الوعد موجودة بخلاف
مال الوعد بجنات ثم يقول انه في جنة لانه دون الموعد ومعنى آخذين قابضين ما آتاهم شيئا فشيئا
ولا يستوفونه بكمله لامتناع استيفاء ما لانها ياله وقيل قابضين قبول رضا كقوله تعالى ويأخذ
الصدقات أي يقبلها قاله الرمنخري وقوله تعالى (أنهم كانوا قبل ذلك محسنين) اشارة الى أنهم
أخذوها بتمنئها وما كوها بالاحسان في الدنيا والاشارة بذلك اما لدخول الجنة واما لايتاء الله
تعالى واما اليوم الدين والاحسان يكون في معاملة الخالق والخلألق وقيل هو قول لا اله الا الله
ولهذا قيل في معنى كلمة التقوى انها لا اله الا الله وفي قوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى
الله وقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا احسان هو الايتان بكلمة لا اله الا الله ثم فسر احسانهم
معبر عنه عما هو في غاية المبالغة بقوله تعالى (كانوا) أي لما عندهم من الاجلال له والحب فيه
بجيت كانهم مطبوعون فيه (قليل من الليل) الذي هو وقت الراحة وقضاء الشهوات
(ما يجمعون) أي يفعلون الهجوع وهو النوم الخفيف القليل بالليل فاطنك بما فوقه فامزجة
ويجمعون خبر كان وقليل اطرف أي ينامون في زمن يسير من الليل ويصلون أكثره وقال ابن
عباس رضى الله عنه كانوا قل ليله تمربهم الاصلوا فيها شيئا اما من أولها أو من وسطها وعن أنس
ابن مالك كانوا يصلون من المغرب الى العشاء وقال محمد بن علي كانوا لا ينامون حتى يصلون
العقة وقال مطرف بن عبد الله قل ليله أتت عليهم هجوعا كلها وقال مجاهد كانوا لا ينامون
كل الليل ووقف بعضهم على قليل ليلوا نحي بها قوله تعالى وقليل ما هم وقليل من عبادى الشكور
ويتبدى من الليل ما يجمعون أي ما يجمعون من الليل والمعنى كانوا من الناس قليلا
ثم ابتدأ فقال ما يجمعون من الليل وجعله مجدا أي لا ينامون بالليل البتة بل يقومون للصلاة
والعبادة وهو قول الضعاف ومقاتل وقيل ان ما بمعنى الذي وعائدها محذوف تقديره كانوا قليلا
من الليل الوقت الذي يجمعونه وهذا فيه تكلف ولما كان المحسن لا يرى نفسه الا مقصرا قال
تعالى دال على ذلك وعلى أن تهجد هم متصل بآخر الليل (وبالاصحاح) قال ابن زيد السهر
السدس الاخير من الليل (هم) أي دائماً بظواهرهم وبواطنهم (يستغفرون) أي يعدون مع
هذا الاجتهاد أنفسهم مذنبين ويسألون غفران ذنوبهم لوفور علمهم بالله تعالى وأنهم لا يقدر
على أن يقدروه حتى قدره وان اجتهدوا لقول سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم لا أحصى ثناء

عليك وإبراز الضمير دل على أن غيرهم لو فعل هذا ليلة لا يحب بنفسه ورأى أنه لا أحد أفضل منه وعلى أن استغفارهم في الكثرة يقتضي أنهم يكونون بحيث يظن أنهم أحق بالتدليل من المصريين على المعاصي فإن استغفارهم ذلك على بصيرة لانهم نظروا ماله سبحانه في الآفاق وفي أنفسهم من الآيات والحكم البالغة فأقبلوا على الاستغفار عالمين بأنه تعالى لا يقدر حق قدره * (تنبيه) * بالاصحار متعلق يستغفرون والباء بمعنى في وقدم متعلق الخبر على المبتدأ الجواز تقديم العامل وقال الكلبي ومجاهد وبالاصحار يصلون وذلك أن صلاتهم بالاصحار مطلب المغفرة روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله إلى السماء كل ليلة حتى يبقى ثلث الليل فيقول أنا الملك أنا الملك من الذي يدعوني فأستجيب له من الذي يسألني فأعطيه من الذي يستغفرني فأغفر له وهذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان أحدهما وهو مذهب السلف وغيرهم أنه يمر كما جاء من غير تأويل ولا تعطيل وترك الكلام فيه وفي أمثاله مع الإيمان به وتنزيه الرب سبحانه عن صفات الأجسام المذهب الثاني وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم أن الصعود والنزول من صفات الأجسام فالله تعالى منزوع عن ذلك فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والالطاف الالهية والاقبال على الداعين بالاجابة والالطف وتخصيصه بالثلث الاخير من الليل لأن ذلك وقت التمجيد والدعاء وغفلة أكثر الناس وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يتجدد قال اللهم لك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت والعيسى أنبت وبك خاصمت والعيسى حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وزاد في رواية وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت ولا اله غيرك زاد النسائي ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * ولما ذكر تعالى معاملتهم للخالق أتبعه المعاملة للخلائق تكميلاً للحقيقة الاحسان فقال تعالى (وفي أموالهم) أي كل أصنافها (حق) أي نصيب ثابت (للسائل) أي الذي ينسب على حاجته بسؤال الناس وهو المنة كفف (والمحروم) وهو المنة كفف الذي لا يجد ما يغنيه ولا يسأل الناس ولا يقطن له ليتصدق عليه وهذه صفة أهل الصفة رضي الله تعالى عنهم فالحنس نون يعرفون صاحب الوصف لما لهم من ناقد البصيرة والله تعالى بهم العناية وقدم السائل لانه يعرف بسؤاله أو يكون إشارة الى كثرة العطاء فيعطى السؤال فاذا لم يجد هم يسأل عن المحتاجين فيكون سائلاً ومسؤولاً وقيل قدم السائل لجائس رؤس الآي وقيل السائل هو الآدي والمحروم كل ذي روح غيره من الحيوانات المحترمة قال صلى الله عليه وسلم في كل كبد حراة أجر وهذا ترتيب حسن لأن الآدي مقدم على البهائم وقال ابن عباس وسعيد بن المسيب السائل الذي يسأل الناس والمحروم الذي ليس له في الغنائم سهم ولا يجري عليه من النقيض وقال قتادة والزهرى المحروم

المتعفف الذي لا يسأل الناس وقال زيد بن أسلم المحروم هو المصاب غمراً أو زرعاً أو نسل
 ماشيته وهو قول محمد بن كعب القرظي قال المحروم صاحب الجائحة ثم قرأنا المحرومون بل
 نحن محرومون (وفي الأرض) أي من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها
 (آيات) أي دلالات على قدرة الله تعالى ووحدايته (للموقنين) أي الذين صاروا لا يقن
 لهم غريزة ثابتة فهم لذلك يتفطنون لرؤية ما فيها قال القشيري من الآيات فيها أنها تحمل
 كل شيء فكذلك العارف يحمل كل أحد ومن استقل أحد أو تبرم برؤية أحد فأنغيته عن
 الحقيقة ومطالعته الخلق بعين التفرقة وأهل الحقائق لا يتصفون بهذه الصفة ومن
 الآيات فيها أنه يلقي عليها كل قدر وقامة فتسبب كل زهر ونور فكذلك العارف يتشرب
 ما ينقي من الجفاء ولا يترشح إلا بكل خلق حسن على وشيعة زكية (وفي أنفسكم)
 آيات أيضاً من مبدا خلقكم إلى منتهاه وما في تركيب خلقكم من العجائب (أفلا تبصرون)
 أي بأبصاركم وبصائركم فتأملوا ما في ذلك من الآيات فمن تأملها علم أنه عبد
 ومتقى علم ذلك علم أن له رباً غير محتاج إلى أحد (وفي السماء) أي جهة العلو (ورزقكم)
 بما يأتي من المطر والرياح والحر والبرد وغير ذلك مما رتب سبحانه وتعالى للمنافع العباد وقال
 ابن عباس يعني بالرزق المطر لانه سبب الارزاق وقيل في السماء رزقكم مكتوب وقيل تقدير
 الارزاق كلها من السماء ولولا ما حصل في الأرض حبة قوت (وما وعدون) قال عطاء من
 الثواب والعقاب وقال مجاهد من الخير والشر وقال الضحاك من الجنة والنار ثم أقسم
 سبحانه وتعالى بنفسه فقال عز من قائل (فوب) أي مبدع ومدبر (السماء والأرض) أي
 وما أودع فيهما مما علمته سموه وما لم تعلموه (انه) أي الذي توعدونه من الخير والشر والجنة
 والنار وما ذكر من أمر الرزق وما تقدم الاقسام عليه (لحق) أي ثابت يطابقه الواقع (مثل
 ما أنكم تنطقون) أي مثل نطقكم كما انه لا شك في أنكم تنطقون ينبغي لكم أن لا تنكروا
 في تحقيق ذلك وقال بعض الحكماء معناه أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه ولا يمكن أن ينطق
 بلسان غيره كذلك كل أحد يأكل رزق نفسه الذي قسم له لا يقدر أن يأكل رزق غيره
 وأنشدوا في المعنى

ما لا يكون فلا يكون بجيلة * أبدا وما هو كائن سيكون

سيكون ما هو كائن في وقته * وأخو الجهالة مكد مغبون

وقيل معناه إن القرآن لحق تكلم به الملك النازل من السماء مثل ما تكلمون وقرأ حجة
 والكسافي وشعبة برفع اللام على أنه نعت لحق وما هيبة وانكم مضاف إليه أي لحق منسل
 نطقكم ولا ينشر تقدير اضافتها لمعرفة لانها لا تعرف بذلك لايها والباقي بالنصب على أنه
 نعت لحق أيضاً كما في القراءة الاولى وانما يخفى الاسم لاضافته الى غير ممكن كما بناء القائل في قوله
 قد اعى منخرام بدم * مثل ما أنخرامض الجبل
 يفتح مثل مع أنها نعت لدم وقيل انها نعت لمصدر مخذوف أي لحق حقا مثل نطقكم وقوله

تعالى (هل أتاك) أي يأكل الخلق (حديث ضيف إبراهيم المكرم) تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم وبشيرة بالفرج وسماهم ضيفاً لأنه حسبهم كذلك ويقع على الواحد والجمع لأنه مصدر وسماهم مكرمين عند الله تعالى وأولاً إبراهيم عليه السلام أكرمهم بأن جعل قراهم وأجلهم في أكرم المواضع واختيار إبراهيم لكونه شيخ المرسلين وكون النبي صلى الله عليه وسلم مأموراً بأن يتبع ملته وكان إبراهيم عليه السلام أكرم الخليفة وضيف الكرام مكرمون وقال ابن أبي نجيج عن مجاهد لأن إبراهيم عليه السلام خدمهم بنفسه وعن ابن عباس سماهم مكرمين لأنهم جاءوا غير مدعويين وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (فان قيل) إذا كان المراد من الآية التسلياً والانداز فأى فائدة في حكاية الضيافة (أجيب) بأن في ذلك إشارة إلى أن الفرج في حق الأنبياء والبلاء على الجهلة يأتي من حيث لم يحتسبوا كقوله تعالى فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فلم يكن عند إبراهيم عليه السلام خبر من أنزال العذاب مع ارتفاع منزلته قال القشيري وقيل كان عددهم اثني عشر ملكاً وقيل جبريل عليه السلام وكان معه تسعة وقيل كانوا ثلاثة وقرأ هشام بفتح الهاء وألف بعدها والباقون بكسر الهاء ويا بعدها (اذ) أي حديثهم حين (دخلوا عليه) أي دخول استعلاء مخالف لدخول بقية الضيوف وقرأ نافع وابن كثير وعاصم بإظهار الدال عند الدال والباقون بالأدغام (تنبه) * اختلف في العامل في اذ على أربعة أوجه أحدها أنه حديث أي هل أتاك حديثهم الواقع في وقت دخولهم عليه ثانياً أنه منصوب بمافي ضيف من معنى الفعل لأنه في الأصل مصدر ولذلك استوى فيه الواحد المذكور وغيره كأنه قيل الذين أضافهم في وقت دخولهم عليه ثالثاً أنه منصوب بالمكرمين إن أريد بآرامهم أن إبراهيم عليه السلام أكرمهم بخدمته لهم كأنه تعالى يقول أكرموا إذ دخلوا رابعاً أنه منصوب بإضمار اذ كروا يجوز نصبه بأتاك لاختلاف الزمانين (فان قيل) انما أرسلوا إلى قوم لوط فقال لهم في مجيئهم إلى إبراهيم عليه السلام (أجيب) من وجهين أحدهما أن إبراهيم عليه السلام شيخ المرسلين ولوط من قومه وعادة الملك إذا أرسل رسولاً الملك وفي طريقه من هو أكبر منه يقول له ابر على فلان الملك وأخبره برسالتك وخذ فيها رأيي ثانياً هما أن إبراهيم عليه السلام كان شديد الشفقة حليماً فكان يشق عليه اهلاك أمة عظيمة وكان ذلك مما يحزن إبراهيم عليه السلام شفقة منه على العباد فقال لهم بشروه بغلام يخرج من صلبه أضعاف من هلك ويكون من صلبه فروع الأنبياء عليهم السلام (فقالوا سلاماً) أي هذا اللفظ (قال سلام) أي هذا اللفظ والمشهور أن السلام الأول المراد به التسمية أي تسليماً سلاماً وقيل إن سلاماً معناه حسنالأنه كلام سلم به المتكلم من أن يلغوا ويأثم فكانهم قالوا قولا حسناً سلمياً من الأثم فيكون مفعولاً به لأنه في معنى القول وأما رفع الثاني فالمشهور أنه التسمية فهو مبتدأ وخبره محذوف أي عليكم وقيل إنه السلامة أي أمرى سلاماً لاني لا أعرفكم وقرأ حمزة والكسائي بكسر السين وسكون اللام والباقون بفتح السين واللام وألف بعدها والحق واحد

وقوله تعالى (قوم منكرون) أي غرباء لا أعرفهم قال ذلك في نفسه كما قاله ابن عباس خبر مبتدا
مقدراً أي هؤلاء وقيل انما أنكر أمرهم لانهم دخلوا عليه من غير استئذان وقال أبو العالبة
أنكر اسلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الارض (فراغ) أي ذهب في خفية من ضيفه فان من
آداب المضيف أن يبادر بالقرى حذراً من أن يكفه الضيف أو يصير منتظراً (إلى أهله) أي
الذين عندهم بقرة (فجاء بعجل) أي فتي من أولاد البقر لانه كان عامة ماله البقر (سمين)
قد شواء وأنضجه كما قال تعالى في سورة هود حنيد أي مشوى (فقرّب اليهم) بأن وضعه
بين أيديهم ليأكلوا فلم يأكلوا (قال ألا تأكلون) والهمزة امالة لانكار عليهم في عدم أكلهم
واما للعرض وامّا للتخصيص فلم يجيبوا (فأوجس) أي أضمر في نفسه (منهم خيفة) لما رأى
اعراضهم عن طعامه لظنه أنهم جاؤوا لشر وقيل وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا بهذاب
فلما عرفوا منه ذلك (قالوا) مؤنس له (لاتخف) وأعلموه أنهم رسل الله (وبشروه بغلام)
يأتيه على شيخوخته ويأس امرأته بالطعن في السن بعد عقمها وهو اسحق عليه السلام
(عليه) أي مجبول جبلة مهياة للعلم ولا يموت حتى يظهر علمه بالفعل في أوانه فان جميع الانبياء
بعده من ذريته الا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فانه من ذرية اسمعيل عليه السلام * (نبيه) *
ذكر ههنا من آداب الضيافة تسليم المضيف على الضيف ولقاءه بالوجه الحسن والمبالغة
في الاكرام بقوله سلام وهو آكد وسلامهم بالمصدر في قوله سلام بالرفع زيادة على ذلك ولم يقل
سلام عليكم لان الامتناع من الطعام يدل على العداوة والغدر لا يليق بالانبياء فقال سلام
أي امرى مسألة ثم فيها من آداب المضيف تعجيل الضيافة فان النساء في قوله فراغ تدل على
التعقيب واخفاؤها لان الروغان يقتضى الاخفاء وغيبة المضيف عن الضيف ليستريح ويأتى
بما ينفعه الحياء منه ويخدم الضيف بنفسه ويختار الاجود لقوله سمين ويقدم الطعام للضيف
في مكانه ولا ينقل الضيف للطعام لقوله قرّب اليهم ويعرض الاكل عليه ولا يامرءه لقوله تعالى
قال ألا تأكلون ولم يقل كما وصرّره بأكله لا كما يوجد في بعض الجلاء الذين يحضرون طعاما
كثيرا ويجعل نظره ونظر أهل بيته الى الطعام حتى يملك الضيف يده عنه لقوله تعالى فأوجس منهم
خيفة لعدم أكلهم ومن آداب الضيف اذا حضر الطعام ولم يكن يصلح له لكونه مضرباً به
أو يكون ضعيف القوة عن هضم ذلك الطعام أن لا يقول هذا طعام غليظ لا يصلح لي بل يأتي
بعبارة حسنة ويقول في مانع من أكل الطعام لانهم أجابوه بقولهم لاتخف ولم يذكروا في الطعام
شيئاً ولأنه يضربهم بل بشروه بالولد اشعاراً بأنهم ملائكة وبشروه بالاشرف وهو الذكرك حيث
فهموه انهم ليسوا بمن يأكلون ثم وصفوه بالعلم دون المال والجمال لان العلم أشرف الصفات
ثم أدب آخر في البشارة وهو أن لا يخبر الانسان بما يسره دفعة واحدة لانه يورث مرضا لانهم
جلسوا واستأنس بهم ابراهيم ثم قالوا نبشرك (فان قيل) قال تعالى في سورة هود فلما رأى أيديهم
لا تصل اليه نكروهم فدل على أن انكاره حصل بعد تقريب الجهل اليهم وههنا قال فقالوا سلاما
قال سلام قوم منكرون ثم قال فراغ الى أهله بفاء التعقيب وذلك يدل على أن تقريب الطعام منهم

بعد حصول انكاره فواجهه (أجيب) بأن يقال لعلهم كانوا مخالفين لصفة الناس في الشكل والهيئة ولذلك قال قوم منهم كرون أى عند كل أحد واشترك ابراهيم عليه السلام وغيره فيه ولهذا لم يقل أنكرتم بل قال أنتم منكرون فى أنفسكم عند كل أحد منا ثم لما امتنعوا من الطعام تأكد الانكار لان ابراهيم تفرد بمشاهدة امساكهم فنكرهم فوق الانكار الاول وحكاية الحال في سورة هود أبسط مما ذكره ههنا فانه هنالك يبين المشرية وهنالك ذكره باسمه وهو اسحق وههنا لم يقل ان القوم قوم من وهنالك قال قوم لوط ولما كانوا بعيدين عن قبول الولد تسبب عن ذلك قوله تعالى دالعلى أن الولد اسحق مع الدلالة على أن خفاء الاسباب لا يؤثر في وجود المسببات (فأقبلت) أى من سمع هذا الكلام (امرأته) سارة قيل لم يكن ذلك اقبالاً من مكان الى مكان بل كانت في البيت فهو كقول القائل أقبل يفعل كذا اذا أخذه وقوله تعالى (في صرة) أى صيحة حال أى جاءت صائحة لانها قد امتلأت عجباً (فصكت) قال ابن عباس لطمت (وجهها) واختلاف في صفة فقيل هو الضرب باليد مبسوط وقيل هو ضرب الوجه باطراف الاصابع فعلى المتعجب وهى عادة النساء اذا أنكرن شيئاً وأصل الصك ضرب الشيء بالشيء العريض وقيل جمعت أصابعها وضربت جبهتها عجباً وذلك من عادة النساء أيضاً اذا أنكرن شيئاً (وقالت) تريد أن تستبين الامر هل الولد منها أو من غيرها (بحوز) قال القشيري قيل انها كانت يومئذ ابنة ثمان وتسعين سنة ومع ذلك (عقيم) فهى حال شبابهم لم تكن تقبل الحمل فلم تلد قط ولما قالت ذلك قالوا مجيبين لها (قالوا كذلك) أى مثل ما قلناه من هذه البشرى العظيمة (قال ربك) أى المحسن اليك بتأهيلك لذلك على ما ذكرت من حالك وبتأهيلك من قبل الاتصال بخليفه صلى الله عليه وسلم (انه هو) أى وحده (الحكيم) أى الذى يضع الاشياء فى أحق مواضعها (العليم) المحيط العلم فهو لذلك لا يعجزه شيء ثم بين سبحانه وتعالى ما كان من حال ابراهيم وحال الملائكة بعد ذلك بقوله تعالى (قال) أى ابراهيم عليه السلام مسبباً عما رأى من حالهم وان اجتماع الملائكة على تلك الحالة لم يكن لهذه البشارة فقط (فما خطبكم) أى خبركم العظيم (أيها المرسلون) أى لامر عظيم وهذا أيضاً من آداب المضيف اذا بادرا المضيف بالخروج قال له ما هذه العجالة وما شأنك لان في سكوتهم ما يؤهم اشتغاله ثم انهم أتوا بما هو من آداب الصديق الذى لا يسر عن الصديق شيئاً وكان ذلك باذن الله تعالى لهم فى اطلاع ابراهيم عليه السلام على اهلاكهم وجبر قلبه بتقديم البشارة بأبى الانبياء اسحق عليه السلام (فان قيل) فما الذى اقتضى ذكره بالفاء ولم لا قال ما هذا الاستهجال وما خطبكم المعجل لكم (أجيب) بأنه لما أوجس منهم خيفة لو خرجوا من غير بشارة وإيناس فلما أنسوه قال فما خطبكم أى بعد هذا الانس العظيم ما هذا الايحاش الالىم (قالوا) قاطعين بالتأكيدي بأن مضمون خبرهم حتم لا بد منه ولا مدخل للشفاعة فيه (انا أرسلنا) أى بارسال من تعلم (الى قوم مجرمين) أى هم فى غاية القوة على ما يحا ولونه وقد صرفوا ما أنعم الله تعالى به عليهم من القوة فى قطع ما يحق وصله ووصل ما يحق قطعه يعنون قوم لوط (انزل عليهم) أى من السماء النار فيها

ما وعد العباد به وتوعدوا (حجارة من طين) أى مهيا للاحراق والاحتراق (مسومة) أى
معلمة بعلامة العذاب المخصوص عليها اسم من يرى بها وقوله تعالى (عند ربك) أى المحسن
اليسئ بهذه البشارة وغيرها طرف لمسومة أى معلمة عنده (للمسرفين) أى المتجاوزين
الحدود وغير قانعين بما أبيع لهم فالمسرف المتكادى ولو فى الصغار فرفهم مجرمون أى مسرفون
والجهم قال ابن عباس هو المشرك لأن الشرك أعظم الذنوب * وهنا لطيفة * وهى أن الحجارة
سومت للمسرف المسرف الذى لا يترك الذنب فى المستقبل وذلك أنما يعلمه الله تعالى فلذلك قال
عند ربك للمسرفين ولما كان الاجرام ظاهرا قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين واللام
فى المسرفين لتعريف العهد أى لهؤلاء المسرفين اذ ليس لكل مسرف حجارة مسومة واسرافهم
بأنهم أنوا بما لم يسبقهم به أحد من العالمين وفى هذا دليل على رجم اللائط والقائدة فى ارسال
جماعة من الملائكة لهذا الامر وان كان يكفى فيه الواحد منهم اذا ملك العظم تدبيره لك بالامر
الحقير كما أهلك النمرود بالبعض وكما أهلك فرعون بالقمل والجراد بل بالريح التى بها الحياة
اظهارا للقُدرة وقد تكثرت الاسباب كما فى يوم بدر أمر خمسة آلاف من الملائكة باهلاك أهل بدر
مع قتلهم اظهارا للعظيم قدرته * (تنبيه) * قوله تعالى من طين أى ليس من البرد والفاعل لذلك
هو الله تعالى لا كما تقول الحكماء فانهم يقولون ان البرد يسمى حجارة فقوله تعالى من طين يدفع
ذلك التوهم قال الرازى ان بعض من يدعى العقل يقول لا ينزل من السماء الا حجارة من طين
مدورات على هيئة البرد وهيئة البنادق التى يتخذها الرماة قالوا وسبب ذلك أن الاعصار
تصعد الغبار من القلاوات العظيمة التى لا عمارة فيها والرياح تسوقها الى بعض البلاد ويتفق
ذلك الى هواء ندى فيصير ذلك طينا رطبا والرطب اذا نزل وتفرق استدار بدليل انك اذا رميت
الماء الى فوق ثم نظرت اليه رأيت يقطر كرات مدورات كاللؤلؤ الكبار ثم فى النزول ان اتفق
أن تضربه النيران التى فى الجو جعلته حجارة كالآجر المطبوخ فينزل فيصيب من هيا الله تعالى
هلاكه وقد ينزل كثيرا فى المواضع التى لا عمارة بها فلا يرى ولا يدري به فلهذا قال من طين
لأن ما لا يكون من طين كالجبر الذى يكون فى الصواعق لا يكون كثيرا بحيث يطار وهذا تعسف
لأن ذلك الاعصار لما وقع فان وقع حادث آخر لم التسلسل ولا بد من الانتهاء الى محدث ليس
بمحدث فذلك المحدث لابد وأن يكون فاعلا مختارا واختاره أن يفعل ذلك وله أن يخلق الحجارة
من طين على وجه آخر من غير نار ولا غبار لكن العقل لا طريق له الى الجزم بطريق احداثه
وما لا يصل العقل اليه لا يؤخذ الا بالنقل والنص ومن المعلوم أن نزول حجارة الطين من السماء
أغرب وأعجب من غيرها ولما أراد الله تعالى أن يهلك الجرمين ميز المؤمنين بقوله تعالى
(فأخرجنا) أى بما لنا من العظمة بعد أن ذهبت وسلنا اليهم ووقع بينهم وبين لوط عليه
السلام محاورات معروفة لم يدع الحال هنا الى ذكرها (من كان فيها) أى قرى قوم لوط (من
المؤمنين) أى المصدقين بقولهم لا بالانسويهم بالجرمين فخلصناهم من العذاب على قلتهم
وضعفهم وقوة الخائفين وكثرتهم (فما وجدنا فيها) أى تلك القرى أسند الامر اليه تشريفا

لرسوله واعلاما بأن فعلهم فعله تعالى (غير بيت) أى واحد وهو بيت ابن أخى إبراهيم عليهما
 السلام وقيل كانت عدة الناجين منهم ثلاثة عشر (من المسلمين) أى العريقين فى اسلام
 الظاهر والباطن لله تعالى من غير اعتراض أصلا وهم إبراهيم وآله عليهم السلام وانهم أول
 من وجد منهم الاسلام الا تم وتسموا به كما مر فى سورة البقرة وتسموا به أتباعهم فكان هذا البيت
 الواحد صادقا عليه الايمان الذى هو التصديق والاسلام الذى هو الانقياد قال البغوى
 وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا لانه ما من مؤمن الا وهو مسلم يعنى لما بينهما من
 التلازم وان اختلف المصهوران وقال الاصفهاني وقيل كان لوط وأهل بيته الذين نجاوا ثلاثة
 عشر وقيل هم لوط وابنتاه وصفوا بالايمان والاسلام أى هم مصدقون بقولهم عاملون
 بجوارحهم الطاعات * (تنبيه) فى الآية إشارة الى أن الكفر اذا غلب والفسق اذا فشا
 لا تنفع معه عبادة المؤمنين بخلاف ما لو كان أكثر الخلق على الطريقة المستقيمة وفيهم شرذمة
 يسيرة يسرقون ويرزقون ومثاله أن العالم كالبدن ووجود الصالحين كالغذية الباردة والحارة
 والسموم الواردة عليه الضارة ثم إن البدن اذا خلا عن النافع وفيه الضار هلك وان خلا
 عن الضار وفيه النافع طاب ونما وان وجد اذ فيه معافا لحكمه لا غلب واطلاق الخاص على العام
 لا مانع منه لأن المسلم أعم من المؤمن فاذا سمى المؤمن مسلما لا يدل على اتحاد مفهوميهما
 فكأنه تعالى قال أخرجنا المؤمنين فما وجدنا الا عم منهم الايمان المسلمين ويلزم من هذا
 أن لا يكون هنالك غيرهم من المؤمنين (وتركنا) أى بما لنا من العظمة (فيها) أى تلك القرى
 بما أوقعناهم من العذاب (آية) أى علامة عمدة على هلاكهم كالجحارة أو الماء المذق فانا قلنا
 قراهم كلها وصعدت فى الجحوق كالغمام الى عنان السماء ولم يشعر أحد من أهلها بشئ من ذلك
 ثم قلبت واتبع بالجحارة ثم خسف بها ونمرت بالماء الذى لا يشبهه شئ من مياه الارض كما أن
 جنايتهم لم تكن تشبه جناية أحد من تقدمهم من أهل الارض (لذين يخافون العذاب
 الآليم) أى أن يحل بهم كاحل بهذه القرى فى الدنيا من رفع الملائكة لهم فى الهواء الذارى
 الى عنان السماء وقلوبهم واتباعهم الجحارة المحرقة ونمرهم بالماء المناسب لفعلهم بتسنة وعدم نفعه
 وما أدخلهم فى الآخرة أعظم وخص الذين يخافون بالذكر لانهم هم المعترفون بها وقوله تعالى
 (وفى موسى) عطف على قوله تعالى فيها باعادة الجحارة لان المعطوف عليه ضمير مجرور فيتعلق
 بتركنا من حيث المعنى ويكون التقدير وتر كفى قصة موسى آية (اذا أرسلناه) أى بما لنا
 من العظمة (الى فرعون بسلطان مبين) أى بحجة واضحة وهى معجزاته الطاهرة كاليد
 والعصا ومع ذلك لم ينتفع بها ولذلك سبب عنها وعقب بها قوله تعالى (فتولى) أى كلف
 نفسه الاعراض عنها بعد ما دعاه علمها الى الاقبال اليها وأشار الى قواه بقوله تعالى (بركته) أى
 بسبب ما يركن اليه من القوة فى نفسه وبأعوانه وجنوده لانهم له كالركن وقيل بجميع بدنه
 كناية عن المبالغة فى الاعراض (وقال) معلما بجزء عما أتاه به وهو لا يشعر (ساحر) ثم ناقض
 كفا فزنتكم فقال بجهله عما يلزم على قوله (أو يحنون) أى لا يجترأه على مع ما لى من عظيم الملك

بمثل هذا الذي يدعو اليه * (تنبيه) * أو هنا على بابهم من الابواب على السامع أو الشك نزل نفسه
مع أنه يعرفه نبياً حقاً منزلة الشاك في أمره تمويهاً على قومه وقال أبو عبيدة أو بمعنى الواو قال
لأنه قد قالهما قال تعالى إن هذا الساحر عليهم وقال في موضع آخر أن رسولكم الذي أرسل اليكم
لجنون ورد الناس عليه هذا وقالوا لا ضرورة تدعو إلى ذلك وأما الآيتان فلا تدلان على أنه
قالهما معاً في آن واحد وإنما يفيدان أنه قالهما أعم من أن يكونا معاً وهذه في وقت وهذه في آخر
ولما وقعت التسليمة بهذا الأولياء قال تعالى محذراً للاعداء (فأخذناه) أي أخذ غضب
وقهر بعظمتنا وقوله تعالى (وجنوده) يجوز أن يكون معطوفاً على مفعول أخذناه وهو
الظاهر وأن يكون مفعولاً معه (فنبذناهم) أي طرحناهم طرح مستهين بهم كما طرح الحصيات
(في آية) أي البحر الذي هو أهل لان يقصد بعد أن سلطنا الريح عليه ففرقت له ما ضربه موسى
عليه السلام بعصاه ونشفت أرضه وأبيست ما أبرزت فيه من الطرق لنجاة أوليائنا وهلاك
أعدائنا (وهو) أي والحال أن فرعون (مليم) أي آت بما يلام عليه من تكذيب الرسول
ودعوى الربوبية وغير ذلك ثم ذكر تعالى قصصاً أخرى تسليمة لنا صلي الله عليه وسلم أحداها
قوله تعالى (وفي عاد) أي أهلاكهم وهم قوم هود عليه السلام آية عظيمة (اذ) أي حين
(أرسلنا) بعظمتنا (عليهم) أي (الريح) فأتتهم فحملهم بحمالة سوداء وهي تدر الرمل وترى بالحجارة
كما مرّت الإشارة إليه على كبرية لا تطاق (العقيم) أي التي لا خير فيها لا تحمل المطر ولا تلقح
الشجر وهي الدبور ثم بين عقابها وعاقبها بقوله تعالى (ما تذر) أي تترك على حالة رديئة
وأغرق في النفي فقال تعالى (من شيء أتت عليه) أي آتينا أرادهم وسلها أهلاكها (الاجعلته
كالريم) أي الشيء البالي الذي ذهكت الأيام والليالي إلى حالة الدمار وهو في كلامهم ما يدر
من نبات الأرض ودريس قاله ابن جرير (فان قيل) الجبال والصحور وغير ذلك أتت عليهم
وما جعلتهم كالريم (أجيب) بأن المراد أتت عليه فاصدة له وهو عاد وبنيتهم وعروشهم لأنها
كانت مأمورة بأمر من عند الله فكانها كانت فاصدة لهم فخركت شيئاً من تلك الأشياء
الاجعلته كالريم ثانياً قوله تعالى (وفي ثمود) أي أهلاكهم وهم قوم صالح عليه السلام
آية عظيمة (اذ) أي حين (قيل لهم) أي من لا يخلف الميعاد وقرأ هشام والكسائي بضم
القاف والباقون بكسرها (تمنعوا) أي بلبن الناقة وغيره مما مكأهم فيه من الزروع والخصيل
والأبنية في الجبال والسهول وغير ذلك من جلائل الأمور على الوجه الذي أمرناكم به
ولا تطفئوا (حقين) أي وقت ضربته لا جالسكم (فقتلوا) أي أوقعوا بسبب إحساننا إليهم
العتو وهو التكبر والاباء (عن أمر ربهم) أي مولاهم الذي أعظم إحسانه إليهم فمحقروا
ناقته وأرادوا قتل نبيه صالح عليه السلام (فأخذتهم) أي بسبب عتوهم أخذ قهر وعذاب
(الصاعقة) أي الصيحة العظيمة التي حملتها الريح فواصلتها إلى مساكنهم بغاية العظيمة ورجت
ديارهم رجة أزالت أرواحهم بالصعق وقرأ الكسائي بإسكان العين ولا ألف قبلها والباقون
بكسر العين وقبلها ألف وقوله تعالى (وهم يتظنون) دال على أنها كانت في غمام وكان فيها

نار ويجوز مع كونه من النظر أن يكون أيضاً من الانتظار فانهم وعدوا نزول العذاب بعد ثلاثة
 أيام وجعل في كل يوم علامة وقعت بهم فتحققوا وقوعه في اليوم الرابع وقال بعض المفسرين
 المراد منه هو ما أمهلهم الله تعالى بعد عقربهم الناقة وهو ثلاثة أيام بقوله تعالى غتتوا في داركم
 ثلاثة أيام وكان في تلك الأيام تتغير ألوانهم فتصمر وتصفر وتسود قال الرازي وهذا ضعيف
 لأن قوله تعالى غتتوا عن أمر ربهم يحرف الفاء دليل على أن الغتوا كان بعد قوله تعالى غتتوا
 فإذا الظاهر أن المراد هو ما قدر الله تعالى للناس من الأجل فنامن أحد الا وهو عمهل مدة
 الاجل انتهى ولحسن هذا فسر الآية به (فما) أي فتسبب عن ذلك انهم ما (استطاعوا)
 أي تمكنوا أو كذا النفي بقوله تعالى (من قيام) أي فقاموا بعد نزول العذاب وما قدروا
 على نهوض قال قتادة لم ينهضوا من تلك الصرعة كقوله تعالى فأصبحوا في ديارهم جاثين
 وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه (وما كانوا) أي كوناً ما (منتصرين) أي لم يكن
 فيهم أهلية الانتصار بوجه لا بأنفسهم ولا بناصر ينصرهم فيطأوعونه في النصر لان تهيوهم
 لذلك سقط بـ لاعتبار ثنائها قوله تعالى (وقوم نوح) بالجزوهي قراءة أبي عمرو وجزء
 والكسائي عطف على نوح أي وفي اهلا كهـم بـاء السماء والارض آية وبالنصب وهي قراءة
 الباقيين أي وأهلا كما قوم نوح (من قبل) أي من قبل اهـ لـك هو لا المذكورين ثم عمل
 اهلا كهـم بقوله تعالى (انهم كانوا) خلقا وطبعاً لاجله لغيرنا من أهل الأسباب في صلاحهم
 (قوما) أي أقوياء (قاسقين) أي غريقين في الخروج عن حظيرة الدين ثم ذكر ما يدل على تمام
 القدرة على البعث بقوله تعالى (والسما بنيناها) أي بـا لنا من العظمة (بأييد) أي بقوة وشدة
 عظيمة لا يقدر قدرها * (فائدة) * رسمت بأيديا من بعد الالف (وانا) على عظمتنا بعد ذلك
 (لموسعون) أي أغنياء وقادرون ذوو وسعة لا تنهاى ولذلك أوسعنا بقدر جرمها وما فيها من
 الرزق عن أهلها فالارض كلها على اتساعها كالنقطة في وسط دائرة السماء بما اقتضته صفة
 الالهية التي لا تصح معها الشراكة أصلاً فلنا كن تعرفون من الملوك لانهم اذا فعلوا شيئاً
 لم يقدروا على أعظم منه وان قدروا كان ذلك منهم بكلفة ومشقة وسترون في اليوم الآخر
 ما يتلاشى ماترون في جنبه ومن اتساعنا جعلها بلا عمد مع ما هي عليه من العظمة الى غير ذلك
 من الامور الخارقة للعوائد وعن الحسن لموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بينها وبين الارض
 سعة (والارض فرشناها) أي بسطناها ومهدناها بما لنا من العظمة فصارت ممهدة جدرة بأن
 تستقر عليها الاشياء وهي آية على تهيد ارض الجنة وشقنا لانهارها وغرسنا الاشجارها (فتم)
 أي فتسبب عن ذلك أن يقال في وصفنا تم (الماهدون) والمخصوص بالمدح محذوف لفهم المعنى
 أي نحن لسكال قدرتنا انزل من السماء شيئاً ولا نبع من الارض شيئاً الا بارادتنا واختيارنا
 وتقديرنا من الازل لانا اذا صنعنا شيئاً علمنا ما يـكون منه من حين انشائه الى حين افناؤه
 ولا يكون شيئاً من الابتعاد وذلك تذكري الجنة والنار فافهم من خير فهو آية على الجنة وما فيها
 من شر فهو آية على النار وقوله تعالى (ومن كل شيء خلقنا) يجوز أن يتعلق بخلقنا أي خلقنا

من كل شيء (زوجين) وأن يتعلق بمحذوف على أنه حال من زوجين لأنه في الأصل صفة له إذ
 التقدير خلقنا زوجين كائنين من كل شيء أي صنفين كل منهما يزاوج الآخر من وجهه وإن خالفه
 من آخر ولا يتم نفع أحدهما إلا بالآخر من الحيوان والنبات وغيرهما ويدخل فيه الاعتدال
 من الغنى والفقر والحسن والقبح والحياة والموت والظلام والنور والليل والنهار
 والصحة والسقم والبر والبحر والسهل والجبل والشمس والقمر والحار والبارد اللذين
 هما من نفس جهنم آية يئنه عليها وبنائها على الاعتدال في بعض الأحوال آية على الجنة مذكرة
 بها مشوقة إليها والايان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والمر قال
 الحسن كل اثنين منها زوج والله سبحانه وتعالى فرد لا مثيل له (لعلكم تذكرون) أي فعلنا
 ذلك كله من بناء السماء وفرش الأرض وخلق الأزواج إرادة أن تتذكروا فتعلموا أن خالق هذه
 الأشياء واحد لا شريك له لا يعجزه حشر الأجساد وجمع الأرواح وقرأ حفص والكسائي
 بتخفيف الذال والباقون بالتشديد (فقرراً) أي اقبلوا والجلوا (إلى الله) أي الذي لا يحمي له
 فضلاً عن مكافئ وله الكمال كله فهو في غاية العلو فلا يقرب ويسكن أحد إلى غير محتاج مثله فإن
 المحتاج لا غنى عنده ولا يقر إليه سبحانه إلا من تجرد عن حضيض عوائقه الجسمية إلى أوج
 صفاته الروحية وذلك من وعده إلى وعده للذين دل عليهم ما بالزوجين فتكمل السياق بالتحذير
 والاستعطاف بالاستدعاء فهو من باب لا ملجأ أم لك إلا إليك أعوذ بك منك قال القشيري
 ومن صح فراره إلى الله تعالى صح قراره مع الله تعالى قال البقاعي وهو بكمال المتابعة ليس عينا
 ومن فهم منه اتحاداً بذات أو صفة فقد نابذ طريق القوم فعليه لعنة الله (إني لكم منه) أي
 لا من غيره (نذير) أي من أن يقرأ أحد إلى غيره فانه لا يحصل له قصد (مبين) أي بين الانذار
 فقرار العامة من الجهل إلى العلم عقداً وسعيها ومن الكسل إلى التشمير حذراً وحزمها ومن الضيق
 إلى السعة ثقة ورجاء فقرار خاصة الخاصة بمادون الحق إلى الحق استغراقاً في وحدانيته
 (ولا تجعلوا) أي بأهوائكم (مع الله) وكثر الاسم الأعظم ولم يضر تعيينه للمراد لانه
 لم يشاركه في التسمية به أحد وتنبيهها على ماله من صفات الكمال وتعميمها لوجوه المقاصد لئلا
 يظن لو قيل معه أن المراد النهي عن الجعل من جهة القرار لا من جهة غيرها (الها آخر)
 ثم عمل النهي مع التأكيدهم في نذارته فقال (إني لكم منه) أي لا من غيره فان غيره لا يقدر
 على شيء (نذير) أي محذر من الهلاك الأبدي بالعقوبة التي لا خلاص معها ان فعلتم ذلك
 (مبين) أي لا أقول شيئاً من واضح النقل الأول له ظاهر (كذلك) أي مثل قول قومك
 المختلف العظيم الشناعة البعيد من الصواب بماله من الاضطراب وقع لمن قبلهم ودل على هذا
 المقدّر بقوله تعالى مستأنفاً (ما أتى الذين من قبلهم) أي كفار مكة وعم النبي فقال تعالى
 (من رسول) أي من عند الله تعالى (الافالواسحراً ومجنون) أي مثل تكذيبهم لك بقوله
 ذلك لأن الرسول يأتيهم بمخالفة ما لو فاتهم التي قادتهم إليها هو أهوهم والهوى هو الذي
 أوجب لهم هذا التناقض الظاهر سواء كانت أو التفصيل لأن بعضهم قال واحداً وبعضهم

قال آخرا وكانت للشك لان الساحر يكون ليبيافطنا آتيا بما يجزع عنه كثير من الناس والمجنون بالصدقة من ذلك (فان قيل) قوله تعالى الا قالوا يدل على انهم كلهم قالوا ذلك والامر ليس كذلك لان ما من رسول الا وآمن به قوم (أجيب) بأن ذلك ليس بعام فانه لم يقل الا قالوا كلهم وانما قال الا قالوا ولما كان كثير منهم قائلين قال تعالى الا قالوا (فان قيل) فلم يذكروا المصدقين كما ذكر المكذبين وقال الا قال بعضهم صدقت وبعضهم كذبت (أجيب) بأن المقصود التسلية وهي أعلى التكذيب فكانه تعالى قال لا تأس على تكذيب قومك فان اقواما قبلك كذبوا ورسلا كذبوا ثم عجب منهم بقوله تعالى (أتوا صوابه) فهو استفهام للتعجب والتوبيخ والضمير في به يعود على القول المدلول عليه بقالوا أي أتوا صوابا الاولون والآخرون بهذا القول المتضمن لساحر أو مجنون والمعنى كيف اتفقوا على معنى واحد كانوا تواطؤا عليه وأوصى أولهم ثم آخرهم بالتكذيب وقوله تعالى (بل هم قوم) أي ذوو شناعة وكبر (طاغون) اضرب عن أن التواصي جامعهم لتباعد أيامهم الى أن الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه ثم ان الله تعالى صلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (فتول) أي أعرض (عنهم) أي كلف نفسك الاعراض عن الابلاغ في ابلاغهم ولا تأسف على تخلفهم عن الاسلام (فما أنت بلوم) لانك بلغت الرسالة وما قصرت فيما أمرت به قال المفسرون لما نزلت هذه الآية حزن النبي صلى الله عليه وسلم واشتد ذلك على أصحابه وظنوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حضر اذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتولى عنهم فأنزل الله تعالى (وذكر) أي ولا تدع التذكير والموعظة (فان الذكرى تنفع المؤمنين) فطابت أنفسهم والمعنى ليس التولى مطلقا بل تول مع المؤمنين وقال مقاتل معناه عظم بالقرآن كفار مكة فان الذكرى تنفع من علم الله تعالى انه مؤمن منهم وقال الكاظمي عظم بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم ولما بين حال من قبل النبي صلى الله عليه وسلم في التكذيب بين سوء صنيعهم حيث تركوا عبادة الله تعالى الذي خلقهم للعبادة بقوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) واختلاف في تفسير ذلك فأكثر المفسرين على أن المراد بهم العموم ولا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين لان الغاية لا يلزم وجودها كما في قولك برئت هذا القلم لا كتب به فانك قد لا تكتب به هكذا قال الجلال المحلى وأوضح منه ما قاله ابن عادل ان المعنى الامعتين للعبادة ثم منهم من يتأق منه ذلك ومنهم من لا كقولك هذا القلم بريته للكتابة ثم قد لا تكتب به وقد تكتب انتهى أو ان المراد الا لامرهم بالعبادة وليقرأوا وهذا منقول عن علي بن أبي طالب أو ان المراد ليطيعوا وينقادوا والقضاق فالؤمن يفعل ذلك طوعا والكافر يفعله ذلك كرها أو ان المراد الا ليوحدون فأتوا المؤمن فيوحد اختيارا في الشدة والرخاء وأما الكافر فيوحد اضطرارا في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء وقال مجاهد معناه الا يعرفون قال البغوي وهذا أحسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقيل المراد به الخصوص أي

ما خلقت السعداء من الجن والانس والاشقياء منهم الا لمعصيتي قال زيد بن اسلم
 قال هو ما جبلوا عليه من السعادة والشقاوة ويؤيده قوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم ~~كثيرا~~
 الجن والانس وقيل وما خلقت الجن والانس المؤمنين وقيل الطائعين * (تنبيه) * استدلل
 المعتزلة بهذه الآية على أن أفعال الله تعالى معللة بالاعراض وأجيبوا بوجوه منها أن اللام
 قد ثبتت لغير الغرض كقوله تعالى أقم الصلاة لذلول الشمس وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن
 ومعناه المقارنة فيكون معناه قرنت الخلق بالعبادة أي خلقتهم وفرضت عليهم العبادة ومنها
 قوله تعالى الله خالق كل شيء ومنها ما يدل على أن الاضلال بفعل الله ~~كقوله تعالى~~ يفضل
 من يشاء وأمثاله ومنها قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وقوله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
 (فان قيل) ما الحكمة في أنه لم يذكر الملائكة مع أنهم من أصناف المكلفين وعبادتهم أكثر
 من عبادة غيرهم من المكلفين قال تعالى بل عبادهم ~~كرمون~~ وقال تعالى لا يستكبرون
 عن عبادتي (أجيب) بوجوه أحدها أن الآية سبقت لبيان قبح ما يفعل الكفرة من ترك
 ما خلقوا له وهذا يختص بالجن والانس لأن الكفر موجود فيهما دون الملائكة ثانيها
 أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا إلى الجن والانس فلما قال تعالى وذكر بين ما يذكر به
 وهو كون الخلق للعبادة وخصص أمته بالذكر أي ذكر الجن والانس ثالثها أن عباد الاصنام
 كانوا يقولون إن الله تعالى عظيم الشأن خلق الملائكة وجعلهم مقربين فهم يعبدون الله تعالى
 وخلقهم لعبادته ونحن لنزول درجتنا لانصلح لعبادة الله تعالى فنعبد الملائكة وهم يعبدون الله
 تعالى كما قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى فقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا
 ليعبدون ولم يذكر الملائكة لأن الاصر فيهم كان مسلما من القوم فذكر المنازع فيه رابعها فعل
 الجن يتناول الملائكة لأن أصل الجن من الاستتار وهم مستترون عن الخلق فذكر الجن لدخول
 الملائكة فيهم * ولما خص سبحانه خلقهم في ارادة العبادة صرح بهذا المفهوم بقوله تعالى
 (ما أريد منهم) أي في وقت من الاوقات وعم في النبي بقوله تعالى (من رزق) أي شيء من
 الاشياء على وجه يتفعل من جلب أو دفع لاني منزعه عن لماق نفع أو ضرر كما يفعل غيري من
 الموالي مع عبيدهم فان ملائكة العبيد انما ~~ك~~ كونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معاشهم
 وأرزاقهم فاما مجهز في تجارة ابني فربما أو مرتب في فلاحه ليقتل أرضا ومسلم في حرفة لينتفع
 بأجرته أو محتطب أو محتش أو مستق أو طابخ أو خابز وما أشبه ذلك من الاعمال والمهن التي
 هي تصرف في أسباب المعيشة وأبواب الرزق لاني الغنى المطلق وكل شيء مفتقر إلى (وما أريد)
 أصلا (أن يطعمون) أي أن يرزقون رزقا خاصا هو الاطعام وفيه تعريض بأصنامهم فانهم كانوا
 يعملون معها ما ينفعها ويحضرون لها الماء ~~كل~~ فربما أكلتها الكلاب ثم بالت على الاصنام
 ثم لا يصدهم ذلك عن عبادتها وقيل في الآية حذف مضاف أي وما أريد أن يطعموا أحدا
 من خلقي وانما أسند الاطعام إلى نفسه لأن الخلق كله هم عيال الله ومن أطعم عيال الله
 فقد أطعمه كما صح في الحديث عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال إن الله عز وجل يقول

يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت أن عبدي فلان مرض فلم تعده أما تعلم أنك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال استطعمتك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقي قال يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقا لعبدي فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو أسقيته لوجدت ذلك عندي (فان قيل) ما الفائدة في تكرير الاوادتين مع أن من لا يريد من أحد رزقا لا يريد أن يطعمه (أجيب) بأن السيد قد يطلب من العبد المكتسب له الرزق وقد يكون للسيد مال وافر يستغنى به عن التكسب لكنه يطلب من العبد قضاء حوائجه واحضار الطعام بين يديه فقال لا أريد ذلك ولا هذا وقد طلب الرزق على طلب الاطعام من باب الارتقاء من الأدنى الى الأعلى (فان قيل) ما الفائدة تخصيص الاطعام بالذكور مع أن المراد عدم طلب فعل منهم غير التعظيم (أجيب) بأنه لما عمى النفي في طلب الاقل بقوله تعالى من رزق وذلك اشارة الى التعميم فذكر الاطعام ونفي الأدنى ليتبعه بنى الأعلى بطريق الأولى فكانه قال ما أريد منهم من غنى ولا عمل (فان قيل) المطالب لا يتحصر فيما ذكره فان السيد قد يشتري العبد لا يطلب رزق منه ولا للتعظيم بل يشتره للتجارة (أجيب) بأن العموم في قوله تعالى ما أريد منهم من رزق يتناول ذلك ثم بين تعالى انه الرزاق لا غيره بقوله عز من قائل (ان الله) أى المحيط بجميع صفات الكمال المنزه عن جميع صفات النقص (هو) أى لا غيره (الرزاق) أى على سبيل التكرار لكل شئ وفى كل وقت (ذو القوة) أى التى لا تزول بوجه (المتين) أى الشديد الدائم (فان قيل) لم يقل انى رزاق بل قال على الحكاية عن الغائب ان الله هو الرزاق فما الحكمة (أجيب) بأن المعنى قل يا محمد ان الله هو الرزاق أو يكون من باب الالتفات من التكلم الى الغيبة أو يكون قل مضمر عند قوله تعالى ما أريد منهم من رزق ولم يقل القوى بل قال ذو القوة لان المقصود تقرير ما تقدم من عدم ارادة الرزق وعدم الاستعانة بالغير وقيد بالمتين لان ذو القوة لا يدل الأعلى أن له قوة ما فزاد فى الوصف المتانة وهو الذى له ثبات لا يتزلزل والمعنى فى وصفه سبحانه بالقوة والمتانة انه القادر البليغ الاقتدار على كل شئ * ولما أقسم سبحانه على الصدق فى وعيدهم الى أن ختم بقوته التى لا حد لها سبب عن ذلك ايقاعه بالمتوعدين فقال تعالى مؤكدا لاجل انكارهم (فان للذين ظلموا) أى أوقعوا الاشياء فى غير مواقعها (ذنوبا) أى نصيبا من العذاب طويل الشدة كأنه من طوله صاحب ذنب (مثل ذنوب أصحابهم) أى الذين تقدم ظلمهم بتكذيب الرسل من قوم نوح وعاد وثمود والذنوب فى الاصل الدلو العظيمة المملوءة ماء وفى الجسد بثقانى بذنوب من ماء فان لم تكن ملائمة ففى دلوثهم عبرة عن النصيب قال عمرو ابن شاس وفى كل شئ قد خبطت بنعمة * بحق لئلا من نال الذنوب

قال الملك نم وأذنية قال الزمخشري هو هذا الخميل أصله فى السقاة يتقسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا آخر قال الشاعر

لكم ذنوب ولنا ذنوب * فان أبيتم فلنا القليب

وقال الراغب الذنوب الدلو الذي له ذنب انتهى فراعى الاشتقاق والذنوب أيضا القرس الطويل الذنب وهو صفة على فعول والذنوب لحم أسفل المتن يقال يوم ذنوب أى طويل الشر استعارة من ذلك ويجمع في القلة على أذنبه وفي الكثرة على ذنائب (فلا تستجلبون) أى تطلبوا أن آتيكم به قبل أوانه الاحق به فان ذلك لا يفعله الا ناقص وأنامتعال عن ذلك لا أخاف الضوت ولا يلحقنى عجز ولا أوصف به ولا بد أن أوقعه بهم في الوقت الذي قضيت به في الازل فانه أحق الاوقات بعقابهم لتكامل ذنوبهم (فويل) أى شدة عذاب (للذين كفروا) أى ستره اما ظهر من هذه الادلة التي لا يسع عاقل انكارها (من يومهم الذي يوعدون) أضافه اليهم لانه خاص بهم دون المؤمنين وهو يوم القيامة وقيل يوم يدرو حذف العائد لاستكمال شروطه أى يوعدونه وقرأ حمزة والكسائي في الوصل بضم الهاء والميم وأبو عمرو بكسر الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم وأما الوقف عليها فالجميع بكسر الهاء ومارواه البضاوى تبعاً للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والذاريات أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرئت في الدنيا حديث موضوع والله أعلم

﴿سورة الطور مكية﴾

وهي تسع وأربعون آية وتلثمائة واثناعشرة كلمة وألف وخمسمائة حرف

(بسم الله) الملك الاعظم ذى الملك والملكوت (الرحمن) الذى عم خلقه بالرحمت (الرحيم) الحى الذى لا يموت وقوله تعالى (والطور) وما بعده أقسام جوابها ان عذاب ربك لواقع والواوات التي بعد الاولى عواطف لا حروف قسم كما قاله الخليل والطور هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام وهو بدين أقسم الله تعالى به وقيل هو الجبل الذى قال الله تعالى وطور سينين وقيل هو اسم جنس (تنبيه) مناسبة هذه السورة لما قبلها من حيث الافتتاح بالقسم وبيان الحشر فيهما والمراد بالكتاب في قوله تعالى (وكتاب مسطور) أى متفق الكتابة بسطور مصفوفة في حروف مرتبة جامعة لكلمات متفقة هو كتاب موسى عليه السلام وهو التوراة وقيل القرآن وقيل اللوح المحفوظ وقيل مصنف أعمال الخلق قال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقوله تعالى (في رق) متعلق بسطور أى مكتوب في رق والرق الجلد الرقيق يكتب فيه وقال الراغب الرق ما يكتب فيه شبه كاغد فهو أعم من كونه جلدا وغيره (منشور) أى مبسوط مهيأ للقراءة وقوله تعالى (والبيت المعمور) مختلف في مكانه فقيل في السماء العليا تحت العرش وقيل في السماء الثالثة وقيل في السادسة وعلى كل قول هو بجبال الكعبة يقال له الضراح حرمة في السماء كرمة الكعبة في الارض يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يطوفون به ويصلون فيه ثم لا يعودون اليه أبدا ووصفه بالعمارة لكثرة الطائفين به من الملائكة وقيل هو بيت الله الحرام لكونه معمورا بالجحاج والعمار والمجاورين وقيل اللام

في البيت المعمور لتعريف الجنس كانه تعالى أقسم بالبيوت المعمورة والعمائر المشهورة وقوله
 تعالى (والسقف المرفوع) مختلف فيه أيضا فالأكثر على أنه السماء كما قال تعالى وجعلنا السماء
 سقفا محفوظا وقيل المراد به سقف الكعبة وقيل سقف الجنة وهو العرش ونقل عن ابن عباس
 وقوله تعالى (والبحر المسجور) من الاضداد يقال بحر مسجور أي مملوء وبحر مسجور أي فارغ
 وروى ذو الرمة الشاعر عن ابن عباس أنه قال خرجت أمة لتستقي فقالت إن الخوض مسجور
 أي فارغ ويؤيد هذا أن البحار يذهب ماؤها يوم القيامة وقيل المسجور الممسوك ومنه
 مسجور الكلب لانه يسكه ويحبسه وقال محمد بن كعب القرظي يعني بالمسجور الموقد المحي
 بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس لما روى انه تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا
 فيزاد بها في نار جهنم كما قال تعالى وإذا البحار سجرت وعن علي أنه سأل يهوديا عن موضع النار
 في كتابكم قال في البحر قال علي ما أراه الا صادقا لقوله تعالى والبحر المسجور وعن ابن عمر
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يركب البحر رجل الا غزيا أو معتمرا أو حاجا فان تحت
 البحر نارا وتحت النار بحرا وقال الربيع بن أنس المختلط العذب بالمخ وروى الضحاك
 عن المنزل بن سمرة عن علي أنه قال البحر المسجور هو بحر تحت العرش غمره كما بين سبع سموات
 الى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يطر العباد منه بعد النفخة الاولى أربعين
 صباحا فينبئون في قبورهم وهذا قول مقاتل (فان قيل) ما الحكمة في القسم بهذه الثلاثة أشياء
 (أجيب) بأن هذه الاماكن الثلاثة وهي الطور والبيت المعمور والبحر المسجور كانت لثلاثة
 أنبياء للخلوة برهبهم والخلاص من الخلق وخطابهم مع الله تعالى أما الطور فانتقل اليه موسى
 عليه السلام وخطب الله سبحانه وتعالى هناك وأما البيت المعمور فانتقل اليه محمد صلى الله
 عليه وسلم وقال لربه سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على
 نفسك وأما البحر المسجور فانتقل اليه يونس عليه السلام ونادى في الظلمات أن لا اله الا أنت
 سبحانه اني كنت من الظالمين فصارت هذه الاماكن شريفة بهذه الاسباب فأقسم الله تعالى
 بها وأما ذكر الكتاب فلأن الانبياء كان لهم مع الله تعالى في هذه الاماكن كلام والكلام
 في الكتاب * (تنبيه) * أقسم الله تعالى في بعض السور بمجموع كقوله تعالى والذاريات
 والمرسلات والنازعات وفي بعضها بافراد كقوله تعالى والطور ولم يقل والاطوار والابحار قال
 الرازي والحكمة فيه ان في أكثر الجوع أقسم عليهم بالمتحركات والريح الواحدة ليست بثابتة
 بل هي متبدلة بافرادها مسخرة بأنواعها والمقصود منها الا يحصل الا بالتبدل والتغير فقال
 والذاريات اشارة الى النوع المستمر لا الى الفرد المعين المستقر وأما الجبل فهو ثابت غير متغير
 عادة فالواحد من الجبال دائم زمانا ودورا فأقسم في ذلك بالواحد وكذلك في قوله تعالى والنجم
 ولو قال والريح لما علم المقسم به وفي الطور علم وقوله تعالى (ان عذاب ربك) أي الذي تولى
 تربيتك (لواقع) أي ثابت نازل بمسحوقه جواب القسم كما مر (ماله من دافع) أي مانع
 لانه لا شريك لموقعه لما دلت عليه هذه الاقسام من كمال القدرة وجلال الحكمة قال جبير

ابن مطعم قدمت المدينة لا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر فدفعت اليه وهو يصلي باصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعتنه يقرأ والطور الى قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع فكانت اصدع قلبي حين سمعته ولم أكن أسلت يومئذ فأسلت خوفا من العذاب وما كنت أظن أني أقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب ثم بين تعالى أنه متى يقع بقوله تعالى (يوم تنور السماء) أي تحترق وتضطرب وبجي وتذهب وتدور دوران الرحي ويخرج بعضها في بعض وتتكفأ بأهلها تنكأ السفينة وتختلف أجزاؤها بعضها في بعض قال البغوي والمور يجمع هذه المعاني وهو في اللغة الذهاب والجي والتردد والدوران والاضطراب قال الرازي وقيل تجي وتذهب كالخان ثم تضمحل (مورا) أي اضطرابا شديدا (وتسير الجبال) أي تنقل من أمكنتها انتقال الصحاب وحقق معناه بقوله تعالى (سيراً) فتصير هباء منثورا وتكون الارض قاعا صاففا ثم بين من يقع عليه العذاب بقوله تعالى (فويل) أي شدة عذاب (يومئذ) أي يوم اذ يكون ما تقدم ذكره (للكاذبين) أي الغريقين في التكذيب للرسول (الذين هم) من بين الناس بطواهرهم وبواطنهم (في خوض) أي أقوالهم وأفعالهم أفعال الخائض في الماء فهو لا يدري أين يضع رجله (يلعبون) فاجتمع عليهم أمران موجبان للباطل الخوض واللعب فهم جميعا لا يكاد يقع لهم قول ولا فعل في موضعه فلا يؤسر على بيان أو حجة (فان قيل) أهل الكفار لا يكذبون فقتضى ذلك انهم لا يعذبون (أجيب) بأن ذلك العذاب لا يقع على أهل الكفار لقوله تعالى كلما أتى فيهم افوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا فالمؤمن لا يلقى فيها القاء هو ان وانما يدخل فيها للتطهير ادخالا مع نوع اكرام فالويل انما هو للكاذبين وقوله تعالى (يوم يدعون) بدل من يوم تنور السماء أو من يومئذ قبله تصديره فويل يومئذ يوم يدعون أي يدفعون دفعا عنيفا بحقوة وغاظة من كل من يقبضه الله تعالى لذلك ذاهبين ومتبئين (الى نار جهنم) وهي الطبقة التي تلقاهم بالعبوسة والكراهة وأكدا المعنى وحققه بقوله تعالى (دعا) قال البغوي وذلك ان خزنة جهنم يغاون أيدهم الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ثم يدفعون دفعا على وجوههم وزجافى أقفيتهم مقولا لهم تبكيثا وتوبخا (هذه النار) أي الجسم المحرق المفسد لما أتى عليه الشاغل عن اللعب (التي كنتم بها) في الدنيا (تكذبون) على التجدد والاستمرار وقوله تعالى (أفسح) خبر مقدم وقوله تعالى (هذا) هو المبتدأ وقد تم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ وذلك أنهم كانوا ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم الى السحر وأنه يغطي الابصار بالسحر وان اشتقاق القمر وأمثاله سحر فوجوابه وقيل لهم أفسح هذا أي الذي أنتم فيه من العذاب مع هذا الاسراق الذي تصلون فيه (أم أنتم) في منام أو نضوء (لاتبصرون) بالقلوب كما كنتم تقولون في الدنيا قلوبنا في أمكنة ولا بالاعين كما كنتم تقولون للمنذر يننا ويننا حجاب فاعمل اتاعاملون (اصلوها) أي اذالم يمكنكم انكارها وتحققتم أنه ليس بسحر ولا خلل في أبصاركم فحاسوا شدتها (فاصبروا) على هذا الذي لا طاعة لكم به (أولاصبروا) فانه لا محيص لكم عنه (سواء

عليكم) أي الصبر والجزع فان صبركم لا يتفعلكم وقوله تعالى (انما يجزون ما كنتم تعملون) تعليل
للأستواء فانه لما كان الجزاء واجبا كان الصبر وعدمه سيئا في عدم النفع ولما ذكر ما للمكذبين من
العذاب أتبعه ما لاضدادهم من الثواب فقال تعالى (ان المتقين) أي الذين صارت التقوى لهم
صفة راسخة (في جنات) أي بساكنين أية بساكنين دائمات في الدنيا حكما وفي الآخرة حقيقة (ونعيم)
أي نعيم في العاجل يعني بما لهم فيه من الانس وفي الآجل بالفعل وزاد في تحقيق النعيم بقوله
تعالى (فاكهين) أي متلذذين معجبين ناعمين (بما آتاهم) أي أعطاهم (ربهم) الذي تولى تربيتهم
بعملهم بالطاعات الى أن أوصلهم الى هذا النعيم (ووفاهم) أي قبل ذلك (ربهم) أي المتفضل
بتربيتهم بكفهم عن المعاصي والقاذورات (عذاب الخليم) أي النار الشديدة التوقد ولما كان من
باشرة النعمة وجانب النعمة في غنى عظيم قال مترجما لذلك على تقدير القول (كلوا) أي أكلا هنيئا
(واشربوا) أي شربا (هنيئا) وهو الذي لا تنغيص فيه فكل ما تناولونه مأمون العاقبة من التخم
والسقم وغيرهما (بما) أي بسبب ما (كنتم) أي كونوا راسخا (تعملون) أي مجددين العمل على
سبيل الاستمرار حتى كأنه طبع لكم ثم نبه على أنهم مع هذا النعيم مخدومون بقوله تعالى (مسكنين)
أي مستندين استنادا راحة لانهم يخدومون فلا حاجة لهم الى الحركة (على سرر مصفوفة) أي
منصوبة واحد الى جنب واحد مستوية كأنها المستورة على أحسن نظام وأبدعه ثم نبه على تمام
سرورهم بالتمتع بالنساء بقوله تعالى (وزوجناهم) أي تزويجا يليق بالنساء من العظمة أي صبرناهم
بمتعين (بحور) أي نساء هن في شدة بياض العين وسوادها واستدارة حدقتها ورقة جفونها
في غاية حسن لا توصف (عين) أي واسعات العين في رونق وحسن * (تنبيه) * اعلم انه تعالى
بين أسباب التمتع على الترتيب فأول ما يكون المسكن وهو الجنان ثم الاكل والشرب ثم القرب
والبسط ثم الأزواج فهذه أمور أربعة ذكرها الله تعالى على الترتيب وذكر في كل واحد منها
ما يدل على كماله فقوله جنات إشارة الى المسكن وقال فاكهين إشارة الى عدم التنغيص وعلو
المرتبة لكونه مما آتاهم الله وقال كلوا واشربوا هنيئا أي مأمون العاقبة وترك ذكر المأكول
والمشروب دلالة على تنويعهما وكثرتهم وقوله تعالى بما كنتم تعملون إشارة الى أنه تعالى
يقول اني مع كوني ربكم وخالقكم وأدخلتكم الجنة بفضلتي فلامنة لي عليكم اليوم وانما منق
عليكم كانت في الدنيا هديتكم ووفقتكم للأعمال الصالحة كما قال تعالى بل الله يثق عليكم ان
هذا لكم للإيمان وأما اليوم فلامنة عليكم لان هذا انجاز الوعد وقوله تعالى (والذين آمنوا)
أي أقروا بالإيمان وان لم يبالغوا في الأعمال الصالحة مبتدأ وقرأ أبو عمرو (وأبغناهم) أي
بما لنا من الفضل الناشئ عن العظمة بقطع الهمزة وسكون التاء الفوقية وسكون العين وبعد
العين نون مفتوحة بعدها ألف والباقيون بهمزة وصل محذوفة وتشديد التاء الفوقية وفتح العين
وبعدها تاء فوقية ساكنة وهو معطوف على آمنوا (ذرياتهم) أي الصغار والبنات قال كبار
بإيمانهم بأنفسهم والصغار بإيمان آبائهم فان الولد الصغير يحكم بإسلامه تبعاً لأحد أبويه
(بإيمان) أي بسبب إيمان حاصل منهم ولو كان في أدنى درجات الإيمان ولكنهم ثبتوا عليه الى

ان ما تواتر ذلك شرط اتباعهم الذريات قال البقاعي ويجوز ان يراد وهو اقرب بسبب ايمان
الذرية حقيقة ان كانوا كبارا او حكاما كانوا صغارا ثم اخبر عن الموصول المبتدأ بقوله تعالى
(الحقنا بهم) تفضلا منا عليهم (ذرياتهم) وان لم يكن للذرية اعمال لانه
* لعين تجازي ألف عين وتكرم * والذريات هذا تصدق على الآباء وعلى الابناء وان المؤمن
اذا كان عمله أكثر الحق به من دونه في العمل ابنا كان أربابا وهو منقول عن ابن عباس وغيره
ويلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب وهو المحبة فان كان معها أخذ لعلم أو عمل كانت
أجدر فتكون ذرية الافادة كذرية الولادة وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب
في جواب من سأل عن يحب القوم ولما يلحق بهم وقرأ ذرياتهم بايمان والحقنا بهم ذرياتهم نافع
بالقصر في الاولى والجمع في الثانية مع كسر التاء وقرأ ابن كثير والكوفيون بالقصر فيهما مع ضم
التاء وقرأ أبو عمرو وبالجمع فيهما مع كسر التاء وقرأ ابن عامر بالجمع فيهما الا أنه يرفع التاء في الاولى
ويكسرها في الثانية (فان قيل) قوله تعالى أتعناهم ذرياتهم به سبب فائدة قوله تعالى الحقنا بهم
ذرياتهم (أجيب) بأن قوله تعالى الحقنا بهم أي في الدرجات والاتباع انما هو في حكم الايمان
وان لم يبلغوه كما مر ثم أشار الى عدم نقصان المتبوع بقوله تعالى (وما ألتناهم) أي ما نقصنا
المتبوعين (من عملهم) وأكدهم بقوله تعالى (من شيء) أي بسبب هذا اللاحق ولما بين تعالى
اتباع الادنى للاعلى في الخير بين أن الادنى لا يتبع الاعلى في الشر بقوله تعالى (كل امرئ)
من الذين آمنوا والمتقين وغيرهم (بما كسب) أي عمل من خيرا وشر (رهين) أي مرهون
يؤخذ بالشر ويجازى بالخير وقال مقاتل كل امرئ كافر بما عمل من الشر رهين في النار
والمؤمن لا يكون مرته بالقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين وقال
الواحدى هذا يعود الى ذكر أهل النار وهو قول مجاهد أيضا قال الرازي وفيه وجه آخر
وهو أن يكون الزهين فعلا بمعنى الفاعل فيكون المعنى كل امرئ راهن أي دأته ان أحسن
ففي الجنة مؤبدا وان أساء ففي النار مخلدا لان في الدنيا دوام الاعمال بدوام الاعيان فان العرض
لا يبقى الا في جوهر ولا يوجد دافيه وفي الآخرة دوام الاعيان بدوام الاعمال فان الله تعالى
يبقى أعمالهم لكونها عند الله تعالى من الباقيات الصالحات وما عند الله باق والباقي يبقى مع
عمله (وأمددناهم) أي الذين آمنوا والمتقين ومن ألحق بهم من ذرياتهم بما التنا من العظيمة
(بها كمة) وقتا بعد وقت زيادة على ما تقدم ولما كانت الفاكهة ظاهرة فيما نعرفه في الدنيا وان
كان عيش الجنة بجميع الاشياء تفكها ليس فيه شيء يقصده حفظ البدن قال تعالى (ولهم
عما يشتهون) من أنواع اللحمان والمعنى زدناهم مأكولا ومشروبا فالأكل الفاكهة واللحم
والمشروب الكاس وفي هذا الطيفة وهي أنه تعالى لما قال وما ألتناهم من عملهم من شيء ونفى
النقصان يصدق بمحصل المساوى فقال ليس عدم النقصان بالاقصا على المساوى بل بالزيادة
والامداد وقوله تعالى (يتنازعون) في موضع نصب على الحال من مفعول أمددناهم ويجوز
أن يكون مستأنفا وقوله تعالى (فيها) يجوز أن يعود الضمير لشرها ويجوز أن يعود للجنة

ومعنى يتنازعون يتعاطون ويحتمل أن يقال التنازع التجاذب ويكون تجاذبهم تجاذب
 ملاعبة لا تجاذب منازعة وفيه نوع لذة لانهم يفعلون ذلك هم وجلساؤهم من أقر بانهم
 واخوانهم (كأسا) أى خرا من رقة حاشيتها تكاد أن لا ترى فى كأسها (لألغو) أى لاسقط
 حديث وهو ما لا ينفع من الكلام ولا يضر (فيها) أى فى تنازعها ولا بسببها لانها لا تذهب
 بعقولهم فلا يتكلمون الا بالحسن الجميل بخلاف المتنازعين فى الدنيا على الشراب بسفاههم
 وعربدتهم (ولأنائم) أى لا يكون منهم ما يؤثعهم وقال الزجاج لا يجرى منهم ما يلغى ولا ما فيه
 اثم كما يجرى فى الدنيا لشربة الخمر قال الرازى ويحتمل أن يكون المراد من التأنيم السكر وقيل
 لا يأثمون فى شربها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونصب لغو وتأنيم من غير تنوين والباقون بالرفع
 فيهما مع التنوين ولما كانت المعاطاة لا يكمل بسطها ويعظم أنسها الا بخدم وسقاة قال تعالى
 (ويطوف عليهم) بالكؤس وغيرها من أنواع التحف (علمان) أى أرقاء ولما كان أحب مال
 الى الانسان ما يختص به قال تعالى (لهم) ولم يقل تعالى علمانهم لئلا يظن انهم الذين كانوا
 يخدمونهم فى الدنيا فيشفق كل من خدم أحدا فى الدنيا بقول أو فعل أن يكون خادما له فى الجنة
 فيحزن بكونه لا يزال تابعا وأقاربا للتكبريات كل من دخل الجنة وجد له خداما لم يعرفهم قبل
 ذلك (كأنهم) فى بياضهم وشدة صفائهم (لؤلؤ مكنون) أى مخزون مصون لم تمسه الايدى
 قال سعيد بن جبيرة معنى فى الصدف لانه فيها أحسن منه فى غيره ومصون فى الجنة لم تغيره
 العوارض قال عبد الله بن عمر ما من أحد من أهل الجنة الا يسعى عليه ألف غلام وكل
 غلام على عمل ما عليه صاحبه هذه صفة الخادم وأما المخدم فروى عن الحسن انه لما تلا هذه
 الآية قال يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدم قال فضل المخدم على الخادم
 كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان أدنى أهل
 الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه ألف يابا بيبك لبيك وقرأ السوسى وشعبة
 لولو بالبدل والباقون بالهمز (وأقبل بعضهم) لما زدها هم من السرور واللذة والحبور (على
 بعض يتساءلون) أى يسأل بعضهم بعضا فى الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من
 التعب والخوف فى الدنيا (قالوا) أى قال كل منهم (انا كنا قبل) أى فى دار العمل (فى أهلنا) على
 مالهم من العدد والعدد والسعة واتساعهم من جوانب اللذة والدواعى الى اللعب (متفقين)
 أى عريقين فى الخوف من الله تعالى لا يلهيها عنه شئ مع لزومها ما تقدر عليه من طاعته لعنا
 بأننا لا نقدره لما له من العظمة والجلال والكبرياء والكمال حق قدره والمعنى انهم يسألون
 عن سبب ما وصلوا اليه تلذذا واعترافا بالنعمة فبقولون ذلك خشية الله تعالى أى كاخفاف
 الله تعالى (فحق الله) الذى له جميع الكمال بسبب اشفاقنا منه (علينا) بالرحمة والتوفيق (ووفانا)
 أى وجبتنا بما سترناه (عذاب السموم) قال السكبي عذاب النار وقال الحسن السموم
 من أسماء جهنم والسموم فى الاصل الريح الحارة التى تفضل المسام والجمع سمائم يقال سم
 يومنا أى اشتد حره وقال ثعلب السموم شدة الحر أو شدة العرق فى النهار وقال أبو عبيدة

السموم بالنهار وقد تكون بالليل والحروب بالليل وقد تكون بالنهار (أنا كنا) أى به.
وهيئنا له (من قبل) أى فى الدنيا (ندعوهم) أى نسأله ونعبده بالفعل وأما خوفنا يا
فى كل حركة وسكون ثم عللوا دعاءهم إياه وكدين لأن أنعامه عليهم مع تقصيرهم عن
غيره فهو مما يتعجب منه غاية التعجب بقواهم (أنه هو) أى وحده وقرأ نافع والـ
الهمزة والباقون بكسرهما (البر) أى الواسع الجود الذى عطاؤه حكمة ومنعه
لا ينقصه إعطاء ولا يزيد منعه فهو يبر عبده المؤمن بما يوافق نفسه فربما بره بالنعمة
بالبؤس فهو يختار له من الأحوال ما هو خير له ليوسع له البر فى العقبى فعلى المؤمن
ربه فى شئ من قضائه (الرحيم) أى المكرم إن أراد من عباده بأقامته فيما يرضاه
ثم بإفضاله عليه وإن قصر فى خدمته ولما بين تعالى أن فى الوجود قوما يخافون
ويشفقون فى أهلهم والنبي صلى الله عليه وسلم مأور به تذكري من يخاف الله تعالى
فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فوجب التذكير فذلك قال تعالى (فذكر) أى
الخلق بالقرآن ودم على ذلك ولا ترجع عنه لقول المشركين لك كاهن ومجنون (فذكر
ربك) أى بسبب ما أنعم به عليك المحسن اليك من هذا الناموس الأعظم بعد تأهيله
به من راحة العقل وعلو الهمة وكرم الفعال وجود الكف وطهارة الاخلاق ووج
الناس عنصرا وأكدهم نفسا وأزكاهم خلقا وهم معترفون لك بذلك قبل النبوة
بقوله تعالى (بكاهن) أى تقول كلاما مع كونه سبحانه مكلفا أكثره فارغ وتحكم
من غير وحى (ولا مجنون) أى تقول كلاما لا نظام له مع الاخبار ببعض المغيبات
قواهم هذا عن التذكير فانه قول باطل لا تخلق به معرفة أصلا وعما قيل لى
لا يغسله عنهم إلا اتباعهم لك فمن اتبعك منهم غسل عاره ومن استمر على عناده استمر
* (تنبيه) * نزلت هذه الآية فى الذين اقتسموا عقاب مكة يرمون رسول الله صلى
بالسكاهنة والسكر والجنون والشعر (أم يقولون) أى هؤلاء المقتسمون (شاعر)
قال الثعلبى قال الخليل كل ما فى سورة والطور من أم فاستفهام وليس يعطف
أم فى هذه الآيات منقطعة وتقدم الخلاف فى المنقطعة هل تقدر بيل وحدها أو
أو بالهمزة وحدها والصحيح الثانى وقال مجاهد فى قوله تعالى أم تأمرهم تقديره
(تربص) أى تنتظر (به ريب المنون) أى حوادث الدهر وتقلبات الزمان لأنها
حال كالريب وهو الشك فانه لا يبقى بل هو متزلزل قال الشاعر
تربص به اريب المنون لعلها * تطلق يوما أو يموت حليلها
* (وقال أبو ذؤب) *

أمن المنون وريبها تتوجع * والأدهر ليس بمعتب من يجزع
والمنون فى الأصل الدهر وقال الراغب المنون المنية لأنها تنقص العدد وتقطع
بل يقولون يعنى هؤلاء المقتسمين انظر اصين شاعر تربص به ريب المنون حوا

وصروفه وذلك أن العرب كانت تحتز عن ابداء الشعراء فان الشعر كان عندهم يحفظ
ويدقن فقالوا لانعاضه في الحال مخافة ان يغلبنا بقوة شعره وانما نصبر ونتربص موته ويهلك
كما هلك من قبله من الشعراء وتتفرق أصحابه فان أباه مات شابا ونحن نرجو أن يكون موته
كوت أيه والمنون يكون بمعنى الدهر وبمعنى الموت سيما بذلك لانهما يقطعان الاجل ثم انه تعالى
أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله (قل) أي لهؤلاء البعداء (تربصوا) أي انتظروا بي
الموت ولم يعرج على محاجتهم في قولهم هذا تقيسها على أنه من السقوط بمنزلة ما لا يحتاج معه الى
رد عبادلة ثم سبب عن أمرهم بالتربص قوله (فاني معكم من المتربصين) أي العريضين
في التربص وان ظننتم خلاف ذلك وأكده تنبيهها على أنه يرجو الفرج بصيبتهم كما يرجو الفرج
بصيبتهم وأشار بالمعية الى أنه مساو لهم في ذلك وان ظنوا الكثرة وقوتهم ووحدته وضعفه
ان الامر بخلاف ذلك قال القشيري جاء في التفسير ان جميعهم اي الذين تربصوا به ما قالوا قال
ولا ينبغي لاحد أن يؤمل نفاق سوقه بموت أحد لتنتهي الذوبة اليه فقل من تكون هذه صفاته
الاوسبقته المنية ولا يدرك ما تنه من الامنية (فان قيل) هذا أمر للنبي صلى الله عليه وسلم وافظ
الامر يوجب الأمر به أو يبيحه ويجوز وتربصهم كان حراما (أجيب) بأن ذلك ليس بأمر
وانما هو تهديد أي تربصوا ذلك فاني متربص الهلاك بكم كقول الغضبان لعبداه افعل ما شئت
فاني لست عنك بغافل (أم تأمرهم) أي تزين لهم تزيينا يصير ما لهم اليه من الانبعاث كالامر
(احلامهم) أي عقولهم التي يزعمون انهم اختصوا بجمودهم دون الناس بحيث انه كل
يقال فيهم أو لولا الاحلام والنهي فأزرى الله تعالى بعقولهم حين لم تتم لهم معرفة الحق من الباطل
وذلك أن الاشياء لا يعابها الا ان تزينت بعقل أو نقل فقال هل ورد أمر سمعي أم عقولهم تأمرهم
(بهذا) أي قولهم له ساحر كاهن مجنون وقيل الى عبادة الاوثان وقيل الى التربص أي لا تأمرهم
بذلك (أم) أي بل (هم) بظواهرهم وبواطنهم (قوم) ذوو قوة على ما يحاولونه فهم لذلك
(طاغون) أي مفترون ويقولون ما لا دليل عليه سمعا ولا مقتضى له عقلا والطغيان مجاوزة
الحد في العصيان وكذلك كل شيء مكروه ظاهر قال تعالى لما طغى الماء * (تنبيه) * اعلم ان
قوله تعالى أم تأمرهم متصل تقديره أنزل عليهم ذكر أم تأمرهم أم احلامهم بهذا وفي هذه الآية
اشارة الى أن كل ما لا يكون على وفق العقل لا ينبغي أن يقال وانما ينبغي أن يقال ما يجب قوله
عقلا والاحلام جمع حلم وهو العقل فهم من باب واحد من حيث المعنى لان العقل يضبط
المرء فيكون كالبعير المعقول لا يتحرك من مكانه والحلم من الاحتلام وهو أيضا سبب وقار المرء
وثباته لان الحلم في أصل اللغة هو ما يراه النائم فينزل ويلزم الغسل الذي هو سبب البلوغ وعنده
يصير الانسان مكلفا فالتعالى من لطيف حكمته قرن الشهوة بالعقل وعند ظهور الشهوة يكمل
العقل ويكلف صاحبه فأشار تعالى الى العقل بالاشارة الى ما يقارنه وهو الحلم ليعلم انه يريد به
كمال العقل (أم يقولون) ما هو أخش عارا من التناقض (تقوله) أي تكلف قوله من عند نفسه
كذابا ولبس بشعر ولا كهانة ولا جنون وهم على كثرتهم والمأم بغضهم بالعلم وعراقة آخرين

في الشعر والخطب والترسل والسجع يهجزوا عن مثله بل عن مثل شيء منه * (تنبيه) * التقول
 تكلف القول ولا يستعمل الا في الكذب وهذا ايضا متصل بقوله تعالى أم يقولون شاعر
 تقديره أم يقولون شاعر أم يقولون تقوله والمعنى ليس الامر بكم زعموا (بل لا يؤمنون)
 بالقرآن استكبارا ثم ألزمهم الحجة وأبطل جميع الاقسام فقال عز من قائل (فلبأقوا) أي على أي
 تقدير أرادوه (بحديث) أي كلام مفرق مجدداتياته مع الازمان (مثله) أي القرآن
 في البلاغة وصحة المعاني والاخبار بالمغيبات مما كان أو يكون على ما هي عليه لانكفهم أن يأقوا
 به جملة (فان قيل) الصفة تتبع الموصوف في التعريف والتسكير والموصوف هنا حديث وهو
 منكر ومثله مضاف الى القرآن والمضاف الى القرآن معترف فكيف هذا (أجيب) بأن مثلا
 وغير الية تعرفان بالاضافة وذلك أن غيرا ومثلا ومثالهما في غاية التسكير لانك اذا قلت مثل
 زيد يتناول كل شيء فان كل شيء مثل زيد في شيء فالجمار مثله في الجسم والحجم والامكان والنبات
 مثله في النمو والنش والذبول والقضاء والحيوان مثله في الحركة والادراك وغيرها مما من
 الاوصاف وأما غيره فهو عند الاضافة ينكر وعند قطع الاضافة ويعايت عرف فانك اذا قلت
 غير زيد صار في غاية الابهام فانه يتناول أمور الاحصر لها وأما اذا قطعت غير عن الاضافة
 فربما يكون الغير والمغايرة من باب واحد وكذلك التغير فتجعله لغير كاسماء الاجناس وتجعله
 مبتدأ أو ترديده معنى معينا * (تنبيه) * قالت المعتزلة الحديث محدث والقرآن سماه حديثا
 فيكون محدثا وأجيبوا بأن الحديث اسم مشترك يقال للمحدث والمنقول ولهذا يصح أن يقال
 هذا حديث قديم أي متقدم العهد لاجبئ سلب الاولية وذلك لانزاع فيه قال بعض العلماء
 وهذا أمر تهجيز قال الرازي والظاهر أن الامر ههنا على حقيقته لانه لم يقل استواء مطلقا بل قال
 تعالى (ان كانوا) أي كوناهم راسخون فيه (صادقين) أي في أنه تقوله من عند نفسه كما
 يزعمون فهو أمر معلق على شرط اذا وجد ذلك الشرط يجب الاثبات به وأمر التهجيز كقوله
 تعالى فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر وفي هذا تنبيح
 عليهم سواء ادعوا أنه مجنون أم شاعر أم كاهن أم غير ذلك لان العادة تحيل ان يأتي واحد
 من قوم وهو مسأولهم بما لا يقدر أن يكلمهم على مثله والعامل لا يجزم بشيء الا وهو عالم به
 ويلزم من علمهم بذلك قدرتهم على مثل ما يأتي به فانه صلى الله عليه وسلم مثلهم في فصاحة
 والبلد والنسب وبعضهم يزيد عليه بالكتابة وقول الشعر ومخالطة العلماء ومن اولة الخطب
 والرسائل وغير ذلك فلا يقدر على ما يهجزون عنه الابتأ سيد الهى وهو المراد من تكذيبهم
 (أم خلقوا) أي وقع خلقهم على هذه الكيفية المتقنة (من غير شيء) أي خالق خلقهم فوجدوا
 بلا خالق وذلك مما لا يجوز أن يكون لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فان
 أنكروا الخالق لم يجز ان يوجدوا بلا خالق (أم هم الخالقون) لانفسهم وذلك في البطلان أشد
 لان ما لا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا وهو الله تعالى
 فلم لا يؤحدونه ويؤمنون به وبرسوله وبكتابه وقال الزجاج معناه أخلقوا باطلا لا يحاسبون

ولا يؤمنون وقال ابن كيسان أخلقوا عبثا وتركو أسدى لا يؤمنون ولا ينهون كقول القائل
فعلت كذا وكذا من غير شيء أى لغير شيء أم هم الخالقون لأنفسهم فلا يجب عليهم لله أمر وقيل
معناه أخلقوا من غير أب وأم * (تنبيه) * لا خلاف أن أم هذا ليست بمعنى بل لكن أكثر
المفسرين على أن المراد ما يقع في صدر الكلام من الاستفهام بالهمزة كأنه يقول أخلقوا
من غير شيء قال الرازي ويحتمل أن يقال هو على أصل الوضع للاستفهام الذى يقع في أثناء
الكلام وتقديره أخلقوا من غير شيء أم هم الخالقون (أم خلقوا) أى على وجه الشر ككة
(السماوات والأرض) فهم بذلك عالمون بما فيها ما على وجه الاحاطة واليقين حتى علموا أنك
تقواته ليصير لهم ردة والتحكم عليه (بل لا يؤمنون) أى ليس لهم نوع يقين والا لا آمنوا برسوله
وكتابه (أم عندهم) أى خاصة دون غيرهم (خزائن ربك) أى المحسن اليك بأرسالك فيعملوا
أن هذا الذى أتيت به ليس من قول الله تعالى فيصح قولهم أنك تقولته (أم هم) أى لا غيرهم
(المسيطرون) أى الرقباء الحافظون المتسلطون الجبارون الرؤساء الحكام الكتبة ليكونوا
ضابطين للأشياء كلها كما هو شأن كتاب السر عند الملوك فيعلمون أنك تقولت هذا الذكر لأنهم
لم يكتبوا به اليك (أم لهم سلم) يصعدون به الى السماء (يسمعون) أى يتعمدون السماع لكل
ما يكون فيها ومنها (فيه) أى صاعدين في ذلك السلم الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم
الغيب حتى يعلموا ما هو كائن (فليأت مستمعهم) أى مدعى الاستماع (بسلطان مبين) أى
بحجة بينة واضحة واشبه هذا الزعم لرغمهم أن الملائكة بنات الله قال تعالى (أم له البنات)
أى برزعمكم (ولكم البنون) أى خاصة لتكونوا أقوى منه فتكذبوا برسوله صلى الله عليه
وسلم وتردوا قوله من غير حجة فتكونوا آمنين من عذاب يأتيكم منه لضعفه وقوتكم (أم
تسألهم) أى أيها الطاهر الشيم البعيد عن مواقع التهم (أجرا) على ابلاغ ما أتيتهم به (فهم
من مغرم) أى غرم لك ولو قل والمغرم التزام ما لا يجب (مثقلون) فهم لذلك يكذبون من
كان سببا في هذا الثقل بغير مستند لا يستريحوا بما جره لهم من الثقل (أم عندهم) أى خاصة بهم
(الغيب) أى علم ما غاب عنهم (فهم يكتبون) أى يجتهدون للناس كتابة بجميع ما غاب عنهم مما
يتقهم ويضرهم حتى يحسدوك فيما شاركتهم به منه فيردوه لذلك وينسبوك الى ما نسبوك
اليه مما يعلم كل أحد نراهمك عنه وبعدك منه وقال ابن عباس معناه أم عندهم اللوح المحفوظ
فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به واللام في الغيب للعهود ولا تعريف الجففس بل المراد
نوع الغيب كما تقول اشترى اللحم تريد بيان الحقيقة لا كل لحم ولا الحما عينا (أم يريدون) أى
بهذا القول الذى يرمونك به (كيدا) أى مكر او ضررا عظيما اليك لكونك به (فالذين كفروا)
وكان الاصل فهم ولكنه قال تعجبا وتعليقا للحكم بالوصف (هم) أى خاصة (المكيدون)
أى المغلوبون المهلكون فانهم مكروا به في دار الندوة فحفظه الله تعالى منهم ثم أهلكهم بيد
عند انتقام سنين عذتها عذة ما هن من أم وهى خمس عشرة مرة لان بدرا كانت في الثانية من
الهجرة وهى الخامسة عشر من النبوة فقد سبب الله تعالى فيها من الاسباب ما أوجب سعيهم الى

هلاكمهم بأمر وخارقة للعادة فلو كانت لهم بصائر لكفتمهم في الهداية والرد عن الضلالة والغواية
(أم لهم الله) أي يمنعهم من التصديق بكتابنا أو يستندون اليه للامان من عذابنا (غير الله)
أي الذي أحاط بجميع صفات الكمال (سبحان الله) الملك الاعظم الذي تعالى عن أن يداني جنابه
شائبة نقص (عما يشركون) من الاصنام وغيرها * (تنبيه) * الاستفهام بأمر في مواضعها
للتعجب والتوبيخ ولما بين تعالى فساد أقوالهم وسقوطها اشار الى أنهم لم يبق لهم عذر فان
الآيات والحجج قد ظهرت ولم يؤمنوا فبعد ذلك استحقوا الانتقام وقوله تعالى (وان يروا)
أي معانيه (كسفا) أي قطعة وقيل قطعاً واحداً كسفة مثل سدرة وسدر (من السماء)
جهازاً نهاراً (ساقطاً يقولوا) جواب لقولهم فأسقط علينا كسفاً من السماء كان الله تعالى
يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السماء عليهم لم ينتهوا عن قولهم ويقولون لمعاندتهم هذا
(سحاب) فان قيل لهم هو مخالف للسحاب بصلابته وغلظته قالوا (مر كورم) أي مركب
بعضه على بعض فتلبد وتصلب وقوله تعالى (فذرهم) أي اتركهم على شر أحوالهم كقوله تعالى
فأعرض عنهم وقوله تعالى فتول عنهم الى غير ذلك فقل كاهاهم فسوخة بآية القتال قال ابن عادل
وهو ضعيف وانما المراد التهديد كقول السيد لعبد الجاني لمن يعصيه دعه فانه سينال جنايته
(حتى يلاقوا يومهم الذي فيه) أي لا في غيره لأن ما حكمنا به لا يتقدم ولا يتأخر (يصعقون) أي
يموتون من شدة الاهوال وعظم الزوال كما صعد بنو اسرائيل في الطور ولكن لانقيهم كما
أقنأ أولئك الا عند النفخ في الصور لتحشرهم للحساب الذي يكذبون به قال البقاعي والظاهر
ان هذا اليوم يوم بدر فانهم كانوا قاطعين بالنصر فيه فاعغى أحد منهم عن أحدشياً كما قال
أبو سفيان بن الحرث ما هو الا نالقيناهم ففخناهم ككفنا يقتلونا كيف شاؤوا وياسر ونا
كيف شاؤا وقوله تعالى (يوم لا يغنى) أي بوجه من الوجوه بدل من يومهم (عنهم كيدهم)
أي الذي يرمونه بهذه الاقوال المتناقضة (شيئاً) من الاغنام في دفع شيء يكرهونه من الموت ولا
غيره كما يظنون انه يغنى عنهم في غير ذلك من أحوال هذه الدار (ولاهم ينصرون) أي يتجدد
لهم نصر مما في ساعة ما يمنعهم من العذاب وقوله تعالى (وان للذين ظلموا) يجوز أن يكون من
ايقاع الظاهر موضع المضمرة وأن لا يكون والمعنى وان للذين أوقعوا الاشياء في غير مواضعها كما
يقولونه في القرآن ويفعلونه من العصيان ويعتقدونه من الشرك والبهتان (عدا يادون ذلك)
أي غير عذاب ذلك اليوم قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقال الضحالك هو الجوع
والقطع سبع سنين وقال البراء بن عازب عذاب القبر والآية تحتمل هذه المعاني كلها
(ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن العذاب نازل بهم (فاصبر) أي أوجد هذه الحقيقة لتصبر على
ما أنت عليه من أداء الرسالة (الحكم ربك) أي المحسن اليك فانه هو المريد لذلك ولو لم يرد له
يكن شيء منه فهو احسان منه اليك وتدريب لك وترقية في معارج الحكم وسبب عن ذلك قوله
تعالى مؤكداً لما يغلب على الطبع البشري في بعض أوقات الامتحان من نوع نسيان (فانك
بأعيننا) أي برأى منا نزالك ونحفظك وجمع لما اقتضته نون العظمة التي هذا سياقها وهي

ظاهرة في الجمع وإشارة إلى أنه محفوظ بالجنود الذين رؤيتهم من رؤيته سبحانه وتعالى (وسبح)
 ملتبسا (بحمد ربك) أي المحسن إليك فأثبت له كل كمال مع تنزيهك له عن كل نقص فلا
 يكون في ملكه ما لا يريد ولا يريد إلا ما هو حكمة بالغة (حين تقوم) قال سعيد بن جبيرة وعطاء أي
 قل حين تقوم من مجلسك سبحانه اللهم وبحمدك فإن كان المجلس خيرا ازددت احسانا وإن
 كان غير ذلك كان كفارة له وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جلس
 مجلسا وكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه سبحانه اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا
 أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا كان كفارة لما بينهما أي من الذنوب الصغائر وقال ابن عباس
 معناه صل الله حين تقوم من مقامك وقال الضحاك والربيع إذا قلت إلى الصلاة فقل سبحانه
 اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك وقال الكلبي هو ذلك الله تعالى
 باللسان حتى تقوم من الفراش إلى أن تدخل في الصلاة لما روى عاصم بن حميد قال سألت
 عائشة بأي شيء كان يفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت كان إذا قام كبر
 عشرا وحمد الله تعالى عشرا وهلل عشرا وأستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي واهدني
 وارزقني وعافني ويعوذ من ضيق المقام يوم القيامة وقيل حين تقوم لأمر ما (ومن الليل) أي
 الذي هو محل السكون والراحة (فسبحه) أي صل له قال مقاتل يعني صلاة المغرب والعشاء
 (وأدبار النجوم) أي صل الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم أي تغيب بضوء
 الصبح هذا قول أكثر المفسرين وقال الضحاك هي فريضة صلاة الصبح وهذه الآية تظير قوله تعالى
 فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقد تقدم الكلام عليها قال الرازي قال تعالى هنا وأدبار
 النجوم وقال في سورة ق وأدبار السجود فيجتمعا أن يكون المعنى واحدا والمراد من السجود جمع
 ساجد والنجوم سجود قال تعالى والنجم والشجر يسجدان وقيل المراد من النجوم نجوم السماء
 وقيل النجم ما لا ساق له من النبات قال الله تعالى ولله يسجد من في السموات ومن في الأرض
 الآية والمراد من النجوم الوظائف وكل وظيفة نجم في اللغة أي إذا فرغت من وظائف الصلاة
 فقل سبحان الله كما تر وما رواه البيضاوي تبع للزحشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ
 سورة الطور كان حقا على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه في جنته حديث موضوع

﴿سورة النجم مكية﴾

ثنتان وستون آية وثلاثمائة وستون كلمة وألف وأربع مائة وخمسة أسرف

(بسم الله) الذي أحاط بصفات الكمال (الرحمن) الذي عم الموجودات بصفة الجلال (الرحيم)
 الذي خص أهل وده بصالح الأعمال (والنجم إذا هوى) قال ابن عباس في رواية العوفي يعني
 الثريا إذا غابت وسقطت وهوت مغيبة والعرب تسمى الثريا نجما وجاء في الحديث عن أبي هريرة
 مرفوعا ما طلع النجم قطوف في الأرض شيء من العاهات الارتفاع وأراد بالنجم الثريا وقال مجاهد
 هو نجم السماء كلها حين يغرب لفظه واحد ومعناه الجمع هي الكوكب نجم الطلوع وكل طالع

نجم يقال نجم السسن والنبت والقرن اذا طلع وروى عكرمة عن ابن عباس أنها ماير جسم به
الشياطين عند استراقهم السمع وقال أبو حنيفة الثمالى هي النجوم اذا انتشرت يوم القيامة وقيل
المرايا بالنجم القرآن سمى نجما لانه نزل فجوما متفرقة في عشرين سنة ويسمى التفريق نجما
والمفروق نجما هذا قول ابن عباس في رواية عطية وقال الكلبي والهوى النزول من أعلى الى
أسفل وقال الاخفش النجم هو النبت الذي لا ساق له ومنه قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان
وهو به سقوطه على الارض وقال جعفر الصادق يعنى محمد صلى الله عليه وسلم اذا نزل من السماء
ليلة المعراج والهوى النزول يقال هوى هوى هو يا والكلام في قوله تعالى والنجم كالكلام في
قوله تعالى والطور حيث لم يقل والنجوم والاطوار وقال والذاريات والمرسلات كما مر (تنبيه)
أقول هذه السورة مناسبة لا آخر ما قبلها فانه تعالى قال في آخر تلك وأدبار النجوم وقال تعالى في
أول هذه والنجم اذا هوى قال الرازى والفائدة في تقييد القسم به في وقت هوى به أنه اذا كان في
وسط السماء يكون بعيدا عن الارض لا يهتدى به السارى لانه لا يعلم به المشرق من المغرب
ولا الجنوب من الشمال فاذا نزل عن وسط السماء تبين بنزوله جانب المغرب عن المشرق والجنوب
عن الشمال وقوله تعالى (ماض) أى عن طريق الهداية (صاحبكم) محمد صلى الله عليه وسلم
وقام من الاوقات جواب القسم وعبر بالصيغة لانهم اذل على القصد من غيبة لهم فيه
ومقبله لهم اليه ومقبحة عليهم اتهمه في انذاره وهم يعرفون طهارة شمائله (وماغوى) أى
وما مال أدنى ميل ولا كان مقصده مما يسوء فانه محروس من أسباب غواية الشياطين وغيرها
* (تنبيه) النفي جهل عن اعتقاد فاسد بخلاف الضلال وذهب أكثر المفسرين الى أن النفي
والضلال بمعنى واحد وفرق بعضهم بينهم ما فقال الضلال في مقابلة الهدى والنفي في مقابلة الرشد
قال تعالى قد تبين الرشد من الغي وقال تعالى وان يروا سبيلا للرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا
سبيلا الغي يتخذوه سبيلا قال الرازى وتحقيق القول فيه أن الضلال أعم استعمالا في الوضع
تقول ضل بعيرى ورحلى ولا تقول غي * (فائدة) قد دافع الله سبحانه عن نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم وأتباعه الانبياء فدافعوا عن أنفسهم ليس بي ضلالة ليس بي سفاهة ونحو ذلك قاله القشيري
(فان قيل) كيف الجمع بين قوله تعالى ماض صاحبكم وبين قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى
(أجيب) بأن المراد من الآية الآتية ووجدك ضالا عما أنت عليه الآن من الشريعة فهذا
اليها بخلاف هذه الآية (وما ينطق) أى بما وزنطقه فيه في وقت من الاوقات لافي هذا الحال
ولافي الاستقبال نطقا ناشئا (عن الهوى) أى عن أمره كاللههان الذين يغلب كذبهم صدقهم
والشعراء وغيرهم وما يقول هذا القرآن من عند نفسه (ان) أى ما (هو) أى الذى يتكلم به
من القرآن وكل أقواله وأفعاله وأحواله (الوحي) أى من الله تعالى وأكده بقوله تعالى
(يوحي) أى يجدد اليه إيجاده منا وقتا بعد وقت * (تنبيه) استدل بهذه الآية من لا يرى
الاجتهاد للانبياء (وأجيب) بأن الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند اليه
كله وحيا لا نطقا عن الهوى (علمه) أى صاحبكم الوحي الذى أتاكم به ملك (شديد القوى)

فلا تعجبوا من هذه البحار الزاخرة فان معلمهم هذه الصفة التي هو بها بحيث يتخذ كل ما أمره الله تعالى به وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة في ابداء الخوارق روى أنه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بنوداً أصبحوا جاثين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده في أوحى من رجعة الطرف ورأى ابليس يكلم عيسى على بعض عقاب الارض المقدسة فنفضه نفضة يجناحه فألقاه في أقصى بلاد الهند (ذومرة) قال ابن عباس من ذومرة نظر حسن وقال أكثر المفسرين ذو قوة وقدر عظيم على الذهاب فيما أمر به والطاقة الجلب بغاية النشاط والحدة كانه ذومراج غلبت عليه الحدة فهو صعب المراس في مزاولته ماض على طريقة واحدة على غاية من الشدة لا توصف لا التفات له بوجه الى غير ما أمر به فهو مجتمع القوى مستحكم الشأن شديد الشكيمة لا يسأم في شئ يزاوله ومن جملة ما أعطى من القوة القدرة على التشكل والى ذلك أشار بما تسبب عن هذا من قوله تعالى (فاستوى) أى فاستقام واعتدل بغاية ما يكون من قوته على أكل حالانه في الصورة التي فطر عليها (وهو) أى والحال أن جبريل عليه السلام (بالافق الاعلى) أى عند مطلع الشمس وذلك أن جبريل عليه السلام كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة آدميين كما كان يأتي الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريه نفسه على صورته التي خلق عليها فأراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السماء فأما التي في الارض ففي الافق الاعلى والمراد بالا على جانب المشرق وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان بجحراء وكان جبريل واعده أن يأتيه وهو بجحراء فطلع له جبريل من المشرق فسد الافق الى المغرب فخر صلى الله عليه وسلم مغشياً عليه فنزل له جبريل عليه السلام في صورة آدميين (ثم دنأ) أى قرب منه (فتدلى) أى زاد في القرب (فكان) منه (قاب) أى قدر (قوسين) أى عريتين (أو أدنى) من ذلك وضحه الى نفسه حتى أفاق وسكن روعه وجعل يمسح التراب عن وجهه وأما في السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره أحد من الانبياء في صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم * (تنبيه) * القاب والقيب والقاد والقيس والمقدار وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسطوح والذراع والباع والخطوة والشبر والفتروا الاصبع ومنه لاصلاة الى أن ترتفع الشمس مقدار رحلين وفي الحديث لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قدمه خير من الدنيا وما فيها والقدر السوط ويقال بينهما خطوات يسيرة وقال الشاعر * وقد جعلتني من خزينة اصبعها (فان قيل) كيف تقدير قوله فكان قاب قوسين (أجيب) بأن تقديره فكان مسافة قريبة مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات كما قال أبو علي في قوله * وقد جعلتني من خزينة اصبعها أى ذام مقدار مسافة اصبع وروى الشيباني قال سألت زرا عن قوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى قال أخبرنا عبد الله يعني ابن مسعود أنه سمع محمد صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له سقاة جناح وبهمذا قال ابن عباس والحسن وقتادة وقال آخرون دنا الرب عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى ومعنى دنوه تعالى قرب منزلة كقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه تبارك وتعالى من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعاً ومن تقرب الى ذراعاً

تقربت اليه باعاً ومن مشى الى آتيته هرولة وهذا الشارة الى المعنى المجازي قال البغوي وروينا في قصة المعراج من رواية شريك بن عبد الله بن أبي نجر عن أنس قدنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وهذه رواية أبي سلمة عن ابن عباس وقال مجاهد دنا جبريل من ربه وقد قدمت الكلام على المعراج وعلى جواز رؤيته صلى الله عليه وسلم ربه في أقول الاسراء وقال الضحالك دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل فتدلى فأهوى للسجود فكان منه قاب قوسين أو أدنى وتقدم الكلام على القاب والقوس ما يري به في قول مجاهد وعكرمة وعطاء عن ابن عباس فأخبر أنه كان بين جبريل عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين وقال مجاهد معناه حيث الوتر من القوس وهذا الشارة الى تأكيد القرب والاصل في ذلك أن الحليين من العرب كانا اذا أرادوا الصفاء والعهد خراجا قوسيهما قال الصقايين ما يريد ان بذلك أنهم ما متظاهران يحامى كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين وهو قول سعيد بن جبيرة والقوس الذراع يقاس بها كل شيء أو أدنى بل أقرب وانما ضرب المنسل بالقوس لانها لا تختلف بالقاب (فأوحى) أى الله تعالى وان لم يجز له ذكر لعدم اللبس (الى عبده) أى جبريل عليه السلام (ما أوحى) أى جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر الموحى تفخيما شأنه وهذا التفسير ما جرى عليه الجلال المحلى وهو ظاهر وقيل فأوحى الى جبريل بسبب هذا القرب وعقبه الى عبده أى عبد الله ما أوحى أى جبريل وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعنى بشديد القوى كما في قوله تعالى ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بكليته الى جانب القدس واختلف في الموحى على أقوال الاول قال سعيد بن جبيرة أوحى اليه لم يجسدك يتيمنا الى قوله تعالى ورفعناك ذكرنا الثاني أوحى اليه الصلاة الثالث أن أحدا من الانبياء لا يدخل الجنة قبلك وأن أمة من الامم لا تدخلها قبل أمتك الرابع أنه مبهم لا يطلع عليه أحد ونعبدنا به على الجملة الخامس أن ما للعموم والمراد كل ما جاء به جبريل (ما كذب الفؤاد) أى فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم (ما رأى) أى ما رآه يبصره من صورة جبريل عليه السلام وهذا أيضا ما جرى عليه الجلال المحلى وقال البقاعي ما رأى البصر أى حين رؤية البصر كأنه حاضر القلب لانها رؤية بصرف فقط يمكن فيها الخلو عن حضور القلب وقال القشيري ما معناه ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه يبصره على الوصف الذى علمه قبل ان رآه فكان علمه حق اليقين وقرأ هشام بتشديد الذال والباقون بالتخفيف وقوله تعالى (أفتمارونه) أى تجادلونه وتغلبونه (على ما يرى) خطاب للمشركين المكذبين رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل وهذا ما قاله ابن مسعود وعائشة ومن قال ان المرقى هو الله تعالى اختلفوا في معنى الرؤية فقال بعضهم جعل يبصره في فؤاده فرآه بفؤاده وهو قول ابن عباس قال رآه بفؤاده مرتين ما كذب الفؤاد ما رأى وقال أنس والحسن وعكرمة رأى محمد صلى الله عليه وسلم لم ربه عز وجل بعينه وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله تعالى اصطفى ابراهيم عليه السلام بالعلم واصطفى موسى عليه السلام بالكلام واصطفى محمد صلى الله عليه وسلم بالرؤية

وكانت عائشة تقول لم ير محمد صلى الله عليه وسلم ربه وتعمل الرؤية على رؤية جبريل قال مسروق قلت لعائشة يا أمّ المؤمنين هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شحري مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ومن حدثك أنه كنتم شيئا مما أنزل الله تعالى فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك الاية ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين وروى أبو ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نوراني أراه وحاصل المسئلة أن الصحيح ثبوت الرؤية وهو ما جرى عليه ابن عباس - جبرالامة وهو الذي يرجع اليه في المعضلات وقد راجعه أبو عمرو فأخبره انه رآه ولا يقدر في ذلك حديث عائشة لانهم لم يخبروا بها - سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لم أروا نبي اعتمدت على الاستنباط مما تقدم وجوابه ظاهر فان الادراك هو الاحاطة والله تعالى لا يحاط به واذا ورد النص بنى الاحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير احاطة وأجيب عن احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الاية بأنه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام وبأنه عام مخصوص بما تقدم من الادلة وأما قوله صلى الله عليه وسلم نوراني أراه فقال الماوردي الضمير في أراه عائشة الى الله تعالى ومعناه أنه خالق النور المانع من رؤيته أي رؤية احاطة كما مرّاذ من المستحيل أن تكون ذات الله نورا اذا النور من جملة الاجسام والله تعالى منزّه عن ذلك (فان قيل) هلا قيل أفتما رونه على ما رأى بصيغة الماضي لانهم انما جادلوه حين أمروا به فقالوا وصف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن غيرنا في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به وما الحكمة في ابراز هذه الصيغة المضارع (أجيب) بأن التقدير أفتما رونه على ما يرى فكيف وهو قد رآه في السماء فماذا تقولون فيه والواو في قوله تعالى (ولقد رآه) يحتمل أن تكون عاطفة ويحتمل أن تكون للعالم أي كيف تجادلونه فيما رآه وهو قد رآه (نزلة أخرى) على وجه لا شك فيه * (تنبيه) * قوله تعالى نزلة فعلة من النزول بكسرة من الجفوس فلا بد من نزول واختلفوا في ذلك النزول وفيه وجوه الاقل أن الضمير في رآه عائشة الى جبريل أي رأى جبريل نزلة أخرى أي رأى جبريل في صورته التي خلق عليها نازلا من السماء مرة أخرى وذلك أنه رآه في صورته مرتين مرة في الارض ومرة في السماء (عند سدة المنتهى) قال الرازي ويحتمل أن تكون النزلة لمحمد صلى الله عليه وسلم الثاني أن الضمير عائشة الى الله تعالى أي رأى الله نزلة أخرى وهذا قول من قال في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى هو الله تعالى وقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بقلبه مرتين وعلى هذا ففي النزول وجهان أحدهما قول من يجوز على الله الحركة من غير تشبيه وثانيهما ما أن نزوله بمعنى القرب بالرحمة والفضل الثالث أن محمدا رأى الله تعالى نزلة أخرى والمراد من النزلة ضدها وهي العرجة كانه قال رآه عرجة أخرى قال ابن عباس نزلة أخرى هو أنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم عرجات في تلك الليلة لمسهلة التخفيف

في الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة قرأى ربه في بعضها وروى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بفؤاده مرتين وعنه أنه رأى ربه بعينه وعلى أن المرتى هو الله تعالى فيكون قوله تعالى عند سدرة المنتهى نظر فالمرئي كما إذا قال القائل رأيت الهلال فيقال له أين رأيته فيقول على السطح وقد يقول عند الشجرة الفلانية وأما قول من قال بأن الله تعالى في مكان فذلك باطل وإن قيل بأن المرتى جبريل عليه السلام فظاهر * (تنبيه) * إضافة السدرة إلى المنتهى تحت مل وجوها أحدها إضافة الشيء إلى مكانه كقولك أشجار بلدة كذا فالمنتهى حيث قد موضع لا يتعداه ملك قال هلال بن كيسان سأل ابن عباس كعباً عن سدرة المنتهى وأما حاضرف قال كعب أنها سدرة في أصل العرش على رؤس حمله العرش واليه ينتهي علم الخلائق وما خلقها غيب لا يعلمه إلا الله تعالى وقيل ينتهي إليها ما هبط من فوقها ويصعد من تحتها وقال كعب تنتهي إليها الملائكة والأنبياء وقال الربيع تنتهي إليها أرواح المؤمنين وثانيها إضافة الملك إلى مالكه كقولك دار زيد وشجر زيد وحيث قد المنتهى فيه محذوف تقديره سدرة المنتهى إليه قال الله تعالى إلى ربك المنتهى فالمنتهى إليه هو الله تعالى وإضافة السدرة إليه حيث قد كإضافة البيت إليه للتشريف والتعظيم كما يقال في المسيح يا غاية وغبناه ويا منتهى أملا وثالثها إضافة المل إلى الحال فيه كقولك كتاب الفقه وعلى هذا فالقدير سدرة عندها منتهى العلوم فتلقى هناك قال البقاعي وذلك والله أعلم ليلة الأسراء في السنة الثالثة عشرة من النبوة قبل الهجرة بقليل بعد أن ترقى في معارج الكمالات من السنين على عدد السموات وما بينهما من المسافات فانتهى إلى منتهى سمع فيه صرير الأقلام وعظمها بقوله تعالى (عندها) أي السدرة (جنة المأوى) أي التي لا مأوى في الحقيقة غيرها وهي الجنة التي وعد بها المتقون كقوله تعالى دار المقامة وقيل هي جنة أخرى عندها تكون أرواح الشهداء تأوى إليها وقيل هي جنة الملائكة وقوله تعالى (أذن) معمول لرأي أي رأى من آيات ربه الكبرى حين (يغشى السدرة) وهي شجرة النبق وقوله تعالى (ما يغشى) تعظيم وتكثير لما يغشاها واختلقوا فيما يغشاها فقبل فراش أو جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحك قال الرازي وهذا ضعيف لأن ذلك لا يثبت الإبدليل سمعي فإن صح فيه خبر والا فلا وجه له اه قال القرطبي ورواه ابن مسعود وابن عباس مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال أبضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة مل كإغما يسبح الله تعالى وذلك قوله عز من قائل أذ يغشى السدرة ما يغشى وقيل ملائكة تغشاها كأنهم طيور يرتقون إليها متسوقين متبركين بها زائرين كما يزور الناس الكعبة وروى في حديث المعراج عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا غرها كقلال حجر قال فلما غشيتها من أمر الله تعالى ما غشى تغيرت فاحد من خلق الله تعالى يقدر أن يهتم من حسنها فأوحى إلى مأوى ففرض على خمسين صلاة في كل يوم وليلة وقيل يغشاها أنوار الله تعالى لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل إليها تجلى ربه لها كما تجلى للجبيل

فظهرت الانوار لكن السدرة كانت أقوى من الجبل وأثبت فجعل دكا لم تتحرك الشجرة وخر
 موسى عليه السلام صاعقا ولم يتزلزل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل أجهمه تعظيما له والغشيان يكون
 بمعنى التغطية قال الماوردي في معاني القرآن فان قيل لم اختيرت السدرة لهذا الامر دون
 غيرها من الشجر قلنا لان السدرة تختص بثلاثة أوصاف ظلمة مديدة وطعم لذيق ورائحة ذكية
 فشابت الايمان الذي يجمع قولا وعلاوية فظلمها من الايمان بمنزلة العمل لتجاوره وطعمها
 بمنزلة النية لكمونه وريحها بمنزلة القول لظهوره وروى أبو داود عن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال من قطع سدرة صوب الله تعالى رأسه في النار وسئل أبو داود عن معنى هذا الحديث
 فقال هو مختصر يعني من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهايم عبثا وظلما بغير حق
 يكون له فيها صوب الله تعالى رأسه في النار ثم أكد سبحانه الرؤية وقررها بقوله تعالى (ما زاغ)
 أي ما مال أدنى ميل (البصر) أي الذي لا بصير لخلق أدنى كمال منه فما قصر عن النظر الى ما أذن
 له فيه وما زاد (وما ظني) أي تجاوزا الحد الى ما لم يؤذن له فيه مع أن ذلك العالم غريب عن بني آدم
 وفيه من العجائب ما يحير الناظر بل كانت له الصفة الصادقة المتوسطة بين الشره والزهادة على أن
 قوانين العدل فأثبت ما رآه على حقيقة وكما هو قال السهروردي في أول الباب الثاني والثلاثين
 من عوارفه وأخبر تعالى بحسن أدبه في الحضرة بهذه الآية وهذه غامضة من غوامض الادب
 اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم * (تنبيه) * اللام في البصر تحمل وجهين أحدهما
 المعروف أي ما زاغ بصير محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا ان قيل بأن الغاشي للسدرة هو الجراد
 والفراس فغناه لم يلتفت اليه ولم يشغل به ولم يقطع نظره عن مقصوده فيكون غشايا الجراد
 والفراس لانه لا امتحان للمحمد صلى الله عليه وسلم وان قيل ان الغاشي أنوار الله تعالى ففيه
 وجهان أحدهما لم يلتفت عنه ولا يسر بل اشتغل بطاعتها الثاني ما زاغ البصر بصعقه بخلاف
 موسى عليه السلام فانه قطع النظر وغشى عليه ففي الاول بيان أدب محمد صلى الله عليه وسلم
 وفي الثاني بيان قوته الوجه الثاني أن اللام لتعريف الجنس أي ما زاغ بصره أصلا في ذلك
 الموضع اعظم هيئته (فان قيل) لو كان كذلك لقال ما زاغ بصره فانه أدل على العموم فان النكرة
 في معرض التفييم (أجيب) بأن هذا مثل كقوله تعالى لا تدركه الابصار ولم يقبل ولا يدركه بصر
 ولما كاد انكروا الاسراء انكارا لم يقع لهم في غيره مثله زاد في تأكيد كيدته على وجهه بغير غيره
 فقال تعالى (لقد رأى) أي أبصر ما أهله من الرسالة تلك الليلة ابصارا ساريا الى البواطن
 غير مقتصر على الظواهر (من آيات به) أي المحسن اليه بما لم يصل اليه أحد قبله ولا يصل اليه أحد
 بعده (الكبرى) أي العظام أي بعضها واختلاف في ذلك البعض فقيل جبريل عليه السلام رآه
 في صورته له ستمائة جناح وقال الرازي والظاهر ان هذه الآيات غير تلك لان جبريل عليه السلام
 وان كان عظيما لكنه ورد في الاخبار أن الله تعالى ملائكة أعظم منه والكبرى تأنيث الاكبر
 فكانه تعالى قال رأى من آيات ربه آيات هن أكبر الآيات وقيل رأى رفرقا أخضر سدالاتا
 وقيل أراد ما رأى في تلك الليلة في مسيره وعوده ومن اجتماعه تلك الليلة بالانبياء عليهم الصلاة

والسلام في السموات ولما قررتعالى الرسالة ذكر ما ينبغي أن يتدبى به الرسول وهو التوحيد ومنع الخلق عن الاشرار بقوله تعالى (أفرأيتم اللات والعزى) إشارة الى ابطال قولهم كما اذا ادعى ضعيف الملك ثم رآه العقلاء في غاية البعد عما يدعيه يقولون انظروا الى هذا الذي يدعى الملك منكربين عليه غير مستدين بدليل اظهروا أمره فلذلك قال تعالى أفرأيتم اللات والعزى أى كما هما فكيف تشركونهما بالله سبحانه وتعالى واللات صنم ثقيف والعزى شجرة لغسان وهما أعظم أصنامهم اشتقوا الهما اسمين من أسماء الله تعالى فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وقيل العزى تأنيث الاعز وعن ابن عباس كان اللات رجلا يلبس السويق للحاج فلحقات عكفوا على قبره يعبدونه وعن مجاهد أن العزى شجرة اغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل خالد يضربها بالناس ويقول يا عز كفرانك لا سيجانك * انى رأيت الله قد أهانك

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بويلها واضعة يدها على رأسها ويقال ان خالد ارجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعتمنا فقال ما رأيت قال ما رأيت شيئا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت فعاودها ومعه المعول فقاعها واجتأ أصلها فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا وقال الضحالكهى صنم لغطفان وضعها لهم سعيدي بن ظالم الغطفاني وذلك أنه لما قدم مكة فرأى الصفا والمروة ورأى أهل مكة يطوفون بهما فعاد الى نخلة وقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وايسئلكم ولهم اله يعبدونه وليس اكنم قالوا نعم تأمرنا به قال انا أصنع لكم كذلك وأخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما الى نخلة فوضع الذى أخذه من الصفا وقال هذا الصفا ووضع الذى أخذه من المروة وقال هذه المروة ثم أخذ ثلاثة أحجار فاسندها الى شجرة فقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فأمر برفع الحجارة وبعث خالد بن الوليد الى العزى فقطعها وقال ابن زيد هى بيت بالطائف كان تعبد به ثقيف واما قوله تعالى (ومناة) فقال قتادة هى صخرة كانت لزراعة بقديد وقالت عائشة فى الانصار كانوا يصلون لمناة فكانت حذوقديد وقال ابن زيد بيت بالمشلل تعبد به بنو كعب وقال الضحالك مناة لمناة لهديل وزراعة يعبد به أهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة أصنام من حجارة كانت فى جوف الكعبة يعبدونها وقوله تعالى (الثالثة الاخرى) نعم لمناة اذ هى الثالثة للصغين فى الذكر وأما الاخرى فقال أبو البقاء ~~توه~~ بدلان الثالثة لا تكون الاخرى وقال الزمخشري الاخرى ذم وهى المتأخرة الوضعية المدة داركة قوله تعالى وقالت أنحراهم أى وضعواهم لا ولاهم أى لا شرافهم ويجوز أن تكون الاولوية والتقدم عندهم اللات والعزى اه قال ابن عادل وفيه نظر لان الاخرى انما تدل على الغيرية وليس فيها تعرض لمذح ولا ذم فان جاء شئ فلقرئته خارجية اه ووجه الترتيب أن اللات كان وشاعلى صورة آدمى والعزى شجرة نبات ومناة صخرة فهى جناد فهى فى أخريات المراتب (فان قيل) ما فائدة الفاء فى

قوله تعالى أفرأيتم وقد وردت في مواضع بغير فاء كقوله تعالى أفرأيتم ما تعبدون من دون الله
أفرأيتم شركاءكم (أجيب) بأنه تعالى لما تقدم عظمتهم في ملكوته وأن رسوله إلى الرسل يسد
الاتفاق ببعض أخصته وبذلك المداثر بشدة وقوته ولا يمكنه مع هذا أن يتعدى السدرة في مقام
جلال الله وعزته قال أفرأيتم هذه الأصنام مع ذاتها وحقاتها شركاء الله تعالى مع ما تقدم فقال
بالفاء أي عقب ما سمعتم من عظمة آيات الله الكبرى ونفاذ علمه في الملا الأعلى وما تحت الثرى
انظروا إلى اللات والعزى تعلموا فساد ما ذهبت إليه * (تنبيه) * مفعول أرايت الأول اللات
وما عطف عليه والثاني محذوف والمعنى أخبروني ألهذه الأصنام قدرة على شيء ما تعبدونها
دون الله القادر على ما تقدم ذكره وقرأ ابن كثير منافية بمزة مفتوحة بعد الالف والباقون بغير
همزة ولما زعموا أيضا أن الملائكة بنات الله مع كراهتهم للبنات نزل (الكم) أي خاصة (الذكر)
أي النوع الأعلى (وله) أي وحده (الآتي) أي النوع الأسفل (تلك) أي هذه القسمة البعيدة
عن الصواب (إذا) أي أذ جعلتم البنات له والبنين لكم (قسمة ضيزى) أي جائزة ظالمة ناقصة
فيها ينحس للحق إلى الغاية عوجاء غير معتدلة حيث خصصتم به ما أوصلتكم الكراهة له إلى دفنه
حيابل كان ينبغي أن تجعلوا الأعظم للعظيم والانقص للعظيم فافهم العقل والنقل والعادة
(ان) أي ما (هي) أي هذه الأصنام (الآسماء) أي لاحقات لها فيما ادعيت لها من الإلهية ليس
لها من ذلك غير الآسماء وكذلك بقوله تعالى (سميتموها) أي ابتدعتم تسميتها (فان قيل)
الآسماء لا تسمى وانما يسمى بها (أجيب) بأن التسمية وضع الاسم فكانه قال آسماء وضعتموها
فاستعمل سميتموها استعمال وضعتموها (أنتم وأباؤكم) أي لا غير (ما أنزل الله) أي الذي له
جميع صفات الكمال (بها) أي باستحقاقها للآسماء أو لما سميتموها به من الإلهية وأعرق
في النقي فقال (من سلطان) أي حجة تصلح مسطاعا على ما يدعى فيها بل لجرد الهوى لم تروا منها آية
ولا كلمتكم قط بكلمة تعتدونها وعلى تقدير أن تتكلم الشياطين على السفتها فأي طريقة قوية
شرعت لكم وأي كلام صالح أو بليغ يرزاليكم منها وأي آية تكبري ارتكبوها (ان) أي
ما (يتبعون) أي في وقت من الأوقات في أمر هذه الأوثان بغاية جهدهم من أنها آلهة وأنها
تشفع لهم أو تقربهم إلى الله تعالى (الالظن) أي وهو غاية أمرهم لمن يحسن الظن بهم والظن
ترجيح أحد الجانبين على زعم الظان * ولما كان الظن قد يكون موافقا للحق مخالفا للهوى قال
تعالى (وما تهوى الأنفس) أي تشتهى وهي لما لها من النقص لا تشتهى أبدا إلا ما يهوى بها
عن غاية أوجهها إلى أسفل حضيضها وأما الماعلى وحسن العواقب فانما يسوق إليها العقل قال
القشيري فأما الظن الجليل بالله تعالى فليس من هذا الباب والتباس عواقب الشخص عليه
ليس من هذه الجملته بسبيل انما الظن المعلوم في الله تعالى وأحكامه وصفاته اهـ ولهذا كان
كثير من القهقهة ظنيا وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه أنا عاقد ظن عبدى بي (ولقد
جاءهم) أي العجب أنهم يقولون ذلك والحال أنهم قد جاءهم (من ربههم) المحسن اليهم
(الهدى) على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بالبرهان القاطع أنها ليست بآلهة وإن العباد

لا تصلح الا لله الواحد القهار فلم يرجعوا عما هم عليه وقرأ حجة والكسافي في الوصل بضم الهاء
 والميم وقرأ أبو عمر وبكسرهما والباقون بكسر الهاء وضم الميم (أم للانسان) أي كل انسان منهم
 (ما تفي) أي من اتباع ما يشتهي من جاه ومال وطول عمر ورعاية عيش ومن أن الاصنام تشفع له
 ليس الامر كذلك (قلته) أي الملك الاعظم وحده (الآخرة) فهو لا يعطى ما فيها الا لمن تبع هداه
 وترك هواه (والاولى) أي الدنيا فهو لا يعطى جميع الاماني فيها الا حداً أصلاً كما هو مشاهد ولكنه
 يعطى منها ما يشاء لمن يريد وليس لاحد أن يتحكم عليه سبحانه في شيء منها (وكم من ملك) أي
 كثير من الملائكة أي ممن يعبدونهم هؤلاء الكفار ودل على زيادة قوتهم بشرف مسكنهم وهو
 قوله تعالى (في السموات) أي وهم في الكرامة والرفق (لا تفي شفاعتهم) أي عن أحد من
 الناس (شيئاً) ثم قصر الامر عليه ورده بحدافه اليه بقوله تعالى (الا من بعد أن يأذن) أي
 يمكن ويريد (الله) أي الملك الذي لا أمر أصلاً لاحد معه (لمن يشاء) من عباده من الملائكة
 أو من الناس أن يشفع (ويرضى) أي ويراه أهلاً لذلك فكيف تعبد الاصنام مع حقارتها لتشفع
 لهم (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي لا يصدقون ولا يقررون بالبعث وغيره من أحوال يوم
 القيامة (ليس من الملائكة) أي كل واحد منهم (تسمية الاثني) بأن سموه بنتاً وذلك أنهم كانوا
 يقولون الملائكة وجدوا من الله تعالى فهم أولاده بمعنى اليجاد ثم انهم رأوا في الملائكة ثمة
 التأنيت وصح عندهم أن يقال وجدت الملائكة فقالوا بنات الله فسموهم تسمية الاناث (فان
 قيل) كيف يقال انهم لا يؤمنون بالآخرة مع أنهم كانوا يقولون هو لا شفعاؤنا عند الله وكان
 من عادتهم أن يربطوا امر كوابلهم على قبر من يموت ويعتقدون أنه يحشر عليه (أجيب) بأنهم
 ما كانوا يجزمون به بل كانوا يقولون لا حشر فان كان فلنا شفعاؤنا بدليل ما حكى الله تعالى عنهم
 وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الربي ان لي عنده للعسنى وبأنهم ما كانوا يعترفون
 بالآخرة على الوجه الذي وردت به الرسل (فان قيل) كيف قال تسمية الاثني ولم يقل تسمية
 الاناث (أجيب) بأن المراد بيان الجنس وهذا اللفظ أليق بهذا الموضع لمواخاة رؤس الاثني
 (وما) أي والحال أنهم ما (لهم به) أي بما يقولون وقيل الضمير يعود الى ما تقدم من عدم قبول
 الشفاعة وقيل يعود الى الله تعالى أي ما لهم بالله تعالى (من علم) ثم بين تعالى الحامل لهم على
 ذلك بقوله تعالى (ان) أي ما (يتبعون) أي بغاية ما يـ~~مكن~~ كون من شهوة النفس في ذلك وغيره
 (الا الظن) أي الذي يظنونه (وان) أي والحال ان (الظن) أي مطلقاً في هذا وفي غيره ولذلك
 أظهر في موضع الاضمار (لا يفي) أي اغناء مبتدأ (من الحق) أي الامر الثابت في نفس
 الامر الذي هو حقيقة الشيء وذاته بحيث يكون الظن بدله والظن اغناء يعتبر في العمليات لافي
 العمليات ولا سيما اصولية (شيئاً) أي من الاغناء عن أحد من الخلق فانه لا يؤدي أبداً الى
 الجزم بالعلم بالشيء على ما هو عليه في نفس الامر فهو ممنوع في أصول الدين فان المقصود فيها
 تحقيق الامر على ما هو عليه في الواقع وأما الفروع فان المكلف به فيها هو الظن لكن بشرطه
 المأذون فيه وهو رده الى اصول المستقيم منها ليجز الانسان عن القطع في جميع الفروع

تنبها على مجزئته واقتراره الى الله تعالى ليقبل عليه ويتبرأ من حوله وقوته ليكشف له عن
الحقائق ولما أن أصدر على الهوى بعد مجيئ الهدى سبب عن ذلك قوله تعالى (فأعرض) أي
يا أشرف الرسل (عن نولي) أي كلف نفسه خلاف ما يدعو اليه العقل والفطرة الاولى (عن
ذكرنا) أي القرآن الذي أنزلناه فلم يتله ولم يتدبر معانيه (ولم يرد) أي في وقت من الاوقات
(الا الحياة الدنيا) أي الحاضرة لتقيده بالمحسوسات كالبهايم مع العمى عن دنائتها وحقارتها
قال الجلال المحلى وهذا قبل الامر بالجهاد قال الرازي وأكثر المفسرين يقولون بأن كل ما في
القرآن من قوله تعالى فأعرض منسوخ بآية القتال وهو باطل لأن الامر بالاعراض موافق
لآية القتال فكيف ينسخ بها وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم في الاقل كان مأمورا
بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه بأباطيلهم أمرهم بالزلة شبههم والجواب عن
أباطيلهم وقيل له وجادلهم بالتي أحسن ثم لما لم ينفع قال له ربه أعرض عنهم ولا تقل لهم بالدليل
والبرهان فانهم لا ينتفعون به ولا يتبعون الحق وقتلهم والاعراض عن المناظرة شرط لجواز
المقاتلة فكيف يكون منسوخا بها (ذلك) أي الامر المتناهي في الجهل والقباحة (مبلغهم)
أي نهاية بلوغهم وموضع بلوغهم والحاصل لهم وتم حكمهم بقوله تعالى (من العلم) أي غايتهم
من العلم أنهم آثروا الدنيا على الآخرة والجملة اعتراض مقرر لقصورهم على الدنيا وقوله
تعالى (إن ربك) أي المحسن اليك بالرسالة (هو أعلم) أي عالم (بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن
اهتدى) أي ظاهرا وباطنا تعليل للامر بالاعراض أي انما يعلم الله من يجيب عن لا يجيب
فلا تتبع نفسك في دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان
كالطبيب للقلوب فأتى على ترتيب الاطباء في أن المرض اذا أمكن اصلاحه بالغذاء
لا يستعملون الدواء وما أمكن اصلاحه بالدواء الضعيف لا يستعملون الدواء القوي ثم اذا
عجزوا عن المداواة بالمشروبات وغيرها عدلوا الى الحديد والكي كما قيل آخر الدواء الكي فالنبي
صلى الله عليه وسلم أولا أمر القلوب بذكر الله تعالى فقط فان بذكر الله تطمئن القلوب كما أن بالغذاء
تطمئن النفوس والذكر غذاء القلوب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أولا قولوا لا اله الا الله
أمر بالذكر فانتفع مثل أبي بكر ومن لم ينتفع ذكر لهم الدليل وقال أولم تفكروا قل انظروا
أفلا ينظرون الى غير ذلك فلما لم ينتفعوا أتى بالوعيد والتهديد فلما لم ينتفعهم قال أعرض عن
المعالجة واقطع الفاسد لتلا فسد الصالح (فان قيل) ان الله تعالى بين أن غايتهم ذلك في العلم
ولا يكلف الله تعالى نفسا الا وسعها والجنون الذي لا علم له أو الصبي الذي لا يؤمر بما فوق
احقاله فكيف يعاقبهم الله تعالى (أجيب) بأنه ذكر قبل ذلك أنهم تولوا عن ذكر الله فكان
عدم علمهم لعدم قبولهم العلم وانما قدر الله تعالى توليهم ليضاف الجهل الى ذلك فيحقق العقاب
(ولله) أي الملك الاعظم وحده (ما في السموات وما في الارض) أي من الذوات والمعاني فيشمل
ذلك السموات والارض معترض بين الآية الاولى وبين قوله تعالى (ليجزى الذين أساءوا) أي
بالضلال (بما عملوا) أي بسببه أو بجنسه اما بواسطتك بسيوفك وبسيوف اتباعك اذ أنت لكم

في القتال وما يغيب ذلك بالموت حتف الانف تضرب الملائكة وجوههم وأديارهم ثم يعذاب
الآنرة على جميع ذنوبهم من غير أن يكون يحمل لهم في الدنيا شيء ينقص بسببه عذاب الآنرة
* (تنبيه) * اللام في ليجزى يجوز أن تتعلق بقوله تعالى بن ضل وعن اهتدى واللام للصيرورة
أي عاقبة أمرهم جميعاً للجزاء بما عملوا قال معناه الرخصى وأن تتعلق بمادل عليه قوله تعالى
أعلم بن ضل أي حفظ ذلك ليجزى قاله أبو البقاء (ويجزى) أي وينيب ويكرم (الذين أحسنوا)
أي على ثباتهم على الدين ومبرهم عليه وعلى أذى أعدائهم (بالحسنى) أي بالثبوت بالحسنى وهي
الجنة وبين المحسنين بقوله تعالى (الذين يجتنبون) أي يكلفون أنفسهم ويجهدونهم على أن
يتروا (كأثر الان) أي ما عظم الشارع انهم بعد تحريمه بالوعيد والحد وقراءة آية الكساف
يكسر الباء الموحدة وبعدها ياء ساكنة والباقيون بفتح الموحدة وبعدها ألف وبعدها ألف همزة
مكسورة وعطف على كآثر قوله تعالى (والفواحش) والفاحشة من الكآثر ما كرهه الطبع
وانكره العقل واستخف به الشرع والكبيرة صفة عائدة إلى الكيفية وقوله تعالى (الا اللهم) فيه
أوجه أحدها وهو المشهور أنه استثناء منقطع أي لكن اللهم لأنه الصغار فلم تدرج فيما قبلها
ثانيها أنه صفة والاعمى غير كقوله تعالى لو كان فيهم ما آلهة الا الله لفسادنا أي كآثر الان
والفواحش غير اللهم ثانيها أنه متصل وهذا عند من يفسر اللهم بغير الصغار قالوا ان اللهم من
الكآثر والفواحش قالوا ان معنى الآية الا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب ويقع الواقعة ثم ينتهي
وهو قول أبي هريرة ومجاهد والحسن ورواه عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال عبد الله
ابن عمرو بن العاص اللهم ما دون الشر لا قال السدي قال أبو صالح سئلت عن قول الله عز وجل
الا اللهم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت ذلك لابن عباس رضى الله تعالى عنهما
فقال لقد اعانك عليها ملك كريم وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما أنه قال ما رأيت
شيئاً أشبه باللهم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل كتب على
ابن آدم حظاً من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان التلطق والنفس تنهى
وتشهى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه ولمسلم كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا يدرك ذلك لا محالة
العينان زناهما النظر والأذان زناهما الاستماع واللسان زناه التلطق واليد زناها البطش
والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتقى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه * (تنبيه) * ذهب
الجاهل من السلب والخلف من جميع الطوائف إلى انقسام المعاصي إلى كآثر وصغار وقد
تظاهرت على ذلك دلائل الكتاب والسنة وقد اختلف في ضبط الكبيرة بالحد فقال جمع هي
ما لحق صاحبها وعيد شديد بنص كتاب أو سنة وقال جمع هي المعصية الموجبة للحد والاول أوجه
لانهم عدوا الربا وكل مال النيم وشهادة الزور ونحوها من الكآثر ولا حد فيها وقال امام
الحرمين هي كل جرعة تؤذي عقله أكثر من تركها بالدين وأما تعريضها بالحد فقال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما هي إلى السبعين أقرب وقال سعيد بن جبيرة هي إلى السبع مائة أقرب أي
باعتبار أصناف أنواعها وما عدا الحد ومن المعاصي فن الصغار ولا بأس بذكر شيء من النوعين

فمن الأول تقديم الصلاة أو تأخيرها عن وقتها بلا عذر ومنع الزكاة وترك الأمر بالمعروف
 والنهي عن المنكر مع القدرة ونسيان القرآن والبأس من رحمة الله تعالى وأمن مكر الله
 تعالى وقتل النفس عداً أو شبهة عداً والفرار من الزحف وأكل الربا وأكل مال اليتيم
 والافتطار في رمضان من غير عذر وعقوق الوالدين والزنا واللواط وشهادة الزور وشرب
 الخمر وإن قل والسرقة والغصب وقبض جماعة بما يبلغ ربع مثقال كما يقطع به في السرقة
 وكتمان الشهادة بلا عذر وضرب المسلم بغير حق وقطع الرحم والكذب على رسول الله صلى
 الله عليه وسلم عداً وسب العصاة وأخذ الرشوة والسحر والنيمة وأما الغيبة فإن كانت في أهل
 العلم وحلة القرآن فهي كبيرة والافصغيرة ومن الصغائر النظر المحرم وكذب لأحد فيه
 ولا ضرر والاشراف على سواك الناس وهجر المسلم فوق ثلاث والضحك في الصلاة المفروضة
 والنيابة وشق الجيب في المصيبة والتجتر في المشي والجلوس بين الفساق أينما سألهم وإدخال
 مجانين وصبيان ونجاسة يغلب تضييعهم المسجد واستعمال نجاسة في بدن أو ثوب لغير حاجة
 والأصرار على صغيرة من نوع أو أنواع يصيرها كبيرة إلا أن تغلب طاعاته معاصيه
 كما أوضحت ذلك في شرح المنهاج وغيره (إن بك) أي المحسن اليك بأوصالك رحمة للعالمين
 والتضيق عن أمتك (واسع المغفرة) يغفر الصغائر باجتناب الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة
 وله أن يغفر ما شاء من الذنوب ما عدا الشرط صغيرها وكبيرها كما قال تعالى إن الله لا يغفر أن
 يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء بخلاف غيره من الملوك فإنه لا يغفر لمن تكررت ذنوبه اليوم
 وإن صغرت قال البيضاوي ولعله عقب به وعيد المسيئين ثلاثاً بأس صاحب الكبيرة من رحمة
 ولايتوهم وجوب العقاب على الله تعالى اهـ ونزل فيمن كان يقول صلاتنا صيامنا حجنا (هو أعلم
 بكم) أي بذواتكم وأحوالكم منكم بأنفسكم (اذ) أي حين (أنشأكم من الأرض) أي التي
 طبعها طبع الموت البرد واليبس بإنشاء أيكم آدم عليه السلام منها وتهميتكم للتسكين بعد أن لم
 يكن فيكم وأنتم تراب قابلية للحياة بقوة قريية ولا بعيدة أصلاً فيز التراب الذي يصلح أن تكون فيكم
 منه والذي لا يصلح (واذ) أي وحين (أنتم أجنة) أي مستوردون (في بطون أمهاتكم) فهو يعلم
 اذ أنتم صائرون إليه من خير وشر وان علمتم مدة من العمر بخلافه لأنه يعلم ما جبلكم عليه
 من ذلك وقرأ حمزة والكسائي في الوصل بكسر الهمزة والباقون بضمها وكسر حمزة الميم وقصها
 الباقون وأما في الابتداء بالهمزة فالجميع بضمها (فلان كوا) أي تعد حوا بالزكاة وهي البركة
 والطهارة عن الدناءة (أنفسكم) أي حقيقة بأن يثني الإنسان على نفسه فإن تزكيت نفسه قال
 التشبهي من علامات كونه محجوباً عن الله تعالى أي من مدح نفسه على سبيل الإعجاب أما على
 سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن أو مجازاً بأن يثني على غيره من أخوانه وأنه كثيراً ما يثني بشئ
 فيظهر خلافه وربما حصل له الذي يسببه وإن العبد لي عمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه
 وبينها إلا باع أو ذراع الحديث ولذلك جلي بقوله تعالى (هو أعلم) أي منكم ومن جميع الخلق
 (بمن أنق) أي فإنه يعلم المتق وغيره منكم قبل أن يخرجكم من صلب أيكم آدم عليه السلام فمن

بجاهد نفسه حتى حصل منه تقوى فهو يوصله فوق ما يؤمل من الثواب في الدارين فكيف عين
صارت له التقوى وصفا ثابتا ولما بين جهل المشركين في عبادة الاصنام ذكر واحد منهم يسوع
فعمله فقال تعالى (أفرايت الذي نولي) أي عن اتباع الحق والنيات عليه قال مجاهد وأبو زيد
ومقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبي صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض
المشركين وقال له تركت دين الأشياخ وضللتهم فقال اني خشيت عذاب الله تعالى فضمن الذي
عابته ان هو أعطاه كذا من ماله ورجع الى شركه أن يحصل عنه عذاب الله فرجع الوليد الى
الشرك وأعطى الذي عيره بعض ذلك الذي ضمن ومنعه تمامه فانزل الله تعالى أفرايت الذي
نولي أي أدبر عن الايمان (وأعطى قليلا) أي من المال المسمى (وأكدى) أي منع الباقي
ما خوذ من الكدية أرض صلبة كالصخرة تمنع حافر البئر اذا وصل اليها من الحفر فأكدى أصله
من أكدى الحافر اذا حفر شيئا فصادف كدية منعه من الحفر ومثله أجبل اذا صادف جبلا
منعه من الحفر وكديت أصابعه كات من الحفر ثم استعمل في كل من طلب شيئا فلم يصل اليه أولم
يتممه ولمن طلب شيئا ولم يبلغ آخره قال الخطيب

وأعطى قليلا ثم أكدى عطاه * ومن يفعل المعروف في الناس محمد

وقال السدي نزلت في العاصي بن وائل السهمي وذلك انه رعى وافق النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض الامور وقال محمد بن كعب القرظي نزلت في أبي جهل وذلك انه قال والله ما يامرنا
تجدد الاجرام الا اخلاق فذلك قوله تعالى وأعطى قليلا وأأكدى أي لم يؤمن به ومعنى أكدى
قطع وروى ان عثمان رضي الله تعالى عنه كان يعطى ماله في الخير فقال عبد الله بن سعد بن أبي
سرح وهو أخوه من الرضاعة يوشك أن لا يبقى لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا وخطايا واني
أطلب بما أصنع رضا الله تعالى وأرجو عفو فقال عبد الله أعطني ناقتك برحائها وأنا أتحمّل
عنك ذنوبك فأعطاه وأشهد عليه وأمسك عن العطاء فنزلت وقوله تعالى (أعنده علم
الغيب) أي ما غاب هو المفعول الثاني رأيت بمعنى أخبرني والمفعول الاول محذوف اقتصارا
لاعطى (فهو) أي فتسبب عن ذلك أنه (يرى) أي يعلم ان صاحبه يحصل عنه ذنوبه (أم) أي
بل (لم ينبا) أي يخبر اخبارا عظيمة متتابعة (بما في صحف موسى) أي التوراة المنسوبة اليه
بأنزالها عليه وكذا ما تبعها من أسفار الانبياء الذين جاؤا بعده بتقريرها وقدم صحف موسى
عليه السلام على قوله (وابراهيم) أي وصحفه لان كتاب موسى عليه السلام أعظم كتاب بعده
القرآن مع انه موجود بين الناس تمكن مراجعته ثم مدح ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى
(الذي وفى) أي أتم ما أمر به من ذلك تبليغ الرسالة واستقلاله باعباء النبوة وقيامه بأضافه
وخدمتهم اياه بنفسه وانه كان يخرج كل يوم فيمشي فرضاير ناديه خافان وافقه اكرمه
والانوى الصوم وعن الحسن ما أمره الله تعالى بشئ الا وفى به وصبر على ما امتن به وما قلق
شيئا من قلق وصبر على حذبح الولد وعلى حر النار ولم يستعن بمخلوق بل قال لجبريل عليه
السلام لما قال له ألك حاجة قال أما اليك فلا وقال الغمالي وفى المناسك وروى عن النبي

صلى الله عليه وسلم انه قال ابراهيم الذي وفي أربع ركعات من أول النهار وهي صلاة الضحى
 وروى الاخيركم لم يسمي الله خليفه الذي وفي كان يقول اذا أصبح وأمسى فسبحان الله حين
 تمسون وحين تصبسون الى تطهرون وقيل وفي سهام الاسلام وهي ثلاثون عشرة في التوبة
 الثابتون وعشرة في الاحزاب ان المسلمين وعشرة في المؤمنون قد أفلم المؤمنون وخص هذين
 النبيين لان الموعودين من بني اسرائيل اليهود والنصارى يدعون متابعه موسى عليه السلام
 ومن العرب يدعون متابعه ابراهيم عليه السلام ومن عداهم لا متسلك لهم ولا سلف في نبوة
 محقة ولا شريعة محفوظة وقرأ هشام بن غنم الهام وألف بعدها والباقيون بكسر الهاء ويا بعدها
 ثم فسر تعالى الذي في الصحف واستأنف بقوله تعالى (أن لا تزور) أي تأثم وتحمل (واحدة) أي
 نفس بلغت مبلغا تكون فيه حامله لوزر (وزر أخرى) أي حملها الثقيل من الاثم وفي هذا ابطال
 قول من ضمن للوليد بن المغيرة أن يحمل عنه الاثم وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما
 قال كانوا قبل ابراهيم عليه السلام يأخذون الرجل بذنب غيره وكان الرجل يقتل بقتل أبيه
 وابنه وأخيه وعمه وخاله وأمرأته والعبد ببيده حتى جاءهم ابراهيم عليه السلام فنهاهم عن
 ذلك وبلغهم عن الله عز وجل أن لا تزوروا زورا أخرى ولما نفي أن يضرمه اثم غيره نفي أن ينفعه
 سعي غيره بقوله تعالى (وأن ليس للانسان) كأننا من كان (الاماسي) فلا بد أن يعلم الحق في أي
 جهة فيسعي فيه ودعاء المؤمنين للمؤمن من سعيه بوادته ولو عوافقته لهم في الدين فقط وكذا
 الحج عنه والصدقة ونحوها وأما الولد فواضح في ذلك وأما ما كان بسبب العلم والصدقة
 ونحوها فكذلك وتخصية النبي صلى الله عليه وسلم عن أمته أصل كبير في ذلك فان من تبعه
 فقد واده وهو أصل في التصديق عن الغير واهداؤه من الثواب في القراءة ونحوها اليه وقال
 ابن عباس رضي الله عنهما عدا ما منسوخ الحكم في هذه الشريعة أي وانما هو في صحف موسى
 وابراهيم عليهما السلام بقوله ألحقنا بهم ذرياتهم فأدخل الابناء الجنة بصلاح الآباء وقال
 عكرمة ان ذلك لقوم موسى وابراهيم عليهما السلام وأما هذه الامة فلمهم ماسعوا وما سعى لهم
 غيرهم لما يروى ان امرأة رفعت صيدا لها فقالت يا رسول الله ألهذا حج فقال نعم ولك أجر وقال
 رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ان أمي انسلت نفسها فهل لها أجر ان تصدقت عنها قال نعم قال
 الشيخ تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية من اعتقد ان الانسان لا ينتفع الا بعمله فقد خرق
 الاجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة أحدها ان الانسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل
 الغير ثانيا ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشفع لاهل الموقف في الحساب ثم لاهل الجنة
 في دخولها ثم لاهل الكبار في الخروج من النار وهذا انتفاع بعمل الغير ثالثا ان كل
 نبي وصالح له شفاعته وذلك انتفاع بعمل الغير رابعا ان الملائكة يدعون ويستغفرون لمن
 في الارض وذلك منفعة بعمل الغير خامسا ان الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط
 بخير رحته وهذا انتفاع بغير عملهم سادسا ان اولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آباءهم
 وذلك انتفاع بعمل الغير سابعها قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين وكان أبوهما صالحا

فانفعابصلاح أيهما ما وليس هو من محيما ثامنها ان الميت يتنفع بالصدقة عنه وبالعقوب بنص
السنة والاجماع وهو من عمل الغير تاسعها ان الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص
السنة وهو انتفاع بعمل الغير عاشرها ان الحج المذورا والصوم المذور يسقط عن الميت بعمل
غيره بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير حادي عشرها ان المدين الذي امتنع صلى الله عليه وسلم
من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة وقضى دين الاسخري على ابن أبي طالب وانتفع بصلاة
النبي صلى الله عليه وسلم وبردت جلده بقضاء دينه وهو من عمل الغير ثاني عشرها ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لمن صلى وحده الا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه فقد حصل له فضل
الجماعة بفعل الغير ثالث عشرها ان الانسان تبرأ ذمته من ديون الخلق اذا قضاها قاض عنه
وذلك انتفاع بعمل الغير رابع عشرها ان من عليه تبعات ومظالم اذا حل منها سقطت عنه
وهذا انتفاع بعمل الغير خامس عشرها ان الجار الصالح يتنفع في الحيا والميت كما جاء في الاثر
وهذا انتفاع بعمل الغير سادس عشرها ان جليس أهل الذكر يرحمهم وهو لم يكن منهم ولم
يجلس لذلك بل الحاجة عرضت له والاعمال بالنيات فقد انتفع بعمل غيره سابع عشرها الصلاة
على الميت والدعاء له في الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحي عليه وهو عمل غيره ثامن عشرها ان
الجمعة تحصل باجتماع العدد وكذلك الجماعة بكثرة العدد وهو انتفاع للبعث بالبعث تاسع
عشرها ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وقال تعالى
ولو لرجال مؤمنون ونساء مؤمنات ولو لادفع الله الناس بعضهم ببعض فقد دفع الله تعالى
العذاب عن بعض الناس بسبب بعض وذلك انتفاع بعمل الغير عشروها ان صدقة الفطر تجب
عن الصغير وغيره عن يمينه الرجل فينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعي لهما حادي عشرها ان
الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون ويثاب على ذلك ولا سعي له ومن تأمل العلم وجد من انتفاع
الانسان بما لم يعمل له ما لا يكاد يحصى فكيف يجوز أن تتأول الآية على خلاف صريح الكتاب
والسنة واجماع الامة والمراد بالانسان العموم وقال الربيع بن أنس ليس للانسان يعنى
الكافر وأما المؤمن فله ماسعى وما سعى له وقيل ليس للكافر من الخير الا ما عمل عليه يثاب عليه في الدنيا
حتى لا يبقى له في الآخرة خير وروى ان عبدا لله بن أبي كان أعطى العباس قميصا ألبسه اياه فلما
مات أرسل النبي صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم يبق له حسنة في الآخرة يثاب عليها
(وان سعيه) أى من خير وشر (سوف يرى) أى في ميزانه من غير شك يوم القيامة بوعده لا خلف فيه
وان طال المدى من أريته الشئ اى يعرض عليه ويكشف له (فان قيل) العمل كيف يرى بعد
وجوده ومضيه (أجيب) بأنه يرى على صورة جميلة ان كان العمل صالحا قال الرازى وذلك
على مذهبهنا غير بعيد فان كل موجود يرى والله تعالى قادر على اعادة كل ماعدم فيعيد الفعل
فيرى وفيه بشارة للموحد وذلك ان الله تعالى يريه أعماله الصالحة ليفرح بها ويحزن الكافر
بأعماله الفاسدة فيزداد غما (ثم يجزاء) أى السعى (الجزء الاوفا) أى الاتم الاكل والمعنى
ان الانسان يجزى جزاءا صاعيا بالجزاء الاوفا يقال جزيت فلانا صاعيا وبمسعيه قال الرازى

الجزء الاو في يليق بالمؤمنين الصالحين لان جزاء الطالح وافر قال تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا وذلك ان جهنم ضررها أكثر من نفع الاثم فهي في نفسها أوفر (وان الى ربك) أي المحسن اليك لا الى غيره (المنتهى) أي الانتهاء برجوع الخلائق ومصيرهم اليه فيجازيهم بأعمالهم وقيل منه ابتداء المنة واليه انتم الامل وروى أبو هريرة مرفوعا تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فان الله تعالى لا يحيط به الفكر وفي رواية لا تفكروا في الله فانكم ان تقدروا قدره قال القرطبي ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول له من خلق ربك فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله تعالى ولقد أحسن من قال

ولا تفكرن في ذي العلاء عز وجهه * فانك تردى ان فعلت وتخذل

ودونك مخلوقاته فاعتبر بها * وقل مثل ما قال الخليل المجل

وقيل المراد من الآية التوحيد وفي الخطاب وجهان أحدهما انه عام تقديره الى ربك أيها السامع أو العاقل والثاني انه خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الاول يكون تهديدا وعلى الثاني يكون تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الاول تكون اللام في المنتهى للعهد المعهود في القرآن وعلى الثاني تكون للعموم أي الى ربك كل منتهى وقوله تعالى (وانه هو) أي لا غيره (أضحك وأبكى) يدل على ان كل ما يعمل له الانسان فبفضاء الله تعالى وخلقته حتى الضحك والبكاء وروى انه صلى الله عليه وسلم مر على قوم من أصحابه وهم يضحكون فقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله يقول لك وانه هو أضحك وأبكى أي قضى أسباب ما فرجع اليهم صلى الله عليه وسلم فقال ما خطوت أربعين خطوة حتى أتاني جبريل فقال انت هؤلاء قتل لهم الله تعالى يقول هو أضحك وأبكى أي قضى أسباب الضحك والبكاء وقال بسام بن عبد الله أضحك اسنانهم وأبكى قلوبهم وأنشد يقول

السن تضحك والاحشاء تحترق * وانما ضحكها زور ومختلق

يارب بالك بعين لادموع لها * ورب ضاحك سن ما به رموق

وقال مجاهد والكافي أضحك أهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في النار وقال الضحك أضحك الارض بالتبات وأبكى السماء بالمطر وقال عطاء بن أبي مسلم يعني أفرح وأحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء وقيل ان الله تعالى خص الانسان بالضحك والبكاء من سائر الحيوان وقيل القرد وحده يضحك ولا يبكي وان الابل وحدها تبكي ولا تضحك وقال يونس بن الحسين سئل طاهر المسمى اضحك الملائكة فقال ما ضحكوا ولا كل من دون العرش منذ خلقت جهنم وعن عائشة قالت لا والله ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ان الميت يعذب ببكاء أحد وليكنه قال ان الكافر يزide الله بكاء أهله عذابا وان الله تعالى هو أضحك وأبكى * (تنبيه) * قوله تعالى وانه هو أضحك وأبكى وما بعده يسعني البيانون الطباق المتضادة

وهو نوع من البديع وهو أن يذكركم ضدان أو نقيضان أو متناقضان بوجه من الوجوه وأضحك وأبكى لا مفعول لهما في هذا الموضع لانهما سيقا لقدرة الله تعالى لا لبيان المقدور فلا حاجة الى المفعول كقول القائل فلان يده الاخذ والعطاء يعطى ويمنع ولا يريد ممنوعا ومعطى واختار هذين الموضعين المذكورين لانهما أمران لا يعملان فلا يقدر أحد من الطبائع على لا اختصاص الانسان بالضحك والبكاء وجهها ولا سببا واذالم يعمل بأمر فلا بد له من موجد وهو الله تعالى بخلاف النحلة والسقم فانهم يقولون سببهما اختلال المزاج وخروجهم عن الاعتدال ومما يدل على ذلك انهم اذا علوا الضحك قالوا القوة التعجب وهو باطل لان الانسان ربما بهت عند رؤية الامور العجيبة ولا يضحك وقيل لقوة الفرح وليس كذلك لان الانسان قد يبكى لقوة الفرح كما قال بعضهم

هجم السرور على حتى انه * من عظم ما قدسني أبكاني

(وانه هو) أى لا غيره (أمات وأحيى) وان رأيت أسبابا ظاهرة فانها لا عبرة بهما في نفس الامر بل هو الذى خلقها أى أمات في الدنيا وأحيى في البعث وقال الفرطى قضى أسباب الموت والحياة وقيل أمات الآباء وأحيى الأبناء وقيل أمات الكافر بالكفر وأحيى المؤمن بالايمان (وانه خلق الزوجين) ثم فسرها بقوله تعالى (الذكر والانثى) فانه لو كان ذلك في يد غيره لمنع البنات لانها مكروهة لغالب الناس وقوله تعالى (من نطفة اذا نثى) أى تصب يشمل سائر الحيوانات لان ذلك مختص بآدم وحواء عليهم السلام لانهما ما خلقا من نطفة وهذا أيضا تنبيه على كمال القدرة لان النطفة جسم متناسب الاجزاء ويخلق الله تعالى منها أعضاء مختلفة وطبعا متباينة وخلق الذكر والانثى منها أعجب ما يكون ولهذا لم يقدر أحد على أن يدعى خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله (فان قيل) ما الحكمة في قوله تعالى وانه خلق ولم يقل وانه هو خلق كما قال تعالى وانه هو أضحك وأبكى (أجيب) بأن الضحك والبكاء ربما يتوهم أنهما يفعل الانسان والامانة والاحياء وان كان ذلك التوهم أبعد فهمه لكن ربما يقول به جاهل كما قال من حاج ابراهيم عليه السلام انا أحيى وأميت فأكد ذلك بالفصل وأما خلق الذكر والانثى من النطفة فلا يتوهم احد أنه بخلق احد من الناس فلم يؤكّد بالنصل ألا ترى الى قوله تعالى وانه هو أغنى وأقنى حيث كان الاغناء عندهم غير مستند الى الله تعالى وكان في معتقدهم ان ذلك بفعلهم كما قال قارون انما أوتيته على علم عندي ولذلك قال هورب الشعرى فأكد في مواضع استبعادهم الى الاستناد ولم يؤكّد في غيره (وان عليه) أى خاصه علماء وقدرة (النشأة) أى الحياة (الآخري) للبعث يوم القيامة بعد الحياة الاولى (فان قيل) الاعادة لا تجب على الله تعالى فلمعنى عليه (أجيب) بأنه عليه بحكم الوعد فانه قال انما نحن نحيى الموتى فعليه بحكم الوعد لا بالعقل ولا بالشرع وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الشين وبعدها ألف حمودة قبل الهمزة والباقون بسكون الشين وبعدها الهمزة المفتوحة واذا وقف حمزة قبل حركة

الهمزة الى الشين (وانه هو) أى وحده من غير نظر الى سعى ساع ولا غيره (أغنى) قال أبو
 صالح أغنى الناس بالاموال (وأقنى) أعطى القنية وأصول الاموال وما يدخرونه بعد
 الكفاية وقال الضحاك أغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال وأقنى بالابل والبقر والغنم
 وقال الحسن وقتادة اخدم وقال ابن عباس أغنى وأقنى أعطى فارضى وقال مجاهد ومقاتل
 أغنى أرضى بما أعطى وقنع قال الراغب وتحقيقه انه جعل له قنية من الرضا وقال سليمان
 التيمي أغنى نفسه وأفقر خلقه اليه وقال ابن زيد أغنى أكثر وأقنى أقل وقرأ ييسط الرزق لمن
 يشاء ويقدر وقال الاخفش أقنى أفقر وقال ابن كيسان أولاد وقال الرخخسرى أقنى أعطى
 القنية وهى المال الذى تأثله وعزمت على أن لا يخرج من يدك * (تنبيه) * حذف مفعولا
 أغنى وأقنى لان المراد نسبة هذين الفعلين اليه وكذلك باقيةا وألف أقنى منقلبة عن ياء لانه من
 القنية قال الشاعر * الا ان بعد العدم للمرة قنية * ويقال قنيت كذا وأقنيته قال الشاعر
 * قنيت حياى عفة وتكرما * (وانه هو) أى لا غيره (رب الشعرى) أى رب معبودهم
 وكانت خزاعة تعبد الشعرى وأول من سق ذلك رجل من اشرافهم يقال له أبو كبشة عبدها
 وقال لان النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى تقطعها طولا فهى مخالفة لها فعبدوها وعبدها
 خزاعة وحير وأبو كبشة أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل أتهاته وبذلك كان
 مشركا وقرئ يسمون النبي صلى الله عليه وسلم بابن أبي كبشة حين دعا الى الله تعالى وخالف
 أديانهم تشبيها بذلك الرجل فى أنه أحدث دينا غير دينهم والشعرى فى لسان العرب كوكبان تسمى
 أحدهما الشعرى العبور وهى المرادة فى الآية الكريمة وهى تطالع بعد الجوزاء فى شدة الحر
 ويقال لها مزم الجوزاء وتسمى كلب الجبار أيضا وتسمى الشعرى اليمانية والثانية الشعرى
 الغميصاء وهى التى فى الذراع والجمرة بينهما وتسمى الشامية وسبب تسميتها بالغميصاء على ما رآه
 العرب انهما كانا أختين أو زوجتين لسهيل فأتى بهما وسهيل الى اليمن فأتبعته الشعرى العبور
 فعبرت الجمرة فسميت العبور وأقامت الغميصاء تبكى حتى غمست عينها ولذلك كانت أختى من
 العبور وكان من لا يعبد الشعرى من العرب يعظمها ويعتقد تأثيرها فى العالم (وأنه أهلك
 عاد الأولى) وهم قوم هود عليه السلام هلكوا برح صرصر والآخرى قوم صالح وقيل
 الآخرى ارم وقيل الأولى أول الخلق هلاكا بعد قوم نوح وقرأ نافع وأبو عمرو بتشديد
 اللام بعد الدال المفتوحة نقلا وهمز قالون الواو بعد اللام همزة ساكنة والباقيون بتنوين
 الدال وكسر التنوين وسكون اللام وبعدها همزة مضمومة فاذا قرأ القارئ عاد الأولى لقالون
 وأبي عمرو فله فى الوصل أى وصل عاد بالاولى وجه واحد وهو النقل المذكور وقالون على أصله
 بالهمزة كما ذكر فاذا وقف على عادا وابتدأ بلولى فله الابتداء بهمزة الوصل وهو
 الأولى وله أيضا الابتداء بهمز الوصل وهو لولى وقالون بهمز الواو فى الوجهين الأولين
 ولم يمز فى الوجه الثالث الذى هو الاصل ووافقهما ما ورث فى الوجه المذكور فى الوصل

والابتداء لافي الوجه الثالث الذي هو الاصل فانه ليس من مذهبه الا النقل (ونمودا)
 وهم قوم صالح اهلكهم الله تعالى بصيحة (فأبقى) منهم أحدا. وقرأ عاصم وحزرة بغير تنوين
 للذال في الوصل وسكون الدال في الوقف والباقون بالتنوين في الوصل والوقف على
 الالف (وقوم نوح) أى اهلكهم لاجل ظلمهم بالكذب (من قبل) أى قبل الفريقين
 (انهم) أى قوم نوح (كانوا) أى بمالهم من الاخلاق التي هي كالجبلات التي لا انفكالك عنها
 (هم) أى خاصة (أظلم) أى من الطائفتين المذكورتين (وأطغى) أى وأشد تجاوزا في الظلم
 وعلوا واسرافا في المعاصي وتجبرا وعموا لتنادى دعوة نوح عليه السلام قريبا من ألف سنة
 ولانهم أطول أعمارا وأشد أبدانا وكانوا مع ذلك ملء الارض روى ان الرجل منهم كان يأخذ
 بيد ابنه فينطلق به الى نوح عليه السلام فيقول احذر هذا فانه كذاب وان أبي قد مشى بي الى
 هذا وقال لي ما قلت لك فيموت الكبير على الكفر وينشأ الصغير على وصية ابيه ولهذا قال
 نوح عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا
 يلدوا الا فاجرا كفارا وقوله تعالى (والموتفة) منصوب بقوله تعالى (أهوى) وقدم لاجل
 القواصل والمراد بالموتفة قري قوم لوط رفعها الى عنان السماء على جناح جبريل عليه السلام
 ثم أهواها الى الارض أى أسقطها وأتبعها بجحارة النار الكبرى وهوة نوح عليه السلام (فغشاها)
 أى أتبعها ما غطاها فكان لها بمنزلة الغشاء وهوة بقوله تعالى (ماغشى) أى أمر أعظيما
 من الجحارة المنضودة المسومة وغيرها مما لا تنسع العقول وصفه (فبأى آلاء) أى أنعم (ربك)
 أى المحسن اليك (تتمارى) أى تشك أيها الانسان وقيل أراد الوليد بن المغيرة وقال ابن
 عباس تتمارى أى تكذب وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أى تشك في اجالة الخواطر
 في فكرك في ارادة هداية جميع قومك بحيث لا تريد ان أحد امنهم بك وقد حكم ربك باهلاك
 كثير منهم لما اقتضته حكمته فكان بعض خواطره في تلك الاجالة يشكك ببعضها بهضا (هذا)
 أى النبي صلى الله عليه وسلم (نذير) أى محذو بليغ التحذير (من النذرا الاولى) أى من
 جنسهم أى رسول كالرسل قبله أرسل اليكم كما أرسلوا الى أقوامهم وقال تعالى الاولى على
 تأويل الجماعة أو هذا القرآن نذير من النذرا الاولى أى انذار من جنس الانذارات الاولى
 التي أنذروهم من قبلكم (ازقت الازقة) أى قربت الموصوفة بالقرب في قوله تعالى اقتربت
 الساعة وهو يوم القيامة (ليس لها من دون الله) أى من أدنى رتبة من رتبة الملك المحيط بكل
 شئ قدرة وعلم وقوله تعالى (كاشفة) يجوز أن يكون وصفا وأن يكون مصدرا فان كان وصفا
 احتمل أن يكون التأنيث لاجل انه وصف لمؤنث محذوف تقديره نفس كاشفة أو حال كاشفة
 أى مبينة متى تقوم كقوله تعالى لا يجليها الوقتها الا هو وأليس لها نفس كاشفة أى قادرة على
 كشفها اذا وقعت الا الله تعالى غير أنه تعالى لا يكشفها وأليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير
 وان كانت مصدرا فهي بمعنى الكشف كالعافية والمعنى ليس لها من دون الله كشف أى
 لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره (أغن هذا الحديث) قال أكثر المفسرين المراد بالحديث القرآن

العظيم الذي يأتي على سبيل التجديد بحسب الوقائع والحاجات (تعجبون) انكارا وهو في غاية ما يكون من تزييق القلوب وقرأ أبو عمرو بادغام المثلثة في التاء المثناة بخلاف عنه (وتضحكون) أي استهزاء من هذا الحديث وتجددون ذلك في كل وقت (ولا تكون) أي كما هو حق من يسمعه لمافيه من الوعد والوعيد وغير ذلك وقال الرازي يحتمل أن يكون ذلك إشارة الى حديث ازفت الآزفة فانهم كانوا يتعجبون من حشر الاجساد والعظام البالية وقوله تعالى (وأنتم سامدون) جملة من تأتفة أخبر الله تعالى عنهم بذلك ويحتمل أن تكون حالا أي اتنى عنكم البكاء في حال كونكم سامدين واختلاف في معنى السمود فقيل هو الاعراض والغفلة عن الشيء أي وأنتم معرضون غافلون عما يطلب منكم وقيل هو اللهو يقال دع عنا سمودك أي لهولك قاله الوالي والعوفي عن ابن عباس وقال الشاعر

الأيها الانسان انك سامد * كأنك لاتفنى ولا انت هالك

فهذا بمعنى لاه لا عب وقيل هو الجود وقيل هو الاستبكار قال الشاعر

وحى الحدثنان نسوة آل سعد * بمقدار سمودن له سمودا

فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

فهذا بمعنى الجود والخشوع وقال عكرمة وأبو عبيدة السمود الغناء بلفظة جبر يقولون يا جارية احمدي لنا أي غني فمكناوا اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا وقال مجاهد اشرون وقال الضحاك غضاب يتبرطمون وقال الراغب السامد اللاهي الرافع رأسه من قواهم بعير سامد في سيره وقال الحسن السامد الواقف للصلاة قبل وقوف الامام لما روى أنه صلى الله عليه وسلم خرج والناس ينتظرونه قياما فقال مالي أراكم سامدين وتسجدوا لارض ان يجعل فيها السجاد وهو سرجين ورماد وقوله تعالى (فاسجدوا) أي اخضعوا خضوعا كثيرا بالسجود (لله) أي الملك الاعظم يحتمل أن يكون المراد به سجود التلاوة وأن يكون المراد به سجود الصلاة (واعبدوا) أي اشتغلوا بكل أنواع العبادة ولم يقل واعبدوا لله أما لكونه معلوما من قوله تعالى فاسجدوا لله وأمالا ان العبادة في الحقيقة لا تكون الا لله وبقوى الاحتمال الاول ما روى عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد في النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والاناس وعن عبد الله بن مسعود قال أول سورة أنزلت فيها سجدة النجم قال فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه الارجل شيخان قريش أخذ كفا من حصا أو تراب فرفعه الى جبهته وقال يكفيني هذا قال عبد الله فلقد رأيته بعد ذلك قتل كافرا وهو أمية بن خلف كما في بعض الروايات وروى زيد بن ثابت قال قرأت على النبي صلى الله عليه وسلم والنجم فلم يسجد فيها وهذا يدل على أن سجود التلاوة غير واجب قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الله تعالى لم يكتبها علينا الا أن نشاء وهو قول الشافعي وأحمد رضي الله عنهما ما أي فهي مستحبة وذهب قوم الى وجوبها على القاري والمستمع جميعا وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي وذهب قوم الى انها في المفصل غير مستحبة وما رواه البيضاوي

تبعاً للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والنجم أعطاه الله عشر حسنات
بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وبمحمد به حديث موضوع

﴿سورة القمَر وتسمى اقتربت مكينة﴾

الاسم زم الجمع ويولون الدبر الآيات وهي خمس وخمسون آية وثلاثمائة واثنان
وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون حرفاً

(بسم الله) أي الذي أحاط علمه فتمت قدرته (الرحمن) الذي وسعت رحمته كل شيء فعمت الشئ
والسعيد نعمته (الرحيم) الذي خص باتمام نعمته من اصطفاها فأسعدتهم رحمته (اقتربت
الساعة) دنت القيامة وفي أول هذه السورة مناسبة لآخر ما قبلها وهو قوله تعالى أزفت الآزفة
فكأنه أعاد ذلك مستدلاً عليه بقوله تعالى أزفت الآزفة فهو حق إذا القمر انشق وقوله تعالى
(وانشق القمر) ماض على حقيقته وهو قول المسلمين الامن لا يلتفت الى قوله وقد صبح
في الاخبار ان القمر انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين وعن ابن مسعود قال
انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وروى أنس بن مالك ان أهل مكة سألو رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يريهم آية فأرهم القمر شقين حتى رأوا حرايينهما وقال سنان عن قتادة فأرهم
انشقاق القمر مرتين وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله لم ينشق بمكة وقال مقاتل
انشق القمر ثم التأم بعد ذلك وقيل انشق بمعنى سينشق يوم القيامة وأوقع الماضي موقع
المستقبل وهو خلاف الاجماع وقيل انشق بمعنى انفلق عنه الطلام عند طلوعه كما يسمى الصبح
فلما أُنشِدَ النابغة فلما أدبروا وله - م دوى * دعانا عند شق الصبح داع

وانما ذكرت ذلك تنبيها على ضعفه وروى أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله قال انشق القمر
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن أبي كبشة فسلوا السفار فسألوهم
فقالوا نعم قدرأيناه فأنزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر (وان يروا) أي كفار قريش
(آية) أي معجزة له صلى الله عليه وسلم كأنشق القمر (يعرضوا) عنها (ويقولوا) هذا (سحر
مستمر) أي إذا ذهب سوف يذهب ويطل من قولهم من الشئ واستمر إذا ذهب مثل قولهم
قروا استقر قاله مجاهد وقتادة وقال أبو العالسة والضحاك مستمر أي قوى شديد من قولهم
مر الجبل إذا صلب واشتد وأمرته إذا أحكمت قتله واستمر الشئ إذا قوى واستحكم وقيل مستمر
أي دائم فان محمد صلى الله عليه وسلم كان يأتي كل زمان بمعجز فقالوا هذا سحر مستمر دائم
لا يختلف بالنسبة إلى شيء بخلاف سحر السحرة فان بعضهم يقدر على أمر وأمرين وثلاثة ويحجز
عن غيرها وهو قادر على الكل قاله الزمخشري ومنه قول الشاعر

الا نعلم الدنيا لبال وأعصر * وليس على شيء قديم مستمر

ومن حذيفة انه خطب بالمدينة ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد

نبيكم مستقر دائم مطرد وكل شيء قد انقادت طريقه ودامت حاله قيل فيه قد استقر وقال أبو
 حيان سبب نزولها ان مشركي قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقاً فاشق لنا
 القمر فرفقنا ووعداً بالايمن ان فعل ذلك وقال ليله بدرأى ليله أربعة عشر في الشهر فسأل
 ربه فانشق القمر فقالوا سحر مستقر ولم يؤمنوا (وكذبوا) بكون انشقاقه دالاً على صدق
 الرسول صلى الله عليه وسلم وجرموا بالتكذيب عناداً (واتبعوا) أي بعاجلة فطرتهم الاولى
 المستقيمة في دعائها الى التصديق (أهواءهم) في أنه صلى الله عليه وسلم سحر القمر وأنه خسوف
 في القمر وظهور شئ في جانب آخر من الجوف يشبه نصف القمر وأنه سحر أعيننا وأن القمر لم يصبه
 شئ فهذه أهواءهم قال القشيري اذا حصل اتباع الهوى فن شؤمه يحصل التكذيب لان الله
 تعالى يلبس على قلب صاحبه حتى لا يستبصر والرشد واتباع الرضا مقرون بالتصديق لان الله
 تعالى ببركات الاتباع للحق يفتح عين البصيرة فيأتي بالتصديق (وكل أمر) أي من أموركم من
 الخير والشر (مستقر) أي بأهله في الجنة أو النار وقال قتادة وكل أمر مستقر فالخير مستقر
 بالخير والشر مستقر بالشر وقيل مستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا
 حقيقته بالثواب والعذاب وقيل كل أمر مستقر في علم الله تعالى لا يخفى عليه شئ فهم كذبوا
 واتبعوا أهواءهم والانبياء صدقوا وبلغوا كقوله تعالى لا يخفى على الله منهم شئ (واقعد
 جاءهم) أي أهل مكة في القرآن قبل الانشقاق (من الانبياء) أي اخباوا هلاك الامم الماضية
 المكذبة وسلمهم لان الانبياء الاخبار العظام التي لها وقع كقول الهدد وجئتكم من سبابنا
 يقين لانه كان خبراً عظيماً له وقع وخطر وقال تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ أي بأمر عظيم له خطر
 وانما يجب التثبت فيما يتعلق به حكمه ويرتب عليه أمر ذو بال (ما فيه) خاصة (مزدجر) أي
 عما هم فيه من الباطل ولكن لم يزدجر منهم الا من أراد الله تعالى * (تنبيه) * المزدجر اسم
 مصدر أي ازدجراً واسم مكان أي موضع ازدجار والدال بدل من تاء الافعال وازدجرته
 وزجرته نيته بغلبة ومأموصولة او موصوفة وقوله تعالى (حكمة) خبر مبتدأ محذوف أو
 بدل من ما أو من مزدجر (بالغة) أي لها أعظم البلوغ الى أنهي غايات الحكمة لصحتها ووضوحها
 ففيها مع الزجر ترجئة ومواعظ وأحكام ودقائق (فخاتفن) أي تنفع (النذر) أي الانذارات
 والمندرون والامور المندربها ومنها انما المعنى بذلك هو الله تعالى فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن
 قال البقاعي ولعل الاشارة باسقاط ياتقني باجماع المصاحف من غير موجب في اللفظ الى أنه
 كما سقطت غاية أحرف الكلمة سقطت غرة الانذار وهو القبول * (تنبيه) * يجوز في ما أن
 تكون استفهامية وتكون في محل نصب مفعولاً مقترناً أي شئ تغني النذر وأن تكون نافية
 أي لم تغن النذر شيئاً والتدريج نذير والمراد به المصدر واسم الفاعل ولما كان صلى الله عليه
 وسلم شديد التعلق بطلب نجاتهم فهو لذلك رعا شهي اجابته الى مقترحاتهم تسبب عن ذلك قوله
 تعالى (فتول عنهم) أي كلف نفسك الاعراض عن غنى ذلك فاعليك الا البلاغ وأما الهداية
 فالى الله تعالى وحده * (تنبيه) * قال أكثر المفسرين نحن هنا آية السيف وقال الرازي

ان قول المفسرين في قوله تعالى فتول منسوخ ليس كذلك بل المراد منه لا تناظرهم
بالكلام وقوله تعالى (يوم) منصوب باذ كراى واذ كرىوم (يدع الداعي) وقيل منسوب
بيخرجون بعده والداعي معرف كالداعي في قوله تعالى يوم ينادى المنادى لانه معلوم قد أخبر
عنه فقبل ان منادى ينادى وداعيا يدعو وقيل الداعي اسرافيل عليه السلام ينفخ قائما على
صخرة بيت المقدس قاله مقاتل وقيل جبريل عليه السلام وقيل ملك موكل بذلك والتعريف
حينئذ لا يقطع حدا العلمية ويكون كقولنا يا رجل فقال الرجل خاله الرازي وقرأ نافع وأبو عمرو
يحذف الياء بعد العين وقفا وثباتها وصلوا ابن كثير اثباتها وقفا وصلوا والباقون يحذفها وقفا
ووصلوا (الى شئ نكر) أي منكر ~~فليس~~ ~~بمنكر~~ ~~فليس~~ ~~بمنكر~~ استعظاما (فان قيل) ما ذلك الشئ
المنكر (أجيب) بأنه الحسب ~~الذي لا يجمع~~ ~~والشعر المجمع~~ (فان قيل) القسمل لا يكون منكرا
فانه احياء ولان الكافر من أين يعرف وقت النشر ما يجزي عليه ~~ايضا~~ ~~ايضا~~ (أجيب)
بأنه يعلم ذلك لقوله تعالى عنهم يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقرأ ابن كثير يسكون الكافر
والباقون بالرفع ولما بين تعالى دعاه بما هال أمره بين حال المدعويين زيادة في الهول فقال
تعالى (خاشعا أبصارهم) أي ينظرون نظرا الخاضع الدليل السافل المنزلة المستوحش الذي
هو شر حال ونسب الخشوع إلى الإبصار لان الذل والعز يتبين في النظر والذل أن يرمى به صاحبه
~~الخلاص~~ ~~من~~ ~~ملا~~ ~~مع~~ ~~هيبة~~ ~~يعرف~~ ~~منها~~ ~~ذلك~~ ~~ما~~ ~~قال~~ ~~تعالى~~ ~~خاشعين~~ ~~من~~ ~~الذل~~ ~~ينظرون~~ ~~من~~
طرف خفي وقرأ أبو عمرو وحزرة والكسائي بفتح الخاء وألف بعدها وكسر الشين والباقون
بضم الخاء ولألف بعدها وفتح الشين مشددة أما القراءة الاولى فهي جارية على اللغة الفصحى
من حيث ان الفعل وما جرى مجراه اذا قدم على الفاعل وحده تقول تخشع أبصارهم ولا تقول
تخشع عن أبصارهم وأما القراءة الثانية فجاءت على لغة طي يقولون أكلوني البراغيث قال
الزمخشري ويجوز أن يكون في خشعهم ويرفع أبصارهم بدلا عنه اه وتقدم نظير ذلك
في قوله تعالى في الانبياء وأسروا النجوى الذين ظلموا وجه له خاشعا أبصارهم حال من فاعل
(يخرجون) أي الناس (من الاجداث) أي القبور (كانهم جراد) أي في كثرتهم وتراكم
بعضهم على بعض وصغارهم وضعفهم وتوجههم يقال في الجيش الكثير المائج بعضه فوق
بعض جاؤا كالجراد والذباب (منتشر) أي منبث متفرق في كل مكان لكثرتهم لا يدرون
أين يذهبون (مطعين) أي مسرعين مآدى أعناقهم (الى الداعي) مصولي رؤسهم اليه
لا ياتفتون الى سواه كما يفعل من ينظر في ذل وخضوع وصمت واستكانة هذا حال الكل
وأما الكافر فنبه عليه بقوله تعالى (يقول) أي على سبيل التكرار (الكافرون) أي الذين
كانوا في الدنيا عريقين في ستر الادلة واظهار الباطل المضلة (هذا) أي الوقت الذي نحن فيه
لما نرى فيه من الاهوال (يوم عسر) أي في غاية العسر والصعوبة والشدة وذلك بحسب
حالهم فيه كما قال تعالى في سورة المدثر يوم عسير على الكافرين ولما فرغ من حكاية كلام
الكافرين ومن ذكر علامات الساعة أعاد ذكر بعض الانبياء فقال تعالى (كذبت) أي

أوقعت التكذيب العظيم الذي عوا به جميع الرسالات وجميع الرسل (قبلهم) أي أهل مكة
(قوم نوح) مع ما كان بهم من القوة ولهم من الانتشار في جميع الاقطار وأنت فعلهم تعقيرا
لهم وتهوي بالامرهم في جنب قدرته تعالى (فان قيل) الحاق الضمير المؤنث بالفعل قبل ذكر
الفاعل جائز وحسن بالاتفاق والحق ضمير الجمع بالفعل قبيح عند أكثرهم فلا يجوزون كذبوا
قوم نوح ويجوزون كذبت فما الفرق (أجاب) الرازي بأن التأنيث انما جاز قبل الجمع
لان الانوثة والذكورة للفاعل أمر لا يتبدل ولم تحصل الانوثة للفاعل بسبب فعله بخلاف الجمع
لان الجمع ~~للضمير~~ ليس بسبب فعلهم (فكذبوا عبدنا) نوحا عليه السلام على ماله من العظمة بنسبته
البنامع تشریفنا اياه بالرسالة (وقالوا) زيادة على التكذيب (مجنون) أي فهذا الذي يصدر
منه من الخوارق أمر من الجن (وازدجر) وهل هذا من مقولهم أي قالوا انه ازدجر أي
ازدجرته الجن وذهبت بلبه قاله مجاهد أو هو من كلام الله تعالى أخبر الله تعالى عنه بأنه انتهر
وازدجر بالسب وأنواع الأذى وقالوا لن لم تنه يافوخ لتكون من المرجومين قال الرازي
وهذا أصح لان المقصود تقوية قلب النبي صلى الله عليه وسلم بذكر من تقدمه وأيضا يترتب عليه
قوله تعالى (قد عاربته) وهذا الترتيب في غاية الحسن لانهم لما جرؤوا وانزجروا عن دعائهم
دعاربه الذي ربابه بالاحسان اليه وبرسالته (أنى) أي بآنى (مغلوب) أي من قومي كلهم
بالقوة والمنعة لأبالجته وأكده ابلاغاً في الشكاية واطهاراً للذل العبودية لان الله تعالى عالم بسر
العبد وجهه فاشرع الدعاء في أصله الا لاظهار التذلل وكذا البلاغ فيه وقال ابن عطية
غلبتني نفسي وحلتني على الدعاء عليهم قال ابن عادل وهو ضعيف (فانتصر) أي أوقع نصرتي
عليهم أنت وحدك على أبلغ وجه فانتقم لي منهم (فتحننا) أي بسبب دعائه فتحنا يليق بعظمتنا
(أبواب السماء) أي كلها في جميع الاقطار وعبر بجميع القلة عن جمع الكثرة والمراد من الفتح
والابواب والسماء حقائقها فان للسماء أبواباً تفتح وتغلق وقيل هذا على سبيل الاستعارة
فان الظاهر ان الماء كان من السحاب فهو كقول القائل في المطر الوابل جرت ميازيب السماء
وفي قوله تعالى فتحننا بيان بأن الله تعالى انتصر منهم وانتقم بعاء لا يجند أنزله ومن العجب أنهم
كانوا يطلبون المطر سنين فأهلكهم الله تعالى بطلوبهم وقرأ ابن عامر بتشديد التاء بعد الفاء
والباقون بالتخفيف وفي الباء في قوله تعالى (بعاء) وجهان أظهرهما انها للتعديّة وذلك على
المبالغة في أنه جعل الماء كالآلة للفتح به كما تقول فتحت بالمفتاح والثاني أنها للفعال أي فتحناها
ماتية بعاء (منهم) أي منصب بأبلغ ما يكون من السيلان والصب كثرة وعظما ولذلك
لم يقل بمطر لانه خارج عن تلك العادة واستمر ذلك أربعين يوما (ونجرتنا) أي صد عنا بما لنا من
العظمة وشققنا وبعثنا وأسلنا (الارض عيوننا) أي جميع عيون الارض ولكنه عدل عنه
للتهويل بالابهام ثم البيان واقادة أن وجه الارض صار كله عيوننا وقرأ ابن كثير وابن ذكوان
وشعبة وحجة والكسائي بكسر العين والباقون بضمها (فالتقى الماء) أي المعهود وهو ماء السماء
وماء الارض بسبب فعلنا هذا وزاد في تعظيمه بأداة الاستعلاء فقال تعالى (على أمر) أي حال

(قد قدر) أى قضى أى فى الأزل وهو هلا كهـم غرقا بما مقدرا لا يزيد قطرة ولا يهلك غير من أمرناه بأهلا كهـم (وجلناه) أى نوحا عليه السلام تقيحا لا تنصاره (على ذات) أى سفينة صاحبة (الروح) أى أخشاب فحرت حتى صارت عريضة (ودسر) جمع دسار ككتاب وهو ما تشبه السفينة من مسمار وحديد أو خشب أو من خيوط الألف ونحوها قال البقاعى ولعله عبر عن السفينة بما شرحها تنبيهها على قدرته على ما يريد (تجربى) أى السفينة (بأعيننا) أى محفوظة من أن تدخل بحرا الظلمات أو يأتى عابها غير ذلك من الآفات بحفظنا على مالنا من العظمة حفظ من ينظر الشئ بأعين كثيرة ولا يغيب عنه أصلا وجوزوا أن يكون جمع تكسير لعين الماء وقوله تعالى (جزاء) منصوب بفعل مقدرا رأى أغرقوا انتصارا (لمن كان كفر) وهو نوح عليه الصلاة والسلام أو البارى تعالى (ولقد تركناها) أى أبقينا هذه النعمة العظيمة من جرى السفينة على هذا الوجه وإبقاء نوعها دالة على مالنا من العظمة وقبل تلك السفينة بعينها بقيت على الجودي حتى أدرك بقاياها أول هذه الأمة (آية) أى علامة عظيمة على مالنا من العلم المحيط والقادرة التامة (فهل من مدكر) أى معتبر ومتعظ بها وأصله مذ تكرر أبدأت التاء دالا مهملة وكذا المجعة وأدغمت فيها وقوله تعالى (فكيف كان) أى وجد وتحقق (عذابي) أى لمن كفر وكذب رسلى (ونذر) أى إنذارى استقهاهم تقرير فكيف خبر كان وهى للسؤال عن الحال والمعنى حل الخطا طين على الاقرار بوقوع عذابه تعالى بالمكذبين لنوح موقعة وقرأ ورش بإثبات الياء بعد الراء وصلالا وقتنا جميع ما فى هذه السورة والباقيون بغير ياء وقفنا ووصلا قال البقاعى ولما كان هذا الفصل مما أنزل أول القرآن تيسيرا على الأمة تنبه على ذلك بقوله تعالى (ولقد يسرنا) أى على مالنا من العظمة (القرآن) أى على ماله من الجمع والفرق والعظمة المناسبة لكونه وصفا لنا (لذكر) أى الاتعاظ والتذكروا التدبر والفهم والتشريف والحفظ لمن يراعيه قال ابن برجان أنزلناه باللسان العربى ونزلناه للأفهام تنزيلا وضر بنا لهم الامثال وأطللنا لهم فى هذه الأعمار ليتذكروا الميثاق المأخوذ عليهم وقال القشيري بسر قراءته على السنة قوم وعلمه على قلوب قوم وفهمه على قلوب قوم وحفظه على قلوب قوم وكلهم أهل القرآن وخاصته وليس يحفظ من كتب الله تعالى عن ظهر قلب غيره قاله المحلى (فهل من مدكر) أى معتبر ومتعظ بها وتقدم أصله ولما انقضت قصة نوح عليه السلام على هذا الهول العظيم ذكر قصة عاد لانها أعظم قصة جرت بعد قوم نوح فيما تعرفه العرب بقوله تعالى (كذبت عاد) أى أوقعت التكذيب العام المطلق الذى أوجب تكذيبهم برسولهم هود عليه الصلاة والسلام فى دعائه لهم الى وإنذاره عذابي (فكيف) أى فعلى أى الأحوال لاجل تكذيبهم (كان عذابي) لهم (ونذر) أى وإنذارى أياهم بلسان رسول قبل نزوله أى وقع موقعه (فان قيل) لم يقل فكذبوا هودا كما قال تعالى فى قصة نوح فكذبوا عبدا (أجيب) بأن تكذيب قوم نوح أباح أطول مقامه فيهم وكثيرة حنادهم وأمالا قصة عاد ذكرت مختصرة ثم بين عذابهم بقوله تعالى (أنا ومننا) أى بمالنا من العظمة (عليهم ريحا)

وعبر بحرف الاستعلاء اعلاما بالنقطة ثم وصف الريح بقوله تعالى (صرصرا) أى شديدة الصوت من صرصر الباب أو القلم اذا صوت وقيل الشديدة البرد من الصر وهو البرد وقال مكى أصله صرر من صر الشئ اذا صوت لكن أبدلوا من الراء المشددة صاددا وهذا قول الكوفيين وقال الرازى الصرصر الدائمة الهبوب من أصر على الشئ اذا دام وثبت وأشد شؤمه ابدى زمانه فقال تعالى (في يوم نحصر) أى شديد القباحة قيل كان ذلك يوم الاربعاء فى آخر الشهر وهو شوال لثمان بقين منه واستمر الى غروب شمس الاربعاء آخره فانه قال تعالى فى سورة الحاقة سبع ايام وغاية ايام حسوما وقال تعالى فى حم السجدة فى ايام نحسات فالمراد باليوم هنا الوقت والزمان وقوله تعالى (مستم) أى دائم الشؤم الى وقت نفاذ المراد منه يفيد ما يفيد الايام لان الاستمرار ينبئ عن امتداد الزمان كما تنبئ عنه الايام والحكاية مذكورة هنا على سبيل الاختصار فذكر الزمان ولم يذكر مقداره على سبيل الإيجاز فاستمر عليهم بنحوه ولم يبق منهم أحد الا أهل مكة هذا وصفها فى ذاتها وأما وصفها بفعالها فيهم فذكره بقوله تعالى (تنزع) أى تأخذ (الناس) أى الذين هم صور لا ثبات لهم بأرواح التقوى من الارض بعضهم من وجهها وبعضهم من حفر حفرها لمتنعوا بها من العذاب فتطيرهم بين السماء والارض كأنهم الهباء المنثور فتقاع رؤسهم من جثثهم وقوله تعالى (كأنهم) أى حين ينزعون فيلقون لأرواح فيهم (أعجاز نخل) أى أصول نخل قطعت رؤسها حال من الناس مقدرة وقوله (منقعر) صفة للنخل باعتبار الجنس وأنت فى الحاقة فقال نخل خاوية باعتبار معنى الجماعة قال ابن عادل وانما ذكر هنا وأنت هنا لمرعاة للقواصل فى الموضعين وقال الرازى ذكر الله تعالى لفظ النخل فى مواضع ثلاثة ووصفها على الوجة الثلاثة فقال تعالى والنخل باسقات وذلك حال عنها وهى كالوصف وقال تعالى نخل خاوية ونخل منقعر فثبت قال منقعر كان المختار ذلك لان المنقعر فى حقيقة الامر كالمفعول لانه ورد عليه القعر فهو مقعر وانما الخاوية والباقى فاعل واخلاء المقعر من علامة التأنيت أولى تقول امرأاة قتل وأما الباسقات فهى فاعلات حقيقة لان البسوق أمر قائم بها وأما الخاوية فهى من باب حسن الوجه لان الخاوية موضعها فكانه قال نخل خاوية المواضع وهذا غاية الإعجاز حيث أتى بلفظ مناسب للإلتقاط السابقة واللاحقة من حيث اللفظ (تنبيه) * الإعجاز جمع عجز وهو مؤخر الشئ ومنه العجز لانه يؤدى الى تأخير الامور والمنقعر المنقطع من أصله يقال قمرت النخلة قلعتها من أصلها فانقمرت وقمرت البئر وصلت الى قعرها وقمرت الاناء مشربت ما فيه حتى وصلت الى قعره وكثر قوله تعالى (فكيف كان عذابى ونذر) للتحويل وقيل الأول لما حاق بهم فى الدنيا والثانى لما يحيق بهم فى الآخرة كما قال أيضا فى قصتهم لنذيقهم عذاب الخلى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أنجزى وتقدم تفسير قوله تعالى (ولم يدبرنا القرآن للذکر فهل من مدکر) وكثره ايدانا بأن تفسير القرآن مع إعجازه لا يكون الا بعظمة نفوت قوى البشر وتجزئتها منهم القدر ولما انقضت قصة عاد ذكرنا فى قصة نود لانها تلي

قصة عاد في الظفاعة فقال تعالى (كذبت عهود) أي قوم صالح عليه السلام وقوله تعالى (بالنذر) جمع نذير بمعنى منذر أي بالانذارات التي أنذرهم بها فيهم صالح عليه السلام إن لم يؤمنوا به ثم علم ذلك وعقبه بقوله تعالى (فقالوا) منكروين لما جاءهم من الله تعالى غاية الانكار (أبشرا) انكار الرسالة هذا النوع ليكون انكار النبوة فيهم على أبلغ الوجوه وهو منصوب بفعل يفسره تتبعه الآتي وقولهم (منا) نعت له أي فلا فضل له علينا فأوجه اختصاصه بذلك من بيننا وقولهم (واحدا) نعت له أيضا ثم عظموا الانكار بقولهم (تبعه) أي نجاهد أنفسنا في خلق ما لو فطنا وما كان عليه آيا فأننا والاستفهام بمعنى النفي والمعنى كيف تتبعه ونحن أشد الناس قوة وكثرة وهو واحد منا ثم استنصبوا من هذا الانكار الشديد قولهم مؤكدين (أنا إذا) أي إن اتبعناه (أنتي ضلال) أي ذهب عن الصواب محيط بنا (وسعرا) أي ونيران جمع سعير فعكسوا عليه وقالوا إن اتبعنا لك كذا إذا كما تقول وقيل السعير الجنون يقال ناقة مسعورة قال الشاعر

كان بهم اسعرا إذا العيس هزها * ذميل وارخا من السير متعب

ثم استدلوا بأمر آخر ساقوه مساقا لانكاره فقالوا (أأنتي) أي أنزل (الذكر) أي الوحي الذي يكون به الشرف الاعظم بغتة في سرعة (عليه) لأنه لم يكن عندهم في مضمار هذا الشأن ولا توسموا فيه قبل اشارته به شيئا منه بل أتاهم به بغتة في غاية الاسراع ودلوا على وجه التعجب والانكار بالاختصاص بقولهم (من بيننا) أي وفينا من هو أولى بذلك منه منا وشرفا وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتحقيق الهمزة الاولى المفتوحة وتسهيل الثانية المضمومة كالواو وأدخل قالون وأبو عمرو بينهما ألفا فجاءه ألف عن أبي عمرو ولم يدخل ورش وابن كثير ألفا وأما هشام فله تسهيل الثانية وتحقيقتها وادخل الألف بينهما مع التحقيق والباقيون بتحقيقهما مع عدم الإدخال وإذا وقف حمزة فله في الثانية التسهيل وابدالها واو والتحقيق ثم أضرى بواعن ذلك الاستفهام لأنه بمعنى النفي بقولهم (بل هو كذاب) أي بليغ في الكذب في قوله أنه أوحى إليه ما ذكر (أشرك) أي متكبر بطر غلبت عليه البطالة حتى أعجبته نفسه فتجبر فهو يريد الترفع قال الله تعالى (سيعلمون) أي بوعده لاخاف فيه (غدا) أي في الزمن الآتي القريب وهو يوم القيامة لأن كل ما حقق آتيانه قريب عند نزول العذاب في الدنيا ويوم القيامة وقرأ ابن عامر وحزرة بعد السين بقاء الخطاب وفيه وجهان أحدهما أنه حكاية عن قول صالح عليه السلام لقومه والثاني أنه خطاب من الله تعالى على جهة الالتفات والباقيون بباء الغيبة جريا على الغيب قبله في قوله تعالى فقالوا أبشرا واختار هذه القراءة مكي لأن عليها الأكثر (من الكذاب الأشر) أي وهو هم بأن يعذبوا على تكذيبهم لنبيه صالح صلى الله عليه وسلم وروى أنهم تغتصوا عليه فسألوه أن يخرج لهم من حضرة ناقة حمراء فقال تعالى (أنا) أي بما لنا من العظمة (مرسلو الناقة) أي موجدوها لهم ومخرجوها كما اقترحوا من حجر أهلنا لذلك وخصصناهم من بين الأنهار دلالة على إرسالنا صالحا عليه السلام مخصصين له

من بين قومه وذلك انهم قالوا الصالح عليه السلام نريد أن نعرف الحق متابعين ندعوا لهتنا
 وتدعو الهلك فن أجابه الله علم أنه الحق فدعوا أو ثابتهم فلم يجيبهم فقالوا ادع انت فقال
 فأتريدون قالوا نتخرج لنا من هذه العصرة ناقة عشراء وبراً فأجابهم إلى ذلك بشرط الإيمان
 فوعدوه بذلك وأكذوا فكذبوا بعدما كذبوا في أن آلهتهم تجيبهم وصدق هو عليه السلام
 في كل ما قال فأخبره ربه سبحانه أنه يجيبهم إلى إخراجها (فتنة لهم) أي أمضانا بخالطهم به
 فيملهم عن حالتهم التي وعدوا بها وتخليهم عنها الآن المجزة فتنة لأن بها يتميز المثاب من المعذب
 فالمجزة تصديق وحينئذ يفرق المصدق من المكذب أو يقال إخراج الناقة من العصرة
 مجزة ودرانها بينهم وقسمة الماء كان فتنة ولهذا قال تعالى أنا مرسلو الناقة ولم يقل مخرجو
 (فارتقبهم) أي كلف نفسك انتظارهم فيما يكون لهم جزاء على أعمالهم انتظار من يحرسهم
 (واصطبر) أي عالج نفسك واجتهد في الصبر عليهم وأصل الطاء في اصطبر تاء فتح حوالت طاء
 لتكون موافقة للصادق في الاطباق (ونبئهم) أي أخبرهم أخباراً عظيماً بآمر عظيم وهو (أن الماء)
 أي الذي يشربونه وهو ماء بئرهم (قسمة بينهم) أي بين قوم صالح عليه السلام والناقة فغلب
 الماعل عليها والمعنى أنا إذا بعثناها كان لهم يوم لا تشاركهم فيه وأما يوم لا تدع في البئر قطرة
 يأخذها أحد منهم وتوسع الكل بدل الماء لبنا (كل شرب) أي نصيب من الماء (مختصر)
 أي فالناقة تحضر الماء يوم ورد لها وتغيب عنهم يوم وردهم قاله مقاتل وقال مجاهد إن
 غود يحضرون الماء يوم غيبها فيشربون ويحضرون اللبن يوم وردها فيصتلبون * (تنبيه) *
 الحكمة في قسمة الماء أما الآن الناقة عظيمة الخلق فتشفر منها حيواتهم فم كان يوم الناقة
 ويوم لهم وأما قل الماء فلا يحملهم وأما الآن الماء كان مقسوماً بينهم لكل فريق يوم فيوم ورد
 الناقة على هؤلاء يرجعون على الآخرين وكذلك الآخرون فيكون النقصان على الكل
 ولا تختص الناقة بجميع الماء روى أنهم كانوا يكتفون في يوم وردها بلبنها وليس في الآية
 إلا القسمة دون كيفية وأظهر قوله تعالى كل شرب مختصر بعضه الوجه الثالث وحضر
 واحتمض بعضهم واحد وقوله تعالى (فنادوا أصحابهم) فيه حذف قبله أي فنادوا على ذلك
 ثم ملوه فعزموا على عقرها فنادوا أصحابهم وهو قدار بن سالف الذي اتدبوه بطرا وأشر القتل
 الناقة وكذبوا وعدهم الإيمان وكرامها بالاحسان وكان أشجعهم وقيل كان رئيسهم
 (فعاطى) أي فاجترأ على تعاطى الأمر العظيم غير مكترث به (فعقر) أي فتسبب عن ذلك
 عقرها وقبل فعاطى الناقة فعقرها وقعاطى السيف فقتلها والتعاطى تفاعل الشيء
 بنكف قال محمد بن المصنف كمن لها في أصل شجرة على طريقها فرماها فانتظم به عضلة ساقها
 ثم ثد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاء واحدة ثم فخرها وقال ابن عباس
 كان الذي عقرها أحرأ ورقاً أشقرأ كشف أفعى يقال له قدار بن سالف والعرب تسمى الجزار
 قداراً تشبهاً بقدار بن سالف مشؤم آل غود (فكيف كان عذابي) أي كان على حال ووجهه هو
 أهل لأن يجتهد في الاقبال على معرفته والسؤال عنه (ونذر) أي انذارى لهم بالعذاب قبل نزوله

أي وقع موقعه وبينه بقوله تعالى (أنا) أي بملئنا من العظمة (أرأيتنا) أي أرسلنا عظيما (عليهم
 مسحة) وخبرناهم بالنسبة إلى عظمة عذابه بقوله تعالى (واحدة) صاحبها عليهم جبريل عليه
 السلام فلم يكن لهم بصيغته هذه التي هي واحدة طاقته كما قال تعالى (فكانوا كمشيم المحتظرم)
 وهو الذي يحمل لغمه خطيعة من يابس الشجر والشوك يحفظهم فيها من الذئاب والسباع
 وما يسقط من ذلك فاداسته هو الهشيم والهشيم المهشوم المذكور ومنه سمي هاشم لهشمه
 الثريد في الحضان غير أن الهشيم يستعمل كثيرا في الخطب المتكسر اليابس قال المفسرون كانوا
 كالخشب المتكسر الذي يخرج من الحظائر بدليل قوله تعالى هشمت ذروه الرياح وهو من
 باب إقامة الصفة مقام الموصوف وتشبيههم بالهشيم إنما يكون من يابسين كاللوقي الذين ماتوا
 من زمان أو لانضمام بعضهم إلى بعض فاجتمعوا بعضهم فوق بعض كما يجمع الحاطب الحطب
 يضعه شيئا فوق شيء منتظرا حضور من يشتري منه قال ابن عادل ويحتمل أن يكون ذلك لبيان
 كونهم في الجحيم أي كانوا كالحطب اليابس الذي للوقيد كقوله تعالى انكم وماءعبدون
 من دون الله حصب جهنم وقوله تعالى فكانوا بالجهنم حطبها * (تنبيهات) * أحدها أنه تعالى ذكر
 فكيف كان عذابي ونذر في ثلاثة مواضع ذكرها في حكاية نوح عليه السلام بعد بيان العذاب
 وذكرها هنا قبل بيان العذاب وذكرها في حكاية عاد قبل بيانها وبعد بيانها حيث ذكر قبل بيان
 العذاب في البيان كقول العارف لحكاية لغير العارف هل تعلم كيف كان أمر فلان وغرضه
 أن يقول أخبرني عنه وحيث ذكرها بعد بيان العذاب ذكرها للتعظيم كقول فلان أي ضرب
 وأما ضرب ويقول ضربته وكيف ضربته أي قويا وفي حكاية عاد ذكرها مرتين للبيان
 والإستفهام ثانيها أنه تعالى ذكر في حكاية نوح عليه السلام الذي للتعظيم وفي حكاية نوح
 ذكر الذي للبيان لأن عذاب قوم نوح كان بأمير عظيم عام وهو الطوفان الذي عم العالم
 ولا كذلك عذاب قوم هود فانه كان مختصا بهم ثالثها أنه تعالى ذكر في هذه السورة خبر قصص
 وجعل القصة المتوسطة من كورة على أتم وجهه لأن حال صالح عليه السلام كان أتم مشابهة
 بحال محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أتى بأمر عجيب أرضى وكان أعجب مما جاء به الأنبياء عليهم
 الصلاة والسلام لأن عيسى عليه السلام أحيا الميت ليكن الميت كان محملا للحياة فقامت
 الحياة بأذن الله تعالى في محل كان قابلا لها موسى عليه السلام انقلبت عصاه ثعباناً فأتته الله
 تعالى له في الخشب الحياة بأذنه سبحانه لكن الخبيثة نبات كان له قوة في النور أشبه الحيوان
 في النور وصالح عليه السلام كان الظاهر في بدنه خروج الناقة من الجحر والجحر جحلا ليس محملا
 للحياة ولا محملا للنور ونبينا صلى الله عليه وسلم أتى بأعجب من الكل وهو المتصرف في الجحور
 الجحور الذي يقول المشرقي لا وصول لأحد إلى السماء وأما الأرضيات فقالوا إنها أجسام
 متحركة المروءة قبيل كل واحدة منها صورة الأخرى والسماءيات لا تقبل ذلك فلما أتى
 بما اعترفوا بأنه لا يقدر على مثله آدمي كان أتم وأبلغ من معجزة صالح عليه السلام التي هي أتم
 من معجزة سائر الأنبياء غير محمد صلى الله عليه وسلم (ولقد يسرنا) أي على مائتين العظيمة

(القرآن) أي الكتاب الجامع لكل خير الفارق بين كل ملبس (للاذكر) أي الحفظ والتدبر والتدبر وحصول الشرف في الدارين (فهل من مذكر) أي من ناظر بعين الانصاف والتجرد عن الهوى ليرى كل ما أخبرنا به فبعينه عليه. ولما انقضت قصة ثمود بما تعرفه العرب بالأخبار ورؤية الآثارة فقال تعالى (كذبت قوم لوط) أي وهم في قوة عظيمة على ما يحاولونه وأن كانوا في تكذيبهم هذا أضعف من عقول النساء عن التجرد عن الهوى بما دل عليه تأنيث الفعل بالتاء وكذا ما قبلها من القصص (بالنذر) أي بالامور المندرة لهم على لسان نبيهم لوط عليه السلام ودل على ثأهي القباحة في مرتكبتهم بتقديم الاخبار عن عذابهم فقال تعالى مؤكدا توعدا لمن استقر على التكذيب (انا) أي بما لنا من العظمة (أرسلنا عليهم حاصبا) أي رجما شديدا ترميهم بالحصاب وهي صغار الحجارة الواحدة دون ملء الكف فهلكوا (الآل لوط) وهم من آمن به فكان إذا رأته فكأنك رأيت لوطا عليه السلام لما يلوح عليه من أفعاله والمنشئ على منواله في أقواله وأفعاله (نجيناهم) أي نجية عظيمة (بسحر) أي بأخريليه من الليالي وهي الليلة التي عذب فيها قومه وانصرف لانه نكرة لا نالا نعرف تلك الليلة بعينها ولوقصده وقت بعينه لمنع الصرف للتعريف والعدل عن آل هذا هو المشهور وزعم صدر الافاضل أنه مبنى على التفتح كما مر مبني على الكسرة (تنبيه) قال الجلال المحلى وهل أرسل الحاصب على آل لوط أولا قولان وعبر عن الاستثناء على الاول بأنه متصل وعلى الثاني بأنه منقطع طع وان كان من الجنس تسما وقوله تعالى (نعمة) اما مفعول له واما مصدر بفعل من انقطعا أو من معنى نجيناهم لان نجيتهم انعاما فالتأويل اما في العامل واما في المصدر وقوله تعالى (من عندنا) متعلق بنعمة أو بمعذوف صفة لها (كذلك) أي مثل هذا الانجاء العظيم الذي جعلناه جزاء لهم (نجزي من شكر) أي من آمن بالله تعالى واطاعه قال بعض المفسرين وهو وعد لامة محمد صلى الله عليه وسلم بأنه يصونهم عن الهلاك العام وقال الرازي ويمكن أن يقال هو وعد لهؤلاء بالثواب يوم القيامة كما أنجناهم في الدنيا من العذاب لقوله تعالى ومن يرد ثواب الآخرة فؤته منها وسنجزي الشاكرين وقال مقاتل من وحده الله تعالى لم يعذبه مع المشركين (ولقد أنذرهم) أي رسولنا لوط عليه السلام (ببشتنا) أي أخذتنا المقرونة من الشدة بما لنا من العظمة وهي العذاب الذي نزل بهم وقيل هي عذاب الآخرة لقوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى (فما روا) أي تجادلوا وكذبوا (بالنذر) أي بانذاره فكان سببا لاخذ (واسدرا ودوة عن ضيفه) أي أرادوا أن يخفى بينهم وبين القوم الذين أقوه في صورة الاضياف ليخشوا بهم وكانوا ملائكة في صورة شباب حرد وأقر دلان المراد الجنس (فطمسنا) أي فقتلنا عن عراودتهم ان طمسنا بعظمتنا (أعينهم) أي أعيننا هادوا وطمسنا هادوا بلاشقي كباقي الوجه بأن صفة جبريل عليه السلام بجناحه وقال الطحاكبي أعماههم الله تعالى فلم يروا الرسل وقالوا القدر رأيناهم حين دخلوا البيت فآين ذهبوا فربحوا فلم يروهم وهذا قول ابن عباس وروى أنهم صارت أعينهم مع وجوههم كما صفة الواحدة وقال

القشيري مسح يمينه على وجوههم فعموا ولم يهتدوا للخروج قال ابن جرير والعرب تقول طمست الريح الاعلام اذا دفتها بما تسنى عليها فانطلقوا هاربين مسرعين الى الباب لا يهتدون اليه ولا يقعون عليه بل يصادمون الجدران خوفا مما هو أعظم من ذلك وهم يقولون عند ذلك لوط سحر الناس وما أدتهم عقولهم الى أن يؤمنوا فينجوا أنفسهم قال القشيري وكذلك أجرى الله تعالى سقته في أوليائه بأن يطمس على قلوب أعدائهم حتى يلتبس عليهم كيف يؤذون أوليائه ويخلصهم من كيدهم وقوله تعالى (فذوقوا عذابي ونذر) أي انذاري وتخويفي خطاب لهم أي قلنا لهم على لسان الملائكة فذوقوا فهو خطاب مع كل مكذب أي ان كنتم تكذبون فذوقوا قال القرطبي والمراد من هذا الامر الخبر أي فاذا قتهم عذابي الذي أنذرهم به لوط عليه السلام (فان قيل) النذر كيف تذاق (أجيب) بأن المراد غرته وفائدته (فان قيل) اذا كان المراد بقوله تعالى عذابي هو العذاب العاجل وبقوله تعالى ونذر هو العذاب الآجل فهو عالم يكون في زمان واحد فكيف قال تعالى فذوقوا (أجيب) بأن العذاب الآجل أوله متصل بآخر العذاب العاجل فهما كالواقع في زمان واحد وهو قوله تعالى أغرقوا فأدخلوا ناراً (واقصد صبحهم) أي أناهم وقت الصباح وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم بإظهار الدال عند الصاد والباقون بلا اظهار وحقق المعنى بقوله تعالى (بكرة) أي في أول نهار العذاب وانصرف بكرة لانه فكرة ولو قصده وقت بعينه امتنع الصرف للتأنيث والتعريف (عذاب) أي فقلع بلادهم ورفعها ثم قلبها وحصبها بحجارة النار وخسفها وغمرها بالماء المنتن الذي لا يعيش به حيوان (مستقر) أي ثابت عليهم غير زائل ليس بخيال ولا سحر كما قالوا عند الطمس فانه أهلكهم فاتصل بعذاب البرزخ المتصل بعذاب القيامة المتصل بالعذاب الأكبر في الطبقة التي تناسب أعمالهم من عذاب النار فقال لهم لسان الحال ان لم ينطق لسان المقال (فذوقوا) أي بسبب أفعالكم الخبيثة (عذابي ونذر) * (تنبيه) * قد علم من تكرير هذا أن سبب العذاب التكذيب بالانذار لاي رسول كان وكان استئناف كل قصة منها على انها أهل على حديثها لان تعظيها (ولقد يسرنا) أي على ما لنا من العظمة (القرآن) أي الجامع الفارق بين الحق والباطل ولو شئنا لأعليناه بالنامن القدرة الى حد تفجز القوى عن فهمه كما أعليناه الى رتبة وقفت القوى عن معارضته (لذلك) كفهل من مذكر) أي فيخلص نفسه من مثل هذا الذي أوقع فيه هؤلاء أنفسهم ظننا منهم ان الامر لا يصل الى ما وصل اليه جهلهم وعدم اكتراث بالعواقب * ولما انقضت قصة لوط عليه السلام أتبعها قصة موسى عليه السلام لانها بعد قوم لوط بقوله تعالى (ولقد جاء آل فرعون) أي فرعون ملك القبط بمصر وقومه الذين اذارهم أحد كان كأنه فيهم لشدة قرحهم منه وتخليقهم باخلاقه (النذر) أي الانذار على لسان موسى وهرون عليه السلام فلم يؤمنوا بل (كذبوا) أي تكذبا عظيمين (بآياتنا) التي أناهم بها موسى عليه السلام (كلها) أي التسع التي أوتيتها وهي العصا واليد والسنين والطمس والطوفان والجراد والقمل

والضفادع والدم (فان قيل) كيف قال ولقد جاء ولم يقل في غيره جاء (أجيب) بأن موسى عليه السلام لما جاء كان غائباً عن القوم فقدم عليهم كما قال تعالى فلما جاء آل لوط المرسلون وقال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم لانه جاءهم من عند الله من السموات بعد المعراج كما جاء موسى قومه من الطور والنذر الرسل ولقد جاءهم يوسف وبنوه الى أن جاءهم موسى عليه السلام وقيل النذر الانذارات (تنبيه) ههنا همزتان مفتوحتان من كلمتين فقرأ أبو عمرو وقالون باسقاط همزة الاولى مع المد والقصر وسهل ورش وقيل همزة الثانية ولهما أيضاً ابدالها ألفاً وورش على أصله في همزة المسهلة ومد بعد الجيم حمزة وابن ذكوان والباقون بالقح واذا وقف حمزة وهشام أبدلوا همزة الفصاع المد والتوسط والقصر (فأخذناهم) أي بما لنا من العظمة بنحو ما أخذنا به قوم نوح من الاغراق (أخذ عزين) أي لا يغلبه شيء وهو يغلب كل شيء (مقتدر) أي لا يجعل بالاختلاف لانه لا يخاف القوت ولا يخشى معقباً لحكمه بالغ القدرة الى حد لا يدرك الوصف كنهه ثم خوف كفار مكة فقال تعالى (أكفاركم) أي الراخضون منكم يا أهل مكة في الكفر الشايتون عليه بأبيها المكذبون لهذا النبي الكريم الساترون لشموس دينه (خير) في الدنيا بالقوة والكرامة وفي الدين عند الله وعند الناس (من أولئككم) أي المذكورين من قوم نوح الى فرعون الذين وعظناكم بهم في هذه السورة وهذا استفهام بمعنى الانكار أي ليسوا باقوى منهم فعناه تنبي أي ليس كفاركم خيراً من كفار من تقدم من الامم الذين اهلكوا بكفرهم (تنبيه) قوله تعالى خير مع أنه لا خير فيهم اما أن يكون كقول حسان * فشر كان خير كما القداء أو هو بحسب زعمهم واعتقادهم والمراد بالخير شدة القوة أولاً كل ممكن فلا بد وأن يكون له صفات محدودة فالمراد تلك الصفات (أم لكم) أي يا أهل مكة (براه في الزبر) أي أنزل اليكم من الكتب السماوية أن من كفر منكم فهو في أمان من عذاب الله تعالى والاستفهام هنا أيضاً بمعنى النبي أي ليس الامر كذلك (أم يقولون) أي كفار قريش (نحن جميع) أي جمع واحد مبالغ في اجتماعه فهو في الغاية من الضم فلا افتراق له (منتصر) أي على كل من يعاديه لانهم على قلب رجل واحد ولم يقل منتصرون لموافقة رؤس الآي ولما قال أبو جهل يوم بدر أنا جميع منتصر نزل (سيهزم الجمع) بأيسر أمر بوعده لا خلف فيه وقال مقاتل ضرب أبو جهل يوم بدر فرسه فتقدم من الصف وقال نحن نتصر اليوم على محمد وأصحابه فأنزل الله تعالى أم يقولون نحن جميع منتصر وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما نزلت سیهزم الجمع ويولون الدبر كنت لأدري أي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب في درعه ويقول سیهزم الجمع (ويولون الدبر) فهزموا يندرون نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل الادبار لموافقة رؤس الآي (بل الساعة) أي القيامة التي يكون فيها الجمع الاكبر والهلول الاعظم (مؤعدهم) أي للعذاب (والساعة أدهى) أي من كل ما يفرض وقوعه في الدنيا وأدهى أفضل تفضل من الداهية وهي أمر هائل لا يهتدى لدوائه فهي أمر عظيم يقال دهاه أمر كذا أي أصابه دها وودها

قوله كنت لأدري
الح عبارة الكشف
لما نزلت هذه الآية
قال عمر أي جمع
يهزم فلما رأى رسول
الله صلى الله عليه
وسلم يثب في الدرع
ويقول سیهزم الجمع
عرف تأويلها اه

وقال ابن السكيت دعه داهية دها ودها موهي نو كيد لها وقرأ حزة والكسافي بالامالة
محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح (وأمر) لأن عذابها للكفار غير
مفارق ولا مزائل فهي أعظم نأية وأشد مرارة من الأسر والقتل يوم بدر وفي رواية أن
النبي صلى الله عليه وسلم كان يثب في درعه ويقول اللهم ان قريشا جادتك وتجاهر رسولك
بفخرها بجملها فأختمهم القداة يقال أخنى عليه الدهر أي غلبه وأهلكه ومنه قول النابغة

أخنى عليها الذي أخنى على لبد * وأخنى عليه أفسدت ثم قال سيهزم الجمع ويولون
الدبر قال عمر فعرفت تأويلها وهذا من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر عن
غيب فكان كما أخبر قال ابن عباس كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين فالآية على
هذا مكية وفي البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت لقد أنزل على محمد صلى
الله عليه وسلم بمكة وأناى بلجارية ألعب بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر وعن ابن
عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان
شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا فأخذ أبو بكر يديه وقال حسبك يا رسول الله فقد ألحمت على ربك
وهو في الدرع فخرج وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم يريد يوم
القيامة والساعة أدهى وأمر مما لحقهم يوم بدر (ان الجرمين) أي المشركين القاطعين لما
أمر الله تعالى ان يوصل (في ضلال) أي هلاك بالقتل في الدنيا (وسعر) أي نار مسعرة أي
مهيبة في الآخرة وقيل في ضلال أي عى عن القصد يتكذّبهم بالبعث وسعر قال الضحاك
أي نار مسعرة عليهم وقيل ضلال ذهاب عن طريق الجنة في الآخرة وسعر جمع سعير نار مسعرة
وقال الحسين بن الفضل ان الجرمين في ضلال في الدنيا ونار في الآخرة وقال قتادة في عناه
وعذاب ثم بين عذابهم في الآخرة بقوله تعالى (يوم يحسبون) أي في القيامة اهانة لهم من أي
ساحب كان (في النار) أي الكاملة النارية (على وجوههم) لانهم في غاية الذل والهوان
جزا بما كانوا يذلون أولياء الله تعالى مقولا لهم من أي قائل اتفق (ذوقوا) لانه لا منعة لهم
ولا حية بوجه (مس سقر) أي حر النار وأولها فان مسها سبب للتألم بها وسقر علم بلههم مشتقة
من سقرته الشمس أو النار أي لوحته ويقال سقرته بالصاد وهي مبدلة من السين قال ذو الرمة
إذا ذابت الشمس اتقى صقراتها * بافتان مربوع الصرعة معبل

وعدم صرفها للتعريف والتأنيث وقال بعض المفسرين ان هذه الآية نزلت في القدرية
لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال مجوس هذه الامة القدرية وهم المجرمون الذين سماهم
الله تعالى في قوله سبحانه ان الجرمين في ضلال وسعر وفي مسلم عن أبي هريرة قال جاء مشركو
قريش يخاضعون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فنزلت هذه الآية الى آخرها قال
الرازي والقدرى هو الذي ينكر القدر وينسب الحوادث لاتصالات الكواكب لما مر ان
قريشا خاضعوا للنبي صلى الله عليه وسلم في القدر ومذهبهم ان الله تعالى مكن العبد من الطاعة
والمعصية وهو قادر على خلق ذلك في العبد وقادر على أن يطم القمير ولهذا قالوا انظم من لو

يشاء الله أطعمه منكرين لقدرته تعالى على الاطعام وقوله صلى الله عليه وسلم القدرية
 مجوس هذه الامة ان أريد بالامة المرسل اليهم مطلقا كالقوم فالقدريه في زمانه صلى الله عليه
 وسلم هم المشركون المنكرون لقدرته على الحوادث فلا يدخل فيهم المعتزلة وان كان المراد بالامة
 من آمن به صلى الله عليه وسلم فعناء ان نسبة القدرية اليهم كنسبة المجوس الى الامة المتقدمة
 فان المجوس أضعف الكفرة المتقدمين شبهة وأشد مخالفة للعقل وكذا القدرية في هذه الامة
 وكونهم كذلك لا يقتضي الجزم بكونهم في النار فالحق ان القدرى هو الذى يشكر قدرة الله
 تعالى وقدره عليهم بالكتاب والسنة أمامن الكتاب فقوله تعالى (أنا) أى بما لنا من العظمة
 (كل شئ) من الاشياء المخلوقة صغيرها وكبيرها (خلقناه بقدر) أى قضاء وحكم وقياس
 مضبوط وقسمة محدودة وقوة بالغة وتدير بحكم في وقت معلوم ومكان محدود ومكتوب ذلك
 في اللوح قبل وقوعه وأمامن السنة فأروى عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والارض
 بخمسين ألف عام قال وعرشه على الماء وعن طاووس اليماني قال أدركت ما شاء الله تعالى من
 أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شئ بقدر الله تعالى قال وسمعت من عبد الله
 ابن عمرو يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقدر حتى العجز والكيس أو
 النكيس والعجز وعن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم لا يؤمن بالله عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله بعثنى بالحق
 ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر وزاد عبد الله خيره وشره * (تنبيه) * كل
 شئ منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر ولما بين سبحانه وتعالى ان كل شئ بفعله بين يسر ذلك
 ومهولته عليه بقوله تعالى (وما أمرنا) فى كل شئ أردنا وما أن عظم أمره (الا واحدة) أى فعلة
 يسيرة لا معالجة فيها وليس هناك احداث قول لانه قديم بل تعلق القدرة بالمقدور على وفق
 الارادة الانسية وقيل الالكلة واحدة وهى قوله تعالى كن كما قال تعالى اذا أردنا أن نقول له
 كن فيكون ثم مثل لنا ذلك بأسرع ما نطقه واخفه بقوله تعالى (كلمح بالبصر) واللمح النظر
 بالجملة وفى الصحاح لمح وألمح اذا أبصره بنظر خفيف أى فكما ان لمح أحدكم بصره لا كلفة
 عليه فيه فكذلك الافعال كلها عندنا بل أيسر وعن ابن عباس معناه وما أمرنا بمجيء الساعة
 فى السرعة الا كطرف البصر (ولقد أهلكنا) أى بما لنا من العظمة (أشياءكم) أى أشباهكم
 ونظراءكم فى الكفر من الامم السابقة والقدرة عليكم كالقدرة عليهم فاحذروا أن يصيبكم
 ما أصابهم ولذلك سبب عنه قوله تعالى (فهل من مدكر) أى بما وقع لهم انه مثل من مضى بل
 أضعف وان قدرته تعالى عليه كقدرته تعالى عليهم ليرجع عن غيه خوفا من سطوته والاستفهام
 بمعنى الامر أى اذكروا واتقوا (وكل شئ فعلاوه) قال الجلال المحلى أى العباد وقال
 أكثر المفسرين أى الاشياء لانه هو المتقدم ذكره (فى الزبر) أى مكتوب فى دواوين الحفظ
 وقيل فى اللوح المحفوظ وقيل فى أم الكتاب فاحذروا من أفعالهم فانها غير منسية هذا ما طبق

عليه القراء بما أدى الى هذا المعنى من رفع كل لانه لو نصب لا وهم تعلق الجبار بالفعل فيوهم
انهم فعلوا في الزبر كل شيء من الاشياء وهو فاسد (وكل صغير وكبير) أى من الخلق وأعمالهم
وآجالهم (مستطر) أى مكتوب في اللوح المحفوظ ولما وصف الكفار وصف المؤمنين مؤكدا
ردا على المنكر فقال عز من قائل (ان المتقين) أى العريقين في وصف الخوف من الله الذى
وفقهم لطاعته (في جنات) أى خلال بسايتين ذات أشجار تسترداهاها وقوله تعالى
(ونهر) أریده الجنس لان فيها أنهار من ماء وعسل ولبن وخمر أفردته لموافقة رؤس الآتى
ولشدة اتصال بعضها ببعض فكانها شئ واحد والمعنى انهم يشربون من أنهارها وقيل هو
السعة والصفاء من النهار وكما جعل للمتقين في تلك الدار ذلك جعل لهم في هذه الدار أيضا جنات
العلوم وأنهار المعارف ولهذا كانوا (في مقعد صدق) أى حق لا لغوفيه ولا تأثيم ولم يقل
في مجلس صدق لان القعود جلوس فيه مكث ومنه قواعد البيت والقواعد من النساء ولذا قال
(عند مليك) أى ملك تام الملك (مقدر) أى قادر لا يعجزه شئ وهو الله تعالى وعند اشارة
لترتبة والكرامة والمنزلة من فضله تعالى جعلنا الله تعالى ومحبينا منهم وما رواه البيضاوى تعا
للزخشرى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة القمر في كل غيب أى يقرأ يوما
ويترك يوما بعنه الله تعالى يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر حديث موضوع

﴿ سورة الرحمن وتسمى مدس القرآن ﴾

لانها تجمع النعم والجمال والبهجة في نوعها والكمال مكية كلها في قول الحسن وعروة وابن الزبير
وعطاء وجابر وقال ابن عباس الآية منها وهي قوله تعالى يسأله من في السموات والارض الآية
وقال ابن مسعود ومقاتل هي مدينة كلها قال ابن عادل والاول أصح لما روى عروة بن الزبير
قال أقول من جهر بالقرآن بمكة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابن مسعود وذلك ان الصحابة قالوا
ما سمعت قریش هذا القرآن يجهر به قط فن رجل يسمعهموه فقال ابن مسعود أنا فقالوا نخشى
عليك وانما يريد رجلاه عشيرة ينعونه فأبى ثم قام عند المقام فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم
الرحمن علم القرآن ثم عمادى بهار افعا صوته وقریش في أندية تقاتلوا وقالوا ما يقول ابن أم عبد
قالوا هو يقول الذى يزعم محمد انه أنزل عليه ثم ضربه حتى أثروا في وجهه وصح ان النبي صلى
الله عليه وسلم قام يصلى الصبح بخلة فقرأ بسورة الرحمن ومرا النفر من الجن فآمنوا به وهي
سبع وعشرون آية وثلاثمائة واحد وخمسون كلمة وألف وستمائة وستة وثلاثون حرفا
(بسم الله) الذى ظهرت احاطة كماله بما ظهر من بحائب مخلوقاته (الرحمن) الذى ظهر عموم
رحمته بما جبر من بدائع مصنوعاته (الرحيم) الذى ظهر اختصاصه لاهل طاعته بما تحققوا من
الذل المقيد للعز بلزوم عباداته ولما كانت هذه السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية
والاخرية صدرها بقوله تعالى (الرحمن علم) أى من شاء (القرآن) وقدم من نعمه الدينية
ما هو أعلى مراتبها وأقصى مراقبها وهو انعامه تعالى بالقرآن العظيم وتنزيله وتعليمه لانه أعظم

وحى الله تعالى رتبة وأعلام منزلة وأحسنه في أبواب الدين أثرًا وهو سنام الكتب السماوية
ومصادقها والعبارة عليها * (تنبيه) * أول هذه السورة مناسب لا تحرم قبلها لأن آخر تلك
ملك مقتدر وأول هذه رحن قال سعيد بن جبيرة عامر والشعبي الرحن فاقحة ثلاث سور إذا
جمعن كن اسمًا من أسماء الله تعالى الرحمن ون فيكون مجموع هذه الرحن والله تبارك وتعالى
رحمتان رحمة سابقة بها خلق الخلق ورحمة لاحقة بها أعطاهم الرزق والمنافع فهو رحن باعتبار
السابقة رحيم باعتبار اللاحقة ولما اختص بالإيجاد لم يقل لغيره رحن ولما خلق بعض
خلقه الصالحين ببعض أخلاقه بحسب الطاقة البشرية فأنعم ونفع جاز أن يقال له رحيم وفي
أعراب الرحن ثلاثة أوجه أحدها أنه خبر مبتدأ مضمرة أي الله الرحن الثاني أنه مبتدأ وخبره
مضمرة أي الرحن ربنًا الثالث أنه مبتدأ أخبره علم القرآن (فان قيل) كيف يجمع بين هذه الآية
وبين قوله تعالى وما يعلم تأويله إلا الله (أجيب) بأننا قلنا بعطف الراسخين على الله فهو ظاهر
وان قلنا بالوقف على الله ويبدأ بقوله تعالى والراسخون فلان من علم كتابًا عظيمًا فيه مواضع
مشكلة قليلة وتأملها بقدر الامكان فانه يقال فلان يعلم الكتاب الغلاني وان كان لم يعلم مراد
صاحب الكتاب ييقن في تلك المواضع القليلة وكذا القول في تعليم القرآن أو يقال المراد
لا يعلمه من تلقاء نفسه بخلاف الكتب التي تستخرج بقوة الذكاء والفكر واختلاف في سبب
نزول هذه الآية فقال أكثر المفسرين نزلت حين قالوا وما الرحن وقيل نزلت جوابًا لاهل مكة
حين قالوا انما يعلمه بشر وهو رحن اليمامة يعنون مسيلة الكذاب فانزل الله تعالى الرحن
علم القرآن أي سم له ليذكر ويقرأ كما قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر ولما كان كأنه قيل
كيف يعلم وهو صفة من صفاته ولمن علمه قال تعالى مستأنفًا ومعللاً (خلق الانسان) أي
الجنس بأن قدره وأوجده على هذا الشكل المعروف والتركيب الموصوف منفصلًا عن جميع
الجمادات وأصله منها ثم عن سائر الناميات ثم عن غيره من الحيوانات وخلق له دليل على خلقه
لكل شيء موجودا كل شيء خالقناه بقدر وقيل علم القرآن جعله علامة وآية (علمه البيان)
أي القوة الناطقة وهي الأدراك للأمور الكلية والجزئية والحكم على الحاضر والغائب
بقياسه على الحاضر وغير ذلك مما أودعه له سبحانه مع تعبيره عما أدركه مما هو غائب في ضميره
وافهامه لغيره تارة بالقول وتارة بالفعل نطقًا وكاتبًا وإشارة وغيره فصار بذلك ذا قدرة في نفسه
والتكميل لغيره فهذا تعليم البيان الذي يمكن من تعليم القرآن وقال ابن عباس وقتادة
والحسن يعني آدم عليه السلام علم أسماء كل شيء وقيل علمه اللغات كلها وكان آدم يتكلم
بسبعمائة ألف لغة أفضلها العربية وعن ابن عباس أيضًا وابن كيسان المراد بالانسان
ههنا محمد صلى الله عليه وسلم والمراد من البيان الحلال والحرام والهدى من الضلال وقيل
ما كان وما يكون لانه بين عن الاولين والآخرين وعن يوم الدين وقال الضحاك البيان الخير
والشر وقال الربيع بن أنس هو ما ينفعه وما يضره وقال السدي علم كل قوم لسانهم
الذي يتكلمون به وقيل بيان الكتابة والخط بالقلم تطهيره قوله تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم

قوله لا يسجد له السجدة ما أتت ألف لقته في حاشية الجبل بسجدة لأنه لغة اه معجمة

(فان قيل) لم قدم تعليم القرآن للانسان على خلقه وهو متأخر عنه في الوجود (أجيب) بأن
التعليم هو السبب في ايجاده وخلقته (فان قيل) كيف صرح بذكر المفعولين في علمه البيان
ولم يصرح به ما في علم القرآن (أجيب) بأن في ذلك إشارة الى ان النعمة في التعميم لا في تعليم
شخص دون شخص وبأن المراد من قوله تعالى علمه البيان تعديد النعم على الانسان واستدعاء
الشكر منه ولم يذكر الملائكة لان المقصود ذكر ما يرجع الى الانسان وقيل تقديره علم جبريل
القرآن وقيل علم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل علم الانسان وهذا أولى لعمومه (تنبيه) هذه
الجل من قوله تعالى علم القرآن الى هنا حتى بهام من غير عاطف لانهم سبقت لتعدد نعمه كقولك
فلان أحسن الى فلان أكرمه أشد ذكره وضع قدومه فلشدة الوصل ترك العاطف وهي أخبار
متراصة للرحمن ولما ذكر تعالى خلق الانسان وانعامه عليه بتعليمه البيان ذكر نعمتين عظيمتين
بقوله تعالى (الشمس) وهي آية النهار (والقمر) وهو آية الليل (بحسبان) فانهم على قانون
واحد وحساب لا يتغيران وبذلك تتم منفعة ما للزراعات وغيرها ولولا الشمس والقمر لقات
كثير من المنافع الظاهرة بخلاف غيرهما من الكواكب فان نعمها لا تظهر لكل أحد مثل
ظهور نعمتها وانما بحسبان لا يتغير أبد أولو كان سيرهما غير معلوم للخلق لما انتفعوا
بالزراعات في أوقاتها ومعرفة فصول السنة والمعنى يجريان بحسبان معلوم فأضمر الخبر قال
ابن عباس وقتادة وأبو مالك يجريان بحسبان في منازل لا يعدوانها ولا يجعدان عنها وقال
ابو زيد وابن كيسان بهما تحسب الاوقات والاعمار ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم
يدرك أحد كيف يحسب شيئاً ان كان الدهر كله ليلاً أو نهاراً وقال السدي بحسبان تقدير آجلهما
أي يجريان بأجل كآجال الناس فاذا جاء آجلهما هلكا نظيره ككل يجري الى أجل مسمى
(والنجم) أي النبات الذي ينجم أي يطلع من الارض ولا ساق له كالبقول (والشجر) أي
الذي له ساق كشجر الرمان وتقدم الجواب عن قوله تعالى وأنبأنا عليه شجرة من يقطين
في سورة الصافات (يسجدان) أي يتقادان لله تعالى فيما يريد طبعاً انقياد الساجدين
المكلفين طوعاً وقال الضحاك سجودهما سجود ظلالهما وقال القراء سجودهما انهما
يستقبلان اذا طلعت الشمس ثم يميلان معها حتى ينكسر النقي وقال الزجاج سجودهما دوران
الظل معهما كما قال تعالى تضيأ ظلاله وقال الحسن ومجاهد النجم نجم السماء وسجوده
في قول مجاهد دوران ظله وقيل سجود النجم أقوله وسجود الشجر امكان الاجتهاد لئلا يراها
حكمة الماوردي وقال النحاس أصل السجود في اللغة الاستسلام والاتباع فله عز وجل فهو
من الموات كلها استسلامها لامر الله عز وجل وانقيادها له ومن الحيوان كذلك (فان قيل)
كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن (أجيب) بأنه استغنى فيهما عن الوصل اللغوي بالوصل
المعنوي لما علم ان الحسبان سجود له والسجود له لا غيره كأنه قيل الشمس والقمر بحسبان
والنجم والشجر يسجدان له (فان قيل) أي تناسب بين هاتين الجملتين حق وسط بينهما العاطف
(أجيب) بأن الشمس والقمر هما ويان والنجم والشجر أرضيان فيبين القليلين تناسب من

حيث التقابل فان السماء والارض لا تزالان تذكران قريقتين وان جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله تعالى فهو مناسب لسجود النجم والشجر (والسما) أي ورفع السماء ثم فسرنا صيغها فيكون كالمذكور مرتين إشارة الى عظيم تدبيره لشدة ما فيها من الحكم فقال تعالى (رفعها) أي حسا قال البقاعي بعدما كانت ملتصقة بالارض فقطعها وأعلاها عنها وقال الزمخشري وتبعه البيضاوي خلقها من فوعة قال البيضاوي محللا ورتبة وقال الزمخشري حيث جعلها منشا أحكامه ومصدر قضايه ومتنزل أو امره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على أنبيائه ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وساطتانه (ووضع الميزان) أي العدل الذي يدبر به الخافقين من الموازنة وهي المعادلة لتتقظم أمورنا كما قال صلى الله عليه وسلم بالعدل قامت السموات والارض وقال السدي وضع في الارض العدل الذي أمر به يقال وضع الله الشريعة ووضع فلان كذا أي ألغى وقيل على هذا الميزان القرآن لان فيه بيان ما يحتاج اليه وهو قول الحسين بن الفضل وقال الحسن وقتادة والضحاك هو الميزان الذي يوزن به ليتنصف به الناس بعضهم من بعض وهو خبر بمعنى الامر بالعدل يدل عليه قوله تعالى وأقيموا الوزن بالقسط والقسط هو العدل وقيل هو الحكم وقيل المراد وضع الميزان في الآخرة لوزن الاعمال (آن) أي لاجل ان (لا تظفوا) أي تجاوزوا الحدود (في الميزان) فمن قال الميزان العدل قال طغيانه الجور ومن قال انه الميزان الذي يوزن به قال طغيانه البض قال ابن عباس لا تخونوا من وزنتم له وعنه انه قال يامعشر الموالي وليتم أمرين بهما هلك الناس الميكال والميزان ومن قال انه الحكم قال طغيانه التحريف وقيل فيه اضمار أي وضع الميزان وأمركم أن لا تظفوا فيه (فان قيل) اذا كان المراد به ما يوزن به فأى نعمة عظيمة فيه حتى يعد في الآلاء (أجيب) بأن النفوس تأبى الغبن ولا يرضى أحد أن يغلبه غيره ولو في الشيء اليسير ويرى ان ذلك استهانة به فلا يترك خصمه يغلبه فوضع الله تعالى معيارا بين به التساوي ولا تقع به البغضاء بين الناس وهو الميزان وهو كل ما يوزن به الاشياء بين الناس ويعرف مقاديرها به من ميزان وميكال ومقياس فهو نعمة كاملة ولا ينظر الى عدم ظهور نعمته وكثرته وسهولة الوصول اليه كالهواء والماء اللذين لا يتبين فضلهما الا عند فقدهما (وأقيموا الوزن بالقسط) أي افعلوهم مستقيما بالعدل وقال أبو الدرداء أقيموا لسان الميزان بالعدل وقال ابن عيينة الاقامة بالبدن والقسط بالقلب وقال مجاهد القسط العدل بالرومية (ولا تخسروا الميزان) أي لا تنقصوا الموزون أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكثر رافض الميزان تشديد التوصية وتقوية للامر باستعماله والحث عليه وقيل كثره لحال رؤس الآي وقيل كثره ثلاث مرآت الاقل بمعنى الآلة وهو قوله تعالى ووضع الميزان والثاني بمعنى المصدر أي لا تظفوا في الوزن والثالث للمفعول أي لا تخسروا الموزون قال ابن عادل وبين القرآن والميزان مناسبة فان القرآن فيه العلم الذي لا يوجد في غيره من الكتب والميزان به يقام العدل الذي لا يقام بغيره من

الآلات ولما ذكر انعامه الدال على اقتداره برفع السماء ذكر على ذلك الوجه مقابلهما بعد ان وسط بينهما ما قامتا به من العدل تنبها على شدة العناية والاهتمام به فقال تعالى (والارض) أى ووضع الارض ثم فسر ناصبها كما فعل في قوله تعالى والسماء رفعها فقال تعالى (وضعها) أى دحاها وبسطها على الماء (للانام) أى كل من فيه قابلية النوم أو قابلية الونيم وهو الصوت وقيل هو الحيوان وقيل بنو آدم خاصة وهو مروي عن ابن عباس ونقل الزووى في التهذيب عن الزبيدي الانام الخلق قال ويجوز الانيم وقال الواحدى قال الليث الانام ما على ظهر الارض من جميع الخلق وقال الحسن هم الانس والجن (فيها) أى الارض (فاكهة) أى ما يتفكه به الانسان من ألوان الثمار ونكرها لان الانتفاع بها دون الانتفاع بما ذكر بعدها فهو من باب الترقى من الأدنى الى الأعلى اذا التمسك فيها بالتعظيم والتكثير نسبة عليه بتعريف فرع منها ونومه لانه فيه مع التفكه التقوت وهو أكثر ثمارا للعرب المقصودين بهذا الذكر بالقصد الاول فقال تعالى (والنخل) ودل على تمام القدرة بقوله تعالى (ذات) أى صاحبة (الأكام) أى أوعية ثمرها وهو الطلع قبل أن ينشق بالثمر والأكام جمع كم بالكسر قال الجوهري والكم بالكسر والكمأة وعاء الطلع وغطاء النور والجمع كأم وأكمة والأكام والكمأة ما يكتم به فسم البعير كسلا يعضن وكم القمص بالضم والجمع الكام وكمة والصكمة القنسوة المدورة لانها تغطي الرأس (والحب) أى جميع الحبوب التي يقتات بها كالحنطة والشعير (ذو العصف) قال ابن عباس تبن الزرع وورقه الذي يعصفه الريح وقال مجاهد ورق الشجر والزرع وقال سعيد بن جبيرة قل الزرع الذي أول ما ينبت منه وهو قول القراء والعرب تقول خرجنا نعصف الزرع اذا قطعوا منه قبل أن يدرك وقيل العصف حطام النبات (والريحان) وهو في الأصل مصدر ثم أطلق على الرزق قال ابن عباس ومجاهد والضحاك هو الرزق بلغة حمير كقولهم سبحان الله وريحانه نصبوهما على المصدر يريدون تنزيهه واستترزا قاي وعن ابن عباس أيضا والضحاك وقتادة انه الريحان الذي يشم وهو قول ابن زيد وقال سعيد بن جبيرة هو ما قام على ساق وقال القراء العصف الماء كقول من الزرع والريحان ما لا يؤكل وقال الكلبي العصف الورق الذي يؤكل والريحان هو الحب الماء كقول وقيل كل بقلة طيبة الريح سميت ريحانا لان الانسان يراح لها رائحة طيبة أى يشم وفي الصحاح والريحان نبت معروف والريحان الرزق تقول خرجت ابتغي ريحان الله وفي الحديث الولد من ريحان الله وقرأ ابن عامر بنصب الحب وذاو الريحان بخلق مضمر أى وخلق الحب وذا العصف والريحان وقرأ حزة والكسائي برفع الحب وذو عطف على فاكهة وجوز الريحان عطف على العصف والباقون برفع الثلاثة عطف على فاكهة أى وفيها أيضا هذه الاشياء ولما دخل في قوله تعالى والارض وضعها للانام الجن والانس خاطبهم بما يقوله تعالى (فبأى آلاء) أى نعم (ربكم) أى المحسن اليكم المدبر لكم الذي لا مدبر ولا سبيل لكم غيره (تمكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها وكرر هذه الآية في هذه السورة في احد وثلاثين

قوله الوينم وهو الصوت أي يذكره القاموس اه

موضعا تقريرا للنعمة وتأكيدا في التذكير وفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها ليفهمهم النعم
ويقرّرونها كما تقول لمن تتابع عليه احسانك وهو يكفره وينكره ألم تكن فقيرا فأغنيته
أفتنكره هذا ألم تكن خاما فعزّزتك أفتنكره هذا ألم تكن راجلا فحملتك أفتنكره هذا
والتكرير حسن في مثل هذا قال القائل * كم نعمة كانت لكم كم وكم * وقال آخر

لا تقتلني مسلما ان كنت مسلمة * اياك من دمه اياك اياك

(وقال آخر)

لا تقطعن الصديق ما طرقت * عينك من قول كاشع أثير

ولا تملن يوما زيارته * زره وزره وزر وزر وزر

وقال الحسن بن الفضل التكرير طرد للغفلة وتأكيدا للعبارة قال بعض العلماء والتكرير
ههنا كما تقدم في قوله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وكقوله تعالى فيما سبأ أي ويل يومئذ
للكاذبين وذهب جماعة منهم ابن قتيبة إلى أن التكرير لا اختلاف النعم فلذلك كرر التوقيف
مع كل واحدة وقال الرازي وذكره بلفظ الخطاب على سبيل الالتفات والمراد به التقرير
والزجر وذكر لفظ الرب لأنه يشعر بالرحمة قال وكررت هذه اللفظة في هذه السورة نيفا وثلاثين
مرة أما للتأكيد ولا يعقل لخصوص العدد معنى وقيل الخطاب مع الانس والجن والنعمة
منحصرة في دفع المكروه وتحصيل المقصود وأعظم المكروهات نار جهنم ولها سبعة أبواب
وأعظم المقاصد نعيم الجنة ولها ثمانية أبواب فالمجموع خمسة عشر وذلك بالنسبة للانس والجن
ثلاثون والزائد لبيان التأكيّد وروى جابر بن عبد الله قال قرأ علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال مالي أراكم سكوتاً للجن كانوا أحسن منكم ردا
ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة فبأي آلاء ربك ~~كذب~~ كذبان الا قالوا ولا بشئ من نعمك
ربنا نكذب فلك الحمد وقرأ ورش فبأي آلاء على أصله بالمد والتوسط والقصر جميع ما في هذه
السورة * ولما ذكر تعالى خلق العالم الكبير من السماء والارض وما فيه - ما من الدلالات على
وحدانيته وقدرته ذكر خلق العالم الصغير فقال تعالى (خلق الانسان) أي آدم عليه السلام
(من صلصال) أي من طين يابس له صلصلة أي صوت اذا انقر (~~كالفخار~~) أي كالخزف
المصنوع المشوي بالنار وقيل هو طين خلط برمل وقيل هو الطين المتين من صل اللحم وأصل
اذا أنتن * (تنبيه) * قال تعالى هنا من صلصال كالفخار وقال تعالى في الحجر من حمامسنون
وقال تعالى في الصافات من طين لازب وقال تعالى في آل عمران كمثل آدم خلقه من تراب وكلمه
متفق المعنى وذلك أنه أخذ من تراب الارض فجعله بالماء فصارت طينا ثم تركه حتى صار جأ
مسنونا ثم منقنا ثم صورته ~~كما يصور الابريق وغيره~~ من الاواني ثم أبيضه حتى صار في غاية
الصلابة فصار كالخزف الذي اذا انقرصت صوتا يعلم منه هل فيه عيب أو لا فالمد كور هنا آخر
تخليقه - وهو أنسب بالرحمانية وفي غيرها تارة مبذوء وتارة أثناؤه فالارض أمه والماء أبوه
عز وجلين بالهواء الحامل للجزء الذي هو من فيج جهنم فمن التراب جسد ونفسه ومن الماء روحه

وعقله ومن النار غوايته وحده ومن الهواء حركته وتقلبه في محامده ومذامه فالغالب في جبلته
التراب فلهذا نسب اليه وان خلق من العناصر الاربع كما أن الجن خلق من العناصر الاربع
ليكن الغالب في جبلته النار فنسب اليها كما قال تعالى (وخلق الجن) أي أبا الجن وهو ابليس
وقيل هو أبوهم وليس هو ابليس وقيل هو اسم جنس كالانسان (من مارج من نار) وهو له بها
الخاص من الدخان وقال القشيري هو اللهب المختلط بسواد النار فالنار أغلب عناصره
وقال الليث المارج الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد وعن ابن عباس أنه اللهب الذي
يعلو النار فيضطط بعضه ببعض أحمر وأصفر وأخضر وهو مشاهد في النار ترى الألوان الثلاثة
مختلط بعضها ببعض ونحوه عن مجاهد وقال أبو عبيدة والحسن المارج المختلط من النار
وأصله من مارج إذا اضطرب واختلط قال القرطبي يروى أن الله تعالى خلق نارين فرج
أحدهما أبا الأخرى فأكلت أحدهما الأخرى وهي نار السموم تخلق منها ابليس * (تنبيه) *
من مارج من نار من الأولى لا ابتداء الغاية وفي الثانية وجهان أحدهما أنها اللبيان والثاني
أنها للتبعيض (فباي آلاء) أي نعم (ربكما) الناشئة عن مبدئكما ومريكما وسيدكما
(تكذبان) أي مما أقاض عليكم في أطوار خلقكما حتى صيركما أفضل المراتب وخلاصة
الكائنات (رب) أي خالق ومدير (المشرقين) أي مشرق الشتاء ومشرق الصيف (ورب
المغربين) كذلك (فباي آلاء) أي نعم (ربكما) أي الذي دبر لكما هذا التدبير العظيم (تكذبان)
أي بما في ذلك من القوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث
ما يناسب كل فصل فيه إلى غير ذلك (مرج) أي أرسل الرحمن (البحرين) أي العذب والمالح
فجعلهما مضطربين من طبعهما الاضطراب حال كونهما (يلتقيان) أي يتماسان على وجه
الارض بلا فصل بينهما في رؤية العين وقال ابن عباس بحر السماء وبحر الارض قال سعيد
ابن جبير يلتقيان في كل عام وقيل يلتقي طرفاهما وقال الحسن وقتادة بحر فارس والروم
وقال ابن جريج البحر المالح والانهار العذبة وقيل بحر المشرق وبحر المغرب وقيل بحر اللؤلؤ
وبحر المرجان (بينهما برزخ) أي حاجر عظيم فعلى القول بأنهما بحر السماء وبحر الارض فالحاجر
الذي بينهما هو ما بين السماء والارض قاله الضحاك وعلى الأقوال الباقية قال الحسن وقتادة
هو الارض وقال بعضهم هو القدرة الالهية وهذا أولى (لا يغيثان) اختلف فيه فقال قتادة
لا يغيثان على الناس فيغرقانهم كما طفيا فأهلكا من على الارض في أيام نوح عليه السلام فجعل
بينهما وبين الناس اليبس وقال مجاهد وقتادة أيضا لا يغيث أحدهما على صاحبه فيغلبه
وقيل البرزخ ما بين الدنيا والآخرة أي بينهما مدة قدرها الله تعالى وهي مدة الدنيا فهما لا يغيثان
فاذا أذن الله تعالى في انقضاء الدنيا صار البحران شيئا واحدا وهو كقوله تعالى وإذا البحار فجرت
وقال سهل بن عبد الله البحران طريق الخير والشر والبرزخ الذي بينهما التوفيق والعصمة
وقال الرازي معنى الآية أن الله تعالى أرسل بعض البحرين إلى بعض ومن شأنهما الاختلاط
فجبرهما ببرزخ من قدرته فهما لا يغيثان أي لا يتجاوز كل واحد منهما ما حده له خالقه

لافي الظاهر ولا في الباطن فتي حشرت على جنب الملح في بعض الاماكن وجدت الماء العذب
 وان قربت الحفرة منه قال البقاعي بل كلما قربت كان أحلى فخلطهما سبحانه في رأى العين
 وحجز بينهما في غيب القدرة هذا وهما جادان لانطق لهما ولا ادراك فكيف ينبغي بعضكم
 على بعض أيها المدرس كون العدة (فبأي آلاء) أي نعم (وبكيا) أي الموجد لكما والمربي
 (تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها فهلا اعتبرتم بهذه الاصول من أنواع الموجودات فصدقتم
 بالآخرة لعلكم تنجون من عذاب الله تعالى (يخرج منه ما اللؤلؤ) وهو بكار الجوهر
 (والمرجان) وهو صغار الجوهر قاله علي وابن عباس والضحاك وقيل بالعكس وقيل المرجان
 حجر أحر وقيل حجر شديد البياض والمرجان أعجمي أي بمخالطة العذب الملح من غير واسطة
 أو بواسطة السحاب فصار ذلك كالذكر والانثى وقال الرازي فيكون العذب كاللقاح للملح
 وقال أبو حيان قال الجمهور انما يخرج من الاجاج في المواضع التي تقع فيها الانهار والمياه
 العذبة فأسند ذلك اليهما وهذا مشهور عند الفواصين قال مكي كما قال علي رجل من القرينتين
 عظيم أي من احدى القرينتين وحذف المضاف كثير شائع وقيل هو كقوله تعالى نسيحوتهم ما
 وانما الناس فتاه ويعزى لابي عبيدة قال البغوي وهذا جائز في كلام العرب ان يذكر
 شيان ثم يخص أحدهما بفعل كقوله تعالى يا معشر الجن والاناس ألم يأتكم رسل منكم
 وكانت الرسل من الانس وقيل يخرج من أحدهما اللؤلؤ ومن الآخر المرجان وقيل
 بل يخرجان منهما جميعا وقال ابن عباس تكون هذه الاشياء في البحر ينزل المطر والصدف
 تفتح أفواهها للمطر وقد شاهدته الناس فيكون تولده من بجزر السماء وبحر الارض وهذا قول
 الطبري وقال الزمخشري فان قلت لم قال منه ما وانما يخرجان من الملح قلت لما التقيا وصارا
 كالشيء الواحد جاز أن يقال يخرجان منه ما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع
 البحر وانما يخرجان من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محله بل
 من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتحق الملح والعذب اه وقال بعضهم كلام الله
 تعالى أولى بالاعتبار من كلام بعض الناس فمن الجائز انه يسوقه ما من البحر العذب الى الملح
 واتفق أنهم لم يخرجوه الا من الملح واذا كان في البر أشياء تنحى على التبار المتردين القاطعين
 المقاوز فكيف بما في قعر البحر قال ابن عادل والجواب عن هذا ان الله تعالى لا يخاطب
 الناس ولا يمتن عليهم الامم لقون ويشاهدون وقرأ نافع وأبو عمرو ويخرج بضم الياء وفتح
 الراء مبني للمفعول والباقون بفتح الياء وضم الراء مبني للفاعل على الجواز وقرأ السوي
 وشعبة بأبدال الهمزة الساكنة واوا وصلا ووقفا واذا وقف حزة أبداً الاولى والثانية
 (فبأي آلاء) أي نعم (ربكيا) أي الملك الاعظم المالك لكما (تكذبان) أبكثرة النعم من
 خلق المنافع في البصائر وتبليطكم عليها واخراج الحلي العجيبة أم بغيرها (وله) أي لا غيره
 (الجواري) أي السفن الكبار والصغار الفاوغة والمشحونة فلا تفتروا بالاسباب الظاهرة
 فتقفوا معها فتسندوا شيئاً من ذلك اليها وقرأ (المنشآت) حزة وأبو بكر بخلاف عنه بكسر

الذين بمعنى أنها تنشي الموج بجريها وتنشي السيرا قبلا وادبارا أو التي رفعت شراعها أي
قلوعها والشراع القلع وعن مجاهد كل ما رفعت قلوعها فهي من المنشآت والافليست منها
ونسبة الرفع اليها مجاز كما يقال أنشأت السحابة المطر وقرأ الباكون بفتح الشين وهو اسم
مفعول أي أنشأها الله تعالى أو الناس أو رفعوا شراعها * (تبيينه) * الجواري جمع
جارية وهي اسم أوصفة للسفينة وخصها بالذكور لأن جريها في البحر لا صنع للبشر فيه وهم
معترفون بذلك فيقولون لك الفلك ولك الملك وإذا خافوا الفرق دعوا الله وحده وسميت
السفينة جارية لأن شأنها ذلك وإن كانت واقضة في الساحل كما سماها في موضع آخر
بالجارية كما قال تعالى أنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وسماها بالفلك قبل أن لم تكن كذلك
فقال تعالى لنوح عليه السلام واضع الفلك بأعيننا ثم بعد ما غمها سماها سفينة فقال تعالى
فأنجيناه وأصحاب السفينة قال الرازي فالفلك أولاً ثم السفينة ثم الجارية اه والمرأة
المملوكة تسمى أيضا جارية لأن شأنها الجري والسعي في حوائج سيدها بخلاف
الزوجة فهي من الصفات الغالبة والسفينة فعيه بمعنى فاعله عند ابن دريد كأنها تنسف من الماء
وفعيه بمعنى مفعوله عند غيره بمعنى مسفونة وقوله تعالى (في البحر) متعلق بالمنشآت
وقوله تعالى (كالاعلام) حال أمان الضمير المستكن في المنشآت وأمان الجواري
وكلاهما بمعنى واحد والاعلام الجبال والعلم الجبل الطويل علما على الأرض قال التائي
* إذا قطعنا علما بد الناعلم * وقال آخر

ربما أوقيت في علم * ترفعن ثوبي شمالات

وقالت الخنداء في أخيهما صخر

وان صخر التائم الهداية * كانه علم في رأسه نار

أي جبل فالسفن في البحر كالجبال في البر وجمع الجواري ووحيد البحر وجمع الاعلام إشارة
الى عظيمة البحر (فبأي آلاء) أي نعم (ربكما) العظمى التي عمت خلقه (تكذبان) أبلك النعم
من خلق مواد السفن والارشاد الى أخذها وكيفية تركيها واجرائها في البحر وأسباب لا يقدر
على خلقها ووجعها غيره أم غيرها وقوله تعالى (كل من عليها فان) أي هالك غلب فيه من يعقل
على غيره وجميعهم مراد والضمير في عليها الأرض قال بعضهم وإن لم يجز لها ذكر كقوله تعالى
حق توارت بالحجاب ورد هذا بأنه قد تقدم ذكرها في قوله تعالى والأرض وضعها وقيل الضمير
عائد الى الجوارى قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة هلك أهل الأرض
فقل كل شيء هالك الا وجهه فأيقنت الملائكة بالهلاك (فان قيل) الكلام في تعدد النعم
فأين النعمة في فناء الخلق (أجيب) بأنها التسوية بينهم في الموت والموت سبب للنقل الى دار
الجزاء والثواب (ويبقى) أي بعد فناء الكل بقاء مستمرا الى ما لا نهاية له (وجه ربك) أي ذاته
فالوجه عبارة عن وجود ذاته قال ابن عباس الوجه عبارة عنه (فان قيل) كيف خاطب
الاثنين بقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان وخاطب ههنا الواحد فقال ويبقى وجه ربك ولم يقل وجه

وبكيا (أجيب) بأن الإشارة ههنا وقعت الى كل أحد فقال ويبي وجه ربك أيها السامع ليعلم كل أحد أن غيره فان فلو قال ويبي وجه ربك لكان كل أحد يخرج نفسه ورفيقه الخاطب عن القناء (فان قيل) فلو قال ويبي وجه الرب من غير خطاب كان أدل على فناء الكل (أجيب) بأن كاف الخطاب في الرب إشارة الى اللطف والابقاء إشارة الى القهر والموضع موضع بيان اللطف وتعدد النعم فلهذا قال بلفظ الرب وكاف الخطاب ولما ذكر تعالى مبادئه للمخلوقات وصف نفسه بالاحاطة الكاملة فقال تعالى (ذوالجلال) أي العظمة التي لا ترام وهو صفة ذاته التي تقتضي اجلاله عن كل ما لا يليق به (والاكرام) أي الاحسان العام وهو صفة فعله مع جلاله وعظمته (فبأي آلاء) أي نعم (ربك) أي المربي لك على هذا الوجه الذي مآله الى العدم الى أجل مسمى (تكذبان) أثبتك النعم من بقاء الرب وفناء الكل والحياة الدائمة والنعم المقيم أم بغيرها وقوله تعالى (يسأله من في السموات) أي كلها كلهم (والارض) كذلك مستأنف وقيل حال من وجه والعامل فيه يبي أي يبي مسؤولا من أهل السموات والارض بلسان الحال أو المقال أو بهما قال ابن عباس وأبو صالح أهل السموات يسألونه المغفرة ولا يسألونه الرزق وأهل الارض يسألونهم ما جيعا وقال ابن جريج يسأله الملائكة الرزق لأهل الارض فكانت المسئلتان جميعا من أهل السماء وأهل الارض لأهل الارض كما في الحديث قال القرطبي وفي الحديث ان من الملائكة ملكا له أربعة أوجه وجه كوجه الانسان يسأل الله تعالى الرزق ابني آدم ووجه كوجه الاسد وهو يسأل الله تعالى الرزق للسباع ووجه كوجه النور وهو يسأل الله تعالى الرزق للبهائم ووجه كوجه النسر وهو يسأل الله تعالى الرزق للطير وقال ابن عطاء انهم يسألونه القوة على العبادة وقوله تعالى (كل يوم) منصوب بالاستقرار الذي تضمنه الخبر وهو قوله تعالى (هو في شان) والشان الامر روى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل يوم هو في شان قال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفترج كربا ويرفع أقواما ويضع آخرين وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يغفر ذنبا ويكشف كربا ويحبب داعيا وقال أكثر المفسرين من شأنه أنه يحيي ويميت ويرزق ويعز ويذل قوم ويذل قوم ويشقى قوما ويفترج مكروبا ويحبب داعيا ويعطي سائلا ويغفر ذنبا الى ما لا يحصى من أفعاله واحداثه في خلقه ما يشاء وروى البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ان مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضاء دقها من ياقوتة حمراء قلعه نور وكللته نور ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثمانمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو في شان وقال سفيان بن عيينة الدهر كله عند الله تعالى يومان أحدهما اليوم الذي هو مدة عمر الدنيا فشأنه فيه أي في كل يوم من أيامها الامر والنهي والامانة والاحياء والاعطاء والمنع والثاني يوم القيامة وشأنه فيه الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقال أبو سليمان الداراني في هذه الآية أنه في كل يوم الى العبيد بترديد وقال بعض المفسرين شأنه تعالى أنه يخرج في كل يوم وليله ثلاثة عساكر عسكرا من أصلاب الآباء الى أرحام الائمةات وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا

من الدنيا الى القبور ثم يرتحلون جميعا الى الله تعالى وقيل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضى يوم السبت شيئا وسأل بعض الملوك وزيره عن هذه الآية فاستعمله الى الغد وذهب كثيرا يتفكر فيها فقال له غلام أسود يا مولاي أخبرني ما أصابك لعل الله تعالى يسهل لك على يدي فأخبره فقال أنا أفدسها للهلك فأعلمه فقال أيها الملك شأن الله تعالى أن يوبخ الليل في النهار ويوبخ النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم مريضا ويبتلي معافي ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال الامير أحسنت وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من شأن الله تعالى وعن عبد الله بن طاهر أنه دعا الحسين بن الفضل وقال له أشكلت على ثلاث آيات دعوتك لتكشف لي قوله تعالى فاصبح من الغادمين وقد صبح أن الندم توبة وقوله تعالى كل يوم هو في شأن وسبح أن القلم جفبها هو كائن الى يوم القيامة وقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى فعناه ليس له الا ما يسعى فبالاضعاف قال الحسين يجوز أن لا يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون في هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامة بخصائص لم تشاركهم فيها الا هم وقيل ان ندم قاتل لم يكن على قتلها يليل ولكن على حمله وأما قوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى فعناه انه ليس له الا ما يسعى عدلا ولي أن أجره بواحدة ألفا فضلا وأما قوله تعالى كل يوم هو في شأن فانهما شئون يديها لاشئون يتدبرها فقام عبد الله فقبل رأسه وسوغ خراجه (فباي آلام) أي نعم (ربكم) المدبر لكما هذا التدبير العظيم (تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها (سنفرغ لكم) أي سنقصده لحسابكم وجزائكم وقرأ حزمة والكسائي بعد السين بالياء النحية والباقون بالنون (أيه الثقلان) أي الانس والجن وذلك يوم القيامة فانه تعالى لا يفضل ذلك في غيره قال القرطبي يقال فرغت من الشغل أفرغ فراغا وفروغا وفرغت لكذا واستفرغت مجهودى في كذا أي بذلت وليس بالله تعالى شغل يفرغ منه وانما المعنى سنة صد لجوازاتكم ومحاسبتكم فهو وعيد لهم وتهديد قاله ابن عباس والضحاك كقول القائل لمن يريد تهديده اذا تفرغ لك أي أقصدك وأنشد ابن الانباري للجرير

الان وقد فرغت الى غير * فهذا حين كنت لهم عذبا

يريد وقد قصدت وأنشد الزجاج والنحاس * فرغت الى العبد المقيد في الجمل * وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه لما بايع الانصار ليلة العقبة صاح الشيطان يا أهل الحياحب هذا مذم يبايع بنى قبيلة على حربكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا أرب العقبة أما والله يا عدا الله لا تفرغن لك أي أقصد الى ابطال أمرك وهذا اختيار الكسائي وغيره قال ابن الاثير لا أرب في اللغة الكثير الشعر وهو هنا شيطان اسمه أرب العقبة وهو الحية وقيل ان الله تعالى وعد على التقوى وأعد على الفجور ثم قال تعالى سنفرغ لكم أيها الثقلان أي ما وعدناكم ونوصل كالا الى ما وعدناه أقسم ذلك وأنفرغ منه قاله الحسن ومقاتل وابن زيد (تنبيه) * رسم أي بغير ألف فاذا وقف عليها وقف أبو عمرو والكسائي أيها بالالف ووقف الباقون على الرسم أيه وفي

الوصل قرأ ابن عامر آية برفع الهاء والباقون بنصبها * (فائدة) * سمي الانس والجن بالثقلين لعظم شأنهما بالاضافة الى ما في الارض من غيرهما بسبب التكليف وقيل سميوا بذلك لانهم ما ثقلا الارض احياء وأمواتا قال الله تعالى وأخرجت الارض أثقالها ومنه قولهم اعطاه ثقله أي وزنه وقال بعض أهل المعاني كل شيء له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل ومنه قيل لبيض النعام ثقل لان واجده وصانده يفرح به اذا ظفر به وقال جعفر الصادق سمي الثقلين لانهم ما مثقلان بالذنوب وقيل الثقل الانس اشرفهم وسمي الجن بذلك مجازا للمجاورة والتغليب كالقمرين والعمرين والثقل العظيم الشريف قال صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي (فباي آلاء) أي نعم (ربكم) أي المحسن اليكاتب هذا الصنيع المحكم (تكذبان) أي ابتلك النعم من ائابة أهل طاعته وعقوبة أهل معصيته أم بغيرها (يامعشر الجن) أي يا جماعة فيهم الاهلية والعشرة والتصادق (والانس) أي الخواص والمستأنسين والمأنوسين المبني أمرهم على القامة والاجتماع (ان استطعتم) أي وجدت لكم اطاعة الكون في (ان تنفذوا) أي تسلكوا بأجسامكم وعضوا من غير مانع بينكم (من أقطار) أي نواحي (السموات والارض) هاربين من الله تعالى من أنواع الجزاء بينكم أو عصيانا عليه في قبول أحكامه وجرى مراداته وأقضيته عليكم من الموت وغيره وقوله تعالى (فانفذوا) أمر تعجيز والمعنى ان استطعتم أن تجوزوا نواحي السموات والارض فتجوزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا يعني لا مهرب لكم ولا خروج لكم عن ملك الله تعالى أينما تولوا فثم ملك الله عز وجل (فان قيل) ما الحكمة في تقديم الجن على الانس ههنا وتقديم الانس على الجن في قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن (أجيب) بأن النفوذ من أقطار السموات والارض بالجن أليق ان أمكن والاثبات بمثل القرآن بالانس أليق ان أمكن فقدم في كل موضع ما يليق به (فان قيل) لم جمع في قوله تعالى سنفرغ لكم وفي قوله تعالى ان استطعتم وثني في قوله آية الثقلان (أجيب) بأنهم افریقان في حال الجمع كقوله تعالى فاذا هم فرقة ان يختصمون وهذا ان خصمان اختصموا في ربه - م (لاتنفذون) أي لاتقدرون على النفوذ (الابسلطان) أي الابقوة وقهروا نى لكم ذلك وروى عن ابن عباس رضى الله عنه - ما أنه قال معناه ان استطعتم أن تعلموا ما في السموات والارض فاعلموا ولن تعلموا الابسلطان أي بينة من الله تعالى * (تنبيه) * في هذه الآيات والتي في الاحقاف وفي قل أوحى دليل على أن الجن مكلفون مخاطبون مأمورون منهيون مثابون معاقبون كالانس سواء مؤمنين - م كؤمنهم وكافرهم ككافرهم (فباي آلاء) أي نعم (ربكم) المحسن اليك المربي لك بما تعرفون به قدرته على ما يريد (تكذبان) ابتلك النعم أم بغيرها وقال البغوي وفي الخبر يحاط على الخلق باللائكة وبلسان من نار ثم ينادون يامعشر الجن والانس ان استطعتم الاية فذلك قوله تعالى (يرسل عليكم) أي أيها المعاندون قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما حين يخرجون من القبر ولا سوقهم - م الى المشمر (شواظ من نار) قال مجاهد هو اللهب الاخضر المنقطع من النار وقال ابن عباس

رضي الله تعالى عنهما هو اللهب الخالص الذي لا دخان له وقال الضحالة هو الدخان الذي يخرج من اللهب ليس كدخان الحطب وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما إذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواط إلى المحشر وقيل هو اللهب الأحمر وقال عمرو هو النار والدخان جميعا وحكاها الأخفش عن بعض العرب قال حسان

هجو نك فاختضعت لها بذل * بقافية تأجج كالشواط

وقرأ ابن كثير بكسر الشين والباء قون بضمها وهما الغتان بمعنى واحد مثل صوار من البقر وصوار وهو القطيع من البقر واختلف في قوله سبحانه وتعالى (ونحاس) فقيل هو الصفر المعروف يذيه الله تعالى ويعذبهم به وقيل هو الدخان الذي لا لهب معه قاله الخليل وهو معروف في كلام العرب وأنشد الأعشى

تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نجاسا

وقال ابن برحان والعرب تسمى الدخان نحاسا بضم النون وكسرها وأجمع القراء على ضمها ٥١ وقال الضحالة هو دودي الزيت المغلي وقال الكسائي التي لها ريح شديدة (فلا تنصران) أي فلا تغتصنان ولا ينصر بعضكم بعضا من ذلك بل يسوقكم إلى المحشر (فبأي آلاء) أي نعم (ربكم) أي المدبر لكما هذا التدبير المتقن (تكذبان) أثبتك النعم فإن التهديد لطف والتمية يزين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار في عداد الآلاء أم يغيرها (فاذا انشقت السماء) أي انفرجت فكانت أبواب النزول الملائكة (فكانت وردة) أي حجرة مثل الورد (كالدهان) أي كاللاديم الأحمر على خلاف العهد به الشدة حزن نار جهنم وقال مجاهد والضحالة وغيرهما الدهان الدهن والمعنى صارت في صفاء الدهن والدهان على هذا جمع دهن وقال سعيد بن جبيرة وقتادة المعنى تصير في حمة الورد وجران الدهن أي تذوب مع جريان الدهن حتى تصير حرا من حرارة نار جهنم وتصير مثل الدهن لرقته واودوبانها وقال الحسن كصب الدهن فانك اذا صببته ترى فيه ألوانا وجواب اذا انما أعظم الهول (فبأي آلاء) أي نعم (ربكم) أي الخالق والرازق لكما (تكذبان) أثبتك النعم أم يغيرها عما يكون بعد ذلك (فيومئذ) أي فتسبب عن يوم اذا انشقت السماء أنه (لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جان) أي سؤال تعرف واستعلام بل سؤال تقرير وتوبيخ وملام وذلك أنه لا يقال له هل فعلت كذا بل يقال له لم فعلت كذا على أن ذلك اليوم طويل وهو ذو ألوان تارة يستل فيه وتارة لا يستل والامر في غاية الشدة وكل لون من تلك الألوان يسمى يوما فيستل في بعض ولا يستل في بعض وقيل المعنى لا يستلون اذا استقرت في النار وقال الحسن وقتادة لا يستلون عن ذنوبهم لان الله تعالى حفظها عليهم وكتبها الملائكة رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن الحسن ومجاهد لا تسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسميائهم دليله قوله تعالى يعرف الجرمون بسميائهم ورواه مجاهد عنه أيضا في قوله تعالى فوريك لتسألهم أجمعين وقوله تعالى فيومئذ لا يستل عن ذنبه أنس ولا جان قال لا يسألهم ليعرف ذلك منهم ولكنه يسألهم لعله وسؤال توبيخ وقال أبو العالية لا يستل

غير المجرم عن ذنب المجرم وقال قتادة يستلون قبل الختم على أفواههم ثم يختم على أفواههم
وتسكلم جوارحهم شهادة عليهم * (تنبيه) * الجان هنا وفيما يأتي بمعنى الجني والانس بمعنى
الانسى (فبأى آلاء) أى نعم (ربكم) أى الذى ربى كلامكم بما لا مطمع فى انكاره ولا خفاء فيه
(تكذبان) أثبتك النعم أم بغيرها مما أنعم الله تعالى على عباده المؤمنين فى هذا اليوم (يعرف)
أى لكل أحد (المجرمون) أى العريقون فى هذا الوصف (بسيماهم) أى العلامات التى
صور الله تعالى ذنوبهم فيها فجعلها ظاهرة بعد أن كانت باطنة وظاهرة الدلالة عليهم كما يعرف الآن
الليل اذا جاء لا يخفى على أحد أصلا وكذا النهار ونحوهما للغير الا همى قال البقاعى وتلك السبى
والله أعلم زرقه العيون وسواد الوجوه والعمى والصمم والمشى على الوجوه ونحو ذلك وكما يعرف
المحسنون بسيماهم من بياض الوجوه واشراقها وتسببها والفرقة والتجمل ونحو ذلك وسبب عن
هذه المعرفة قوله تعالى مثـير بالبنال المفعول الى سهولة الاخذ من أى آخذ كان (فيؤخذ
بالنواصي) أى منهم وهى مقدمات الرأس (والاقدام) بعد أن يجتمع بينها فيسحبون بها
نصباً من كل صاحب أقامه الله تعالى لذلك لا يقدر على الامتناع بوجه فليقون فى النار
وقال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدميه فى سلسلة له من وراء ظهره وعنه يؤخذ برجلى الرجل
فيجمع بينهما وبين ناصيته حتى يندق ظهره ثم يلقى فى النار وفعل بالكافر ذلك ليكون أشد لعذابه
وقيل تسحب الملائكة الى النار تارة تأخذ بناصريته وتجره على وجهه وتارة تأخذ بدميه وتسحب به
على وجهه (فبأى آلاء) أى نعم (ربكم) أى المنعم عليكم الذى دبر مصالحكم بعد أن أوجدكم
(تكذبان) أثبتك النعم أم بغيرها مما وعدان يفعل من الجزاء فى الآخرة لكل شخص بما كان
يعمل فى الدنيا أو غير ذلك من الفضل (هذه جهنم) أى يقال لهم اذا ألقوا فيها هذه جهنم (التي
يكذب) أى ماضياً وحالاً وما لا استئانة ولوردوا الى الدنيا بعد ادخالهم اياها للعاد والماتنوا
عنه (بها المجرمون) أى المشركون الحقبة قون بالاجرام وهو قطع مامن حقه أن يوصل وهو
ما أمر الله تعالى به ونخص هذا الاسم اشارة الى أنهم سألواهم بالجهم والعنوسة والكلاحة
والفضاعة كما كانوا يفعلون مع الصالحين عند الاجرام المذكور (يطوفون بينها) أى بين درك
النار (وبين حميم) أى حار متناه فى الحرارة وهو منقوص كقاض يقال أنى يأنى فهو أن كقاضى
يقضى فهو قاض والمعنى أنهم يسعون بين الحميم والجحيم فاذا استغاثوا من النار جعل عذابهم
الجحيم الآن الذى صار كللهل وهو قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل وقال كعب
الاحبار وادمن أودية جهنم يجمع فيه صديد أهل النار فينطاق بهم فى الاغلال فيغمسون فيه
حتى تضاع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله تعالى لهم خلقاً جديداً فيلقون فى النار
فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم أن (فان قيل) هذه الامور ليست نعمة فكيف قال عز
وجل (فبأى آلاء) أى نعم (ربكم) أى المحسن أيها الثقلان اليك (تكذبان) (أجيب) من
وجهين أحدهما أن ما وصف من هول يوم القيامة وعقاب المجرمين فيه زجر عن المعاصى
وترغيب فى الطاعات وهذا من أعظم النعم روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى على شاب يقرأ فى

الليل فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فوق الشايب وخذقته العبرة وجعل يقول
 ويحي من يوم تشق فيه السماء ويحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويحك يا فتى منها فوالذي
 نفسي بيده لقد بكت ملائكة السماء من بكائك الثاني أن المعنى ان كذبهم بالنعمة المتقدمة
 استحققت هذه العقوبات وهي دالة على الايمان بالغيب وهو من أعظم النعم * ولما عرف ما للعجز
 المجترى على العظام وقدمه لما اقتضاه مقام التكذيب من الترهيب وجعله سابعاً لاشارة الى
 أبواب النار السبع عطف عليه ما للحنائف الذي أداه خوفه الى الطاعة وجعله ثامناً على عدد
 أبواب الجنة الثمانية فقال تعالى (ولن خاف) أي من الثقيلين ووجد الضمير مراعاة للفظ من
 اشارة الى قلة الحنائفين (مقام ربه) أي قيامه بين يدي ربه للحساب بترك المعصية والشهوة قال
 القرطبي ويجوز ان يكون المقام للعبد ثم يضاف الى الله تعالى وهو كالاجل في قوله تعالى فاذا جاء
 أجلهم وقوله تعالى في موضع آخر ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر وقال مجاهد هو الذي بهم بالمعصية
 فيذكر الله تعالى فيدعها من مخافته عز وجل (جنتان) أي لكل حائف جنتان على حدة قال
 مقاتل جنة عدن وجنة النعيم وقال محمد بن علي الترمذي جنة بخوف ربه وجنة بترك شهوته
 وقال ابن عباس من خاف مقام ربه بعد أداء الفرائض وقيل جنتان لجميع الحنائفين وقيل جنة
 للحنائف الأفس واخرى للحنائف الجن فيكون من باب التوزيع وقيل مقام هنا مقصود كما تقول
 أخاف جانب فلان وفعلت هذا المكانك وأنشد ونقيت عنه * مقام الذئب كالرجل اللعين يريد
 ونقيت عنه الذئب قال ابن عادل وليس بجيد لان زيادة الاسم ليست بالسهلة وقيل ان الجنتين
 جنسه التي خلقت له وجنة ورثها وقيل احدى الجنتين منزله والاخرى منزل أزواجه كما يفعل
 رؤساء الدنيا وقيل احدى الجنتين مسكنه والاخرى بستانه وقيل احدى الجنتين أسافل القصور
 والاخرى أعاليها وقال الفراء انها جنة واحدة وانما ثنى مراعاة لرؤس الآي وأنكر القتيبي هذا
 وقال لا يجوز أن يقال خزنة النار عشرون وانما قال تسعة عشر مراعاة لرؤس الآي وقيل جنة
 واحدة وانما ثنى تأكيداً كقوله تعالى ألقيا في جهنم وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقول من خاف أدبج ومن أدبج بلغ المنزل الا ان يبلغه الله تعالى اليه الا ان يبلغه الله
 تعالى الجنة أخرجه الترمذي قوله أدبج الادلاج مخفف اسير أول الليل ومثلاً لاسير آخر الليل والمراد
 من الادلاج التسمير والجد والاجتهاد في أول الامر فان من سار في أول الليل كان جديراً ببلوغ
 المنزل وروى البغوي بسنده عن أبي الدرداء أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصص على المنبر
 وهو يقول ولن خاف مقام ربه جنتان قلت وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ولن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة ولن خاف مقام ربه جنتان قلت الثالثة وان زنى وان
 سرق يا رسول الله قال وان زنى وان سرق على رغم انك أبي الدرداء * (فائدة) * قال القرطبي في
 هذه الآية دليل على أن من قال لزوجه ان لم أكن من أهل الجنة فأنت طالق انه لا يحنث ان كان
 هم بالمعصية وتركها خوفاً من الله تعالى وحياً منه وقاله سفيان الثوري وأفتى به هذا مذهب

الشافعي أنه لا يحنث إذا كان مسلماً ومات على الإسلام وقال عطاء نزلت هذه الآية في أبي بكر حين ذكر ذات يوم الجنة حين أزلقت والنار حين أبرزت وقال الضحاك بل شرب ذات يوم لبناً على ظمأ فأعجبته فقال عنه فأخبر عنه أنه من غير حل فاستقام ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه فقال وجعل الله لقد أنزلت فيك آية وتلا عليه الآية (فبأي آلاء) أي نعم (ربكم) المربي لكم بأحسنه الكبار التي لا يقدروا أحد على شيء منها (تكذبان) أثبتك النعمة أم بغيرها من نعم التي لا تحصى ثم وصف الجنة بقوله تعالى (ذواتنا) أي صاحبنا وأخبر بابتداء محذوف أي هما ذواتنا وفي تنبيه ذات لغتان الرذالي الأصل فإن أصلها ذوية قال العين واو واللام ياء لأنهم مؤنثة ذوو الثانية التنبيه على اللفظ فيقال ذاتنا وقوله تعالى (أفنان) فيه وجهان أحدهما أنه جمع فتن كطل وهو الغصن المستقيم طولا تكون به الزينة بالورق والثمر وكال الانتفاع قال النابغة الذبياني

بكاء حامية تدعو هديلاً * مفجعة على فتن تغنى

وفي الحديث أهل الجنة مرد مكحولون الوفاين يريد الأفاين وهو جمع أفنان وأفنان جمع فتن من الشعر شبه بالغصن ذكره الهروي وقال قتادة ذواتنا أفنان أي ذواتنا سعة وفضل على سواهما والوجه الثاني أنه جمع فن واليه أشار ابن عباس والمعنى ذواتنا أنواع وأشكال وقال الضحاك ألوان من الفاكهة واحدة فتن لأن الكثير في فن أن يجمع على فنون وقال عطاء كل غصن فنون من الفاكهة ولذا سبب عنه قوله تعالى (فبأي آلاء) أي نعم (ربكم) أي المحسن اليكم والمدير لكم (تكذبان) أثبتك النعم من وصف الجنة الذي جعل لكم من أمثاله ما تعتبرون به أم بغيرها * ولما كانت الجنان لا تقوم إلا بنهار قال تعالى (فيهما عينان تجريان) أي في كل واحدة منهما عين جارية قال ابن عباس تجريان ماء بالزيادة والكرامة من الله تعالى على أهل الجنة وعن ابن عباس أيضاً والحسن تجريان بالماء الزلال إحدى العينين التسليم والآخرى السلسيل وقال عطية أحدهما من ماء غير آسن والآخرى من خمر لذة للشاربين وقيل تجريان من جبل من مسك قال أبو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل فتجريان في أي مكان شاء صاحبهما وإن علام مكانه كما تصعد المياه في الأشجار في كل غصن منها وإن زاد علوها (فبأي آلاء) أي نعم (ربكم) أي المالك لكم والمحسن اليكم (تكذبان) أثبتك النعم التي ذكرها وجعل لها في الدنيا أمثالا كثيرة أم بغيرها (فيهما) أي الجنة (من كل فاكهة) أي تعلمونها ولا تعلمونها (زوجان) أي صنفان ونوعان قيل معناه أن فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطباً وياساً وقال ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل إلا أنه حلوا فإن قيل قوله تعالى ذواتنا أفنان وفيهما عينان تجريان وفيهما من كل فاكهة زوجان كلها أوصاف للجنات في فصل بعضها عن بعض بقوله تعالى فبأي آلاء ربكم تكذبان مع أنه تعالى لم يفصل حين ذكر العذاب بين الصفات بل قال تعالى يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنصران مع أن إرسال الشواظ غير إرسال النحاس (أجيب) بأنه تعالى جمع

العذاب بجله وفصل آيات الثواب ترجيحاً لجانب الرحمة على جانب العذاب وتطبيخاً للقلب وتهيئاً للسامع فان إعادة ذكر المحبوب وتطويل الكلام في اللذات مستحسن (فان قيل) فما وجه توسط آية العنين بين ذكر الاخوان وآية القاهكة والقاهكة انما تكون على الاغصان فالمناسبة ان لا يفصل بين آية الاغصان والقاهكة (أجيب) بأن ذلك على عادة المتعصمين اذا خرجوا متفرجين في البستان فأول قصدهم الفرجة بالخضرة والماء ثم يكون الاكل تبعاً (قبأى آلاء) أي نعم (ربك) التي ادخرها الموجد لكما المحسن اليكما (تكذبان) أبتلك النعم بغيرها مما فوضه اليكم من سائر النعم التي لا تحصى * ولما كان التفكه لا يكمل حسنه الا مع التمتع من طيب الفرش وغيره قال تعالى مخبراً عن هؤلاء الذين يخافون مقام ربهم (متكئين) أي لهم ما ذكر حال الاتكاء والعامل في الحال محذوف أي يمتنعون متكئين (على فرش) وعظمها بقوله تعالى محاطاً بطبائلكم المكلفين بما يحتمل عقولهم والافليس في الجنة ما يشبهه على الحقيقة شيء من الدنيا (بطائنها من استبرق) وهو ما غلظ من الديباغ قال ابن مسعود وأبو هريرة اذا كانت البطائن التي تلى الارض هكذا غلظت بالظهارة وقيل لسعيد بن جبيرة البطائن من استبرقها الظواهر قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وقال ابن عباس انما وصف لكم بطائنها لتمتدحوا اليه قلوبكم فأما الظواهر فلا يعلمها الا الله تعالى وتظهر ذلك في الجنة قوله تعالى عرضها السموات والارض وأما الطول فلا يعلمه الا الله عز وجل لكن قال القرطبي وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ظواهرها نوريت لا وقيل الظواهر من السندس وعن الحسن البطائن هي الظواهر وهو قول القراء وروى عن قتادة والعرب تقول للبطن ظهراً فيقولون هذا بطن السماء وظهر الارض وقال القراء قد تكون البطانة الظهارة والظهارة البطانة لان كل واحد منهما يكون وجهها والعرب تقول هذا ظهر السماء وهذا بطن السماء لظاها الذي نراه وأنكر ابن قتيبة وغيره هذا وقالوا لا يكون هذا الا في الوجهين المتساويين اذا ولي كل واحد منهما قوم كالحائط بينك وبين قوم وعلى أديم السماء وقال ابن عباس وصف البطائن وترك الظواهر لانه ليس في الارض أحد يعرف ما الظواهر (تنبيه) * قال الرازي الاستبرق معرب وهو الديباغ الضين أي وهذا ومثله لا يخرج القرآن عن كونه عربياً لان العربي ما نطق به العرب وضعا واستعمالاً من لغة غيرهما وذلك كله سهل عليهم وبه يحصل الاجاز بخلاف ما لم يستعملوه من كلام العجم لانه حرج عليهم وذكر الاتكاء لانه حال الصبح الفارغ القلب المتسم البدن بخلاف المريض والمهموم (وجنى الجنة) أي ثمرها (دان) أي قريب قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجنيها ولي الله تعالى ان شاء قائماً وان شاء قاعداً وان شاء مضطجعا وقال قتادة لا يرد قديمه بعد ولا شوك قال الرازي الجنة الآخرة مخالفة لجنة الدنيا من ثلاثة أوجه أحدها أن الثمرة على رؤس الشجر في الدنيا بعيدة على الانسان المتكئ وفي الجنة هو متكئ والثمره تدلى اليه وثانيها أن الانسان في الدنيا يسعى الى الثمرة ويتحرك اليها في الآخرة هي تدنو اليهم وتدور عليهم وثالثها أن الانسان في الدنيا اذا قرب من ثمرة شجرة بعد عن غيرها وغار

الجنة كلها تدنو اليهم في وقت واحد ومكان واحد (فبأي آلاء) أي نعم (ربكم) أي المربي
 لكما الذي يقدر على كل ما يريد (تكدبان) أمن قدرته على عطف الاغصان وتقريب الثمار
 أم من غيرها ولما كان ما ذكر لا تتم نعمته الا بالفسوان الحسن قال تعالى (فيهن) أي الجنة
 التي علم مما مضى ان لكل فرد من الخائفين منها جنسين فصم الجمع وقال الزمخشري فيهن في هذه
 الآلاء المعدودة من الجنة والعينين والفاكهة والفرش والجنى أو في الجنة لاشتمالهما على
 أماكن وقصور ومجالس اه قال أبو حيان وفيه أي الاقل بعد لان الاستعمال أن يقال على
 الفراش كذا ولا يقال في الفراش كذا الاستكاف ولذلك جمع الزمخشري مع الفرش غيرها حتى
 صح له ان يقول ذلك وقيل يعود على الجنة لان أقل الجمع اثنان وقال الفراء كل موضع في الجنة
 جنة فلذلك صح ان يقال فيهن (قاصرات الطرف) أي الاعيين على أفواجهن المتكئين من
 الانس والجن قال الرازي وقوله قاصرات الطرف أي نساء أو أزواج فحذف الموصوف لتسكتة
 وهي أنه تعالى لم يذكرهن باسم الجنس وهو النساء بل بالصفات فقال تعالى حور عين كواعب
 أترابا قاصرات الطرف حور مصورات ولم يقل نساء عربا ولا نساء قاصرات لوجهين اما على عادة
 العظماء كبنات الملوك انما يذكرن بأوصافهن واما لانهن لما كملن كأنهن خرجن عن جفهن
 وقوله تعالى قاصرات الطرف يدل على عفتن وعلى حسن المؤمنين في أعينهن فيجب أن أزواجهن
 حبا شديدا يشغلهن عن النظر الى غيرهم قال ابن زيد تقول لزوجها وعزة ربي ما أرى في الجنة
 أحسن منك فالله الذي جعل زوجي وجعلني زوجك ويدل أيضا على الحياة لان الطرف
 حركة الجفن والحياة لا تحرك جفنها ولا ترفع رأسها (تنبيه) انظر الى حسن هذا الترتيب فانه
 تعالى بين أولا المسكن وهو الجنة ثم بين ما يتنزه به وهو البستان والاعين البخارية ثم ذكر الماء كقول
 فقال تعالى فيهما من كل فاكهة ثم ذكر موضع الراحة بعد الاكل وهو الفراش ثم ذكر ما يكون
 في الفراش معه ولما كان الاختصاص بالشيء من أعظم المميزات لاسيما المرأة قال تعالى
 (لم يطمئنهن) أي لم يجامعهن ويتسلط عليهن يقال طمئت المرأة كضرب وفرح حاضت وطمئنها
 الرجل افتضاها وأيضاجامعها (انس قبلهم) أي المتكئين (ولاجان) فكانه قال هن أبكار
 لم يخالطهن أحد فان هذا جمع كل من يمكن منه جماع وفي ذلك دليل على أن الجنى يغشى كما يغشى
 الانسى ويدخل الجنة ويكون لهم فيها جنتان قال ضمرة لأم المؤمنين منهم أزواج من الحور
 قال انسيات للانس والجنيات للجن وقال مقاتل لا تنهن خلقن في الجنة فعلى قوله يكونون من
 حور الجنة وقال الشعبي من نساء الدنيا لم يسهن منذ أنشئت خلق وهو قول الكلبي أي
 لم يجامعهن في هذا الخلق الذي أنشئت فيه انس ولا جان وأما في الدنيا فقال مجاهد اذا جامع
 الرجل ولم يسم ينطوى الجنى على احملته فيجامع معه وقال القرطبي لم يطمئنهن لم يصبن
 بالجماع قبل أزواجهن أحد وهذا شامل لنساء الجنة ونساء الدنيا بعد انشأتهن خلقا جديدا
 وقرأ الكسائي يطمئنهن يضم الميم في الموضعين بخلاف عنه وتخيرا في أحدهما وهما لغتان يقال
 طمئنها يطمئنها اذا جامعها (فبأي آلاء) أي نعم (ربكم) المدبر مصالحكم (تكدبان)

أى باى نوع من أنواع هذا الاحسان أم غيره (كاننن الباقوت) أى صفاء (والمرجان)
 أى اللؤلؤ بياضا والياقوت جوهر نفيس يقال أن النار لا تؤثر فيه والمرجان صفار اللؤلؤ وأشدّه
 بياضا وقيل شبه لونهم بياضا اللؤلؤ مع حرة الباقوت لأن أحسن الألوان البياض المشرب
 بحمرة قال ابن الخازن والأصح أنه شبهتهن بالياقوت لصفائه فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم
 استضاءه رأيت السلك من ظاهره لصفائه قال عمرو بن ميمون أن المرأة من الحور العين لتلبس
 سبعين حلة ف يرى مخ ساقهما من وراء الحلال كما يرى الشراب الأحمر من الزجاجه البيضاء يدل على
 صحة ذلك ما روى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أن المرأة من نساء أهل
 الجنة يرى بياض ساقهما من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك لأن الله تعالى يقول كاننن
 الباقوت والمرجان فأما الباقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استضاءه رأيت من ورائه وعن
 أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر
 ليلة البدر زاد في رواية ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى في السماء أضاءة لا يصفقون فيها
 ولا يخطون ولا يتغوطون آيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ومجامرهم اللؤلؤ أى
 بخورهم العود ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء لجهما من
 الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض لوجههم على قلب رجل واحد (قبأى الآء) أى نعم (ربكنا)
 أى المالك الملك المربي يدافع التريية (تكذبان) أجماعه مثلا لما ذكر من وصفهن أم بغيره
 (هل جزاء الاحسان) أى بالطاعة من الانس والجن وغيرهما (الا الاحسان) أى بالثواب
 وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا اله الا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم الا الجنة
 وعن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم قال
 أتدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد
 الا الجنة ورى الواحدى بغير سند عن ابن عمر وابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال في هذه الآية يقول الله عز وجل هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا أن أسكنه
 جنتي وحظيرة قدسى برحقى (قبأى الآء) أى نعم (ربكنا) الكريم الرحيم الجامع لوصاف الكمال
 (تكذبان) أبنى من هذه النعم الجزيلة أم بغيرها (ومن دونهما) أى من أدنى مكان ورتبة تحت
 جنتي هؤلاء المحسنين المقربين (جنتان) أى لكل واحد من دون هؤلاء المحسنين من الخاتفين وهم
 أصحاب اليمين وقال أبو موسى الأشعري جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين
 وقال ابن جريج هى أربع جنان جنتان للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان
 لأصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل ورومان وقال الكسافى ومن دونهما أى أمامهما
 وقبلهما ما يدل عليه قول الضمك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والاخران من ياقوت وعلى
 هذا فهما أفضل من الاوليين والى هذا القول ذهب أبو عبد الله الترمذى الحكيم فى نوادر
 الاصول وقال ومعنى ومن دونهما جنتان أى دون هذا الى العرش أى أقرب وأدنى الى العرش
 وقال مقاتل الجنتان الاوليان جنة عدن وجنة النعيم والاخران جنة الفردوس وجنة المأوى

(فبأى آلاء) أى نعم (ربكم) أى المحسن بنعمه لجميع خلقه (تكذبان) أبشئ مما تفضل به عليكم
أم بغيره ثم وصف تلك الجنة بقوله تعالى (مدهاقتان) قال ابن عباس رضى الله عنهما
خضراوان وقال مجاهد سوداوان لأن الخضرة اذا اشتدت تضرب الى السواد وهذا ما شاهد
بالنظر ولذلك قالوا سواد العراق لكثرة شجره وزرعه والارض اذا خضرت غاية الخضرة تضرب
الى سواد قال الرازى والتحقق فيه ان ابتداء الالوان هو البياض وانتهاءها هو السواد فان
الابيض يقبل كل لون والاسود لا يقبل شيئا من الالوان (فبأى آلاء) أى نعم (ربكم) أى المحسن
اليكم بالرزق وغيره (تكذبان) أبشئ من تلك النعم أم بغيرها ثم وصف تلك الجنة أيضا بقوله تعالى
(فيها ما) أى فى جنتي كل شخص منهم (عينان نضاختان) قال ابن عباس أى فوارتان بالماء
والنضح بالماء المجهمة أكثر من النضح بالحساء المهملة لأن النضح بالمهملة الرش وبالمجهمة
فوران الماء وقال مجاهد المعنى نضاختان بالخير والبركة وعن ابن مسعود تنضح على أولياء الله
تعالى بالمسك والكافور والعنبر فى دور أهل الجنة كما ينضح رش المطر وقال سعيد بن جبير بأنواع
القواك والماء (فبأى آلاء) أى نعم (ربكم) الربى البليغ الحكمة فى التربية (تكذبان) أبشئ
النعمة أم بغيرها ثم وصف الجنة أيضا بقوله تعالى (فيها ما فاكهة) وخص أشرفها وأكرمها
وجدا فى الخريف والشتاء كما فى جنات الدنيا التى جعلت مثالا للهايتين بقوله تعالى (وتخل
ورمان) فإن كلا منهما فاكهة وادام فلهذا خصا تشريفا وتنبيها على ما فهم من التفكه وأقوله ما
أعم فنعوا وأعجب خلقا ولذا قدمه فحفظهما على الفاكهة من باب ذكر الخاص بعد العام
تفضيلا له كقوله تعالى وملائكته ورسله وجبريل وميكال وقوله تعالى حافظوا على الصلوات
والصلاة الوسطى وقال بعض العلماء ليس ذلك من الفاكهة ولهذا قال أبو حنيفة اذا حلف
لأبى كل الفاكهة فأكل رطباً أو رماناً لم يحث وخالفه صاحباه وقال القرطبي وقيل انما كررها
لأن النخل والرمان كانا عندهم فى ذلك الوقت بمنزلة البر عندنا لأن النخل عامة قوتهم -م- والرمان
كالتمرات فكان يكثر غرسها عندهم لحاجتهم اليه وكانت القواكه عندهم من ألوان الثمار التى
يجبونها فاقاموا ذكر الفاكهة ثم ذكر النخل والرمان لعمومها وكثرتها عندهم من المدينة الى مكة
الى ما والاها من أرض اليمن فأخرجهم ما من الذكر من القواكه وأفرد القواكه على حديثها وقيل
أفرد أبالذ كر لأن النخل غره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه قال البغوى
وعن ابن عباس قال نخل الجنة جذوعها زمرذ أخضر وورقها ذهب أحمر وسعفها كسوة أهل
الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها امثال القلال والدلاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل
وألين من الزبد ليس له عجم وروى أن الرمان من رمان الجنة مل جلد البعير المقتب وقيل ان نخل
الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نزع عادت مكانها أخرى العنقود منها اثنا عشر ذراعا (فبأى
آلاء) أى نعم (ربكم) المحسن الى الثقلين بجليل التربية (تكذبان) أبشئ النعم أم بغيرها مما أحسن
به اليكم (فيهن) أى الجنان الأربع أو الجنة وقصورها (خيرات حسان) أى نساء الواحدة
خيرة على معنى ذوات خير وقيل خيرات بمعنى خيرات تخفف كهيمن ولين روى الحسن عن أمه عن

أم سلمة قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أخبرني عن قوله تعالى خيرات
 حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه وقال أبو صالح لانن عذاري ابكار قال الحكيم
 الترمذي فالخيرة ما اختارهن الله تعالى فأبدع خلقهن باختياره فاخيار الله تعالى لا يشبهه
 اختيار الادميين فوصفهن بالحسن فاذا وصف الله تبارك وتعالى خالق الحسن شيأ بالحسن
 قاطر ما هنالك وقال الرازي في باطنهن الخير وفي ظاهرهن الحسن (فبأى آلاء) أي نعم (وبكأ)
 أي الكامل الاحسان اليك (تكذبان) أبنعمة ما جعل لكم من الفواكه أم غيرها ثم زاد
 في وصفهن بقوله تعالى (حور) جمع حوراء وهي الشديدة سواد العين الشديدة بياضها
 (مقصورات) والمقصورات المحبوسات المستورات (في الخيام) وهي الجبال فلسن بالطوافات
 في الطرق قاله ابن عباس والنساء متحد بعلامتهن البيوت كما قال قيس بن الاسط
 وتكمل عن جيرانها فيزرنها * وتكمل من اتيانهن فتعذر

ويقال امرأة مقصورة وقصورة بمعنى واحد قال كثير عزة

وأنت التي حببت كل قصيرة * الى ولم يعلم بذلك القصائر

عنيت قصيرات الجبال ولم أريد * قصار الخطا شر النساء البعائر

والخيام جمع خيمة وهي أربعة أعماد تنصب وتسقف بشئ من نبات الارض وجمعها خيم كقمرة وقمر
 وتجمع الخيم على خيام فهو جمع الجمع وأما ما يتخذ من شعر أو وبر أو قحوه فيقاله خباء وقد يطلق
 عليه خيمة تجوزا وقال عمر الخيمة درة مجوفة وقاله ابن عباس قال وهي فرسخ في فرسخ لها أربعة
 آلاف مصراع من ذهب وفي الحديث ان في الجنة خيمة من أواة مجوفة عرضها ستون ميلا في
 كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرون يطوف عليهم المؤمنون وقال أبو عبد الله الحكيم
 الترمذي قال بلغنا أن صحابة أمطرت من العرش مخلقن أي الحور العين من قطرات الرحمة ثم
 ضرب على كل واحدة خيمة على شاطئ الانهار سميتها أربعون ميلا وليس لها باب حتى اذا دخل
 ولي الله تعالى بالخيمة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة
 والخدم لم تأخذ ذهابه مقصورة قد قصرها الله عن أبصار المخلوقين وقال مجاهد معناه قصرن
 اطرافهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يغيبن بدلا وقال صلى الله عليه وسلم لو أن امرأة من نساء
 أهل الجنة اطلعت على أهل الارض لاضاعت ما بينهما ولما لبث ما بينهما ريحا ولنصفها على
 رأسها خير من الدنيا وما فيها * (فائدة) * اختلفوا أيا أكثر حسنا وأتم جمالا الحور أم الادميات
 فقيل الحور لما ذكر في وصفهن في القرآن والسنة ولقوله صلى الله عليه وسلم في دعائه في صلاة
 الجنائز وأبدله زواجا خيرا من زوجه وقيل الادميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف
 ضعف روى ذلك مرفوعا وقيل ان الحور العين المذكوكرات في القرآن هن المؤمنات من
 أزواج النبيين والمؤمنين مخلقن في الآخرة على أحسن صورة قاله الحسن البصري قال ابن
 عادل والمشهور ان الحور العين لسن من نساء أهل الدنيا انما هن مخلوقات في الجنة لان الله
 تعالى قال لم يطمثنهن انس قباهم ولا جان وأكثر نساء أهل الدنيا مطمونات اه لكن من آتته

لم يطمئن بعد انشائهم خلقا آخر وعلى هذا الدليل في ذلك (قبأى آلاء) أى نعم (ربك) الذى
 صوركم فأحسن صوركم (تكذبان) أبهذه النعم أم بغيرها (لم يطمئن أنفس قبلهم ولا جان) كحور
 الجنتين الاولين وضميرهم فى قبلهم لأصحاب الجنتين (قبأى آلاء) أى نعم (ربك) الذى جعل
 لكم فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (تكذبان) أبهذه النعم أم
 بغيرها (متكئين) أى لهم ماذ كراحة الاتكاء والعامل فى الحال محذوف أى ينعمون متكئين
 (على رفرف) أى ثياب ناعمة وفرش رقيقة التسج من الدياج لينة ووسائد عظيمة ورياض باهرة
 وبسط لها أطراف فاضلة وهو جمع رفرفة لأن الله تعالى وصفه بالجمع بقوله (خضر) ووصفه بذلك
 لأن الخضره أحسن الألوان وأبهجها وقال الجوهري هو ثياب خضر تخدم منها المهاجر
 الواحدة رفرفة واشتقاقه من رف الطائر أى ارتفع فى الهواء ورفرف بجناحيه اذا نشرهما
 للطيران وقيل الرفرف طرف القسطاط والخباء الواقع على الارض دون الاطناب والاورناد
 وفى الخبر فى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فرقع الرفرف فرأى نبأ وجهه كأنه ورقة أى رفع طرف
 القسطاط وقال الحكيمة الترمذى فى نوادر الاصول الرفرف أعظم خطرا من القرش فذكر
 فى الاولين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وقال هنا متكئين على رفرف خضر فالرفرف
 هو مستقر الولي على شئ اذا استوى عليه الولي رفرف به أى طاربه حيثما يريد كالمرجاح وروى
 فى حديث المعراج أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ سدره المنتهى جاءه الرفرف فتناوله
 من جبريل وطار به الى سند العرش فذكر أنه قال طار به لي يخفضني ويرفعني حتى وقف بي على ربي
 أى فى محل تنزلت رحمة ربي ثم لما جاء الانصراف تناوله فطار به ففضا ورفعا بهوى به حتى أدام
 الى جبريل عليه السلام فالرفرف خادم من الخدم بين يدي الله تعالى له خواص الامور من الدنوة
 والقرب كما أن البراق دابة تركبها الانبياء عليهم السلام مخصوصة بذلك وهذا الرفرف الذى سخر
 لاهل الجنتين الدائيتين هو متكوها وفرشهما يرفرف بالولي على حافات تلك الانهار حيث يشاء
 الى خيام أزواجه وقوله تعالى (وعبقرى) منسوب الى عبقر ترعى العرب انه اسم بلد الجن
 فينسبون اليه كل شئ عجيب قال فى القاموس عبقره وضع كثير الجن وقرية ثيابهم فى غابة الحسن
 والعبقرى الكامل من كل شئ وقال الخليل هو كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم
 وقال قطرب ليس هو من المنسوب بل هو بمنزلة كرمى وبجتي اه والمراد به الجنس ولذلك قال
 تعالى (حسان) جملا على المعنى أى هى فى غاية من كمال المنفعة وحسن المنظر لا توصف
 (قبأى آلاء) أى نعم (ربك) المحسن الواحد الذى لا محسن غيره ولا احسان الا منه (تكذبان)
 أبشئ من هذه النعم أم بغيرها ولم يدل ماذ كفى هذه السورة من النعم على احاطة مبدءها
 بأوصاف السكال وختمت نعم الدنيا بقوله تعالى ويبي وجهه بكنذوالجلال والاكرام وفيه اشارة
 الى ان الباقي هو الله تعالى وأن الدنيا فانية ختمت نعم الآخرة بقوله عز من قائل (تبارك) قال
 ابن بريان تغافل من البركة ولا يكاد يذكره الا عند أمر محجب اه ومعناه ثبت ثباتا
 لا تسع العقول وصفه ولما كان تعظيم الاسم أبلغ فى تعظيم المسمى قال تعالى (اسم ربك)

أى المحسن اليك بأنزال هذا القرآن الذى جبلت على متابعتة فصرته مظهره وصار خلقك لك
فصار احسانه اليك فوق الوصف وقيل لفظ اسم زائد وجرى عليه الجلال المحلى والاقول أولى
(ذى الجلال) أى العظمة الباهرة (والاكرام) قال القسوطي كأنه يريد به الاسم الذى افتتح به
السورة فقال الرحمن فافتتح بهذا الاسم فوصف خلق الانسان والجن وخلق السموات
والارض وصنعه وانه تعالى كل يوم هو فى شأن ووصف تدبيره فيهم ثم وصف يوم القيامة وأهوالها
وصفة النار ثم ختمها بصفة الجنان ثم قال فى آخر الصفة تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام
أى هذا الاسم الذى افتتح به هذه السورة كأنه يعلم ان هذا كاه خرج لكم من رحمتي فمن رحمتي
خلقتكم وخلق لكم السماء والارض والخلقة والجنة والنار فهذا كله لكم من اسم
الرحمن فمدح اسمه فقال تعالى تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام أى جليل فى ذاته كريم
فى أفعاله وقرأ ابن عامر بالواو ورفعاً صفة للاسم والباقون بالياء خفضاً صفة لرب فانه هو
الموصوف بذلك روى الثعلبي عن علي أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكل
شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن جل ذكره وما رواه البيضاوى تبعاً للزمخشري من أنه
صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما أنعم الله عليه حديث موضوع

﴿سورة الواقعة مكية﴾

فى قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء وقال ابن عباس وقتادة الآية منها نزلت بالمدينة وهى
قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وقال الكلبي مكية الا أربع آيات منها آيتان
أقبحتا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون نزلتا فى سفره الى مكة وقوله تعالى
ثله من الاولين وثله من الاخرين نزلتا فى سفره الى المدينة وقدمنا أن فى المدنى والمكى
اصطلاحين وان المشهور أن المكى ما نزل قبل الهجرة والمدنى ما نزل بعدها وهى ست وتسعون
آية قال الجلال المحلى وهى ست أو سبع أو تسع وتسعون آية اه وثلاثمائة وثمان وتسعون كلمة
وألف وسبع مائة وثلاثة أحرف

(بسم الله) الذى له الكمال كله فقاوت بين الناس فى الاحوال (الرحمن) الذى عم بنعمة البيان
وقاضل فى قبولها بين أهل الادبار وأهل الاقبال (الرحيم) الذى قرب أهل حربه فقارزوا بمحاسن
الاقوال والافعال ولما قسم سبحانه الناس فى تلك السورة الى ثلاثة أصناف مجرمين وسابقين
ولاحقين شرح أحوالهم فى هذه السورة وبين الوقت الذى يظهر فيه اكرامه وانتقامه بقوله
تعالى (اذا وقعت الواقعة) أى التى لا بد من وقوعها ولا واقع يستحق أن يسمى الواقعة بلام
الكمال وتاء المبالغة غيرها وهى النفخة الثانية التى يكون عنها البعث الاكبر الذى هو القيامة
الجامعة لجميع الخلق فسميت واقعة لتحقيق وقوعها وقيل لكثرة ما يقع فيها من الشدائد
وانتصاب اذا بمعدوف مجتل اذكر أو كان كيت وكيت وقال الجرجاني اذا صله كقوله تعالى
اقتربت الساعة وأنى أمر الله وهو كما يقال جاء الصوم أى دنا وقرب وقوله تعالى (ليس لواقعها

كاذبة) مصدر بمعنى الكذب والعرب قد تنضع الفاعل والمفعول. ووضع المصدر كقوله تعالى لا يسمع فيها لاغية أى لغو والمعنى ليس لها كذب قاله الكسائي أو صفته والموصوف محذوف أى ليس لوقعها حال كاذبة أى كل من يخبر عن وقوعها صادق أو نفس كاذبة بأن تنفيها كأنفثها في الدنيا وقال الزجاج ليس لوقعها كاذبة أى لا يرد هاشئ وقيل إن قيامها جديلا هزل وقوله تعالى (خافضة رافعة) تقرير لعظمتها وهو خبر مبتدأ محذوف أى هي قال عكرمة ومقاتل خفضت الصوت فأسمعت من دنا ورفعت الصوت فأسمعت من نأى يعنى أسمعت القريب والبعيد وعن السدي خفضت المتكبرين ورفعت المستضعفين وقال قتادة خفضت أقواما في عذاب الله تعالى ورفعت أقواما إلى طاعة الله تعالى وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خفضت أعداء الله تعالى في النار ورفعت أولياء الله تعالى في الجنة وقال ابن عطاء خفضت قوما بالعدل ورفعت آخرين بالفضل ولا مانع أن كل ذلك موجود فيها والرفع والخفض يستعملان عند العرب في المكان والمكانة والعز والاهانة ونسب سبحانه وتعالى الخفض والرفع إلى القيامة توسعا ومجازا على عادة العرب في إضافتها للفعل إلى المحل والزمان وغيرهما مما لا يمكن منه الفعل يقولون ليل قائم ونهار صائم وفي التنزيل بل مكر الليل والنهار والخافض والرافع في الحقيقة هو الله تعالى واللام في قوله تعالى لوقعها أم لا للتعليل أى لا تكذب نفس في ذلك اليوم لشدة وقوعها وأما للتعدية كقولات ليس لزيد ضارب فيكون التقدير إذا وقعت الواقعة ليس لوقعها أمر يوجد لها كاذب إذا أخبر عنه قال الرازي وعلى هذا لا تكون ليس عاملة في إذا وهو بمعنى ليس لها كاذب (إذا رجت الأرض) أى كلها على سعتها وثقلها بأيسر أمر (رجا) أى حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل قال بعض المفسرين ترجح كما يرجح الصبي في المهد حتى ينهدم ما عليه وينكسر كل شيء عليها من الجبال وغيرها والرجحة الاضطراب وارجح البحر وغيره اضطرب وفي الحديث من ركب البحر حين يرجح فلا ذمة له يعنى إذا اضطربت أمواجه والظرف متعلق بخافضة أو بدل من إذا وقعت * ولما ذكر حركتها المزججة أتبعها غايتها بقوله تعالى (وبست الجبال بسا) أى قتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق إذا تله قال ابن عباس ومجاهد كما ليس الدقيق أى يلت والبسيصة السويق أو الدقيق يلت بالسمن أو الزيت ثم يؤكل ولا يطبخ وقد يقضز إذا قال الرازي

لا تخبز اخبز وابسا بسا * ولا تطيل اعناخ حبسا

أوسقت وسيرت من بس الغنم إذا ساقها وبست الابل وأبست الغنم إذا زجرتها وقلت بس بس قاله أبو زيد وقال الحسن بست قلمت من أصلها فذهبت ونظيرها ينسفها ربي نسفا وقال عطية بسطت بالرمل والتراب (فكانت) أى بسبب ذلك (هباء) أى غبارا هو في غاية الانهصاق وإلى شدة لطافته أشار بصفته فقال تعالى (منبثا) أى منتشر امتفرقا بنفسه من غير حاجة إلى هواه يفرقه فهو كالذي يرى في شعاع الشمس إذا دخل من كوة وعن ابن عباس هو ما تطاير من النار إذا أضرمت يطير منها شيء فإذا وقع لم يكن شيئا (وكنتم) أى قسمتم بما كان في قبلاكم

وطباعتكم في الدنيا (أزواجاً) أي أصنافاً (ثلاثة) كل صنف يشاكل ما هو منه كما يشاكل الزوج
الزوجة قال البيضاوي وكل صنف يكون أويذ كرمع صنف آخر زوج ثم بين من هم بقوله تعالى
(فأصحاب المينة) وهم الذين يؤتون كتبهم بإيمانهم مبتدأ وقوله تعالى (ما) استفهام فيه تعظيم
مبتدأ ثان وقوله تعالى (أصحاب المينة) خبر المبتدأ الثاني والجملة خبر الأول وتكرر بالمبتدأ هنا
للتعظيم معن عن الضمير ومثله الجباة ما الحاقة القارعة ما القارعة ولا يكون ذلك إلا في مواضع
التعظيم • ولما ذكرنا الجباة بقسمهم أتبعهم اضدادهم بقوله تعالى (وأصحاب المشأمة)
أي الشمال وهم الذين يؤتون كتبهم بشماتلهم وقوله تعالى (ما أصحاب المشأمة) تحقير لشأنهم
بدخولهم النار وقال السدي أصحاب المينة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة وأصحاب
المشأمة هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار والمشأمة الميسرة وكذا الشأمة والعرب
تقول للبد الشمال الشؤمي وللجانب الشمال الأشأم وكذلك يقال لما جاء عن اليمين اليمن
ولما جاء عن الشمال الشؤم قال البغوي ومنه سمي الشأم واليمن لأن اليمن عن يمين الكعبة
والشأم عن شمالها وقال ابن عباس رضي الله عنهما أصحاب المينة هم الذين كانوا عن
يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه فقال الله تعالى لهم هؤلاء في الجنة ولأبالي وقال زيد بن
أسلم هم الذين أخذوا من شق آدم اليمين وقال ابن جريج أصحاب المينة هم أصحاب الحسنات
وأصحاب المشأمة هم أصحاب السيئات وفي صحيح مسلم من حديث الأسراء عن أبي ذر عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال فلما علونا السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة
قال فاذا نظرت قبل يمينه ضحك واذا نظرت قبل شماله بكى قال فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن
الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال آدم عليه السلام وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسمة
فيه فاهل اليمن أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار وذكر الحديث وقال المبرد أصحاب
المينة أصحاب التقدم وأصحاب المشأمة أصحاب التأخر والعرب تقول اجعلني في يمينك ولا
تجعلني في شمالك أي اجعلني من المتقدمين ولا تجعلني من المتأخرين • (تنبيه) • القاء في قوله
تعالى فأصحاب تدل على التقسيم وبيان ما ورد عليه التقسيم كانه قال أزواجاً ثلاثة أصحاب المينة
وأصحاب المشأمة والسابقون ثم بين حال كل قسم فقال فأما أصحاب المينة وترك التقسيم أولاً
واكتفى بما يدل عليه بأن ذكر الأقسام الثلاثة مع أحوالها (فان قيل) ما الحكمة في اختيار
لفظ المشأمة في مقابلة المينة مع انه قال في بيان أحوالهم وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال
(أجيب) بأن اليمين وضع للجانب المعروف واستعملوا منه الفاظاً في مواضع فقالوا هذا ميمنون
تيميناه ووضعوا مقابلة اليمين اليسار من الشيء اليسار إشارة إلى ضعفه واستعملوا منه ألفاظاً
تشابهاً به فذكر المشأمة في مقابلة المينة وذكر الشمال في مقابلة اليمين فاستعمل كل لفظ مع مقابله
ولما ذكر تعالى القسمين وكان كل منهما قسمين ذكر أعلى أهل القسم الأول ترغيباً في حسن حالهم
ولم يقسم أهل المشأمة ترغيباً في سوء حالهم فقال تعالى (والسابقون) أي إلى أعمال الطاعة مبتدأ
وقوله تعالى (السابقون) تأكيد عن المهدوي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال السابقون الذين

إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا استلوه بذلوه وحكموا للناس حكمهم لأنفسهم وقال محمد بن كعب
القرظي هم الانبياء عليهم السلام وقال الحسن وقتادة السابقون الى الايمان من كل أمة وقال
محمد بن سيرين هم الذين صلوا الى القبليتين قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
وقال مجاهد والفضائلهم السابقون الى الجهاد وأول الناس رواحا الى الصلاة وقال علي بن أبي
طالب رضي الله عنهم السابقون الى الصلوات الخمس وقال سعيد بن جبيرة الى التوبة وأعمال
البر قال تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم ثم أثنى عليهم فقال تعالى أولئك يسارعون في الخيرات
وهم لها سابقون وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم أربعة منهم سابق أتم موسى عليه السلام
وهو حزقيل مؤمن آل فرعون وسابق أمة عيسى عليه السلام وهو حبيب التجار صاحب انطاكية
وسابق أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وقال سميط بن عجلان الناس
ثلاثة رجل ابتكر الخير في حياته سنة ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا هو السابق المقرب
ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم طول الغفلة ثم رجع بتوبته حتى ختم له بها فهذا من أصحاب اليمين
ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم لم ينل عليها حتى ختم له بها فهذا من أصحاب الشمال وروى عن كعب
قال هم أهل القرآن المتوجون يوم القيامة وقيل هم أول الناس رواحا الى المسجد وأولهم
خروجاً في سبيل الله وخبر المبتدأ (أولئك) أي العالو الرتبة جداً (المقربون) أي الذين قربت
درجاتهم في الجنة من العرش وأعليت مراتبهم واصطفاهم الله تعالى للسبق فأرادهم لقربه ولولا
فضله في تفريرهم لم يكونوا سابقين قال الرازي في اللوامع المقربون تخلصوا من نفوسهم وأعمالهم
كلها لله تعالى ديناً ودينامن حق الله تعالى وحق الناس وكلاهما ما عندهم حق الله تعالى والدنيا
عندهم آخرتهم لأنهم يراقبون ما يبدولهم من ملكوته فيتلقونه بالرضا والاتقياد وهم صنفان
صنف قلوبهم في جلاله وعظمته هائجة قد ملكتهم هيئته فالحق يستعملهم في وصف آخر قد أرخى
من عنانه والامر عليه أسهل لانه قد جاوز بقلبه هذه الخطة وحمله اعلى فهو أمين الله تعالى في أرضه
فيكون عليه أوسع اه ثم بين تفريره لهم بقوله تعالى (في جنات النعيم) أي الذي لا كدر فيه بوجه
ولا منقص ولما ذكر السابقين فصلهم بقوله تعالى (ثلة) أي جماعة وقيدوا الزمخشري بالكثرة
وأشد وجات اليهم ثلة خندقية • تجيش كبير من السيل مزبد

قال ابن عادل ولم يقيد ما غيره بل صرح بان الجماعة قلت أو كثرت ثم قال والكثرة التي فهمها
الزمخشري قد تكون من السياق اه لكن قال البغوي والثلة جماعة غير محصورة العدد (من
الاولين) أي من الامم السابقة من لدن آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم من النبيين عليهم السلام
ومن آمن بهم (وقليل من الآخرين) وهم من امن بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد كان الانبياء
عليهم السلام مائة ألف ونيفاً وعشرين ألفاً وكان من خرج مع موسى عليه السلام من مصر وهو
مؤمن به من الرجال المقاتلين من هو فوق العشرين ودون الثمانين ستمائة ألف فاطنك بن
عداهم من الشيوخ ومن دون العشرين من البالغين والصبيان ومن النساء فكيف بمن عداه
من سائر النبيين عليهم السلام المجتدين من بني اسرائيل وغيرهم قال البيضاوي ولا يخالف ذلك

قوله عليه الصلاة والسلام أمتي يكثرون سائر الامم بل هو أزان يكون سابقا وسائر الامم أكثر من سابق هذه الامة وتابعو هذه الامة أكثر من تابعيهم قيل لما نزلت هذه الآية شق على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فترات ثلثة من الاولين وثلثة من الآخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لا رجوان تكونوا ربع أهل الجنة بل نصف أهل الجنة وتقاسمونهم في النصف الثاني رواه ابو هريرة رضي الله عنه ذكره الماوردي وغيره ومعناه ثابت في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود وكأنه اراد أنهم منسوخة قال الرازي وهذا في غاية الضعف لان هذه أمة محمد صلى الله عليه وسلم كان في ذلك الزمان بل الى آخر الزمان بالتسوية الى ماضى في غاية القلة والمراد بالاولين الانبياء وكبار اصحابهم وهم اذا اجتمعوا كانوا أكثر من السابقين من هذه الامة ولان هذا خبر والخبر لا يفسخ وقال الحسن سابقون من ماضى أكثر من سابقينا فلذا قال تعالى وقيل من الآخرين وقال في اصحاب العيين وهم سوى السابقين ثلثة من الاولين وثلثة من الآخرين ولذا قال صلى الله عليه وسلم اني لا رجوان تكون أمتي شطر أهل الجنة ثم تلا ثلثة من الاولين وثلثة من الآخرين وروى الطبراني أن الثلثة والقليل كلاهما من هذه الامة فتكون الصحابة كلهم من هذه الامة وكذا من تبعهم باحسان الى رأس القرن الثالث وهم لا يخصهم الا الله تعالى ومن المعلوم أنه تناقص الامر بعد ذلك الى أن صار السابق في الناس أقل من القليل لرجوع الاسلام الى الحال التي بدا عليهم من الغربة بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء أي وهم الذين اذا فسد الناس صلحوا كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وقال أبو بكر كلا الثلثين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فمنهم من هو في أول أمتهم ومنهم من هو في آخرها وهو مثل قوله تعالى فمن ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وقيل المراد بالاولين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبالآخرين ذرياتهم الملقون بهم في قوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم بإيمان آلحقنا بهم ذرياتهم واشتق في الثلثة وهي مبتدأ من الثل وهو القطع والخبر (على سرر) جمع سرير وهو ما يجعل للانسان من المقاعد العالية المصنوعة للراحة والكرامة (موضونة) قال ابن عباس رضي الله عنهما منسوجة بالذهب وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا موضونة أي مصفوفة لقوله تعالى في موضع آخر على سرر مصفوفة وقيل منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت والموضونة المنسوجة وأصله من وضفت الشيء أي ركبت بعضه على بعض ومنه قيل للدرع موضونة لتركب حلقة قال الاعشى
ومن نسج داود موضونة • تسير مع الحى غير افعرا
ومنه أيضا وضين الناقة وهو حزامها التراكب طاقاته قال عمر رضي الله عنه وهو ما روى ابو ادعسر
اليك تعد وقلقا وضينها • معترضا في بطنها جنيها
• مخالفادين النصارى دينها •

رواه البيهقي ومعناه ان ناقتي تعد واليك مسرعة في طاعتك قلقا وضينها وهو حبل كالخزام من كثرة السير والاقبال لتمامها والاجتهاد البالغ في طاعتك والمراد صاحب الناقة فيسقى للمباركة

بوادى محسر أن يقول هذا الكلام الذى قاله محمد رضى الله تعالى عنه ولما ذكر تعالى السرورين
عظمتها ذكر غايته فقال سبحانه (متكئين عليها) أى السرور على الجنب أو غيره كحال من يكون على
كرسى فيوضع تحته شئ آخر للاتكاء عليه (متقابلين) فلا ينظر بعضهم الى قفابعض وقال مجاهد
وغيره هذا فى المؤمن وزوجته وأهله أى يتكئون متقابلين قال الكلبي طول كل سرير ثلثمائة
ذراع فإذا أراد العبد أن يجلس عليها تواضعت فإذا جلس عليها ارتفعت وقيل انهم صاروا أرواحا
نورانية صافية ليس لهم أديار ولا ظهور * (تنبيه) * متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير فى
على سرور ويجوز أن تكون حال متداخلة فيكون متقابلين حالان من ضمير متكئين ثم بين تعالى أنهم
فى غاية الراحة بقوله تعالى (يطوف عليهم) أى لكفاية كل ما يحتاجون اليه (ولدان) أى على
أحسن صورة وزى وهيئة (مخلدون) قد حكم الله تعالى ببقائهم على ما هم عليه من الهيئة على
شكل الاولاد قال الحسن والكلبي لا يهرمون ولا يتغيرون ومنه قول امرئ القيس

وهل ينعمن الاسعد بمخلد * قليل الهموم ما يبيت بأوجال

وقال سعيد بن جبير مخلدون مقرطون يقال للقرط الخلد والقرط ما يجعل فى الاذنين من الخلق
وقيل مقرطون أى منطوقون من المناطق والمنطقة ما يجعل فى الوسط أو كثر المفسرين انهم على
سن واحد أنشأهم الله تعالى لاهل الجنة يطوفون عليهم نشوا من خير ولادة فيها الان الجنة لا ولادة
فيها وقال على بن أبى طالب والحسن البصرى رضى الله عنهم الولدان ههنا ولدان المسلمين الذين
يموتون صفارا ولا حسنة لهم ولا سيئة وقال سلمان الفارسي أطفال المشركين هم خدم أهل الجنة
قال الحسن لم تكن لهم حسنات يجازون بها ولا سيئات يعاقبون عليها فوضعوا هذا الموضع
والمقصود أن أهل الجنة على أتم السرور والنعمه وقوله تعالى (بأكواب) متعلق بيطوفون
والأكواب جمع كوب وهى كيزان مستديرة الافواه بلا عرى ولا خراطيم لا يعوق الشارب منها
عائق عن شرب من أى موضع أراد منها فلا يحتاج أن يحول الاناء عن الحالة التى تناولها بها
ليشرب وقوله تعالى (وأباريق) جمع ابريق وهى أوان لها عرى وخراطيم فيها من أنواع المشارب
ما تشتهى الانفس وتلذذ العين معنى بذلك لبريق لونه من صفاته (وكأس) أى اناء شراب الخمر (من
معين) أى خير صافية صفاء الماء ليس يتكلف عصرها جارية من منبع لا ينقطع أبدا (فان قيل)
كيف جمع الأكواب والأباريق وأفراد الكأس (أجيب) بأن ذلك على عادة أهل الشرب فانهم
يصدون الخمر فى أوان كثيرة ويشربون بكأس واحد وفيها ما ينتمى لاهل الدنيا من حيث انهم
يطوفون بالأكواب والأباريق ولا تنقل عليهم بخلاف أهل الدنيا (لا يصدعون عنها) أى بسببها
قال الزمخشري وحقيقته لا يصدروا صداعهم عنها والصداع هو الداء المعروف الذى يلحق الانسان
فى رأسه والخمر تؤثر فيه قال علقمة بن عبدة فى وصف الخمر

تشنى الصداع ولا يؤذيك صالتها * ولا يخالطها فى الرأس تدويم

قال أبو حيان هذه صفة خمر الجنة كذا قال لى الشيخ أبو جعفر بن الزبير والمعنى لا تصدع رؤسهم
من شر غناها لانه بلا أذى بخلاف خمر الدنيا (وقيل) لا يتفرقون عنها (ولا ينفقون) أى تذهب

بعقولهم بوجه من الوجوه أى يفرغ شرابهم من نزف البتراذا نزع ماؤها كله وقرأ أعاصم وحزة
 والكسائي بكسر الزاي والباقون بقصها (وفاكهة مما يتخيرون) أى يختارون ما يشتهون من
 الفواكه أكثرتها وقبل المعنى وفاكهة متغيرة مرضية والتخيرا الاختيار (ولحم طير مما
 يشتهون) أى يتمنون قال ابن عباس رضى الله عنهما يخطر على قلبه لحم الطير فيصير عثلا بين يديه
 على ما اشتهى ويقال انه يقع على صفحة الرجل فيأكل منه ما يشتهى ثم يطير فيذهب (فان قيل)
 ما الحكمة فى تخصيص الفاكهة بالتخيير واللحم بالاشتيا (أجيب) بأن اللحم والفاكهة اذا
 حضرا عند الجائع تميل نفسه الى اللحم واذا حضرا عند الشبعان تميل نفسه الى الفاكهة فالجائع
 مشته والشبعان غير مشته بل هو مختار وأهل الجنة انما يأكلون لا من جوع بل للتفكه فيلهم
 للفاكهة أكثر فيتخيرونها ولهذا ذكرت فى مواضع كثيرة فى القرآن بخلاف اللحم واذا اشتها
 حضر بين يديه على ما يشتهيه فتميل نفسه اليه أدنى ميل ولهذا قدم الفاكهة على اللحم (فان
 قيل) الفاكهة واللحم لا يطوف بهما الولدان والعطف يقتضى ذلك (أجيب) بأن الفاكهة
 واللحم فى الدنيا يطلبان فى حال الشرب فجاز أن يطوف بهما الولدان فينالون ثم الفواكه يده أو
 القرية واللحوم المحببة لاللا كل بل للآكرام كما يضع المكرم للضيف أنواع الفواكه يده أو
 يكون معطوفا على المعنى فى قوله جنات النعيم أى مقربون فى جنات النعيم وفاكهة ولحم أى
 فى هذا النعيم يتقلبون * ولما لم يكن بعد الاكل والشراب أشهى من النساء قال تعالى (وحور)
 أى نساء شديداً سواد العيون وبياضها (عين) أى ضخم العيون وقرأ حمزة والكسائي بخفض
 الاسمين عطفا على سررقان النساء فى معنى المتكاملان يسمين فراشا والباقون بالرفع عطفا على
 ولدان (كأمثال الأولوا المكنون) أى المخزون فى الصدف المصون الذى لم تمسه الايدى ولم تقع
 عليه الشمس والهواء فيكون فى نهاية الصفاء قال البغوى ويروى أنه يسطع نور فى الجنة
 فيقولون ما هذا فبقال ثغر حوراء ضحككت فى وجه زوجها ويروى أن الحوراء اذا مشيت يسمع
 تقديس الخلاخل من ساقها وتحميد الاسورة من ساعدها وأن عقد الباقوت يضحك فى نحرها
 وفى رجلها نعلان من ذهب شرا كه ما من لؤلؤ يصران بالتسبيح ولما بالغ فى وصف جزائهم بالحسن
 والصفاء دل على أن أعمالهم كانت كذلك لأن الجزاء من جنس العمل فقال تعالى (جزاء) أى
 فعل ذلك لهم لاجل الجزاء (بما كانوا يعملون) أى يجتدون عمله على جهة الاستمرار قالت المعتزلة
 هذا يدل على أن ايصال الثواب واجب على الله تعالى لأن الجزاء لا يجوز الا لخلاله به وأجيبوا
 بأنه لو صح ما ذكره لما كان فى الوعد بهذه الاشياء فائدة لأن العقل اذا حكم بأن ترك الجزاء
 قبيح وعلم بالعقل أن القبيح من الله تعالى لا يوجد علم أن الله تعالى يعطى هذه الاشياء لانها جزاؤه
 وايصال الجزاء واجب فكان لا يصح التذبح به (لا يسمعون فيها الفوا) أى شيئا مما لا ينفع واللغو
 الساقط (ولانما) أى ما يحصل به الاثم والنسبة الى الاثم بل حركاتهم وسكناتهم كلها فى رضا الله
 تعالى وقال ابن عباس رضى الله عنهما باطلا وكذبا قال محمد بن كعب ولانما أى لا يؤثم بعضهم
 بعضها قال مجاهد لا يسمعون شقوا ولا مائعا وقوله تعالى (الا قبلا) فيه قولان أحدهما أنه

استثناء منقطع وهذا واضح لانه لم يدرج تحت اللغو والتأنيب والثاني أنه متصل وفيه بعد قال
ابن عادل فكان هذا رأى أن الأصل لا يسمعون فيها كلاما فاندرج عنده فيه * ثم بين تعالى ذلك
بقوله (سلاما سلاما) أى قولاسلاما قال عطاء يعجب بعضهم بعضا بالسلام أو تحييمهم الملائكة أو
يحيمهم ربهم ودل على دوامه تشكريره فقال تعالى سلاما فنيه اشارة الى كثرة السلام عليهم ولهذالم
يكرر في قوله تعالى سلام قولامن رب رحيم وقال القرطبي السلام الثاني بدل من الاول والمعنى
الاقولايسلم فيه من اللغو * ولما بين حال السابقين شرع في بيان حال أصحاب اليمين فقال تعالى
(وأصحاب اليمين) ثم نغم أمرهم وأعلى مدحهم لتعظيم جراتهم فقال تعالى (ما أصحاب اليمين)
فان قيل ما الحكمة في ذكرهم بلفظ أصحاب المينة عند تقسيم الأزواج الثلاثة ولفظ أصحاب اليمين
عند ذكر الانعام (أجيب) بأن ذلك تفتن في العبارة والمعنى واحد (في صدر) أى شجر بنق (مخضود)
أى لا شوك فيه كانه خضد شوكه أى قطع ونزع منه قال ابن المبارك أخبرنا صفوان عن سليم بن
عامر قال كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون انالينقنا الاعراب ومساثلهم قال أقبل
أعرابي يوما فقال يا رسول الله لقد ذكر الله تعالى في القرآن شجرة مؤذية وما كنت أرى في الجنة
شجرة تؤذى صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هى قال السدر فان له شوكا مؤذيا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس يقول سدر مخضود خضض الله شوكه فجعل مكان كل
شوكة ثمرة فانها تثبت ثمرا على اثنين وسبعين لونا من الطعام ما فيه لون يشبه الآخر وقال أبو العالية
والضحاك نظر المسلمون الى وجوههم وادبا لطائف مخضب فأعجبهم سدره فقالوا يا ليت لنا مثل هذا
فنزلت قال أمية بن أبى الصلت يصف الجنة وما فيها

ان الحدائق في الجنان ظليلة * فيها الكواكب سدرها مخضود

قال مجاهد في سدر مخضود هو الموقر جلا الذي تنشى أغصانه كثرة حله من خضض الغصن اذا نشأ
وهو رطب وقال سعيد بن جبيرة غرها أعظم من القلال (وطلح منضود) أى منظوم بالحل من
أعلاه الى أسفله ليست له ساق بارزة متراكمة يتركب بعضها على بعض على ترتيب هو فى غاية الإعجاب
والطلح جمع الطلحة قال على وابن عباس رضى الله عنهم وأكثرا المفسرين الطلح شجر الموز واحد
طلحة وقال الحسن ليس هو موزا ولكنه شجر له ظل بارد رطب وقال الفراء وأبو عبيدة شجر عظيم
كثير الشوك والطلح كل شجر عظيم له شوك وقال الزجاج هو شجر أم غيلان قال مجاهد ولكن غرها
أحلى من العسل وقال الزجاج لها نور طيب جدا خوطبوا ووعدا بما يحبون مثله الا أن فضله
على ما فى الدنيا كفضل سائر ما فى الجنة على ما فى الدنيا وقال السدى طلح الجنة يشبه طلح الدنيا لكن
له ثمرا حلوى من العسل وقال مسروق أشجار الجنة من عروقها الى أفنانها نضيدة ثمرة كلها أكلت
ثمرة مما كانها أحسن منها (وظل عدود) أى دائم لا يزول ولا تنسخه الشمس لقوله تعالى ألم ترالى
ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وقيل الظل
ليس ظل أشجار بل ظل يخلق الله تعالى قال الربيع بن أنس رضى الله عنه يعنى ظل العرش
وقال عمرو بن ميمون رضى الله عنه مسيرة سبعين ألف سنة وقال أبو عبيدة تقول العرب للدهر

الطويل والعمر الطويل والشيء الذي لا ينقطع محدود قال الشاعر

غلب العزاء وكان غير مغلب * دهر طويل دائم محدود

وفي صحيح الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وأقرأوا إن شئتم وظل محدود وفي هذا الحديث رد على من يقول أن الأشجار لا تظل لها وقد سئل السبكي عن الرجل الذي هو آخر أهل الجنة دخولا إذا تراعت له شجرة يقول يا رب أدنى من هذه لاستظل في ظلها الحديث من أي شيء يستظل والشمس قد كورت أجاب بقوله تعالى وظل محدود وبقوله تعالى هم وأزواجهم في ظلال إذا يلزم من تكوير الشمس عدم الظل لأنه مخلوق لله تعالى وليس بعدم بل أمر وجودي له تقع باذن الله تعالى في الأبدان وغيرها فليس الظل عدم الشمس كما قد يتوهم وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ما في قوله تعالى وظل محدود قال شجرة في الجنة يخرج اليها أهل الجنة فيقتدون ويشتهي بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله تعالى عليهم ريحاً من الجنة فتتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا (وما مسكوب) أي جاري فهازلهم في غير أخذ ود لا يحتاجون فيه إلى جلب ما من الأماكن البعيدة ولا أدلاء في بركاها البوادي فإن العرب كانت أصحاب بادية وبلاد حارة وكانت الأنهار في بلادهم عزيزة لا يصلون إلى الماء إلا بالدلو والرشاء فوعدهوا في الجنة خلاف ذلك (وفاكهة كثيرة) أي أجناسها وأنواعها وأشخاصها (لامقطوعة ولا ممنوعة) قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تنقطع إذا جنت ولا تمنع من أحد إذا أراد أخذها وقال بعضهم لامقطوعة بالآزمان ولا ممنوعة بالأغان كما تنقطع أكثر غار الدنيا إذا جاء الشتاء ولا يتوصل إليها إلا بالثمن وقيل لا يمنع من أرادها شول ولا بعد ولا حائط بل إذا اشتتهاها العبد دنت منه حتى يأخذها قال تعالى قطوفها دانية وجاء في الحديث ما قطع من ثمار الجنة إلا أبدل الله تعالى مكانها ضعفين * ولما كان التفكه لا يكمل إلا بتذذبه الامع الراحة قال تعالى (وفرش مرفوعة) أي رفيعه القدر يقال ثوب رفيع أي عزيز مرفرف القدر والثن بدليل قوله تعالى متكئين على فرش بطائنها من استبرق فكيف ظهائرها أو مرفوعة فوق السرر بعضها فوق بعض روى الترمذي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام قال حديث غريب وقيل هي كناية عن النساء كما كنى عنهن باللباس أي ونساء مرفعات الأقدار في حسنهن وكالهن والعرب تسمى المرأة فراشا ولباسا على الاستعارة دليل هذا التأويل قوله تعالى (أنا) أي بما لنا من العظمة التي لا يتعاظمها شيء (أنشأناهن) أي الفرش التي معناها النساء من أهل الدنيا بعد الموت بالبعث وذاد في التأكيد فقال تعالى (أنشأناهن) أي خلقا جديدا من غير ولادة بل جعلناهن من التراب كسائر بني آدم ليكونوا كأبيهم آدم عليه السلام في خلقه من تراب لتكون الإعادة كالبداءة ولذلك يكون الكل عند دخول الجنة على شكله عليه السلام وروى الثعالب بأسناده أن أم سلمة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى أنا أنشأناهن أنشاء فقال هن اللواتي قبضن في الدنيا بمحارنهن طاعنات

رمصا جعلهن الله تعالى بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد في الاستواء وروى أنس بن مالك رضي
 الله عنه رفعه في قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء قال هن المجاز العمش الرمح كن في الدنيا عشا
 رمصا وعن المسيب بن شريك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء قال
 هن مجاز الدنيا أنشأهن الله تعالى خلقا جديدا كلها أنهن أزواجهن وجدوهن أبكارا فلما
 سمعت عائشة رضي الله عنها ذلك قالت واوجعاه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس هنالك وجع
 وعن الحسن رضي الله عنه قالت أتت عجوزا النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله
 تعالى أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز قال فقلت تبكي فقال أخبروها
 أنها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء (فجعلناهن) أي الفرش
 المنشآت وغيرهن بعظمتنا المحيطة بكل شيء (أبكارا) أي عذارى كلها أنهن أزواجهن وجدوهن
 عذارى ولا وجع وذكر المسيب عن غيره انهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا وقال
 مقاتل وغيرهن الحور العين أنشأهن الله تعالى لم تقع عليهن الولادة وقوله تعالى (عربا) جمع
 عروب كصبور وصبر وهي الغنجة المحببة الى زوجها وقال الرازي في اللوامع القطنية بمراد الزوج
 كقطنية العرب وقيل الحسناء وقيل المحسنة لكلامها وقال ابن عباس رضي الله عنهما هن
 العواتق وأنشدوا وفي الخباء عروب غير فاحشة * ربا الروادف يعشي دونها البصر
 وقرأ حمزة وشعبة يسكون الراء والباقون بضمها كرسل ورسل وفرش وفرش وقوله تعالى (أترابا)
 جمع ترب وهو المساوي لك في سنك لانه يس جلد هما التراب في وقت واحد وهو آكد في الاشتلاف
 وهو من الاسماء التي لا تتعرف بالاضافة لانه في معنى الصفة اذ معناه مساويك ومثله خذتك لانه
 يعني مصاحبك قال القرطبي سن واحد وهو ثلاث وثلاثون سنة يقال في النساء أتراب وفي
 الرجال أقران وكانت العرب تعبيل الى من جاوزت حد الفتي من النساء وانحطت عن الكبر وقال
 مجاهد الا تراب الامثال والاشكال وقال السدي أتراب في الاخلاق لا تباعض فيهن ولا تتحاسد
 وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة جردا مرد
 بضاً مججلين أبناء ثلاثين أو قال ثلاثا وثلاثين على خلق آدم عليه السلام ستون ذراعاً في سبعة
 أذرع وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال من مات من أهل الجنة من صغير وكبير يردون بنى ثلاثين
 سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبداً وكذلك أهل النار وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم انه قال أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثمان وسبعون ألف زوجة
 وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء يتظرو وجهه في خداه أصنى
 من المرأة وان أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب وانه ليكون عليها سبعون ثوبا
 يتقذهابصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان أدنى أهل الجنة
 منزلة وما منهم من دنى لمن يفدو عليه ويروح عشرة آلاف خادم مع كل واحد منهم طريقة ليست مع
 صاحبه وفي تعلق اللام في قوله تعالى (لاصحاب اليمين) وجهان أحدهما انها متعلقة بأنشأناهن
 أي لاجل أصحاب اليمين والثاني انها متعلقة بأترابا كقولك هذا ترب لهذا أي مساولة ثم بينهم

بقوله تعالى (ثلاثة من الأولين) أي من أصحاب الميمن (وثلاثة) أي منهم (من الآخرين) فلم يبين
فيهم قلة ولا كثرة قال البقاعي والظاهر أن الآخرين أكثر فإن وصف الأولين بالكثرة لا ينافي
كون غيرهم أكثر ليتفق مع قول النبي صلى الله عليه وسلم إن هذه الأمة ثلثا أهل الجنة فإنهم
عشرون ومائة صف هذه الأمة منهم ثمانون صفا وأربعون من سائر الأمم وعن عروة بن دريم
قال لما نزل قوله تعالى ثلاثة من الأولين وقليل من الآخرين بكى عمر وقال يا نبي الله آمنا برسول الله
وصدقناه ومن يحبونا قليل فأنزل الله تعالى ثلاثة من الأولين وثلاثة من الآخرين فدعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد أنزل الله تعالى فيما قلت فقال عمر رضينا عن ربنا وتصديق نبينا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم إلىنا ثلاثة ومنها إلى يوم القيامة ثلاثة ولا يستتمها الأسود
من رحاة الأبل بمن قال لا إله إلا الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه قال عرضت على الأمم
فجعل يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي معه الرهط والنبي ليس معه أحد ورفع إلى
سواد عظيم فقلت إنهم امتي فقبل لي هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد
عظيم فقبل لي هذه امتك ومعهم سبعون الفايد خلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فتفرق الناس
ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا أما نحن
فولدنا في الشرك وليكنا آمنا بالله ورسوله ولكن هؤلاء هم أبناء نافع النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك فقال هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة
ابن محصن فقال ادع الله تعالى أن يجعلني منهم فقال أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن
يجعلني منهم فقال سبقتهم عكاشة والرهط دون العشرة وقيل إلى الأربعين وعن عبد الله
ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرضت على الأنبياء الليلة باتباعها حتى أتى علي
موسى في كبكبة بنى إسرائيل فلما رأيتهم أعجبوني فقلت أي رب من هؤلاء قيل هو أخوك موسى
ومن معه من بنى إسرائيل قلت يا رب واين امتي قيل انظر عن يمينك فنظرت فإذا ظراب مكة قد
سد بوجوه الرجال فقال هؤلاء امتك ارضيت فقلت رضيت رب قيل انظر عن يسارك فنظرت فإذا
الأفق قد سد بوجوه الرجال فقلت هؤلاء امتك ارضيت فقلت رضيت رب رضيت فقلت ان مع هؤلاء سبعين
الفايد خلون الجنة لا حساب عليهم فقال صلى الله عليه وسلم ان استطعتم ان تكونوا من السبعين
فكونوا وان هجرتكم وقصرتكم فكونوا من أهل الظراب فان هجرتكم فكونوا من أهل الأفق فأتى قد
رأيت اناسايتها وشون كثيرا وعن عبد الله بن مسعود قال كأمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قبة فمخوا من أربعين فقال اترضون ان تكونوا ربيع أهل الجنة قلنا نعم قال اترضون ان تكونوا
ثلث أهل الجنة قلنا نعم قال والذي نفسي بيده اني لا رجوا ان تكونوا نصف أهل الجنة وذلك ان
الجنة لا يدخلها النفس مسلة وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود
أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر وتقدم في الحديث المار أنهم ثلثا أهل الجنة ولا منافاة
لأنه صلى الله عليه وسلم أخبر أولا بالقليل ثم أطلعه الله تعالى على الزيادة ولما أتم وصف أصحاب
الجنة أتبعه أضدادهم بقوله تعالى (وأصحاب الشمال) أي الجهة التي تتشام العرب بها ويعبر بها

عن الشيء الاخرس والحظ الانقص قال البقاعي والظاهر أنهم أدنى أصحاب المشأمة كما ان أصحاب
اليمين دون السابقين من أصحاب الميمنة ثم عظم ذمهم ومصائبهم فقال تعالى (ما أصحاب الشمال)
أي أنهم بجمال من الشؤم هو جدير بأن يسأل عنه وسماهم بذلك لانهم يأخذون كتبهم بشمالهم ثم
بين متقلبهم وما أعتلهم من العذاب فقال تعالى (في سموم) أي ريح حارة من النار تنفذ في المسام
(وحميم) أي ماء حار بالغ في الحرارة الى حد يذيب اللحم (وظل من يحموم) أي دخان أسود
كالحم أي الفحم شديد السواد وقيل النار سوداء وأهلها سود وكل شيء فيها أسود وقيل يحموم
اسم من أسماء النار قال الرازي وفي الامور الثلاثة إشارة الى كونهم في العذاب دائماً لانهم ان
تعرضوا لمهب الهواء أصابهم السموم وان استمعوا كما يفعل الذي يدفع عن نفسه السموم
بالاستككان بالكن يكونون في ظل من يحموم وان أرادوا التبرّد بالماء من حر السموم يكون الماء
من حميم فلا انفكاك لهم من العذاب أو يقال ان السموم تضربه فيعطش وتلتهب نار السموم
في احشائه فيشرب الماء فيقطع أمعاه فيريد الاستظلّال بظل فيكون ذلك الظل يحموم وذكر
السموم والحميم دون النار تنبيهها بالادنى على الاعلى كانه قال أبرد الاشياء في الدنيا حارة عندهم
فكيف أحرّها وقوله تعالى (البارد) أي لروح النفس (ولا كريم) أي لبؤنس به ورجلاً اليه صفتان
للظل كقوله تعالى من يحموم وقال الضحاک لا بارد أي كغيره من الظلال بل حار لانه من دخان
شفيح جهنم ولا كريم عذب وقال سعيد بن المسيب ولا حسن منظره وكل شيء لا خير فيه ليس بكريم
فسماء ظلا ونفى عنه برد الظل وروحه ونفقه من يأوى اليه من أذى الحر وذلك كرمه ليعمو
ما في مدلول الظن من الاسترواح اليه والمعنى انه ظل حار ضار الا ان للنفي في نحو هذا شأن ليس
للأثبات وفيه تميمكم بأصحاب المشأمة وأنهم لا يستأهلون الظل البارد كريم الذي هو
لاضدادهم في الجنة ثم بين استحقاقهم لذلك بقوله تعالى (انهم كانوا) أي في الدنيا (قبل ذلك) أي
الامر العظيم الذي وصلوا اليه (مترفين) أي انهم انما استحقوا هذه العقوبة لانهم كانوا في الدنيا
في سعة من العيش متمكنين في الشهوات مستمتعين بما تمكن منها (وكانوا يبصرون) أي يقيمون
ويدعون على سبيل التجديد لما لهم من الميل الجبلي الى ذلك (على الحنث) أي الذنب ويعبر
بالحنث عن البلوغ ومنه قولهم لم يبلغوا الحنث وانما قيل ذلك لان الانسان عند بلوغه اليه يؤخذ
بالحنث أي الذنب وتحنث فلان أي جانب الحنث وفي الحديث كان يحنث بفارس أي يعبد
لجانبه الاثم نحو خرج فتقهل في هذه كلها السلب ولما كان ذلك قد يكون من الصغار التي تغفر
قال تعالى (العظيم) أي وهو الشر لانه الحسن والضحاک وقال مجاهد هو الذنب الذي لا يتوبون
منه وقال الشعبي هو اليمين القموم وهو من الكبائر يقال حنث في يمينه أي لم يبرها ورجع فيها
وكانوا يقسمون ان لا يعث وان الاصنام انداد الله تعالى فذلك حنثهم (فان قيل) الترفه هو التمتع
وذلك لا يوجب ذمّا (اجيب) بأن الذم انما حصل بقوله تعالى وكانوا يبصرون على الحنث العظيم
فان صدور المعاصي عن كثرة النعم عليه أقبح القبائح وفي الآية مبالغاة لان قوله تعالى يبصرون
يقتضي ان ذلك حادثهم والاصرار ومداومة المعصية ولان الحنث ابلغ من الذنب لان الذنب يطلق

على الصغيرة ويدل على ذلك قولهم بلغ الخنثى أى بلغ مبلغا تلحقه فيه الكبيرة ووصفه بالعظيم يخرج الصغائر فإنها لا توصف بذلك قال الرازى والحكمة في ذكره سبب عذابهم ولم يذكر في أصحاب اليمين سبب ثوابهم فلم يقل أنهم كانوا قبل ذلك شاكرين مدعنين وذلك تنبيه على أن الثواب منه فضل والعقاب منه عدل والفضل سواء ذكر سببه أو لم يذكر لا يوهن بالفضل نقص وظلم وأما العدل ان لم يعلم سبب العقاب يظن أن هذا ظلماً ويدل على ذلك أنه تعالى لم يقل في حق أصحاب اليمين جزاء بما كانوا يعملون كما قال في السابقين لأن أصحاب اليمين نجوا بالفضل العظيم لا بالعمل بخلاف من كثرت حسناته يحسن إطلاق الجزاء في حقهم (وكانوا) أى زيادة على ما ذكر (يقولون) أى انكار ما يجدون لذلك دائماً عند (أئذا) أى أتبعث اذا (متنا وكنا) أى كوننا نباتاً (ترايا وعظاماً) ثم أعادوا الاستفهام تأكيدهم لانكارهم فقالوا (أنا لمبعوثون) أى كائن وثابت بعثنا ساعة من الدهر وكذا ليكون انكارهم لما دون ذلك بطريق الأولى وقرأ قالون أئذا بتحقيق الهمزة الأولى المفتوحة وتسهيل الثانية المكسورة وادخل الف بينهما وكسر الميم من متنا وهمزة واحدة مكسورة فى اننا وقرأ ورش بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية ولا يدخل بينهما وكسر الميم متنا وهمزة واحدة مكسورة فى اننا مع النقل عن أصله وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالاستفهام فىهما مع تسهيل الثانية إلا أن اباعمر ويدخل بينهما الفافيهما وابن كثير لا يدخل الفافيهما مع (أواباونا) أى أتبعث أباونا (الأولون) أى الذين قد بليت مع لحومهم عظامهم فصاروا كلهم ترايا ولا سيما ان حملتهم السيول فترقت اعضاءهم وذهبت بهم الى الآفاق (فان قيل) كيف حسن العطف على المضمير فى لمبعوثون من غير تأكيدهم (أجيب) بأنه حسن للفاصل الذى هو الهمزة كما حسن فى قوله تعالى ما أشركنا ولا آباءنا لفصل لا المؤكدة للنفى وقرأ قالون وابن عامر يسكون الواو من اووالباقون بفتحها ثم رداً لله تعالى عليهم قولهم ذلك بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) أى لهؤلاء ولكل من كان مثلهم وكذا لانكارهم (ان الأولين) أى الذين جعلتم الاستبعاد فيهم وهم الآباء (والآخرين) وهم الأبناء (المجوعون) أى فى المكان الذى يكون فيه الحساب (الى ميقات يوم) أى زمان (معلوم) أى معين عند الله تعالى وهو يوم القيامة اذ هو من شأنه ان يعلم بما عليه من الامارات والميقات ما وقت به الشئ من زمان أو مكان الى حد (ثم انكم) أى بعد هذا الجمع (أيتها الضالون) أى الذين غلبت عليهم الغباوة فهم لا يفهمون فضلوا عن الهدى ثم اتبع ذلك ما اوجب الحكم عليهم بالضلال فقال تعالى (المكذبون) بالبعث والخطاب لاهل مكة ومن فى مثل حالهم (لا تكون من شجر من زقوم) وهو من اخشب الشجر المرتبتهامة بنبتها الله تعالى فى الجحيم فهو فى غاية الكراهة وبشاعة المنظر وتن الرائحة وقدم الكلام على ذلك فى الصافات (تنبيه) من الأولى لا ابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر (قالون) أى ملا هو فى غاية الثبات وأنتم فى غاية الاقبال عليه مع ما هو عليه من عظيم الكراهة (منها) أى الشجر وأشه لانه جمع شجرة وهو اسم جنس قال البقاعى وهم يكرهون الاناث فتأنيدهم والله اعلم زيادة فى تنفيرهم وقال الرنخشري أنت ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ فى قوله منها وعليه وهو

لف ونشر مرتب (البطون) أي يضطرهم الى تناول هذا الكربة حتى تملؤا بطونكم منه ثم لما
 بين ما كلهم أتبعه مشربهم فقال تعالى (فشاربون عليه) أي الاكل أو الزقوم (من الحميم) لاجل
 حرارته وحرارته يحتاجون الى شرب الماء فيشربون من الماء الحار (فشاربون) أي منه (شرب
 الهيم) أي الابل العطاش وهو جمع هيمان للذكور وهي لاذني كعطشان وعطشى والهيماء
 معطش تشرب الابل منه الى أن تعوث أو تسقم سقما شديدا وقبل انه جمع هائم وهائمة من الهيماء
 أيضا لان جمع فاعل وفاعله على فعل قليل نحو نازل ونزل وعائد وعود وقيل انه جمع هيام بفتح
 الهاء وهو الرمل غير المتناسك الذي لا يروى من الماء أصلا فيكون مثل سحاب وسحب بضمين ثم
 خفف باسكان عينه ثم كسرت فاءه لتصح الياء كما فعل بالذي قبله والمعنى أنه يسلم عليهم من الجوع
 ما يضطرهم الى أكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا املؤا منه البطون ساء عليهم من العطش ما
 يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربون منه شرب الهيم (فان قيل) كيف صح
 عطف الشاربين على الشاربين وهما الذات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشئ على نفسه
 (أجيب) بأنهم حال يستأبقتين من حيث ان كونهم شاربين الحميم على ما هو عليه من تناهي
 الحرارة وقطع أمعائهم أمر عجيب فشرهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا فحكما
 صفتين مختلفتين وقرأ نافع وعاصم وحزرة بضم الشين والباقون بقصها (هذا) أي ما ذكر (نزلهم)
 أي ما بعد لهم أقول قد ومهم مكان ما بعد للضيف أول حلوله كرامة له (يوم الدين) أي الجزاء الذي
 هو حكمة القيامة واذا كان هذا نزلهم فاطنك بما يأتي بعدما استقر وافي الحميم وفي هذا تمكم كما في
 قوله تعالى فينذرهم بعذاب أليم فان النزل ما بعد للنازل تسكرمة له ثم استدل على منكري البعث
 بقوله تعالى (نحن) أي لا غيرنا (خلقناكم) أي بما لنا من العظمة (فالولا) تخضيض أي فهلا
 (تصدقون) أي بالبعث فان الاعادة أسهل من الابتداء وقيل نحن خلقنا رزقكم فهل لا تصدقون
 ان هذا طعنا مكم ان لم تؤمنوا وامتعلق التصديق محذوف تقديره فلو لا تصدقون بخلقنا (أفرايتم)
 أي أخبروني هل رأيتم بالبصر والبصيرة (ما تخنون) أي تصبون من المنى في أرحام النساء (أنتم
 مخلوقونه) أي توجدونه مقدرا على ما هو عليه من الاستواء والحكمة بعد خلقه من صورة النطفة
 الى صورة العلقة ثم من صورة العلقة الى صورة المضغة ثم منها الى صورة العظام والاعصاب (أم
 نحن) أي خاصة (الخالقون) أي الثابت لنا ذلك وقرأ أفرايتم في الثلاثة مواضع نافع بتسهيل
 الهمزة التي هي عين الكلمة ولورش وجه ثان وهو ابدالها ألفا وأسقطها الكسائي والباقون
 بالتصديق وقرأ أنتم في الثلاثة المواضع نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام بتحقيق الاولى وتسهيل
 الثانية بخلاف عن هشام وأدخل بينهما ألفا قالون وأبو عمرو وهشام ولم يدخل بينهما ورش وابن
 كثير ولورش وجه ثان وهو ابدال الثانية ألفا والباقون بتحقيقهما مع عدم الادخال بينهما ولما
 كان الجواب قطعاً أنت الخالق وحدها كذلك بقوله تعالى (نحن) أي بما لنا من العظمة لا غيرنا
 (قدزنا) أي تقدير أعظما لا يقدروا على نقص شيء منه (بينكم الموت) أي قسمنا عليكم فلم
 نترك أحدا منكم بغير حصصه منه واقتسام موت كل بوقت معين لا يتعداه فقصرنا عمر هذا ورعا كان

في الاوج من قوة البدن وصحة المزاج فلوا جمع الخلق كلهم على اطالة عمره ما قدروا أن يؤخروه
لحظة وأطالنا عمره هذا وربما كان في الخفيض من ضعف البدن واضطراب المزاج فلوقعا لولا على
تقصيره طرفه عين لعجزوا وقرأ ابن كثير يخفف الدال والباقون بالتشديد (وما نحن) أي على
مالنا من العظمة (بمبوقين) أي بالموت أي لا عاجزين ولا مغلوبين (على) أي عن (أن نبذل) أي
تبدلنا عظيما (أمثالكم) أي صوركم وأنشأناكم (وننشئكم) أي أنشاء جديدا بعد تبدل ذواتكم
(في ما لا تعلمون) فإن بعضكم تأكله الحيتان أو السباع أو الطيور فننشئ أبدانه منها وبعضهم يصير
ترايا فربما نشأ منه نبات فأكلته الدواب فنشأت منه أبدانها وربما صار ترابه من معادن الارض
الذهب والفضة والحديد والنحاس والجوهر ونحو ذلك وقد لمح الى ذلك قوله تعالى قل كونوا حجارة أو
حديدا الى آخرها ويكون المعنى كما قال البغوي نأت بخلق مثلكم بدل لانكم ونخلقكم فيما لا تعلمون
من الصور أي بتغيير أوصافكم وصوركم الى صور أخرى بالمسخ ومن قدر على ذلك قدر على الاعادة
وقال الطبري معنى الآية نحن قد نرينا بينكم الموت على أن تبدل أمثالكم بعد موتكم بأخرين
من جنسكم وما نحن بمبوقين في آجالكم أي لا يتقدم متأخرو ولا يتأخر متقدم وننشئكم فيما
لا تعلمون من الصور والهيئات قال الحسن أي نجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بأقوام قبلكم وقيل
المعنى ننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا فنجعل المؤمنين بياض وجهه ونجعل الكافر
بسواد وجهه * (فائدة) * في ما مقطوعة في الرسم (ولقد علمت النشأة الاولى) أي الترابية لا ليكم
آدم عليه السلام واللحمية لا تمكم حواء رضى الله عنها والنطفية لكم وكل منها تحويل من شيء
الى آخر غير ما الذي شاهدتم قدرته على ذلك لا يقدري على تحويلكم بعد أن تصيروا ترابا
الى ما كنتم عليه أولا من الصور ولهذا سبب عما تقدم قوله تعالى (فلولا) أي فهلا
ولم لا (تذكرون) أي تذكرا عظيما تذكروا أنفسكم عليه فتعلمون أن من قدر على النشأة
الاولى قدر على الثانية فانها أقل ضعفا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال
وفيه دليل على صحة القياس وفي الخبر عجا كل العجب للمصطفى كذب بالنشأة الاخرة وهو يرى
النشأة الاولى وعجا للمصدق بالنشأة الاخرة وهو يسعى لدار الغرور وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
النشأة بفتح الشين وبعدها ألف قبل الهزمة والباقون بسكونها ولا ألف بعدها فاذا وقف حزة
نقل حركة الهزمة الى الشين وخفف ذال تذكرون حزة والكسائي وحقق وشددها الباقيون
ثم ذكراهم حجة أخرى بقوله تعالى (أفرايتم) أي أخبروني هل رأيتم بالبصر والبصيرة ما تبهنناكم
عليه فيما تقدم فتسبب عن قبيحكم لذلك انكم رأيتم (ما تحثون) أي تتجددون حرثه على
الاستمرار من أراضيكم فتطرحون فيه البذر (أأنتم تزرعونه) أي تنشئونه بعد طرحتكم
وتجعلونه زراعا فيكون فيه السنبل والحب (أم نحن) خاصة (الزارعون) أي المنتبئون له
والحافظون روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت
قال أبو هريرة رأيتم الى قوله تعالى أفرايتم الآية ولما كان الجواب قطعاً أنت الفعال لذلك
وحدك قال تعالى موضحا لانه ما زرعه غيره (لأنشاء) أي لوعا ملناكم بصفة العظمة

(جعلناه) أي بتلك العظمة (حطاما) أي مكسورا مفتتة لا يحب فيه قبل النبات حتى لا يقبل الخروج أو بعده يبردم قسط أو حرمهلك أو غير ذلك فلا ينتفع به (قطمتم) أي فاقتم بسبب ذلك نهارا في وقت الاشغال العظيمة وتركتم ما يهكمم (تفككهون) حذفتم منه إحدى التامين في الاصل تخفيفا أي تعجبون مما نزل بكم في زرعكم وقيل تتقدمون على ما سلف منكم من المعاصي التي أوجبت تلك العقوبة قال الزمخشري ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة يأثمها البعداء ويتركها القرباء فينبأهم اذا غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفككهون أي يتقدمون وقال الكسائي التفككة التلهف على ما فات من الاضداد تقول العرب تفككت أي تنعمت وتفككت أي حزنت وتقولون (انالمفكمون) يحذف القول ومع في الغرم ذهاب المال بغير عوض من الغرام وهو الهلاك ومن مجي الغرام بمعنى الهلاك قول القائل ان يعذب يكن غراما وان يعطى طيز يلافانه لا يبالى

وقال ابن عباس الغرام العذاب أي عذبوا بذهاب أموالهم والمعنى ان غرنا الحب الذي بذرناه فذهب بغير عوض ومن الغرام بمعنى العذاب قول القائل وثقت بأن الحلم منك محبة * وأن فؤادي مبتلى بل من غرم

وقرأ شعبة أتنا بهمزة مفتوحة بعدها همزة مكسورة على الاستفهام والباقون بهمزة واحدة مكسورة على الخبر (بل نحن) أي خاصة (محرومون) أي ممنوعون رزقنا حرمانا من لا يرزق قضاؤه فلا حظ لنا في الاكتساب فلو كان الزارع ممن له حظ لا فلع زرعته ثم ذكر تعالى لهم حجة أخرى بقوله تعالى (أفرايتم الماء) أي أخبروني هل رأيتم بالبصر والبصيرة ما تبهنا عليه فيما مضى من المطم وغيره فرايتم الماء (الذي تشربون) فتصوبونه أنفسكم وتسكنوا به عطشكم ذكرهم بنعمه التي أنعم بها عليهم بانزال المطر الذي لا يقدر عليه أحد الا الله عز وجل (أأنتم أنزلوه من المزن) أي السحاب وهو اسم جنس واحد مزنة قال القائل فلا مزنة ودقت ودقها * ولا أرض أبقل أبقالها

وعن ابن عباس والثوري المزن السماء والسحاب وقال أبو زيد المزنة السحابة البيضاء أي خاصة وهي أعذب ماء والجمع مزن والمزنة المطرة (أم نحن) أي خاصة (المنزلون) أي لهبنا من العظمة (لونشاء) أي حال انزاله وبعده قبل أن ينتفع به (جعلناه) أي بما تقتضيه صفة العظمة (أجابا) أي ملأنا محرقا كأنه في الاحشاء لهيب النار الموجج فلا يبرد عطشا ولا ينف نبقا ينتفع به وقال ابن عادل الاجاج المالح الشديد الملوحة (فلولا) أي فهل لولم لا (تشكرون) أي تجددون الشكر على سبيل الاستقرار باستعمال ما أفادكم ذلك من القوي في طاعة الله الذي أوجده لكم ومكنكم منه ثم ذكر تعالى لهم حجة أخرى بقوله تعالى (أفرايتم النار) أي أخبروني هل رأيتم بالبصر والبصيرة ما تقدم فرايتم النار (التي تورون) أي تخرجون من الشجر الأخضر (أأنتم أنشأتم) أي اخترعتم وأوجدتم وأحييتم وربيتهم ورفعتهم (شجرتها) أي التي يقدح منها النار هي المراح والثمار وما شجرتان يقدح منهما النار وهما رطبستان وقيل أراد جميع

الشجر الذي توقد به النار (أم نحن) أى خاصة وأكذب قوله تعالى (المنشؤون) أى لها بالنا
 من العظمة على تلك الهيئة فن قدر على إيجاد النار التي هي أيسر ما يكون في الشجر الأخضر
 مع ما فيه من المائية المضادة لها كان أقدر على إعادة الطراوة في تراب الجسد الذي كان غضا
 طريا فيبس * ولما كان الجواب قطعاً أنت وحدك قال تعالى دالاً على ذلك تنبيهاً على عظم هذا
 الخبر (نحن) أى خاصة (جعلناها) أى لما اقتضته عظمتنا (تذكرة) أى شيئاً يذكر به تذكرة
 عظيماً جليلاً كما أخبرنا به من البعث وعذاب النار كبرى وما ينشأ فيها من شجرة الزقوم
 وغير ذلك وقيل موعظة تعظم بها المؤمن وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال ناركم التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم قالوا والله إن كانت لكافية
 يا رسول الله قال فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثلها مثل حترها (ومتاعاً) أى بلفة
 ومنفعة (للمقوين) أى المسافرين والمقوي النازل في أرض القوا بالكسر والقصر والمد
 وهي القفر البعيدة من العمران والمعنى أنه ينتفع بها أهل البوادي والاسفار فان منفعتهم بها
 أكثر من المقيم فانهم يوقدون بها بالليل لتهرب السباع ويهتدى الضال الى غير ذلك من المنافع وقال
 مجاهد للمقوين أى المستغنين بها من الناس أجمعين يستضيئون بها في الظلمة ويصطلون بها من
 البرد ويتفعمون بها في الطبخ والخبز الى غير ذلك من المنافع ويذكر بها نار جهنم فيستجار بالله
 تعالى منها وقال ابن زيد للجائعين في اصلاح طعامهم يقال أقويت منذ كذا وكذا أى ما أكلت
 شيئاً قال الشاعر واني لا اختار القوى طاوى الحشى * محافظة من أن يقال لثيم
 وقال قطرب المقوى من الاضداد يقال للنفقيرمقون مخلوق من المال ويقال للغنى مقواقوته على
 ما يريد والمعنى فيها متاعاً ومنفعة للفقراء والأتغنياء لا غنى لاحد عنها وقال المهدي الآية
 تصلح للجميع لان النار يحتاج اليها المسافر والمقيم والغنى والفقير * ولما ذكر تعالى ما يدل على
 وجوب وحدانيته وقدرته وانعامه على سائر الخلق خاطب بنبه صلى الله عليه وسلم أو كل أحد
 من الناس بقوله تعالى (فسبح) أى أوقع التنزيه العظيم من كل شائبة نقص من ترك البعث
 وغيره ولا سيما بعد بلوغ هذه الأدلة (باسم) أى ملتبساً بذكر اسم (ربك) أى المحسن اليك
 بهذا البيان الاعظم * (فائدة) * أثبتوا ألف الوصل هنا في اسم ربك لانه لم يكثر دوره كثرت
 في البسملة وحذفوه منها الكثرة دورها وهم شأنهم الإيجاز وتقليل الكثرة اذا عرف معناه وهذا
 معروف لا يجهل واثبات ما أثبت من اشكاله مما لا يكثر دليل على الحذف منه وإذا لا تحذف
 مع غير الباء في اسم الله ولا مع الباء في غير الجلالة كريمة من الاسماء وقد أوضحت ذلك
 في مقدمتي على البسملة والجدلة * ولما كان المقام للعظمة قال الله تعالى (العظيم) أى الذي
 ملاء الاكوان كلها عظمة فلا شئ منها الا وهو معلوم بعظمته تنزيهاً عن أن يلحقه شائبة نقص
 أو يفوته شئ من كماله فالعظيم صفة للاسم أو الرب والاسم قيل بمعنى الذات وقيل زائد أى فسبح
 ربك واختلف في لافي قوله تعالى (فلا أقسم) فقال أكثر المفسرين معناه فاقسم ولا صلة
 مؤكدة بدليل قوله تعالى بعد ذلك وانه لقسم ومثلها في قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب والتقدير

ليعلم وقال بعضهم انها حرف نني وان المنقح بها محذوف وهو كلام الكافر الجاهل والتقدير
فلا حجة بما يقوله الكافر ثم ابتدأ قسما بما ذكر وضعف هذا بان فيه حذف اسم لا وخبرها قال
أبو حيان ولا ينبغي فان القائل بذلك مثل سعيد بن جبير تليد خبر القرآن وهو عبد الله
ابن عباس ويعد أن يقوله سعيد الابتوقيف وقال بعضهم انها لام الابتداء والاصل فلا قسم
فأشبهت الفحة فتولد منها ألف كقول بعضهم أعوذ بالله من العقرب قال الزمخشري ولا يصح
أن تكون اللام لام القسم لأمريين أحدهما أن حقها أن تقرن بها النون المؤكدة والاخلال
بها ضعيف قبيح والثاني ان لا فعلان في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب أن يكون
للحال واختلف أيضا في معنى قوله عز وجل (بمواقع النجوم) فقال أكثر المفسرين بمساقطها
لغروبها قال الزمخشري ولعل الله تعالى في آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب أفعالا
عظيمة مخصوصة وللملائكة عبادات موصوفة أولانه وقت قيام المجتهدين والمبتلين اليه من
عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك أقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله تعالى
(وانه لقسم لو تعلمون عظيم) وقال عطاء بن رباح أراد بمواقعها منازلها قال الزمخشري
وله في ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف وقال الحسن مواقعها
انكدارها وانتثارها يوم القيامة وقال ابن عباس والسدى المراد بنجوم القرآن أي أوقات
نزولها وقال الضحاك هي الأنواء التي كانت الجاهلية تقول اذا مطر وامطرنا بنوء كذا
وقال القشيري هو قسم والله أن يقسم بما يريد وليس لنا أن نقسم بغير الله تعالى وصفاته القدسية
(فان قيل) لو تعلمون جوابه ماذا أجيب بأنه مقدّر تقديره لعظمته أو أي لو كنتم من ذوي العلم
لعلمتم عظم هذا القسم واكنكم ما علمتموه فعلم أنكم لا تعلمون وقرأ بموقع حزة والكسائي
يسكون الواو ولا ألف بعدها والباتون بفتح الواو وألف بعدها وقوله تعالى (انه) أي القرآن
الذي أفهمته النجوم بعزمهم وافهامها (لقرآن) أي جامع سهل ذوا أنواع جليلة (ـهـ ريم)
أي بالغ الكرم منزّه عن كل شائبة لؤم ودناءة هو المقسم عليه وفي الكلام اعتراض أحدهما
الاعتراض بقوله تعالى (انه لقسم بين القسم والمقسم عليه) والثاني الاعتراض بقوله تعالى
لو تعلمون بين الصفة والموصوف * (تنبيه) * من كرم هذا القرآن العظيم كونه من الملك
الاعلى الى خير الخلق بسفارة روح القدس مشتملا على أصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش
والمعاد وبلسان العرب الذين اتفقت علماء الفرق على أن لسانهم أفصح الاسن وعلى وجه
أعجز العرب كافة وبقية الخلق أجمعين واختلف في معنى قوله تعالى (في كتاب) أي مكتوب
(مكنون) أي مصون فالذي عليه الأكثر أنه المصحف سمي قرآنا لقرب الجوار على الاتساع
ولأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن الى أرض العدو وأراد به المصحف وقوله
تعالى (لا يسه) خبر بمعنى النهي ولو كان باقيا على خبريته لزم منه الخلف لان غير المطهر يسه
وخبر الله تعالى لا يقع فيه خلاف لان المراد بقوله تعالى (الا المطهرون) لا المحدثون وهو قول
عطاء وطاوس وسالم والقاسم وأكثر أهل العلم وبه قال مالك والشافعي رضي الله عنهما وقال

ابن عادل والصحيح ان المراد بالكتاب المصحف الذي بأيدينا لما روى مالك وغيره ان كتاب عمرو
ابن حزم لا يمس القرآن الا طاهر وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تمس القرآن
الا وانت طاهر وقالت أخت لعمر عند اسلامه وقد دخل عليها ودعاها بالمصحف لا يمسها
الا المطهرون فقام فاغتسل وأسلم وعلى هذا قال قتادة وغيره معناه لا يمسها الا المطهرون من
الاحداث والنجاس انتهى وقال ابن عباس مكنون محفوظ عن الباطل والكتاب
هنا كتاب في السماء وقال جابر هو اللوح المحفوظ أي لقوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح
محفوظ وقال عكرمة التوراة والانجيل فيهما ما ذكر القرآن وقال السدي الزبور وقيل
لامن لا يمسها نافية والضمة في لا يمسها ضمة اعراب وعلى هذا في الجملة وجهان أحدهما
ان محلها الجزئية للكتاب والمراد به اما اللوح المحفوظ والمطهرون حينئذ الملائكة والمراد به
المصحف والمراد بالمطهرون الملائكة كلهم والثاني محلها رفع صفة لقرآن والمراد بالمطهرون
الملائكة فقط أي لا يطلع عليه لان نسبة المس الى المعاني متعذرة وقيل انها نافية والفعل
بعدها مجزوم لانه لو فك عن الادغام لظهر ذلك فيه كقوله تعالى لم يمسهم سوء ولكنه
أدغم ولما أدغم حرك بالضم لا جـ ل هاء ضمير المذكر الغائب وفي الحديث ان لم يرد عليه
لا تاحرم بضم الدال وان كان القياس يقتضي جواز فتحها تخفيفا وبهذا ظهر فساد
رد من رديان هذا لو كان نهيما كان يقال لا يمسها بالفتح لانه خفي عليه جواز ضم ما قبل الهاء
في هذا التحويل لا يجوز سبويه غيره * واختلفوا في المس المذكور في الآية فقال أنس وسعيد
ابن جبيل لا يمس ذلك الا المطهرون من الذنوب وهم الملائكة وقال أبو العباس وابن زيد
هم الذين طهروا من الذنوب كالرسل من الملائكة والرسل من بني آدم وقال الكلبي هم السفرة
الكرام البررة وهذا كله قول واحد وهو اختيار مالك وقال الحسن هم الملائكة الموصوفون
في سورة عبس في قوله تعالى مصحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة وقيل معنى
لا يمسها لا ينزل به الا المطهرون أي الا الرسل من الملائكة على الرسل من الانبياء ولا يمس اللوح
المحفوظ الذي هو الكتاب المكنون الا الملائكة المطهرون ولو كان المراد طهر الحدث
لقال المتطهرون او المطهرون بتشديد الطاء ومن قال بالاول قال المطهرون يعني المتطهرون
* (تنبيه) * اختلف العلماء في مس المصحف وجهه على غير وضوء فالجمهور على المنع من مسه على
غير طهارة لحديث عمرو بن حزم وهو مذهب علي وابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وسعيد
ابن زيد وعطاء والزهرى والنخعي والحكم وجناد وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي
وأما الحل فلانه أبلغ من المس سواء حمله بعلاقته أم في كفه أم على رأسه وسواء مس نفس الاسطر
أم ما بينها أم الحواشي أم الجلد أم العـ لاقة أم الخريطة أم الصندوق اذا كان المصحف فيها
وسواء مس بأعضاء الوضوء أم بغيرها وقال جماعة يجوز منه وجهه واحتجوا بأن النبي صلى
الله عليه وسلم كتب الى هرقل كتابا فيه قرآن وهرقل محدث يمس به هو وأصحابه وبأن الصبيان
يحملون الألواح محدثين بلا انكار وبأنه اذا لم يحرم القراءة للحل والمس أولى وبأنه يجوز حمله

في أمتعة وأجيب عن الأول بأن ذلك الكتاب كان فيه آيات ولا يسمى مصصفا ولا مافي معناه
 وبأنه لو كان كتابا قد تضمن مع القرآن دعاء إلى الاسلام فلم يكن القرآن بانفرادهم مقصودا فخار
 تغليباً للمقصود فيه وعن الثاني بأنه أبيع للصبيان للضرورة لانهم غير مكلفين وعن الثالث بأن
 القراءة أبيعحت للعاجزة وعسر الوضوء لها كل وقت وبأننا لانسلم الأولوية المذكورة بدليل أن
 الكافر لا يمنع من القراءة ويمنع من حمل المصحف ومسه وعن الرابع بأن جواز حمل المصحف
 في الامتعة محله اذا لم يكن المصحف مقصودا بالحمل وقال آخرون بحرمة المس دون الحمل
 واحتجوا بأن المحرم يحرم عليه مس الطيب دون حمله وأجيب عنه بأنه غير صحيح لان حمل
 المصحف أبلغ في الاستيلاء عليه من مسه فلما حرم الأدنى كان تحريم الأعلى أولى ولان تحريم
 المصحف انما هو لحرمته فاستوى فيه مسه وحمله بخلاف طيب المحرم فان تحريمه مقصور على
 الاستمتاع به وليس في حمله استمتاع به ولولف كنهه على يده وقلب به أوراق المصحف حرم عليه
 لان القلب يقع باليد لا بالكم بخلاف قلب ذلك يعود ويحرم كتب شيء من القرآن أو من أسمائه
 تعالى بنجس أو على نجس ومسه به اذا كان غير معفوق عنه ولو خاف على المصحف من حرق أو غرق
 أو وقوع نجاسة عليه أو وقوعه في يد كافر جاز حمله مع الحدث بل يجب ذلك صيانة للمصحف
 ولولم يجد من يودعه المصحف وعجز عن الوضوء فله حمله مع الحدث ويلزمه أن يتيمم ان وجد التراب
 ولا تجوز المسافرة بالمصحف إلى أرض الكفار اذا خيف وقوعه في أيديهم للنهي عنه في الصحيحين
 وخرج بالمصحف غيره نحو كتب الفقه والحديث وكتب التفسير فلا يحرم حملها ولا مسها الا
 أن يكون القرآن أكثر من التفسير أو مساوياً له فيحرم الحمل والمس لانه حينئذ في معنى المصحف
 وفي ذلك زيادة ذكرتها في شرح المنهاج وغيره وقوله تعالى (تنزيل) أي منزل اليكم بالتدريج
 بحسب الوقائع والتقريب للافهام والتأني والترقية من حال إلى حال وحكم إلى حكم بوسايط
 الرسل من الملائكة (من رب العالمين) أي الخالق العالم بتربيتهم صفة القرآن أي القرآن منزل من
 عند رب العالمين سمي المنزل تنزيلاً على اتساع اللغة كقوله تعالى هذا خلق الله وأثر المصدر
 لان تعلق المصدر بالفعل أكثر وفي ذلك رد على قول من قال بأن القرآن شعراً وسحراً وكهانة
 (أفبهذا الحديث) أي القرآن الذي تقدمت أوصافه العالية وهو يتجدد اليكم انزاله وقتا بعد
 وقت (أنتم مدهنون) أي متهاونون كن يدهن في الامر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه متهاوناً به
 قال ابن بريان الادهلن والمداهنة الملاينة في الامور والتغافل والركون إلى التجاوز اه قال
 البقاعي فهو على هذا انكار على من سمع أحداً يتكلم في القرآن بما لا يليق ثم لا يجاهره بالعداوة
 وأهل الاتحاد كإبن عربي الطائي صاحب القصص وإبن الفارض صاحب التائية أول
 من صوبت إليه هذه الآية فانهم تكلموا في القرآن على وجه يطل الدين أصلاً ورأساً ويحمله
 عروة عروة فهم أضرب الناس على هذا الدين ومن يتأول لهم أو ينافع عنهم أو يعتذر لهم أو يحسن
 النظر بهم بخلاف لاجماع الأمة أن نجس حالهم فان مراده ابقاء كلامهم الذي لا أفسد للاسلام
 منهم من غير ان يكون لبقائه مصلحة ما يوجه من الوجوه اه ويرى ابن المقرئ في روضه على

كفر من شدة في كفر طائفة ابن العربي الذين ظاهر كلامهم عند غيرهم الاتحاد وهو بحسب
 ما فهمه من ظاهر كلامهم ولكن كلام هؤلاء جاز على اصطلاحهم اذا اللفظ المصطلح عليه
 حقيقة في معناه الاصطلاحي مجاز في غيره والمعتمد منهم لمعناه معتد لمعنى صحيح وأما من اعتقد
 ظاهره من جهالة الصوفية الذين لا علم عندهم بل أكثرهم يدعى ان العلم حجاب ومذى ذلك
 هو المحجوب فانه يعرف فان استمر على ذلك بعد معرفته صار كافرا فسال الله تعالى التوفيق
 والعصمة ولما كان هذا القرآن متكفلا بسعادة الدارين قال تعالى (وتجعلون رزقكم) أى
 حظكم ونصيبكم وجميع ما تنفعون به من هذا الكتاب وهو نفعكم كله (أنكم تكذبون)
 فتضعون الكذب مكان الشكر كقول تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الامكاه وتصدية
 أى لم يكونوا يصلون ولكنهم كانوا يصفرون ويصفقون مكان الصلاة قال القرطبي وفيه بيان
 أن ما أصاب العباد من خير فلا ينبغي أن يروه من قبل الوسائط التي جرت العادة بأن تكون أسبابا
 بل ينبغي أن يروه من قبل الله تعالى ثم يقابلونه بشكر ان كان نعمة أو صبر ان كان مكروها تعبد الله
 وتذلل وعن ابن عباس ان المراد به الاستسقام بالانواء وهو قول العرب مطرنا بنوء كذا
 ورواه علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم عن ابن عباس
 قال مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أصبح
 من الناس شاكر ومنهم كافر فقال بعضهم هذه رحمة الله تعالى وقال بعضهم لقد صدق نوء
 كذا قال فنزلت هذه الآية فلا أقسم بمواقع النجوم حتى بلغ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون
 وفيه أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في سفر فغطش واقفال النبي صلى الله عليه وسلم
 أرايتم ان دعوت الله تعالى لكم فسيتم لعلكم أن تقولوا هذا المطر بنوء كذا فقالوا يا رسول
 الله ما هذا يعني الانواء فصلى وكعتين ودعا الله تعالى فهاجت ريح ثم هابت قطرو
 فخر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عصا به من أصحابه برجل يغترف بتدح له وهو يقول سقينا بنوء
 كذا ولم يقل هذا من رزق الله تعالى فنزل وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون أى شكر الله
 على رزقه اياكم أنكم تكذبون بالنعمة وتقولون سقينا بنوء كذا كقول القائل جعلت احسانى
 اليك اساءة منك الى وجعلت انعامي عليك أن اتخذتني عدوا قال الشافعي لا أحب لاحد
 أن يقول مطرنا بنوء كذا وان كان النوء عندنا الوقت لا يضر ولا ينفع ولا يعطرو ولا يحبس شيئا
 من المطر والذي أحب أن يقول مطرنا وقت كذا كما يقول مطرنا شهر كذا ومن قال مطرنا بنوء
 كذا وهو يريد ان النوء انزل الماء كما يقول أهل الشرك فهو كافر حلال دمه ان لم ينب
 وحاصله ان اعتقد أن النوء هو الفاعل حقيقة فهو كافر والا فيكره له ذلك كراهة تنزيه وسبب
 الكراهة انها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بقائلها ولانها من شعار الجاهلية
 ومن سلك مسلكهم ثم بين سبحانه أنه لا فاعل لشيء في الحقيقة سواء بقوله تعالى (قلوا) وهي أداة
 تفهم طلبا بجزو توخي وتقريب بمعنى فهلا ولم لا (اذ بلغت الحلقوم) أى بلغت الروح منك
 ومن غيركم عند الاحتضار الحلقوم أضمرت من غير ذكر دلالة الكلام عليها دلالة ظاهرة

وفي الحديث ان ملك الموت له أعوان يقطعون العروق ويجمعون الروح شيئا فشيئا حتى تنتهي الى الخلقوم فيتوقاها ملك الموت والخلقوم مجرى الطعام في الخلق والخلق مساغ الطعام والشراب معروف فكان الخلقوم أدنى الخلق الى جهة اللسان (وأنتم) أى والحال أنكم أيها العاكفون حول المحتضر المتوجعون له (حينئذ) أى بلغت الروح ذلك الموضع (تنظرون) أى الى أمرى وسلطاني أو الى الميت ولا حيلة لكم ولا فعل بغير النظر ولم يقل تبصرون لئلا يظن ان لهم ادراكا بالبصر لشيء من البواطن من حقيقة الروح ونفوها (ونحن) أى والحال أنا نحن بما لنا من العظمة (أقرب اليه) أى المحتضر بعلمنا وقدرتنا (منكم) على شدة قربكم منه قال عامر بن قيس ما نظرت الى شيء الا رأيت الله أقرب الى منته (ولست كن لا تبصرون) من البصيرة أى لا تعلمون ذلك (فلولاً) أى فهلاً (ان كنتم) أيها المكذبون بالبعث (غير مدنيين) أى مربوطين من دان السلطان الرعية اذا ساء لهم أو مفهورين مملوكين مجزيين محاسبين بما علمت في دار البلاء التي أقامكم فيها أحكم الحاكمين من دانه اذا ذله واستعبده وأصل تركيب دان للذل والانقياد قاله البيضاوى (ترجعونها) أى الروح الى ما كانت عليه (ان كنتم) كوناً ثابتاً (صادقين) فيما زعمتم فلولاً الثانية تأكيدياً ولاولى واذا ظرف لترجعون المتعلق به الشرطان والمعنى أنكم في وجودكم أفعال الله تعالى وآياته في كل شيء ان أنزل عليكم كتاباً معجزاً قلتم سحر واقتراء وان أرسل اليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطراً يحيينكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤول الى الالهة والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الخلقوم ان لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالهي المميت المبدئ المعيد ثم ذكر تعالى طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال عز من قائل (فاما ان كان) المتوفى (من المقربين) السابقين الذين اجتنبهم الحق من أنفسهم فقربهم منه فكانوا امرادين قبل أن يكونوا مرئيين وليس القرب قرب مكان لانه تعالى منزله عنه وانما هو بالتخلق بالصفات الشريفة على قدر الطاقة البشرية ليصير الانسان روحاً خالصاً كالملائكة لا سبيل الى الخطيئة والشهوات عليها وقوله تعالى (فروح) مبتدأ خبره مقدّمه قبله أى فله روح أى راحة ورجة وما ينعشه من نسيم الريح وقال سعيد بن جبيرة فرج وقال الضحاک مغفرة ورجة (وريحان) أى رزق عظيم ونبات حسن بهيج وأزاهير طيبة الرائحة وقال مقاتل هو لسان جبر رزق يقال خرجت أطلب ريحان الله أى رزقه وقيل هو الريحان الذى يشم قال أبو العباس لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يوفى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم يقبض روحه وقال أبو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان دخول دار القرار (وجنت) أى بستان جامع الفواكه والرياحين (نعيم) أى ذات تنعم ليس فيها غيره واهله مقصود تعليمهم (تنبيه) جنت هنا مجرورة التاء ووقف عليها بالهاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي قال الكسائي بالامالة في الوقف على أصله والباقيون بالتاء على المرسوم (وأما ان كان) المتوفى (من أصحاب اليمين) أى الذين هم في الدرجة الثانية من أصحاب المينة (فسلام لك) أى يا صاحب اليمين

(من) اخوانك (أصحاب اليمين) أى يسلون عليك كقوله تعالى الاقبلا سلاما سلاما وقال
القرطبي فسلام لك من أصحاب اليمين أى است ترى منهم الاما تحب من السلامة فلا تهتم لهم
فانهم يسلون من عذاب الله تعالى وقيل المعنى سلام لك منهم أى أنت سالم من الاعتماد لهم
والمعنى واحد وقيل أصحاب اليمين يدعون لك يا محمد بأن يصلى الله عليك ويسلم وقيل معناه
سلمت أيها العبد مما تكره فانك من أصحاب اليمين فحذف انك وقيل انه يحيى بالسلام
تكرما وعلى هذا فى محل السلام ثلاثة أقوال أحدها عند قبض روحه فى الدنيا يسلم عليه ملك
الموت قاله الضحاك وقال ابن مسعود اذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك
السلام الثانى عند مسئلته فى القبر يسلم عليه منكر ونكير الثالث عند بعثه فى القيامة تسلم
عليه الملائكة قبل وصوله اليها قال القرطبي ويحتمل أن يسلم عليه فى المواطن الثلاثة ويكون
ذلك اكراما بعد اكرام ولما ذكر تعالى الصنفين الناجيين أتبعهما الهالكين جامعاهم فى صنف
واحد لان من أريد له السعادة يكفيه ذلك ومن ختم له بالشقاوة والعباد بالله تعالى لا ينفعه
الاغلاط والا كثر فقال تعالى (وأما ان كان) المتوفى (من المكذبين) الذى أخذناه من
أصحاب المشأمة وأنتم حوله تتقطع أبادكم له ولا تقدررون له على شئ أصلا (الضالين) أى عن
الهدى وطريق الحق (فنزله من جيم) كما قال تعالى ثم انكم أيها الضالون المكذبون الى أن قال
فشاربون شرب الهيم وقال تعالى ثم ان لهم عليها الشوبا من جيم أى ماء متناه فى الحرارة بعد
ما نالوا من العطش كما يرد أصحاب الميمنة الحوض كما يادربه للقادم ليرديه غلة عطشه ويغسل به
وجهه ويديه (وتصلية بحيم) أى ونزل من تصلية بحيم والمعنى ادخال فى النار وقيل اقامة
فى الجحيم ومقاساة لانواع عذابها يقال أصلاه النار وصلاه أى جعله يصلاها والمصدر هنا
مضاف الى المفعول كما يقال لقلان اعطاء ماله أى يعطى المال (ان هذا) أى الذى ذكر فى هذه
السورة من أمر البعث الذى كذبوا به فى قولهم أننا لم نعوتون ومن قيام الادلة عاياه (لهو حق
اليقين) أى حق الخبر اليقين أى لما عليه من الادلة القطعية المشاهدة كأنه مشاهد مباشر وقيل
انما جاز اضافة الحق الى اليقين وهما واحد لا اختلاف لفظهما وذلك من باب اضافة المترادفين
ولما حقق له تعالى هذا اليقين سبب عن أمره لنبيه صلى الله عليه وسلم بالتنزيه عما وصفوه به مما
يلزم منه وصفه بالهجز فقال تعالى (فسبح) أى أوقع التنزيه كله عن كل شائبة نقص بالاعتقاد
والقول والفعل بالصلاة وغيرها بأن تصفه بكل ما وصف به نفسه من الاسماء الحسنى وتنزهه عن
كل مانزه نفسه عنه (باسم ربك) أى المحسن اليك بما خصك به مما لم يعطه أحدا غيرك واذا كان
هذا الاسم فكيف بما هو له (العظيم) الذى ملأت عظمته جميع الاقطار والاكوان وزادت
على ذلك بما لا يعلمه حق العلم سواء لان من له هذا الخلق على هذا الوجه المحكم وهذا الكلام
الاعز الاكرم لا ينبغي لشائبة نقص أن تلم بجنابه أو تدن من فناء بابه وعن عقبة بن عامر قال
لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت
سبح اسم ربك الاعلى قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى سجودكم خرجه أبو داود وعن

أبي ذر قال قال لي عليه الصلاة والسلام ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله تعالى سبحانه الله
وبحمده وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان
ثقلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحانه الله وبحمده سبحانه الله العظيم هذا الحديث آخر
حديث في البخاري وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحانه الله العظيم
وبحمده غرست له نخلة في الجنة وروى أبو طيبة عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصب فاقة أبدا ورواه البيهقي وغيره
وكان أبو طيبة لا يدعها أبدا وأخرجه ابن الأثير في كتابه جامع الأصول ولم يذكره

﴿سورة الحديد مكية أو مدنية﴾

وهي تسع وعشرون آية وخمسمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وأربع مائة وستة وسبعون حرفا

(بسم الله) الذي أحاطت هيئته بجميع الموجودات (الرحمن) الذي وسعهم جوده في جميع
الحركات والسكنات (الرحيم) الذي خص أهل ولايته بإرضيه من العبادات ولما ختمت
الواقعة بالامر بتزييه عما أنكره الكفرة من البعث جاءت هذه لتقرر ذلك التزييه فقال
تعالى (سبح لله) أي الملك المحيط بجميع صفات الكمال (ما في السموات) أي الأجرام
العالية والذي فيها (والارض) والذي فيها أي زهره كل شيء فاللام مزيدة وحي بمادون من
تغليب اللاتر (وهو) أي وحده (العزیز) الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء (الحكيم) أي الذي
أتقن كل شيء صنعه وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائي يسكون الهاء والباقيون بضمها (له)
أي وحده (ملك السموات والارض) وما فيهما وما بينهما ظاهر أو باطنا فالملك الظاهر ما هو
الآن موجود في الدنيا من أرض مدحجة وسما مبنية وكواكب مضية وأفلاك ورياح
وسحاب مرئية وغير ذلك مما يحيط به علمه تعالى والملك الباطن الغائب عنا وأعظمه المضاف
إلى الآخرة وهو الملائكة (يحيي) أي له صفة الأحياء فيحيي ما شاء من الخلق بأن يوجده
على صفة الحياة كيف شاء في أطوار يقلبها كيف شاء ومما شاء (ويميت) أي له هاتان الصفتان
على سبيل الاختيار والتجدد والاستمرار فهو قادر على البعث بدليل ما ثبت له من صفة الأحياء
(وهو على كل شيء قدير) أي من الأحياء والاماتة وغيرهما من كل ممكن (قدير) أي بالغ
القدرة (هو) أي وحده (الاقول) بالازامية قبل كل شيء فلا أقول له والقديم الذي منه وجود
كل شيء وليس وجوده من شيء لأن كل ما نشاهده متأثر لانه متغير وكل ما كان كذلك فلا بد له
من موجود غير متأثر ولا متغير (والآخرة) أي بالابدية الذي ينتهي إليه وجود كل شيء
في سلسلة الترقى وهو بعد فنا كل شيء باق فلا آخر له لانه يستحيل عليه نعت العدم لأن كل
ما سواه متغير وكل ما تغير بنوع من التغير جازا اعدامه وما جازا اعدامه فلا بد له من معدم
يكون بعده ولا يمكن اعدامه (والظاهر) أي الغالب العلي على كل شيء (والباطن) أي
العالم بكل شيء هذا معنى قول ابن عباس وقال يمان هو الاقول القديم والآخرة الرحيم والظاهر

الحكيم والباطن العليم وقال السدي هو الاول بيرة اذ عرفك توحيد الله والآخر بيجوده
اذ عرفك التوبة على ما جنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذ
عصيته فستر عليك وقال الجنيد هو الاول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر
بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب وسأل عمر كعب عن هذه الآية فقال معناها ان علمه
بالاول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن (وهو بكل شيء عليم) أي لكون الاشياء عنده
على حد سواء والبطون والظهور وانما هو بالنسبة الى الخلق وأما هو سبحانه وتعالى فلا باطن من
الخلق عنده بل هم في غاية الظهور ولديه لانه الذي أوجدهم (فان قيل) ما معنى هذه الواو
(أجيب) بأن الواو الاولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولى والثانية
والثالثة انه الجامع بين الظهور والخفاء وأما الوسطى فعلى انه الجامع بين الصفتين الاولى
ومجموع الصفتين الاخرين فهو المستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية والحاضرة والآتية
وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور والادلة والخفاء فلا يدرك بالحواس قال الزمخشري
وفي هذا حجة على من جوز اذراكه في الآخرة بالحاسة وهذا على رأيه الفاسد وهو على رأى
المعتزلة المنكرين رؤية الله تعالى في الآخرة وأما أهل السنة فانهم يثبتون الرؤية للاحداث
الدالة على ذلك من غير تشبيه ولا تكليف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وعن سهل قال كان أبو
صالح يأمرنا اذا أراد أحدنا أن ينأى أن يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم رب السموات
والارض رب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة
والانجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الاول فليس قبلك شيء
وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء
اقض عنا الدين وأغننا من فضلك وكان يروى ذلك عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
(هو) أي وحده (الذي خلق السموات) وجمعها العلم العرب بتعددتها (والارض) أي
الجنس الشامل لكل وأفردها لعدم توصلهم الى العلم بتعددتها وقال تعالى (في ستة أيام)
أي من أيام الدنيا أولها الاحد وآخرها الجمعة سنة للتأني في الامور وتقدير الايام التي أوترها
سابعها الذي خلق فيه الانسان الذي دل يوم خلقه باسمه الجمعة على أنه المقصود بالذات وبأنه
السابع نهاية المخلوقات وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) أي السرير كناية عن انفراده
بالتدبير وحاطة قدرته وعلمه كما يقال في ملوكنا جلس فلان على سرير الملك بمعنى أنه انفراد
بالتدبير لا يكون هناك سرير فضلا عن جلوس وأنى باداة التراخي تقبيلها على عظمته (يعلم ما يلج)
أي يدخل دخولا يغيب فيه (في الارض) أي من النبات وغيره من أجزاء الاموات وغيرها وان
كان ذلك في غاية البعد فأتى الاماكن كلها بالنسبة اليه تعالى على حد سواء في القرب والبعد
(وما يخرج منها) كذلك * (تنبيه) في التعبير بالمضارع دلالة على ما أودع في الخافقين من القوى
فصارا بحيث يتجدد منهما ذلك بخلقته يتجدد مستمر الى حين خرابهما (وما ينزل من السماء)
من الوحى والامطار والحر والبرد وغيرهما من الاعيان والمنافع التي يوجدها سبحانه وتعالى

من مقادير أعمار بني آدم وازدقهم وغيرها من جميع شؤونهم (وما يعرج) أي يصعد ويرتقي
 ويغيب (فيها) كالابخرة والانوار والكواكب والاعمال وغيرها ولم يجمع السماء لأن
 المقصود حاصل بالواحدة مع افهام التعبير بها الجنس الشامل للكل (وهو معكم) بالعلم
 والقدرة أيها الخلق (أيما كنتم) لا يتفك علمه وقدرته عنكم بحال فهو عالم بجميع أموركم
 وقادر عليكم تعالى الله عن اتصال بالعالم وعماسه وانفصال عنه بغيبه أو مسافة (والله) أي
 المحيط بجميع صفات الكمال (بما تعملون) أي على سبيل التجدد والاستمرار (بصير) أي عالم
 بجليه وحقيقه فيجازيكم به وقدم الجار لمزيد الاهتمام والتنبه على تحقيق الاحاطة (له) أي
 وحده (ملك السموات) وجوع لاقتضاء المقام له (والارض) وأفرد الخفاء تعددها عليهم مع
 ارادة الجنس ودل على ارادة ملكه واحاطته بقوله تعالى (والى الله) أي الملك الذي لا كفولة
 وحده (ترجع) بكل اعتبار على غاية السهولة (الامور) أي كلها حسبا بالبعث ومعنى
 بالابتداء والافناء ودل على ذلك بقوله تعالى (يولج) أي يدخل ويغيب بالنقص والمحو (الليل
 في النهار) فاذا هو قد قصر بعد طوله وقد انمحي بعد شخوصه وحلوله وزاد النهار وملا الضياء
 الاقطار بعد ذلك الظلام (ويولج النهار) الذي عم الكون ضياؤه (في الليل) الذي كان قد
 غاب في علمه فاذا الظلام قد طبق الافاق فيزيد الليل والطول الذي كان في النهار قد صار نقصا
 (وهو) أي وحده (عليم) أي بالغ العلم (بذات الصدور) أي بما فيها من الاسرار والمعتقدات
 على كثرة اختلافها وتغيرها وان خفيت على أصحابها ولما قامت الأدلة على تنزيه سبحانه قال
 تعالى أمر بالاذعان له ورسوله صلى الله عليه وسلم (آمنوا) أي أيها الثقلان (بالله) أي
 الملك الاعظم الذي لا مثل له (ورسوله) الذي عظمته من عظمته ونزل في غزوة العسرة وهي
 غزرة تبوك (وأنفقوا) أي في سبيل الله (ما جعلكم مستخلفين فيه) أي من الاموال التي
 في أيديكم فانها أموال الله تعالى لانها بخلقها وانشائها لها وانما مولاكم اياها وخولكم بالاستقناع
 بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها فليست هي بأموالكم في الحقيقة وما أنتم فيها الا بمنزلة
 الوكلاء والنواب فأنفقوا منها في حقوق الله تعالى ولين عليكم الانفاق منها كما يهون على
 الرجل النفقة من مال غيره اذا أذن له فيه أو جعلكم مستخلفين من كان قبلكم فيما في أيديكم
 بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا
 به وأنفقوا بالانفاق منها أنفسكم ولما أمر تعالى بالانفاق ووصفه بما سمع له سبب عنه ما يرغب
 فيه فقال تعالى (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا) من أموالهم في الوجوه التي تذب اليها على
 وجهه الاصلاح على ما دل عليه التعبير بالانفاق (اهم أجر كبير) أي لا تبلغ عقوباتكم حقيقة
 كبره فاغتموا الانفاق في أيام استخلافكم قبل عزلكم واتلافكم وخصهم بالذكر بقوله
 تعالى منكم لضيق في زمانهم وقيل ان ذلك اشارة الى عثمان فانه جهز جيش العسرة وقوله
 تعالى (وما) أي وأي شيء (لكم) من الاعذار وغيرها في أنكم أحوال كونكم (لا تؤمنون
 بالله) أي تجددون الايمان تجديد ادم مستمرا بالملك الاعلى أي الذي له الملك كله والامر كله

خطاب للكفار أى لا مانع لكم بعد سماعكم ماذكر (والرسول) أى والحال ان الذى له الرسالة العامة (يدعوكم) فى الصباح والمساء (لتؤمنوا) أى لاجل أن تؤمنوا (بربكم) الذى أحسن ترتيبكم بأن جعلكم من أمة هذا النبي الكريم فشرّفكم به (وقد) أى والحال انه قد (أخذ ميثاقكم) أى وقع أخذه فصار فى غاية القباحة ترك التوثيق بسبب نصب الأدلة والتمكين من النظر ببدء العقول وذلك كله منضم الى أخذ الذرية من ظهر آدم عليه السلام حين أشهدهم على أنفسهم ألسنت بر بكم قالوا بلى وقرأ أبو عمرو وبضم الهمزة وكسر الخاء ورفع القاف على البناء للمفعول ليكون المعنى من أى أخذ كان من غير نظر الى معين وقرأ الباقيون بفتح الهمزة والخاء ونصب القاف على البناء للفاعل والاخذ هو الله القادر على كل شئ العالم بكل شئ والحاصل انهم تقضوا الميثاق فى الايمان فلم يؤاخذهم حتى أرسل الرسل (ان كنتم مؤمنين) أى مرادين الايمان فبادروا اليه (هو) أى لا غيره (الذى ينزل) أى على سبيل التدرج والموالات بحسب الحاجة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبسكون النون وتخفيف الزاى والباقيون بفتح النون وتشديد الزاى (على عبده) الذى هو أحق الناس بحضرة جلاله واكرامه وهو محمد صلى الله عليه وسلم (آيات) أى علامات هي من ظهورها حقيقة أن يرجع اليها ويتعبد بها (بينات) أى واضححات وهي آيات القرآن الكريم (ليخرجكم) أى الله بالقرآن أو عبده بالدعوة (من الظلمات) التى أنتم منغمسون فيها من الخطيئة والنقائص التى جبل عليها الانسان والغفلة الكاملة على تراكم الجهل فن آتاه الله تعالى العلم والايمان فقد أخرجهم من هذه الظلمات التى طرأت عليه (الى النور) الذى كان له وصف الروح وفطرته الاولى السليمة (وان الله) أى الذى له صفات الكمال (بكم لرؤف رحيم) أى حيث نهكم بالرسول والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وقرأ أبو عمرو وشعبة وحجة والكسائي بقصر الهمزة والباقيون بالمد وورش على أصله بالمد والتوسط والقصر وليس قصيره كقصير أبي عمرو ومن معه وانما قصره كذا قالون ومن وافقه (وما) أى وأى شئ يحصل (لكم) فى (أن لا تنفقوا) أى توجبوا الاتفاق للمال (فى سبيل الله) أى فى كل ما يرضى الملك الاعظم الذى له صفات الكمال ليكون لكم به وصلة فيخصكم بالرافة التى هي أعظم الرحمة فانه ما يبذل أحد عن وجه خير الاسلط الله عليه غرامة فى وجه شر (ولله) أى الذى له صفات الكمال لا سيما صفة الارث المقتضية للزهد فى الموروث (ميراث السموات والارض) أى يرث كل شئ فيه ما فلا يبقى لاحد مال فمن تأمل أنه زائل هو وكل ما فى يده والموت من ورائه وطوارق الجوارث مطبقة به وعمّا قليل ينقل ما فى يده الى غيره هان عليه الجود بنفسه وماله ثم بين تعالى التفاوت بين المنفقين منهم فقال تعالى (لا يستوى منكم من أنفق) أى أوجد الاتفاق فى ماله وجميع قواه وما يقدر عليه (من قبل الفتح) أى الذى هو فتح جميع الدنيا فى الحقيقة وهو فتح مكة الذى كان سبب الظهور الدين الحق (وقاتل) سعيانى اتفاق نفسه لمن آمن به قبل الاسلام وقوة أهله ودخول الناس فى دين الله أفواجا وقله الحاجة الى القتال والنفقة فيه ومن أنفق من بعد

الفتح فغذف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه وفضل الاول لما تاله انذاك بالاتفاق من كثرة المشاق
 لضيق المال حينئذ وفي هذا دليل على فضل أبي بكر فانه أول من أنفق لم يسبقه في ذلك أحد
 وخاصم الكفار حتى ضرب ضرباً شديداً أشرف منه على الهلاك روى محمد بن فضيل عن
 الكلبي ان هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعن ابن عمر قال كنت عند
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر الصديق عليه عباة قد دخلها في صدره بخلال فنزل
 عليه جبريل عليه السلام فقال مالي أرى أبا بكر عليه عباة قد دخلها بخلال فقال أنفق ماله على
 قبل الفتح قال فان الله عز وجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض أنت عني في فترك هذا
 أم ساخط فقال أبو بكر امخط على ربي اني عن ربي راض (أولئك) أي المنفقون المقاتلون
 وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم
 لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدأ أحدهم ولا نصيفه لمبادرتهم الى الجود بالنفس والمال
 (أعظم درجة) وتعظيم الدرجة يكون لعظم صاحبها (من الذين أنفقوا من بعد) أي من بعد
 الفتح (وقاتلوا) أي من بعد الفتح (وكلوا) أي وكل واحد من الفريقين (وعدا الله) أي الذي
 له الجلال والاکرام (الحسن) أي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وقرأ ابن
 عامر برفع اللام على الابتداء أي وكل وعده ليطابق ما عطف عليه والباقون بنصبها أي
 وعد كلا (والله) أي الذي له الاحاطة الكاملة بجميع صفات الكمال (بما تعملون) أي تجتهدون
 عمله على الاوقات (خير) أي عالم بباطنه وظاهره علماً لا مزيد عليه بوجه فهو يجعل جزاء الاعمال
 على قدر النيات التي هي أرواح صورها (تنبيه) * التقدم والتأخر قد يكون في أحكام الدين
 وقد يكون في أحكام الدنيا فاما التقدم في أحكام الدين فقالت عائشة أمرنا رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم وأعظم المنازل مرتبة الصلاة وقد قال صلى الله عليه وسلم
 في مرضه مرواً بأب بكر فليصل بالناس وقال يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله وقال فليؤمكأكبركم
 وأما أحكام الدنيا فهي مرتبة على أحكام الدين فمن تقدم في الدين تقدم في الدنيا وفي الحديث ليس
 منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا وفي الحديث ما أكرم شاب شيخاً لسنه الا قبض الله له عند
 سنه من يكرمه ثم رغب في الاتفاق بقوله تعالى (من) وأكده بالاشارة بقوله تعالى (ذا) لاجل
 ما للنفوس من الشغ (الذي يقرض الله) أي يعطى الذي له جميع صفات الجلال والاکرام شبه
 ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه اذا أعطى المستحق ماله لوجه الله تعالى فكانه أقرضه اياه
 (قرضاً حسناً) أي طيباً خالصاً مخلصاً فيه متحرراً به أفضل الوجوه من غير من وكدر بتسويق
 وغيره (فيضاعفه له) أي يؤتى أجره من عشرة الى أكثر من سبع مائة كما ذكره في البقرة الى ما شاء
 الله تعالى من الاضعاف وقيل القرض الحسن أن يقول سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله
 والله أكبر وقال زيد بن أسلم هو النفقة على الاهل وقال الحسن الططوع بالعبادات وقرأ ابن
 عامر وعاصم بنصب الفاء بعد العين والباقون بالرفع وقرأ ابن كثير وابن عامر بغير ألف
 بعد الصاد وقيدها بالعين والباقون بغير ألف بعد الصاد وتخفيف العين (وله) أي للقرض زيادة

على ذلك (أجر) لا يعلم قدره الا الله تعالى وهو معنى وصفه بقوله تعالى (كريم) أى حسن طيب زالك تام وقوله تعالى (يوم) ظرف لقوله تعالى وله أجر كريم أو منصوب باضمار اذكر أى واذا كرىوم (ترى) أى بالعين (المؤمنين والمؤمنات) أى الذين صاروا الايمان لهم صفة راسخة (يسعى نورهم) أى ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة (بين أيديهم وبأيمانهم) لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الأشقياء يؤتونهم من شمالكهم ووراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعار لهم وآية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحافتهم البيض أفلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون يسعى معهم ذلك النور حبب اليهم ومتقدما والاول نور الايمان والمعرفة والاعمال المقبولة والثاني نور الانفاق لانه بالايمان نبيه عليه الرازي وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة الى عدن ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضيء نوره الا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نور انوره على ابهامه فيطفا مرة ويطفا أخرى ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة (بشراكم اليوم) أى بشارتكم العظيمة في جميع ما يستقبلكم من الزمان * (تنبيه) * بشراكم اليوم مبتدأ واليوم ظرف وقوله تعالى (جنات) خبره على حذف مضاف أى دخول جنات وهو المشرية ثم وصفها بما لا تكمل اللذة الا به بقوله (تجري من تحتها الانهار) ثم آمنهم من خوف الانقطاع بقوله تعالى (خالدين فيها) أى خلودا لا اخر له لان الله تعالى أورثهم ذلك فلا يورث عنه لان الجنة لا موت فيها (ذلك) أى هذا الامر العظيم المتقدم من النور والبشرى بالجنات الخلدة (هو الفوز العظيم) أى الذى ملا بعظمته جميع جهاتهم ولما شرح تعالى حال المؤمنين في موقف القيامة أتبع ذلك بشرح حال المنافقين بقوله (يوم يقول المنافقون والمنافقات) وهم المظهرون الايمان المبطنون الكفر * (تنبيه) * يوم بدل من يوم ترى أو منصوب باذكر (للذين آمنوا) أى ظاهرا وباطنا (انظرونا) أى انتظرونا لانه يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف على ركائب ترف بهم وهو لا مشاة أو انظروا اليه لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين أيديهم فيستضيئون به وقرأ جزءه بقطع الهمزة في الوصل وكسر الظاء والباقون بوصل الهمزة ورفع الظاء وأما الوقف على آمنوا والابتداء بانظرونا فمزة على حاله كما يقرأ في الوصل والباقون بضم همزة الوصل في الابتداء والظاء على حالها من الضم (نقبس) أى نستضيء (من نوركم) أى هذا الذى نراه لكم ولا يلحقنا منه شيء كما كفى الدينارى ايمانكم بما نرى من ظواهركم ولا تتعلق من ذلك بشيء جزاء وفاقا وذلك لان الله تعالى يضيء للمؤمنين نورا على قدر أعمالهم يعيشون به على الصراط ويعطى المنافقين أيضا نورا خديعة لهم وهو قوله تعالى وهو نادعهم فينماهم يعيشون اذ بعث الله رجا وظلمة فاطفات نور المنافقين فذلك قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه الآية مخافة ان يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين والقبس الشعلة من النار أو السراج قال ابن عباس

وأبو امامة يغشى الناس يوم القيامة ظلمة قال الماوردي أظنها بعد فصل القضاء ثم يعطون نورا يعيشون فيه وقال الكلبي بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فإذا سبقتهم المؤمنون وبقوا في الظلمة قالوا للمؤمنين انظرونا نقبض من نوركم قبل انهم جوابا لسؤالهم قال ابن عباس يقول لهم المؤمنون أى قول ردونونيخ وتمكم وتنديم (ارجعوا وراءكم) أى ارجعوا الى الموقف حيث أعطينا النور (فالتسوا ونورا) هنالك فن ثم يقبض أو ارجعوا الى الدنيا فالتسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان أو ارجعوا خائبين وتكسوا عنا والتسوا نورا آخر فلا سييل لكم الى هذا النور وقد علموا أن لا نور وراءهم وانما هو تخيب واقطاط لهم وقال قتادة تقول لهم الملائكة ارجعوا وراءكم من حيث جئتم وقرأ هشام والكسائي بضم القاف والباقون بكسرهما ولما كان التقدير فرجعوا أو فاقاموا في الظلمة سبب عنه وعقب قوله تعالى (فضرب بينهم) أى بين المؤمنين والمنافقين (بسور) أى حائط حائل بين شق الجنة وشق النار (له) أى لذلك السور (باب) موكل به حجاب لا يفتحون الا لمن أذن له الله تعالى من المؤمنين لما يهديهم اليه من نورهم الذى بين أيديهم بشفاعة أو نحوها (باطنه) أى ذلك السور والباب وهو الشق الذى يلى الجنة من جهة الذين آمنوا جزاء لايمانهم الذى هو غيب (فيه الرحمة) وهى ما لهم من الكرامة لانه يلى الجنة التى هى ساترة تبطن من فيها بأشجارها وبأسوارها كما كانت بواطنهم ملائكة رحمة (وظاهره) أى ما ظهر لاهل النار (من قبله) أى من عنده ومن جهته (العذاب) وهو الظلمة والنار لانه يابها لاقتصار اهلها على الظواهر من غير أن يكون لهم نفوذ الى باطن وروى عن عبد الله بن عمر أن السور الذى ذكر الله تعالى فى القرآن هو سور بيت المقدس الشرقى باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وادى جهنم وقال ابن سريج كان كعب يقول فى الباب الذى يسمى باب الرحمة فى بيت المقدس انه الباب الذى قال الله تعالى فضرب بينهم بسور له باب الآية وقيل السور عبارة عن منع المنافقين عن طلب المؤمنين (يتادونهم) أى ينادى المنافقون الذين آمنوا ويرققون لهم (ألم تكن معكم) أى فى الدنيا صلى ووصوم فنستحق المشاركة فيما صرت اليه بسبب ذلك الذى كنا معكم فيه (قالوا) أى الذين آمنوا (بلى) أى كنتم معنا فى الظاهر (ولكنكم فتنتم أنفسكم) أهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها فى المعاصى والشهوات وكلفا فتنه (وتربصتم) أى بالايمان والتوبة وبعحمد صلى الله عليه وسلم وقلتم يوشك أن يموت فتستريح منه (وارتبتم) أى شككتم فى الدين وفى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفيما وعدكم به (وعزتكم الاماني) أى ما تمنون من الارادات التى معها شهوة عظيمة من الاطماع الفارغة التى لا سبب لها غير شهوة النفس اياها بما كنتم تتوقعون لئلا من دوائر السوء (حق جاء أمر الله) أى قضاء الملك المتصف بجميع صفات الكمال فلا كفوله ولا خلاف وقرأ قالون وأبو عمرو بإسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وقرأ ورش وقبيل بتسهيل الثانية وأيضالهما ابداهما والباقون بتحقيقهما وأمال الاق بعد الميم حزة وابن ذكوان والباقون

بالفتح واذا وقف حزة وهشام أبدا الهمزة الثانية مع المتد والتوسط والقصر (وغتركم بالله)
 أي الملك الذي له جميع العظمة (الفرور) أي من لا صنع له الا الكذب وهو الشيطان فاته
 بزين لكم بغروره التسوية ويقول ان الله غفور رحيم وعفو كريم وماذا عسى أن تكون
 ذنوبكم عنده وهو عظيم ومحسن وحليم ونحو ذلك فلا يزال حتى يوقع الانسان فاذا أوقعه
 واصل عليه مثل ذلك حتى يتبادى فاذا تمادى ما را الباءت له حينئذ من قبل نفسه فصار طوع
 يده (فاليوم) أي بسبب أفعالكم تلك (لا يؤخذ منكم فدية) أي نوع من أنواع الفداء وهو
 البذل والعوض للنفس على أي حال كان من قلة أو كثرة لأن الاله غني وقد فات محل العمل الذي
 شرعه لكم لانقياد أنفسكم وقرأ ابن عامر بالتاء القوقية على التأنيث والباقون بالتحية على
 التذكير (ولامن الذين كفروا) أي الذين أظهروا كفرهم ولم يستروهم كما استرعوه أنتم لمساواتكم
 لهم في الكفر وانما عطف الكافر على المنافق وان كان المنافق كافرا في الحقيقة
 لأن للمنافق أبطن الكفر والكافر أظهره فصار غير المنافق فحسن عطفه على المنافق (مأواكم
 النار) أي منزلكم ومسكنكم لا مقر لكم غيرها تحرقكم كما كنتم تحرقون قلوب الاولياء
 باقبالكم على الشهوات واضاعة حقوق ذوى الحاجات وقرأ حزة والكسائي بالامالة تحسنة
 وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وورش لا يبدل هذه الهمزة ثم أكد ذلك بقوله
 تعالى (هي) أي لا غيرها (مولاكم) أي هي أولى بكم وأنشد قول لبيد

فعدت كلا الفرجين تحسبانه * مولى المخافة خلفها وأمامها

والشاهد في مولى المخافة قولى بمعنى أولى والفرجان الجانبان وهو الخفاف والقدام وهو وصف
 بكرة وحشية أي غدت على حالة كلا جانبيها مخوف وحقيقته في الآية محوراكم بجاء مهملة وراء
 أي مكاتكم الذي يقال فيه هو أولى بكم كما قيل هو مثنة للكرم أي مكان كقول القائل انه لكرم
 ويجوز أن يراد هي ناصركم أي لناصر لكم غيرها والمراد نفي الناصر على البنات وقيل تتولاكم
 كما توليت في الدنيا أعمال أهل النار ولما كان التقدير بثس المولى هي عطف عليه قوله تعالى
 (وبثس المصير) أي هذه النار واختلف في سبب نزول قوله تعالى (ألم يأن) أي يحسن ويدرك
 وينتهى الى الغاية (للذين آمنوا) أي أقروا بالايان (أن تخضع) أي تلتين وتسكن وتخضع وتذل
 وتطمئن (قلوبهم لذكر الله) أي الملك الاعظم الذي لا خيرا لامنه فيصدق في ايمانه من كان كاذبا
 ويقوى في الدين من كان ضعيفا فيه عرض عن الفاني ويقبل على الباقي ولا يطلب لداء دينه
 دواء ولا مرض قلبه شفاء في غير القرآن فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الله استبطأ
 قلوب المؤمنين فعاقبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن وعن ابن مسعود رضي الله
 عنه ما كان بين اسلا منا وبين أن غوت بنا بهذه الآية الا أربع سنين وعن الحسن أما والله لقد
 استبطأهم وهم يقرؤون من القرآن أقل ما تقرؤون فأنظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم
 من الفسق وقيل كانوا مجدين بكم فلم يجابوا وأما الرزق والنعمة ففقر واعيا كانوا عليه
 فقرات وعن أبي بكر رضي الله عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعند قوم من أهل البصرة

فبكروا بكما شديد افتظر اليهم وقال هكذا كذا حتى قست القلوب وقال الشاعر
 ألم يأن لي يا قلب أن تنرك الجهلا * وأن يحدث الشيب المنير لنا عقلا
 وقوله تعالى (وما نزل من الحق) أي القرآن عطف على الذكر عطف أحد الوصفين على الآخر
 لأن القرآن جامع للامرين للذكر والموعظة أو أنه حق نازل من السموات ويجوز أن يراد بالذكر
 أن يذكر الله تعالى وقرأ نافع وحفص بضمه في لزي والباقون بانتشديد وقوله تعالى
 (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) أي قبل ما نزل اليكم وهم اليهود والنصارى
 معطوف على تخشع والمراد النهي عن مماثلة أهل الكتاب فيما حكي عنهم بقوله تعالى (فطال
 عليهم الامد) أي الاجل اطول أعمارهم أو آمالهم أو ما بينهم وبين أنبيائهم (فقت) أي بسبب
 الطول (قلوبهم) أي صلبت واعدت بحيث لا تنفع بالطاعات والخير فكانوا كل حين في تعنت
 جديد على أنبيائهم عليهم السلام يسألونهم المقترحات وأما بعد أنبيائهم فابعدوا في القسوة
 فمالوا الى دار الكد وارضوا عن دار الصفاء فأنجزوا الى الهلاك باتباع الشهوات قال
 القشيري وقسوة القلب انما تحصل باتباع الشهوة فان الشهوة والصفوة لا يجتمعان وعن أبي
 موسى الاشعري أنه بعث الى قراء البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرؤوا القرآن فقال أنتم
 خيار أهل البصرة وقراءوهم فقرأوهم ولا تأملوا عليكم الامد فتقروا بقلوبكم كما قست قلوب
 من كان قبلكم (وكبير منهم) أخرجه قساوته عن الدين أصلا ورأساهم (قاسقون) أي
 عريقون في صفة الاقدام على الخروج من دائرة الحق التي حدها لهم الكتاب حتى تركوا
 الايمان بعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام وقوله تعالى (اعلموا أن الله) أي الملك الاعظم
 الذي له الكمال كله فلا يجهز شئ (يحيي) أي على سبيل التجديد والاستمرار كما شاهدونه
 (الارض) أي بالنبات (بعد موتها) أي يسها تمثيل لاجياء الاموات بجميع أجسادهم
 وافاضة الارواح عليها كما فعل بالنبات وكما فعل بالاجسام أول مرة ولاحياء القلوب القاسية
 بالذكر والتلاوة فاحذروا سطوته واخشوا غضبه وارجوا رحمته لاجلاء القلوب فانه قادر على
 احيائها بروح الوحي كما أحيى الارض بروح الماء تصير باحيائها بالذكر خاشعة بعد قسوتها
 كما صارت الارض رايية بعد خشوعها وموتها * ولما انكشف الامر به ذه غاية الانكشاف أنجب
 قوله تعالى (قد بينا) أي على ما لنا من العظمة (لكم الايات) أي العلامات النيرات (لعلكم
 تعقلون) أي لتكونوا عند من يعلم ذلك ويسمع من الخلاق على رجاء من حصول العقل لكم
 بما يتجدد لكم من فهمه على سبيل التواصل الدائم بالاستمرار وقرأ (ان المصدقين) أي
 العريقين في هذا الوصف من الرجال (والمصدقات) أي من النساء بن كثير وشبهة بتخفيف
 الصاد فيهما من التصديق بالايمان والباقون بالتشديد فيهما من التصديق أدغمت التاء في الصاد
 أي الذين تصدقوا وقوله تعالى (وأقرضوا الله) أي الذي له الكمال كله عطف على معنى الفعل
 في المصدقين لأن الامم بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كأنه قيل ان الذين اصدقوا
 وأقرضوا الله (قرضا حسنا) أي بغاية ما يكون من طيب النفس واخلاص النية والمنفعة

في سبيل الخير وحسنه كما قاله الرازي أن يصرف بصره عن النظر إلى فعله والنفقة والامتنان به
 وطلب العوض عليه (يضاعف) أي ذلك القرض (لهم) من عشرة إلى سبع مائة كما مر لأن الذي
 كان له العرض كريم وقرأ ابن كثير وابن عامر بتشديد العين ولا ألف بينهما وبين المضاد والباقون
 بتخفيف العين وبينهما وبين المضاد ألف (ولهم) أي مع المضاعفة (أجر كريم) أي ثواب حسن
 وهو الجنة والنظر إلى وجهه الكريم ثم بين سبحانه وتعالى الحامل على الصدقة ترغيباً فيه وهو
 الإيمان فقال تعالى (والذين آمنوا) أي أوجدوا هذه الحقيقة العظيمة في أنفسهم (بالله) أي
 الملك الأعلى الذي له الجلال والإكرام (ورسله) أي كلهم لأجل ما لهم من النسبة إليه فمن كذب
 واحد منهم لم يكن. ومن بالله تعالى (أولئك) أي هؤلاء العالو الرتبة (هم الصديقون) أي الذين
 هم في غاية الصدق والتصديق لما يحق له أن يصدق من سمعه وقال القشيري الصديق من استوى
 ظاهره وباطنه ويقال هو الذي يحمل الأمر على الاشتق ولا ينزل إلى الرخص ولا ينجح للتأويلات
 وقال مجاهد كل من آمن بالله تعالى ورسله عليهم السلام فهو صديق وتلاه هذه الآية وقال
 الفضال الآية خاصة في غيبة نقر من هذه الأمة سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام
 أبو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحزرة وناسهم عمر بن الخطاب رضي
 الله عنهم الحق الله تعالى بهم لما عرف من صدق نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى آله واختلف في نظم
 قوله تعالى (والشهداء عند ربهم) أي المحسن إليهم بالترية لمثل تلك الرتبة العالية فثم من قال
 هي متصلة بما قبلها والواو للانسق وأراد بالشهداء المؤمنين المخلصين وقال الفضال هم التسعة
 الذين سميناهم رضي الله عنهم وقال مجاهد كل مؤمن صديق وشهيد وتلاه هذه الآية وقال قوم
 تم الكلام عند قوله تعالى هم الصديقون ثم ابتدأ بقوله تعالى والشهداء فهو مبتدأ وخبره (أهم
 أجرهم) أي جعله ربهم لهم (ونورهم) أي الذي زادهم من فضله برحمته قالوا والواو
 للاستئناف وهو قول ابن عباس رضي الله عنهم ما ومسروق وجماعة ثم اختلفوا فيهم فثم من
 قال هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين يشهدون على الأمر يروى ذلك عن ابن عباس رضي
 الله عنهم ما وهو قول مقاتل بن حبان وقال مقاتل بن سليمان هم الذين استشهدوا في سبيل الله
 عز وجل * ولما ذكر تعالى أهل السعادة جعلنا الله تعالى ووالدينا ومحبينا منهم جاء ما لا صنفهم
 اتبعهم أهل الشقاوة لذلك بقوله تعالى (والذين كفروا) أي ستروا ما دلت عليه الأدلة (وكذبوا
 بآياتنا) أي على ما لهم من العظمة بنسبتنا إلينا (أولئك) أي هؤلاء البعداء من كل خير (أصحاب
 الجحيم) أي النار التي هي غاية في توقدها وفي ذلك دليل على أن الخلود في النار مخصوص بالكفار
 من حيث أن التركيب يشعر بالاختصاص والعصية تدل على الملازمة عرفاً وما غيرهم من
 العصاة قد دخلهم فيها ليس على وجه العصية الدالة على الملازمة ولما ذكر تعالى حال الفريقين
 في الآخرة حقر أمر الدنيا بقوله تعالى (اعلموا) أي أيها العباد المبتلون بحب الدنيا (أنما الحياة
 الدنيا) أي الحاضرة التي رغب في الزهد فيها والخروج عنها بالصدقة والقرض الحسن وما مزيدة
 للتأكيّد أي الحياة في هذه الدار (لعب) أي لعب لا غرة له فهو باطل كعب الصبيان (ولهو) أي

شئ يفرح به الانسان فيلهيه أى يشغله عما به منيه ثم ينقضى كاهه والفتيان ثم أتبع ذلك أعظم ما يلهى في الدنيا بقوله تعالى (وزينة) أى شئ يبهج العين ويسر النفس كزينة اللسان واتباعها ثم أتبعه بقوله تعالى (وتفاخرينكم) أى كذا خيرا الاقران يفخر بعضهم على بعض فيجوز ذلك الى الحسد والبغضاء واتباع ذلك بما يحصل به الفخر بقوله تعالى (وتكاثر) أى من الجاهلين كتكاثر الرهبان (في الاموال) أى التى لا يفخر بها الا حق لكونها ماثلة (والاولاد) أى التى لا يفخر بها الا سفیه لانها رائلة وآفات هائلة وانما هى قسنة وابتلاء يظهر بها الشاكر من غيره ثم ذلك كله قد يكون ذهابه عن قريب فيكون على اضداد ما كان عليه فيكون أشد في الحسرة ثم فى آخر ذلك يموت فاذا هو قد اضمحل أمره ونسى عما قبل ذكركه وصار ماله اغيره وذيقته مقتعاهم بسواء فالدين ناقصة وأحقر من مطالبها لانها جيفة وطالب الجيفة ليس له خطر وأخسهم من ينجل بها وقال على له ما رلا تحزن على الدنيا فان الدنيا ستة أشياء ما كول ومشروب وملبوس ومشعوم ومركوب ومنكوح فأحسن طعامها العسل وهو برقة ذبابة وأكثر شرابها الماء ويسى توى فيه جميع الحيوان وأفضل ملبوسها الدياج وهو نسيج دودة وأفضل مشعومها المسك وهو دم فأرة وأفضل المركوب الفرس وعليها تقتل الرجال وأما المنكوح فهو النساء وهو مبال في مبال والله ان المرأة لتزين أحسنها فيراد منها أقصاها اه ويناسب بعض ذلك قول الشاعر

غير لباسها نسجات دود * وخير شرابها قى الذباب

وأشهى ما ينال المرء فيها * مبال في مبال مستطاب

قال القشيري وهذه الدنيا المذمة ومتهى ما يشغل العبد عن الآخرة فكل ما يشغله عن الآخرة فهو الدنيا اه أى وأما الطاعات وما يعين عليها من أمور الآخرة * ثم ضرب الله للدنيا مثلا بقوله تعالى (مثل) أى هذا الذى ذكرته من أمرها يشبه مثل (غيث) أى طر حصل بعد جذب وسوء حال (أعجب الكفار) أى الزراع الذين حصل منهم الحث والبذر الذى يستثمروا الحارث كما يستتر الكافر حقيقة أنوار الايمان بما يحصل منه من الجحد والطغيان (نباته) أى نبات ذلك الغيث بما يجب الكافر فى الغالب بسط الدنيا له استدرجا من الله تعالى (ثم يهيج) أى يبس فيتم جفافه فيصير حصاده (قتره) أى عقب كل ذلك وبالقرب منه (مصفرا) أى على حالة لا تنمو بعدها (ثم) أى بعد تنهاى الجفاف (يكون) أى كونا كأنه مطبوع عليه (حطاما) أى فتاتا يضمحل بالرياح * ولما ذكر تعالى الظل الزائل ذكر اثره الشابت الدائم مقسما له الى قسمين فقال تعالى (وفى الآخرة عذاب شديد) أى على من آثر الدنيا وأخذها بغير حجة لها معرضا عن ذكر الله تعالى وعن الآخرة عذابا أحدا القسمين وأما القسم الآخر فهو ما ذكره بقوله تعالى (ومغفرة) أى ولن أقبل على الآخرة ورفض الدنيا ولم تشغله عن ذكر الله تعالى مغفرة (من الله) أى الملك الاعظم (ورضوان) أى فى جنة عالية تفضلا منه تعالى ورجة * وقوله تعالى جل وعلا (وما الحياة الدنيا) أى لكونها تنشق بل ينتمى مع أنها رائلة (الامتعاق القورور) أى هو فى نفسه غرور ولا حقيقة له

الا ذلك لانه لا يسر بقدر ما يضرتا كيد لما سبق قال سعيد بن جبيرة الدنيا متاع الفرو راذا
 الهتك عن طلب الآخرة فاما اذا دعيت الى طلب رضوان الله وطلب الآخرة فتم المتاع وتم
 الوسيلة نعم أرشدكم الله تعالى الى المسابقة الى الخيرات لان الدنيا خيال ومحال والآخرة بقاء
 وكال بقوله تعالى (سابقوا) أي سارعوا - سارعة المسابقين في المضمار (الى مغفرة) أي ستر
 لذنوبكم ههنا وأثرا (من ربكم) أي المحسن اليكم بأنواع الخيرات التي توجب المغفرة لكم من
 ربكم وقال الكلبي سارعوا بالتوبة لانها تؤدي الى المغفرة وقال مكحول هي التكبيرة الاولى
 مع الامام وقيل الصف الاول (وجنة) أي وبستان هو من عظم أنهاره واطراد انهاره بحيث
 يسترداخله (عرضها كعرض السماء والارض) أي السموات السبع والارضين السبع
 لوجعلت صفائح والزق بعضها ببعض لكان عرض الجنة في قدرها جديما وقال ابن عباس رضي
 الله عنهما ما يريد ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقال مقاتل ان السموات السبع
 والارضين السبع لوجعلت صفائح والزق بعضها الى بعض لكانت عرض جنة واحدة من
 الجنان وسأل عمر ناس من اليهود اذا كانت الجنة عرضها ذلك فابن النادر فقال لهم أرايتم اذا
 جاء الليل أين يكون النهار واذا جاء النهار أين يكون الليل فقالوا انه مثلهم ما في التوراة
 ومعناه انه حيث شاء الله وهذا عرضها ولا شك ان الطول أزيد من العرض فذكر العرض تنبيها
 على ان طوائف اصناف ذلك وقيل ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع في انفسهم وأفكارهم
 واكثر ما يقع في انفسهم مقدار السموات والارض فثبت به عرض الجنة بما تعرفه الناس
 (أعدت) أي هيئت هذه الجنة الموعود به ما وفرغ من أمرها بأيسر أمر (للذين آمنوا) أي
 أوفعوا هذه الحقيقة (بالله) أي الذي له جميع العظمة لاجل ذاته مخلصين له الايمان (ورسله)
 فلم يفرقوا بين أحد منهم وفي هذا أعظم رجاء وأقوى أمل لانه ذكر ان الجنة أعدت لمن آمن بالله
 ورسله ولم يذكر مع الايمان شيئا آخر يدل عليه قوله تعالى في سياق الآية (ذلك) أي الفضل
 العظيم جدا (فضل الله) أي الملك الذي لا كفو له فلا اعتراض عليه (بوتيه من يشاء) فبين أنه
 لا يدخل أحد الجنة الا بفضل الله لا بعمله لما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لن يدخل الجنة أحد منكم عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان يتغمدني
 الله بفضل رحمته ولا ينافي ذلك قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون لان الباء في الحديث
 عوضية وفي الآية سببية (فان قيل) يلزم على هذا ان يقطع بموصول الجنة لجميع العصاة وان
 يقطع بأنه لا عقاب عليهم (أجيب) باننا نقطع بموصول الجنة ولا نقطع بنقي العقاب عنهم لانهم اذا
 عذبوا مئة ثم نقلوا الى الجنة بقوا فيها أبدا لا يادفك كانت معدة لهم (والله) أي والحلال بالملك
 المختص بجميع صفات الكمال فله الامر كله (ذوالفضل العظيم) أي الذي جعل أن تحيط
 بوصفه العقول (ما أصاب من مصيبة في الارض) أي من نهم المطر وقلة النبات ونقص الثروات
 وغلاء الاسعار وتتابع الحوائج وغير ذلك (ولا في انفسكم) أي من الامراض والفقر وذهاب
 الاولاد وضيق العيش وغير ذلك (الافى كتاب) أي مكتوبة في الاصح منبئة في علم الله تعالى

(من قبل ان تبراها) أى تخلق وتوجد وتقدر المصيبة فى الارض والانفس وهذا دليل على ان اكتساب العباد بخلقهم سبحانه وتعالى وقديره (ان ذلك) أى الامر الجليل وهو علمه بالشئ وكتبه على تفاصيله قبل ان يخلقه (على الله) أى لما له من الاحاطة بصفات الكمال (يسر) لان عمله محيط بكل شئ فقد رنه شامله لا يجهز فيه شئ ثم بين ثمره اعلامه بذلك بقوله تعالى (لكيلا) أى أعلمناكم باننا على ما لنا من العظمة قدر غنا من التقدير فلا يتصور فيه تقديم ولا تأخير ولا تبديل ولا تغيير ولا الحزن يدفعه ولا السرور يجلبه ويجمعه كما قال صلى الله عليه وسلم يا معاذ ليقل همك ما قدر يكن لا جـل أن لا (تأسوا) أى تحزنوا حزنا كبيرا زائدا على ما فى اصل الجبله فربما جز ذلك الى السخط وعدم الرضا بالقضاء (على ما فاتكم) أى من المحبوبات الدنيوية (ولا تفرحوا) أى تسروا سرورا يوصلكم الى البطر بالتعاضد على ما فى أصل الجبله وقوله تعالى (بما آتاكم) قرأه أبو عمرو بقصر الهمزة أى جاءكم منه والباقيون بالمد أى اعطاكم قال جعفر الصادق رضى الله عنه مالك تأسف على مفقود ولا يرد عليك القوت ومالك تفرح بموجود ولا يتركه في يدك الموت اه واقعد عزى الله تعالى المؤمنين رجعة بهم فى مصائبهم وزهدهم فى رغائبهم بان اسفهم على فوت المطلوب لا يعيده وفرحهم بمحصل المحبوب لا يفيده وبان ذلك لا مطمع فى بقائه الا بآخاره عند الله تعالى وذلك بأن يقول المصيبة قدر الله تعالى وما شاء ففعل ويصبر وفى النعمة هكذا قضى وما أدرى ما آله هذا من فضل ربه ليلونى أشكرام أكر فلا يزال خاتما عند النعمة قائلا فى الحالين ما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن وأكل من هذا أن يكون مسرورا بذكر ربه فى كلنا الحاليتين وقيمة الرجال انما تعرف بالواردات المغيرة فمن لم يتغير بالمضار ولم يتأثر بالمسار فهو سيد وقته كما أشار اليه القشيري وقال ابن عباس رضى الله عنهما ليس من أحد الا وهو يحزن ويفرح وا كن المؤمن يجعل مصيبتة صبرا وغبته شكرا والحزن والفرح المنهى عنهما هما اللذان تتعدى فيهما الى ما لا يجوز (والله) أى الذى له صفات الكمال (لا يجب) أى لا يفعل فعل الحب بان يكرم (كل محتمل) أى متكبر نظرا الى ما فى يده من الدنيا (نفور) أى به على الناس قال القشيري الاختيال من بقايا النفس ورؤيتها والنفور من رؤية خطر ما به يفقر وقوله تعالى (الدين يضلون) بدل من كل محتمل نفور فان المحتمل بالمال يضل به غالبا (ويأمررون الناس) أى كل من يعرفونه (بالضل) ارادة أن يكونوا لهم رفقاء يضلون بأعمالهم الخبيثة أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله تعالى (ومن يقول) أى يكلف نفسه الاغراض ضد ما فى فطرته من محبة الخير والاقبال على الله تعالى (فان الله) الذى له جميع صفات الكمال (هو) أى وحده (الغنى الحميد) لان معناه ومن يعرض عن الاتفاق فان الله غنى أى عن ماله وعن انفاقه وكل شئ منته قـ ر اليه وهو مستحق للحمد سواء أحده الخامدون أم لا (اقد أرسلنا) أى بما لنا من العظمة (رسلنا) أى الذين لهم نهاية الجلال بما لهم بشان الاتصال من الملائكة الى الانبياء على جميعهم أفضل الصلاة والسلام ومن الانبياء الى الامم (بالبينات) أى الحجج المقويات (فأمرنا) أى بعظمتنا التى لا شئ أعلى منها (مهم الكتاب)

أى الكتب المتضمنة للأحكام وشرايع الدين (والميزان) أى العدل وقيل الآلة روى أن جبريل
 عليه السلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح عليه السلام وقال مر قومك ينزوا به (ليقوم الناس
 بالقسط) أى ليتعاملوا بينهم بالعدل (وانزلنا) أى خلقنا خلقاً عظيماً بالناس القوة (الحديد) أى
 المعروف على وجه من القوة والصلابة واللين فلذلك سمي إيجاده أنزالاً وعن ابن عباس رضى الله
 عنهما قال نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد وروى من آلة الحدادين
 السندان والكبتان والمبقة والمطرقة والابرة وحكاه القشيري قال والمبقة ما يحد به يقال
 وقعت الحديد أقعها أى حددتها وفى الصحاح المبقة الموضع الذى يألفه البازى فيقع عليه
 وخشبة القصار التى يدق عليها والمطرقة والمسن الطويل وروى ومعه المبرد والمسحاة وعن عمر
 أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض أنزل
 الحديد والنار والماء والمخ وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أنزل ثلاثة أشياء
 مع آدم عليه السلام الحجر الأسود وكان أشدياً ضامن الثلج وعصاه موسى عليه السلام وكانت
 من آس طولها عشرة أذرع مع طول موسى وعن الحسن وأنزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى
 وأنزل لكم من الأنعام وذلك إن أوامره تنزل من السماء وقضاياء وأحكامه (فيه بأس) أى
 قوة وشدة (شديد) أى قوة شديدة فنه جنة وهى آلة الدفع ومنه سلاح وهو آلة الضرب (ومنافع
 للناس) بما يعمل منه من مرافقهم لتقوم أحوالهم بذلك قال البيضاوى ما من صنعة إلا والحديد
 آلتها وقال مجاهد يعنى جنة وقيل انتفاع الناس بالماء من الحديد كالسكين والقاس ونحو ذلك
 وروى أن الحديد أنزل فى يوم الثلاثاء فيه بأس شديد أى مهراق الدماء ولذلك نهي عن الفصد
 والحجامة فى يوم الثلاثاء لأنه يوم جرى فيه الدم وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال إن فى يوم الثلاثاء
 ساعة لا يراق فيها الدم وقوله تعالى (وليعلم الله) أى الذى له جميع العظمة علم شهادة لأجل إقامة
 الحجة بما يليق بعقول الخلق فيكون الجزاء على العمل لأعلى العلم عطف على قوله تعالى يقوم
 الناس أى لقد أرسلنا ورسلاً وفعلاً كيت وكيت ليقوم الناس وليعلم الله (من ينصره) أى ينصر
 دينه بآلات الحرب من الحديد وغيره وقوله تعالى (ورسله) عطف على مفعول ينصره أى
 وينصر رسله وقوله تعالى (بالغيب) حال من هاء ينصره أى غائباً عنهم فى الدنيا قال ابن عباس
 رضى الله عنهما ينصرونه ولا ينصرونه (إن الله) أى الذى له العظمة كلها (قوى) أى فهو قادر
 على إهلاك جميع أعدائه وتأييده من ينصره من أوليائه (عزيز) فهو غير مفتقر إلى نصره أجد
 وانما دعا عباده إلى نصره دينه ليقم الحجة عليهم فيرحم من أراد بهاتين الأمور ويعذب من
 يشاء بارتكاب المنهى إبتاء هذه الدار على حكمة ربط المسببات بالأسباب * ولما أجل الرسل
 فى قوله تعالى لقد أرسلنا ورسلاً فصل هنا ما أجل من إرسال الرسل بالكتب فقال تعالى (ولقد
 أرسلنا) أى بالناس العظيمة (نوحاً) وهو الأب الثانى وجعلنا الأغلب على رسالته مظهر
 الجلال (وابراهيم) وهو أبو العرب والروم وبني إسرائيل الذى أكثر الأنبياء من نفسه وجعلنا
 الأغلب على رسالته تجلى الأكرام (وجعلنا) أى بالناس العظيمة (فى ذريتهم ما النبوة)

فلا يوجد في الامن نساهما (والكتاب) أي الكتب الاربعة وهي التوراة والانجيل
 والزبور والفرقان وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكتاب الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة
 والضمير في قوله تعالى (فهم مهتدون) يعود على الذرية لتقدم ذكرها لفظا وقيل يعود على المرسل
 اليهم لدلالة أرسلنا أي هو بعين الرضا منا وهو من لزم طريقة الاصفياء وان كان من أولاد
 الاعداء (وكثير منهم) أي المذكورين (فاسقون) أي هم بعين السخط وان كانوا من أولاد
 الاصفياء والمراد بالفاسق هم الكافران لانه جعل الفاسق ضد المهتدين وقيل هو الذي ارتكب
 الكبيرة سواء كان كافرا أم لم يكن لاطلاق هذا الاسم وهو يشمل الكافرو وغيره (ثم قفينا) أي
 اتبعنا بما لنا من العظمة (على آثارهم) أي الابوين المذكورين ومن مضى قباهما من الرسل
 أو عاصروهم منهم (برسلنا) أي فارسلناهم واحدا في اثر واحد كوسى والياس وداود وغيرهم
 ولا يعود الضمير على الذرية لانه باقية مع الرسل وبعدهم وأيضا الرسل المتقني بهم من الذرية
 (وقفينا) أي اتبعنا بما لنا من العظمة على آثارهم قبل أن تدرس (بهيسى بن مريم) وهو من
 ذرية ابراهيم من جهة أمه وهو آخر من جاء قبل النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام فأمته أولى
 الامم باتباعه صلى الله عليه وسلم (وآتيناه) أي بما لنا من العظمة (الانجيل) كتابا ضابطا لما جاء به
 مقيم للملته مبشر بالنبي العربي موضحا لامره مكثرا من ذكره (وبجعلنا) أي بما لنا من العظمة
 (في قلوب الذين اتبعوه) أي على دينه بغاية جهدهم فكانوا على منهاجه (رأفة) أي أشد رقة
 على من كان ينسب الى الاتصال بهم (ورجة) أي رقة وعطفا على من لم يكن له سبب في الاتصال
 بهم كما كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين رحما بينهم حتى كانوا أذلة على المؤمنين مع ان
 قلوبهم في غاية الصلابة فهم أعزة على الكافرين متواترين بعضهم لبعض وقوله تعالى (ورهبانية)
 منصوب بفعل مقدر يفسره الظاهر وهو قوله تعالى (ابتدعوها) قال أبو علي ابتدعوا رهبانية
 ابتدعوها فتكون المسئلة من باب الاشتغال والى هذا انما الفارسي والزمخشري وأبو البقاء
 وجماعة الا أن هذا يقال انه اعراب المعتزلة وذلك أنهم يقولون ما كان من فعل الانسان فهو
 مخلوق له فالرجة والرأفة لما كاتما من فعل الله تعالى نسب خالقهما اليه والرهبانية لما لم تكن
 من فعل الله تعالى بل من فعل العبد يستقل بفعلها نسب ابتداعها اليه وقيل ان رهبانية
 معطوفة على رأفة ورجة وجعل اما بعد في خالق أو بمعنى صيروا ابتدعوها على هذا صفة الرهبانية
 وانما خصت بذكر الابتداع لان الرأفة والرجة في القلب أمر غريزي لا تكلف للانسان فيه ما
 بخلاف الرهبانية فانها أفعال البدن وللانسان فيها تكسب لكن أبو البقاء منع هذا بأن
 ما جعله الله تعالى ليبتدعونه وجوابه ما تقدم من انه لما كانت مكتسبة صحت ذلك فيها والمراد من
 الرهبانية تركهم في الجبال قارين من الفتنة في الدين متصولين كافرا زائدة على العبادات التي
 كانت واجبة عليهم من الخلق واللباس المشتمل والاعتزال عن النساء والتعبد في الكهوف
 والغيان روى ان ابن عباس رضي الله عنهما قال في أيام الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله
 عليه وسلم غير المولود التوراة والانجيل فساح نفروا بقى نفروا قليل فترهبوا وابتلوا قال الضمالي

ان ملو كابد عيسى عليه السلام ارتكبوا المحارم ثلثمائة سنة فانكروها عليهم من كان بقي على
 منهاج عيسى فقتلوههم فقبال قوم بقي بعدهم نحن اذا نهيناهم قتلونا فليس بسعنا المقام بينهم
 فاعزلوا الناس واتخذوا الصوامع وقال قتادة الرهبانية التي ابتدعوها رفض النساء واتخذوا
 الصوامع وفي خبر مرفوع هي الحوقهم بالبراري والجبال وقوله تعالى (ما كتبناها) صفة
 لرهبانية ويجوز ان يكون استئناف اخبار بذلك قال ابن زيد معناه ما فرضناها (عليهم) م
 ولا امرناهم بها في كتابهم ولا على لسان رسولهم وقوله تعالى (الا ابتغاء رضوان الله) اي
 الملك الاعظم استئناف منقطع أي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل بما هو
 مفعول من أجله والمعنى ما كتبناها عليهم لشي من الاشياء الا لا ابتغاء مرضاة الله ويكون كتب
 بمعنى قضى فصارت بمعنى كتبناها عليهم ابتغاء مرضاة الله (فأرعوها حق رعايتها) أي ما قاموا
 بها حق القيام بل ضموا اليها التثليث وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين ملكهم وبقي على دين
 عيسى كثير منهم وآمنوا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم (فأتينا) اي بما لنا من صفات الكمال
 (الذين آمنوا) أي بالنبي صلى الله عليه وسلم (منهم أجرة) أي اللاتق بهم وهو الرضوان
 المضاعف (وكثير منهم) أي من هؤلاء الذين ابتدعوها فضيعوا (فاسقون) أي عريقون في وصف
 الخروج عن الحدود التي حدتها الله تعالى وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى عليه
 السلام روى البغوي بسنده عن ابن مسعود أنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة فجامعهم ثلاث وهلك سائرهم
 فرقة غزت الملوك وقاتلوههم على دين عيسى وفرقة لم يكن لهم طاعة بمعاداة الملوك ولا أن يقيموا
 بين أظهرهم فدعوههم الى دين الله تعالى ودين عيسى عليه السلام فساحوا في البلاد فترهبوا
 وهم الذين قال الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ثم قال النبي صلى الله عليه
 وسلم من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون
 وعن ابن مسعود أيضا قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال يا ابن أم عبد
 هل تدري من اين اتخذت بنو اسرائيل الرهبانية فقلت الله ورسوله أعلم قال ظهرت عليهم
 الجبابة بعد عيسى يعملون بالمعاصي فغضب أهل الايمان فقاتلوهم فهزموا أهل الايمان ثلاث
 مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا هؤلاء قتلونا ولم يبق للدين أحد يدعو اليه فتعالوا
 تفرق في الارض الى أن يبعث الله تعالى النبي الذي وعدنا عيسى عليه السلام يعنون محمدًا
 صلى الله عليه وسلم فتفرقوا في غير ان الجبال وأحدثوا الرهبانية فنهزم من غلبت يدينه ومنهم من
 كفر ثم تلا هذه الآية ورهبانية ابتدعوها الى قوله تعالى فأتينا الذين آمنوا منهم أجرهم
 يعني من ثبت عليها أجرهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمي
 قلت الله ورسوله أعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة وعن أنس أن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال ان لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله تعالى
 وعن ابن عباس قال كانت ملوك بني اسرائيل بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والانجيل

وكان فيهم من مؤمنون يقرؤن التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله تعالى فقيل لملوكهم -
 لوجهتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم اودخلوا فيما نحن فيه بجمعهم ملكهم وعرض
 عليهم القتل او يتركوا قراءة التوراة والانجيل والاعباد لو امنهما فقالوا نحن نكفيكم انفسنا
 فقالت طائفة ابنا الناس طوانة ثم ارفعونا اليها ثم اعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشربنا فلا نرد
 عليكم وقالت طائفة دعونا نسبح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا
 بأرضنا فاقتلونا وقالت طائفة ابنا النادورا في القيا في تحتقر الابار ونحتقر البقر فلا نرد عليكم
 ولا نراكم ففعلوا بهم ذلك فضى أوائل على منهاج عيسى عليه السلام وخلف قوم من بعدهم عن
 غير الله كتاب فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان فتعبد كما تعبد ونسبح كما سباح فلان
 ونخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك
 قوله عز وجل ورهبانية ابتدعوها ابتدعها هؤلاء الصالحون فارعوها حق رباعيتها يهني
 الاخرين الذين جاؤا من بعدهم فآتينها الذين آمنوا منهم أجروهم بهني الذين اتبعوها ابتغاء
 مرضاة الله وكثير منهم فاسقون هم الذين جاؤا من بعدهم قال فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم
 ولم يبق منهم الا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من ديره
 فآمنوا وصدقوا فقال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أي موسى وعيسى عليهما السلام إيماننا
 صحيحا (اتقوا الله) أي خافوا عقاب الملك الاعظم (وآمنوا برسوله) محمد صلى الله عليه وسلم إيماننا
 مضموما الى إيمانكم عن تقدمه هذا اذا كان خطا بالمؤمنين أهل الكتاب وأما اذا كان خطا بما
 لا يؤمنون من أهل الكتاب وغيرهم فالمعنى آمنوا برسوله إيماننا مضموما الى إيمانكم بالله تعالى فانه
 لا يصح الايمان بالله الامع الايمان برسوله صلى الله عليه وسلم (بؤتكم) أي يثبتكم على اتباعه
 (كفيلين) أي نصيبين خفيين (من رحمة) يحصنانكم من العذاب كما يحصن الكفل الركب
 من الوقوع وهو كسائرهم قد على ظهر البعير فيلقى مقدمه على الكاهل ومؤخره على الجوز وهذا
 التحصين لاجل إيمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وإيمانكم عن تقدمه مع خفة العمل ورفع
 الآصار ولا يبعد ان يتأوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب
 للنصارى الذين كانوا في عصره صلى الله عليه وسلم وقال أبو موسى الأشعري كفيلين ضعفين بإسان
 الحبشة وقال ابن زيد كفيلين أجر الدنيا وأجر الآخرة وعن أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال ثلاث يؤتون أجرهم مرتين رجل كانت له جارية فأذهبها فاحسن تأديها ثم أعتقها
 وترزقها ورجل من أهل الكتاب آمن بكتابه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعبد أحسن عبادة
 الله ونصح سيده (ويجعل لكم) أي مع ذلك (نورا) مجازيا في الدنيا من العلوم والمعارف
 القلبية وحسيا في الآخرة بسبب العمل (تمشون به) أي مجازا في الدنيا بالتوفيق للعمل وحقيقة
 في الآخرة بسبب العمل وقال مجاهد النور هو البيان والهدى وقال ابن عباس هو القرآن
 وقال الرمنشري هو التوراة المذكورة في قوله تعالى نورهم يسرى وقيل يمشون في الناس يدعونهم الى
 الاسلام فيكونون رؤساء في دين الاسلام لا تزول عنكم ويأسئلكم فيه وذلك أنهم خافوا ان تزول

رياستهم لو آمنوا بحمد صلى الله عليه وسلم وانما كان يغفونهم اخذ رشوة يسيرة من الضعفة
 بصرف أحكام الله تعالى لا الرئاسة الحقيقية في الدين (ويغفر لكم) أى ما فرط منكم من
 سهو وعمد وهزل وجدة (والله) أى المحيط بجميع صفات الكمال (غفور) أى يبلغ المحو
 للذنوب عتسا وأثرا (رحيم) أى يبلغ الأكرام لمن يغفر له ويوفقه للعمل بما يرضيه ولما يبلغ من لم
 يؤمن من أهل الكتاب قوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين قالوا للمسلمين أمان من آمن منا
 بكتابكم فله أجره مرتين لا يمانه بكتابكم وبكتابنا ومن لم يؤمن منا فله أجره كاجوركم فافضل لكم علينا
 فانزل الله تعالى (لئلا يعلم) أى ليعلم ولا زائدة للتأكيد (أهل الكتاب) الذين لم يؤمنوا بحمد
 صلى الله عليه وسلم (أن) مخنفة من الثقيلة اسمها ضمير الشأن والمعنى انهم (لا يقدرون على
 شئ) فى زمن من الازمان (من فضل الله) أى الملك الاعلى فلا أجر لهم ولا نصيب فى فضله ان لم
 يؤمنوا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقال قتادة حسد الذين لم يؤمنوا من أهل الكتاب المؤمنين
 منهم فنزلت هذه الآية وقال مجاهد قالت اليهود يوشك ان يخرج منا نبي يقطع الايدي والارجل
 فلما خرج من العرب كفروا به فنزلت الآية وروى أن. ومضى أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من
 المؤمنين بأنهم يؤتون أجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقيل المراد من فضل الله الاسلام
 وقيل الثواب وقال الكلبي من رزق الله وقيل نعم الله تعالى التى لا تحصى (وان) أى وليعلموا أن
 (الفضل) أى الذى لا يحتاج اليه من هو عنده (بيد الله) الذى له الامر كله (يؤتية من يشاء)
 لانه قادر مختار فأتى المؤمنين منهم أجرهم مرتين (والله) أى الذى أحاط بجميع صفات الكمال
 (ذو الفضل العظيم) أى مالكم ملكا لا ينقك ولا ملك لاحد فيه معه ولا تصرف بوجه أصلا
 فلذلك يخص من يشاء بما يشاء روى البخارى عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقول وهو قائم على المنبر انما بقاءكم فمين سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب
 الشمس أعطى أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى اتصف النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا
 ثم أعطى أهل الانجيل الانجيل فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا
 ثم أعطيت القرآن فعملتم به حتى غربت الشمس فأعطيت قيراطين قيراطين قال أهل التوراة
 ربنا هؤلاء أقل عملا وأكثر أجرا قال هل ظلمتكم من أجركم شيئا قالوا الا قال فذلك فضلى أوتيه من
 أشياء وفى رواية فغضبت اليهود والنصارى وقالوا ربنا الحديث وفى رواية انما أجلكم فى أجل
 من كان قبلكم خلا من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود
 والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لى الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود
 الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط
 قيراط فعملت النصارى من نصف النهار الى العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من صلاة
 العصر الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين الا فأنتم الذين تعملون من صلاة العصر الى مغرب
 الشمس ألا لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال الله
 تعالى هل ظلمتكم من حقكم شيئا قالوا لا قال فانه فضلى أوتيه من شئت وعن أبي موسى الاشعري

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له عملاً يوماً إلى الليل على أجر مملوم فعملوا إلى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما حملنا باطل فقال لهم لانفعموا أكلوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملاً فأبوا وتركوا واستأجر آخرين من بعدهم فقال أكلوا بقية يومكم هذا ولكم الذي شرطت لهم من الأجر فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه فقال أكلوا بقية عملكم فأنفق من النهار شئ يسيراً فأبوا فاستأجر آخرين على أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين كلاهما فذلك مثلهم ومثل ما بقوا من هذا النور * ومارواه البيضاوي تبعاً للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله حديث موضوع

﴿سورة المجادلة مدنية﴾

في قول الجميع الرواية عن عطاء الأعراس الأولى منها مدني وباقيها مكي وقال الكلبي نزل جميعها بالمدينة غير قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم نزلت بمكة وهي ثمان وعشرون آية وأربع مائة وثلاث وسبعون كلمة وألف وسبع مائة واثنان وسبعون حرفاً (بسم الله) الذي نمت قدرته وكلت جميع صفاته (الرحمن) الذي شمل الخلائق جوداً بالايحادي وارسل الهداة (الرحيم) الذي خص اصفياءه فمقت عليهم نعمة مرضاته ونزل في خولة بنت ثعلبة وكانت تحت أوس بن الصامت وكان قد ظاهر منها (قد سمع الله) أي أجاب بعظيم فضله الذي أحاط بجميع صفات الكمال فوسع سمعه الاصوات (قول التي تجادلك) أي تراجعك أيها النبي (في زوجها) المظاهر منها روى أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه مر بها في خلافته وهو على جمار والناس معه فاستوقفته طويلاً ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعى عميراً ثم قيل لك عمر ثم قيل لك أمير المؤمنين فأتق الله يا عمر فإنه من أيقن بالموت خاف الموت ومن أيقن بالحساب خاف العذاب وهو واقف يسمع كلامها فقيل لها يا أمير المؤمنين أتقف لهذه المجوزة هذا الموقف فقال والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره لازلت إلا للصلاة المكتوبة أتدرون من هذه المجوزة هي خولة بنت ثعلبة سمع الله تعالى قولها من فوق سبع سموات أسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر وعن عائشة تبارك الذي وسع سمعه كل شيء اني لا سمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى على بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم اني أشكو إليك فابرح حتى نزل بهذه الآية فقدم مع الله قول التي تجادلك في زوجها الآية وروى أنها كانت حسنة الجسم فرآها زوجها ساجدة ففطر عجزتها فأعجبه أمرها فلما انصرفت أرادها فأبى فغضب عليها قال عروة وكان امرأته لم يأصابه بعض لمه فقال لها أنت على كظهر أمي وكان الإيلاء والظهار من الطلاق في الجاهلية فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت

ان أوسا تزوجني وأنا شاب مرغوب في فلما علا سني ونثرت بطني أي كثروا لذي جعلني عليه كاتمة
 فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت والله ما ذكر طلاقا وانه أبو ولدي وأحب
 الناس الي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت أشكوا الى الله فاقني ووجدني
 فقد طالت محبتي ونقضت له بطني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أراكَ الا حرمت عليه
 أو أومر في شأنك بشي فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا قال لها رسول الله صلى
 الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت أشكوا الى الله فاقني وثمة حالي وان لي صبية صغارا
 ان ضممتهم الي جاعوا وان ضممتهم اليه ضاعوا وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم اني
 أشكوا اليك فأنزل علي لسان نبيك وكان هذا أول ظهاري في الاسلام فأنزل الله تعالى قد مع
 الله قول التي تجادل في زوجها الآية فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الي زوجها وقال
 ما حلك علي ما صنعت قال الشيطان فهل من رخصة فقال نعم وقرأ عليه الاربع آيات فقال له
 هل تستطيع العتيق فقال لا والله فقال هل تستطيع الصوم فقال لا والله اني ان أخطأني أن
 أكل في اليوم مرة أو مرتين لكل صبري ولظنفت أني أموت قال فاطم ستين مسكينا قال
 ما أجد إلا أن تعينني منك بعون ومصلحة فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا
 وأخرج أوس من عنده مثله فتصدق به علي ستين مسكينا وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لها
 مريه أي يعتق رقبة فقالت أي رقبة والله لا يجد رقبة وماله خادم غيري فقال مريه ان يصوم
 شهرين فقالت والله ما يقدري على ذلك انه يشرب في اليوم كذا كذا مرة فقال مريه فليطعم ستين
 مسكينا فقالت أني له ذلك (وتشتكي) أي تتعمد بتلك المجادلة الشكوى منتهية (الي الله) أي
 سؤال الملك الاعظم الرحمة الذي أحاط بكل شيء علما (فان قيل) ما معنى قد في قوله تعالى قد سمع
 (أجيب) بأن معناها التوقع لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع
 الله تعالى مجادلتهما وشكواهما وينزل في ذلك ما يفرج عنها الصدقها في شكواها وقطع رجاها
 في كشف ما بها من غير الله أن الله تعالى يكشف كبريتها (والله) أي والحال أن الذي وسعت
 رحمته كل شيء لأن له الامر كله (يسمع قها وركا) أي تراجعكما الكلام وهو علي تغليب الخطاب
 (ان الله) أي الذي أحاط بجميع صفات الكمال (جميع) أي بالغ السمع لكل مسموع (بصير)
 أي بالغ البصر لكل ما يصير فهما صفتان كالعلم والقدرة والحياة والارادة وهما من صفات
 الذات لم يزل الخالق سبحانه متصفاً بهما * ولما أتم تعالى الخبر عن احاطة العلم استأنف الاخبار عن
 حكم الامر المجادل بسببه فقال تعالى (الذين يظهرون) أي يوجدون الظهار في أي زمان كان
 وقوله تعالى (منكم) أي أيها العرب المسلمون توبخ لهم وتهجين لعاداتهم لأن الظهار كان خاصا
 بالعرب دون سائر الامم فنبه تعالى علي أن اللائق بهم أن يكونوا أبعد الناس عن هذا الكلام
 لأن الكذب لم يزل مستهجنًا عندهم في الجاهلية ثم زاده الاسلام استهجانا (من نسا them) أي
 يحرمون نساءهم علي أنفسهم تحريم الله تعالى عليهم ظهور أمتهم والظهار لغة مأخوذة من
 الظهر لأن صورته الأصلية أن يقول لزوجته أنت علي كظهر أمي وخصوصا الظهور دون البطن

والفخذ ونيرهما لانه موضع الركوب والمرأة من كسب الزوج وقيل من العلوق قال تعالى فما
استأعوا أن يظهره أى أن يعالوه وكان طلاقاً في الجاهلية وقيل في أول الاسلام ويقال كان
في الجاهلية اذا كره أحدهم امرأته ولم يرد أن تنزوح بغيره إلى منها أو ظاهراً فبقي لاذات زوج
ولا خلية تنكح غيره فغير الشارع حكمه إلى تحريمها بعد العود ولزوم الكفارة كما سأتى وحقيقته
الشرعية تشبيه الزوجة غير البائن بأشئ لم تكن حلاله وسمى هذا المعنى ظهراً التشبيه الزوجة
بظهر الأم وله أركان أربعة مظاهر ومظاهرها وصيغة ومشببه وشرط في المظاهر كونه زوجاً
يصح طلاقه وشرط في المشببه كونه كل أشئ محرم أو جزءاً أشئ محرم لم تكن حلاله كبنته وأخته
وشرط في الصيغة لفظ يشعر بالظهار صريح كانت أو رأساً لك أو بدنك كظهر أى أو بكسبها أو
بدنها وكناية كانت أى أو كعينها أو غيرها مما يذكر للإكرامة كراسها أو روحها أو يصح تأقيته
وعلقه وأصل يظهر ون يظهر ون أدغمت التاء في الطاء وقرأ الذين يظاهرون والذين يظاهرون
عاصم بضم الياء وتخفيف الطاء وبعدها ألف وتخفيف الهاء **كسورة** وقرأ ابن عامر وحزرة
والكسائي بفتح الياء وتشديد الطاء وتخفيف الهاء مع فتحها وبين الطاء والهاء ألف والباقون
بفتح الياء وتشديد الطاء والهاء ولا ألن بينهما (ماهن) أى نساؤهم (أمهاتهم) أى على الحقيقة
(ان) أى ما (أمهاتهم) أى حقيقة (الالائي ولدنهم) ونساؤهم لم يلدنهم فلا يحرم عليهم
حرمة مؤبدة لا كرام والاحترام ولاهن عن الحق بالامهات بوجه يصح كازواج النبي صلى الله
عليه وسلم فانهن أمهات لمالهن من حق الاحترام والاعظام لأن النبي صلى الله عليه
وسلم أعظم في أبوة الدين من أبي النسب وكذا الممرضعات لمالهن من حق الرضاع الذي هو وظيفة
الأم بالأصالة وأما الزوجة فبإينة لجميع ذلك وقرأ قالون وقنبل بالهمزة المكسورة ولا ياء بعدها
وقرأ أورش والبري وأبو عمرو وبسهيل الهمزة مع الاء والقصر والبري وأبي عمرو أيضاً موضع الهمزة
ياء ساكنة مع المد والباقون بهمزة مكسورة وبعدها ياء وهم على مراتبهم في المد (وانهم) أى
المظاهرون (ليقولون) أى في هذا التظهر على كل حالة (منكران القول) اذا الشرع
أنكره وهو حرام اتفاقاً كما نقل عن الرافعي في باب الشهادات (وزورا) أى قولاً ما تلاعن
السداد منصرفاً عن القصد لأن الزوجة معدة للاستمتاع الذي هو في الغاية من الامتثال والام
في غاية البعد عن ذلك (فان قيل) المظاهر انما قال أنت على كظهر أى فشبّه بامته ولم يقل انها
أمته فإمعن أنه منكر من القول وزور والزور الكذب وهذا ليس بكذب (أجيب) بأن قوله
هذا ان كان خبراً فهو كذب وان كان انشاءً فهو كذلك لانه جعله سبباً للتحريم والشرع لم يجعله
سبباً لذلك وأيضاً فانما وصف بذلك لأن الأم مؤبدة التحريم والزوجة لا يتأبد تحريمها بالظهار فهو
زور محض (فان قيل) قوله تعالى الا اللاتي ولدنهم يقتضى ان لأم الا الوالدة وهذا مشكل بقوله
تعالى وأمهاتكم اللاتي أضعنكم وقوله تعالى وأزواجه أمهاتكم (أجيب) بأن الشارع
ألحقهن بالوالدات لماس (وان الله) أى الملك الأعظم الذي لأمر لا حدم معه في شرع ولا غير
(لعفو) أى من صفاته ان يترك عقاب من شاء (غفور) أى من صفاته ان يجمع بين الذنب وأثره

* ثم بين أحكام الظهار بقوله تعالى (والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) والعود
 في ظهار غير مؤقت من غير رجعية ان يسكها بعد ظهاره مع علمه بوجود الصفة في المطلق زمن
 امكان فرقة ولم يفارق لان العود للقول مخالفة به يقال قال فلان قولاً ثم عاد له وعاد فيه أى خالفه
 ونقضه وهو قريب من قولهم عاد في هبته ومقصود الظهار وصف المرأة بالتحريم وامساكها
 بخالفه فلما اتصل بظهاره جنونه أو انماؤه أو فرقة بعوت أو فسح من أحدهما بمقتضيه كعب
 بأحدهما أو بطلاق بائن أو رجعي ولم يراجع فلا عود والعود في ظهار غير مؤقت من رجعية سواء
 أطلقها عقب الظهار أم قبله لان يراجع ولو ارتد متصلاً بالظهار بعد الدخول ثم أسلم في العدة فلا
 عود بالاسلام بل بعده والفرق أن الرجعة امسالة في ذلك النكاح والاسلام بعد الردة تبديل
 للدين الباطل بالحق والحل تابع له فلا يحصل به امسالة وانما يحصل بعده فالعود في ظهار مؤقت
 يحصل بتغيير حشفة أو قدرها من فاقدها في المدة ويجب في العودية وان حل تزوج لما غيبه كما لو
 قال ان وطأتك فأنت طالق لحمة الوطء قبل التكفير كما سبأني وانقضت المدة واستمرار الوطء
 وطء ولما كان المبتدأ الموصول يتضمن معنى الشرط أدخل الفاء في خبره ليقتد السببية فيتكرر
 الوجوب بتكرير سببه فقال عز من قائل (فتكرير) أى فعليه بسبب هذا الظهار والعود
 تكرير (رقبة) مؤمنة فلا تجزئ كفرة قال تعالى في كفارة القتل فتكرير رقبة مؤمنة والحق بها
 غيرها قياساً عليها بجامع حرمة سببها من القتل والظهار وجلال المطلق على المقيد كما في حل
 المطلق في قوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم على المقيد في قوله تعالى وأشهدوا ذوى
 عدل منكم بلا عوض وبلا عيب يحل بعمل فيجزئ صغير ولو ابن يوم وأقرع وأعرج يمكنه تباع
 مشى بأن يكون عرجه غير شديد وأعو لم يضعف عوره بصر عينه السليمة ضعفاً يحل بالعمل وأصم
 وأخرس يفهم الإشارة وتفهم عنه وأخشم وفاقداً أنفه وأذنيه وأصابع رجله لا فاقد رجل
 أو خصر وبصر من يداً وأغلقين من كل منهما أو فاقد أغلقين من اصبع غيرهما أو فاقد أغلق
 ابهام لا خلال كل من الصفات المذكورة بالعمل ولا يجزئ مريض لا يبرجى برؤه ولم يبرأ كيد شلاء
 وهم بخلاف من يبرجى برؤه ومن لا يبرجى برؤه اذا برئ ولا مجنون افاقته أقل من جنونه تغلبا
 للاكثر ويجزئ معلق عتقه بصفة بأن ينجز عتقه بنية الكفارة أو معلقه كذلك بصفة أخرى وتوجد
 قبل الاولى ويجزئ نصف رقبتين أعتقه ما عن كفارة باقيهما أو في أحدهما كما استظهره بعضهم
 ويجزئ اعتاق رقبتيه عن كفارته لاجل العتق المعلق كفارة عند وجود الصفة ولا مستحق عتق
 كما تم ولد وصحيح كتابة (من قبل أن يناسا) أى يتجدد بينهما من روى أبو داود وغيره أنه صلى الله
 عليه وسلم قال لرجل ظاهر من امرأته وواقعها لا تقرب احق تكفروا كالتكفير مضى مدة الوقت
 لانتهائه بها وحل القاس هنا شبه الظهار بالحيض على التمتع بما بين السرة والركبة ومن حله
 على الوطء الحق به التمتع بغيره فيما بينهما ولو ظاهر من أربع بكامة كانتن كظهر أى فان أمسكهن
 فأربع ككفارات لوجود سببها أو ظاهر منهن بأربع كلمات ولو متواليه فعائدين غير أخيرة
 ولو كرر في امرأة متصلاً تعدد الظهار ان قصد استئنافاً وبصر المظاهر بالاستئناف عائداً

(ذالكم) أى ذلك الحكم بالكفارة (توعظون به) أى ان غلط الكفارة وعظالمكم حتى تركوا
الظهار ولا تعاودوه (وأنه) أى الذى له الاطاعة بالكمال (بما تعملون) أى تجتهدون فعمله
(خير) أى عالم بظاهره وباطنه فهو عالم بما يكفره فافعلوا بما أمر به وقفوا عند حدوده وانما يلزم
الاعتناق عن الكفارة من ملك رقيقاً أو غنمه فاضلاعن كفاية بموته من نفسه وغيره قال الراعى
وسكموا عن تقدير مدة ذلك ويجوز أن تقدر بالعمر الغالب وان تقدر بسنة اه والذى عليه
الجمهور هو الاول ولا يلزمه بيع عقار ورأس تجارة وماشية لا يفضل دخلها عن غلة العقار ويربح
مال التجارة وفوائد الماشية من نتاج وغيره عن قاية بموته ولا يبيع مسكن ورقيق نفيسين
الفهما ولا يلزمه شراء بغين (فن لم يجد) أى الرقبة بأن عجز المكفر عن الاعتناق حساً أو شرعاً
وقت اداء الكفارة (فصيام) أى فعله صيام (شهرين متتابعين) عن كفارته فالرقيق لا يكفر
الا بالصوم لانه معسر لا يملك شيئاً وليس له سيده منعه من الصوم ان ضره وانما اعتبر المجزؤ وقت
الاداء لا وقت الوجوب قياساً على سائر العبادات ولو ابتداء الصوم ثم وجد الرقبة لم يلزمه
الاتقال عنه لانه أمر به حيث دخل فيه وقال أبو حنيفة يعق قياساً على الصغيرة المعتدة
بالشهور اذ ارات الدم قبل انقضاء عتقها فانها تستأنف الحيض اجماعاً ويكفيه نية صوم الكفارة
وان لم ينو الولاء فان انكسر الشهر الاول أتمه من الثالث ثلاثين لتعذر الرجوع فيه الى الهلال
وينقطع التتابع بفوات يوم ولو بعذر كمرض أو سفر فيجب الاستئناف ولو كان الفات يوم
الاخير أو اليوم الذى نسبت النية له بخلاف ما اذا فات بجنون أو انغماس مستغرقاً لما فاة ذلك
الصوم (من قبل أن يتأسا) كما مر في العتق فان جامع ليل اعصى ولم ينقطع التتابع لانه ليس محلاً
للصوم بخلافه نهراً ويقال أبو حنيفة ومالك يطل بكل حال ويجب عليه ابتداء الكفارة لقوله
تعالى من قبل أن يتأسا (فن لم يستطع) بأن عجز عن صوم أو لمرض يدوم شهرين بالظن المستفاد
من العادة في مثله أو من قول الاطباء أو لمشقة شديدة تلحقه بالصوم أو بولائه ولو كانت المشقة
لشدة شهوة الوطء أو خوف زيادة مرض (فاطعام) أى فعله اطعام (سنتين مسكيناً) أى
من قبل أن يتأسا اجلاً للمطلق على التقيد بأن يملك كل مسكين من أهل الزكاة مدام جنس
الغطرة كبر وشعر وراقت وابن فلا يجزئ لحم ودقيق وسويق وخرج بأهل زكاة غيره فلا يجزئ
دفعها للكافر ولا لها شئ ومطلبي ولا مالوا اليهما ولا لمن تلزمه مؤنته ولا الرقيق لانها حق الله تعالى
فاعتبر فيها صفات الكمال (ذلك) أى الترخيص العظيم لكم والرفق بكم والبيان الشافي من
أمر الله الذى هو موافق للحنيفية السمحة مله أياكم ابراهيم عليه السلام (لتؤمنوا) أى
ليتحقق ايمانكم (بأنه) أى الملك الذى لا أمر لاحد معه فتطيعوا بالانسلاخ عن أمر الجاهلية
(ورسوله) أى الذى تعظيمه من تعظيمه * ولما وغب في هذا الحكم رهب في التهاون به بقوله تعالى
(وتلك) أى هذه الاحكام العظيمة المذكورة (حدود الله) أى أوامر الملك الاعظم ونواهي
التي يجب امتثالها والتعبد بها لترعى حق رعايتها فالتمزوها ووقفوا عند حدودها ولا تعتدوها فانه
لا يطاق انتقامه اذا اعتدى نقضه وابعاده (وللكافرين) أى العريقين في الكفر رجاء أو بشرى

من شرائعه (عذاب أليم) أي بما آلموا المؤمنين به من الاعتداء فان عجز عن جميع خصال الكفارة لم تسقط الكفارة عنه بل هي باقية في ذمته إلى أن يقدر على شيء منها فاذا قدر على خصلته من خصاله فاعلمها ولا يتبع بعض المتق ولا الصوم بخلاف الاطعام حتى لو وجد بعض مذكوره لانه لا بد له وبقي الباقي في ذمته قال الزمخشري فان قلت فاذا امتنع المظاهر من الكفارة هل للمرأة ان تدفعه قلت لها ذلك وعلى القاضي أن يجبره على أن يكفر وان يحبس ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لانه يضربها في ترك التكفير والاتقاع بحق الاستمتاع فيلزم أبا حنيفة (فان قلت) فان مس قبل ان يكفر (قلت) عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر لما روى أن سلمة بن صخر البياضي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرت من امرأتي ثم أبصرت خلفها في ليلة فقرأت فواقعته فقال عليه الصلاة والسلام استغفري ربك ولا تعد حتى تكفري اه والمراد بالاستغفار هنا التوبة ولما ذكر تعالى المؤمنين الواقفين عند حدوده ذكر المحادين المخالفين لها بقوله تعالى (ان الذين يحادون الله) أي يغالبون الملك الأعلى على حدوده ليجعلوا حدودا غيرها وذلك صورته صورة العداوة لان المحادة المعادة والمخالفة في الحدود وهو كقوله تعالى ومن يشاق الله (ورسوله) أي الذي عزمه من عزمه وقيل يحادون الله أي أولياء الله كما في الخبر من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة والضمير في قوله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله يحتمل أن يرجع إلى المنافقين فانهم كانوا يوادون الكافرين ويظاهروهم على النبي صلى الله عليه وسلم فأذلهم الله تعالى ويحتمل أن يرجع لجميع الكفار فأعلم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم انهم (كبتوا) أي أذلوا وقال أبو عبيدة والاختصاص أهل كوا وقال قتادة أخذوا وقال أبو زيد عذبوا وقال السدي لعنوا وقال الفراء أغمظوا يوم الخندق وقيل يوم بدر (كما كبت الذين من قبلهم) أي المحادين المخالفين رسولهم كقوم نوح ومن بعدهم من أصر على العصيان قال القشيري ومن ضيع لرسول الله صلى الله عليه وسلم سنة أو أحدث في دينه بدعة انخرط في هذا السلك (وقد أنزلنا) أي بما لنا من العظمة عليكم وعلى من قبلكم (آيات بينات) أي دلالات عظيمة هي في غاية البيان لذلك ولكل ما يتوقف عليه الايمان ~~كترك المحادة~~ وتحصيل الاذعان (وللكافرين) أي الراسخين في الكفر بالآيات أو غيرها من أوامر الله تعالى (عذاب مهين) بما تكبروا واعتدوا على أولياء الله تعالى وشرائعهم يهينهم ذلك العذاب ويذهب عزهم وشماختهم ويتركون به محادتهم وقوله تعالى (يوم) منصوب باذكر كما قاله الزمخشري قال تعظيما لليوم أو يلهم أي بالاسم المقرر الذي تضمنه لوقوعه خيرا أو بفعل مقدرة قدره أبو البقاء يهانون أو يعذبون أو استهزؤ ذلك يوم (يعتصم الله) أي الملك الأعظم (جميعا) أي حال كونهم بمجموعة الكافرين المصرح بهم والمؤمنين المشار إليهم الرجال والنساء أحياء كما كانوا لا يترك منهم أحدا وقيل بمجموعة في حال واحد (فينبئهم) أي يخبرهم اخبارا عظيمة مستقصى (بما عملوا) نخيلا وقبضا وتشهيرا لحالهم (أحصاه الله) أي أحاط به عددا كما ~~وكيف~~ تفاوضها واما ما كانا بحال من صفات الكمال والجلال (ونسوه) لانهم تهاونوا به حيث ارتكبوه ولم يبالوا به لضرورتهم بالمعاصي وانما تحفظ

فوله أو يلهم الخ الصواب أو يقول الكافرين

معظمت الامور أو غروجه عن الحد في الكثرة فكيف كل واحد على انفراده (والله) أي بماله
من القدرة الشاملة والعلم المحيط (على كل شيء) أي على الاطلاق (شاهد) أي حفيظ حاضر
لا يغيب ورقيب لا يغفل ثم انه تعالى أكد بيان كونه عالم بكل المعلومات فقال جل ذكره (ألم تر)
أي تعلم علمها وفي وضوحه كل رؤية بالعين (إن الله) أي الذي له صفات الكمال كلها (يعلم
ما في السموات) كلها (وما في الارض) كذلك كليات ذلك وجزئياته لا يغيب عنه شيء منه بدليل
أن تدبيره محيط بذلك على أتم ما يكون وهو يخبر من شاء من أنبيائه وأصفياه بما يشاء من أخبار
ذلك الخاصة والدانية والماضية والآتية فيكون كما أخبر وقوله تعالى (ما يكون من نجوى)
يكون فيه من كان النائمة ومن نجوى فاعلمها ومن مزيدة فيه أي ما يقع من تناسخ (ثلاثة)
ويجوز أن يقدّر مضاف أي أهل نجوى فيكون ثلاثة صفة لأهل وان يؤول نجوى بتناسخ
جعلوا نجوى مبالغة فيكون ثلاثة صفة للنجوى واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الارض
فان السر يرتفع الى الذهن لا يتيسر لـ كل أحد أن يطلع عليه وقوله تعالى (الاهو
رابعهم) استثناء من أعم الاحوال أي ما يوجد شيء من هذه الاشياء في حال من الاحوال
الاهو ويعلم نجواهم كانه حاضر معهم وشاهدهم كما تكون نجواهم عند الرابع الذي يكون معهم
(والخسة) أي من نجواهم (الاهو سادسهم) أي يعلم نجواهم كما مر (فان قيل) ما الداعي الى
تخصيص الثلاثة والخسة (أجيب) بوجهين أحدهما أن قوم من المنافقين تعلقوا بالتناجي
فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون الى المؤمنين ويتفاضلون بأعينهم مغايطة للمؤمنين على هذين
العددين ثلاثة وخسة فقبل ما يتناجي منهم ثلاثة ولاخسة كما ترونهم يتناجون (ولا أدنى من
ذلك) أي من عددهم (ولا أكثر) أي من ذلك (الاهو معهم) يسمع ما يقولون (أيضا) أي في أي
مكان (كانوا) فانه لا مسافة بينه وبين شيء فقد روى عن ابن عباس أنها نزلت في ربيعة
وخبيب بن عمرو وصفوان بن أمية كانوا يوم يتحدثون فقال أحدهم أترى أن الله يعلم
ما نقول فقال الآخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضه فهو يعلم كله
وصدق لان من علم بعض الاشياء بغير سبب فقد علمها كلها لان كونه عالما بغير سبب ثابت له
مع كل معلوم والوجه الثاني انه قد صدق ان يذكر ما جرت عليه العادة من اعداد أهل النجوى
والتخالفين للشورى والمنسذوبون لذلك ليسوا بكل أحد وانما هم طائفة مجتباة من أولى
التهي والاحلام ورهط من أهل الرأي والتجارب وأول عددهم اثنان فصاعدا الى خمسة
الى ستة الى ما اقتضته الحال ووجهكم به الاستصواب ألا ترى الى عمر بن الخطاب رضي
الله عنه كيف ترك الامر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها الى سابع فذكر عز وجل الثلاثة
والخسة وقال ولا أدنى من ذلك فدل على الاثني والاربعة وقال ولا أكثر فدل على ما يلي هذا
العدد ويقاربه وروى أنه عليه الصلاة والسلام قال في خطبته الكبرى أخرجها الحارث
ابن أبي أسامة رقى المشبر وقال يا أيها الناس ادنوا واسمعوا من خلفكم ثلاث مرات فدنا
الناس وانضم بعضهم الى بعض والتفتوا ولم يروا أحدا فقال رجل منهم بعد الثالثة لمن يسمع

قوله وروى انه الخ
غير مستقيم اه

يا رسول الله الملائكة فقال لا انهم اذا كانوا معكم لم يكونوا بين ايديكم ولا خلفكم ~~وا~~كن
 عن ايمانكم وعن شعثكم وعلى ذلك فليسوا في مكان الايمان هنا والشعائل بل في المكانة
 من ذلك فالله جل جلاله اعلى وأجل وأزهر مكانة وأكرم استواء (ثم يثبتهم) أي يخبر أصحاب
 النجوى اخباراً عظيمة (بما علموا) دقيقة وجليلة (يوم القيامة) الذي هو المراد الاعظم من
 الوجود لاطهار الصفات العلافية أتم اظهرها (ان الله) الذي له الكمال كله (بكل شيء) أي
 بما ذكر وغيره (عليه) أي بالغ العلم فهو على كل شيء شهيد وهذا تحذير من المعاصي وترغيب
 في الطاعات واختلف في سبب نزول قوله تعالى (ألم تر) أي تعلم علماءه كالروية (الى الذين نهوا
 عن النجوى) فقبل في اليهود وقيل في المنافقين وقيل في فريق من الكفار وقيل في فريق
 من المسلمين لما روى أبو سعيد الخدري قال كذا ذات ليلة تحدثت اذ خرج علي بنار رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ما هذه النجوى فقلنا تبنا الى الله تعالى يا رسول الله انا كنا
 في ذكر المسيح يعني الدجال فرقامنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بما هو أخوف
 عندي منه قلنا بلى يا رسول الله قال الشرك الخفي أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل ذكره
 الماوردي وقال ابن عباس نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويظنون
 لهم مؤمنين ويتغامزون بأعينهم يوجهون المؤمنين انهم يتناجون فيما بينهم فيحزنون لذلك
 ويقولون ما نراهم الا وقد بلغهم من اخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو هزيمة
 فقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال ذلك عليهم وأثر شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا الى مناجاتهم فأمرهم أن لا يتناجوا
 ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى (ثم يعودون) أي على سبيل الاستمرار لانه وقع مرة وبادروا
 الى التوبة منها أو فلتة معفو عنها (لما نهوا عنه) أي من غير أن يعتدوا لما يتوقع من جهة
 الناهي من الضر وعنده (ويتناجون) أي يقبل بعضهم على المناجاة اقبالا واحدا فيفعل كل
 منهم منها ما يفعله الاخر مرة بعد أخرى على سبيل الاستمرار وقرأ سورة البقرة بعد البقرة سورة
 وبعد هاتاه فوقية مفتوحة ولا ألف قبل الجيم وضم الجيم والباقون بتاء فوقية مفتوحة
 وبعد هاتون مفتوحة وبعد النون ألف وفتح الجيم (بالأثم) أي بالشئ الذي لا يثبت عليهم به
 الذنب وبالكذب وبما لا يصلح (والعدوان) أي العدوان الذي هو نهاية في قصد الشر بالافراط
 في مجاوزة الحدود (ومعصيت الرسول) أي مخالفة النبي الذي جاء اليهم من الملك الاعلى
 وهو كامل في الرسالة لكونه مرسل الى جميع الخلق وفي كل الازمان فلانبي بعده فهو لذلك
 مستحق غاية الاكرام * (فائدة) * رسمت معصية في الموضعين بالتاء المجرورة واذا وقف عليها
 فأبو عمرو وابن كثير والكسائي بالهاء في الوقف والكسائي بالامالة في الوقف على أصله ووقف
 الباقر بالتاء على الرسم واتفقوا في الوصل على التاء (واذا جاؤك) أي يا أشرف الخلق (حيولك)
 أي واجهوك بما بعدونه تحبة (بما لم يحبك به الله) أي الملك الاعلى الذي لا أمر لاحد معه
 وذلك ان اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون السلام عليك والسلام

الموت وهم يوهمون انهم يقولون السلام عليك وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرد عليهم فيقول
وعليكم فقالت السيدة عائشة السام عليكم ولعنة الله وغضبه عليكم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مهلا يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش فقالت أولم تسمع ما قالوا
يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم
ولا يستجاب لهم في وقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا
عليك ما قلت فانزل الله تعالى واذا جاؤك حيولك بما يحب بك به الله وروى أنس أنه صلى الله
عليه وسلم قال اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم بالواو قال بعض العلماء ان الواو
العاطفة تقتضي التشريك فيلزم منه أن ندخل معهم في ما دعوا به علينا من الموت أو من سائمة
ديننا وهو المال يقال ستم يسأم سائمة وسأما وقال بعضهم الواو زائدة كما زيدت في قول
الشاعر * فلما أجزنا ساحة الحى وانتهى * أى لما أجزنا انتهى فزاد الواو وقال آخرون هي
للاستئناف كانه قيل والسام عليكم وقال آخرون هي على بابهم من العطف ولا يضرتنا ذلك
لأننا نجاب عليهم ولا يجابون علينا كما تقدم في قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة * (تنبيه) * اختلف
العلماء في رد السلام على اهل الذمة فقال ابن عباس والشعبي وقتادة هو واجب لطاهر الامر
بذلك وقال مالك ليس بواجب فان رددت فقل وعليك وعندنا يجب أن يقول له وعليك لما مر
في الحديث وقال بعضهم يقول في الرد علة السلام أى ارتفع عنك وقال بعض المالكية يقال
في الرد السلام عليك بكسر السين يعنى الحجارة * ولما كانوا يخفون ذلك جهدهم ويفظنون باملاء
الله تعالى لهم أنه صلى الله عليه وسلم لا يطلع عليه وان اطلع عليه لم يقدر أن ينتقم منهم عبر عن
ذلك بقوله تعالى (ويقولون في أنفسهم) من غير أن يطلع عليه أحد (لولا) أى هلا ولم لا (يعذبنا
الله) أى الذى له الاحاطة بكل شئ (بما نقول) أى لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول وقيل قالوا
انه يرد علينا ويقول وعليكم السام فلو كان نبيا لاستجيب له فينا ومقتنا وهذا موضع تعجب منهم
فانهم كانوا اهل الكتاب وكانوا يعلمون ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام كانوا يغضبون
فلا يعاجلون من يغضبهم بالعذاب (حسبهم) أى كافيتهم في الانتقام (جهنم) أى الطبقة
التي تلقاهم بالتصهم والعبوسة والقظاظ فان حصل لهم في الدنيا عذاب كان زيادة
على الكفاية فاستعجلاهم بالعذاب محض رعونة (يصلونها) أى يقاسون عذابا دائما فانا قد
أعدنا لها لهم (فبئس المصير) أى مصيرهم (يا أيها الذين آمنوا) أى ادعوا أنهم أوجدوا هذه
الحقيقة (اذنا جيتهم) أى اطلع كل منهم الكلام من نفسه وفرغه وكشفه لصاحبه ستر
(فلا تتناجوا) أى توجدوا هذه الحقيقة (بالأنهم والعدوان ومعصيت الرسول) أى الكامل
في الرسالة كفعل المنافقين واليهود وقال مقاتل أراد تعالى بقوله آمنوا المنافقين آمنوا بلسانهم
وقال عطاء يريد الذين آمنوا بزعمهم وقيل يا أيها الذين آمنوا بموسى (وتناجوا بالبر والتقوى)
أى الطاعة والعفاف عما نهى الله تعالى عنه (واتقوا الله) أى اقصدوا قصدًا يتبعه العمل
بأن تجعلوا بينكم وبين حفظ الملك الاعظم وقاية (الذى اليه) خاصة (تخشرون) أى تجمعون

بأسر آخر وأسـ له بقهر وكره وهو يوم القيامة في قبلي فيه سبحانه للحكم بين الخلق والانصاف
بينهم بالعدل ومحاسبتهم على النقيير والقطمير لا تخفى عليه خافية ولا تقي منه واقية (انما الجوى)
أى اليهودية وهى المنهى عنها (من الشيطان) أى مبتدئة وممتدة من المحترق بطرده عن رحمة
الله تعالى فانه الحامل عليها بتزيينها فاعلمها تابع لاعدى أعدائه مخالف لأعظم أولياته (ليحزن)
أى الشيطان (الذين آمنوا) أى أيوهمهم بأنها السبب شئ وقع مما يؤذيهـم والحزن هم غلبة
وتوجع يدق يقال حزنه وأحزنه بمعنى قال فى القاموس وأحزنه جعله حزينا وقرأ مانع بضم
الياء وكسر الزاى من أحزنه والباقون بفتح الياء وضم الزاى من حزن والقراءة الاولى أشد
فى المعنى على ما فى القاموس (وليس) أى الشيطان أو ما جل عليه من التناجى (بضارهم) أى
الذين آمنوا (شياً) من الضرر وان قل (الاباذن الله) أى بمشيئة الملك الهبط علما وقدره
(فان قيل) كيف لا يضربهم ذلك ولا يحزنهم الاباذن الله (أجيب) بانهم كانوا يوهمون
المؤمنين فى نجواهم وتفاخرهم ان غزاتهم غلبوا وان أقاربهم قتلوا فقال تعالى لا يضربهم
الشـيطان والحزن بذلك الموهـم الاباذن الله تعالى أى بمشيئته وهو أن يقضى الموت على
أقاربهم والغلبة على الغزاة (وعلى الله) أى الملك الذى لا كف له لا على أحد غيره (فليتوكل
المؤمنون) أى الراسخون فى الايمان فى جميع أمورهم فانه القادر وحده على اصلاحها
وافسادها فلا يحزنوا من أحد أن يكيدهم بسره ولا يجهده فانهم توكلوا عليه وفوضوا
أمورهم اليه وخص الراسخين لا مكان ذلك منهم فى العادة وأما أصحاب البدايات فلا يكون ذلك
منهم الاخرق عادة روى ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى
اثنان دون الثالث الاباذنه فان ذلك يحزنه وعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الاخر حتى يحتلطوا بالناس من أجل
أن يحزنه فبين فى هذا الحديث غاية المنع وهو أن يجرد الثالث من يتحدث معه كما فعل ابن عمر
وذلك أنه كان يتحدث مع رجل فجاء آخر يريد أن يناجيه فلم يناجيه حتى دعا رابعاً فقال له ولأقول
تأخر اوناجى الرجل الطالب للمناجاة نرجه فى الموطن وبه على العلة بقوله من أجل أن يحزنه
أى يقع فى نفسه ما يحزن لاجله وعلى هذا يـتـوى فى ذلك كل الاعداد فلا يتناجى أربعة دون
واحد ولا عشرة ولا ألف منـ لـ لوجود ذلك المعنى فى حقه بل وجوده فى العدد الكثير أمكن
وأوقع فيكون بالمنع أولى وانما خص الثلاثة بالذكر لانه أول عدد يتأفى ذلك فيه قال القرطبي
وظاهر الحديث بعم جميع الازمان والاحوال وذهب اليه ابن عمر ومالك والجمهور وسواه أكان
التناجى فى واجب أو مندوب أو مباح فان الحزن ثابت به وقد ذهب بعض الناس الى أن ذلك كان
فى أول الاسلام لان ذلك كان حال المنافقين فيتناجى المنافقون دون المؤمنين فلما فشا الاسلام
نقط ذلك وقال بعضهم ذلك خاص بالسفر وفى المواضع التى لا يأمن الرجل فيها صاحبه
فأما فى الحضر وبين العمارة فلا لانه يجرد من يقينه بخلاف السفر فانه مظنة الاعتقال وعدم
الثوث ولما نهى المؤمنين عما يكون سبباً للتباغض والتخاف أحرهم الآن بما يصير سبباً للزيادة

المحبة والمودة بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أي الذين اتصفوا به - ذا الوصف (إذا قبل
 لكم) أي من أي - قاتل كان فإن الخير يرغب فيه لذاته (تفصوا) أي توسعوا أي كفوا
 أنفسكم في اتساع المواضع (في المجلس) أي الجلوس أو مكانه لأجل من يأتي فلا يجحد مجلسا
 يجلس فيه قال قتادة ومجاهد كانوا يتنافسون في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فأمرهم
 أن يفتح بعضهم لبعض وقال ابن عباس المراد بذلك مجالس القتال إذا اصطفوا للعرب
 قال الحسن وزيد بن أبي حبيب كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتل المشركين تشاح أصحابه
 على الصف الأول فلا يوسع بعضهم لبعض رغبة في القتال والشهادة فنزلت فيكون كقوله تعالى
 مقاعد للقتال وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم في الصفقة وكان في المكان ضيق
 وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار لجاه ناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجلس
 فقاموا قبل النبي صلى الله عليه وسلم على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فعرف رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ما يحملهم على القيام وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله
 من غير أهل بدر قم يا فلان بعدد القائمين من أهل بدر فشق ذلك على من قام وعرف النبي صلى الله
 عليه وسلم الكراهة في وجوههم فقال المنافقون والله ما عدل على هؤلاء أن قومنا أخذوا
 مجالسهم وأحبوا القرب منه فأقامهم وأجلس من أبطاء فنزلت الآية يوم الجمعة وروى
 عن ابن عباس قال نزلت الآية في ثابت بن قيس بن شماس وذلك أنه دخل المسجد وقد أخذ
 القوم مجالسهم وكان يريد القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للوقوف على الصم الذي كان
 في أذنيه فوسعوا له حتى قرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضايقه بعضهم وجرى بينه
 وبينهم كلام فنزلت وقد تقدمت قصته في سورة الحجرات وقرأ عاصم بفتح الجيم وألف بعدها
 جعلا لا لكل جالس مجلسا أي فليفسح كل واحد في مجلسه والباقون يسكون الجيم ولا ألف
 أفرادا قال البغوي لأن المراد منه مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وقال القرطبي الصحيح
 في الآية أنها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير وللأجر سواء أكان مجلس حرب أو ذكر
 أو مجلس يوم الجمعة وإن كل واحد أحق بمكانه الذي سبق إليه قال صلى الله عليه وسلم من سبق
 إلى ما لم يسبق إليه فهو أحق به ولكن يوسع لأخيه ما لم يتأخذ بذلك فيخرجه الضيق من موضعه
 فيكون المراد بالمجلس المجلس ويؤيده قراءة الجمع (اففصوا) أي وسعوا فيه عن سعة صدر
 (يفصح الله) أي الذي له الأمر كله (لكم) في كل ما تنكرون ضيقه من الدارين وقال
 الرازي هذا يطلق فيما يطلب الناس القصص فيه من المكان والرزق والسكر والقبر والجنة
 قال ولا ينبغي للعاقل أن يقيس الآية بالتفصيح في المجلس بل المراد منه إيصال الخير إلى المسلم
 ويدخل السرور في قلبه (وإذا قبل) أي من أي قاتل كان كما مضى إذا كان يريد الإصلاح
 والخير (اتسروا) أي ارتفعوا وانهمضوا إلى الموضع الذي تؤمنون به أو يقتضيه الحال
 للتوسعة أو غيرهما من الأوامر كالصلاة والجهاد (فاتسروا) أي فارتفعوا وانهمضوا (يرفع
 الله) أي الذي لجميع صفات الكمال (الذين آمنوا) وإن كانوا غير علماء (منكم) أي أيها

المأمورون بالتفسيق السامعون للأوامر المبادرون إليها بطاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 وقيامهم في مجلسهم وتوسعهم لآخوانهم (والذين أوتوا العلم درجات) يجوز أن يكون معطوفاً
 على الذين آمنوا فله من عطف الخاص على العام فإن الذين أوتوا العلم بعض المؤمنين ويجوز
 أن يكون والذين أوتوا العلم من عطف الصفات أي تكون الصفات لذات واحدة
 كأنه قيل يرفع الله المؤمنين العلماء ودرجات مفعول ثان وقال ابن عباس تم الكلام عند قوله
 تعالى منكم وينتصب الذين أوتوا بفعل مضمراً أي ويخص الذين أوتوا العلم درجات أو يرفع
 درجات قال المفسرون في هذه الآية أن الله تعالى رفع المؤمن على من ليس بمؤمن والعالم
 على من ليس بعالم قال ابن مسعود مدح الله تعالى العلماء في هذه الآية والمعنى أن الله تعالى
 يرفع الله الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات في دينهم إذا فعلوا بما أمروا به
 وقال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى وقل رب زدني علماً وقال
 تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء والآيات في ذلك كثيرة معلومة وأما الأحاديث فكثيرة
 مشهورة منها من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وروى أن عمر رضي الله عنه كان يقدم عبد الله
 ابن عباس على الصحابة رضي الله تعالى عنهم فكلهم في ذلك فدعاهم ودعاهم فسألهم عن تفسير
 إذا جاء نصر الله والفتح فكتبوا فقال ابن عباس هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله
 أيه فقال عمر ما أعلم منها إلا ما تعلم ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال لا حسد إلا في اثنتين رجل
 آتاه الله مالا فسلط علىهلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها
 والمراد بالحسد الغبطة وهي أن تمنى مثله ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال اعلم أن كرم الله
 وجهه لا يهدي الله بك رجلاً إلا واحد أخير لك من جراتهم ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال
 من جاءه أجله وهو يطلب العلم لصبي به الإسلام لم يقضه النبيون إلا بدرجة واحدة ومنها
 أنه صلى الله عليه وسلم قال بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجة من حضر الجواد المضر
 سبعين سنة ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر
 على سائر الكواكب وفي رواية كفضلي على أدناكم ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال إن
 الله أوحى إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام أني أعلم أحب كل علم ومنها أنه صلى الله عليه وسلم
 قال يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمنزلة هي واسطة بين النبوة
 والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها أنه صلى الله عليه وسلم مرتب مجلسين
 في مسجده أحدهما المجلسين يدعون الله تعالى ويرغبون إليه والآخر يتعاون الفقهاء ويعلمونه
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا المجلسين على خير واحد هما أفضل من صاحبه
 أما هؤلاء فيدعون الله عز وجل ويرغبون إليه وأما هؤلاء فيتعاون الفقهاء ويعلمونه الجاهل
 فهو لاه أفضل وانما بعثت معلماً ثم جلس فيهم والأحاديث في ذلك كثيرة جداً وأما
 أقوال السلف فلا تحصر فنها ما قاله ابن عباس أن سليمان عليه السلام خير بين العلم والمال
 والمال فاختار العلم فأعطى المال والمال معه وما قاله بعض الحكماء ليت شعري أي تنى أدرك

من فاته العلم وأى شئ ثبات من أدرك العلم ومآله الاحنف كاد العلماء يكونون أربابا وكل
 عز لم يؤكدهم قالى ذل ما يصير ومآله الزبير العلم ذكر فلا يحبه الاذ كورة الرجال
 ومآله أبو مسلم الخولاني مثل العلماء فى الارض مثل النجوم فى السماء اذا برزت للناس
 اهتموا بها واذا خفيت عنهم تحيروا ومآله معاذ تعلم العلم فان تعلمه لك حسنة وطلبه عبادة
 ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلم صدقة وبذله لاهله قرينة ومآله على
 العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو
 بالانفاق ومآله ابن عمر مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة ومآله الشافعى من أن طلب
 العلم أفضل من صلاة النافلة وقال ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم وقال من
 أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم فانه يحتاج اليه فى كل منة وما وقد
 ذكرت فى أول شرح المنهاج من الاحاديث ومن أقوال السلف ما يسر الناظر الراغب
 فى الخيرة وفيما ذكره هنا كفاية لاولى الابصار (والله) أى والحال ان المحيط بكل شئ علما
 وقدرة (بما تعملون) أى حال الامر وغيره (خبير) أى عالم بظاهره وباطنه فان كان العلم
 خيرا بنا بالعمل بامثال الاوامر واجتناب النواهي وتصفية الباطن كانت الرفعة على حسبه
 وان كان على غير ذلك فكذلك واختلف فى سبب نزول قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أى
 ادعوا انهم لم أوجدوا هذه الحقيقة أغنياء كانوا أوفقراء (اذ انا جيتهم الرسول) أى
 أردتم مناجاة الذى لا أكمل منه فى الرسالة الآية فقال ابن عباس ان المسلمين كانوا يكثر
 المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية فكف
 كثير من الناس وقال الحسن ان قوما من المسلمين كانوا يستخولون بالنبي صلى الله
 عليه وسلم يناجونه فظن بهم قوم من المسلمين أنهم ينتقصونهم فى التجوى فشق عليهم ذلك
 فأمرهم الله تعالى بالصدقة عند التجوى ليقطعهم عن استخلائه وقال زيد بن أسلم
 ان المنافقين واليهود كانوا يناجون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون انه أذن يسمع كل ما قيل له
 وكان لا يمنع أحدا من مناجاته فكان ذلك يشق على المسلمين لان الشيطان كان يلقى فى أنفسهم
 أنهم يناجون أن جوعا جفعت اتصال فنزلت يا أيها الذين آمنوا اذنا جيتهم الرسول أى أردتم
 مناجاته (فقدموا) أى بسبب هذه الارادة وقوله تعالى (بين يدي تجوكم) استعارة
 عن لهيدان والمعنى قبل تجوكم القى هى سر كم الذى تريدون أن ترفعوه (صدقة) لقول عمر
 من أفضل ما أوتيت العرب الشعر يقدّمه الرجل امام حاجته فيستطربه الكريم ويستنزل به
 اللثيم يريد قبل حاجته والصدقة تكون لكم برهانا على اخلاصكم كما ورد أن الصدقة برهان
 فهى صدقة لكم فى دعوى الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وبكل ما جاء به
 عن الله تعالى (تنبيه) ظاهر الآية يدل على أن تقديم الصدقة كان واجبا لا الامر
 للوجوب ويؤكد ذلك قوله تعالى بعده فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم وقيل كان مندوبا
 لقوله تعالى (ذلك) أى الصدقة (خير لكم وأطهر) أى لانفسكم من الرية وحب المال وهذا

انما يستعمل في التطوع لافي الواجب ولانه لو كان واجبا لما ازيل وجوبه والكلام متصل به
 وهو قوله تعالى فان لم تجدوا الآية واجيب عن الاول بأن المندوب كما يوصف بأنه خير وأظهر
 فكذلك أيضا يوصف بهما الواجب وعن الثاني بأنه لا يلزم من اتصال الآيتين في التلاوة
 كونهما متصلتين في القول كما قيل في الآية الدالة على وجوب الاعتداد بأربعة أشهر وعشرا
 انها ناسخة للاعتداد بحول وان كان الناسخ متقدما في التلاوة وعن علي أنه قال لما نزلت
 دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقول في دينار قلت لا يطبقونه قال كم قلت
 حبة أو شعيرة قال انك لرهيد فلما رأوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا أما الفقير فلعسرتة وأما العفي
 فلتخسرتة واختلف في مقدار تأخر الناسخ عن المنسوخ في هذه الآية فقال الكافي ما بقي ذلك
 التكليف الاساعة من ثم ناسخ ونسخ وقال مقاتل وابن حبان بقي ذلك التكليف عشرة أيام ثم نسخ
 لما روى عن علي أنه قال ان في كتاب الله لاية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي كان لي
 دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وفي رواية عنه فاشترت به عشرة دراهم وكلما
 ناجيت النبي صلى الله عليه وسلم قدمت بين يدي نجواي درهم ما ثم نسخت فلم يعمل بها أحد وعن
 ابن عباس رضي الله عنهما انه سمعهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم
 يد نار و عدم عمل غيره لا يقدح فيه لاحتمال أن يكون لم يجد عند المناجاة شيئا وأن لا يكون احتياج
 الى المناجاة ثم نزلت الرخصة وعن ابن عمر رضي الله عنه كان لعلي ثلاث لو كان لي واحدة منهن
 كانت أحب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاه الراية يوم خيبر وآية النجوى واختلف في
 الناسخ لذلك ف قيل هي منسوخة بالزكاة وأكثر المفسرين انها منسوخة بالآية التي بعدها وهي
 أأشفقتم كما سيأتي وكان علي يقول وخفف عن هذه الامة (فان لم تجدوا) أي ما تقدمونه (فان
 الله) أي الذي له جميع صفات الكمال (غفور رحيم) أي له صفتا الستر للمساوي والاكرام باظهار
 المحاسن على الدوام فهو يعفو ويرحم تارة بقدوم العقاب للعاصي وتارة بالتوسعة للضيق بأن ينسخ
 ما يشق الى ما يخفف وقوله تعالى (أأشفقتم) أي خفتم العيلة لما بعدكم به الشيطان من الفقر خوفا
 كما أن يفطر قلوبكم (أن تقدموا) أي باعطاء الفقراء وهم اخوانكم (بين يدي نجواكم) أي النبي
 صلى الله عليه وسلم (صدقات) وجمع لانه أكثر نويضا من حيث انه يدل على أن النجوى تتكرر
 استغفارهم معناه التقرير وهو الناسخ عند الاكثر كما مر وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام بنسبيل
 الشانية بخلاف عن هشام وأدخل بينهما ألفا قالون وأبو عمرو وهشام والباقون بتحقيقهما ولا
 ادخال والاولى محقة بلا خلاف (فاذ) أي فحين (لم تفعلوا) أي ما أمرتكم به من الصدقة
 للنجوى بسبب هذا الاشفاق (وتاب الله) أي الملك الاعلى (عليكم) أي رجع بكم عنها بأن نسختها
 عنكم تخفيفا عليكم (فأقيموا) أي بسبب العفو عنكم شكر أي على هذا الكرم والحلم (الصلوة)
 التي هي طهارة لارواحكم وصله لكم بربكم (وآتوا الزكاة) التي هي براءة لابنائكم وتطهير وغماء
 لاموالكم وصله لكم باخوانكم ولا تنفروا في شيء من ذلك فتملوه فالصلوة نور يهدي الى المقاصد
 النبوية والاخرى ويعين على نواب الدارين والصدقة برهان على صحة القصد في الصلاة

ثم عم بعد ان خصص أشرف العبادات البدنية واعلى المناسك المالية بقوله تعالى (وأطيعوا الله) أى الذى له الكمال كله (ورسوله) أى الذى عظمته من عظمته فى سائر ما أمر انكم به فانه تعالى ما أمركم لاجل اكرام رسولكم صلى الله عليه وسلم الابالحنيفية السمحة (والله) أى الذى أحاط بكل شئ علما وقدره (خبر بما تعملون) أى يعلم بواطنكم كما يعلم ظواهركم لا تخفى عليه خافية (ألتر) أى تنظريا أشرف الخلق (الى الذين تولوا) أى تكلفوا بغاية جهدهم وهم المنافقون أى جعلوا أولياءهم الذين يتولون لهم أمورهم (قوما) وهم اليهود ابتغوا عندهم العزة اغترارا بما يظهر لهم منهم من القوة (غضب الله) أى الملك الاعلى الذى لا ندله (عليهم) أى المتولى والمتولى لهم (ماهم) أى المنافقون (منكم) أى المؤمنين (ولانهم) أى اليهود بل هم مذبذبون وزاد فى الشناعة عليهم بأقبح الاشياء بقوله تعالى (ويحلفون) أى المنافقون يحددون الحلف على الاستمرار ودل بأداة الاستعلاء على انهم فى غاية الجراءة على استمرارهم على الايمان الكاذبة بأن التقدير مجترئين (على الكذب) فى دعوى الاسلام وغير ذلك مما يقعون فيه من عظام الآثام فاذا هوتوا عليه يادروا الى الايمان (وهم يعلمون) انهم كاذبون متعمدون روى أن عبد الله بن نبتل كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود فيبيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة من حجه اذ قال لأصحابه يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل ابن نبتل وكان أزرق العينين أسمر قصيرا خفيف اللحية فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشقى أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل فقال النبي صلى الله عليه وسلم فعلت فأنطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فمزات (أعد الله) أى الذى له العظمة الباهرة فلا كف له (لهم عذابا) أى أمر اقاطعا لكل عذوبة (شديدا) أى لا طاقة لهم به ثم علل عذابهم بمجادل على انه واقع فى أتم واقعة بقوله تعالى مؤكدا تقييما على من كان يستحسن فعالهم (انهم ساء) أى باغ الغاية بما يسوءه ودل على أن ذلك لهم كالجلبلة بقوله تعالى (ما كانوا يعملون) أى يجتدون عمله مستترين عليه لا يتدكون عنه قال الرمنشبرى أوهى حكاية ما يقال لهم فى الآخرة (اتخذوا أيمانهم) أى الكاذبة التى لا تهون على من فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان (جنة) وقاية وسفرة من كل ما يفضضهم من النفاق كما (أما كلن) (فصدوا) أى كان قبول ذلك منهم وتأخير عقابهم سبيلا ليقاعهم الصد (عن سبيل الله) أى شرع الملك الاعلى الذى هو طريق الى رضوانه الذى هو سبب الفوز العظيم فانهم كانوا يتبطون من لقواعن الدخول فى الاسلام ويوهنون أمره ويحقرونه ومن رآهم قد خلصوا من المكاره بأيمانهم الخائنة ودوت عليهم الارزاق استدراجا وحصلت لهم الرفعة عند الناس بما يرضونه من أقوالهم المؤكدة بالايمان غرزه ذلك فاتبع سفتهم فى أقوالهم وأفعالهم ونسج على منوالهم غرورا بظاهر أمرهم معرضا عما توعدهم الله تعالى عليهم من جزاء خداعهم وأمرهم وأجرى الامر على أسلوب التهمكم باللام التى تكون فى المحبوب فقال تعالى (فلهم) أى فتسبب عن صدقهم انه كان لهم (عذاب مهين) جزاء بما طلبوا بذلك الصد اعزازا أنفسهم واهانة أهل الاسلام (لن)

تغنى) أى بوجه من الوجوه (عنهم أموالهم) أى فى الدنيا ولا فى الآخرة بالاقتران ولا بغيره (ولا أولادهم) أى بالنصرة والمدافعة (من الله) أى اغناهم مبتدأ من الملك الأعلى (شيئاً) ولو قل جداً فهو ما أراد بهم سبحانه كان وفقد ومضى لا يدفعه شئ تمكدياً لمن قال منهم لئن كان يوم القيامة لنكونن أسعد فيه منكم كما نحن الآن وانتجون بأنفسنا وأموالنا وأولادنا (أولئك) أى البعداء من كل خير (أصحاب النارهم) أى خاصة (فيها) أى خاصة (خالدون) أى دائمون لازمون إلى غير نهاية وقوله تعالى (يوم) منصوب بإذكر أى واذكر يوم (يبعثهم الله) أى الذى له جميع صفات الكمال (جميعاً) فلا يترك أحداً منهم ولا من غيرهم إلا أعاده إلى ما كان قبل موته (فيحلفون) أى فيسبب عن ظهور القدرة التامة لهم ومعاينة ما كانوا يكذبون به أنهم يحلفون (له) أى لله فى الآخرة أنهم مسلمون فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك (كما يحلفون لكم) فى الدنيا أنهم مثلكم وقال ابن عباس رضى الله عنهم ما يحلفون لله تعالى يوم القيامة كذا كما حلفوا الأولياء فى الدنيا وهو قولهم والله ربنا ما كنا مشركين (ويحسبون) أى فى القيامة بأيمانهم الكاذبة (أهم على شئ) أى يحصل لهم به نفع بانكارهم وحلفهم وقيل يحسبون فى الدنيا أنهم على شئ لأنهم فى الآخرة يعلمون الحق باضطرار ولا قل أظهر والمعنى أنهم لشدة توغلهم فى النفاق ظنوا يوم القيامة أنهم يمكنهم ترويح كذبهم بالإيمان الكاذبة على علام الغيوب واليه الإشارة بقوله تعالى ولوردوا العاد والمائت وأمنه وعن ابن عباس رضى الله عنه ما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينادى مناد يوم القيامة أين خصماء الله تعالى فتقوم القدرية مسودة وجوههم من رقة أعينهم ما نل شقهم يسيل لعابهم فيقولون والله ما عبدنا من دونك شئاً ولا قرأنا صنماً ولا اتخذنا من دونك الها قال ابن عباس رضى الله عنهم ما صدقوا والله أتاهاهم الشر من حيث لا يعلمون ثم تلاو يحسبون أنهم على شئ وقرأ ابن عاصم وعاصم وحزمة بفتح السين والباقون بكسرها (ألا أنهم هم الكاذبون) المحكوم بكذبهم فى حسابهم هم والله القدرية ثلاثاً (استحوذ) أى استولى (عليهم الشيطان) مع أنه طريقه ومحترق ووصل منهم إلى ما يريد وملكهم ملكاً لم يبق لهم معه اختيار فصاروا رعيته وصار هو محيطاً بهم من كل جهة غالباً عليهم ظاهراً وباطناً من قولهم حذت الأبل وحذفتها إذا استوليت عليها والحوذ أيضاً السوق السريع ومنه الاحوذى الخفيف فى الشئ الخدقه واستحوذ بما جاء على الأصل وهو ثبوت الواو دون قلبها ألفاً (فأنساهم) أى فتسبب عن استحوذه عليهم أن أنساهم (مذكر الله) أى الذى له الأسماء الحسنى والصفات العليا (أولئك) أى البعداء البغضاء (حزب الشيطان) أى أتباعه وجنوده وطائفته وأصحابه (ألا أن حزب الشيطان) أى الطريق المحترق (هم الخاسرون) أى العريقون فى هذا الوصف لأنهم لم يظفروا بغير الطرد والاحتراق (إن الذين يحادون الله) أى يفعلون مع الملك الأعظم الذى لا كفولة فعل من ينزع آخر فى الأرض فيغلب على طائفة فيجعل لها حداً لا يتعداه خصمه (ورسوله) أى الذى عظمت من عظمته (أولئك) أى البعداء البغضاء (فى الآذنين) أى فى جملة من هو أذل خلق الله تعالى واختلف فى معنى قوله عز وجل (كتب الله) أى الملك الذى لا كفولة

قوله هم والله القدرة الخ كذا فى النسخ ولعله مؤخر من تقديم فيكون من كلام ابن عباس محال بعد قوله صدقوا

فقال أكثر المخسرين أى قضى الله عز وجل (لا غلبن) وقال قتادة كتب في اللوح المحفوظ وقال
 الفراء كتب بمعنى قال وقوله تعالى (أنا) تأ كيد (ورسلى) أى من بعث منهم بالحرب ومن بعث
 منهم بالهبة فاذا انضم الى الغلبة بالهبة بالغلبة بالحرب ~~صكان~~ أظلم وأقوى وقال مقاتل قال
 المؤمنون لن يفتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا أن يظهروا الله تعالى على فارس
 والروم فقال عبد الله بن أبي ابن سلول أتظنون الروم وفارس كبعض القرى التى غلبتم عليها والله
 انهم لا كثر عددا وأشد بطشا من أن تظنوا فيهم قتل لا غلبن أنا ورسلى وقطيره قوله تعالى ولقد
 سبقت كلتنا للعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وأن جندنا لهم الغالبون وقرأ نافع وابن عامر
 يفتح الياء والباقون بالسكون (إن الله) أى الذى له الامر كله (قوى) أى على نصر أوليائه
 (عزيز) أى لا يغلب عليه فى مراده ثم نرى تعالى عن موالاة أعداء الله تعالى بقوله سبحانه
 (لا تجد) أى بعده هذا البيان (قوما) أى ناسا لهم قوة على ما يريدون (يؤمنون) أى يجددون
 الايمان ويديمونه (بالله) أى الذى له صفات الكمال (واليوم الآخر) الذى هو موضع الجزاء لكل
 عامل بكل ما عمل الذى هو محط الحكمة (يوادون) أى يحصل منهم ود لا ظاهرا ولا باطنا (من حاد
 الله) أى عادى بالمناسبة فى حدود الملل الأعلى (ورسوله) فان من حاده فقد حاد الذى أرسله بل
 لا تجدهم الا يحادونهم لأنهم يوادونهم وزاد ذلك تأ كيدا بقوله تعالى (ولو كانوا آباءهم) أى
 الذين أوجب الله تعالى على الأبناء طاعتهم فى المعروف وذلك كما فعل أبو عبيدة بن الجراح حيث
 قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد (أو أبناءهم) أى الذين جيلوا على محبتهم ورحمتهم كما فعل
 أبو بكر فانه دعا ابنه يوم بدر الى المبارزة وقال دعنى يا رسول الله أكن فى الرعدة الاولى فقال له
 رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبابكر أما تعلم انك عندى بمنزلة سمعى وبصرى
 (أو اخوانهم) أى الذين هم أعضاء هم كما فعل مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن حمير يوم أحد
 وخزف سعد بن أبي وقاص غير مرة فراغ منه روغان الثعلب فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عنه
 وقال أتريد أن تقتل نفسك وقتل محمد بن سلمة الانصارى أخاه من الرضاع كعب بن الاشرف
 اليهودى رأس بن النضير (أو عشيرتهم) أى الذين هم أنصارهم وأمدادهم كما قتل عمر خاله
 العاصى وهشام بن المغيرة يوم بدر وعلى وحزة وعبيدة بن الحرث قتلوا يوم بدر بنى حمهم عتبة
 وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة وعن الثورى ان السلف كانوا يرون أن الآية تنزل فيمن
 يعصب السلطان ^{هـ} ومدار ذلك على أن الانسان يقطع رجاءه من غير الله تعالى وان لم يكن
 كذلك لم يكن مخلصا فى ايمانه * (تنبيه) * قدم الآباء أولا لانهم نجب طاعتهم على أبنائهم
 ثم ثنى بالابناء لانهم أعلق بالقلوب وهم حياتهم ثم ثلث بالاخوان لانهم هم الناصرون بمنزلة
 العضد من الذراع قال الشاعر

أخاك أخاك ان من لا أخاله * كساع الى الهيجا بغير سلاح

وان ابن عم المرء فاعلم جناحه * وهل ينهض البازي بغير جناح

ثم رجع بالعنصرة لانهم ايسر تغاث وعليها يعتمد والمعنى أن الميل الى هؤلاء أعظم أنواع المحبة ومع

هذا فيجب أن يكون هذا الميل مطروحا بسبب الدين قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه
 الآية في أبي عبيدة بن الجراح لما قتل أباه وعمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قتل خاله العاصي
 ابن هشام يوم بدر روى أنها نزلت في أبي بكر وذلك أن أبا قحافة سب النبي صلى الله عليه وسلم فصكته
 صككة سقطت منها أسنانه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال أوفعلت قال نعم قال
 لا تعد إليه فقال والذي بعثك بالحق نبيا لو كان السيف مني قريبا لقتلته فهو لأم يوادوا أقاربهم
 قال القرطبي استدل مالك بهذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم قال القرطبي وفي
 معنى أهل القدر جميع أهل الظلم وعن عبد العزيز بن أبي دواد أنه لقي المنصور في الطواف فلما
 عرفه هرب منه وتلا الآية وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة فاني وجدت
 فيما أوحيت إلى لا تجدد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية (أو لئلا) أي العالو الهمة
 (كتب) أي أثبت قاله الربيع بن أنس رضي الله عنه وقيل خلق وقيل جعل كقوله تعالى فاكتبنا
 مع الشاهدين أي اجعلنا وقوله تعالى فسأكتبها للذين يتقون وقيل كتب (في قلوبهم الايمان) بما
 وفقهم فيه وشرح له صدرهم أي على قلوبهم كقوله تعالى في جذوع النخل وخص القلوب بالذكر
 لانها موضع الايمان قال البيضاوي وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزاء
 الثابت في القلب يكون ثابتا فيه وأعمال الجوارح لا تثبت فيه (وأيدهم) أي وقواهم وشددهم
 وشرتهم (بروح) أي نور شريف جدا يفهمون به ما أودع في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
 من نور العلم والعمل (منه) أي من الله تعالى أحياهم به فلا انفكاك لذلك عنهم في وقت من
 الاوقات فأثر لهم استقامة المناهج ظاهرا وباطنا فعملوا الأعمال الصالحة فصاروا للدنيا
 كالسراج فلا تجدد شيئا أدخل في الاخلاص من موالاة أولياء الله تعالى ومعاداة أعدائه بل هو
 عين الاخلاص ومن جنح إلى منحرف عن دينه أوداهن مبتدعاني عقيدته نزع الله تعالى نور
 التوحيد من قلبه قال الزمخشري ويجوز أن يكون الضمير للايمان أي بروح من الايمان على أنه
 في نفسه روح لحياة القلوب به وقال ابن عباس رضي الله عنهما نصرهم على عدوهم وسهي تلك
 النصرة روحا لأن بها يحيا أمرهم وقال الربيع بن أنس رضي الله عنه بالقرآن وحججه وقال
 ابن جريج بنو برهان وهدى وقيل برجة وقيل أيدهم بجبريل عليه السلام (ويدخلهم جنات)
 أي بساكن تستردا خلها من كثرة أشجارها وأخبر عن ربه بقوله تعالى (تجري من تحتها) أي
 قصورها (الانهار) فهي بذلك كثيرة الرياض والأشجار وقال تعالى (خالدين فيها) لأن ذلك لا يلد
 الا بالديموم وقال تعالى (رضي الله) أي الملك الأعظم (عنهم) لأن ذلك لا يتم الا برضا مالكلها الذي
 له الملك كله (ورضوا عنه) أي لانه أعطاهم فوق ما يؤملون (أو لئلا) أي الذين هم في الدرجات
 العلى من العظمة لكونهم قصر وادهم على الله تعالى علمانهم بأنه ليس الضر والنفع الا بيده
 (حزب الله) أي جند الملك الذي أحاط بجميع صفات الكمال (ألا ان حزب الله) أي جند الملك
 الاعلى وهم هؤلاء الموصوفون ومن والاهم (هم المقطعون) أي الذين حازوا القطر بكل ما يؤملون
 في الدارين وقد علم من الرضا من الجانبين والحزبية والافلاح عدم الانفكاك عن السعادة فأغنى

ذلك عن تقييد الخلود بالتأييد * (فائدة) * هذه السورة نصف القرآن عددا وليس فيها آية الإوفياء ذكر الجلالة الكريمة مرة أو مرتين أو ثلاثا وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم أن من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله تعالى يوم القيامة حديث موضوع والله تعالى اعلم

﴿سورة المشر مدنية﴾

في قول الجميع وهي أربع وعشرون آية وأربع مائة وخمس وأربعون كلمة وألف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفا (بسم الله) الملك الاعظم الذي لا خلف لمبعاده (الرحمن) الذي عمت نعمته إجماده (الرحيم) الذي خص أهل وقته بالتوفيق فهم أهل السعادة ولما ختمت المجادلة بأنه يعز أهل طاعته ويذل أهل معصيته تنزه عن النقائص تأييدا للوعد بنصرهم فقال تعالى (سبح) أي أوقع التنزيه الاعظم عن كل شائبة نقص (لله) الذي أحاط بجميع صفات الكمال (ما في السموات) أي كلها (وما في الأرض) أي كذلك وقيل إن اللام مزيدة أي نزاهة وأقرب بما تغليب اللام أكثر وجمع السماء لأنها أجناس قيل بعضها من فضة وبعضها من غير ذلك وأفراد الأرض لأنها جنس واحد (وهو) أي والحال أنه وحده (العزیز) الذي يغلب كل شيء ولا يمتنع عليه شيء (الحكيم) الذي نفذ علمه في الظواهر والبواطن وأحاط بكل شيء فأتقن ما أراد فكل ما خلقه جعله على وحدانيته دليلا وإلى بيان ماله من العزة والحكمة سبيلا وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائي يسكون الهاء والباقيون بضمها قال المفسرون نزلت هذه السورة في بني النضير وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يكونوا عليه ولاله فلما غزا بدرًا وظهر على المشركين قالوا هو النبي الذي نعت في التوراة لا ترد له راية فلما غزا أحدًا وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الأشرف في أربعين راكبا من اليهود إلى مكة فأثروا فريشا خلفهم وعاقدهم على أن تكون كلمتهم واحدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل أبو سفيان في أربعين وكعب في أربعين من اليهود المسجد وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين أستاذ الكعبة ثم رجع كعب وأصحابه إلى المدينة فنزل جبريل عليه السلام وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما عاقد عليه كعب وأبو سفيان فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب ابن الأشرف فقتله محمد بن مسلمة فلما قتل كعب بن الأشرف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الناس بالمسير إلى بني النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما ساء اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجددهم بنو حنون على كعب وقالوا يا محمد واعية على أثر واعية وبأكية على أثر بأكية قال نعم قالوا ذرنا بكي شجونا ثم ائتمرا ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أقرب اليانا من ذلك ثم نادوا بالجرب وأذنوا بالقتال ودمس المناقشون عبد الله بن أبي وأصحابه اليهم أن لا يخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فخصم معكم ولا تغزلكم واستنصرنكم وأن

خرجتم لتخرجن معكم فدر بوا على الازقة وحصنوها ثم انهم اجمعوا الغدير رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلوا اليه ان اخرج في ثلاثين رجلا من اصحابك ومخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعون منك فان صدقوك وآمنوا بك آمننا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من اصحابه وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى اذا كانوا في براز من الارض قال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون من رجال اصحابه كلهم يحب الموت قبله ولكن أرسلوا اليه كيف تفهم ونحن ستون رجلا اخرج في ثلاثة من اصحابك ومخرج اليك في ثلاثة من علماءنا فيسمعون منك فان آمنوا بك آمننا كلنا فكتبناك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة من اصحابه واشتعلوا على الخناجر وارادوا القتل برسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير الى اخيه وهو رجل مسلم من الانصار فأخبرته بما اراد بنو النضير من الغدير برسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أخوها سريعا حتى أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فسار به بخبرهم فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتاب فحاصروهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فأبى عليهم الا أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به النبي صلى الله عليه وسلم فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الابل من أموالهم الا الحلقة وهي السلاح وعلى أن يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر أموالهم قال ابن عباس رضي الله عنهم ما على أن يحمل كل أهل بيت على بيع ما شاؤا من متاعهم ولله النبي صلى الله عليه وسلم ما بقي وقال الضحالك على كل ثلاثة نفر بيعا ووسقا من طعام ففعلوا ذلك وخرجوا من المدينة الى الشام الى أذرعات وأريحا الا أهل بيتين من آل بني الحقيق وآل حبي بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحق طائفة بالحيرة فذلك قوله تعالى (هو) أي وحده من غير ايحاف خيل ولا ركاب (الذي أخرج) أي على وجه القهر (الذين كفروا) أي ستروا ما في كتبهم من الشواهد لمحمد صلى الله عليه وسلم بأنه النبي الخاتم وما في فطرتهم الاولى من اتباع الحق (من أهل الكتاب) أي الذي أنزله الله تعالى على رسوله موسى صلى الله عليه وسلم وهم بنو النضير وفي التعبير بكفروا اشعار بأنهم الذين أزالوا بالتبديل والاختفاء ما قدروا عليه مما بقي من التوراة (من ديارهم) أي مساكنهم بالمدينة عقوبة لهم لان الوطن عدل الروح لانه للبدن كالبدن للروح فكان الخروج منه في نهاية العسر قال ابن اسحق كان اجلاء بني النضير مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من أحد وفتح قرية عند مرجعه من الاحزاب وبينهم ما استنات (لاول الحشر) هو حشرهم الى الشام وآخره أن جلاهم عمر في خلافته الى خيبر وقال سمرة الهمداني كان أول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب الى أذرعات وأريحا من الشام في أيام عمر وقال القرطبي الحشر الجمع وهو على أربعة أضرب حشران في الدنيا وحشران في الآخرة أما الذي في الدنيا فقوله تعالى هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لا أول الحشر كانوا من سبط لم يصبهم جلاء وكان الله تعالى قد كتب عليهم الجلاء فلو لا ذلك لعذبهم في الدنيا وكان أول حشر في الدنيا الى

قوله على كل أمة كذا في التسميع ولعله على أن لكل أمة

الشام قال ابن عباس وعكرمة رضى الله عنهم من شك أن الحشر في الشام فليقرأ هذه الآية
 وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم اخرجوا قالوا إلى أين قال إلى أرض الحشر قال قتادة هذا
 أقال الحشر قال ابن عباس رضى الله عنهما هو أقال من حشر من أهل الكتاب وأخرج من داره
 وأما الحشر الثاني فحشرهم قرب القيامة قال قتادة تأتي نار تحشر الناس من المشرق إلى
 المغرب تبث معهم حيث باتوا وتقبل معهم حيث قالوا وتأت كل من تخلف منهم وهذا ثابت في
 الصحيح وذكر أن تلك النار ترى بالليل ولا ترى بالنهار وقال ابن العربي للحشر أقال ووسط وآخر
 فالأول جلاء بني النضير والوسط جلاء خيبر والآخر حشر يوم القيامة وعن الحسن هم بنو
 قريظة وخالفه بقية المفسرين وقالوا بنو قريظة ما حشروا ولا كنهم قتلوا بحكماء التعلي (ما ظننتم)
 أيها المؤمنون (أن يخرجوا) أي يوقعوا الخروج من شيء أو رثته وهم لما كان لكم من الضعف
 ولهم من القوة لكثرة ثقتهم وشدة بأسهم وقرب بني قريظة منهم وأهل خيبر أيضا غير بعيدين عنهم
 وكلهم أهل ملتهم والمذافقون من أنصارهم غابت ظنونهم في جميع ذلك (وظنوا أنهم) وقوله تعالى
 (مانعتهم حصونهم) فيه وجهان أحدهما أن تكون حصونهم مبتدأ ومانعتهم خبرا مقدما والجمله
 خبرانهم الثاني أن تكون مانعتهم خبرانهم وحصونهم فاعل به نحو أن زيد أقام أبوه وإن عمرا قائمه
 جاريته وجعله أبو حيان أولى لأن في نحو قائم زيد على أن يكون خبرا مقدما ومبتدأ مؤخر بخلاف
 والكوفيين ينعونه فعمل الوفاق أولى وقال الزمخشري فإن قلت أي فرق بين قولك وظنوا أن
 حصونهم تمنعهم أو مانعتهم وبين النظم الذي جاء عليه قلت في تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط
 وثوقهم بمحصانتها ومنعها إياهم وفي تصيير ضميرهم اسمالان واسناد الجمله إليه دليل على اعتقادهم
 في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالى معها بأحدية مرض لهم أو يطامع في معازتهم وليس ذلك في
 قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم اه وهذا الذي ذكره انما يتأتى على الأعراب الأول وقد تقدم أنه
 مرجوح ودل على ضعف عقولهم بأن عبر عن جنده باسمه الأعظم بقوله تعالى (من الله) أي الملك
 الأعظم الذي لا عز إلا له (فأتاهم الله) أي جاءهم الملك الأعظم الذي لا يمحتملون مجيئه (من حيث
 لم يحتسبوا) بما صور لهم من حقارة أنفسهم على حبسها وهي خذلان المنافقين وعباكرهم
 وقرأ حمزة والكسائي باللام المحضة وورش بالفتح وبين اللغزين والباقون بفتحها (وقذف) أي
 أنزل أنزالا كأنه قذف بحجارة فثبت (في قلوبهم الرعب) أي الخوف الذي سكنها بعد أن كان
 الشيطان زين لهم غير ذلك وملا قلوبهم من الاطماع الفارغة وقرأ في قلوبهم الرعب وعليهم
 الجلاء ولاخوانهم الذين حمزة والكسائي في الوصل بضم الهاء والميم وأبو عمرو بكسرهما
 والباقون بكسر الهاء وضم الميم وحرك العين بالضم ابن عامر والكسائي والباقون بالسكون
 ثم بين تعالى حالهم عند ذلك وفسر قذف الرعب بقوله تعالى (يخربون بيوتهم) أي أينقلوا
 ما استحسنوه منها من خشب وغيره وقرأ أبو عمرو وفتح الخاء وتشديد الراء والباقون بسكون الخاء
 وتخفيف الراء وهما بمعنى لأن خرب عدا أبو عمرو بالتضعيف وهم بالهمزة وعن أبي عمرو أنه فرق
 بمعنى آخر فقال خرب بالتشديد هدم وأفسد وأخرب بالهمزة ترك الموضع خرابا وذهب عنه وهو

قول القراء قال المبرد ولا أعلم لهذا وجهاً وزعم سيبويه أنهم امتعاقبان في بعض الكلام
 فيصري كل واحد مجرى الآخر فهو فرحته وفرحته وقرأ ورش وابوعمر ووحفص يوتهم بضم
 الباء الموحدة والباقون بكسرها (بأيديهم وأيدي المؤمنين) قال الزهري وذلك أن النبي صلى
 الله عليه وسلم لما صالحهم على أن لهم ما أقلت الأبل كانوا ينظرون إلى الخشبة في منازلهم
 فيهدمونها وينزعون ما استحسّنوه منها فيحملونه على أبلهم ويحترّب المؤمنون باقيها وقال قتادة
 والضحاك كان المؤمنون يحترّبون من خارج ليدخلوا واليهود من داخل لينبؤا ما حترّب
من حصنهم وقال مقاتل أن المنافقين أوصلوا إليهم أن لا يخرجوا وروا عنهم الأربعة
 وكان المسلمون سائر الجوانب (فان قيل) ما معنى تحريضهم بأيدي المؤمنين (أجيب)
 بأنهم لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم أمرهم به وكفّوهم إياه وقال أبو عمرو بن
 العلاء بأيديهم في تركهم لها وبأيدي المؤمنين في إجلائهم عنها ولما كان في غاية الغرابة أن
 يعمل الإنسان في نفسه كما يفعل فيه عدوه تسبب عن ذلك قوله (فاعتبروا) أي اجلوا أنفسكم
 بالامعان في التأمل في عظيم قدرة الله تعالى والاعتبار مأخوذة من العبور والمجاورة من شيء إلى
 شيء ولهذا سميت العبرة عبرة لأنها تنتقل من العين إلى الخلد وتسمى علم التعمير لأن صاحبه ينتقل
 من الخيل إلى العقول وسميت الألفاظ عبارات لأنها تنتقل المعاني عن لسان القائل إلى عقل
 المستمع ويقال السعيد من اعتبر بغيره لأنه ينتقل عقله من حال ذلك الغير إلى حال نفسه ومن لم
 يعتبر بغيره اعتبر به غيره وهذا قال القشيري الاعتبار هو النظر في حقائق الأشياء وجهات
 دلالاتها يعرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسها ثم بين أن الاعتبار لا يحصل إلا للكمال بقوله تعالى
 (يا أيها الذين آمنوا) بالنظر بأبصارهم وبصائرهم في غريب هذا الصنيع لتحقوا به ما وعدكم
 على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من إظهار دينه وإعزاز نبيه ولا تعتدوا على غير الله تعالى
 كما اعتد هؤلاء على المنافقين فأت من اعتد على مخلوق أسلمه ذلك إلى صفائه ومذاته (ولولا أن
 كتب الله) أي فرض فرضاً حتماً الملك الذي له الأمر كله (عليهم الجلاء) أي الخروج من ديارهم
 والجلولان في الأرض فأتمام عظمهم فأجلأهم يختصر من بلاد الشام إلى العراق وأما هؤلاء
 فخماهم الله تعالى بهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك الجلاء وجعله على يده صلى الله
 عليه وسلم فأجلأهم فذهب بعضهم إلى خيبر وبعضهم إلى الشام مرة بعد مرة * (تنبيه) * قال
 الماوردي الجلاء أخص من الخروج لأنه لا يقال إلا للجماعة والخراج يكون للجماعة
 والواحد وقال غيره الفرق بينهما أن الجلاء ما كان مع الأهل والولد بخلاف الخراج فإنه
 لا يستلزم ذلك (لعدّهم) أي بالقتل والسبي (في الدنيا) كما فعل بقرينة من اليهود (ولهم)
 أي على كل حال أجلأوا وتركوها (في الآخرة) التي هي دار البقاء (عذاب النار) وهو
 العذاب الأكبر (ذلك) أي الأمر العظيم الذي فعله بهم من الجلاء ومقدماته في الدنيا ويفعله
 بهم في الآخرة (بأنهم شاقوا الله) أي الملك الأعلى الذي له الأحاطة الساتمة فكانوا في شق غير
 شقه بأن صاروا في شق الأعداء المحاربين بعدما كانوا الموادعين (وشاقوا) (رسوله) أي

الذي اجلاله من اجلاله (ومن يشاق الله) أي يوقع في الباطن مشاقة الملك الاعلى الذي لا كفؤ له في الماضي والحال والمستقبال (فان الله) أي المحيط بجميع العظمة (شديد العقاب) وذلك كما فعل بيني قرينة بعد هذا حيث تقضوا عهدهم وأظهروا المشاقة في غزوة الاحزاب وكما فعل بأهل خيبر وقوله تعالى (ما) شرطية في موضع نصب بقوله تعالى (قطعتم) وقوله تعالى (من لينة) بيان له واختلاف في معنى قوله تعالى من لينة فاكثر المفسرين على انها هي النخلة مطلقا كما أنهم اشتقوها من اللبن قال ذو الرمة

كان قتودي فوقها عش طائر * على لينة سواقها تنفج وجنوبها

وقال الزهري هي النخلة ما لم تكن عجوة ولا برينة وقال جعفر بن محمد هي العجوة خاصة وذكر ان العتيق والعجوة كانتا مع نوح عليه الصلاة والسلام في السفينة والعتيق الفعل وكانت العجوة أصل الاناث كما هو فلذلك شق على اليهود قطعها حكام الماوردي وقال سفيان هي ضرب من النخل يقال لثمرها اللون وهو شديد الصفرة يرى نوا من خارجة ويغيب فيه الضرس النخلة منها أحب اليهم من وصيف وقيل هي النخلة الكريمة أي القرينة من الارض وقيل هي القسيطة أي بالقاء وهي صفار النخل لانها ألين من النخلة وقيل هي الاشجار كلها اللينة بالحياة وقال الاصمعي هي الدقل قال ابن العربي والصحيح ما قاله الازهري ومالك وجع اللينة لين لانه من باب اسم الجنس كتمر وتمر وقد تكسر على لسان وهو شاذ لان تكسير ما يفرق بقاء التأنيث شاذ كرطبة ورطب وأرطاب والضمير في قوله تعالى (أوتركتوها فائنة) عائد على معنى ما ولما كان الترك يصدق ببقائهم مغروسة أو مقطوعة قال تعالى (على أصولها فبإذن الله) أي فقطعها بتمكين الملك الاعظم روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بيني النضير وقصصوا بحصونهم أمر بقطع نخيلهم واحراقها جزع أعداء الله تعالى عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت أنك تريد الإصلاح أفن الإصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت انه أنزل عليك الفساد في الارض فوجد المسامون في أنفسهم من قواهم وخشوا أن يكون ذلك فسادا واختلفوا في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فاته عما أفاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فأمر الله تعالى هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وان ذلك كان بإذن الله وعن ابن عمر قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير وقطع واللام في قوله تعالى (ولينخزى الفاسقين) متعلقة بمحذوف أي وأذن في قطعها لينخزى اليهود في اعتراضهم بأن قطع الشجر المفسد ليس المراد المؤمنين وبمعزهم ولينخزى الفاسقين (فان قيل) لم خصت اللينة بالقطع (أجيب) بأنه ان كانت من الالوان فليست بقوا لانفسهم العجوة والبرينة وان كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود أشد واحتجوا بهذه الآية على ان حصون الكفرة وديارهم يجوز هدمها وتحريرها وتغريقها وان ترى بالمناجيق وكذا اشجارهم وعن ابن مسعود انهم قطعوا منها ما كان موضع القتال وروى ان رجلا كان يقطعها ان أحدهما العجوة والاخر الالون فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا تركته الرسول الله صلى

الله عليه وسلم وقال هذا قطعها غيظا لا كفارا وقد استدل به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه
 بحضور النبي صلى الله عليه وسلم لانهما بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج به من يقول كل مجتهد مصيب
 وقال السكياتي الطبري وان كان الاجتهاد يبعد في مثله مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم
 وسلم بين أظهرهم ولا شك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ذلك وسكت فتلقوا الحكم من
 تقريره فقط قال ابن العربي وهذا باطل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معهم ولا
 اجتهاد مع حضوره صلى الله عليه وسلم وانما يدل على اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم فيما ينزل
 عليه أخذابعموم الادلة لا كفارا ودخولا للاذن في الكل بما يقضى عليهم بالبورار وذلك قوله
 تعالى وليخزي الفاسقين (وما أفاء الله) أي ردا الملك الذي له الامر كله وذا سهلا بعد ان كان
 في غاية العسر والصعوبة (على رسوله) قصيره في يده بعد ان كان خروجه عنها بوضع أيدي
 الكفرة عليه ظلما وعدوانا كما دل عليه التعبير بالنبي الذي هو عود النظم الى الناحية التي كان
 ابتدأ منها (منهم) أي ردا مبتدأ من الفاسقين فيبين تعالى ان هذا في الغنمة ويدخل في النبي
 أموال من مات منهم بلا وارث وكذا الفاضل عن وارث له غير حائز وكذا الجزية وعشر
 تجارتهم وما جلاوا أي تفرقوا عنه ولولو غير خوف كضراً أصابهم وأما الغنمة فهي ما حصل لنا
 من الحربين مما هو لهم بايجاف حتى ما حصل بسرقة أو التقاط وكذا ما انهم زموا عنه عند التقاء
 الصفين ولو قبل شهر السلاح أو اهداه الكافر لنا والحرب قائمة ولم تقط الغنائم لاحد قبل
 الاسلام بل كانت الانبياء اذا غنموا ما لاجعوه فتأتى نار من السماء فتأخذهم ثم احلت لنبينا صلى
 الله عليه وسلم وكانت في صدور الاسلام له خاصة لانه كالمقاتلين كلهم نصرة وشجاعة بل أعظم ثم
 نسخ ذلك واستقر الامر على ما هو في سورة الانفال في قوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء
 الآية وأما التي مفهوم مذكور هنا بقوله تعالى (فأأوجفتم) أي أسرعت يا مسلمين (عليه)
 ومن في قوله تعالى (من خيل) مزيدة أي خيلا وأكدا بعادة النافي دفعا لظن من ظن انه غنمة
 لاحتطمتهم به بقوله تعالى (ولا ركاب) والركاب الابل غلب ذلك عليهم من بين المركوبات واحدها
 راكبة ولا واحد لها من لفظها وقال الرازي العرب لا يطلقون لفظ الركاب الاعلى راكب
 البعير ويسمون راكب الفرس فارسا والمعنى لم تقطعوا اليها شقة ولا لقيتم بها حربا ولا مشقة فانها
 كانت من المدينة على ميلين قاله الفراء غشوا اليها مشيا ولم يركبوا اليها خيلا ولا ابلا الا النبي
 صلى الله عليه وسلم ركب جلا و قيل حمارا مخطوما بليف فافتتحها صلحا قال الرازي ان الصحابة
 طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان يقسم النبي بينهم كما قسم الغنمة بينهم فذكر الله تعالى
 الفرق بين الامرين وأن الغنمة هي التي تعبت أنفسكم في تحصيلها وأما التي فلم يوجف عليه
 بخيل ولا ركاب فكان الامر مفضو ضافيه الى النبي صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء (ولكن
 الله) أي الذي له العز كله فلا كفؤ له (يسلط رسوله) أي له هذه السنة في كل زمن (على من
 يشاء) يجعل ما آتاهم سبحانه من الهبة رعبا في قلوب أعدائه (والله) أي الملك الذي له
 الكمال كله (على كل شيء) يصح أن تتعلق المشيئة به وهو كل ممكن من التسليط وغيره (قدير)

أي بالغ القدرة الى أقصى الغايات فلا حق لكم فيه ويختص به النبي صلى الله عليه وسلم ومن
 ذكر معه في الآية الثانية من الاصناف الاربعة على ما كان عليه القسمة من ان لكل منهم خمس
 الخمس وله صلى الله عليه وسلم الباقي بعد ما يشاء ثم بين تعالى مصرف النبي بقوله تعالى
 (ما أفاء الله) أي الذي اختص بالعزة والقدرة والحكمة (على رسوله من أهل القرى) أي قرية
 بني النضير وغيرها من وادي القرى والصفراء وينبع وما هنالك من قرى العرب التي تسهي قرى
 عربية فيخمس ذلك خمسة أخماس وان لم يكن في الآية تخميس فانه مذكور في آية الغنمية
 لحمل المطلق على المقيد وكان صلى الله عليه وسلم يقسم له أربعة أخماسه وخمس خسه ولكل
 من الاربعة المذكورين معه خمس خمس وقرأ أبو عمرو وحزرة والكسائي بالامالة محضة
 وورش بين اللفظين والباقون بالفتح قوله تعالى (فله) أي الملك الاعلى الذي كله بيده ذلك
 للتبرك فان كل أمر لا يبدأ فيه به فهو أجزم (وللرسول) أي الذي عظمته من عظمته تعالى
 وقد تقدم ما كان له صلى الله عليه وسلم وأما بعد صلى الله عليه وسلم فيصرف ما كان له من خمس
 الخمس لمصالح المسلمين وسد ثغور وقضاة وعلماء يعلمون تتعلق بمصالح المسلمين كتفسير وقراءة والمراد
 بالقضاة غير قضاة العسكر أما قضاة وهم الذين يحكمون لاهل النبي في مفزاهم فيرزقون من
 الاخماس الاربعة لامن خمس الخمس يقدم وجوب الالههم فالاهم وأما الاربعة المذكورة معه
 صلى الله عليه وسلم فاولها المذكور في قوله تعالى (ولذي القربى) أي منه وهم مؤمنو بني هاشم
 وبني المطلب لاقتصاره صلى الله عليه وسلم في القسم عليهم مع سؤال غيرهم من بني عمهم نوفل
 وعبد شمس له ولقوله صلى الله عليه وسلم أما بنو هاشم وبني المطلب فشي واحد وشبك بين أصابعه
 فيعطون ولو أغنياً لانه صلى الله عليه وسلم أعطى العباس وكان غنياً ويفضل الذكر على الانثى
 كالارث فله سهمان ولها سهم لانه عطية من الله تعالى يستحق بقرابة الاب كالارث سواء الكبير
 والصغير والعسيرة بالاتساق الى الآباء فلا يعطى أولاد البنات من بني هاشم والمطلب شيئاً لانه
 صلى الله عليه وسلم لم يعط الزبير وعثمان مع ان أم كل منهم كانت هاشمية وقرأ حزرة والكسائي
 بالامالة محضة وورش بالفتح وبين اللفظين وأبو عمرو وبين وبين والباقون بالفتح وخالفهم أبو عمرو في
 واليتامى ثانياً المذكور في قوله تعالى (واليتامى) أي الفقراء من الان لفظ اليتيم يشعر بالحاجة
 لانه مال أو نحوه أخذ من الكفار فاختص كسهم المصالح واليتيم صغير ولو أتى لخبر لا يتم بعد
 احتلام رواء أبوداد وحسنه النووي وان ضعفه غيره لا أب له وان كان له أم وولد اليتيم
 في البهائم من فقد أمه وفي الطير من فقد أباه وأمه ومن فقد أمه فقط من الآدميين يقال له منقطع
 ثالثاً المذكور في قوله تعالى (والمساكين) الصادقين بالفقراء وهم أهل الحاجة منا وتقدم
 تعريفهما في سورة الانفال وكذا تعريف الرابع المذكور في قوله تعالى (وابن السبل) أي
 الطريق الفقير مناذكورا كانوا أو أئانا ولواجتماع في واحد من هذه الاصناف يتم ومسكنة
 أعطى باليتيم فقط لانه وصف لازم والمسكنة زائلة والامام التسوية والتفضيل بحسب الحاجة
 ويعم الامام ولو غائبه الاصناف الاربعة الاخيرة بالاعطاء وجوباً بالعموم الآية فلا يخص

الحاضر بوضع حصول النبي . ولا من في كل ناجية منهم بالحاصل فيها ثم لو كان الحاصل لا يسق
 مستد بالعدم . ثم قدم الاحوج فالاحوج ولا يعتم للضرورة ومن فقد من الاربعة صرف نصيبه
 للباقيين . ثم وأما الاخماس الاربعة فهي للمرتزقة وهم المرصدون للجهاد . معين الامام لهم بعمل
 الاولين به بخلاف المتطوعة فلا يعطون من النبي بل من الزكاة عكس المرتزقة ويشرك المرتزقة
 قضائهم كما مر وأتمهم ومؤذونهم وعمالهم ويجب على الامام أن يعطي كل من المرتزقة بقدر حاجة
 عمونه من نفسه وغيرها كزوجاته ليتفرغ للجهاد ويراعى في الحاجة الزمان والمكان والرخص
 والغلاء وعادة الشخص مر وأة وضدها ويزاد ان زادت حاجته بزيادة ولداً وحديث زوجة
 فأمر ومن لا عيب له يعطى من العبيد ما يحتاجه للقتال معه أو لخدمته ان كان ممن يخدم
 ويعطى مؤنته ومن يقاتل فارساً ولا فرس له يعطى من الخيل ما يحتاجه للقتال ويعطى مؤنته
 بخلاف الزوجات يعطى لهن مطلقاً لا ينحصرن في أربع ثم ما يدفعه اليه لزوجته وولده الملك
 فيه اهما حاصل من النبي . وقيل يملكه هو ويصير اليهما من جهته فان مات أعطى الامام أصوله
 وزوجاته وبناته الى أن يستغنوا ويسن أن يضع الامام ديواناً وهو الدفتر الذي يثبت فيه أسماء
 المرتزقة وأول من وضعه عمر رضي الله عنه وأن ينصب لكل جمع عريفاً وان يقدم في اسم
 واعطاء عريشا لشرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ولغير قدموا عريشا وأن يقدم منهم بنى هاشم
 وبنى المطلب فبنى عبد شمس فبنى عبد العزى فسائر بطون العرب الاقرب فالاقرب الى النبي
 صلى الله عليه وسلم فسائر العرب فالهجم ولا يثبت في الديوان من لا يصلح ومن مر من فكصحح
 وان لم يرج برؤه ويعي اسم كل من لم يرج وما فضل عنهم وزرع عليهم بقدر مؤنتهم وللامام صرف
 بعضه في ثغور وسلاح وخيل ونحوها وله وقف عقار في أو بيعة وقسم غلته أو غنمه كقسم
 المنقول أربعة أخماسه للمرتزقة وخمسه للمصالح وله أيضاً قسمه كالمنقول لكن خمس الخمس
 الذي للمصالح لاسبيل الى قسمته ولما حكم سبحانه هذا الحكم في النبي والمخالف لما كانوا عليه
 في الجاهلية من اختصاص الاغنياء به بين غلته المظهرة لعظمته بقوله تعالى (كي لا يكون)
 أي النبي الذي يسره الله تعالى بقوته من قذف الرعب في قلوب أعدائه ومن حقه ان يعطاه
 الفقراء (دولة) أي متداولا (بين الاغنياء منكم) أي يتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان
 في الجاهلية فانهم كانوا يقولون من عزيز ومنه قول الحسن اتخذوا عباد الله خولا
 ومال الله دولا يريد من غلب منهم أخذه واستأثر به وقرأ هشام بخلاف عنه تكون بالتأنيث
 دولة بالرفع والباقون بالتذكير والنصب فأما الرفع فعلى ان كان تامة وأما التأنيث والتذكير
 فواضحان لانه تأنيث مجازي وأما النصب فعلى انها الناقصة واسمها ضمير عائدة على النبي
 والتذكير واجب لتذكير المرفوع ودولة خبرها وقيل دولة عائدة على ما اعتبارا بلفظها
 وكى لاهنامة طوعة في الرسم (وما آتاكم الرسول) أي وكل شيء أحضره لكم الكامل في الرسالة
 من الغنمة أو مال النبي أو غيره (تخذوه) أي فاقبلوه لانه حلال لكم وتسمكوا به فانه واجب
 الطاعة (وما نهاكم عنه) أي من جميع الاشياء (فانتهاوا) لانه لا ينطق عن الهوى ولا يقول

ولا يفعل الا ما أمر به ربه عز وجل * (تنبيه) * هذه الآية تدل على أن كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أمر من الله تعالى لأن الآية وإن كانت في الغنائم فجميع أوامر الله عليه وسلم ونواهيها داخل فيها قال عبد الرحمن بن زيد لقي ابن مسعود رجلاً محرمًا وعليه ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال الرجل تقرأ على هذا آية من كتاب الله تعالى قال نعم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال عبد الله بن محمد بن هرون القرطبي سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول سلوني عما شئتم أخبركم من كتاب الله تعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم قال فقلت له أصلك الله ما تقول في المحرم بقتل الزنور قال فقال بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحدثناسفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربيعة بن خراش عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتمروا بأوامر الله وأطيعوا الرسل وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم وفي صحيح مسلم وغيره كدام عن قيس بن أسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب أنه أمر بقتل الزنور وهذا الجواب في غاية الحسن أفتى بقتل الزنور في الأحرام وبين أنه يقتدى فيه بعمر وإن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالاعتداء به وإن الله تعالى أمر بقبول ما يقوله صلى الله عليه وسلم فجواز قتله من الكتاب والسنة وسئل عكرمة عن أمهات الأولاد هل هن أحرار فقال في سورة النساء في قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم وفي صحيح مسلم وغيره عن علقمة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشحات والمستوشحات والمتنصحات والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله تعالى فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب فجاءت فقاتت بلغني أنك لعنت كيت وكيت فقال وما لي لألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله تعالى فقاتت لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول فقال لن كنت قرأته فقد وجدته أقرأت وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فانه قد نهى عنه الحديث * (فائدة) * الوشم هو غرز العضوم من الإنسان بالابرة ثم يحشي بالكحل والمسحوشة هي التي تطلب أن يفعل بها ذلك والنامصة هي التي تنسف الشعر من الوجه والمنفلجة هي التي تتكاف تفريج ما بين ثناياها بصناعة وقيل تنفلج في مشيها في كل شيء منهي عنه وقرأ حزة والكسائي بالامالة محضنة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح والهمزة ممدودة بلا خلاف لأنها بمعنى الاعطاء (واقفوا لله) أي واجعلوا لكم بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاية من عذاب الملك الأعظم المحيط علما وقدرة وعمل ذلك بقوله تعالى (إن الله) أي الذي له الجلال والإكرام على الإطلاق (شديد العقاب) أي العذاب الواقع بعد الذنب قال البقاعي ومن زعم أن شيئا مما في هذه السورة نسخ بشي مما في سورة الانفال فقد أخطأ لأن الانفال نزلت في بدر وهي قبل هذه بمدة وقوله تعالى (للفقراء) أي الذين كان الإنسان منهم يعصب الخجر على بطنه من الجوع ويتخذ الحفرة في الشتاء لتقيه البرد وماله دثار غير هابل من لذي القرني وما عطف عليه

قاله الزمخشري والذي منع الابدال من الله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان المعنى لرسول
 الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى أخرج رسوله صلى الله عليه وسلم من الفقراء في قوله
 تعالى وينصرون الله ورسوله ولانه تعالى يترفع برسوله صلى الله عليه وسلم عن تسميته بالنقيب
 وقال غيره انه خرج بمبدأ محذوف أى ولكن النقي للفقراء وقيل تقديره ولكن يكون للفقراء
 وقيل تقديره اذهبوا للفقراء واقتصر على هذا التقدير الجلال المحلى وانما جعله الزمخشري
 بدلا من لذى القربى لانه حنفى والحنفية يشترطون الفقر فى اعطاء ذوى القربى من النقي
 ولذا قال البيضاوى ومن أعطى أغنياء ذوى القربى أى كما الشافعى خصص الابدال بما
 بعده أو النقي بنى النصيراه أو انهم كانوا عند نزول الآية كذلك ثم خصص بالوصف بقوله
 تعالى (المهاجرين) وقيل ذلك بقوله تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم) لان الهجرة
 قد تطلق على من هجر أهل الكفر من غير مفارقة الوطن وقوله تعالى (وأموالهم) إشارة
 الى ان المال لما كان يستتره الانسان كان كانه ظرف له ولما كان طالب الدنيا من النقائص بين
 أنه اذا كان من الله لم يكن كذلك وأنه لا يكون قادحاً فى الاخلاص فقال تعالى (يبتغون) أى
 اخرجوا حال كونهم يطلبون على وجه الاجتهاد وبين انه لا يجب عليه سبحانه لا حدشئ بقوله
 تعالى (فضلا من الله) أى الملك الاعظم الذى لا كف له لانه المختص بجميع صفات الكمال
 فيغنيهم بفضله عن سواه (ورضوانا) بأن يوفقهم لما يرضيه عنهم ولا يجعل رغبتهم فى العوض
 منه قادحاً فى الاخلاص فيوصلهم الى دار كرامته وقرأت عبة بضم الراء والباقون بكسرهما
 (وينصرون) أى على سبيل التجديد والاستمرار (الله) أى دين الملك الاعظم (ورسوله) الذى
 عظمته من عظمته بأنفسهم وأموالهم ليضمحل حزب الشيطان (أو تلك) أى العالو الرتبة
 فى الاخلاق الفاضلة (هم الصادقون) أى العريقون فى هذا الوصف لان مهاجرتهم لما ذكر
 وتركتهم لما وصف دل على كمال صدقهم فيما ادعوه من الايمان بالله ورسوله صلى الله عليه
 وسلم حيث نأبذوا من عاداهما والوا أولياهما وان بعدت دارهم وشطرن دارهم ثم اتبع ذكر
 المهاجرين بذكر الانصار الذين كانوا فى كل حال معه صلى الله عليه وسلم كالميت بين يدي الغاسل
 مهما شاء فعل وبهما أراد منهم صاروا اليه بقوله تعالى (والذين تبوءوا) أى جعلوا بغاية جهدهم
 (الدار) أى الكاملة فى الدور التى جعلها الله تعالى فى الازل للهجرة وهى أها للنصرة وجعلها
 محل اقامتهم وفى قوله تعالى (والايمان) أوجه أحدها أنه ضمن تبوءا معنى لزوما فيصح عطف
 الايمان عليه اذ الايمان لا يتبوء ثانياً أنه منصوب بمقدراً أى واعتقدوا أو ألقوا أو وأحبوا
 أو وأخلصوا كقول القائل * علفتها تبنا وما باردا * وقول الآخر * ومقلدا سيفا ورمحا
 نالها انه يتجوز فى الايمان فيجعل لاختلاطه بهم وثباتهم عليه كالمكان المحيط بهم فكأنهم
 نزلوه وعلى هذا فيكون جمع بين الحقيقة والمجاز فى كلمة واحدة وفيه خلاف مشهور رابعها أن
 يكون الاصل دار الهجرة ودار الايمان فأقام لأم التعريف فى الدار مقام المضاف اليه
 وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه خامسها أن يكون سمي المدينة به

لانهم ادار الهجرة ومكان ظهور الایمان قال هذين الوجهين الزمخشري وليس فيه الاقيام ال مقام
 المضاف اليه وهو محل خلاف وهو ان هل تقوم مقام الضمير المضاف اليه قال الكوفيون
 يجوزونه كقوله تعالى فان الجنة هي المأوى أى مأواه والبصريون يمنعونه ويقولون الضمير
 محذوف أى المأوى له وأما كونها عوضا عن المضاف اليه فقال ابن عادل لانعرف فيه خلافا
 سادسها انه منصوب على المفعول معه أى مع الایمان قال وهب سمعت مالكا يذكر فضل المدينة
 على غيرها من الاقاليم فقال ان المدينة نبوت بالایمان والهجرة وان غيرها من القرى افتقت
 بالسيف ثم قرأ والذين تبوءوا الدار والایمان (من قبلهم) أى وهم الانصار (يحبون) أى على
 سبيل التجدد والاستمرار (من هاجر) وزادهم محبة فيهم بقوله تعالى (اليهم) لان القصد الى
 الانسان يوجب حقه عليه لانه لولا كمال محبته له ما خصه بالقصد اليه (ولا يجدون في صدورهم)
 أى التى هي مساكن قلوبهم فضلا عن أن تنطق ألسنتهم (حاجة) قال الحسن حسدا وحرازة
 وغنطا (مما أوتوا) أى آتى النبي المهاجرين من أموال بنى النضير وغيرهم وأطلق لفظ الحاجة
 على الحسد والغنط والحرازة لان هذه الاشياء لا تنفك عن الحاجة فأطلق اسم اللازم على
 الملزوم على سبيل البكائية فعلى هذا يكون الضمير الاول للجاتين بعد المهاجرين وفى أوتوا
 للمهاجرين وقيل ان الحاجة هنا على بابها من الاحتياج لانها واقعة موقع المحتاج اليه والمعنى
 ولا يجدون طلب محتاج اليه مما أوتى المهاجرون من النى وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة تقول
 خدمته حاجتك وأعطاه من ماله حاجته قاله الزمخشري والضميران على ما تقدم وقال أبو البقاء
 مس حاجة أى انه حذف المضاف للعلم به وعلى هذا فالضميران للذين تبوءوا الدار والایمان قال
 القرطبي كان المهاجرون فى دور الانصار فلما غنم صلى الله عليه وسلم أموال بنى النضير دعا الانصار
 وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين فى انزالهم اياهم منازلهم واشراكمهم فى الاموال ثم قال صلى
 الله عليه وسلم ان أحببتهم قسمت ما أقاء الله على من بنى النضير بينكم وبينهم وكان المهاجرون
 على ما هم عليه من السكينة فى مساكنكم وأموالكم وان أحببتهم أعطيتهم وخرجوا من دياركم
 فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ بل تقسم بين المهاجرين ويكونون فى دورنا كما كانوا نادى
 الانصار رضىنا وسلمنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار
 وأبناء الانصار واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر
 محتاجين أبادجانه سمالك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة ولما أخبر تعالى عن
 تخليهم عن الرذائل أتبعه الاخبار بتخليهم بالقضائل فقال عزم من قائل (ويؤثرون على أنفسهم)
 فيبذلون لغيرهم كائن ما كان ما فى أيديهم فان الاشارة لتقديم الغير على النفس وحفظها
 الدنيوية رغبته فى الحظوظ الاخرية وذلك ينشأ عن قوة اليقين وثوق كيد المحبة والصبر على
 المشقة وذكر النفس دليل على انهم فى غابة النزاهة عن الرذائل فان النفس اذا ظهرت كان
 القلب أظهورا كذلك بقوله تعالى (ولو كان) أى كونا هو فى غاية المكنة (بهم) أى خاصة
 لا بالموثر (خصاصة) أى فقر وحاجة الى ما يؤثرون به روى عن أبي هريرة ان رجلا بات به ضيف

ولم يكن عنده الاقوته وقوت صبيانه فقال لامرأته نومي الصبية وأطفئي السراج وقربي للضيف
 ما عندك فنزلت هذه الآية وعنه أيضا قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود
 فأرسل الى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندى الاماء فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم من يضيف هذا الليلة رحمه الله فقام رجل من الانصار فقال أنا يا رسول الله فانطلق به
 الى رحله فقال لامرأته هل عندك شئ قالت لا الاقوت صبياني قال فعليهم بشئ فاذا دخل ضيفنا
 فأطفئي السراج وذكر نحو الحديث الاول وفي رواية فقام رجل من الانصار يقال له أبو طلحة
 فانطلق به الى رحله وذكر المهدوي أنها نزلت في ثابت بن قيس ورجل من الانصار يقال له أبو
 المتوكل ولم يكن عنده الاقوته وذكر القشيري قال أهدى لرجل من أصحاب رسول الله صلى
 الله عليه وسلم رأس شاة فقال ان أخى فلانا وعياله أحوج الى هذا منا فبعنما اليهم فلم يزل يبعث
 بها واحد الى آخر حتى تناولها سبعة آيات حتى رجعت الى الاول فنزلت الآية وذكر القرطبي
 عن أنس قال أهدى لرجل من الصحابة رأس شاة وكان مجهودا فوجه به الى جاره فقدمها ولها
 سبعة أنفس في سبعة آيات ثم عادت الى الاول فنزلت (فان قيل) قد صح في الخبر انهم عن
 التصديق بجميع ما يملكه المرء (أجيب) بان محل النهي فيمن لا يؤثق منه بالصبر على الفقر وخاف
 أن يتعرض للمسئلة اذا قدم ما يتفقه فاما الانصار الذين أثنى الله تعالى عليهم بالايثار على
 أنفسهم فكانوا كما قال تعالى والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس فكان الايثار فيهم
 أفضل من الامسالك والامسالك لمن لا يصبر ويتعرض للمسئلة أولى من الايثار كما روى ان رجلا
 جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بمثل البيضة من الذهب فقال هذه صدقة فرماها بها وقال
 يا أي أحدكم بجميع ما يملكه فيتصدق به ثم يهتدي فكف الناس والايثار بالنفس فوق الايثار
 بالمال وان عاد الى النفس ومن الامثال * والجلود بالنفس أعلى غاية الجوده وأفضل من الجود
 بالنفس الجود على حباية رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي الصحيح ان أبا طلحة ترس على رسول
 الله صلى الله عليه وسلم لم يوم أحد وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتطلع ليري القوم فيقول له
 أبو طلحة لا تشرف يا رسول الله لا يصيبونك فحصرى دون غرك ووقى يده رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فشلت وقال حذيفة الدوري انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي فاذا برجل
 يقول آه فأشار الى ابن عمي ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاصي فقلت أسقيك فأشار
 ان نعم فسمع آخر يقول آه فأشار هشام ان انطلق اليه فحنت اليه فاذا هو قدماء فرجعت
 الى هشام فاذا هو قدماء فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قدماء وقال أبو يزيد البسطامي
 ما غلبني أحد ما غلبني شاب من أهل بلخ قدم اليها جافا فقال لي يا أبا يزيد ما أحد الزهد عندكم
 فقلت اذا وجدنا نأكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا كلاب بلخ فقلت وما أحد الزهد
 عندكم فقال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا وسئل ذو النون ما أحد الزهد قال ثلاث
 تفريق الجموع وترك طلب المفقود والايثار عند القوت وحكي عن أبي الحسن الانطاكي
 انه اجتمع عنده ثيف وثلاثون رجلا بقرية من قرى الري وبينهم أرغفة معدودة لا تشبع

جميعهم فمكسروا الرغضان وأطفوا السراج وجلسوا الطعام فلما فرغوا فإذا الطعام بجماله
لم يأكل أحد منهم شيئا ايتار صاحبه على نفسه (ومن يوق شمع نفسه) أي يجعل بينه وبين
اخلاقه الذميمة المشار اليها بالنفس وقاية تحول بينه وبينها فلا يكون مانعا لما عنده من ريبا على
ما عند غيره حسدا قال ابن عمر الشح أن تطمع عين الرجل فيما ليس له قال صلى الله عليه وسلم
اتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم جلهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال
القرطبي الشح والبخل سواء وجعل بعض أهل اللغة الشح أشد من البخل وفي الصحاح الشح
البخل مع حرص والمراد بالشح في الآية الشح بالزكاة وما ليس بفرض من صلة ذوي الارحام
والضيافة وما شا كل ذلك وليس بشحيح ولا بجفيل من اتفق في ذلك وان أمسك عن نفسه ومن
وسع على نفسه ولم ينفق فيما ذكر من الزكاة والطاعات فلم يوق شمع نفسه روى الاموى عن ابن
مسعود ان رجلا أتاه فقال انى أخاف ان أكون قد هلكت قال وما ذلك قال سمعت الله يقول
ومن يوق شمع نفسه وأثار رجل شحيح لا كاد أخرج من يدي شيئا فقال ابن مسعود ليس ذلك الذى
ذكر الله تعالى انما الشح أن تأكل مال أخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشئ البخل ففرق
بين الشح والبخل وقال طاوس البخل أن يبخل الانسان بما في يده والشح أن يشح بما في أيدي
الناس يحب أن يكون له ما في أيديهم بالحلل والحرام فلا يقنع وقال بعضهم ليس الشح أن يمنع
الرجل ماله انما الشح أن تطمع عين الرجل فيما ليس له وقال ابن جبير الشح منع الزكاة وادخار
الحرام وقال ابن عيينة الشح الظلم وقال الليث ترك الفرائض وانتهى المحارم وقال ابن عباس
رضي الله عنهم من اتبع هواه ولم يقبل الايمان فذلك الشحيح وقال ابن زيد من لم يأخذ شيئا نهى
الله تعالى عنه ولم يمنع شيئا أمره الله تعالى باعطائه فقد وقاه الله تعالى شح نفسه وعن أنس أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال برئ من الشح من أدى الزكاة وأقرى الضيف وأعطى في النأبة
وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو الله -م انى أعوذ بك من شح نفسى واسرافها
وسوائها وقال ابن الهيثج الاسدى رأيت رجلا فى الطواف يدعو الله -م قنى شح نفسى لا يزيد على
ذلك فقلت له فقال اذا وقيت شح نفسى لم امرق ولم أزن ولم أقتل فاذا الرجل عبد الرحمن بن
عوف قال القرطبي ونزل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم
القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم جلهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا
محارمهم وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان
جهنم فى جوف عبد أبدا وقال كسرى لاصحابه أى شئ أضر بآدم قالوا الفقر فقال الشح
أضر من الفقر لان الفقير اذا وجد شبع والشحيح اذا وجد لم يشبع أبدا (فأوامك) أى العالو
المنزلة (هم المنطرون) أى الكاملون فى الفوز بكل مراد قال القشيري وتجرد القلب من
الاعراض والاملا لصفة السادة والا كابر لا من أسرته الاخطار ولما أتى سبحانه وتعالى على
المهاجرين والانصار بما هم عليه وأهله أتبعهم ذكر التابعين لهم باحسان الى يوم الدين فقال تعالى
(والذين جاؤا) أى من أى طائفة كانوا (من بعدهم) أى بعد المهاجرين والانصار وهم من آمن

بعد انقطاع الهجرة بالقح وبعد ايمان الانصار الذين أسلموا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم
 القيامة (يقولون) على سبيل التجديد والاستقرار تصديقاً لايانهم بدعائهم (ربنا) أى أيها
 المحسن الينا بما يجاد من مهاد الدين قبلنا (اغفر لنا) أى أوقع ستر النقائص آثارها وأعيانها
 (ولاخواننا) أى فى الدين فانهم أعظم اخوة وبينوا العلة بقولهم (الذين سبقونا بالايان) قال
 ابن أبي ليلى الناس على ثلاثة منازل المهاجرين والذين تبوءوا الدار والايان والذين جاؤا من
 بعدهم فأجتهد أن لا يخرج من هذه المنازل وقال بعضهم كن مهاجراً فان قلت لا أجد فكن
 أنصاريان فان لم تجد فاعمل بأعمالهم فان لم تستطع فأحبهم واستغفر لهم كما أمر الله تعالى وقال
 مصعب بن سعد الناس على ثلاث منازل فضت منزلتان وبقيت منزلة فاحسن ما أنتم عليه أن
 تكونوا بهذه المنزلة التى بقيت وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه جاء رجل فقال له يا ابن
 بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول فى عثمان فقال له يا أخى أنت من قوم قال الله تعالى
 فيهم للفقراء المهاجرين الآية قال لا قال فأنت من قوم قال الله تعالى فيهم والذين تبوءوا الدار
 والايان الآية قال لا قال فوالله ان لم تكن من أهل الآية الثالثة لتخرجن من الاسلام وهى
 قوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم الآية وروى أن نفراً من أهل العراق جاؤا الى محمد بن
 على بن الحسين فسبوا أبا بكر وعمر وعثمان فأكثروا فقال لهم أمن المهاجرين الاولين أنتم
 فقالوا لا فقال امن الذين تبوءوا الدار والايان قالوا لا قال فقد تبرأتم من هذين الفريقين أنا
 أشهد أنكم لستم من الذين قال الله تعالى والذين جاؤا من بعدهم قوم وافعل الله بكم وفعل
 (تنبيه) هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين لانه جعل لمن
 بعدهم خطا فى النى مما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم ومن أبغضهم أو واحد
 منهم أو اعتقد فيهم شراً أنه لاحق له فى النى قال مالك من كان يبغض أحداً من أصحاب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أو كان فى قلبه لهم غل فليس له حق فى فى المسلمين ثم قرأ والذين جاؤا من
 بعدهم الآية وهى عامة فى جميع التابعين الا تين بعدهم الى يوم القيامة يروى أن النبي صلى
 الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأنا ان شاء الله بكم لاحقون
 وددت لو رأيت اخواننا فقالوا يا رسول الله ألسنا اخوانك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بل أنتم أصحابي واخواننا الذين لم يأتوا بعدوا نافرطهم على الخوض فيمن صلى الله عليه وسلم
 أن اخوانه كل من أتى بعدهم كما قال السدى والكلى انهم الذين هاجروا بعد ذلك وعن الحسن
 أيضا ان الذين جاؤا من بعدهم من قصد الى النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد انقطاع
 الهجرة وانما بدؤوا فى الدعاء بأنفسهم لقوله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك وقال الشعبي
 تفا ضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير أهل ملتكم فقالوا
 أصحاب موسى وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم فقالوا أصحاب عيسى وسئلت الرافضة
 من شر أهل ملتكم فقالوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أمروا بالاستغفار لهم فسبوا
 وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تذهب هذه الامة حتى يلعبن

آخرها أولها أعاذنا الله تعالى ومحييها من الالهواء المضلة (ولا تجعل في قلوبنا غلا) أي ضغنا
 وحسدا وحقدا وهو حرارة وغليان يوجب الانتقام (لَّذِينَ آمَنُوا) أي أقرؤا بالايمان وان
 كانوا في أدنى درجاته وقيدوا بالقلب لأن رذائل النفس قل أن تنفك وأنها ان كانت مع صحة
 القلب أو شك أن لا تؤثر (ربنا) أي أيها المحسن الينا بتعليم ما لم نكن نعلم وأكدوا اعلاما بانهم
 يعتقدون ما يقولون بقولهم (أنت رؤوف) أي راحم أشد الرحمة لمن كانت له بك وصلة بفعله من
 أفعال الخير (رحيم) مكرم غاية الاكرام لمن أردت ولولم يكن له وصلة فانت جدير بأن تحييها
 لا نابي أن تكون لنا وصلة فتكون من أهل الرأفة أو لا فتكون من أهل الرحمة فقد أفادت هذه
 الآية أن من كان في قلبه غل على أحد من الصحابة فليس ممن عني الله تعالى به هذه الآية وقرأ أبو
 عمرو وشعبة وحزرة والكسائي بكسر الهمزة والباء قون بعدها * ولما ذكر حال المؤمنين اتبعهم
 بذكر حال المنافقين فقال تعالى (ألم تر) أي تعلم علما هو في غاية الجزم كالمشاهدة يا أعلى الخلق
 وبين بعدهم عن جنابه العالی ومنصبه الشريف العالی بأداة الانتهاء فقال تعالى (الى الذين
 نافقوا) أي أظهر واغبر ما أظهروا وبالغوا في اخفاء عقائدهم وهم عبسدا لله بن أبي ابن سلول
 وأصحابه قالوا والنفاق لفظ اسلامي لم تكن العرب تعرفه قبله وهو استعارة من الضب في نفاقه
 وقاصعانه وصور حالهم بقوله تعالى (يقولون لاخوانهم الذين كفروا) أي غطوا أنوار المعارف
 التي دلتهم على الحق (من أهل الكتاب) وهم اليهود ومن بنى قريظة والنضير والاخوان هم
 الاخوة وهي هنا تحتمل وجوها أحدها الاخوة في الآخرة لأن اليهود والمنافقين اشتروا
 في عموم الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وثانيها الاخوة بسبب المصادقة والموالاتة والمعانة
 وثالثها الاخوة بسبب اشتراكهم في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا لليهود (لئن أخرجتم)
 أي من مخرج تام من المدينة (لتخرجن معكم) أي منها (ولا نطيع فيكم) أي في خذلانكم
 (أحدا) أي يريد خذلانكم من الرسول والمؤمنين وأكدوا بقولهم (أبدا) أي مادما نعيش
 وبمثل هذا العزم يستحق الكافر الخلود الابدي في العذاب (وان قوتلتم) أي من أي مقاتل
 كان يقاتلكم ولم تخرجوا (لننصرنكم) أي لنعيننكم ولنقاتلن معكم * ولما كان قولهم هذا
 كلاما يقضى عليه سامعه بالصدق من حيث كونه مؤكدا مع كونه مبتدأ من غير سؤال فيه
 بين حاله سبحانه بقوله تعالى (والله) أي يقولون ذلك والحال ان المحيط بكل شئ قدرة وعلم
 (يشهد انهم) أي المنافقين (الكاذبون) أي فيما قالوا ووعدوا وهذا من أعظم دلائل النبوة لانه
 اخبار بغيب بعيد عن العادة ثم أخبر تعالى عن حال المنافقين بقوله تعالى (لئن أخرجوا) أي
 بنو النضير من أي مخرج كان (لا يخرجون) أي المنافقون (معهم) أي حمية لهم لاسباب
 يعلمها الله تعالى (ولئن قوتلوا) أي اليهود من أي مقاتل كان فكيف بأشجع الخلق وأعلمهم
 صلى الله عليه وسلم (لا ينصرونهم) أي المنافقون وإقدا صدق الله تعالى وكذبوا في الامرين معا
 القتال والاخراج لانصروهم ولا خرجوا معهم فكان ذلك من أعلام النبوة وعلم به من كان
 شا كافلا عن الموقنين (ولئن نصروهم) أي المنافقون في وقت من الاوقات (ليولن) أي

المنافقون ومن ينصرونه وحقرهم بقوله تعالى (الادبار) أى ولو قدر وجود نصرهم لولوا الادبار
 منهم زمن (ثم لا ينصرون) أى لا يتجدد لفريقهم ولا لواحد منهم - مانصرة في وقت من الاوقات
 ولم يزل المنافقون واليهود في الدل (لا تتم) أيها المؤمنون (أشدرهبة) أى خوفاً (في صدورهم)
 أى اليهود ومن ينصروهم (من الله) أى لتأخير عذابه وأصل الرهبة والرهب الخوف الشديد
 مع حزن واضطراب والمعنى أنهم يرهبونكم ويخافون منكم أشد الخوف وأشد من رهبتهم من
 الله لما مر (ذلك) أى الامر الغريب وهو خوفهم النابت اللازم من مخلوق مثله - هم ضعيف
 لرؤيتهم له وعدم خوفهم من الخالق على ماله من العظمة في ذاته ولكونه غنيا عنهم (بأنهم قوم)
 أى على ماله من القوة (لا يفقهون) أى لا يتجدد لهم بسبب كفرهم واعتمادهم على مكرهم
 في وقت من الاوقات فهم يشرح صدورهم ليدركوا به أن الله تعالى هو الذى ينبغي أن يخشى
 لا غيره بل هم كالانعام لا نظر لهم الى الغيب انما هم مع الحسوسات والفقه هو العلم بفهوم الكلام
 ظاهره الجلى وغامضه الخفى بسرعة فطنة وجودة قريحة (لا يقاتلونكم) أى اليهود والمنافقون
 (جميعاً) أى قتلا لا تقصدونه مجاهرة وهم مجتمعون كلهم في وقت من الاوقات ومكان من
 الاماكن (الافى قري محصنة) أى متمنعة بحفظ الدروب وهى السكك الواسعة بالابواب
 والخنادق ونحوها (أو من وراء جدار) أى محيط بهم سواء كان بقربة أم بغيرها لشدة خوفهم
 وقد أخرج هذا ما حصل من بعضهم عن ضرورة كالاسير ومن كان ينزل من أهل خير من
 الحصن يارز ونحو ذلك فانه لم يكن عن اجتماع أو يكون هذا خاصا بيني النصير في هذه الكرة
 وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الجيم وفتح الدال وألف بعدها واما الالف أبو عمرو والباقيون
 بضم الجيم والدال (بأسهم) أى حربهم (بينهم شديد) أى بعضهم فظ على بعض وعداوة بعضهم
 بعضها شديدة وقيل بأسهم بينهم من وراء الشيطان والحصون شديد فاذا خرجوا اليكم فهم أجن
 خلق الله تعالى (تحسبهم) أى اليهود والمنافقين بأعلى الخلق أو بأىها الناظر وقرأ نافع وابن
 كثير وأبو عمرو والكسائي بكسر السين والباقيون بفتحها (جميعاً) لما هم فيه من اجتماع
 الاشباح (وقلوبهم شتى) أى متفرقة أشد افتراقاً وموجب هذا التشتت اختلاف الاهواء التى
 لا جامع لها من نظام العقل كالبهايم وان اجتمعوا في عداوة أهل الحق كاجتماع البهايم في الهرب
 من الذئب قال القشيري اجتماع النفوس مع تنافر القلوب واختلافها أصل كل فساد
 وموجب كل تخاذل ومقتض لتجاسر العدو واتفاق القلوب والاشتراف في الهمة والتساوى
 في القصد موجب كل ظفر وكل سعادة وقرأ شتى الحسن وحزة والكسائي بالامالة محضة
 وورش بالفتح وبين اللفظين وأبو عمرو وبين بين والباقيون بالفتح وهى على وزن فعلى (ذلك) أى
 الامر الغريب من الافتراق بعد الاتفاق الذى يحيل الاجتماع (بأنهم قوم) أى مع شدتهم
 (لا يعقلون) فلا دين لهم مثلهم في ترك الايمان (كمثل الذين من قبلهم قريبا) أى بمن قريب وهم
 كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما بنو قينقاع من أهل دينهم اليهود وأظهروا بأساً شديداً
 عندما قصدهم النبي صلى الله عليه وسلم في اثر غزوة بدر فوقع عليهم وحذرهم بأس الله تعالى

فقالوا لا يغرنك يا محمد أنك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم - اما والله لو قاتلنا
لعلنا أنافحن الناس ثم مكروا بأمرأة من المسلمين فراودوها عن كشف وجهها فأبت فعدسدا
طرف ثوبها من تحت خمارها فلما قامت انكشف سوقها فصاحت فغار لها شخص من الصحابة
فقتل اليهودي الذي عقد ثوبها فقتلوه فانتقض عهدهم فأنزل الله النبي صلى الله عليه وسلم
بساحتهم فأذلهم الله تعالى ونزلوا من حصنهم على حكمه صلى الله عليه وسلم وقد كانوا حلفاء ابن
أبي ولهم يغرنهم شيئا غير أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم في أن لا يقتلهم وألح عليه حتى كف
عن قتلهم فذهبوا عن المدينة الشريفة بأنفسهم من غير حشر لهم بالالزام بالجلاء (ذاقوا وبال
أمرهم) أي عقوبته في الدنيا من القتل وغيره (ولهم عذاب أليم) أي مؤلم في الآخرة ومثلهم
أيضا في سماعتهم من المنافقين وتخليقهم عنهم (كمثل الشيطان) أي البعيد من كل خير يبعده
من الله تعالى المحترق به - ذاب والشيطان هنا مثل المنافقين (اذ قال للانسان) وهو هنا مثل
اليهود (اكفر) أي بالله بما زين له ووسوس اليه من اتباعه الشهوات القائمة مقام الامر (فلما
كفر) أي أوجد الانسان الكفر على أي وجهه ودلت الفاء على اسراعه في متابعتها ترينه
(قال) أي الشيطان الذي هو هنا عبارة عن المنافقين (اني بري منك) أي ليس بيني وبينك
علاقة في شيء أصلا ظنا منه ان هذه البراءة تنفعه شيئا مما استوجبه المأمور بقبوله لا أمره وذلك
مثل ضربه الله تعالى للمنافقين واليهود في اخذ الهيم وعدم الوفاء في نصرتهم وحذف حرف
العطف ولم يقل وكمثل الشيطان لان حذف العطف كثير كقولك أنت عاقل أنت كريم أنت عالم
وقوله كمثل الشيطان كالبيان لقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم روى عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان الانسان الذي قال له الشيطان راهب نزلت عنده امرأة أصابها الم ليذعولها فزين له
الشيطان فوطئها فحمت ثم قتلها خوفا من أن يقتضح فدل الشيطان قومها على موضعها فجأوا
فاس - تنزلوا الراهب ليقتلوه فجاء الشيطان فوعده أن يمجده له أنجاه منهم فسجد له فقبض منه
وروى عطاء وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه - ما قال كان راهب يقال له برصيصا تعبد
في صومعته سبعين سنة لم يعص الله تعالى فيها طرفة عين وان ابليس أعياء في أمره الخيل فجمع
ذات يوم مرده الشياطين فقال ألا أجد فيكم من يكفيني برصيصا فقال له الايض وهو صاحب
الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهو الذي تصدى للنبي صلى الله عليه وسلم وجاء في صورة جبريل
عليه السلام ابوسوس اليه على وجهه الوحي فدفعه جبريل عليه السلام الى أقصى أرض الهند
فقال الايض لابليس انا أكفيك أمره فانطلق فترا برزي الرهبان وحلق وطرأسه وأتى صومعة
برصيصا فناده فلم يجبه وكان لا يتنقل عن صلاته الا في كل عشرة أيام مرة ولا يفطر في كل عشرة
أيام الا مرة فلما رآه الايض أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته فلما انتقل برصيصا
اطلع من صومعته فرأى الايض قائما يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان فلما رأى ذلك
من حاله ندم على نفسه حين لم يجبه فقال له انك حين ناديتني كنت مشتغلا عنك فحاجتك
قال حاجتي اني أحبت أن أكون معك فأنا أدب بأدبك واقتبس من علمك ونجست على العبادة

وتدعوني وادعوك فقال برصيصا اني لقي شغل عنك فان كنت مؤمنا فان الله سيجعل لك فيما
أدعولهم مؤمنا نصيبا ان استجاب الله لي ثم أقبل على صلاته وترك اليايض فأقبل اليايض يصلي
فلم يلتفت اليه برصيصا أربعين يوما فلما التفت بعد هارآه قائما يصلي فلما رأى برصيصا شدة
اجتهاد اليايض قال له ما حاجتك قال حاجتي ان تأذن لي ان ارتفع اليك فأذن له فارتفع اليه
في صومعته فأقام حولا يتعبد فلا يقطر الا في كل أربعين يوما مرة ولا يقتل من صلاته الا كذلك
وربما مد الى الثمانين فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه وأعجبته شأن اليايض فلما
حال الحول قال اليايض لبرصيصا ان لي صاحبا غيرك ظننت انك اشد اجتهادا عما رأيت وكان
يلقنا عنك انك غير الذي رأيت فدخل من ذلك على برصيصا أمر شديد وكره مفارقتة للذي رآه
من شدة اجتهاده فلما ودعه اليايض قال له ان عندي دعوات اعلمكها تدعوهم فمن خير مما
أنت فيه يشفي الله تعالى بها المريض ويعافي بها المبتلى والمجنون قال برصيصا اني اكره هذه الميزة
لان في نفسي شغلا واني اخاف ان علم به الناس يشغلوني عن عبادة ربي عز وجل فلم يرزل به
اليايض حتى علمه ثم انطلق حتى أتى ابلدس فقال والله قد أهلكك الرجل فانطلق اليايض
فتعرض لرجل فجثته ثم جاءه في صورة رجل مطيب فقال لاهله ان بصاحبكم جنونا افاعالجه
قالوا نعم فقال اني لا أقوى على جنيته وان كنت سأرشدكم الى من يدعوا الله تعالى فيعافيه
انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الذي اذا دعا به أجيب فانطلقوا به اليه فسألوه فدعا بتلك
الكلمات فذهب عنه الشيطان فكان اليايض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا
فيدعولهم فيعافون فانطلق اليايض فتعرض للجارية من بنات ملوك بني اسرائيل وكان لها
ثلاثة اخوة وكان أبوه هو الملك فلما مات استخلف أخاه فكان عمها ملك بني اسرائيل قصد لها
وخنة فاجاء اليهم في صورة رجل مطيب فقال افاعالجهما قالوا نعم قال ان الذي عرض لهما ما رد
لا يطاق ولكن سأرشدكم الى رجل تثقون به تدعونها عنده اذا جاءها شيطانها ادعها حتى تعالوا
أنها قد عوفيت فتدونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا كيف لنا ان يجيئنا الى هذا
وهو أعظم شأننا من ذلك قال ابنوا صومعة الى جنب صومعته ولتكن لزيق صومعته حتى
يشرف عليها فان قبلها والاقتضعونها في صومعتها ثم قولوا له هي امانة عندك فاحتسب امانتك
فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فأبى فبنوا صومعة على ما أمرهم به اليايض ووضعوا الجارية
في صومعتها وقالوا يا برصيصا هذه أختنا أمانة عندك فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انقفل برصيصا
من صلاته عاين الجارية وما هي عليه من الجمال فوقع في قلبه ودخل عليه أمر عظيم فجاءها
الشيطان فخنقها فكانت تكشف عن نفسها وتعرض لبرصيصا فجاء الشيطان وقال ويحك
واقصها فلم تجده مثلها وستتوب بعد ذلك ويتم لك ما تريد من الامر فلم يرزل به حتى واقصها فلم يرزل على
ذلك يأتيها حتى حلت وظهر جملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد اقتصمت فهل لك أن
تقتلها وتتوب فان سألوها فقتل ذهب بها شيطانها ولم أقو عليه فدخل فقتلها ثم انطلق بها فدفنها
الى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها ليلافأخذ بطرف ازارها فبقى خارجا من التراب ثم

رجع برصيصا الى صومعته وأقبل على صلاته اذ جاء اخوتها يتعهدون أختهم وكانوا يجيئون
 في بعض الأيام يسألون عنها ويوصونه بها فلما لم يجدوها قالوا يا برصيصا ما فعلت أختنا قال قد جاء
 شيطانهم اذهب بها ولم أطلقه فصدقوه وانصرفوا فلما أمسوا مكرروا بين جاء الشيطان الى
 أكبرهم في منامه فقال ويحك ان برصيصا فعل بأختك كذا وكذا وانه دفنها في موضع كذا وكذا
 فقال الاخ هذا حلم وهو من عمل الشيطان برصيصا خير من ذلك فتابع عليه ثلاث ليال فلم يكثر
 فانطلق الى الاوسط بمثل ذلك فقال الاوسط له ما قال الاكبر ولم يخبر به احدا فانطلق الى
 أصغرهم بمثل ذلك فقال الاصغر لآخويه والله لقد رأيته كذا وكذا فقال الاوسط أنا والله
 رأيته مثله وقال الاكبر أنا والله رأيته مثله فانطلقوا الى برصيصا وقالوا له ما فعلت بأختنا فقال
 أليس قد أعلمتكم بحالها فكانكم قد اتهمتموني فقالوا والله لانتم مك واستصيو امنه وانصرفوا
 فجاءهم الشيطان وقال ويحكم انهم دفنوه في موضع كذا وكذا وان طرف ازارها خارج من
 التراب فانطلقوا فرأوا أختهم على مارأوا في النوم فذهبوا اليه ومعهم غلمانهم ومواليهم
 بالفسوس والمساحي فهدموا صومعة برصيصا وأنزلوه منها وكنفوه ثم أتوا به الى الملك فأقر على
 نفسه وذلك أن الشيطان أتاه فقال تقتلها ثم تكابر فيجمع عليك أمران قتل ومكابرة اعترف
 فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب أتاه الابيض فقال يا برصيصا تعرفني قال لا
 قال أنا صاحبك الذي علمت الدعوات فاستجيب لك ويحك أما اتقيت الله تعالى في الامانة
 خنت أهلها وانك زعمت انك أعبدتني اسراييل أما استحييت فلم يزل يعيره ثم قال ألم يكفك
 ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت نفسك وأشباهك من الناس فان مت على هذه الحالة
 فلم يفلح أحد من تظارك قال فكيف أصنع قال تطيعني في خصلة واحدة حتى أقضيك مما أنت فيه
 فأخذ بأعينهم وأخرجك من مكانك قال وما هي قال تسجد لي قال أفعل فسجد له فقال يا برصيصا
 هذا الذي أردت منك صارت عاقبة أمرك الى أن كفرت بربك اني برى عنك (اني أخاف الله)
 أي الملك الذي لأمر لاجد معه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء والباقون بسكونها
 (رب العالمين) أي الذي أوجدهم من العدم ورباهم بما يدل على جميع الاسماء الحسنى
 والصفات العليا فلا يغني أحد من خلقه عن أحد شيئا الا بآذنه (فكان) أي فتسبب عن قوله
 ذلك انه كان (عاقبتهم) أي الغار والغرور (أنهم ما في النار) حال كونهم ما (خالدين فيها)
 لانهم ما ظلموا ظملا لا فلاح معه (وذلك) أي العذاب الاكبر (جزاء الظالمين) أي كل من وضع
 العبادة في غير موضعها أو هم الكافرون لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم قال ابن عباس رضي
 الله تعالى عنهما ضرب الله تعالى هذا المثل ليهود بني النضير والمنافقين من أهل المدينة فسد
 المنافقون اليهم وقالوا لا تجيبوا محمدا الى ما دعاكم اليه ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم فانا
 معكم فأجابوهم وان أخرجوكم نخرجنا معكم فأجابوهم فدر بوا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم
 رجاء نصرا للمنافقين فناصروهم الحرب فخذلوهم وتبرؤا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله
 فكان عاقبة الفريقين في النار قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وكانت الرهبان بعد ذلك

في بني اسرائيل لا يمشون الا بالثبته والكفان وطمع أهل الفسوق في الاحبار ورموهم بالبهتان
 حتى وكان أسرج برج الراهب فلما برأه الله تعالى محارموه انبسطت به هذه الرهبان وظهروا
 للناس وكانت قصة جريج ماروي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهد
 الا ثلاثة عيسى ابن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلاً عابداً فافخذ صومعة فكان فيها
 فأتت أمه وهو يصلي فقالت يا جريج فقال رب أمي وصلاتي وأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان
 من الغد أتته فقال مثل مقالته الاولى فقالت اللهم لا تمنه حتى ينظر في وجوه المومسات فتذاكر
 بنو اسرائيل جريجاً وعبادته وكانت امرأة بني يثمل بحسنا فقالت ان شئتم لاقتفنه لكم قال
 فتعرضت له فلم يلتفت اليها فأتت راعياً كان يأوي الى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها
 فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فأتوه فاستنزلوه وهدموها صومعته وجعلوا يضربونه
 فقال ما شأنكم فقالوا زينت به هذه البغي فحملت منك فقال أين الصبي فخاؤا به فقال دعوه حتى
 أصلي فلما انصرف من صلاته أتى الصبي وطعن في بطنه وقال يا غلام من أبوك فقال فلان
 الراعي قال فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا بني لك صومعتك من ذهب قال
 لا أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا والثالث كلم أمه وهي ترضعه في قصة مشهورة
 (يا أيها الذين آمنوا) أي أقروا بالايان باللسان (اتقوا الله) أي اجعلوا لكم وقاية تقيكم
 سخط الملك الاعظم باتباع أو امره واجتناب نواهيه واحذر واعقوبته بسبب التقصير فيما حثه
 لكم من أمر أو نهى (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) أي في يوم القيامة لان هذه الدنيا كلها
 كيوم واحد يجي فيه ناس ويذهب آخرون والموت والاخرة لا بد من كل منهما ما وكل ما لا بد
 منه فهو في غاية القرب والعرب تكن عن المستقبل بالغد وقيل ذكر الغد تنبيه على أن الساعة
 قريبة كقول القائل * وان غدا الناظره قريب * وقال الحسن وقتادة قرب الساعة
 حتى جعلها كغدا لان كل آت قريب والموت لا محالة آت ومعنى ما قدمت أي من خيراً وأشر
 ونكر النفس لاستقلال النفس التي تنظر فيما قدمت للاخرة كأنه قال ولتنظر نفس واحدة
 في ذلك ونكر الغد لتعظيمه وابهام أمره كأنه قال الغد لا تعرف كيفه لعظمته وقوله تعالى
 (واتقوا الله) أي الجامع لجميع صفات الكمال تأكيده وقيل كثر لتغاير متعلق التقوين فتعلق
 الاولى أداء الفرائض لاقتراحه بالعمل والثانية ترك المعاصي لاقتراحه بالتمديد والوعيد قال معناه
 الزمخشري (ان الله) أي الذي له الاسماء الحسنى والصفات العليا (خبير) أي عظيم الاطلاع
 على ظواهركم وبواطنكم والاحاطة (بما تعملون) فلا تعلمون عملاً الا كان بمرأى منه
 ومسمع فاستحيوا منه (ولا تكونوا) أيها المحتاجون الى التحذير وهم الذين آمنوا (كالذين
 نسوا الله) أي أعرضوا عن أوامره ونواهيه الملك الاعظم وتركوا الناس لمن برزت عنه
 مع ماله من صفات الجلال والاکرام (فأنساهم) أي فتسبب عن ذلك ان أنساهم بحاله من
 الاحاطة بالظواهر والبواطن (أنفسهم) أي فلم يقدموا لها ما ينفعها وان قدموا شيئاً كان
 مشوباً بالمفسدات من الرياء والحجب فكانوا بمن قال فيه تعالى وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصية

الآيات لانهم لم يدعوا بابا من أبواب الفسق فان رأس الفسق الجهل بالله ورأس العلم ومفتاح
 الحكمة معرفة النفس فأعرف الناس بنفسه أعرّفهم بربه (أو لئلا) أي البعداء من كل خير
 (هم الفاسقون) أي العريقون في المروق من دائرة الدين (لا يستوى) أي بوجه من الوجوه
 (أصحاب النار) أي التي هي محل الشقاء الاعظم (وأصحاب الجنة) أي التي هي دار النعيم
 الا كبر لا في الدنيا ولا في الآخرة واستدل بهذه الآية على ان المسلم لا يقتل بالكافر (أصحاب
 الجنة هم الفائزون) أي الناجون من كل مكر وهلاك المدركون لكل محبوب وأصحاب النار
 هم الهالكون في الدارين كما وقع في هذه الغزوة لفريق المؤمنين وبني النضير ومن والاهم
 من المنافقين فشتان ما بينهما (لو أنزلنا) أي بعظمتنا التي أبانها هذا الانزال (هذا القرآن)
 أي الجامع لجميع العلوم الفارق بين كل ملتبس المبين لجميع الحكم (على جبل) أي جبل كان
 أو جبل فيه تمييز كالانسان (رأيت) يا أشرف الخلق وإن لم يتأهل غيرك لتلك الرؤية (خاشعا) أي
 متذللا بآياتها (متصدعا) أي متشققا غاية التشقق (من خشية الله) أي من الخوف العظيم
 بمن له الكمال كله وفي هذا حث على تأمل مواضع القرآن وتدبر آياته (وتلك الامثال) أي التي
 لا يضاهيها شيء (نضرب بالناس لعلمهم يتفكرون) فيؤمنون والمعنى أنالو أنزلنا هذا القرآن
 على الجبل لخشع لوعده وتصدع لوعيدته وأنتم أيها المشهورون بأعجازه لا ترغبون في وعده
 ولا ترهبون من وعيده والغرض من هذا الكلام التنبيه على مساواة قلوب هؤلاء الكفار
 وغلظ طباعهم وتظهير ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وقيل الخطاب
 للنبي صلى الله عليه وسلم أي لو أنزلنا هذا القرآن يا محمد على جبل لما ثبت وتصدع من نزوله عليه
 وقد أنزلناه عليك وثبتنا له فيكون ذلك امتثانا عليه أن يثبت له الجبال وقيل أنه
 خطاب للامة والمعنى لو أنذرهم هذا القرآن الجبال اتصدعت من خشية الله تعالى
 والانسان أقل قوة وأكثر ثباتا فهو يقوم بحقه ان أطاع ويقدر على رده ان عصى لانه موهود
 بالثواب ومزجور بالعقاب * ولما وصف تعالى القرآن بالعظم ومعالم ان عظم الحق تابع
 لعظم الموصوف أتبع ذلك بوصف عظمته تعالى فقال عز من قائل (هو) أي الذي وجوده من
 ذاته فلا عدم له بوجه من الوجوه فلا شيء يستحق الوصف به وغيره لانه الموجود دائما أزلا وأبدا
 فهو حاضر في كل ضمير غائب بعظمته عن كل حس فلذلك تصدع الجبل من خشيته * ولما عبر
 عنه بأخص أسمائه أخبر عنه لطفابنا وتنزلنا بأشهرها الذي هو مسمى الاسماء كلها بقوله تعالى
 (الله) أي المعبود الذي لا تنبغي العبادة والالوهية الاله (الذي لا اله الا هو) فانه لا يجانس له
 ولا يليق ولا يصح ولا يتصور أن يكافئه أو يدانيه شيء والاله أول اسم لله تعالى فلذلك لا يكون
 أحد مسلما الا بتوحيده فتوحيده فرض وهو أساس كل فريضة (عالم الغيب) أي الذي غاب
 عن جميع خلقه (والشهادة) أي الذي وجد في كل مكان يحسه ويطلع عليه بعض خلقه
 وقال ابن عباس معناه عالم السر والعلانية وقيل ما كان وما يكون وقال سهل عالم بالآخرة
 والدنيا وقيل استوى في علمه السر والعلانية والموجود والمعدوم وقوله تعالى (هو الرحمن)

(الرحيم) معناه ذو الرحمة ورحمة الله تعالى ارادته الخير والنعمة والاحسان الى خلقه وقيل ان رحمن أشد مبالغة من رحيم ولهذا قيل هو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لانه تعالى باحسانه في الدنيا يعم المؤمن والكافر وفي الآخرة يختص انعامه واحسانه بالمؤمنين (هو الله) أى الذى لا يقدر على تعميم الرحمة لمن أراد وتخصيصها بمن شاء الا هو (الذى لا اله) أى لا معبود بحق (الا هو الملك) أى فلا ملك في الحقيقة الا هو لانه لا يحتاج الى شئ لانه مهما أراد كان فهو متصرف بالامر والنهي في جميع خلقه فهم تحت ملكه وقهره وارادته (القدوس) أى البليغ في التزاهة عن كل وصف يدركه حس أو يتصوره خيال أو يسبق اليه وهم أو يحتلج اليه ضمير ونظيره السبوح وفي تسبيح الملائكة سبحوح قدوس وب الملائكة والروح (السلام) أى الذى سلم من النقائص وكل آفة تلحق الخلق فهو بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة في وصف كونه سليما من النقائص أو في اعطائه السلامة (المؤمن) قال ابن عباس هو الذى آمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به عذابه وقيل هو المصدق لرسوله باظهار المعجزات لهم والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب وبما أوعدهم الكافرين من العذاب وقال مجاهد المؤمن الذى وحد نفسه لقوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو قال ابن عباس اذا كان يوم القيامة أخرج أهل التوحيد من النار وأقول من يخرج من وافق اسمه اسم نبي حتى اذا لم يبق فيها من وافق اسمه اسم نبي قال الله تعالى لباقيهم أنتم المفلحون وأنا السلام وأنتم المؤمنون وأنا المؤمن فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين (المهيمن) قال ابن عباس أى الشهيد على عبادته بأعمالهم الذى لا يغيب عنه شئ وقيل هو القائم على خلقه بقدرته وقيل هو الرقيب الحافظ لكل شئ مفيعل من الامن قلبت همزته هاء (العزيز) أى الذى لا يوجد له نظير وقيل هو الغالب القاهر (الجبار) الذى جبر خلقه على ما أراد أو جبر حالهم بمعنى أصلحه والجبار في صفة الله صفة مدح وفي صفة الناس صفة ذم وكذا قوله تعالى (المتكبر) أى الذى تكبر على كل ما يوجب حاجته أو نقصا وهو في حقه تعالى صفة مدح لانه له جميع صفات العلو والعظمة وفي صفة الناس صفة ذم لان المتكبر هو الذى يظهر من نفسه التكبر وذلك نقص في حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا أظهر التكبر كان كذابا في فعله (سبحان الله) أى تنزه الملك الاعلى الذى اختص بجميع صفات الكمال تنزها لا تدركه العقول منه أكثر من أنه علا عن أوصاف الخلق فلا يدانيه شئ من نقص تعالى (عياشركون) أى من هذه المخلوقات من الاصنام وغيرها مما في الارض أو في السماء من صغير وكبير وجليل وحقيق (هو) أى الذى لا شئ يستحق أن يطلق عليه هذا الضمير غيره لان وجوده من ذاته ولا شئ غيره الا وهو ممكن ولما ابتدأ به هذا الغيب المحض الذى هو أظهار الاشياء أخبر عنه بأشهر الاشياء الذى لم يقع فيه شرك بوجه فقال تعالى (الله) أى الذى ليس له سمي فلا كف له فهو المعبود بالحق فلا شريك له بوجه (الطاف) أى المقدر للاشياء على مقتضى حكمته (البارئ) أى الخالق المحدث للأشياء من العدم الى الوجود بربا من التفاوت وقوله تعالى (المصور) أى الذى يخلق

أصو ولا شـياء على ما يريد بـكسر الواو ورفع الراء اما صفة واما خبر واحترفت بهذا الضبط
 عن قراءة أمير المؤمنين على بن أبي طالب والحسن فانهم ما قرأ بفتح الواو ونصب الراء وهي قراءة
 شاذة وانما تعرضت لها لآبين وجهها وهو أن تخرج هذه القراءة على أن يكون المصور منصوبا
 بالبارئ والمصور هو الانسان اما آدم واما هو وشوه وعلى هذه القراءة يحرم الوقف على المصور
 بل يجب الوصل ليظهر النصب في الراء والا فقد يتوهم منه في الوقف ما لا يجوز (له) أى خاصة
 (الاسماء الحسنى) التسعة والتسعون الواردة فيها الحديث وقد ذكرتها في سورة الاسراء والحسنى
 تأنيث الاحسن (يسج) أى يكثر التنزيه الاعظم عن كل شئ من شوائب النقص على سبيل
 التجدد والاستمرار (له) أى على وجه التخصيص (ما فى السموات) أى السموات وما فيها
 (والارض) وما فيها (وهو) أى والحال أنه وـ هذه (العزیز) أى الذى يغاب كل شئ ولا يغلبه
 شئ (الحكيم) أى الجامع الكمالات بأسرها فانما راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم وعن
 معقل بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله
 السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث آيات من سورة الحشر وكل الله به سبعين
 ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وان مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قاله حين يمسي كان
 كذلك أخرجه الترمذى وقال حسن غريب وعن أبي هريرة أنه قال سألت خليلي أبا القاسم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك بأخيرة سورة الحشر فأكثر قراءتها
 فأعدت عليه فأعاد على وقال جابر بن زيد ان اسم الله الاعظم هو الله لمكان هذه الآية
 وما رواه البيضاوى تعال للزخشرى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الحشر غفر له
 ما تقدم من ذنبه وما تأخر حديث موضوع

❖ (سورة الممتحنة مدنية) ❖

وهي ثلاث عشرة آية وثلاثمائة وثمان وأربعون كلمة وألف وخمسمائة وعشرة أحرف

(بسم الله) الذى من تولاہ أغناه عن سواء (الرحمن) الذى شمل برحمته البيان من حاطه
 بالعقل ورعاه (الرحيم) الذى خص بالتوفيق من أحبه وارفضاه * ونزل فى حاطب بن أبى بلتعنة
 (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى) أى وأنتم تدعون موالا فى (وعدوكم) أى العريق
 فى عداوتكم مادمت على مخالفتة فى الدين (أولياء) وذلك ما روى ان مولاة لابی عمرو بن صبيح
 يقال له سارة أتت النبی صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها أمسلة جنت
 قالت لا قال أفهاجرة جنت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الـاهـل والموالى والعشيرة
 وقد ذهبت الموالى فعنى قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتهطوني وتكسوني
 فقال صلى الله عليه وسلم فأين أنت عن شباب أهل مكة وكانت مغنية نائمة قالت ما طلب مني
 شئ بعد وفاة بدر فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب على اعطائها فكم بها
 وحملوها وزودوها فأتاها حاطب بن أبى بلتعنة وأعطاه عشرة دنانير وكأها بردا واستعملها

كتابا لاهل مكة نسختهم من حاطب بن أبي باتمة الى اهل مكة اعلوا ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يريدكم فخذوا حذرکم وقد توجه اليكم بجيش كالليل واقسم بالله لو لم يسرا اليكم الا وحده
 لا ظفره الله تعالى بكم وانجز له وعده فيكم قاله عليه وسلم وناصره فخرجت سارة ونزل جبريل
 عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والماء - داد
 وأيامهم ثدو **كانوا** فرسا او قال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظهينة معها كتاب من
 حاطب الى اهل مكة فخذوه منها واخلوها فان أبت فاضربوا عنقه فان ذكروها فجددت وحافظت
 مامعها كتاب ففتشوا مامعها فلم يجدوا معها كتابا فهدموا بالرجوع وقال علي والله ما كذبنا
 ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيفه وقال أخرجني الكتاب والا والله لا جردنك
 ولا ضربن عنقك فلما رأته الجدا أخرجته من عقاص شعرها فخلوا سبيلها ورجعوا بالكتاب الى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرن جميع الناس يوم
 الفتح الا أربعة هي أحدهم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال له هل تعرف هذا
 الكتاب قال نعم قال فما جلتك عليه فقال يا رسول الله ما **فرت** منذ أسلمت ولا غششتك
 منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ مصلقا في قريش وروى عزيرانيهم - م
 أي غريبا ولم أكن من أنفسهم وكل من معك من المهاجرين اهتم قرايات بمكة يحمون أهاليهم
 وأموالهم - م غري نخشيت على أهلي فأردت أن ألتجئ عندهم يا وقد علمت ان الله تعالى ينزل
 عليهم بأسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقته وقبل عذره فقال عمر دعني يا رسول الله أضرب
 عنق **هذا** المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعن الله قد اطلع على أهلي بدر فقال له - م اعملوا
 ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم واضافة العدو الى الله تعالى
 تغلظا في خروجهم وهذه السورة أصل في النهي عن موالات الكفار وتقدم نظيره في قوله
 تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من
 دونكم روى أن حاطبا لما سمع يا أيها الذين آمنوا غشي عليه من الفرح بخطاب الايمان ثم انه
 تعالى استأنف **ان** هذا الاتخاذ بقوله تعالى مشيرا الى غاية الاسراع والمبادرة الى ذلك بالتعبير
 بقوله تعالى (تلقون) أي جميع ما هو في حوزة **كم** مما لا تطعمون فيه القاء الشيء الثقيل
 من علو (اليهم) على بعدهم منكم حسا ومعنى (بالمودة) أي بسببها قال القرطبي تلقون اليهم
 بالمودة يعني بالظاهر لان قلب حاطب كان سليما بديل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أما
 صاحب **كم** فقد صدق **هذا** انص في اسلامه وسلامة فؤاده وخلوص اعتقاده وقرأ
 حزة بضم الهاء والباقون بكسرهما وقوله تعالى (وقد كفروا) أي غطوا جميع ما لكم من
 الادلة (بما) أي بسبب ما (جاءكم من الحق) أي الامر الثابت الكامل في الثبات الذي لا شيء
 أعظم ثباتا منه فيه أوجه أحدها الاستئناف ثانياها الحال من فاعل تتخذوا ثالثها الحال
 من فاعل تلقون أي لا تتولواهم ولا تؤادوهم وهذه حالهم وقوله تعالى (يخرجون الرسول)
 يجوز أن يكون مستأنفا وأن يكون تفسير **الكم** فخرجهم فلا محل له على - م ذين وان يكون حالا

من فاعل كفروا وقوله تعالى (وَأَيَّاكُمْ) عطف على الرسول وقدم عليهم تشریفه صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (أَنْ تَوَدُّوا) أى تودعوا حقيقة الايمان مع التجدد والاستمرار (بالله) أى الذى اختص بجميع صفات الكمال (رَبِّكُمْ) أى المحسن اليكم تعليل ليخرجون والمعنى يخرجون الرسول ويخرجونكم من مكة لان تؤمنوا بالله أى لاجل ايمانكم بالله قال ابن عباس وكان حاطب بن اخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم وفى ذلك تغليب المخاطب والاتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان (أَنْ كُنْتُمْ تَخْرُجْتُمْ) أى عن أوطانكم وقوله تعالى (جِهَادًا فِي سَبِيلِي) أى بسبب ارادتكم تسهيل طريقى التى شرعتها لى بادى أن يسلكوها (وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي) أى لاجل تطلبكم أعظم الرغبة لرضاي عنه للخروج وعمدة للتعليل وجواب الشرط محذوف دل عليه لاتخذوا وقرأ الكسائي بالامالة محضة والباقون بالفتح وقوله تعالى (تَسْرَتُونَ) أى توجدون جميع ما يدل على مناصحتكم اياهم والتودد (إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ) أى بسبب ما يدل من تلقون قاله ابن عطية قال ابن عادل ويشبه أن يكون بدل اشتمال لان لقاء المودة يكون سرا أو جهرا أو استتاف واقتصر عليه الزمخشري (وَأَنَا) أى والجمال أنى (أَعْلَمُ) أى من كل أحد حتى من نفس الفاعل وقرأ نافع بعد النون (بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ) قال ابن عباس بما أخفئتم فى صدوركم وما أظهرتم بالسفنتكم أى فأى فائدة لاسراركم ان كنتم تعلمون انى عالم به وان كنتم تتوهمون أنى لأعلمه فهى القاصمة (وَمَنْ يَفْعَلْهُ) أى يوجد اسرار خبر اليهم ويكاتبهم (مِنْكُمْ) أى فى وقت من الاوقات (فَقَدْ ضَلَّ) أى عمى ومال وأخطأ (سَوَاءَ السَّبِيلِ) أى قويم الطريق الواسع الموصل الى القصد قويه وعدله قال القرطبي هذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل على فضله وكرامته ونصيحته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق ايمانه فان المعاتبة لاتكون الا من محب لحبيب كما قال القائل

اذا ذهب العتاب فليس ودة * ويبقى الود ما بقى العتاب

وقرأ قالون وابن كثير وعاصم باظهار الدال عند الضاد والباقون بالادغام (أَنْ يَتَّقَوْكُمْ) أى يظفروا بكم فى وقت من الاوقات ومكان من الاماكن (يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ) أى ولا يتفككم لقاء المودة اليهم (وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ) أى خاصة وان كان هناك فى ذلك الوقت من غير من قتل أعز الناس عليهم (أَيْدِيهِمْ) أى بالضرب ان استطاعوا (وَأَسْفَتَهُمْ) أى بالشتم مضومة الى فعل أيديهم فعل من ضاق صدره بما يتجرع من آخر من الغصص حتى أوجب له غاية السفة (بِالسُّوءِ) أى بكل ما من شأنه أن يسوء (وَوَدُّوا) أى تمنوا قبل هذا (لَوْ تَكْفُرُونَ) لان مصيبة الدين أعظم فهم اليها أسرع لان دأب العدو والقصد الى أعظم ضرر ليراه لعدوه وعبر بما يفهم التمنى الذى يكون فى المحالات ليكون المعنى انهم أحبوا ذلك غاية الحب وتمنوه وفيه بشرى بأنه من قبيل المحال وقدم الاول لانه أبين فى العداوة وان كان الثانى أنكى * ولما كانت عداوتهم معروفة وانما غطاها بحبة القرباب لان الحب للشئ يعنى ويصم نخطأ وأيهم فى موالاتهم بما أعلمهم به من حالهم فقال تعالى مستأنفا علما بأنهم أخطأ على كل حال

قوله وان كان هناك الخ المناسب وان كنتم من قبل اعز الناس عليهم

(لن تنفعكم) بوجه من الوجوه (أرحامكم) أي قراباتكم الحاملة لكم على رحمتكم والعطف
عليهم (ولأولادكم) أي الذين هم أخص أرحامكم ان واليتم أعداء الله تعالى لاجلهم فينبغي
ان لا تعدوا قريبتهم منكم بوجه أصـ لا ثم عل ذلك وبينه بقوله تعالى (يوم نقيم) أي القيام
الاعظم (يفصل) أي يوقع الفصل وهو الفرقة العظيمة بانقطاع جميع الاسباب وقرأ عاصم
بفتح الياء واسكان الفاء وكسر الصاد مخففة وقرأ ابن عامر بضم الياء وفتح الفاء وفتح الصاد
مشددة وحزة والكسائي كذلك الا أنهم ما يكسران الصاد والباقون بضم الياء وسكون الفاء
(بينكم) أي أيها الناس فيدخل من يشاء من أهل طاعته الجنة ومن يشاء من أهل معصيته
النافلا ينفع أحداً أحداً منكم بشئ من الأشياء الا ان كان قد أتى الله تعالى بقلب سليم فيأذن
الله تعالى في اكرامه بذلك (والله) أي الذي له الاسطة التامة (بما تعملون) أي من كل عمل
في كل وقت (بصبر) فيجازيكم عليه في الدنيا والآخرة ولما نهى تعالى عن موالاة الكفار
ذكر قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وأن من سيرته التبري من الكفار بقوله تعالى
(قد كانت) أي وجدت وجوداً تاماً وكان تأييد الفعل إشارة الى رضاهما ولو كانت على أدنى
الوجوه (لكم) أي أيها المؤمنون (أسوة) أي موضع اقتداء وتأسية في ابراهيم وطريقة
مرضية وقرأ أسوة في الموضعين عاصم بضم الهمزة والباقون بكسرها (حسنة) أي يرغب
فيها (في ابراهيم) أي في قول أبي الانبياء عليهم الصلاة والسلام (والذين معه) أي من كان
قبله من الانبياء قاله القشيري ومن آمن به في زمانه كابن أخيه لوط عليه الصلاة والسلام
وهم قدوة أهل الجهاد والهجرة وقيل المراد بمن معه أصحابه من المؤمنين وقرأ هشام
بفتح الهاء وألف بعدها والباقون بكسر الهاء وبعدها ياء أي فاقصدوا به الا في استغفاره لا فيه
قال القرطبي الآية نص في الامر بالاقتداء ابراهيم عليه الصلاة والسلام في فعله وذلك يدل
على أن شرع من قبلنا شرع لنا فيما أخبر الله ورسوله وقيل انه شرع لنا اذا ورد في شرعنا
ما يقرره وقيل ليس بشرع لنا مطلقاً وهو الاصح عندنا (اذ) أي حين (قالوا) وقد كان
من آمن به أقل منكم وأضعف (لقومهم) أي الكفرة وقد كانوا أكثر من عدوكم وأقوى
وكان لهم فيهم أرحام وقرابات ولهم فيهم رجا بالقيام والمحاولات (انابوا) أي متبرؤن بقرينة
عظيمة (منكم) وان كنتم أقرب الناس إلينا ولا ناصر لنا منهم غيركم (ومما تعبدون) أي
توجدون عبادته في وقت من الاوقات (من دون الله) أي الملك الاعظم (كفرنا بكم) أي
جحدناكم وأنكرنا دينكم (وبدا) أي ظهر ظهوراً عظيماً (بيننا وبينكم العداوة) وهي
المباينة في الافعال بأن يعدو كل أحد على الآخر (والغضا) وهي المباينة بالقلوب للبغض
العظيم * ولما كان ذلك قد يكون سريع الزوال قالوا (أبداً) أي على الدوام وقرأ نافع وابن
كثير وأبو عمرو في الوصل بابدال الهمزة الثانية المفتوحة بعد المضمومة واوا خاصة والباقون
بتحقيقها وهم على مراتبهم في المد والذوق جزء وهشام أبداً لا الهـ مزة الضامع المد والتوسط
والتصرو لهما أيضاً التسهيل مع المد والتصمر والروم معهما * ولما كان ذلك ويسا من صلاح

الحال وقد يكون لفظ النفس بينوا غايته بقولهم (حتى تؤمنوا بالله) أى الملك الذى له الكمال كله
(وحدده) أى تكونوا مكذبين بكل ما يعبد من دون الله تعالى وقوله تعالى (الاقول ابراهيم
لا ييه) فيه أوجه أحدها أنه استثناء متصل من قوله تعالى فى ابراهيم ~~ولكن~~ لا بد من حذف
مضاف ليصح الكلام تقديره فى مقالات ابراهيم الا قوله كيت وكيت ثانياً أنه مستثنى من
اسوة حسنة واقتصر على ذلك الجلال المحلى وبما ذكرنا لأن القول أيضاً من جملة الاسوة
لأن الاسوة الاقتداء بالشخص فى أقواله وأفعاله فكانه قيل لكم فيه اسوة فى جميع أحواله
من قول وفعل الا قوله كذا هو أوضح لانه غير محجوج الى تقدير مضاف وغير مخرج للاستثناء
من الاتصال الذى هو أصله الى الانقطاع ولذلك لم يذكر المخشى غيره ثالثاً قال ابن عطية
ويحتمل أن يكون الاستثناء من التبرى والقطعية التى ذكرت أى لم يبق صله الا كذا رابعها
أنه استثناء منقطع أى لكن قول ابراهيم وهذا بناء من قائله على أن القول لم يدرج تحت
قوله اسوة وهو ممنوع قال القرطبي معنى قوله تعالى الا قول ابراهيم لا ييه (لا تستغفرن لك) أى
فلا تتأسوا به فى الاستغفار فتستغفروا للمشركين فإنه كان عن موعدة منه له فانه قتادة
ومجاهد وغيرهما وقيل معنى الاستثناء أن ابراهيم هجر قومه وباعدهم الا فى الاستغفار لا ييه
ثم بين عذره فى سورة التوبة وفى هذا دلالة على تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء
لأنه حين أمرنا بالاعتداء به أمرنا أمر مطلقاً فى قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا وحين أمرنا بالاعتداء بابراهيم استثنى بعض أفعاله وهذا انما جرى لانه ظن انه أسلم
فلما بان أنه لم يسلّم تبرأ منه وعلى هذا فيجوز الاستغفار لمن يظن انه أسلم وأنتم لم تجدوا مثل هذا
الظن فلم توالوهم وقوله (وما أملاك من الله) أى من عذاب أو ثواب الملك الاعلى المحيط
بنعوت الجلال (من شئ) من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع
أحواله وقوله (ربنا) أى أيها المحسن اليانا (عليك) أى لا على غيرك (توكلنا) أى فوضنا أمرنا
إليك يجوز أن يكون من مقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام والذين معه فهو من جملة الاسوة
الحسنة وفصل بينهم بالاستثناء ويجوز أن يكون منقطعاً عما قبله على اضماع قول وهو تعليم
من الله تعالى لعباده كأنه قال لهم قولوا ربنا عليك توكلنا (والبك) أى وحدك (أبني) أى
رجعنا بجميع ظواهرنا وبواطننا (واليك) أى وحدك (المصير) أى الرجوع فى الآخرة
(ربنا) أى أيها المربي لنا والمحسن اليانا (لا تجعلنا قنينة للذين كفروا) أى بأن تسلطهم علينا
فيفتنونا بعذاب لا نختم له أو فيظنوا انهم على حق فيفتتنوا بذلك وقيل لا تعذبنا بعذاب من
عندك فيقولون لو كان هؤلاء على الحق لما أصابهم ذلك وقيل لا تسلط عليهم الرزق دوننا
فإن ذلك قنينة لهم (واغفر لنا) أى استر ما وقع منا من الذنوب واجمع عنه وأثره (ربنا) أى أيها
المحسن اليانا وأكثروا اعلاماً بشدة رغبتهم فى حسن الثناء عليه فقالوا (أنك أنت) أى وحدك
لا غيرك (العزیز) أى الذى يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ (الحكيم) أى الذى يضع الاشياء
فى أوفق محالها فلا يستطيع انقضائها ومن كان كذلك فهو حقيق بأن يعطى من أماله ما طلب وقوله

تعالى (لقد كان لكم) أي يا أمة محمد جواب قسم مقدر (فيهم) أي إبراهيم ومن معه من
 الانبياء والاولياء (أسوة حسنة) أي في التبري من الكفار وكرر للتأكيد وقيل نزل
 الثاني بعد الأول بقية قال القرطبي وما أكثر المكررات في القرآن على هذا الوجه وقوله تعالى
 (لمن كان يرجو الله) أي الملك المحيط بجميع صفات الكمال (واليوم الآخر) أي الذي
 يحاسب فيه على النقيير والقطمير بدل من الضمير في لكم بدل بعض من كل وفي ذلك بيان أن هذه
 الأسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة (ومن يتول) أي يوقع الاعراض عن أوامر
 الله تعالى فيؤا إلى الكفار (فإن الله) أي الذي له الاحاطة الكاملة (هو) أي خاصة (الغنى)
 أي عن كل شيء (الحديد) أي الذي له الحد المحيط لاحاطته بأوصاف الكمال فهو حميد في نفسه
 وصفاته أو جيد إلى أوليائه وأهل طاعته ولما نزلت الآية الأولى عادى المسلمون أقرباءهم
 من المشركين فعلم الله تعالى شدة وجد المسلمين في ذلك فنزل (عسى الله) أي أنتم جديرون
 بأن تطمعوا في الملك الأعلى المحيط بكل شيء قدرة وعلمًا (أن يجعل) أي بأسباب لا تعلمونها (بينكم
 وبين الذين عاديتهم منهم) أي كفار مكة (مودة) أي بأن يلهمهم الايمان فيصيروا لكم أولياء
 وقد جعل ذلك عام الفتح تحقيقا لما رجاء سبحانه لأن عسى من الله تعالى وعدوه هو لا يخلف الميعاد
 (والله) أي الذي له كمال الاحاطة (قدير) أي بالغ القدرة على كل ما يريد فهو يقدر على
 قلب القلوب ونيسير العسير (والله) أي الذي له جميع صفات الكمال (غفور) أي محم
 لايمان الذنوب وآثارها (رحيم) بكرم الخاطئين إذا أراد بالتوبة ثم بالجزاء غايه الاكرام
 فيغفر لما فرط منكم في موالاتهم من قبل وقبل وما بقي في قلوبكم من ميل الرحم وقوله تعالى
 (لا ينهاكم الله) أي الذي اختص بالجلال والاكرام (عن الذين لم يقاتلوكم) أي بالفعل
 (في الدين) الآية رخصة من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم قال ابن زيد
 هذا كان في أول الاسلام عند المواقعة وترك الامر بالقتال ثم نسخ قال قتادة نسخها فاقتلوا
 المشركين حيث وجدتموهم وقال ابن عباس نزلت في خزاعة وذلك أنهم صالحوا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحد افرخص الله تعالى في برهم وقال
 أكثر أهل التأويل انهم المحكمة واحتجوا بأن أسماء بنت أبي بكر قدمت أمها وهي مشركة عليها
 المدينة بهدايا فقالت أسماء لا أقبل منك هدية ولا تدخلني على بيتها حتى أستأذن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فسأله فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخل
 منزلها وأن تقبل هديتها وتكرمها وتحسن اليها وفي ذلك إشارة إلى الاقتصاري العداوة والولاية
 كما قال صلى الله عليه وسلم أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وبغض
 بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما وروى عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه أن
 أبا بكر الصديق رضي الله عنه طلق امرأته قتيلا في الجاهلية وهي أم أسماء بنت أبي بكر فقدمت
 عليهم في المدة التي كانت فيها المهادنة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش
 فأهدت إلى أسماء بنت أبي بكر قرطا وأشياء فكرهت ان تقبل منها حتى أتت رسول الله صلى الله

عليه وسلم فذكر ذلك له فأنزل الله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين
(ولم يخرجوكم من دياركم أن) أي لا ينهاكم عن أن (تدروهم) بنوع من أنواع البر الظاهرة
فإن ذلك غير صريح في قصد المودة (وتقسطوا اليهم) أي تعطوهم قسطاً من أموالكم على
وجه الصلة قال ابن العربي وليس يريد به من العدل فإن العدل واجب بين قاتل وقم
لم يقاتل وحكي أن القاضي اسمعيل بن اسحق دخل عليه ذمياً فأكرمه فأخذ عليه الحاضرون
في ذلك فتلا عليهم هذه الآية (إن الله) أي الذي له الكمال كله (يحب) أي يثيب (المقسطين)
أي الذين يزيلون الجور ويوقعون العدل (إنما ينهاكم الله) أي الذي له الاحاطة الكاملة
علماء وقدره (عن الذين قاتلوكم) أي جاهدوكم متعمدين اقتالكم (في الدين) أي عليه فليس
شيء من ذلك خارجاً عنه (وأخرجوكم من دياركم) أي بأنفسهم لبغضكم وهم عتاة أهل مكة
(وظاهروا) أي عاونوا غيرهم (على إخراجكم) وهم مشركو مكة وقوله تعالى (إن تولوهم)
بدل اشتغال من الذين أي اتخذوهم أولياء وقرأ البرزى بتشديد التاء والباقون بالتخفيف
ولما كان التقدير في أطاع فأولئك هم المفلحون عطف عليه قوله تعالى (ومن يتولهم) أي
يكلف نفسه الحمل على غير ما تدعو إليه الفطرة الأولى من المنازعة وأطلق ولم يقيد بكنكم ليعلم
المهاجرين وغيرهم والمؤمنين وغيرهم (فأولئك) أي الذين أبعدوا عن العدل (هم الظالمون)
أي الغريزون في إيقاع الأشياء في غير ما وضعتها ولما أمر المسلمين بترك موالاة المشركين
اقتضى ذلك مهاجرة المسلمين من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام وكان التناكح من أوكده أسباب
الموالاة فبين أحكام مهاجرة النساء بقوله تعالى (يأيها الذين آمنوا) أي أقروا بالآيمان
(إذا جاءكم المؤمنات) أي بأنفسهن (مهاجرات) أي من الكفار بعد الصلح معهم
في الحديبية (فامضوهن) أي بالخلف انهن مهاجرات لا رغبة في الإسلام لا بغضاً في
أزواجهن الكفار ولا عشقاً لرجال من المسلمين كذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفهن
قبل أن سبب الامتحان أنه كان من أرادت منه أن يضار زوجها قالت سأهاجر إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بامتحانهن (الله) أي المحيط بكل
شيء قدرة وعلم (أي منكم ومن أنفسهن) (بآيانهن) هل هو كائن أم لا على وجه الرسوخ
أم لا فإنه المحيط بما غاب كما طمته بما شوهه وانما وكل الأمر اليكم في ذلك ستر للناس (فإن
علمتوهن مؤمنات) أي العلم الممكن لكم وهو الظن المؤكد بالامارات الظاهرات بالخلف
وغيره (فلا ترجعهن) أي بوجه من الوجوه (إلى الكفار) وإن كانوا أزواجاً قال ابن
عباس لما جرى الصلح مع مشركي قريش عام الحديبية على أن من أتاه من أهل مكة رده اليهم
جاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية
بعد فأقبل زوجها وكان كافراً وكان صيني بن الراهب وقيل مسافر الخزومي فقال يا محمد
أردد علي امرأتى فأنت شرطت ذلك وهذه طيبة الكتاب لم تحجب بعد فأنزل الله تعالى هذه الآية
وروى ابن أم مكتوم بنت عقبة بن أبي معيط جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء أهلها

يسألونه أن يردّها وقيل هربت من زوجها عمرو بن العاص ومعهما اخوها عمارة والوليد
فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخويها وحبسهما فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ردّها علينا
للشرط فقال صلى الله عليه وسلم كان الشرط في الرجال لا في النساء فأنزّل الله تعالى هذه الآية
وعن عروة قال كان مما اشترط سهل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية أن لا
يأتيك منا أحد وان كان على دينك الا ردّدته اليّنا وخليت بيننا وبينه ففكره المؤمنون ذلك
وأبى سهل الا ذلك فكانت النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فردّ يومئذ أبا جندل الى أبيه سهل
ابن عمرو ولم يأت به أحد من الرجال الا ردّه في تلك المدة وان كان مسلماً حتى أنزل الله تعالى
في المؤمنات ما أنزل وهذا يوحى الى ان الشرط في رد النساء نسخ بذلك وهذا مذهب من يرى
نسخ السنة بالقرآن وقال بعض العلماء كله منسوخ بالقرآن وقالت طائفة لم يشترط ردّه
في العقد لفظاً وانما أطلق العقد في رد من أسلم فكان ظاهر العموم اشتماله عليهن مع الرجال
فبين الله تعالى تروجهن عن عمومهم وفرق بينهن وبين الرجال لأمريّن أحدهما انهن ذوات
فروج فخر من عليهن الثاني انهن أرق قلوباً وأسرع تقلباً منهم فأما المقيمة منهن على شركها
فردودة عليهن (لاهن) أي المؤمنات (حل) أي موضع حل ثابت (لهن) أي الكفار باستمتاع
ولا غيره وقوله تعالى (ولا هن) أي رجال الكفار (يجلون لهن) أي المؤمنات تأكيد للاول
لتلازمهما وقال البيضاوي والتكرير للمطابقة والمبالغة والاولى لحصول الفرقة والثانية
للمنع عن الاستئناف وقيل أراد استمرار الحكم بينهم فيما يستقبل كما هو في الحال ماداموا
مشركين وهن مؤمنات والمعنى لم يحل الله تعالى مؤمنة لكافر في حال من الاحوال وهذا أدل
دليل على ان الذي أوجب فرقة المسلمة من زوجها الكافر اسلامها لا هجرتها وقال أبو
حنيفة الذي فرق بينهما ما هو اختلاف الدارين والصحيح كما قال ابن عاذل الاول لان الله تعالى بين
العله وهو عدم الحل بالاسلام لا باختلاف الدار ولما نهي عن الرد وعلاه أمر بما قدم من
الاقساط اليهم فقال تعالى (واؤمهم) أي اعطوا الازواج (ما أنفقوا) أي عليهن من المهور
فان المهر في نظير أصل العشرة ودوامها وقد فوتتها المهاجرة فلا يجمع عليه خسارتان الزوجية
والمالية وأما الكسوة والنفقة فانه ما لما يتجدد من الزمان * (تنبيه) * أمر الله تعالى برد
ما أنفقوا الى الازواج وان الخطاب بهذا الامام وهل يجب ذلك أو ينسب ظاهر الآية
الوجوب ولكن رجح النذب وعليه الشافعي لان البضع ليس بمال فلا يشملها الايمان كما لا يشمل
زوجية والآية وان كان ظاهرها الوجوب محتملة للنذب الصادق بعدم الوجوب الموافق
للأصل وقال مقاتل يرد المهر للذي يتزوجها من المسلمين وليس لزوجها الكافر شيء وقال
قتادة الحكم في رد الصداق انما هو في نساء أهل الذمة فأما من لا عهد بينه وبين المسلمين فلا
يرد عليهم الصداق قال القرطبي والامر كما قال (ولا جناح) أي حرج وميل (عابكم)
يا أيها المشركون بالخطاب (ان تنكحوهن) أي تجتدوا زواجكم بهن بعد الاستبراء وان
كان أزواجهن من الكفار لم يطلقوهن لزوال العلق عنهن لان الاسلام فرق بينهما قال

الله تعالى وإن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ولما كان قد أمر بردمهور الكفار فكان وبما ظن أنه مغن عن تجديد مهرهن إذا انكحهن المسلم نفي ذلك بقوله (إذا أتيتموهن) أي لأجل النكاح (أجورهن) أي مهورهن وفي شرط انشاء المهر في نكاحهن أي إذا كان ما أعطى أزواجهن لا يقوم مقام المهر (ولا تكموا بعصم الكوافر) جمع عصمة وهي هنا عقد النكاح أي من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بهما فقد انقطعت عصمتها فلا يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علاقة زوجية والكوافر جمع كافرة كضوارب في ضاربة قال النخعي المراد بالآية هي المرأة المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وكان الكفار يتزوجون المسلمات والمسلمون يتزوجون المشركات ثم نسخ ذلك بهذه الآية فطلق عمر بن الخطاب حينئذ امرأتين له بمكة مشركتين قريية بنت أبي أمية فتزوجها معاوية بن أبي سفيان وهما على شركهما بمكة وأم كاثوم بنت عمرو والخزاعية أم عبد الله بن المغيرة فتزوجها أبو جهل بن حذافة وهما على شركهما بمكة فلما ولي عمر قال أبو سفيان معاوية طلق قريية فلا يرى عمر سلبه في بيتك فأبي معاوية وكانت عند طلحة بن عبيد الله أروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ففرق الإسلام بينهما ثم تزوجها في الإسلام خالد بن سعيد بن العاص وكانت ممن فرأى النبي صلى الله عليه وسلم من نساء الكفار فحبسها وزوجها خالد بن سعيد بن العاص بن أمية وقال الشعبي كانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة أبي العاص بن الربيع أسلمت ولحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم وأقام أبو العاص بمكة مشركا ثم أتى المدينة وأسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم روى أبو داود عن عكرمة عن ابن عباس بالنكاح الأول ولم يحدث شيئا قال محمد بن عمرو في حديث بعد ست سنين وقال الحسن بن علي بعد ستين قال أبو عمر فإن صح هذا فلا يخلو من وجهين إما أنهم لم تحض حتى أسلم زوجها وإما أن الأمر فيها منسوخ بقوله تعالى ويعولن أحق برذهن في ذلك يعني في عدتهن وهذا مما لا خلاف فيه أنه عني به العدة قال الزهري في قصة زينب هذه كانت قبل أن تنزل الفرائض وقال قتادة كان هذا قبل أن تنزل سورة براءة بقطع العهود بينهم وبين المشركين * (تنبيه) * المراد بالكوافر هنا عبدة الأوثان ومن لا يجوز ابتداء نكاحها وقيل هي عامة نسخ منهن نساء أهل الكتاب فعلى الأول إذا أسلم وثني أو مجوسي ولم تسلم امرأته فرق بينهما وهو قول بعض أهل العلم منهم مالك والحسن وطائفة وعطاء وعكرمة وقتادة لقوله تعالى ولا تكموا بعصم الكوافر وقال بعضهم ينتظر بهتمام العدة وهو قول الزهري والشافعي وأحمد واحتجوا بأن أبا سفيان بن الحرث أسلم قبل هذبة بنت عتبة امرأته وكان إسلامه بمكة الظهران ثم رجع إلى مكة وهنديها كافرة مقيمة على كفرها فأخذت بلحيته وقالت اقتلوا الشيخ الضال ثم أسلمت بعده بأيام فاستقرأ على نكاحهما لأن عدته لم تكن انقضت قالوا ومثله حكيم بن حزام أسلم قبل امرأته ثم أسلمت بعده فكانا على نكاحهما قال الشافعي ولا حجة لمن احتج بقوله تعالى بعصم الكوافر لأن نساء المؤمنين محررات على الكفار كما أن المسلمين لا تحل لهم الكوافر الوثنيات ولا المجوسيات لقوله تعالى

لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن ثم بينت السنة ان مراد الله تعالى من قوله هذا أنه لا يحل
 بعضهم لبعض الا ان أسلم الثاني منهما في العدة وقال أبو حنيفة وأصحابه في الكافرين
 الذميين اذا أسأت المرأة عرض على الزوج الاسلام فان أسلم والافرق بينهما قالوا ولو كانا
 حربيين فهي امرأته حتى تحيض ثلاث حيض اذا كانا جميعا في دار الحرب أو في دار الاسلام
 وان كان أحدهما في دار الحرب والاخر في دار الاسلام انقطعت العصمة بينهما وقد تقدم
 ان اعتبار الدار ليس بشئ وهذا الخلاف انما هو في المدخول بها فاما غير المدخول بها فلا يعلم
 خلافه في انقطاع العصمة بينهما اذا لاءت عليها وكذا يقول مالك في المرأة يرتد زوجها المسلم
 تنقطع العصمة بينهما لقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر وهو قول الحسن البصري والحسن
 ابن صالح وقال الشافعي وأحمد ينتظر بها تمام العدة فان كان الزوجان نصرانيين فاسلمت
 الزوجة فذهب مالك والشافعي وأحمد الى تمام العدة وهو قول مجاهد وكذا الثوري تسلم
 زوجته ان أسلم في عدها فهو أحق بها كما ان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل أحق
 بزوجتيهما لما أسلمتا في عدهما لما ذكر مالك في الموطأ قال بعض العلماء كان بين اسلام صفوان
 وبين اسلام امرأته نحو من شهر قال ولم يبلغنا ان امرأة هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وزوجها كافر مقيم بدار الحرب الا فرقت هجرتهما بينهما وبين زوجها الا أن يقدم زوجها
 مهاجرا قبل ان تنقضي عدها وقال بعضهم ينفسخ النكاح بينهما لما روى يزيد بن علقمة
 قال أسلم جدتي ولم تسلم جدتي ففرق بينهما عرو وهو قول طاوس وعطاء والحسن وعكرمة قالوا
 لا سبيل له عليها الا بخطبة (واسألوا) أي أيها المؤمنون الذين ذهبت زوجاتهم الى الكفار
 مرتدات (ما أنفقتم) أي من مهور نسائكم (واسألوا) أي الكفار (ما أنفقوا) أي
 من مهور أزواجهم الا ان أسلمن قال المفسرون كان من ذهب من المسلمات مرتدات الى
 الكفار من اهل العهد يقال للكفار هراواتها ويقال للمسلمين اذا جاء أحد من الكافرات
 مسلمة مهاجرة ردتوا الى الكفار هراواتها وكان ذلك نصفا وعدلا بين الحالين (ذلكم) أي الحكم
 الذي ذكر في هذه الآيات البعيدة تعلق الرتبة عن كل سفيه (حكم الله) أي الملك الذي له
 صفات الكمال فلا تلحقه شائبة نقص (يحكم) أي الله اذ حكمه على سبيل المبالغة (بينكم)
 أي في هذا الوقت وفي غيره على هذا المنهاج البديع وذلك لاجل الهدنة التي كانت وقعت بين
 النبي صلى الله عليه وسلم وبينهم وأما قبل الحديبية فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمسك النساء
 ولا يرد الصدقات (والله) أي الذي له الاحاطة الشاملة (علمي) أي بالغ العلم لا يفتني عليه شئ
 (حكيم) أي فهو لتمام علمه يحكم كل أموره غاية الاحكام فلا يستطيع أحد نقض شئ منها روى
 ان المسلمين قالوا رضينا بما حكم الله تعالى وكتبوا الى المشركين فاستمعوا فأنزل قوله تعالى (وان
 فاتكم شئ من أزواجكم) أي واحدة فأكثرنهن أو شئ من مهورهن بالذهب (الى الكفار)
 مرتدات (فعاقبتن) فغزوتن وغنمتن من أموال الكفار بغنائن توبة تطفركم بأداء المهر الى
 اخوانكم طاعة وعدلا عقب نوبتهم التي اقتطعوا فيها ما أنفقتم ظلمنا (فأتوا) أي فاحضروا

واعطوا من مهر المهاجرة (الذين ذهب أزواجهن) أي منكم من الغنيمة (مثل ما أنفقوا)
 أي لقواته عليهم من جهة الكفار روى الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت حكمكم
 الله تعالى بينهم فقال جل ثناؤه واسألوهم ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا فكتب إليهم المسلمون
 قد حكم الله تعالى بيننا بأنه ان جاء تنكم امرأة منا أن توجهوا اليها صداقها وان جاءتنا امرأة
 منكم وجهنا اليكم بصداقها فكتبوا أما نحن فلا نعلم لكم عندنا شيئا فان كان لنا عندكم شيء
 فوجهوا به فأنزل الله تعالى وان فاتكم شيء من أزواجكم الآية وقال ابن عباس في قوله تعالى
 ذلكم حكم الله أي بين المسلمين والكفار من أهل العهد من أهل مكة يريد بعضهم على بعض
 قال الزهري ولولا العهد لأمسك النساء ولم يرد عليهم صداقا وقال قتادة وبجاهدنا أمرا
 أن يعطوا الذين ذهب أزواجهن مثل ما أنفقوا من النى والغنيمة وقالاهي فبين بيننا وبينه
 عهد وقالاهي فما قبلتم فما قصصتم فاتوا الذين ذهب أزواجهن مثل مثل ما أنفقوا أي من
 المهور وقال ابن عباس معنى الآية ان لحقت امرأة مؤمنة بكفار أهل مكة وايس بينكم وبينهم
 عهد ولها زوج مسلم قبلكم فغنم فاعطوا هذا الزوج المسلم مهره من الغنيمة قبل ان يخلص
 وقال الزهري يعطى من مال النى وعنه يعطى من صداق من لحق بها * (تنبيهه) * محصل
 مذهب الشافعي في هذه الآية ان الهدنة لو عقدت بشرط ان يردوا من جاءهم منا من صداق
 ولزمهم الوفاء به سواء أكان رجلا أو امرأة حراً أو رقيقاً فان امتنعوا من رده فمأقضون للعهد
 لمخالفتهم الشرط أو عقدت على أن لا يردوه جاز ولو كان المرتدة امرأة فلا يلزمهم رده لانه
 صلى الله عليه وسلم شرط ذلك في مهادة قريش حيث قال لسهل بن عمرو وقد جاء رسولاً منهم من
 جاءنا منكم رددناه ومن جاءكم منا فصحوا صحته وامثلوه ما ألوا أطلق العقد كما فهم بالاولى ويغرمون
 فيها مهر المرتدة (فان قيل) لم غرموا مهر المرتدة ولم تغرم نحن مهر المسلمة على ما تقدم من
 الخلاف (أجيب) بأنهم قد فوتوا عليه الاستتابة الواجبة علينا وأيضا لما منع جاء من جهتها
 والزواج غير متمكن منها بخلاف المسلمة الزوج متمكن منها بالاسلام وكذا يغرمون قيمة رقيق
 ارتد دون الحر فان عاد الرقيق المرتدة اليها بعد أخذنا قيمته رددناها عليهم بخلاف نظيره في المهر
 لان الرقيق يدفع القيمة يصير ملكا لهم والنساء لا يصرن زوجات (فان قيل) كونه يصير ملكا لهم
 مبني على جواز بيع المرتدة للكافر والصحيح خلافه (أجيب) بأن هذا ليس مبني عليه لاق هذا
 ليس ببيع حقيقة فاعتقر ذلك لاجل المصلحة وان شرطنا عدم الرد (فان قيل) هل يغرم الامام
 لزواج المرتدة ما أنفق من صداقها لانه لا يباع الهدنة حلما بينه وبينها ولولا لقائناهم حتى يردوها
 (أجيب) بأن هذا ينبغي على ان الامام هل يغرم لزواج المسلمة المهاجرة ما أنفق وقد تقدم
 الكلام على ذلك * (فائدة) * روى عن ابن عباس انه قال لحق بالمشركين من نساء المؤمنين
 لمهاجرين ست نسوة أم الحكم بنت أبي سفيان وكانت تحت شداد بن عياض الفهري
 وفاطمة بنت أبي أمية بن المغيرة أخت أم سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب فلما أراد عمر أن
 يهاجرا بت وارتدت وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت عبيد العزيز

ابن نضلة ونزوحها عمرو بن عبدود وهند بنت أبي جهل بن هشام كانت تحت هشام بن العاص
ابن وائل وأم كلثوم بنت جرجول كانت تحت عمر بن الخطاب رجعت عن الاسلام فأعطى رسول
الله صلى الله عليه وسلم أزواجهن مهور ونسأتهن من الغنمة ولما كان النحر في مثل ذلك
عسرافان المهورتان فاوت تارة وتساوى أخرى قال تعالى (واتقوا) أى فى الاعطاء والمنع
وغير ذلك (الله) الذى له صفات الكمال وقد أمركم بالتخاطب بصفاته على قدر ما تطيقون
(الذى أنتم به مؤمنون) أى متمكنون فى رتبة الايمان ولما خاطب المؤمنين الذين هم موضع
الحماية والحصرة للذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد الحكم بايمانهم بمبايعتهن بقوله تعالى
(يا أيها النبي) مخاطباً له بالوصف المقضى للعلم (إذا جاءك المؤمنات) جعل اقبالهن عليه صلى
الله عليه وسلم لاسيما مع الهجرة مصححاً لاطلاق الهجرة عليهن (يبايعنك على أن لا يشركن)
أى كل واحدة منهن تباعك على عدم الاشراك فى وقت من الاوقات (بالله) أى الملك الذى
لا كفو له (شياً) أى من اشراك على الاطلاق (ولا يسرقن) أى يأخذن مال الغير بغير استحقاق
فى خفية (ولا يزنبن) أى يمكن أحداً من وطئن بغير عقد صحيح (ولا يقتلن أولادهن) أى
بالوأد كما كان يفعل فى الجاهلية من وأد البنات أى دفنن أحياء خوفاً للعار والفقر (ولا يأتين
بهتان) أى يولدن ما قوط أو شبهة بأن (يفترينه) أى يتعمدن كذبه بأن ينسبهن للزوج ووصفه
بصفة الولد الحقيقى بقوله تعالى (بين أيديهن) أى بالحل فى البطون لأن بطنها التى تحمل فيها الولد
بين يديها (وأرجلهن) أى بالوضع من الفروج لأن فرجها الذى تلد منه بين أرجليها ولأن
الولد اذا وضعت سقط بين يديها وأرجليها وقيل بين أيديهن ألسنتهن بالنخيمة ومعنى بين أرجلهن
فروجهن وقيل ما بين أيديهن من قبله أو جسة وبين أرجلهن الجماع وروى أن هند لما سمعت
ذلك قالت والله إن البهتان لا مرقبيج وما يأمر الابا بالارشاد ومكارم الاخلاق (ولا يعصينك)
أى على حال من الاحوال (فى معروف) وهو ما وافق طاعة الله تعالى كترك النباحة وتزويق
الثياب وجز الشعر وشق الجيب وخش الوجه (فبايعهن) أى التزم لهن بما وعدن على ذلك
من اعطاء الثواب فى تطهير ما الرمن أنفسهن من الطاعة فبايعهن صلى الله عليه وسلم بالقول
ولم يصافح واحدة منهن قالت عائشة رضى الله عنها والله ما أخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم على النساء قط الا بما أمر الله عز وجل وما صلت كف رسول الله صلى الله عليه
وسلم كف امرأة قط وروى أنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يبائع النساء بالكلام
بهذه الآية أن لا يشركن بالله شيئاً الى آخرها قالت وما صلت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم
يد امرأة الا امرأة يملكها وقالت أمية بنت رقيقة بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى نسوة فقال فيما استطعتن أظعن فقلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم بنا من أنفسنا
وقلت يا رسول الله صافحنا فقال انى لأصافح النساء انما قولى لامرأة كقولى لمائة امرأة
وروى انه صلى الله عليه وسلم بايع النساء وبين يديه وأيديهن توب وكان يثـ ترط عليهن وقالت
أم عطية لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جمع نساء الانصار فى بيت ثم أرسل إلى ابنا

عمر بن الخطاب فقام على الباب فلم فردد عليه السلام فقال أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكن أن لا تشركن بالله شيئا الآية فقلن نعم فتديده من خارج البيت ومددنا أيدينا من داخل البيت ثم قال اللهم اشهد وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا بايع النساء دعا بقدر من ماء فغس يده فيه فغسن أيديهن فيه وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بيعه الرجال يوم الفتح لمكة وهو على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه وهو يبايع النساء بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبلغهن عنه أن لا يشركن بالله شيئا وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متقبلة متسكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها لما صنعت بحمزة يوم أحد فقالت والله أنك لتأخذ علينا أمرا مارأيتك أخذته على الرجال وكان يبايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم ولا يسرقن فقالت هذان أباسفيان رجل شحيح واني أصيب من ماله قوتنا فلا أدري أيحل لي أم لا فقال أبو سفيان ما أصبت من شيء فيما مضى وما غبر فهو لك خلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك وروى أنها قالت يا رسول الله إن أباسفيان رجل مسيك فهل على حرج إن أخذت ما يكفيني وولدي قال لا إلا بالمعروف ونخست هذان تقتصر على ما يعطيهما فتضيع أو تأخذ أكثر من ذلك فتكون سارقة ناكثة للبيعة المذكورة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ذلك أي لا حرج عليك فيما أخذت بالمعروف يعني من غير استطالة إلى أكثر من الحاجة ثم قال ولا يزني فقالت هندا وترني الحرة فقال ولا يقتلن أو لا دهن أي بالو أد ولا يسقطن الأجنة فقالت هندا وبيناهم صفارا وقتلهم يوم بدر كبارا وأنت وهم أعلم وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ولا يأتين بهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن فقالت والله إن البهتان لا هرقيص وماتأمرنا إلا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا إن نعصيك في شيء قال أكثر المفسرين من معناه لا يلحقن بأزواجهن ولدا من غيرهن وكانت المرأة تلتمط ولدا تلحقه بزوجهما وتقول هذا ولدي منك فكان هذا من البهتان والافتراء وهذا عام في الاتيان بولد والحاقه بالزوج وإن سبق النهي عن الزنا * (تنبيه) * ذكر تعالى في هذه الآية لرسوله صلى الله عليه وسلم في صفة البيعة خلاصا لستأصرح فيهن بأركان النهي ولم يذكر أركان الامر وهي ست أيضا الشهادة والزكاة والصلاة والصيام والحج والاعتسال من الجنابة وذلك لان النهي دائم في كل زمان وكل الاحوال فكان التقييه على اشتراط الدائم أكد وقيل إن هذه المناهي كانت في النساء كثيرا ممن يرتكبنها ولا يحجزهن عنها شرف النسب فخصت بالذكر لهذا ونحو هذا قوله صلى الله عليه وسلم لو فد عبد القيس وأنها كم عن الدباء والخنم والنقير والمزفت فنبههم على ترك المعصية في شرب الخمر دون سائر المعاصي لانها كانت شهوتهم وعاداتهم وإذا ترك المرء شهوته من المعاصي هان عليه ترك سائرها مما لا شهوة له فيها ولما كان

الانسان محل النقصان لاسمائه الله وان رجا من سبحانه بقوله تعالى (واستغفر) أى اسأل (لهن الله) أى الملك الاعظم ذا الجلال والاکرام في الغفران ان وقع منهن تقصير وهو واقع لانه لا يقدر احد ان يقدر الله تعالى حق قدره (ان الله) أى الذى له صفات الكمال (غفور) أى بالغ السعة للذنوب عينا وأثرا (رحيم) أى بالغ الاكرام بعد الغفران قفلا منه واحسانا وروى ان ناسا من فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك بقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا) أى لا تعالجوا أنفسكم أن تولوا (قوما) أى ناسا لهم قوة على ما يحاولونه فغيرهم من باب أولى (غضب الله) أى أوقع الملك الاعلى الغضب (عليهم) لا قبالة لهم على ما أحاط بهم من الخطايا فهو عام في كل من اتصف بذلك يتناول اليهودتنا ولا أوليا (قد ينسوا) أى تحققوا عدم الرجاء (من الآخرة) أى من ثوابها مع ايقانهم بالعنادهم النبي صلى الله عليه وسلم مع علمهم أنه الرسول المبعوث في التوراة (كما ينس الكفار من أصحاب القبور) أى من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا أحياء وقيل من أصحاب القبور بيان للكفار أى كما ينس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة اذ تعرض عليهم مقاعد من الجنة لو كانوا آمنوا وما يصيرون اليه من النار فيتبين لهم قبح حالهم وسوء منقلبهم وما قاله البيضاء ويبال للزحشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة حديث موضوع

﴿سورة الصف مدنية﴾

في قول الاكثرين وذكر النحاس عن ابن عباس انها مكية وهي أربع عشرة آية ومائتان واحد عشر وعشرون كلمة وتسعمائة حرف

(بسم الله) الملك الاعظم الذى لا كفو له (الرحمن) الذى عمّ بفضله كل أحد من خلقه (الرحيم) الذى خص من شاء من عباده فهيأ له عبادته وأهله (سبح لله) أى أوقع التنزيه الاعظم للملك الاعظم (ما في السموات) من جميع الاشياء من الملائكة وغيرها كالأفلاك والنجوم (وما في الارض) كذلك من الآدميين وغيرهم كالشجر والثمار وقيل اللام مزيدة أى نزه الله وأتى بمادون من قال الجلال المحلى تغليباً لاكثر اهـ (فان قيل) ما الحكمة في أنه تعالى قال في بعض السور سبح لله بلفظ الماضي وفي بعضها يسبح بلفظ المضارع وفي بعضها فسبح بلفظ الامر (أجيب) بأن الحكمة في ذلك تعليم العبد ان يسبح الله تعالى على الدوام كما ان الماضي يدل عليه في الماضي والزمان والمستقبل يدل عليه في المستقبل من الزمان والامر يدل عليه في الحال (فان قيل) هلا قيل سبح لله السموات والارض وما فيها وما هو أكثر مباغة (أجيب) بأن المراد بالسما جهة العلو فيشمل السماء وما فيها وبالارض جهة السفلى فيشمل الارض وما فيها (وهو) أى وحده (العزير) أى الغالب على غيره أى شئ كان ذلك الغير ولا يمكن ان يغلب عليه غيره (الحكيم) أى الذى يضع الاشياء في اتقن مواضعها وروى الدارمي

في مسنده قال أنبا تاج محمد بن كثير عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام قال قعدنا مع نضر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو تعلم أي الأعمال أحب إلى الله تعالى لعملنا فأنزل الله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم (يا أيها الذين آمنوا) أي ادعوا إلى الإيمان (لم تقولون ما لا تفعلون) حتى ختمها قال عبد الله فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ختمها قال أبو سلمة فقرأها علينا عبد الله بن سلام حتى ختمها قال يحيى فقرأها علينا أبو سلمة فقرأها علينا أبو يحيى فقرأها علينا الاوزاعي فقرأها علينا محمد فقرأها علينا الدارمي انتهى ولي بقراءتها سند متصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن عباس قال عبد الله بن راحة لو علمنا أحب الأعمال إلى الله تعالى لعملنا فلما نزل الجهاد كرهوه وقال الكلبي قال المؤمنون يا رسول الله لو علمنا أحب الأعمال إلى الله تعالى لسارعنا إليه فنزل هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم فكثروا زمانا يقولون لو تعلمها لا تتريناها بالأموال والأنفس والأهلين فدلهم الله تعالى عليها بقوله تعالى تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله الآية فابتلوا يوم أحد ففروا فنزلت هذه الآية تعبير اللهم بترك الوفاء وقال محمد بن كعب لما أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم شهدائنا لقينا قتالنا لفرغنا فيه وسعدنا ففروا يوم أحد فغيرهم الله تعالى بذلك وقال قتادة والصحابة نزلت في قوم كانوا يقولون نحن جاهدنا وأبلىنا ولم يفعلوا وقيل قد آذى المسلمين رجل ونكس فيهم فقتله صهيب واتحل قتله آخر فقال عمر لصهيب أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنك قتلت فقتل انما قتلته لله ورسوله فقال عمر يا رسول الله قتله صهيب قال كذلك يا أبي يحيى قال نعم فنزلت في المتحل وقال ابن زيد نزلت في المنافقين وندأوهم بالإيمان تهكم بهم وبإيمانهم وكانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ان خرجتم وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرجوا نكصوا عنهم وتحذروا وقال القرطبي هذه الآية توجب على كل من الرم نفسه عملا فيه طاعة ان ينبي به وفي صحيح مسلم عن أبي موسى أنه بعث إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرؤا القرآن فقال أنتم خيار أهل البصرة وقرأوهم فأتوهم ولا تطولن عليهم الامد فتفسد قلوبكم كما قست قلوب من قبلكم وأنا كنا نقرأ سورة فشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غيراً في قد حفظت منها لو كان لابن آدم واديان من مال لا يتغنى واديانك والشا ولا عيلاً جوف ابن آدم إلا التراب وكان نقرأ سورة فشبهها بأحدى المسحجات فأنسيتها غيراً في حفظت نهايا بها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فلبثت شهادة في أعناقكم فتسئلون عنها يوم القيامة قال ابن العربي وهذا كله ثابت في الدين لفظاً ومعنى في هذه السورة وأما قوله شهادة في أعناقكم فتسئلون عنها يوم القيامة فعني ذلك ثابت في الدين فان من التزم شيئاً الرمة شرعاً وقال القرطبي ثلاث آيات نعتني ان أقضى على الناس أنأمرهم بالناس بالبر وتنسبون أنفسكم وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه وبأياها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيت ليلة أسري بي على قوم نحر من شفاهم بخمار يرض من نار كلما قرضت عادت غلت من هؤلاء

يا جبريل قال هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون ويقرؤن كتاب الله ولا يعملون به
 * (تنبيه) * قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون استفهام على وجه الانكار والتوبيخ على ان يقول
 الانسان عن نفسه من الخير ما لا يفعله اما في الماضي فيكون كذبا واما في المستقبل فيكون خلقا
 وكلاهما مذموم قال الزمخشري لم هي لام الاضافة داخله على ما الاستفهامية كما دخل عليها
 غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم وعم والام وعلام وانما حذف الا نفلان ما
 والحرف كشي واحد ووقع استعمالهما كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا
 والوقف على زيادة هاء السكت أو الاسكان ومن أسكن في الوصل فلا جرائه مجرى الوقف كما جمع
 ثلاثه أربعة بالهاء والفاء حركة الهمزة عليها محذوفة اه ووقف البرزى لم بهاء السكت بخلاف
 عنه (كبر) أي عظم وقوله تعالى (مقتا) تمييز والمقت أشد البغض وزاد في تشفيعه زيادة في التفسير
 منه بقوله تعالى (عند الله) أي الملك الاعظم الذي يحقر عنده كل متعاطف وقيل ان كبر من
 أمثلة التعجب وقد عده ابن عصفور في التعجب المبوب له في النحوق قال صبغة ما أفعله وأفعل به
 وفعل نحو كرم الرجل واليه فها الزمخشري فقال هذا من أفصح الكلام وأبلغه في معناه قصد في
 كبر التعجب من غير لفظه كقوله * غلت ناب كايب بواؤها * ومعنى التعجب تهظيم الامر في قلوب
 السامعين لان التعجب لا يكون الا من شئ خارج عن نظائره واشكاه وقوله تعالى (ان تقولوا)
 أي عظم من تلك الجهة ان يقع في وقت من الاوقات أحوال من الاحوال قولكم (ما لا تفعلون)
 فاعل كبر قال الرازي وجه تعلق هذه السورة بما قبلها هو ان في السورة التي قبلها بين الخروج
 الى الجهاد في سبيل الله وابتغاء مرضاته بقوله تعالى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء
 مرضاتي وفي هذا السورة بين ما يحمل المؤمن ويحمله على الجهاد بقوله تعالى (ان الله) أي الذي
 له جميع صفات السكال (يجب) أي يفعل فعل الحب مع (الذين يقاتلون) أي يوقعون القتال
 (في سبيله) أي بسبب تسهيل طريقه الموصلة الى رضاه وقوله تعالى (صفا) حال أي مصطفين
 حتى كانوا في اتحاد المراد على قلب واحد كما كانوا في التساوي في الاصططاف كالبدن الواحد
 (كانهم) من شدة التراص والمساواة باصدور والمناكب والثبات في المركز (بيان) وزاد في
 التأكيده بقوله تعالى (مرصوص) أي ملزوق بعض الى بعض ثابت كثبوت البناء وقال ابن
 عباس يوضع الحجر على الحجر ثم يرص باحجار صغار ثم يوضع اللبن عليه فيسميها أهل مكة المرصوص
 وقال الرازي يجوز أن يكون المعنى على أن يستوى شأنهم في حرب عدوهم حتى يـكـونوا في
 اجتماع الكلمة وموالات بعضهم بعضا كالبنين المرصوص قال القرطبي استدلل بعضهم بهذه
 الآية على ان قتال الرجل أفضل من قتال الفارس لان الفرسان لا يصططفون على هذه الصفة
 قال المهدوي وذلك غير مستقيم لما جاء في فضل الفارس من الاجر والغنية ولا يخرج الفرسان من
 معنى الآية لان معناها الثبات ولهذا يحرم الخروج من الصف ان قاومناهم الا متصرفا لقتال
 كنه ينصرف ليكن في موضع ويهجم أو ينصرف من مضيق ليتبعه العدو الى متسع من
 لاقبال أو تهيز الى فئة يستجدها ولو بعيدة قليلة أو كثيرة فيجوز ان يصرافه لقوله تعالى الا متصرفا

لقتال وتجوزا المبارزة لكافر لم يطلبها بلا كره وندب لقوى أذن له الامام أو نائبه لا قراره صلى الله
 عليه وسلم عليها وهي ظهرواثنين من الصفيين للقتال من البروز وهو الظهور فان طلبها كافر سنت
 للقوى المأذون له للمرابها في خبر أبي داود ولان في تركها حينئذ اضعا فالتا وتقوية لهم
 والا كرهت * ولما ذكر تعالى الجهاد ذكر قصة موسى وعيسى عليهما السلام تسليية لنبية صلى الله
 عليه وسلم ليصبر على اذى قومه مبتدئا بقصة موسى عليه السلام لتقدمه فقال تعالى (واذ)
 اى واذا كرى يا أشرف الخلق اذ (قال موسى لقومه) اى بنى اسرائيل وقوله (يا قوم) استعطاف
 لهم واستنهاض الى رضائهم (لم تؤذوني) اى تجدهون اذ اى مع الاسقرار وذلك حين رموه
 بالادرة كما مر في سورة الاحزاب ومن الاذى ما ذكر في قصة قارون أنه دس الى امرأة تدعى على
 موسى الفجور ومن الاذى قولهم اجعل لنا الها كما لهم آلهة وقولهم فاذهب انت وربك فقاتلا
 انا ههنا قاعدون وقولهم أنت قتلت هرون وغير ذلك وقوله تعالى (وقد تعلمون) بجله حالبة
 اى علمت علما قطعيا مع تجده لكم كل وقت بتجدد أسبابه بما أتيتكم به من المعجزات والكتاب
 الحافظ لكم من الزيغ (اى رسول الله) الملك الاعظم الذى لا يؤذونكم (اليكم) ورسوله
 يعظم ويحترم لانه تنزه جلالته وتحترم وأنالا أقول لكم شيئا الا عنه ولا أنطق عن الهوى (فلما
 راعوا) اى عدلوا عن الحق بخالفه أو امر الله تعالى وبإيدائه وقرأ حجة بالامالة والباقون بالفتح
 (أزاح الله) اى الملك الذى له الامر كله (فلو بهم) اى أماله عن الهدى على وفق ما قدره فى الازل
 (والله) اى الذى له الحكمة البالغة لانه المستجمع لصفات الكمال (لا يهدى) اى بالتوفيق
 بعد هداية البيان (القوم الفاسقين) اى العريقين فى الفسق الذين لهم قوة المحاولة فلم يحملهم
 على الفسق ضعف فاحذروا ان تكونوا مثلهم فى العزائم فتساووه فى عقوبات الجرائم
 وهذا تنبيه على عظم ايداء الرسل حتى ان اذاهم يؤدى الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى
 ثم ذكر القصة الثانية بقوله تعالى (واذ) اى واذا كرى يا أشرف المرسلين اذ (قال عيسى) ووصفه
 بقوله (ابن مريم) ليعلم أنه من غير أب وثبت نبوته بالمعجزات (يا بنى اسرائيل) فذكرهم بما كان
 عليه أبوه من الدين وما أوصى به بنيه من التمسك بالاسلام ولم يقل يا قوم كما قال موسى عليه
 السلام لانه لا أب له فيهم وان كانت أمه منهم فان النسب انما هو من جهة الاب واكد لانكار
 بعضهم فقال (اى رسول الله) اى الملك الاعظم (اليكم) اى لا الى غيركم (مصدق لما بين يدي)
 اى قبلى (من التوراة) التى تعلمون ان الله تعالى أنزلها على موسى عليه السلام وهي اول
 الكتب التى نزلت بعد الصحف وحكمها بالنبىون قد صدقوا ما بين يديهم ما يؤيد لان
 ما أتت من الدلائل حق ومبين انها دليل فيما لم أنسخه منها كما يستدل بما قد امه من الاعلام
 ويراعيه يبصره وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان والكسافى بالامالة محضة وقرأ حجة ونافع بين
 بين بخلاف عنه عن قالون والباقون بالفتح (ومبشرا) فى حال تصديق للتوراة (برسول) اى الى
 كل من شملته الربوبية (يا بنى من بعدك) اى يصدق بالتوراة فكانه قيل ما امه قال (اى
 أحد) والمضى أرسلت اليكم فى حال تصديق ما تقدم من التوراة وفى حال تبشيري برسول

يأتى من بعدى يعنى ان ديني التصديق يكتب الله تعالى وأنبياؤه جميعا بمن تقدم وتاخر (فان قيل) هم انتصب مصداقا ومبشرا أجمعين فى الرسول من معنى الارسال أم باليكم (أجيب) بأنه يعنى الارسال لان اليكم صله للرسول فلا يجوز ان يعمل شيئا لان حروف الجر لا تعمل بانفسها ولكن بما فيها من معنى الفعل فاذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل فن أين تعمل وعن كعب ان الحوارين قالوا عيسى يا رسول الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة اجد حكاما علماء ابرارا أتقياء كانوا من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل وعن حبيش بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة اسماء انا محمد وانا اجد وانا الماسى الذى يدعو الله بى الكفر وانا الحاشى الذى يحشر الناس على قدمى وانا العاقب الذى ليس بعدى نبي وقد سمى الله تعالى رؤفا رحما وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال اسمى فى التوراة اجد لانى أجد امتى عن النار واسمى فى الزبور الماسى محمدا الله بى عبدة الاوثان واسمى فى الانجيل اجد وفى القرآن محمدا لانى محمود فى اهل السماء والارض بل ذكر بعض العلماء أنه له الف اسم قال البغوى والالف فى اجد للمبالغة فى الحمد وله وجهان احدهما انه مبالغة من الفاعل اى ومعناه ان الانبياء جادون لله تعالى وهو كثر جدا من غيره والثانى أنه مبالغة من المفعول اى ومعناه ان الانبياء كلهم محمودون لمقامهم من الخصال الحميدة وهو اكثر مبالغة واجمع للفضائل والحاسن والاخلاق التى يحمد بها ا وعلى كلا الوجهين منعه من الصرف للعلمية والوزن الغالب الا انه على الاحتمال الاول يتنوع معرفة وينصرف نكرة وعلى الثانى يتنوع تعريفا وتنكيرا لانه يختلف العلمية الصفة واذا نكر بعد كونه علما جرى فيه خلاف سيبويه والاختلاف وهو مشبهة بين النحاة وأنشد حسان يمدحه وصرفه صلى الله عليه وسلم يحف بعرشه * والطيبون على المبارك اجد

أجد بدل أو بيان للمبارك وأما محمد فمفعول من صفة أيضا وهو فى معنى محمود ولكن فى معنى المبالغة والتكرار فاجده والذى حمد مرة بعد مرة قال القرطبي كما ان المكرم من اكرم مرة بعد مرة وكذلك الممدوح ونحو ذلك واسم محمد مطابق لمعناه والله سبحانه وتعالى سماه قبل ان يسمى به نفسه فهذا علم من اعلام نبوته وكان اسمه صادقا عليه فهو محمود فى الدنيا لما هدى اليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود فى الآخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضى اللفظ ثم انه لم يكن محمدا حتى كان اجد حمد ربه فنباؤه وشرته فاذل ذلك تقدم اسم اجد على الاسم الذى هو محمد فذكره عيسى فقال اسمه اجد وذكره موسى عليه السلام حين قال له ربه تلك أمة اجد فقال اللهم اجعلنى من أمة محمد فبا اجد ذكره قبل أن يذكره بمحمد لان حمد ربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمد بالفعل وكذلك فى الشفاعة فيحمد ربه بالحمد التى يفتحها عليه فيكون اجد الناس ربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته فذل ذلك على انه صلى الله عليه وسلم أشرف الانبياء فاقها لهم وخاتمهم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وشعبة بفتح الياء والباقون بالسكون وقوله تعالى (فلما جاءهم) يحتمل ان يعود فيه ضمير لا اجد أى جاء الكفار واقتصر على ذلك الجلال المحلى

ويحتمل عوده لعيسى أي جاء لبني اسرائيل (بالبينات) أي من المعجزات العظيمة التي لا يسوغ
لعاقل الا التسليم لها ومن الكتاب المبين (قالوا) أي عند مجيئها من غير نظرة لتأمل (هذا) أي
الماضي به من البينات أو الاتي بها على المبالغة (سحر) فكانوا أول كافرين به لان هذا وصف لهم
لازم سواء بلغهم ذلك أم لا (مبين) أي في غاية البيان في سحره وقراءته لجزء والكسافي بفتح
السين وألف بعدها وكسر الحاء وهذه القراءة مناسبة للتفسير الثاني والباقيون بكسر السين
وسكون الحاء وهذه مناسبة للتفسير الأول (ومن) أي لاحد (أظلم) أي أشد ظلمًا (ومن
افتري) أي تعمد (على الله) أي الملك الاعلى (الكذب) أي بنسبة الشريك والولد
اليه ووصف آياته بالسحر ووصف أنبيائه بالسحرة (وهو) أي والحال أنه (يدعى) أي من
أي داع كان (إلى الاسلام) أي الذي هو أحسن الاشياء فان له فيه سعادة الدارين فيحصل
مكان اجابته افتراء الكذب على الله تعالى (والله) أي الذي له الامر كله فلا امر لاحد معه
(لا يهدي القوم) أي لا يخلق الهداية في قلوب من فهم قوة المجادلة للامور الصعاب (الظالمين)
أي الذين يخطئون في عقولهم يخطئ من هو في الظلام (يريدون) أي توقعون ارادة ردهم للرسالة
بافتراءهم (ليطفتوا) أي لاجل أن يطفئوا (نور الله) أي الملك الذي لا شيء يكافئه (بأفواههم)
أي بما يقولون من كذب لا منشأ له غير الافواه لانه لا اعتقاد له في القلوب * (تنبيه) * الاطفاء
هو الاتحاد بسبب عملان في النار وفيما يجري مجراها من الضياء والظهور ويفرق بين الاطفاء
والاخذ من حيث ان الاطفاء بسبب عمل في القلب فيقال أطفأت السراج ولا يقال أخذت
السراج وفي هذه اللام أوجه أحدها أنها تعليلية كما مر ثانياً أنها امرية في مفعول
الارادة وقال الزمخشري أصله يريدون ان يطفئوا كما في سورة التوبة وكان هذه اللام زيدت مع
فعل الارادة نو كيداً للمانيه من معنى الارادة في قولك جئتكم لا كرامك كما زيدت اللام في لأب
لك تأ كيداً للمعنى الاضافة في لأبالك قال الماوردي وسبب نزول هذه الآية ما حكاها عطاء عن
ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أبطأ عليه الوحي أربعين يوماً فقال كعب بن الأشرف
يا معشر يهود أبشروا فقد أطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه وما كان ليتم امره فخرن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية واتصل الوحي بعدها واختلف في
المراد بالنور فقال ابن عباس هو القرآن أي يريدون ابطاله وتكذيبه بالقول وقال السدي
الاسلام أي يريدون رفعه بالكلام وقال الضمالي انه محمد صلى الله عليه وسلم أي يريدون هلاكه
بالاراجيف وقال ابن جرير حجج الله تعالى ودلائله يريدون ابطالها بانكارهم وتكذيبهم
وقيل انه مثل مضروب أي من أراد اطفاء نور الشمس بقبه فوجدته مستحيلًا تمتنعاً كذلك من
أراد اطفاء الحق (والله) أي الذي لا مدافع له لتمام عظمتة (متم نوره) فلا يضره ستر أحد له
بتكذيبه ولا ارادة اطفائه وزاد ذلك بقوله تعالى (ولو كره) أي اقامه له (الكافرون) أي
الراسخون في جهة الكفر المحتمدون في الهامة عنه (هو) أي الذي ثبت أنه جامع لصفات
الكمال والجلال وحده من غير ان يكون له شريك أو وزير (الذي أرسل رسوله) أي الحقيقي

بان يعظمه كـ من بلغه أمره لان عظمته من عظمته ولم يذكرف القاية اشارة الى عموم
 الارسال الى كل من شمله الملك كما مضى (بانهدي) اى البيان الشافى بالقرآن او بالمجزة (ودين
الحق) اى والملة الخفيفة (ليظهره) اى به عليه مع الشهرة واذلال المنازع (على الدين) اى
 بنفس الشريعة التى ستجعل اجازى من يسلكها ومن يزغ عنها بما يشرع فيها من الاحكام
(كله) فلا يبقى دين الا كان دونه وانعمق به وذل أهله ذلالا يقاس به ذل (ولو كره) اى اظهاره
(المشركون) اى المعاندون فى كفرهم الراسخون فى سلك المعاندة (فان قيل) قال أولا ولو كره
 الكافرون وقال ثانيا ولو كره المشركون فما الحكمة فى ذلك (أجيب) بأنه تعالى أرسل رسوله
 وهو من نعم الله تعالى والكافرون كلهم فى كفران النعم سواء فلهذا قال ولو كره الكافرون لان لفظ
 الكافر أعم من لفظ المشرك فالمراد من الكافرين هنا اليهود والنصارى والمشركون فلفظ
 الكافر الابق به وأما قوله تعالى ولو كره المشركون فذلك عند انكارهم التوحيد واصرارهم عليه
 لانه صلى الله عليه وسلم فى ابتداء الدعوة أمر بالتوحيد بلا اله الا الله فلم يقولوا هذا قال ولو كره
 المشركون واختلف فى سبب نزول قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) اى اقرؤا بالايمان (هل
أدلكم) اى وأنا المحيط علما وقدره فهى ايجاب فى المعنى ذكر بلفظ الاستفهام تشريفا ليكون
 أوقع فى النفس (على بحارة تنجيكم من عذاب أليم) اى مؤلم فقال مقاتل نزلت فى عثمان بن
 مظعون قال يا رسول الله لو أذنت لى طلعت خولة وترهبت واختصت وحرمت اللحم ولا أنام
 بليل أبدا ولا أفطر بنهار أبدا فقال صلى الله عليه وسلم ان من سننى النكاح ولا رهبانية فى الاسلام
 انما رهبانية أمتى الجهاد فى سبيل الله وخصاء أمتى الصوم ولا تحترموا طيبات ما أحل الله لكم
 ومن سننى أنام وأقوم وأفطر وأصوم فمن رغب عن سننى فليس منى فقال عثمان والله لو ددت
 يا رسول الله أى التجارة أحب الى الله تعالى فأجبر فيها فنزلت وقيل أدلكم أى سأدلكم والتجارة
 الجهاد قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآية وهذا خطاب لجميع
 المؤمنين وقيل نزل هذا حين قالوا لو نعلم أى الاعمال أحب الى الله تعالى لعملنا به قال البغوى
 وجعل هذا بمنزلة التجارة لانهم يرحون بهارضا الله تعالى ويزيل جنته والتجارة من النار وقرأ ابن
 عامر بفتح النون وتشديد الجيم والباقون بسكون النون وتخفيف الجيم ثم بين سبحانه تلك
 التجارة بقوله تعالى (تؤمنون) أى تدومون على الايمان (بالله) أى الذى له جميع صفات
 الكمال وعلى هذا فلا ينافى ذلك قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) وقيل المراد من هذه الآية
 المنافقون وهم الذين آمنوا فى الظاهر وقيل أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فانهم آمنوا
 بالكتب المتقدمة (ورسوله) الذى تصديقه آية الاذعان للعبودية (وتجاهدون) ببيان للصحة
 ايمانكم على سبيل التجديد والاستمرار (فى سبيل الله) أى الملك الاعظم الذى لا أمر لغيره
(بأموالكم وأنفسكم) وقدم الاموال لعزتها فى ذلك الزمان ولانها قوام الانفس فمن بذل ماله
 كنه لم يبخل بنفسه لان المال قوامها وقال القرطبي ذكروا الاموال أولا لانها التى يبدأ بها
فى الاتفاق (ذلكم) أى الامر العظيم من الايمان وتصديقه بالجهاد (خير لكم) اى من أموالكم

وأنفسكم (ان كنتم تعملون) أي ان كان يمكن ان يصدق ذلكم علم في وقت فانتم تعملون ان ذلك
 خير لکم فاذا علمتم أنه خير أقبلتم عليه فكان لکم به أمر عظیم وان كانت قلوبکم قد طمست
 طمس الارجاع لصلاحه فصلوا على أنفسکم صلاة الموت وقوله تعالى (بغفر لکم) فيه أوجه أحدها
 أنه مجزوم على جواب الخبر عنی الامر أي آمنوا وجاهدوا والثاني أنه مجزوم في جواب
 الاستفهام كما قاله الفراء والثالث أنه مجزوم بشرط مقتدر أي ان تؤمنوا وبغفر لکم قال القرطبي
 وأدغم بعضهم فقرأ يغفر لکم والاحسن ترك الادغام فان الراء متكرر قوي فلا يحسن الادغام في
 اللام لان الاقوى لا يدغم في الاضعف اه وتقدم في آخر سورة البقرة مثل ذلك للزمخشری
 والبيضاوی ورد عليهم ما (دون بکم) أي يجمعوا عيانتها وأثارها كلها (ويدخلکم) أي بعد التزكية
 بالمغفرة درجة لکم (جنات) أي بساتين (تجري من تحتها) أي من تحت أنهارها وغرفها وكل
 منتزه فيها (الانهار) فهي لاتزال غضة زهراء ولم يحنج هذا الاسلوب الى ذكر الخلود لا غناء ما بعده
 عنه ودل على الكثرة المفرطة في الدورية وله في صيغة منتهى الجموع (ومسا كن طيبة) روى
 الحسن قال سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن قوله تعالى ومسا كن طيبة فقالا على الخبر
 سقطت سألتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال قصر من لؤلؤه في الجنة في ذلك القصر
 سبعون دارا من ياقوتة جراء في كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء في كل بيت سبعون
 سريرا في كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين في
 كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة
 فيعطى الله تعالى المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله (في جنات عدن) أي
 بساتين هي أهل الإقامة به الاحتياج في اصلاحها الى شيء خارج يحتاج في تحصيله الى الخروج
 عنها قال حمزة الكرماني في كتابه جوامع التفسير هي أي جنات عدن قصبة الجنان ومدينة الجنة
 أقربها الى العرش (ذلك) أي الامر العظيم جدا (الفوز العظيم) أي السعادة الدائمة الكبيرة
 وأصل الفوز الظفر المطلوب ولما ذكر تعالى ما أنعم به عليهم في الآخرة بشرهم بنعمته في الدنيا بقوله
 تعالى (وأخرى تحبونها) أي وليکم الى هذه النعمة المذكورة نعمة أخرى عاجلة محبوبة وفي
 تحبونها تعريض بأنهم يؤثرون العاجل على الآجل وقوله تعالى (نصر من الله) أي الذي
 أحاطت عظمته بكل شيء خبر مبتدأ مضمرة أي تلك النعمة أو الخصلة الأخرى نصر من الله (وفتح
 قريب) أي غنمة في عاجل الدنيا قيل فتح مكة قال الكلبي هو النصر على قريش وقال ابن عباس
 يريد فتح فارس والروم وقوله تعالى (وبشر المؤمنين) عطف على محذوف مثل قل يا أيها الذين
 آمنوا وبشروا وعلى يؤمنون فانه في معنى الامر كأنه قال آمنوا وجاهدوا أيها المؤمنون وبشروهم
 يا أشرف الرسل بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة (يا أيها الذين آمنوا) أي أقروا بذلك (كونوا)
 أي بغاية جهدکم (أنصار الله) أي لدينه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأنصار بالتشوين وجر
 اللام من الاسم الجليل وترقيقها والباقون بغير تنوين وتنفخ اللام (كما) أي كونوا الاجل اني
 ندب بکم أنا بقولي من غير واسطة ولذا تمکم بخطابي مثل ما كان الحواريون أنصار الله حين قال

عيسى بن مريم) حين أرسلته الى بنى اسرائيل ناسخا للشرية بموسى عليه السلام (لحواريين) أى خالص أصحابه وخاصته منهم (من أنصاري الى الله) أى المحيط بكل شئ أى أنصروا دين الله تعالى مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى عليه السلام من أنصاري الى الله أى من ينصرفني مع الله تعالى (قال الحواريون) معلمين انهم جادون في ذلك جدا لا مزيد عليه لعلمهم أن اجابته اجابة الله تعالى لانه لا ينطق عن الهوى فليس كلامه الا عن الله تعالى (نحن) أى بأجمعنا وكانوا اثني عشر رجلا وهم أقول من آمن بعيسى (أنصارا لله) أى الملك الاعلى القادر على تمام نصرنا لو كان عدونا لكل أهل الارض • ولما كان التقدير ثم دعوا كل من خالفهم من بنى اسرائيل وبارزهم تسبب عنه قوله تعالى (فأمنت) أى به (طائفة) أى ناس منهم أهل الاستدارة لما لهم من الكثرة (من بنى اسرائيل) قومه (وكفرت طائفة) أى منهم وأصل الطائفة القطعة من الشئ وذلك أنه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه اليه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه اليه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان على الفرقة المؤمنة حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى (فأيدنا) أى قويا ساعدا فرفع عيسى عليه السلام (الذين آمنوا) أى أقروا بالايان الخاص (على عدوهم) أى الذين عادوهم لاجل ايمانهم (فأصبحوا) أى صاروا بعدما كانوا فيه من الذل (ظاهرين) أى عالين غاليين قاهرين في أقوالهم وأفعالهم لا يخافون أحدا ولا يستخفون منه وروى المغيرة عن ابراهيم قال فأصبحت حجة من آمن بعيسى عليه السلام ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم أن عيسى عليه السلام كلمة الله وعبد ورسوله وقول البيضاءوى تبعا للزخشرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له مادام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه حديث موضوع

﴿سورة الجمعة مدنية﴾

وهي إحدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وسبع مائة وعشرون حرفا

روى مسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة وعنه أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاثرون يوم القيامة ونحن أقول من يدخل الجنة يبدأ بهم أولوا الكتاب الا قبل من قبلنا وأوتينا من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله تعالى لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فهدايتهم الذي اختلفوا فيه هداانا الله له وقال يوم الجمعة فالיום لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى (بسم الله) الذى أحاط علمه بكل معلوم فتم بيانه (الرحمن) الذى تمت نعمته بيانه فهو العظيم شأنه (الرحيم) الذى خص حربه بالتوفيق فنبت عندهم حبه وإيمانه (يسبح) أى يوقع التنزيه الاعظم الانهى الاكمل (الله) أى الملك المحيط بكل شئ قدرة وعلم (ما فى السموات) أى من جميع الاشياء من الملائكة وغيرها كالافلاك والنجوم (وما فى الارض)

كذلك من الآدميين وغيرهم كالشجر والثمار وقيل اللام مزيدة أى ينزه الله وأتى بمجادون من
قال الجلال المحلى تغليباً للآثار ويحتمل أن يكون المراد بالسما جهة العلو فيشمل السماء وما فيها
وبالارض جهة السفلى فيشمل الارض وما فيها (الملك) أى الذى ثبت له جميع الكمالات فهو
ينصر من يشاء من جنسه ولو كان ذلك لا فيصبح ظاهراً (القدوس) أى المنزه عما لا يليق به وعن
احاطة أحد من الخلق بعلمه وادراكه كنه ذاته فليس فى أيدي الخلق الا التردد فى شهود افعاله
والتدبير لقاهاهم نعوته وجلاله وأحقهم بالقرب والعدادى حزنه المتخلق بأوصافه على قدر
اجتهاده فينبغي للمؤمن التنزه عن ان يقول ما لا يفعل أو يبنى شيئاً من أموره على غير احكام
(العزى) أى الذى يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ (الحكيم) أى الذى يوقع كل ما أراد فى أحكم
مواقعه وأتمها واتقنها (هو) أى وحده (الذى عث فى الاميين) أى العرب لأن أكثرهم
لا يكتبون ولا يقرؤون والامى من لا يقرأ ولا يكتب (رسولانهم) أى من جملتهم أميامثلهم وهو
محمد صلى الله عليه وسلم وما من حى من العرب الا وله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة وقد ولدوه قال
ابن اسحق الابن تغلب فان الله تعالى طهر نبيه صلى الله عليه وسلم منهم فلم يجعل لهم عليه ولادة
وكان أميام يقرأ من كتاب ولم يعلم صلى الله عليه وسلم علمه الله ما لم يكن يعلم من غير تطالب
فكانت آثار البشرية عنه من مدرسة وأنوار الحقائق عليه لا تحصى وذلك لثلاثتهم الاقتدار الى
الاستعانة بالكتب لأن مشاكسته لحال من بعث فيهم أقرب الى مساواتهم له لو أمكنهم فيكون
معنى عدم امكان المساواة أدل على الاجحاز وبعثه الى العرب لا ينفي بعثه الى غيرهم لاسيما مع
ما ورد فيه من صرائح الدلائل القطعية فذكر موضع البعث وابتداءه فتسكون الغاية مطلقة
تقديرها الى عامة الخلق (يتلو) أى يقرأ أقرأه يتبع بعضها بعضاً على وجه الكثرة والعلو
والرفعة (عليهم) مع كونه أميام مثلهم (آياته) أى يأتيهم بها على سبيل التجدد والمواصلة وهى
القرآن الذى أعجز الجن والانس ان يأثوا بسورة من مثله (ويزكيهم) أى يطهرهم من الشرك
والاخلاق الرذيلة والعقائد الزائفة فكانت تركيته لهم مدة حياته بنظره الشريف اليهم
وتعليمه لهم وتلاوته عليهم فربما نظر الى الانسان نظرة محبة فزكاه الله تعالى بها بحسب
القابليات والامور التى قضى الله تعالى أن تكون مهيات فكان له أعشق فكان لاتباعه ألزم
فكان فى كتاب الله وسنته أرسخ (ويعلمهم الكتاب) أى القرآن المنزل عليه الجامع لكل خير
دينى ودينوى فى الاولى والاخرى (والحكمة) وهى غاية الحكم للكتاب فى قوة فهمه والعمل
به فهى العمل المزين بالعلم المتقن به وقال الحسن الكتاب القرآن والحكمة السنة وقال ابن
عباس الكتاب الخط بالقلم والحكمة السنة لأن الخط انما فشا فى العرب بالشرع لما أمروا
بالتقييد بالخط وقال مالك بن أنس الحكمة الفقه فى الدين (وان) أى والحال أنهم (كأوا)
أى كانوا وكأوا كالجبله لهم (من قبل) أى قبل ارساله اليهم (لنى ضلال) أى بعد عن
المقصود (مبين) أى ظاهر فى نفسه مناد لغيره انه ضلال باعثة قادم الا باطيل الظاهرة وظنهم
انهم على شئ وعموم الجهل لهم ورضاهم به واختيارهم له وقوله تعالى (وآخرين منهم) فيه

وجهان أحدهما انه مجرور عطافاً على الاتيين أى وبعث فى الآخر من الاتيين أى
 الموجودين والاثنين منهم بعدهم (لما) أى لم (يلحقوا بهم) فى السابقة والفضل والثانى
 انه منصوب عطافاً على الضمير المنصوب فى يعلمهم أى ويعلم آخرين لما يلحقوا بهم وسيلحقون وكل
 من تعلم شريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى آخر الزمان فرسول الله صلى الله عليه وسلم معلم بالقوة
 لانه أصل ذلك الخير العظيم والفضل الجسيم * (تنبيه) * الذين لم يلحقوا بهم هم الذين لم يكونوا
 فى زمنهم وسيجيئون بعدهم قال ابن عروس - عبيد بن جبيرهم العجم وفى الصحاح عن أبى هريرة
 قال كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم لم اذنزلت عليه سورة الجمعة فلما قرأوا آخرين منهم
 لما يلحقوا بهم قال رجل من هؤلاء يا رسول الله فلم يراجعه النبي صلى الله عليه وسلم حتى سأله مرة
 أو مرتين أو ثلاثاً قال وفيما سألنا الفارسي قال فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على سلمان
 ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجل من هؤلاء وفى رواية لو كان الدين عند الثريا
 لذهب به رجال من فارس أو قال من أبناء فارس حتى تناوله وقال عكرمة هم التابعون وقال
 مجاهد هم الناس كلهم يعنى من بعد العرب الذين بعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد
 ومقاتل بن حبان هم من دخل فى الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة
 وروى سهل بن سعد الساعدي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان فى أصلاب أمتي رجالاً ونساء
 يدخلون الجنة بغير حساب ثم تلاوا آخرين منهم لما يلحقوا بهم قال ابن عادل والقول الاول أثبت
 وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيتنى أسقى غنماً سوداً ثم اتبعها غنماً عقرأً أولها يا أبا بكر
 قال يا نبي الله أما السود فالعرب وأما العقر فالعجم تتبعك بعد العرب فقال النبي صلى الله عليه
 وسلم كذلك أولها الملك يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام رواء ابن أبى ليلى عن رجل من
 أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه (وهو) أى والحال
 انه وحده (العزير) أى الذى يقدر على كل ما أراد ولا يغلبه شئ فهو يزكى من يشاء ويعلم ما
 أراد من أى طائفة كان ولو كان أجهل أهل تلك الطائفة لان الأشياء كلها بيده (الحكيم)
 فهو اذا أراد شيئاً ما وافق الشريعة وأمره جعله على أتقن الوجوه وأوثقها فلا يستطاع نقضه
 ومهما أراد كيف كان فلا بد من انفاذه فلا يطاق رده بوجه * ولما كان هذا أمراً باهراً عظيماً
 بقوله تعالى على وجه الاستئثار من قدرته (ذلك) الامر العظيم الرتبة من تفضيل الرسول
 وقومه وجعلهم متبوعين بعد أن كان العرب اتباعاً لا وزن لهم عند غيرهم من الطوائف (فضل
 الله) أى الذى له جميع صفات الكمال والفضل ما لم يكن مستحقاً بخلاف الفرض (بؤيته
 من يشاء) قال ابن عباس حيث الحق العجم بقريش وقال الكلبي يعنى الاسلام فضل الله بؤيته
 من يشاء وقال مقاتل يعنى الوحي والنبوة وقيل انه المال ينفق فى الطاعة لما روى أبو صالح
 عن أبى هريرة رضى الله عنه ان فقراء المهاجرين أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذهب
 أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال وما ذالك فقالوا يصلون كما نصلى ويصومون
 كما نصوم ويتصدقون ولا تصدق ويعتقون ولا نعتق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم
الامن صنع مثل ما صنعتهم قالوا بلى يا رسول الله قال تسبحون وتسكرون وتحمدون دبر كل صلاة
ثلاثا وثلاثين مرة قال أبو صالح فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
سمع اخواننا من أهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء وقيل انه انقياد الناس الى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم ودخولهم
في دينه ونصرته (والله) الملك المحيط بكل شيء قدرة وعلم (ذو الفضل العظيم) ولم تترك اليهود
العمل بالتوراة ولم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ضرب الله تعالى لهم مثلا بقوله تعالى (مثل
الذين حملوا التوراة) أي كلفوا والزمو اجل الكتاب الذي آتاه الله تعالى ابني اسرائيل على
لسان موسى عليه الصلاة والسلام بأن علمهم اياها سبحانه وكلفهم حفظ ألفاظها عن التغيير
والنسيان ومعانيها عن التحريف والتلبيس وحسدودها وأحكامها عن الاهمال والتضييع
(ثم لم يحملوها) أي بأن حملوا ألفاظها ولم يعملوا بما فيها من الوصية باتباع عيسى عليه الصلاة
والسلام اذا جاءهم ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم اذا جاءهم في ضارة لهم بشهادتها عليهم فاذا
اهم النار من غير دفع أصلا (كمثل) أي مثل مثل (الحمار) أي الذي هو أبلد الحيوان فهو مثل
في الغباوة حال كونه (يحمل أسفارا) أي كتبنا كتابا من كتب العلم جمع سفر وهو الكتاب
الكبير المسفر عما فيه في عدم الانتفاع بها لانه يشي ولا يدري منها الا ما يضر بجنيته
وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله ومثل ذلك قول الشاعر

زوامل للاستقرار لا علم عندهم * بجيدها الا كعلم الاباعر

لعمرك ما يدري البعير اذا غدا * باجماله أوراخ ما في الغرائر

من انشاد الشيخ ابن الجباز (بنس مثل القوم) أي الذين لهم قوة شديدة على محاولة ما يريدون
(الذين كذبوا) أي محمد اعلى علم (يا يا الله) أي دلالات الملك الاعظم على رسله ولا سيما محمد
صلى الله عليه وسلم والخصوص بالذم محذوف تقديره هذا المثل (والله) أي الذي له جميع
صفات الكمال (لا يهدي القوم) أي لا يخلق الهداية في قلوب الذين نعوذوا الزيف
(الظالمين) أي الذين نعوذوا الظلم بمنابذة الهدى الذي هو البيان الذي لم يدع لبسا حتى صار
الظلم لهم صفة راسخة * ولما ادعت اليهود الفضيلة وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه نزل قوله
تعالى (قل) أي يا أشرف الرسل (يا أيها الذين هادوا) أي تدينوا باليهودية (ان زعمتم) أي قلتم
قولاهم معرض للتكذيب ولذلك أكد بقوله (انكم أولياء الله) أي الملك الاعلى الذي لا أمر
لا حدمه به خصكم بذلك خصوصية مبدأة (من دون) أي أدنى رتبة من رتب (الناس)
فلم تنفذ الولاية وتلك الرتبة في الدنيا الى أحد منهم غيركم بل خصكم بذلك عن كل من فيه أهلية
الحركة لاسيما الاميين (فماتوا الموت) وأخبروا عن أنفسكم بذلك للنقلة من دار البلاء الى محل
الكرامة والآلاء (ان كنتم) أي كونوا راسخا (صادقين) أي غريقين عند أنفسكم
في الصدق فان من علامات المحبة الاشتياق الى المحبوب ومن المقطوع به ان كان في كدر

وكان له ولي قد وعد عند الوصول اليه الراحة التي لا يشوبها ضرر حتى النقلة الى وليه روى
 أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم والذي نفسي بيده لا يقولها أحد منكم الا غص بريقه فلم يقلها
 منهم أحد علما منهم بصدقه صلى الله عليه وسلم فلم يقولوا ولم يؤمنوا اعتاداهم ثم أخبر الله تعالى
 عنهم انهم لا يتمنون في المستقبل أيضا بقوله تعالى (ولا يتمونه) أي في المستقبل (أبدا بما قدمت
 أيديهم) أي بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي التي أحاطت بهم فلم تدع لهم حظا في الآخرة
 * (تنبيه) * قال تعالى هنا ولا يتمونه وفي البقرة ولن يتموه قال الزمخشري لافرق بين لا ولن
 في أن كل واحدة منهما تنفي للمستقبل الآن في أن تأكيدا وتشديدا ليس في لافأني مرة بلفظ
 التأكيد ولن يتموه ومرة بغير لفظه ولا يتمونه قال أبو حيان وهذا رجوع منه عن مذهبه وهو
 أن لن تقتضي النفي على التأيد الى مذهب الجماعة وهي أنها لا تقتضيه قال بعضهم وليس فيه
 رجوع غاية ما فيه أنه سكت عنه وتشمرك بين لا ولن في نفي المستقبل لا ينفي اختصاصا لن يعني
 آخره ودعواهم الولاية الى التوصل الى الجنة لا يلزم منها الاختصاص بالنعم بدليل أن الدنيا
 ليست خالصة للأولياء المحقق لهم الولاية بل البر والفاجر مشركون فيها (والله) أي الذي له
 الاحاطة بكل شيء قدرة وعلم (عليه) بالغ العلم محيط بهم هكذا كان الاصل ولكنه تعالى قال
 (بالظالمين) تعميما وتعليقا بالوصف لا بالذات فالمعنى انه عالم بأصحاب هذا الوصف الراشخين فيه
 منهم ومن غيرهم فهو مجازيهم على ظلمهم (قل) أي لهؤلاء يا أشرف الرسل (إن الموت الذي
 تفرون منه) بالكف عن التمتي (فانه ملائكم) أي لا تفوتونه لاحق بكم * (تنبيه) * في هذه الفاء
 وجهان أحدهما انها داخل لما تضمنه الاسم من معنى الشرط وحكم الموصوف بالموصول
 حكم الموصول في ذلك قال الزجاج لا يقال ان زيدا غلط و ههنا قال فانه ملائكم لما في معنى
 الذي من الشرط والجزء أي ان فررت منه فانه ملائكم ويكون مبالغة في الدلالة على انه لا ينفع
 القرار منه الثاني انها مزيدة محضة لا للتضمن المذكور * ولما كان الحبس في البرزخ أمرا لا بد
 منه مهول لانه عليه وعلى طوله بأداة التراخي فقال تعالى (ثم تردون الى عالم الغيب) أي السر
 (والشهادة) أي العلانية أو كل ما غاب عن الخلق وكل ما شوه (فينبئكم) أي يخبركم اخبارا
 عظيمة مستقصى مستوفى (بما كنتم) أي بما هولكم كالجبلة (تعملون) أي بكل جزء منه
 بما برز الى الخارج وبما كان في جبالكم ولو بقيتم لفضلة ولجباريكم (يا أيها الذين آمنوا)
 أي اقروا بالسننهم بالايمان (اذنودي) أي من أي متاد كان من أهل النداء (للصلاة) أي
 صلاة الجمعة (من) أي في (يوم الجمعة) كقوله تعالى أروني ماذا خلقوا من الارض أي
 في الارض والمراد بهذا النداء الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة لانه لم يكن في عهد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواء كان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر
 أذن بلال وعن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أو له اذا جلس الامام على المنبر على
 عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثرت الناس زاد النداء الثاني
 على الدور زاد في رواية فثبت الامر على ذلك وعن أبي داود قال كان يؤذن بين يدي رسول الله

صلى الله عليه وسلم اذا جلس يوم الجمعة على المنبر على باب المسجد روى انه كان لرسول الله صلى
 الله عليه وسلم مؤذن واحد فكان اذا جلس على المنبر اذن على باب المسجد فاذا نزل اقام الصلاة
 ثم كان أبو بكر وعمر وعلى بالكوفة على ذلك حتى اذا كان عثمان وكثرا الناس وتباعدت المنازل
 زاد اذانا آخر فامر بالتأذين الاول على داره التي تسمى زوراء فاذا سمعوا اقبلوا حتى اذا جلس
 عثمان على المنبر اذن الاذان الثاني الذي كان على زمن النبي صلى الله عليه وسلم فاذا نزل اقام
 الصلاة فلم يعب ذلك عليه لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي
 قال الماوردي اما الاذان الاول فحدث فعله عثمان بن عفان ليتأهب الناس لحضور الخطبة
 عند انساع المدينة وكثرة أهلها وكان عمر أمر أن يؤذن في السوق قبل المسجد ليقوم الناس
 عن سوقهم فاذا اجتمعوا اذن في المسجد فجعله عثمان اذنين في المسجد قال ابن العربي
 وفي الحديث الصحيح ان الاذان كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا قبلما كان زمن
 عثمان زاد النسائي الثالث على الزوراء وسماه في الحديث ثالثا لانه أضافه الى الإقامة كقوله
 صلى الله عليه وسلم بين كل اذنين صلاة لمن شاء يعني الاذان والإقامة وتوهم بعض الناس
 انه اذان أصلي فجعلوا المؤذنين ثلاثة قال ابن عادل فكان وهما ثم جمعوهما في وقت واحد
 فكان وهما على وهما واختلفوا في تسمية هذا اليوم جمعة فمنهم من قال لان الله تعالى جمع فيه
 خلق آدم عليه الصلاة والسلام روى مالك عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه الصلاة والسلام وفيه أهبط وفيه مات
 وفيه تاب الله عليه وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيدي وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال
 أتاني جبريل وفي كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولا تمتك
 من بعدك وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيدي ومنهم من قال لان
 الله تعالى فرغ من خلق الاشياء فاجتمعت فيه المخلوقات ومنهم من قال لاجتماع الجماعات فيه
 للصلاة وقيل أقول من سمى هذا اليوم جمعة كعب بن لؤي قال أبو سلمة أول من قال أما بعد
 كعب بن لؤي وكان أول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال له يوم العروبة وعن ابن سيرين
 قال جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل أن تنزل الجمعة
 وهم الذين سموها الجمعة وقيل ان الانصار قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام
 وللنصارى مثل ذلك فعملوا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله تعالى فيه ونصلي فقالوا
 يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى أسعد بن زرارة فصلى
 بهم يومئذ وكنتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه ثم أنزل الله تعالى آية الجمعة
 فهي أول جمعة كانت في الاسلام وروى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه كعب
 انه كان اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لأسعد بن زرارة فقلت له اذا سمعت النداء ترحم لأسعد
 ابن زرارة قال لانه أول من جمع بنا في هزم النبت من حرة بني بياضة في بقيع يقال له بقيع
 الخضم ان قلت له كم كنتم يومئذ قال أربعين أخرجه أبو داود وأما أول جمعة جمعها النبي

صلى الله عليه وسلم بأصحابه فقال أهل السير لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا نزل قباء
على بن عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين اشتهت
الضوى ومن تلك السنة بعد التار يخ فاقام بها الى يوم الخميس وأسس مسجدهم ثم خرج
يوم الجمعة عامدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن وادلهم قد اتخذ
القوم في ذلك الموضع مسجدا فجمع بهم وخطب وهي أول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها
الحمد لله أحده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأومن به ولا أكفره وأعادي من يكفر به
وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى
ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس
وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن
يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وظل ضلالا بعيدا أوصيكم بتقوى الله فان خير ما أوصى به
المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يامر به بتقوى الله واحذروا ما حذركم الله
من نفسه فان تقوى الله لمن عمل بها على وجل ومخافة من ربه عزوان صدق على ما تبغون من
الآخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوى به الا وجه الله
يكن له ذكر في عاجل أمره وذاخر اقيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان مما سوى
ذلك لا دلوان بينه وبينه أمد أبدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد وهو الذي صدق
قوله وأنجز وعده لا خلف لذلك فانه يقول ما يتدل القول لدى وما أناب ظلام للعبيد فأتقوا الله
في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا
ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله توفى مقته وتوفى عقوبته وتوفى خطه
وان تقوى الله تبيض الوجه وترضى الرب وترفع الدرجة نخذا وبجظكم ولا تفرطوا في جنب
الله فقد علمكم في كتابه وأوضح لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين وأحسنوا
كما أحسن الله اليكم وعادوا أعداءهم وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وجماعكم
المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله فأكثروا ذكر الله
تعالى واعملوا لما بهد الموت فانه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك
بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله أكبر ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال بعضهم -م قد أبطل الله تعالى قول اليهود في ثلاث اقتضوا
بأنهم -م أولياء الله وأحباءه فكذبهم في قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وبأنهم أهل الكتاب
والعرب لا كتاب لهم فشبهم الله بالجوار يحمل أسفارا وبالسبت وأنه ليس للمسلمين مثله فشرع
الله تعالى لهم يوم الجمعة * (تنبيه) -م سعى الله تعالى الجمعة ذكره قال أبو حنيفة ان اقتصر
الخطيب على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله -م جعلن الله مجاز وعن عثمان أنه سعد المنبر
فقال الحمد لله فارقي عليه فقال ان أبابكر وعمر كانا بعد ان اهذ المقام مقالا وانكم الى امام
فما أخرج منكم الى امام قوال وستأتىكم الخطيب ثم نزل وكان ذلك بحضور العصابة فلم يشكر

عليه أحد وعند صاحبيه والشافعي لا بد من كلام يسمى خطبة ولها أركان وشروط مذكورة في الفقه (فان قيل) كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيه اذ كر غير الله (أجيب) بأن ما كان من ذكر رسوله والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله وأما ما عد ذلك من ذكر الطلعة والقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم أحق بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل فان المنصت للخطبة اذا قال لصاحبه صد فقد لغا فلا يكون الخطيب المعالي في ذلك لا غيانا عوذ بالله من غربة الاسلام ومن نكدا الايام وقد خاطب الله تعالى المؤمنين بالجمعة دون الكافرين تشريفا لهم وتكريما فقال يا أيها الذين آمنوا ثم خصه بالنداء وان كان قد دخل في عموم قوله تعالى واذا ناديتهم الى الصلاة ليدل على وجوبه ونأكد فرضه وقال بعض العلماء كون الصلاة بالجمعة ههنا معلوم بالاجماع لان نفس اللفظ وقال ابن العربي وعندي انه معلوم من نفس اللفظ بسكته وهي قوله تعالى من يوم الجمعة وذلك يفيد لان النداء الذي يختص بذلك اليوم هو نداء تلك الصلاة وأما غير هاهو عام في سائر الايام ولولم يكن المراد بنداء الجمعة لما كان تخصيصه بها واضافته اليها معنى فلا فائدة فيه واختلف في معنى قوله تعالى (فاسعوا) أي لتكونوا أولياء الله ولا تتهاونوا في ذلك فقال الحسن والله ما هو سعي على الاقدام ولكنه سعي بالقلوب والنية وقال الجمهور السعي العمل لقوله تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن وقوله تعالى ان سعيكم لشتى وقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون ولكن اتوها متمشون وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا واختلوا أيضا في معنى قوله تعالى (الى ذكر الله) أي الملك الاعظم فقال سعيد بن المسيب هو موعظة الامام وقال غيره الخطبة والصلاة المذكورة بالملك الاعظم الذي من انقطع عن خدمته هلك * ولما أمر بالمبادرة الى تجارة الآخرة قال تعالى ناهيا عن تجارة الدنيا التي تعوق عن الجمعة (وذروا البيع) أي اتركوا البيع والشراء لان اسم البيع يتناولهما جميعا وانما يحرم البيع والشراء عند الاذان الثاني وقال الزهري عند خروج الامام وقال الضحاك اذا زالت الشمس حرم البيع والشراء وانما خص البيع من بين الامور المشاغلة عن ذكر الله تعالى لان يوم الجمعة يوم تهبط الناس فيه من بواديهم وقراهم وينصبون الى المصر من كل أوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واختصاص الاسواق بهم اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تنجز التجارة ويتكاثر البيع والشراء فلما كان ذلك الوقت مظنة للذهول بالبيع عن ذكر الله والمضى الى المسجد قبل يادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله (ذلكم) أي الامر العالي الرتبة من فعل السعي وترك الاشتغال بالدنيا (خير لكم) لان الامر الذي أمركم به الذي له الامر كله وهو يريد تطهيركم في أديانكم وأبدانكم وأموالكم ويبدد اسعادكم واشقاؤكم (فان قيل) اذا كان البيع في هذا الوقت محرما فهل هو فاسد (أجيب) بأن عامة العلماء على أن ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا

لأن البيع لم يحرم لعبته ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة في الأرض
المغصوبة والنوب المغصوب والوضوء بما مغصوب وعن بعض الناس انه قاسد وزاد في الحث
على ذلك بقوله تعالى (ان كنتم) أي بما هو لكم كالجملة (تعلمون) أي يتجدد لكم علم في يوم
من الايام فأنتم ترون ذلك خيرا فاذا علمتموه خيرا أقبلتم عليه فكان ذلك خيرا لكم وصلاة الجمعة
فرض عين تجب على كل من جمع الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والذكورة والاقامة
اذا لم يكن له عذر مما ذكره الفقهاء ومن تركها استحق الوعيد قال صلى الله عليه وسلم لينتهين
أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله تعالى على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين وروى أنه
صلى الله عليه وسلم قال من ترك الجمعة ثلاث مرات تها وناها طبع الله تعالى على قلبه قال
ابن عادل ونقل عن بعض الشافعية ان الجمعة فرض على الامة فاية أمان به عذر يعذره
في ترك الجماعة مما يتصور هنا فلا تجب عليه وتجب على أعشى وجد قائد او شيخ هرم وزمن
وجد امر بكا لا يشق ركوبه عليهما واختلف أهل العلم في موضع اقامة الجمعة وفي العدد الذي
تتعد به الجمعة وفي المسافة التي يجب أن يؤتى منها فذهب قوم الى أن كل قرية اجتمع فيها
أربعون رجلا بالصفة المتقدمة تجب عليهم اقامة الجمعة فيها وهو قول عبد الله بن عمرو
ابن عبد العزيز وبه قال الشافعي وأحمد واسحق قالوا لا تتعد الجمعة بأقل من أربعين رجلا
على هذه الصفة وشرط عمر بن عبد العزيز مع الأربعين أن يكون فيهم وال وعند أبي حنيفة
تتعد بأربعة والوالى شرط ولا تقام عنده الا في مصر جامع وقال الاوزاعي وأبو يوسف
تتعد بثلاثة ان كان فيهم وال وقال الحسن وأبو ثور تتعد باثنين كسائر الصلوات وقال
شعبة تتعد باثني عشر رجلا ولا تجب الجمعة على أهل البوادي الا اذا سمعوا النداء من موضع
تقام فيه الجمعة فيلزمهم الحضور وان لم يسمعوا فلا الجمعة عليهم وبه قال الشافعي وأحمد واسحق
والشرط أن يبلغهم نداء مؤذن جهوري الصوت في وقت تكون الاصوات هادئة والرياح
ساكنة فكل قرية تكون من موضع الجمعة في القرب على هذا القدر يجب على أهلها حضور
الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب الجمعة على من آواه المبيت قال الزهري تجب على من كان
على ستة أميال وقال ربيعة على أربعة أميال وقال مالك والليث على ثلاثة أميال وقال
أبو حنيفة لا الجمعة على أهل البوادي سواء كانت القرية قرية أم بعيدة دليل الشافعي ومن
وافقه ما روى البخاري عن ابن عباس أن أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجوانا من البحرين ولا ي داود نحوه وفيه بجوانا قرية من
قرى البحرين * (تبينه) * فضل يوم الجمعة مشهور وأحاديثه كثيرة مشهورة تقدم بعضها ومنها
أن الله يعشق في كل جمعة سقاية عتيق من النار وعن كعب أن الله تعالى فضل من البلدان
مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم من مات يوم الجمعة كتب
الله له أجر شهيد وفي قسنة القبر وفي الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب
المساجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الاقل فالاول على مراتبهم قال

الزمخشري وكانت الطرقات في أيام السف وقت السحر وبعد الفجر مقتصة بالمكرين إلى الجمعة
 يمسون بالسرج وقيل أول بدعة أحدثت في الإسلام ترك البكوة إلى الجمعة وعن ابن مسعود
 أنه بكر فرأى ثلاثة نفر سبقوه فأنهم وأخذ يعاتب نفسه ويقول أرا الزابيع أربعة وما وابع
 أربعة بسعيد وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل
 الجنابة أي غسل غسلها ثم راح في الساعة الأولى كان كمن قرب بدنة ومن راح في الساعة
 الثانية فكأنه قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنه قرب كبشاً أقرن ومن راح
 في الساعة الرابعة فكأنه قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنه قرب بيضة
 فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر وروى النسائي في الخامسة كالذي يهدي
 عصفوراً وفي السادسة بيضة فمن جاء في أول ساعة منها ومن جاء في آخرها مشتماً تركان في تحصيل
 البدنة مثلاً لكن بدنة الأول أكمل من بدنة الآخر وبدنة المتوسط متوسطة وهذا في حق غير
 الإمام أما هو فيسن له التأخير إلى وقت الخطبة اتباعاً للنبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه ويسن
 كثرة الدعاء يومها وليلتها أيامها فلربما أن يصادف ساعة الإجابة وهي ساعة خفية وأرجاها
 من جلوس الخطيب إلى آخر الصلاة كما في خبر مسلم قال النووي وأما خبر يوم الجمعة ثنتا عشرة
 ساعة فيه ساعة لا يوجد مسلم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه قالتمسوها آخر ساعة بعد العصر
 فيحتمل أن هذه الساعة منتقلة تكون يوماً في وقت ويوماً في آخر كما هو المختار في ليلة القدر
 وأما ليلتها فبالقياس على يومها وقد قال الشافعي بلغني أن الدعاء يستجاب في ليلة الجمعة ويسن
 كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في يومها وليلتها خبراً كثيراً على من الصلاة ليلة
 الجمعة ويوم الجمعة فمن صلى على صلاة صلى الله عليه به عشرين أو ثمانين مرة سورة الكهف يومها
 وليلتها الخبر من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور ما يذره وبين البيت العتيق وخبر
 من قرأها يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين وفي هذا القدر كفاية ولما بحث على الصلاة
 وأرشد إلى أن وقتها لا يصلح لطلب شيء غير ما بين أهم وقت المعاش بقوله تعالى (فإذا قضيت
 الصلاة) أي وقع الفراغ منها على أي وجه كان (فاتشروا) أي فذبوا وتفرقوا واجتهدوا
 (في الأرض) أي جميعها للتجارة والتصرف في حوائجكم إن شئتم لأجناح عليكم ولا حرج رخصة
 من الله تعالى لكم (وابتغوا) أي اطلبوا الرزق (من فضل الله) أي الذي بيده كل شيء ولا شيء غيره
 وهذا أمر إباحة كقوله تعالى وإذا حلتم فاصطادوا قال ابن عباس إن شئت فأنزج وإن شئت
 فاقعد وإن شئت فصل إلى العصر وقيل فاتشروا في الأرض أي لطلب دنيا ولكن لعبادة
 مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله تعالى وقال الحسن وسعيد بن جبيرة ومكحول وابتغوا
 من فضل الله هو طلب العلم (واذكروا الله) أي الذي له الأمر كله (كثيراً) أي بحيث لا تغفلون
 عنه بقلوبكم أصلاً ولا بألسنتكم حتى عند الدخول إلى الخلاء وعند أول الجماع واستغنى عن الثاني
 وقت التلبس بالقدرك وقت قضاء الحاجة والجماع (لعلكم تغفلون) أي تفوتون بالجنة والنظر إلى
 وجهه الكريم وعن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائماً يوم الجمعة

فجاءت عبر من الشام فاقفل الناس إليها حتى لم يبق الا اثنا عشر رجلا وفي رواية أنا فيهم فانزل الله تعالى (واذا راوا تجارة) أي جولا هي موضع للتجارة (أولها) أي ما يليه عن كل نافع (انفضوا) أي نفر وامتفرقوا من الجملة (اليها) أي التجارة لانهم مطلوبون من الله وأيضاً العطف بأو فافراد الضمير أولى وقال الزمخشري تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها أولها انفضوا اليه فحذف أحدهما للدلالة المذكورة عليه وذكر الكلبي وغيره ان الذي قدم بهما دحية بن خليفة الكلبي من الشام عن جماعة وغلامه سر وكان معه جميع ما يحتاج اليه الناس من بر ودقيق وغيره فنزل عند ابحار الزيت وضرب الطبل ليؤذن الناس بقدمه فخرج الناس الا اثني عشر رجلا وقيل احدى عشر رجلا وقال ابن عباس في رواية الكلبي لم يبق في المسجد الا ثمانية رهط وقال الحسن وأبو مالك أصاب أهل المدينة جوع وغلامه سر فقدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فلما رأوه قاموا اليه بالبقيع خشوا ان يسبقوا اليه فلما لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا رهط منهم أبو بكر وعمر فنزلت هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو تابعتهم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادي نارا وقال مقاتل بن حبان ومقاتل بن سليمان بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بالتجارة وكان اذا قدم المدينة لم يبق بالمدينة عاتق الا آتته وكان يقدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق وغيره فينزل عند ابحار الزيت وكانت في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدمه فخرج اليه الناس ليتبايعوه وامنه فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل أن يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب فخرج اليه الناس ولم يبق في المسجد الا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء لميت عليهم الحجارة من السماء وأنزل الله تعالى هذه الآية والمراد بالله والطبل وقيل كانت العير اذا قدمت المدينة استقبلوا بالطبل والتصفيق وقال علقمة سئل عبد الله أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب قائماً وقاعدا فقال أمانة رأوتركوك قائماً وعن جابر بن عبد الله قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة خطبتين قائماً يفصل بينهما يجلس وذكر أبو داود في مراسيله السبب الذي تركه والآنفسهم في ترك سماع الخطبة وقد كانوا خليفة الفضلهم أن لا يفعلوا فقال حدثنا محمد بن خالد قال حدثنا الوليد قال أخبرني أبو معاذ بكير بن معروف انه سمع مقاتل بن حبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصلي الجمعة قبل الخطبة كالعبد حتى كان يوم جمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل يقال له دحية بن خليفة قدم بتجارة وكان دحية اذا قدم تلقاه اهله بالدقوف فخرج الناس فلم يظنوا الا أنه ليس في ترك الخطبة شيء فانزل الله تعالى هذه الآية فقدم النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة الخطبة وأخر الصلاة وكان لا يخرج أحد لرعا ف احدث بعد النهي حتى يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم يشير اليه باصبعه التي تلي الابهام فيأذن له النبي صلى الله عليه وسلم ثم يشير اليه بيده فكان في المناقبين من تقل عليه الخطبة والجلوس في المسجد فكان

إذا استأذن رجل من المسلمين قام المناق إلى جنبه مستترابه حتى يخرج فأمر الله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو إذا الآية قال السهيلي وهذا الخبر وإن لم ينقل من وجه ثابت فالظن الجليل بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوجب أن يكون صحيحا وقال قتادة وبلغنا أنهم فعلوه ثلاث مرات كل مرة غير تقدم من الشام وكل ذلك يوافق يوم الجمعة وقيل إن خروجهم لقدم دحية بجارته وتطهرهم إلى العيروهي غزاهم ولا فائدة فيه إلا أنه كان مما لا أثر فيه لو وقع على ذلك الوجه ولكنه لما اتصل به الأعراض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والانفصال عن حضرته غلظ وكبر ونزل فيه من القرآن وتهجينه باسم الله وما نزل وقوله تعالى (وتركوا) أي تخطب حتى بقيت في اثني عشر رجلا قال جابر أنا أحدهم (فأما) جملة حالية من فاعل انقضوا وقدم مقدرة عند بعضهم * (تنبيه) * في قوله تعالى فأما تنبيهه على مشروعيته في الخطبتين وهو من الشروط للقادر على القيام وأما أركانها خمسة حمد الله تعالى وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بلفظهما ووصية بتقوى الله وهذه الثلاثة في كل من الخطبتين وقراءة آية مفهومة ولو في أحدهما أو الأولى أولى ودعاء للمؤمنين والمؤمنات في ثانية ومن الشروط كونها معريتين وكونها في الوقت وولاء وطهر وستر كالصلاة (قل) يا أشرف الخلق للمؤمنين (ما عند الله) أي المحيط بجميع صفات الكمال (خير) ما موصولة مبتدأ وخبر خبرها (من الله وهو من التجارة) والمعنى ما عند الله تعالى من ثواب صلاتكم خير من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم وقيل ما عند الله من رزقكم الذي قسمه لكم خير مما اقتسمتموه من لهوكم وتجارنتكم (والله) أي ذو الجلال والإكرام وحده (خير الرازقين) أي خير من رزق وأعطى فاطلبوا منه واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده من خيري الدنيا والآخرة وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الجمعة أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة ومن لم يأتها في أمصار المسلمين حديث موضوع

﴿سورة المنافقين مدنية﴾

(وهي إحدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وسبع مائة وستة وسبعون حرفا)

(بسم الله) الذي له الإحاطة العظمى علما وقدرة (الرحمن) الذي ستر بعموم رحمته من أراد من عباده (الرحيم) الذي وفق أهل وده لما يحب ويرضاه (إذا جاءك) يا أيها الرسول المبشر بك في التوراة والإنجيل وقرأ سورة وابتدأ ذكوان بالامالة والباقيون بالفتح وإذا وقف حزة سهل الهمزة مع المد والقصر وله أيضا بدالها القامع المد والقصر (المنافقون) أي الغريزون في وصف النفاق وهم عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه (قالوا) مؤكدين لأجل استنساخهم تكذيب من سمعهم لما عندهم من الارتباب (نشهد) قال الحسن هو بمنزلة اليمين كانهم قالوا انقسم (انك رسول الله) أي الملك الذي له الإحاطة الكاملة فوافقوا الحق بظاهر

أحوالهم ونالوا بقلوبهم وأفعالهم وقوله تعالى (والله يعلم) أي وعلمه هو العلم في الحقيقة
 واكد سبحانه بحسب ان كانوا المنافقين فقال تعالى (انك لرسوله) سواء أشهد المنافقون بذلك
 أم لا فالشهادة بذلك حق من يطابق لسانه قلبه بجملة معترضة بين قوله -م تشهد انك لرسول الله
 وبين قوله تعالى والله يشهد لقائدة قال الزمخشري لو قال قالوا ان تشهد انك لرسول الله فالحق
 يشهد انهم لكاذبون لكان يؤهم ان قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليعيط
 هذا الالهام (والله) أي المحيط بجميع صفات الكمال (يشهد) شهادة هي الشهادة لانها
 محيطه بدقائق الظاهر والباطن (ان المنافقين) أي الراصين في وصف النفاق (لكاذبون)
 أي في اخبارهم عن أنفسهم انهم يشهدون لان قلوبهم لا تطابق ألسنتهم فهم لا يعتقدون ذلك
 ومن شرط قول الحق ان يتصل ظاهره بباطنه وسرّه بعلانيته ومتى تخالف ذلك فهو كذب ألا
 ترى انهم كانوا يقولون بالسنتهم تشهد انك لرسول الله وسماه الله تعالى كذبا لان قوله -م خالف
 اعتقادهم (اتخذوا أيمانهم) أي كلهم من شهادتهم وكل عين سواها (جنة) أي ستره عن أموالهم
 ودمائهم روى البخاري عن زيد بن أرقم قال كنت مع عبي الله بن أبي بن
 سلول يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقال لئن رجعنا إلى المدينة
 ليخرجننا الا عزمنا الاذل فذكرت ذلك لعبي الله بن أبي بن سلول فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فلقوا ما قالوا فصدقهم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وكذبني فأصابني هم لم يصبني مثله فجلست في بيتي فأرسل الله عز وجل
 اذا جاءك المنافقون إلى قوله تعالى هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله وقوله
 ليخرجننا الا عزمنا الاذل فأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الله قد صدقك
 وروى الترمذي عن زيد بن أرقم قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكن معنا
 اناس من الاعراب فكانت تدرك الماء وكان الاعراب يسبقوننا فيسبقوننا في الاعرابي أصحابه
 فيملأ الخوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجي أصحابه قال فأتى رجل من
 الانصار أعرابيا فأرخصي زمام ناقته لتشرب فأبى ان يدعه فانتزع حجرا ففاض الماء فرفع
 الاعرابي خشبة فضرب بها رأس الانصاري فشجه فأتى عبد الله بن أبي رأس المنافقين فأخبره
 وكان من أصحابه فغضب عبد الله بن أبي ثم قال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا
 من حوله يعني الاعراب وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام فقال عبد
 الله اذا انفضوا من عند محمد فاتوا محمدا بالطعام فليأكل هو ومن عنده ثم قال لأصحابه لئن
 رجعنا إلى المدينة ليخرجننا الا عزمنا الاذل قال زيد وأنا رد في فسمعت عبد الله بن
 أبي فأخبرت عبي فأنطلق فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم خلف وجهه قال فصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني قال فجاء عبي إلى
 فقال ما أردت الا ان مقتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبك المنافقون قال فوقع على من
 جراحهم ما لم يقع على أحد قال فيمنعنا فلما سير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قد خفت

رأي من الهم اذا تاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرك اذني وضحك في وجهي فكان
 مايسر لي ان لي بها الخلد في الدنيا ثم ان ابكر لحقني فقال ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قلت ما قال لي شيئا الا انه عرك اذني وضحك في وجهي فقال ابشر ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي
 لابي بكر فلما أصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين قال الترمذي هذا
 حديث حسن صحيح وروى انه صلى الله عليه وسلم حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهو
 ماء لهم وهزمهم وقتل منهم ازيد حم على الماء جهجاه بن سعيد اجير لعمر يقود فرسه وسنان
 الجهمي حليف لعبد الله بن أبي واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان
 جهجاه جعل من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعل وأنت هناك وقال ما صحبتنا
 محمد الا لتلطم وجوهنا والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القائل ممن كلبك يا كلك
 أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عني بالا عز نفسه وبالا ذل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه ماذا فعلتم بأنفسكم أحللتهم بلادكم وقاسمتهم أموالكم
 أما والله لو أمسكتهم عن جمال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولا وشكوا ان يتعولوا
 عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال
 أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عزم من الرجن وقوة من المسلمين فقال عبد
 الله اسكت فانما كنت ألعب فاخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر دعني أضرب عنق
 هذا المنافق يا رسول الله فقال اذن ترعد أنف كثيرة يئرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجري
 فأمر به انصاريا قال فكيف اذا تحدثت الناس ان محمدا يقتل أصحابه وقال صلى الله عليه
 وسلم لعبد الله أنت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئا
 من ذلك وان زيد الكاذب فهو قوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة فقال الحاضرون يا رسول الله
 شيخنا وكبيرنا لاتصدق عليه كلام غلام عسي أن يكون قد وهم وروى انه صلى الله عليه وسلم قال له
 لعلي غضبت عليه قال لا قال فلعله أخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت لحق
 صلى الله عليه وسلم زيد من خلقه فعرك اذنه وقال وعيت اذنك يا غلام ان الله قد صدقك وكذب
 المنافقين * (تنبيه) سئل حذيفة بن اليمان عن المنافق فقال الذي يصف الايمان ولا يعمل به
 وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد
 أخلف واذا اتفقن خان وروى عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أربع من كن فيه
 كان منافقا خالصا ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا اتفقن خان
 واذا لحقن كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وروى عن الحسن انه ذكر هذا الحديث
 فقال ان بني يعقوب حدثوا فكذبوا ووعدوا فأخلفوا واتمنوا ان يخانوا انما هذا القول من
 النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الانذار للمسلمين والتهذير لهم ان يعتادوا هذه الخصال شفقة
 ان تقضي بهم الى النفاق وليس المعنى أن من ندرت منه هذه الخصال من غير اختيار واعتياد
 انه منافق وقال عليه الصلاة والسلام المؤمن اذا حدث صدق واذا وعد فجز واذا اتفقن وفي

والمعنى المؤمن الكامل (فصدوا) أى فسبب لهم اتخاذهم هذا ان أعرضوا بأنفسهم مع سوء
البواطن وحراة ما فى الصدور وجلاو غيرهم على الاعراض (عن سبيل الله) أى عن طريق
الملك الاعظم الذى شرعه لعباده ليصلوا به الى محل رضوانه ووصلوا الى ذلك بجحداعهم ومكرهم
بجرائتهم على الايمان الخائنة (انهم ساءما كانوا) أى جبلة وطبعا (يعملون) أى يجتهدون
عمله مستترين عليه بما هو كالجبلة من جرائتهم على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وخلص عباده
بالايمان الخائنة ولما كانت المعاصى تعمى القلوب فكيف بأعظمها علة بقوله تعالى (ذلك)
أى سوء عملهم (بأنهم آمنوا ثم كفروا) (فان قيل) ان المنافقين لم يكونوا الاعلى الكفر الثابت
الدائم فسامعنى قوله تعالى آمنوا ثم كفروا (أجيب) بثلاثة أوجه أحدها آمنوا أى نطقوا بكلمة
الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل فى الاسلام ثم كفروا أى ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما
اطلع عليه من قولهم ان كان ما يقول محمد حقا فكن حبر وقولهم فى غزوة تبوك أيطمع هذا
الرجل أن تفخ له قصور كسرى وقيصر هيأت ونحوه قوله يحاضرون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة
الكفر وكفروا بعد اسلامهم أى وظهر كفرهم بعد ان أسلموا ونحوه لا تعتذروا قد كفرتم بعد
ايمانكم والثانى آمنوا أى نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء
بالاسلام بقوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا الى قوله انما نحن مستهزؤن وهذا اعلام من الله
تعالى بأن المنافقين كفار الثالث ان يراد ان ذلك فى قوم آمنوا ثم ارتدوا (فطبع) أى فحصل
الطبع وهو الختم مع أنه مع لوم أنه لا يتدر على ذلك غيره سبحانه (على قلوبهم) أى لاجل
اجترائهم على ما هو أكبر الكابر على وجه النفاق (فهم) أى فتسبب عن ذلك انهم
(لا يفقهون) أى لا يقع لهم فقه فى شئ من الاشياء فهم لا يعيزون صوابا من خطأ ولا حقاً من
باطل (واذا رأيتهم) أى أيها الرسول على مالك من الفطنة ونفوذ القراسة وأبصارها الرافى كائنا
من كان بعين البصر (تعجبك أجسامهم) لضخامتها وصباحتها فان عنايتهم كاهابصلاح
ظواهرهم وترفيه أنفسهم فهم أشباح وقوال ليس وراءها ألباب وحقائق قال ابن عباس
كان ابن أبى جسيم يصحى صفاً فصيحاً تلقى اللسان وقوم من المنافقين فى مثل صفته وهم رؤساء
المدينة وكانوا يحضرون مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ويستندون فيه ولهم جهارة المناظر
وفصاحة الالسن وكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يحبون بهياً كلهم (وان يقولوا)
أى يوجد منهم قول فى وقت من الاوقات (تسمع لقولهم) أى لقصصه فيلذاذا سمع ويروق
الفكر (كانهم) أى فى حسن ظواهرهم وسوء بواطنهم وفى عدم الاتقاع بهم فى شئ (خشب)
جمع كثرة الخشبة وهو دليل على كثرتهم (مستندة) أى قطعت من مغارها عمالة الى الجدار
وقرأ أبو عمرو والكسائي بسكون الشـيز والباقون بضمها (يحسبون) أى اضعف عقولهم
وكثرة ارتيابهم لكثرة ما يباشررون من سوء أعمالهم (كل صيحة) أى من نداء منادى انشاد
ضالة أو انقلات دابة أو نحو ذلك واقعة (عليهم) وضارة لهم بلينهم وهلعهم لما فى قلوبهم
من الرعب ان ينزل فيهم ما يبيح دماءهم ومنه أخذ الاخطل

مازلت تحسب كل شيء بعدهم * خيلا تكثر عليهم ورجالا
ومنه قول الآخر

كان بلاد الله وهي عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل
يخال اليه ان كل ثنية * تيمها ترى اليه بقاتل

(هم العدو) أي الكامل العداوة بما دل عليه الاخبار بالمفرد الذي يقع على الجمع اشارة الى
انهم في شدة عداوتهم للاسلام وأهله وكال قصدهم وشدة سعيهم فيه على قلب رجل واحد وان
أظهروا التودد في الكلام والتقرب به الى أهل الاسلام فان ألسنتهم معكم اذ القوكم وقلوبهم
عليكم مع أعدائكم فهم عيون لهم عليكم (فاحذرهم) لان أعدى عدوك من يعاشره وتحت
ضلوعه الداء لكنه يكون بلاطف الله دائم الخذلان منكوسا في أكثر قلبياته بيد القهر
والحرمان لسر قوله تعالى (قاتلهم الله) أي أحلهم الملك المحيط قدرة وعلما محل من يقاتله
عدو قاهر له أشد مقاتلة على عادة الفعل الذي يكون بين اثنين وقال ابن عباس أي لعنهم الله
وقال أبو مالك هي كلمة ذم وتوبيخ وقد تقول العرب قاتله الله ما أشعره فيضعونه موضع التعجب
(أني) أي كيف ومن أي جهة (يؤفكون) أي يصرفهم عن قبح ما هم عليه صارف ما كائن
ما كان ليرجعوا عما هم عليه وقال ابن عباس أني يؤفكون أي يكذبون وقال مقاتل أي
يعدلون عن الحق وقال الحسن يصرفون عن الرشيد وقيل معناه كيف تضل عقولهم عن
هذا مع وضوح الدلائل وهو من الافك (واذا قيل لهم) أي من أي قائل كان (تعالوا) أي
ارفعوا أنفسكم مجتهدين في ذلك بالجهي الى أشرف الخلق الذي لا يزال مكانه عاليا لعلو مكانته
(يستغفر لكم) أي يطلب الغفران لاجلكم خاصة من أجل هذا الكذب أي الذي أنتم مصرون
عليه (رسول الله) أي أقر بخلق الخلق الى الملك الاعظم الذي لا شبهة لوجوده (لو وارؤسهم)
أي فعلوا التي بغاية الشدة والكثرة وهو الصرف الى جهة أخرى اعراضا وعتوا واظهارا
للبغض والنفرة (ورأيتم) أي بعين البصيرة (يصدون) أي يعرضون اعراضا قبيحا عداوا
اليه مجتهدين لذلك كعادوا اليه والجملة في موضع المفعول الثاني لرأيت (وهم مستكبرون) أي
ثابتوا الكبر عداوا اليه وعن احلال أنفسهم في محل الاعتذار فهم لشدة غلظهم لا يدركون
قبح ما هم عليه ولا يهتدون الى دوائه واذا أرشدهم غيرهم ونههم لا يتنبهون فقد روى انه
لما نزل القرآن فيهم أتاهم عشائره من المؤمنين وقالوا ويحكم اقمضتم وأهلكتم أنفسكم فأتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوبوا اليه من النفاق واسألوه أن يستغفر لكم فلو وارؤسهم
أي حركوها اعراضا واباه قاله ابن عباس وعنه انه كان لعبد الله بن أبي موقف في كل سبت
يحض على طاعة الله وطاعة رسوله فقهيل له وما يتفعل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم
عليك غضبان فانه يستغفر لك فأبي وقال لا أذهب اليه وروى ان ابن أبي راسهم لوى رأسه
وقال لهم أشرت على بالايمن فآمنت وأشرت على بأن أعطى زكاة مالي ففعلت ولم يبق الا أن
تأمرني بالسجود لمجد قزل واذا قيل لهم تعالوا الآية ولم يلبث الاياما قلائل حتى اشتكى

ومات ولما كان صلى الله عليه وسلم يحب صلاحهم فهو يحب أن يستغفروا لهم وردجائده الى ذلك بعض آثارهم قال تعالى منها على أنهم ليسوا بأهل للاستغفار لانهم لا يؤمنون (سواء عليهم أستغفرت لهم) استغنى بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل (أم لم تستغفر) الله (لهم) أى سواء عليهم الاستغفار وعدمه لانهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم (لن يغفر الله) أى الملك الاعظم (لهم) لرسوخهم في الكفر (إن الله) أى الذى له كمال الصفات (لا يهدي القوم) أى الناس الذين لهم قوة فى أنفسهم على ما يريدونه (الفاستقين) أى لانهم لا عذر لهم فى الاصرار على الفسق وهو المروق من حسن الاسلام بخرقه وهتكه مرة بعد مرة والقرن عليه حتى استحكم فهم راسخون فى النفاق والخروج عن مظنة الاصلاح (هم) أى خاصة بخالص بواطنهم - م (الذين يقولون) أى أوجدوا هذا القول للانصار ولا يزالون يجددونه لانهم كانوا مر بوطيق بالاسباب محجوبين عن شهود التقدير (لا تنفقوا) أى أيها المخلصون فى النصرة (على من) أى الذين (عند رسول الله) أى الملك المحيط بكل شئ وهم فقراء المهاجرين (حتى ينفقوا) أى يتفزلوا فيذهب كل أحد منهم الى أهله وشغله الذى كان له قبل ذلك قال البقاعي ومادرى الاجلاف أنهم لو فعلوا ذلك أتاح الله تعالى غيرهم للانفاق وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا فى الشئ اليسير فصار كثيرا أو كان بحيث لا يتفدا وأعطى كلابيسيرا من طعام على كيفية لا يتقدمها أكثر أبى هريرة وشعير عائشة وعكة أم آيين وغير ذلك كما روى غير مرة ولكن من يضل الله فخاله من هادولذلك عبر فى الرد عليهم بقوله تعالى (ولله) أى قالوا ذلك واستمروا على تجديد قوله والحال ان للملك الذى لأمر لغيره (خزائن السموات) أى كلها (والارض) كذلك من الاشياء المعدومة الداخلة تحت مقدوره اغنا أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ومن الاشياء التى أوجد هافهو يعطى من يشاء منها حتى يحا فى أيديهم لا يقدر أحد على منع شئ من ذلك لا مما فى يده ولا مما فى يد غيره ونسبه على سوء غباوتهم وأنهم تقيدوا بالوهم حتى سفلوا عن رتبة البهائم كما قال بعضهم ان كان محمد صادقا فمن شر من البهائم بقوله تعالى (ولكن المنافقين) أى العريقين فى وصف النفاق (لا يفقهون) أى لا يتجدد لهم فهم أصلا كالبهائم بل هم أفضل لان البهائم اذا رأت شيئا ينفعها يومافى مكان طلبته مرة أخرى وهؤلاء رأوا غير مرة ما أخرج الله تعالى من خوارق البركات على يد رسوله صلى الله عليه وسلم فلم ينفعهم ذلك ودل على عدم نفعهم بقوله تعالى (يقولون) أى يوجدون هذا القول ويجددونه مؤكدين لاستشعارهم بأن أكثر قومهم ينكروه (لئن رجعنا) أى أيها العصاة المناقصة (الى المدينة) أى من غزاتنا هذه وهى غزوة بنى المصطلق حتى من هذيل خرج اليهم حتى لقيم على ما من مياهم يقال له المريسيع من ناحية قنيد الى الساحل (ليخرجن الاعز) يعنون أنفسهم (منها) أى المدينة (الاذل) يعنون النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وهم كاذبون فى هذا المكونهم قصور والشدة غباوتهم أن العزة لهم وأنهم يقدرون على اخراج المؤمنين (ولله) أى والحال ان كل من له نوع بصيرة يعلم ان الملك الاعلى هو الذى له وحده

(العزة) أى الغلبة كلها (ورسوله) لانه عزته من عزته (والمؤمنين) فعزة الله قهره من دونه وكل من عداه دونه وعزة رسوله اظهرها دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله تعالى اياهم على أعدائهم (ولكن المنافقين) أى الذين استحكم فيهم مرض القلوب (لا يعلمون) أى لا يوجد لهم علم الآن ولا يتجدد في حين من الاحيان فلذلك هم يقولون مثل هذا الخراف روى انه لما نزلت هذه الآية جاء عبد الله ولد عبد الله بن أبي اسلول الذي نزلت هذه الآيات بسببه كما مر الى أبيه وذلك في غزوة المريسيع ابني المصطلق فأخذ بزمام ناقته وقال أنت والله الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز وما أراد أن يدخل المدينة عبد الله بن أبي اعترضه ابنه حبيب وهو عبد الله غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه وقال ان حبابا باسم شيطان وكان مخلفا وقال ووالله لا تدخلها حتى تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعز وأنا الاذل فلم يزل حبيسا في يده حتى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخليته وروى أنه قال ان لم تقر لله ورسوله بالعزة لاضر بن عنك فقال ويحك أفاعل أنت قال نعم فلما رأى منه الجدة قال أشهد أن العزة لله ورسوله وللمؤمنين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابنه جراك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا (فان قيل) ما الحكمة في أنه تعالى ختم الآية الاولى بقوله تعالى لا يفقهون وختم الثانية بقوله تعالى لا يعلمون (أجيب) بأنه لم يعلم بالاولى قلة يكاستهم وفهمهم وبالثانية حماقتهم وجهلهم ويفقهون من فقه يفقه كعلم يعلم او من فقه يفقه كعظم يعظم فالاول لحصول الفقه بالتكلف والثاني لا بالتكلف فالاول علاجى والثانى من اجى ثم نهي الله تعالى المؤمنين عن التشبه بالمنافقين فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أى اقرؤا بالايمان وقلوبهم ممدعة كطواهرهم (لاتلهمكم) أى لاتشغلكم (أموالكم ولا اولادكم) سواء كان ذلك فى اصلاحها او التمتع بها بحيث تغفلون (عن ذكر الله) أى الملك الاعظم حذر المؤمنين اخلاق المنافقين أى لاتشتغلوا بأموالكم كما فعل المنافقون اذ قالوا لاجل الشئ بأموالهم لاتتفقوا على من عند رسول الله وقوله تعالى عن ذكر الله قال الضمالة أى عن الصلوات الخمس تطهير قوله تعالى لاتلهمكم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقال الحسن عن جميع الفرائض كأنه قال عن طاعة الله تعالى وقيل عن الحج والزكاة وقيل عن قراءة القرآن وقيل عن اقامة الذكر وقيل هذا خطاب للمنافقين أى آمنتم بالقول فآمنوا بالقلب ولما كان التقدير غن انتهى فهو من الفائزين عطف عليه قوله تعالى (ومن يفعل) أى يوقع فى زمن من الازمان على سبيل التجديد والاستمرار فعل (ذلك) أى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من الاعمال الى الاشتغال بالفانى والاعراض عن الباقي (فأولئك) البعدا عن الخير (هم الخاسرون) أى العريقون فى الخسارة فى تجارتهم حيث باعوا العظمى الباقي بالحقير الثانى حتى كأنهم محضون يهادون الناس وذلك بضد ما أرادوا (وأفقوا) أى ما أمرتم به من واجب أو مندوب كما قاله بعض المفسرين وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريدان زكاة الاموال وهو ظاهر الامر ثم ان الله تعالى زاد فى الترغيب بالرضا منهم باليسير بقوله تعالى (مما رزقناكم) أى بعظمنا قال الزمخشري من فى مما رزقناكم للتبخيص والمراد الانفاق

الواجب اثم قال تعالى محذرا من الاغترار بالتسوية في أوقات السلامة (من قبل ان يأتي أحدكم الموت) أي يرى دلائله وأماراته وكل لحظة مرت فهي دلائله وأماراته قال القرطبي وهذا دليل على وجوب تهجيل اخراج الزكاة ولا يجوز تأخيرها أصلا أي بلا عذر وكذا سائر العبادات إذا دخل وقتها وقال الرازي وبالجمله فقوله تعالى لا تأتكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله تنبيه على المحافظة على الذكر قبل الموت وقوله تعالى وأنفقوا مما رزقناكم تنبيه على الشكر كذلك ولما كانت الشدة تقتضي الاقبال الى الله تعالى سبب عن ذلك قوله تعالى (فيقول) أي سائلا في الرجعة وأشار الى تزيقها للقلوب بقوله (رب لولا) أي هلا ولم لا (آخرتي) أي أخبرت موتي أمهالا (الى أجل) أي زمان وقوله (قريب) يبين به أن مراده استدرالك ما فات ليس الا وقيل لازادة ولولتني أي لو أخرتني الى أجل قريب (فأصدق) أي للترؤد في سفرى هذا الطويل الذي أنا مستقبله وعن ابن عباس رضى الله عنهما تصدقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا يتفع على وعنه ما يمنع أحدكم اذا كان له مال أن يزكى واذا أطاق الحج أن يحج من قبل أن يأتيه الموت فيسأل ربه الكثرة فلا يعطاها وعنه أنها نزلت في مانعي الزكاة والله لو رأى خيرا ما سأل الرجعة فقبل له أما تقي الله يسأل المؤمنون الكثرة قال نعم أنا أقرأ عليكم قرآنا يعني أنها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها وكذا عن الحسن مامن أحد لم يزك ولم يصم ولم يحج الاسأل الرجعة وقال الضعفاء لا ينزل بأحد لم يحج ولم يؤد الزكاة الموت الا وسأل الرجعة وعن عكرمة نزلت في أهل القبلة وقيل نزلت في المنافقين وله - ذانقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال هذه الآية تدل على أن القوم لم يكونوا من أهل التوحيد لانه لا يتقى الرجوع الى الدنيا والتأخير فيها أحده عند الله تعالى خيرا في الآخرة أي اذا لم يكن بالصفة المتقدمة قال القرطبي الا الشهيد فانه يتقى الرجوع حتى يقتل لما يرى من الكرامة وقرأ (وأكون من الصالحين) أي العربيقين في هذا الوصف بالتدارك أبو هريرة وبواب بعد الكاف ونصب النون عطفا على فأصدق والباقون بحدف الواو والافتاء الساكنين وجزم النون واختلفت عبارات الناس في ذلك فقال الرهشمي عطفا على محمل فأصدق كأنه قيل ان أخرتني أصدق وأكن وقال ابن عطية عطفا على الموضع لان التقدير ان أخرتني أصدق وأكن هذا مذهب أبي علي الفارسي وقال القرطبي عطفا على موضع الفاء لان قوله فأصدق لو لم تكن الفاء لكان مجزوما أي أصدق ثم زاد تعالى في الحث على المبادرة بالطاعات قبل الفوات به وله تعالى مؤكدا لاجل عظم الرجاء من هذا المنة ضربا بالخير عطاها على ما تقديره فلا يؤخره الله فيفوته ما أراد (ولن يؤخر الله) أي الملك الاعظم الذي لا كف له فلا اعتراض عليه (نفسا) أي نفس كانت وحقق الاجل بقوله تعالى (اذا جاء أجلها) أي وقت موتها الذي حده الله تعالى لها فلا يؤخر الله تعالى نفس هذا القاتل لانها من جملة النفوس التي شملها النفي وقرأ قالون والبري وأبو عمر وباسقاط الهمزة الاولى مع المذخر والقصر وقرأ ورش وقنبل بتسهيل الثانية بعد تحقيق الاولى ولهما أيضا ابداهما الفاء والباقون بتحقيقهما (والله) أي الذي له الاحاطة الشاملة علما وقدره (خير) أي

بالغ الخبرة والعلم ظاهر او باطنا (بما تعملون) أى توقعون عمله فى الماضى والحال والمآلى كله باطنه وظاهره وقرأ شعبة بالياء التحتية على الفيبة على الخبر عن مات وقال هذه المقالة والباقيون بالفوقية على الخطاب وما قاله البيضاوى تعالى لم يخشى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق حديث موضوع

﴿سورة التغابن مدنية﴾

فى قول الاكثرين وقال الضحاك مكة وقال الكلبي مدنية ومكية وعن ابن عباس رضى الله عنهم ما أن سورة التغابن نزلت بمكة الآيات من آخرها نزلت بالمدينة فى خوف بن مالك الانجعى شكاً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفاء أهله وولده فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا أن من أزواجكم وأولادكم عدو لكم الى آخرها وهى ثمانى عشرة آية ومائتان واحد واربعون كلمة وألف وسبعون حرفاً

(بسم الله) مالك الملك فلا كف له ولا مثيل (الرحمن) الذى وسع الخلائق بره الجليل (الرحيم) الذى خص من عه فوفقهم للجميل (يسبح) أى يوقع التنزيه التام مع التجديد والاستقرار (الله) أى الذى له الاحاطة بأوصاف الكمال (ما فى السموات) أى كلها (وما فى الارض) كذلك وقبل اللام زائدة أى ينزه الله تعالى قال الجلال المحلى وأتى بمادون من تغليب اللام أكثر (له) أى وحده (الملك) أى كله مطلقاً فى الدنيا والاخرة (وله) أى وحده (الحمد) أى الاحاطة بأوصاف الكمال كلها فلذلك نزهه جميع مخلوقاته وقدم الطرفين ليدل بتقديره ما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله تعالى وذلك بأن الملك على الحقيقة له لانه مبدئ كل شئ ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذا الحمد لان أصول النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسلط منه واسترعاء وحده اعتد ادباً بأن نعمة الله جرت على يده (وهو على كل شئ قدير هو) أى وحده (الذى خالقكم) أى أنشأكم على ما أنتم عليه (فتسببكم) أى فتسبب عن خلقه لكم وتقديره (كافر) أى عريق فى صفة الكفر (ومنكم مؤمن) أى راسخ فى الايمان فى حكم الله تعالى فى الازل قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله خلق بن آدم مؤمناً وكافراً ويعيدهم فى القيامة مؤمناً وكافراً وروى ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنسبة فذكر شيئاً مما يكون فقال تولد الناس على طبقات شتى يولد الرجل مؤمناً ويعيش مؤمناً ويموت مؤمناً ويولد الرجل كافراً ويعيش كافراً ويموت كافراً ويولد الرجل مؤمناً ويعيش مؤمناً ويموت مؤمناً أى وسكنت عن القسم الآخر وهو أن يولد الرجل مؤمناً ويعيش مؤمناً ويموت كافراً اكتفاء بالمقابل وقال ابن مسعود رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى فرعون فى بطن أمه كافراً وخلق يحيى بن زكريا عليه السلام فى بطن أمه مؤمناً وفى الصحيح من حديث ابن مسعود رضى الله عنه وإن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع أو باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع أو باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل

الجنة فيه خلها وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال ان الرجل يعمل عمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من اهل النار وان الرجل يعمل
 عمل اهل النار فيما يبدو للناس وهو من اهل الجنة قال القرطبي قال علماؤنا والمعنى تعلق العلم
 الازلي بكل معلوم فيجري ما علم وارا دوحكم فقدر يريد ايمان شخص على هجوم الاحوال وقد
 يريده الى وقت معلوم وكذلك الكفر وقيل في الكلام محذوف تقديره فنعلمكم مؤمن ومنكم
 كافر ومنكم فاسق فحذف لما في الكلام من الدلالة عليه قاله الحسن وقال غيره لا حذف
 لان المقصود ذكر الطرفين وقيل انه خلق الخلق ثم كفر واآمنوا والتقدير هو الذي
 خلقكم ثم وصفهم فقال فنعلمكم كافر ومنكم مؤمن كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء ثم
 قال تعالى فمنهم من يشقى على بطنه الآية قالوا فانه خلقهم والمشي فعلهم وهذا الاختيار
 الحسين بن الفضل قال لو خلقهم مؤمنين وكافرين لما وصفهم بفعلهم في قوله تعالى فنعلمكم كافر
 ومنكم مؤمن واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه
 وينصرانه ويمجسانه قال البغوي وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن أبي بن
 كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع على الكفر وقال
 تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وروى أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
 قال وكل الله بالرحم ما كافى قول أى رب نطفة أى رب علقة أى رب مضغة فإذا أراد الله أن
 يقضى خلقها قال يا رب ذكر أم أنثى شقى أم سعيد فمال الرزق فما الاجل فيكتب ذلك في بطن أمه
 وقال الضحاك فنعلمكم كافر في السر مؤمن في العلانية كالمنافق ومنكم مؤمن في العلانية والسر
 كعمار وزيد وقال عطاء بن أبي رباح فنعلمكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر
 بالكواكب يعنى في شأن الانواء كما جاء في الحديث قال القرطبي وقال الزجاج وهو أحسن
 الاقوال والذي عليه الاثمة ان الله خلق الكافر وكفره فعل له وكسب واختيار وخلق المؤمن
 وایمانه فعل له وكسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيئته فالؤمن بعد خلق الله
 اياه يختار الايمان لان الله تعالى اراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله اياه
 يختار الكفر لان الله تعالى قدره عليه وعلمه منه ولا يجوز ان يوجد من كل منهما غير الذي قدره
 عليه وعلمه منه لان وجود خلاف المقدور محذور وجود خلاف المعلوم جهل فلا يليقان بالله تعالى
 قال البغوي وهذا طريق اهل السنة من سلكه اصاب الحق وسلم من الجبر والقدر قال الرازي
 فان قيل انه تعالى حكيم وقد سبق في علمه انه تعالى اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر فأي حكمة دعت
 الى خلقهم فالجواب اذا علمنا انه تعالى حكيم علمنا ان أفعاله كلها على وفق الحكمة فيكون خلقه
 تعالى هذه الطائفة على وفق الحكمة ولا يلزم من عدم علمنا بذلك أن لا يكون كذلك بل اللازم أن
 يكون خلقهم على وفق الحكمة (واقه) أى الذى له الاطاعة الكاملة (بما تعملون) أى توقعون
 عمله كسبا (بصير) أى بالغ العلم بذلك فهو الذى خلق جميع أفعالكم التى نسب كسبها اليكم وهو
 خالق جميع الاستعدادات والمصافات كما خلق الذوات خلافا للقدرة لانه لا يتصور أن يخلق

الخالق ما لا يعلم ولو سئل الانسان كم مشى في يومه من خطوة لم يدرك كيف لو سئل أين موضع
 مشيه ومتى زمانه فكيف وانه لم يشأ أكثر مشيه وهو غافل عنه ومن جهل أفعاله كما وكيفوا أيتنا
 وغير ذلك لم يكن خالفا لها بوجه * ولما ذكر المظروف ذكر ظرفه دال على تمام احاطته بالبوطن
 والظواهر وقوله تعالى (خلق السموات) أى على علوها وكبرها (والارض) على سعتها (بالحق)
 أى بالامر الذى يطابقه الواقع لما أراد (وصوركم) أى آدم عليه السلام خلقه بيده كرامة له قال
 مقاتل وقيل جميع الخلائق على صور لا توافق شيئا من صور العلويات ولا السفليات ولا فيها
 صور توافق الاخرى من كل وجهه (فاحسن صوركم) فجعلها أحسن الحيوانات كلها كما هو
 مشاهد وبدليل أن الانسان لا يتمنى أن يكون على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن
 صورته أن خلقه منتصبا غير منكسب كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم كما يأتي ان
 شاء الله تعالى (فان قيل) قد يوجد في افراد هذا النوع من كل مشوه الخلقة سمج الصورة
 (أجيب) بأنه لا سماجة لان الحسن في المعاني وهو على طبقات ومراتب فان خطا ط بعض الصور
 عن مراتب ما فوقه لا يمنع حسنه فهو داخل في حيز الحسن غير خارج عن حده فقبج القبيح منه
 انما هو بالنسبة الى أحسن منه ولذا قال الحكماء شيئا لا غاية لهما الجمال والبيان فقدره الله
 سبحانه وتعالى لا تتناهى قال البقاعي فايك أن تصفى لما وقع في كتب الغزالي انه ليس في الامكان
 أبدع مما كان فان ذلك ينحل الى أنه سبحانه لا يقدر أن يحاق أحسن من هذا العالم وهذا لا يقوله
 أحداه وهو لا ينقص مقدار الغزالي فان كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه كما قال الامام مالك
 وعزاه الغزالي نفسه الى ابن عباس رضى الله عنهما وقال الشافعي صنعت هذه الكتب وما ألوت
 فيها جهدا وافي لاهل أن فيها الخطأ لان الله تعالى يقول ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
 اختلافا كثيرا * ولما كان التقدير فكان منه سبحانه المبدأ عطف عليه قوله تعالى (واليه) وحده
 (المصير) أى المرجع بعد البعث فيجازى كالأعماله (يعلم) أى علمه حاصل في الماضي والحال
 والمآل (ما) أى كل شئ (في السموات) أى كلها (والارض) كذلك (ويعلم) أى على سبيل
 الاستمرار (ماتسرون) أى يتحققون (وماتعلنون) أى تظهرون من الكلمات والجزئيات (واقفه)
 أى الذى له الاحاطة التامة (عليم) أى بالغ العلم (بذات) أى صاحبة (الصدور) من الاسرار
 والخواطر التى لم تبرز في الخارج سواء كان صاحب الصدر قد علمها أم لا وعلمه لكل ذلك على حد
 سواء لا تفاوت فيه بين علم الخفى وعلم الجلى تنبه بعلمه ما في السموات والارض ثم يعلم ما يسره
 العباد ويعلمونه ثم يعلم ذوات الصدور ان شيئا من الجزئيات والكلمات غير خاف عليه ولا عازب
 عنه ولا يجترأ على شئ مما يخالف رضاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله
 فتمسك كافر ومنكم مؤمن كما ترى في معنى الوعيد على الكفر وانكار أن يعصى الخالق ولا تشكر
 نعمته (ألم يأتكم) أيها الناس ولا سيما الكفار (نبأ) أى خبر (الذين كفروا من قبل) كقوم
 نوح وهود وصالح (فذاقوا) أى باشر وأما مبشرة الذائق (وبال أمرهم) أى ضرر كفرهم في الدنيا
 وأصله الثقل ومنه الويل لطعام يشغل على المعدة والوايل المطر الثقيل القطر (ولهم عذاب أليم)

أى مؤلم فى البرزخ ثم يوم القيامة التى هى موضع الفصل الأعظم (ذلك) أى الامر العظيم من
 الوبال الدال قطعاً على أن الكفر أبطل الباطل وأنه مما يغضب الخالق (بأنه) أى بسبب ان
 الشأن العظيم البالغ فى القضاة (كانت تأنيهم) على عادة مستمرة (رسلم) أى رسل الله الذين
 أرسلهم اليهم (بالبينات) أى الحجج الظاهرات على الايمان (فقالوا) أى الكل لرسلم منكرين
 غاية الانكار تكبراً وقولاً هم (أبشريهم - دوتنا) يجوز أن يرتفع بشر على القاعدية ويكون من
 الاشتغال وهو الاربع لان الاداة تطلب الفعل ويجوز أن يكون مبنداً وخبراً وجمع الضمير فى
 يهدوتنا اذ البشر اسم جنس وقد بأتى الواحد بمعنى الجمع فيكون اسماً للجنس وقد بأتى الجمع بمعنى
 الواحد كقوله تعالى ما هذا بشر انا انكروا على الملك الاعظم ارساله اليهم (فكفروا) أى بهم هذا
 القول اذ قالوا استصغاروا ولم يعلموا أن الله يبعث من يشاء الى عباده (وتولوا) عن الايمان (فان
 قيل) قوله تعالى فكفروا تعميم يفهم منه التولى فيما الحاجة الى ذكره (أجيب) بأنهم كفروا
 وقالوا أبشريهم دوتنا وهذا فى معنى الانكار والاعراض بالكلية وهذا هو التولى فكأنهم كفروا
 وقالوا قولاً يدل على التولى فلهم هذا قال فكفروا وتولوا وقيل كفروا بالرسول وتولوا بالبرهان
 وأعرضوا عن الايمان والموعظة ونبه بقوله تعالى (واستغنى الله) أى الملك الاعظم الذى لا أمر
 لاحد معه على أن هذا انما هو لمصالح الخلق فهو غنى عن كل شئ (فان قيل) قوله تعالى وتولوا
 واستغنى الله يومهم وجود التولى والاستغناء معاً والله تعالى لم يزل غنياً (أجيب) بأن معناه وظهر
 استغناء الله حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدوته على ذلك (والله) أى المستجمع
 الصفات الكمال (غنى) عن خلقه (حيد) أى محو دنى أفعاله (زعم الذين كفروا) أى وقعوا
 الستر لما دلت عليه العقول من وحدانية الله تعالى ولوعلى أدنى الوجوب وزعم قال ابن عربى
 كنية الكذب وقال الزمخشري الزعم ادعاء العلم ومنه قوله عليه الصلاة والسلام زعموا مطية
 الكذب وعن شريح لكل شئ كنية وكنية الكذب زعموا وفى حديث ابن مسعود رضى الله عنه
 عند أبي داود بش مطية الرجل زعموا (أن لن يبعثوا) أى من أى باعث ما يوجه من الوجوه
 (قل) أى يا أشرف الرسل اهؤلاء البعداء (بلى) أى لتبعثن ثم أكذبصريح القسم فقال (وربى)
 أى المحسن الى بالانتقام من كذبى (لتبعثن) أى بأهون شئ وإيسر أمر (ثم لتنبؤن) أى تخبرن
 اخباراً عظيمة من يقميه الله تعالى لاخباركم (بما عملتم) أى بأعمالكم لتجزون عليها (وذلك) أى
 الامر العظيم عندكم من البعث والحساب (على الله) أى المحيط بصفات الكمال وحده (يسر)
 اذا الاعادة أسهل من الابتداء (فان قيل) كيف يفيد القسم فى اخباره عن البعث وهم قد أنكروا
 الرسالة (أجيب) بأنهم أنكروا الرسالة لكنهم يعتقدون انه يعتقد ربه اعتقاد اجاز ما فيعلمون أنه
 لا يقسم على القسم بربه الا وأن يكون الاخبار عنده صدقاً أظهر من الشمس فى اعتقاده ثم انه
 أكد الخبر باللام والنون فكأنه قسم بعد قسم ثم انه تعالى لما أخبر عن البعث والاعتراف
 بالبعث من لوازم الايمان قال تعالى (فأمنوا بالله) أى الملك الذى له الاحاطة الكاملة بكل شئ
 (ورسوله) أى كل من أرسله ولا سيما محمد صلى الله عليه وسلم (والنور) أى القرآن (الذى أنزلنا)

أى بما للناس من العظمة لأنه نور يهتدى به من ظلمة الضلالة كما يهتدى بالنور في الظلمات (فان قيل) هلا قيل ونوره بالاضافة كما قال ورسوله (أجيب) بأن الالف واللام في النور بمعنى الاضافة فكانه قال ورسوله ونوره (والله) أى المحيط علما وقدره (بما تعملون خبير) أى بالغ العلم بما تسرون وما تعلنون فراقبوه في السر والعلانية وقوله تعالى (يوم يجمعكم) منصوب بقوله تعالى لتقبون عند النحاس وبخبر عند الحوفي لما فيه من معنى الوعيد كأنه قال والله يعاقبكم يوم يجمعكم وبأذكر مضمرا عند الزمخشري فيكون مفعولا به أو بمبادل عليه الكلام أى تتفاوتون يوم يجمعكم قاله أبو البقاء (ليوم الجمع) أى لاجل ما يقع في ذلك اليوم وهو يوم القيامة الذى يجمع الله تعالى فيه الأولين والآخرين من الانس والجن وجميع أهل السماء والارض وقيل يوم يجمع الله بين كل عبد وعمله وقيل يجمع فيه بين الظالم والمظلوم وقيل يجمع فيه بين كل نبي وأمته وقيل يجمع فيه ثواب أهل الطاعة وعقاب أهل المعاصي بل هو جامع لجميع ما ذكر (ذلك) أى اليوم العظيم (يوم التغابن) والتغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو أن يغيب بعضهم بعضا النزول السعداء منازل الاشقياء التى كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء التى كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء وفيه تم كم بالاشقياء لان نزولهم ليس بغيب ولهذا قيل التفاعل هنا من واحد لامن اثنين وفي الحديث ما من عبد أدخل الجنة الا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا وما من عبد دخل النار الا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة وهو معنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظاما له وأن تغابنه هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في أمور الدنيا وان جلت وعظمت وذكر في بعض التفاسير أن التغابن هو أن يكتسب الرجل مالا من غير وجهه ليرثه غيره فيعمل فيه بطاعة الله فيدخل الاول النار والثاني الجنة بذلك المال فذلك هو الغيب البين والمغابن ما انتهى من البدن نحو الابطين والفخذين والمغبون من غيب في أهله ومنازل في الجنة ويظهر يومئذ غيب كل كافر بتركه الايمان وغيب كل مؤمن بتقصيره في الاحسان وبصنيعه الاستقام قال الزجاج ويغيب من ارتفعت منزلته في الجنة بالنسبة الى من هو أعلى منزلة منه (فان قيل) فأى معاملة وقعت بينهم ما حق يقع الغيب فيها (أجيب) بأنه تمثيل للغيب في الشراء والبيع كقوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فخارجت تجارتهم فلماذا ذكر أن الكفار اشتروا الضلالة بالهدى وما رجحوا في تجارتهم بل خسروا ذكر أيضا أنهم غبنوا وذلك ان أهل الجنة اشتروا الآخرة بترك الدنيا واشتروا أهل النار الدنيا بترك الآخرة وهذا نوع مبادلة اتساعا ومجازاة ففرق الله تعالى الخلق فرقتين فريقا للجنة وفريقا للنار وقال الحسن وقتادة بلغنا أن التغابن على ثلاثة أصناف رجل علم علما فضيعة ولم يعمل به فشتى به ورجل علم علما وعمل به فنجابه ورجل اكتسب مالا من وجوه يسأل عنها وشمع عليه وفرط في طاعة ربه بسببه ولم يعمل فيه خيرا وتركه لو ارث لاحساب عليه فعمل ذلك الوارث فيه بطاعة ربه ورجل كان له عبد فعمل ذلك العبد بطاعة ربه فسعد وعمل السيد بمعصية ربه فشقى وروى القرطبي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يقيم الرجل والمرأة يوم القيامة

بين يديه فيقول الله تعالى لهما قولاً ما أتتما فأتان فيقول الرجل يا رب أوجبت نفقتي على فنفقتها
من حرام ومن حلال وحولاء المصوم يطلبون ذلك ولم يبق لي ما أوفي فتقول المرأة يا رب وما عسى
أن يقول اكتسبه حراماً وأكلته حلالاً وعصا في مرضاتي ولم أرض له بذلك فبعد الله وصحفاً
فيقول الله تعالى قد صدقت فيؤمر به إلى النار ويؤمر بها إلى الجنة فتطلع عليه من طبقات الجنة
فتقول له غيبتنا لغيرنا لغيرنا ما جئت أنت به فذلك يوم التغابن وقال بعض علماء الصوفية إن
الله تعالى كتب الغيب على الخلق أجمعين فلا يليق أحدهم بالامغيبون لأنه لا يمكنه الاستيفاء للعمل
حتى يحصل له استيفاء الثواب قال صلى الله عليه وسلم لا يليق الله أحد إلا نادى ما كان مسياً أن
لم يحسن وإن كان محسناً لم يزد * (تنبيه) * استدل بعض العلماء بقوله تعالى ذلك يوم
التغابن أنه لا يجوز الغيب في المعاملات الدنيوية لأن الله تعالى خصص التغابن بيوم القيامة
فقال تعالى ذلك يوم التغابن وهذا الاختصاص يفيد أن لا غيب في الدنيا فكل من اطلع على
غيب في مبيع فانه مردود إذا زاد على الثلث واختاره البغداديون واحتجوا عليه بقوله صلى
الله عليه وسلم لحسان بن سعيد إذا بايعت فقل لا خلاية ولك الخيار ثلاثاً ولأن الغيب في الدنيا
ممنوع منه بالاجماع في حكم الدين اذ هو من باب الحداغ المحرم شرعاً في كل ملة لكن اليسير
منه لا يمكن الاحتراز عنه فخص في البيوع اذ لو حكمنا برده ما نفذ بيع أبداً لأنه لا يعلم منه
فاذا كان كثيراً أمكن الاحتراز عنه فوجب الرقبة والفرق بين القليل والكثير في الشريعة
غير معلوم فقد ثبت بالثالث وهذا الحد اعتبره الشارع في الوصية وغيرها ويكون معنى الآية على
هذا يوم التغابن الجائز لمقام غير تفصيل وذلك يوم التغابن الذي لا يستدرك أبداً (ومن
يؤمن) أي بوقع الايمان ويجهده على سبيل الاستمرار (بالله) أي الملك الاعظم الذي لا كفء
له (ويعمل) تصديقاً لايمانه (صالحاً) أي ملاحاً عما ينبغي الاحكام تصديقه لأنه لا مثل له
في جلب المصالح ودفع المضار (بما كفره سيئاته) التي غلبه عليها نقصان الطبع واتباع ذلك
الحامل الآخر وهو التوجيه بجلب المضار لأن الانسان يطير إلى ربه سبحانه بجناس الخوف
والرجاء والرغبة والرهبة والندارة والبشارة (ويدخله) أي رحمة له واكراماً وفضلاً (جنات) أي
بساتين ذات اشجار عظيمة وأغصان ظليلة تسترداخلها ورياض مديدة متنوعة الازهار عطرة
النشر بهيج ربيها وأشار إلى دوام ربيها بقوله تعالى (يجري من تحتها) أي من تحت قصورها
وأشجارها (الانهار) وقرأ نكفر عنه ويدخله نافع وابن عامر بالنون فيهما أي نحن بما لانامن
العظيمة والباقون بالياء التحية أي الله الواحد القهار (خالدین) أي مقدرين الخلود (فيها)
وأكد بقوله (أبداً) فلا خروج لهم منها (ذلك) أي الامر العالي جدام الغفران والاکرام
(القوز العظیم) لأنه جامع لجميع المصالح ودفع المضار وجلب المسار ومن جملة ذلك النظر إلى
وجه الله الكريم ولما ذكر تعالى الفائز يلزمه التقوى ترغيباً لاتباعه بضده ترهيباً فقال عز من
جلاله (والذين كفروا) أي غطوا أدلة ذلك اليوم فكانوا في الظلام (وكذبوا) أي أوقعوا جميع
التعطية وجميع التكذيب (بآياتنا) أي بسماح حالها من العظمة باضافتها إلى ما هي القرآن

فلم يعملوا به (أو تلك) أي البعداء البغضاء (أصحاب النار خالدين) أي مقدرين الخلود (فيها
 رئيس المصير) هي قال الرازي فان قيل قال تعالى في حق المؤمنين ومن يؤمن بالله بالقسط المستقبل
 وفي الكفار قال والذين كفروا بلنظ الماضي قال جواب أن تقدير الكلام ومن يؤمن بالله من
 الذين كفروا وكذبوا بآياتنا يدخله جنات ومن لم يؤمن منهم أولئك أصحاب النار اهـ (فان قيل)
 قال تعالى يؤمن بالقسط الواحدان وخالدين فيها باقظ الجمع (أجيب) بأن ذلك بحسب اللفظ وهذا
 بحسب المعنى (فان قيل) ما الحكمة في قوله تعالى ورئيس المصير بعد قوله تعالى خالدين فيها وذلك
 بتس المصير (أجيب) بأن ذلك وان — ان في معناه فهو نصريح بما يؤكده كما في قوله أبدا
 (ما أصاب) أحدا (من مصيبة) أي مصيبة كانت دينية أو دنيوية في نفس أو مال أو قول أو فعل
 تقضى هـ ما أو توجب عقابا آجلا أو عاجلا (الاباذن الله) أي بتقدير الملك الاعظم وقال القراء
 يريد الابا امر الله وقيل الابعلم الله وقيل سبب نزول هذه الآية ان الكفار قالوا لو كان ما عليه
 المسلمون حقا لاصابهم — م الله تعالى عن المصائب في الدنيا فبين الله تعالى ان ما أصاب من مصيبة
 الا بقضائه وقدره (فان قيل) بم يتصل قوله تعالى ما أصاب من مصيبة الا باذن الله (أجيب)
 بأنه يتعلق بقوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله (ومن يؤمن بالله) يصدق بأنه لا تصيبه مصيبة
 الا بقضاء الله الملك الاعظم وتقديره واذنه (بهـ دقلبه) قال ابن عباس رضي الله عنهما هو
 أن يجعل في قلبه اليقين حتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه أي فيسلم
 لقضاء الله وقدره وقال الكلبي هو اذا ابتلى صبر واذا أنعم عليه شكر واذا ظلم غفر وقيل بهد قلبه
 الى نيل الثواب في الجنة وقيل يثبت على الايمان وقال أبو عثمان الخيري من صح ايمانه يهد الله
 قلبه لاتباع السنة وقيل بهد قلبه عند المصيبة فيقول ان الله وانا اليه راجعون قاله ابن جرير
 (والله) أي الملك الذي لا تطيره (بكل شيء) مطلقا من غير استثناء (عليه) فلا يخفى عليه تسليم
 من انقاد لامره فاذا تحقق من هدى قلبه ذلك راح عنه كل اعتقاد باطل من كفر أو بدعة أو صفة
 خبيثة (وأطيعوا الله) أي الملك الاعلى الذي له الامر كله (وأطيعوا الرسول) أي هونوا على
 أنفسكم المصائب واشتغلوا بطاعة الله تعالى واعملوا بكتابه وأطيعوا الرسول في العمل بسنته
 (فان تولىستم) أي عن الطاعة (فانما على رسولنا) أضافه اليه على وجه الكمال تعظيما له
 وتهديدا لمن يتولى عنه (البلاغ المبين) أي الظاهر في نفسه المظهر لكل أحد انه أوضع له غاية
 الايضاح ولم يدع لبسا وليس اليه خلق الهداية في القلوب (الله) أي المحيط بجميع صفات
 الكمال (لا اله الا هو) فهو القادر على خلق الهداية في القلوب والاقبال به لا يقدر على ذلك
 غيره (وعلى الله) أي الذي له الامر لا على غيره (فليستوكل المؤمنون) أي لان ايمانهم بأن الكمال
 منه يقتضي ذلك وقال الزمخشري هذا بحث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه
 والتقوى به في أمره حتى ينصره على من كذبه ويؤتي عنه واختلف في سبب نزول قوله تعالى
 (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم) أي وان أظهرن غاية المودة (وأولادكم) أي
 وان أظهرن غاية الشفقة (عدوا لكم) فقال ابن عباس نزلت بالمدينة في عوف بن مالك

الاشجعي شكالى النبي صلى الله عليه وسلم جفا أهله وولده فنزلت ذكره النحاس وحكاه الطبري
 عن عطاء بن يسار قال نزلت سورة التغابن كلها بمكة الا هؤلا آيات يا أيها الذين آمنوا ان من
 أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فانهم انزلت في عوف بن مالك الاشجعي كان ذا أهل وولد وكان
 اذا أراد الغزو **كوه** ورقة وه وقالوا الى من تدعنا فيرق فيقيم فنزلت هـ هذه الآية الى آخر
 السورة بالمدينة وروى الترمذي عن ابن عباس وسئل عن هـ هذه الآية قال هؤلا رجال أسلموا
 من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوه
 يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد نفقهوا في الدين
 فهموا أن يعاقبوه م فأزل الله تعالى هذه الآية حديث حسن صحيح وفي صحيح البخاري
 عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قعد لابن آدم في طريق الايمان
 فقال له أتؤمن وتذرب دينك ودين آباءك فخالفه فآمن ثم قعد له على طريق الهجرة فقال له أتم اجر
 وتترك أهلك ومالك فخالفه فهاجر ثم قعد له على طريق الجهاد فقال له أتبجاهد فتقتل نفسك
 فتتمكح نسائك وبقيسم مالك فخالفه فجاهد فقتل فخى على الله أن يدخله الجنة رعدو الشيطان
 يكون بوجهين أحدهما يكون بالوسوسة والثاني أن يحمل على ما يريد من ذلك الزوج والولد
 والصاحب قال تعالى وقبضنا لهم قرناء فزروا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وفي حكمة عيسى
 عليه الصلاة والسلام من اتخذ أهلا ومالا وولدا كان في الدنيا عبدا وقال عليه الصلاة والسلام
 نعت عبد الدنيا نعت عبد الدرهم نعت عبد الخبيصة نعت عبد القطيفة ولا دماء أعظم من دماء
 الدينار والدرهم ولا أخس من همة ترتفع بثوب جديد ويدخل في قوله تعالى ان من أزواجكم
 الذكروا لا نهي فكما أن الرجل تكون زوجته عدوا له كذلك المرأة يكون زوجها عدوا لها بهما
 المعنى (فاحذروهم) أي أن تطيعوهم في التخلف عن الخير ولا تأمنوا غوائلهم (وان تعقوا)
 أي توقعوا المجاوزة عن ذنوبهم بعدم العقاب عليها فانه لا فائدة في ذلك فان من طبع على شيء
 لا يرجع عنه وانما النافع الحذر الذي أرشد اليه تعالى لئلا يكون سببا للذم المنهي عنه
 (وتصفعوا) أي بالأعراض عن المقابلة بالثريب باللسان (وتغفروا) أي بأن تستروا ذنوبهم
 سترانا ما شاملا للعين والاثربالتجاوز (فان الله) أي الجامع لصفات الكمال (غفور) أي بالغ
 المحول عيان الذنوب وآثارها جزاء لكم على غفرانكم لهم وهو جدير بان يصلحهم لكم بسبب
 غفرانكم (رحيم) فيكرمكم بعد ذلك السستر بالانعام فتخلقوا بأخلاقه تعالى يزدكم من فضله
 (انما أموالكم) أي عامة (وأولادكم) كذلك (فتنة) أي اختبار من الله تعالى لكم وهو أعلم
 بما في نفوسكم منكم لكي ليظهر في عالم الشهادة من يميل ذلك فيكون عليه نعمة ممن لا يميله
 فيكون عليه نعمة فريمارام الانسان صلاح ماله وولده فبالغ فأفسد نفسه ثم لا يصلح ذلك ماله
 وأولاده روى أبو نعيم في الحلية في ترجمة سفيان الثوري رضى الله عنه أنه قال يوتى برجل
 يوم القيامة فيقال أكل عياله حسنة ماته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات ويكنى
 في فتنة المال قصة ثعلبة بن حاطب أحد من نزل فيه قوله تعالى ومنهم من عاهد الله

- عود لا يقولن أحدكم اللهم اعصني من الفتنه فانه ليس أحد منكم يرجع الى مال ولا ولد
 الا وهو مشقة على فتنه ولو كان ليقول اللهم اني أعوذ بك من مضلات الفتن وقال الحسن
 في قوله تعالى ان من أزواجكم وأولادكم أدخل من للتبعض لانهم كلهم ليسوا بأعداء ولم يذكر
 في قوله تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنه لانهم لا يخلون من الفتنه واشتغال القلب بهما
 روى الترمذي وغيره عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم لم يخطف
 فجاء الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم ما وعليهما قميصان أحمران يشبهان ويعثران فنزل
 صلى الله عليه وسلم فحملهما ما ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله عز وجل انما أموالكم
 وأولادكم فتنه نظرت الى هذين الصبيين يشبهان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما
 ثم أخذ في خطبته * (تنبيهه) * قدم الاموال على الاولاد لان فتنه المال أكثر وتترك ذكر
 الأزواج في الفتنه قال الباقي لان منهن من يكون صلاحا وعونا على الآخرة (والله) أي
 ذوالجلال (عنده) وناهيك بما يكون منه بسبيل جلاله وعظمته (أجر) ثم وصفه بقوله تعالى
 (عظيم) أي لمن اتقربا وأمره التي أمر بها وقوله تعالى (فاتقوا الله) أي الملك الاعلى
 (ما استطعتم) أي جهدكم وسعكم ناسخ لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته قاله قتادة والربيع
 ابن أنس والسدي وذكر الطبري عن ابن زيد في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
 حق تقاته قال جاء أمر شديد قال ومن يعرف قدره هذا ويبلغه فلما علم الله تعالى أنه قد اشتد
 عليهم نسخ عنه وجاء بهذه الآية الاخرى فقال فاتقوا الله ما استطعتم وقال ابن عباس
 وهي محكمة لا نسخ فيها ولكن حق تقاته أن يجاهد وافية حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة
 لائم ربهم والله بالقسط ولو على أنفسهم وأبائهم وأبنائهم (فان قيل) اذا كانت الآية
 غير منسوخة فكيف الجمع بين الآيتين وما وجه الامر باتقائه حق تقاته مطلقا من غير تخصيص
 ولا مشروط بشرط والامر باتقائه بشرط الاستطاعة (أجيب) بأن قوله تعالى فاتقوا الله
 ما استطعتم معناه فاتقوا الله أيها الناس وراقبوه فيما جعله فتنه لكم من أموالكم وأولادكم
 أن تغلبكم فتنتهم ونصتكم عن الواجب لله عليكم من الهجرة من أرض الكفر الى أرض
 الاسلام فتركوا الهجرة وأنتم مستطيعون وذلك أن الله تعالى قد عذر من لم يقدر على
 الهجرة بتركها بقوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم الى قوله تعالى فأولئك
 عسى الله أن يعفو عنهم فأخبر تعالى انه قد عفا عن لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلا بالاقامة
 في دار الشرك فكذلك معنى قوله تعالى ما استطعتم في الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام
 أن تتركوها فتنه أموالكم وأولادكم ويدل على صحة هذا أن قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم
 عقب قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم
 ولا خلاف بين علماء التأويل في أن هذه الآيات نزلت بسبب قوم كفار تأخروا عن الهجرة
 من دار الشرك الى دار الاسلام بتثييط أولادهم اياهم عن ذلك كما تقدم وهذا اختيار الطبري
 وقال ابن جبير قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم أي فيما يطوق به من نافلة أو صدقة فانه لما نزل

قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته اشتدت على القوم فقاموا حتى ورمت عراقيهم - وقرحت جباههم فأنزل الله تعالى تخفيفا فيهم فاتقوا الله ما استطيعتم فنفخت الأولى قال الماوردي ويحتمل أن ثبت هذا النقل لأن المكروه على المعصية غير مؤاخذ به إلا أنه لا يستطيع اتقاءها (واسمعوا) أي سماع اذعان وتسليم لما توعدون به وجميع أو امره (وأطيعوا) أي وصدقوا ذلك الاذعان بمباشرة الأفعال الظاهرة في الأسلاميات من القيام بأمر الله تعالى والشفقة على خلق الله في كل أمر ونهي على حسب الطاقة وحذف المتعلق ليصدق الأمر بكل طاعة (وأنفقوا) أي أوقعوا الاتفاق كما حد لكم فيما وجب أو ندب إليه والاتفاق لا يخص نوعا بل يكون بكل ما رزق الله من الذاق والخارجي وقوله تعالى (خير الانفسكم) في نصبه أوجه أحدها قال سيبويه أنه مفعول بفعل مقتدر دل عليه وأنفقوا تقديره قدموا خيرا لانفسكم كقوله تعالى انتهوا خيرا لكم الثاني تقديره يكن الاتفاق خيرا فهو خير كان المضرة وهو قول أبي عبيدة الثالث أنه نعت مصدر محذوف وهو قول الكسائي والفرأ أي انصافا خيرا لانفسكم فإن الله يعطي خيرا منته في الدنيا مع ما تركى به النفس ويدخر عليه من الجزاء في الآخرة مما لا يدري كنهه فلا يغتر بكم عاجل شيء من ذلك فأنما هو زخرف * ولما ذكر ما في الاتفاق من الخير عم في جميع الأوامر بقوله تعالى (ومن يوق شح نفسه) فيفعل في ماله جميع ما أمر به موقنا به مطمئنا إليه حتى يرتفع عن قلبه الأخطار ويحرر عن رق المكونات والشح خلق باطن هو الداء العضال والبخل فعل ظاهر ينشأ عن الشح والنفس تارة تشح بترك الشهوة من المعاصي فتفعلها وتارة باعطاء الأعضاء في الطاعات فتتركها وتارة بانفاق المال ومن فعل ما فرض عليه خرج من الشح * ولما كان الواقي هو الله تعالى سبب عن وقايته قوله تعالى (فأولئك) أي العاملو الرتبة (هم المقطون) أي الفائزون الذين حازوا جميع المرادات بما اتقوا الله فيه ثم رغب في الاتفاق بقوله تعالى (ان تقربوا الله) أي الملك الأعلى ذا الغنى المطلق الحائز لجميع صفات الكمال (قرضا حسنا) والقرض الحسن هو التصديق من الحلال مع طيب النفس ومع الاخلاص والمبادرة (يضاعفه لكم) أي لاجلكم خاصة أقل ما يكون بالواحد عشر إلى ما لا يتناهى على حسب النيات قال القشيري يتوجه الخطاب بهم - ذا على الاغنياء في بذل أموالهم وعلى الفقراء في اخلاء أيامهم وأوقاتهم من مرآتهم - وما يثار مراد الحق على مراد أنفسهم فالغنى يقال له أثر حكيم على مراد في مالك وغيره والفقير يقال له أثر حكيم في نفسه وقلبك ووقتك * ولما كان الإنسان لله من النقصان وإن اجتهد لا يبلغ جميع ما أمر به لأن الدين وإن كان يسيرا فهو متين لن يشاد أحد الاغلبه قال تعالى (ويغفر لكم) أي يوقع الغفران وهو محو ما فرط عنه وأثره (والله) أي الذي لا تقاس عظمته بشيء (شكور) أي يبلغ الشكر لمن يعطي لاجله ولو كان قلبا فينبئ به ثوابا جزيل خارجا عن الحصر وهو ناظر إلى المضاعفة (حليم) فلا يجهل بالعقوبة على ذنب من الذنوب وإن عظم بل يهول طويلا ليتذكر العبد الإحسان مع العصيان فيتوب ولا يملح ولا يغتر بجهله فإن غضب الحليم لا يطاق وهو

راجع الى الغفران (عالم الغيب) وهو ما غاب عن الخلق كله - ثم فيشعل ما هو داخل القلب مما تؤثر به الجبلة ولا علم لصاحب القلب به فضلا عن غيره (والشهادة) وهو كل ما ظهر وكان بحيث يعلمه الخلق وهذا الوصف داع الى الاحسان من حيث انه موجب للمؤمن ترك ظاهرا لاثم وباطنه وكل قصور وقصور وغفلة وتهاون في عبد الله تعالى كانه يراه (العزير) أي الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء (الحكيم) أي بالغ الحكمة التي يعجز عن ادراكها الخلاق وقال ابن الانباري الحكيم هو المحكم لخلق الاشياء فصرف عن مفعول الى فاعيل ومنه قوله تعالى الم تلك آيات الكتاب الحكيم معناه المحكم فصرف عن مفعول الى فاعيل وما قاله البضاوي تبعا للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة التغابن رفع عنه موت القبأة حديث موضوع

❖ (سورة الطلاق مدنية) ❖

وهي احدى عشرة آية وقيل اثنتا عشرة آية وقيل ثلاث عشرة آية وماتتان وتسع وأربعون كلمة وألف وستون حرفا

(بسم الله) الذي له جميع صفات الكمال (الرحمن) الذي عم برحمته والنوال (الرحيم) الذي خص بعام النعمة وذوى الهمم العوال وقرأ (يا أيها النبي) نافع بالهمزة وسهل الهمزة من اذا وا بد لها أيضا واوا خصه صلى الله عليه وسلم بالنداء وهم بالخطاب لان النبي امام أمته وقد وسم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اطهارا للتقدمته واعتبارا لرأسته وانه لسان قومه والذي يصدر عن رأيه ولا يستبدون بأمر دونه فكان هو وحده في حكم كلهم وسادامسة جميعهم وقيل انه على اضمار قول أي يا أيها النبي قل لا تمتك (اذا طلقت النساء) أي أردتم طلاق هذا النوع واحدة منهن فأكثر وقيل انه خطاب له ولأتمته والتقدير يا أيها النبي وأتمته خذف المعطوف لدلالة ما بعده عليه كقوله اذا خذفته رجلا أي ويدها وكقوله تعالى سرايل تقيكم الحجر وقيل انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم خوطب بلفظ الجمع تعظيما له كقوله

فان شئت حرمت النساء سواكم * وان شئت لم أطم نقاخا ولا بردا

قال الرازي وجه تعلق أول هذه السورة بآخر التي قبلها هو أنه تعالى أشار في آخر التي قبلها الى كمال علمه بقوله تعالى عالم الغيب والشهادة وفي أول هذه السورة إشارة الى كمال علمه بمصالح النساء والاحكام المخصوصة بطلاقهن فكانه بين ذلك الكلي بهذه الجزئيات وروى ابن ماجه عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها وعن أنس قال طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة فأتت أهلها فأنزل الله تعالى يا أيها النبي اذا طلقت النساء وقيل له راجعها فانها صوامع قوامه وهي من أزواجك في الجنة ذكره الماوردي والقشيري وزاد القشيري ونزل في خروجها الى أهلها قوله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن وقال الكبي سبب نزول هذه الآية غضب رسول الله صلى الله عليه

وسلم على حفصة لما أمر اليها حديثاً فظهرته لعائشة فطلقة فطلقة ففترت وقال السدي نزلت
 في عبد الله بن عمر طلق امرأته حائضاً فطلقة واحدة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم
 بأن يراجعها ثم يسكها حتى تطهر ثم يحيض ثم تطهر فإن شاء أمسكها وإن شاء طلقها قبل
 أن يجامع فتملك العدة التي أمر الله أن تطلق إياها النساء وهو قوله تعالى (فطلقوهن لعدتهن)
 أي في الوقت الذي يشرع فيه في العدة وقد قيل إن رجالاً فعلوا مثل ما فعل عبد الله بن عمر منهم
 عبد الله بن عمرو بن العاص وعمر بن سعيد بن العاص وعتبة بن غزوان ففترت الآية فيهم
 وروى الدارقطني عن ابن عباس أنه قال الطلاق على أربعة وجوه وجهان حلالان ووجهان
 حرامان فأما الحلال فأن يطلقها طاهراً عن غير جماع وأن يطلقها حاملاً مستبيناً جليها
 وأما الحرام فأن يطلقها حائضاً وأن يطلقها حين يجامعها لا يدري أشتمل الرحم على ولد أم لا
 * (تنبيه) * الطلاق ينقسم إلى سني وبدعي ولا فطلاق موطوءة ولو في دبر تعدة باقراء سني
 إن ابتدأتها الاقراء عقب الطلاق ولم يبطأها في طهر طلقها فيه أو علق طلقها بعرض بعضه
 ولا وطئها في نحو حيض قبله ولا في نحو حيض طلق مع آخره أو علق بآخره وذلك لاستعقابه
 الشروع في العدة وعدم الندم فيمن ذكرت والافدعي وإن سألتها طلاقاً بلا عوض وطلاق
 غير الموطوءة المذكورة بأن لم توطأ أو كانت صغيرة أو آيسة أو حاملًا منه وخالف زوجته في زمن
 حيض بعوض لاسني ولا بدعي والبدعي حرام للنهي عنه وقسم جماعة الطلاق إلى واجب
 كطلاق المولى أي واجب مخير إن لم يكن عذر ومعين إن كان عذر شرعي كالإحرام ومنسحب
 كطلاق غير مستقيمة الحال كسيئة الخلق ومكروه كسيئة قيمة الحال وحرام كطلاق البدعة
 وأشار الإمام إلى المباح بطلاق من لا يهاها ولا تسمع نفسه بموتها من غير تمتع بها وروى
 الثعلبي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من أبغض الحلال إلى الله
 الطلاق وعن علي بن النبي عليه الصلاة والسلام قال تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهزمه
 العرش وعن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمع الله خلقاً أبغض إليه من الطلاق
 على وجه الأرض أحب إليه من العتق ولا خلق الله تعالى شيئاً أبغض إليه من الطلاق
 وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحل الله شيئاً أبغض إليه من
 الطلاق واختلافوا في الاستثناء في الطلاق والعتق فقالت طائفة يجوز أنه وهو مروي عن
 طاووس وبه قال جاد الكوفي والشافعي وأبو ثور أصحاب الرأي وقال مالك والأوزاعي لا يجوز
 الاستثناء في الطلاق والعتق وقال قتادة لا يجوز الاستثناء في الطلاق خاصة قال ابن المنذر
 وبالقول الأول أقول ولما كان نظر الشارع إلى العدة شديداً صرح بصيغة الأمر فقال تعالى
 (وأحصوا) أي اضبطوا ضبطاً كأنه في اتقانه محسوس (العدة) ليعرف زمان الرجعة والنفقة
 والسكنى وحل الشكاح لاخت المطلقه مثلاً ونحو ذلك من الفوائد الجلية (واتقوا) أي
 في ذلك (الله) أي الملك الأعظم الذي له الخلق والأمر (ربكم) أي لا حسنة في ريتكم
 في حاكمكم على الخيفية السمعة ورفع جميع الأصار عنكم (لا تخرجوهن) أي أيها الرجال

في حال العدة (من يوتهن) أي المساكن التي وقع الفراق فيها وهي مساكنهن التي يسكنهن قبل
العدة وهي بيوت الأزواج وأرض يفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى وقراؤهن
وأبوعمر ووجفص يضم الباء الموحدة والباقيون بكسرها (ولا يخرجن) أي من بيوتهن حتى
تنقضي عدتهن ولو وافق الزوج على ذلك وعلى الحاكم المنع منه لأن في العدة حق الله تعالى
وقد وجبت في ذلك المسكن وقوله تعالى (الأن يأتين بفاحشة مبينة) مستثنى من الأول
والمعنى الآن تدعو على الزوج فانه كالنشوز في إسقاط حقها وقال ابن عباس الفاحشة
المبينة أن تدعو على أهل زوجها فيحل إخراجها سوء خلقها وقال ابن مسعود أراد بالفاحشة
المبينة أن ترني فتخرج لإقامة الحد عليها ثم ترد إلى منزلها وقال قتادة الفاحشة النشوز وذلك
أن يطلقها على النشوز فتقول عن بيته ويجوز أن يكون مستثنى من الثاني للمبالغة في النهي
والدلالة على أن خروجها فاحشة هـ ذاكه عند عدم العذر أو ما له مذكر كسراء غير من لها نفقة
على المفارق نحو طعام كقطن وكان نهارا وغزاه ونحوه كدينها وتأنيسها عند جارتها بالبلد
وترجع وتبيت بيتها فانه جائز للحاجة إلى ذلك وخوف على نفس أو مال من نحو هدم وغرق
وفسقة مجاورين لها وشدة تأذيها بجيران وشدة تأذيهم بها للحاجة إلى ذلك بخلاف الذي
اليسير إذ لا يخلو منه أحد ومن الجيران الأحماء وهم أقارب الزوج نعم إن اشتد أذاها بهم أو عكسه
وكانت الدار ضيقة نقلهم الزوج عنها وخرج بالجيران ما لو طلبت بيت أبيها ونأذت بهما
أو هما بهما فلا نقل لأن الوحشة لا تطول بينهما ولو انتقلت لبلد أو مسكن بأذن زوجها فوجبت
العدة ولو قبل وصوالها إليه اعتدت فيه لأنها مأمورة بالمقام فيه فان انتقلت لذلك بلا إذن فتعتد
في الأول وإن وجبت العدة بعد وصولها للثاني لعصيانها بذلك نعم إن أذن لها بعد انتقالها
أن تقيم في الثاني فكما لو انتقلت بالأذن ولو أذن لها في الانتقال فوجبت العدة قبل خروجها
اعتدت في الأول ولو سافرت بأذن زوجها فوجبت في الطريق فعودها أولى من مضيتها
فان مضت وجب عودها بعد انقضاء حاجتها إن سافرت لها أو بعد انقضاء مدة الأذن إن قدر
لها مدة أو مدة إقامة المسافر إن لم تقدر لها مدة في سفر غير حاجتها ولو خرجت فطلقها وقال
ما أذنت في الخروج أو قال وقد قالت أذنت في نقلتي أذنت لانه نقله صدق بيمينه ولو كان
المسكن ملكا له ولبق بهما تعين لأن تعنته فيه كما مر ويصح بيعه في عدة أشهر كما لكثري أو كان
مستعارا أو مكري وانقضت مدة الكراء انتقلت منه إن امتنع المالك وإن كان ملكا لها
تخبرت بين الاستمرار فيه بإعارة أو إجارة والانتقال منه كما لو كان المسكن خبيسا ويخبر هو
إن كان نفيسا وسكنى المعتدة عن فرقة واجب على الزوج حيث تجب نفقتها عليه ولو انفارق سواء
كانت الفرقة بطلاق أو فسخ أو وفاة لقوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم وقيس به الفسخ
بأنواعه بجماع فرقة النكاح في الحياة ونحوه فريضة بنت مالك في الوفاة أن زوجها قتل فسألت
النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع إلى أهلها وقالت إن زوجي لم يتركني في منزل يملكه فأذن لها
في الرجوع قالت فانصرفت حتى إذا كنت في الحجرة أو في المسجد دعاني فقال اسكني في بيتك

حتى يبلغ الكتاب أجله قالت فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشر أصححه الترمذي وغيره وقرأ ابن كثير وأبو بكر بفتح الياء التحتية والباقون بكسرها (وتلك) أي الأحكام العالية جداً لما فيها من الجلالة وباتسابهم إلى الملك الأعلى من هذا الذي ذكر في هذه السورة وغيرها (حدود الله) أي الملك الأعظم (ومن يتعدت) أي يقع منه في وقت من الأوقات أنه تعدد أن يعدد (حدود الله) أي الملك الذي لا كف له أو بعضها كأن يطلق بدعيًا (فقد ظلم نفسه) أي عرضها للعقاب وقرأ قالون وابن كثير وعاصم بإظهار الدال عند الطاء والباقون بالادغام (لا تدري) أي النفس أو أنت يا أيها النبي أو المطلق (لعل الله) أي الذي بيده القلوب ومقاليد جميع الأمور (يحدث) أي يوجد شيئاً حادثاً لم يكن إيجاداً ثابتاً لا تقدر الخلق على التسبب في زواله (بعد ذلك) أي الحادث من الأساءة والبغض (أمراً) بأن يقاب قلبه من بغضها إلى محبتها ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه فراجعها وقال أكثر المفسرين أراد بالامر هنا الرغبة في الرجعة ومعنى الكلام التحريض على طلاق الواحدة والنهي عن الثلاث وهذا أحسن الطلاق وأحله في السنة وأبعد عن الندم ويدل عليه ما روى عن إبراهيم النخعي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون أن لا يطلقوا للسنة الواحدة ثم لا يطلقون غير ذلك حتى تنقضي العدة وكان أحسن عندهم من أن يطلق الرجل ثلاثاً في ثلاثة أطهار وقال مالك بن أنس لا أعرف طلاق السنة الواحدة وكان يكره الثلاث مجموعة كانت أو مفترقة وأما أبو حنيفة وأصحابه فأنما كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر واحد فأم مفترقاً في الأطهار فلا لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لابن عمر حين طلق امرأته وهي حائض ما دككذا أمر الله أنما السنة أن تستقبل الطهر استقبالا وتطلقه الكل قرءة تطليقة وروى أنه قال لعمر مرارة فليراجعها ثم ليدعها تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها إن شاء فتلث العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء وعند الشافعي لا بأس بإرسال الثلاث وقال لا أعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح ومالك يراعي في طلاق السنة الواحدة والوقت وأبو حنيفة يراعي التفريق والوقت والشافعي يراعي الوقت وحده قال الزمخشري (فإن قلت) هل يقع الطلاق المخالف للسنة (قلت) نعم وهو آثم لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً طلق امرأته ثلاثاً بين يديه فقال أتلعبن بكاب الله وأنا بين أظهركم وفي حديث ابن عمر أنه قال يا رسول الله أرايت لو طلقها ثلاثاً فقال له قال إذا عصيت وبانت منك امرأتك وعن عمر رضي الله عنه أنه كان لا يؤتي برجل طلق امرأته ثلاثاً إلا أوجعه ضرباً وأجاز ذلك عليه وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين أن من خالف السنة في الطلاق فأوقعه في حيف أو ثلث لم يقع وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة بخالف (فإن قيل) قوله تعالى إذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الأقرام والآيسات والصغار والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الأقرام المدخول بهن (أجيب) بأنه لا عموم ثم ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للاناث من الانس وهذه الجنسية هي قائم في كلهن

وفي بعضهن فجاز أن يراد بالقسم هذا وذلك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم أنه أطلق على بعضهن
وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض * ولما حذ سبحانه ما يفعل في العدة أتبعه ما يفعل
عند انقضائها بقوله تعالى (فإذا بلغن) أي المطلقات (أجلهن) أي شارفن انقضاء العدة
مشاركة عظيمة (فأمسكنوهن) أي بالمراجعة وهذه يدل على أن الأولى من الطلاق
مادون البائن لاسيما الثلاث (بمعروف) أي حسن عشرة لالقصد المضارة بطلاق آخر لاجل
إيجاب عدة أخرى أو غير ذلك (أو فارقوهن) بعدم المراجعة لتتم العدة فذلك نفسها (بمعروف)
أي بإيفاء الحق مع حسن الكلام وكل أمر حسنه الشرع فلا يقصد أذاها بتفريقها عن ولدها
مثلاً أو عنه أن كانت عاشقة له لقصد الأذى فقط من غير مصلحة وكذا ما أشبه ذلك من أنواع
الضرر بالفعل والقول فقد تضمنت الآية بإفصاحها الحث على فعل الخير وإفهامها
اجتناب المنكرات * (تنبيه) قال بعض العلماء في قوله تعالى فأمسكنوهن أو فارقوهن
بمعروف وقوله تعالى فامسكنوهن أو فارقوهن أو تسريحاً بحسن أن الزوج له حق في بدن الزوجة ولها
حق في بدنه وذمته فكل من له دين في ذمة غيره سواء أكان مالاً أو منفعة من غن أو مئمن أو أجرة
أو بدل متلف أو ضمان مغصوب أو نحو ذلك فعليه أن يؤدي ذلك الحق الواجب بإحسان
وعلى صاحب الحق أن يتبع بإحسان كما قال تعالى في آية القصاص فخن عني له من أخيه شيئاً
فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان وكذا الحق الثابت في بدنه مثل حق الاستمتاع والاجارة
على عينه ونحو ذلك فالطالب يطلب بمعروف والمؤدي يؤدي بإحسان * ولما كان الشهاد أقطع
للنزاع قال تعالى حائلي الكيس واليقظة والبعاد عن أفعال المغضين العجزة (وأشهدوا) أي
على الرجعة أو المفارقة وقيل المعنى وأشهدوا عند الرجعة والفرقة جميعاً (ذوي عدل منكم)
قطعا للنزاع وهذا الشهاد مندوب إليه عند الجمهور كقوله تعالى وأشهدوا إذا تباعدتم
وأوجب الشهاد في الرجعة الإمام أحمد في إحدى الروايتين عنه والشافعي كذلك اظهر الأمر
وقال مالك وأبو حنيفة وأحمد والشافعي في القول الآخر أن الرجعة لا تفتقر إلى القبول
فلم تفتقر إلى الشهاد كسائر الحقوق وإذا جامع أو قبل أو باشر يريد بذلك الرجعة فليس
براجع وقال أبو حنيفة وأصحابه إذا قبل أو باشر أو لم يشهوه فهو رجعة وكذا النظر إلى
الفرج رجعة وقال الشافعي وأبو ثور إذا تكلم بالرجعة فهي رجعة وقيل وطؤه مراجعة على
كل حال نواها أو لم ينوها وهو مذهب أحمد وإليه ذهب الليث وبعض المالكية قال القرطبي
وكان مالك يقول إذا وطئ ولم ينو الرجعة فهو وطء فاسد ولا يعود إلى وطئها حتى يستبرأها
من مائه الفاسد وله الرجعة في بقية العدة الأولى وليست له الرجعة في هذا الاستبراء * (تنبيه)
قوله تعالى منكم قال الحسن بن المسلمين وعن قتادة من أحراركم وذلك يوجب اختصاص
الشهادة على الرجعة بالذكور دون الإناث لأن ذوي المذكر وقوله تعالى (وأقيموا) أي أيها
الأمم ودون حيث كنتم شهوداً (الشهادة) التي تحملتموها بأدائها على أكل أحوالها (لله)
أي مخلصين لوجه الملك الأعلى لاجل الشهود له والمشهد عليه ولا شيء سوى وجه الله تعالى

وفيه حث على أداء الشهادة لما فيه من العسر على الشاهد بترك مهماته وعسر لقاء الحاكم
 الذي يؤدى عنده وربما يعد مكانه وكان للعدل في الاداء عوائق أيضا (ذلكم) أى الذى ذكرت
 لكم أيها الامم من هذه الامور البديعة النظام العالية المرام وأولها بذلك هذا الاشهاد
 واقامة الشهادة (يوحظ) أى يلين ويرقق (به من كان) أى كونا راسخا من جميع الناس (يؤمن
 باقته) أى الذى له الكمال كله (واليوم الآخر) فانه المحط الاعظم للتريق وامان لم يكن متصفا
 بذلك فكان له لتساوة قلبه ما وعظ به لانه لم يتفجع به وقوله تعالى (ومن يتق الله) أى يخف الملك
 الاعظم فيجعل بينه وبين ما يسلطه وقاية بما يرضيه وهو اجتلاب ما أمر به واجتناب ما نهى عنه
 من الطلاق وغيره ظاهرا وباطنا لان التقوى اذا انفردت في القرآن عن مقارن عت الامر
 والنهي وان اقترنت بغيرها فهو احسان أو رضوان خست المناهى (يجعل) أى بسبب التقوى
 (له مخرجا) جله اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على اتقائه عما نهى عنه صريحا أو ضمنيا من
 الطلاق في الحيض والاضرار بالمعدة وانخراجهما من المسكن وتعدى حدود الله تعالى وروى
 أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن طلق ثلاثا وألفاهل له من مخرج فتلاها وقال ابن
 عباس رضى الله تعالى عنهما والشعبي والضمك هذا في الطلاق خاصة أى من طلق كما أمره الله
 تعالى يكن له مخرج في الرجعة في العدة وأن يكون كاحد الخطاب بعد العدة وعن ابن عباس
 رضى الله تعالى عنهما أيضا يجعل له مخرجا ينفيه من كل كرب في الدنيا والآخرة وقيل المخرج هو
 أن يقنعه الله بما رزقه قاله علي بن صالح وقال الكلبي ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة يجعل له
 مخرجا من النار الى الجنة وقال الحسن مخرجا عما نهى الله عنه وقال أبو العالية مخرجا من كل
 شدة وقال الربيع بن خيثم مخرجا من كل شئ ضاق على الناس وقال الحسين بن الفضل ومن يتق
 الله في أداء الفرائض يجعل له مخرجا من العقوبة (ويرزقه) أى الثواب (من حيث لا يحتسب)
 أى يبارك له فيما آتاه وقال سهل بن عبد الله ومن يتق الله في اتباع السنة يجعل له مخرجا من
 عقوبة البدع ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب وقال أبو سعيد الخدري ومن تبرأ من حوله
 وقوته بالرجوع الى الله تعالى يجعل له مخرجا مما كلفه الله بالمعونة له وتأول ابن مسعود ومسروق
 الآية على العموم وهذا هو الذى يقوى عندى وقال أبو ذر قال النبي صلى الله عليه وسلم انى
 لا علم آية لو أخذ الناس بهم الكفتهم وتلا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
 قال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال أكثر المفسرين
 نزلت في عوف بن مالك الأشجعي أسر المشركون ابنه له يسمى سالما فأق رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يشتكى اليه الفاقة وقال ان العدو أبرأخى وجزأت الام فأتا أمرني فقال صلى الله عليه
 وسلم اتق الله واصبر وأمرك وإياها أن تكثرا من قول لاحول ولا قوة الا بالله فعاد الى بيته وقال
 لا امرأته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني وإياك أن تكثرا من قول لاحول ولا قوة الا بالله
 العلي العظيم فقالت نعم ما أمرنا به فجعل يقولان فضل الله مدو عن ابنه فساق عنهم وجاءهم الى
 المدينة وهي أربعة آلاف شاة فنزلت الآية وجعل النبي صلى الله عليه وسلم تلك الاغنام له وروى

قوله وأن يكون
 كأحد الخطاب
 كذا في التسخ
 والظاهر ويكن الخ

أنه جاء وقد أصاب بالامن العدو وكان فقيرا فقال الكلبي أنه أصاب بخسين بعيرا وفي رواية
 فأقلت ابنه من الاسر وركب ناقة لقوم فربسرح لهم فاستاقه وقال مقاتل أصاب غنما ومتاعا
 فقال أبوه للنبي صلى الله عليه وسلم أيحل لي أن آكل مما أتى به ابني قال نعم وزل ومن يتق الله
 يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وروى الحسن عن عمران بن حصين قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن
 انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال الزجاج اي اذا اتى وآثر الحلال والمعسر على أهله فتح الله
 عليه ان كان ذا ضيقة ورزقه من حيث لا يحتسب وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما ان
 النبي صلى الله عليه وسلم قال من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق
 مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب (ومن يتوكل) أي يسند أموره كلها معتمدا فيها (على الله) أي
 الملك الذي بيده كل شيء ولا كف له (فهو) أي الله في غيبه فضلا عن الشهادة بسبب توكله
 (حسبه) أي كافيته ما أهمه وحذف المتعلق بالتعميم وحرف الاستعلاء للإشارة الى أنه كان محل
 أموره كلها عليه سبحانه لانه القوى العزيز الذي يدفع عنه كل ضار ويجلب له كل سار الى غير
 ذلك من المعاني البكار فلا يدوله في عالم الشهادة شيء يشينه وقيل من اتق الله وجانب المعاصي
 وتوكل عليه فله فيما يعطيه في الآخرة من ثوابه كفاية ولم يرد الدنيا لان المتوكل قد يصاب في الدنيا
 وقد يقتل وفي الحديث لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغردون خالصا
 وتروح بطانا ويؤخذ من هذا أن التوكل يكون مع مباشرة الاسباب لانه صلى الله عليه وسلم
 قال قد دو وتروح وهي من المقامات العظيمة قال البقاعي نقلا عن المولوي والا كان اتكالا
 وليس بمقام بل خسة همة وعدم مروءة لانه ابطال حكمة الله التي أحكمها في الدنيا من ترتيب
 المسببات على الاسباب اهـ ولما كان ذلك أمرا لا يكاد يحيط به الوهم بالله بقوله تعالى مهو لاله
 بالتأكيد والاظهار في موضع الاضمار (ان الله) أي المحيط بكل كمال المنزه عن كل شائبة نقص
 (بالغ أمره) أي بجميع ما يريد فلا بد من نفوذه سواء حصل توكل أم لا قال مسروق يعني قاض
 أمره فمن توكل عليه وفمن لم يتوكل عليه الآن من توكل عليه يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا
 وقرأ حفص بالغ بغير تنوين وأمره بالجر مضاف اليه على التضعيف والباقون بالتنوين وأمره
 بنصب الراء ضم الهاء قال ابن عادل وهو الاصل خلافا لابي حيان (قد جعل الله) أي الملك
 الذي لا كف له ولا معقب لحكمه جعل مطلقا من غير تقييد بجهة ولا حينية (لكل شيء) كرخاء
 وشدة (قدرا) أي تقدير لا يتعداه في مقداره وزمانه وجميع عوارضه وأحواله وان اجتهد
 جميع الخلائق في أن يتعداه فن توكل استفاد الاجر وخفف عنه الالم وقذف في قلبه السكينة
 ومن لم يتوكل لم ينفعه ذلك وزاد ألمه وطال غمه بشدة سعيه وخيبة أسبابه التي يعتد قد أنشأها
 المنجية فن رضي فله الرضا ومن مضطقه فله الضغط جف القلم فلا يزداد في المقادير شيء ولا ينقص منها
 شيء ويحكى أن رجلا أتى عمر فقال أولني بما أولاه الله فقال أنقرأ القرآن قال لا قال أنا لا نولي من
 لا يقرأ القرآن فانصرف الرجل واجتهد حتى تعلم القرآن رجاء أن يعود الى عمر فيؤليه فلما تعلم

القرآن تخلف عن عمر فرآه ذات يوم فقال يا هذا أجهرتنا فقال يا أمير المؤمنين استمع مني جبر
ولكني تعلمت القرآن فاعناني الله عن عمر وعن باب عمر قال فأي آية أعجبتك قال قوله تعالى ومن
يتق الله يجعل له مخرجا فمن توكل على غيره سبحانه ضاع لانه لا يعلم المصالح وان علم لا يعلم كيف
يستعملها وهو سبحانه المنفرد بعلم ذلك كله ولا يعلمه حق علمه غيره (تنبيه) * الآية تفهم ان من
لم يتق الله يقتر عليه وهو موافق لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يرزأ القدر الا للدعاء ولا يزيد
في العمر الا البر وان الرجل ليصرم الرزق بالذنب يصيبه وتفهم ان من لم يتوكل لم يكف شيئا من
الاشياء وقال عبد الله بن رافع لما نزل قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم فنحن اذا توكلنا عليه نرسل ما كان لنا ولا نحفظه فنزل ان الله
بالغ امره فيكم وعليكم وقال الربيع بن خيثم ان الله قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه
ومن آمن به هدام ومن أقرضه جازاء ومن وثق به نجاء ومن دعاه أجاب له وتصديق ذلك
في كتاب الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان تقرضوا الله قرضا
حسنا يضاعفه لكم ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم واذا سألت عبادي
عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان * ولما بين تعالى أمر الطلاق والرجعة في التي
تحيض وكانوا قد عرفوا عدة ذوات الاقراء عرفهم في هذه السورة عدة التي لا ترى الدم قال
أبو عثمان عمر بن سليمان نزلت عدة النساء في سورة البقرة في المطلقة والمتوفى عنها زوجها قال
أبي بن كعب يا رسول الله ان ناسا يقولون قد بقي من النساء من لم يذكر فيهن شيء الا صغار والكبار
وذوات الحمل فنزل (واللاني يثنى) أي من المطلقات (من الحيض) أي الحيض الآية وقال
مقاتل لما ذكر قوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثه قرو قال خلاد بن النعمان
يا رسول الله فما عدة التي لم تحض وعدة التي انقطع حيضها وعدة الحبل فنزلت وقيل ان معاذ بن
جبل سأل عن عدة الكبيرة التي يثنت فنزلت وقال مجاهد الآية واردة في المستحاضة لا تدرى
دم حيض هو أو دم علة واختلاف في سن اليأس فالذي عليه الاكثر أنه اثنان وستون سنة وقيل
خمس وخمسون وقيل ستون وقيل سبعون * ولما كان هذا الحكم خاصا بازواج المسلمين لحرمة
فرشهم وحفظ أنسابهم قال تعالى (من نساكنكم) أي أيها المسلمون سواء كن مسلمات أو من أهل
الكتاب (ان ارتبتم) أي شككنكم في عدتهن (فعدتهن ثلاثة أشهر) كل شهر يقوم مقام حيضة
لان أغلب عوائد النساء أن يكون كل قرء في شهر (واللاني لم يحضن) أي لصغرهن أو لانهن
لا حيض لهن أصلا وان كن بالغات فعدتهن ثلاثة أشهر أيضا هذا كله في غير المتوفى عنهن
أزواجهن اما هن فعدتهن ما في آية يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا وقرأ واللاني
في الموضعين ابن عامر والكوفيون بالهمز ويا بعده وقرأ قالون وقنبل بالهمز ولا ياء بعده ولا يري
وأبي عمرو أيضا ابدال الهمزة ياء ساكنة مع المد لا غير * ولما فرغ من ذكر الحوائط أتبعه ذكر
الحوائط بقوله تعالى (واولات الاحمال) أي من جميع الزوجات المسلمات والكافرات
المطلقات والمتوفى عنهن (أجلهن) أي المنتهى المدة سواء كان لهن مع الحمل حيض أم لا (ان

يضعن جهن) وهذا على عمومهم مخصص لا آية يترى من بأنفسهن أربعة أشهر وعشر إلا أن
 المحافظة على عمومهم أولى من المحافظة على عموم ذلك في قوله تعالى أزواجاً لأن عموم هذه بالذات
 لأن الموصول من صيغ العموم وعموم أزواجاً بالعرض لأنه بدل لا يصلح لجميع الأزواج في حال
 واحد والحكم معلل هنا بوصف الجملة بخلاف ذلك ولأن هذه الآية متأخرة النزول عن آية
 البقرة فتقدمها على تلك تخصيص وتقدم تلك في العمل بعمومها رفع لما في الخاص من الحكم
 فهو نسخ والاول هو الرابع للوافق ولأن سبعة بنت الحر وضعت حملها بعد وفاة زوجها بليل
 فأذن لها النبي صلى الله عليه وسلم أن تتزوج * (تنبيه) * إذا وضعت المرأة ما في بطنها من علقه
 أو مضغة حلت عند مالك وقال الشافعي وأحمد وأبو حنيفة لا تحل الأبوضع ما يتبين فيه شيء
 من خلق الإنسان فإن كانت حاملاً بتوأمين لم تنقض عتتها حتى تضع الثاني منهما ولا بد أن
 يكون الحمل منسوباً إلى العدة أما إذا كان من زنا فلا حرمة له والعدة بالحيض * ولما كانت أمور
 النساء في المعاشرة والمفارقة في غاية المشقة صكرت بالحديث على التقوى إشارة إلى ذلك وترغيباً
 في لزوم ما حده سبحانه فقال عاطفاً على ما تقدّمه من لم يحفظ هذه الحدود عسر الله تعالى عليه
 أموره (ومن يتق الله) أي يوجد الخوف من الملك الأعظم إيجاداً مستمراً يجعل بينه وبين خطئه
 وقاية من طاعته اجتناباً لا مأموراً واجتناباً للمعصية (يجعل له) أي يوجد إيجاداً مستمراً باستقرار
 التقوى أن الله لا يعل حتى تملوا (من أمره) أي كله في النكاح وغيره (يسراً) أي سهولة وفرجاً
 وخيراً في الدارين بالدفع والنفع وذلك أعظم من مطلق الخروج المتقدم في الآية الأولى وقال
 مقاتل ومن يتق الله في اجتناب معاصيه يجعل له من أمره يسراً في توفيقه لطاعته (ذلك) أي
 الأمر المذكور من جميع هذه الأحكام العالية المراتب (أمر الله) أي الملك الأعلى الذي له
 الكمال كله (أنزله إليكم) وبينه لكم (ومن يتق الله) أي الذي لأمره لا حدمه في أحكامه
 فبرأى حقوقها (يكفر) أي يقط تغطية عظيمة (عنه سيئاته) ليتخلى عن المبعثات فإن الحسنات
 يذهبن السيئات (ويعظم له أجراً) بأن يبدل سيئاته حسنات ويوفيه أجرها في الدارين مضاعفة
 فيتحلى بالقربات وهذا أعظم من مطلق اليسر المتقدم (أسكنوهن) قال الرازي أسكنوهن
 وما بعده بيان لما شرط من التقوى في قوله تعالى ومن يتق الله كأنه قبيل كيف نعمل بالتقوى
 في شأن المعتدات فقبل أسكنوهن وقوله تعالى (من حيث سكنتم) فيه وجهان أحدهما أن
 من لا تبعيض قال الزنجشري مبعضها محذوف معناه أسكنوهن مكاناً من حيث سكنتم أي بعض
 مكان سكنكم كقوله تعالى يغضوا من أبصارهم أي بعض أبصارهم قال قتادة إن لم يكن البيت
 واحداً سكنها في بعض جوانبه قال الرازي وقال الكسائي من صلة والمعنى أسكنوهن حيث
 سكنتم والثاني أنها ابتداء الغاية قاله الحوفي وأبو البقاء قال أبو البقاء والمعنى تسبوا إلى
 أسكنتم من الوجه الذي تسكنون أنفسكم ودل عليه قوله تعالى (من وجدكم) أي من وسعكم
 أي مما تطبقونه وفي أعرابه وجهان أحدهما أنه عطف بيان لقوله تعالى من حيث سكنتم إليه
 ذهب الزنجشري وتبعه البيضاوي قال ابن عادل أظهرهما أنه بدل من قوله من حيث سكنتم

العامل واليه ذهب أبو البقاء كانه قيل اسكنوهن من وسعكم (ولا تضاروهن) أي حال السكنى
 في المسكن ولا في غيره (لتضيقوا عليهم - ن) حتى تجزوهن الى الخروج (وان كن) أي المطلقات
 (أولات حمل) أي من الأزواج من طلاق بائن أو رجعي (فانفقوا عليهن) وان مضت الأشهر
 (حتى يرضعن حملهن) فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل
 من المعتقات البوائن والاحاديث تؤيده قال القرطبي اختلف العلماء في المطلقة ثلاثا على
 ثلاثة أقوال فذهب مالك والشافعي أن لها السكنى والنفقة لها ومذهب أبي حنيفة وأصحابه
 أن لها السكنى والنفقة ومذهب أحمد وإسحاق وأبي ثور ولا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت
 قيس قالت دخلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعى اخو زوجي فقلت ان زوجي طلقني
 وأن هذا يزعم ان ليس لى سكنى ولا نفقة قال بل لك السكنى والنفقة فقال ان زوجها طلقها ثلاثا
 فقال صلى الله عليه وسلم انما السكنى والنفقة لمن له عليهما رجعة فلما قدمت الكوفة طلبني الاسود
 ابن يزيد ليأخذني عن ذلك فان أصحاب عبد الله يقولون ان لها السكنى والنفقة وعن الشعبي
 قال لعيني الاسود بن يزيد فقال يا شعبي اتق الله وارجع عن حديث فاطمة بنت قيس فان عمر
 كان يجعل لها السكنى والنفقة فقلت لا أرجع عن شيء حدثني فاطمة بنت قيس عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ولانه لو كان لها سكنى لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن تعتد في بيت ابن
 أم مكتوم وأجيب عن ذلك بما روت عائشة أنها قالت كانت فاطمة في مكان وحش فحيف
 على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب انما نقلت فاطمة لطول لسانها على احمائها وقال قتادة
 وابن أبي ليلى لا سكنى الا للرجعية لقوله تعالى لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا وقوله
 تعالى اسكنوهن راجع لما قبله وهى المطلقة الرجعية (فان أرضعن لكم) أي بعد انقضاء عاقبة
 الشكاح (فلا توهرن اجورهن) أي على ذلك الارضاع وللرجل ان يستأجر امرأته للرضاع كما
 يستأجر اجنبية ولا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه الاستئجار اذا كان الولد منهم مالم تبين ويجوز
 عند الشافعي مطلقا وقوله تعالى (واتمروا) خطاب للزوج والزوجات أي ليا من بعضكم بعضا
 في الارضاع والاجر فيه وغير ذلك وليقبل بعضكم أمر بعض وقال الكسائي اتمروا تشاوروا
 وتلاقوا قوله تعالى ان الملا يا تمرون بك وأنشد قول امرئ القيس * ويعدو على المرء ما ياتمه
 وزادهم رغبة في ذلك بقوله تعالى (ينكم) أي ان هذا الخير لا يعدوكم وكذلك بقوله تعالى
 (معروف) ونكره سبحانه تخفيفا على الامة بالرضا بالمستطاع وهو يكون مع الاخلاق بالانصاف
 ومع النفس بالخلاف (وان تعاسرتم) أي طلب كل منكم ما يعسر على الآخر كأن طلبت المرأة
 الاجرة وطلب الزوج ارضاها مجانا (فسترضع له) أي الاب (أخرى) أي مرضعة غير الام
 ويفسئ الله تعالى عنها وليس له أن يكرهها على ذلك نعم اذا لم يقبل ندى غيرها أو لم يوجد غيرها
 أجبرت على ذلك بالاجرة وهذا الحكم لا يختص بالمطلقة بل المنكوجة كذلك واختلفوا
 فيمن يجب عليه رضاع الولد فقال مالك رضاع الولد على الزوجة مادامت الزوجية الاشرافها
 وموضعها فعلى الاب رضاعه حيفت في ماله وقال أبو حنيفة لا يجب على الام بحال وقيل لا يجب

عليها بكل حال ولو طلبت الام اجرة المثل وهناك اجنية ترضع بدون اجرة المثل أو متبرعة تخير
الاب بينهما ولا يضيق على الاب بدفع الاجرة لانه صلى الله عليه وسلم ما خير بين أمرين الا اختار
أيسرهما ما لم يكن اثماً وقطيعه رحم وقرأ أبو عمرو ووجزة والكسائي بالامالة محضة وقرأ
ورش بين بين والباقون بالقح (لينفق ذو سعة) أي مال واسع ولم يكفه تعالى جميع وسعه بل قال
تعالى (من سعة) أي لينفق الزوج على زوجته وولده الصغير على قدر وسعه فيوسع اذا كان موسعا
عليه (ومن قدر) أي ضيق (عليه رزقه) فعلى قدر ذلك فيقدر النفقة بحسب حال المنفق والحاجة
من المنفق عليه بالاجتهاد على مجرى العادة قال تعالى وعلى المولود له رزقهن ~~وسكنوتهن~~
بالمعروف وقال صلى الله عليه وسلم لهن دخذى ما يكفينك ووليك بالمعروف لكن نفقة الزوجة
مقدرة عند الشافعي محدودة فلا اجتهاد للعالم ولا للمفتي فيها وتقديرها هو بحسب حال
الزوج وحده من يسار واعسار ولا اعتبار بما لها فيجب لابنة الخليفة ما يجب لابنة الخارس فيلزم
الزوج الموسر مدان والمتوسط مد ونصف والمعسر مد اظاهر قوله تعالى لينفق ذو سعة من سعة
فجعل الاعتبار بالزوج في اليسر والعسر ولان الاعتبار بما لها يؤدى الى الخصومة لان الزوج
يدعى أنها تطلب فوق كفايتها وهي تزعم أنها تطلب قدر كفايتها فقد رت قطعاً للخصومة وقوله
تعالى (فلينفق) أي وجوباً على الموضع وغـ يرها من كل ما أوجبه الله تعالى عليه (عما آتاه
الله) أي الملك الذي لا يتقدم عنده ولو من رأس المال ومتاع البيت (لا يكلف الله) أي الذي له
الملك كله (نفساً) أي نفس كانت (الاما آتاهها) أي أعطاهها من المال (سيجعل الله) أي الملك
الذى له السكال كله فلا خلف لوعده (بعد عسر) أي بعد ~~كل~~ عسر (يسرا) وقد صدق الله
وعده فيمن كانوا موجودين بعد نزول الآية ففتح عليهم جميع جزيرة العرب ثم فارس والروم حتى
صاروا أغنى الناس وصدق الآية دائماً غير انه في الصحابة رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم آمين
لان ايمانهم أتم قال القشيري وانتظار اليسر من الله صفة المتوسطين في الاحوال الذين انخطوا
عن درجة الرضا وارتقوا عن حد اليأس والقنوط ويعيشون في افناء الرجال ويتعللون بحسن
المواعيد ٥١ ولما ذكر الاحكام والمواظط والترقيب لمن اطاع حذرو من خالف بقوله تعالى
(وكاين) هي كاف الجر دخلت على اى بمعنى كم (من قرية) أي وكثير من القرى وقرأ ابن كثير
بالالف بعد الكاف وبعد الالف همزة مكسورة وقفاً ووصلاً وقرأ الباقر في الوصل بهمزة
مفتوحة بعد الكاف وبعد الهاء يا فتحة مكسورة مشددة وعبر عن أهل القرية بهم بالغة
فقال (عتت) أي استكبرت وجاوزت الحد في عصيانها وطفها بها فأعرضت عناداً (عن أمر
ربها) أي الذى أحسن اليها ولا يحسن اليها غيره (ورسله) فلم تقبل منهم ما جاؤا به عن الله تعالى
فان طاعتهم من طاعته (بخاسنها) أي فى الآخرة وان لم تجب لتحقيق وقوعها (حساباً شديداً)
أي بالمناقشة والاستقصاء (وعذباها عذاباً نكراً) أي منكر افظيعاً وهو عذاب النار وقيل
العذاب فى الدنيا فيكون على حقيقته أي جازيها بالعذاب فى الدنيا وعذباها عذاباً نكراً
فى الآخرة وقيل فى الكلام تقديم وتأخير أي فعذباها عذاباً نكراً فى الدنيا بالجوع والقسط

والسيف والخسف والمسح وسائر المصائب وحاسبتها حاسبا شديدا في الآخرة وقرأ نافع وابن
ذكوآن وشعبة بضم الكاف والهاقون بسكونها (فذاقت) أي فتسبب عن ذلك أنها ذاق
(وبال) أي عقوبة (أمرها) أي كفرها (وكان عاقبة أمرها خسرا) أي في الدنيا والآخرة
وضرب الجزية وغير ذلك وفي الآخرة بعد ذاب النار فأن من زرع الشوك كما قال القشيري
لا يجني الورد ومن أضاع حق الله تعالى لا يطاع في حفظ نفسه ومن احترق بمخالفة أمر الله
تعالى فليسبر على عقوبته ثم استأنف الجواب عن يقول هل لها غير هذا في غير هذه الدار بقوله
تعالى (أعد الله) أي الملك الأعظم (أهم) بعد الموت وبعد البعث (عذابا شديدا) وفي ذلك تكرير
للعيد وبيان لما يوجب التقوى للمؤمنين (فاتقوا الله) أي الذي له الأمر كله بامتنال أو امره
واجتناب نواهيه (يا ولي الألباب) أي يا أصحاب العقول الصافية النافذة من الظواهر إلى
البواطن وقوله تعالى (الذين آمنوا) منصوب بأخمارا عني بيان للمنادي في قوله تعالى يا ولي
الألباب أو يكون عطفاً بيان للمنادي أو نعتاً له أي خالصاً من دائرة الشرك وأوجدها
الايان حقيقة (قد أنزل الله) أي الذي له صفات الكمال (اليكم ذكرا) هو القرآن وفي نصب
(رسولا) أوجه أحدها قال الزجاج والفارسي أنه منصوب بالمصدر المتون قبله لأنه يخل لحرف
مصدرى وفعل كأنه قيل أن ذكر رسولاً ويكون ذكره الرسول قوله محمد رسول الله والمصدر
المتون عامل كقوله تعالى أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتجأ الثاني جعل نفس الذكر مبالغة فأبدل
منه ويكون محمولا على المعنى كأنه قال قد أنظر اليكم ذكر رسولاً فيكون من باب بدل الشيء
من الشيء وهو الثالث أنه بدل منه على حذف مضاف من الأول تقديره أنزل ذا ذكر رسولاً
الرابع أنه بدل منه على حذف مضاف من الثاني أي ذكر رسول الخامس أنه منصوب
بفعل مقدر أي وأرسل رسولاً (يتلو عليكم آيات الله) هي دلائل الملك الأعظم الظاهرة جذاً حال
كونها (مبينات) أي لا لبس فيها بوجه واختلف الناس في رسول الله صلى الله عليه
وسلم أو جبريل إلا أكثر على الأول واقتصر عليه الجلال المحلى واقتصر الزخشي على الثاني وهو
قول الكلبي وقرأ ابن عامر وحفص وحزرة والكسائي بكسر الياء بعد الموحدة والهاقون بالغ
(ليخرج الذين آمنوا) أي أقرأوا بالشهادتين (وعملوا) تصديقاً لما قالوه بالسنتهم وتحقيقاً لأنه من
قلوبهم (الصالحات) أي ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الإيمان والعمل الصالح أو ليخرج من علم
أو قدر أنه مؤمن (من الظلمات) أي الضلالة (إلى النور) أي الهدى (ومن يؤمن بالله) أي يجتد
في كل وقت على الدوام الإيمان بالملك الأعلى بأن لا يزال في ترق في معارج معارفه (ويعمل) على
التجديد المستمر (صالحاً) لله وفي الله فله دوام النعماء وهو معنى ادخاله الجنة كما قال تعالى (يدخله)
أي عاجلاً مجازاً بما يفتح الله له من لذات المعارف ويفتح له من الانس وآجلاً حقيقة (جنات)
أي بساتين هي في غاية ما يكون من جمع جميع الأشجار وحسن الدار وبين دوام ربيها بقوله
تعالى (تجري من تحتها) أي من تحت غرفها (الأنهار) فهي في غاية الري بحيث أن ساكنها يجري
في أي موضع أراد نهرها وقرأ نافع وابن عامر ندهم بالنون والهاقون بالياء التحية (خالدين فيها)

وأكدمعنى الخلود بقوله تعالى (أبدا) ليفهم الدوام بلا انقضاء وقوله تعالى (قد أحسن الله)
 أى الملك الاعلى ذوالجلال والاکرام (له) أى خاصة (رزقاً) أى عظيماً عجيباً فيه تعجب وتعظيم لما
 رزقوا من الثواب وقال القشيري الحسن ما كان على حد الكفاية لانقصان فيه يتعطل عن أموره
 بسببه ولا زيادة تشغله عن الاستمتاع بما رزق لحرمه كذلك أوزاق القلوب أحسنها أن يكون له
 من الأحوال ما يستقل به من غير نقصان ولا زيادة لا يقدر على الاستمرار عليها * ثم بين كمال قدرته
 بقوله تعالى (الله) أى الذى له جميع صفات الكمال التى القدرة الشاملة احداها (الذى خلق)
 أى أوجد وحده من العدم بقدرته على وفق ما دبر بعلمه على هذا المتوال الغريب البديع (سبع
 سموات) أى وأنتم تشهدون عظمة ذلك وتشهدون أنه لا يقدر عليه الا تمام القدرة والعلم الكامل
 (ومن الارض مثلهن) أى سبعة ما كون السموات سبعة بعضها فوق بعض فلا خلاف فيه
 الحديث الاسراء وغيره وأما الارضون فقال الجمهور انها سبع أرضين طباقاً بعضها فوق بعض
 بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والارض وفي كل أرض سكان من خلق الله وقال
 الضحاك انها سبع أرضين ولكنها مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال
 القرطبي والاقول أصح لأن الاخبار دالة عليه كما روى البخارى وغيره روى أبو هريرة عن أبيه
 أن كعباً حلف بالله الذى فلق البحر لموسى أن صهيياً حدثه أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يرق قرية
 يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما
 أظللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين انا ذاك خير هذه القرية وخير أهلها
 ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر من فيها وروى مسلم عن سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم قيد شبر من أرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين قال
 البقاعي رأيت فى التعداد حقيقة حديثنا صريحاً لكن لا أدري حاله ذكره ابن بروجان فى اسمه تعالى
 الملك من شرحه الاسماء الحسنى قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما تحت هذه
 الارض قالوا الله ورسوله أعلم قال هو اأتدرون ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال أرض
 أتدرون ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله أعلم حتى عتسبع أرضين ثم رأيت فى الترمذى عن أبي
 رزق العقبلى ولفظه هل تدرون ما الذى تحتكم قالوا الله ورسوله أعلم قال انها الارض ثم قال
 أتدرون ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ان تحتها أرضاً أخرى خمسمائة سنة حتى عد
 سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ثم رأيت فى الفردوس عن ابن مسعود رضى الله
 عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين السماء الى السماء خمسمائة عام وعرض كل سماء وثخانة
 كل سماء خمسمائة عام وما بين السماء السابعة وبين الكرسي والعرش مثل ذلك وما بين السماء
 الى الارض مسيرة خمسمائة عام والارضون وعرضهن وثخانتهم مثل ذلك اه قال الماوردى
 وهلى أنها سبع أرضين تختص دعوة الاسلام بأهل الارض والملياً ولا تلزم من فى غيرها من
 الارضين وان كان فيها من يعقل من خلق عزيز فى مشاهدتهم السماء واستعدادهم المضوء منها
 قولان أحدهما أنهم يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم ويستقدون الضياء منها قال

ابن عادل وهذا قول من جعل الارض مبسوطة الثاني انهم لا يشاهدون السماء وأن الله تعالى خلق لهم ضياء يشاهدونه قال ابن عادل وهذا قول من جعل الارض كرية وحكي الكلبي من ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم اسبع ارضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض تفرق بينها البحار وتظل جميعهم السماء فعلى هذا ان لم يكن لاحد من أهل الارض وصول الى أرض أخرى اختصت دعوة الاسلام بهذه الارض وان كان لقوم منهم وصول الى أرض أخرى احتمل أن تلزمهم دعوة الاسلام لا يمكن الوصول اليهم لان فصل البحار اذا أمكن سلوكها لا يمنع من لزوم ماعتم حكمه واحتمل أن لا تلزمهم دعوة الاسلام لانها لو لم تلزمهم لكان النص بها واودا ولكن النبي صلى الله عليه وسلم بهامورا وقال بعض العلماء السماء في اللغة عبارة عما علاك فالاولى بالنسبة الى السماء الثانية أرض وكذلك السماء الثانية بالنسبة الى الثالثة أرض وكذا البقية بالنسبة الى ما تحته سماء وبالنسبة الى ما فوقه أرض فعلى هذا تكون السموات السبع وهذه الارض الواحدة سبع سموات وسبع ارضين (يتنزل) أي بالتدريج (الامر) قال مقاتل وغيره أي الوحي وعلى هذا يكون قوله تعالى (بينهن) إشارة الى ما بين هذه الارض العليا التي هي أولها وبين السماء السابعة التي هي أعلاها والاكثرون على أن الامر هو القضاء والقدر فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى بينهن إشارة الى ما بين الارض السفلى التي هي أقصاها وبين السماء السابعة التي هي أعلاها فيجري أمر الله وقضاه بينهن وينفذ حكمه فيهن وعن قتادة في كل أرض من أرضه وسماء من سمائه خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن نافع ابن الأزرق سأله هل تحت الارض من خلق قال نعم قال فما الخلق قال أمم لا تسكة أوجن وقال مجاهد يتنزل الامر من السموات السبع الى الارضين السبع وقال الحسن بين كل سماء من أرض وأمر وقيل يتنزل الامر بينهن بحياة بعض وموت بعض وغنى قوم وفقير قوم وقيل ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتاء ويخلق الحيوانات على اختلاف أنواعها وهيأتها فينقلهم من حال الى حال قال ابن كيسان وهذا على اتساع اللغة كما يقال للموت أمر الله وللريح والسحاب ونحوها وقوله تعالى (تعلموا) متعلق بمحذوف أي اعلمكم بذلك الخلق والانزال تعلموا (أن الله) أي الملك الاعلى الذي له الاحاطة كلها (على كل شيء) أي من غير هذا العالم يمكن ان يدخل تحت المشيئة (قدير) بالغ القدرة فيأتي بعالم آخر مثل هذا العالم وابدع منه وابدع من ذلك الى ما لا نهاية له بالاستدلال بهذا العالم فان من قدر على ايجاد ذرة من العدم قدر على ايجاد ما هو دونها ومثلها وفوقها الى ما لا نهاية له لانه لا فرق في ذلك بين قليل وكثير وجليل وحقيق ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت قال البقاعي وابالك ان تصغي الى من قال انه ليس في الامكان ابداع مما كان فانه مذهب فلسفي خبيث والآية تنص في ابطاله وان نسبته لبعض المحدثين الى الغزالي فاني لا اشك انه مدسوس عليه وان مذهب فلسفي خبيث بشهادة الغزالي كما بينت ذلك في كتابي دلائل البرهان على ان في الامكان ابداع مما كان قال ومع كونه مذهب الفلاسفة

أخذه أ كفر المارقين ابن عربي وأودعه في فصوصه وغير ذلك من كسبه وأسنده في بعضها للغزالي والغزالي يرى منه بشهادة ما وجد من عقائده في الأسيا وغيره انتهى والبقاعى ممن يقول بكفر ابن عربي وابن المقرئ يقول بكفره وكفر طائفة وقد تقدم الكلام على كلامهم (وإن الله) أى الذى له جميع صفات الكمال (قد أحاط) لتمام قدرته (بكل شئ) مطلقا (علما) فله الخبرة النامة بما يأمربه من الأحكام في العالم بمصالحه ومفاسده فلا يخرج شئ عن علمه وقدرته فعاملوه معاملة من يعلم أنه رقيب عليه تسلموا في الدنيا وهدوا في الآخرة * (تنبيه) * علما منصوب على المصدر المؤكد لأن أحاط بمعنى علم وقيل بمعنى والله أحاط أحاطة علما وما قاله البيضاوى تبعا للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث موضوع

﴿سورة التريم كنية﴾

وهي ثلثا عشرة آية ومائتان وأربعون كلمة وألف وستون حرفا

(بسم الله) الذى له الكمال كله على الدوام (الرحمن) الذى عمّ عباده بعظيم الانعام (الرحيم) الذى أتم على خواصه نعمة الاسلام واختلاف في سبب نزول قوله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله) أى الذى لا أمر لا حرم معه (لك) نقالت عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند زينب بنت جحش فشرب عدها عسلا قالت فتواطيت أنا وحفصة أن يتنادخل عليهما النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل اني أجدمنك ربيع مغافير فدخل على احدهما فقالت له ذلك فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش وإن أعودله فنزل لم تحرم ما أحل الله لك الى قوله تعالى ان تتوبا الى الله لعائشة وحفصة وعنهما أيضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الخلوا والعسل فكان اذا صلى العصر دار على نسائه فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت اليها امرأة من قومها عكة عسل فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شربة فقالت أما والله لئحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت لهما اذا دخل عليك فانه سيدنومنك فقولي له يا رسول الله أكلت مغافير فانه سيقول لك لافقولي ما هذه الريح وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه أن يوجد منه الريح فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي له حرسن فحله العرفط وسأقول ذلك له وقولي أنت يا صفيية ذلك فلما دخل على سودة قالت سودة والله الذى لا اله غيره لقد كدت أن أباده بالذى قلت وانه لعلى الباب فرقامنك فلما دار رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت له يا رسول الله أكلت مغافير قال لا قلت فاهذه الريح قال سقتني حفصة شربة عسل قالت حرسن فحله العرفط فلما دخل على قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفيية فقالت مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت يا رسول الله الأسقيك منه قال لا حاجة لي به قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه منه قالت فقلت لهما اسكتي في هذه الرواية أن اتى شرب عندها النبي صلى الله عليه وسلم حفصة وفي الأولى زينب وروى ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضى الله

عنهما أنه شربه عند سودة وقبل انماهي أم سلمة ورواه اسباط عن السدي وقاله عطاء بن أبي مسلم
 * (تنبيه) شرح غريب ألفاظ الحديث وما يتعلق به ما قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يحب الخلو بالمد والقصر قاله في المصباح وهو على كل شيء يحلو وذكر العسل بعدها وإن كان
 داخل في جملة الخلو انتهى على شرفه ومن تنبه وهو من باب الخاص بعد العام وقولها
 فتواطيت أنا وحفصة هكذا وقع في الرواية وأصله فتوطأت بالهمز أي اتفقت أنا وحفصة وقولها
 اني لا جدمنك ربح مغاير هو بغير معجزة وفاء بعدها ياء وراء وهو صغح - لو كالناطف وله ربح
 كريمة ينضجه شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة والفاء يكون بالحجاز وقيل العرفط نبات
 له ورق يفرش على الأرض له شوك وغيره خبيث الرائحة وقال أهل اللغة العرفط من شجر العضاء
 وهو كل شجر له شوك وقيل رائحته كرائحة النبيذ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن توجد
 منه رائحة كريهة قولها جرت شحله العرفط بالجيم والراء وبالسين المهمتين ومعناه أكلت شحله
 العرفط فصار منه العسل قال القاضي عياض والصواب أن شرب العسل كان عند زينب بنت
 جحش ذكره النووي في شرح مسلم وكذا ذكره أيضا القرطبي وقال أكثر المفسرين في سبب نزول
 ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في زيارة أبيها فأذن لها فلما خرجت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
 جاريته مارية القبطية فادخلها بيت حفصة فوقع عليها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا
 فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال
 صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقالت انما أذنت لي من أجل ذلك أدخلت أمتك بيتي ثم وقعت عليها
 في يومى على فراشي أما رأيت لي حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا يا امرأة منهمن فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أليس هي جاريتي قد أحلها الله لي فهي حرام على التمس بذلك رضاك فلا تخبري
 بهذا امرأة منهمن فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين
 عائشة فقالت ألا أبشرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه أمة مارية وإن الله
 قد أراحنا منها وأخبرت عائشة بما رأته وكانت متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فغضبت عائشة فلم يزل نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف أن لا يقربها وعن
 أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له أمة يطؤها فلم تزل عائشة وحفصة حتى حرماها
 على نفسه فأنزل الله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الآية أخرجه النسائي (فان قيل)
 قوله تعالى لم تحرم ما أحل الله لك يوهم أن الخطاب بطريق العتاب وخطاب النبي صلى الله
 عليه وسلم ينافي ذلك لما فيه من التشریف والتعظيم (اجيب) بأنه ليس بطريق العتاب بل
 بطريق التنبيه على أن ما صدر منه لم يكن على ما ينبغي (فان قيل) تحريم ما أحل الله غير ممكن
 فكيف قال لم تحرم ما أحل الله لك (اجيب) بأن المراد بهذا التحريم هو الامتناع من الانتفاع
 بالأزواج لا اعتقاد كونه حراما بعد ما أحله الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم امتنع من الانتفاع
 بهما مع اعتقاد كونهما حلالا فأتى من اعتقاد أن هذا التحريم هو تحريم ما أحل الله فقد كفر فكيف

يضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم (تبتغي) اي تريد ارادة عظيمة من مكارم اخلاقك وجسمك
صحتك (مرضاة ازواجك) اي الاحوال والامور والمواضع التي يرضى بها وهن أولى بأن
يتغنى رضائهن وكذا جميع الخلق لتتفرغ لما يوحى اليك من ربك لكن ذلك للزوجات أكد (والله)
اي الملك الاعلى (غفور رحيم) اي محاسن مستور لما يشق على خاص عباده مكروم لهم فقد غفر لك
هذا التحريم ثم عال وبين ذلك بقوله تعالى (قد فرض الله) اي قدر ذو الجلال والاكرام الذي
لا شريك له ولا امر لاحد معه وعبر بالفرض حثا على قبول الرخصة اشارة الى أن ذلك لا يقدح
في الورع ولا يخل بحرمته اسم الله تعالى لان اهل الهمة العوالي لا يجوزون النقلة من عزمة الى
رخصة بل من رخصة الى عزمة وعزيمة الى مثلها * ولما كان التخصيف على أمته تعظيما له الى
الله عليه وسلم قال تعالى (لكم) أيها الامة التي أنت رأسها (تحلة) اي تحليل (أيما نكم) بالكفارة
المذكورة في سورة المائدة وقيل قد شرع الله لكم الاستفتاء في أيما نكم من قولك حلال فلان
في عيونه اذا استثنى بمعنى استثنى في عيئك اذا أطلقتها بأن تقول ان شاء الله متصلا بحلفك وتنويه قبل
الفراغ منه واختلاف اهل العلم في لفظ التحريم فقال قوم هو ليس بيمين فان قال لزوجته انت حرام
أو حرمتك فان نوى به طلاقا فهو طلاق وان نوى به نظهارا فهو نظهار وان نوى تحريم ذاتها
واطلق فعليه كفارة يمين وان قال لطعام حرمته على نفسي فلا شيء عليه وهذا قول ابن مسعود
رضي الله عنه واليه ذهب الشافعي وروى الدارقطني عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله
عنهما أنه اتاه رجل فقال اني جعلت امرأتي على حرام فقال كذبت ليست عليك بحرام وتلا
هذه الآية وذهب جماعة الى أنه يمين فان قال ذلك لزوجته أو جاريته فلا تجب الكفارة مالم
يقربها كالحلف لا يأكله فلا كفارة عليه مالم يأكله يروي ذلك عن ابي بكر وعائشة وبه قال
الاوزاعي وابو حنيفة وعند ابي حنيفة ان نوى الطلاق بالحرام كان بائنا وان قال كل حلال
عليه حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما نوى نقله الرضا عن حماد
نوى الطلاق فرجعي وعن علي ثلاث وعن زيد واحدة بائنة وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما قال اذا حرّم الرجل امرأته فهي يمين يكفرها وقال لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة
قال مقاتل فاعترف رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الواقعة رقبة قال زيد بن أسلم وحاد الى
ملدية وقال الحسن لم يكفر عليه السلام لانه مغفوره له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكفارة اليمين
في هذه السورة انما أمر بها الامة قال ابن حاد والاقول أصح وأن المراد بذلك النبي صلى الله عليه
وسلم ثم الامة فتتدى به في ذلك (والله) اي والحال أن المختص بأوصاف الكمال (مولاكم) أي يفعل
معكم فعل القريب الصديق فهو سيّدكم ومتولى أموركم (وهو) أي وحده (العليم) أي الباطن للعلم
بصالحكم وغيورها الى ما لا نهاية له (الحكيم) أي الذي يضع كل ما يصدر عنه لكم في أتمن محال
بحيث لا يقدر غيره أن يغيره ولا شيأ منه والعامل في قوله تعالى (واذ) اذ كرهه ومفعول به لا ظرف
والمعنى اذ كره (أمر النبي) أي الذي شأنه أن يرفع الله تعالى دأخله فانه ما ينطق عن الهوى (الى
بعض أزواجه) وأبهمها ولم يعينها شرعا صلى الله عليه وسلم وله اوهى رخصة صيانة لمن لا

حرمته من حرمته صلى الله عليه وسلم (حديثاً) ليس هو من شأن الرسالة ولو كان من شأنها لعم به ولم يخص به ولا أسرته وذلك هو تحريمه فقاته على نفسه وقوله لفصحة لا تخبري بذلك أحداً وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما أسرا أمر الخلافة بعده فحدثت حفصة وقال الكلبي أسرا إليها ان ابالك وأباعتني بكونان خليفين على أمتي من بعدى وقال ميمون بن مهران أسرا أن أبابكر خليفتي من بعدى (فلتأبأت) أي أخبرت (به) عائشة ظناً منها انه لا حرج عليها في ذلك (وأظهره الله) أي أطلعه الملك الذي له الاحاطة بكل شيء (عليه) أي الحديث على لسان جبريل عليه السلام بانه قد أفشى مناصحة له في اعلامه بما يقع في غيبته ليحذره ان كان شراً ويثبت عليه ان كان خيراً وقيل أظهر الله الحديث على النبي صلى الله عليه وسلم من الظهور (عزف) أي النبي صلى الله عليه وسلم التي أسرا إليها (بعضه) أي بعض ما فعلت (وأعرض عن بعض) أي اعلام بعض تكتر ما منه أن يستقصي في العبارات وحياء وحسن عشرة قال الحسن ما استقصي كريم قط وقال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام وانما عاتبها على ذكر الامامة واعرض عن ذكر الخلافة خوفاً من أن يتشرفي الناس فربما أثار حسد بعض المنافقين واورث الحسود للصديق كيدا وقال بعض المفسرين انه أسرا إلى حفصة شيئاً فحدثت به غيرها فطلقةا مجازاة على بعضه ولم يؤخذها بالباقي وهو من قبيل قوله تعالى وما تفعلوا من خير يعلمه الله أي يجازيكم عليه وقيل المعزف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروى انه قال لها ويا لك ألم أقل لك اكتمى على قات والذي بعثك بالحق نبيا ما ملكت نفسي فرحاً بالكرامة التي خص الله تعالى بها أباه (فلتأبأها) أي بما فعلت على وجه لم يغادر من ذلك الذي عترفها به شيئاً منه ولا من عوارضه لتزداد بصيرة روى أنها قالت لعائشة أسرا فأنانا علم انما الاظهاره قاله الملوى وهو معنى قوله تعالى (قالت) أي ظناً منها أن عائشة افشت عليها (من آبائك هذا) أي من اخبرك أني افشيت السر (قال نبائي) وحذف المتعلق اختصاراً للفظ وتكثيراً للمعنى بالتعميم اشارة انه اخبره بجميع ما دار بينهما وبين عائشة على أتم ما كان (العليم) أي المحيط العلم (الخبير) أي المطالع على الضمائر والظواهر فهو أولى ان يحذر فلا يتكلم سرّاً او جهراً الا بما رضىه وقوله تعالى (ان تتوبا الى الله) أي الملك الاعظم شرط وفي جوابه وجهان احدهما قوله تعالى (فقد صغت قلوبكما) والمعنى ان تتوبا فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حب ما يحب وكره ما يكره وصغت مالت وزاغت عن الحق قال القرطبي وليس قوله فقد صغت قلوبكما جواب الشرط لان هذا الصغوك كان سابقاً لجزاء الشرط محذوف للعلم به أي ان تتوبا كان خيراً لكم اذا قد صغت قلوبكما الثاني أن الجواب محذوف تقديره فذلك واجب عليكم أوقتاب الله عليكم قاله ابو البقاء ودل على المحذوف فقد صغت لان اصغاء القلب الى ذلك ذنب قال بعضهم وكأنه زعم أن ميل القلب ذنب وكيف يحسن ان يكون جواباً وقد غفل عن المعنى الصحيح لكونه جواباً (تنبيه) قوله تعالى قلوبكما من افصح الكلام حيث اوقع الجمع موقع المثني استقلاً لا ليجي تنقيتين لو قيل قلوبكما من شأن العرب اذا ذكروا الشيئين

من اثنين جمعوها لانه لا يشك والاحسن في هذا الباب الجمع ثم الافراد ثم التنبيه كقوله
فخالت انفسهم ما يتواقد الـ * غيظ الذي من شأنه لم يرفع
وقال ابن عسكورا لا يجوز الافراد الا في ضرورة كقوله

حاجة بطن الواديين ترغى * سقاها من الغر الفوادي مطيرها

وتبعه ابو حيان وغلط ابن مالك في كونه جعله احسن من التنبيه قال ابن عادل وليس بغلط
لكرامة توالي تبتين مع امن اللبس وقوله تعالى ان تتوباقية التفات من القيبة الى الخطاب
والمراد بهذا الخطاب اما المؤمنتان بقا الشخين الكريين عائشة وحفصة - ثم ما على التوبة على
ما كان منهما من الميل الى خلاف محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما ما كرها ما أحب رسول
الله صلى الله عليه وسلم من احباب جاريته واحباب العسل وكان صلى الله عليه وسلم يحب العسل
والنساء وقال ابن زيد مالت قلوبكم بأن سرهما أن يحتبس عن أم ولده فسرهما ما كرهه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل قد مالت قلوبكم الى التوبة روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما
أنه قال مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن آية فما أستطيع أن أسأله
هيبه له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجع وكان ببعض الطريق عدل الى الارال الحاجة له
فوقفت حتى فرغ ثم سرت معه باداوة ثم جاء فسكبت على يديه منها فتوضأ فلما رجع قلت يا أمير
المؤمنين من اللتان تطاهرتا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك حفصة وعائشة قال فقلت
له والله ان كنت لا تريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فما أستطيع هيبه لك قال فلا تفعل ما ظننت
أن عندى من علم فسأني عنه فان كنت أعلمه أخبرتك وفي رواية قال وايعجب لك يا ابن عباس
قال الزهري كره والله ما سأله عنه ولم يكتمه قال هما عائشة وحفصة ثم اخذ يسوق الحديث قال
كنت أنا وجاري من الانصار وكان منزلي في بني أمية وهم من عوالي المدينة وكنا تناوب النزول
على النبي صلى الله عليه وسلم فينزل يوما وأنزل يوما فاذا انزلت جثته بما حدث من خبر ذلك
اليوم من الوحي أو غيره واذا نزل فعل مثل ذلك وكنا معشر قريش تغلب النساء فلما قدمنا المدينة
على الانصار اذاهم قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلن من نسايتهم فصبحت على امرأتى
فراجعتني فأنكرت أن تراجعني قالت لم تذكر أن أراجعك فوالله ان ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم ليراجعه وان احدا من لتهجره اليوم حتى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت لها اى
حفصة اتغاضب احدا كن النبي صلى الله عليه وسلم اليوم حتى الليل قالت نعم فقلت قد خبت
وخسرت أفقامن - ين أن يغضب الله لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
تسأليه شيئا وسليني ما بدالك ولا يفترنك ان كانت جارتك هي او تسم واحب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يريد عائشة رضي الله عنها قال عمرو وكأقد فحدثنا ان غسان تنعل الخيل لتغزو فاقترل
الانصارى يوما فوبته ثم اتاني عشاء فضرب بابى ضربا شديدا ففرجت اليه فقال قد حدث
اليوم امر عظيم قلت ما هو اجاب غسان قال لابل أعظم من ذلك وأهول طلق النبي صلى الله عليه
وسلم نساء فقلت خابت حفصة وخسرت قد كنت اظن هذا يوشك ان يكون - حتى اذا صليت

الصبح شددت على ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تسكى فقلت اطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا أدري ها هوذا معتزل في المشربة فأنت غلامه أسود فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الى فقال قد ذكرتك له فصمت ثم انطلقت حتى أتيت المنبر فاذا عنده رطل جلوس يكي بعضهم فجلست قليلا ثم غلبني ما أجدف أتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج فقال ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل فقد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو مضطجع على رمال حصر وليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجانبه متكئا على وسادة من آدم حشو هاليف ثم قلت وأنا قائم يا رسول الله أطلقت نسائك فرفع الى بصره وقال لا فقلت الله أكبر ثم قلت وأنا قائم لورأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش تغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغابهم نساء وهم قتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ثم قلت يا رسول الله لورأيتني دخلت على حفصة فقلت لها لا يغرنك أن كانت بارتك هي أو سم وأحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عائشة فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم تبسمة أخرى فجلست حين رأيته تبسم فرفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت فيه شيئا يرد البصر غير أهبة ثلاثة فقلت يا رسول الله ادع الله فليوسع على أمتك فان فارسا والروم قد وسع عليهم وأعماوا الدنيا وهم لا يعبدون الله فجلس النبي صلى الله عليه وسلم وكان متكئا وقال أوفى هذا أنت يا ابن الخطاب إن أولئك قوم عجلوا طيبتهم في حياتهم الدنيا فقلت يا رسول الله استغفر الله لي فاعتزل النبي صلى الله عليه وسلم من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة الى عائشة تسعاً وعشرين ليلة وكان قال ما أناب داخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله تعالى فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة فبداً بها فقالت له عائشة يا رسول الله انك كنت أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وانما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعذها عذافا فقال الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين ليلة قالت عائشة ثم أنزل الله التخيير فبدأ أبي أول امرأته من نسائه فاخترته ثم خيره من فقلن مثلها وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءها حين أمره الله أن يخبر أزواجه قالت فبدأ أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اذا كررك أمر افلا عليك أن لا تستجلي حتى تستأمرى أبويك وقد علم أن أبوي لم يكونا بأمر اني بفراقه قالت ثم قال ان الله تعالى قال يا أيها النبي قل لأزواجك اني تمام الا تسين فقلت أوفى هذا استأمر أبوي فاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة وفي رواية ان عائشة قالت له لا تخبر نساءك اني اخترتك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أرسلني مبلغا وفي رواية قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من أمر النساء فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنابوا بوبكر والمؤمنون معك وقلنا تكلمت وأحمد الله بكلام الارجوت أن الله يصدق قولي الذي أقول ونزلت هذه الآية عسى ربه ان يطلقكن أن يبدلهن أزواجا خيرا منهن كن وإن تطاهر اعليه الآية وفي رواية انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخبر الناس انه لم يطلق نساءه فأذن له وانه قام على باب

المسجد ونادى بأعلى صوته لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نداءه * (شرح بعض الفاظ
 هذا الحديث) * قوله فعدت معه أى قلت معه بالاداة أى الركوة والعو إلى جمع عالية وهو
 اما كن بأعلى أرض المدينة وقوله لا يغرنك ان كانت جارتك بر يديها الضرة وهى عائشة وأرسم
 منك أى أكثر حسنا وقوله فكأننا وب النزول التناوب هو أن يفعله الانسان مرة ويفعله آخر
 بعده والمشر به بضم الراء وقصها الغرفة وقوله فاذا هو متكى على رمال حصير يقال رملت الحصير
 اذا ظفرت ونسجته والمراد أنه لم يكن على السرير وطأ سوى الحصير وقوله ما رأيت فيه ما يرد
 البصر الا أهبة ثلاث الاهبة والاهب جمع اهاب وهو الجلد وقوله من شدة موجدته الموجدة
 الغضب وقرأ (وان تقاهرا) الكوفيون بتخفيف الظاء والباقون بتشديد هاى تتعاوننا (عليه)
 أى النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكرهه (فان الله) أى الملك الاعظم الذى لا كف له وقوله تعالى
 (هو) يجوز أن يكون فصلا وقوله (مولاه) الخبر وان يكون مبتدأ ومولاه خبره والجملة خبر ان
 والمعنى فان الله وليه وناصره فلا يضرك ذلك التظاهر منهما وقوله تعالى (وجبريل وصالح المؤمنين)
 معطوف على محلى اسم ان فيكونون ناصريه ويجوز ان يكون جبريل مبتدأ وما بعده عطوف عليه
 وظهير خبر الجميع فتخصص الولاية بالله واختلف في صالح المؤمنين فقال عكرمة هو أبو بكر وعمر
 وقال المسيب بن شريك هو أبو بكر وقال سعيد بن جبيرة هو عمر وعن أسماء بنت عميس هو على بن
 أبى طالب وقال الطبرى هو خيار المؤمنين وصالح اسم جنس كقوله تعالى ان الانسان لى خسر
 وقال قتادة هم الانبياء وقال ابن زيد هم الملائكة وقال السدى هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
 والاولى ان يشمل هذه الاقوال كلها (والملائكة) أى كلهم (بعد ذلك) أى الامر العظيم الذى
 تقدم ذكره (ظهير) أى ظهراء أعوانه فى نصره عليهما * (تنبيه) * أخبر عن الجمع باسم الجنس
 اشارة الى أنهم على كلمة واحدة ومنهم جبريل عليه السلام فهو مذكور خوصا وعموما ثلاث
 مرات على القول بأن صالح المؤمنين هم الملائكة ان قلنا بالعموم وذلك اظهار لشدة محبته
 وموالاه للنبي صلى الله عليه وسلم وهذه الآية عكس آية البقرة وهى قوله تعالى من كان عدوا لله
 وملائكته ورسله وجبريل وميكال فانه ذكرا لخاص بعد العام تشير يفاله وهنا ذكر العام بعد
 الخاص قال ابن عادل ولم يذكر الناس الا القسم الاول وفى جبريل لغات تقدم ذكرها فى البقرة
 * ولما كان أشد ما عسى الى المرأة أن تطلق ثم اذا طلقت ان يستبدل بها ثم يكون البدل خيرا منها
 قال تعالى محذرا لهتن (عسى ربه) أى المحسن اليه بجميع أنواع الاحسان التى عرفتموها ومالم
 تعرفوه منها أكثر جديرو حقيق ووسطين عسى وخبرها اهتماما وتخويفا قوله تعالى (ان
 طلقكن) أى بنفسه من غير اعتراض عليه جميعا كن أو بعضكن قبل كل عسى فى القرآن واجب
 الا هذه الآية وقيل هو واجب ولكن الله تعالى علقه بشرط وهو التطلق ولم يطلقهن فان طلقكن
 شرط معترض بين اسم عسى وخبرها وجوابه محذوف أو متقدم أى ان طلقكن فعسى ربه وقوله
 تعالى (ان يبدله) أى بمجرد طلاقه وقرأ نافع وابو عمرو بفتح الباء وتشديد الدال والباقون يسكون
 الموحدة وتخفيف الدال (أزواجا خيرا منكن) خبر عسى والجملة جواب الشرط ولم يقع التبديل

لعدم وجود الشرط (فان قيل) كيف تكون المبتدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض
 خيرا منهن لانهن ائمهات المؤمنين (أجيب) بأنه اذا أطلقتهن رسول الله صلى الله عليه
 له صيانهن واذا هن اياه كن غيرهن من الموصوف بالصفات الاثنية مع الطاعة له صلى الله
 وسلم خيرا وان هذا على سبيل القرص وهو عام في الدنيا والآخرة فلا يقتضي وجود
 خير منهن مطلقا وان قيل بوجوده في خديجة لما جرب من تحاملها على نفسها في حقها
 عليه وسلم وبلغها في حبه والادب معه ظاهرا وباطنا الغاية القصوى ومريم أحسن
 كانت من القاتنين فذلك في الآخرة وتعلق تطبيق الكل لا يدل على أنه لم يطلق حقيقة فقا
 أنه أطلقها ولم يرد هذا ذلك الا فضل الان لا الله تعالى أمره ان يراجعها لانها صوامع قوامه
 تعالى الحيرية بقوله تعالى (مسلمات) الى آخره وهو امانة أو حال أو منصوب على الاخته
 قال سعيد بن جبير مسلمات يعني مخلصات وقيل مسلمات لاهل الله عز وجل وأمر رسول
 خاضعات لله تعالى بالطاعات (مؤمنات) أي مصدقات بتوحيد الله تعالى وقيل مصدقة
 أمرن به ونهين عنه وقيل مسلمات مقررات بالاسلام مؤمنات مخلصات (قاتنات) أي مط
 والقنوت الطاعة وقيل داعيات (نائبات) أي راجعات من الهفوات والزلات سريعا
 منهن شيء من ذلك وقيل راجعات الى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم تاركات لمحاب آفة
 (عابدات) أي كثيرات العبادات لله تعالى وقال ابن عباس كل عبادة في القرآن فهو التو
 (سائحات) قال ابن عباس صائمات وقال الحسن مهاجرات وقال ابن زيد وليس في آفة محمد
 الله عليه وسلم سياحة الا الهجرة والسياسة الجولان في الارض وقال الفراء وغيره سمي ال
 سائحات السائح لآزاد معه فلا يزال مسكالا الى أن يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في امسا
 أن يجي وقت افطاره وقيل ذاهبات في طاعة الله تعالى من ساح الماء اذا ذهب (ثيبات) جمع
 وهي التي تزوجت ثيبات بوجه من الوجوه أو زالت بكارتها بوط من غير نكاح (وآبة
 أي هذا ري جمع بكروهى ضد الثيب وسميت بذلك لانها على أول حالها التي خلقت بها
 الثيبات لانهن أخبر بالعشرة التي هذا سياقها ووسط الواو بين الثيبات والابكار إتيان في الو
 دون سائر الصفات (فان قيل) كيف ذكر الثيبات في مقام المدح وهن من بخله ما يقل رغبة ال
 فيهن (أجيب) بأنه يمكن ان يكون بعض الثيبات خيرا من كثير من الابكار لاختصاصهن
 والجمال ولما بالغ سبحانه في عتاب نساء النبي صلى الله عليه وسلم مع حيانهن من التشبه اكر
 صلى الله عليه وسلم أتبع ذلك أمر الامة بالسأسي به في هذه الاخلاق الكاطلة فقال تعالى
 لهن بالموعظة الخاصة بموعظة عامة دالة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر للا
 فالاقرب (يا أيها الذين آمنوا) أي اقرؤا بذلك (قوا أنفسكم) أي اجعلوا لها وقاية بالثأ
 صلى الله عليه وسلم وترك المعاصي وفعل الطاعات وفي أدبه مع الخلق والخلق (وأهلككم
 النساء والاولاد وكل من يدخل في هذا الاسم قوهم (نارا) بالنصح والتأديب ليكونوا
 باخلاق اهل النبي صلى الله عليه وسلم كما روى الطبراني عن سعيد بن العاص ما فعل والد

أفضل من أدب حين وفي الحديث ربح الله رجلاً قال يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم
 مسكينكم يتيمكم يتيماً بكم لعل الله يجمعكم معكم في الجنة وقيل إن أشد الناس عذاباً يوم
 القيامة من جهل أهله وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأً ظلم من الليل فصلي فأيقظ أهله فان لم
 تقيم رش على وجهها الماء ورحم الله امرأً قامت من الليل تصلي وأيقظت زوجها فان لم يقيم
 رشت على وجهه من الماء وقال بعض العلماء لما قال قوا أنفسكم يدخل في الأولاد لأن الولد
 بعض منه كما دخلوا في قوله تعالى ليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم وقوله عليه الصلاة
 والسلام إن أكل كل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه فلم يفرد بالذكر أفراد سائر القربان
 فيعله الحلال والحرام وقال عليه الصلاة والسلام حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويعلمه
 لكتابة ويرتجه إذا بلغ * ثم بين تعالى وصف تلك النار بقوله عز وجل (وقودها) أي الذي توقده
 (الناس) أي الكفار (والجارية) كأنما هم منها وعن ابن عباس أنها جارية الكبريت وهي أشد
 الأشياء حرّاً إذا أوقد عليها والمعنى أنها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر لا كالأدوية التي تتقد بالمطبخ
 ونحوه (عليها ملائكة) خزنتها عدتهم تسعة عشر كما سيأتي إن شاء الله تعالى في سورة المدثر
 (غلاظ) أي غلاظ القلوب لا يرجعون إذا استرحوا واخلقوا من الغضب وجب اليهم عذاب
 الخلق كما حجب لبني آدم كل الطعام والشراب (شداد) أي شداد الأبدان وقيل غلاظ
 الأقوال شداد الأفعال يدفع واحد منهم بالدفع الواحدة سبعين ألفاً في النار لم يخلق الله فيهم
 الرحمة وقيل في أخذهم أهل النار شداد عليهم يقال فلان شديد على فلان أي قوى عليه بعذبه
 بأنواع العذاب وقيل غلاظ أجسامهم ضخمة شداد أي أقوياء قال ابن عباس ما بين منسكبي
 الواحد منهم مسيرة سنة وقال صلى الله عليه وسلم في خزنة جهنم ما بين منسكبي كل واحد منهم كما بين
 المشرق والمغرب (لا يعصون الله) أي الملك الأعلى في وقت من الأوقات وقوله تعالى (ما أمرهم)
 بدل من الجلالة أي لا يعصون أمر الله وقوله تعالى (ويفعلون ما يؤمرون) تأ كيد هذا ما جرى
 عليه الجلال المحلى وقال الزمخشري (فان قلت) أليست الجملتان في معنى واحد قلت لا فان معنى
 الأولى أنهم يطيعون أوامرهم ويلتزمونها ولا يابونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية أنهم يؤذون
 ما يؤمرون به لا يتناقلون عنه ولا يتوانون فيه وقيل لا يعصون الله ما أمرهم فيما مضى ويفعلون
 ما يؤمرون فيما يستقبل وصدر بهذا البيضاوي (فان قيل) انه تعالى خاطب المشركين في قوله
 تعالى فان لم تغفوا لن نغفوا فأتوا النار التي وقودها الناس والجارية أعدت للكافرين
 بفعلها معدة للكافرين فامعنى مخاطبته المؤمنين بذلك (أجيب) بأن الفسق وإن كانت
 دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مع الكفار في دار واحدة فصيلى للذين آمنوا قوا أنفسكم
 باجتناب الفسوق مساكنة الذين أعدت لهم هذه الدار الموصوفة ويجوز أن يأمرهم بالتوقي
 عن الارتداد والنسب على الدخول في الإسلام وإن يكون خطايا للذين آمنوا بالسنة وهم
 المتأفقون قال الزمخشري ويعضد ذلك قوله تعالى على الأثر (يا أيها الذين كفروا) أي بالاخلال
 بالأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم فأداهم ذلك إلى الاخلال بالأدب مع الله تعالى وبالأدب مع

سائر خلقه (لا تعتذروا) أي تبالغوا في اظهار العذر وهو ايساخ الحيلة في وجه يزيل ما ظهر من
 التقصير (اليوم) فانه يوم الجزاء لا يوم الاعتذار وقد فات زمان الاعتذار وصار الامر الى ما صار
 وهذا النهي لتحقيق اليأس (انما تجزون) أي في هذا اليوم (ما كنتم) أي عما هو لكم كالجلبة والطبع
 (تعملون) في الدنيا وتطيره فاليوم لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم قال البقاعي ولا بعد على الله في أن
 يصور لكل انسان صورة عمله بحيث لا يشك انه عمله ثم يجعل تلك الصورة عذابه الذي يجذبه من
 الالم ما علم الله تعالى انه بمقدار استحقاقه * ولما بين تعالى أن المعذرة لا تنفع في ذلك اليوم أمر
 بالتوبة في الدنيا بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا توبوا) أي ارجعوا رجوعا تاما (الى الله) أي
 الملك الذي لا تطيره (توبة) وقوله (نصوحا) صيغة بالغة أسند النصح اليها مجازا وهي من نصح
 الثوب اذا خاطه فكان الثائب يرفع بالمعصية وقيل من قولهم ناصح اي خالص وقرأ شعبة بضم
 النون والباء ون بفتحها * (تنبيه) * أمرهم بالتوبة وهي فرض على الاعيان في كل الاحوال وفي
 كل الازمان واختلفوا في معناها فقال عمر ومعاذ التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود الى الذنب
 كما لا يعود اللبن في الضرع وقال الحسن هي أن يكون العبد نادما على ماضى مجعما على أن لا يعود
 فيه وقال السكبي ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن وعن حوشب أن لا يعود ولو
 حزن بالسيف وأحرق بالنار وعن سمالك أن تنصب الذنوب الذي أقلت فيه الحياء من الله تعالى امام
 عينيك وتتبعه نظرك وعن السدي لا تصح الا بنصيحة النفس ونصيحة المؤمنين لأن من صحت
 توبته أحب أن يكون الناس مثله وقال سعيد بن المسيب توبة ينصرون فيها أنفسهم وقال
 القرطبي يجمعها أربعة أشياء الاستغفار باللسان والاقلع بالابدان واضمار ترك العود
 بالحنان ومهاجرة سبي الاخوان وقال الفقهاء التوبة التي لا تعلق لحق آدمي فيها لها ثلاثة شروط
 أحدها أن يقطع عن المعصية وثانيها أن يسد على ما فعله وثالثها أن يعزم على أن لا يعود اليها
 فاذا اجتمعت هذه الشروط في التوبة كانت نصوحا وان فقد شرط منها لم تصح توبته وان كانت
 تتعلق بآدمي فشروطها أربعة هذه الثلاثة المتقدمة والرابع ان يبرأ من حق ما صلبها فان كانت
 المعصية مالا ونحوه رده الى مالكه وان كانت حقة قذف ونحوه ممكنه من نفسه أو طلب العفو منه
 وان كانت غيبة استعمل منها قال العلماء التوبة واجبة من كل معصية كبيرة أو صغيرة على الفور
 ولا يجوز تأخيرها وتجب من جميع الذنوب وان تاب من بعضها صحت توبته عما تاب منه وبقي عليه
 الذي لم يتب منه هذا مذهب أهل السنة والجماعة وقد قال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا
 الى الله فاني أتوب اليه في اليوم مائة مرة وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول اني لا أستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة وعن أنس بن مالك قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على ظهره وقد أضله في أرض
 فلاة وعن أبي موسى الأشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب
 مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وعن ابن عمر أن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن علي انه سمع اعرابيا يقول

اللهم اني استغفرك وأتوب اليك فقال يا هذا ان سرعة الاستغفار بالتوبة توبة الكذابين قال
 وما التوبة قال يجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرأرض الاعادة ورد
 المظالم واستحلال المصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك في طاعة الله كما أذبتني في
 المعصية وان تذيبها مرامرة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي وعن حذيفة بحسب الرجل من
 الشر أن يتوب من الذنب ثم يعود فيه وقوله تعالى (عسى ربكم) أي المحسن اليكم (أن يكفر) أي
 يغطي تغطية عظيمة (عنكم سيئاتكم) أي ما بدا منكم مما يسو بالتوبة اطماع من الله لعباده في
 قبول التوبة وذلك تفضلا وتكرما لا وجوبا عليه واذا كان التائب على خطر فما ظنك بالمصر
 ولكن الفضل واسع * ولما ذكر نفع التوبة في دفع المضار ذكر نفعها في جلب المسار بقوله تعالى
 (ویدخلکم) أي يوم الفصل (جنات) أي بساكن كثيرة الاشجار تستردا خلها (تجری من تحتها)
 أي تحت غرفها وأشجارها (الانهار) فهي لا تزال زيا وقوله تعالى (يوم لا يخزي الله) أي الملك
 الاعظم (النبي) أي الذي نبأه الله تعالى بما يوجب له الرفعة التامة من الاخبار التي هي في غاية
 العظمة منصوب بيد خلقكم أو باضمار اذ كرم معنى يخزي هنا يعذب أي لا يعذبه وقوله تعالى
 (والذين آمنوا معه) يجوز فيه وجهان أحدهما ان يكون منسوقا على النبي أي ولا يخزي الذين
 آمنوا معه وعلى هذا يكون قوله تعالى (نورهم يسمي بين أيديهم وبأيمانهم) مستأنفا وحالا
 الثاني ان يكون مبتدأ وخبره نورهم يسمي الى آخره وقوله تعالى (يقولون) خبر ثان أو حال
 * (تنبيه) * التقييد بالايان لا ينفي ان لهم نورا عن شمالكهم بل لهم نور لكن لا يلتفتون اليه لانهم
 اتامن السابقين واتامن أهل اليمين فهم يشعرون في هاتين الجهتين ويؤمنون بحقائق أعمالهم منهما
 وأما أصحاب الشمال فيعطونهم من وراء ظهورهم ومن شمائلهم وهم بحالهم من النور ان قالوا سمع
 لهم وان شفعوا شفعا (ربنا) أي أيها المنفضل علينا بهذا النور وبكل خير كما ونكون فيه (أقم لنا
 نورا) أي الذي مننت به علينا حتى يكون في غاية التمام قال ابن عباس يقولون ذلك اذا طفق نور
 المنافقين اشفاقا ومن الحسن لله مقم لهم ولسكنهم يدعون تقربا الى الله كقوله تعالى واستغفر
 لذنبك وهو مغفور له وقيل يقوله أذناهم منزلة لانهم يعطون من النور قدر ما يصرون موافقي
 اقدامهم لان النور على قدر الاعمال فيسألون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمتزون
 مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا فأولئك الذين يقولون ربنا أقم
 لنا نورا (واغفر لنا) أي واغفر لنا كل نقص كان يميل بنا الى أحوال المنافقين عينه وأثره وهذا
 النور من صور اعمالهم في الدنيا لان الآخرة تظهر فيها حقائق الاشياء وتتبع الصور معانيها وهو
 شرع الله الذي شرعه وهو الصراط الذي يضرب بين ظهرا في جهنم لان الفضائل في الدنيا
 متوسطة بين الرذائل فكل فضيلة يكتبها رذيلتان افراط وتفريط فالفضيلة هي الصراط
 المستقيم والرذيلتان ما كان من جهنم عن عينه وشماله فن كان يمشي في الدنيا على ما أمر به سواء
 من غير افراط ولا تفريط كان نوره تاما ومن امالته الشهوات طفق نوره في بعض الاوقات
 واحتطفته كلاله هي صور الشهوات فتقبل به في النار بعد رميله اليها والمنافق يظهر له نور

اقراره بكلمة التوحيد فاذا مشى طفق لان اقراره لاحقيقة له (انك) أي وحده (على كل شيء)
 يمكن دخول المشيئة فيه (قدير) أي بالغ القدرة * ولما ذكر ما تقدم من لينه صلى الله عليه وسلم
 لضعف الناس وحسن أدبه وكرم عشرته لانه محبوب على الشفقة على عباد الله والرحمة لهم أمه
 سبحانه بالغلظة والشدّة على أعدائه بقوله تعالى (يا أيها النبي جاهد الكفار) أي بكل ما يجهدهم
 فيكفهم من السيف ومادونه من المواقظ الحسنة والدعاء الى الله تعالى ليعرف أن ذلك اللين
 لاهل الله تعالى انما هو من تمام عقلك وغزير علمك وفضلك (والمسافقين) أي جاهدهم بما يليق بهم
 من الحجّة والسيف ان احتج اليه ان أبدوا نوع مظاهره وعرفهم أحوالهم في الآخرة وانهم
 لا نور لهم يجوزون به على الصراط مع المؤمنين وقال الحسن وجاهددهم باقامة الحد ودعليهم
 (واغافل عليهم) بالفعل والقول بالتوبيخ والزجر والابعاد والهجر فالغلظة عليهم من اللين لله تعالى
 كما أن اللين لاهل الله من خشية الله تعالى وقرأ حجة بضم الهاء والباقون بكسرهما (ومأواهم)
 أي في الآخرة (جهنم وبئس المصير) أي هي * ولما كان للكفار قرابات بالمسلمين وبما توهم انها
 تنفعهم وللمسلمين قرابات بالكفار توهم انها تضرهم ضرب لكل مثلاً وبدأ بالآول فقال تعالى
 (ضرب الله) أي الملك الذي أحاط بكل شيء قدرة وعلماً (مثلاً) يعلم به من فيه قابلية العلم وية عظم
 به من له أهلية الاتعاظ (للذين كفروا) أي غطوا الحق على أنفسهم وعلى غيرهم وقوله تعالى
 (امرات نوح) عليه السلام الذي أهلك الله تعالى من كذبه بالفرق (وامرات لوط) عليه
 السلام الذي أهلك الله تعالى من كذبه بالحصب والخسف يجوز أن يكون بدلاً من قوله
 مثلاً على تقدير حذف المضاف أي ضرب الله مثلاً مثل امرة نوح وامرة لوط ويجوز ان يكونا
 مفعولين وضرب الله تعالى هذا المثل تنبيهاً على انه لا يغنى أحد عن قريب ولا نسيب في الآخرة اذا
 فرق بينهما ما الدين قال مقاتل وكان اسم امرة نوح والهة واسم امرة لوط والعة وقال الضملي
 عن عائشة أن جبريل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أن اسم امرة نوح
 واعدت واسم امرة لوط والهة * (تنبيه) * رسمت امرات في الثلاثة واينث بالتاء المجرورة
 فوقف عليهن بالهاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ووقف الباقر بالتاء وقوله تعالى (كانتا)
 أي مع كونهما كافرتين (تحت عبدين) جملة مستأنفة كنم امفسرة لضرب المثل ولم يأت بضميرها
 فيقال تحتهم أي تحت نوح ولوط لما قصد من تشر يفهم لهما هذه الاضافة الشريفة قال القائل
 لاتدعني الا ياعبدها * فانه أشرف أسمائي

ودل على كثرة عبيده تنبيهاً على غناه بقوله تعالى (من عبادنا) ووصفهما بأجمل الصفات
 وهو قوله تعالى (صالحين) واختلف في معنى قوله تبارك وتعالى (نحاستهما) فقال عكرمة
 والنضال بالكفرة وعن ابن عباس كانت امرة نوح تقول للناس انه مجنون واذا آمن به أجهد
 أخبرت الجارية من قومه وكانت امرة لوط تخبر بأضيافه وعن ابن عباس ما بغت امرة نبي قحط
 وانما كانت خيانتهم في الدين وكانتا مشركتين وقيل كانتا منافقتين وقيل خيانتهم بالنعمة اذا
 أوصى اليهما شيء أفشاه الى المشركين قاله النضال وقيل كانت امرة لوط اذا نزل به ضيف

دخت لتعلم قومها انه قد نزل به ضيف لما كانوا عليه من اتيان الرجال (فلم) أى قسب عن ذلك
 ان العبددين الصالحين لم (يغنيا عنهما) أى المرأتين بحق النكاح (من الله) أى من عذاب الملك
 الذى له الامر كله فلا امر لغيره (شيأ) أى من اغناء لاجل خيانتها (وقيل) أى للمرأتين عن
 أذن له فى القول النافذ الذى لا مرد له (ادخلا النار) أى قيل لهما ذلك عند موتهما أو يوم
 القيامة (مع الداخلين) أى مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء
 فلم يقن نوح ولوط عن امرأتهم ما شيا من عذاب الله تعالى وفى هذا المثل تعريض بأى المؤمنين
 عائشة وحفصة وما فرط منهما ما وتحذير لهما على أعلى وجه وأشد وفيه تنبيه على أن
 العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة وقيل ان كفار مكة استمزوا وقالوا ان محمدا يشفع لنا فىن تعالى
 ان الشفاعة لا تنفع كفار مكة وان كانوا اقرباء كما لا ينفع نوح امرأته ولا لوط امرأته مع
 قريب مالهما الكفرهما * ثم شرع تعالى فى ضرب المثل الثانى فقال تعالى (وضرب الله) أى الملك
 الاعلى الذى له صفات الكمال (مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) واسمها آسية وهى بنت
 من احم آمنت وعملت صالحا فلم تضربها بالوصلة بالكافر بالزوجة التى هى من أعظم الوصل
 ولا تنفعه ايمانها كل امرئ بما كسب رهين وأتابها ربها تعالى أن جعلها فى الآخرة زوجة خير
 خلقه محمد صلى الله عليه وسلم فى دار كرامته بصبرها على عبادة الله تعالى وهى فى حباله عدوه
 وأسقط وصفه بالعبودية دليلا على تحفيره وعدم رحمة له لانه من أعدى أعدائه وقوله تعالى (أد
 قالت) ظرف للمثل المحذوف أى مثلهم مثلها حين قالت (رب) أى أيها المحسن الى بالهداية
 وأنا فى حباله هذا الكافر الجبار (ابن لى عندك بيتا) وبينت مرادها بالعندية فقالت (فى الجنة)
 أى دار المقربين وقد أجاب اسبحانه بأن جعلها زوجة أكمل خلقه محمد صلى الله عليه وسلم فكانت
 معه فى منزله الذى هو أعلى المنازل (وتجننى من فرعون) أى فلا أكون عنده (وعله) فلا تسلطه
 على بما يضرنى عندك فى الآخرة فلا أعمل بشئ من عمله وهو شركه وقال ابن عباس جماعة (وتجننى)
 اعادت العامل تأكيذا (من القوم الظالمين) أى الناس الاقوياء العريقين الذين يضعون أعمالهم
 فى غير موضعها فاستجاب الله تعالى دعائها وأحسن اليها لاجل محبتها للمعجوب وهو كليم الله
 موسى عليه السلام كما يقال * صديق صديقى داخل فى صداقتى * وذلك أن موسى عليه السلام لما
 غلب السحرة آمنت به فلما تبين لفرعون ايمانها وتديدها ورجلها بأربعة أوتاد وألقاها فى الشمس
 فاذا انصرفوا عنها أظلمت الملائكة وفى القصة ان فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوها
 بالصخرة قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فأبصرته من ممر مرة يضاء فانتزعته روحها فألقيت
 الصخرة على جسد لا روح فيه ولم تجدا لما وقال الحسن وابن كيسان رفع الله تعالى امرأة فرعون
 الى الجنة فهى فيها تأكل وتشرب وقوله تعالى (ومريم ابنت عمران) عطف على امرأة فرعون
 نسبية للاراءل (التى أخذت فرجها) أى عفت عن السوء وجميع مقدماته كانت كالحصن
 العظيم المانع من العدو فاستقرت على خالها الى المات فزوجها الله تعالى فى الجنة جزاء لها بخير
 خلقه محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعض المفسرين أراد بالفرج هنا الجيب لقوله تعالى (فنفضنا)

أى بالناس العظيمة بواسطة ملكا جبريل عليه السلام (فيه) أى فى جيب درعها قال البقاعى
أوفى فرجها الحقيقى وعلى هذا فلا حاجة الى التأويل (من روحنا) أى من روح خلقناه بلا
واسطة أصل وهو روح عيسى عليه السلام (وصدقت بكلمات ربها) أى المحسن اليها واختلف
فى تلك الكلمات فقال مقاتل يعنى بالكلمات عيسى وأنه نبي وعيسى كلمة الله وقال البغوى
يعنى الشرائع التى شرعها الله تعالى للعباد بكلماته المنزلة وقيل هى قول جبريل عليه السلام لها
انما أنا رسول ربك الآية وعلى كل قول استحققت ان تسمى لذلك صديقه وقرأ (وكتبه) أبو عمرو
وحفص يضم الكاف والتاء جمعاً والباء قون بكسر الكاف وفتح التاء وبعدها ألف افرادا
والمراد منه الكثرة فالمراد به الجنس فيكون فى معنى كل كتاب أنزله الله تعالى على ولدها وغيره
وقوله تعالى (وكانت من القاتين) يجوز فى من وجهان أحدهما انهما ابتداء الغاية والثانى
انها للتبعية وقد ذكرهما الزمخشري فقال فن للتبعية ويجوز أن تكون لابتداء الغاية على
انها ولدت من القاتين لانها من أعقاب هرون أخى موسى صلوات الله وسلامه على نبينا
وعليهما وعليها وعلى سائر الانبياء وآلهم أجمعين قال الزمخشري فان قلت لم قبل من القاتين
على التذكير قلت لان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكره على انثائه وقيل
أراد من القوم القاتين ويجوز أن يرجع هذا الى أهل بيتها فانهم كانوا مطيعين لله والقنوت
الطاعة وقال عطاء من المصلين بين المغرب والعشاء وعن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لخديجة وهى تجود بنفسها اذا قدمت على ضرائك فأقرئين منى السلام مريم
بنت عمران وآسية بنت مزاحم وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كدل من نساء
العالمين أربع مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم
امرات فرعون وروى الشيخان عن أبي موسى الأشعري كدل من الرجال كثير ولم يكمل
من النساء الا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد
على سائر الطعام وما قاله البيضاوى تعالى للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ
سورة التحريم آتاه الله توبة تصوحا حديث موضوع

﴿سورة الملك مكية﴾

وتسمى الواقعة والمنجية وتدعى فى التوراة المانعة لانها تقى وتنجى من عذاب القبر وعن ابن
شهاب انه كان يسميها المجادلة لانها تجادل عن صاحبها فى القبر وهى ثلاثون آية وثلاثمائة
وثلاثون كلمة وألف وثلاثمائة حرف

(بسم الله) الذى خضعت لكمال عظمتة الملوك (الرحمن) الذى علم بعبادة الابداد كل من
فى الوجود (الرحيم) الذى خص أوليائه بالنعيم بدار الخلود (تبارك) أى تكبر وتقدم
وتعالى وتعاظم وثبت ثباتا لا مثل له مع اليقين والبركة وقيل دام فهو الدائم الذى لا أول لوجوده
ولا آخر لدوامه (الذى بيده) أى بقدرته وتصرفه لا بقدرته غيره (الملك) أى له الامر والتهنى

وملك السموات في الدنيا والآخرة وقال ابن عباس بيده الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء
 ويحيي ويميت ويغني ويفقر ويعطي ويمنع قال الرازي وهذه الكلمة تستعمل لتأكيده
 كونه تعالى ملكا وما الكا كما يقال يذل فلان الامر والنهي والحل والعقد وذكر الابدانما هو
 تصوير للاحاطة واتهام القدرة لانها محلها مع التنزه عن الجارية وعن كل ما يفهم حاجة
 أو شبهها (وهو على كل شيء) أي من الممكنات (قدير) أي تام القدرة * (تنبيه) * اخرج أهل
 السنة بهذه الآية على أنه لا يؤثر الاقدرة الله تعالى وابطلوا القول بالطبائع كقول الفلاسفة
 وابطلوا القول بالتولدات كقول المعتزلة وابطلوا القول بكون العبد موجد الافعال نفسه لقوله
 تعالى وهو على كل شيء قدير ودلت هذه الآية على الوحدةانية لانا لو قدرنا الهاتين اياهما فاما أن يقدر
 على ايجاد شيء أو لا فان لم يقدر على ايجاد شيء لم يكن الهما وان قدر كان مقدرا وذلك الاله الثاني
 شيئا فيلزم كون ذلك الشيء مقدورا للاله الاول لقوله وهو على كل شيء قدير فيلزم وقوع مخلوق
 من خالقين وانه محال لانه اذا كان كل واحد منهما مستقلا بالايجاد يلزم أن يستغني كل واحد
 منهما عن كل واحد منهما فيكون محتاجا اليهما وغنيا عنهما وذلك محال وقرأ وهو على كل شيء
 قدير وهو العزيز الغفور وهو اللطيف وما أشبه ذلك أبو عمرو وقالون والكسافي يسكون الهاء
 والباقون بضمها يخرج بقولنا من الممكنات أنه تعالى ليس قادرا على نفسه وأجاب بعضهم بأن
 هذا عام مخصوص ودل على تمام قدرته قوله تعالى (الذي خلق) أي قدر وأوجد (الموت
 والحياة) قيل خلق الموت في الدنيا والحياة في الآخرة وقدم الموت على الحياة لان الموت الى
 القهر أقرب كما قدم البنات على البنين فقال يهب لمن يشاء انا انا ويهب لمن يشاء الذكور وقيل
 قدمه لانه أقدم لان الاشياء في الابتداء كانت في حكم الموت كالنطف والتراب ونحوه وقال
 قتادة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله أذل بني آدم بالموت وجعل الدنيا دار حياة
 ثم دار موت وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء وعن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال لو لا ثلاث ما طأ ابن آدم رأسه الفقر والمرض والموت وقيل انما قدم الموت على الحياة
 لان من نصب الموت بين عينيه كان أقوى الدواعي الى العمل وحكى عن ابن عباس والكلبي
 ومقاتل ان الموت والحياة جسمان والموت في هيئة كبش لا يمر بشيء ولا يجدر بوجه الامات وخلق
 الحياة على صورة فرس أتى بملقاء وهي التي كان جبريل عليه السلام والانبياء عليهم السلام
 يركبونها خطو تهامدا البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشيء ولا يجدر بوجه الاحي ولا
 قطأ على شيء الاحي وهي التي أخذ السامري من أثرها فألقاه على الجمل فحي حكاها الثعلبي
 والقشيري عن ابن عباس وعن مقاتل خلق الموت يعني النطفة والعلقه والمضغة وخلق الحياة
 يعني خلق انسانا فنفخ فيه الروح فصارت انسانا قال القرطبي وهذا حسن يدل عليه قوله
 تعالى (ليبلوكم) أي يعاملكم وهو أعلم بكم من أنفسكم معاملة المختبر لاظهار ما عندكم من
 العمل بالاختبار (أيكم أحسن عملا) أي من جهة العمل أي عمله أحسن من من عمل غيره

وروى عن عمر مرفوعاً أحسن عملاً أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله
وقال القاضي بن عياض أحسن عملاً أخلصه وأصوبه وقال العمل لا يقبل حتى يكون خالصاً
صواباً فخالص إذا كان لله والصواب إذا كان على السنة وقال الحسن أياكم أزهدي الدنيا
واترك لها وقال السدي أياكم أكثر للموت ذكراً وأحسن استعداداً وأشد خوفاً وحذراً
وقيل يعاملكم معاملة المختبر فيبألو العبد دعوت من يميز عليه ليسين صبره وبالحياء أيبين شكره
وقيل خلق الله تعالى الموت للبعث والجزاء وخلق الله الحياة للابتلاء (فان قيل) الابتلاء هو
التجربة والامتحان حتى يعلم أنه هل يطيع أو يعصى وذلك في حق الله تعالى العالم بجميع
الاشياء محال (أجيب) بأن الابتلاء من الله تعالى هو ان يعامل عبده معاملة تشبه المختبر كما
مرت الإشارة إليه (وهو) أي والحال أنه وحده (العزيز) أي الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه
شيء (الفقور) أي الذي مع ذلك يفعل في محو الذنوب عينا وأثرافعل المبالغ في ذلك ويتلقى
من أقبل إليه أحسن تلق كما قال تعالى في الحديث القدسي ومن أتاني يمشي آتيته هرولة وقوله
تعالى (الذي خلق) أي أبدع على هذا التقدير من غير مثال سبق (سبع سموات) يجوز أن
يكون تابعة للعزيز الفقور نعمتاً أو بياناً أو بدلاً وأن يكون منقطعاً عنه خبر مبتدأ محذوف أو
مفعول فعل مقدر وقوله تعالى (طابقاً) صفة لسبع وفيه ثلاثة أوجه أحدها أنه جمع طبق
نحو جبل وجبال والثاني أنه جمع طبقة نحو رجة ورجاب والثالث أنه مصدر طابق يقال
طابق مطابقة وطابقاً ما أن يجعل نفس المصدر وبالغته واما على حذف مضاف أي ذات
طابق واما أن ينتصب على المصدر بفعل مقيد أي طوبقت طابقاً من قولهم طابق النعل
أي جعله طبقة فوق طبقة أخرى وروى عن ابن عباس طابقاً أي بعضها فوق بعض قال البقاعي
بحيث يكون كل جزء منها مطاباً للجزء من الأخرى ولا يكون جزء منها خارجاً عن ذلك قال
وهي لا تكون كذلك إلا أن تكون الأرض كرة والسماء الدنيا محيطية بها الحاطة قشر
البيضة من جميع الجوانب والثانية محيطية بالدنيا وهكذا إلى أن يكون العرش محيطاً بالكل
والكربى الذي هو أقربها بالنسبة إليه حلقة ملقاة في فلاة فاطنك بما تحته وكل سماء في التي
فوقها بهذه النسبة وقد قرر أهل الهيئة أنها كذلك وليس في الشرع ما يخالفه بل ظواهره
توافقه ولا سيما التشبيه بالحلقة الملقاة في فلاة فسبحان اللطيف الخبير ولا شك أن من تفكر
في هذه العظمة مع ما لطف بنا فيها هيا فيها النام المنافع أثره سبحانه بالحب وأفرده عن كل ضد
فانقطع بالجلال إليه ولم يعول الأعلى في كل دفع ونفع وسارع في مرضاته ومحابه في كل
خفض ورفع (تنبيه) * ذات هذه الآية على القدرة من وجوه أحدها من حيث بقاؤها في جو
الهواء معلقة بلا عماد ولا سلسلة * ثانيها أن كلامها اختص بحركة خاصة متقدرة بقدر معين
من السرعة والبطء إلى جهة معينة ثالثها كونها في ذاتها محدثة وكل ذلك يدل على
انسنادها إلى قادر تام القدرة وقوله تعالى (ما ترى في خلق الرحمن) أي للسموات وغيرها خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل مخاطب وكذا القول في قوله تعالى فارجع البصر ثم ارجع

البصر ينقلب اليك البصر (من تفاوت) أي من اعوجاج ولا تناقض ولا تبين بل هي مستقيمة مستوية دالة على خالقها وان اختلف صورة وقيل المراد بذلك السموات خاصة أي ما ترى في خلق السموات من عيب وأصله من الفوت وهو ان يفوت بعضها بعضا فيقع الخل لعدم استوائها يدل عليه قول ابن عباس من تفرق وقال السدي أي من اختلاف وعيب يقول الناظر لو كان كذلك كان أحسن وقيل المراد من التفاوت القصور لقوله تعالى بعد ذلك فارجع البصر هل ترى من فطور وتطهيره قوله تعالى وما لها من فروج قال الفضال ويحتمل أن يكون المعنى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت في الدلالة على حكم الصانع وأنه لم يخلقها عبثا * (تنبيه) * دلت هذه الآية على كمال علم الله تعالى وذلك ان الحسن دل على ان هذه السموات السبع أجسام مخلوقة على وجه الاحكام والاتقان وكل فاعل كان فعلة محكما متقنا فلا بد وأن يكون عالما فدلَّت الآية على كونه تعالى عالما بالعلومات فقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اشارة الى كونها محكمة متقنة وقرأ ما ترى وهل ترى أبو عمرو وحزرة والكسائي بالامالة محضة وورش بين بين والباقون بالفتح وأدغم لام هل في التاء أبو عمرو وهشام وحزرة والكسائي وقرأ من تفوت حزرة والكسائي بغير ألف بعد الفاء وتشديد الواو والباقون بألف بعد الفاء وتحفيف الواو وقوله تعالى (فارجع البصر) مسبب عن قوله تعالى ما ترى وقوله تعالى (هل ترى من فطور) بجملة يجوز أن تكون معلقة لفعل محذوف يدل عليه فارجع البصر أي فارجع البصر فانظر هل ترى وأن يكون فارجع البصر مضمنا معنى انظر لانه بعينه فيكون هو المعلق والقصور جمع فطور وهو الشق يقال فطره فانظر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق ومعناه شق اللحم وطلح قال المفسرون القصور الصدوع والشقوق قال القائل

شقت القلب ثم دررت فيه * هو القليط فالتمام القصور

(ثم ارجع البصر) وقوله تعالى (كترين) نصب على المصدر كترتين وهو مني لا يراد به حقيقة بل التكثر بدليل قوله تعالى (ينقلب اليك البصر خاسئا) أي صاغرا ذليلا بعيدا عن اصابة المطلوب كأنه طرد عنه طردا بالصغار (وهو حسير) أي كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة وهذا ان الوصفان لا يأتیان بنظرين ولا ثلاث وانما المعنى كرات وهذا كقولهم ابيك وسعديك وحنانيك ودواليك وهذا ذك لا يريدون بهذه التثنية تشفيح الواحد انما يريدون التكثر أي اجابة لك بعد اجابة والالتناقض الغرض والتثنية تفيد التكثر لقريئة كما يفيد أصلها وهو العطف لقريئة كقوله * لوعد قبر وقبر كنت أكرمه * أي قبور كثيرة ليثم المدح وقال ابن عطية كترتين معناه مرتين ونصب ما على المصدر وقيل الاولى ليري حسنهما واستوائهما والثانية ليبصر كواكبها في مسيرها وانتهائها وهذا بظاهرهم التثنية فقط وروى البقوي عن كعب أنه قال السماء الديناموج مكفوف والثانية مرة بيضاء والثالثة حميدة والرابعة صفراء وقال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة باقوتة حمراء وبين

السماء السابعة وانجذب السبعة صغاري من نور ثم ذكر تعالى دلالة أخرى بعد تلك الدلالة بتدل
 على تمام قدرته بقوله تعالى (ولقد زينا) بالنا من العظمة (السماء الدنيا) أى القربى لأنها
 أقرب السموات إلى الأرض وهي التي تشاهدونها (بمصاييح) جمع مصباح وهو السراج أى
 بنجوم متقدة عظيمة جدًا تفوت الحصر ظاهرة سائرة مضيئة ظاهرة زاهرة وهي الكواكب التي
 تنور الأرض بالليل أنارة السراج التي تنورون بها سقوف دوركم وسمى الكواكب مصاييح
 لاضائهم وزيينة لأن الناس يزینون مساجدهم ودورهم بالمصاييح فكأنه قال واقد زينا سقف
 الدار التي اجتمع فيها مصاييح والقرين بها لا يجمع أن تكون مركزية فيأفقها من السموات وهي
 تترأى بحسب الشقوق وبما لا جرام السموات من الصفاء وتلك المصاييح من شدة الاضاءة
 (وجعلناها) أى المصاييح بالنا من العظمة مع كونها زينة واعلاماً للهداية (رجوما للشياطين)
 أى الذين يحق لهم الطرد من الحق لما لهم من الاحتراق حراسة للسماء التي هي محل تنزل أمرنا
 بالقضاء والقدر وانزال هذا الذكر الحكيم لتلايف صدورنا واستراق السمع فيها على الناس دينهم
 الحق ويلبسوا عليهم أمرهم بخلط الحق الذي قد ختمناه بالاديان الباطل والرجوم جمع رجم وهو
 مصدر في الأصل أطلق على المرجوم به كضرب الأمير ويجوز أن يكون باقياً على مصدرية
 ويقدر مضاف أى ذات رجوم وجمع المصدر باعتبار أنواعه والشهاب المرجوم به منفصل من
 نار الكوكب وهو قار في فلكه على حاله كقبس النار يؤخذ منها وهي باقية لا تنقص وذلك مسوغ
 لتسميتها بالنجوم فمن لحقه الشهاب منهم قتله أو ضعه أمره وخيله وقال أبو علي جواباً لمن قال
 كيف تكون زينة وهي رجوم لا تنقضي كيفية الرجم أن يؤخذ نار من ضوء الكوكب يرمى بها
 الشيطان والكوكب في مكانه لا يرجم به وقيل الرجوم هنا الظنون والشياطين شياطين الانس
 كما قال القائل * وما هو عنها بالحديث المرجم * فيكون المعنى جعلناها ظنونا ورجوماً بالغيب
 لشياطين الانس وهم النجومون يتكلمون بها رجاء بالغيب في أشياء من عظيم الآلاء وعن قتادة
 خلقت النجوم ثلاث زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير
 ذلك أخطأ وتكلف ما لا علم له به وتعدي وظلم (وأعتدنا) أى هيأنا في الآخرة مع هذا الذي
 في الدنيا بالنا من العظمة (لهم) أى للشياطين (عذاب السعير) أى التي في غاية الاتقاد
 في الآخرة قال المبرد سمرت النار فهي مسعورة وسعير مثل مقتولة وقتيل وهذا الآية تدل
 على أن النار مخلوقة الآن لأن قوله تعالى وأعتدنا لهم خبر عن الماضي ولما أخبر تعالى عن
 تهيبته العذاب لهم بالخصوص أخبر عن تهيبته لكل عامل بأعمالهم على وجه اندرجوا هم
 فيه فقال عز من قائل (وللذين كفروا) أى أوقعوا التغطية لما من حقه أن يظهر ويظهر من
 الأذعان للاله (برجمهم) أى الذي تفردوا بعبادتهم والاحسان اليهم فانكروا إيجاده لهم بعد الموت
 كفراً بما شاهدوا من اختراعه لهم من العدم (عذاب جهنم) أى الدركة النارية التي تلقاها
 بالتصميم والغبوسة والغضب (وبئس المصير) أى هي (إذا ألقوا) أى طرح الكفار (فيها)
 أى في نار جهنم من أى طارح أمرناه بطرحهم كما بطرح الخط في النار العظيمة (تجمعوا لها)

أى جهنم تشبها (شبهاً) أى صوراً لها مثلاً أشد نكارة من أول صوت الحمار لشدة توقد لها
وعليانها قال ابن عباس الشبهى لجهنم عند القاء الكفار فيها كسبهى البغلة لا شعيراً ولا خلها
على حذف مضاف كما قال عطاء الشبهى للكفار أى سمعوا من أنفسهم شبهى كقوله تعالى لهم
فيها زفير وشبهى قال القرطبي الشبهى فى الصدر والرؤى فى الخلق وقدمضى فى سورة هود
(وهى تقور) أى تغلى بهم ومنه قول حسان

تركتهم قدركم لاشئ فيها * وقدر القوم بجاية تقور

قال ابن عباس تغلى بهم كغلى المراحل وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقون
بكسرهما (تلكادتميز) أى تقرب من أن يتصل بعضها من بعض كما يقال يكاد فلان ينشق
من غيظه وفلان غضب فطار شقة منه فى الأرض وشقة فى السماء كناية عن شدة الغضب وقرأ
البرى بتشديد التاء من تميز فى الوصل والسوى على أصله بادغام الدال فى التاء (من الغيظ) أى
عليهم وقال سعيد بن جبيرة تلكادتميز من الغيظ يعنى ينقطع ويتصل بعضها من بعض وقال ابن
عباس تمزق من شدة الغيظ على أعداء الله تعالى وذلك كله لغضب سيدها وتأتى يوم القيامة تقاد
إلى المحشر بألف زمام لكل زمام سبعون ألف ملك يقودونها وهى من شدة الغيظ تقوى على
الملائكة وتحمل على الناس فتقطع الألفة جميعاً وتحطم أهل المحشر فلا يردعهم إلا النبي صلى
الله عليه وسلم يقابلها بنوره فتراجع مع أن لكل ملك من القوة ما لو أمر أن يقطع الأرض وما عليها
من الجبال ويصعد بها فى الجوف فعل من غير كلفة وهذا كما أطنأها فى الدنيا بنفخه روى أبو داود
عن ابن عمر أنه قال انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر صلاته إلى أن
قال ثم نفخ فى آخر سجوده فقال افاف ألم تعدنى أن لاتعذبهم وأناقيمهم ألم تعدنى أن لاتعذبهم
وهم يستفكرون ولما ذكر تعالى حالها أتبعه حالهم فقال تعالى (كلألقى فيها) أى فى جهنم يدفع
الزبانية لهم (فوج) أى جماعة فى غاية الاسراع والانواع الجماعات فى تفرقة ومنه قوله
تعالى قاتلون أفواجا والمراد هذا بالقوج جماعة من الكفار (سألهم) أى ذلك القوج (خرنثا)
أى النار وهم مالك وأعوانه سؤال توخي وتقرىع (ألم يأتكم) أى فى الدنيا (نذير) أى رسول
يخوفكم هذا اليوم حتى تحذروا قال الزجاج وهذا التوبيخ زيادة لهم فى العذاب (قالوا بلى)
قرأه حمزة والكسائي بالامالة محضة ورش بالقح وبين اللفظين والباقون بالقح والوقف عليها
كما فى الوصل (قد جاء نذير) أى محذور بليغ التحذير * (تنبه) * فى ذلك دليل على جوار
الجمع بين سرفى الجواب ونفس الجملة المحاب بها اذ لو قالوا بلى لفهم المعنى وانهم أظهروه
تخسراً وزيادة فى قمتهم على تهريطهم فى قبول قول النذير وليعظفوا عليه قولهم (فكذبنا)
أى فتسبب عن محبته أنا وأقمنا التكذيب بكل ما قاله النذير (وقلنا) أى زيادة فى التكذيب
(ما نزل الله) أى الذى له الكمال كله عليكم ولا على غيركم (من شئ) لا وحياً ولا غيره وما كفانا
هذا الصبور حتى قلنا مؤكدين (أن) أى ما (أنتم) أى أيها النذير المسذ كورون فى نذير
المراد به الجنس (اللقى ضلال) أى بعد عن الطريق (كسر) قبال فى التكذيب والسفه

بالاستجبال والاستخفاف وقيل قوله تعالى ان أنتم الا في ضلال كبير من كلام الملائكة
 للكفار حين أخبروا بالكذب (وقالوا) أي الكفار زيادة في توبيخ أنفسهم (لو كان) أي
 بما لنا من الغريزة (نسمع) أي كلام الرسل فنقبله جلة من غير بحث وتفتيش اعتماد على
 ما لاح من صدقهم بالمجرات (أو نعقل) أي بما أدته البصيرة السمع فنفكر في حكمه
 ومعانيه تفكر المستبصرين (ما كان) أي كونا دائما (في أصحاب السعير) أي
 في عداد من أعدت له النار التي هي في غاية الايقاد * (تنبيه) * في الآية أعظم فضيلة للعقل
 روى عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن
 عقله فبقدر عقله تكون عبادته أما سمعت قول القهار لو كنا نسمع أو نعقل الآية (فاعترفوا)
 أي بالغوا في الاعتراف حيث لا يتفهم الاعتراف (بذنهم) أي في دار الجزاء كما بالغوا
 في التكذيب في دار العمل والذنوب لم يجمع لانه في الأصل مصدر والمراد به تكذيب الرسل
 (فسمعا) أي فبعد الهمة من راحة الله تعالى وهو دعاء عليهم مستجاب (لأصحاب السعير) أي
 الذين قضت عليهم أعمالهم بملازمتها وقال سعيد بن جبيرة وأبو صالح هو واد في جهنم يقال له
 السقي وقرأ الكسائي بضم الحاء والباقون بسكونها ولما ذكر أصحاب السعير أتبعهم
 ذكر أصدادهم بقوله تعالى (ان الذين يخشون) أي يخافون (ربهم) أي الحسن اليهم خوفا
 أرق قلوبهم وأرق أعينهم بحيث لا يقر لهم قرار من توقعهم العقوبة كلما ازدادوا طاعة
 ازدادوا خشية يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجللة (بالغيب) أي حال كونهم غائبين عن عذابه
 سبحانه أو وعيده غائب عنهم أو وهم غائبون عن أعين الناس فهم مع الناس يتكلمون وقلوبهم
 تتلظى بنيران الخوف وتتكلم بسبب خوف الهيبة فيتركون المعصية حيث لا يراهم أحد من الناس
 ولا يكون لهم هذا البريضة عظيمة فعلى العاقل أن يطوع نفسه لترجع مطمئنة بأن ترضى
 بالله بالتدخل في رق العبودية وبالاسلام دين البصير غريقا فيها فلا ينزع الملك في رذاته
 الكبرياء وازاره العظمة وتواجه الجلال وحلته الجمال ولا ينزعه فيما يدبره من الشرائع ويظهره
 من المعارف ويحكم به على عبيده من قضائه وقدره (لهم مغفرة) أي عظمة تأتي على جميع
 ذنوبهم (وأجر) أي من فضل الله تعالى (كبير) يكون لهم به من الاكرام ما ينسيهم ما قاسوه
 في الدنيا من شدائد الابلان ويصغر في جنبه لذات الدنيا العظام (وأسرؤا) أي أيها الخلائق
 (قولكم) أي خيرا كان أو شرا (أو أوجروا به) فانه يعلم ويجازيكم به اللفظ لفظ الامر
 والمراد به الخبر يعني ان أخفيتم كلامكم في أمر محمد صلى الله عليه وسلم أو غيره أو جهرتم به فسواء
 (أنه) أي ربكم (عليه) أي بالغ العلم (بذات الصدور) أي بحقيقتها وكنها وحالها وجبلتها وما
 يحدث عنها من الخير والشر وقال ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى
 الله عليه وسلم فيخبره جبريل عليه السلام فقال بعضهم لبعض أسرؤا قولكم كي لا يسمع رب
 محمد فأسرؤا قولكم أو أوجروا به يعني وأسروا قولكم في محمد صلى الله عليه وسلم وقال غيره
 انه خطاب عام لجميع الخلق في جميع الاعمال والمراد ان قولكم وعملكم على أي سبيل وجد

فالحال واحد في علمه تعالى فاحذروا من المعاصي سرا كما تحذرون عنها جهرا فان ذلك
 لا يتفاوت بالنسبة الى علم الله تعالى ولما قال تعالى انه علم بذات الصدور ذكر الدليل على انه
 عالم فقال تعالى (الايعلم من خلق) أي من خلق لا بد وأن يكون عالما بخلق الله لان الخلق هو
 اليجاد والتكوين على سبيل القصد والقاصد الى الشيء لا بد وأن يكون عالما بحقيقة ذلك
 المخلوق كيفية وكيفية المعنى (الايعلم من السر من خلق السر) يقول أنا خلقت السر في القلب أفلا
 أكون عالما بما في قلوب العباد قال أهـ ل المعاني ان شئت جعلته من أسماء الخالق تعالى
 ويكون المعنى (الايعلم الخالق خلقه وان شئت جعلته من أسماء المخلوق والمعنى (الايعلم الله من
 خلقه ولا بد أن يكون الخالق عالما بخلق الله وما يخلق الله قال ابن المسيب بينا رجل واقف باللهـ ل
 في شجر كثير وقد عصفت الريح فوقع في نفس الرجل أترى الله يعـ لم ما يسقط من هذا الورق
 فتودى من جانب الغيضة بصوت عظيم (الايعلم من خلق) (وهو) أي والحال انه هو (اللطيف)
 الذي يعلم ما به في القلوب (الخبير) أي البالغ العلم بالطواهر والبواطن فكيف يخفى عليه شيء
 من الأشياء وقال أبو اسحق الاسفرايين من أسماء صفات الذات ما هو للعلم منها العليم ومعناه تعميم
 جميع المعلومات ومنها الحكيم ويختص بأن يعلم دقائق الاوصاف ومنها الشهيد ويختص بأن
 يعلم الغائب والحاضر ومعناه أن لا يغيب عنه شيء ومنها الحافظ ويختص بأنه لا ينسى شيئا ومنها
 المحصي ويختص بأنه لا يشغله الكثرة عن العلم مثل ضوء النور واشتداد الريح وتساقط
 الاوراق فيعلم عند ذلك أجزاء الحركات في كل ورقة وكيف لا يعلم وهو الذي يخلق وقد قال
 (الايعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) ولما كان هذا أمرا غامضا دل عليه بأمر مشاهد أبده
 بلفظه وأتقنه بغيره فقال مستأنفا (هو) أي وحده (الذي جعل لكم الارض) على سعتها
 وعظمتها وحزونة كثير منها (ذلولا) أي مسخرة لا تمنع ان تصلوا الى منافعكم فيها قابله للانقياد
 لمريدون منها من مشى وزرع حبوب وغرس أشجار وغير ذلك وقيل ثبتها بالجبال لتسلا
 نزول بأهلها ولو كانت متحالة لما كانت منقادة لنا وقيل لو كانت مثل الذهب والحديد لكانت
 تسخن جدا في الصيف وتبرد جدا في الشتاء * (تنبيه) * في ذكر هذه الآية بعد الآية
 المتقدمة تهديد للكفرة كقول السيد لعبد الذي أساء اليه سرايا فلان أنا أعرف سرّك
 وعلايتك فاجلس في هذه الدار التي وهبتها لك وكل هذا الخـ بـ الذي هيأته لك ولا تأمن مكري
 وتأدي فكأنه تعالى يقول يا أيها الكفار أنا عالم بسرّكم وجهركم وضما نركم نخافوني فان الارض
 التي هي قراركم أنا ذلتها لكم ولو شئت خسفت بكم وقوله تعالى (فامشوا) أي الهوينا مكتسبين
 وغير مكتسبين ان شئتم من غير صعوبة توجب لكم وثوبا أو جبوا (في مناكبها) مثل لفرط التذلل
 ومجاوزته الغاية لان المنكبين وملتقاها من الغارب أرق شيء من البعير وأنياء عن ان يطأه
 الركب بقدمه ويهتد عليه فاذا جعلها في الذل بحيث يمشي في مناكبهم يترك شيئا وهذا أمر
 اباحه وفيه اظهار الامتنان وقيل خبر بلفظ الامر أي لكي تمشوا في اطرافها ونواحيها وأكامها
 وجبالها وقال ابن عباس وبشر بن كعب وقسادة في مناكبها في جبالها وتذليلها أدل على

تذليل غيرها وليكن مشيكم فيها وتصر فأتكم بذل واخبات وسكون استعصار الانفسكم وشكرا
 لمن حفر لكم ذلك وروى أن بشير بن كعب كانت له سرية فقال لها ان أخبريني ما مناصك
 الارض فانت حرة فقات مناصك بها جبالها فقال لها صرت حرة فأراد ان يترق جهافسأل أبا
 الدرداء فقال دع ما يريك الى ما لا يريك وقال مجاهد في اطرافها وعنه أيضا في طرقها
 ويخارجها وهو قول السدي والحسن وقال الكلبي في جوانبها ومنكبا الرجل جانبها
 (قائدة) حكى قتادة عن أبي الخلدان الارض أربعة وعشرون ألف فرسخ للسودان اثنا عشر
 ألفا ولتروم غمانية آلاف وللفرس ثلاثة آلاف وللعرب ألف ثم ذكرهم تعالى بأنه سمى لها الانخراج
 البركات بقوله تعالى (وكلوا) ودل على ان الرزق فوق الكفاية بقوله تعالى (من رزقه) الذي
 أودعه لكم فيها قال الحسن مما أحل لكم وقيل مما خلقه الله لكم رزقا في الارض (والله)
 أي وحده (النشور) وهو اخراج جميع الحيوانات التي أكلتها الارض وأفسدتها بخروجها
 سبحانه في الوقت الذي يريد على ما كان كل منها عليه عند الموت كما أخرج تلك الارزاق لافرق
 بين هذا وذاك غير انكم لا تتأملون فيا فوز من شكر ويا هلاك من كفر فعودوا أنفسكم بالخيرات
 لعلها تنقاد كما قيل هي النفس ماعودتها تعود * ولما كان لم يكن بعد الاستعطاف الا الانذار
 قال تعالى مهدد للمكذبين (أأمنتم) قرأ قبل في الوصل بابدال الهمزة بعد راء النشور ووا
 وسهل الله - مزة الثانية نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام بخلاف عنه وحققها الباقون وأدخل
 بينهما أنا قالون وأبو عمرو وهشام والباقيون بغير ادخال وقوله تعالى (من في السماء) فيه وجوه
 أحدها من ملكونه في السماء لانها مسكن ملائكته وشم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها
 ينزل قضاياء وكتبه وأوامره ونواحيه والثاني أن ذلك على حذف مضاف أي أأمنتم خالق من
 في السماء والثالث ان في بمعنى على أي على السماء كقوله ولا صليبتكم في جذوع النخل أي على
 جذوع النخل وانما احتاج القائل بهذين الوجهين الى ذلك لانه اعتقد أن من واقعة على الباري
 تعالى شأنه وهو الظاهر وثبت بالدليل القطعي أنه ليس بتصير لئلا يلزم التجسيم ولا حاجة الى ذلك
 فان من هذا المراد بها الملائكة سكان السماء وهم الذين يتولون الرحمة والنقمة والرابع أنهم
 خوطبوا بذلك على اعتقادهم فان القوم كانوا مجسمة مشبهة وأنه في السماء وأن الرحمة والعذاب
 نازلان منه وكانوا يدعون من جهتها فقبل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من في السماء أي من
 تزعمون أنه في السماء قال الرازي هذه الآية لا يمكن اجراؤها على ظاهرها باجاء المسلمين لان ذلك
 يقتضي احاطة السماء به من جميع الجوانب فيكون أصغر منها والعرش أكبر من السماء بكثير
 فيكون حقهير بالنسبة الى العرش وهو باطل بالاتفاق ولانه تعالى قال قل لمن ما في السموات
 والارض فلو كان فيها مكان ما كالنفسه فالعني اما من في السماء عذابه واما ان ذلك بحسب
 ما كانت العرب تعتقده واما من في السماء سلطانه وملكه وقدرته كما قال تعالى وهو الله في السموات
 وفي الارض فان الشيء الواحد لا يكون دفعة في مكانين والغرض من ذكر السماء تفخيم سلطان
 الله سبحانه وتعالى قدرته والمراد الملك الموكل بالعذاب وهو جبريل عليه السلام وقوله تعالى

(أن يحذف بكم الأرض) بدل من من في السماء بدل اشغال وقال القرطبي يحفل أن يكون المنع
 آمنتم خالق من في السماء أن يحذف بكم الأرض كما خسفها بقارون وقرأ من في السماء أن نافع
 وابن كثير وأبو عمرو يبدل الهمزة الثانية المفتوحة بعد الكسرة ياء في الوصل والباقون
 بحقيقتها (فأذا هي) أي الأرض التي أنتم عليها (عمور) أي تضطرب وهي تهوى بكم وتجري
 هابطة في الهواء وتتكفأ إلى حيث شاء سبحانه قال في القاموس المور والاضطراب والجريان على
 وجه الأرض والتحرك وقال الرازي أن الله تعالى يحرك الأرض عند الخسف بهم حتى تضطرب
 وتحرك فتعلو عليهم وهم يخسفون فيها يذهبون والأرض فوقهم وعمور فتقلبهم إلى أسفل السافلين
 وقال القرطبي قال المحققون آمنتم من فوق السماء كقوله تعالى فسيحوا في الأرض أي فوقها
 لا بالمماسه والتحيز بل بالقهر والتدبير والاخبار في هذا صحيحة كثيرة منتشرة مشيرة إلى العلو
 لا يدفعها إلا ملحد أو جاهل أو معاند والمراد به التوقيه وتزييه عن السفلى والتفت وصفه بالعلو
 والعظمة لا بالالماكن والجلهات والحدود لأنها صفات الأجسام وانما ترفع الأيدي بالدعاء إلى
 السماء لأن السماء مهبط الوحي ومنزل القطر ومحل القدس ومعدن المطهرين من الملائكة واليها
 ترفع أعمال العباد وفوقها عرشه وجنته كما جعل الله تعالى الكعبة قبله للصلاة ولأنه تعالى خلق
 الأمكنة وهو غيبر مهيض وكان في أزله قبل خلق المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان وهو الآن
 على ما عليه كان وقوله تعالى (أم آمنتم) أي أيها المكذبون (من في السماء أن يرسل) بدل من من
 في السماء بدل اشغال (عليكم) أي من السماء (حاصبا) قال ابن عباس رضى الله عنهما أي
 حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب القيل وقيل ريح فيها حجارة وحباء كأنها
 تطلع الحصباء لشدة ما وقوتها وقيل هي صحاب فيها حجارة (فستعلمون) أي عن قريب بوعده
 لا يخلف عنده عناية العذاب (كيف نذير) أي انذارى البليغ اذا شاهدتم العذاب وهو بحيث لا
 يستطيع ولا تتعلق الاطماع بكشف له ولا دفاع قال البقاعي وحذف الياء منه ومن تكبر إشارة
 إلى أنه وان كان خارجا عن الطوق ليس منتهى مقدوره بل لديه مزيد لا غاية له بوجه ولا تحزير رأى
 على قراءة أكثر القراء فقد قرأ ورش بالياء في الوصل فيهمادون الوقف والباقون بغير ياء وقفا
 ووصلا (ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان تكبير) أي انكارى عليهم لما أصبتهم به من
 العذاب ولما ذكر تعالى ما تقدم من الوعيد ذكر البرهان على كمال قدرته بقوله تعالى (أولم يروا)
 أجمع القراء على القراءة بالغيب لأن السياق للرد على المكذبين بخلاف ما في النحل وأشار إلى بعد
 الغاية بصرف النهاية فقال تعالى (إلى الطير) وهو جمع طائر (فوقهم) أي في الهواء وقوله تعالى
 (صافات) أي باسطات أجنحتهن يجوز أن يكون حال من الطير وأن يكون حال من فوقهم اذا
 جعلناه حالاً فتكون متداخلة وفوقهم طرف لاصافات على الأول وأولوا وقوله تعالى (ويقبضن)
 عطف الفعل على الاسم لأنه بمعنى أي وقابضات فالقول هنام وقل بالاسم عكس قوله تعالى
 ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا فان الاسم هنالك وقل بالفعل وقال أبو حيان وعطف
 الفعل على الاسم لما كان في معناه ومثله قوله تعالى فالقريات صبا فائرن عطف الفعل على الاسم

لما كان المعنى فاللآتي أغرن فأثرن ومثل هذا العطف فصيح وكذلك اعكسه الا عند السهلي
فانه قبيح وقال الزمخشري صافات باسطات أجنتهن في الجو عند طيرانها لانهن اذا بسطنها
صففن قوادحها صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن (فان قلت) لم قال ويقبضن ولم
يقبل فابضات (قلت) لان اصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران في الهواء كالسباحة
في الماء والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها وأما القبض فطارئ على البسط
لا يستظهر اربه على التحرك فجى بها هو طارئ غير اصل بل فقط الفعل على معنى انهن صافات
ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السباح اه وقال أبو جعفر النحاس يقال للطائر
اذا بسط جناحيه صاف واذا ضمه صافا صابا جنبيه قابض لانه يقبضهما وقيل ويقبضن
أجنتهن بعد بسطها اذا وقفن عن الطيران (ما عساه كهن) أى عن الوقوع في حال البسط
والقبض (الا الرحمن) أى الملك الذى رحته عامة لكل شئ بأن هيأهن بعد ان أفاض عليهن
رحمة الابداع على اشكال مختلفة وخصائص مفترقة هيأهن للجري في الهواء (انه) أى الرحمن
سبحانه (بكل شئ بصير) أى بالغ البصر والعلم بظواهر الاشياء وبواطنها فجاء أراذ كان والمعنى أو لم
يستدلوا بنبوت الطير في الهواء على قدرتنا أن نفعل بهم ما تقدم وغيره من العذاب وقوله تعالى
(أمن) مبتداء وقوله تعالى (هذا) خبره وقوله تعالى (الذى) بدل من هذا وقوله تعالى (هو جند)
أى أعوان (لكم) صلة الذى وقوله تعالى (ينصركم) صفة جند (من دون الرحمن) أى غيره يدفع
عنكم عذابه أى لناصر لكم وقال ابن عباس رضى الله عنهما جند لكم أى حزب ومنفعة لكم
والفظ الجند يوحد ولذلك قال تعالى هذا الذى هو جند لكم وهو استقهام انكارى أى لا جند
لكم يدفع عنكم عذاب الله من دون الرحمن أى من سوى الرحمن وقرأ أبو عمرو وبسكون الراء
والدورى اختلاس الضمة أيضا والباقون بالرفع (ان الكافرون) أى ما الكافرون (الافى
غرو) أى من الشيطان يغترهم بأن لا عذاب ولا حساب قال بعض المفسرين كان الكفار
يتمنعون عن الايمان ويعاندون النبي صلى الله عليه وسلم معقدين على شيئين أحدهما قوتهم
بمالهم وعددهم والثانى اعتقادهم أن الاوثان توصل اليهم جميع الخيرات وتدفع عنهم جميع
الآفات فأبطل الله تعالى عليهم الاول بقوله تعالى أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم الآية ورد
عليهم الثانى بقوله تعالى (أمن هذا الذى يرزقكم) أى على سبيل التجدد والاستمرار ان أمسك
رزقه) بامسك الاسباب التى ينشأ عنها كالمطر ولو كان الرزق موجودا وكثيرا وسهل التناول
فوضع الاكل فيه فأمسك الله تعالى عنه قوة الازدراء هزأهل السموات والارض عن أن
يشعروا تلك اللقمة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أى فمن يرزقكم أى لا رزق لكم
غيره (بل بلوا) أى عمادوا سفاهة لا احتياطا وشجاعة قال الرازى فى اللوامع واللباح تقسم
الامر مع كثرة الصوارف عنه (فى عتق) أى منظوفين لعناد وتكبر عن الحق وخروج الى فاحش
الفساد (وتفوز) أى تباعد عن الحق واستولى ذلك عليهم حتى أحاط بهم مع انه لا قوة لاحد منهم
في جلب سائر ولا دفع ضار والداعى الى ذلك الشهوة والغضب (أفنى عيشى مكبا) أى واقعا (على

وجهه أهدي أمتن عيشي سويا) أي معتدلا (على صراط) أي طريق (مستقيم) وخبر من الثانية
 محذوف دل عليه خبر الأولى أي أهدي والمثل في المؤمن والكافر أي أيهما أهدي وقيل المراد
 بالمكعب الاعمى فإنه يتعسف فينكب وبالسوى البصير وقيل المكعب هو الذي يحشر على وجهه
 إلى النار ومن عيشي سويا الذي يحشر على قدميه إلى الجنة وقال ابن عباس والكافي رضي الله
 عنهم عني بالذي عيشي مكبا على وجهه أباجهول وبالذي عيشي سويا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
 أبو بكر وقيل حمزة وقيل عمار بن ياسر قال عكرمة وقيل عامر في الكافر والمؤمن أي أن الكافر
 لا يدرى أعلى حق هو أم على باطل أي هذا الكافر أهدي أم المسلم الذي عيشي سويا معتدلا يصير
 الطريق وهو على صراط مستقيم وهو الاسلام وقرأ قتيل بالسين وقرأ خلف باللام أي بين
 الصاد والزاي والباقون بالصاد انخالصة (قل) أي يا أشرف الخلق وأشرفهم عليهم مذكرا
 لهم بما دفع عنهم الملك من المفسدات وجمع لهم من المصلحات ليرجعوا إليه ولا يعولوا في حال من
 أحوالهم الا عليه (هو) أي الذي شرفكم بهذا الذكروين لكم هذا البيان (الذي أنشأكم) أي
 أوجدكم ودرجكم في مدارج التربية حيث طوركم في أطوار المختلفة في الرحم وبسرركم
 بعد الخروج اللبن حيث كانت المعدة ضعيفة عن أكثف منه (وجعل لكم السمع) أي لتسمعوا
 ما نطق به قلوبكم فيهدى بكم ووحده لقله التفاوت فيه ليظهر سر تصرفه سبحانه في القلوب بغاية
 المفاوتة مع أنه أعظم الطرق الموصلة للمعاني إليها (والابصار) لتستروا صنائعه فتعجبوا
 وتزدجروا عما يرد بكم (والافتدة) أي القلوب التي جعلها سبحانه في غاية التوقد بالادراك
 لما لا يدركه بقية الحيوان لتتفكروا فتقبلوا على ما يعليكم وجمعها لكثرة التفاوت في نور الابصار
 وادراك الفتدة (قل لا ما تشكرون) أي باستعمالها فيما خلقت لاجله وما من زيادة والجملة
 مستأنفة مخبرة بتسلة شكرهم جدا على هذه النعم وهم يدعون أنهم أشكر الناس لا احسان
 وأعلاهم في العرفان (قل هو) أي وحده (الذي ذرأكم) أي خلقكم وبنكم ونشركم وكفركم
 وأنشأكم بعدما كنتم كالذرأ طفالاضعفاء (في الارض) التي تقدم انه ذللها لكم ورزقكم منها
 النبات وغيره (وإليه) أي وحده بعد موتكم (تحشرون) شيئا فشيئا إلى البرزخ ودفعة واحدة
 يوم البعث للحساب فيجازي كل بعمله (ويقولون) أي يجتدون هذا القول تجديدًا مستقرا
 استهزاء وكذبا (مق هذا) وزادوا في الاستهزاء بقولهم (الوعد) أي يوم القيامة والعذاب الذي
 توعدونناه (أن كنتم صادقين) أي في أنه لا بد اننا منه وأنكم مقربون عند الله فلو كان لهم ثبات
 الصبر لما كانوا طاشوا هذا الطيش بابرار هذا القول القبيح ثم انه تعالى أجاب عن هذا السؤال
 بقوله عز وجل (قل) أي يا أيكم من الخلق لهؤلاء البعداء (انما العلم) أي علم رقت قيام الساعة
 ونزول العذاب (عند الله) أي الذي له الاساطة بجميع صفات الكمال فهو الذي يكون عنده
 ويبدع جميع ما يراد منه لا يطلع عليه غيره (وانما أنا نذير) أي كامل في أمر النذارة التي يلزم منه
 البشارة لمن أطاع النذير لا وظيفة لي عند الملك الاعظم غير ذلك فلا وصول إلى سؤاله عما لا يؤذن
 لي في السؤال عنه (مبين) أي بين الانذار باقامة الادلة حتى يصير ذلك كأنه مشاهدة لمن له قبول

العلم (فلما رآوه) أى العذاب بعد الحشر (زافعة) أى ذاقرب عظيم منهم (سيت) قال ابن عباس
 رضى الله عنهم أى اسودت (وجوه) وأظهر فى موضع الاضمار تعجيبا وتعليقا للحكم بالوصف
 فقال تعالى (الذين كفروا) أى أظهروا السوء وغاية الكراهة فى وجوههم من أوقع هذا الوصف
 • (تنبيه) • الاصل ساء أى احزن وجوههم العذاب ورؤيته ثم بنى للمفعول وساء هنا ليست
 المرادفة لبئس وأشم كسرة السين نافع وابن عامر والكسائي والباقون باختلاس الكسرة (وقيل)
 أى قال لهم المخرقة تقرى دعاوتو أيضا (هذا الذى كنتم) أى جبلة وطبعاً (به) أى بسببه ومن أجله
 (تدعون) أى تتنون وتسالون وتزعجون انكم لا تبعثون وهذه حكاية حال تأتى عبرتها بطريق
 المضى لتحقيق وقوعها وقرأ هشام والكسائي بضم القاف والباقون بكسرها (قل) أى يا اكرم
 الخلق لهؤلاء الذين طال تضجرهم منك وهم يتنون هلاكك كما قال تعالى: ام يقولون شاعر
 نتربص به رب المنون (أرايتم) أى أخبروني خبرا انتم فى الوثوق به على ما هو كالرؤية (ان اهلكنى
 الله) أى امانى بعذاب او غيره الذى له من الجلال والاكرام ما يعصم به وليه ويقصم عدوه وقرأ
 قل ارايتم فى الموضوعين نافع بتسهيل الهمة بعد الواو ولورش ايضا ابدالها القوا واسقطها
 الكسائي والباقون بالتحقيق واذا وقف همة سهل الهمة وقرأ ان اهلكنى الله همة يسكون الياء
 والباقون بفتحها ومن سكن الياء رقى اللام من الاسم الجليل ومن قصها نغم (ومن معي) أى من
 المؤمنين (اورحنا) أى بانصر واظهار الاسلام كما ترجو فأتجانب ذلك من كل سوء ووقانا كل
 محذور وقرأ نافع وابن كثير وابوعمر وابن عامر وحقق بفتح الياء والباقون بالسكون (فن يهيب
 الكافرين) أى العريقين فى الكفر بأن يدفع عنهم ما يدفع الجار عن جاره (من عذاب اليم) أى
 لا يجبر لهم منه (قل) أى يا خير الخلق (هو) أى الله وحده (الرجن) أى الشامل الرحمة (أمنابه)
 أى أنا ومن معي (وعليه) أى وحده (توكلنا) أى لانه لاشئ فى يد غيره والارحم من يريد عذابه
 أو عذب من يريد رحمته فكل ما جرى على أيدي خلقه من رحمة أو نقمة فهو الذى أجراه لانه
 الفاعل بالذات المستجمع لما يليق به من الصفات فمن رجوخه ولا تخاف غيره (فستعلمون)
 أى عند معاناة العذاب عما قيل بوعده لا خلاف فيه (من هو فى ضلال مبين) أى بين أغشى أم أنتم
 وقرأ الكسائي بعد السين ياء الغيبة المرادة فى قراءة الكسائي وهو تهديد لهم (قل) أى يا اعظم
 خلقنا وأعلمهم بنا (أرايتم) أى أخبروني اخبارا لا لبس فيه (ان أصبح ماؤكم) أى الذى تعدونه
 فى أيديكم بما نهت عليه الاضافة (غورا) أى غائرا اذا هب فى الارض لا تناله الدلاء وكان ماؤهم
 من بثرين بثر زمزم وبثر ميمونة (فن يأتكم) على ضعفكم حينئذ وانخلع قلوبكم واضطرب
 أفكاركم (بما معين) أى دائم لا ينقطع وظاهر للاعين سهل المأخذ وقال ابن عباس رضى الله
 عنهم بما معين أى ظاهر تراه العميون فهو مفعول وقيل هو من الماء أى كثر فهو على هذا
 فعيل وعن ابن عباس رضى الله عنهم ما أيضا أن المعنى فن يأتكم بما عذب أى لا يأتكم به الا الله
 فكيف تنكرون أن يعذبكم ويستحب أن يقول القارى عقب معين الله رب العالمين كما فى الحديث

قوله والباقون بتاء
 الخطاب الخ عبارة
 الجمل بالتاء أى نظرا
 للخطاب فى قوله قل
 أرايتم اه

وقلت هذه الآية عند بعض المتجبرين فقال تأتي به القوس والمعاول فذهب ما عني به وعني
 نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى آياته وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال إن سورة من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية شفعت لرجل يوم القيامة فأخرجته من
 النار وأدخلته الجنة وهي سورة تبارك وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال إذا وضع
 الميت في قبره يؤتى من قبل رجله فيقال ليس لكم عليه سبيل لأنه قد كان يقوم بسورة الملك
 ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل كان يقرأ بسورة الملك ثم قال هي المانعة
 من عذاب الله وهي في التوراة سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكرم وأطيب وعن ابن عباس
 رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وددت أن تبارك الملك في قلب كل مؤمن
 وأما ما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الملك فكأنما
 أحيا ليلة القدر حديث موضوع

﴿سورة ن وتسمى القسم المبكية﴾

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقناة رضي الله عنهم من أولها إلى قوله
 تعالى سنجعه على الخرطوم مكى ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى يعلمون مدنى ومن بعد ذلك إلى قوله
 تعالى فهم يكتبون مكى ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى من الصالحين مدنى وباقيها مكى قاله الماوردى
 وهي اثنتان وخسون آية وثلاثمائة كلمة وألف ومائتان وستة وخسون حرفا

(بسم الله) أى الذى له الاحاطة الكاملة فهو بكل شئ عليم (الرحمن) الذى عمت نعمته ايجاده لاهل
 معاده البرى منهم والسقيم (الرحيم) الذى اتم تلك النعمة على من وفقه اطاعته فالزمه صراطه
 المستقيم وقوله تعالى (ن) كقوله تعالى ص والقرآن وجواب القسم الجملة المنفية بعدها
 واختلفوا فى تفسير ذلك فقال ابن عباس رضي الله عنهما هو الحوت الذى على ظهره الارض
 وهو قول مجاهد ومقاتل والسدى والكلبى وروى أبو طيبان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
 أقول ما خلق الله تعالى القسم بخرى بما هو كائن الى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الارض على
 ظهره فتحرك النون فغادت الارض فأنبتت بالبحال فان البحال لتفخر على الارض ثم قرأ ابن
 عباس ن الآية واختلفوا فى اسمه فقال الكلبى ومقاتل يم موت وقال الواقدى ليوننا وقال كعب
 ليوننا وقال على تلهوت وقال الرواة لما خلق الله تعالى الارض وقتها بعث من تحت العرش ملكا
 فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارض حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله
 عز وجل من الفردوس ثوراه أربعون ألف قرن وأربعون ألف قاعة وجعل قرار قدم الملك على
 سنامه فلم تستقر قدماه فأخذ الله تعالى يا قوته خضرا من أعلى درجة الفردوس غلظها خمسمائة
 عام ووضعها بين سنام الثور الى أذنه فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار
 الارض ومخزاة فى البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فإذا تنفس عمت البحر وإذا ارتنفسه جزر البحر
 فلم يسكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى حفرة كغلظ سبع سموات وسبع أرضين

فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه فتكن في حضرة ولم يكن للصخرة
مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم ووضع الصخرة على ظهره وسأرت جسده نال
والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة ثقل الدنيا كلها بما عليها سارقان
قال لها الجبار كوني فكانت قال كعب الاحبار ان ابليس تغفل الى الحوت الذي على ظهره
الارض فوسوس اليه فقال له أتدرى ما على ظهرك يا لويثا من الامم والدواب والشجر والجبال
لونهضتهم ألقيتهم عن ظهرك فهم لويثا أن يفعل فبعث الله تعالى دابة فدخلت منخرة فوصلت
الى دماغه ففجع الحوت الى الله تعالى منها فأذن الله تعالى لها فخرجت فوالذي نفسي بيده انه
لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشئ من ذلك عادت اليه كما كانت وقال بعضهم نون آخر حروف الرحمن
وهي رواية عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال الحسن وقتادة والفصحاء النون الدواة
وهو مروى أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال القرطبي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة ومنه
قول الشاعر * اذا ما الشوق برح بي اليهم * ألقى النون بالدمع السحاب *

ويكون على هذا أقسم بالدواة والقلم فان المنفعة بهما عظيمة بسبب الكتابة فان التفاهم يحصل تارة
بالنطق وتارة بالكتابة وقيل النون لوح من نور تكتب فيه الملائكة ما يؤمرون به رواه معاوية
ابن قرة مرفوعا وقيل النون هو المداد الذي تكتب به الملائكة وقال عطاء وأبو العالية هو افتتاح
اسمه تعالى نصير ونور وناصر وقال محمد بن كعب أقسم الله تعالى بنصرة المؤمنين وقال الزمخشري
هذا الحرف من حروف المعجم وأما قولهم هو الدواة فما أدري أهو وضع لهوى أم شرعى ولا يخلو
اذا كان اسما للدواة من أن يكون جنسا أو علما فان كان جنسا فأين الاعراب والتنوين وان كان
علما فأين الاعراب وأيهما كان فلا بد له من موقع في تأليف الكلام فان قلت هو مقسم به وجب
ان كان جنسا أن تجزئه وتنونه ويكون القسم بدواة منكرة بجهولة كأنه قيل ودواة (والقلم) وان
كان علما أن تصرفه ويجزئه ولا تصرفه وتفتحه للعلمية والتأنيث وكذلك التفسير بالحوت أما أن
يراد نون من النينان أو يجعل علما للهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور أو ذهب والنهر
في الجنة نحو ذلك اهـ * (تنبيه) * في القلم المقسم به قولان أحدهما أن المراد به الجففس وهو واقع
على كل قلم يكتب به في السماء والارض قال تعالى وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم
ولانه ينتفع به كما ينتفع بالنطق قال تعالى خلق الانسان علمه البيان فالقلم يبين كما يبين اللسان
في الخطابة بالكتابة للغائب والحاضر والثاني انه القلم الذي جاء في الخبر عن ابن عباس رضى
الله عنهما أول ما خلق الله تعالى القلم ثم قال له اكتب قال ما أكتب قال ما كان وما هو كائن الى
يوم القيامة من عمل أو أجل أو رزق أو أثر فخرى القلم بما هو كائن الى يوم القيامة قال ثم ختم
فم القلم فلم ينطق ولا يتنطق الى يوم القيامة قال وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والارض وروى
مجاهد أول ما خلق الله تعالى القلم فقال اكتب المقدر فكتب ما هو كائن الى يوم القيامة وانما
يجرى في الناس على أمر قد فرغ منه قال ابن عادل قال القاضي هذا الخبر يجب حمله على الجمان

لأن القلم آلة مخصوصة للكتابة لا يجوز أن يكون حيا عاقلًا فيؤمن وينهى فإن الجمع بين كونه
 حيوانا مكلفا وبين كونه آلة للكتابة محال بل المراد منه أنه تعالى أجراه بكل ما يكون وهو قوله
 تعالى إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون فإنه ليس هناك أمر ولا تكليف بل هو مجرد تنفيذ
 القدرة في المقدور من غير منازعة ولا مدافعة اهـ وقوله فإن الجمع إلى قوله محال ممنوع فإن الله
 تعالى خلق فيه ذلك كما قال تعالى للسموات والأرض انبساطوعا وكرها قالتا أتنبط طائعين وقال
 الرحمن شري أقسم بالقلم تعظيما له لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من
 المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف وقيل القلم المذكور ههنا هو العقل وأنه شيء كالأصل
 لجميع المخلوقات قالوا والدليل عليه أنه روي في الأخبار أول ما خلق الله تعالى القلم وفي خبر آخر
 أول ما خلق الله تعالى العقل فقال الجبار ما خلقت خلقا أعجب إلى منك وعزتي وجلالي
 لا كملتك فيمن أحبيت ولا نقصتك فيمن أبغضت قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل
 الناس عقلا أطوعهم لله وأعلمهم بطاعته وفي خبر آخر أول ما خلق الله تعالى جوهره فنظر إليها
 بعين الهيبة فذابت وسكنت فارتفع منها دخان وابتدئ خلق من الدخان السموات ومن الزبد
 الأرض قالوا وهذه الأخبار بمجموعها تدل على أن القلم والعقل وتلك الجوهرة التي هي أصل
 المخلوقات شيء واحد والأصل التناقض وقال البغوي القلم هو الذي كتب الله به الذكرو وهو قلم
 من نور طوله ما بين السماء والأرض ويقال أول ما خلق الله تعالى القلم ونظر إليه فأنشق نصفين ثم
 قال اجريا هو كائن إلى يوم القيامة فجري على اللوح المحفوظ بذلك وقرأ قالون وابن كثير وأبو
 عمرو وحفص وسحرة وورش بخلاف عنه باظهار النون عند الواو هنا والباقيون بالأدغام
 (وما يسطرون) أي الملائكة من الخير والصلاح وقيل وما تكتبه الملائكة الحفظة من أعمال بني
 آدم وقيل ما يكتبون أي الناس ويتفاهمون به وقال ابن عباس رضي الله عنهما معنى وما يسطرون
 وما يعملون وما موصولة أو مصدرية قال الزمخشري ويجوز أن يراد بالقلم أحصائه فيكون الضمير
 في يسطرون لهم كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم أو وسطرهم ويراد بهم كل من يسطر أو
 الحفظة وقال البقاعي وما يسطرون أي قلم القدرة وجمعه وأجراه مجرى أولى العلم للعظيم لأنه
 فعل أفعالهم أو الأقسام على إرادة الجنس ويجوز أن يكون الاسم ناديا إلى الكاتبين به لما دل عليهم
 من ذكره وأما الملائكة أن كان المراد ما كتب في الكتاب المبين واللوح المحفوظ وغيره مما
 يكتبونه وأما كل من يكتب منهم ومن غيرهم وقوله تعالى (ما أنت) أي يا أعلی المتأهلين لخطابنا
 (بنعمة) أي بسبب انعام (ربك) أي الرب لا يمثله تلك الهمم العالية والسجایا الكاملة بأن
 خصك بالقرآن الذي هو الجامع لكل علم وحكمة (بمجنون) جواب القسم وهو نفي قال الزجاج
 أنت هو اسم ما ومجنون الخبر وقوله تعالى بنعمة ربك كلام وقع في الوسط أي انتفى ذلك الجنون
 بنعمة ربك كما يقال أنت بمحمد دربك عاقل بل الذي وصفك بهذا هو الحقيقي باسم الجنون وقال
 البغوي ما أنت بنعمة ربك بقبولة ربك بمجنون أي أنك لا تكون مجنونا وقد أنعم الله تعالى عليك
 بالنبوة والحكمة وقيل بعصمة ربك وقيل هو كما يقال ما أنت بمجنون والحمد لله وقيل معناه ما أنت

يمجنون والنعمة لربك كقولهم سبحانك اللهم وبحمدك أي والحمد لك وروى عن ابن عباس رضي
 الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم لحاب عن خديجة إلى حرا فطلبته فلم تجده فاذا به ووجهه متغير
 امتلا غبارا فقالت له مالك فذكر جبريل عليه السلام وأنه قال له اقرأ باسم ربك فهو أول ما نزل
 من القرآن قال ثم نزل بي إلى قرار الأرض فتوضأ وتوضأت ثم صلى وصليت معه ركعتين وقال
 هكذا الصلاة يا محمد فذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لخديجة فذهبت به خديجة إلى ورقة بن
 نوفل وهو ابن عمها وكان قد خالف دين قومه ودخل في النصرانية فسأله فقال أرسلني إلى محمد
 فأرسلته فقال هل أمر لك جبريل عليه السلام أن تدعوا أحدا قال لا فقال والله لن بقيت إلى
 دعوتك لأنصرتك نصر أعزيرنا ثم مات قبل دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ووقعت تلك الواقعة
 في السنة كفاؤقر يش فقالوا إنه مجنون وأقسم الله تعالى على أنه ليس بمجنون وهو خمس آيات
 من أول هذه السورة وقال ابن عباس أول ما نزل قوله تعالى سجد اسم ربك الأعلى وهذه
 الآية هي الثانية نقله الرازي وذكر القرطبي أن المشركين كانوا يقولون للنبي صلى
 الله عليه وسلم لم مجنون به شيطان وهو قولهم يأتيهم الذي نزل عليه الذكر أنك لمجنون فأنزل الله
 تعالى ردا عليهم وتكذيبا لقولهم ما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون أي برحمة ربك والنعمة
 ههنا الرحمة وقال عطاء وابن عباس يريد بنعمة ربك عليك بالإيمان والنبوة وقال القرطبي
 يحتمل أن النعمة ههنا قسم تقديره ما أنت ونعمة ربك بمجنون لأن الواو والباء من حروف القسم
 وقال الرازي أنه تعالى وصفه بصفات ثلاث الأولى نقي الجنون عنه ثم قرن به هذه الدعوى
 ما يكون كالدلالة القاطعة على صحتها لأن قوله بنعمة ربك يدل على أن نعم الله تعالى ظاهرة في حقه
 من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والبرائة من كل عيب والاتصاف بكل
 مكرمة وإذا كانت هذه النعم المحسوسة ظاهرة ووجودها ينافي حصول الجنون فالله تعالى نبه
 على أن هذه الدققة جارية مجرى الدلالة اليقينية على كذبهم في قولهم مجنون الصفقة الثانية
 قوله تعالى (وأن لك) أي على ما تحملت من أثقال النبوة وعلى صبرك عليهم فيما يرمونك به وهو
 تسليته صلى الله عليه وسلم (لأجر) أي ثوابا (غير ممنون) أي مقطوع ولا منقوص في دنيا
 ولا آخرة يقال مان الشيء إذا ضعف ويقال منذ الحبل إذا قطعتة وحبل منين إذا كان غير متين
 قال البيهقي عسا كواسب لا يمتن طعامها * أي لا يقطع بصف كلاباضارية وتظيره قوله تعالى
 غير مجذوذ وقال مجاهد ومقاتل والكلبي غير ممنون أي غير محسوب عليك قال الزمخشري لأنه
 ثواب تستحقه على هلك وإيسر بتفضل ابتداء وانما تمن القواضل لا الأجور على الأعمال انتهى
 وهذا قول المعتزلة فإن الله تعالى لا يجب عليه شيء وقال الحسن غير مكدر بالمن وقال الضحاک
 رضي الله تعالى عنه أجزا بغير عمل واختلقوا في هذا الأجر على أي شيء حصل فقبل معناه ما مر
 وقبل معناه أن لك على احتمال هذا الطعن والقول الصحيح أجزا عظيما دائما وقيل إن لك في
 اظهار النبوة والمجرات وفي دعاء الخلق إلى الله تعالى وفي بيان الشرع لهم هذا الأجر الخالص
 الدائم فلا تمنك نسبتهم إياك إلى الجنون عن الاشتغال بهذا المهم العظيم فان لك بسببه المتزلة

العالية الصفوة الثالثة قوله تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) استعظم خلقه لقرط احتمال
المعضات من قومه وحسن مخالفته ومداراته اهتم قال ابن عباس ومجاهد على دين عظيم من
الاديان ليس دين أحب الى الله تعالى ولا أرضى عنه منه. وروى مسلم عن عائشة ان خلقه
كان القرآن وقال علي هو أدب القرآن وقيل رفقه بأمنه وكرامه اياهم وقال قتادة هو ما كان
يأمر به من الله وينهى عنه بما نهى الله تعالى عنه وقيل انك على طبع كريم وقيل هو
الخلق الذي أمر الله تعالى به في قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال
الماوردي حقيقة الخلق في اللغة ما يأخذ الانسان في نفسه من الادب تسمى خلقا لانه يصير
كل خلقه فيه فأما ما طبع عليه من الادب فهو الخلق فيكون الخلق الطبع المتكلف والخلق
الطبع الغريزي قال القرطبي ما ذكره مسلم في صحيحه عن عائشة أصح الاقوال وسئلت أيضا
عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقُرأت قد أفلح المؤمنون الى عشر آيات قال الرازي وهذا
اشارة الى ان نفسه القدسية الشريفة كانت بالطبع منجذبة الى عالم الغيب والى كل ما يتعلق
به وكانت شديدة التعري عن اللذات البدنية والسعادات الدنيوية بالطبع ومقتضى الفطرة
وقالت ما كان أحدا حسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مادعا أحد من الصحابة ولا
من أهل بيته الا قال لبيك ولذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ولم يذكر خلق محمود الا
وكان للنبي صلى الله عليه وسلم منه الحظ الاوفر وقال الجنيد تسمى خلقه عظيميا لاجتماع مكارم
الاخلاق فيه بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتتمام محاسن
الافعال وعن أبي اسحق قال سمعت البراء يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن
الناس وجهًا وأحسن الناس خلقا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير وعن أنس بن مالك قال
خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال لشيء صنعت لم صنعت
ولا لشيء تركته لم تركته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا ولا مست
خزاق ولا حريرا ولا شيا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شمعت مسكا ولا
عنبرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول خياركم أحسنكم أخلاقا وعن أنس ان امرأة
عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق من طرق المدينة فقالت يا رسول الله ان لي اليك
حاجة فقال يا أم فلان اجلسي في أي سكن المدينة شئت اجلس اليك قال ففعلت ففقد اليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قضيت حاجتها وعن أنس بن مالك قال كانت الامة من اماء
أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتطلق به حيث شاءت وعن أنس أيضا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صاح رجلا لم ينزع يده حتى يكون هو الذي يصرف
وجهه عن وجهه ولم يرمق ما ركبته بين يدي جليسه. وعن عائشة قالت ما ضرب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله تعالى ولا ضرب خادما ولا امرأة
وعنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرين قط الا اختار أيسرهما ما لم يكن اغنا

فان كان انما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم انفسه في شيء قط الا ان تنتم حرمة الله فينتقم وعن أنس قال كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد فخراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال حر لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك وأمر له بعطاء وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان لي أخ يقال له أبو عمرو وهو فطيم كان اذا جاءنا قال يا أبا عمرو ما فعل النغير للنغير كان يلعب به والنغير طائر صغير يشبه العصفور الا أنه أحمر المنقار وعن الأسود قال سألت عائشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل في بيته قالت كان في مهنة أهله فاذا حضرت الصلاة توضأ ويخرج الى الصلاة والمهنة الخدمة وعن عبد الله بن الحارث قال ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أم الدرداء تحدثت عن أبي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أثقل شيء يوضع في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن وان الله يغيض الفاحش البذي وعن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صحابه أتدرون أكثر ما يدخل الناس النار قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أكثر ما يدخل الناس النار الاجوفان الفرج والقوم أتدرون أكثر ما يدخل الناس الجنة قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المؤمن يدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار (فستبصر) أي فستعلم عن قرب بوعده لا خلف فيه علمأت في تحقيقه كالمبصر بالحس الباصر (ويصرون) أي يعلم الذين رموا بالبهتان علما هو كذلك وقوله تعالى (بأيكم المقتون) فيه أربعة أوجه أحدها ان الباء مزيدة في المبتدأ والتقدير أيكم المقتون فزيدت كزيدتها في نحو بحسبك زيد والى هذا ذهب قتادة قال ابن عادل الا أنه ضعيف من حيث ان الباء لا تزداد في المبتدأ الا في حسبك فقط الثاني ان الباء بمعنى في فهي ظرفية كقولك زيد بالبصرة أي فيها والمعنى في أي فرقة وطائفة منكم المقتون أي المجهنون أي فرقة الاسلام أم في فرقة الكفر واليه ذهب مجاهد والقرآن الثالث انه على حذف مضاف أي بأيكم فتن المقتون فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه واليه ذهب الاخفش وتكون الباء سببية الرابع ان المقتون مصدر رجاء على مفعول كالمقتول والميسور والتقدير بأيكم الفتنة وقيل المقتون المعذب من قول العرب قننت الذهب بالنار اذا أحجته قال تعالى يوم هم على النار يفتنون أي يعذبون وقيل الشيطان لانه مفتون في دينه وكانوا يقولون انه به شيطان وعنوا بالمجهنون هذا فقال تعالى سيعلمون غدا بأيهم الشيطان الذي يحصل من مسه الجنون واختلاط العقل • (قائدة) • بأيكم رسمت ههنا يامين (ان ربك) أي الذي ربك أحسن تربية وفضلك على سائر الخلائق (هو) أي وحده (أعلم) أي من كل أحد (عن ضل) أي حاد (عن سبيله) أي دينه وسلك غير سبيل القصد واخطأ موضع الرشد (وهو) أي

وحده (أعلم بالله دين) أي الثابتين على الهدى وهم أولو الأحلام والنهي أي الذوعلم بمعنى
 عالم * (تنبيه) * قوله تعالى وهو أعلم وهو مكظوم وهو مذموم قرأه قالون وأبو عمرو والكسائي
 يسكون الهاء والباقون بضمها وقوله تعالى (فلا تطع المكذبين) أي العريقين في التكذيب
 وهم مشركو مكة فانهم كانوا يدعونهم إلى دين آبائهم فنهأوا أن يطيعهم ففتح التصميم على معاداتهم
 (ودوا) أي غنوا وأحبوا محبة واسعة متجاوزة للعتق قديما مع الاستمرار على ذلك (لو) مصدرية
 (تدهن فيه يدهنون) قال الضحالك لو تكفركم فيكفرون وقال الكلبي لو تلبس لهم فيلبسون لك
 وقال الحسن لو تصانعهم في دينك فصانعونك في دينهم وقال زيد بن أسلم لو تفاق وتزاني
 فيناقضون ويرأون وقال ابن قتيبة أرادوا أن يعبد آلهم مدة ويعبدون الله مدة وقال
 ابن العربي ذكر المفسرون في ذلك نحو عشرة أقوال كلها دعاوى على اللغة والمعنى
 وأمثها ودوا لو تكذب فيكذبون ودوا لو تكفركم فيكفرون وقال القرطبي كلها إن شاء الله تعالى
 صحيحة على مقتضى اللغة والمعنى * (تنبيه) * في رفع فيه يدهنون وجهان أحدهما أنه عطف على
 تدهن فيكون داخل في حيزلو والثاني أنه خبر مبتدأ مضمرة أي فهم يدهنون وقال الزمخشري
 فإن قلت لم رفع فيه يدهنون ولم ينصب باضمارة إن وهو جواب التثني قلت قد عدل به إلى طريق
 آخر وهو أن جعل خبر مبتدأ محذوف أي فهم يدهنون كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف
 بجناس على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حيث ذأ ودوا إذا هلك فهم إلا أن يدهنون لطمعهم
 في إذا هلك * واختلقوا في سبب نزول قوله تعالى (ولا تطع كل - لاف) أي كثيرا الحلف بالباطل
 فقال مقاتل يعني الوليد بن المغيرة عرض على النبي صلى الله عليه وسلم مالا وحلف له أن يعطيه
 أن يرجع عن دينه وقال ابن عباس هو أبو جهل بن هشام وقال عطاء هو الاخفس بن شريق
 لأنه حليف ملحق في بني زهرة فلذلك سمي زنيما وقال مجاهد هو الاسود بن عبد يغوث (مهين)
 أي ضعيف حقير قيل هو فصيل من المهانة وهي قلة الرأي والتمييز وقال ابن عباس كذاب وهو
 قريب من الاقل لأن الانسان انما يكذب لمهانة نفسه عليه وقال الحسن وقتادة هو المكلم
 في الشر وقال الكلبي المهين العاجز (هماز) أي كثير العيب للناس في غيبتهم وقال الحسن هو
 الذي يغمز بأخيه في المجلس وقال ابن زيد الهماز الذي يهز الناس بيده ويضربهم والهماز
 باللسان وقيل الهماز الذي يذكر الناس في وجوههم والهماز الذي يذكرهم في غيبتهم
 وقال مقاتل بالعكس وقال مرة هما سواء ونحوه عن ابن عباس وقتادة (مشاء) أي كثير المشي
 (بنيم) أي قتان يلقي القيمة بين الناس ليضسد بينهم فينقل ما قاله الانسان في آخره وإذا عسر
 لا يريد صاحبه اظهاره على وجه الفساد البين مبالغ في ذلك (مناع) أي كثير المنع شديده (للخير)
 أي كل خير من المال والايمان وغيرهما من نفسه وغيره من الدين والدنيا وقال ابن عباس مناع
 للغير أي الاسلام يمنع ولده وعشيرته من الاسلام وكان له عشرة من الولد يقول لئن دخل أحد
 منكم في دين محمد لا أقعه بشئ أبدا (معتد) أي ثابت التجاوز للعدو وفي كل ذلك (أنهم)
 أي مبالغ في ارتكاب ما يوجب اللائم فيترك الطيبات ويأخذ الخبائث يرغب في المعاصي

ويطلبها ويدع الطاعات ويردها فيها (عتل) العتل الغليظ الجافي وقال الحسن هو الفاحش
 الخلق السيئ الخلق وقال القراء هو الشديد المصومة في الباطل وقال الكلبي هو الشديد
 في كفره وكل شيء شديد عند العرب عتل وأصله من العتل وهو الدفع بالعنف وقال أبو عبيدة بن
 عمير العتل الاكول الشروب القوى الشديد الذي لا يزن في الميزان شعبة يدفع الملك من
 أولئك سبعين ألفا دفعة واحدة (بعد ذلك) أي مع ذلك يريد مع ما وصفناه به (زني) وهو الذي
 الملق بالقوم وليس منهم وقال عطاء عن ابن عباس يريد مع هذا هو دعي في قريش وقال مرة
 الهـ مداني انما ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة وقيل الزني الذي له زمة كزمة الشاة وروى
 عكرمة عن ابن عباس انه قال في هـ هذه الآية نعت فلم يعرف حتى قيل زني فعرف وكانت زمة
 في عنقه يعرف بها وقال سعد بن جبيرة عن ابن عباس قال يعرف بالشرك كما تعرف الشاة بزمتها
 وقال مجاهد زني كانت له ستة أصابع في يده في كل إبهام له اصبع زائدة وقال ابن قتيبة لا تعلم
 ان الله تعالى وصف أحدا ولا ذكرا من عبويه ماذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فالحق به عارا
 لا يفارقه في الدنيا والآخرة وعن حارثة بن وهب الخزاعي قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الا أخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف لو يقسم على الله لآبره الا أخبركم باهل النار كل
 عتل جواظ مستكبر وفي رواية كل جواظ زني متكبر الجواظ الجوع المنوع وقيل الكثير
 اللحم المختال في مشيته وقيل القصر البطين وقال عكرمة هو ولد الزنا الملق في النسب بالقوم
 وكان الوايد دعيا في قريش ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة من مولده قال الشاعر فيه

زني ليس يعرف من أبوه * بني الام ذو حسب لثيم

قيل بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت الآية وهذا لان الغالب ان النطقة اذا خبثت خبث الولد
 كما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة ولد زنا ولا ولده ولا ولاد ولده وقال عبد
 الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أولاد الزنا يحشرون يوم القيامة في صور القردة
 والخنازير ولعل المراد به الدخول مع السابقة بين والا فمن مات مسلما دخل الجنة وقالت ميمونة
 سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال أمتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا فاذا فشا فيهم ولد
 الزنا أوشك أن يعمهم الله بعذابه وقال عكرمة اذا كثروا ولد الزنا قط المطر قال القرطبي ومعظم
 المفسرين على ان هـ هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة وكان يطعم أهل منى حيسا ثلاثة أيام
 وينادي الا لا يؤقذن أحد تحت برمة الا لا يزين جين أحد بكراع الامن أراد الحيس فلبات
 الوليد بن المغيرة وكان ينفق في الحجاة الواحدة عشرين ألفا واكثر ولا يعطى المسكين درهما
 واحد او قيل مناع للخير وفيه نزل وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ولما كان حطام
 هذه الدنيا ككله عرضا فانها وظلاما متقلصا زائلا لا يقصده ولا يلتفت اليه الامن كان به هذه
 الاوصاف فاذا كان ذلك أكبرهم ومبلغ علمه أثمر له الترفع على الحقوق والتكبر على العباد
 قال الله تعالى (ان) أي لا جل ان (كان) أي هذا الموصوف (ذامال) أي مذكور
 بالكثرة (وبنين) أنعمنا عليه بما فصار يطاع لاجلهم فان كان بحيث يجب عليه شكرنا بسببهما

(اذ اتلى) أى تذكر على سبيل المتابعة (عليه) ولو كان ذلك على سبيل الموصول له (آياتنا)
 أى العلامات الدالة دلالة هي في غاية الظهور على الملك الاعلى وعلى ماله من صفات العظمة
 (قال) أى مفاجأة من غير تأمل ولا توقف عوضا عن شكرنا (أساطير) جمع سطور جمع سطر
 (الآيتين) أى أشياء سطروها وودونها وفرغوا منها فحمله دنى طبعه على تكثيره بالمال فوترطه
 في التكذيب بأعظم ما يمكن سماعه فجعل الكفر موضع التكرار ولم يستخ من كونه يعرف
 كذبه كل من سمعه فأعرض عن الشكر ووضع موضعه الكفر فكان هذا دليلا على جميع تلك
 الصفات السابقة مع التعليل بالاستناد الى ما هو عند العاقل أو هي من بيت العنكبوت
 والاستناد اليه وحده كاف في الاتصاف بالرسوخ في الدنائة وقرأ ابن عامر وشعبة وحجة
 بهم مزتين مفتوحتين وابن عامر يسهل الثانية وشعبة وحجة بتحقيقهما وهشام على أصله يدخل
 بينهما الفاء والباقون بهم مزة واحدة مفتوحة قال القرطبي بن قرأ بهم مزة مطولة أو بهم مزتين
 محقتين فهو استفهام والمراد به التوبيخ ويحسن له أن يقف على زعيم ويتدلى أن كان
 على معنى لأن كان ذامال وبنين تطبعه ويجوز أن يكون التقدير لأن كان ذامال وبنين
 اذ اتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين ويجوز أن يكون التقدير لأن كان ذامال
 وبنين يكفرو ويستكبرون دل عليه ما تقدم من الكلام فصار كالمذكور بعد الاستفهام ومن
 قرأ أن كان بغير استفهام فهو مفعول من أجله والعامل فيه فعل مضمرة والتقدير يكفر
 لأن كان ذامال وبنين ودل على هذا الفعل اذ اتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين ولا يعمل
 في اذ اتلى ولا قال لأن ما بعد اذ لا يعمل فيما قبلها لأن اذ تضاف الى الجمل التي بعدها
 ولا يعمل المضاف اليه فيما قبل المضاف وقال جواب الجزاء ولا يعمل فيما قبل الجزاء
 اذ حكم العامل أن يكون قبل المفعول فيه وحكم الجواب أن يكون بعد الشرط فيصير
 مقدماتا وخرا في حال واحد ويجوز أن يكون المعنى لا تطعه لأن كان ذابسا وعدد قال
 ابن الانباري ومن قرأ بلا استفهام لم يحسن أن يقف على زعيم لأن المعنى لأن كان ذامال
 كان فأن متعلقة بما قبلها وقال غيره يجوز أن تتعلق بقوله تعالى مشاهيهم والتقدير عيشي بنهم
 لأن كان ذامال وبنين وأجاز أبو علي أن تتعلق بعقل ومعنى أساطير الاولين أباطيلهم وترهاهم
 (نفسه) أى فجعل له سمة أى علامة يعرف بها (على الخرطوم) أى الانف يعرف بها ما عاش
 قال ابن عباس نفسه من خطمه بالسيف قال وقح خطم الذي نزلت فيه يوم بدر بالسيف فلم
 يزل مخطوما الى ان مات والتعبير عن الانف بهذا الاستهانة والاستخفاف وقال قتادة نفسه
 يوم القيامة على أنفه سمة يعرف بها وقال الكسائي سنكويه على وجهه وقال أبو العالية
 ومجاهد سنسه على الخرطوم أى على أنفه وسود وجهه في الآخرة فيعرف بسواد وجهه
 قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فهي علامة ظاهرة ونحشر الجرمين يومئذ ذرعا وهذه
 علامة أخرى ظاهرة وأظهد هذه الآية علامة ثالثة وهي الوسم على الانف بالنار وهذا
 كقوله تعالى يعرف الجرمون بسيماهم قال القرطبي والخرطوم الانف من الانسان ومن

السباع موضع الشفة وخرطوم القوم ساداتهم قال الفقراء وإن كان الخرطوم قد خضع
 بالسمة فإنه في معنى الوجه لأن بعض الشيء يعبر به عن الكل وقال القرطبي نين أمره تينا
 واضحا فلا يخفى عليهم كالأخفى السمة على الخرطوم وهذا كله نزل في الوليد بن المغيرة ولا شك
 أن المبالغة العظيمة في ذمة بقيت على وجه الدهر ولا تعلم أن الله تعالى لم يبلغ من ذكر عيوب أحد
 ما بلغ منه فألحق به عارا لا يفارقه في الدنيا ولا في الآخرة كالوسم على الخرطوم وقيل ما ابتلاه الله
 تعالى به في الدنيا في نفسه وأهله وماله من سوء وذل وصفار وقال النضر بن شميل المعنى سخره
 على شرب الخمر والخرطوم الخروج منه خرطوم قال الرازي كل من شربى وهذا تعسف اه
 وقيل للخرطوم كـ كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب أولانها تطير
 في الخياشيم * (تبيينه) * الأنف أكرم موضع في الوجه لتقدمه ولذلك جعلوه مكان العز
 والجملة واشتقوا منه الأنفة وقالوا الأنف في الأنف وحى أنفه وفلان شامخ العزبين وقالوا
 في الذليل جددع أنفه ورغم أنفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الازلال والاهانة لأن
 السمة على الوجه شين واذلال فكيف به أعلى أكرم موضع منه ولقد وسم العباس أبا عره
 في وجوهها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا الوجوه فوسمها في جوارحها
 ولما ذكر تعالى في أول الملك أنه خلق الموت والحياة للابتلاء في الأعمال وختم هذا بعيب من يغتر
 بالمال والبنين وهو يعلم أن الموت وراءه أعاد ذكر الابتلاء وأكده بقوله تعالى (أنا) أي بما لنا من
 القهر والعظمة (بلوناهم) أي عاملنا أهل مكة بما وسعنا عليهم به معاملة المختبر مع علمنا بالظاهر
 والباطن فغترهم ذلك وظنوا أنهم أحباب ومن قترنا عليهم من أولياتنا أعدا ما استهانوا بهم
 ونسبوه لاجل تقللهم من الدنيا إلى السنة والجنون وكان ابتلاؤنا لهم بالقسط الذي دعا عليهم
 به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكلوا الجيف (كما بلونا) أي اخترنا (أصحاب الجنة)
 بأن عاملناهم معاملة المختبر مع علمنا بالظاهر وحاصله أنه استخراج ما في البواطن ليعلمه العباد
 في عالم الشهادة كما يعلم الخالق في عالم الغيب وأنه كناية عن الجزاء وعرف الجنة لأنها كانت
 شهيرة عندهم وهي بستان عظيم كان دون صنعا بفرضين يقال له الضروان يطؤه أهل
 الطريق كان صاحبه ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأ المنجل أو القطة الرياح
 أو بعد عن البساط الذي يبسط تحت الخلعة وكان يجتمع لهم شيء كذب فليعلم أن شع بنوهم بذلك
 وقالوا ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق عليه الأمر ونحن ذوو عيال فلقوا على أن يجذوها قبل
 الشمس حتى لا تأتى الفقراء إلا بعد فراغهم وذلك معنى قوله تعالى (اذ) أي حين (اقسموا) ودل
 على تأكيد القسم بالتأكيده فقال (ليصر منها) عبر به عن الجذاذ لدلالته على القطع البائن
 المستأصل المانع للفقر من الصريم الذي يعرض على فم الجدي ثلاثا يرضع أو من الصرما
 للمقازاة التي لا مأمية والناقة القليلة اللبن (مصحين) داخلين في أقل وقت الصباح لثلاثتهم
 المساكين فلا يعطوهم منها لما كان أبوهم يصدق به عليهم منها (ولا) أي والحال أنهم لا
 يستنون في يمينهم أي ولا يقولون لنشاء الله (فان قيل) لم سعى استثناء وإنما هو شرط

(أجيب) بأنه سمي استثناء لانه انما يخرج لشيء يكون حكمه غير المذكور أو لا وكان الاصل فيه
 الا ان يشاء الله فالخلق به ان شاء الله لرجوعه اليه في اتحاد الحكم (فطاف) أي فتسبب من
 فعلهم هذا أن طاف (عليها) أي جنهم (طائف) أي عذاب مهلك محيط وهو نار حرقها ليل
 لم تدع منها شيئا والطائف غلب في الشر وقال القراء هو الامر الذي يأتي ليللا ورت عليه بقوله
 اذا مسهم طائف من الشيطان وذلك لا يختص بليل ولا نهار وقوله تعالى (من بك) يجوز ان
 يتعلق بطاف وان يتعلق بمحذوف صفة لطائف (وهم) أي والحال ان أصحاب الجنة المقسمين
 (نائمون) وقت ارسال الطائف (فأصحت) أي فتسبب عن هذا الطائف الذي ارسله القادر
 الذي لا يغفل ولا ينام على مال من لا يزال أسير العجز والنوم فعلا أو قوة (كالصريم) أي كالاشجار
 التي صرم عنها ثمرها أو كالليل المظلم الاسود لانه يقال الصريم لسواده والصريم أيضا النهار
 وقيل الصبح لانه انصرم من الليل قاله الاخفش وهو من الاضداد وقيل كالرماد الاسود ليس
 به ثمرة بلغة خزيمة قاله ابن عباس لان ذلك الطائف أتلفها لم يدع فيها شيئا لانهم طلبوا الكل فلم
 ينكوه بما يمنع عنه الطوارق لضد ما كان لا يبيهم من ثمره عمله الصالح من الدفع عن ماله والبركة
 في جميع أحواله قال القرطبي والآية دليل على ان العزم مما يؤخذ به الانسان لانهم عزموا
 على أن يفعلوا ففعلوا قبل فعلهم ونظيره قوله تعالى ومن يرد فيه بالحساد ينظم نذقه من عذاب
 أليم وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول
 في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فبال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وهذا
 محمول على العزم المصمم أما ما كان يحظر بالبال من غير عزم فلا يؤخذ به (فتنادوا مصبين) أي
 في حال أول دخولهم في الاصباح وقوله تعالى (أن اغدوا) أي بكر واجدا مقبلين ومستولين
 وقادرين ويجوز أن تكون ان المفسرة لانه تقدمها ما هو بمعنى القول (على حرككم) أي
 محل فائدتكم الذي أصطتموه وتعبتم فيه فلا يستحقه غيركم قال مقاتل لما أصبحوا قال بعضهم
 لبعض اغدوا على حرككم يعني بالحرق الثمار والزروع والاعناب ولذلك قال صارمين لانهم
 أرادوا قلع الثمار من الاشجار قال الزمخشري (فان قات) هلا قال اغدوا الى حرككم وما
 معنى على قلت لما كان الغدوا ليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو
 قال الزمخشري ويجوز ان يضمن الغدو معنى الاقبال أي فأقبلوا على حرككم (ان كنتم صارمين)
 أي مردين القطع وجواب الشرط دل عليه ما قبله أي فاغدوا ويجوز أن تكون ان المصدرية
 أي تنادوا بهذا الكلام * (تنبيه) * مقتضى كلام الزمخشري ان غدا متعدي في الاصل بالي
 فاحتاج الى تاويل فتدبره بعلي قال ابن عادل وفيه نظر لورود تعديه بعلي في غير موضع كقوله
 وقد أغدوا على ثبة * نشاوي واجدين لما نشاء

واذا كانوا قد غدوا امرادفه بعلي فليعدوه وقرأ أن اغدوا أبو عمرو وعاصم وحزة في الوصل بكسر
 النون والباقون يضعهاوا تنصقوا على الابتداء بالهمزة بالضم (فانطلقوا) أي فتسبب عن هذا الحث
 عليه كأنهم كانوا متبينين (وهم) أي والحال انهم (يتخافتون) أي يقولون في حال انطلاقتهم قولا

هو في غاية السر كما أنهم ذاهبون الى سرقه من دارهم في غاية الحراسة من الخفوت وهو الهود
وخفا وخفت وخفد ثلاثها في معنى الکتّم ومنه الخفدود للخفاس ثم قسر ما يتضاقنون به بقوله
تعالى (أن لا يدخلنها) وأن لا ههنا مقطوعة كما ترى وأكدوه لانه لا يصدق ان أحدا يصل الى
هذه الوفاة وان جذاذ يخلو من سائل (اليوم) أى في جميع النهار بما دل عليه نزع الخافض
لتكرروا عليه من اراوتفتشوه فلا تدعوا به غرة واحدة ولا موضعاً يطمع فيه أحد في قصدكم
(عليكم) وأنتم بها (مسكين) وهي نهى للمسكين في اللفظ للمبالغة في نهى أنفسهم أن لا يدعوه
يدخل عليهم أى لا يمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك لا أرى لك ههنا فقال لهم أوسطهم سنا
وخيرهم نفساً وأعدلهم طبعاً بما يدل عليه ما يأتي لا تقولوا هكذا وامنعوا من الاحسان ما كان
يصنع أبوكم قال البقاعي وكأنه طواه سبحانه لانه مع الدلالة عليه بما يأتي لم يؤثر شيئاً (وغدوا) أى
ساروا اليها غدوة (على حرد) أى منع للمساكين قال أبو عبيدة على حرد أى منع من حاردت الابل
حراد أى قل لبنها والحرد من النوق القليلة الدرو حاردت السنة قل مطرها وخيرها وقال
الشعبي وسفيان على حرق وغضب من المساكين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم على قدرة
(قادرين) عند أنفسهم على جنتهم ونجارتها لا يحول بينهم وبينها أحد أى بدليل عدم استئنائهم
فان الجزم على الفعل في المستقبل فضلا عن أن يكون مع الحلف فعل من لا كف له وقال الحسن
وقتادة على جد وجهه وقال القرطبي وعكرمة على أمر مجتمع ودل على قربها من منزلتهم بالقاء
فقال تعالى (فلما رأوها) أى بعد سير يسير وليس للزرع ولا للخراب أثر (قالوا ان الضالون) عن
طريق جنتنا لانها صارت لسهو حالها من ذلك الطائف بعيدة عن حال ما كانت عليه عند
نواذهم وتغيير نياتهم فأدهشهم منظرها وخبرهم خبرها وأكدوا لان ضلالهم لا يصدق مع قرب
عهدهم وكثرة ملابتهم لها وقوة معرفتهم بها ولما انجلي ما أدهشهم في الحال قالوا مضربين
عن الضلال (بل نحن محرومون) أى ثابت حرماننا ما كافيه من الخير الذي لم نغب عنه
الاسواد الليل فحرمنا الله تعالى اياه بجماع مناعليه من حرمان المساكين ان الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بانفسهم وقرأ المصنف كسائي بادغام اللام في التون والباقون بالاظهار (قال
أوسطهم) أى رأيا وعقلا وسنا وفضلا منكر اعليهم (ألم أقل لكم) أى ما فعلتموه لا ينبغي
وان الله تعالى بالمرصاد لمن غير ما في نفسه وحاد (لولا) أى هلا ولم لا (تسبحون) أى تستنذون فكان
استئناؤهم تسبيحا قال مجاهد وغيره وهذا يدل على ان هذا الاوسط كان يأمرهم بالاستئناء
فلم يطيعوه قال أبو صالح كان استئناؤهم سبحان الله فقال لهم هلا تسبحون الله أى تقولون
سبحان الله وتشكرونه على ما أعطاكم وقال النحاس أصل التسبيح التنزيه لله عز وجل فجعل
مجاهد التسبيح في موضع ان شاء الله لان المعنى تنزيه الله أن يكون شئ الا بمشيئته وقال الرازي
التسبيح عبارة عن تنزيهه عن كل سوء فلا يدخل شئ في الوجود على خلاف ارادة الله تعالى
لتسبب النقص الى قدرة الله تعالى فقولك ان شاء الله يزيل هذا النقص فكان ذلك تسبيحا
وقيل المعنى هلا تستغفرونه من فعلكم وتقولون اليه من خبت نيتكم قبل ان تقوم لما عزموا

على منع الزكاة فاعتروا بالمال والقوة قال لهم أوسطهم توبوا عن هذه المعصية قبل نزول العذاب
فلما رأوا العذاب ذكرهم أوسطهم كلامه الاقل وقال ألم أقل لكم لولا تسبحون فينتنشتغلوا
بالتوبة بأن (قالوا) أي من غير تعلم بما عاد عليهم من بركة أبيهم (سبحان ربنا) أي تنزه المحسن
إلينا التنزيه الا عظم أن يكون وقع منه فيما فعل بنا ظلم وأكاد وأقباحة فعلهم هضمنا لأنفسهم
وخضوعا لربهم وتحقيقا لتوبتهم بقولهم (انا كنا) أي بما في جيلتنا من الفساد (ظالمين) أي
مجاورين الحدود فيما فعلنا من التقاسم على منع المساكين وعلى جدها في الصباح من غير استئذان
(قأ قبل بعضهم) أي في الحال مبادرة في الخضوع (على بعض يتلاومون) أي يلوم بعضهم بعضا
يقول هذا هذا أنت أشرت علينا بهذا الرأي ويقول ذلك هذا أنت الذي خوّفتنا بالفقر ويقول
الثالث لغيره أنت رغبتني في جمع المال ثم نادوا على أنفسهم بالويل بأن (قالوا) منادين لما شغلهم
قربه منهم وملازمته لهم عن كل شيء (يا ويلنا) أي هذا وقت حضورك أيها الويل إيانا ومنادمتك
لنا فانه لاندیم لنا الآن غيرك والويل الهلاك والاشراف عليه (انا كنا) أي جبلة وطبعا
(طاعين) أي عاصين بمنع حق الفقراء وترك الاستئذان وقال ابن كيسان طاعين نعم الله فلم
تشكرها كما شكرها آباؤنا من قبل ثم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا (عسى ربنا) أي الذي أحسن
إلينا بتربية هذه الجنة واهلاك ثمرها الآن تأديا لنا (أن يد لنا) من جنتنا شيئا (خير امنها) يقيم
لنا أمر معاشنا فنقلب أحوالنا هذه التي نحن فيها من الهموم والبذاهة بسرور وبذاهة وقرأ
نافع وأبو عمرو بفتح الباء الموحدة وتشديد الدال والباقون بسكون الموحدة وتخفيف الدال
(انا إلى ربنا) أي المحسن إلينا والمربي لنا بالايحادي ثم الإبقاء خاصة لا إلى غيره (راغبون) أي ثابتة
ورغبتنا ورجاؤنا للخير والاکرام وقد قيل إن الله تعالى قبل رجوعهم وأخلف عليهم فأبذلهم الجنة
يقال لها الحيوان كان القطف الواحد منها يحمل مائة من كبره البغل رواه البغوي
عن ابن مسعود وقال أبو خالد الليثاني دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل
الاسود القائم وقال الحسن قول أهل الجنة انا إلى ربنا راغبون لا أدري إيماننا كان ذلك منهم
أو على حد ما يكون من المشركين إذا أصابتهم الشدة فتوقف في كونهم مؤمنين وسئل قتادة
عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار قال لقد كافتني تعبوا ولا كثرون يقولون
انهم تابوا وأخلصوا أحكام القشيري * ولما كان المقام لترهيب من ركن إلى ماله واحتقر الضعفاء
من عباد الله تعالى ولم يجعلهم بجلاله طوي ذكر ما أنعم به عليهم وذكر ما يخوفهم فقال تعالى مرها
(كذلك) أي مثل هذا الذي بلونا به أصحاب الجنة من اهلاك ما كان عند أنفسهم في غاية
القدرة عليه والثقة به مع الاستحسان لفعلهم والاستصواب وهددنا به أهل مكة فلم يبادروا
إلى التائب (العذاب) أي الذي نحذرهم منه ونخوفهم به في الدنيا فاذا تم الاجل الذي قدرنا له
أخذناهم به غير مستعجلين ولا مضطرين لانه لا يجعل الا ناقص يضاف القوت (ولعذاب الآخرة)
أي الذي يكون فيها للعصاة (أكبر) أي من كل ما يتوهمون (لو كانوا) أي الكفار (يعلمون)
أي لو كان لهم علم بشئ من غرائزهم في وقت من الاوقات لرجعوا عما هم فيه * ولما ذكر

ما لاهل الجود الذين لا يجوزون المـ كنات ذكر تعالى أضدادهم فقال تعالى مؤكدا لا جل
 انكارهم (ان للمتقين) أى العريقين فى صفة التقوى (عند ربهم) أى المحسن اليهم فى موضع
 دوم أولئك وجنة آمالهم (جنات) جمع جنة وهى لغة البستان الجامع وفى عرف الشرع
 مكان اجتمع فيه جميع السرور وانتفى عنه جميع الشرور (النعيم) أى جنات ليس فيها الا النعيم
 الخالص لا يشوبه ما ينغصه كإيشـ وب جنات الدنيا قال مقاتل لما نزلت هذه الآية قال
 كفار مكة للمسلمين ان الله تعالى فضلنا عليكم فى الدنيا فلا بد وأن يفضلنا عليكم فى الآخرة
 فان لم يحصل التفضيل فلا أقل من المساواة فأجابهم الله تعالى بقوله سبحانه (أفجعل المسلمين)
 أى الذين هم عريقون فى الانقياد لاوامرنا والصلة لما أمرنا بوصله طلبا لمرضاتنا فلا اختيار
 لهم معنأى نفس ولا غيرها الحسن جبلاهمـم (كالمجرمين) أى الراضين فى قطع ما أمرنا به
 أن يوصل وأنتم لا تقرّون بمثله فى ذلك انكارا لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون أيضا ان صح
 اتنا بعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون أحسن حالا منهم كما نحن عليه فى الدنيا
 وقوله تعالى (مالككم) أى أى شئ يحصل لكم من هذه الاحكام الجائرة البعيدة عن الصواب
 (كيف تحكمون) أى أى عقل دعاكم الى هذا الحكم الذى يتضمن التسوية من السيديين
 المحسن من عبده والمسى مع التفاوت فيه تعجب من حكمهم واستبعادله واشعار بأنه صادر عن
 اختلال فكر واعوجاج رأى (أم) أى بل أ (لكم كتاب) أى سماوى معروف أنه من عند الله
 خاص بكم (فيه) أى لا فى غيره من أساطير الاولين (تدرسون) أى تقرؤون قراءة أفقنتكم
 (ان لكم) أى خاصة على وجه التأكد الذى لا رخصة فى تركه (لما تحيرون) أى ما تختارونه
 وتشتهونه وكسرت وكان حقها الفتح لولا اللام لان ما بعد هاء هو المدروس ويجوز أن تكون
 الجملة حكاية للمدروس وأن تكون استئنافية (أم لكم أيمان) أى عهد وموآثيق (علينا)
 قد حلقونا ياها (بالغة) أى واثقة نعت لايمان وقوله تعالى (الى يوم القيامة) متعلق بما يتعلق به
 لكم من الاستقرار أى ثابتة لكم الى يوم القيامة أى مبالغة أى تبلغ الى ذلك اليوم وتنتهى اليه
 وقوله تعالى (ان لكم لما تحكمون) جواب القسم لان معنى أم لكم أيمان علينا أى أقسمنا
 لكم ولما يحب منهم وتهكم بهم ذيل ذلك يتكلم أعلى منه يكشف عوارهم غاية الكشف فقال
 تعالى (سلهم) يا أشرف الرسل (أيهم بذلك) أى الامر العظيم الذى يحكمون به لانفسهم من
 أنهم يعطون فى الآخرة أفضل من المؤمنين (زعيم) أى كفيل وضامن أو سيد أو رئيس أو متكلم
 بحق أو باطل التزم فى ادعائه صحة ذلك (أم لهم شركاء) موافقون لهم فى هذا القول يكفلونه
 لهم فان كانوا كذلك (فليأتوا بشركائهم) أى الكافلين لهم به (ان كانوا صادقين) أى عريقين
 فى هذا الوصف كما يدعونه وقوله تعالى (يوم) منصوب بقوله تعالى فليأتوا أى فليأتوا
 بشركائهم يوم (يكشف) أى يحصل الكشف فيه بنى للمفعول لان الخيف وقوع الكشف
 الذى هو كناية عن تفاقم الامر وخروجه عن حد الطوفى لا كونه من معين مع أنه من المعلوم أنه
 لا فاعل هناك غيره سبحانه وتعالى (عن ساق) أى يشتد فيه الامر غاية الاشتداد لان من اشتد

عليه الامر وجد في فصله شمر عن ساقه لاجله وشمرت حرمه عن سوتهن غير محتشمات فهو كناية
عن هذا واذكركم تهويله وتعظيم انقل هذا التأويل عن ابن عباس وسعيد بن جبير
وغيرهما وعن انكشاف جميع الخلائق وظهور الجلائل فيه والدقائق من الاله والوهاب
كما كشفت هذه الايات جميع الشبه فتركت السامع لها في مثل ضوء النهار ويجوز ان يكون
منصوبا باضمار اذ كرفيكون على هذا مفعولا به وعلى الاقل لا يوقف على صديقين * (تنبيه) *
علم مما تقررات كشف الساق كناية عن الشدة قال الرازي

عجبت من نفسي ومن اشفاقها * ومن طرادى الطير عن أرزاقها
في سنة قد كشفت عن ساقها * حراء تبرى اللحم عن عراقها
* (وقال الطائي) *

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا
* (وقال آخر) *

قد شمرت عن ساقها فشدوا * وجدت الحرب بكم فجذوا

وقال أبو عبيدة اذا اشتد الامر أو الحرب قيل كشف الامر عن ساقه والاصل فيه أن من وقع
في شيء يحتاج فيه الى الجهد شمر عن ساقه فاستعير الساق والكشف عنها في موضع الشدة وقال
القرطبي وأما ما روى أن الله تعالى يكشف عن ساقه فانه تعالى متعال عن الاعضاء والابحاض
وأن ينكشف ويتغطى ومعناه أن يكشف عن العظيم من أمره وقيل يكشف عن نوره عز وجل
وروى أبو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى عن ساق قال يكشف عن نور عظيم
يخزون له سجدا وروى أبو بردة عن أبي موسى قال حدثني أبو موسى قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا فيذهب كل
قوم الى ما كانوا يعبدون ويبقى أهل التوحيد فيقال لهم ما تنتظرون وقد ذهب الناس فبقولون
ان لنا رباً كنا نعبد في الدنيا ولم نره قال أو تعرفونه اذا رأيتموه فيقولون نعم فيقال فكيف تعرفونه
ولم تروه قالوا انه لاشبهه فيكشف لهم الحجاب فينظرون الله تعالى فيخزون له سجدا ويبقى أقوام
ظهورهم كصياصي البقر فينظرون الى الله تعالى فيريدون العبود فلا يستطيعون فذلك قوله
تعالى يوم يكشف عن ساق (ويدعون) أي من داعى الملك الديان (الى السجود) توبيخا على
تركه الآن وتنديما وتعنيفا لا تعبدوا وتكليفاً فيريدونه ليعبدوا أنفسهم مما يرون من المخاوف
(فلا) أي فتسبب عن ذلك انهم لا (يستطيعون) لانهم غير سامعين لأعضاءهم تنقاد به مع شدة
معالجتهم لانفسهم فيقول الله تعالى أي للساجدين عبادي ارفعوا رؤسكم فقد جعلت بدل
كل رجل منكم رجلا من اليهود والنصارى في النار قال أبو بردة فحدثت هذا الحديث هـ
ابن عبد العزيز فقال لي والله الذي لا اله الا هو لقد حدثك أبو ليث بهذا الحديث فخاف له ثلاثة أيمان
فقال ما سمعت في أهل التوحيد حديثا هو أحب الى من هذا الحديث وأما غير الساجدين
فمن ابن مسعود تعظم أصلا بهم أي ترتفع مقامها بلام فاصل لا تتنى عند الرفع والخفض

وفي الحديث وثبت أصلاهم طبقا واحدا أي فتارة واحدة وقوله تعالى (شاشعة) حال من
 مرفوع يدعون وقوله تعالى (أبصارهم) فاعل به ونسب الخشوع للإبصار لأن ما في القلب يعرف
 في العين وذلك أن المؤمنين يرفعون رؤسهم من السجود ووجوههم أضواء من الشمس ووجوه
 الكافرين والمنافقين سود مظلمة (ترهقهم) أي تفشاهم (ذلة) أي عظيمة لأنهم استسلموا
 الأعضاء التي أعطاها الله سبحانه ليتقربوا بها إليه في دار العمل في غير طاعته (وقد) أي
 والحال أنهم قد (كانوا يدعون إلى السجود) أي في الدنيا من كل داع يدعو إلينا وقال
 إبراهيم التيمي أي يدعون بالأذان والاقامة فيأبون وقوله تعالى (وهم سالمون) أي معافون
 أصحاء حال من مرفوع يدعون الثانية وقال سعيد بن جبير كانوا يسمعون حتى على الفلاح
 فلا يجيبون وقال كعب الأحبار والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتلفون عن الجماعات
 * ولما خوف الكفار بعظمة يوم القيامة زاد في التخويف بما عنده وفي قدرته فقال تعالى لنبيه
 صلى الله عليه وسلم (قد رني) أي أتركني على أي حالة اتفقت (ومن يكذب) أي يوقع
 التكذيب لمن يتلو ما جددت أنزاله من كلامي القديم على أي حالة كان إيقاعه وأفرد الضمير
 نصا على أنه يد كل واحد من المكذبين (بهذا الحديث) أي القرآن أي خل بيني وبينهم لا تشغل
 قلبك به فإني أكفيك أمره لأنه لا مانع منه فلا تهتم به أصلا (سنستدرجهم) أي سنأخذهم
 بعظمتنا على التدرج لا على غرة إلى عذاب لا شك فيه (من حيث) أي من جهات (لا يعلمون)
 أي لا يتجدد لهم علم بما في وقت من الاوقات فعذبوا يوم بدر وقال أبو روق كلما أحدثوا خطيئة
 جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار وقال سفيان الثوري نسبغ عليهم النعم ونسيهم الشكر
 وقال الحسن كم مستدرج بالاحسان إليه وكم مقتون بالثناء عليه وكم مغرور بالستر عليه وقال
 ابن عباس سنكربهم وروى أن رجلا من بني إسرائيل قال يارب كم أعصيت وأنت لاتعاقبني
 فأوحى الله إلى نبي زمانهم أن قل له كم من عقوبة لي عليك وأنت لاتشعرا أن جود عيبيك وفساوة
 قلبك استدراج مني وعقوبة لو عقلت والاستدراج ترك المعاجلة وأصله النقل من حال إلى حال
 كالتدرج ومنه قيل درجات وهي منزلة بعد منزلة واستدرج فلان فلانا أي استخرج ما عنده
 قليلا قليلا ويقال درجه إلى كذا واستدرجه معناه أدناه منه على التدرج فتدرج ومعنى
 الآية أنما أنعمنا عليهم اعتقدوا أن ذلك الانعام تفضيل لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة
 والواقع سبب لهلاكهم (وأمل لهم) أي أمهلهم وأطيل المدة كقوله تعالى انما على لهم ليندادوا
 انما والملاوة المدة من الدهر وأمل الله أي أطال له والملاوان الليل والنهار وقيل لا أعاجلهم
 بالموت والمعنى واحد والملاوة قصورا الارض الواسعة سميت بها لامتدادها (أن كيدى) أي
 ستري لأسباب الهلاك عن أريدا هلاكه وأبداني ذلك في ملابس الاحسان (متين) أي قوى
 شديد فلا يفوتني أحد وسمى احسانه كيدا كما سله استدراجا لكونه في صورة الكيد ووصفه
 بالمثابة لقوة أثر استحسانه في التسبب للهلاك (أم تسألهم) أي أنت يا أعف الخلق وأعلامهم همما
 (أجرا) على تبليغ الرسالة (فهم) أي فتسبب عن ذلك وتعقب انهم (من مغرم) أي غرامة

كافتم بها (منقولون) أي نقل من الغرامات عليهم في بذل المال فبسطهم ذلك عن الإيمان
والمعنى ليس عليهم كافة في متابعتك بل يستولون بالإيمان على خزان الأرض ويصلون إلى جنات
النعيم (أم عندهم) أي خاصة (الغيب) أي علمه من اللوح المحفوظ أو غيره (فهم) أي بسبب
ذلك (يكتبون) أي ما يريدون منه ليكونوا قد اطلعوا على أدبه هذا الذي ليس من عنده الله
وأناهم لا أدركه عليهم في التكذيب به فقد علم من هذا أنهم لا شهوة لهم في ذلك عادة ولا شهوة
وأنا كيدهم مجرّد خبث طباع وظلمة نفوس وأمانى قارعة وأطماع (فأصبر) أي أوقع الصبر
وأوجده على كل ما يقولونه فيك وعلى غير ذلك من كل ما يقع منهم ومن غيرهم من مخر القضاة
(الحكم ربك) أي القضاء الذي قضاؤه وقدره المحسن اليك الذي أكرمك بما أكرمك به من الرسالة
والزمت بما ألزمتك من البلاغ وخذلهم بالتكذيب ومذلهم على ذلك في الأجل وأسبغ عليهم
النعم وأخر ما وعدك به من النصر وقال ابن بحر فأصبر لنصر ربك وقيل إن ذلك منسوخ
بآية السيف وقال قتادة إن الله تعالى يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم ويأمره بالصبر ولا يجعل
(ولا تكن) أي ولا يكن حالك يا أشرف الخلق في الضجر والجملة (كصاحب) أي كحال صاحب
(الحوت) وهو يونس عليه السلام وقوله تعالى (إذ) منصوب بضاف محذوف أي ولا يكن
حالك كحال أوقصتك كقصته حين (نادى) أي ربه في الظلمات من بطن الحوت وظلمة ما يحيط به
من الجثث وظلمة اللجج لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ويدل على المحذوف
أن الذوات لا ينصب عليها النسيانما ينصب على أحوالها وصفاتها وقوله تعالى (وهو مكطوم)
جملة حاله من الضمير من نادى والمكطوم الممتلئ حزناً وغبطاً ومنه كظم السقاء إذا ملاء
قال ذو الرمة

وأنت من حبى مضر حزناً * غالى الفؤاد قريح القلب مكطوم
وقال القرطبي ومعنى وهو مكطوم أي ملؤ غماً وقيل كريباً فالأول قول ابن عباس ومجاهد والثاني
قول عطاء وأبي مالك قال الماوردي والفرق بينهما أن الغم في القلب والكرب في الانفاس
وقيل مكطوم محبوس والـ كظم الحبس ومنه قولهم كظم غيظه أي حبس غضبه والمعنى
لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبلى بيلانه ولما تشوف السامع إلى ما كان
من أمره بعده هذا الأمر العجيب قال تعالى (لولا أن تداركه) أي أدركه ادراكاً عظيماً (نعمة)
أي عظيمة جداً (تنبيه) حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه (من ربه) أي الذي
أحسن إليه بإرساله وتمذييه للرسالة والتوبة عليه والرجة وقال الفضل النعمة هنا النبوة
وقال ابن جبير عبادته التي سلفت وقال ابن زيد أدؤه بقوله لا اله الا أنت سبحانك اني كنت
من الظالمين وقال ابن جرير أخرجه من بطن الحوت وقوله تعالى (لتبذ) أي لولا هذه الحالة
السنية التي أنعم الله تعالى عليه بالطرح طر حائناً جداً (بالغراء) أي الأرض الفقراء الواسعة
التي لا بناء فيها ولا جبال ولا نبات البعيدة عن الأنس جواب لولا وقيل جوابها مقدراً لولا هذه
النعمة لبقي في بطن الحوت (وهو) أي والحال أنه (مذموم) أي ملوم على الذنب وقيل مبعده

من كل خير وقال الرازي وهو مذموم على كونه فاعلا للذنب قال والجواب من ثلاثة أوجه
 الأول ان كلمة لولادة على أن هذه المذمومة لم تحصل الثاني لعل المراد من المذمومة
 ترك الافضل فان حسنات الابرار سيئات المقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة
 لقوله تعالى (فاجتبه) أي اختاره لرسالته (ربه) والفاء للتعقيب قبل أن هذه الآية نزلت
 بأحد حين حل برسول الله صلى الله عليه وسلم ماحل فأراد أن يدعو على الذين انهمزوا وقيل
 حين أراد أن يدعو على ثقيف ثم سبب عن اجتباؤه قوله تعالى (فجعله من الصالحين) أي الذين
 وسخو في رتبة الصلاح فصلحوا في أنفسهم للنبوة والرسالة وصلح بهم غيرهم فنبذ حينئذ بالعراء
 وهو محمود قال ابن عباس رداً لله تعالى إليه الوحي وشذعه في نفسه وفي قومه وقبل نوبته وجعله
 من الصالحين بأن أرسله إلى مائة ألف أو يزيدون بسبب صبره فمن صبراً أعظم من صبره كان أعظم
 أجراً من أجره وأنت كذلك فأنت أشرف العالمين * (تنبيه) استدلال أهل السنة على أن فعل
 العبد خلق لله تعالى بقوله سبحانه فجعله من الصالحين لأن الصلاح انما حصل بجعل الله تعالى
 وخلقه وقال الجبائي يحتمل أن يكون معني جعل أنه أخبر بذلك ويحتمل أن يكون لطف به حتى
 صلح اذ الجعل يستعمل في اللغة في هذه المعاني والجواب أن ذلك مجاز ولا اصل في الكلام
 الحقيقة (وان) هي المحققة أي وانه (يكاد الذين كفروا) أي ستروا ما قدروا عليه مما جئت به
 من الدلائل وأظهروا موضع الاضرار تعميماً وتعليقاً بالحكم بالوصف * ولما كانت ان محققة
 أقي باللام التي هي علمها فقال (ليزافونك بأبصارهم) أي يتطرون إليك نظراً شديداً يكاد
 أن يصرعك من قامتك إلى الأرض كما يزلق الانسان فينطرح لما يترأى في عبونهم
 أو يهلكونك من قوله لم نظروا إلى نظراً يكاد يصرعني ويكادياً كلني أي لو أمكنه بنظره الصرع
 أو الاكل لفعل قال القائل

يقارضون اذا التقوا في موطن * نظرا يزل مواطئ الاقدام

وقيل أرادوا أن يصيبوه بالعين فنظر اليه قوم من قريش وقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حجمه
 وقيل كانت العين في بني اسرائيل فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام فلا يتر به شيء فيقول
 لم أرك اليوم مثله الا عانه حتى ان البقرة السمينة أو الناقة السمينة تمر بأحدهم فيعابنها ثم يقول
 يا جارية خذي المكمل والدرهم فانتينان لحم هذه الناقة فانه يرح الناقة حتى تقع للموت فتتحرر
 وقال الكلبي كان رجل من العرب يمكث لا يأكل شيئاً يومين أو ثلاثة ثم يرفع جانب الخباء فتقر به
 الابل أو الغنم فيقول لم أرك اليوم ابلا ولا غنماً أحسن من هذه فلا تذهب الا قليلاً حتى تسقط منها
 طائفة هالكة فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فأجابهم
 فلما مر النبي صلى الله عليه وسلم أنشد

قد كان قومك يحسبونك سيئاً * واخال انك سيد معيون

فعصم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ونزلت هذه الآية وذكر الماوردي ان العرب كانت
 اذا أراد أحدهم أن يصيب أحداً بعين في نفسه أو ماله يجوع ثلاثة أيام ثم تعرض لنفسه وماله

فيقول تالله ما رأيت أقوى منه ولا أشجع ولا أكبر منه ولا أحسن فيصيبه بعينه فيمك هو وماله
 فأنزل الله تعالى هذه الآية وروى أبو نعيم أنه صلى الله عليه وسلم قال إن العين لتدخل الرجل
 القبر والجل القدر وعن أسماء بنت عميس قالت يا رسول الله إن في جعفر نصيبهم العين أفأسترق
 لهم قال نعم فلو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين وقال الحسن دواء الإصابة بالعين أن تقرأ
 هذه الآية وقرأ نافع بفتح الباء والباءون بضمها وهما الغتان يقال زلقه زلقاً وأزلقه زلقه
 أزلاقاً وقال ابن قتيبة ليس يريد أنهم يصيبونك بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يحببه
 وأما أراد أنهم يتظرون إليك (لما هو الذكر) أي القرآن نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء
 يكاد يقطعك وقال الزجاج يعني من شدة عداوتهم يكادون ينظرونهم نظراً البغضاء أن يصرعوك
 (ويقولون) أي قولاً لا يزالون يجدونه حَسِداً وبغضاً على أنهم لم يزددهم عداوى الزمان إلا حنقا
 (أنه لجنون) أي ينسبونه إلى الجنون إذا سمعوه يقرأ القرآن فأجابهم الله تعالى بقوله سبحانه
 (وما هو) أي القرآن (الذكر للعالمين) قال ابن عباس موعظة للمؤمنين قال الجلال الهلي
 الأنس والجن وظاهروا خراج الملائكة وهو ما جرى عليه في شرحه على جمع الجوامع وظاهر
 الآية أنه أرسل لجميع الخلائق وهو كما قال بعض المتأخرين الظاهر ويدل له قول البيضاوي
 لما جنوه لأجل القرآن بين أنه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه إلا من كان أكمل الناس عقلاً وأثبتهم
 رأياً وقول البيضاوي تعالى لم يخش من النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة القلم أعطاه
 الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم حديثه وضوع

﴿سورة الحاقة مكية﴾

وهي اثنان وخمسون آية وألف وأربعة وستون حرفاً

(بسم الله) أي الذي له الكمال كله (الرحمن) الذي عمّ العالمين بجلوه (الرحيم) الذي خص
 أهل وده بالوقوف عند حدوده وقوله تعالى (الحاقة) مبتدأ وقوله تعالى (ما الحاقة) مبتدأ
 وخبر والجملة خبر الأول والاصل الحاقة ما هي أي شيء هي تفخيم شأنها وتعظيم أهولها
 فوضع الظاهر موضع المضمر لانه أهول لها والحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة الجي
 التي هي آتية لا ريب فيها أو التي فيها حواقي الأمور من البعث والحساب والثواب والعقاب
 أو التي تحقق فيها الأمور أي تعرف على الحقيقة من قولك لا أحق هذا أي لا أعرف - فبقية جعل
 الفعل لها وهولها وقيل سميت القيامة بذلك لأنها أحقت لأقوام الجنة ولأقوام النار
 وقوله تعالى (وما أدراك) أي شيء أعلمك (ما الحاقة) زيادة تعظيم شأنها فالأولى مبتدأ
 وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لا أدري يعني أنك لا علم لك بكنهها
 ومدى عظمها على أنه من العظم والثقة بحيث لا يافقه دراية أحد ولا وهمه والنبي صلى الله
 عليه وسلم كان عالماً بالقيامة ولكن لا علم له بكنهها وصفتها فقبل له ذلك تفخيماً لشأنها كأنك
 لست تعلمها إذ لم تعالينها وقال يحيى بن سلام بلغني أن كل شيء في القرآن وما أدراكه - ددراه

وعلمه وكل شيء قال وما يدريك فانه مما لم يعلمه وقال سفيان بن عيينة كل شيء قال فيه وما أدراك فانه أخبر به وكل شيء قال فيه وما يدريك فانه لم يخبر به وقرأ أبو عمرو وشعبة وحجة والكسائي وابن ذكوان بخلاف عنه بالامالة وورش بين اللظين والباقون بالفتح ولما ذكر الساعة ونغمها أتبع ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لأهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم فقال تعالى (كذبت غود) قدمهم لأن بلادهم أقرب إلى قريش وواعظ القريب أكبر وأهلا كههم بالصيحة وهي أشبه بصيحة النفخ في الصور المبعثرة لما في القبور (وعاد بالقارعة) أي القيامة سميت بذلك لأنها تفرع قلوب العباد بالمهاقة أو لأنها تفرع الناس بأحوالها يقال أصابهم قوارع الدهر أي أهواله وشدائده وقوارع القرآن الآيات التي يقرؤها الإنسان إذا فرغ من الإنس والجن نحو آية الكرسي كأنه يفرع الشيطان بها وقال المبرد القارعة مأخوذة من القرعة من رفع قوم وخط آخرين وقوارع القيامة انفطار السماء بانشقاقها والارض والجبال بالدك والقسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضع موضع الضمير لتدل على معنى الفرع في الهاقة زيادة في وصف شدتها وقيل عنى بالقارعة العذاب الذي نزل بهم في الدنيا وكان نبيهم يخوفهم بذلك فيكذبونه وغود قوم صالح وكانت منازلهم بالجعر فمابين الشام والحجاز قال ابن اسحق وهو وادي القرى وكانوا عربا وأما عاد فقوم هود وكانت منازلهم بالاحقاف رمل بين عمان إلى حضرموت واليمن كله وكانوا عربا ذوى بسطة في الخلق (فأما غود فأهلكوا) أي بأيسر أمر من أواخرنا (بالطاغية) أي الواقعة التي جاوزت الحد في الشدة فرجفت منها القلوب واختلف فيها فقيهي الربيعة وعن ابن عباس الصاعقة وعن قتادة بعث الله تعالى عليهم صيحة فأهدتهم وقال مجاهد بالذنوب وقال الحسن بالطغيان فهو مصدر كالكاذبة والعاقبة أي أهلكوا بطغيانهم وكفرهم قال الزمخشري وليس بذلك لعدم الطباق بينها وبين قوله تعالى بريح صرصر لكن قال ابن عادل ويوضحه كذبت غود بطغواها أهلكوا بها ولاجلها قال والباء سببية على الأقوال كلها الأعلى قول قتادة فأنهم للاستعانة كعملت بالقدم (وأما عاد فأهلكوا) أي بأشق ما يكون عليهم وبأيسر ما يكون علينا (بريح صرصر) أي شديدة الصوت لها صرصرة وقيل هي الباردة من الصرر كأنها التي كثر فيها البرد وكثر فهي تحرق بشدة بردها وقال مجاهد هي الشديدة السموم (عائية) أي مجاوزة للحد في شدة عصفها والعتواء استمارة أو عنت على عاد فادروا على ردها بجيلة من استتار بيناء أولياد بجبل أو اختفاء في حفرة فأنها كانت تنزعهم من مكانهم وتهلكهم وقيل عنت على خزائنها فخرجت بلا كيل ولا وزن وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ما أرسل الله تعالى سفينة من ريح إلا بمكيل ولا قطرة من مطر إلا بمكيل اليوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وإن الريح يوم عاد عنت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ بريح صرصر عاتية (مضرها) أرسلها (عليهم) وقال مقاتل رضى الله عنه سلطها عليهم (سبع ليال) أي لا تفتقر فيها الريح لحظة (ونحن أيام) كذلك قال وهب هي الأيام

التي تسميها العرب الهجوز ذات برد وريح شديدة قيل سميت هجوزا لانها في هجر الشتاء وقيل سميت
بذلك لان هجوزا من قوم عاد دخلت سر يا فتبعها الريح ففتحتها اليوم الثامن من نزول العذاب
وانقطع العذاب (حسوما) قال مجاهد وقتادة رضى الله عنهما متتابعة ليس فيها فترة فعلى هذا
هو من حسم الكى وهو أن يتابع على موضع الداء المكواة حتى يبرأ ثم قيل لكل شئ يقطع حسم
وجعه حسوم مثل شاهد وشهود وقال الكلبي حسوما دائما وقال النضر بن شميل حسمتهم
قطعتهم وأهلكتهم والحسم القطع والمنع ومنه حسم الداء وقال عطية حسوما شوما كأنها
سمت الخمر عن أهلها (تنبيه) في اعراب حسوما أوجه أحدها أن يتصب نعتا لما قبله
ثانيها أن يتصب على الحال أى ذات حسوم ثالثها أن يتصب على المصدر بفعل من لفظها أى
تحمهم حسوما واختلفوا في أولها فقال السدي غداة يوم الاحد وقال الريح بن أنس رضى
الله عنه غداة يوم الجمعة وقال يحيى بن سلام ووهب بن منبه رضى الله عنهم غداة يوم الاربعاء
وهو اليوم النصف المستقر قيل كان آخر أربعاء في السنة وآخرها يوم الاربعاء وقال البقاعي وهي
من صبيحة الاربعاء لثمان بقين من شوال غروب الاربعاء الآخر وهو آخر الشهر وقد لزمت من
زيادة عدد الايام أن الابتداء كان بها قطعاً والام تكن الليالي سبعة فتمل ذلك اه وهو ظاهر
ولما كان الحاسم المهلك تسبب عنه قوله تعالى مصورا لحالهم الماضية (فترى القوم) أى الذين
هم غاية في القدوة على ما يحا ولونه (فيها) أى تلك المدة من الايام والليالي لم يأتوا أحد منهم عنهم
(صرعى) أى مجتهدين على الارض موفى جمع صريع وهي حال نحو قيل وقتلى وجريح وجرحى
والضمير فيها للايام والليالي كما مرأ والليوت أول الريح قال ابن عادل والاول أظهر لقربه
(كانهم أجهان) أى أصول (نخل) قد شاخت وهرمت فهي في غاية العجز (خاوية) أى متأكلة
الاجواف ساقطة من خوى الجسم اذا سقط للغروب ومن خوى المنزل اذا خلا من قطانه قالوا
كانت تدخل من أفواههم فتخرج ما في أجوافهم من الحشوم أدبارهم والوصف بذلك لعظم
أجسامهم وتقطيع الريح لهم وقطعها رؤسهم وخلوهم من الحياة وتسويدها لهم (فهل ترى)
أى أيها المخاطب الخبير بالناس في جميع الاقطار (لهم) أى خصوصا وأغرق في التني وعبر
بالمصدر المحقق بالهاء مبالغة فقال تعالى (من باقية) فيكون المراد بالباقية البقاء كالطاغية بمعنى
الظفيران أى من باق والاحسن أن تكون صفة لفرقة أو لطائفة أو نفس أو بقية أو نحو ذلك
وقيل فاعله بمعنى المصدر كالعافية والباقية قال المفسرون والمعنى هل ترى لهم أحد باقيا قال
ابن جرير كانوا سبع ليال وثمانية أيام أحياء في عذاب الله تعالى من الريح فلما أمسوا في اليوم
الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فآلقتهم في البحر فذلك قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وقوله
تعالى فأصبحوا لا ترى الامساكهم ونجي الله تعالى صالحا عليه السلام ومن آمن به من
بين عمود ولم تضرهم الساعة وهو داعية السلام ومن آمن به من عاد ولم يهلك منهم أحد
فدل ذلك دلالة واضحة على أن له تعالى تمام العلم بالجزئيات كما أن له تمام الاحاطة بالكليات
وعلى قدرته واختياره وحكمته فلا يجعل المسلم كالجرم ولا المسي كالحسن وجواب هل لم يبق

منهم أحد (وجاء فرعون) أي الذي ~~كان~~ طاعة من الأرض وقبحر وادعى الإلهية
 ناسيا نعمتنا وقدرتنا وقوله تعالى (ومن قبله) قرأ أبو عمرو والكسائي بكسر القاف وفتح الباء
 الموحدة أي ومن عنده من اتباعه وقرأ الباقون بفتح القاف وسكون الباء الموحدة على أنه
 ظرف أي ومن تقدمه من الأمم الكافرة (والموتفكات) أي أهلكتها وهي قرى قوم لوط أي
 المنقلبات بأهلها حتى صار عاليها سافلها لما حصل لأهلها من الانقلاب (بالمطاطنة) أي بالفتلات
 ذات الخطأ الذي يخطئ منها إلى نفس الفعل القبيح من اللواط والصفع والضراط مع الشرب
 وغير ذلك من أنواع الفسق. ولما كانت الرسل كالفردي الواحد لا تفاقمهم وتعاضدهم في الدعاء إلى
 الله تعالى والجل على طاعته قال مسيبا عن مجيئهم بذلك موحد في اللفظ ما هو صالح لكثير بأداة
 الجنس (فعضوا) أي خالفوا (رسول ربهم) أي خالفت كل أمة من أرسله المحسن إليها بآدائها
 من العدم وايداعها القوى وترزيقها وبعث رسوله الإرشادها اغترارها بحسانه ولم يجوزوا
 أن المحسن يقدر على الضر كما قدر على النفع لانه الضار كما أنه النافع فالتقبيح على مثل ذلك
 لا يجوز فصل أحد الأسمين عن الآخر وسبب عن العصيان قوله تعالى (فأخذهم) أي ربهم أخذ
 قهر و غضب (أخذة) لم يبق من أمة منهم أحد ممن كذب الرسول فلم يكن كمن ينصر على عدو من
 المؤمنين لا بد أن يفوته كثير منهم وإن اجتهد في الطلب وما ذاك إلا لتمام علم سبحانه بالجزئيات
 والكليات وشمول قدرته وتلك الأخذ مع كونها بهذه العظمة من أنها أخذتهم كنفس واحدة
 جعلها سبحانه (راية) أي عالية عليهم زائدة في الشدة على غيرها وعلى عذاب الأمم يقال ربا الشيء
 يربو إذا زاد ومنه الربا إذا أخذ في الذهب والفضة أكثر مما أعطى والمعنى أنها كانت زائدة
 في الشدة على عقوبات سائر الكفار كما أن أفعالهم كانت زائدة في القبح على أفعال سائر الكفار
 وقيل لأن عقوبة آل فرعون متعلقة بعذاب الآخرة لقوله تعالى أغرقوا فادخلوا ناراً وعقوبة
 الآخرة أشد من عقوبة الدنيا فلك العقوبة كانت كأنها نحو وترجوه ثم ذكر تعالى قصة قوم نوح
 عليه السلام وهي قوله تعالى (أنا) أي على عظمتنا (الماطني الماء) أي زاد على المحدثي علا على
 أعلى جبل في الأرض بقدر ما يفرق من كان عليه حين أغرقنا قوم نوح عليه السلام به فلم يطبقوا
 ضبطه ولا فور به وجه من الوجوه وقال صلى الله عليه وسلم طغى على خزانه من الملائكة غضبا لربه
 تعالى فلم يدر واهل حبه قال المفسرون زاد على كل شيء خمسمائة ذراع وقال ابن عباس رضي
 الله عنهما طغى الماء زمن نوح عليه السلام على خزانه فكثير عليهم فلم يدروا كم خرج وليس من
 الماء قطرة تنزل قبله ولا بعده إلا بكل معلوم غير ذلك اليوم والمقصود من قصص هذه الأمم وذكر
 ما حل بهم من العذاب زجر هذه الأمة عن الاقتداء بهم في معصية الرسول ثم من الله عليهم بأن
 جعلهم ذريتين نجي من الفرق بقوله تعالى (جعلناكم) أي في ظهور آباءكم (في الجارية) أي
 السفينة التي جعلناها بحكمنا عريضة في البحر يان حتى كانه لا جارية غيرها على وجه الماء الذي
 جعلنا من شأنه الأخراف والمحمول في الجارية إنما هو نوح عليه السلام وأولاده وكل من على
 وجه الأرض من نسل أولئك والجارية من أسماء السفينة ومنه قوله تعالى وله الجوار المنشآت في

البصر كالاعلام وغلب استعمال الجارية في السفينة كقولهم في بعض الانغاز

رأيت جارية في بطن جارية * في بطنها رجل في بطنها رجل

وفرح عليه السلام اولى من صنع السفينة واتممتها بها بوحى من الله تعالى وحفظه له قال
اجعلها كهينة صدر الطائر ليكون ما يجري في الماء مقار بما يجري في الهواء واغر قناسوى من
كان في تلك السفينة من جميع اهل الارض من آدمي وغيره (لجعلها) أى هذه الفعلة العظيمة
وهي انجاء المؤمنين بحيث لا يهلك منهم بهذا العذاب أحد واهلاك الكافرين بحيث لا يشذ منهم
أحد وكذا السفينة التي حملنا فيها نوحا عليه السلام ومن معه (لكم) ايها الناس (تذكرة) أى
عبرة ودلالة على قدرته تعالى وعظمته ورجته وقهره فيقودكم ذلك اليه وتقبلوا بقلوبكم عليه
وقوله تعالى (وتعياها) عطف منصوب على اجعلها اي وتحفظ قصة السفينة وغيرها مما تقدم
حفظا ثابتا مستقرا كأنه محوى في وعاء (اذن) اي عظمة النفع (واعية) اي من شأنها ان تحفظ
ما ينبغي حفظه من الاقوال والافعال الالهية والاسرار الربانية لنفع عباد الله تعالى كما كان نوح
عليه السلام ومن معه وهم قليل سيلا لادامة النسل والبركة فيه حتى امتلأت منه الارض
والوعى الحفظ في النفس والاياء الحفظ في الوعاء قال الزمخشري فان قلت لم قيل اذن واعية على
التوحيد والتسكير قلت للايدان بان الوعاء فيهم قلة وتوزيع الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة على
ان الاذن الواحد اذا وعى عقلت عن الله تعالى فهو السواد الاعظم عند الله وان ما سواها
لا يالى بهم باله وان ملوا ما بين الخافقين اه وقرأ نافع يسكون الذال والباءون بضمها ولم يذكر
تعالى القيامة وهول أمرها بالتعبير بالحاقة وغيرها شرع سبحانه وتعالى في تفاصيل أحوالها
وبدأ بذكر مقدماتها بقوله تعالى (فأذا نضح) وبني الفعل للمجهول دلالة على هوان ذلك عليه وأن
ما يأتري عنه لا يتوقف على نافع معين بل من أقامه لذلك من جنده تأثر عنه ما يريد (في الصورة) أى
القرن الذي يتخفق فيه اسرافيل عليه السلام قال البقاعي كأنه عبر عنه به دون القرن مثلا لانه
يتأثر عنه تارة اعدام الصورة وتارة ايجادها وردها الى اشكالها ووسعته كما بين السماء والارض
(نخبة واحدة) للفصل بين الخلائق قال الزمخشري فان قلت هما نخبتان فلم قيل واحدة قلت
معناه انها لا تثنى في وقتها ثم قال فان قلت فأى النختين هي قلت الاولى لان عندنا قساد العالم
وهكذا الرواية عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد روى عنه انها الثانية اه قال البقاعي وظاهر
السياق أنها الثانية التي بها البعث وخراب ما ذكر بعد قيامهم انساب لانه أهيب وكونها الثانية
احدى الروايتين عن ابن عباس رضى الله عنهما اه واقتصر البيضاوى على أنها الاولى والحلال
المحلى على أنها الثانية وهو الانسب كما قاله البقاعي ثم ان الزمخشري سأل سؤالا على انها النخبة
الاولى بقوله فان قلت أما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض انما هو عند النخبة الثانية قلت
يجعل اليوم اسم للبعث الواسع الذي تقع فيه النختان والصحة والنشور والوقوف الحساب
فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما نقول جئتكم عام كذا وانما كان جيتكم في وقت واحد من أوقاته
اه * ولذلك ذكر التأثير في الاحياء اتبعه التأثير في الجمادات وبدأ منها بالسفليات لئلا يستهمل الانسان

فككون عبرته بها أكثر فقال تعالى (وجعلت الأرض والجبال) أى التى بها ثباتها حملتها الرياح أو
 الملائكة أو القدرة من أما كنهما (فدكا) أى مسحت الجبلتان الأرض وأتادها وبسطت ودق
 بعضها ببعض (دكة واحدة) أى فصارتا كتيبا مهيلاً بأيسر أمر فلم يميز شئ منهما عن الآخر بل
 صارتا فى غاية الاستواء ومنه اندك سنام البعير إذا انفرش فى ظهره وقال القزامل لم يقل فدككن
 لانه جعل الجبال كلها كالجلة الواحدة والأرض كالجلة الواحدة ومثله أن السموات والأرض
 كانتا رتقا ففتقناهما ولم يقل كن وهذا الدك كلزلة لقوله تعالى إذا زلزلت الأرض زلزالها وقوله
 تعالى (فيومئذ) منصوب بوقعت وقوله تعالى (وقعت الواقعة) لا بد فيه من تأويل وهو أن
 تكون الواقعة صارت علما بالغلبة على القيامة أو الواقعة العظيمة والأفهام القائم لا يجوز أن
 لا فائدة فيه والتنوين فى يومئذ للعوض من الجلة تقديره يوم إذ نفخ فى الصور ونوع تعالى أسماء
 القيامة بالحاقة والواقعة والقارعة وهوى لاها * ولما ذكر تأثير العالم السفلى ذكر العلوى بقوله
 تعالى (وانشقت السماء) أى ذلك الجنس لشدة هول ذلك اليوم أى انصدعت وتقطرت وقيل
 انشقت لنزول الملائكة بدليل قوله تعالى ويوم تشق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا (فهى
 يومئذ واهية) أى ضعيفة متساقطة خفيفة لا تماسك كالعن المنفوش بعدما كانت محكمة
 يقال وهى البناء يهوى وهى الفهوى وهى إذا ضعف جدا ويقال كلام وهى أى ضعيف وقيل واهية أى
 مخترقة أخوذ من قولهم وهى السماء إذا تحترق ومن أمثالهم

خل سبيل من وهى سقاؤه * ومن هريق بالقلاة ماؤه

أى من كان ضعيف العقل لا يحفظ نفسه وقرأ أبو عمرو وقالون والكسائي يسكون الهاء والباقون
 بكسرها (والملك) أى هذا النوع (على أرجائها) أى نواحى السماء وأطرافها وحواشى ما لم ينشق
 منها قال الضحاك يكونون بها حتى يأمرهم الله تعالى فينزلون فيحيطون بالأرض ومن عليها وقال
 سعيد بن جبيرة رضى الله عنه المعنى والملك على حافات الدنيا أى ينزلون إلى الأرض ويحرسون
 أطرافها وقيل إذا صارت السماء قطعا تقف الملائكة على تلك القطع التى ليست متشقة
 فى أنفسها والأرباب فى اللغة النواحى والأقطار بلغة هذيل واحد أرباب مقصور وثنيته رجوان
 مثل عصا وعصوان قال القائل

فلا ترمى بى الرجوان فى * أقل القوم من يعنى مكافى

قال ابن عادل ورجا هنا يكتب بالالف عكس رضى لانه من ذوات الواو (فان قيل) الملائكة
 يموتون فى الصعقة الأولى لقوله تعالى فصعق من فى السموات ومن فى الأرض فكيف يقال لهم
 أنهم يقفون على أرجاء السماء (أجيب) من وجهين الأول أنهم يقفون لحظة على أرجاء السماء
 ثم يموتون والثانى المراد الذين استثنوا فى قوله تعالى إلا من شاء الله وقيل إن الناس إذا رأوا
 جهنم هالهم أمرها فيندوا كما تندو الأبل فلا يأتون قطرا من أقطار الأرض إلا وأ الملائكة
 فيرجعون من حيث جاؤا وقيل على أرجائها ينتظرون ما يؤمرون به فى أهل النار من السوق إليها
 وفى أهل الجنة من التحية والكرامة وهذا كله يرجع إلى قول ابن جبيرة رضى الله عنه ويدل عليه

قوله تعالى ونزل الملائكة تنزيلا قال الرمنشري فان قلت ما التصريق بين قوله والملك وبين ان يقال والملائكة قلت الملك اعم من الملائكة الاترى ان قولك ما من ملك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملائكة اه قال ابو حيان ولا يظهر ان الملك اعم من الملائكة لان المفرد المهي بالالف واللام قصاراه ان يكون مراد به الجمع المهي ولذلك صح الاستقناء منه ثم قال ولان قوله على ارجائها يدل على الجمع لان الواحد لا يمكن ان يكون على ارجائها في وقت واحد بل في اوقات والمراد والله اعلم ان الملائكة على ارجائها لانه ملك واحد ينتقل على ارجائها في اوقات ولما كان الملك يظهر في يوم العرض سرير ملكه ومحمل عزه قال تعالى (ويحمل عرش ربك) أي المحسن اليك بكل ما تريد لاسيما في ذلك اليوم بما يقع من رفعتك على سائر الخلق والضمير في قوله تعالى (فوقهم يومئذ) أي في يوم وقعت الواقعة يجوز ان يعود على الملك لانه بمعنى الجمع كما تقدم وأن يعود على الحاملين في قوله تعالى (ثمانية) وقيل يعود على جميع العالم اي ان الملائكة تحمل عرش الله تعالى فوق العالم كله واختلف في هذه الثمانية فقال ابن عباس رضي الله عنهما ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقال ابن زيد هم ثمانية أملاك وعن الحسن رضي الله عنه الله أعلم كم هم ثمانية أم ثمانية آلاف أم ثمانية صفوف وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ان حلة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أمدهم الله تعالى بأربعة أخرى فكانوا ثمانية على صورة الاوعال وفي رواية ثمانية أوعال من أظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء وفي حديث آخر لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر وكل وجه منها يسأل الله الرزق لذلك الجنس (فان قيل) اذالم يكن فيهم صورة الوعل فكيف هم أوعال (أجيب) بأن وجه الثور اذا كانت له قرون أشبه الوعل وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حلة العرش ان ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام أخرجه أبو داود بإسناد صحيح وعن ابن عباس رضي الله عنهما حلة العرش ما بين أخص أحداهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام ومن كعبه الى ركبته خمسمائة ومن رقبته الى موضع القرب مسيرة خمسمائة عام وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال الذين يحملون العرش ما بين سوق أحداهم الى مؤخر عينه خمسمائة عام وفي الخبر ان فوق السماء السابعة ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء الى سماء وفوق ظهرهن العرش وفي حديث مرفوع أن حلة العرش ثمانية أملاك على صورة الاوعال ما بين أظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما للطائر المسرع وروى أن أرجلهن في الارض السابعة وازافة العرش الى الله تعالى كازافة البيت اليه وليس البيت للسكنى فكذلك العرش ليس للجلوس تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فانه الخالق للعرش والحلة العرش ولا تحيط به جهة وهو العلى العظيم وعن شهر بن حوشب قال حلة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم ويحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم ويحمدك لك الحمد على حلك بعد علمك ولما بلغ تعالى النهاية في تحذير العباد من يوم التناد وكان لهم حالتان عامة وخاصة فالعامة العرض والخاصة التقسيم الى محسن ومسي منزاده عندهما

بقوله تعالى (يومئذ) أي اذ كان جميع ما تقدم (تعرضون) على الله الحساب كما تعرض
السلطان الجند لينظروا أمرهم ليختار منهم المصلح للتقريب والاصحرام والمقصد للابعد
والتعذيب عبر بالعرض عن الحساب الذي هو جزؤه والمحسن لا يكون له غير ذلك والمسيء يتأقش
(لا تخفى منكم) أي في ذلك اليوم على أحد بوجهه من الوجوه وقرأ حمزة والكسائي بآلية
التعنية لأن التأنيث مجازي والباقون بالثاء وهو ظاهر (خافية) أي من السرائر التي كان من
حقها أن تخفى في دار الدنيا فإنه عالم بكل شيء من أعمالكم ونظيره قوله تعالى لا يخفى على الله منهم
شيء قال الرازي والعرض للمبالغة في التهديد يعني تعرضون على من لا تخفى عليه خافية قال
القرطبي هذا هو العرض على الله تعالى ودليله وعرضوا على ربك صفا وليس ذلك عرضا ليعلم عالم
يكن عالما به بل ذلك العرض عبارة عن المحاسبة والمساءلة وتقرير الأعمال عليهم للمجازاة قال
صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير وأما
الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فاخذ بيمينه واخذ بشماله قال تعالى (فأما من أوفى كتابه
يمينه) أي الذي أثبت فيه أعماله (فيقول) لما رأى من سعادته تبعا بحاله واطهارا لنعمة به
لأن الإنسان مطبوع على أن يظهر ما آتاه الله تعالى من خير تكمى لئلا يذنبه قيل أنه تكتب سياسته
في باطن صحيفته وحسناته في ظاهرها فيقرأ الباطن ويقرأ الناس الظاهر فاذا أنهله قيل له قد
غفرها الله تعالى اقلب الصحيفة فحينئذ يكون قوله (هاؤم اقرؤا) أي خذوا اقرؤا (كتابيه) يقول
ذلك ثقة بالاسلام وسرورا بنجائه لأن اليمين عند العرب من دلائل الفرح قال الشاعر

إذا ما راية رفعت لمجد • تلقاها عرابية باليمن

قال ابن عباس رضي الله عنهما أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب رضي الله
عنه ولمشاع كشعاع الشمس قيل فأين أبو بكر قال هيهات زفته الملائكة إلى الجنة وقال ابن زيد
معنى هاؤم تعالوا فيتعدي بالي وقال مقاتل هلم وقال غيره خذوا ومنه الحديث في الربا الاهاؤها
أي يقول كل صاحبه خذوها وهذا هو المشهور ولذلك فسرت به الآية الكريمة وقيل هي كلمة وضعت
لإجابة الداعي عند الفرح والنشاط وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم ناداه أعرابي بصوت
عال فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم هاؤم بصولة صوته وقيل معناها اقصر واوزعهم هؤلاء أنها
مركبة من ها التنبية وأما من الأم وهو القصد قصيره التخفيف والاستعمال إلى هاؤم
وقيل الميم ضمير جماعة الذكور وزعم العتي أن الهمزة بدل من الكاف قال ابن عادل فإن عني
أنها تحمل محلها فصح وان عني البذل الصناعي فليس بصحيح • (تنبيه) • كتابيه منصوب
بهائوم عند الكوفيين وعند البصريين باقروا لأنه أقرب للعاملين والاصل كتابي فادخل الهاء
لتبيين صحة الياء والهاء في كتابيه وحسابيه وسلطانيه وماليه للسكت وكان حقه أن تحذف وصلا
وتثبت وقفوا نجا بجرى الوصل مجرى الوقف أو وصل بنية الوقف في كتابيه وحسابيه انشاقا
فأثبت الهاء وكذا في ماليه وسلطانيه وماليه في القارعة عند القراء كلهم الهمزة فإنه حذف الهاء
من هذه الكلمات الثلاثة وصلا وأثبتها وقفالا لأنها في الوقف محتاج إليها لتصين حركة الموقوف

عليه وفي الوصل مستغنى عنها (فان قيل) فلم يفعل ذلك في كتابه وحسابه (أجيب) بأنه جمع بين اللتين (أني ظننت) قال ابن عباس رضى الله عنهما أي أيقنت وعلمت وقيل ظننت بأن يؤخذنى الله بسياقى فقد تفضل على بعبه ولم يؤخذنى بها وقال الضحاك كل ظن من المؤمن في القرآن فهو يقين ومن الكافر فهو شك وقال مجاهد رضى الله عنه ظن الآخرة يقين وظن الدنيا شك وقال الحسن رضى الله عنه في هذه الآية أن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل وأن المنافق أساء بربه الظن فأساء العمل (أني ملاق) أي ثابت لي ثباتا لا يتفك أنى (حسابه) أي في الآخرة ولم ينكر البعث يعنى أنه ما نجا إلا بخوفه من يوم الحساب لأنه يتقن أن الله تعالى يحاسبه به فعمل للآخرة فحق الله تعالى رجاءه وأمن خوفه فلم إلا أن أنه لا يناقش الحساب وإنما حسابه بالعرض وهو الحساب اليسير فضلا من الله تعالى ونعمة (فهو في عيشة) أي حاله من العيش وقوله تعالى (راضية) فيه ثلاثة أوجه أحدها أنه على النسب أي ذات رضا فهو لابن وناصر لصاحب اللبن والتمر أي ثابت لها الرضا وادأتم لها لانها في غاية الحسن والكمال والعرب لا تعبر عن أكبر السعادات بأكثر من العيشة لراضية بمعنى أن أهلها راضون بها والمعتبر في كمال اللذة الرضا الثاني أنه على إظهار جعل العيشة راضية لملها وحصولها في مستحقها وأنه لو كان للعيشة عقل لرضيت لنفسها بحالتها الثالث قال أبو عبيدة والقراء أن هذا مما جاء فيه فاعل بمعنى مفعول فهو ما دأنى بمعنى مدفوق كما جاء مفعول بمعنى فاعل كما في قوله تعالى يجابا مستورا أي ساترا وقال صلى الله عليه وسلم أنهم يعيشون فلا يموتون أبدا ويموتون فلا يعرضون أبدا وينعمون فلا يرون بأسا أبدا ويشبون فلا يهرمون أبدا (في جنة) أي بسايتين جامعة لجميع ما يراى منها (عالية) أي مرتفعة في المكان والمكانة والابنية والدرجات والاشجار وكل اعتبار وقوله تعالى (قطوفها) جمع كثرة لقطف بالكسر وهو فعل بمعنى مفعول كالذبح وهو ما يجنيه الجاني من الثمار وأما القطف بالفتح فالصدر والقطاف بالفتح والكسر وقت القطف (دانية) أي قريبة المأخذ سهلة التناول جدا للراكب والقائم والقاعد والمضطجع كل ذلك على حد سواء دأنا من غير انقطاع لا كلفة على أحد في تناوله شيئا من ذلك وقوله تعالى (كلوا واشربوا) على ضمير القول أي يقال لهم ذلك وجمع الضمير للمعنى لأن قوله تعالى فأما من أوفى كتابه يتضمن معنى الجمع وهو ذأنا من امتنان لأمر تكليف (هنيئا) أي أكلا طيبا الذي أشهى مع البعد عن كل أذى وسلامة العاقبة بكل اعتبار ولا فضلة هناك من بول ولا غائط ولا بقاء ولا علف ولا وهن ولا صداع ولا ثقل واللباء في قوله تعالى (بما أسلفتم) سببية وما مصدرية أو اسمية أي بما قدمتم من الأعمال الصالحة (في الأيام الخالية) أي الماضية في الدنيا التي انقضت وذهبت واسترحمت من تعبها وعن مجاهد رضى الله عنه أيام الصيام أي كلوا واشربوا بديل ما أمسكنكم عن الأكل والشرب لوجه الله تعالى وروى يقول الله تعالى يا أوليائي طاماتظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاكم عن الشربة وغابت أعينكم وخست بطونكم فكونوا اليوم في نعمكم وكلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية ولما كانت العادة جارية بأن أهل العرض ينقسمون إلى مقبول

ومردود وذكروا ما قبله المقبول بأدائه تشويها إلى حاله وتقبيلها بعاقبته وحسن حاله أتبعه
المردود تنقيراً عن أعماله بما ذكر من قبائح أحواله فقال تعالى (وأما من أوفى كتابه) أي صحيفة
حسابه (بشماله فيقول) أي لما يرى من سوء عاقبته التي كشف له عنها الغطاء حتى لم يشك فيها لما
رأى من قبائحها التي قدمها (بالبقي) تمثيلاً للمال (لم أوت) أي من أي موت مما (كاتبه) أي هذا
الذي ذكرني خباياث أعماله وعزفتي جزاءها (ولم) أي وبالبقي لم (أدر ما) حقيقة (حسابه) من ذكر
العامل وذكروا جزائه بل استمرت جاهلاً لذلك كما كنت في الدنيا ثم تمتي الموت ويقول (بالبقي)
أي الموتة الأولى وإن لم تكن مذكورة إلا أنها الظهورها كانت كالمذكورة (كانت القاضية)
أي القاطعة لحياقي بأن لا أبعث بعدها ولم ألق ما وصلت إليه قال قتادة رضي الله عنه تمتي الموت
ولم يكن في الدنيا عنده شيء أكره من الموت وشر من الموت ما يطلب منه الموت قال الشاعر
وشر من الموت الذي انقضت به * تمتت منه الموت والموت أعظم

والمعنى باليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت على وقوله (ما أغنى عني ماليه) يجوز أن يكون
نفيًا تامًا على فوات ما كان يرجو من نفعه والمفعول على هذا التقدير محذوف للتعميم ويجوز
أن يكون استفهامًا توخي لنفسه حيث سئلت له ما أثر له كل سوء وكل محال أي أي شيء أغنى
ما كان لي من اليسار الذي منعت منه حق الفقراء وتعظمت به على عباد الله تعالى (هلك عني
سلطانيه) أي ملكي وتسلط على الناس وبقيت فقيرًا ذليلًا وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن
هذه الآية نزلت في الأسود بن عبد الأسد وعن قنطرة الملقب بالعضد أنه لما قال
عضد الدولة وابن ركنها * ملك الاملاك غلاب القدر

لم يفلح بعده وحين فكان لا ينطق لسانه إلا بهذه الآية وقال ابن عباس رضي الله عنهما ضلت
عني حنني ومعناه بطلت حقي التي كنت أحتج بها في الدنيا وذكروا الضميمة أن الآية الأولى
في أخي الأسود عبد الله بن عبد الأسد المخزومي * ولما كان كانه قيل هذا ما قال فبايقال له
أجيب بأنه يقال للزبانية على رؤس الأشهاد (خذوه) أي أيها الزبانية الذين كان يستهزئ بهم
عندهما ذكرهم (فقلوه) أي اجعوا يديه إلى عنقه ورجليه إلى ورائه فقام إلى ناصيته (ثم الجحيم)
أي النار العظمى التي تجتمع على من يريد دفاعها ويجمع عنها من رآها لأنها في غاية الجور والتوقد
والتيغظ والتشديد (صلوه) أي بالغوا في تصليته أياها وكرروها بغيره مرة في النار كالشاة المصلية مرة
بعد أخرى لأنه كان يعاظم على الناس فناسب أن يصلى أعظم النيران وعبر أيضًا بأداة التراخي
لعلو رتبة مدخولها فقال مؤذنا بعدم الخلاص وتقديم المفعول بقيد الاختصاص عند بعضهم
ولذلك قال الزمخشري ثم لا يصلوه إلا الجحيم قال أبو حيان وليس ما قاله مذهب البيهقي ولا الخذاق
النصاة اهـ لكن كلام النصاة لا يبي ما قاله (ثم في سلسلة) أي عظيمة جدًا وقوله تعالى (ذرهما
سبعون ذراعًا) يحتمل أن يكون هذا العدد حقيقة وعلى هذا قال ابن عباس رضي الله عنهما
سبعون ذراعًا بذراع الملك فتدخل في دبره وتخرج من مخزئه وقيل تدخل من فيه وتخرج من
دبره وقال نوف البكالي سبعون ذراعًا كل ذراع سبعون باعًا كل باع أبعد مما بينك وبين مكة وكان

في رحية الكوفة وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وقال الحسن رضى الله عنه الله أعلم أى
ذراع هو ويحتمل أن يكون مبالغة كما قال تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها
اذا طالت كان الارهاق أشد والذي يدل على هذا ما رواه الترمذى وقال اسناده حسن عن عبد
الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن رصاصة مثل هذه وأشار الى مثل الجمجمة
أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها وقعرها
وعن كعب رضى الله عنه أنه قال لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها أجازنا الله تعالى ومحبيها
منها وجميع المسلمين فأشار سبحانه الى ضيقها على ما تصبط به من بدنه بتعبيره بالسلك فقال تعالى
(فاسلكوه) أى أدخلوه بحيث يكون كأنه السلك أى الحبل الذى يدخل فى ثقب الخرزة بعسر
لضيق ذلك الثقب اما باحاطتها بعنقه أو بجمبع بدنه بأن تلف قال الرمنشمرى والمعنى فى تقديم
السلسلة على السلك مثله فى تقديم الجحيم على التصلية أى لا تسلكوه الا فى هذه السلسلة كأنها
أقطع من سائر مواضع الارهاق فى الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية وما
بينها وبين السلك فى السلسلة لا على تراخي المدة اه * ولما ذكر سبحانه على الاجمال عقابه أتبعه
أسبابه فقال تعالى (أنه كان) أى جبهه وطبعها وان أظهر شيئاً يلبس به على الضعفاء ويداس على
الاغنياء (لا يؤمن) أى الآن ولا فى مستقبل الزمان (بالله) أى الملك الاعلى الذى يعلم السر
وأخفى (العظيم) أى السكامل العظم وهذا تعليل على طريق الاستئناف وهو أبلغ كأنه قيل
ماله يعذب هذا العذاب الشديد أجيب بذلك وفى قوله تعالى (ولا يحض) أى يحث (على) بذل
(طعام المسكين) دليلان قويان على عظم الجرم فى حرمان المسكين أحدهما عطفه على الكفر
وجعله قرينة له والثانى ذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك
الفعل وما أحسن قول القائل

اذ انزل الاضياف كان عذورا * على الحى حتى تستقل مراحلها

يريد حضهم على القرى واستجبالهم وعن أبي الدرداء رضى الله عنه انه كان يحض امرأته على
تكثر المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعتنا نصف السلسلة بالايمان أفلا نخلع نصفها الثانى
بالطعام وقيل هو منع الكفار وقولهم أنطعم من لو يشاء الله أطعمه والمعنى على بذل طعام المسكين
* ولما وصفه سبحانه بأقبح العقائد وأشنع الرذائل تسبب عنه قوله تعالى (فليس له اليوم ههنا)
أى فى مجمع القيامة كله (جسيم) أى صديق خالص يحبه من العذاب لانهم كلهم له أعداء كما أنه كان
لا يرق على الضعفاء لما هم فيه من الاقلال من حطام الاموال (ولا طعام الا من غسلين) أى غسالة
أهل النار وصديدهم وقيحهم فعلمين من الغسل (لا يأكله الا الخاطئون) أى أصحاب الخطايا من
خطئ الرجل اذا قعد الذنب وهم المشركون لامن الخطا المضاف الى ذواب وهذا الطعام يغسل ما فى
بطونهم من الاعيان والمعاني التى بها اقوام صاحبها وهى بمنزلة ما كانوا يشعرون من أموالهم التى
أبطنوها واخروها فى خزائنها واستأثروا بها على الضعفاء (فلا أقسم) أى لا يقع فى اقسام (بما)

تبصرون) من المخلوقات (وما لا تبصرون) منها أي بكل الموجودات واجبهما وجاهزا معقولها
 ومحسوسها لانهم لا يخرج عن قسمين مبصرون وغير مبصر وقيل الدنيا والآخرة والاجسام
 والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعمة الظاهرة والباطنة لان الامر اوضح من أن
 يحتاج الى اقسام وان ~~كانت~~ أقسم في غير هذا الموضع بما شئت ولو قيل به ذافي الواقعة لكان
 حسنا وقيل لازائدة وجرى على ذلك الجلال المحلى (رأه) أي القرآن (لقول) أي تلاوة (رسول)
 أي أنا أرسلته به وعنى أخذه وليس فيه شيء من تلقاء نفسه انما هو كله رسالة واضحة جدا أنا شاهد
 به ابعاله من الاعجاز الذي يشهد أنه كلامي (كريم) أي على الله تعالى فهو في غاية الكرم الذي هو للبعد
 من مساوي الاخلاق باظهارها لعل الشرف النفس وشرف الآباء وهو محمد صلى الله عليه وسلم
 وكرم الشيء اجتماع الكمالات فيه اللاتفة به وقيل هو جبريل عليه السلام قاله الحسن والكافي
 رضى الله عنهما لقوله تعالى رسول كريم ذي قوة واستدل للاول بقوله تعالى (وما هو بقول شاعر)
 أي يأتي بكلام مقفى موزون بقصد الوزن قال مقاتل رضى الله عنه سبب نزول هذه الآية أن
 الوليد بن المغيرة قال ان محمدا صلى الله عليه وسلم ساحر وقال أبو جهل شاعر وقال عتبة كاهن فرد
 الله تعالى عليهم بذلك (فان قيل) كيف يكون كلام الله تعالى وجبريل عليه السلام ولمحمد صلى الله
 عليه وسلم (أجيب) بأن الاضافة يكفي فيها أدنى ملاسة فالله سبحانه وتعالى أظهره في اللوح
 المحفوظ وجبريل عليه السلام بلغه للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بلغه للامة (قليل ما تؤمنون)
 منصوب نعتا المصدر أو زمان محذوف أي ايمانا قليلا أو زمانا قليلا والناصب يؤمنون وما هي زيادة
 للتأكيد وقال ابن عطية ونصب قلبه لانه عمل مضمر يدل عليه يؤمنون وما يحتمل أن تكون نافية
 فيفتنى ايمانهم البتة ويحتمل أن تكون مصدرية وتتصف بالقله فهو الايمان اللغوي لا الشرعي
 لانهم قد صدقوا بأشياء يسيرة لا تغني عنهم شيئا وهو اخلاصهم بالوحدانية عند الاضطرار
 وافرادهم الخالق بالخلق والربوبية (ولا بقول كاهن) وهو المنجم الذي يخبر عن الاشياء وأغلبها
 ليس له صحة وقوله تعالى (قليل ما تذكرون) يأتي فيه مائة قدم في قليل ما تؤمنون وقال البغوي
 أراد بالقليل نفي اسلامهم أصلا كقولك لمن لا يزورك قلما أتينا وأنت تريد ما أتينا أصلا وقرأ
 قليلا ما يؤمنون قليلا ما يذكرون ابن كثير وابن عامر بخلاف من ابن ذكوان بالياء التحسية فيهما
 والباقون بالفوقية وخفف الذا لجزء ~~والله~~ أي وحفص وشدها الباكون وقوله تعالى
 (تنزيل) خبر مبتدأ مضمر أي هو تنزيل على وجه التمجيد قال الباقعي وأشا إلى الرسالة إلى
 جميع الخلق من أهل السموات والارض بقوله تعالى (من رب العالمين) أي موجدهم ومدبرهم
 بالاحسان اليهم بما يقهم كل منهم من هذا الذكر الذي رباهم به ورتب سبحانه قسطه على وجه سهل
 على كل منهم يكفي في هدايته اه وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم أرسل للملائكة وهو الذي
 ينبغي وان لم ~~يكن~~ يكونوا مكلفين بشرى يغالهم زيادة في شرفه بارساله صلى الله عليه وسلم اليهم (ولو
 تقول) أي كلف نفسه أن يقول مرة من الدهر ~~كذبا~~ (عائنا) أي على ما لنا من العظمة (بعض
 الاقارب) أي التي لم نقلها أو قلناها ولم نأذن له فيها قال الرخشي التقول اقتعال القول لان فيه

نكلفا من المفتعل وسعى الاقوال المنقولة أقاويل تصغيرها كقولك الاعاجيب
والاضاحيك كأنها جمع افعولة من القول والمعنى لونسب الينا قولاً لم نقله أو لم نأذن له في قوله
(لاخذنا) أي لنلنا (منه) أي عقاباً (باليمن) أي بالقوة والقدرة * (تنبيه) * الباء على أصلها غير
مزيدة والمعنى لاخذناه بقوة منا فالباء حالية والحال من الفاعل وتكون منه في حكم الزائدة
واليمن هنا مجاز عن القوة والغلبة فإن قوة كل شيء في ميامنه وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد
رضي الله عنهم ومنه قول الشماخ

إذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابية باليمن

وقال أبو جعفر الطبري هذا الكلام خرج مخرج الأذلال على عادة الناس في الأخذ بيد من
يعاقب ويجوز أن تكون الباء مزيدة والمعنى لاخذنا منه يمينه والمراد باليمن الجارحة كما يفعله
بالمقتول مبرأ يؤخذ يمينه ويضرب بالسيف في جبهته مواجهة وهو أشد عليه وقال الحسن رضي
الله عنه لقطع عنائده اليمنى وقال الرهخشي المعنى ولو ادعى علينا شيئاً لم نقله لاقتلناه مبرأ كما يفعله
المولود بمن يتكذب عليهم مـ ما جله بالسخط والانتقام فهو قتل الصبر بصورته ليكون أهول
وهو أن يؤخذ بيده فتضرب رقبته وخص اليمن عن اليسار لأن القتال إذا أراد أن يوقع الضرب
في قفاه أخذ ييساره وإذا أراد أن يوقعه في جبهته وأن يكفحه بالسيف وهو أشد على المصبور
لنظرة إلى السيف أخذ يمينه اه وقال في نظويته المعنى لقبضنا بيمينه عن التصرف وقال السدي
ومقاتل رضي الله عنهما المعنى اتقمنا منه بالحق واليمين على هذا معنى الحق كقوله تعالى انكم
كنتم تأتونا عن اليمن أي من قبل الحق (ثم لقطعنا) أي بجالنا من العظمة قطعاً ثلاثاً عنده
كل قطع (منه الوتين) أي يباط القلب وهو يتصل من الرأس إذا انقطع مات صاحبه قال أبو زيد
وجعه الوزن وثلاثة أو ثنة والموتون الذي قطع وتينه وقال الكلبي هو عرق بين العلباء والخلقوم
وهما علباء وان بينهما العرق والعلباء عصب العنق وقيل عرق غليظ تصادفه شفرة الناحر وقال
مجاهد رضي الله عنه هو حبل القلب الذي في الظهر وهو النضاع فإذا انقطع بطلت القوى ومات
صاحبه وقال محمد بن كعب رضي الله عنه انه القلب ومراقه وما يليه وقال عكرمة رضي الله
عنه ان الوتين اذا قطع لان جاع عرف ولان شبع عرف وقيل الوتين من جمع الوركين الى جمع
الصدر بين الترقوتين ثم تنقسم منه سائر العروق الى سائر الجسد ولا يمكن في العادة الحياة بعد
قطعه وقال ابن قتيبة لم يرد أنما قطعه بعينه بل المراد أنه لو كذب لامتناء فكان كمن قطع وتينه
ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم ما زالت أكلة خيبر تعادني فهذا أو ان انقطاع أبهرى والابهر
عرق متصل بالقلب فإذا انقطع مات صاحبه فكانت هذه أو ان يقتلني السم وحينئذ صرت
كن انقطع أبهره (فما منكم) أي أيها الناس وأغرق في النقي فقال (من أحد عنه) أي القتل
(حاجزين) أي لا يقدر أحد منكم أن يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه أي الرسول صلى الله عليه وسلم
أي لا تقدر أن تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه * (تنبيه) * من احداً سم ما ومن زائدة
لأن كيد النقي ومنكم حال من أحد وعنه حاجزين خبر ما وجع لان أحد في سياق النقي بمعنى

الجمع وخبر عنه للقتل أو النبي كما مر (وأنه) أي القرآن (لتذكرة للمتقين) أي لانهم المستمعون به لا قباليهم عليه اقبال مستفيد (وانا) أي بما لنا من العظمة (لنعلم) أي علماء عظماء محيطا (أن منكم) أي أيها الناس (مكذبين) بالقرآن ومصدقين فأنزلنا الكتب وأرسلنا الرسل لنظهر منكم الى عالم الشهادة ما كنا تعلم في الازل غيبا من تكذيب وتصديق فتستحقون بذلك الثواب والعقاب فلذلك وجب في الحكمة أن نعيد الخلق الى ما كانوا عليه من أجسامهم قبل الموت لنحكم بينهم فنجازي كلابا يليق به اظهار العدل (وأنه) أي القرآن (الحسنة) أي ندامة (على الكافرين) أي اذا رأوا ثواب المصدقين وعقاب المكذبين به (وأنه) أي القرآن أو الجزاء يوم الجزاء (لحق اليقين) أي الامر الثابت الذي لا يقبل الشك فهو يتيقن مؤكدا بالحق من اضافة الصفة الى الموصوف وهو فوق علم اليقين وقال ابن عباس رضي الله عنهما انما هو كقولك عين اليقين ومحض اليقين (فسبح) أي أوقع التنزيه الكامل عن كل شائبة نقص (باسم) أي بسبب علمك بصفات (ربك) أي الموجد والمربي لك والمحسن اليك بأنواع الاحسان (العظيم) أي الذي ملأت الاقطار كاهها عظمتها وزادت على ذلك بما شاءه سبحانه مما لا تسعه العقول وقال ابن عباس رضي الله عنهما أي فصل لربك العظيم وقول البيضاوي تعالى لا تخشى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا حديث موضوع

﴿سورة المسارج مكية﴾

وهي أربع وأربعون آية ومائتان وست عشرة كلمة وألف واحد وستون حرفا

(بسم الله) أي الذي تنقطع الاعناق والا مال دون عليانه (الرحمن) الذي لا مسمع لاحد في حصر أوصافه (الرحيم) الذي اصطفى من عبادهم من وفقه فكان من أوليائه (سائل سائل) أي دعا داع (بعذاب واقع) فضمن سأل معنى دعا فلذلك عدى تعديته وقيل الباء بمعنى عن كقوله تعالى فاسأل به خبيرا أي عنه أي سأل سائل عن عذاب واقع والاول أولى لان التجوز في الفعل أولى منه في الحرف لقوته واختلف في هذا الداعي فقال ابن عباس رضي الله عنهما ما هو النظر ابن الحرث حيث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فنزل سؤاله وقتل يوم بدر صبرا هو وعتبة بن أبي معيط لم يقتل صبرا غيرهما وقيل هو الحرث بن النعمان وذلك أنه لما بلغه قول النبي صلى الله عليه وسلم في علي من كنت مولاه فعلي مولاه ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطاح ثم قال يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقبلناه منك وأن نصلي خمسا ونزكي أموالنا فقبلناه منك وأن نصوم شهر رمضان في عام فقبلناه منك وأن نهج فقبلناه منك ثم لم ترض حتى فضلت ابن عمك عليا أفهذا شئ منك أم من الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذى لا اله الا هو ما هو الا من الله فولى الحرث وهو يقول اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فوالله ما وصل الى ناقته حتى ربما ما تقهته الى بجعر فوق وقع على دماغه فخرج من دبره

فقتله فخرت وقال الربيع هو أبو جهل وقيل انه قول جماعة من كفار قريش وقيل هو نوح عليه
السلام سأل العذاب على الكافرين وقيل هو نبي ناضلي الله عليه وسلم استجمل بعذاب الكافرين
ويدل عليه قوله تعالى بعد ذلك فاصبر صبرا جبارا أي لا تستجمل فانه قريب وقرأ نافع وابن عامر
بغيره - مز بعد السين والباقون به حزة مفتوحة بعد السين - (تنبيه) ما تقدم من الوجهين في
كون سأل ضمن أو أن الباء بمعنى عن هو على القراءة بالهمز أو ما على عدمه ففيه وجهان أحدهما
أنه لغة في السؤال يقال سأل يسأل كخاف يخاف وعين الكلمة واو قال الزمخشري وهي من
لغة قريش والثاني انه من السيل ومعناه اندفع عليهم وادبعذاب وقيل سأل واد من أودية جهنم
وقوله تعالى (للكافرين) فيه أوجه أحدها أنه يتعلق بسأل مضنما معنى دعا كما مر أي دعا لهم
بعذاب واقع الثاني انه يتعلق بواقع واللام للعلية أي نازل لاجلهم الثالث أن يتعلق بمحذوف
صفة ثانية للعذاب أي كائن للكافرين الرابع أن يكون جوابا للسائل فيكون خبر مبتدأ مضمرة
أي هو للكافرين الخامس أن تكون اللام بمعنى على أي واقع على الكافرين (ليس له) أي
بوجه من الوجوه ولا حيلة من الحيل (دافع) يردّه وقوله تعالى (من الله) أي الملك الاعلى الذي
لا كفولة يجوز أن يتعلق بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته لتعلق ارادته به وأن
يتعلق بواقع وبه بدأ الزمخشري أي واقع من عنده (ذى المعارج) أي المصاعد وهي الدرجات التي
يصعد فيها الحكم الطيب والعلم الصالح أو يترقى فيه المؤمنون في سلوكهم أو في دار ثوابهم أو
مراتب الملائكة أو السموات قال ابن عباس رضى الله عنه - ما أي ذى السموات سماها معارج
الملائكة لان الملائكة يعرجون فيها فوصف نفسه بذلك أو ذى العلو والدرجات القواضل والتم
لانهم اتصل الى الناس على مراتب مختلفة قاله ابن عباس وقناة رضى الله عنهم فالمعارج مراتب
انعامه على الخلق وقيل ذى العظمة والعلو وقيل المعارج الغرف أي انه ذو الغرف أي جعل
لاوليائه الجنة غرفا وقرأ (تعرج الملائكة) الكسائي بالياء التحتية والباقون بالتاء القوقبة
وأدغم جيم المعارج في تاء تعرج هذا السوسى واستضعف بعضهم ذلك من حيث ان مخرج الجيم
بعيد من مخرج التاء وأجيب عن ذلك بأن الادغام يكون لجزء الصفات وان لم يتقارب في المخرج
والجيم تشارك التاء في الاستفقال والانفتاح والشدّة والجللة من تعرج مستأنفة وقوله تعالى
(والروح) من عطف الخاص على العام ان أريد بالروح جبريل عليه السلام كما قاله ابن عباس
رضي الله عنه - ما لقوله تعالى نزل به الروح الامين أو ملك آخر من جنسهم - عظيم الخلقة وقال
أبو صالح انه خلق من خلق الله كهيشة الناس وليس بالناس وقال قبيصة بن ذؤيب انه روح الميت
حين يقبض (اليه) أي مهبط أمره من السماء وقيل هو كقول ابراهيم عليه السلام اني ذاهب
الى ربي أي الى الموضع الذي أمرني به وقيل الى عرشه وعلق بالعروج أو بواقع قوله تعالى (في يوم)
أي من أيامكم وبين عظمه بقوله تعالى (كان) أي كونا هو في غاية الثبات (مقداره) أي لو كان
المصاعد فيه آدميا (خسین ألف سنة) أي من سنى الدنيا وذلك أن قصه من منتهى أمر الله تعالى
من أسفل الارض السابعة روى عن مجاهد رضى الله عنه أن مقداره هذا خمسين ألف سنة وقال

محمد بن ابي بصير لو سار بنو آدم من الدنيا الى موضع العرش ساروا خمسين ألف سنة وقال بكرمة
 وقادة رضى الله عنهم هو يوم القيامة وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خسون
 ألف سنة من سنى الدنيا ليس يعنى به أن مقدار طولها هكذا دون غيره لأن يوم القيامة ليس له أول
 وليس له آخر لأنه يوم معدود ولو كان له آخر لكان منقطعا وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه
 قال يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة وعن أبي سعيد الخدري رضى الله
 عنه أنه قال قبل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فما أطول هذا
 اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسى بيده ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف
 عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا وقيل له عنه لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله تعالى
 لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة قال عطاء رضى الله عنه ويفرغ الله تعالى في مقدار نصف يوم من
 أيام الدنيا وقيل فيه خسون موطن على الكافر كل موطن ألف سنة وما ورد ذلك على المؤمن
 إلا كما بين الظهر والعصر وروى عن الكلبي أنه قال يقول الله تعالى لو وليت حساب ذلك الملائكة
 والانس والجن وطوقتهم بحسابتهم لم يفرغوا منه في خمسين ألف سنة وأنا أفرغ منه في ساعة من
 النهار وقال بيان هو يوم القيامة فيه خسون موطن كل موطن ألف سنة وفيه تقديم وتأخير
 كأنه قال ليس له دافع من الله ذى المعارج في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة تعرج الملائكة
 والروح اليه (فان قيل) كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى في سورة السجدة في يوم كان
 مقداره ألف سنة (أجيب) بأنه يحتمل أن من أسفل العالم الى أعلى العرش خمسين ألف سنة ومن
 أعلى سماء الدنيا الى الأرض ألف سنة لأن عرض كل سماء خمسمائة سنة وما بين أسفل الى قرار
 الأرض خمسمائة نقوله في يوم من أيام الدنيا وهو مقدار ألف سنة لو صعدوا فيه الى سماء الدنيا
 ومقدار خمسين ألف سنة لو صعدوا الى أعلى العرش وقوله تعالى (فاصبر صبرا جميلا) متعلق كما قال
 الرازي بسأل سائل لأن استجبالهم بالعذاب كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله
 عليه وسلم فأمر بالصبر والمعنى جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر على أذى قومك والهـ بر الجليل
 هو الذى لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله تعالى وقيل أن يكون صاحب المصيبة فى القوم لا يدور
 من هو وقال ابن زيد والكلبي رضى الله عنهم هذه الآية منسوخة بالامر بالقتال (انهم) أى
 الكفار (يرونه) أى ذلك اليوم الطويل أو عذابه (بعيدا) أى زمن وقوعه لانهم يرونه غير ممكن
 أو يفعلون أفعال من يستبعده (وزاء) أى لما لنا من العظمة التى قضت بوجوده وهو علينا هين
 (قريبا) سواء أريد بذلك قرب الزمان أو قرب المكان فهو هين على قدرتنا وهو آت لا محالة وكل
 آت قريب والقريب والبعيد عندنا على حد سواء وقرأ أبو هريرة ورجزة والكسائي بالامالة محضة
 وورش بين بين والباقون بالفتح وقوله تعالى (يوم تكون السماء) متعلق بمعدوف أى يقع فيه من
 الأحوال (كما المهل) أى كدردى الزيت وعن ابن مسعود رضى الله عنه كالفضة البيضاء فى
 تلونها (وتكون الجبال) أى التى هى أشد الأرض وأقل ما فيها (كالهين) أى كالصوف فى الخفة
 والطيران بالريح وقيل أول ما تفرق الجبال تسير ملائم عنها منقوشا ثم هباء منتورا منبثا

(وليسأل) أى من شدة الأحوال (حجم حجم) أى قريب في غاية القرب والصدقة قريباً مثله
عن شئ من الأشياء لفرط الشواغل ولأنه قد كشفت لهم أنه لا تنفى نفس عن نفس شياً وأنه قد
تقطعت الأسباب وتلاشت الانساب وعلم أنه لا عز إلا بالتقوى (يصرونهم) أى يصرونهم بهم
مبصر فلا يخفى أحد على أحد وان بعدم مكانه (يود الجرم) أى يتنى الكافر أو هذا النوع سواء كان
كافراً أم مسلماً عاصياً علم أنه يعذب بعصيانته (لو) بمعنى أن (يفتدى) أى يفدى نفسه (من عذاب
يومئذ) أى يوم اذ كانت هذه المخاوف وقرأ نافع والكسائي بفتح الميم والباقون بكسرهما (بنبيه)
أى بأقرب الناس إليه وأعلقهم بقلبه لشدة ما يرى * ولما ذكر الصق الناس بالفؤاد وأعزم من
يلزمه نصره والذب عنه اتبعه ما يليه في الرتبة والمودة بقوله تعالى (وصاحبته) أى زوجته التي
يلزمه الذب عنها لاسيما عند العرب من أقبح العار ولو كانت دائماً معها * ولما ذكر الصاحبة
لما لها من تمام الوصلة أتبعها الشقيق الذي هو عليه شقيق بقوله تعالى (وأخيه) أى الذي له به
النصرة على من يريد قال الشاعر

أخاك أخاك ان من لا أخاله * كاذل الهجاء بغير سلاح

* ولما كان من بقي من الاقارب بعد ذلك متقاربين في الرتبة ذكر أقربهم بقوله تعالى (وفصيلته)
أى عشيرته الذين هم أقرب من فصل عنه وقال ثعلب الفصيلة الالباء الادنون وقال أبو عبيدة
رضي الله عنه الفخذ وقال مجاهد وابن زيد ورضي الله عنهم عشيرته الاقربون (التي تؤويه) أى
تضمه اليها عند الشدائد وتحميها لانه أقرب الناس اليها وأعزهم عليها * ولما خصص عم بقوله
تعالى (ومن في الارض) أى من الثقلين وغيرهم سواء كان فيهم صديق لا صبر عنه ولا بد في كل
حال منه أم لا ثم أكد ذلك بقوله تعالى (جميعاً) وقوله تعالى (ثم ينصيه) أى ذلك الاقتداء عطف على
يفتدى وقوله تعالى (كلاً) ردودع وزجر لما يودعه وقال القرطبي وانها تكون بمعنى حقاً وبمعنى
لا وهي هنا تشمل الامرين فاذا كانت بمعنى حقاً كان تمام الكلام ينصيه واذا كانت بمعنى لا كان
تمام الكلام عليها اذ ليس من عذاب الله اقتداء * ولما كان الاضمار قبل الذكر لتعظيم ذلك
المضمر أشار الى أنه مستحضر في الذهن لا يغيب قال تعالى (انها) أى النار وان لم يجز لها ذكر
لدلالة لفظ عذاب عليها وقيل الضمير للقصة وقيل مبهم يفسره قوله تعالى (لظى) أى ذات اللهب
الخالص المتناهي في الحتراس بلهمن تلظى أى تتوقد فتأكل بسببه بعضها بعضاً ان لم تجد ماتاً كله
وتأكل كل ما وجدته كأنها ما كان وقوله تعالى (نزاعة للشوى) جمع شواء وهي جملة الرأس
أى شديدة التزعج بلود الرأس وقال في القاموس اليدان والرجلان والاطراف ونحو الرأس وما
كان غير مقلد اه وقرأ حفص بالنصب على الاختصاص والحال المؤكدة والمستقلة على ان لظى
متلظية والباقون بالرفع على انها خبران (تدعون من أدبر وتولى) عن الايمان تقول الى يا مشرك
الى يا فاسق ونحو هذا ثم تلتقطهم التقاط الطير للخب * ولما كانت الدنيا والآخرة ضربين
فكان الاقبال على أحدهما دالاً على الاعراض عن الاخرى قال تعالى دالاً على ادبارها بقلبها
(وجمع) أى كل ما كان من الدنيا (فأوعى) أى جعل ما جمعه في وعاء وكثرة حرصاً وطول

أمل ولم يعط حق الله تعالى منه فكان همه الاعطاء لا ابطاء ما وجب من الحق اقبالا على الدنيا
واعراضا عن الآخرة وقرأ الفلق والشورى وتولى فأوحى حزة والكسافي بالامالة محضة وورش
وأبو عمرو بين بين والفتح عن ورش قليل والباقون بالفتح (ان الانسان) أى الجنس عبره لما له
من الانس بنفسه والرؤية لها سنها والتسبان لربه ولدينه (خلق هلوغا) أى جبل جبلة هو فيها
بليغ الهلع وهو أغش الجزع مع شدة الحرص وقلة الصبر والشغ على المال والسرعة فيما
لا ينبغي وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه الحريص على ما لا يحل له وروى عنه أن تفسيره ما بعده
وهو قوله تعالى (اذا مسه) أى أدنى مس (الشر) أى هذا الجنس وهو ما تطار شره من الضرر
(جروعا) أى عظيم الجزع وهو ضد الصبر بحيث يكاد صاحبه ينقد نصفين ويتفتت (واذا مسه)
كذلك (الخير) هذا الجنس وهو ما يلائمه فيجمعه من السعة في المال وغيره من أنواع الرزق
(منوعا) أى مبالغى الامساك عما يلزمه من الحقوق للانهمال في حب العاجل وقصور النظر
عليه وقوقاع المحسوس لغلبة الجود والبلادة وهذا الوصف ضد الايمان لانه نصفان شكر
وصبر (فان قيل) حاصل هذا الكلام انه نفور عن المضار طالب للراحة وهذا هو اللاتق
بالعقل فلم ذمه الله تعالى عليه (أجيب) بأنه انما ذمه عليه لقصور نظره على الامور العاجلة
والواجب عليه أن يكون شاكرا راضيا في كل حال وقوله تعالى (الا المصلين) استثناء
للموصوفين بالصفات الاتية من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل مضادة تلك الصفات
اه من حيث انهم اذ الله على الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء
والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايتار العاجل على الآجل وتلك ناشئة عن الانهمال
في حب العاجل وقصور النظر عاينها (الذين هم) أى بكلمة ضمائرهم وظواهرهم (على صلاتهم)
أى التى هي معظم دينهم وهى النافعة لهم لا غيرهم بما أفادته الاضافة والمراد بالجنس الشامل
لجميع الانواع الا أن معظم المقصود الغرض ولذلك عبر بالاسم الدال على الثبات في قوله تعالى
(دائمون) أى لا فتور لهم عنها ولا انفكاك لهم منها وقال عتبة بن عامر هم الذين اذا صلوا لم
يلتفتوا يميننا ولا شمالا والدائم الساكن ومنه نهى عن البول في الماء الدائم أى الساكن
وقال ابن جريج والحسن هم الذين يكثر فعل التطوع منها (فان قيل) كيف قال تعالى على
صلاتهم دائمون وقال تعالى في موضع آخر على صلواتهم يحافظون (أجيب) بأن دوامهم عليها أن
لا يتركوها في وقت ومحافظة لهم عليها ترجع الى الاهتمام بها حتى تأتى على أكمل الوجوه من
المحافظة على شرائطها والالتيان بها في الجماعة وفي المساجد الشريفة وفي تغرير القلب عن
الوسواس والرياء والسمعة وأن لا يلتفت يميننا ولا شمالا وأن يكون حاضر القلب فاهما للادكار
مطاعا على حكم الصلاة متعلق القلب بدخول أوقات الصلاة * ولما ذكر تعالى زكاة الروح أتبعه
زكاة عديله افعال تعالى مبينا للرسوخ في الوصف بالعطف بالواو (والذين في أممهم) التى من
الله سبحانه بهم اعليهم (حق معلوم) أى من الزكوات وجميع النفقات الواجبة وقال ابن عباس
رضي الله تعالى عنه ما من أدى زكاة ماله فلا جناح عليه أن لا يتصدق (للسائل) أى الذى

يسأل (والمحسوم) أى الذى لا يسأل فيصيب غنيا فيصرم فهو يتلقى بشارة في ليلة ونهاره ولا مفزع له بعد ربه المالك لعلايقته وشره الا الى افاضة مدا معه بذلة وانكسار وهذا من الله تعالى حيث على تفقد أرباب الضرورات عن لا كسب له ومن اقتقر بعد الغنى وقد كان للسلف الصالح في هذا قصب السبق حكى عن زين العابدين انه لما مات وجد في ظهره آثار سواد كأنها السيور فحجبوا منها فقال بعدمونه نسوة أرا مل كان شخص يأقى البنا ليلاب قرب الماء على ظهره وأجربة الدقيق ففقدناه واحتجنا فعلموا أنه هو وان تلك السيور من ذلك وحكى عن عشرين الخطاب رضى الله تعالى عنهما ان شخصا رآه ماشيا في زمن خلافته في الليل فتبعه فجاء الى بيت نسوة أرا مل فقال أعند كن ماء والا املا لكن فأعطينه جرة فأخذها وذهب فلا هاعلى كتفه وأقى به اليهن والحكايات عنهم في هذا كثيرة (والذين يصدقون) أى يوقعون التصديق لمن يخبرهم ويحدثونه كل وقت (يوم الدين) أى الجزاء الذى ماثله يوم وهو يوم القيامة الذى يقع الحساب فيه على النقيير والقمطير والتصديق به حتى التصديق الاستعداد له بالاعمال السالحة فالذين يعملون لذلك اليوم هم العمال وأما المصدقون بمجرد الاقوال فلههم الوبال وان أنفقوا أمثال الجبال (والذين هم) أى بجميع ضمائرهم وظواهرهم (من عذاب ربهم) أى المحسن اليهم لا من عذاب غيره فان المحسن أولى بأن يخشى ولو من قطع احسانه (مشفقون) أى خائفون في هذه الدار خوفا عظيما هو في غاية الثبات من أن يعذبهم في الآخرة أو في الدنيا أو فيهما فاهم لذلك لا يفعلون الا ما يرضيه سبحانه (ان عذاب ربهم) أى الذى هم مغمورون باحسانه وهم عارفون بأنه قادر على الانتقام ولو بقطع الاحسان (غير مأمون) أى لا ينبغي لاحد أن يأمنه بل يجوز أن يحل به وان بالغ في الطاعة لان الملك مالك وهو تام الملك له أن يفعل ما شاء ومن جاوز وقوع العذاب أبعد عن موجباته غاية الابعاد ولم يزل مترجحين الخوف والرجاء (والذين هم) أى ييواظبونهم الغالبة على ظواهرهم (أفروجههم) أى سواء أ كانوا ذكورا أم اناثا (حافظون) أى حفظا بابتادائهم عن كل ما نهى الله تعالى عنه (الاعلى أزواجهم) أى من الحرار يبعقد النكاح وقدمهن لشرفهن وشرف الولد بهن ثم أتبعه قوله تعالى (أو ما ملكتم ايمانهم) أى من السرارى التى هي محل الحرث والنسل واللاقى هن أقل عقلا من الرجال ولهذا عبر عما التى هي في الاغلب لغير العقلاء وفي ذلك اشارة الى اتساع النطاق في احتمالات (فانهم) أى بسبب اقبالهم بالفروج عليهن وازالة الحجاب من اجل ذلك (غير مأمونين) أى في الاستمتاع بهن من لاثم ما كانه عليه البناء للمفعول فهم يصبونهن للتعفف وصون النفس وابتغاء الولد للتعاون على طاعة الله تعالى واستتفى في مدحهم بنى اللوم لاقباله على تحصيل ماله من المرام (فن ابتغى) أى طلب وعبر بصيغة الافتعال لان ذلك لا يقع الا عن اقبال عظيم من النفس واجتهاد في الطلب وقراءة حمزة والكسائي بالامالة مخضة وقرا ورش بالفتح وبين اللقطين والباقون بالفتح (وراء ذلك) أى شيئا من هذا خارجا عن هذا الامر الذى أحله الله تعالى له والذى هو أعلى المراتب في أمر النكاح وقضاء اللذة وأحسنها وأجلها (فأولئك) أى الذين هم

في الحضيض من الدناة ونجاة البعد عن مواطن الرحمة (هم) أي بضمايرهم وظواهرهم
 (العادون) أي المختصون بالخروج عن الحد المأذون فيه (والذين هم لاماناتهم) أي من كل
 ما آتاهم الله تعالى عليه من حقه وحق غيره وقرأ ابن كثير بغير ألف بعد النون على التوحيد
 والباقون بالالف على الجمع (وعهدهم) أي ما كان من الامانات بربط وتوثيق (راعون) أي
 حافظون لها معترفون بها على وجه نافع غير ضار (والذين هم) أي بغاية ما يمكن أن يكون من توجه
 القلوب (بشهادتهم) التي شهدوا بها أو يستشهدون بها بطلب أو غيره وتقديم المعمول إشارة
 إلى أنهم في فرط قيامهم بها وصرعاتهم لها كانوا لا شاغل لهم سواها (فأعمون) أي يتعملون بها
 ويؤدون بها على غاية القام والحسن أداء من هو متبني لها واقف في انتظامها وقرأ حفص بألف
 بعد الدال على الجمع اعتباراً بتعدد الأنواع والباقون بغير ألف على التوحيد إذا المراد الجنس
 قال الواحدي والافراد أولى لأنه مصدر فيفرد كما تفرد المصادر وإن أضيف إلى الجمع كصوت
 الجير قال أكثر المفسرين يقومون بالشهادة على من كانت عليه من قريب وبعيد يقومون
 بها عند الحكم ولا يكتمونها وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما بشهادتهم أن الله وحده
 لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله (والذين هم على صلاتهم) أي من الفرض والنفل
 (يحافظون) أي يبالغون في حفظها ويجددونه حتى كأنهم يبادرونها بالحفظ ويسابقونها فيه
 فيحفظونها التحفظ بهم ويسابقون غيرهم في حفظها وتقدم أن المداومة غير المحافظة فدوامهم
 عليها يحافظتهم على أوقاتها وشروطها وأركانها ومستحباتها في ظواهرها وبواطنها من الخشوع
 والمراقبة وغير ذلك من خلال الاحسان التي إذا فعلوها كانت ناهية لفاعليها أن الصلاة تنهى
 عن الفحشاء والمنكر فتجمل على جميع هذه الاوامر وتبعد عن اضدادها فالدوام يرجع إلى
 نفس الصلاة والمحافظة إلى أحوالها ذكره القرطبي * ولما ذكر تعالى خلالهم أتبعه ما أعطاهم
 فقال عز من قائل مستأنفاً ومتجماً من غير فاء إشارة إلى أن رحمته هي التي أوصلتهم إلى ذلك من
 غير سبب منهم في الحقيقة (أو لك) أي الذين في غاية العلو لمالهم من الاوصاف العالمة
 (في جنات) أي في الدنيا والآخرة أما في الآخرة فواضح وأما في الدنيا فلا نهم لما جاهدوا فيه
 باتعاب أنفسهم في هذه الاوصاف حتى تخلقوا بها أعطاهم بما شرتهما لذات من أنس القرب
 وحلاوة المناجاة لا يساويها شيء أصلاً والجنة محل اجتماع فيه جميع الراحة والمستلذات
 والسرور واتي عنه جميع المكروهات والسرور وضدها النار وذهبهم على ذلك بقوله تعالى
 (مكرمون) معبراً باسم المفعول إشارة إلى عموم الاكرام من الخالق والخلق الناطق وغيره
 لأنه سبحانه قضى بأن يعلي مقدارهم فيكرمهم بأنواع الكرامات فينالهاهم بالبشرى حين الموت
 وفي قبورهم ومن حين قيامهم من قبورهم إلى دخولهم إلى قصورهم هذا حال المؤمنين وأما حال
 الكافرين فقال الله تعالى في حقهم (فالذين كفروا) وقف أبو عمرو على الالف بعد الميم
 والكسائي يقف على الالف وعلى اللام ووقف الباقر على اللام وأما الابتداء فالجميع يتبدون
 أول الكلمة أي أي شيء من السعادات للذين ستروا مراقي عقولهم عن الاقرار بفسادهم هذا

الكلام الذي هو أوضع من الشمس حال كونهم (قبلك) أي فحولك أيها الرسول الكريم وفيما أقبل عليك (مهطعين) أي مسرعين مع مد الاعناق وادامة النظر اليك في غاية العجب من مقالك هيئة من يسعى الى أمر لا حياة له بدونه (عن) أي متجاوزين اليك مكانا عن جهة (اليمين) أي منك حيث يتيمينون به (وعن الشمال) أي منك وان كانوا ابتشاهم دون به وقوله تعالى (عزيز) حال من الذين كفروا وقيل من الضمير في مهطعين فتكون حالا متداخلة أي جماعات جماعات وحلقا حلقا متفرقين خرفاشتي أفواجا لا يتהלون لباأنا جميعا جمع عزة وأصلها عزوة لأن كل فرقة تعزى الى غير ما تعزى اليه الاخرى فهم متفرقون قال الكمي

ونحن وجندل باغ تركا * كاتب جندل شتى عزينا

وجمع غرة جمع سلامة شذوذا وقيل كان المستهزئون خمسة أرهط روى ان المشركين كانوا يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه ويستهزئون به ويكذبونه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فقد دخلها قبلهم فرد الله تعالى عليهم بقوله عز من قائل (أيطمع) أي هؤلاء البعداء البغضاء وعبر بالطمع اشارة الى أنهم بلغوا الغاية في السفه لكونهم طلبوا أعز الاشياء من غير سبب نعاطوه له ولما كان اتيانهم على هيئة التفرق من غير انتظار جماعة لجماعة قال تعالى (كل امرئ منهم) أي على انفراد (أن يدخل) أي وهو كافر من غير ايمان بزيك كما يدخل المسلم فيستوى المسمى والمحسن (جنة نعيم) أي لا شيء فيها غير النعيم وقوله تعالى (كلا) ردع لهم عن طمعهم ودخولهم الجنة أي لا يكون ما طمعوا فيه أصلا لأن ذلك ممن فارغ لاسبب له بما دل عليه التعبير بالطمع دون الرجاء ثم علل ذلك بقوله تعالى (انا خلقناهم) أي بالقدرة التي لا يقدر أحد أن يقاومها (مما يعلمون) أي انهم يعلمون أنهم مخلوقون من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق سائر جنسهم فليس لهم فضل يستوجبون به الجنة وانما تستوجب بالايمان والعمل الصالح ورحمة الله تعالى وقيل كانوا يستهزئون بفقر المسلمين ويتكبرون عليهم فقال تعالى انا خلقناهم مما يعلمون أي من القدر وهو منصبهم الذي لا منصب أوضع منه ولذلك أبهم وأخفى اشعارا بأنه منصب يستحيان ذكره فلا يليق بهم هذا التكبر ويدعون التقدم ويقولون ندخل الجنة قبلهم قال قتادة في هذه الآية انما خلقت يا ابن آدم من قدر فاتق الله وروى ان مطرق بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب بن أبي صفرة يتجتر في مطرف خروجة خز فقال له يا عبد الله ما هذه المشية التي يغضها الله تعالى فقال له أتعرفي قال نعم أولك نطفة مزرة وآخرك جيفة قدرة وانت فيما بين ذلك تحمل العذرة فغضى المهلب وترك مشيته * (فائدة) قال ابن عربي في الفتوحات خلق الله الناس على أربعة أقسام قسم لا من ذكر ولا من أنثى وهو آدم عليه السلام وقسم من ذكر وأنثى وهو بقية الناس (فلا) زيدت فيه لا (أقسم برب) أي سيد ومبدع ومدبر (المشارق) أي التي تشرق الشمس والقمر والكواكب السائرة كل يوم في موضع منها على المنهاج الذي دبره والطريق والقانون الذي أتقنه وبخره ستة أشهر صاعدة وستة أشهر هابطة

(والمغارب) كذلك وهي التي ينشأ عنها الليل والنهار والقصول الاربعة فكان بهم اصلاح العالم
بعرفة الحساب واصلاح المآكل والمشارب وغير ذلك من المآرب فيوجد كل من الملوك
بعد ان لم يكن والنبات من النجم والشجر كذلك عادة مستمرة دالة على انه تعالى قادر على الابداد
والاعداد لكل ما يريد كما يريد من غير كلفة كما قال تعالى (انا) أى على ما لنا من العظمة
(لقد ارون على أن تبدل) أى تبدل اعظيما بنا من الجلالة عوضا عنهم (خيرامتهم) أى
بالخلق أو بتحويل الوصف فيكونون أشد بطشا في الدنيا وأكثر أموالا وأولادا وأعلى قدرا
وأكثر حشما وجاها وخدماء فيكونون عندك على قلب واحد في سماع قولك وتوقيرك وتعظيمك
والسعي في كل ما ينسرح صدرك تبدل ما يعمل هؤلاء من الهزم والتصفيق والصغير وكل ما يضيق به
صدرك وقد فعل ذلك سبحانه بالمهاجرين والانصار والتابعين لهم بإحسان بالسعة في الرزق بأخذ
أموال الجبارين من كسرى وقيصروا التكين في الارض حتى كانوا ملوك الدنيا مع العمل بما
يوجب لهم ملك الآخرة فخرجوا الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا في مرضاته
الانفس والاموال (وما نحن بمسبوقين) أى لا يفوتنا شئ ولا يهجزنا أمر نريده بوجه من الوجوه
(قد رهم) أى اتركهم ولو على أسوأ أحوالهم (يخوضوا) أى في باطلهم من مقالهم وفعالهم
(ويلعبوا) أى يفعلوا في دنياههم فعمل الالعب الذي لا فائدة لافعله الا ضياع الزمان واشتغال
أنت بما أمرت به (حتى يلاقوا) أى يلقوا (يومهم الذي يوعدون) وهو يوم كشف الغطاء
الذي أول مجيئه عند الفرغرة وتناهيه النفخة الثانية ودخول كل من الفريقين في داره وحمل
استقراره وهذه الآية منسوخة بآية السيف كما قاله البقاعي وابن عادل وقوله تعالى (يوم
يخرجون) يجوز أن يكون بدلا من يومهم أو منصوبا باضمار أعني (من الاجداث) أى القبور
التي صاروا بتقسيمهم فيها تحت وقع الحوافر والخلف فهم بحيث لا يدفعون شيئا يفعل بهم بل هم كلهم
في فم ماضع فان الحدث القبر والجدثة صوت الحافر والخلف ومضغ اللحم وقوله تعالى (سراعا)
أى نحو صوت الداعي ذاهبين الى المحشر حال من فاعل يخرجون جمع سريع كظراف في ظريف
وقرأ قوله تعالى (كانهم الى نصب) ابن عامر وخص بضم النون والصاد والباقون بفتح النون
واسكان الصاد على أنه مصدر بمعنى المفعول كما تقول هذا نصب عيني وضرب الامير والنصب كل
ما نصب فعبده من دون الله (يوفضون) أى يسرعون الى الداعي مستبقيين كما كانوا يستبقون الى
أنصابهم وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما الى نصب أى الى غاية وهي التي ينتصب اليها
بصرك وقال الكلبي هو شئ منصوب علم أو راية وقال الحسن كانوا يتدرون اذا طلعت
الشمس الى نصبهم التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى لا بلوى أولهم على آخرهم وقوله تعالى
(خاشعة) حال ايمان فاعل يوفضون وهو أقرب أو من فاعل يخرجون وفيه بعد منه وفيه تعدد
الحال لذى حال واحدة وفيه الخلاف المشهور وقوله تعالى (أبصارهم) فاعل والمعنى ذليلة
خاضعة لا يرفعونها لما يتوقعونه من عذاب الله تعالى (ترهقهم) أى تغشاهم فتغلبهم وتعمل
عليهم فتكلفهم كل عسر وضيق على وجه الاسراع عليهم (دلة) أى ضلما كانوا عليه في الدنيا

لان من تعزى في الدنيا على الحق ذل في الآخرة ومن ذل للعق في الدنيا عز في الآخرة (ذلك) أى الامر الذى هو فى غاية ما يكون من علو الرتبة فى العظمة (اليوم الذى كانوا يعدون) أى يوعدون فى الدنيا ان لهم فيه العذاب وأخرج الخبر بلفظ الماضى لأن ما وعد الله تعالى به فهو حق كائن لا محالة وهذا هو العذاب الذى سألو عنه اقل السورة فقد رجع آخرها على أولها وما قاله اليساوى تبعاً للزحشرى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله تعالى ثواب الذين هم لا مانا لهم وعهدهم راعون حديث موضوع

❖ (سورة نوح عليه السلام مكية) ❖

وهى سبع وعشرون آية ومائتان وأربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفاً

(بسم الله) ذى الجلال والاكرام (الرحمن) الذى عظم بما أفاضه من ظاهرا والانعام (الرحيم) الذى حفظ أولياءه من الابتداء الى الختام ولما ختمت سأل بالانذار للكفار وكانوا عباداً وثنان بعذاب الدنيا والآخرة أتبعها أعظم عذاب كان فى الدنيا على تكذيب الرسل بقصة نوح عليه السلام فقال تعالى (انا) أى بما لنا من العظمة البالغة (أرسلنا نوحاً الى قومه) أى الذين كانوا فى غاية القوة على القيام بما يحاولونه وهم يصدون أن يجيبوه ويكرموا ما بينهم من القرب بالنسب واللسان وكانوا جميع أهل الارض من الآدميين روى قتادة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول نبي أرسل نوح عليه السلام وأرسل الى جميع أهل الارض ولذلك لما كفروا أغرق الله تعالى أهل الارض جميعاً وهو نوح بن ملك بن متوشلح بن أخنوخ وهو ادريس بن يرد بن مهلايل بن أنوش بن قينان بن شيث بن آدم عليه السلام قال وهب وكل مؤمنون أرسل الى قومه وهو ابن خمسين سنة وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وهو ابن أربعين سنة وقال عبد الله بن شداد بعث وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة ويجوز فى قوله تعالى (ان أنذر) أى حذر تحذيراً عظيماً (قومك) أى الاستقرار على الكفر أن تكون أن مفسرة فلا يكون لها موضع من الاعراب لأن فى الارسال معنى الامر فلا حاجة الى اضممار ويجوز أن تكون المصدرية أى أرسلناه بالانذار قال الزحشرى والمعنى أرسلناه بأن قلناه أنذر قومك أى أرسلناه بالامر بالانذار وهذا الذى قدره جواب عن سؤال وهو أن قولهم ان أن المصدرية يجوز أن توصل بالامر مشكل لانه ينسبك منها وما بعده ما مصدر وحيتذ فتقوت الدلالة على الامر ألا ترى أنك اذا قدرت كتبت اليه بأن قم كتبت اليه القيام تقوت الدلالة على الامر حال التصريح بالمصدر فينبغى أن يقدر كما قاله الزحشرى أى كتبت اليه بأن قلت له قم أى كتبت اليه بالامر بالقيام وقال القرطبي أى بأن أنذر قومك (من قبل أن يأتهم) أى على ما هم عليه من الاعمال الخبيثة (عذاب أليم) أى عذاب الآخرة والطوفان (قال) أى نوح عليه السلام (يا قوم) فاستعطفهم بذكرهم انه أحدهم يهيمه ما يهيمهم (انى لكم نذير) أى مبالغ فى انذاركم (مبين) أى أمرى بين فى نفسه بحيث انه صار فى شدة وضوحه كأنه مظهر لما يتضمنه

مناد بذلك للقريب والبعيد والظن والغنى ويجوز في قوله تعالى (أن أعبدوا الله) أى الملك
الاعظم الذى له جميع الكمال أن تكون تفسيرية للذير وأن تكون مصدرة والكلام
فيها كما تقدم في آخرها وقرأ أبو عمرو وعاصم وحزرة في الوصل بكسر النون والباقون بالضم
والمعنى وحدوا الله (واتقوه) أى اجعلوا بينكم وبين غضبه وقاية تمنعكم من عذابه بالانتهاء عن
كل ما يكرهه فلا تنهركوا حركة ولا تسكنوا سكنة الا في طاعته وهذا هو العمل الواقي من كل سوء
(وأطيعون) أى لا عرفكم ما تقصر عنه عقوباتكم من صفات معبودكم ودينكم ودنياكم ومعادكم
وأدلكم على اجتلاب آداب تهديكم واجتناب شبهة تردىكم في طاعتي فلا حكم برضا الملك
عنكم وقوله (يعفركم) جواب الامر وفي من في قوله (من ذنوبكم) أوجه أحدها أنها
تعمية الثانية أنهم الابتداء الغاية الثالث أنهم مزيدة قال ابن عطية وهو مذهب كوفي ورد
بأن مذهبهم ليس ذلك لأنهم يشترطون تنكير مجرورها ولا يشترطون غيره ولا خفض لا يشترط
شيأ فالقول بزيادتها ما شاع على قوله لا على قوله لا يشترطون غيره ولا خفض لا يشترط
لأن من لا تزداد في الموجب وانما هي هنا للتبعيض وهو بعض الذنوب وهو ما لا يتعلق بحقوق
المخلوقين (ويؤخركم) أى بلا عذاب تأخيراً ينفعكم (الى أجل مسمى) أى قد سماه الله تعالى
وعلمه قبل ايجادكم فلا يزاد فيه ولا ينقص منه فيكون موتكم على العادة أو يأخذكم جميعاً
فالا موركها قد قدرت وفرغ من ضبطها الاحاطة العلم والقدرة فلا يزاد فيها ولا ينقص اي علم أن
الارسل انما هو مظهر لما قدره في الازل ولا يظن أنه قال للايمان بتغيير ما سبق به القضاء من
الطاعة والعصيان وقرأ أبو بكر ولا يؤخر ورش بابدال الهمزة واو واقفا ووصلا وحزرة في الوقف
دون الوصل والباقون بالهمز (ان أجل الله) أى الذى له الكمال كله فلا راد لامرئه (اذا جاء
لا يؤخر) أى اذا جاء الموت لا يؤخر بعذاب كان أو بغير عذاب وأضاف الاجل اليه سبحانه لانه
الذى أثبتته وقد يضاف الى القوم كقوله تعالى اذا جاء أجلهم لانه مضروب لهم (لو كنتم تعلمون)
أى لو كنتم من أهل العلم والنظر لعلمت ذلك ولكنهم لانهم ما كهم في حب الدنيا كأنهم شاكون
في الموت ~~ولما~~ كان عليه السلام أطول الانبياء عمرا وكان قد طال نصحه لهم ولم يزدادوا
الا طغيانا وكفرا (قال) مناديا لمن أرسله لانه تحقق أن لا قريب منه غيره (رب) أى يا سيدى
وخالى (انى دعوت) أى أوقعت الدعاء الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة (قوى) أى الذين هم
جديرون باجابتى لمعرفتهم بى وقربهم منى وفيهم قوة المحاولة لما يريدون (ليلا ونهارا) أى دائما
متصلا لا أفر عن ذلك وقيل معناه سرا وجهرا (فلم يزد هم دعائى) أى شيأ من أحوالهم التى كانوا
عليها (الاقرارا) أى بعدوا واعراضا عن الايمان كأنهم حرموا تنفيرا استثناء مفرغ وهو مفعول
ثان وقرأ عاصم وحزرة والكسائي يسكون الباء والباقون بفتحها وهم على مراتبهم في المد
(وانى كلما) أى على تكرار الاوقات وتعاقب الساعات (دعوتهم) أى الى الاقبال اليك بالايمان
بك والاخلاص لك (لتغفر لهم) أى ليؤمنوا فتمحو ما فرطوا فيه في حقل فافرطوا الاجل
في التجاوز في الحد نحو بالغافل يبق لشي من ذلك عين ولا أثر حتى لا تعاقبهم عليه ولا تعاتبهم

(جعلوا أصابعهم) كراهة منهم واحتقار للداعي (في آذانهم) حقيقة لثلاث سمعوا الدعاء إشارة إلى أن لا يزيد أن نسمع ذلك منك فإن آيت الالدعاء فانا لا نسمع لسد أسماعنا ودل على الإفراط في كراهة الدعاء بما ترجم عنه قوله (واستغشوا ثيابهم) أي أوجدوا التغطية لرؤسهم بثيابهم لثلاث يصبروه كراهة للنظر إلى وجهه من ينصهم في دين الله تعالى وهكذا حال النصاراء مع من ينصونه دائماً (وأصروا) أي اكبوا على الكفر وعلى المعاصي من أصر الحمار على العانة وهي القطيع من الوحش إذا صرأ ذنبه وأقبل عليها يكدمها ويطردها (واستكبروا) أي أوجدوا الكبر طالبين له راغبين فيه وكذلك بقوله (استكباراً) تنبيهها على أن فعلهم منابذ للحكمة وقد أفادت هذه الآيات بالصريح في غير موضع أنهم عصوا نوحاً عليه السلام وخالفوه مخالفة لا أقبح منها ظاهراً بتعطيل الاسماع والابصار وباطناً بالاصرار والاستكبار (ثم اني دعوتهم جهاراً) أي معلناً بالدعاء قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بأعلى صوتي (ثم اني أعلنت لهم) أي كررت لهم الدعاء معلناً وقرأ نافع وابن كثير يفتح الياء والباقون بسكونها (وأسررت لهم اسراراً) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد الرجل بعد الرجل أكله سراييني وبينه أدعوه إلى عبادتك وتوحيديك (فقلت) أي في دعائي لهم (استغفروا ربكم) أي اطلبوا من المحسن اليكم المبدع لكم المدير لا موردكم أن يحوذو بكم أعيانها وآثارها بأن تؤمنوا بالله وتثبته (انه كان) أي أزل وأبداداً ثم رداً (عقاراً) أي متصفاً بصفة الستر على من رجع إليه (يرسل السماء) أي المظلة لأن المطر منها ويجوز أن يراد السحاب والمطر (عليكم مدراراً) ويمدكم بأموال وبنين) أي ويكثر أموالكم وأولادكم وذلك أن قوم نوح عليه السلام لما كذبوه زماناً طويلاً حبس الله تعالى عنهم المطر وعقم أرحام نسائهم أربعين سنة فهلكت أموالهم ومواسيهم فقال لهم نوح استغفروا ربكم من الشرك أي استدعوه المغفرة بالتوحيد يرسل السماء عليكم مدراراً روى الشعبي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما خرج يستسقي بالناس فلم يرده على الاستغفار فلما نزل قيل يا أمير المؤمنين ما رأيناك استسقيت فقال لقد طلبت الغيث بخارج السماء التي بها يستنزل القطر ثم قرأ هذه الآية شبه الاستغفار بالأنواء الصادقة التي لا تخطئ وعن الحسن أن رجلاً شكك إليه الجذب فقال استغفر الله وشكك إليه آخر الفقر وأخر قلة النسل وأخر قلة ربيع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أنك رجل يشكون أبواباً ويسألون أنوعاً فأمرتهم كلهم بالاستغفار فقل الآية وقال القشيري من وقعت له حاجة إلى الله تعالى فلن يصل إلى مراده إلا بتقديم الاستغفار وقال إن عمل قوم نوح كان بضد ذلك كلما ازداد نوح عليه السلام في الضمان ووجوه الخير والاحسان ازدادوا في الكفر والنسيان (ويجعل لكم) أي في الدارين (جنات) أي بساكن عظمية وأعاد العامل للتأكيد فقال (ويجعل لكم أنهاراً) أي يخصكم بذلك عن لم يفعل ذلك فأن من لزم الاستغفار جعل الله من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً وقال تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض وقال تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لا كانوا من فوقهم

ومن تحت أرجلهم وقال تعالى وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا (مآلكم لا ترجون لله) أي الملك الذي له الأمر كله (وقارا) أي مآلكم لا تأملون له توقيرا أي تعظيما والمعنى مآلكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله أي أياكم في دار الثواب والله بيان للموقر ولو تأخر لكان صله الوفاقان بالمعرفة تزكوا الأعمال وتصلح الأقوال انما سبق أبو بكر رضي الله عنه بشئ وقر في صدره وانما يصح تعظيمه سبحانه بأن لا ترى لك عليه حقا ولا تنازع له اختيارا وتعظيم أمره ونهيه بعدم المعارضة (وقد) أي والحال أنه قد أحسن اليكم مرة بعد مرة بما لا يقدر عليه غيره فدل ذلك على تمام قدرته ثم لم يقطع احسانه عنكم فاستحق أن تؤمنوا به لانه هل جزاء الاحسان الا الاحسان ورجاء لدوام احسانه وخوف من قطعه لانه (خلقكم) أي أوجدكم من العدم مقتدرين (أطوارا) أي تارات عناصر أولاً ثم مركبات تغذي الحيوانات ثم اخلاطاً ثم نطفاتٍ مخلقا ثم مضغاً ثم عظاماً ولحوماً وأعضاءاً ودماء ثم خلقا آخر تاما ناطقا ذكرا واناثا إلى غير ذلك من الامور الدالة على قدرته على كل مقدور ومن قدر على هذا ابتداء كان على الاعادة أعظم قدرة (ألم تروا) أي أيها القوم (كيف خلق الله) أي الذي له العلم التام والقدرة البالغة والعظمة الكاملة (سبع سموات) هن في غاية العلو والسعة والاحكام والزينة (طباقا) أي متطابقة بعضها فوق بعض وكل واحدة في التي تليها محيطه بهامها من فروج ولا يكون تمام المطابقة كذلك الا بالاحاطة من كل جانب (وجعل القمر) أي الذي ترونه (فيه من نورا) أي لامعاً منتشراً كاشفاً للمرييات أحد وجهيه يضيء لاهل الارض والثاني لاهل السموات قال الحسن يعني في السماء الدنيا كما تقول آتيت بنى فلان وانما آتيت بعضهم وفلان متوار في دور بنى فلان وهو في دار واحدة وبدأ به لقربه وسرعة حركته وقطعه جميع البروج في كل شهر وغيبوبته في بعض الليالي ثم ظهوره وذلك أعجب في القدرة ولما كان نوره مستفاداً من نور الشمس قال تعالى (وجعل) أي فيها (الشمس) أي في السماء الرابعة (سراجاً) أي نوراً عظيماً كاشفاً لظلمة الليل عن وجه الارض وهي في السماء الرابعة كما مر وقيل في الخامسة وقيل في الشتاء في الرابعة وفي الصيف في السابعة روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وابن عمر أن الشمس والقمر وجوههما على السماوات أقصيتهما إلى الارض وجعلهما سبحانه آية على رؤية عباده المؤمنين في الجنة (والله) أي الملك الأعظم الذي له الأمر كله (أنبتكم) أي بخلق أيكم آدم عليه السلام (من الارض) أي كما ينبت الزرع وعبر بذلك تكبير النابغ كان من خلق أينا آدم عليه السلام لانه أدل على الحدوث والتكون من الارض (نباتاً) أي أنشأكم منها انشاء فاستعير الانبات لانه أدل على الحدوث والتكون وأصله أنبتكم فنبته نباتاً فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية (ثم يعيدكم) على التدريج (فيها) أي الارض بالموت والاقبار وان طالت الاجال (ويخرجكم) أي منها بالاعادة وكذا المصد والجاري على الفعل اشارة الى شدة العناية به وتحتم وقوعه لانكارهم له فقال تعالى (اخراجاً) أي غرساً ليس هو كما تعلمون بل تكونون به في غاية ما يكون من الحياة الباقية تلبس أرواحكم بها أجسامكم ملابسة

لا انفكاك بعدها لاسكان الاخر (والله) أى المستجمع لجميع الجلال والاکرام (جعل لكم) أى نعمة عليكم اهتماماً بمرکم (الارض بساطاً) أى سهل عليكم التصرف فيها والتقلب عليها سهولة التصرف في البساط ثم عمل ذلك بقوله تعالى (لتسلكوا) أى متخذين (منها) أى الارض مجددین ذلك (سبلاً) أى طرقاً واضحة - لو كانت كثيرة (لجاءوا) أى ذوات اتساع لتوصلوا الى البلاد الشاسعة برا وبحرا فيعم الاتساع بجميع البقاع فالذى قدر على احداثكم واقدركم على التصرف في أصلكم مع ضعفكم قادر على اخراجكم من أجداثكم التي لم تزل طوعاً أمراً وحمل عظمتهم وقهرهم * ولما أكثر وامتد نوح عليه السلام الجدال ونسبوه الى الضلال وقابلوه بأشنع الاقوال والافعال (قال نوح) أى بعد رفقه بهم وإيناهم لهم (رب) أى أيها المحسن الى المدبر المتولى لجميع أمري (انهم) أى قومي الذين دعوتهم اليك مع صبري عليهم ألف سنة الاخسين عاماً (عصوني) أى فيما أمرتهم به ودعوتهم اليه فأبوا أن يجيبوا دعوتي وشردوا عني أشد شراً ودخلوني أقبح مخالفة (وأتبعوا) أى بغاية جهدهم نظراً الى المظنون العاجل (من) أى رؤساءهم البطرين بأموالهم المغترين بولادتهم وفسرهم بقوله تعالى (لم يزد) أى شيئاً من الاشياء (ماله) أى كثرته (وولده) كذلك (الاخساراً) أى بالبعد من الله تعالى في الدنيا والآخرة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح الواوين واللام والباقون بضم الواو والثانية واسكان اللام (ومكروا) أى هؤلاء الرؤساء في تنفير الناس عني (مكراً) وزادته تأكيداً بصيغة هي النهاية في المبالغة بقوله (كباراً) فانه أبلغ من كبار المخفف الأبلغ من كبير واختلصوا في معنى مكروهم فقال ابن عباس قالوا قولاً عظيماً وقال الضحاک افتروا على الله تعالى وكذبوا رسله وقيل منع الرؤساء أتباعهم عن الايمان بنوح عليه السلام فلم يدعوا أحداً منهم بذلك المكرو يتبعه وحشوههم على قتله (وقالوا) أى لهم (لا تذرني) أى تتركني (ألهتكم) أى عبادتهم على حالة من الحالات لا قيحة ولا حسنة وأضافوها اليهم تحبيبا فيها ثم خصوا بالتسمية زيادة في الحث وتصريحاً بالمقصود فقالوا مكتررين اليين والعامل تأكيداً (ولا تذرني ودّاً) قرأ نافع بضم الواو والباقون بفتحها وأنشدوا بالوجهين قول الشاعر
حيال ووقمن هذا لأقينه * وحرص بأعلى ذى فضالة مسجد

وقال القرطبي قال الليث ودّاً بفتح الواو صنم كان لقوم نوح ودّاً بالضم صنم لقريش وبه سمى عمرو بن ود وفي الصحاح والود بالفتح الود في لغة أهل نجد ~~كانهم~~ سكنوا التاء وأدغموها في الدال اه ثم أعادوا النون تأكيداً فقالوا (ولاسواعاً) وأكدوا هذا التأكيد وأبلغوا فيه فقالوا (ولا يغوث) * ولما بلغ التأكيد نهايته وعلم ان القصد انتهى عن كل فرد فرد لا عن المجموع تركوا التأكيد في قولهم (ويعوق ونسراً) للعلم بإرادته واختلف المفسرون في هذه الاسماء فقال ابن عباس وغيره هي أصنام وصور كان قوم نوح يعبدونها ثم عبدتها العرب وهذا قول الجمهور وقيل انها للعرب لم يعبدوها غيرهم وكانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم فاذلك خصوها بالذكر بعد قولهم لا تذرني آلهتكم وقال عروة بن الزبير اشتكى آدم عليه السلام وعنده

بنوه وذو سواع ويغوث ويعوق ونسرو وكان ذكركمهم وأبرهم به قال محمد بن كعب
كان لا دم عليه السلام خمسة بنين ودو سواع ويغوث ويعوق ونسر وكانوا عبادا لغات رجل
منهم فخرنوا عليه فقال الشيطان أنا أصور لكم مثله إذا نظرت إليه ذكر عوه قالوا افعل فصوره
في المسجد من صفرو ورمصاص ثم مات آخر فصوره حتى ماتوا كلهم وصورهم وتناقصت الأشياء
كما تناقصت اليوم إلى أن تركوا عبادة الله تعالى بعد حين فقال لهم الشيطان ما لكم لا تعبدون
شيئا قالوا وما نعبد قال آلهتكم وآلهة آباءكم ألا ترون أنها في مصلاكم فعبدوها من دون الله
تعالى حتى بعث الله نوحا عليه السلام فقالوا لا تذر آلهتكم ولا تذر ذوالسواع إلا آية
وقال محمد بن كعب أيضا ومحمد بن قيس بل كانوا قومًا صالحين بين آدم ونوح عليه السلام وكان
لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا زين لهم ابليس أن يصوروا صورهم ليتذكروا بها الاجتهادهم
وليتسألوا بالنظر إليها فصوروهم فلما ماتوا جاء آخرون فقالوا ليت شعري ما هذه الصور التي كان
يعبدونها آباؤنا فجاءهم الشيطان فقال كان آباؤكم يعبدونها فترجمهم وذبحهم المطر فعبدوها
فابتدئ عبادة الأوثان من ذلك الوقت وبهذا المعنى فسر ما جاء في الصحيحين من حديث عائشة
أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة وأينها بأرض الحبشة تسمى مارية فيها تصاوير لرسول
الله صلى الله عليه وسلم لم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أولئك كانوا إذا مات منهم
الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عند الله يوم
القيامة وروى عن ابن عباس أن نوحا عليه السلام كان يحرس جسد آدم عليه السلام على
جبل الهند فيمنع الكافرين أن يطوفوا بقبره فقال لهم الشيطان إن هؤلاء يفخرون عليكم
ويزعمون أنهم بنو آدم دونكم وانما هو جسد وأنا أصور لكم مثله تطوفون به فصوروا لهم هذه
الاصنام الخمسة وحملهم على عبادتها فلما كان أيام الطوفان دفنها الطين والتراب والماء فلم تزل
مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب وكان للعرب أصنام أخرى فاللات كانت لقديد
واساف ونائلة وهبل كانت لأهل مكة وكان اساف حمال الحجر الاسود ونائلة حمال الزكن
اليمني وكان هبل في جوف الكعبة وقال الماوردي أما ودفنوا أول صهم معبود فسمى وذا
لو ذهم له وكان بعد قوم نوح لكليب بدومة الجندل في قول ابن عباس وعطاء وأما سواع فكان
له ذيل يساحل البحر في قولهم وقال الرازي وسواع له مدان وأما يغوث فكان غطيف
من مراد بالحرف من سباني قول قتادة وقال المهدي لمрад ثم لغطفان وقال أبو عثمان
الهمدي رأيت يغوث وكان من رمصاص وكانوا يحملونه على جبل أجرد ويسيرونه معهم
ولا ينيخونه حتى يبرك بنفسه فاذا برك نزلوا وقالوا قد رضينا لكم المنزل وأما يعوق فكان له مدان
وقيل لمрад وأما نسر فكان لدى الكلاخ من جبري قول قتادة ومقاتل وقال الواقدي كان
ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس
ونسر على صورة نسر من الطير قال البقاعي ولا يعارض هذا أنهم صور لناس صالحين لأن
تصويرهم لهم يمكن أن يكون منزعجا من معانيهم فكان ذلك كمال في الرجولية وكان سواع امرأة

كاملة في العبادة وكان يغوث شجاعا وكان يعوق سابقا قويا وكان نسر عظيم أطويل العمر
 ولما ذكرهم مكرهم وما أظهر وأمن قواهم عطف عليه ما توقع السامع من أمرهم فقال تعالى
 (وقد أضلوا) أي الرؤساء أو الأصنام وجعلهم جمع العقلاء معاملة لهم معاملة العقلاء كقوله
 رب اغفر أضلنا (كثيرا) من عبادة الذين خلقتهم على الفطرة السليمة من أهل زمانهم وعن أي
 بعدهم فانهم أول من سن هذه السنة السيئة فعليهم وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة
 وقول نوح عليه السلام (ولا تزد الظالمين) أي الراسخين في الوصف الموجب للنار (الأضلالا)
 أي طبعها على قلوبهم حتى يعموا عن الحق عطف على قلبه أضلوا دعاء عليهم بعد ما أعلمه الله تعالى
 أنهم لا يؤمنون بقوله تعالى أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن وكذلك دعا موسى وهرون
 عليهما السلام في الشدة على قلوب فرعون وملئه لئلا يؤمنوا في حال ينفعهم فيه وما في قوله تعالى
 (مما خطاياهم) أي من أجل خطيائهم مزيدة للتأكيد والتفخيم وقرأ أبو عمرو بفتح الطاء
 وبعدها ألف وبعدها الألف ياء وبعدها الألف وضم الهاء على وزن قضاياهم والباقيون بكسر الطاء
 وبعدها ياء تحتية ساكنة وبعدها ياء همزة مفتوحة وبعدها ألف وبعدها الألف تاء فوقية مكسورة
 وكسر الهاء على وزن قضاياتهم (أعرقوا) أي بالطوفان طاف عليهم جميع الأرض السهل
 والجبل فلم يبق منهم أحد وكذا الكلام فيما سبب عنه وتعمقه في قوله (فأدخلوا) في الآخرة
 التي أولها البرزخ يعرضون فيه على النار بكرة وعشيا (نارا) أي عظيمة جدا أخفها ما يكون
 من مباديها في البرزخ قال الملوئ عذبوا في الدنيا بالغرق وفي الآخرة بالحرق وقال الضمالة
 في حالة واحدة كانوا يغرقون من جانب ويحترقون في الماء من جانب بقدرته الله تعالى (فلم يجدوا
 لهم) أي عندما أناخ الله بهم سطوته وأجل بهم نهمة (من دون الله) أي الملك الأعظم الذي
 تضعل المراتب تحت رتبة عظمتهم ونزل لعز وجليل سطوته (أنصارا) تنصرهم على من أراد
 بهم ذلك لينعوه مما أراد سبحانه من اغراقهم من غير أن يخلف منهم أحد على كثرتهم وقوتهم
 لكونهم أعداء وانجاء نبيه عليه السلام ومن آمن معه على ضعفهم وقلته لم يفقد منهم أحد
 لكونهم أوليائه كما أنه لم يسلم من أراد اغراقهم أحد على كثرتهم وقوتهم قال البقاعي فن قال
 عن عوج ما تقوله القصاص فهو ضلال أشد ضلال قال وقائل ذلك هو ابن عربي صاحب
 الفصوص الذي لم يرد بتصنيفه إلا هدم الشريعة وزاد في الخط عليه وعلى ابن القارض وعلى
 الحلاج وعلى من شابههم وأمر هؤلاء إلى الله تعالى فإنه العالم بحقائق الأمور وما تخفى الصدور
 (وقال نوح) وأسقط الأداة كما هو عادة أهل الحضرة فقال (رب لا تذر) أي لا تترك (على الأرض)
 أي كلها (من الكافرين) أي الراسخين في الكفر (ديارا) أي أحدا يدور فيها وهو من ألقاظ
 العموم التي تستعمل في النقي فيعال من الدور أو الدار لأفعال والالكان دوارا قال قتادة
 دعا عليهم بعد أن أوحى الله تعالى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فأجاب الله تعالى
 دعوته وأغرق أمته وهذا كقول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب وهازم الأحزاب
 اهزمهم وزلزلهم وقيل سبب دعائه أن رجلا من قومه حمل ولدا صغيرا على كتفه فترنوح

عليه السلام فقال احذر هذا فإنه يضلك فقال يا أبا ترابي فأنزله فرماه فشبهه حينئذ غضب
ودعاء لهم (فان قيل) ما فعل صبيانهم حين أغرقوا (أجيب) بأنهم أغرقوا معهم لأعلى وجه
العقاب ولكن كما يموتون بالانواع من أسباب الموت وكمنهم من يموت بالغرق والحرق وكان
ذلك زيادة في عذاب الآباء والامتهات اذا أبصروا أطفالهم يغرقون ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادرتي وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم
الله تعالى برأتهم فأهلكهم بغير عذاب وقال محمد بن كعب ومقاتل انما قال هذا حين أخرج
الله تعالى كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم وأعقم أرحام أمهاتهم وأيس أصلاب
رحالهم قبل العذاب بأربعين سنة وقيل بسبعين سنة فأخبر الله تعالى نوحا عليه السلام انهم
لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا كما قال تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قدامن حينئذ
دعاهم فأجاب الله تعالى دعاءهم فأهلكهم ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب لان الله تعالى
قال وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم ولم يوجد التكذيب من الاطفال وقال ابن عربي
دعاه نوح عليه السلام على الكافرين أجمعين ودعا النبي صلى الله عليه وسلم على من تحزب على
المؤمنين وكفى بهذا أصلا في الدعاء على الكافرين في الجملة وأما كافر معين لم تعلم خاتمه
فلا يدعى عليه لان ما له عندنا مجهول وربما كان عند الله معلوم الخاتمة بالسعادة وانما خص
النبي صلى الله عليه وسلم عتبة وشيبة وأصحابه لعلمهم بالله وما كشف الله له من الغطاء عن حالهم
ولما كان الرسل عليهم السلام لا يقولون ولا يفعلون الا ما كان فيه مصلحة الدين علل دعاءه بقوله
(انك) أي يارب (ان تذرهم) أي تتركهم على أي حالة كانت في ابقائهم سالمين على وجه الارض
ولو كانت حالة دينية (يضلوا عبادك) أي الذين آمنوا بك وبى والذين يولدون على الفطرة السلية
(ولا يلدوا) أي ان قدرت بقاءهم (الافاجرا) أي ما رقا عن كل ما ينبغي الاعتصام به (كفاراً)
أي بليغ الستر لما يجب اظهاره من آيات الله (فان قيل) بم علم أن أولادهم يكفرون وكيف وصفهم
بالكفر عند الولادة (أجيب) بأنه لبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فعرف طبايعهم وأحوالهم
وكان الرجل ينطق بانه اليه ويقول احذر هذا فإنه كذاب وان أبي حذرينه فيموت الكبير
وينشأ الصغير على ذلك وقد أخبر الله تعالى أنه لن يؤمن من قومك الا من قدامن ومعنى
ولا يلدوا الافاجرا كفار لم يلدوا الا من سيفجروا يكفروا وصفهم بما يصيرون اليه كقوله صلى الله
عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه ولما دعاه على أعداء الله تعالى دعاءا وليا له وبدأ بنفسه فقال
مستط الاداة على عادة أهل الخصوص (رب) أي أيها المحسن الى أتباع من اتبعني وتجنب من
تجنبني (اغفر لي) أي فانه لا يسعني وان كنت معصوما الاحلك وعفوك ومغفرتك (ولو ادى)
وكافا مؤمنين يريد أبو به اسم أبيه ملك بن متوشلح وأمه شمعان بنت أنوش وعن ابن عباس لم يكفر
لنوح عليه السلام أب فيما بينه وبين آدم عليه السلام وقيل هما آدم وحواء وأعاد الجار اظهارا
للإهتمام فقال (ولن دخل يتي) أي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفيني (مؤمنا) أي مصداقا
بالله تعالى مؤمنا حال وعن ابن عباس أي دخل في ديني (فان قيل) على هذا يصير قوله مؤمنا

نكروا (أجيب) بأن من دخل في دينه ظاهر اقد يكون مؤمنا وقد لا يكون فالمعنى لمن دخل
 دخولا مع تصديق القلب (وللمؤمنين والمؤمنات) خص نفسه أولا بالدعاء ثم من يتصل به لانهم
 أولى وأحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات الى يوم القيامة قاله الفخام وقال الكلبي من أمة
 محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قومه والاقول أولى وأظهر ثم ختم الكلام مرة أخرى بالدعاء
 على الكافرين فقال (ولا تزد الظالمين) أي العريقين في الظلم في حال من الاحوال (الآتيار)
 أي هلاكهم كما دمر اواراد بالظالمين الكافرون فهي عامة في كل كافر ومشرك وقيل أراد
 مشركي قومه وتبارك افعول ثان والاستثناء مفرغ وقيل الهلاك الخسران وقول البيضاوي
 تبع المثل يخشى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم
 دعوة نوح عليه السلام حديث موضوع

﴿سورة الجن وتسمى سورة قل ادى مكية﴾

وهي ثمان وعشرون آية ومائتان وخمس وعمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفا

(بسم الله) المحيط بالكمال (الرحمن) الذي عم برحمته الناس بالارسال (الرحيم) الذي خص
 من بين أهل الدعوة من شاء بحسن الاعمال * ولما كان نوح عليه السلام أقول رسول أرسله الله
 تعالى الى المخالفين من أهل الارض وكان نبينا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فهو آخر رسول
 بعثه الله تعالى الى أهل الارض وغيرهم ناسب ذكره بعد نوح فقال تعالى انبيه محمد صلى الله
 عليه وسلم (قل) أي يا أشرف الرسل للناس (أوحى الى) وقال ابن عباس قل يا محمد لا تمك
 أوحى الى علي لسان جبريل (أنه استمع نقر من الجن) والنقر الجماعة ما بين الثلاثة الى العشرة
 قال البغوي وكانوا تسعة من جن نصيبين وقيل كانوا سبعة وفي هذه العبارة دليل على أنه صلى
 الله عليه وسلم ما رآهم ولا قرأ عليهم وانما اتفق حضورهم عند قراءته ففي صحيح مسلم عن ابن عباس
 قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل
 بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا
 ما لكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب فقالوا ما ذلك الا من شئ حدث
 فاضربوا مشارق الارض ومغاريبها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا
 يضربون مشارق الارض ومغاريبها فزالتهم الذين أخذوا نحو تهامة وهو أصحابه بنخله
 قاصدين سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة العجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له قالوا هذا
 الذي حال بيننا وبين خبر السماء وهل هذا الا سماع هو المذكور في الاحقاف أو غيره قال
 أبو حيان المشهور أنه هو وقيل غيره والجن الذين أتوه جن نصيبين والذين أتوه بنخله جن ينوي
 والسورة التي استمعوها قال عكرمة العلق وقيل الرحمن ولم يذكر هنا ولا في الاحقاف انه رآهم
 وعن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أتلوا القرآن على الجن فمن يذهب فسكتوا
 ثم قال الثانية فسكتوا ثم قال الثالثة فقلت أنا أذهب معك يا رسول الله قال فانطلق حتى جاء
 الجنون عندهم بن أبي ذئب خط على خطا فقال لا تجاوزه ثم مضى الى الجنون فانحدروا عليه

أمثال الجبل كأنهم رجال الزط قال ابن الأثير في النهاية الزط قوم من السودان والهنود وكان
وجوههم المسكاني يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة في دفوفها حتى غشوه فغاب عن بصري
فقلت فأومأ إلى يده أن اجلس ثم تلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع واصلقوا بالارض حتى صرت
لا أراهم وفي رواية أخرى قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم من أنت قال أنا نبي قالوا فمن يشهد
لك على ذلك فقال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت فجزع عروقها لها فعاقع حتى انتصبت بين يديه
فقال على ماذا تشهد في قالت أشهد أنك رسول الله قال اذهبي فارجعت كما جاءت حتى صارت
كما كانت قال ابن مسعود فلما عاد إلى قال أردت أن تأتي قل نعم يا رسول الله قال ما كان
ذلك لك هؤلاء الجن أتوا يستمعون القرآن ثم ولوا إلى قومهم منذرين فسألوني الزاد فزودتهم
العظم والبعر فلا يستطيعون أي يستنجي أحدكم بعظم ولا بعر وفي رواية أنه عليه الصلاة والسلام
لما فرغ وضع رأسه على حجر ابن مسعود فرقد ثم استيقظ فقال هل من وضوء قال لا الآن معي
ادواة نبيذ فقال هل هو الآخر وما فتوضأ منه قال الرازي وطريق الجمع بين رواية ابن عباس
ورواية ابن مسعود من وجوه أحدها العمل ما ذكره ابن عباس وقع أولا فأوحى الله تعالى إليه
بهذه السورة ثم أمر بالخروج إليهم بعد ذلك كما روى عن ابن مسعود أي فالواقعة متعقدة ثانيها
انها واقعة واحدة إلا أنه صلى الله عليه وسلم ما رآهم ولا عرف ماذا قالوا ولا أي شئ فعلوا
فأوحى الله تعالى أوحى إليه انه كان كذا وكذا فعملوا كذا وكذا ثالثها أنها كانت واحدة وأنه صلى
الله عليه وسلم رآهم وسمع كلامهم وهم آمنوا به ثم رجعوا إلى قومهم قالوا لهم على سبيل الحكاية
إننا سمعنا قرآنا عجبا وكان كذا وكذا فأوحى الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ما قالوه لقومهم
قال ابن عربي ابن مسعود أعرف من ابن عباس لانه شاهد به وابن عباس سمعه وليس الخبر
كلما بينة وقال القرطبي ان الجن أتوا النبي صلى الله عليه وسلم دفعتين احداهما ما بمكة وهي التي
ذكرها ابن مسعود والثانية بنخلة وهي التي ذكرها ابن عباس وقال البيهقي الذي حكاه
ابن مسعود انما هو في أول ما سمعت الجن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وعامت بحاله وفي ذلك
الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم كما حكاه ابن عباس ثم أتاه داعي الجن مرة أخرى فذهب معه
وقرأ عليهم القرآن كما حكاه ابن مسعود وقال القشيري لما رجم ابليس بالذهب ففرق ابليس
جنوده لعلم ذلك فأتى سبعة منهم بطن بنخلة فأسعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فآمنوا
ثم أتوا قومهم فقالوا اننا سمعنا قرآنا عجبا يعني ولم يرجعوا إلى ابليس لما علموه من كذبه وسفاهته
وجاؤا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين من قومه فأسلموا فذلك قوله تعالى واذ صرنا إليك
نقرا الآيات (فقالوا) أي قد سبب عن استماعهم ان قالوا (اننا سمعنا) أي حين تعمدنا الاصفاء
وألقينا إليه أفهامنا (قرأنا) أي كلاما هو في غاية الانتظام في نفسه والجمع لجميع ما يحتاج إليه
وقرأ ابن كثير بالنقل وقفا ووصلا وحزاة في الوقف دون الوصل والباقون بغير نقل وقفا ووصلا
ثم وصفوا القرآن بالمصدر مبالغة في أمره فقالوا (عجبا) أي بديعا خارجا عن عادة أمثاله من جميع
الكتب الالهية فضلا عن جميع الناس في جلالة النظم والعجاز التركيب (يهدي) أي يبين

خاية البيان (الى الرشد) أى الحق والصواب (فأَمْنَا) أى كل من استمع منكم يتخلف منا أحد
 ولا توقف بعد الاستماع (به) أى القرآن أى فاهتدي بنا به وصدقنا انه من عند الله (وان تشرك
 ربنا أحدا) أى لا ترجع الى ابليس ولا نطيعه ولا نعود الى ما كنا عليه من الاشراك وهذا يدل
 على أن أولئك الجن كانوا مشركين قال الرازى واعلم أن قوله تعالى قل أمر لرسوله صلى الله
 عليه وسلم أن يظهر لأصحابه ما أوحى اليه فى واقعة الجن وفيه فوائد أحدها أن يعرفوا بذلك
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الجن كما بعث الى الانس ثانيها أن تعلم قريش
 ان الجن مع تتردهم المسموعوا القرآن وعرفوا اعجازه آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم ثالثها
 أن يعلم القوم ان الجن مكلفون كالانس رابعها أن يعلم ان الجن يستمعون كلاما تفهمه من لغتنا
 خامسها ان يظهر المؤمن منهم بدعوى غيره من الجن الى الايمان وفى هذه الوجوه مصالح كثيرة
 اذا عرفها الناس * (تنبيهات) * أحدها اختلاف العلماء فى أصل الجن فروى عن الحسن
 البصرى ان الجن ولد ابليس والانس ولد آدم ومن هؤلاء مؤمنون وكافرون وهم شركاء
 فى الثواب والعقاب فمن كان من هؤلاء وكافرا فهو شيطان وروى الضحاك عن ابن عباس
 ان الجن هم ولد الجن وليسوا شياطين ومنهم المؤمن ومنهم الكافر والشياطين ولد ابليس
 لا يموتون الا مع ابليس وروى أن ذلك النفر كانوا يهودا وذكر الحسن ان منهم يهودا ونصارى
 ومجوسا ومشركين * ثانيها اختلافوا فى دخول الجن الجنة على حسب الاختلاف فى أصلهم
 فمن زعم انهم من الجن لا من ذرية ابليس قال يدخلون الجنة بايمانهم ومن قال انهم من ذرية
 ابليس فلهم فيها قولان أحدهما وهو قول الحسن يدخلونها والثانى وهو رواية مجاهد
 لا يدخلونها ثالثها قال القرطبي قد أنكر جماعة من كفره الاطباء والفلاسفة الجن وقالوا انهم
 بسائط ولا يصح طعامهم اجترأ على الله تعالى والقرآن والسنة يردان عليهم وليس فى المخلوقات
 بسيط بل مركب مزدوج انما الواحد الواحد سبحانه وغيره مركب ليس بواحد وليس بممتنع
 أن يراهم النبى صلى الله عليه وسلم فى صورهم كما يرى الملائكة وأكثر ما يتصورون لنا فى صور
 الحيات ثم عطفوا على قواهم اناسمنا (وانه) أى الشأن العظيم قال الجن (تعالى) أى انتهى
 فى العلو الى حد لا يستطيع (جد) أى عظمة وسلطان وكما لى غنى (ربنا) يقال جد الرجل اذا عظم
 ومنه قول أنس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جتفينا أى عظم قدره وقال السدى
 جد ربنا أى أمر ربنا وقال الحسن غنى ربنا ومنه قيل الحظ جدور وجل مجدود أى محفوظ
 وفى الحديث ولا ينفع ذا الجحمة منك الجنة قال أبو عبيد والخليل أى ذا الغنى منك الغنى
 انما تنفعه الطاعة وقال ابن عباس قدرة ربنا وقال الضحاك فعله وقال القرطبي الآؤه
 ونعماءه على خلقه وقال الاخفش علامك ربنا والاولى جميع هذه المعانى وقرأ (وانه تعالى
 جد ربنا وما بعده الى قوله تعالى وانما لنا المسلمون وهى اثنا عشر موضعا ابن عامر وحدهم وحجرة
 والتكسافى بفتح الهمزة فى الجميع والباقون بالكسرة ولما وصفوه بهذا التعالى الاعظم
 المستلزم للغنى المطلق والتزه عن كل شائبة نقص ينوبه بنى ما ينافيه من قوله - ابطالا للباطل

(ما اتخذ صاحبة) أى زوجة لأن صاحبة لا بد وأن تكون من نوع صاحبها ومن له نوع فهو مركب تركيباً عقلياً من صفة مشتركة وصفة مميزة (ولا ولداً) لأن الولد لا بد وأن يكون جراً منفصلاً عن والده ومن له أجزاء فهو مركب تركيباً حسيّاً ومن المقطوع به أن ذلك لا يكون الاحتاج وأن الله تعالى متعال عن ذلك من تركيب حسي أو عقلي قال القشيري ويجوز إطلاق لفظ الجن في حق الله تعالى إذ لو لم يجوز لما ذكر في القرآن غير أنه لفظ موهم فتنبه أولى أى لأنه قيل إنهم عنوان ذلك الجن الذي هو أبو الابل ويكون ذلك من قول الجن قال ابن جعفر الصادق ليس لله تعالى جد وإنما قاله الجن للجهالة فلم يؤخذوا به وقال القرطبي معنى الآية وأنه تعالى جد ربنا أن يتخذ ولداً وصاحبة للاستئناس بهما أو الحاجة إليهما والرب تعالى عن ذلك كما تعالى عن الانداد والنظراء (وأنه) أى وقالوا إن الشأن هذا على قراءة الكسر وأما بأنه على قراءة الفتح (كان يقول) أى قولاً هو في عراقة في الكذب بمنزلة الجبل (سفينة) هو للجنس فيتناول إبليس رأس الجنس تناولاً أولياً وكل من تبعه ممن لم يعرف الله تعالى لأن عمرة العقل العلم وعمرة العلم معرفة الله تعالى فمن لم يعرفه فهو الذي يقول (على الله) الذي له صفات الكمال المنافية لقول هذا السفينة (شططا) أى كذبا وعدوانا وهو وصفه بالشريك والولد والشطط والاشطاط الغلو في الكفر وقال أبو مالك هو الجور وقال الكلبي هو الكذب وأصله البعد فعبر به عن الجور ولبعده عن العدل وعن الكذب لبعده عن الصدق (وانا) أى يامعشر المسلمين من الجن (ظننا) أى حسبنا بالسلامة فطرتنا (أن) أى أنه وزادوا في التأكيد فقالوا (إن تقول) وبدوا بأفضل الجنس فقالوا (الأنس) وأتبعوهم قرناءهم فقالوا (والجن على الله) أى الملك الأعلى الذي بيده النفع والضرة (كذبا) أى قولاً هو لعراقة في مخالفة الواقع نفس الكذب وإنما كانوا ظنهم صادقين في قولهم إن الله صاحبة ولداً حتى سمعنا القرآن وتبيننا به الحق قيل انقطع الأخبار عن الجن ههنا (وأنه) أى الشأن (كان رجال) أى ذوو قوة وبأس (من الأنس) أى النوع الظاهر في عالم الحس (يعوذون) أى يلجئون ويعصمون خوفاً على أنفسهم وما معهم إذ انزلوا وأديا (برجال من الجن) أى القبيل المستتر عن الإبصار وذلك أن القوم منهم كانوا إذ انزلوا وأديا وغيره من القفر تعبت بهم الجن في بعض الأحيان لأنه لا مانع لهم منهم من ذكر الله ولادين صحيح ولا كتاب من الله تعالى صريح فعملهم ذلك على أن يستحيروا بعظمائهم فكان الرجل يقول عند نزوله أعوذ بهذا الوادي من سفهاء قومه فيبيت في آمن وفي جوارهم حتى يصبح فلا يرى الا خيراً وربما هدوه الى الطريق وردوا عليه ضالته قال مقاتل كان أول من تعوذ بالجن قوم من أهل اليمن من بني حنيفة ثم فشا ذلك في العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله تعالى وتركوهم وقال كرم بن أبي السائب الانصارى خرجت مع أبي الى المدينة في حاجة وذلك أقول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قالوا انا المبيت الى راعي غنم فلما اتصف النهار جاء ذئب فأخذ من الغنم فوثب الراعي وقال يا عامر الوادي جارك فنادى مناد لا ترام يا سرخان أرسله فأقوى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدعة فكان ذلك فتنة للأنس

باعقادهم في الجن غير ما هم عليه قبيح موهم في الضلال وقتنة للجن بأن يغتروا بأنفسهم ويقولوا
سدنا الانس والجن فيضلوا ويضلوا ولذلك سبب عنه قوله تعالى (فزادوهم) أي الانس والجن
باعتقادهم (رهقا) أي ضيقا وشدة وغشيانا نجاءهم فيه من أحوال الضلال التي يلزم
منها الضيق والشدة وقال مجاهد الرهق الانم وغشيان المحارم ورجل رهق إذا كان كذلك
ومنه قوله تعالى وترهقهم ذله وقال الاعشى

لا شيء يتقنى من دون رؤيتها * هل يشتني عاشق مالم يصب رهقا

يعنى انما وقال مجاهد أيضا زادوهم أي ان الانس زادوا الجن طغيا ناهذا التعوذ حتى قالت الجن
سدنا الانس والجن وقيل لا يطلق لفظ الرجال على الجن فالمعنى وأنه كان رجال من الانس
يعوذون رجال من الانس من شر الجن فكان الرجل مثلا يقول أعوذ بحذيفة بن بدر من جن
هذا الوادي قال القشيري وفي هذا تحكم اذ لا يبعد اطلاق لفظ الرجل على الجن (تنبيه) * قوله
تعالى من الانس صفة لرجال وكذا قوله من الجن (وانهم) أي الانس (ظنوا) والظن قد يصيب
وقد يخطئ وهو أكثر (كما ظنتم) أي أيها الجن ويجوز العكس (أن) مخففة أي انه (لن يبعث الله)
أي الذي له الاحاطة الكاملة علما وقدرة (أحدا) أي بعد موته لما ليس به ابليس عليهم حتى رأوا
حسنا ما ليس بالحسن أو أحدا من الرسل يزيل به عماية الجهل وقد ظهر بالقرآن ان هذا الظن
كاذب وانه لا بد من البعث في الامرين قال الجن (وانا لمسنا السماء) أي زمن استراق السمع
منها قال الكلبي السماء الدنيا أي التمسنا أخبارها على ما كان من عادتنا من استماع ما تنغوى به
الانس والانس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع
كلام أهلها (فوجدناها) في وجد وجهان أظهرهما انهم امتعديت لواحد لان معناها أصبنا
وصادفنا وعلى هذا فالجمله من قواهم (ملئت) في موضع نصب على الحال على اضمار قد والثاني
انهم امتعديت لاثنتين فتكون الجملة في موضع المفعول الثاني ويكون (حراسا) منصوبا على التمييز نحو
امتلا الاناء ماء والحرس اسم جمع لحارس نحو وخدم الخادم وهم الملائكة الذين يرحلونهم بالشهب
وينعونهم من الاستماع ويجمع تكسيرا على احراس والحارس الحافظ الرقيب والمصدر الحراسة
(وشديدا) صفة لحرس على اللفظ ولوجاء على المعنى لقليل شدا اذا بالجمع لان المعنى ملئت ملائكة
شدا اذا كقولك السلف الصالح يعني الصالحين قال القرطبي ويجوز أن يكون حراسا مصدرا على
معنى حرس حراسة شديدة (وشهباً) جمع شهاب ككتاب وكتب وهو انقضاض الكواكب
المحرقة لهم المنافع لهم عن استراق السمع (وانا كنا) أي فيما مضى (تقعدهم منها) أي السماء
(مقاعد) أي كثيرة قد علمناها الاحراس فيها صالحة (للسمع) أي أن نسمع منها بعض ما تتكلم به
الملائكة مما أمروا بتدبيره وقد جاء في الخبر ان صفة قعودهم هو ان يكون الواحد منهم فوق
الآخر حتى يصلوا الى السماء فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها الى الكهان فيزيدين معها
الكذب (فن يستمع الآن) أي في هذا الوقت وفيما يستقبل لأنهم أرادوا وقت قولهم فقط
(يجدله) أي لاجله (شهاباً) أي شعله من نار ساطعة تحرقه (رصدنا) أي أرصد به ليرى به

(تنبيه) * اختلفوا هل كانت الشياطين تقذف قبل البعث او ذلك امر حدث ببعث النبي صلى الله عليه وسلم فقال قوم لم تكن السماء تخرس في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمسمائة عام وانما كان من أجل بعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث منعوا من السموات كلها وحرسوا بالملائكة والشهب وقال عبد الله بن عمر لما كان اليوم الذي نبئ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين ورموا بالشهب قال الزمخشري والصحيح انه كان قبل البعث وقد جاء شعره في أهل الجاهلية قال بشر بن أبي حازم

والعير يرقها الغبار ويحشها * ينقض خلفها انقضا الكوكب

ولكن الشياطين كانت تسترق السمع في بعض الاحوال فلما بعث صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وازداد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق أصلا وعن معمر قلت للزهرى أكان يرى بالتجهم في الجاهلية قال نعم قلت أرأيت قوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعدت قال غلظت وشدد أمرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وروى الزهرى عن علي بن الحسين عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الانصار اذ رمى بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم فقال صلى الله عليه وسلم انها لا ترى لموت أحد ولا لحياة ولا يكن ربنا تبارك وتعالى اذا قضى أمر في السماء سبع حلة العرش ثم سجد أهل كل سماء حتى ينتهي التسبيح الى هذه السماء فتسأل أهل السماء حلة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويخبر أهل كل سماء حتى ينتهي الخبر الى أهل هذه السماء وهذا يدل على أن هذه الشهب كانت موجودة قال ابن عاذل وهذا قول الأكثرين (فان قيل) كيف تتعرض الجن لاحتراق أنفسها بسبب سماع خبر بعد أن صار ذلك معلوما لهم (أجيب) بأن الله تعالى ينسبهم ذلك حتى تعظم الحنة قال القرطبي والرصد قيل من الملائكة أي ورصد من الملائكة والرصد الحافظ للشيء والجمع أرصاد وقيل الرصد هو الشهاب أي شهاب قد أرصدله ليرجم به فهو فعل بمعنى مفعول * واختلف فيمن قال (وانا لاندري) أي بوجه من الوجوه (أشتر أريد) أي بعدم استراق السمع (بمن في الارض أم أراد بهم ربه) أي المحسن اليهم المدبر لهم (رشدا) أي خيرا فقال ابن زيد معنى الآية ان ابليس قال لاندري هل أراد الله بهذا المنع ان ينزل على أهل الارض عقابا أو يرسل اليهم رسولا وقيل هو من قول الجن فيما بينهم قبل ان يستمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم أي لاندري أشتر أريد بمن في الارض بارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم فانهم يكذبونه ويهلكون بكذبه كما هلك من كذب من الامم أم أراد ان يؤمنوا فيهدوا فالشر والرشد على هذا الكفر والايان وعلى هذا كان عندهم علم ببعث النبي صلى الله عليه وسلم ولما سمعوا قراءته علموا أنهم منعوا من السماء حراسة للوحى وقيل قالوا القوم هم بعد أن انصرفوا اليهم منذرين أي لما آمنوا أشفقوا أن لا يؤمن كثير من أهل الارض فقالوا انا لاندري أي يكفر أهل الارض بما آمن به أم يؤمنون قال الجن (وانا من الصالحون) أي العربية قون في صفة الصلاح قال الجلال الهلي بعد استماع القرآن (ومنادون ذلك) أي قوم غير صالحين (كنا) أي

كوناهو كالجبلية (طرائق قددا) أي جماعات متفرقة وأصنافا مختلفة قال سعيد بن المسيب
معنى الآية كأمسلمين ويهودا ونصارى ومجوسا وقال الحسن والسدي الجحش أمثالكم ففهم
قدريه ومرجسته ورافضة وخوارج وشيعة وسنية وقال ابن كيسان شيعة وفرقا لكل فرقة هوى
كا هو الناس وقال سعيد بن جبيرة الواشي وقال أبو عبيدة أصنافا وقيل منا الصالحون ومنا
المؤمنون لم يتساهوا في الإصلاح قال القرطبي والاول أحسن لانه كان في الجحش من آمن بموسى
وعيسى وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم قالوا أنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصداق لما بين يديه
وهذا يدل على إيمان قوم منهم بالتوراة * (تنبيه) * القدر جمع قدة والمراد بها الطريقة وأصلها
السيرة يقال قدة فلان حسنة أي سيرته وهو من قدة السيرة أي قطعه فاستعمل السيرة المعتدلة قال
الشاعر القابض الباسط الهادي بطلعته * في قنة الناس إذا هو أوهم قد
وقال لبديري أخاه

لم تباغ العين كل نعمتها * يوم تثنى الجياد بالقدر

والقدر بالكسر سري قد من جلد غير مدبوغ ويقال ماله قد ولا تحف فالقد اناء من جلد والقحف
اناء من خشب (وانا ظننا أن لن نججز الله) أي وانا علمنا وتيقنا بالتفكر والاستدلال في آيات
الله انا في قبضة الملك وسلطانه لن نفوته بهرب ولا غيره لما له من الاحاطة بكل شئ علما وقدره لانه
واحد لا مثل له * (تنبيه) * أطلقوا الظن على العلم إشارة الى أن العاقل ينبغي له أن يتجنب
ما يتخيله ضارا ولو بادى أنواع التخيل فكيف اذا تبين وقولهم (في الارض) حال وكذلك هربا
في قولهم (ولن نجز) أي بوجه من الوجوه (هربا) فانه مصدر في موضع الحال تقديره لانفوته
كائنين في الارض أو هاربين منها الى السماء فليس لنا هرب الا في قبضته فأين أم الى
أين المهرب (وانا لاسمعنا) أي من النبي صلى الله عليه وسلم (الهدى) أي القرآن الذي له
من العراقة التامة في صفة البيان والدعاء الى الخير ما سوغ ان يطلق عليه نفس الهدى (آمنابه)
وبالله وصدقنا محمد صلى الله عليه وسلم على رسالته وكان صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى الانس
والجن قال الحسن بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم الى الانس والجن ولم يعث الله تعالى
قط رسولا من الجن ولا من أهل البادية ولا من النساء وذلك لقوله تعالى وما أرسلنا قبلك الا رجالا
يوحى اليهم من أهل القرى وفي الصحيح وبعثت الى الاحمر والاسود أي الانس والجن وفي ارساله
الى الملائكة خلاف قدمنا الكلام عليه (فمن يؤمن بربه) أي المحسن اليه منا ومن غيرنا (فلا)
أي فيه وخاصة لا (يخاف بخسا ولا رهقا) قال ابن عباس لا يخاف أن ينقص من حسنة ولا أن
يزاد في سيئة لان الجنس النقصان والرهق العدو وان غشيان المحارم (وانامنا) أي الجن
(المسلمون) أي المخلصون في صفة الاسلام (ومنا القاسطون) أي الجائرون أي وانا بعد سماع
القرآن مختلفون فمنا من أسلم ومنا من كفر والقاسط الجائر لانه عدل عن الحق والمقسط العادل
الى الحق قسط اذا جاور واقسط اذا عدل فقسط الثلاث بمعنى جاروا قسط الرباعي بمعنى عدل
وعن سعيد بن جبيرة أن الجراح قال له حين أراد قتله ما تقول في قال قاسط عادل فقال القوم

ما أحسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انما سماني ظالميا مشركا
 وتلاهم قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ثم الذين كفروا بربهم يعدلون (فن أسلم)
 أى أوقع الاسلام كله بأن أسلم ظاهره وباطنه من الجن وغيرهم (فأولئك) أى العالو الرتبة
 (تحتوا) أى توخوا وقصدوا مجتدين (رشداً) أى صواباً عظيماً وسداداً كان لما عندهم من
 النقائص شارداعنهم فعالجوا أنفسهم حتى ملكوه فجعلوه لهم منزلاً (وأما القاسطون) أى
 العريقون في صفة الجور عن الصواب من الانس والجن فأولئك اهلوا أنفسهم فلم يتحروا لها
 فضلاً فأبعدوا عن الطريق القويم فوقعوا في المهالك التي لا منجى منها (فكانوا لجهنم) أى
 النار البعيدة القعر التي تلقاهم بالتجهم والكراهة والعبوسة (حطباً) أى توقدهم النار فهي
 في انقادماداموا أحياء مادامت تتقد لا يموتون فيستريحون ولا ينجون فينتعشون * (تنبيه)
 قوله تعالى فكانوا أى في علم الله عز وجل (فان قيل) لم ذكروا عقاب القاسطين ولم ذكروا ثواب
 المسلمين (أجيب) بأنهم في مقام الترهيب فذكروا ما يحذرو وطوا ما يحب للعلم به لان الله لا يضيع
 أجر من أحسن عملاً بل لا بد ان يزيد عليه تسعة اضعافه وعنده المزيد وأنهم ذكروه بقولهم تحذروا
 رشداً أى تحذروا رشداً عظيماً لا يعلم كنهه الا الله تعالى ومثل هذا لا يتحقق الا في الثواب (فان قيل)
 ان الجن مخلوقون من النار كيف يكونون حطباً للنار (أجيب) بأنهم وان خلقوا منها لكنهم
 يغفرون عن تلك الكيفية فيصيرون لحما ودماء هكذا قيل وهذا آخر كلام الجن وأن قوله تعالى
 (وأن) هي المحققة من الثقبلة واسمها محذوف أى وأنهم وهو معطوف على أنه استمع أى وأوحى
 الى أن الشأن العظيم (لواستقاموا على الطريقة) أى طريقة الاسلام (لأسقيناهم) أى لنعلمنا
 لهم بالناس العظيمة (ماء غداً) أى لو آمن هؤلاء الكفار لو سقنا عليهم في الدنيا ولبسطنا لهم في
 الرزق وضرب الماء الغدق مثلاً لان الخير والرزق كله في المطر كما قال تعالى ولو أن أهل القرى
 آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم الآية وقال تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من
 ربهم لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم الآية وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً من
 وقال تعالى استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً الى قوله ويعد لكم بأموال
 وبنيين الآية (لنفتنهم) أى نعاملهم معاملة المختبر بما لنا من العظيمة (فيه) أى في ذلك الماء الذي
 تكون عنده أنواع النعم لينكشف حال الشاكر والكافر قال الرازي وهذا بعد ما حبس عنهم
 المطر سنين اه قال الجلال المحلى سبع سنين وقال عمر رضى الله تعالى عنه أينما كان الماء كلن
 المال وأينما كان المال كانت الفتنة وقال الحسن وغيره كانوا سامعين مطيعين ففتحت عليهم
 كنوز كسرى وقبضت نفوساً فافوا بامامهم فقتلوه يعنى عثمان رضى الله تعالى عنه قال
 البقاعى ويجوز ان يكون مستعاراً للعلم وأنواع المعارف الناشئة عن العبادات التي هي للنفس
 كالنفوس للابدان وتكون الفتنة بمعنى التخليص من الهموم والذائل في الدنيا والنعم في الآخرة
 من فتفت الذهب اذا خلصته من غشه (ومن يعرض) أى اعراضاً مستمراً الى الموت (عن ذكر
 ربه) أى مجاوزة عن عبادة المحسن اليما لم يلبى له الذى لا احسان عنده من غير موقيل المراد بالذكر

القرآن وقيل الوحي وقيل الموعظة (نسلكه) أي ندخله (عذابا) يكون مظهروفا فيه كالخيط في
 ثقب الحرزة في غاية الضيق (صعدا) أي شافا شديدا يعلوه ويغلبه ويصعد عليه ويكون كل يوم
 أعلى مما قبله جزاء وفاؤه قال ابن عباس هو جبل في جهنم قال الخدري كلما جعلوا أيديهم عليه
 ذابت وعن ابن عباس أن المعنى مشقة من العذاب لأن الصعد في اللغة هو المشقة تقول تصعدني
 الأمر إذا شق عليك ومنه قول عمر ما تصعدني شيء ما تصعدني في خطبة النكاح يريد ما شق على
 وما غلبني والمشي في الصعود يشق وقال عكرمة هو صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها فإذا انتهى
 إلى أعلاها حذر إلى جهنم وقال الكلبي يكلف الوليد بن المغيرة أن يصعد جبلا في النائم من صخرة
 ملساء يجذب من أمامه بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ أعلاها ولا يبلغ في أربعين
 سنة فإذا بلغ أعلاها أحذر إلى أسفلها ثم يكلف أيضا الصعود فذا الدأبه أبدا وهو قوله تعالى
 سأرهقه صعودا وقرأ عاصم وحزة والكسائي بالياء التحية على الغيبة لإعادة الضمير على الله
 تعالى والباقون بالنون على الالتفات وهذا كما في قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا ثم قال
 باركنا حوله لنريه من آياتنا واتفقوا على فتح الهمزة في قوله تعالى (وأن) أي وأوحى إلى أن
 (المساجد لله) أي مختصة بالملك الأعظم والمساجد قيل جمع مسجد بالكسر وهو موضع السجود
 وقال الحسن أراد بها كل البقاع لأن الأرض جعلت كلها مسجدا للنبي صلى الله عليه
 وسلم يقول أينما كنتم فصالحوا وأينما صليتم فهو مسجد وقيل أنه جمع مسجد بالفتح مراد به
 الأعضاء الواردة في الحديث الجبهة والأنف والركبتان واليدين والقدمان وهو قول
 سعيد بن المسيب وابن حبيب والمعنى أن هذه الأعضاء أنعم الله تعالى بها عليك فلا تسجد لغيره
 فتجد نعمته الله قال عطاء مساجدك أعضاءك التي أمرت بالسجود عليها لا تذللها لغير خالقها
 قال صلى الله عليه وسلم أمرت أن أسجد على سبعة أعظم وذكر الحديث وقال صلى الله
 عليه وسلم إذا سجد العبد سجدة معه سبعة آرب قال ابن الأثير لا آرب الأعضاء وهذا القول
 اختاره ابن الأنباري وقيل بل جمع مسجد وهو مصدر بمعنى السجود ويكون الجمع لاختلاف
 الأنواع وقال القرطبي المراد بها البيوت التي تبنيها أهل الملل للعبادة قال سعيد بن جبير قالت
 الجنت كيف لنا أن نأتي المساجد ونشهد معك الصلاة ونحن نأوّن عنك فنزلت وأنت المساجد
 لله أي بنيت لذكر الله تعالى وطاعته وقال ابن عباس المساجد هنا مكة التي هي القبلة وسميت
 مكة مساجد لأن كل أحد يسجد إليها قال القرطبي والقول بأنها البيوت المبنية للعبادة أظهر
 الأقوال إن شاء الله تعالى وهو مرئى عن ابن عباس وإضافة المساجد إلى الله تعالى إضافة
 تشريفة وتكريم وخبر منها المسجد العتيق بالذكر فقال تعالى وطهر بيتي وهدي وان كانت
 لله ملكا وتشريفها قد تنسب إلى غيره تعريفا قال صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير
 من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وفي رواية أن صلاة فيه خير من مائة صلاة في مسجدي
 هذا قال القرطبي وهذا حديث صحيح وفي حديث سابق صلى الله عليه وسلم بين الخليل التي لم تضر
 من النية إلى مسجد بنى زريق ويقال مسجد فلان لأنه حبسه ولا خلاف بين الأمة في تحييس

المساجد والقناطر والمقابر وان اختلفوا في تحميس غير ذلك (فلا تدعوا) اي فلا تعبدوا
 أيها المخلوقون (مع الله) الذي له جميع العظمة (أحدًا) وهذا توحيخ للمشركين في دعواهم
 مع الله تعالى غيره في المسجد الحرام وقال مجاهد كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم
 ويصيحون أشركوا بالله فأمر الله تعالى نبيه والمؤمنين ان يخلصوا لله الدعوة اذا دخلوا المساجد
 كماها يقول فلا تشركوا فيها صنمًا وغيره مما يعبد وقيل المعنى أفردوا المساجد لذكر الله تعالى ولا
 تجعلوا غير الله تعالى فيها نصيبا وفي الصحيح من نشد ضالة في المسجد فقولوا لا ردها الله عليك فان
 المساجد لم تبين لهذا وقال الحسن من السنة اذا دخل رجل المسجد أن يقول لا اله الا الله لأن قوله
 تعالى فلا تدعوا مع الله أحدًا في ضمنه أمر يذكر الله تعالى ودعائه وروى الضحاك عن ابن عباس
 أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قدم رجلاه اليمنى وقال وان المساجد لله فلا
 ندعوا مع الله أحدًا اللهم عبدك ورازك وعلى كل من ورحق وأنت خير من ورفأستلك برحمتك
 أن تغفر رقبتي من النار فاذا خرج من المسجد قدم رجلاه اليسرى وقال اللهم صب على الخمر صبا
 ولا تنزع عني صالح ما أعطيتني أبدا ولا تجعل معيشتي كذا واجعل لي في الارض جذا أي غنى
 وقرأ (وأنه) نافع وشعبة بكسر الهمزة على الاستئناف والباقون بالفتح أي وأوحى الى انه (لما
 قام عبد الله) أي عبد الملك الاعلى الذي له الجلال كله والجمال فلا موجود يدانيه بل كل موجود
 من فائض فضله وعبد الله هو محمد صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي بيطن نخلة ويقرأ القرآن (فان
 قيل) هلا قيل رسول الله والنبي (أجيب) بأن تقديره وأوحى فلما كان واقفا في كلام رسول
 الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه جى عليه على ما يقتضيه التواضع والتذلل أو لأن المعنى ان عبادة
 عبد الله ليست بأمر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى تكونوا عليه لبداء ومعنى (يدعوه) أي
 يعبدوه وقال ابن جرير يدعوه أي قام اليهم داعيا الى الله تعالى فهو في موضع الحال أي موحدا
 له (كادوا) أي قرب الجن المستمعون لقراءته (يكونون عليه) أي على عبد الله (لبداء) أي
 متراكين بعضهم على بعض من شدة ازدهامهم حرصا على سماع القرآن وقيل كادوا يركبونه حرصا
 قاله الضحاك وقال ابن عباس رغبة في سماع القرآن وروى عن مكحول ان الجن بايعوا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة وكانوا سبعين ألفا وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر وعن ابن
 عباس أيضا ان هذا من قول الجن لما رجعوا الى قومهم أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتماهم به في الركوع والسجود وقال الحسن وقتادة وابن زيد
 يعني لما قام عبد الله محمد بالدعوة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطلبوه فأبى الله تعالى الا
 ان ينصره ويتم نوره واختار الطبري ان يكون كادت العرب يجتمعون على النبي صلى الله عليه وسلم
 ويتظاهرون على اطفاء النور الذي جاء به وقرأ هشام بضم اللام والباقون بكسر هاء فالاولى جمع
 لبداء بضم اللام نحو غرفة وغرف وقيل بل هو اسم مفرد صفة من الصفات وعليه قوله تعالى ما لا
 لبداء واما الثانية فجمع لبداء بالكسر نحو قرينة وقرب واللبدة واللبدة الشيء الملبد أي المتراكب
 بعضها على بعض ومنه لبداء الاسد كقول زهير

لدى أسد شاكي السلاح مقذف * له لبد اظفار لم تقلم

ومنه اللبد لتلبد بعضه فوق بعض * ولما قال كفار قرش للنبي صلى الله عليه وسلم انك جئت بأمر عظيم وقد عادت الناس كلهم قارجع عن هذا فكن نجيرك (قال) صلى الله عليه وسلم عجيبا لهم (انما أدعوني) أى الذى أوجدني ورباني ولانعمة عندي الامنة وحده لا أدعو غيره حتى تعجبوا مني (ولأشرك به) أى الآن ولا في مستقبل الزمان بوجه من الوجوه (أحدنا) من ودة وسواع ويغوث ويعوق وغيرها من الصامت والناطق وقرأ عاصم وحزة قل بصيغة الامر التفاتا أى قل يا محمد والباقون قال بصيغة الماضي والخبر اخبارا عن عبد الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم قال الجحدري وهو في المصحف كذلك وقد تقدم لذلك نظائر في قل سبحان ربي في آخر الاسراء وكذا في أول الانبياء وآخرها وآخر المؤمنين (قل) أى يا أشرف الخلق لهؤلاء الذين خالفوك (أنى لأملك لكم) أى الآن ولا بعده بنفسى من غير اقدار الله تعالى لى (ضرا ولا رشدا) أى لا أقدر أن أدفع عنكم ضرا ولا أسوق اليكم خيرا وقيل لأملك لكم ضرا أى كفر ولا رشدا أى هدى لانه لا يؤثر شئ من الاشياء الا الله تعالى وانما على البلاغ وقيل الضرا الموت والرشدا الحياة (قل) أى لهؤلاء (أنى) وزادنى التأكيذاً لذلك في غاية الاستقرار فى النفوس فقال (لن يجيرني) أى فيدفع عني ما يدفع المجير عن جاره (من الله) أى الذى له الامر كله ولا أمر لاحد معه (أحد) أى كائن من كان ان أرادنى سبحانه بسوء (ولن أجد) أى أصلا (من دونه) أى الله تعالى (ملتجدا) أى مع دلا وموضع ميل وركون ومدخلا وملجأ وحيلة وان اجتمعت كل الجهد والملاحة والمجا وأصله المدخل من اللحد وقيل محيصا ومعدلا وقوله (الابلاغ) فيه أوجه أحدها أنه استثناء منقطع أى لكن ان بلغت عن الله رضى لان البلاغ عن الله لا يكون داخل تحت قوله ولن أجد من دونه ملتجدا لانه لا يكون من دون الله بل يكون من الله تعالى وباعائه ووقيته الثانى انه متصل وتأويله أن الاستجارة مستعارة من البلاغ اذ هو سببها وسبب رضى الله تعالى والمعنى لن أجد شيا أميل اليه واعتصم به الا أن أبلغ وأطيع فيجبرني واذا كان متصلا بارتضائه من وجهين أربحهما أن يكون بدلا من ملتجدا لان الكلام غير موجب وهو اختيار الزجاج الثانى انه منصوب على الاستثناء الثالث انه مستثنى من قوله لأملك فان التبليغ ارشاد وانتفاع وما بينهما اعتراض مؤكداً لنتى الاستطاعة وقوله (من الله) أى الذى أحاط بكل شئ قدرة وعلمافيه وجهان أحدهما ان من يعنى عن لان بلغ يتعدى بها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الابغوا عني والثانى انه متعلق بمحذوف على انه صفة لبلاغا قال الزمخشري من ليست بصفة للتبليغ وانما هي بمنزلة من في قوله تعالى براءة من الله بمعنى بلاغا كما نؤمن بالله وقوله (ورسالاته) فيه وجهان أحدهما انه منصوب نسقا على بلاغا كما أنه قيل لأملك لكم الا التبليغ والرسالات ولم يقل الزمخشري غيره والثانى انه مجرور نسقا على الجلالة أى الابلاغ عن الله تعالى وعن رسالاته كذا قدره أبو حيان وجعله هو الظاهر ويجوز فيه جعل من يعنى عن والتجوز في الحروف مذهب كوفي ومع ذلك فغير منقاس عندهم (ومن يعص الله) أى الذى له العظمة كلها (ورسوله) الذى

ختم به النبوة والرسالة فجعل رسالته محيطه بجميع المال في التوحيد وغيره على سبيل الحجر (فان له) اى خاصة (نار جهنم) اى التى تلقاها بالعبوسة والغيط وقوله تعالى (خالدين فيها أبدا) حال مقدرة من الهاء فى له والمعنى مقدر خلودهم والعامل الاستقرار الذى تعلق به هذا الجار وجعل على معنى من فعل ذلك فوحد أولا للفظ وجع للمعنى وأ كذب قوله تعالى (فيها) ردا على من يدعى الانقطاع قال البقاعى وأما من يدعى أنها لا تحرق وان عذابها عذوبة فليس احداً جرت منه الامن تابعه على ضلاله وغيبه ومحاله وليس لهم دواء الا السيف فى الدنيا والعذاب فى الآخرة بما سموه عذوبة وهم صائرون اليه وموقوفون عليه وحتى فى قوله تعالى (حتى اذا رأوا) ابتداء ثبته فيها معنى الغاية لمقدر قبلها اى لا يزالون على كفرهم الى أن يروا (ما يوعدون) من العذاب فى الآخرة أوفى الدنيا كوقعة بدر (فسيعلمون) اى فى ذلك اليوم بوعده لا خاف فيه (من اضعف ناصرا) اى من جهة الناصر أنا وان كنت فى هذا الوقت وحيدا مستضعفا وهم (وأقل عددا) وان كانوا الآن بحيث لا يحصيهم عددا الا الله تعالى فيا لله ما أعظم كلام الرسل حيث يستضعفون أنفسهم ويذكرون قوتهم من جهة مولاهم الذى بيده الملك وله جنود السموات والارض بخلاف الجبابرة فانهم لا كلام لهم الا فى تعظيم أنفسهم وازدراء غيرهم قال مقاتل لما سمعوا قوله تعالى حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا وأقل عددا قال النضر بن الحرث متى يكون هذا الذى توعدنا به قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) اى لهؤلاء فى جوابهم باتيانهم العذاب وسألوا استهزاء عن وقت وقوعه (ان) اى ما (أدرى) بوجه من الوجوه (أقرب ما توعدون) اى فيكون الآن أو قريبا من هذا الاوان بحيث يتوقع عن قرب وقوله (أم يجعل) اى أم يعيد يجعل (له) اى لهذا الوعد (ربى) اى المحسن الى ان قدمه أو أخره (أمدا) اى أجل مضروب فلا يتوقع دون ذلك الامد فهو فى كل حال متوقع فكونوا على غاية الحذر لانه لا بد من وقوعه لا كلام فيه وانما الكلام فى تعيين وقته وليس الى (فان قيل) اليس انه صلى الله عليه وسلم قال بعثت أنا والساعة كهاتين فكان عالما بقرب وقوع القيامة فكيف قال ههنا لا أدرى أقرب أم بعيد (اجيب) بأن المراد بقرب وقوعه هو ان ما بقى من الدنيا اقل مما انقضى فهذا القدر من القرب معلوم فاما معرفة مقدار القرب المرتب وعدم ذلك فغير معلوم * (تنبيه) * أقرب خبر مقدم وما توعدون مبتدأ مؤخر ويجوز ان يكون قريب مبتدأ الاعتماد على الاستفهام وما توعدون فاعل به اى أقرب الذى توعدون نحو أقام أبو الزوق نافع وابن كثير وابوعمر وفتح الياء والباقون بسكونها وقوله تعالى (عالم الغيب) بدل من ربى أو بيان أو خبر مبتدأ مضمر اى هو عالم الغيب كله وهو ما لم يبرز الى عالم الشهادة فهو مختص بعلمه سبحانه فلذلك سبب عنه قوله تعالى (فلا يظهر) اى بوجه من الوجوه فى وقت من الاوقات (على غيبه) الذى غيبه عن غيره فهو مختص به (أحدا) لعزفه علم الغيب ولانه خاصة الملك (الامن ارضى) وقوله تعالى (من رسول) تبين لمن ارضى اى الامن يصطفيه لرسالته ونبوته فيظهره على ما يشاء من الغيب وتارة يكون ذلك الرسول ملكا وتارة يكون بشرا وتارة يظهره على ذلك بواسطة ملك وتارة بغير واسطة

كوسى عليه السلام في أوقات المناجاة ومحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المأراج في العالم الاعلى
 في حضرة قاب قوسين أو أدنى وقال القرطبي المعنى فلا يظهر على غيبه أحد الا من ارتضى
 من رسول فانه يظهره على ما يشاء من غيبه لان الرسل مؤيدون بالمعجزات ومنها الاخبار
 عن بعض الغيبات كما ورد في التنزيل في قوله تعالى وأنبئكم بما تآكلون وما تدخرون في بيوتكم
 وقال الزمخشري في هذه الآية ابطال الكرامات لان الذين تضاف اليهم وان كانوا اولياء مرتضىين
 فليسوا برسل وقد خص الله تعالى الرسل من بين المرتضىين بالاطلاع على الغيب وفيها ابطال
 الكهانة والتنجيم لان اصحاب ما بعد شي من الارضاء وأدخله في السخط اه وانكار الكرامات
 مذهب المعتزلة وأما مذهب أهل السنة فيثبتون ما فانه يجوز أن يلهم الله تعالى بعض أوليائه
 وقوع بعض الوقائع في المستقبل فيضربه وهو من اطلاع الله اياه على ذلك ويدل على صحة ذلك
 ما روى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقد كان فيمن قبلكم من الامم ناس
 محدثون من غير أن يكونوا أنبياء وان يكن في أمتي أحد فانه عمر أخرجه البخاري قال ابن وهب
 تفسير محدثون ملهمون ولمسلم عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في الامم
 قبلكم محدثون فان يكن في أمتي منهم أحد فان عمر بن الخطاب منهم ففي هذا اثبات كرامات
 الاولياء فان قيل لوجازت الكرامة للولي لما عجزت معجزة النبي من غيرها وانسدت الطريق الى
 معرفة الرسول من غيره (أجيب) بأن معجزة النبي أمر خارج للعادة مع عدم المعارضة مقترن
 بالتصدي ولا يجوز للولي ان يتدعى خرقا للعادة مع التحدي اذ لو ادعاه الولي انكفر من ساعته فبان
 الفرق بين المعجزة والكرامة وأما الكهانة وما ضاهاها فقال القرطبي ان العلماء قالوا لما لم يفتح
 سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه ثم استثنى
 من ارتضاء من الرسل فأعلمهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي اليهم وجعله معجزة لهم - م ودلالة
 صادقة على نبوتهم وليس المنجم ومن ضاهاه ومن يضرب بالحصا ويتنظر في الكواكب ويزجر
 بالطير عن ارتضاء من رسول فيطلعها على ما يشاء من غيبه بل هو **==** انظر بالله مقترع عليه بمحمد
 وتحمينه وكذبه قال بعض العلماء وليت شعري ما يقول المنجم في سفينة ركب قيم ألف انسان
 مختلفي الاحوال والرتب فيهم الملك والسوقة والعالم والجاهل والفقير والغني والفقير والكبير
 والصغير مع اختلاف طوالهم وتباين مواليدهم ودرجات نجومهم فعمهم حكم الفرق في ساعة
 واحدة فان قال قائل انما أغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه فيكون على مقتضى ذلك ان هذا
 الطالع أبطل أحكام تلك الطوالع كلها على اختلافها عند ولادة كل واحد منهم وما يقتضيه
 طالعهم المخصوص به فلا فائدة اذا في عمل المواليد ولا دلالة فيها على شئ وسعيد ولم يبق الا
 معاندة القرآن الكريم ولقد أحسن القائل

حكم المنجم ان طالع مولدى * يقضى على جملة الفرق

قل للمنجم صفة الخوفان هل * ولد الجميع بكوكب الفرق

وقيل لعلى رضى الله عنه لما أراد لقياء الخوارج تلقاهم والقمر في المغرب فقال فابن قمرهم

وكان ذلك في آخر السنة فانظر الى هذه الكلمة التي اجاب بها وما فيها من المبالغة في الرد على من
 يقول بالنجم وقال له سافر بن عون يا امير المؤمنين لا تسرف في هذه الساعة وسير بعد ثلاث ساعات
 تخضع من النهار فقال له علي ولم قال له انك ان سرت في هذه الساعة اصابك واصاب اهلك
 بلاه وضر شديد وان سرت في الساعة التي امرتك بها اظهرت وظفرت واصبت ما طلبت فقال
 علي اما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده ثم قال فن صدقك في هذا القول لم آمن
 عليه ان يكون اتخذه من دون الله فذا اوضح الله لاطير الاطيرك ولا خير الاخيرك ثم قال
 للمتكلم نكذبك ونخالفك ونسير في الساعة التي تنهاها عنها ثم اقبل على الناس فقال يا ايها
 الناس اياكم وتعلم النجوم الاما تهتدون به في ظلمات البر والبحر انما المنجم كالكاfer والكافر
 في النار والمنجم كالساحر والساحر في النار والله لئن بلغ في أنك تنظر في النجوم أو تعمل بها
 لا خلد لك في الحبس ما بقيت وبقيت ولا حرمتك العطاء ما كان لي سلطان ثم سافر في الساعة التي
 نهاه عنها فلقى القوم فقتلهم وهي وقعة النهر وان الثابتة في صحيح مسلم ثم قال لو سرتنا في الساعة
 التي امرنا بها وظفرتنا وظهرنا فقال انما كان ذلك بتجيممي ومحمد منجم وما لنا بعده وقد فتح
 الله تعالى علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان ثم قال يا ايها الناس توكلوا على الله وثقوا به
 فانه يكفي عن سواه (فانه) أي الله سبحانه يظهر ذلك الرسول على ما يريد من ذلك الغيب وذلك أنه
 اذا اراد اظهاره عليه (يسلك) أي يدخل ادخال السلك في الجوهرة في تقومه وتقومه من غير
 أدنى تعويج الى غير المراد (من بين يديه) أي الجهة التي يعلمها ذلك الرسول (ومن خلفه) أي
 الجهة التي تغيب عن علمه فصار ذلك كناية عن كل جهة قال البقاعي ويمكن أن يكون ذكر الجهتين
 دلالة على الكل وخصهما لان العدو متى أعريت واحدة منهما لم تأخذ منها ومتى حذفتا لم يأت من
 غيرهما لانه يصير بين الاولين والآخرين (رصدا) أي حرسا من جنوده يحرسونه ويحفظونه من
 الشياطين أن يسترقوا السمع من الملائكة ويحفظونه من الجن أن يسمعوا الوحي فيلقوه الى
 الكهنة قبل الرسول فيطردونهم عنه ويعصونه من وساوسهم حتى يبلغ ما يوحى اليه وقال
 مقاتل وغيره كان الله اذا بعث رسولا اتاه ابليس في صورة ملك بخبر فبعث الله تعالى من بين يديه
 ومن خلفه وصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين فاذا جاءه شيطان في صورة ملك
 أخبروه بأنه شيطان فاخذروه واذا جاءه ملك قالوا له هذا رسول ربك وعن الضحاك ما بعث نبي
 الا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين أن يتشبهوا بصورة الملك (ليعلم) أي الله علم ظهور
 كفة قوله تعالى حتى نعلم الجاهدين (أن) مخففة من الثقيلة أي أنه (قد أبلغوا) أي الرسل
 (رسالات ربهم) وحدا ولا على اللفظ في قوله تعالى من بين يديه ومن خلفه ثم جع على المعنى كقوله
 تعالى فان نار جهنم خالدين فيها والمعنى ليلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة
 والنقصان وقيل ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم أن جبريل قد بلغ رسالات ربه وقيل ليعلم محمد صلى
 الله عليه وسلم أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم (وأحاط بما لديهم) أي بما عند الرسل من
 الحكم والشرائع لا يقوته منها شيء ولا ينسى منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ لها (وأحصى)

أى الله سبحانه وتعالى (كل شئ) أى من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحر وغير ذلك
(عدداً) ولو على أقل مقادير الذر فيمالم يزل وفيما لا يزال فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه
وكلامه وقال ابن جبير رضى الله عنه ليعلم الرسل أن ربهم قد أحاط بما لديهم فيبلغوا رسالاته
• (تنبيه) • هذه الآية تدل على أنه تعالى عالم بالجزئيات وبجميع الموجودات وعدد ما يجوز أن
يكون غير زامنة قولاً من المفعول به والاصل أحصى عدد كل شئ كقوله تعالى وفجرنا الارض
عيوناً أى عيون الارض وأن يكون منصوباً على الحال أى وضبط كل شئ معدوداً ومحسوراً وأن
يكون مصدراً فى معنى الاحصاء وقول البيضاوى تبعاً للنزخى ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من قرأ سورة الجن كان له بعد ذلك جنى صدق محمد وكذب به عتق رقبة حديث موضوع

❖ (سورة المزمل مكية) ❖

فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس رضى الله عنهما الايتين منها واصبر
على ما يقولون والى نبيه اذ كره الماوردى وقال الثعلبى ان ربك يعلم أنك تقوم الى آخر السورة
فانه نزل بالمدينة وهى تسع عشرة أو عشرون آية ومائتان وخمس وعمانون كلمة ومائتان وعمانية
وثلاثون حرفاً

(بسم الله) الذى من توكل عليه — فمما فى جميع الاحوال (الرحمن) الذى عظم بعمدة الابداد
المهتدى والصال (الرحيم) الذى خص حربه بالسداد فى الافعال والاقوال وقوله تعالى (يا أيها
المزمل) أصله المترمل فأدغمت التاء فى الزاى يقال ارمم ارمم يترمل ترتملاً فإذا أريد الادغام اجتمعت
همزة الوصل وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه ثلاثة أقوال الاول قال عكرمة يا أيها
المزمل بالنسبة والمترمل للرسالة وعنه يا أيها الذى ازمى هذا الامر أى حله ثم قرأ والثانى قال
ابن عباس رضى الله عنهما يا أيها المزمل بالقرآن والثالث قال قتادة رضى الله عنه يا أيها المزمل
بنيابذة قال النخعي كان مترملاً بقطعة عائشة بمرط طوله أربعة عشر ذراعاً قالت عائشة رضى الله
عنها كان نصفه على وأنا ثمانية ونصفه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم كان خرا
ولا قزاولاً مرعزى ولا ابريسماً ولا صوفاً كان سداً شعراً ولحمته وبراً ذكره الثعلبى ولحمته الثوب
بفتح اللام وضئها والفتح أفصح ولحمته التسيب كذلك والضم أفصح ولحمته البازى بالضم لا غير لانها
كاللحمه قال القرطبي وهذا القول من عائشة رضى الله عنها يدل على أن السورة مدنية فان
النبي صلى الله عليه وسلم لم يبينها الا بالمدينة والقول بأنهم امكية لا يصح وقال الضحاك ترمل لمنامه
وقيل بلغه من المشركين قول سوزم فيه فاشتد عليه فترمل وتذرف فترأت يا أيها المزمل ويا أيها المدثر
وقيل كان هذا فى ابتداء ما أوحى اليه فانه صلى الله عليه وسلم لما جاءه الوحي فى غار حراء رجع الى
خديجة رضى الله عنها فزوجته يرجف فؤاده فقال زملونى فملونى لقد خشيت على نفسى أى أن
يكون هذا مبادئ شعراً وكهانة وكل ذلك من الشيطان أو أن يكون الذى ظهر له بالوحي ليس
الملك وكان صلى الله عليه وسلم يفيض الشعر والكهانة فحاية البغضة فقالت له وكانت وزيرة صدق

رضي الله تعالى عنها كلاً والله لا يحزرك الله أبداً انك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتعين على نواب الحق ونحو هذا من الكمال الذي ثبت وقيل انه صلى الله عليه وسلم كان نائماً في الليل متردلاً في قطيفة قبه ونودي بما هم جن تلك الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفته فقبيل لها يا بها المزمّل (قم الليل) أي الذي هو وقت الخلوة والخفية والستر فصل لنا في كل ليلة من هذا الجنس وقف بين يدينا بالمناجاة والانس بما أنزل عليك من كلامنا فانريد اظهارك واعلاء قدرك في البر والبحر والسر والجرم وقيام الليل في السرع معناه الصلاة فلذا لم يقيدته وهي جامعة لانواع الاعمال الظاهرة والباطنة وهي عمادها فذكرها دال على ما عداها * ولما كان للبدن حفظ في الراحة قال تعالى مستغنياً من الليل (الاقليلاً) أي من كل ليلة فان الاشتغال بالنوم فعل من لا يهمله أمر ولا يعنيه شأن ألا ترى الى قول ذي الرمة

وكأن تحت نائتي من مفازة * ومن نائم عن نيلها مزمّل

يريد الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض في معانظم الامور وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه * شهد اذا ما نام ليل الهوجل * ومن أمثالهم أوردناها بعد وسعد مشتمل * ما هكذا تورديا سعد الابل

فدنه بالاشغال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وأمر بأن يختار على الهجود التهجّد وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة والمجاهدة في الله لاجرم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تشمر لذلك مع أصحابه حتى التشمر وأقبلوا على احياء ليدهم ورفضوا الرقاد والدعة وتجاهدوا فيه حتى انتفخت أقدامهم واصفرّت ألوانهم وظهرت السيماف وجوههم وتراقى أمرهم الى حد رحمتهم له ربهم تخفف عنهم وقال الكلبي انما تزمل صلى الله عليه وسلم قبيلته ليتباً للصلاة وهو اختيار القزافي وهو على هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التي كان عليها وأمر بأن يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن عكرمة رضى الله عنه أن المعنى يا بها الذي زمّل أمر اعظم أي حله والزمّل الحل قال البغوي قال الحكماء كان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في أول الوحي قبل تبليغ الرسالة ثم خوطب بعد النبي والرسول وقال السهيلي ليس المزمّل من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم كما ذهب اليه بعض الناس وعدوه في أممائه صلى الله عليه وسلم وانما المزمّل اسم مشتق من حاله التي كان عليها حين الخطاب وكذلك المذتر وفي خطابه بهذا الاسم فائدتان احدهما الملاطفة فان العرب اذا قصدت ملاطفة مخاطب وتركوا المعاتبة سموه باسم مشتق من حاله التي هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي حين فاضب فاطمة رضي الله تعالى عنها ما فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب فقال له قم أيا تراباً شعار الله بأنه غير عاتب عليه وملاطفة له وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لم خديجة قم يا فومان وكان نائماً ملاطفة له واشعاراً بترك العتاب والتأنيب فقول الله تعالى الحمد صلى الله عليه وسلم يا بها المزمّل قم فيه تأنيب له وملاطفة ليس يشعر أنه غير عاتب عليه والمفائدة الثانية التنبيه لكل مزمّل راقداً ليلته ان يتنبه الى قيام الليل وذكر الله تعالى فيه لأن الاسم المشتق من الفعل يشتمل فيه مع الخطاب كل من

عمل ذلك العمل وانصف بثلث الصفة والليل مدة من غروب الشمس الى طلوع الفجر قال القرطبي
واختلف هل كان قيامه فرضاً ونفلًا والدلائل تقوى أن قيامه كان فرضاً لأن المندوب لا يقع
على بعض الليل دون بعض لأن قيامه ليس مخصوصاً بوقت دون وقت . واختلف هل كان فرضاً
على النبي صلى الله عليه وسلم وحده أو عليه وعلى من كان قبله من الانبياء أو عليه وعلى أمته على
ثلاثة أقوال الاقل قول سعيد بن جبير رضى الله عنه لتوجه الخطاب اليه الثاني قول ابن عباس
رضي الله عنهما قال كان قيام الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم والانبياء قبله الثالث
قول عائشة وابن عباس رضى الله عنهما - م أيضاً انه كان فرضاً عليه وعلى أمته لما روى مسلم أن
هشام بن عامر قال لعائشة رضى الله عنها أثبتني من قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
ألمست تقرأيها المزملة فقلت بلى فقالت فان الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه
السورة فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولاً وأمسك الله عز وجل خاتم الاثنى عشر
شهر في السماء حتى أنزل الله عز وجل في آخر هذه السورة التخييف فصار قيام الليل تطوعاً
بعد فريضة وقيل عسر عليهم غير القدر الواجب فقاموا الليل كله وشق عليهم ففسخ بقوله تعالى
آخرها فاقروا ما تيسر من القرآن وكان بين الوجوب ونسخه سنة . وقيل نسخ التقدير بمكة وبقي
التهميد حتى نسخ بالمدينة . وروى وكيع ويعلى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما نزلت يا أيها
المزملة **==** كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل آخرها وكان بين نزول
أولها وآخرها نحواً من سنة . وقال سعيد بن جبير رضى الله عنه مكث النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه عشر سنين يقومون الليل فزات بعد عشر سنين أن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من
ثاني الليل تخفف الله تعالى عنهم وقيل كان قيام الليل واجباً ثم نسخ بالصلوات الخمس والعصم
أنه صلى الله عليه وسلم بعث يوم الاثنين في رمضان وهو ابن أربعين سنة . وقيل ثلاث وأربعين
وأمث به خديجة رضى الله عنها ثم بعدها قيل على رضى الله عنه وهو ابن تسع سنين وقيل ابن
عشر وقيل أبو بكر وقيل زيد بن حارثة ثم أحسن تبليغ قومه بعد ثلاث من مبعثه فأول ما قرص
عليه صلى الله عليه وسلم بعد الانذار والدعاء الى التوحيد من قيام الليل ما ذكر في أول
السورة ثم نسخ بما في آخرها ثم نسخ بإيجاب الصلوات الخمس ليلة الاسراء الى بيت المقدس بمكة
بعد النبوة بعشر سنين وثلاثة أشهر ليلة سبع وعشرين من وجب هذا ما ذكره النووي
في روضته وقال في فتاويه بعد النبوة بخمس أو ست وجعل الليلة من ربيع الاقل وخالفهما
في شرح مسلم وحزم بأنهم لم يربيع الاخر وقلدها القاضي عياض والذي عليه الاصح
ما في الروضة واستقر صلى الى بيت المقدس مدة إقامة بمكة وبعد الهجرة سنة عشر شهراً
أو سبعة عشر ثم أمر باستقبال الكعبة ثم فرض الصوم بعد الهجرة بسنتين تقريباً وفرضت
الزكاة بعد الصوم وقيل قبله وفي السنة الثانية قيل في نصف شعبان وقيل في رجب نحو
القبلة وفيها فرضت صدقة الفطر وفيها ابتداء صلى الله عليه وسلم صلاة عيد الفطر ثم عيد
الاضحى ثم فرض الحج سنة ست وقيل سنة خمس ولم يحج صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة بالاجبة

الوداع واعقر أربعاً وتوفي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثني عشر خلت من شهر ربيع
 الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة * (قائمة) * الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم معصومون
 قبل النبوة من الكفر وفي المعاصي خلاف وبعد هاهنا الكفار وكذا من الصغار ولوسه وعند
 المحققين وقوله تعالى (نصفه) بدل من قلبه لا وقتله بالنظر إلى الكل (أو انقص منه) أي من
 النصف (قليل) أي الثلث (أو زد عليه) أي على النصف إلى الثلثين وأول تخيير فكان صلى الله
 عليه وسلم مخيراً بين هذه المقادير الثلاثة وكان صلى الله عليه وسلم لم يقوم حتى يصح مخافة أن لا
 يحفظ القدر الواجب وكذا بعض أصحابه واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم وقد تقدم
 أن ذلك نسخ بإيجاب الصلوات الخمس فصار قيام الليل تطوعاً فينبغي للمتعبد المواظبة عليه
 خصوصاً في الوقت الذي يبارك الله تعالى بالتجلى فيه فإنه صح أنه ينزل سبحانه عن أن تشبه ذاته
 شيئاً أو نزوله نزول غيره بل هو كتابة عن فتح باب السماء الذي هو كتابة عن وقت استجابة الدعاء حتى
 يبقى ثلث الليل وفي رواية حتى يبقى شطر الليل الآخر إلى سماء الدنيا فيقول سبحانه هل من سائل
 فأعطيته هل من تائب فأتوب عليه هل من كذا هل من كذا حتى يمالع الفجر * ولما أمر بالقيام
 وقد روي عنه وعينه أمر بمئة التسلاوة التي هي روح الصلاة على وجه عام فقال تعالى (ورتل
 القرآن) أي اقرأه على ترسل وتؤدة وتبين حروفه واشباع حركاته بحيث يتمكن السامع من
 عدّها ويحس المتلو منه شيئاً بالثغر المرتل وهو المنفصل المشبه بنور الانوار وأن لا يهذه هذا
 ولا يسرد سرداً كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه شر السير الحقيقة وشر القراءة الهذوة
 وقال ابن مسعود رضي الله عنه ولا تترووه تروا الدقل ولا تهذوه هذ الشعر ولكن قفوا عند بحائبه
 وحزكوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة وقوله تعالى (ترتلاً) تأكيدي في الأمر به وأنه
 لا بد منه للقارئ وعن ابن عباس رضي الله عنهما اقرأ على هينتك ثلاث آيات أو أربعاً وخمساً
 وروى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قام حتى أصبح بآية والآية
 أن تعذبهم فأنهم عبادك وأن تغفر لهم فأنك أنت العزيز الحكيم وسئلت عائشة رضي الله عنها عن
 قراءته صلى الله عليه وسلم فقالت لا كسر دكم هذا لو أراد السامع أن يعد حروفها لعدّها وسئل
 أنس رضي الله عنه كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم قال كانت مداً قرأ بسم الله الرحمن
 الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم وجاء رجل إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال قرأت
 المفضل الليلة في ركعة فقال هذا كهذا الشعر لقد عرفت النظائر التي كان النبي صلى الله عليه وسلم
 يقرن بينهما فذكر عشر من سورة من المفضل كل سورتين في ركعة وروى الحسن رضي الله عنه
 أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ برجل يقرأ آية ويكي فقال ألم تسمعوا إلى قول الله عز وجل ورتل
 القرآن ترتلاً هذا الترتيل وروى أبو داود عن عبد الرحمن بن عوف قال قال النبي صلى الله عليه
 وسلم لم يؤتى بقارئ القرآن يوم القيامة فيوقف في أول درج الجنة ويقال له اقرأ أو ارق وتتل كما
 كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تتروها وندب اصفاً إليه وبكاء عند القراءة وتحسين
 صوتها وتعوذ بها جهراً واحداً لقصلي طويلاً وجالوس لها واستقبال وتدبر وتخضع وكرهت

بفهم نجس وجازت بحمام وهي نمار في المصنف أفضل منه على ظاهر قلب ثم ان زاد خشوعه
وحضور قلبه في القراءة عن ظهر قلب فهي أفضل في حقه وهي أفضل من ذكر لم يخص بعمل وحرم
توسد معصوف وندب كتيبه وايضا حقه ونقطه وشكله ويحرم كتيبه بنص ومسه بنص غير معفو عنه
وتحرم القراءة بالشواذ وهي ما نقل آحادا وبالعكس الا في ذكره العكس في السور الا في تعليم وندب
ختم القرآن أول نهار وأول ليل وختمه في الصلاة أفضل من ختمه خارجها وندب صيام يوم الختم
الا أن يصادق يومانهى الشرع عن صيامه وندب الدعاء بعده وحضوره والشروع بعده في ختمه
أخرى وندب كثرة تلاوته ونسيانه كبيرة وكذا انبيان شئ منه ويحرم تفسيره بلا علم (انا) أى بما لنا
من العظمة (سنائي) أى بوعده لا لف فيه (عليك قولا) أى قرأنا واختلف في معنى قوله تعالى
(ثقبلا) فقال قتادة رضى الله عنه ثقبيل والله قرأه وحدوده وقال مجاهد رضى الله عنه حلاله
وحرامه وقال محمد بن كعب رضى الله عنه ثقبلا على المنافقين لانه يهتك أسرارهم ويطلع
أديانهم وقيل على الكفار لما فيه من الاحتجاج عليهم والبيان لضلالهم وسب آلهم قال السدى
رضى الله عنه ثقبلا بمعنى كريم مأخوذ من قولهم فلان ثقل على أى كرم على وقال الفراء ثقبلا
أى رزينا وقال الحسن بن الفضل ثقبلا أى لا يحمله الا قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزيينة
بالتوحيد وقال ابن زيد هو والله ثقبيل مبارك كما ثقل في الدنيا ثقل في الميزان يوم القيامة وقيل
ثقبيل أى ثابت كثبوت الثقبيل في محله ومعناه انه ثابت لا يزل ولا يزول اجهازه أبدا وقيل ثقبلا
بمعنى ان العقل الواحد لا ينفى بادرالك فوائده ومعانيه بالكلية فامتكلمون غاصوا في بحار
معقولاته والنقهاء يبحسون في أحكامه وكذا أهل اللغة والنحو وأرباب المعاني ثم لا يزال كل متأخر
يفوز منه به واندما وصل اليها المتقدمون فعلمنا أن الانسان الواحد لا يقوى على الاستقلال بحمله
فصار كالجبل الثقيل الذى يعجز الخلق عن حمله والاولى أن تحمل هذه المعاني كلها فيه وقيل المراد
هو الوحي كما جاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أوحى اليه وهو على ناقته وضعت
جرانها أى صدرها على الارض فما تستطيع أن تتحرك حتى يسرى عنه وعن الحرث بن هشام
أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم أحيانا يأتيني
في مثل صلصلة الجرس وهذا أشد على فقههم عنى وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لى الملك
رجلا فيكلمني فأعني ما يقول قالت عائشة رضى الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم
الشديد البرد فيقصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا أى يجرى عرقه كما يجرى الدم من الفاصد
وقوله فينقصم عنى أى ينقص عنى ويقارقنى وقد وعيت أى حفظت ما قال وقال القشيري القول
الثقل هو قول لا اله الا الله لانه ورد في الخبر لا اله الا الله خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان
وقال الزمخشري هذه الآية اعتراض ثم قال واراد به هذا الاعتراض أن ما كلفه من قيام الليل من
جمله التكليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن لان الليل وقت السبات والراحة والهدوء
فلا بد لمن أحياء من مضارة طبيعته ومجاهدة نفسه اه فلا اعتراض من حيث المعنى لامن حيث
الصناعة وذلك أن قوله تعالى (ان ناشئة الليل) أى القيام بعد النوم (هى أشد وطأ) أى موافقة

السمع للقلب على تفهم القرآن هي أشد مطابقة لقوله قم الليل فكانه شابه الاعتراض من حيث
 دخوله بين هذين المناسبين والمعنى سنلقى عليك بافتراض صلاة الليل قولاً ثقیلاً ثقیلاً لانه لان
 الليل للنام فمن أمر بقيام أكثره لم يتيأله ذلك الا بحمل مشقة شديدة على النفس ومجاهدة
 الشيطان فهو أمر ثقیل على العبد * ولما كان التهجد يجمع القول والفعل وبين ما في الفعل
 لانه أشق فكان بتقديم الترغيب بالمدحة حتى أتبعه القول فقال (وأقوم قبلاً) أي وأعظم
 سداداً من جهة القيل في فهمه ووقعه في القلوب لحضور القلب لانه الاصوات هادية والدنيا
 سائلة فلا يضطرب على المصلي ما يقرؤه وقال قتادة ومجاهد رضي الله عنهم أصوب للقراءة
 وأثبت للقول لانه زمان التفهم لريافة الليل بهدوء الاصوات وتجلي الرب سبحانه بحصول البركات
 وأخلص من الريا فبين الله تعالى بهذه الآية فضل صلاة الليل على صلاة النهار وأن الاستكثار
 من صلاة الليل بالقراءة فيها ما أمكن أعظم للأجر وأجلب للثواب كان على بن الحسين رضي الله
 عنه يصلي بين المغرب والعشاء ويقول هو ناشئة الليل وقال عطاء وعكرمة رضي الله عنهم هو بدو
 الليل وقال في الصباح ناشئة الليل أول ساعاته وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما هي الليل
 كله لانه ينشأ بعد النهار وهو اختيار مالك قال ابن عربي وهو الذي يعطيه اللفظ وتقضيه اللغة
 وقالت عائشة وابن عباس أيضاً ومجاهد رضي الله عنهم انما الناشئة القيام بالليل بعد النوم
 ومن قام قبل النوم فقام ناشئة وقال يمان بن كيسان هو القيام من آخر الليل وأما قوله تعالى
 أشد وطأ أي أثقل على المصلي من ساعات النهار لان الليل وقت منام وراحة فاذا قام الى صلاة
 الليل فقد تحمل المشقة العظيمة هذا على قراءة كسر الواو وفتح الطاء وبعد ألف ممدودة وهمزة
 منونة وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر وقرأ الباقر بن فضال واو وسكون الطاء وبعد هاء همزة
 منونة فهي مصدر وطاء وطاء أي وافقت على الامر من الوفاق تقول فلان يواطئ
 اسمه أي يوافق فله معنى أشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان لانقطاع
 الاصوات والحركات فله مجاهد وغيره قال تعالى ليواطىء عذبة ما حرم الله أي ليوافقوا ومنه
 قوله صلى الله عليه وسلم اللهم أشد وطأً لك على ضروريك أشد مهادة للتصرف في الفكر والتدبر
 وقيل أشد ثباتاً من النهار فان الليل يخلف فيه الانسان بما يعمل فيكون ذلك أثبت للعمل والوطء
 الثبات تقول وطاء الأرض بقدمي وفي الجملة عبادة الليل أشد نشاطاً واثماً خلاصاً وأكثر بركة
 وأبلغ في الثواب (ان لك) أي أيها المتهجد أو يا أكرم الخلق ان كان الخطاب للنبي صلى الله عليه
 وسلم (في النهار) الذي هو محل السعي في مصالح الدنيا (سجاً طويلاً) أي تصرّفاً وقلوباً واثماً
 وادباراً في حوائجك وأشغالك والسمع مصدر وسج استعير للتصرف في الحوائج من السباحة في
 الماء وهي البعد فيه وقال القرطبي السج الجري والدوران ومنه السباحة في الماء لتقلبه بيديه
 ورجليه وفرس سابع شديد الجري وقيل السج الفراغ أي ان لا تفراغ الحاجات النهار وعن ابن
 عباس رضي الله عنهم ما سجاً طويلاً يعني فراغاً طويلاً للنوم وراحتك فاجعل ناشئة الليل
 لعبادتك وقيل ان فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغاً تقدر على تدبيره فيه (واذا كراهم بينك)

أى المحسن اليك والموجد والمدبر لك بكل ما يكون ذكر من اسم وصفة وثناء وخضوع وتسليم
 وتحميد وصلادة وقراءة ودعاء وإقبال على علم شرعى وأدب مرعى ودم على ذلك فى ليالك ونهارك
 وأحرص عليه فاذا عظمت الاسم بالذكر فقد عظمت المسمى بالتوحيد والاخلاص وذلك عون
 للنس على مصالح الدارين أما الآخرة فواضح وأما الدنيا فقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم أعز
 الخلق عليه فاطمة ابنته رضى الله تعالى عنها لمساكنته خادما يقيها التعب الى التسليم والتحميد
 والتكبير عند النوم (وتبتل) أى اجتهد فى قطع نفسك عن كل شاغل والاخلاص فى جميع
 أعمالها بالتدريج قليلا قليلا منتبها (اليه) ولا تزل على ذلك حتى يصير ذلك لك خلقا فتكون نفسك
 كأنها منقطعة بغير قاطع وقوله تعالى (تبتلا) مصدرة بتل جى به رعاية للقواصل وهو ملزوم
 التبتيل قال الزمخشري فان قلت كيف قبل تبتلا مكان تبتلا قلت لأن معنى تبتل نفسه
 بجى به على معناه مراعاة لخلق القواصل اه والتبتيل الانقطاع ومنه امرأة بتول أى منقطعة
 عن النكاح وفى الحديث انه منهى عن التبتل وقال يامعشر الشباب من استطاع منكم البائة أى
 مؤن النكاح فليتزوج والمراد به فى الآية ~~الكرية~~ الانقطاع الى عبادة الله تعالى كما مرت
 الإشارة اليه دون ترك النكاح والتبتل فى الاصل الانقطاع عن الناس والجماعات وقيل ان أصله
 عند العرب التفرد قاله ابن عرفة وقال ابن العربى هذا فيما مضى وأما اليوم فقد مرتجت عهود
 الناس وخفت أماناتهم واستولى الحرام على الحطام فالعزلة خير من الخلطة والعزلة
 أفضل من التأهل ولكن معنى الآية وانقطع عن الاوثان والاصنام وعن عبادة غير الله تعالى
 وكذلك قال مجاهد رضى الله عنه معناه أخلص له العبادة ولم يرد التبتيل فصار التبتل مأمورا به
 فى القرآن منهاضه فى السنة ومتعلق الامر غير متعلق النهى فلا يتناقضان وانما باعث لتبيين
 ما أنزل اليهم فالتبتل المأمور به الانقطاع الى الله تعالى باخلاص العبادة كما قال تعالى وما أمروا
 الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والتبتل المنهى عنه هو سلوك مسلك الذنارى فى ترك النكاح
 والترحيل فى الصوامع لكن عند قساد الزمان يكون خيرا مال المسلم غنما يتبع بها شف الجبال
 ومواضع القطر يقر بدينه من القتن * ولما كان الواجب على كل أحد شكر المنعم بين سبحانه
 الذى أنعم بسكن الليل الذى أمرنا بالتعبد فيه ومنتشر النهار الذى أمر بالسج فيه فقال تعالى
 (رب المشرق) أى موجد محل الانوار التى بها ينمى هذا الليل الذى أنت قائم فيه ويضئ بها
 الصباح وعند الصباح يحمد القوم السرى قال العلامة تقي الدين بن دقيق العيد

كم ليلة فيك وصلنا السرى * لانعرف الغمض ولا نستريح
 واختلف الاصحاب ما ذا الذى * يزيل من شكواهم أو يريح
 فليل نعيمهم ساعة * وقلت بل ذكر الزهو والعصم

(والمقرب) أى الذى يكون عند الليل الذى هو موضع السكون ومحل الخلوات ولينذا الحاجة
 فلا تغرب شمس ولا قمر ولا نجم الا بتقديره (لا اله) أى لا معبود بحق (الاهو) أى ذلك الذى دل
 تريته لك على مجامع العظمة وأبهى صفات الكمال والتعز من ككل شائبة نقص وقرأ رب

ابن عامر وأبو عمرو وحزوة والكسائي بكسر الباء على البدل من ربك وعن ابن عباس رضي الله
 عنهما على القسم بأضمار حرف القسم كقولك الله لأفعلن وجوابه لا إله إلا هو كما تقول لأأحد
 في الدار لأزيد والباقون برفعها على أنه خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره لا إله إلا هو (فاتخذهم)
 أي أخذهم جميع جهداً وذلك بأفرادك أي به (وكيلاً) أي على كل من خالفك بأن
 تفوض جميع أمورك إليه فإنه يكفيكها كلها فإنه المنفرد بالقدر عليها ولا شيء في يد غيره
 فلا تهم بشئ أصلاً قال المبقاعي وليس ذلك بأن يترك الإنسان كل عمل فإن ذلك طمع فارغ
 بل بالأجمال في طلب كل مذهب الإنسان إلى طلبه ليكون متوكلاً في السبب لا من دون سبب
 فإنه يكون حينئذ كمن يطلب الولد من غير زوجة وهو مخالف لمصلحة هذه الدار المبنية
 على الأسباب ولولم يكن في أفرادها بالوكالة إلا أنه يفارق الوكالة بالعظمة والشرف والرفق من
 جميع الوجوه فإن وكيلك من الناس دونك وأنت تتوقع أن يكلمك كثيراً في مصالحك وربك
 أعظم العظماء وهو يأمرك بأن تكلمه كثيراً في مصالحك وتساله طويلاً ووكيلك من الناس
 إذا حصل مالك سألك الأجرة وهو سبحانه يوفرك مالك ويعطيك الأجر ووكيلك من الناس يتفق
 عليك من مالك وهو سبحانه يرزقك ويتفق عليك من ماله ومن تمسك بهذه الآية عاش حراً كريماً
 ومات خالصاً شريفاً وإني الله تعالى عبداً صافياً مختاراً تقياً ومن شرط الموحّد أن يتوجه إلى
 الواحد ويقبل عليه ويذل له نفسه ويفوض إليه أمره ويترك التدبير ويثق به ويركض
 إليه ويتذلل لربوبيته ويتواضع لعظمته (واصبر على ما يقولون) أي المخالفون المفهومون
 من الوكالة من الأذى والسب والاستهزاء ولا تجزع من قولهم ولا تمنع من دعواهم وفوض
 أمرهم إلى قاني إذا كنت وكيلك أقوم بأصلاح أمرك أحسن من قيامك بأمر نفسك
 (واهجرهم) أي أعرض عنهم (هجر أجيلاً) أي لا تتعرض لهم ولا تشغل بكافاتهم فإن ذلك
 ترك للدعاء إلى الله تعالى وكان هذا قبل الأمر بالقتال فإنه صلى الله عليه وسلم منع في أول
 الإسلام من قتال الكفار وأمرهم وأصحابه بالصبر على أذاهم بقوله تعالى لتبْلُوَنَ في أممكم
 الآية ثم أمرهم إذا ابتدؤا بقوله تعالى وقتلوا في سبيل الله الذين يقتلوكم ثم أباح له
 ابتدأهم في غير الأشهر الحرم ثم أمرهم مطلقاً من غير تقييد بشرط ولا زمان بقوله تعالى وقتلواهم
 حيث تفتقروهم (وذرنهم) أي اتركهم (والمكذبين) أي لا تحتاج إلى الظفر بمرادك ومشتراك
 الآن تخلي بيني وبينهم بأن تكل أمرهم إلى وتستكفينيه فإن في ما يفرغ بالك ويجلي همتك
 وليس ثم منع حتى تطلب إليه أن تدره وإياه الأترك الاستكفاء والتفويض كأنه إذا لم يكل
 إليه أمره فكأنه منعه منه فإذا وكله إليه فقد أزال المنع وتركه وإياه وفيه دليل على الوفاق
 بأنه يمكن من الوفاء بأقصى ما تدور حوله أمنية الخطاب وبما يزيد عليه واختلف في سبب
 نزول هذه الآية فقال مقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وهم عشرة فلم يكن إلا سييراً حتى قتلوا
 بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم بنو النضير وقال سعيد بن جبير أخبرتهم أن عشر رجلاً
 وقال المغيرة بن زبير في مناديه قريش ورسوله مكة من المستهزئين وقوله تعالى (أولى النعمة)

نعت للمكذبين أى أصحاب النعم والترفة * (فائدة) * النعمة بالفتح النعم وبالكسر الانعام
وبالضم المسرة (ومهلهم) أى اتركهم يرفق وتأن وتدريج ولا تهتم بشأنهم وقوله تعالى
(قليل) نعت لصدر أى غملا قليلا أو تطرف زمان محذوف أى زمانا قليلا فقتلوا بعد يسير
يدرو وقوله تعالى (ان لدينا أمكالا) جمع نكل بالكسر وهو القيد الثقيل الذى لا ينقل أبدا
وقال الكلبي أغلا لا من حديد (وبحجبا) أى نار احامية جدا شديدة الاتقاد عما كانوا يتقيدون
به من تبريد الشراب والنعم برفيق اللباس وتكلف أنواع الراحة (وطعاما ذا غصة) أى
يقص به فى الحلق وهو الرقوم أو الضريع أو الغسايين أو الشوك من نار لا يخرج ولا ينزل
(وعذابا أليما) أى مؤلما ومعنى الآية ان لدينا فى الآخرة ما يضاعف نعمهم فى الدنيا وهى
هذه الامور الاربعة النكال والجحيم والطعام الذى يقص به والعذاب الاليم والمراد به
سائر أنواع العذاب وروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق وعن الحسن أنه
أمسى صائما فأتى بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له
فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فأخبر ثبات البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء فجاؤا فلم
يزالوا به حتى شرب شربة من سويق وقوله تعالى (يوم ترجف) منصوب بالاستقرار المتعلق به
لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة فتزلزل (الارض) أى ككلها (والجبال) أى التى
هى أشدها (وكانت) أى وتكون (الجبال) التى هى مراسى الارض وأوتادها وعبر عن شدة
الاختلاط والتلاشى بالتوحيد فقال تعالى (كتيبا) أى رملا مجتمعا من كتب الشئ اذا جمعه
كانه فعيل بمعنى مفعول فى أصله ومنه الكتبة من اللبن (مهيل) قال ابن عباس رملا سائلا
يتناثر وقال الكلبي هو الذى اذا أخذت منه شئ تبعك ما بعده قال القرطبي وأصله مهيدول
وهو مفعول من قولك هلت عليه التراب أهله أهالة وهيل اذا حسيته يقال مهيل ومهيدول
ومكيل ومكيدول ومعين ومعينون قال الشاعر

قد كن قومك يحسبونك سيدا * وإخا انك سيد معيون

وقال عليه الصلاة والسلام حين شكوا اليه الجسدوية انكليون أم تهيلون قالوا نهيل قال
كبلوا طعامكم يشارك لكم فيه وأصل مهيل مهيدول استنقلت الضمة على الياء فنقلت الى
الهاء فالتقى سا كان فسيبويه واتباعه حذفوا الواو وكانت أولى بالحذف لانها زائدة وان
كانت القاعدة أن ما يحذف لا لتقاء الساكنين الا قبل ثم كسروا الهاء لتصح الياء وفتح حنثذ
مفعول والكساف ومن تبعه حذفوا الياء لان القاعدة حذف الا قبل كما مر ولما خوف تعالى
المكذبين أولى النعمة بأحوال يوم القيامة خوفا منهم بعد ذلك بأحوال الدنيا فقال تعالى (انما هى
بما لنا من العظمة) (أرسلنا اليكم) يا أهل مكة شرفا لكم خاصة وإلى كل من بلغته الدعوة عاقبة
(رسولا) أى عظيم اجدا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وامامهم وأجلهم وأفضلهم
قد را (شاهدا عليكم) أى بما تصنعون ليؤدى الشهادة عند طلبها منه يوم تخرج من كل أمة
شهادته وهو يوم القيامة (انما أرسلنا) أى بما لنا من العظمة (الى فرعون) أى ملك مصر

(رسولاً) وهو موسى عليه الصلاة والسلام وهذا تهديد لأهل مكة بالأخذ الويل قال مقاتل
وانما ذكر موسى وفرعون دون سائر الرسل لأن أهل مكة ازدروا محمداً صلى الله عليه وسلم
واستخفوا به لانه ولد فيهم كما أن فرعون ازدري بموسى عليه السلام لانه رباؤه ونشأ فيمابينهم كما قال
تعالى حكاية عن فرعون ألم نريك فينا وليداً وذكرا الرأزي السؤال والجواب قال ابن عادل وهو
ليس بالقوى لأن إبراهيم عليه السلام ولد ونشأ فيمابين قوم غرود وكان آزر وزير غرود على
ما ذكره المفسرون وكذا القول في هود ونوح وصالح ولوط لقوله تعالى في قصة كل واحد منهم
لفظة أخاهم لانه من القبيلة التي بعث اليها انتهى وقد يقال الجامع بين محمد وموسى عليهما الصلاة
والسلام التربية فإن أبا طالب تربى عنده النبي صلى الله عليه وسلم وموسى عليه السلام تربى عند
فرعون ولم يكن ذلك لغيرهما (فعمى فرعون الرسول) انما عرفه لتقدم ذكره وهذه الالعهدية
والعرب اذا قدمت اسما ثم أتوا به ثانياً أتوا به مع رفاً بال أو أتوا به ضميره لئلا يلتبس بغيره نحو
رأيت رجلاً فأكرمت الرجل أو فأكرمته ولو قلت فأكرمت رجلاً لتوهم أنه غير الأول وقال
المهدوي ودخلت الالف واللام في الرسول لتقدم ذكره ولذا اختير في أول الكتب سلام عليكم
وفي آخرها السلام عليكم ثم تسبب عن عصيانه قوله تعالى (فأخذناه) أي فرعون بما لنا من
العظمة وبين انه أخذ قهراً وغضب بقوله تعالى (أخذوا ويلاً) أي ثقيلاً شديداً وضرب ويلاً
وعذاب ويلاً أي شديداً قاله ابن عباس ومجاهد ومنه مطروا بل أي شديداً قاله الاخفش وقال
الزجاج أي ثقيلاً غليظاً ومنه قيل للمطروا بل وقيل مهلكاً والمعنى عاقبناه عقوبة غليظة وفي
ذلك تخويف لأهل مكة ثم خوفهم يوم القيامة فقال تعالى (فكيف تتقون ان كفرتم)
أي توجدون الوقاية التي تقي أنفسكم اذا كفرتم في الدنيا والمعنى لاسبيل لكم الى التقوى
اذا رأيتم القيامة وقيل معناه فكيف تتقون العذاب يوم القيامة اذا كفرتم في الدنيا وقوله
تعالى (يوماً) مفعول تتقون أي عذابه أي بأي حصن تحصنن من عذاب الله يوم (يجعل
الولدان) وقوله تعالى (شيباً) جمع أشيب والاصل في الشين الضم وكسرت لحناسة الياء ويقال
في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال وهو مجاز ويجوز أن يراد في الآية الحقيقة والمعنى
يصيرون شيوخاً شيوخاً من هول ذلك اليوم وشدة ذلك حين يقال لا آدم عليه السلام قم فابعث
بعث النار من ذريتك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم
فيقول لبيك وسعديك وفي رواية والخير في يديك فينادي بصوت ان الله يأمرك ان تخرج
من ذريتك بعثنا الى النار قال يارب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين
فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب
الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا يا رسول الله أين ذلك الرجل فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ابشروا فان من يأجوج وماجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم
واحد ثم قال أنتم في الناس كالشجرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشجرة البيضاء
في جنب الثور الأسود وفي رواية كالرقة في ذراع الحمار وهي بفتح الراء وسكون القاف الاثر

الذي في بطن عضد الجارواني لا رجوان تكونوا ربيع أهل الجنة فكبر القوم ثم قال فثلث أهل الجنة فكبروا ثم قال شطر أهل الجنة فكبروا وفي هذا الإشارة إلى الاعتناء بهم لأن إعطاء الإنسان مرة بعد مرة دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته وفي هذا أيضا جلهم على تجديده شكر الله تعالى وحده على انعامه عليهم وهو تكبيرهم لهذه البشارة العظيمة ثم وصف هول ذلك اليوم بقوله تعالى (السما منقطر) أي ذات انقطار أي انشقاق (به) أي بسبب ذلك اليوم لشدة غلبه سيئة وجوز الزمخشري أن تكون للاستعانة فانه قال والباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانقطر به وقال القرطبي معنى به أي فيه أي في ذلك اليوم وقيل به أي بالامر أي السماء منقطر بما يجعل الولدان شيئا وقيل منقطر بالله أي بأمره * (تنبيه) * انما تؤنث الصفة لوجوه منها قال ابو عمرو بن العلاء لانها بمعنى السقف تقول هذا سماء البيت قال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا ومنها أنما على النسبة أي ذات انقطار ونحو امرأة مرضع وحائض أي ذات ارضاع وذات حيض ومنها أنها تذكروا وتؤنث أنشد الفراء

فلورفع السماء اليه قوما * لحقنا بالسماء وبالصحاب

ومنها أنه اسم جنس يفرق بينه وبين واحد بالهاء فيقال سماء واسم الجنس يذكر ويؤنث ولهذا قال أبو علي الفارسي هو كقوله تعالى منتشر وأبحار نخل منقعه يعني فجاء على أحد الجائزين أولان تأنيها ليس بحقيقي وما كان كذلك جازت ذكره قال الشاعر * والمها * بالانتماء الخبري مكحول والضمير في قوله تعالى (كان وعده مفعولا) يجوز أن يكون لله وان لم يجز له ذكر للعلم به فيكون المصدر مضافا للفاعل ويجوز أن يكون اليوم فيكون مضاعا لمفعوله والفاعل وهو الله تعالى مقدر قال المفسرون كان وعده بالقيام والحساب والجزء مفعولا كاتنا لا شك فيه ولا خلف وقال مقاتل كان وعده بأن يظهر دينه على الدين كله (ان هذه) أي الآيات الناطقة بالوعيد الشديد أو السورة (تذكرة) أي تذكرة عظيم هو أهل لان يعظبه ويعتبر به المعبر ولا سيما ما ذكر فيها لأهل الكفر من العذاب ولما كان سبحانه قد جعل للإنسان عقلا يدرك به الحسن والقبح واختيارا يتمكن به من اتباع ما يريد فلم يبق له مانع من جهة اختيار الاصلح والاحسن الا قهر المشيئة التي لا اطلاع لها عليها ولا حيلة لها فيها سبب عن ذلك قوله تعالى (فن شاء اتخذ) أي بغاية جهده (الي ربه) أي المحسن اليه خاصة لا الى غيره (سيلا) أي طريقا الى رضاه ورحمته فليرغب فقد أمكن له لانه أظهر له الخلق والدلائل قبل نسخت بأية السيف وكذلك قوله تعالى فن شاء ذكره قال الثعلبي والاشبه أنه غير منسوخ (ان ربك) أي المدبر لا امرأ على ما يكون احسانا اليك ورفقا بك (يعلم أنك تقوم) أي في الصلاة كما أمرت به أول السورة (أدنى) أي زمانا أقل والادنى مشتركة بين الاقرب والادون الانزل رتبة لأن كلامهم ما يلزم عنه قلة المسافة (من ثلث الليل) وقرأ (ونصفه وثلثه) ابن كثير وعاصم وحزرة والكسائي بنصب الفاء بعد الصاد ونصب المثلثة بعد اللام ورفع الهاء فيهما عطف على أدنى والباقيون بكسر الفاء والمثلثة وكسر الهاء فيهما عطف على ضمير تقوم وقيامه كذلك مطابق لما وقع التخيير فيه أول السورة من قيام النصف

تخامه أو الناقص منه وهو الثلث أو الزائد عليه وهو الثلثان أو الأقل من الأقل من النصف
وهو الربع وقوله تعالى (وطائفة من الذين معك) يحذف على ضمير تقوم ويجاز من غير تأكيد
للفصل وقيام طائفة من أصحابه كذلك للتأسي به ومنهم من كان لا يدري كم يصلي من الليل
وكم بقي منه فكان يقوم الليل كله احتياطاً فداموا حتى انتفخت أقدامهم سنة وأكثر فحفظ عنهم
بقوله تعالى (والله) أي المحيط بكل شيء قدرة وعلماً (يقدر) أي تقدير أعظمها هو في غاية التحرير
(الليل والنهار) أي هو العالم بمقادير الليل والنهار فيعلم القدر الذي تقومون من الليل
والذي تنامون منه (علم أن) محققة من الثقبيلة واسمها محذوف أي أنه (لن تحصوه) أي
الليل لتقوموا فيما يجب القيام فيه الإتيان بجميعه وذلك يثب علىكم (فتاب عليكم) أي
رجع بكم إلى التخصيف بالترخص لكم في ترك القيام المقدراً أول السورة وقوله تعالى (فاقرؤا
ما تيسر) أي سهل (من القرآن) فيه قولان أحدهما أن المراد بهذه القراءة القراءة في الصلاة
وذلك أن القراءة أحد أجزاء الصلاة فأطلق اسم الجزء على الكل والمعنى فصلوا ما تيسر عليكم
قال الحسن يعني في صلاة المغرب والعشاء قال قيس بن أبي حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة
فقرأ في أول ركعة بالحمد وأول آية من البقرة ثم ركع ثم قام في الثانية فقرأ بالحمد والآية الثانية من
البقرة ثم ركع فلما انصرف أقبل علينا فقال إن الله تعالى يقول فاقرؤا ما تيسر منه قال القشيري
والمشهور أن نسخ قيام الليل كان في حق الأمة وبقية القرينة في حق النبي صلى الله عليه
وسلم وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه بل نسخ بالكلية فلا تجب صلاة الليل أصلاً وإذا ثبت
أن القيام ليس فرضاً فقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن معناه اقرؤا إن تيسر عليكم ذلك
وصلوا إن شئتم والقول الثاني أن المراد بقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن دراسته
وتحصيل حفظه وأن لا يعرض للنسيان سواء كان في صلاة أم غيرها قال كعب من قرأ في ليلة
مائة آية كتب من القانتين وقال سعيد بن جبير آية قال القرطبي قول كعب أصح لقوله
صلى الله عليه وسلم من قام بعشر آيات من القرآن لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب
من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين أخرجه أبو داود والطحاوي وروى أنس
ابن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ خمسين آية في يوم أو في ليلة
لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يحاسبه القرآن
يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الأجر فقوله من المقنطرين أي أعطى
قنطاراً من الأجر وجاء في الحديث أنه ألف ومائتا وثلاثة وأربعون ألفاً من المقنطرات من لفظه
وقال أبو عبيدة القنطاري واحد ما قنطار ولا يجد العرب تعرف وزنه ولا واحد للقنطار ومن لفظه
وقال ثعلب المعول عليه عند العرب أنه أربعة آلاف دينار فإذا قالوا قنطاراً من مقنطرة فهي اثنا
عشر ألف دينار وقيل إن القنطار من جلد ثور بهاب وقيل ثمانون ألفاً وقيل هو بطن كثيرة
مجهولة من المال نقله ابن الأثير قال القرطبي والقول الثاني أصح مما للخطاب على ظاهر اللفظ
والقول الأول مجاز لأنه من نسبة الشيء ببعض ما هو من أعماله وإذا كان ذلك على قيام لاني

قد والقراءة فلا دليل فيه على أن الفاتحة لا تسعين في الصلاة بل هي متعينة في كل ركعة تلبيح
 الصالحين لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفتح الكتاب وتلبيح لا تجزى صلاة لا يقرأ فيها بفتح الكتاب
 رواه ابن خزيمة وحبان في صحيحهما واتفق عليه وسلم كما في مسلم مع خبر البخاري
 صلوا كما رايتوني أصلي ويحمل قوله تعالى فاقرا وأما يسر منه مع خبر ثم اقرأ بما يسر معك من
 القرآن على الفاتحة أو على العاجز عنهم اجمعين الأدلة ولما كان هذا نسخا لما كان واجبا
 من قيام الليل أول السورة لعلمه سبحانه بعدم احصائه فسر ذلك العلم المجمل بعلم مقصود بيان
 الحكمة أخرى للنسخ فقال تعالى (علم أن) مخففة من الثقيلة أي أنه (سيكون) أي بتقدير لا بد
 منه (منكم مرضى) جمع مريض وهذه السورة من أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم ففي
 ذلك إشارة بأن أهل الاسلام يكثرون جدا (وآخرون) غير المرضى (يضربون) أي يوقعون
 الضرب (في الأرض) أي يسافرون لأن الماشي يجذو يضرب برجله في الأرض (يتغنون)
 أي يطلبون طلبا شديدا (من فضل الله) أي بعض ما أوجده الملك الأعظم لعباده بالتجارة وغيرها
 (وآخرون) أي منكم أيها المسلمون (يقاتلون) أي يطلبون ويوقعون قتل أعداء الله تعالى
 ولذلك بينه بقوله تعالى (في سبيل الله) أي الملك الأعظم وكل من الفرق الثلاث يشق عليهم
 ما ذكر في قيام الليل وسوى سبحانه في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتسبين للمال
 الحلال لنفقتهم على نفسه وعياله والاحسان فكان هذا دليلا على أن كسب المال بمنزلة الجهاد
 لانه جمعه مع الجهاد في سبيل الله قال صلى الله عليه وسلم ما من جالب يجلب طعاما من بلد إلى
 بلد فيبيعه به يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهداء ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وآخرون يضربون في الأرض يتغنون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله وقال
 ابن مسعود أيما رجل جلب شيئا إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا بافباعه به يومه
 كان له عند الله منزلة الشهداء وقرأ وآخرون الآية وقال ابن عمر ما خلق الله تعالى مائة
 أموتها بعد الموت في سبيل الله أحب إلى من الموت بين شعبي رجل ابتغي من فضل الله ضاربا
 في الأرض وقال طاوس الساعي على الأرملة والمسكين كالجاهد في سبيل الله وأعاد قوله تعالى
 (فاقروا ما يسر منه) أي من القرآن للتأكيده (وأقيموا الصلاة) أي المكتوبة وهي خمس
 بجميع الامور التي تقوم بها من أركانها وشروطها وأبعضها وهياتها (وأقوا الزكاة) أي
 زكاة أموالكم وقال عكرمة وقتادة صدقة الفطر لأن زكاة الأموال وجبت بعد ذلك وقيل
 صدقة التطوع وقيل كل فعل خير وقال ابن عباس طاعة الله تعالى والاخلص (واقربوا
 الله) أي الملك الأعلى الذي له جميع صفات الكمال التي منها الغنى المطلق من أبدانكم
 وأموالكم في أوقات محكم ويساركم (قرضا حسنا) من نوافل الخيرات كلها برغبة تامة
 وعلى هيئة جميلة في ابتدائه وإتمامه وقال زيد بن أسلم القرض الحسن النفقة على الأهل
 وقيل صلة الرحم وقرى الضيف وقال عمر بن الخطاب هو النفقة في سبيل الله (وما تقدموا
 لأنفسكم) أي خاصة سلفا لأجل ما بعد الموت حيث لا تقدرون على الأعمال (من خير) أي

خير كان من عبادات البدن والمال (تجدوه) أي محفوظا لكم (عند الله) أي المحيط بكل شيء قدرة وعلم (هو) أي لا غيره (خيرا) أي لكم وجازعير الفصل بين غير معرفتين لان أفعل منه كالمعرفة ولذلك يمنع دخول أداة التعريف عليها والمعنى هو خير من الذي تدخرونه الى الوصية عند الموت قاله ابن عباس وقال الزجاج خير لكم من متاع الدنيا وروى البغوي بسنده عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيكم ماله أحب اليه من مال وارثه قالوا يا رسول الله ما منّا من أحد الا ماله أحب اليه من مال وارثه قال اعلوا ما تقولون قالوا ما نعلم الا ذلك يا رسول الله قال انما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر (وأعظم أجرا) قال أبو هريرة يعني الجنة ويحتمل أن يكون أعظم أجرا لاعطائه بالجنة أجرا ولما كان الانسان اذا عمل ما يمدح عليه ولا سيما اذا كان المادح له ربه ربما أدركه الابهاب بين له أنه لا يقدر بوجهه على ان يقدر الله تعالى حق قدره فلا يزال مقصرا فلا يسعه الا العفو فقال عز من قائل (واستغفروا الله) أي اطلبوا وأوجدوا استر الملك الاعظم الذي لا تحيطون بعرفته فكيف بأداء حق خدمته لتقصيركم عينا وأثرا بفعل ما يرضيه واجتناب ما يسيئ خطه (ان الله) أي الملك الاعظم (غفور) أي بالغ الاستر لا عيان الذنوب وآثارها حتى لا يكون عنها عقاب ولا عتاب (رحيم) أي بالغ الاكرام بعد الاستر افضالا واحسانا وتشريفا وامتنانا وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والاخرة حديث موضوع

❖ (سورة المدثركية) ❖

(وهي خمس أوست وخمسون آية ومائتان وخمس وخمسون كلمة وألف وعشرة أحرف)

(بسم الله) الملك الواحد القهار (الرحمن) الذي عمّ برحمته الابرار والفجار (الرحيم) الذي خصص أمته بقيامه بما يوصلهم الى دار القرار ولما ختمت المزمل بالبشارة لارباب البصارة بعد ما بدت بالاجتهاد في الخدمة المهيبة للقيام باعباء الدعوة افتتحت هذه بحط حكمة الرسالة وهي التذارة فقال تعالى (يا أيها المدثر) روى عن يحيى بن أبي كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال يا أيها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك الذي خلق قال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ذلك الذي قلت فقال لي جابر لا أحد مثلك الا مثل ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحرا شهرا فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا وتطورت عن خلفي فلم أر شيئا فرفعت رأسي فرأيت شيئا فأنيت خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء باردا قال فنزل يا أيها المدثر الآية وذلك قبل ان تفرض الصلاة وفي رواية فلما قضيت جوارى هبطت فاستبطنت الوادي وذكر نحوه وفيه فاذا قاعد على عرش في الهواء يعني جبريل عليه السلام فأخذتني رجفة شديدة وعن جابر من رواية الزهري عن أبي سلمة عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم يحدث عن فترة الوحي فقال لي في حديثه فيمنها أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئت منه رعباً فقلت زملوني زملوني فأنزل الله عز وجل يا أيها المذثر ألق قولك فاهجر وفي رواية فجئت منه حتى هويت إلى الأرض فجئت إلى أهلي وذكره ثم حتى الوحي وتتابع (فان قيل) إن هذا الحديث دال على أن سورة المذثر أول ما نزل ويعارضه حديث عائشة المخرج في الصحيحين في بدء الوحي وسبأني في موضعه إن شاء الله تعالى وفيه فقطع الثالثة حتى بلغ من الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع به رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده الحديث (أجيب) بأن الذي عليه العلماء أن أول ما نزل من القرآن على الإطلاق اقرأ باسم ربك الذي خلق كما صرح به في حديث عائشة ومن قال إن سورة المذثر أول ما نزل من القرآن فضعيف وإنما كان نزوله بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن أبي سلمة عن جابر ويدل عليه ما في الحديث وهو يحدث عن فترة الوحي إلى أن قال وأنزل الله تعالى يا أيها المذثر ويدل عليه قوله أيضاً فإذا الملك الذي جاءني بحراء وحاصله أن أول ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة اقرأ باسم ربك وإن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة المذثر وبهذا يحصل الجمع بين الحديثين وقوله فإذا هو قاعد على عرش بين السماء والأرض يريد به السرير الذي يجلس عليه وقوله يحدث عن فترة الوحي أي عن احتياسه وعدم تنابعه وتواليه في النزول وقوله فجئت منه روى بجمع مضمومة ثم همزة مكسورة ثم ثاء مثناة ساكنة ثم ثاء الضمير وروى ثاءين مثلثتين بعد الجيم ومعناها فرعبت منه وفزعت وقوله حتى الوحي وتتابع أي أكثر نزوله وازداد بعد فترة من قولهم حيث الشمس والنار إذا ازداد حرها وقوله وصبا على ماء بارد فيه أنه ينبغي لمن فزع أن يصب عليه الماء ليسكن فزعه وأصل المذثر المذثر وهو الذي يتدثر في ثيابه ليستدفئ به وأجمعوا على أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما سمي مذثراً لوجوه أحدها قوله صلى الله عليه وسلم دثروني وثانيها أنه صلى الله عليه وسلم كان دائماً متدثر بثيابه فجاء جبريل عليه السلام وأيقظه صلى الله عليه وسلم وقال يا أيها المذثر (قم فاذر) أي اذر الناس من العذاب إن لم يؤمنوا والمعنى قم من مضجعتك واترك التدثر بالثياب واشتغل بهذا المنصب الذي نصبك الله عز وجل له وثالثها أن الوليد بن المغيرة وأباجهـل وأبالهـب والنضر بن الحارث أجمعهوا وقالوا إن وفود العرب يجتمعون في أيام الحج وهم يسألون عن أمر محمد وقد اختلفتم في الأخبار عنه فمن قاتل هو مجنون وقاتل ساحر وقاتل كاهن وتعلم العرب أن هذا كله لا يجتمع في رجل واحد فاستدلوا باختلاف الأجوبة على أنها أجوبة باطلة سموا محمدًا باسم واحد تجتمعون عليه وتسميه العرب به فقام رجل منهم فقال إنه شاعر فلما سمع صلى الله عليه وسلم ذلك اشتد عليه ورجع إلى بيته محزوناً فندثر بقطعة فأنزل الله تعالى يا أيها المذثر وقيل أنه ليس المراد التدثر بالثياب وعلى هذا فقبه وجوه أيضاً أحدها قال عكرمة المعنى يا أيها المذثر بالنيوة والرسالة من قولهم ألبس الله لباس التقوى وزيه برداء العلم قال ابن العربي

وهذا مما يجازي بعيد لانه لم يكن فيما بعد أى على القول بأنها أول سورة نزلت وأما على أنها نزلت
بعد فترة الوحي فليس بعيد وثانيها أن المذنب بالشوب يكون كالمتقي فيه وهو صلى الله عليه وسلم
كان في جبل حراء كالمتقي من الناس فكانه قال يا أيها المذنب بدنا بالاختفاء قم بهذا الامر
وأخرج من زاوية الجبل واشتغل بانذار الخلق والدعوة الى معرفة الحق وثالثها أنه تعالى
بخطه راحة للعالمين فكانه قيل له يا أيها المذنب يا ثواب العلم العظيم والخلق الكريم والرحمة الكاملة
قم فانذر عذاب ربك صلى كلاً القولين في ندائه بذلك ملاطفة في الخطاب من الكريم الى
الحبيب اذ ناداه بجماله وعبر عنه بصفته ولم يقل يا محمد (وربك) أى خاصة (فكبر) أى عظمه
عما يقول عبدة الاوثان وصفه بأنه أكبر من أن تكون له صاحبة أو ولد وفي الحديث انهم قالوا
بم تفتخ الصلاة فتنزل وربك فكبر أى صفه بأنه أكبر قال ابن العربي وهذا القول وإن كان
يقتضى بعمومه تكبير الصلاة فانه يرادفه تكبير التقديس والتتزيه بخلق الانداد والاصنام
دونه ولا يتخذ وليا غيره ولا يعبد سواه وروى أن أباسفيان قال يوم أحد اعل هبل وهو اسم صنم
كان لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولوا الله أعلى وأجل وقد صار هذا اللفظ يعرف الشرع
في تكبير العبادات كلها اذ انا وصلاة وذكر يقول الله أكبر وجل عليه لفظ النبي صلى الله عليه
وسلم الوارد على الاطلاق موارد هاهنا قوله تحريمها التكبير وتحليلها التسليم والشرع يقتضى
يعرفه ما يقتضى بعزمه ومن موارد أوقات الاطلاق بالله تعالى تخلصه من الشرك واعلاما
باسمه بالتسليم وافراد المشرع من أمره بالنسك والمتقول عن النبي صلى الله عليه وسلم
في التكبير في الصلاة هو لفظ الله أكبر وقال المفسرون لما نزل قوله تعالى وربك فكبر قام
النبي صلى الله عليه وسلم وقال الله أكبر فكبرت خديجة رضى الله تعالى عنها وفرحت وعلمت انه
رسى من الله تعالى ذكره القشيري وقال مقاتل هو أن يقال الله أكبر وقيل المراد منه التكبير
في الصلاة (واستشكل) ذلك على القول بأنها أول سورة نزلت فان الصلاة لم تكن فرضت
(وأجيب) بأنه يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم كان له صلوات تطوع فأمر أن يكبر فيها (تأنيده) *
دخلت الفاء في قوله تعالى فكبر وفيما بعده لا فائدة معنى الشرط كانه قيل وما يمكن فكبر وربك
أو للدلالة على أن المقصود الاول من الامر بالقيام أن يكبر ربه عن الشرك والتشبه فان
اول ما يجب معرفة الصانع وأول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقربين به
(ومما يكتفطهر) أى من التجاسات لان طهارة الثياب شرط في صحة الصلاة لاتصح الا بها وهي
الاولى والاسبب في غير الصلاة وقبح بالمؤمن الطيب أن يحصل خبثا قال الرازي اذا حملنا
التطهير على حقيقة في الآية ثلاث احتمالات الاول قال الشافعي المقصود من الآية الاكلام
بأن الصلاة لا تجوز الا في ثياب طاهرة من الانجاس وثانيها روى أنهم القوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم سلاسة فشق عليه فربيع الى بيته فزيتا وتدفق في ثيابه صلى الله عليه وسلم
فقيل يا أيها المذنب فمما نذر ولا تملك تلك الشناعة من الانذار وربك فكبر على أن لا ينتقم
منهم ومما يكتفطهر عن تلك التجاسات والقاذورات وثالثها قال عبد الرحمن بن زيد بن

أسلم كلن المشركون لا يصوفون ثيابهم عن التنجسات فأمره الله تعالى أن يسون ثيابه عنها
وقيل هو أمر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرحهم الذيل وذلك مما لا يؤمن
معه أصابة النجاسة قال صلى الله عليه وسلم إذا را المؤمن إلى أنصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بين
وبين الكعنين وما كان أسفل من ذلك ففي النار فجعل صلى الله عليه وسلم الغاية في لباسه
الأزواني كعب وتوعد على ما تحته بالنار فبال رجال يرسلون أذيالهم ويطيلون ثيابهم
ثم يكلفون رفعها بأيديهم وهذه حالة الكبر وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله إلى من جتر
نوبه خيلاء وفي رواية من جتر أزاره خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة قال أبو بكر رضي
الله عنه يا رسول الله إن أحد شقي أزارى يسترخى إلا أنى أقعاه ذلك خفته فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لست بمن يصنعه خيلاء وقيل هو أمر بتطهير النفس عما يستقذر من
الأفعال ويستحسن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الجلب والذيل إذا وصفوه
بالنقاء من المعايير ومدانس الأخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لأن الثوب يلبس
الإنسان ويشتمل عليه فكفى به عنه ألا ترى إلى قولهم أعجبنى زيد نوبه كما تقول أعجبنى زيد
عقله وخلقه ويقولون المجد في نوبه والكرم تحت حلقه ولأن الغالب أن من طهر باطنه ونقا
عفى بتطهير الظاهر وتنقيته وأبى إلا اجتناب التلبس بغير الطهر في كل شيء وقال عكرمة
سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله تعالى وثيابك فطهر فقال لا تلبسها على معصية ولا على
عذر ثم قال أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي

واني بحمد الله لا ثوب فأجر * لبست ولا من عنده أتقنع

والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوقار طاهر الثياب ويقولون لمن عذر أنه لدنس
الثياب وقال أبي بن كعب لا تلبسها على عذر ولا على ظلم ولا على إثم اللبسها وأنت بتر طاهر وطال
الحسن والقرطبي وخلقتك حسن وقال سعيد بن جبيرة وقيلك وبينك فطهر وقال مجاهد وابن زيد
وعملك فاصلم وروى منصور عن أبي رزق قال يقول وعملك أصلم قال وإذا كان الرجل في خبيث
العمل قالوا إن فلانا فنجس الثياب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحشر المرء في نوبه اللذين
مات عليهم ما يعني عمله الصالح والطالح ذكره الماوردي وقيل المراد بالثياب الأهل أي طهرهم من
الخطايا بالموعظة والتأديب والعرب تسمى الأهل نوبا ولباسا وأزارا قال تعالى من لباس لكم
وأنتم لباس لهن وقيل المراد به الدين أي ودينك فطهر جاء في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام
قال رأيت الناس وعليهم ثياب منها ما يبلغ الندى ومنها ما دون ذلك ورأيت عمر بن الخطاب
وعليه أزار يجزؤه قالوا يا رسول الله فما أولئك قال الدين وقوله تعالى (والرحمن) فسر النبي
صلى الله عليه وسلم بالأوثان (فاهجر) أي دم على هجره وقيل الزاى فيه منقلبة من السين
والعرب يعاقب بين السين والزاى لقرب مخارجهما دليل هذا التأويل قوله تعالى فاجتنبوا
الرجس من الأوثان وروى عن ابن عباس أن معناه أترك المآثم وقرأ حفص بضم الراء
والباقون بكسرهما وهما الفتان ومعناها واحدة وقال أبو جهم الغفاري رضي الله عنه بضم الراء الصنم

وبالكسر العجاسة والمعصية وقال الضحلا يعني الشرك وقال الكلبي يعنى العذاب قال
 البغوي ويجازى الآية اهجر ما أوجب لك العذاب من الاعمال وقوله تعالى (ولا تمنن تستكثر)
 مرفوع منصوب المحل على الحال أى لا تعط مستكثرا رأيا لما تعطيه كثيرا واجعله خالصا
 لله تعالى ولا تطلب عوضا أصلا ومعنى تستكثر أى طالب للثمرة كاره أن ينقص المال بسبب
 العطاء فيكون الاستكثار هنا عبارة عن طلب العوض كيف كان ليكون عطاؤه صلى الله عليه
 وسلم خاليا عن انتظار العوض والتفات النفس اليه وقيل لا تعط شيئا طالبا للثمن
 عن الاستقرار وهو أن يهب شيئا وهو يطمع أن يعوض من الموهوب به أكثر من الموهوب
 وهذا جائز ومنه الحديث المستغزى ثياب من هبته وفيه وجهان أحدهما أن يكون نهيا خاصا
 برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ظاهر الآية لأن الله تعالى اختاره أشرف الآداب وأحسن
 الأخلاق والثاني أنه نهى تنزيه لا تحريم له ولا منعه وقيل إنه تعالى لما أمره بأربعة أشياء انذار
 القوم وتكبير الرب وتطهير الثياب وهجر الرجز ثم قال ولا تمنن تستكثر أى لا تمنن على ربك
 بهذه الأعمال الشاقة كالمستكثر لما تفعله (ولربك فاصبر) أى على الأوامر والنواهي متقربا
 بذلك اليه غير ممتن به عليه وقال الحسن بحسناتك تستكثرها وقال ابن عباس ولا تعط عطية
 ملقسانها أفضل منها وقيل لا تمنن على الناس بما تعلمهم من أمر الدين والوحي مستكثرا بذلك
 الأنعام فانك انما فعلت ذلك بأمر الله تبارك وتعالى فلا منة لك به عليهم ولهذا قال تعالى ولربك
 فاصبر وقيل لا تمنن عليهم بنفوتك لتستكثر أى لا تأخذ منهم أجرا على ذلك تستكثر به مالك
 وقال مجاهد والريبع لا تعظم عملك في عينك أن تستكثر من الخير فانه مما أنعم الله تعالى به عليك
 وقال ابن كيسان لا تستكثر عملك فتراه من نفسك انما عملك منة من الله تعالى عليك اذ جعل لك
 الله تعالى سبيلا الى عبادته وقال زيد بن أسلم اذا أعطيت عطية فأعطها الرب لا تقل دعوت فلم
 يستجب لي وقيل لا تفعل الخير لترأى به الناس * ولما ذكر تعالى ما يتعلق بإرشاد النبي صلى الله
 عليه وسلم ذكر بعده وعيد الاشقياء بقوله تعالى (فاذا نقر) أى نفخ (في الناقور) أى في الصور
 وهو القرن النفخة الثانية فاعول من النقر من أى التصويت وأصله القرع الذى هو سبب
 الصوت والفاء للسببية كانه قال تعالى اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك وأعد أولك
 عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه قوله تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين) لأن
 معناه عسر الأمر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ
 بدل أو ظرف لخبره اذا التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير وقرأ على الكافرين وأصحاب
 النار أبو عمرو والدورى عن الكسانى بالامالة محضة وقرأ ورش بين اللظنين والباقون بالفتح
 * ولما كان العسر قد يطلق على الشئ وفيه يسر من بعض الجهات أو يعالج فيرجع يسرا بين أنه
 ليس كذلك بقوله تعالى (غير يسر) فجمع فيه بين اثبات الشئ ونفي ضده تحقيقا لا مره ودفعاً
 للمجازفة وتقييداً بالكافرين يشعريسه على المؤمنين فانهم لا يناقشون الحساب ويحشرون
 بين الوجوه ثقيل الموازين قال الرازى ويحتمل أنه عسير على المؤمنين والكافرين إلا أنه على

الكافرين أشد * (تنبيه) * قال الحلي سمي الصور باسمين فان كان هو الذي ينفع فيه النفختان
 فان نفخة الاصعاق بخلاف نفخة الاحياء وجاء في الاخبار ان في الصور ثقباً بعدد الارواح كلها
 وانها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقب روح الى الجسد
 الذي نزعته منه فيعود بالجسد حياً باذن الله تعالى (ذري) أي اتركني على أي حالة اتفقت
 (ومن خلقت) معطوف على المفعول أو مفعول معه وقوله تعالى (وحيداً) فيه أوجه أحدها
 انه حال من الياء في ذري أي ذري وحدي معه فأنا أكفيك في الانتقام منه الثاني أنه حال من
 التاء في خلقت أي خلقت وحدي لم يشركني في خلقه أحد فأنا أهلكه الثالث أنه حال من عائد
 المحذوف أي خلقت وحيداً فوحيداً على هذا حال من ضمير المفعول المحذوف أي خلقت في بطن
 أمه وحيداً لا مال له ولا ولد ثم أعطيت به ذلك ما أعطيت به قاله مجاهد الرابع أن يقتصب
 على الذم لانه يقال ان وحيداً كان لقباً للوليد بن المغيرة المخزومي ومعنى وحيداً ذليلاً قليل انه كان
 يزعم انه وحيد في فضله وماله وليس في ذلك ما يقتضي صدق مقالته لان هذا اللقب له شهرة به
 وقد يلقب الانسان بما لا يتصف به واذا كان لقباً تعين نصبه على الذم قال ابن عباس كان الوليد
 يقول أنا الوحيد بن الوحيد ليس لي في العرب تطير ولا لابي المغيرة نظير قال الرازي وروى هذا
 القول بعضهم بأنه تعالى لا يصدق في دعواه تلك بأنه وحيد لا تطير له ذكره الواحد وهو ضعيف
 من وجوه ثلاثة لانه قد يكون الوحيد علماً فيزول السؤال لان اسم العلم لا يفسد في المسمى صفة
 بل هو قائم مقام الاشارة الثاني أن يكون ذلك بحسب ظنه واعتقاده كقوله عز وجل ذق انك
 أنت العزيز الكريم الثالث أنه وحيد في كفره وعناده وخبثه لان لفظ الوحيد ليس فيه
 أنه وحيد في العلو والشرف الرابع قال أبو سعيد الوحيد الذي لا أب له كما تقدم في الزنيم
 (وجعلت له) أي بأسباب أوجدتها أنا وحدي لا بحول منه ولا قوة بدليل أن غيره أقوى منه بدنا
 وقلبا وأوسع فكراً وعقلاً وهودونه في ذلك (مالا معدوداً) أي مالا واسعاً كثيراً قال ابن عباس
 هو ما كان للوليد بمكة والطائف من الابل والبقر والغنم والجور والجنان والعبيد والجواري
 واختلوا في مبلغه فقال مجاهد وسعيد بن جبيرة ألف دينار وقال قتادة ستة آلاف دينار وقال
 سفيان الثوري مرة أربعة آلاف دينار ومرة ألف ألف دينار وقال ابن عباس تسعة آلاف
 منقال فضة وقال الرازي المدود هو الذي يكون له مدد يأتي منه الجزء بعد الجزء دائماً ولذلك
 فسره عمر غلة شهر بشهر وقال النعمان المدود بالزيادة كل زروع والضروع وأنواع التجارات
 وقال مقاتل كان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاء ولا صيفاً (وبنين) أي وجعلت له بنين
 (شهوداً) أي حضوراً معه لغناهم عن الاسفار بكثرة المال وانتشار الخدم وقوة الاخوان وهم
 مع حضورهم في الذروة من الحضور بتمام العقل وقوة الحذق فهم في غاية المعرفة ومع ذلك
 فهم أعيان الجالس وصدورنا لها قل كانه لا شاهد به غيرهم قال مجاهد وقتادة كانوا عشرة
 وقال السدي والضحاك كانوا اثني عشر رجلاً وعن الضحاك سبعة ولدوا بمكة وخمسة بالطائف
 وقال مقاتل كانوا سبعة ولعله اقتصر على من ولد بمكة وعلى كل قول أسلم منهم ثلاثة خلا الذي

من الله تعالى على المسلمين بإسلامه فكان سيف الله وسيف رسوله صلى الله عليه وسلم وهشام
 وعجارة (ومهدت) أي بسطت (له) العيش والعمر والولد والتمهيد عند العرب التوطئة والتهيئة
 ومنه مهد الصبي وقال ابن عباس أي وسعت له ما بين اليمن إلى الشام وعن مجاهد أنه المال
 بعضه فوق بعض كما يهد الفراش فلم يربح هذه النعمة العظيمة وقوله تعالى (تمهيدا) تأكيد (ثم) أي
 بعد الأمر العظيم الذي ارتكبه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم (يطمع) أي بغير
 سبب يدل به عما جعلناه سبب المزيد من الشكر (ان أنيد) أي فيما آتيت في دنياه أو في آخرته وهو
 يكذب رسولنا صلى الله عليه وسلم وقال الحسن ثم يطمع أن أحله الجنة وكان الوليد يقول
 ان كان محمد صادقاً ما خلقت الجنة الا لي فقال الله تعالى رد عليه وتكذبه (كلا) أي وعزتنا
 وجلالنا لا تكون له زيادة على ذلك أصلاً وأما النقصان فسيروا ان استمتر على تكذبه فليتردد
 عن هذا الطمع ولنيزجر ولا يرجع فانه حق محض وزخرف بحت وغرور صرف قالوا فما زال
 الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك فقيراً * (تنبيه) * كلاقطع للرجاء عما
 كان يطمع فيه من الزيادة فيكون متصلاً بالكلام الأول وقيل كلابعني حقاً ويتبدأ بقوله تعالى
 (انه) أي هذا الموصوف (كان) أي بخلق كأنه جيله له وطبع لا يقدر على الانفكاك عنه
 (لا يأتنا) على ماله من العظمة خاصة لكونها هادية إلى الوحدة لا إلى غيرها من شبه القائدة
 إلى الشرك (عنيدا) قال قتادة أي جاحداً وقال مقاتل معرضاً وقال مجاهد انه المجانب للحق
 وجمع العنيد عند مثل رغيف ووعف والعنيد بمعنى المعاند والعناد كما قال الملوى من كبر
 في النفس ويسر في الطبع وشراسة في الاخلاق أو خبل في العقل وقد جمع ذلك كله ابليس لعنه
 الله تعالى لانه خلق من نار وهي من طبعها اليبوسة وعدم الطواعية * (تنبيه) * في الآية
 إشارة إلى أن الوليد كان معانداً في أمور كثيرة منها انه كان يعاند في دلائل التوحيد وصحة النبوة
 وصحة البعث ومنها أن كفره كان عناداً لانه كان يعرف هذه الاشياء بقلبه ويشكرها بلسانه
 وكفره عناداً لخس أنواع الكفر ومنها أن قوله تعالى كان يدل على أن هذه حرقته من قديم
 الزمان (سأرققه) أي أكفقه (صعوداً) أي مشقة من العذاب لراحة له فيها وروى الترمذي
 عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه جبل من نار تصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوى
 وفي رواية أنه كلما وضع يده في معالجة الصعود ذابت فإذا رفعها عادت وكذا رجليه وقال
 الكلبي انه صخرة ملساء في النار يكلف أن يصعد بها يجذب من أمامه بسلاسل الحديد ويضرب
 من خلفه بمقامع الحديد فيصعد بها في أربعين عاماً فإذا بلغ ذروتها أسقط إلى أسفلها ثم يكلف
 أن يصعد بها فذلك دأبه أبداً (انه) أي هذا العنيد (فكر) أي ردّ فكره وأداره تابعاً للهواه
 لأجل الوقوع على شيء يطمع به في القرآن أو النبي صلى الله عليه وسلم (وقدر) أي أوقع تقدير
 الأمور التي يطمع بها وقاسمها في نفسه لعله أنها أقرب إلى القبول وذلك ان الله تعالى لما أنزل
 على النبي صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم إلى قوله تعالى المصير
 فإم النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قرأته فلما قطن النبي

صلى الله عليه وسلم لاسقاعه لقراءته أعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه
 في مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آتفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له
 لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمخروان أسفله لمغدق وانه يعاود ولا يعلى عليه ثم انصرف الى
 منزله فقالت قريش صبا والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقال أبو جهل أناأ كفيكموه
 فانطلق فقعد الى جنب الوليد حزينا فقال له الوليد مالي أرا الحزينا يا ابن أخي قال وما يمنعني
 أن لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك ثقة يعينونك على كبر سنك ويرعون أنك زينت كلام
 محمد وانك داخل على ابن أبي كبشة وابن أبي خفاقة تسأل من فضل طعامهم فغضب الوليد
 وقال ألم تعلم اني من أكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام فيكون لهم فضل
 ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون أن محمد المجنون فهل رأيتموه يخفق قط
 قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن فهل رأيتموه قط تسكهن فقالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر
 فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جرت بتم عليه شيئا من
 الكذب قالوا اللهم لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة من صدقه
 فقالت قريش للوليد غما هو فتفكر في نفسه وقد رما أسرا قال الله تعالى (فقتل) أي هلك وطرده
 ولعن في دينه هذه (كيف قدر) أي على أي كيفية أوقع تقديره هذا (ثم قتل) أي هلك ولعن هذا
 العنيد هلاكا ولعنا هو في غاية العظمة فيما بعد الموت في البرزخ والقيامة (كيف قدر) فتم للدلالة
 على أن النانية أبلغ من الاولى ونحوه قوله * ألا يا سلمي ثم اسلمي غت اسلمي * ومعنى قول القائل
 قتله الله ما أشجع وأخزاه الله ما أشعر للاشعار بأنه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن يحسد
 ويدعو عليه حاسده بذلك وأما ثم المتوسطة بين الافعال التي بعدها فهي للدلالة على أنه تأني
 في التأمل وتعمل وكان بين الافعال المناسبة تراخ وتباعد وقوله تعالى (ثم نظروا عطف على
 فذكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما والنظر تأماني وجوه قومه وأما فيما يقدح به في القرآن
 (ثم عبس) أي قبض وجهه وكلبه ونظر مع تقبض جلد وما بين العينين بكراهة شديدة كلهم
 للتفكر في شيء وهو لا يجد فيه فرجا لانه ضاقت عليه الحيل لكونه لم يجد فيما جاء به النبي
 صلى الله عليه وسلم مطاعنا وقيل عبس وجهه في وجوه المؤمنين وذلك أنه لما قال لقريش
 ان محمد اسأ حرمي على جماعة من المسلمين فدعوه الى الاسلام فعبس في وجوههم وقيل عبس
 على النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاه (وبسر) أي زاد في القبض والكدح يقال وجهه بأسر
 أي منقبض أسود كالح متغير اللون فانه قتادة (ثم) أي بعده هذا الترقى العظيم (أدبر)
 أي عما أداه اليه فكره من الايمان بسلامة المنظور فيه وعلوه عن المطاع عن خاد عن وجوه
 الافكار الى أقصيتها (واستكبر) أي أوجد الكبر عن الاعتراف بالحق ايجاد من هو في غاية
 الرغبة فيه (فقال) أي عقب ما جره اليه طبعه الخبيث من ايقاع الكبر على هذا الوجه
 لكونه رآه نافعا لهم في الدنيا (ان) أي ما (هذا) أي الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم
 (الاسمر) أي أمور تخيلية لا حقائق لها وهي لدقتها بحيث تخفى أسبابها أما رأيتوه يفرق

بين الرجل وأهله وماله وولده ومواليه فها هو الأسحر (يؤثر) أي من شأنه أن يتقله السامع عن غيره فهو يتقله من مسيلة وأهل بابل كما قال (أن) أي ما (هو) أي القرآن (الاقول البشر) أي ليس فيه شيء عن الله تعالى فلا يغتر أحده ولا يعرج عليه قاريج النادي فرحاتهم تفرقوا مهجين بقوله متجهين منه قيل وهذا شبيه بما قال بعضهم

لو قيل كم خمس وخمس لا تغدي * يوما وليته يعدو ويحسب
ويقول معضلة عجيب أمرها * ولئن فهمت لها الأمرى أعجب
خمس وخمس ستة أو سبعة * قولان قالهما الخليل وتعلب

فكان قوله هذا سبب هلاكه فكان كما قال بعضهم

احفظ لسانك أيها الإنسان * لا يلدغ نكتك أنه ثعبان

كم في المقابر من قيل لسانه * كانت تهاب لقاء الشجعان

وقوله تعالى (سأصلبه) أي أدخله (سقر) أي جهنم بوعده لا بد منه عن قريب بدل من سأردهه صعودا وقوله تعالى (وما أدر الناس سقر) تعظيم لشأنها وقوله تعالى (لا تبق ولا تذر) بيان لذلك أو حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبق شيئا يلقى فيها إلا أهلكته فاذا أهلكته لم تذر هالكا حتى يعاد أو لا تبق على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة ومحييت سقر من سقرته الشمس إذا أذا به ولا تنصرف للتعريف والتأنيث قال ابن عباس سقر اسم للطبقة السادسة فان ذلك النار سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير والجحيم وسقر والهاوية (لواحة) من لوح الهجير قال

تقول ما لاحك يا مسافر * يا ابنه عى لاحى الهواجر

(للشعر) أي محرقة لظواهر الجلود قد دعه أشد سوادا من الليل قال تعالى تلقح وجوههم النار وهم فيها كالخون والبشر اعالى البشرة وهو جمع بشرة وجمع البشر أبقار وعن الحسن تلوح للناس كقوله تعالى ثم لترونها عين اليقين وقيل اللوح شدة العطش يقال لاحه العطش ولوحه أي غيره وقال الاخفش والمعنى انها معطشة للبشر أي لاهلها وأنشد

سقتنى على لوح من الماء شربة * سقاها من الله الرهام النواديا

يعنى باللوح شدة العطش والرهام جمع رهمة بالكسر وهي المطرة الضعيفة وأرهمت السحابة أنت بالرهام (عليها تسعة عشر) أي من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر وقيل التسعة عشر نقباء وقال أكثر المفسرين تسعة عشر ملكا بأعيانهم وقيل تسعة عشر ألف ملك قال ابن جريج نعت النبي صلى الله عليه وسلم لم خزنة جهنم فقال أعينهم كالبرق الخاطف فأنيابهم كالضياض وأشعارهم عرس أقدامهم يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبى أحدهم مسيرة سنة نزعت منهم الرحمة يدفع أحدهم سبعين ألفا فيرميهم حيث أراد من جهنم قال عمرو بن دينار أن واحدا منهم يدفع بالدفع الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر قال ابن الأثير الصياصى قرون البقر قال ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت هذه الآية قال

أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسع ابن أبي كبشة يخبر أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم
 يعني السبعان أفيجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد من خزنة جهنم فقال أبو الاسدين
 كلد بن خلف الجمعي أنا كفيتكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني فاكفوني
 أنتم اثنين وروى أنه قال أنا أمشي بين أيديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبي اليمين وسبعة
 بمنكبي اليسر في النار ونضى فتدخل الجنة فأنزل الله عز وجل (وما جعلنا) أي بما لنا من العظمة
 وإن خفي وجه العظمة فيه على من عى قلبه (أصحاب النار) أي خزنتها (الاملائكة) أي
 لم نجعلهم رجالا لا تغالبونهم وإنما جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس القرابين من الجن والانس
 فلا يأخذهم ما يأخذ الجان من الرحمة والرافة ولأنهم أشد بأسا وأقوى بطشا فتوتهم أعظم
 من قوة الانس والجن ولذلك جعل الرسول إلى البشر من جنسهم ليكون له رافعة ورجة بهم (فإن
 قيل) ثبت في الاخبار أن الملائكة مخلوقون من النور فكيف تطيق المكث في النار (أجيب)
 بأن الله تعالى قادر على كل الممكنات فكما أنه لا استبعاد في أنه يبقى الحى في مثل ذلك العذاب
 الشديد أبدا لا يباد ولا يموت فكذلك الاستبعاد في ابقاء الملائكة هناك من غير ألم (وما جعلنا) أي
 بما لنا من العظمة (عذبتهم) أي مذكورة ومحصورة (الاقنعة) أي بلبية (للذين كفروا) وقال ابن
 عباس رضى الله عنهم ما ضلالة وقسنة مفعول ثان على حذف مضاف أي الاسبب قسنة وللذين صفة
 القسنة وليست قسنة مفعول لاله وقول البضاوى وما جعلنا عدهم إلا العدد الذى اقتضى فتقتهم
 وهو التسعة عشر تبعا للزخشرى قال أبو حيان انه تحريف لكتاب الله اذ زعم أن معنى الاقنعة
 للذين كفروا الاتسعة عشر وهذا لا يذهب اليه عاقل ولا من له أدنى ذكاء وقال الرازى انما صار
 هذا العدد سببا لقسنة الكفار من وجهين الاول ان الكفار يستهزئون ويقولون لم لا يكونون
 عشرين وما المقتضى لخصم من هذا العدد والثاني ان الكفار يقولون هذا العدد القليل كيف
 يكونون وافيين بتعذيب أكثر العالم من الجن والانس من أول ما خلق الله إلى قيام الساعة
 (وأجيب) عن الاول بأن هذا السؤال لازم على كل عدد يفرض وعن الثانى بأنه لا يعدل ان
 الله تعالى يرفق ذلك العدد القليل قوة تقي بذلك فقد اقتلع جبريل عليه السلام مداثر قوم
 لوط على أحد جناحيه ورفعها إلى السماء حتى سمع أهل السما صياح ديكهم ثم قلبها فجعل عاليها
 سافلها وأيضاً حوال القيامة لا تقاس بأحوال الدنيا ولا للعقل فيها مجال وذكر أبواب المعاني
 في تقرير هذا العدد وجهين أحدهما ما قاله أبواب الحكمة أن سبب فساد النفس الانسانية
 في قوتها النظرية والاحتمالية هو القوى الحيوانية والطبيعية فالقوى الحيوانية هي الخمسة
 الظاهرة والخسة الباطنة والشهوة والغضب فهذه اثنا عشر وأما القوى الطبيعية فهي الجاذبة
 والمساكة والمهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة فالمجموع تسعة عشر فلما كانت هذه
 منشآت لا جرم كان عدد الزبانية هكذا ثانياً ما أن أبواب جهنم سبعة فستة منها للكفار وواحد
 للقساق ثم ان الكفار يدخلون النار لا مورت ثلاثة ترك الاعتقاد وترك الاقرار وترك العمل
 فيكون لكل باب من تلك الابواب الستة ثلاثة فالمجموع ثمانية عشر وأما باب القساق

أقل من هؤلاء الاترك العمل والمجموع تسعة عشر مشغولة بغير العباداة فلا جرم صار عدد الربانية تسعة عشر وقوله تعالى (ليستيقن الذين) متعلق بحلنا لا بفتنة وقيل فعل مضارع أى فعلنا ذلك ليستيقن الذين (أو تو الكتاب) أى أعطوا التوراة والانجيل فانه مكتوب فيهما أنه تسعة عشر فذلك موافقة لما عندهم (ويزداد الذين آمنوا) أى من أهل الكتاب (إيماناً) أى تصديقاً بالموافقة النبي صلى الله عليه وسلم لما في كتبهم (ولا يرتاب) أى يشك (الذين أو تو الكتاب والمؤمنون) في عددهم (فان قيل) قد أثبت الاستقنان لأهل الكتاب وزيادة الإيمان للمؤمنين فافائدة ولا يرتاب الذين أو تو الكتاب والمؤمنون (أجيب) بأن الإنسان اذا اجتهد في امر قامض دقيق الحجة كثير الشبهة فحصل له اليقين فربما غفل عن مقدمة من مقدمات ذلك الدليل الدقيق فيعود الشك فاثبات اليقين في بعض الاحوال لا ينافي طريان الارتياب بعد ذلك ففائدة هذه الجملة نفي ذلك الشك وأنه حصل لهم يقين جازم لا يحصل عقبه شك البتة (وليقول الذين في قلوبهم مرض) أى شك ونفاق وان قل ونزول هذه السورة قبل وجود المنافقين فهو علم من أعلام النبوة فانه اخبار بمكة عما سيكون بالمدينة بعد الهجرة ولا ينكر جعل الله تعالى بعض الامور عللة اصلاح فاسد وفساد آخرين لانه لا يستل عما يفعله على أن العلة قد تكون مقصودة لشيء بالقصد الاول ثم يترتب عليها شيء آخر يكون قصده بالقصد الثاني تقول خرجت من البلد مخافة الشر ومخافة الشر لا يتعلق بها الغرض (والكافرون) أى ويقول الراسخون في الكفر الجازمون بالتكذيب الساترون لما دلت عليه الادلة من الحق (ماذا) أى أى شيء (أراد الله) أى الملك الذي له جميع العظمة (بهذا) أى العدد القليل في جنب عظمته (مثلاً) قال الجلال الهلي سمعوه لغرابته بذلك وأعرب حالاً وقال الليث المثل الحديث ومنه مثل الجنة التي وعد المتقون أى حديثها والخبر عنها وقال الرازي انما هو مثل لانه لما كان هذا العدد عدداً مجيباً فان القوم انه ربما لم يكن مراد الله تعالى منه ما أشعر به ظاهره بل جعله مثلاً لشيء آخر وتنبه على مقصود آخر لا جرم سمعوه مثلاً على سبيل الاستعارة لانهم لما استغربوه ظنوا أنه ضرب مثلاً لغيره ومثلاً تمييزاً وحال وتسمية هذا مثلاً على سبيل الاستعارة لغرابته • ولما كان التقدير أراد به هذا اضلال من ضل وهو لا يأتى وهداية من اهتدى وهو لا يأتى كان كأنه قيل هل يفعل مثل ذلك في غير هذا فقال تعالى (كذلك) أى مثل هذا المذكور من الاضلال والهداية (يضل الله) أى الذي له مجامع العظمة ومعاقده العز (من يشاء) بأى كدام شاء كاضلال الله تعالى أبا جهل وأصحابه المنكرين لخزنة جهنم (ويهدي) بقدرته التامة (من يشاء) بنفس ذلك الكلام أو بغيره كهداية أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهذه الآية تدل على مذهب أهل السنة لانه تعالى قال في أول الآية وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الخ ثم قال تعالى كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء (وما يعلم جنود ربك) أى المحسن اليك بأنواع الاحسان المديبر لا هرك (الاهو) أى الله سبحانه وتعالى قال مقاتل رضي الله عنه وهذا جواب لابي جهل حيث قال ما محمد أعوان الالسة عشر وقال مجاهد رضي الله عنه وما يعلم جنود ربك يعني من الملائكة الذين خلقهم

لتعذيب أهل النار ولا يعلم عدتهم إلا الله تعالى والمعنى أن تسعة عشر هم خزنة النار ولهم من
الأهوان والجنود من الملائكة ما لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى ولو أراد جعل الخزنة أكثر من
ذلك فقد روى أن البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة لا تعود لهم نوبة أخرى
وروى أن الأرض في السماء مخلقة ملقاة في فلاة وكل مما في التي فوقها كذلك وورد في الخبر
أطلت السماء وحق لها أن تظلم ما فيها موضع أربع أصابع وفي رواية موضع قدم الأول فيه ملك قائم
يصلي وفي رواية ساجد وانما خص هذا العدد لحكم لا يعلمها إلا هو ثم رجع إلى ذكر شرف قال
تعالى (وما هي) أي النار التي هي من أعظم جنوده (الاذكري للبشر) أي لستذكرن وأبعلوا كمال
قدرة الله وأنه سبحانه لا يحتاج إلى أعوان وأنصار وللشعر مفعول بذكرى واللام فيه هيمنة وقرأ
أبو عمرو ووجزة والكسائي بالامالة محضة وقرأ ورش بين بين والباقون بالفتح وقوله تعالى (كلا)
ردع لمن أنكرها أو أنكار لان يندكرها قاله البضاوي وقال البغوي هذا قسم يقول حقاً
وقال الجلال المحلى استفتاح بمعنى (القمر) أي الذي هو آية الليل الهادية من ضل بظلامه
(والليل إذا دبر) أي مضى فانقلب راجعاً من حيث جاء فانكشف ظلامه وقرأ نافع ووجزة
وحدس يسكون الذال المحجمة والذال المهملة بعدها وهمزة قطع مفتوحة بين المحجمة والمهملة
الساكنين والباقون بفتح الذال المحجمة وبعدها ألف وفتح المهملة بعد الألف فالقراءة الأولى
إذا دبر والثانية إذا دبر وكلاهما لغة يقال دبر الليل وإذا دبر إذا هب قال أبو عمرو ودبر
لغة قريش وقال قطرب دبر أي أقبل تقول العرب دبرني فلان أي جاء خلفي فالليل يأتي خلف النهار
وقوله تعالى (والصبح إذا أسفر) أي أضاء وتبين وقوله تعالى (إنها لأحدى الكبر) جواب للقسم
أو تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت ألف التانيث كأنها فلما
جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك القواصع في جمع القاصعة كأنها جمع فاعلة أي
لأحدى البلايا والدواهي الكبرى ومعنى كونها أحداً من اثنين واحدة في العظم لا تطير
لها كما تقول هو أحد الرجال وهي إحدى النساء وقوله تعالى (نذيراً) تمييز من إحدى على معنى أنها
لأحدى الدواهي إنذاراً كما تقول هي إحدى النساء عفا وقيل هي حال وقيل هو متصل بأول
السورة أي قم نذيراً (للشعر) قال الزمخشري وهو من يدع التفاسير وقوله تعالى (لمن شاء) أي
بإرادته (منكم) بدل من البشر (أن يتقدم) أي إلى الخير وإلى الجنة بالإيمان (أو يتأخر) أي إلى
الشر أو النار بالكفر (كل نفس) أي ذنوباً وكرراً وأتى على العموم (بما كسبت) أي خاصة
لأنها كسب غيرها (وهينة) أي مرهونة مأخوذة وليست بتأنيثين في قوله تعالى كل امرئ
بما كسب رهين لتأنيث النفس لأنه لو قصدت الصفة لقل رهين لأن في صلابته مفعول
يستوي فيه المذكر والمؤنث وانما هي اسم عن الرهن كالشئمة بمعنى النسب كأنه قيل كل نفس
بما كسبت رهين ومنه بيت الخناسة

أبعد الذي بالنعمت كويكب * رهينة رمس ذي تراب وجندل
كأنه قال والمخير كل نفس رهين يكسبها عند الله غير مفكولة (الأنساب المني) وهم المؤمنون

فانهم فكروا قايهم بايمانهم وبما أحسنوا من أعمالهم وقيل لهم الملائكة وروى عن علي أنهم أطفال
المسلمين وقال مقاتل رضى الله عنه هم أهل الجنة الذين كانوا على عيسى آدم يوم الميثاق حين قال
لهم الله هؤلاء في الجنة ولا أبالي وعنه أيضاً هم الذين أعطوا كتبهم بايمانهم وقال الحسن رضى
الله عنه هم المسلمون الخالصون وقال القاسم كل نفس مأخوذة بكتبها بخيراً أو شراً لا من اعتمد
على الفضل فكل من اعتمد على الكسب فهو ورهين به ومن اعتمد على الفضل فهو غيره مأخوذة ولم
أخرجهم من حكم الارتهان الذي أطلق على الأهل لأنه سببه استئناف بيان حالهم فقال
تعالى (في جنات) أى بساتين في غاية العظم لأنهم أطلقوا أنفسهم وفكروا قايهم فلم
يرتبنوا (يتساءلون) أى فيما بينهم يسأل بعضهم بعضاً أو يسألون غيرهم (عن الجرمين) أى عن
أحوالهم ويقولون لهم بعد اخراج الموحدين من النار (ما) محملة للاستفهام والتعجب
والتوبيخ (سلكتكم) أى أدخلتكم أيها المجرمون ادخلوا هو في غاية الضيق حتى كأنكم
السلك في النقب وقرأ السوسي بادغام الكاف في الكاف والباقون بالاظهار (في سقر) فأجابوا
بأن (قالوا لمن المصلين) أى صلاة يعتد بها فكان هذا تنبيهاً على أن رسوخ القدم في الصلاة
مانع من مثل حالهم وعلى أنهم معاقبون على فروع الشريعة وإن كانت لا تصلح منهم فلو فعلوها
قبل الايمان لم يعتد بها وعلى أن الصلاة أعظم الأعمال وأن الحسنات بها تقدم على غيرها (ولم
نك نعظم المسكين) أى نعظمه ما يجب علينا اعطاؤه (وكان مخصوص) أى نوجد الكلام الذي
هو في غير مواقعه ولا علم لنا به ايجاد المشى من الخائض في ماء غمر (مع الخائضين) بحيث صار لنا
هذا وصفاً راسخاً فنقول في القرآن انه صبر وانه شعروانه كهانة وغيره ذامن الا باطيل
لا تورغ عن شئ من ذلك ولا نقف مع عقل ولا ترجع الى صحيح نقل فليأخذ الذين يادرون
الى الكلام في كل ما يسألون عنه من أنواع العلم من غير تثبت منزلتهم من هنا (وكان كذب)
أى بحيث صار ذلك وصفاً ثابتاً (يوم الدين) أى يوم البعث والجزاء (حتى أتانا اليقين) أى
الموت أو مقتدماة الذى قطعنا عن دار العمل قال الله تعالى حتى يأتيك اليقين (فان قيل)
لم آخر التكذيب وهو آخر الخصال الأربع (أجيب) بأنهم بعد اتصافهم بتلك الامور الثلاثة
كانوا مكذبين يوم الدين والغرض تعظيم الذنب كقوله تعالى كان من الذين آمنوا ولم يآتروا
على أنفسهم بما أوجب الله ذاب الدائم فكانوا ممن قد مناجه فتعذر علاجه بسبب عنه قوله
تعالى (فاتقوا الله) أى في حال اتصافهم بهذه الصفات (شفاعة الشافعين) أى لشفاعة لهم
فلا انتفاع بها وليس المراد أن ثم شفاعة غير نافعة كقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهذه
الآية تدل على صحة الشفاعة للمذنبين من المؤمنين بغيره وهما لا يتخصيص هؤلاء بأنهم لا تنفعهم
شفاعة الشافعين يدل على أن غيرهم تنفعهم شفاعة الشافعين قال عبد الله بن مسعود رضى الله
عنه يشفع نبيكم عليه الصلاة والسلام رابع أربعة جبرائيل ثم ابراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم
صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ويوقى قوم في
جهنم يقال لهم ما سلكتكم في سقر قالوا لم نك من المصلين الى قوله تعالى فاتنفعهم شفاعة الشافعين

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فهو هؤلاء الذين في جهنم (قالهم عن التذكرة معرضين) أي
فالأهل مكة قد أعرضوا وولوا عن القرآن قال مقاتل رضي الله عنه معرضين عن القرآن من
وجهين أحدهما الجود والانكار والثاني ترك العمل بما فيه وقيل المراد بالتذكرة العظة
بالقرآن وغيره من المواعظ ومعرضين حال من الضمير في الجار الواقع خبرا عن ما الاستفهامية
ومثل هذه الحال تسمى حالا لازمة وعن التذكرة معلقة أي أي شيء حصل لهم في اعراضهم عن
الاتعاظ (كانهم) في اعراضهم عن التذكرة من شدة النفر (حز) أي من حزن الوحش وهي أشد
الاشياء نفارا ولذلك كان أكثر تشبيهات العرب في وصف الابل بسرعة السير بالجرى عدوها إذا
وردت ما فاحت بايربها (مستندرة) أي موحدة للنفر بغاية الرغبة حتى كأنهم تطلبه من
أنفسها لانه شأنها وطبعها وقرأ ابن عامر ونافع بفتح الفاء على انه اسم مفعول أي نفرها
القناص والباقون بكسرهما بمعنى نافرة (فرت من قسورة) قال مجاهد رضي الله عنه هي جماعة
الرماة الذين يتصيدونها لا واحدا من لفظه وهي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما وما وقال
سعيد بن جبيرة رضي الله عنه هو القناص وعن زيد بن أسلم فريق من رجال أقوياء وكل ضخم شديد
عند العرب قسور وقسورة وعن أبي المتوكل هي لغط القوم وأصواتهم وروى عكرمة عن ابن
عباس رضي الله عنه ما قال حبال الصيادين وقال أبو هريرة رضي الله عنه هي الأسد وهو قول
عطاء والكلي وذلك ان الجر الوحشية اذا عاينت الأسد هربت كذلك هؤلاء المشركون اذا سمعوا
النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن هربوا وعن عكرمة رضي الله عنه ظلمة الليل ويقال لسواد
الليل قسورة وفي تشبيههم بالجر من ذمة ظاهرة وتهمين لحالهم بين كافي قوله تعالى كذل الجمار يحمل
أسفار اشهاد عليهم بالبله وقله العقل * ولما كان الجواب قطعاً لا شيء لهم في اعراضهم هذا
أضرب عنه بقوله تعالى (بل يريد) أي على دعواهم في زعمهم (كل امرئ منهم) أي المعرضين من
ادعائه الكمال في المرواة (أن يؤتى) أي من السماء (صحفا) أي قراطيس مكتوبة (منشرة)
أي مفتوحة وذلك ان أبا جهل وجماعة من قريش قالوا يا محمد لن تؤمن بك حتى تأتي كل واحد
منا بكتاب من السماء عنوانه من رب العالمين الى فلان بن فلان ونؤمن بقرينه باتباعك ونظيره لن تؤمن
لنا حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يقولون ان كان محمد صادقا
ليصبح عند رأس كل واحد منا صحيفة فيها براءته من النار وقال الكلبي رضي الله عنه ان
المشركين قالوا يا محمد بلغنا أن الرجل من بني اسرائيل كان يصبح مكتوبا عند راسه ذنبه وكفاره
فأتينا بجمل ذلك وقالوا اذا كانت ذنوب الانسان تكتب عليه فما لنا لا نرى ذلك قال البغوي
والصحف جمع الصحيفة ومنشرة منشورة قال الله تعالى (كلا) أي لا يؤتون الصحف وقيل حقا قال
البغوي وكل ما ورد عليك منه فهذا وجهه قال ابن عادل والاول أجود لانه وقد لقولهم * ثم بين
تعالى سبب اعراضهم بقوله تعالى (بل لا يخافون) أي في زمن من الأزمان (الآخرة) فهذا هو
السبب في اعراضهم وقوله تعالى (كلا) استفتاح قاله الجلال المحلى وقال البيضاوي ردع عن
اعراضهم وقال البغوي وتبعه ابن عادل حقا (انه) أي القرآن (تذكرة) أي عظمة توجب ايجابا

عظيما اتباعه وعدم الانفكاك عنه بوجه فليس لاحد أن يقول أنا مفرود لم أجدم ذكره ولا معترفا
فإن عنده أعظم مذكرا وأشرف معترف (فمن شاء) أي أن يذكره (ذكره) أي اتعظبه وجعله نصب
عينيه وعلم معناه ويخلق به فن فعل ذلك سهل عليه لفظه وبعض معانيه فانه كالبحر القرات فمن شاء
اغترف (وما يذكر من) أي في وقت من الاوقات (الآن يشاء الله) أي الملك الاعظم الذي لا أمر
لا حدمعه ذكرهم أو مشيئتهم كقوله تعالى وما تشاؤون الا أن يشاء الله وهو تصريح بأن فعل العبد
بعزيمة الله تعالى وقرأ نافع بتاء الخطاب وهو التفتات من الغيبة الى الخطاب والباقون بياء
الغيبة حملا على ما تقدم من قوله تعالى ككل امرئ (هو) أي الله سبحانه وتعالى وحده (أهل
التقوى) أي أن يتقيه عباده ويحذروا غضبه بكل ما تصل قدورهم اليه لما له من الجلال والعظمة
والقهر وقرأ حمزة والكسائي بالامالة محضة وأبو عمرو وبين بين وقرأ ورش بالفتح وبين اللغطين
(وأهل المغفرة) أي وحقيق أن يطلب غفرانه للذنوب لاسيما اذا اتقاء المذهب لأن له الجلال
واللطف وهو القادر ولا قدرة لغيره فلا يتفعه شيء ولا يضرمه روى الترمذي وأحمد والحاكم عن
أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية هو أهل التقوى وأهل المغفرة يقول
الله تعالى أنا أهل أن أتقن فمن اتقى أن يشركني غيبي فأنا أهل أن أغفر له ووقف الكسائي على
أهل المغفرة بالامالة على أصله وورش بترقيق الراء وقفا ووصلا على أصله وقول البيضاوي تبعا
للمعشري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة المدثر أعطاه الله تعالى عشر
حسنيات بعدد من صدق بحمد وكذب به حديث موضوع

﴿سورة القيامة مكية﴾

وهي تسع وثلاثون آية ومائة وسبع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا

(بسم الله) الذي له الجلال والكمال (الرحمن) الذي عم بنعمة الایجاد أهل الهدى والضلال
(الرحيم) الذي سدد أهل العناية في الافعال والاقوال * واختلف في لافي قوله تعالى (لا أقسم)
على أوجه أحدها أنها نافية لكلام المشركين المنكرين للبعث أي ليس الامر كما زعموا ثم ابتداء
أقسم (بيوم القيامة) قال القرطبي ان القرآن جاء بالرد على الذين أنكروا البعث والجنة والنار
فجاء الاقسام بالرد عليهم كقولك لا والله لا أفعل فلا رد لكلام قدمضي كقولك لا والله ان القيامة
لحق كأنك أكذبت قوما أنكروه الثاني انها مزيدة مثلها في ثلاث يعلم أهل الكتاب واعترضوا
هذا بأنها انما زاد في وسط الكلام لافي قوله وأجيب بأن القرآن في حكم سورة واحدة متصل
بعضه ببعض يدل على ذلك انه قد يجرى ذكر الشيء في سورة ويذكر جوابه في سورة أخرى كقوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فذكر الباطل في سورة ثم ذكر جوابه في سورة أخرى
كان كذلك كان أول هذه السورة جارية مجرى الوسيط وردها بآيات القرآن في حكم السورة
الواحدة في عدم التناقض لأن تقرن سورة بما بعدها - بذلك خير جائز الثالث قال الرخشي
ادخال لانا فية على فعل القسم مستفيض في كلامهم ولشعارهم قال امرئ القيس

لا وأبيك ابنة العاصري * لا يدعى القوم انى أفر

وفائدتها وكيد القسم ثم قال الزمخشري بعد ان ذكر وجه الزيادة والاعتراض والجواب كما تقدم والوجه أن يقال هي للنفي والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشئ الا اعظاما له يدل عليه قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وأنه لقسم لو تعلمون عظيم فكأنه يادخل حرف النفي يقول ان اعظامى له باقسامى به كلاء اعظام يعنى انه يـ تأهل فوق ذلك قال بعضهم قول الزمخشري والوجه أن يقال الى آخره تقرير اقوله ادخال لا النافية فيه على فعل القسم مستفيض الى آخره وحاصل كلامه يرجع الى انها نافية وأن النفي متسلط على فعل القسم بالمعنى الذى شرحه وليس فيه تقع اعظام ولا معنى وقرأ ابن كثير بخلاف عن البرزى بغير ألف بعد اللام والهمزة مضمومة والباقيون بالالف ويعبر عن قراءة ابن كثير بالقصر وعن قراءة الباقيين بالمد ولا خلاف في قوله تعالى (ولا أقسم بالنفس اللوامة) في المد والكلام في لا المتقدمة وجرى الجلال المحلى على انها زائدة في الموضعين واختلف في النفس اللوامة ف قيل هي نفس المؤمن الذى لا تراها يوم الاتقسه تقول ما أردت بكذا ولا تراها يعاتب الاتقسه وقال الحسن رضى الله عنه هي والله نفس المؤمن ما ترى المؤمن الا يوم نفسه ما أردت بكلامى ما أردت بأكلى ما أردت بجديتى والفاجر لا يحاسب نفسه وقال مجاهد رضى الله عنه هي التى تلوم على ما فات فتلوم نفسها على الشر لم فعلته وعلى الخير لم لا تستكثر منه وقيل تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرها وقيل المراد آدم عليه السلام لم يزل لا تماتقسه على معصيته التى أخرج بها من الجنة وقيل هي الملوثة فتكون صفة ذم رهو قول من نفي أن تكون قسما وعلى الاول صفة مدح فيكون القسم بها سائغا وقال مقاتل رضى الله عنه هي نفس الكافر يلوم نفسه تحسرا فى الاشخرة على ما فرط فى جنب الله تعالى وجواب القسم محذوف اى تبين دل عليه قوله تعالى (أيحسب الانسان) أى هذا النوع الذى جبل على الانس بنفسه والنظر فى عطفه وأسند الفعل الى النوع كله لأن أكثرهم كذلك لغلبة الخطوط على العقل الامن عصم الله تعالى وقرأ ابن عامر وعاصم وحزة بنفتح السين والباقيون بكسرها (ألن) أى انالاً (تجمع) أى على ما التامن العظيمة (عظامه) أى التى هى قالب بدنه فنعبيدها كما كانت بعد تمزقها وتفتتها للبعث والحساب وقيل نزلت فى عدى بن ربيعة حليف بنى زهرة خال الاخفس ابن شريق الثقفى وذلك ان عديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد حدثنى عن التياممة متى تقوم وكيف أمرها وحالها فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أؤمن بك أويجمع الله العظام بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا محتلتطا بالتراب وبعد ما نسفتها الرياح وطيرتها فى أباعد الارض ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفى جارى السوء عدى بن ربيعة والاخفس بن شريق وقيل نزلت فى عدو الله أبى جهل أنكر البعث بعد الموت وذكر العظام والمراد نفسه كلها لأن العظام قالب الخلق * (تنبيه) * ألن هنا موصولة وليس بين الهمزة واللام نون فى الرسم كما ترى وقوله تعالى (بلى) ايجاب لمابه والنفي المنسحب عليه الاستفهام وهو وقف حسن ثم يتبدى بقوله تعالى (فادبرين) وقيل المعنى بل

فجميعها قادرين مع جمعها (على أن نسوي بنانه) أي أصابعه وسلامياته وهي عظامه الصغار التي
 في يده خصها بالذكرا لأنها أطرافه وآخر ما يتم به خلقه أي تجمع بعضها على بعض على ما كانت
 عليه قبل الموت لا ناقد رنا على تفصيل عظامه وتفتيتها فنقدر على جمعها وتوصلها وقد رنا على جمع
 صفار العظام فمن على جمع كبارها أقدر وقال ابن عباس وأكثر المفسرين على أن نسوي بنانه
 أي نجعل أصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير أو كإفرا الحمار أو كطاف الخنزير فلا يمكنه
 أن يعمل بها شيئا وكأفرتنا أصابعه حتى يفعل بها ما شاء وقيل نهد أن نصير الإنسان في هيئة
 البهائم فكيف في صورته التي كان عليها وهو كقوله تعالى وما نحن بمسبوقين على أن نبذل
 أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون وقوله تعالى (بل يريد الإنسان) عطف على أيحسب فيجوز أن
 يكون استفهاما وأن يكون جوابا لجواز أن يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام
 (ليفجرا مامه) أي ايدوم على فجوره فيما يستقبله من زمان لا يبرح عنه ولا يتوب هذا قول مجاهد
 رضى الله عنه وقال سعيد بن جبير رضى الله عنه يقدم الذنب ويؤخر التوبة فيقول سوف أتوب
 سوف أعمل حتى يأتيه الموت على أشتر أحواله وأسوأ أعماله وقال الضحاك رضى الله عنه هو
 الاجل يقول أعيش فأصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس رضى الله عنهما
 يكذب بما أمامه من البعث والحساب وأصل الفجور الميل وسعى الكافر والقاسق فاجر الميله عن
 الحق (يسأل) أي سؤال استهزاء واستبعاد (أيان) أي أي وقت يكون (يوم القيامة) * ولما
 كان الجواب يوم يكون كذا وكذا عدل عنه الى ما سبب عن استبعاده لأنه أهول فقال تعالى
 (فاذا برق البصر) أي شخص ووقف لما يرى مما كان يكذب به هذا على قراءة نافع بفتح الراء وأما
 على قراءة كسرهما فالمعنى تحير ودهش مما يرى وقيل هما اقتتان في التحير والدهشة (وخسف
 القمر) أي أظلم وذهب ضوءه وقد اشتهر أن الخسوف للقمر والكسوف للشمس وقيل يكونان
 فيهما يقال خسفت الشمس وكسفت والقمر وكسف وقيل الكسوف أوله والخسوف
 آخره ولم تلحق علامة التأنيث في قوله تعالى (وجمع الشمس والقمر) لأن التأنيث مجازي وقيل
 لتغليب الذكورة لأنه لا يقال قام هند وزيد عند الجهور ومن العرب وقال الكسائي حمل على
 جمع النيران وقال القراء لم يقل جمعت لأن المعنى جمع بينهما قال القراء والزجاج جمع بينهما ما في
 ذهاب ضوءهما فلا ضوء للشمس كالإضاءة للقمر بعد خسوفه وقال ابن عباس وابن مسعود رضى
 الله عنهما قرن بينهما ما في طلوعهما من المغرب أسودين مكورين مظلمين مقترنين كأنهما ثوران
 عقيران في النار وقال عطاء بن يسار رضى الله عنه يجمع بينهما يوم القيامة ثم ينفذان في البحر
 فيكونان نار الله الكبرى وقيل يجمعان في نار جهنم لأنهما قد عبدان دون الله تعالى ولا تكون
 النار عذابا لهما لأنهما جادوا ونما يفعل ذلك بهما زيادة في تسكين الكفار وحسرتهم وقوله تعالى
 (يقول الإنسان) أي لشدة روعه جريا مع طبعه جواب إذا من قوله تعالى فاذا برق البصر
 (يومئذ) أي إذا كانت هذه الاشياء وقوله تعالى (أين المثر) منصوب المحل بالقول والمثر مصدر
 بمعنى الفرار قال الماوردي ويحقل وجهين أحدهما أين المثر من الله تعالى استحياء منه والثاني

أين المقر من جهنم حذر امنها ويحتمل هذا القول من الانسان وجهين أحدهما أن يكون من
 الكافر خاصة في عرصة القيامة دون المؤمن لنقطة المؤمن بشري ربه تعالى والثاني أن يكون
 من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوا منها وقيل أبو جهل خاصة وقوله
 تعالى (كلا) ردع عن طلب المقر (لا وزر) أي لا ملجأ ولا حصن استعير من الجبل قال السدي
 كانوا في الدنيا إذا فزعوا فزعوا في الجبال فقال الله تعالى لهم لا وزر بعضكم مني يومئذ
 واشتقاقه من الوزر وهو الثقل (إلى ربك) أي المحسن اليك بأنواع الاحسان لا إلى شيء غيره
 (يومئذ) أي إذا كانت هذه الامور (المستقر) أي استقرا بالخلق كلهم ناطقهم وصامتهم ومكان
 قرارهم وزمانه إلى حكمه سبحانه ومشيتته ظاهرا وباطنا لا حكم لغيره بوجه من الوجوه في ظاهر
 ولا باطن كما هو في الدنيا وقال ابن مسعود المصير والمرجع قال الله تعالى إلى ربك الرجعى وإلى
 المصير وقال السدي المنتهى تطيره وان إلى ربك المنتهى (ينبأ) أي يخبر تخبر اعظيما (الانسان
 يومئذ) أي إذا كان الزلزال الاكبر (بما قدم) قال ابن مسعود وابن عباس رضى الله تعالى
 عنهم بما قدم قبل موته من عمل صالح وسيء (وأخر) بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل
 بها وقال ابن عطية عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بما قدم من المعصية وآخر من الطاعة
 وقال قتادة بما قدم من طاعة الله وآخر من حق الله فضيعه وقال مجاهد بأول عمل وآخره وقال
 عطاء بما قدم في أول عمره وما آخر في آخر عمره وقال يزيد بن اسلم بما قدم من أموال نفسه
 وما آخر خلفه للورثة والاولى أن يقال ينبأ بجميع ذلك إذا مناخاة بين هذه الاقوال (بل
 الانسان) أي كل واحد من هذا النوع (على نفسه) أي خاصة (بصيرة) أي جهة بينة على أعماله
 والهائم للمبالغة يعني أنه في غاية المعرفة بأحوال نفسه فيشهد عليه بعمله وبصره وجوارحه
 قال الله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قال البغوي ويحتمل أن يكون معناه بل للانسان
 على نفسه يعني جوارحه لحذف حرف الجر ~~حذف~~ قوله تعالى وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم
 أي لا أولادكم ويجوز أن يكون نعنا لاسمه وثبت أي بل الانسان على نفسه عين بصيرة (ولو ألقى)
 أي ذكر بغاية السرعة ذلك الانسان من غير تلعم دلالة على غاية الصدق والاهتمام والتفان وقوله
 تعالى (معاذيره) جمع معذرة على غير قياس قاله الجلال الهللى أي لوجاه بكل معذرة ما قبلت منه
 وقال الزمخشري المعاذير ليس بجمع معذرة وانما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر اه
 قال أبو حيان وليس هذا البناء من ابنية أسماء الجوع وانما هو من ابنية جوع التكسير اه
 وقيل معاذير جمع معذار وهو الستر والمعنى ولو ألقى ستوره والمعاذير المستور بلغة اليمن
 قاله الضمالي معكى الماوردي عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولو ألقى معاذيره أي
 ولو فجر عن عيابه ولما كان صلى الله عليه وسلم إذا تلقى الوحى نازع جبريل عليه السلام القوامه
 ولم يصر إلى أن يتهم بأسارعة إلى الحفظ ونحوه فمن أن ينقلت منه أمر ما لله تعالى بأن ينصت له
 مقبلا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضى الله تعالى وحيه ثم يقبى بالدراسة إلى أن يرجع فيه بقوله
 تعالى (لا تعجلن به) أي بالقرآن (لسانك) مادام جبريل عليه السلام يقرؤه (لجهل به) أي

لتأخذه على جهلة مخافة أن ينفلت منك فان هذه الجملة وان كانت من الكلمات بالتسوية اليك
والى اخوانك من الانبياء عليهم السلام كما قال موسى عليه السلام وعجلت اليك رب لقرضى
نقل صلى الله عليه وسلم من مقام كامل الى اكمل منه ثم على النهى عن الجملة بقوله تعالى (ان
علينا) أى بما لنا من العظمة لا على أحد سوانا (وجهه) أى فى صدرك - قى تبتته وتم فظه
(وقرأته) أى قرأته اياه يعنى جريانه على لسانك (فاذا قرأناه) عليك بقراءة جبريل عليه السلام
(فاتبع) أى بفاية جهده بالقيام سمك واحضار قلبك (قرأته) أى قرأته بمجموعة على حسب
ما أذاه رسولنا وبعثنا لك فى صدرك وكررت لونه حتى يصير لك به ملكة عظيمة ويصير لك خلقا
فيكون قائدا الى كل خير وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى لا تحرك به
لسانك لتجمل به قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل جبريل بالوحي كان مما يحرك به
لسانه وشفطه فيشتد عليه وكان يعرف منه فانزل الله تعالى الآية التى فى لا أقسم بيوم القيامة
لا تحرك به لسانك الآية فكان صلى الله عليه وسلم اذا أتاه جبريل عليه السلام أطرق فاذا ذهب
قرأه كما وعد الله تعالى قال سعيد بن جبير قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما فانا
أحركهم لك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهم ما فأنزل الله عز وجل الآية (ثم ان
علينا) أى بما لنا من العظمة (بيانه) أى بيان ألفاظه ومعانيه لك سواء أسمعته من جبريل عليه
السلام على مثل صلصلة الجرس أم بكلام الناس المعتاد بالصوت والحروف وغير ذلك على لسانك
وعلى ألسنة العلماء من أمتك والآية مشيرة الى ترك مطلق الجملة لانه اذا نهى عنها فى أعظم
الاشياء وأهمها كان غيره بطريق الاولى والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها ان تلك تضمنت
الاعراض عن آيات الله تعالى وهذه تضمنت المبادرة اليها بحفظها وقوله تعالى (كلا) استفتاح
بمعنى ألا وقال الزمخشري ردع للنبي صلى الله عليه وسلم عن عادة الجملة وقال جماعة من
المفسرين - حقا والاول جرى عليه الجلال المحلى وهو أظهر (بل يحبون) متجددة على تجديد
الزمان (العاجلة) بدليل أنهم يقبلون غاية اقبال عليها وحبها أوجب لهم ارتكاب ما يعلمون
قبه فان الآخرة والاولى ضررتان من تقرب من أحدهما لا بد من تباعده عن الاخرى فان
حبك لشيء يعنى ويصم (ويذرون) أى يتركون على أى وجه كان ولو أنه غير مستحسن
(الآخرة) لانهم يفضون الارتكابهم ما يضرهم فيها وجمع الضمير وان كان مبنى الخطاب مع
الانسان للمعنى وقرأ يحبون ويذرون ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ياء الغيبة فيها ما جلا على لفظ
الانسان المذكور أو لا لان المراد به الجنس لان الانسان بمعنى الناس والباقيون بناء الخطاب
فيهما اما خطا بالكفار قريش أى يقبضون يا كفار قريش العاجلة أى الدار الدنيا والجاه فيها
وتتركون الآخرة والعمل لها واما التفتان عن الاخبار عن الجنس المتقدم والاقبال عليه
بالخطاب ولما ذكر تعالى الآخرة التى أعرضوا عنها ذكر ما يكون فيها يابا لجهنم وسفههم وقلة
عقولهم وثرهيبا لمن أدرعها وثرهيبا لمن أقبل عليها لظفائهم ورجة لهم فقال تعالى (وجوه)
أى من المشركين وهم جميع الخلاق (يوشد) أى اذا تقوم الساعة (ناصرة) من النصر بالقتاد

وهي النعمة والرفاهية أي هي مية مشرقة عليها أثر النعمة بحيث يدل ذلك على نعمة أصحابها
(إلى ربها) أي المحسن إليها خاصة باعتبار أن عدد النظر إلى غيره كالتنظر (ناظرة) أي دأبهم
مصدقون أبصارهم لا غفلة لهم عن ذلك فادارفع الحجاب عنهم أبصروه بأعينهم بدليل التعدي إلى
وذلك النظر جهرية من غير اكتنام ولا تضام ولا زمام كما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهم
وأكثر المفسرين وجميع أهل السنة وروى عن النبي عليه الصلاة والسلام في الأحاديث
الصححة من وجوه كثيرة بحيث اشتهر غاية الشهرة وتكون الرؤية كما مثلت في الأحاديث
كما يرى القمر ليلة البدر رأى كل من يريد رؤيته من بيته يراد مجلياله هذا وجه الشبه لأنه في جهة
ولا في حالة لها شبهة تعالى الله الكريم عن التشبيه فن تلك الأحاديث ما روى عن جرير بن عبد الله
قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنظر إلى القمر ليلة البدر فقال صلى الله عليه وسلم
إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر لاتضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة
قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل
غروبها وفي كتاب النسائي عن وهب قال ينكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم
شيئا أحب إليهم من النظر ولا أقرل أعينهم وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتجلى ربنا عز وجل حتى تنظر إلى وجهه فيضرون له سجدا فيقول تعالى ارفعوا رؤسكم فليس هذا
يوم عبادة وقدم الجواز الدال على الاختصاص إشارة إلى أن هذا النظر مبين للنظر إلى غيره
فلا يعد ذلك نظرا بالنسبة إليه وعبر بالوجوه عن أصحابها لأن ما يدل ما يكون على السرور وليكون
ذكرها أصرح في أن المراد بالنظر حقيقة روى مسلم في قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى
وزيادة كان ابن عمر يقول أكرم أهل الجنة على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ثم تلا هذه
الآية وأنكر الرؤية المعتزلة واحتجوا بقوله تعالى لا تدركه الأبصار ويقولون النظر المقرون بالي
ليس اسم الرؤية بل مقدمة الرؤية وهي قلب الحدة فهو المرقي القاسار رؤيته ونظر العين بالنسبة
إلى الرؤية كنظر القلب بالنسبة إلى المعرفة وكالاصغاء بالنسبة إلى السمع ويدل على ذلك قوله
تعالى وتراهم ينظرون إليك وهم لا يصرون فثبت النظر حال عدم الرؤية فتكون الرؤية غاية
النظر وإن النظر يحصل والرؤية غير حاصل قالوا ويحتمل أن يكون معنى قوله تعالى ناظرة
منتظرة كقولك أنا أنظر إليك في حاجتي وأجيب عن استدلالهم بقوله تعالى لا تدركه الأبصار
بأن لا تدركه بالاحاطة والجهة فلا يكون ذلك مانعا للرؤية على هذا الوجه وعن بقية استدلالهم
بما ذكره يجوابين أحدهما أن قول النظر هو الرؤية أقول موسى عليه السلام أدنى أنظر
إليك فلو كان المراد قلب الحدة فهو المرقي لاقتضت الآية إثبات الجهة والمكان ولأنه آخر
النظر عن الآراء فلا يكون قلب الحدة الجواب الثاني سلما ما ذكره من أن النظر قلب
الحدة مذهب على الحقيقة فيجب حمله على الرؤية إطلاقا لاسم السبب على المسبب وهو أولى
من حمله على الانتظار لعدم الملازمة لأن قلب الحدة كالسبب للرؤية ولا تعلق بينهما وبين
الانتظار وأما قولهم يحمله على الانتظار فأجيب عنه أيضا بأن الذي هو معنى الانتظار في القرآن

غير مقررون بالي كقول تعالى انظرونا نقبس من نوركم هل ينظرون الا ان والذي ندعيه ان النظر
المقررون بالي ليس الا بمعنى الرؤية لان ورويه بمعنى الرؤية ظاهرة فلا يكون بمعنى الانتظار دفعا
للاشتراك * ولما ذكر تعالى اهل النعمة اتبعه اصدادهم من اهل النعمة فقال سبحانه وتعالى
(وجوه يومئذ) أي في ذلك اليوم بعينه (باسرة) أي شديدة العبوس والكلوح والتكبر
لما هي فيه من الغم كأنها قد غرقت فيه وقال السدي بأسرة متغيرة (تظن) أي تتوقع أربابها
بما ترى من الخبايا (أن يفعل بها) أي بهم فانه اذا أصيب الوجه الذي هو أشرف ما في الجملة كان
مأعداه أولى (فاقرة) وهي الداهية العظيمة قال أبو عبيدة سميت بذلك لانها تنكسر فقار
الظهر يقال فقرته الفاقة أي كسرت فقار ظهره ومنه هي الفقير لانه كسار فقاره من القل
وقال قتادة الفاقة الشر وقال السدي الهلاك وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما دخول
النار وقال الكلبي هي أن تحجب عن رؤية الرب عز وجل وقوله تعالى (كلا) ردع عن اتيار
الدنيا على الآخرة قاله البيضاوي تبعا للزحشري وزاد الزحشري كانه قيل ارتدعوا عن ذلك
وتنبهوا الى ما بين أيديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنقلبون الى الآجلة التي
تقوافها مخلدين (اذ بلغت) النفس (التراقي) وأضر النفس وان لم يجز لها ذلك لان الكلام
الذي وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم

أماوى ما يغنى الثراء عن الفقى * اذا حشرت يوما وضاق به الصدر

وتقول العرب أرسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعه مبد كرون السماء والتراقي جمع ترقوة
وهي العظام لمكتنفة للثغرة النحر عن بين وشمال ولكل انسان ترقوتان قال البقاعي واطل جمع
المثني اشارة الى شدة انتشارها بغاية الجهد لما فيه من الكرب لاجتماعها من أقاصي البدن الى
هناك اه وهذا كناية عن الاشفاء على الموت ذكرهم صعوبة الموت وهو أول مراحل الآخرة
حين تبلغ الروح التراقي ودنازهاوقها (وقيل) أي قال حاضروا صاحبها وهو المحتضر بعضهم
لبعض (من راق) أي أيكم رقيه عما به ليحصل له الشفاء وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
هو من كلام ملائكة الموت أي أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب فالاول اسم
فاعل من راقى بمعنى الرقية بالفتح في الماضي والكسر في المضارع والثاني الذي بمعنى السجود
بالكسر في الماضي والفتح في المضارع (وطن) أي أيقن المحتضر لما لاح له من أنوار الآخرة
وقيل القاتل من راق من أهله (انه) أي المشتأن العظيم الذي هو فيه (الفراق) لما كان أي
فيه من محبوب العاجلة الذي هو الفراق الا عظم الذي لا فراق مثله في الخبر ان العبد ليحالج
كرب الموت وسكراته وان حفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول السلام عليك تغارقني وأفارقك
الى يوم القيامة وسمى اليقين هنا بالنظر لان الانسان ما دامت بوجه متخففة يسدنه فانه يطمع
في الحياة لشدة حبه لهذه الحياة العاجلة ولا ينقطع رجاؤه عنها أو ان المراد بالنظر الغالب اذ لا
يحصل يقين الموت مع رجاؤه الحياة وقيل سما بالنظر تم كما قال الرازي وهذا لا يمكن على ان
الروح جوهر قائم بنفسه باق بعد موت المبعث لانه تعالى سعى الموت فراقا والفراق فراق

إذا كانت الروح باقية فإن القراق والوحال صفة والصفة تستدعي وجود الموصوف (والتفت
 المساق بالساق) أي اجتمعت احدهما بالآخرى إذا التفتاف الاجتماع قال تعالى جئنا بكم
 الميثاق ومعنى الكلام اتصلت شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة قاله ابن عباس رضي الله تعالى
 عنهم ما والحسن وغيره ما وقال الشعبي التفت ساق الانسان عند الموت من شدة الكرب قال
 قتادة أما رأيت أنه إذا أشرف على الموت يضرب برجله على الأخرى وقال سعيد بن المسيب هما ساقا
 الانسان إذا التفتاف الكفن وقال زيد بن أسلم التفت ساق الكفن بساق الميت وقال الضحاك
 الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وقال السدي لا يخرج من كرب إلا جاءه
 أشد منه وأول الأقوال كما قال الخصاص أحسنها والعرب لا تذكر الساق إلا في الشدائد والحن
 العظام ومنه قولهم قامت الحرب على ساق قال أهل المعاني لأن الانسان إذا ذهمت شدة شمر
 لها عن ساقه فقبل الأمر الشديد ساق قال الجعدي

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها * وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرها
 ولما صور وقت تأسفه على الدنيا وأعرضه عنها ذكر غاية ذلك فقال تعالى مفرد النبي صلى الله
 عليه وسلم بالخطاب إشارة إلى أنه لا يفهم هذا حق فهمه غيره (إلى ربك) أي المحسن اليك بجميع
 ما أنت فيه (يومئذ) أي اذ وقع هذا الأمر (المساق) أي السوق إلى حكمه تعالى فقد انقطعت
 عنه أحكام الدنيا فاما أن تسوقه الملائكة إلى سعادة وأما إلى شقاوة والضمير في قوله تعالى
 (فلا صدق) راجع للانسان المذكور في أي بحسب الانسان أي فلا صدق النبي صلى الله عليه وسلم
 فيما أخبر به بما كان يعمل من الأعمال الخبيثة ولا في ماله بالاتفاق في وجود الخير التي تدب إليها
 واجبة كانت أو مندوبة وحذف الممول لأنه أبلغ في التعميم (ولا صلى) أي ما أمر به من فرض
 وغيره فلا تمسك بجبل الخالق ولا وصل جبل الخلاق وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
 لم يصدق بالرسالة ولا صلى أي دعا لربه عز وجل وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة
 فلا صدق بكتاب الله تعالى ولا صلى لله جل ذكره (ولكن) أي فعل ضد ما أمر به بأن (كذب)
 أي بما أنامه النبي صلى الله عليه وسلم من قرآن وغيره (وبولى) أي أعرض عنه وهذا الاستدراك
 واضح إذ لا يلزم من نفي التصديق والصلاة التكذيب والتولى وقال القرطبي معناه كذب
 بالقرآن وبولى عن الإيمان وقيل نزلت في أبي جهل (ثم ذهب) أي هذا الانسان أو أوجهل
 (إلى أهله) غير متفكر في عاقبة ما فعل من التكذيب حاله كونه (يتطلى) أي يتجترأ فصار
 متكذبه وأعرض عنهم بما لا يهتدون به وأصله يتطلى أي يتعدلان المتجترع خطاه وانما أبدلت
 الطاء الثانية باء كراهة اجتماع الامثال وقيل هو من المطا وهو الطهر لأنه يلو به تجترأ في مشيته
 وقوله تعالى (أولى لك) فيه التفات من الغيبة والكلمة اسم فعل واللام للبيان أي وليك ما تكره
 (فأولى) أي فهو أولى بك من غيرك وقوله تعالى (ثم أولى لك فأولى) نأ كيد وقيل هذه الكلمة
 تقولها العرب لمن قاربته المستكره وأصلها من أولى وهو القرب قال الله تعالى فأنزلوا الذين
 يلونكم وقال قتادة ذكره أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية أخذ يجلس فوب

أي جهل بالبطياء وقال له أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى فقال أبو جهل أوفعدني يا محمد فوالله
 ما نبت تطيع أنت ولا ربك أن تفعل ما بي شيأ وأني والله لا عز من مني بين جملها فلما كان يوم بدو
 صرعه الله شرمصرع وقتله أسوأ قتله قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لكل أمة فرعون
 وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل (أي محسب) أي يجوز إلقاء عقله (الإنسان) أي الذي هو عبد
 مريب ضعيف عاجز محتاج بما يرى من نفسه وأبناء جنسه (أن يترك) أي يكون تركه بالكيفية
 (سدى) أي هملا لا غيا لا يكلف ولا يجازي ولا يعرض على الملك الأعظم الذي خلقه فيسأله عن
 شكره فيما أسدى إليه فإن ذلك منافع الحكمة فإنها تقتضي الأمر بالهاسن وانتهى عن
 المساوى والجزماء على كل منهما وأكثرت الظالمين والمظلومين يعوتون من غير عزاء فاقترضت الحكمة
 أنه لا بد من البعث للجزاء (المك) أي الإنسان (نطفة) أي شيأ يسيرا (من موى) أي ماء من صلب
 الرجل وترايب المرأة (نمى) أي تصب في الرحم سبب الله تعالى للإنسان المعالجة في إخراجها بما
 ركب فيه من الشهوة وجعل له من الزوج التي يسرها لقضاء وطره حتى إن وقت صباه في الرحم
 نصب منه بغير اختياره حتى كأنه لا فعل له فيها أصلا (فان قيل) ما فائدة تمنى بعد قوله تعالى من
 موى (أجيب) بأن فيه إشارة إلى حقارة حاله كأنه قيل أنه مخلوق من المني الذي يجري على مجرى
 النجاسة فلا يليق بمثل هذا أن يتردد عن طاعة الله تعالى إلا أنه عبر عن هذا المعنى على سبيل الرمز
 كما في قوله تعالى في عيسى عليه السلام وأمه مريم كنايةا لأن الطعام والمراد منه قضاء
 الحاجة (ثم كان) أي كونا محكما (علقة) أي دما أحر غليظا شديد الحرارة والعاظ (خلق) أي قدر
 سبحانه عقب ذلك لجه وعظامه وعصبه وغير ذلك من جواهره وأعراضه (فسوى) أي هذل من
 ذلك خلقا آخر غاية التعديل تخصصا مستقلا (فجعل) أي بسبب النطفة (منه) أي من المني
 الذي صار علة أي قطعة دم ثم مضغة أي قطعة لحم (الزوجين) أي النوعين (الذكر والأنثى)
 يجمعان تارة ويتفردان كل منهما عن الآخر تارة قال القرطبي وقد احتج به هذه الآية من رأى
 إسقاط الخنثى وأجيب بأن هذه الآية رقرينها خرجت مخرج الغالب وأنه في نفس الأمر
 ذكر أو أنثى (أليس ذلك) أي الخالق المسمى الإله الأعظم الذي قدر على تمييز ما يصلح من ذلك
 للذكر وما يصلح منه للأنثى (بما قدر على أن يصي الموفق) أي أن يعبد هذه الأجسام كهيئتها للبعث
 بعد البلاء روى أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال سبحانك اللهم بلى رواء أبو داود
 والحاكم وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من قرأ سبع اسم ربك الأعلى أماما كان أو غير
 فليقل سبحان رب الأعلى ومن قرأ الأقسام يوم القيامة إلى آخرها فليقل سبحانك اللهم بلى أماما
 كان أو غيره وروى البغوي بسنده من طريق أبي داود عن أعرابي عن أبي هريرة قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم ولتين والزينون فأنتهى إلى آخرها أليس الله بأحكم
 الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ الأقسام يوم القيامة فأنتهى إلى أليس
 ذلك بقادر على أن يصي الموفق فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأي حديث بعده يؤمنون
 فليقل آمنا بالله وروى أن رجلا كان يصلي فوق بيته فكان إذا قرأ أليس ذلك بقادر على أن يصي

الموتى قال سبحانه اللهم بل قد لوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقول البيضاوى تبع للزنجشري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة القيامة
شهد له انما وجبريل يوم القيامة ان كان مؤمنا حديث موضوع

﴿سورة الانسان﴾

وتسمى هل أتى والامشاج والدهر مكية أو مدنية وهي إحدى وثلاثون
آية ومائتان وأربعون كلمة وألف وأربعة وخمسون حرفا

واختلف فيها هل هي مكية أو مدنية فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنه ما ومقاتل والكأبي
مكية وجرى عليه البيضاوى والزنجشري وقال الجمهور مدنية وقال الجلال المحلى مكية
أو مدنية ولم يجزم بشئ وقال الحسن وعكرمة هي مدنية الآية وهي قوله تعالى فاصبر لحكم ربك
ولا تطلع معهم أنفأ وكفورا وقيل فيها مكي من قوله تعالى انما نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا
الى آخر السورة وما تندمه مدني

(بسم الله) الذى له الاسماء الحسنى (الرحمن) الذى عظم بشعده الذكر والائى (الرحيم) الذى
خص منهم من شاء بل مقام الاسنى • ولما تم الاستدلال على البعث والقدرة عليه تلاه بهم هذا
الاستفهام وهو قوله تعالى (هل أتى) قال الزنجشري بمعنى قد فى الاستفهام خاصة والاصل أهل
بدليل قول الشاعر

سائل فوارس يربوع بدتنا • أهل رأونا بسفح القاع ذى الاكم

فالمدنى أقدم على التقرير والتقرير جميعا أى أتى (على الانسان) قبل زمان قريب (حين
من الدهر لم يكن شيأ مذكورا) أى كان شيأ منسيا غير مذكور نقطة فى الاصلاب اه فقوله
على التقرير يعنى المفهوم من الاستفهام وقوله والتقرير يعنى المفهوم من قد التى وقع
موقعها هل ومعنى قوله فى الاستفهام خاصة أن هل لا تكون بمعنى قد الا ومعها استفهام
لفظا كالبيت المتقدم أو تقدير كآية الكريمة ولو قلت هل جاء زيد بمعنى قد جاء من غير
استفهام لم يجز وغيره جعلها بمعنى قد من غير هذا القيد وجرى عليه الجلال المحلى واعترض
على الزنجشري بأنه لم يذكر غير كونهم اجمعين قد وبقي قيد آخر وهو أن يقول فى الجمل الفعلية لانها
متى دخلت على جملة اسمية استعمال كونهم اجمعين قد لان قد محتملة بالافعال وأجيب عنه بأن
هذا الاحتجاج اليه لانه تقران قد لا تبشر الاسماء واختلف فى المراد من الانسان فقال قتادة
وعكرمة والشعبي هو آدم عليه السلام مرت عليه أربعون سنة قبل أن تنفخ فيه الروح وهو
ماقى بين مكة والطائف وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ما فى رواية الفخائل أنه خلق من
طين فأقام أربعين سنة ثم من جملة سنون أربعين سنة ثم من صلصال أربعين سنة ثم خلقه بعد
مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
ان الحين المذكور هنا هو الزمن الطويل الممتد الذى لا يعرف مقداره وقال الحسن خلق الله

كل الاشياء ما يرى وما لا يرى من دواب البر والبحر في الايام الست التي خلق الله تعالى فيها السموات والارض وآخرها خلق آدم عليه السلام فهو قوله تعالى لم يكن شيأ من كورا روى ان ابا بكر رضى الله عنه لما قرأ هذه الآية قال ليتها تمت فلا يتلى أى لت هذه المدة التي أتمت على آدم عليه السلام لم يكن شيأ من كورا تمت على ذلك فلا يلد ولا يتلى أولاده وسمع عمرو بن لا يقرأ لم يكن شيأ من كورا قال عمر ليتها تمت يقول ليتها بقى على ما كان هذا وهما جميعا صلى الله عليه وسلم ولكن بقدر اقرب يكون الخوف (فان قيل) ان الطين والصلصال والجمالمون قبل نفخ الروح فيه ما كان انسانا والاية تقتضى أنه مضى على الانسان حال كونه انسانا حين من الدهر مع انه في ذلك الحين ما كان شيأ من كورا (أجيب) بأن الطين والصلصال اذا صعدا بصورة الانسان ويكون محكوما عليه بأنه سينفخ فيه الروح ويصير انسانا صرح تسميته بأنه انسان روى الفضال عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما في قوله تعالى لم يكن شيأ من كورا لافي السماء ولا في الارض بل كان جسدا مصورا ترابا وطينا لا يذكروا يعرف ولا يدري ما اسمه ولا ما يراد به ثم نفخ فيه الروح فصار من كورا قال ابن سلام لم يكن شيأ لانه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق بعد حيوانا وقال الزمخشري وتبعه جماعة من المفسرين ان المراد بالانسان جنس بني آدم بدليل قوله تعالى (انا خلقنا الانسان) أى بعد خلق آدم عليه السلام (من نطفة) أى مائة هي شئ يسير جدا من الرجل والمرأة وكل ماء قليل في وعاء فهو نطفة كقول عبد الله بن رواحة يعاتب نفسه

مالي ارا التكرهين الجنة * هل أنت الانطفة في شنه

وعلى هذا فالمراد بالحين المدة التي هو فيها في بطن أمه لم يكن شيأ من كورا اذا كانعلقة ومضغة لانه في هذه الحالة جساد لا خطر له وقوله تعالى (أمشاج) أى أخلط من ماء الرجل وماء المرأة المختلطين الممتزجين نعت لنطفة ووقع الجمع نعتا لمفرد لانه في معنى الجمع كقوله رفرف خضر أو جعل كل جزء من النطفة نطفة فوصفت بالجمع وقال الزمخشري نطفة أمشاج كبرمة أعشار ويردأ كياش وهي الفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للأفراد ويقال أيضا نطفة مشج قال الشماخ

طوت أحشاء مر تجة لوقت * على مشج سلاته مهين

ولا يصح أمشاج أن يكون تكسيرا له بل هما مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما اه فقد منع أن يكون أمشاجا جمع مشج بالكسر قال أبو حيان وقوله مخالف لنص سيبويه والنووين على أن أفعالا لا يكون مفردا وأجاب بعضهم بأن الزمخشري انما حال يوصف به المفرد ولم يجعل أفعالا مفردا فكأنه جعل كل قطعة من البرمة برمة وكل قطعة من البعد برمة فوصفهما بالجمع والمضى من نطفة قد امتزج فيها الماءان وكل منهما ما يختلف الاجزاء متباين الاوصاف في الرقة والخصن والقوام والخواص يجمع من الاخلط وهي العناصر الاربع ماء الرجل وخليط أبيض وماء المرأة وقي أمضرا فأيها ماعلا كان النسبة وعن ابن عباس رضي الله

تعالى عنهما قال يحتلط ماء الرجل وهو أبيض غليظ بماء المرأة وهو أصفر رقيق فيخلق منهما
 الولد كما كان من عصب وعظم وقوة في نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة
 قال القرطبي وقد روى هذا امرئوعاذ كره البزار وعن قتادة أمشاج ألوان وأطوار يريد
 أنها تكون نطفة ثم علقه ثم مضغه ثم خلطها آخر وعن ابن مسعود رضي الله عنه هي عروق
 النطفة وقال مجاهد نطفة الرجل بيضاء وجرا نطفة المرأة خضراء وصفراء والغرض من هذا
 التنبيه على أن الإنسان محدث فلا بد له من محدث قادر على تصويره وقد صورته على صور
 مختلفة فمنها صغير وكبير وطويل وقصير ومستدير وعريض ولما كان الإنسان محتاجا إلى
 الحركة جعله بدنه ويضع أعضائه جعل بين العظام مفاصل ثم أوصاهم بأوتار وعروق
 ولحم ودور الرأس وشق في جانبيه السمع وفي مقدمه البصر والأنف والفم وشق في البدن
 سائر المنافذ ثم مد اليدين والرجلين وقسم رؤسها بالاصابع وركب الأعضاء الباطنة
 من القلب والمعدة فسبحان من خلق تلك الأشياء من نطفة مضيضة أليس ذلك بقادر على
 أن يحيي الموتى وقوله تعالى (نبئنيه) يجوز فيه وجهان أحدهما أنه حال من فاعل خلقنا
 أي خلقناه حال كونهما مبتليين والثاني أنه حال من الإنسان وصح ذلك لأن في الجملة
 ضمير من كل منهما يعود على ذي الحال ثم هذه الحال يجوز أن تكون مقارنة أن كان المعنى
 نبئنيه نصرته في بطن أمه نطفة ثم علقه كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وأن تكون
 مقدرة أن كان المعنى نبئنيه تخبره بالكيف لأنه وقت خلقه غير مكلف وفيما يجتبر به
 وجهان أحدهما قال الكلبي فختبره بالخير والشر والثاني قال الحسن فختبره شكره في السر وال
 وجهه في الضراء وقيل نبئنيه نكفاه بالعمل بعد الخلق قال مقاتل رضي الله عنه وقيل نكفاه
 ليكون مأمورا بالطاعة ومنهيا عن المعاصي (فجعلناه) أي بما لنا من العظمة بسبب ذلك (جميعا)
 بصيرا أي عظيم السمع والبصر والبصيرة ليتكمن من مشاهدة الدلائل بعينه وسماع الآيات
 بسمعه ومعرفة الحجج ببصيرته فيصع تكليفه وابتلاؤه فقد تم العلة القائية لأنها متقدمة
 في الاستحضار على التابع لها المصحح لو رودها وقدم السمع لأنه أنفع في مخاطبات ولأن الآيات
 المسموعة أبين من الآيات المرئية وخاصة بما بالذكور لأنها أنفع الحواس ولأن البصر يفهم
 البصيرة وهي تضمن الجميع وقال بعضهم في الكلام تقديم وتأخير والاصل أنا جعلناه جميعا بصيرا
 نبئنيه أي جعلناه ذلك لإبتياله وقيل المراد بالجميع المطيع كقولك معا وطاعة وبالبصير العالم
 يقال فلان بصير في هذا الأمر (أنا) أي بما لنا من العظمة (هديناه السبيل) أي بيناه وعرفناه
 طريق الهدى والضلال والخير والشر يبعثه الرسل وقال مجاهد رضي الله عنه بيناه السبيل إلى
 السعادة والشقاوة وقال السدي رضي الله عنه السبيل هنا خروجه من الرحم وقيل منافعه
 ومضارها التي يهتدى إليها بطبعه وكما لعقله قال الرازي والآية تدل على أن العقول متأخرة عن
 الحواس قال وهو كذلك وقوله تعالى (أما شاكر) أي لانعام ربه عليه (وأما كفورا) أي بليغ
 الكفر بالأعراض والتكذيب بنصب على الحال وفيه وجهان أحدهما أنه حال من مفعول

هــديناه أي هـديناه مينا له كتماناً له والثاني أنه حال من السبيل على الجواز قال الرمنشري
 ويجوز أن يكونا من السبيل أي عرفناه السبيل أما سبيلاً شاكراً وأما سبيلاً كفوراً كقوله
 تعالى وهديناه الصدين فوصف السبيل بالشكر والكفر مجازاً وروى الشيخان عن أبي هريرة
 رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو
 ينصرانه أو يمجسانه الحديث وعن جابر رضي الله عنه كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه
 لسانه أما شاكراً وأما كفوراً * ولما قسمهم إلى قسمين ذكر جزاء كل فريق فقال تعالى (أنا) أي على
 مالنا من العظمة (أهـدنا) أي هيا لنا وأحضرنا بشدة وغلظة (للكافرين) أي العريقين
 في الكفر خاصة وقدم الأسهل في العذاب فالأسهل فقال تعالى (سلاسل) جمع سلسلة أي يقادون
 ويوثقون بها (وأغلالاً) أي في أعناقهم تشد فيها السلاسل فتجمع أيديهم إلى أعناقهم (وسعيراً)
 أي ناراً حامية جداً شديدة الاتقاد وقرأ نافع وهشام وشعبة والكسائي سلاسل وصلاباً بالتثنية
 والباقون بغير تنوين وأما الوقف على الثانية فوقف عليها بغير ألف قبل وجزء ووقف البرقي وابن
 ذكوان وحفص بغير ألف وبالألف ووقف الباقر بالألف ولا وقف على الأولى والرسم بالألف
 أقام من ثون سلاسل فوجه بأوجه منها أنه قصد بذلك التناسب لأن ما قبله وما بعده منون منصوب
 ومنها أن الكسائي وغيره من أهل الكوفة كو عن بعض العرب أنهم بصرفون جميع
 ما لا ينصرف إلا أفضل منك وقال الأخفش معنا من العرب من يصرف كل ما لا ينصرف لأن
 الأصل في الأسماء الصرف وترك الصرف لعارض فيها وروى عن بعضهم أنه يقول رأيت همرا
 بالألف يعني همرا بن الخطاب رضي الله عنه وأيضاً هذا الجمع قد جمع وإن كان قليلاً قالوا صواب
 وصوابات وفي الحديث أنكن صوابات يوسف ومنها أنه مرسوم في الإمام أي معصف الجواز
 والكوفة بالألف رواه أبو عبيدة ورواه قالون عن نافع وروى بعضهم ذلك عن مصاحف البصرة
 أيضاً وقال الرمنشري فيه وجهان أحدهما أن يكون هذا التنوين بدلاً من حرف الإطلاق
 ويجرى الوصل مجرى الوقف والثاني أن يكون صاحب هذه القراءة ممن ضرى برواية الشعر
 ومترن لسانه على صرف غير المنصرف هـ قال بعض المفسرين وفي هذه العبارة غلظة وغلظة
 لاسماعيل مشايخ الإسلام وأئمة العلماء الأعلام وأما من لم ينوته فوجه ظاهر لأنه على صيغة
 منتهى الجمع وقولهم قد جمع فهو صوابات لا يقدح لأن المحذور يرجع التفسير وهذا جمع
 تجميع وأما من لم يقف بالألف فواضح * ولما أوجز في جزاء الكافر أتبعه جزاء الشاكراً وأطنب
 تأكيدهم للترتيب فقال تعالى (إن الأبرار) جمع بتر كآرباب جمع رب أو بار كاشهاد جمع شاهد وفي
 الصحاح وجمع البار البررة وهم الصادقون في إيمانهم المطيعون لربهم الذين سميت همهم عن
 المستحقرات فظهرت في قلوبهم ينابيع الحكمة وروى ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله
 عليه وسلم أنه قال انما سماهم الله تعالى الأبرار لأنهم يترؤا الآباء والابناء كما أن لو أديك عليك
 حقا كذلك لو أديك حق وقال الحسن رضي الله عنه البر الذي لا يؤذي الذر وقال قتادة
 رضي الله عنه الأبرار الذين يؤذون حق الله ويوقون بالنذر وفي الحديث الأبرار الذين لا يؤذون

أحدا (يشربون من كأس) هو أنما شرب الخمر وهي فيه والمراد من شرب تسمية الحال باسم المحل ومن لا تبعيض (كان من اجها) أي ما تخرج به (كافورا) لبرده وعذوبته وطيب عرقه وقد كرهل الكون يدل على أن له شأنا في المزج عظيمًا يكون فيه كأنه من نفس الجبله لا كما يعمد والكافور نبت معروف وكان اشتقاقه من الكفر وهو الستر لانه يغطي الاشياء برائحته والكافور أيضا كالم الشجر الذي هو غرتها والكافر البحر والكافر اللبل والكافر السائر لثم الله تعالى والكافر الزارع لتورثه الحب في الارض قال الشاعر

وكافرمات على كفره * وجنة الفردوس للكافر

والكفارة تغطية الاثم في اليمين الفاجرة والنذور الكاذبة بالمغفرة والكافور ماء جوف الشجر مكفور فيغرفونه بالحديد فيخرج الى ظاهر الشجر فيضربه الهواء فيجهد وينعقد كالصمغ الجامد على الاشجار (فان قيل) مزج الكافور بالمشروب لا يكون لذذا غا السبب في ذكره (أجيب) بأوجه أحدها قال ابن عباس رضي الله عنهما الكافور اسم عين في الجنة يقال لها عين الكافور أي يمازجها ماء هذه العين التي تسمى كافورا في يياض الكافور وورائحه وبرده ولكن لا يكون فيه طعمه ولا مضرتة ثانياً أن رائحة الكافور عرض والعرض لا يكون الا في جسم يخلق الله تعالى تلك الرائحة في جرم ذلك الشراب فسمى ذلك الجسم كافورا وان كان طعمه طيبا فيكون الكافور ريحها لا طعمها ثالثا ان الله تعالى يخلق الكافور في الجنة مع طعم طيب لذى ويسلب عنه ما فيه من المضرة ثم انه تعالى يمزجه بذلك الشراب كما انه تعالى يسلب عن جميع الماء كولات والمشروبات ما معها في الدنيا من المضار وقال سعيد بن قتادة رضي الله عنهم يمزج لهم بالكافور ويختتم بالمسك وقيل يخلق فيها رائحة الكافور ويياضه فكانها من جت بالكافور وقوله تعالى (عيناً) في نصبه أوجه أحدها انه بدل من كافور الان ماءها في يياض الكافور وفي رايحه وبرده واقتصر على هذا الجلال المحلى الثاني انه بدل من محل من كأس قاله مكى ولم يقتدر حذف مضاف وقد الزم تحشري على هذا الوجه حذف مضاف قال كانه قيل يشربون خمر اخر عين الثالث انه نصب على الاختصاص قاله الزمخشري الرابع أنه باضماء أعني قاله القرطبي وقيل غير ذلك (يشرب بها) قال الجلال المحلى منها وقال البقاعي أي بجزاها وقال الزمخشري بها الخمر قال كما تقول شربت الماء بالعسل والاقول أوضع (عباد الله) أي أولياؤه (فان قيل) الكفار عباد الله وهم لا يشربون منها بالاتفاق (أجيب) بأن لفظ عباد الله يختص بأهل الايمان ولكن بشكل بقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر فانه يصير تقدير الآية ولا يرضى لعباده المؤمنين الكفر مع أنه سبحانه لا يرضى الكفر للكافر ولا غيره وقد يجاب بأن هذا أكثرى لا كل أو يقال حيث أضيف العباد والعباد الى اسم الله الظاهر سواء كان بلفظ الجلالة أم لا فالمراد به المؤمن وان أضيف الي ضميره تعالى فيكون بحسب المقام فتارة يختص بالمؤمن كقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وتارة يعم كقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وقوله تعالى اني أنا الغفور الرحيم (يفيرونها) أي يجيرونها حيث شاؤوا من منازلهم وان علت (تجبراً) سهلاً لا يمنع عليهم

ولما ذكر جبراهم ذكر وصفهم الذي يستحقون عليه ذلك بقوله تعالى (يوفون بالتذر) وهذا
يجوز أن يكون مستأنفا ويجوز أن يكون خبر الكان مضمرة قال القراء التقدير كانوا يوفون
بالتذر في الدنيا وكانوا يخافون وقال الزمخشري يوفون جواب من عسى يقول ما لهم يرفقون
ذلك قال أبو حيان واستعمل صيغة لمن وهو لا يجوز وأتى بالمضارع بعد عسى غير مرة يرون بأن
وهو قليل أوفى الشعر والوفاء بالتذر وبالغنى وصلة بهم بالتوفر على أداء الواجبات لأن من وفى
بما أوجبه هو على نفسه لوجه الله تعالى كان بما أوجبه الله تعالى عليه أوفى وقال الكلبي يوفون
بالتذر أى يتمون العهد ولقوله تعالى وأوفوا بعهدهم الله أوفوا بالعقود أمر وأبالوفاء بهم لأنهم
عقدوها على أنفسهم باعتقادهم الإيمان قال القرطبي والتذر حقيقة ما أوجبه المكلف على
نفسه من شئ يفعلها وإن شئت قلت في حقه هو إيجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لم
يوجبه لم يلزمه وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه
فلا يعصه * ولما دل وقاؤهم على سلامة طباعهم قال تعالى عا طفا دلالة على جمعهم للأمرين
المتعاطفين فهم يفعلون الوفاء لا لأجل شئ بل لكرم الطبع (ويخافون) أى مع فعلهم
للواجبات (يوما) قال ابن عبد السلام شري يوم أو أحوال يوم (كان) أى كونا هو في جبلته
(شره) أى ما فيه من الشدة اند (مستطيرا) أى فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق
والقبر وهو أبلغ من طار وقال قتادة رضى الله عنه كان شره فاشيا في السموات فانشفت
وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة ونسفت الجبال وغارت المياه
وتكسر كل شئ على الأرض من جبل وبناء وفي ذلك اشعار بحسن عقيدتهم واحسانهم
واجتنابهم عن المعاصي فان الخوف أدل دليل على عمارة الباطن قالوا ما قارق الخوف قلبا
الانرب ومن خاف أدبج ومن أدبج بلغ المنزل (فان قيل) لم قال تعالى كان شره ولم يقل سيكون
(أجيب) بأنه كقوله تعالى أى أمر الله ما قبل في ذلك يقال هنا (ويطعمون الطعام) أى على
حسب ما يتيسر لهم من مال ودون وقوله تعالى (على حبه) حال أمان الطعام أى كالتز على
حبهم أياه فهو في غاية المكنة منهم والاستعلاء على قلوبهم لقلته وشهوتهم له وحاجتهم إليه كما قال
تعالى لن الو البر حتى تنفقوا مما تحبون ليغفم انهم للفضل أشد بذلا ولهذا قال صلى الله عليه
وسلم في حق العصاة رضى الله عنهم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهابا ما بلغ متأ أحدهم ولا نصيغه لقله
الموجود انذاك وكثره بعدوا ما من الفاعل والضمير في حبه لله أى على حب الله وعلى التقديرين
فهو مصدر مضاف للمفعول وقال القضايل بن عباس على حب اطعام الطعام (مسكينا) أى
محتاجا احتياجا يسيرا فصاحب الاحتياج الكثير أولى (ورثيا) أى صغيرا لأب له (وأسيما) أى
في أيدي الكفار ويخص هؤلاء بالذكر لأن المسكين عاجز عن الاكتساب بنفسه كما يكفيه واليتيم
مات من اكتسبه ويبقى عاجزا عن اكتساب نفسه والأسير لا يتمكن لنفسه نصرا ولا جلبة وقال
عماهد بن سعيد بن جبيرة رضى الله عنهم الأسير المحبوس قد دخل في ذلك المأوى والمحبسون
والكافر الذي في أيدي المسلمين وقد نقل في غزوة بدر أن بعض العصابة رضى الله عنهم كان يذو

أسره على نفسه بالتبذير وكان الخبز اقل ذلك حزرا حتى كان ذلك الاسير يعجب من مكادهم حتى كان ذلك محمدا طاه الى الاسلام وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم لما دفعهم اليهم قال استوصوا بهم خيرا وقيل الاسير المملوك وقيل المرأة لقول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النساء فانهن عندكم عوان أي أسرى وقوله تعالى (انما نطعمكم) على اضممار القول أي يقولون بلسان المقال أو الحال انما نطعمكم أيها المحتاجون (لوجه الله) أي لذات الملك الذي استجمع الجلال والاکرام لكونه أمرنا بذلك وعبر بالوجه لان الوجه يستحي منه ويرجى ويخشى عند رؤيته (لا يزيد منكم) لا يجل ذلك (جزاء) أي لنا من اعراض الدنيا (ولا شكورا) أي لشيء من قول ولا فعل روى أن عائشة رضي الله تعالى عنها كانت تبعث بالصدقة الى أهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعيت لهم بعثه ليقبى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى ثم عللوا قولهم هذا على وجه التأكيد بقولهم (اننا نضاف من ربنا) أي انما قلنا لنا الحسن البصري (يوما) أي أهوال يوم هو في غاية العظمة ويذو اعظمته بقولهم (عبوسا) قال ابن عباس رضي الله عنهما - ووصف اليوم بالعبوس مجازا على طريقين أن يوصف بصفة أهله من الاشقياء ~~كقولك~~ قولك نهال صائم روى أن الكافري عبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وأن يشبه في شدته وضرره بالاسد العبوس أو بالشجاع الباسل (قطريرا) قال ابن عباس رضي الله عنهما - حاطو بلا وقال مجاهد وقادة رضي الله عنهما - القمطرير الذي يقبض الوجوه والجباه بالتعبس وقال الكلبي العبوس الذي لا ينسأ فيه والقمطرير الشديد وقال الاخفش القمطرير أشد ما يكون من الايام وأطولها في البلاد يقال يوم قطرير وقاطير اذا كان شديدا كريها ولم يكن فعلهم هذا خالصا لله تعالى بسبب عنه جزاءهم فقال تعالى (فوقاهم الله) أي الملك الاعظم بسبب خوفهم (شر ذلك اليوم) أي العظيم ولا بد لهم من نعيم ظاهر وباطن ومسكن يقيمون فيه وملبس وقد أشار الى الاقل بقوله تعالى (وقاهم) أي أعطاهم (نصرة) أي حسنادا ثماني وجوههم وأشار الى الثاني بقوله تعالى (وسرورا) أي في قلوبهم دأثما في مقابلة خوفهم في الدنيا وأشار الى الثالث بقوله تعالى (وجزاهم بما صبروا) أي بسبب ما أوجدها من الصبر على العبادات من لزوم الطاعة واجتناب المعصية ومنع أنفسهم الشهوات وبذل المحبوبات (جنة) أي ادخلوا بستانا جامعها بأشجارها تكون منه ما يشتهون جزاء على ما كانوا يطعمون وان كان غيرهم يشاركونهم في ذلك دونهم في الجزاء وأشار الى الرابع بقوله تعالى (وحريرا) أي ألبسوه أي هو في غاية العظمة وما رواه البيضاوي تعالى في تخشعي من ابن عباس أن الحسن والحسين رضي الله عنهما - خاضا في طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس فقلوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك فندرك على فاطمة ونفسي جانبة لهما صوم ثلاثة أيام ان يرتافقيا ومامهما شيء فاستقرض على من سمعوا اليهودي الخبيري ثلاثة أصبع من شعير وطخت فاطمة صاها واختبعت خمسة أقراس على عدهم فوطئوها بين أيديهم ثم ليظلموا فوقع عليهم سم سائل فقال السلام عليكم أهل بيت محمد من كان من مساعديكم في الدنيا أو في الآخرة من موافق الجنة فآثروا ويا قوم الم يذوقوا

الاماء وأصبوا أصياما فلما أسوا وضعوا الطعام بين أيديهم فوقف عليهم يتيم فاثروه ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك زاد في الكشف فلما أصبحوا أخذ على رضى الله تعالى عنه بيد الحسن والحسين فأقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفرأخ من شدة الجوع قال ما أشد ما يسوئني ما أرى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في حجر ابيها قد التصق ظهرها بيطنها وغارت عيناها فساء ذلك فترسل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد أى السورة هنالك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة حديث موضوع ثم بين حالهم فيها بقوله تعالى (متكئين فيها) أى الجنة واختلجوا في اعراب متكئين فقال الجلال الهللى حال من مرفوع ادخلوها المقدر وقال أبو البقاء يجوز أن يكون حالا من المفعول في جزاءهم وأن يكون صفة واعترض عليه في كونه صفة بأنه لا يجوز عند البصريين لانه كان يلزم الضمير فيقال متكئين هم فيها الجريان الصفة على غير من هو له وقيل انه من فاعل صبروا واعترض أن الصبر كان في الدنيا والاتكاه في الآخرة وأجيب بأنه يصح أن يكون حالا مقدرة لأن ما آلهم بسبب صبرهم الى هذه الحالة ثم أشار الى زيادة راحتهم بقوله تعالى (على الأرائك) أى السرور في الجمال ولا تكون أريكة الامع وجود الجملة وقيل الأرائك الفرش على السرور وقوله تعالى (لا يرون فيها) أى الجنة حال ثانية على الخلاف المتقدم في الاولى ومن جوز أن تكون الاولى صفة جوزته في الثانية وقيل انها حال من الضمير المرفوع المستكن في متكئين فتكون حالا متداخلة (ثم) أى حرا (ولا) يرون فيها (زمهريرا) أى بردا شديدا قال آية من الاحتمال دل على الشهر أو لا على نقي القمر ودل على الزمهرير الذي هو سبب البرد ثانيا على نقي الحر الذي سببه الشمس فأفاده هذا أن الجنة غنية عن النيران لانها نيرة بذاتها وأهلها غير محتاجين الى معرفة زمان اذ لا تكليف فيها بوجه وأنهم ظليهم معتدلة دائما بخلاف الدنيا فان فيها الحاجة الى ذلك والحر والبرد فيها من فيج جهنم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها قالت يا رب أكل بعضى بعضا فجعل لها نفسين نفسا في الشتاء ونفسا في الصيف فشدة ما تجذونه من البرد من زمهريرها وشدة ما تجذونه من الحر من سهرها وقيل الزمهرير القمر بلغة طي وأنشدوا

وليلة ظلامها قد اعتكر • قطعتها والزمهرير مازهر

ويروى ما ظهر (ودانية) أى قرية مع الارتفاع (عليهم ظلالها) أى شجرها من غير أن يحصل منها ما ينيل الاعتدال واختلف في نصب دانية فقال البغوى عطف على متكئين وقال الجلال الهللى عطف على محل لا يرون وذكره البغوى بعد الاول بصيغة قبل قال البيضاوى أو عطف على الجنة أى وجنة أخرى دانية لانهم وعدوا جنتين لقوله تعالى ولئن خاف مقام ربه جنتان (فان قيل) ان الظل انما يوجد حيث توجد الشمس والجنة لا شمس فيها فكيف يحصل الظل (أجيب) بأن أشجار الجنة تكون بحيث لو كان هنالك شمس لكانت تلك الأشجار مظلة منها وإن كان لا شمس ولا ظل كان أمشاطهم الذهب والفضة وان كان لا دهر ولا شمس (وذلت قطوعها) جمع قطيع بالكسر وهو العنقود واسم للثمار المقطوفة أى الجنة (تذليل) أى سهل تناولها تسهلا عظيما لا يراد اليد

عنها بعد ولا شول لكل من يريد أخذها على أي حال كانت من اتكاه وغيره فان كانوا قعودا أو مضطجعين تدلت اليهم وان كانوا قياما وكانت على الارض ارتفعت اليهم وقال البراءة قلت لهم فهم يتناولون منها كيف شاؤوا فمن كل فاء عالم يؤذيه ومن كل جالس عالم يؤذيه ومن كل مضطجعا لم يؤذيه وهذا جوازهم على ما كانوا يذللون أنفسهم لاهل الله تعالى ولما وصف تعالى طعامهم ولباسهم وسكنهم وصف شرابهم بقوله تعالى (وطاف) أي من أي طاقف كان لكثرة الخدم (عليهم بآية) جمع اناه كسقاء وأسقية وجمع الآنية أوان وهي ظروف للمياه ومعنى بطاف أي يدور على هؤلاء الابرار الخدم اذا أرادوا الشرب ثم بين تلك الآنية بقوله تعالى (من فضة) قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس في الدنيا شيء مما في الجنة الا الاسماء أي الذي في الجنة أشرف وأعلى ولم ينف الآنية الذهبية بل المعنى يسقون في الاواني الفضة وقلبيسقون في الاواني الذهب كما قال تعالى سرايل تقيكم الحزأى والبرد فنبه بذكر أحدهما على الآخر ولما جمع الآنية خص فقال تعالى (وأكواب) جمع كوب وهو كوز لا عروة له فيسهل الشرب منه من كل موضع فلا يحتاج عند تناول الى ادارة (كانت) أي تلك الاكواب كونا هو من جبلتها (قوارير) أي كانت بصفة القوارير من الصفاء والرقعة والشفوف والاشراق جمع فارورة وهي ما أقر فيه الشراب ونحوه من كل اناه رقيق صاف وقيل هو خاص بالزجاج ولما كان رأس آية وكان التعبير بالقوارير ربما أفهم انهم من الزجاج وكان في الزجاج من النقص سرعة الانكسار لافراط الصلابة قال تعالى معبد اللفظ أول الآية الثانية تأكيد اللاتصاف بالصالح من أوصاف الزجاج وبياناً لنوعها (قوارير من فضة) أي قد جمعت صفاتي الجوهرين المتباينين صفاء الزجاج وشفوف وبريقه وبياض الفضة وشفوفها ووليتها وقال الكلبي ان الله تعالى جعل قوارير كل قوم من تراب ارضهم وان أرض الجنة من فضة فجعل منها قوارير يشربون منها (٣) وقرأنا نفع وشعبة والكسافي وصلا بالتنوين فيها ووافقهم ابن كثير في الأول دون الثاني والباقيون بغير تنوين وأما الوقف فنون وقف بالالف ومن لم يتون وقف بغير ألف الا هشام فإنه وقف على الثاني بالالف وفي الوصل لم يتون فاقرا آت حينئذ على خمس مراتب احداها تنوينها مامعا والوقف عليها بالالف الثانية مقابلة وهو عدم تنوينها مامعا عدم الوقف عليها بالالف الثالثة عدم تنوينها والوقف عليها مابا بالالف الرابعة تنوين الأول دون الثاني والوقف على الأول بالالف وعلى الثاني بدونها الخامسة عدم تنوينها مامعا والوقف على الأول بالالف وعلى الثاني بدونها وأما من تنونها فليأمر في تنوين سلاسل لانها مavigة منتهى المجموع ذال على مفاعل وذال على مفاعل والوقف بالالف التي هي بدل التنوين فاما عدم تنوينها وعدم الوقف بالالف فظاهر وأما من تنون الأول دون الثاني فإنه ناسب بين الأول وبين رؤس الآتي ولم يناسب بين الثاني وبين الأول والوجه في وقفه على الأول بالالف وعلى الثاني بغير ألف ظاهر وأما من لم يتون مامعا ووقف على الأول بالالف وعلى الثاني بدونها فلان الأول رأس آية فناسب بينه وبين رؤس الآتي في الوقف بالالف وفرق بينه وبين الثاني لانه ليس رأس آية وأما من لم يتون مامعا ووقف عليها مابا بالالف فإنه ناسب بين الأول

(٣) قوله وقرأنا نفع
عبارة الجمل واء
أن القراخيهما
خمس مراتب
تنوينها مامعا والوقف
عليها بالالف
والكسافي وأبي
الثانية مقابلة
وهي عدم تنوينها
وعدم الوقف عليها
بالالف لجزء
الثالثة عا
تنوينها والوقف
عليها مابا بالالف
وحده الرابعة تنو
الأول دون الثاني
والوقف على الأول
بالالف وعلى الثاني
بدونها لابن ك
وحده الخامسة
تنوينها مامعا والوقف
على الأول بالالف
وعلى الثاني بدو
لاي عمرو و
ذكون وحضر
المراد منه و
يتضح ما في عبارة
المفسر

وبين وقس الا ترى وناسب بين الثاني وبين الاول وقال الرخشي وهذا التنوين بدل من ألف
الاطلاق لانها فاصلة وفي الثاني لا تباعد الاول يعني انهم يأتون بالتنوين بدلا من حرف الاطلاق
الذي للقرن كقوله * يا صاح ما حاج العيون الذرفن * وقوله تعالى (قدروها تقديرا) مضمرة
لقوا وير من فضة وفي الواو في قدروها وجهان أحدهما أنه للمطاف عليهم ومعنى تقديرهم لها انهم
قدروها في أنفسهم أن تكون على قدرها وأشكال على حسب شهواتهم بغايات كما قدرها والثاني
انه للطائفتين به ادل عليه قوله تعالى ويطاف عليهم على انهم قدروا شرابها على قدر الرى وهو الذى
للسارب لكونه على مقدرا وحاجته لا يفضل عنه ولا يهجز وعن مجاهد رضى الله عنه لا تفيض
ولا تفيض وعن ابن عباس رضى الله عنهما قدروها على ملء الكف حتى لا تؤذيهم بقل أو يافراط
صغر وجوز أبو البقاء أن تكون الجملة مستأنفة (ويسقون) أى عن أرادوه من خدمهم الذين
لا يحصون كثرة (فيها) أى فى الجنة أو تلك الاكواب (كأسا) أى خمر فى اناء (كان من اجها) أى
ما تخرج به على غاية الاحكام (زنجبيل) أى غاية اللذة وكانت العرب تلتذ بالشرب المزوج به
المضمح وتطيب به الطعم والزنجبيل ثبت معروف وسمى الكأس بذلك لوجود طعم الزنجبيل
فيها قال الاعشى
وقال المسيب بن علس

وكان طعم الزنجبيل به * اذا ذقته وسلافة الخمر

وقوله تعالى (عينا فيها) أى الجنة بدل من زنجبيل عينا فيه خرق لاهوائه لان
الزنجبيل عندنا شجر يحتاج فى تناوله الى علاج فبين انه هناك عين لا يحتاج فى صبر وروية زنجبيل
الى ان يهيله الارض بضميره فيها حتى يصير شجر يتحول عن طعم الماء الى طعم الزنجبيل (تسمى)
أى تلك العين لسهولة اساعتها ولذة طعمها وسمو وصفها (سلسيلا) والمعنى ان ماء تلك العين
كل زنجبيل الذى تلتذ به العرب سهل المساغ فى الخلق فليس هو كزنجبيل الدنيا يلذع فى الخلق
فتصعب اساعته والسلسيل والسلسل والسلسل ما كان من الشراب غاية فى السلاسة زيدت
فيه الباء زيادة فى المبالغة فى هذا المعنى وقال مقاتل وابن حبان رضى الله عنهما سميت سلسيلا
لأنها تسيل عليهم فى الطرق وفى منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن الى أهل الجنان
قال البغوى وشراب الجنة فى برد الكافور وطعم الزنجبيل ويرى المسك من غير لذع وقال مقاتل
رضى الله عنه يشربها المقربون صرفا وتخرج لساها أهل الجنة * ولما ذكر تعالى المطوف به لانه
الغاية المقصودة وصف الطائفتين لما فى طوافه من العظيمة المشهودة بقوله تعالى (يطوف عليهم)
أى بالشراب وغيره من الملاذ والمحاب (ولدان) أى غلمان هم فى سن من هودون البلوغ لان
الغقة هاء قالوا الناس غلمان وصبيان وأطفال وذراى الى البلوغ ثم هم بعد البلوغ شبان
وقتيان الى الثلاثين ثم هم بعدها كهول الى الاربعين ثم بعد هاشيوخ واستسبط بعضهم ذلك من
القرآن فى حق بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال الله تعالى فى حق يحيى وآتينا الحكم
صبيلا وفى حق عيسى يكلم الناس فى المهد وكهلا ومن ابراهيم قالوا اسمعنا ففى ذلك هم يباله

ابراهيم وعن يعقوب ان له اياشينا كبيرا قالوا اقل اهل الجنة من يخدمه ألف غلام ويعطى
 في الجنة قدر الدنيا عشر مرات وقرأ حجة يضم الهاء والباقون بكسرها ثم وصف تعالى تلك
 العلمان بقوله تعالى (مخلدون) أى قد حكمهم من لا يرد حكمه بأن يكونوا كذلك دائما من غير علة
 ولا ارتضاع عن ذلك الخدم انهم مزينون بالحلى وهو الخلق والاساور والقرط والملايس الحسنة
 (اذا رايتهم) أى يا اهل الخلق وأنت أثبت الناس نظرا أو أيها الراقي الشامل لكل راقى فى أى
 حالة ترايتهم فيها (حسبتهم) أى من يياضهم وصفاء ألوانهم واتشارهم فى الخدمة (لؤلؤا منثورا)
 أى من سلكه أو من صدقه وهو أحسن منه فى غير ذلك قال بعض المفسرين هم غلمان يشتم
 الله تعالى لخدمة المؤمنين وقال بعضهم أطلق المومنين لانهم ما نوا على القطرة وقال ابن بريان
 وأرى والله أعلم انهم من علم الله تعالى ايمانهم من أولاد الكفار وتكون خدم لاهل الجنة كما
 كانوا النافى الدنيا سييا وخداما وأما أولاد المؤمنين فيلقون بآبائهم سنا وملك اسرور الهم ويؤيد
 هذا قوله صلى الله عليه وسلم فى ابنه ابراهيم عليه السلام ان له نظراته وضاعه فى الجنة فانه يدل
 على انتقال شأنه فيها هناك وكنته فى الاحوال فى الدنيا ولا دليل على خصوصيته بذلك وقرأ
 السوسى وشعبة بإبدال الهمزة الاولى الساكنة وقفا وصلوا واذا رقف حزة أبدل الاولى
 والثانية * ولما ذكر الخدم والخدم ذكر المكان بقوله تعالى (واذا رايت) أى وجدت منك الرؤية
 (ثم) أى هناك فى أى مكان كان فى الجنة وأى شئ كان فيها وقوله تعالى (رايت) جواب اذا أى
 رايت (نعما) أى ليس فيه كدر بوجه من الوجوه ولا يقدر على وصفه واصف (وملكا كبيرا)
 أى لم يخطر على باله مما هو فيه من السعة وكثرة الموجود والعظمة قال سفيان الثورى بلغنا
 ان الملك الكبير تسليم الملائكة عليهم وقيل كون التيجان على رؤسهم كما تكون على
 رؤس الملوك وقال الحكيم الترمذى هو ملك التكوين اذا ارادوا شيا قالوا له كن فيكون
 وفى الخبر ان الملك الكبير هو ان أدناهم منزلة أى وما فيهم دنى الذى فى ملكه مسيرة ألف
 عام ويرى أقصاء كما يرى أدناهم وان أعظمهم منزلة من ينظر الى وجه ربه سبحانه وتعالى كل
 يوم أى قدر يوم من أيام الدنيا مرتين * ولما ذكر الداروسا كنيها من مخدوم وخدم ذكر لباسهم
 بقوله تعالى (عليهم) أى فوقهم (ثياب سندس) هو مارق من الحرير (خضر واستبرق)
 وهو ما غلظ من الدياج فهو البطاش والسندس الظاهر وقرأ نافع وحزة عليهم يسكون الياء
 بعد اللام وكسر الهاء والباقون بفتح الياء وضم الهاء لان الياء لما سكنت كسرت
 الهاء ولما فتح كسرت ضمت الهاء فأما قراءة نافع وحزة فضمها أوجه أظهرها أن يكون خبرا
 مقاما وثياب مبتدأ مؤخر وأما قراءة الباقيين فضمها أيضا أوجه أظهرها أن يكون خبرا مقاما
 وثياب مبتدأ مؤخر كأنه قال فوقهم ثياب قال أبو البقاء لان عليهم بمعنى فوقهم والضمير
 المتصل به لا مطوف عليهم أو للنادم والمخدوم جميعا وان كانت تتفاوت بتفاوت الرتب وقرأ نافع
 ونحس خضر واستبرق برفعهما وقرأ حزة والكسائي بخفضهما وقرأ أبو عمرو وابن عامر
 برفع خضر وجر استبرق وقرأ ابن كثير وشعبة بجر خضر ورفع استبرق وحاصل القراءات

في ذلك أربع مراتب الاولى رفعهما الثانية خفضهما الثالثة رفع الاقل وخفض الثاني
 الرابعة عكس ذلك فاما القراءة الاولى فان رفع خضر على النعت لثياب ورفع استبرق فسق على
 الثياب ولكن على حذف مضاف أى وثياب استبرق وأما القراءة الثانية فيكون جر خضر
 على النعت لسندس ثم استبرق على هذا وصف المفرد بالجمع فقال مكى هو اسم جمع وقيل
 هو جمع سندس كقمر وعرة ووصف اسم الجنس بالجمع صحيح قال تعالى وينشئ السحاب الثقال
 وأما ز نخل منقهر ومن الشجر الاخضر واذا كانوا قد وصفوا المحلى لكونه مراداً به الجنس
 بالجمع في قولهم أهلك الناس الدينار والجر والدرهم البيض وفي التنزيل أو الطفل الذين فلا ت
 يوجد ذلك في أسماء الجوع أو أسماء الاجناس الفارق بينها وبين واحدات التانيث بطريق
 الاولى وجر استبرق فسق على سندس لان المعنى ثياب من سندس وثياب من استبرق
 وأما القراءة الثالثة فرفع خضر نعتا لثياب وجر استبرق فسق على سندس أى ثياب خضر من
 سندس ومن استبرق فعلى هذا يكون الاستبرق أيضاً أخضر وأما القراءة الرابعة فجر خضر على
 أنه نعت لسندس ورفع استبرق على النسق على ثياب بحذف مضاف أى وثياب استبرق ثم أخبر
 تعالى عن تحليتهم بقوله سبحانه (وحلوا) أى المخدم والخدام (أساور من فضة) وان كانت
 تتفاوت بتفاوت الرتب وهى بالغة من الاعضاء ما يبلغه التحجيل في الوضوء كما قال صلى الله عليه
 وسلم الحلبة من المؤمن حيث يبلغ الوضوء فلذلك كان أبوهريرة يرفع الى المنكبين وإلى الساقين
 (قبس) قال هنا أساور من فضة وفي سورة فاطر يحلون فيها من أساور من ذهب وفي سورة
 الحج يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ فقل حل الرجال الفضة وحلى النساء الذهب وقيل
 تارة يلبسون الذهب وتارة يلبسون الفضة وقيل يجمع في يدي أحدهم سواران من ذهب
 وسواران من فضة وسواران من لؤلؤ وتجتمع لهما محاسن الجنة قاله سعيد بن المسيب وقيل يعطى
 كل أحدهما يرغب فيه وقيل نفسه اليه وقيل أسورة الفضة انما تكون للولدان وأسورة الذهب
 للنساء وقيل هذا للنساء والصبيان وقيل هذا يكون بحسب الاوقات والاعمال (وسقاهم ربهم)
 أى الموجد لهم المحسن اليهم المدبر لمصالحهم (شراباً طهوراً) أى ليس هو كشراب الدنيا سواء
 أكان من الخمر أم من الماء أهم من غيرهما فهو بالغ الطهارة وقال على رضى الله عنه اذا توجه أهل
 الجنة الى الجنة مرابشجرة يخرج من ساقها عينان فيشربون من احداهما فتجرب عليهم نضرة
 النعيم فلا تتغير أبشارهم ولا تشعث شعورهم أبداً ثم يشربون من الاخرى فيخرج ما في بطونهم
 من الاذى ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم سلام عليكم طيبتم فادخلوها خالدين وقال
 الضحى وأبو قلابه هو اذا شرب به بعد أكاهم طهرهم وصاروا أكاهم وشرب به رشع منك وضمرت
 بطونهم وقال مقاتل هو من عين ماء على باب الجنة تنبع من ساق شجرة من شرب منها نزح الله
 تعالى ما كان في قلبه من غش وغل وحسد وما كان في جوفه من أذى وعلى هذا فيكون فعول
 للمبالغة وقال الرازى قوله تعالى طهوراً في تفسيره احتمالات أحدها أن لا يكون نجساً
 كخمر الدنيا وثانيها المبالغة في البعد عن الآثام والمستندة لذلك أنه لم يعصر نفسه الايدي الوضوء

وتدوسه الارجل المذنبة لم يجعل في الدين والاباريق التي لم يعن بتنظيفها وقالها انه لا يؤول
الى الخجاسة لانها ترشح عرفان ابدانهم له ريح كريح المسك وعلى هذين الوجهين يكون
الطهور مطهر الاله يطهروا طهرهم من الاخلاق الذميمة والاشياء المؤذية (فان قيل) هل هذا نوع
آخر غير ما ذكر قبل ذلك من أنهم يشربون من الكافور والزنجبيل والسلسيل أم لا (أجيب)
بأنه نوع آخر لوجوه اولها رفع ثانيها انه تعالى أضاف هذا الشراب الى نفسه بقوله تعالى
وسقاهم ربه شرابا طهورا وذلك يدل على فضل هذا دون غيره ثالثها ما روى انه تقدم اليهم
الاطعمة والاشربة فاذا فرغوا منها أتوا بالشراب الطهور فيشربون فيطهرون بذلك بطونهم
وبفيض عرفان جلودهم مثل ريح المسك وهذا يدل على أن ذلك الشراب مغاير لتلك الاشربة
ولأن هذا الشراب يهضم سائر الاشربة ثم ان له مع هذا الهضم تأثيرا عجيبا وهو أنه يجعل سائر
الاطعمة والاشربة عرفا يفرح منه ريح كريح المسك ويطهر سائر به عن الميل الى اللذات
الخشيسة والركون الى ماسوى الحق فيتجرب لطاعة جلاله متلذذا ببقاها باقيا بقاءه وهو ينتهي
دراجات الصديقين وكل ذلك يدل على المغايرة وقوله تعالى (ان) على اضممار القول أى ويقال
لهم ان (هذا كان لكم بحراً) أى على أعمالكم التي كنتم تجاهدون فيها أنفسكم عن هواها
الى ما يرضى وبكم والاشارة الى ما تقدم من عطاء الله تعالى لهم (وكان) أى على وجه النبات
(سعيكم مشكورا) أى لا تضيع شيئا منه وفجازى بأكثر منه أضعافا مضاعفة * ولما
بين تعالى بهذا القرآن العظيم الوعد والوعيد ذكر سبحانه أنه من عنده وليس هو بسحر
ولا كهانة ولا شعر بقوله تعالى (المتقين) أى على ما لنا من العظمة التي لانهاية لها لا غيرنا (زلزلة
عليك) وأنت أعظم الخلق انزالا استعلى حتى صار المنزل خلقا لك (القرآن) أى الجامع لكل
هدى (تزيلا) قال ابن عباس متفرقا آية بعد آية ولم ينزل جملة واحدة قال الرازي والمقصود
من هذه الآية تنبيه الرسول صلى الله عليه وسلم وشرح صدره فيما نسبوه اليه صلى الله عليه
وسلم من كهانة وسحر فذكر تعالى ان ذلك وحى من الله تعالى فكانه تعالى يقول ان كان هؤلاء
الكفار يقولون ان ذلك كهانة فانا الله الملك الحق أقول على سبيل التأكيد ان ذلك وحى حق
وتنزل صدق من عندي وفي ذلك فائدة ثانى الاولى ازالة الوحشة الحاصلة بسبب طعن الكفار
لان الله تعالى عظمه وصدقه الثانية تقويته على تحمل مشاق التكليف فكانه تعالى يقول له
انى ما نزلت القرآن عليك متفرقا الا لكمة واحدة تقضى تخصيص كل شئ بوقت معين
وقد اقتضت تلك الحكمة تأخير الاذن في القتال (فاصبر لحكم ربك) أى المحسن اليك قال
ابن عباس اصبر على أذى المشركين ثم نسج بآية القتال وقيل اصبر لما يحكم عليك به
من الطاعات وانتظر حكم الله اذ وعدك بالنصر عليهم ولا تنسج بآية قتاله (ولا تطع
مهم) أى المكفرة الذين هم ضد الشاكرين (آثما) أى طاعيا الى انهم سواء كان مجردا عن مطلق
الكفر أو مطاعا به (أو كفورا) أى مباغيا في الكفر وداويا اليه وان كان صغيرا وعظيما
فى الدنيا فان الحق أكبر من كل كبير وقال قتادة أرا دبالا ثم والكفور الباهل وذلك انه

قوله أولها رفع هكذا
فى القسخ ولعله
أولها ما رفع يعنى
ما تقدم فى قوله
وقال على الخ

لما فرضت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نهاه أبو جهل عنها وقال لئن رأيت محمد ابلى
لاطأ أن على عنقه وقال مقاتل أراد بالآثم عتية بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة وكانا أتيا
النبي صلى الله عليه وسلم يعرضان عليه الاموال والتزويج على أن يترك ذكر النبوة عرض عليه
عتية ابنته وكانت من أجل النساء وعرض عليه الوليد أن يعطيه من الاموال حتى يرضى
ويترك ما هو عليه فقرأ عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات من أول حم السجدة
الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرناكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فانصرفا عنه وقال
أحدهما ظننت ان الكعبة ستقع على (فان قيل) كانوا كلهم كفرة فلهذا معى القسم في قوله آثما
أو كفورا (أجيب) بأن معناه ولا تطع منهم را بكالمها وانتم داعيا لك اليه أو فاعلا لما هو كفر
داعيا لك اليه لانهم اقاموا أن يدعوهم الى مساعدتهم على فعل هو انتم أو كفرا أو غير انتم ولا كفر
فنهى أن يساعدهم على الاثنين دون الثالث ثم قال (فان قيل) معنى أو ولا تطع أحدهما
فهل أجى بالواو وليكون نهيها عن اطاعتها جميعا (أجيب) بأنه لو قال ولا تطعهما بالجاز أن
يطيع أحدهما واذا قيل ولا تطع أحدهما علم أن الناهي عن طاعة أحدهما أنهى عن طاعة
جميعا كما اذا نهى أن يقول لأبويه أف علم أنه نهى عن ضربهم ما بطريق الأولى (فان قيل)
انه صلى الله عليه وسلم ما كان يطيع أحدا منهم فافائدة هذا النهي (أجيب) بأن
المقصود بيان أن الناس يحتاجون الى التنبيه والارشاد لاجل ما ترك فيه من الشهوة
الداعية الى النساء وان الواحد لو استغنى عن توفيق الله تعالى وارشاده لكان أحق الناس به
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم المعصوم دائما أبدا ومتى ظهر لك ذلك عرفت ان كل مسلم
لا بد له من الرغبة الى الله تعالى والتضرع اليه أن يصونه عن الشهوات (واذكر) أى
في الصلاة (اسم ربك) أى المحسن اليك بكل جميل (بكرة) أى الفجر (وأصيلا) أى
الظهر والعصر (ومن الليل) أى بعضه والباقي للراحة بالنوم (فاسجد له) أى المغرب
والعشاء (وسجده ليل طويلا) أى صل التطوع فيه كما تقدم من ثلثه أو نصفه أو ثلثه
أو اذ كره بلسانك بكرة عند قيامك من منامك الذى هو المونة الصغرى وتذكر لك انه يحى
الموتى ويحشرهم جميعا وأصيلا أى عند انقراض نهارك وتذكر انقراض دنياك ووطئ
هذا العالم لاجل يوم الفصل وفى ذكر الوقتين اشارة الى دوام الذكر وذكر اسمه لازم لذكره
والذى عليه أكثر المفسرين الاقل قال ابن عباس وسفيان كل تسبيح فى القرآن فهو صلاة
لان الصلاة أفضل الاعمال البدنية لانها أعظم الذكرا لانها ذكر اللسان والجنان والاركان
فوظفت فيها أركان لسانية وحركات وسكنات على هيأت مخصوصة من عاداتها أن لا تفعل
الا بين يدي الملوكة ولما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتعظيم والامر والنهي عدل
سجانه الى شرح أحوال الكفار والمتردين فقال تعالى (ان هؤلاء) أى الذين يغفلون عن الله
من الكفار والمتردين (يحبون) أى محبة تجمد عندهم زيادتها فى كل وقت (العاجلة) لقصور
نظرهم ووجودهم على المحسوسات التى الاقبال عليها فتأ البسادة والقصور ومعدن

الامراض للقلوب التي في الصدور ومن تعاطى أسباب الامراض مرض وسعى كفورا
 ومن تعاطى ضد ذلك شئ وسعى شاكرا (ويذرون) أي ويتركون (وراءهم) أي قدماهم على
 وجه الاحاطة بهم وهم عنه معرضون كما يعرض الانسان عما وراءه وأخلف ظهره ودم لا يعبؤون به
 وقوله تعالى (يوما) مفعول يذرون لا ظرف وقوله تعالى (ثقيلا) وصف له استعير له النقل لشدة
 وهوله من الشئ الثقيل الباهظ لحمله ونحوه ثقلت في السموات والارض (نحن خلقناهم)
 أي بما لنا من العظمة لا غيرنا (وشددنا) أي قويا (أسرهم) أي توصيل عظامهم بعضها ببعض
 وتوثيق عظامهم بالأعصاب بعد أن كانوا انطقا مشاجبا في غاية الضعف وأصل الاسر الربط
 والتوثيق ومنه أسر الرجل اذا وثق بالقد و هو الاسار وفرس مأسور الخلق (واذا اثنتا) أي
 بما لنا من العظمة أن نبذل ما نشاء من صفاتهم وأذواتهم (بدلنا أمثالهم) أي جئنا بأمثالهم
 بدلنا منهم اما بأن نملكهم ونأتي ببدلهم ممن يطيع واما بتغيير صفاتهم كما شوهد في بعض الاوقات
 من المسخ وغيره وقوله تعالى (تبدلا) تأكد قال الجلال المحلى ووقعت اذا موقع ان نحو
 ان يشأ يذهبكم لانه تعالى لم يشأ ذلك واذا ما يقع وفي ذلك رد لقول الزمخشري وحقه أن يجي
 بان لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوم غيركم ان يشأ يذهبكم (ان هذه) أي السورة
 أو الآيات القرآنية (تذكرة) أي عظة للخلق فان في تصفحها تنبيهات للغافلين وفي تدبرها
 وتذكرها فوائد جمة للطالعين السالكين ممن ألقى سمعه وأحضر قلبه وكانت نفسه مقبلة على
 ما ألقى اليه سمعه (فن شاء) أي بأن اجتهد في وصوله الى ربه (اتخذ) أي أخذ يجهد في مجاهدة
 نفسه ومغالبة هواه (الى ربه) أي المحسن اليه الذي ينبغي له أن يحبه بجميع جوارحه وقلبه
 ويجتهد في القرب منه (سيلا) أي طريقا واضحا سهلا واسعا بأفعال الطاعة التي أمر بها
 لاننا بينا الامور غاية البيان وكشفنا اللبس وأزلنا جميع موانع الفهم فلم يبق مانع من استطراد
 الطريق غير مشيبتنا (وما تشاؤون) أي في وقت من الاوقات شيئا من الاشياء وقرأ أبو عمرو
 وابن عامر وابن كثير بالياء التحتية على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب واذا وقف حزة سهل
 الهجزة مع المد والقصر وله أيضا البد الها واوامع المد والقصر (الا) وقت (أن يشاء الله) أي
 الملك الاعلى الذي له الامر كله والملك كله على حسب ما يريد ويقدر وقد صرح بهذا ما قاله الاشعري
 وسائر أهل السنة من أن للعبدة مشيئة تسمى كسبا لا تؤثر الابعشيئة الله تعالى واتنى مذهب
 القدرية الذين يقولون اننا نخلق أفعالنا ومذهب الجبرية القائلين لا فعل لنا أصلا ومنزل الملوى
 ذلك بمن يريد قطع بطيخة فقد دس كينة وهياها وأوجد فيها أسباب القطع وأزال عنها موانعه
 ثم وضعها على البطيخة فهي لا تقطع دون أن يتحامل عليها التحامل المعروف لذلك ولو وضع عليها
 ما لا يصلح للقطع كطبة مثلا لم تقطع ولو نتحامل فالبعد كالسكين خلقه الله تعالى وهياها بما أعطاه
 من القدرة للفعل فن قال أنا خلق فعل مستقلا به فهو كمن قال السكين تقطع بمجرد وضعها
 من غير تحامل ومن قال الفاعل هو الله من غير نظر الى العبد أصلا كان كمن قال هو يقطع
 البطيخة يحصل يده أو قصبة ملساء من غير سكين والذي يقول انه باشر بقدرته المهيأة لفعل

يخلق الله تعالى لها في ذلك الفعل كن قال ان السكين قطعت بالتصامل عليها به ذا أجرى الله سبحانه وتعالى عادته في الناس ولو شاء غير ذلك فعل ولا يخفى ان هذا هو الحق الذي لا مريية فيه ثم صلى ذلك باحاطته بعشيتهم بقوله تعالى (ان الله) أى المحيط علما و قدرة (كان) أى أزلا وأبدا (عليها) أى بما ليس تأهل كل أحد (حكيمًا) أى بالغ الحكمة فهو يمنع منعاً محكماً من أن يشاء غيره ما لم يأذن فيه فمن علم في جبلته خيراً أعانه عليه ومن علم منه الشر ساقه اليه وجمله عليه وهو معنى قوله تعالى (يدخل من يشاء) أى ممن علمه من أهل السعادة (في رحمة) أى بجنه وهم المؤمنون وقوله تعالى (والظالمين) أى الكافرين منصوب بفعل يفهمه قوله تعالى (أعد لهم) مثل أوعد وكافاً لطابق الجمل المعطوف عليها (عذاباً أليماً) أى مؤلماً فهم فيه خالدون أبداً لا يبدون وقول البيضاوى تبعا للزمخشري انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة هل أنى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا حديث موضوع

﴿سورة والمرسلات عرفا مكية﴾

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وبنابر وقال ابن عباس وقتادة الا آيتنها وهي قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون فغدينة

وقال ابن مسعود نزلت والمرسلات عرفا على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجحش ونحن معه نسبح حتى أومنا الى غار منى فنزلت فبينما نحن تعلقها منه وان فاه رطب بها اذ وثبت حية فوثبنا عليها لنقلها فذهبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقبتم شرها كما وقبت شركم اه والغار المذكور مشهور في منى وقد فرت به والله الحمد وعن كريب مولى ابن عباس قال قرأت سورة والمرسلات عرفا فسمعتنى أم الفضل امرأة العباس فبكت وقالت والله يا بنى لقد أذكرتني بقراءتك هذه السورة انها لا تخرمنا عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في صلاة المغرب وهي خمسون آية واحدى وثمانون كلمة وثمانمائة وستة عشر حرفا (بسم الله) الملك الحق المبين (الرحمن) المزمع على الخلق أجمعين (الرحيم) الذى خص بكرامته عباده المؤمنين (والمرسلات عرفا) أى للرياح متتابعة كعرف القوس يتلوه بعضها بعضا ونصبها على الخلق هذا ما عليه الجمهور من أنها الرياح قال تعالى وأرسلنا الرياح وقال تعالى ويرسل الرياح وروى مسروق عن عبد الله قال هي الملائكة أرسلت بالعرف من أمر الله تعالى ونبيه وأنخبر والوحى وهو قول أبى هريرة ومقاتل والكلبي وقال ابن عباس رضى الله عنهما هم الانبياء عليهم السلام أرسلوا بلا اله الا الله وقال أبو صالح هم الرسل ترسل بما يعرفون به من المعجزات وقيل المراد السحاب لما فيها من نعمة ونقمة عارفة بما أرسلت اليه وسن أرسلت اليه (فالعاصفات) أى الرياح المتسيدة (عصفا) أى عظيم بما لها من المتائج العاصفة وقيل للملائكة تشبهت لسرعتها فيها فى أمر الله تعالى بالرياح وقيل للملائكة تعصف بروح الكافر يقال تعصف بالشيء اذا أباده وأهلكه وناقة عصوف أى تعصف بركابها فتضي كأنها تروح في السرعة

وهصفت الحرب بالقوم أى ذهبت بهم وقيل يحتمل أنها آيات المهلكة كالزلازل
والطسوف (والناشر انتشاراً) أى الرياح الملبنة تنشر المطر وقال الحسن هى الرياح التى يرسلها
الله تعالى بين يدي رحته وقيل الامطار لانها تنشر النبات بمعنى يحييه وروى عن السدى
أنها الملائكة تنشر كتب الله تعالى وروى الضحاك انها الصحف تنشر على الله تعالى بأعمال
العباد * (تنبيه) * انما قال الله تعالى والناشرات بالواو لانه استئناف قسم آخر (فالفاوات
فرقا) أى الرياح تفرق السحاب وتبدده قاله مجاهد وعن ابن عباس هى الملائكة تفرق
الاقوات والاوزاق والآجال وقيل هم الرسل تفرقوا بين ما أمر الله تعالى به وما نهى عنه
أى ينوذلك وقيل آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام (فالملقيات
ذكرنا) أى الملائكة تنزل بالوحي الى الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وقيل هو جبريل عليه
السلام وحده سمى باسم الجمع تعظيماً (فان قيل) ما المناسبة على هذا بين الرياح والملائكة
في القسم (أجيب) بان الملائكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم كالرياح وقيل
المراذبه الرسل يلقون الى أهمهم ما أنزل عليهم وذكرنا مفعول به ناصبه الملقيات (عذراً ونذراً)
مصدران من عذرا اذا احمالا لاساءة ومن أنذرا اذا خوف على فعل كالكفر والشكر ويجوز
أن يكون جمع عذير بمعنى المعذور وجمع نذير بمعنى الانذار وجمعى العاذر والمنذر ونهـ بهما
اتما على البديل من ذكرنا على الوجهين الأولين أو على المفعول له واتما على الوجه الثالث فعلى
الحال بمعنى عاذرين أو منذرين وقرأ أو نذرا نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة بضم المذال
والباقون بسكونها وقوله تعالى (انما توعدون لواقع) جواب القسم ومعناه ان الذى توعدونه
من مجىء القيامة كائن لا محالة وقال الكلبي المراد ان كل ما توعدون به من الخير والشر لواقع
ثم بين وقت وقوعه فقال تعالى (فاذا النجوم) أى على كثرتها (طمست) أى محى نورها أو
ذهب نورها ومحق ذواتها وهو موافق لقوله تعالى انتثر وانكدوت قال الزمخشري ويجوز
أن يعنى نورها ثم تنتثر محوقة النور (واذا السماء) أى على عظمتها (فرجت) أى فتحت وشقت
فكانت أبواباً والفرج الشق وتطيرها اذا السماء انشقت (واذا الجبال) أى على صلابتها
(نسفت) أى ذهب بها كلها بسرعة من نسفت الشئ اذا اختطفته أو نسفت كالجبال اذا نسف
بالتنسف ونحوه وبست الجبال بسا وكانت الجبال كتيباً مهيلاً (واذا الرسل) أى الذين أنذروا
الناس ذلك اليوم فكذبوا (أقنت) قال مجاهد والزجاج المراد بهذا التأقنت تبين الوقت
الذى فيه يحضرون للشهادة على أهمهم أى جمعت ملقيات يوم معلوم وهو يوم القيامة والوقت
الاجل الذى يكون عنده الشئ المؤخر اليه فالمعنى جعل لها وقت أجل للفصل والقضاء بينهم
وبين الامم كقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقرأ أبو عمرو يوا ومضمومة والباقون بهمزة
مضمومة وهما لغتان والعرب تعاقب بين الراو والهزة كقولهم وكدت وكدت وكدت وقوله تعالى
(لاى يوم) أى عظيم متعلق بقوله تعالى (أجلت) وهذه الجملة معمولة لقول مضمراً أى يظل
لاى يوم أجلت وهذا القول المضمرة يجوز أن يكون جواباً لاذاً وأن يكون حالاً من مفعول

أقمت أي مقولاً فيها إلى يوم أجلت أي أخرت وهذا تعظيم لذلك اليوم وتجييب له وقوله تعالى
 (ليوم الفصل) بيان ليوم التأجيل وقيل اللام بمعنى إلى ذكره مكي قال ابن عباس يوم فصل
 الرحمن بين الخلائق كقوله تعالى أن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ثم أتبع هذا التعظيم تعظيماً
 آخر بقوله تعالى (وما أدراك ما يوم الفصل) أي ومن أين تعلم كنهه ولم ترمله في شدته ومهابته
 وقرأ أبو عمرو وشعبة وحزرة والكسائي وابن ذكوان بخلاف عنه بالامالة محضة وقرأ ورش
 بين وبين والباقون بالفتح ثم أتبعه تهويلاً ثالثاً بقوله تعالى (ويل يومئذ) أي اذ يكون يوم الفصل
 (للمكذبين) أي بذلك قال القرطبي ويل عذاب ونزى لمن كذب بالله تعالى وبرسله وكتبه ويوم
 الفصل وهو وعيد وكرره في هذه السورة عند كل آية كأنه قسمه بينهم على قدر تكذيبهم فان لكل
 مكذب بشئ عذاباً سوى عذاب تكذيبه بشئ آخر ورب شئ كذب به هو أعظم جرماً من تكذيبه
 لغيره لانه أقبح في تعظيمه وأعظم في الرد على الله تعالى وانما يقسم لمن الويل على قدر ذلك
 وعلى قدر وفاقه وهو قوله تعالى جزاء وفاقا وقيل كرم لمعنى تكرار التوبيخ والوعيد وروى
 عن النعمان بن بشير قال ويل واد في جهنم فيه ألوان العذاب وقاله ابن عباس وغيره وروى
 أنه عليه الصلاة والسلام قال عرضت على جهنم فلم أرفيها وادياً أعظم من الويل وروى أيضاً
 أنه جمع ما يسيل من قيح أهل النار وصددهم وانما يسيل الشئ فيما سفل من الأرض وقد علم
 العباد في الدنيا أن شر المواضع ما استنقع فيها مياه الأدناس والاقذار والفسالات والجيف
 وماء الحمامات فذكر أن الوادي مستنقع صديد أهل الكفر والشرك ليعلم العاقل انه لا شئ أقدر
 منه قذارة ولا أنثن منه تنناً * (تنبيه) * ويل مبتدأ وسقوغ الابتداء به الداء ويومئذ ظرف
 للويل وللمكذبين خبره وقال الزمخشري فان قلت كيف وقع النكرة مبتدأ قلت هو في أصله
 مصدر ومنصوب ساد مستفعله لكنه عدل به إلى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه
 للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم واعتراض بأن الذي ذكره ليس من المسوغات التي ذكرها
 النصويون وانما المسوغ كونه دعاء وفائدة العدول إلى الرفع ما ذكره (ألم نهلك) أي بما لنا من
 العظمة (الاولين) من لدن آدم عليه السلام إلى زمن محمد صلى الله عليه وسلم كقوم نوح وعاد
 وعود بتكذيبهم أي أهلكناهم (ثم تبعهم الآخرون) أي ممن كذبوا ككفار مكة فتهلكهم
 كما أهلكنا الاولين ونسلك بهم سبيلهم لانهم كذبوا مثل تكذيبهم (كذلك) أي مثل ذلك الفعل
 الشنيع (تفعل بالمجرمين) أي بكل من أجرم فيما يستقبل اماً بالسيف واما بالهلاك
 (ويل يومئذ) أي اذ يوجد ذلك الفعل (للمكذبين) أي بآيات الله وأنبيائه قال البيضاوي
 فليس تكراراً وكذا أن أطلق التكذيب وأعلق في الموضوعين بواحد لان الويل الاول بعذاب
 الآخرة وهذا الاهلاك في الدنيا مع أن التكرير للتوكيد حسن شائع في كلام العرب
 (ألم تخلقكم) أي أيها المكذبون بما لنا من العظمة التي لا تغيرها عظمة (من ما مهين) أي
 ضئيف حقير وهو المني وهذا نوع آخر من تخويف الكفار وهو من وجهين الاول انه تعالى
 ذكرهم عظيماً انعاماً عليهم وكل ما كان نعمه عليه أكثر كان جنايته في حقهم أقبح وأخفى الثاني

أنه تعالى ذكرهم أنه قادر على الابتداء والقادر على الانتهاء قادر على الاعادة فكما أنكرنا هذه
 الدلالة الظاهرة لاجرم قال تعالى في حقهم ويل يومئذ للمكذبين وهذه الآية تطبق قوله تعالى
 ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وقرأ كل القراء بادغام القاف في الكاف وابقاء الصفة
 ولهم أيضا ادغام الصفة مع الحذف (فجعلناه) أي بما لنا من القدرة والعظمة بالانزال للماء
 في الرحم (في قرار) أي مكان (ممكن) أي حريز وهو الرحم (إلى قدر معلوم) أي وهو وقت
 الولادة كقوله تعالى إن الله عنده علم الساعة إلى قوله ويعلم ما في الأرحام (فقد رنا) أي ذلك
 دون غيرنا (فتم القادرون) نحن وقرأ نافع والكسائي بتشديد الدال فيصح على هذه القراءة
 أن يكون المعنى فقد رنا والباقون بالتخفيف وقال على كرم الله وجهه ولا يبعد أن يكون
 المعنى في التخفيف والتشديد واحد الآن العرب تقول قدر وقد ر عليه الموت (ويل يومئذ) أي
 إذ كان ذلك (للمكذبين) أي بقدرتنا على ذلك أو على الاعادة وقوله تعالى (ألم يجعل) أي نصير
 بملئنا بما لنا من العظمة (الأرض كفاتا) مصدر كفت بمعنى ضم وعاء ضلقة (أحياء) أي على
 ظهرها في الدور وغيرها (وأموانا) أي في بطنها في القبور وغيرها وقيل الأحياء والأوات ترجع
 إلى الأرض أي الأرض منقسمة إلى حي وهو الذي ينبت وإلى ميت وهو الذي لا ينبت وقيل
 كفاتا جمع كفت كصيام وقيام جمع صائم وقائم وقال الخليل تقلب الشيء ظهر البطن
 أو بطن الظهر ويقال انكفت القوم إلى منازلهم أي انقلبوا فعني الكفات أنهم يتصرفون على
 ظهرها وينقلبون إليها فيدفعون فيها (وجعلنا) أي بما لنا من القدرة التامة (فيها) أي الأرض
 (رواسي) أي جبال الولا هلملادت بأهلها ومن العجايب مراسيها من فوقها خلافا لمراسي
 السفن (شامخات) أي مرتفعت جمع شاخ وهو المرتفع جدا ومنه شمع بأنفه إذا تكبر جعل
 كتابه من ذلك كثنى العطف وصعرا لشد كما قال لقمان لابنه ولا تصغر خلقك للناس
 (وأسقيناهم) أي بما لنا من العظمة (ماء) أي من الأنهار والعيون والقدرة والآبار وغير ذلك
 (قرانا) أي عذابا تشربون منه ودوابكم وتسقون منه زرعكم وهذه الأمور أجيب من البعث
 روى في الأرض من الجنة سيجان وجحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة (ويل
 يومئذ) أي إذ تقوم الساعة (للمكذبين) أي بأمثال هذه النعم وقوله تعالى (انطلقوا) على
 إرادة القول أي يقال للمكذبين يوم القيامة انطلقوا (إلى ما كنتم به تكذبون) من العذاب
 يعني النار فقد شاهدتموها عيانا (انطلقوا إلى ظل) أي ظل دخان جهنم لقوله تعالى وظل من
 يحمرهم (ذي ثلاث شعب) أي تشعب لعظمه كما يرى الدخان العظيم يتفرق ذوايب وقيل
 يخرج لسان من النار فيصيط بالكفار كالسرادق وتشعب من دخانها ثلاث شعب قتلهم حتى
 يفرغ حسابهم والمؤمنون في ظل العرش وقيل إن الشعب الثلاث هي الضريع والزقوم
 والغسلين لأنها أوصاف النار وقوله تعالى (لا ظليل) أي كئيب يظلمهم من حر ذلك اليوم تهكم
 بهم ورد لما يوههم لفظ الظل (ولا يغني) أي ولا يرد عنهم شيئا (من الهم) أي لهب النار فليس
 كالظل الذي يقي حر الشمس وهذا تهكم بهم وتعريض بأن ظلمهم غير ظل المؤمنين واللهب ما يعلو

على النار اذا اضطربت من أحر وأصف وأخضر (أنها) أي النار (ترى) أي من شدة الاشتعال (بشر) وهو ما نظاير من النار (كالقصر) أي كل شريرة كك القصر من البناء في عظمه وارتفاعه قال ابن مسعود يه في الحصون وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ترى بشر كالقصر قيل هي الخشب العظيم المقطعة قال وكانعمد إلى الخشب فثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه تذخرها لا تستام فكانسمها القصر وقال سعيد بن جبيرة الفصل الذي أصول النخل والشجر العظام واحدها قصر مثل جرة وجر وقوله تعالى (كأنه) أي الشر (بجالات) قرأه حمزة والكسائي وحفص بغير ألف بعد اللام على التوحيد والباقيون بالالف على الجمع جمع جملة وهي التي قرأها أولاهي جمع جل مثل حجارة وحجر وقوله تعالى (صفر) جمع أصفر أي في هيئتها ولونها وفي الحديث شرار النار أصفر كالقبر والعرب تسمى سود الأبل صفرا لشوب دواها بصفرة فصيل صفر في الآية بمعنى سود لما ذكرنا في شعر عمران بن حطان الخارجي دعتهم بأعلى صوته وأمرتهم * بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

قال الترمذي وهذا القول ضعيف ومحال في اللغة أن يكون من يشوبه شيء قليل فينسب كله إلى ذلك الثابت فالعجب من قد قال هذا وقد قال الله تعالى بجالات صفر فلا نسلم من هذا شيء في اللغة وقيل شبه الشرر بالجالات لسرعة سيرها وقيل لمتابعة بعضها بعضا (ويل يومئذ) أي اذ يكون ذلك (للكاذبين) أي بهذه الامور العظام (هذا) أي يوم القيامة (يوم لا ينطقون) أي بشيء من فرط الدهشة والحيرة وهذا نوع آخر من أنواع تخويف الكفار بين أنه ليس لهم عذر ولا حجة فيما أتوا به من القبائح وهذا في بعض المواقف فان يوم القيامة يوم طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت ولذلك ورد الأمران في القرآن الكريم ففي بعضها يتكلمون ويتكلمون وفي بعضها ينختم على أفواههم فلا ينطقون وروى عكرمة أن ابن عباس رضي الله تعالى عنه - ما سأله ابن الأزرقي عن قوله تعالى - هذا يوم لا ينطقون ولا تسمع الألهما وأقبل بعضهم على بعض يتسألون فقال إن الله تعالى يقول وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون فان لكل مقدار من هذه الأيام ولوان من هذه الألوان وقال الحسن فيه أحصا رأى هذا يوم لا ينطقون فيه بحجة نافعة فجعل نطقهم كالألوان لا ينطقون ولا يسمع ومن نطق بما لا ينفع فكأنه ما نطق كما يقال لمن تكلم بكلام لا يفيد ما قلت شيئا وقيل إن هذا وقت جوابهم أخسوافها ولا تكلمون (ولا يؤذن لهم) أي في العذر وقوله تعالى (فيعتذرون) عطف على يؤذن من غير ترتيب عنه فهو داخل في حيز النفي أي لا إذن فلا اعتذار (ويل يومئذ) أي اذ كان هذا الموقف (للكاذبين) أي الذين لا تقبل منهم معذرة (هذا يوم الفصل) وهذا نوع آخر من أنواع تهديد الكفار وتخويفهم أي يقال لهم هذا اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق فبين الحق من المبطل (جمعناكم) أيها المكذبون من هذه الأمة بما لنا من العظمة (والأولين) من المكذبين قبلكم فتمتاسبون وتعذبون جميعا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما جمع الذين كذبوا محمد صلى الله عليه وسلم والذين كذبوا النبيين من قبل وقوله تعالى (فان كان لكم

كيد) أي حيلة في دفع العذاب عنكم (فكيدون) أي فاحذروا لا تنسكم وقاوتون وإن
 تجدوا ذلك تقويع لهم على كيدهم لدين الله تعالى وذويه وتسجيل عليهم بالجذب وقيل إن ذلك
 من قول النبي صلى الله عليه وسلم فيكون كقول هو عليه السلام فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون
 (ويل يومئذ) أي اذ يقال لهم هذا الكلام فيكون زيادة في عذابهم (للمكذبين) أي الراسخين
 في التكذيب في ذلك ثم ذكر ضد المكذبين بقوله تعالى (إن المتقين) أي الذين اتقوا الشرك
 لأنهم في مقابلة المكذبين (في ظلال) أي تكاثف أشجاراً لا شمس يظل من حرها (وعيون)
 أي من ماء وعسل وابن وخر كما قال تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه
 وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وقرأ نافع وأبو عمرو وهشام وحصل بضم
 العين والباء قون بكسرهما (وفوا) كما عابشتون في هذا اعلام بأن الماء كل والمشرية في الجنة
 بحسب شهواتهم بخلاف الدنيا فيسب ما يجد الناس في الاغلب وقوله تعالى (كلوا واشربوا)
 في موضع الحال من ضمير المتقين في الطرف الذي هو في ظلال أي هم مستقرون في ظلال مقولاً
 لهم ذلك وقوله تعالى (هنيئاً) حال أي متهنئين (بما) أي بسبب ما (كنتم تعملون) من طاعات
 الله تعالى (إنا) أي بما لنا من العظمة (كذلك) أي كما جزينا المتقين هذا الجزاء العظيم (مجزى
 المحسنين) أي ثيب الذين أحسنوا في تصديقهم بحمد صلى الله عليه وسلم وأعمالهم في الدنيا
 (ويل يومئذ) أي اذ يكون هذا النعيم للمتقين المحسنين (للمكذبين) أي يحض لهم العذاب المخلد
 ضد النعيم المؤبد وقوله تعالى (كلوا وامتعوا) خطاب للكفار في الدنيا (قليلاً) أي من الزمان
 وغايته إلى الموت وهو زمان قليل لأنه زائل مع قصر مدته في زمن الآخرة وفي هذا تهديد لهم
 ويجوز أن يكون ذلك خطاباً لهم في الآخرة أي أنا بأنهم كانوا في الدنيا أحقاً بأن يقال لهم وكانوا
 من أهل تذكيراً بحالهم السمجة بما جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع القليل على النعيم والمثلث
 الخالد وهذا مجرى عليه الرحمنى أولاً وذكر الأول ثانياً واقتصر الجلال المحلى على ما ذكرته
 أولاً وهو أولى قال بعض العلماء التمتع بالدنيا من أفعال الكافرين والسعي لها من أفعال
 الظالمين والاطمئنان إليها من أفعال الكاذبين والسكون فيها على حدا الأذن والاخذ منها على
 قدر الحاجة من أفعال عوام المؤمنين والأعراض عنها من أفعال الزاهدين وأهل الحقيقة
 أجل خطراً من أن يؤثر فيهم حب الدنيا وبغضها وجمعها وتركها ثم علل ذلك مؤكداً بقوله
 تعالى لأنهم ينكرون وصفهم بذلك (أنكم مجرمون) ففيه دلالة على أن كل مجرم يتمتع أياماً قلائل
 ثم البقاء في الهلاك أبداً (ويل يومئذ) أي اذ تعذبون بأجر امكم (للمكذبين) حيث عذبوا
 أنفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل (واذا قيل لهم) أي لهؤلاء المجرمين من أي قائل كان
 (اركعوا) أي صلوا الصلاة التي فيها الركوع كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما وأطلقوه عليها
 تسمية لها باسم جزئها وخص هذا الجزء لأنه يقال على الخضوع والطاعة ولأنه خاص بصلاة
 المسلمين (لا يركعون) أي لا يصلون قال الرازي وهذا ظاهر لأن الركوع من أركانها فيبين تعالى
 أن هؤلاء الكفار من صفهم أنهم اذا دعوا إلى الصلاة لا يصلون ويجوز أن يكون اركعوا بمعنى

اخشعوا وواضعوا لله يقبول وحيه واتباع دينه واطرخوا هذا الاستكبار لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم وأن يكون بمعنى اركعوا في الصلاة اذ روى أنها نزلت في ثقف حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فقالوا لا نخبي فانها مسبة علينا فقال صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود قال في القاموس جبي تجبية وضع يديه على ركبتيه أو على الأرض أو انكسب على وجهه والتجبية أن تقوم قيام الزاكن واستدل بهذه الآية على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وأنهم حال كفرهم يستحقون الذم والعقاب بترك الصلاة لأن الله تعالى ذمهم حال كفرهم وعلى أن الأمر للوجوب لأن الله تعالى ذمهم بمجرد ترك الأمور به وهو يدل على أن الأمر للوجوب (فان قيل) انما ذمهم لكفرهم (أجيب) بأنه تعالى ذمهم على كفرهم من وجوه الألة تعالى انما ذمهم في هذه الآية لتركهم الأمور به وقرأ هشام والكسائي بضم القاف والياقون بكسرها (ويل يومئذ) أي اذ يكون الفصل (للمكذبين) أي بما أمروا به قال الرازي انه تعالى لما بالغ في زجر الكفار من أول هذه السورة الى آخرها بهذه الوجوه العشرة المذكورة وحث على التمسك بالنظر والاستدلال والانقياد للدين الحق ختم السورة بالتعجب من الكفار وبين أنهم اذا لم يؤمنوا به هذه الدلائل القطعية مع تجليها ووضوحها (فبأي حديث بعده) أي القرآن (يؤمنون) أي لا يمكن ايمانهم بغيره من كتب الله تعالى بعد تكذيبهم به لاشتماله على الامحاز الذي لم يشتمل عليه غيره واستدل بعض المعتزلة بهذه الآية على أن القرآن حادث لأن الله تعالى وصفه بأنه حديث والحديث ضد القديم والضدان لا يجتمعان فاذا كان حديثا وجب أن لا يكون قديما وأجيب بأن المراد منه هذه الالتفات ولا نزاع في أنها محدثة وقول البيضاوي تعالى لا تخشعون ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والمرسلات كتب الله تعالى له أنه ليس من المشركين حديث موضوع

﴿سورة عم يسألون﴾

وتسمى سورة التباكية وهي أربعون أو إحدى وأربعون آية ومائة وثلاثة وسبعون كلمة وسبع مائة وسبعون حرفا

(بسم الله) الذي له الملك كله (الرحمن) الذي عم الوجود بفضل (الرحيم) الذي تحضت أولياؤه جنه وقوله تعالى (عم) أصله عن ما على أنه حرف جرد دخل على ما الاستفهامية وأدغمت النون في الميم وحذفت ألف ما كقوله فيم واستعمال الأصل قليل ومنه قول حسان

على ما قام يشتقي لثيم * كخزير يترغ في رماد

ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن كأنه قال عن أي شيء (يسألون) وهو قولك زيد ما زيد جعلته لا تقطاع قرينه وعدم تطيره كأنه شيء خفي عليك فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء تريد أي شيء هو من الأشياء هذا أصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا يخفى عليه خافية ولذا لما وقف البري أخلق الميم هاء السكت بخلاف عنه والضمير في يسألون لأهل مكة كانوا يسألون عن البعث فيعلمونهم وذلك أن النبي

صلى الله عليه وسلم لما دعاهم الى التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا
 يتساءلون بينهم فيقولون ماذا جاء به محمد ويسألون الرسول والمؤمنين عنه استهزاء وقيل الضمير
 للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا جميعا يتساءلون عنه أما المسلم فليرزاد خشية واستعدادا وأما
 الكافر فليرزاد استهزاء ثم ذكر أن تساءلهم عما إذا قال تعالى (عن النبا العظيم) قال مجاهد
 والا كثرون هو القرآن دليله قوله تعالى قل هو نبأ عظيم وقال قتادة هو البعث (فان قيل) اذا
 كان الضمير يرجع للكافر فكيف يكون قوله تعالى (الذي هم) أى بضمايرهم مع ادعائهم أنها
 أقوى الضمائر (فيه مختلفون) مع أن الكفار كانوا متفقين على انكار البعث (أجيب) بأن الانسليم
 اتفاقهم على ذلك بل كان فيهم من ثبت المعاد الروحاني وهم جمهور النصارى وأما المعاد
 الجسماني فتم من قطع القول بانكاره ومنهم من يشك وأما اذا كان المتساءل عنه القرآن
 فقد اختلفوا فيه كثيرا وقيل المتساءل عنه نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (كلا) ردع
 للمتسائلين هزوا (سيعلمون) ما يحل بهم على انكارهم له وقوله تعالى (ثم كلا سيعلمون) تأكيد
 ورجوع فيه بتم الايدان بان الوعيد الثاني أشد من الاول وقال الضمير الاول للكفار والثانية
 للمؤمنين أى سيعلم الكافرون عاقبة تكذيبهم وسيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم ثم أومأ تعالى
 الى القدرة على البعث بقوله تعالى (ألم نجعل) أى بما لنا من العظمة (الارض مهادا) أى فراشا
 كالهد للصبي وهو ما عهد له فينوم عليه تسمية للمهود بالمصدر كضرب الامير (والجبال) أى
 التى تعرفون شدتها وعظمتها (أو تادأ) أى تثبت بها الارض كما تثبت الخيام بالأتاد والاستفهام
 للتقرير فيستدل بذلك على قدرته على جميع الممكنات واذا ثبت ذلك ثبت القول بعظمة البعث وانه
 قادر على تخريب الدنيا بسماواتها وكواكبها وأرضها وعلى ايجاد عالم الآخرة (تنبيه) مهادا
 مفعول ثان لان الجعل بمعنى التصيير ويجوز أن يكون بمعنى الخلق فتكون حلا مقدرة
 (وخلقناكم) أى بما دل على ذلك من مظاهر العظمة (أزواجا) أى أصنافا ذكورا وإناثا وقيل
 ألوانا (وجعلنا) أى بما لنا من العظمة (نومكم سباتا) أى راحة لا يدانكم قال الزجاج السبات أن
 ينقطع عن الحركة والروح فيه وقيل معناه جعلنا نومكم قطعاً لا عمالكم وقيل المسبوت الميت
 من السبات وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة والنوم أحد التوفيتين وقوله تعالى (وجعلنا)
 أى بما لنا من العظمة (الليل) أى بعد ذهاب الضياء حتى كأنه لم يكن (لباسا) فيه استعارة أى
 يستركم عن العيون بظلمته كما اذا أردتم هربا من عدواً وبياتاه أو اخفاء ما لا تحبون الاطلاع
 عليه من كثير من الامور قال الشاعر

وكم لظلام الليل عندي من يد • تخبر أن المناوية تكذب

ولما جعل النوم مونا جعل البقطة معاشا فقال تعالى (وجعلنا) أى بما لنا من القدرة التامة
 (النهار) أى الذى آتته الشمس (معاشا) أى حياة تبغنون فيه عن نومكم أو وقت معاش
 تقبلون فيه في حوائجكم ومكاسبكم لتحصيل ما تعيشون به فمعاشا على هذا اسم زمان (وبيننا)
 بما لنا من الملك التام (فوقكم سبعا) أى سبع سموات وقوله تعالى (شدادا) جمع شديدة أى قوية

محكمة لا يؤثر فيها مرور الزمان لا فطور فيها ولا فروج وقطيره قوله تعالى وجعلنا السحاب سقفا محفوظا (وجعلنا) أي جعلنا من العظمة مما لا يقدر عليه غيرنا (سراجا) أي منيرا مثلنا (وهاجا) أي وقادا وهي الشمس (وأنزلنا) أي جعلنا من كمال الاوصاف (من المعصرات) أي السحاب اذا عصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح فقطر كقولك أجز الزرع أي حان أن يجز وأعصرت الجارية اذا دنت أن تحيض وعن الحسن وقتادة هي السموات وتأويله ان الماء ينزل من السماء الى السحاب فكان السموات عصرن وقيل من الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وقيل من الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبدأ للانزال لانها تنشق السحاب وتدرأ أخلافه (ماء نجابا) أي منصبا بكثرة يقال نجبه ونج بنفسه وفي الحديث أفضل الحج العج والنج أي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهم من نجاب يسيل غربا يعني يشج الكلام نجبا في خطبته (لتخرج) أي بعظم تسا التي ربطنا بها المسببات بالاسباب (به) أي بذلك الماء (حبا) أي نجما اذا حب مما يتقوت به كالخطة والشعر والارز (ونباتا) أي ما يعترف به كالتين والخشيش كما قال تعالى كلاوا وارعوا أنعامكم والحبذ والعصف والريحان (وجنات) أي بساتين تجمع أنواع الاشجار والنبات المقتات وغيره (ألفافا) أي لينة بالشجر جمع لفيف كشریف وأشراف وقيل هو جمع الجمع يقال جنة لفاء وجمعها لف بضم اللام وجمع الجمع ألفاف وقيل لا واحده كالأوزاع والابخاف وقيل الواحد لف قال صاحب الاقليد أنشدني الحسن بن علي الطوسي

جنة لف وعيش مفدق * ونداي كلهم - م - يرض زهر

وقال الزمخشري ولو قيل هو جمع مائقة بتقدير حذف الزوائد لكان قولنا وجبها (ان يوم الفصل) أي بين الخلائق (كان) أي في علم الله تعالى وفي حكمه كوننا لا بد منه (مبقاتا) أي وقتا للثواب والعقاب أو وقتا توقت به الدنيا وتنتهي عنده مع ما فيها من الخلائق وقوله تعالى (يوم ينفخ في الصور) أي القرن بدل من يوم الفصل أو بيان له والنافخ اسرافيل عليه السلام أو من أذن الله تعالى له في ذلك (قتلون) أي بعد القيام من القبور الى الموقف (أفواجا) أي جماعات مختلفة وعن معاذ أنه سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ سألت عن أمر عظيم من الأمور ثم أرسل عينيه باسكبا وقال تحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسرون أرجلهم قوف وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صمابكا وبعضهم يعضفون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذروهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد تناما من الجيف وبعضهم ملبسون جببا باسايغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسر هؤلاء بقوله فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس يعني النيام وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكبون على وجوههم فأكلة الربا وأما الملعني فالذين يجورون في الحكم وأما الصم البكم فالمجهلون بأعمالهم وأما الذين

يصفون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم فعلهم وأما الذين قطعت أيديهم
 وأرجلهم فهم الذين يؤذون الجيران وأما المصلوبون على جذوع من نار فالساعاتي الناس إلى
 السلطان وأما الذين أشد تناسل الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ويعتدون حق الله
 تعالى في أموالهم وأما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفتور والخيلاء **اه** وقد تكلم
 في صحة هذا الحديث نعوذ بالله تعالى من هؤلاء ونسأله التوفيق لسؤالنا جابنا فانه كريم جواد
 لا يرد من سأل (وقفت السماء) أي شققت لنزول الملائكة (فكانت أبوابا) فان قيل هذه الآية
 تقتضي ان السماء يجملتها تصير أبوابا أجيب بوجوه أولها ان تلك الابواب لما كثرت صارت
 كأنها ليست إلا أبوابا مقصدة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا كانت كلها عيون تتغير ثانیها
 أنه على حذف ضاف أي فكانت ذات أبواب ثلاثها أن الضمير في قوله تعالى فكانت أبوابا يعود
 إلى مضمروا التقدير فكانت تلك المواضع المفتوحة أبوابا وقيل الابواب الطرق والمسالك أي
 تكشطا فينتفع مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء وقرأ عاصم وحزرة والكسائي بضم صاف التاء
 بعد الفاء والباقون بتشديد ها (وسيرت الجبال) أي ذهب بها عن أماكنها (فكانت سرايا)
 أي لاشئ كما ان السرايا كذلك يظنه الرازي ما واپس بماء قال الرازي ان الله تعالى ذكر احوال
 الجبال بوجوه مختلفة ويمكن الجمع بينها بان نقول أول احوالها الاندكالك وهو قوله تعالى وجلت
 الارض والجبال فدكا دكة واحدة والحالة الثانية أن تصير كالعن المنفوش وهو قوله تعالى
 وتكون الجبال كالعن المنفوش والحالة الثالثة أن تصير كالهباء وهو قوله تعالى وبست
 الجبال بساف فكانت هباء منبثا الحالة الرابعة أن تشق لأنهم مع الاحوال المتقدمة قارة
 في مواضعها فتسرل عليها الرياح فتنتفخها عن وجه الارض فتطيرها في الهواء وهو قوله تعالى
 ويستلونها عن الجبال فتقلبها ريحا نسفا الحالة الخامسة ان تصير سرايا أي لاشئ كما يرى
 السرايا من بعد وقرأ أبو عمرو وحزرة والكسائي بادغام تاء التانيث في السين والباقون
 بالانظهار (ان جهنم) أي النار التي تلقى أصحابها متجهة لهم بغاية ما يكرهون (كانت مرصدا)
 أي ترصد الكفار وموضع رصد رصده خزنة النار الكفار أو خزنة الجنة المؤمنين ليصروهم
 من فيجها في مرورهم عليها وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما ان على جسر جهنم
 سبع محابس يستل العبد عند أولها عن شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فان جاء
 بها تامة جاز إلى الثاني فيستل عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز إلى الثالث فيستل عن الزكاة
 فان جاء بها تامة جاز إلى الرابع فيستل عن الصوم فان جاء به تاما جاز إلى الخامس فيستل عن
 الحج فان جاء به تاما جاز إلى السادس فيستل عن العمرة فان جاء بها تامة جاز إلى السابع فيستل
 عن المظالم فان خرج منها والافيقال انظروا ان كن له تطوع أكملوا أعماله فاذا فرغ انطلق به
 إلى الجنة وأما الكافر فهو مستمر فيها كما قال تعالى (لطاغين) أي الكافرين (مأبأ) أي مرجعا
 يرجعون اليه وقرأ حزة (لابئين فيها) بغير ألف بين اللام والباء الموحدة والباقون بألف
 وهم اللذان والاولى أبلغ قاله البضاوي وقوله تعالى (أعقابا) جمع عقب والعقب الواحد

ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة روى ذلك عن علي بن
 أبي طالب رضي الله عنه وقال مجاهد الاحقاب ثلاثة وأربعون حقا وقال الحسن ان الله
 تعالى لم يجعل لأهل النار مدة بل قال لا بين فيها أحقابا فوالله ما هو إلا أنه اذا مضى حقب دخل
 آخر الى الأبد فليس للاحقاب عتة الا الخلود روى عن عبد الله انه قال لو علم أهل النار أنهم
 يلبثون في النار عدد حصي الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون في الجنة عدد حصي
 الدنيا لحزنوا وقال مقاتل بن حبان الحقب الواحد سبعة عشر ألف سنة قال وهذه الآية
 منسوخة نسختها فلن تزيدكم الا عذابا يعني ان العذاب قد ارتفع والخلود قد دخل وعلى تقدير عدم
 النسخ فهو من قبيل المفهوم فلا يعارض المتطوق الدال على خلود الكفار ويجوز أن يراد
 لا بين فيها أحقابا (لا يذوقون) أي غير ذاتيين (فيها) أي النار (بردا ولا شرابا الا سقاها)
 ثم يذوقون بعد الاحقاب غير الحميم والفساق من جنس آخر من العذاب ويجوز أن يكون جمع
 حقب من حقب عامضا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا أخطأ الرزق فهو حقب وجمعه
 أحقاب فيقتصب حالاً عنهم يعني لا بين فيها حقيقين جهدين وقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا
 ولا شرابا تفسيره والاستثناء منقطع يعني لا يذوقون فيها بردا قال عطاء والحسن أي راحة
 وروحاً أي ينقص عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها سحماً أي ماء
 حاراً غاية الحرارة وغساقاً وهو ما يسيل من صديد أهل النار فانهم يذوقونه وروى عن ابن
 عباس رضي الله تعالى عنهما ان البرد النوم ومثله قال الكسائي وأبو عبيدة تقول العرب يمنع
 البرد البرد أي أذهب البرد النوم قال الشاعر

فلو شئت حرمت النساء سواكم * وان شئت لم أطمع نقاخا ولا بردا

وقرأ حمزة والكسائي وجعفر بتشديد السين والباقون بخفيفتها وعن ابن عباس رضي الله
 تعالى عنهما الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده جوزوا بذلك (جزاء وفاقا) أي موافقا لعملهم قال
 مقاتل وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الكفر ولا عذاب أعظم من النار وقوله تعالى
 (أنهم كانوا لا يرجون حساباً) بيان لما وافقه هذا الجزاء أي لا يخافون أن يحاسبوا والمعنى أنهم
 كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا أنهم يحاسبون (وكذبوا باياتنا) أي بما جاءت به الانبياء عليهم السلام
 وقبل القرآن وقرأ (كذابا) غير الكسائي بالتشديد أي تكذبا قال القراء وهي لغة يمانية
 فصحة يقولون في مصدر التفعيل فعال وقال الزمخشري وفعال في باب فعل كنه فاش في كلام
 فصحاء من العرب لا يقولون غيره وسعني بعضهم أفسر آية فقال لقد فسرتم افساراً ما سمع بمثله
 وقرأ الكسائي بالتخفيف مصدر كذب يدل على قول الشاعر

فصدقتها وكذبتها * والمرأى ينفعه كذابه

قال الزمخشري وهو مثل قوله أنبتكم من الأرض نباتا يعني وكذبوا باياتنا فتكذبوا كذابا
 أو تنصبه بكذبوا لأنه يتضمن معنى كذبوا لأنه كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعنى المكاذبة
 لعماء وكذبوا باياتنا فتكذبوا مكاذبة أو كذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين

وكان المنكرون عنهم كاذبين فيبينهم مكاذبة أولانهم يتكلمون بما هو افراط في التكذيب فقل
 من يغالب في أمر فبلغ فيه أقصى جهله (وكل شيء) أي من الأعمال وغيرها (أحسيناه) أي
 طيبناه وقوله تعالى (كتاباً) فيه وجهان أحدهما أنه مصدر في موضع إحصاء والآخر
 والتكذيب فشاو كان في معنى الضبط فأنهم ما أن يصحكون حالاً يعني مكتوباً في اللوح المحفوظ
 كقوله تعالى وكل شيء أحصيناه في كتاب مبين وقيل أراد ما كتبه الملائكة الموكلون بالعباد
 يا أيها الله تعالى أياهم بالكتابة لقوله تعالى وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين والجملة اعتراض
 وقوله تعالى (فذوقوا فلن نزيدكم) أي شيئاً من الأشياء في وقت من الاوقات (الاعذاباً)
 تسبب من كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات قال الرازي وفي هذه الآية تسبب الغلات
 منها لن لكيد ومنها الانتقام ومنها إعادة قوله تعالى فذوقوا بعد ذكر العذاب طالع أبو بردة
 سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن أشد آية في القرآن فقال صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فذوقوا
 فلن نزيدكم إلا عذاباً أي كل أنجيبت جلودهم بدلناهم بجلود أخرى بالبدن وقوله العذاب
 وكل ما خبت زدناهم سعيراً ولما ذكر تعالى ما للكافرين أتبعه بذكر المؤمنين فقال تعالى (إن
 للمتقين مغازاة) أي مكان فوز في الجنة وقوله تعالى (حدائق) أي باتين فيها أنواع الاشجار
 المثمرة بدل من عذابا بدل الاعمال أو البعض أو بيان له وقوله تعالى (وأغنياً) أي كروماً عطف
 على مغازاة (وسكواً) أي بخوارى تكعب تدبير جمع كعب (أزباً) أي على سنن
 واحد جمع ترب بكسر التاء وسكون الراء وقيل الاتراب اللذات (وكأسداً طافاً) أي خرافاً طاف
 محالها في القتال وأنهار من خر والدهاق المترعة ودهق الحوض ملاء حتى قال قطبي وقال
 ابن عباس مترعة علوأة وقال عكرمة صافية (لا يسمعون فيها) أي الجنة في وقت ما عند شرب
 الخمر وغيره من الأحوال (لقوا) أي لقطاب يستحق أن يلقي بأن يكون ليس له معنى وقوله تعالى
 (ولا تكذبوا) قرأه بالتحفيف الكسائي وبالشد البدائي أي تكذبوا من واحد لغيره
 بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر (جزاء من ربك) أي الحسن اليك بما أعطاك جزاءهم بذلك
 جزاء وقوله تعالى (عطاء) بدل من جزاء وهو اسم مصدر وجعله الرخشي منصوصاً بجزاءه نصب
 المفعول به وردّه أبو حيان بأنه جعل جزاء مصدر مؤكد المضمون بالجملة التي هي أن للمتقين قال
 والمصدر المؤكد لا يفعل لأنه لا ينحل طرف مصدرى والفعل ولا تعلم في ذلك خلافاً (حساباً) أي
 كافياً وإذ يقال أحسبت فلاناً أي أعطيت ما يكفيه حتى قال حسيبي وقال ابن قتيبة أي عطاء
 كثير أو قيل جزاء بقدر أعمالهم وقرأ أنافع وابن كثير وأبو عمرو (رب السموات والأرض وما
 بينهما الرحمن) برفع لب والرحمن وابن عامر وعاصم بخفضهما والآخران بخفض الأول ورفع
 الثاني أما لفظه فحاشا أن أوجه أحدها أن يكون رب خير مبتدأ مضمراً أي هو رب الرحمن كذلك أو
 مبتدأ خبر لا يليك كون فأنها أن يجعل رباً مبتدأ والرحمن خبره ولا يليك كون خبراً ثانياً أو مستأنفاً
 ثالثاً أن يكون رتبة مبتدأ والرحمن خبره ولا يليك كون خبره ولا يليك كون خبراً ثالثاً أو مستأنفاً
 والرحمن مبتدأ ثامن ولا يليك كون خبره ولا يليك كون خبره ولا يليك كون خبره ولا يليك كون خبره

ذى الانحسار ويجوز أن يكون لا يملك كون حالاً وتكون لازمة وأما جزهما فعلى البيان والنعت
 أو يجعل رب السموات تابعاً للأول والرحمن تابعاً للثاني وأما جز الأول فعلى التبعية للأول ورفع
 الثاني فعلى الابتداء والخبر الجملة الفعلية وهى لا يملك كون أى الخلق (منه) أى من الله تعالى
 (خطاباً) والضمير فى لا يملك كون لأهل السموات والأرض أى ليس فى أيديهم ما يخاطب به الله
 ويأمر به فى أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملائكة فيزيدون فيه
 أو ينقصون منه أو لا يملك كون أن يخاطبوا بشئ من نقص العذاب أو زيادة فى الثواب إلا أن يهب
 لهم ذلك ويأذن لهم فيه وقوله تعالى (يوم) متعلق بلا يملك كون أو لا يتكلمون (يقوم الروح
 والملائكة) وقوله تعالى (صفاً) حال أى مصطفين والروح أعظم خلقاً من الملائكة وأشرف منهم
 وأقرب من رب العالمين وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو ملك عظيم ما خلق الله تعالى بعد
 العرش خلقاً أعظم منه فإذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفاً وقامت الملائكة كلهم صفاً
 واحداً فيكون عظم خلقه مثلهم وقال الشعبي هو جبريل عليه السلام وقيل ملك موكل على
 الأرواح وعن ابن عباس رضى الله عنه قال الروح ملك أعظم من السموات ومن الجبال ومن
 الملائكة وهو فى السماء الرابعة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة يخلق من كل تسبيحة ملك
 يحى يوم القيامة صفاً وحده وقال مجاهد وقتادة رضى الله عنهم الروح خلق على صورة بنى آدم
 وليسوا بناس يقومون صفاً والملائكة صفاً هؤلاء جند وهؤلاء جند وروى مجاهد عن ابن عباس
 رضى الله عنهما قال خلق على صورة بنى آدم وما ينزل من السماء ملك إلا معه واحد منهم وقال
 الحسن رضى الله عنه هو بنو آدم ورواه قتادة عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال هذا ما كان
 يكتمه ابن عباس وقيل هو جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة لهم رؤس وأيد وأرجل
 يأكلون الطعام وقيل أرواح بنى آدم وقال زيد بن أسلم هو القرآن وقرأ وكذلك أوحينا إليك روحاً
 من أمرنا وإذا كان هؤلاء (لا يتكلمون) وهم من أفضل الخلق وأشرفهم وأكثرهم طاعة وأقربهم
 منه تعالى لا يملك كون التكلم فإظنك من عداهم من أهل السموات والأرض ويجوز رجوع
 الضمير للخلق أجمعين (الامن أذن له) أى فى الكلام إذا خاصاً (الرحمن) أى الملك الذى لا تكون
 النعمة الامنه (وقال) قولاً (صواباً) فى الدنيا أى حقا من المؤمنين والملائكة وهما شريطان
 أن يكون المتكلم مأذوناً له فى الكلام وأن يتكلم بالصواب فلا يشفع لغيره رضى لقوله تعالى
 ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وقيل القول الصواب لا اله الا الله (ذلك) أى المشار إليه بعد مكاتبه
 وعظم رتبته وعلو منزلته (اليوم الحق) أى الكائن لا محالة وهو يوم القيامة (فمن شاء اتخذ إلى
 ربه) أى المحسن إليه (مآباً) أى مرجعاً وسبيلاً لطاعته ليسلم من العذاب فى ذلك اليوم فإن الله
 تعالى جعل لهم قوة واختياراً ولكن لا يقدر أحد منهم على مشيئة شئ الا بمشيئة الله تعالى (أنا) أى
 على ما لنا من العظمة (أندوناكم) أى يا كفار مكة (عذاباً قريباً) أى عذاب يوم القيامة الا فى
 وكل أنت قريب وقوله تعالى (يوم) ظرف لعذاباً بصفتة (ينظر المرء) أى كل امرء سواء كان
 مؤمناً أو كافراً انظر الامر بنفسه (ما) أى الذى (قد مت يداً) أى كسبه فى الدنيا من خير وشر

وقال الحسن رضي الله عنه أراد بالمرء المؤمن أي يجد لنفسه عملا وأما الكافر فلا يجد لنفسه عملا فبقي أن يكون ترابا ولأنه تعالى قال (ويقول الكافر) فسلم أنه أراد بالمرء المؤمن وقيل هو الكافر لقوله تعالى أنا أنذرناكم فيكون الكافر ظاهرا ووضح موضع الضمير لزيادة اللفظ ومعنى ما قدمت يداه من الشر كقوله تعالى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وما يجوز أن تكون استقهامية منصوبة بقدمت أي ينظر أي شيء قدمت يداه أو موصولة منصوبة ينظر يقال نظرت به بمعنى نظرت إليه والراجع إلى الصلة محذوف وقال مقاتل رضي الله عنه نزل قوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه في أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي ويقول الكافر (يا ليتني كنت ترابا) في أخيه الأسود بن عبد الأسد وقال الثعلبي سمعت أبا القاسم بن حبيب يقول الكافر هنا إبليس وذلك أنه عاب آدم عليه السلام بأنه خلق من تراب واقتضرب أنه خلق من نار فإذا عاين يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه من الثواب والراحة ورأى ما هو فيه من الشدة والعذاب عفى عنه كان بمكان آدم فيقول يا ليتني كنت ترابا قال ورأيت في بعض التفسيرات قال البغوي قال أبو هريرة رضي الله عنه فيقول التراب لا ولا كرامة لكل من جعلك مثلي وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال يحشر الخلق كلهم من دابة وطائر وإنسان ثم يقال للبهائم والطير كوفوا ترابا عند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا أي فلا أعذب وقيل معنى يا ليتني كنت ترابا أي لم أبعث وقال أبو الزناد إذا قضى بين الناس وأمر بأهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار قيل لساير الام ولمنقى الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر - ين يراهم يا ليتني كنت ترابا وقال ليث بن أبي سليم مؤمنوا الجن يعودون ترابا وقال عمر بن عبد العزيز ومجاهد وغيرهما مؤمنوا الجن حول الجنة في ربح ورحاب وليسوا فيها والذي عليه الأكثر أنهم مكلفون مثابون ومعاقبون كبني آدم وقيل يحشر الله تعالى الحيوان غير المكلف حتى يقتض للبهائم من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وما قاله البيضاءوى تبعا للزخشرى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة عم سقاء الله تعالى برد الشراب يوم القيامة حديث موضوع

﴿سورة النازعات مكية﴾

وهي خمس أوست وأربعون آية ومائة وسبعون كلمة وسبع مائة وثلاثون حرفا

(بسم الله) الذي أحاط علمه بالكائنات (الرحمن) الذي أنعم على سائر الموجودات (الرحيم) الذي خص أوليائهم بالجنات (والنازعات) أي الملائكة تنزع أرواح الكفار (غرقا) أي تنزع أرواحهم من أجسادهم بشدة كما يفرق النازع في القوس ليبلغ بها غاية المقعد ما نزعها حتى إذا كادت تخرج ردها إلى جسدها فهذا عملهم بالكفار وقال علي وابن مسعود رضي الله عنهما يريد نفس الكفار ينزعها ملك الموت من أجسادهم من تحت كل شعرة ومن تحت الأظفار وأصول القدمين نزعها كالسفود ينزع من الصوف الرطب ثم يفرقها أي يرجعها إلى أجسادهم ثم ينزعها فهذا عمل في الكفار وقال السدي رضي الله عنه والنازعات هي النفوس حين تفرق

في الصدور وقال مجاهد رضي الله عنه هي الموت ينزع النفوس وقال الحسن وقادة رضي الله
عنهم هي النجوم تنزع من أفق الى أفق تطلع ثم تغيب وقال عطاء وعكرمة رضي الله عنهما هي
النفوس وقيل للفرزة (تنبيه) غرقا يجوز أن يكون مصدرا على حذف الزوائد بمعنى اغراقا
واتصافه بما قبله للاقائه في المعنى وأن يكون على الجلال أي ذواته إراقا يقال أغرق في الشيء
بغرق فيه إذا أوغل وبلغ أقصى غايته (والناشطات تنشط) أي الملائكة تنشط أرواح المؤمنين
أي تسهلها برفق فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير إذا حل عنه وفي الحديث كما تنشط
من عقال وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي أنفس المؤمنين تنشط للخروج عند الموت لما ترى من
الكرامة لأن الجنة تعرض عليهم قبل الموت وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه هي الملائكة
تنشط أرواح الكفار عما بين الجلد والاضفار حتى تخرجها من أفواههم بالكد والغم والتشط
الجذب والتزع يقال تنشط الدون نشاطا انتزعها وقال السدي رضي الله عنه هي النفس تنشط من
بين القيد من أي تجذب وقال قتادة رضي الله عنه هي النجوم تنشط من أفق الى أفق أي تذهب
يقال نشط من بلد الى بلد إذا خرج في سرعة ويقال حارناشط ينشط من بلد الى بلد وقال
البيهقي يعني النجوم تنشط من برج الى برج كالنور الناشط من بلد الى بلد (والساجيات سبحا)
أي الملائكة تسبح من السماء بأجره أي ينزلون من السماء مسرعين كالقوس الجواد يقال له ساج
أنا أسرع في جريه وقال علي رضي الله عنه هي الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين قال الكلبي
كل الذي يسبح في الماء فأجيانا بنفوس وأجيانا يرتفع يسلمونهم أسلا في قباصه وله ثم يدعونها حتى
تستريح وعن مجاهد رضي الله عنه الساجيات الموت يسبح في نفوس بني آدم وقال قتادة والحسين
رضي الله عنهما هي النجوم تسبح في أفلاكها وكذا الشمس والقمر قال تعالى كل في فلك يسبحون
وقال عطاء هي السبح في الماء وقال ابن عباس رضي الله عنهما أرواح المؤمنين تسبح شوقا الى
لقاء الله تعالى ودرجته حتى يخرج وقيل هي خيل الفرزة قال عنقرة

والخيل تعلم حين تسبح في حياض الموت سبحا

(الساجيات سبحا) أي الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين الى الجنة وقال مجاهد رضي الله عنه هي
الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح وقال ابن مسعود رضي الله عنه هي أنفس
المؤمنين تسبق الى الملائكة الذين يضطرونهم لاشوقا الى لقاء الله تعالى وكذا تمت وقد عانت السرور
وقال قتادة رضي الله عنه هي النجوم يسبق بعضها بعضا في السير وقال عطاء هي الخيل التي تسبق
في الجهاد وقيل هي ما يسبق من الأرواح قبل الاجساد الى الجنة أو نار قال الجرجاني في تفسيره
الساجيات الماء لانها سبقت عن الذي قبلها أي والملائكة يسبحن فيسبحن حال الواحد يوهبها
بحر من طرف قولته تعالى (فالملائكة تسبحه برات صبا) أي الملائكة تدبر أمير الدنيا أي قبل تدبيره قال الرازي
و يمكن الجواب بأنها ما سبقت فيسبقت فدبرت ما أمرت بتدبيره فتكون حذما فعلا لا يتصل
بعضها ببعض وقال ابن عباس رضي الله عنهما الساجيات هي الملائكة فكذلك ما مورع نفوسهم الله
اعلم ما عمل به لئلا يحسب من سبط يدبره إلا امر في الدنيا أربعة من الملائكة تسبحه

وميكائيل وملاك الموت واسرافيل عليهم السلام فما جبريل فوكل بالرياح والجنود وأما ميكائيل
 فوكل بالقطر والنبات وأما ملك الموت فوكل يقبض الارواح وأما اسرافيل فهو ينزل بالامر
 عليهم وليس في الملايكة اقرب منه وبينه وبين العرش خمس مائة مقام وقيل هي الكواكب
 السبع حكى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه وفي تدبيرها بالامور وجهان أحدهما تدبير
 طوعها وأفواها والثاني في تدبير ما قضى الله تعالى فيها من تغليب الاحوال اقسام سبع
 وتعالى به هذه الامور على قيام الساعة والبعث وانما حذف الدلالة ما بعده عليه وقته تعالى أن
 يقسم بها شاء من خلقه وأما العباد فلا يصح لهم أن يقسموا بغير الله تعالى وصفاته وقوله تعالى
 (يوم ترجف) أى تضرب اضطرابا كثيرا من عمل (الراجعة) أى الصيحة منصوب بالجواب أى
 انبثاق ثياب كفار مكة يوم ترجف الراجعة وهى النفخة الاولى بها يرجف كل شئ أى يتزلزل ويترجأ
 لها كل شئ ويعود منها جميع الخلائق فوصفت بما يحدث منها (تبعها الرادفة) أى الصيحة
 التابعة لها وهى النفخة الثانية ردت الاولى وبينهما أربعون سنة والجملة حال من الراجعة
 واليوم واسع للنفختين وغيرهما فصع طرفيته للبعث الواقع عقب الثانية وقال قتادة رضى الله
 عنه هذه صيحتان فالاولى قمت كل شئ والاخرى تنهى كل شئ باذن الله سبحانه وتعالى وقال عطية
 الراجعة القيامة والرادفة البعث روى عن أبي بن كعب رضى الله عنه أنه قال كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربيع الليل قام وقال يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجعة تتبعها
 الرادفة جاء الموت بما فيه (قلوب يومئذ) أى اذ قام الخلائق بالصيحة التابعة للاولى (واجفة)
 أى خائفة قلقة مضطربة من الوجيف وهو صفة القلوب وقال مجاهد رضى الله عنه وجلة وقال
 السدى زائلة عن أما كنهن نظيرة اذ القلوب لدى الخناجر (ابصارها) أى ابصار أصحابها فهم من
 الاسخضام (ساشوة) أى ذليلة فمن الخوف ولذا أضافها الى القلوب كقوله تعالى خاشعين من
 الذل (يقولون) أى أرباب القلوب والابصار فى الدنيا استهزاء وانكسار للبعث (أما لردودون)
 أى بعد الموت (في الحافرة) أى فى الحياة التى كافهم ما قبل الموت وهى حالتنا الاولى فخصيرا حيا
 بعد الموت كما كانوا يقول العرب رجع فلان فى حافرة أى رجع من حيث جاء والحافرة عندهم اسم
 لايتبدل والشئ وأقول المشي وقال بعضهم الحافرة وجه الارض التى تحفر فيها قبورهم سميت حافرة
 بمعنى المحفورة كقوله تعالى ميثمة لأضية أى مرضية وقيل سميت حافرة لانهم استقر الجوف اراى
 المردودون الى الارض فسميت خلقا جديدا غشى عليها وقال ابن زيد الحافرة النار (أذا كذا)
 أى كيو ناصار جبلة لنا (عظما منخرة) أى بالية متفتنة نصيبا بعد ذلك وقرأ المشاواذا نافع وابن
 عامر والكسنى بالاستفهام فى الاول والخبر فى الثانى والباقيون بالاستفهام فيما وسهل نافع
 وابن كثير وأبو عمرو والباقيون بالتصديق وأدخل بين الهمزة زين قالون وأبو عمرو وهشام بخلاف
 عنه ألقوا والباقيون بنفى ادخل وقرأ منخرة حمزة وشعبة والكسنى بالالف بعد النون والباقيون
 بغير الف وهم الملقون مثل الطمع والطامع والجنود والطامع ما اللبالية وقرئ قوم منها
 فقالوا المنيحة البالية والخبرة المحفورة التى غر فيها الرمح فتخرأى تصوت (قالوا) أى المنكرون

للبعث (تلك) أي رجعتنا المهيبة إلى الحياة (إذا) أي ان صحت (كرة) أي رجعة (خاسرة) أي ذات خسران أو خساراً مما فيها والمعنى أن صحت ففمن إذا خاسرون يشكذينا وهو واستهزاء منهم وعن الحسن رضي الله عنه أن خاسرة بمعنى كاذبة أي ليست كما أنه قال الله تعالى (فأنما هي) أي الرادفة التي تتبعها البعث (زجرة) أي صيحة بانتهار تتضمن الأمر بالقيام والسوق إلى المشرق والمنع من التخلف (واحدة) عبر بالزجرة لأنه أشد من النهي لأنها صيحة لا يتخلف عنها القيام أصلاً فكان كأنه بلسان قال عن تلك الصيحة أيها الأجساد البالية انتهي عن الرقاد وقوى إلى المعاد بما حكمناه من المعاد فقد انتهى زمن الحصاد وأن أو ان الاجتماع لما قدم من الزاد فباخساره من ليس له زاد (فاذا هم) أي فتسبب عن تلك النخعة وهي الثانية أن كل الخلائق (بالساهرة) أي صاروا على وجه الأرض بعدما كانوا في جوفها والعرب تسمى الصلاة ووجه الأرض ساهرة قال بعض أهل اللغة تراهـم سموها ساهرة لأن فيها نوم الحيوان وسهرهم قال سفيان رضي الله عنه هي أرض الشام وقال قتادة رضي الله عنه هي جهنم (فان قيل) بم يتعلق فأنما هي زجرة واحدة (اجيب) بأنه متعلق بمحذوف معناه لا تستصعبوها فأنما هي زجرة واحدة يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله تعالى فإنها سهلة هينة في قدرته تعالى وقال الزمخشري الساهرة الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك لأن السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة أي جارية الماء وفي ضدّها نائمة قال الأشعث بن قيس

وساهرة بضحي السراب مجللاً * لا قطارها قد جبتا مثلما

أولاً لأن سالكها لا ينام خوف الهلكة وقال الراغب هي وجه الأرض وقيل أرض القيامة وحقيقتها التي يكثر الوطء بها كأنهم ساهرت من ذلك والاسهر أن عرفان في الاتف والساهور غلاف القمر الذي يدخل فيه عند كسوفه وروى الضمخشري عن ابن عباس رضي الله عنهما ما قال الساهرة أرض من فنة لم يعص الله عليها قط جعلها حيثنذ وقيل الساهرة اسم للأرض السابعة يأتي بها الله تعالى فيحاسب عليها الخلائق وذلك حين تبدل الأرض غير الأرض وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وقال عثمان بن أبي العاتكة أنه اسم مكان من الأرض بعينه بالشام وهو الصقع الذي بين جبل اريحا وجبل حسان يحده الله تعالى كيف شاء ثم إن الله تعالى صلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (هل أتاك) يا أشرف الخلق (حديث موسى) أي أليس قد أتاك حديثه فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليه بأن يصنيهم مثل ما أصاب من هو أعظم منهم فانه كان أقوى أهل الأرض بما كان لهم من كثرة الجنود فلما أصر على التكذيب ولم يرجع ولا إفاده التأديب أغرقناه وآله ولم يبق منهم أحد وقد كانوا لا يحصون عدداً بحيث قيل إن طليعته كانت على عدد بني إسرائيل ستمائة ألف فكيف بقومك الضعاف وقوله تعالى (اذ) أي حين (ناداه) منصوب بجديث لا بآتاك (به) أي المحسن إليه بالرسالة وغيرها (بالوادي المقدس) أي المطهر غاية الطهر بتشریف الله تعالى له بالزال النبوة المفضية للبركات وقوله تعالى (طوى) اسم الوادي وهو الذي طوى فيه النمر من بني إسرائيل ومن أراد الله تعالى من خلقه ونشر فيه

بركات النبوة على جميع أهل الأرض المسلم بسلامه وغيره برفع عذاب الاستئصال عنه فان
العلماء قالوا ان عذاب الاستئصال ارتفع حين أنزلت التوراة وهو واد بالطور بين ابلة ومصر
وقرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو وغير تنوين في الوصل والباقون بالتنوين وقوله تعالى (أذهب الى
فرعون) أي ملك مصر الذي كان يستعبد بني اسرائيل على ارادة القول (انه طغى) أي تجاوز
الحق في الكفر وعلا وتكبر وقال الرازي لم يبين أنه طغى في أي شيء فقل تكبر على الله تعالى وكفر
به وقيل تكبر على الخلق واستعبدهم وروى عن الحسن رضي الله عنه قال كان فرعون عالما من
همدان وقال مجاهد رضي الله عنه كان من أهل اصطخر وعن الحسن أيضا كان من أصبهان يقال
له ذوالظفر طوله أربعة أشبار وقوله تعالى (فقل) أي له (هل لك) أي هل لك سبيل (الى أن تزكي)
أي تظهر من الكفر والطغيان قال ابن عباس رضي الله عنهما بأن تشهد أن لا اله الا الله وقال
أبو البقاء لما كان المعنى أدعوك لجامع إلى وقال غيره يقال هل لك في كذا وهل لك الى كذا كما تقول
هل ترغب فيه وهل ترغب اليه وقرأ نافع وابن كثير بتشديد الزاي والاصل تتركى والباقون
بتخفيفها (وأهديك الى ربك) أي وأنبئك على معرفة المحسن اليك (فخشى) لان الخشية
لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء أي العلماء به وذكر الخشية لانها
ملاك الامر من خشى الله تعالى أي منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر ومنه قوله صلى
الله عليه وسلم من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل بدأ يخاطبته بالاستغفار الذي معناه العرض
كما يقول الرجل لضيفه هل لك أن تنزل بنا وأردفه الكلام الرفيق ليستدعيه للتلف في القول
ويستزله بالمداراة من علوه كما امر بذلك في قوله تعالى فقولوا له قولنا الآية وقال الرازي سائر
الآيات تدل على انه تعالى لما نادى موسى عليه السلام ذكر له اسماء كثيرة نودى أنا ربك الى قوله
تعالى لنريك من آياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى فدل قوله تعالى اذهب الى فرعون انه
طغى أنه من جملة ما ناداه به لا كل ما ناداه به وأيضا فليس الغرض انه عليه السلام كان مبعوثا
الى فرعون فقط بل الى كل من كان في الطور الا أنه خصه بالذكر لان دعوته جارية بحرى كل القوم
والقاء في قوله تعالى (فأراه) عاطفة على محذوف يعني فذهب فأراه (الآية الكبرى) كقوله تعالى
اضرب بعصاك الحجر فانفجرت اى فضرب فانفجرت واختلفوا في الآية الكبرى أي الصلاة
العظمى وهي المهجزة فقال عطاء وابن عباس رضي الله عنهم هي العصا وقال مقاتل والكلبي رضي
الله عنهما هي اليد البيضاء تبرى كالشمس والاقول أولى لانه ليس في اليد الا انقلاب لونها وهذا
حاصل في العصا لانها لما انقلبت حية لا بد وأن يتغير اللون الاقل فاذن كل ما في اليد فهو حاصل
في العصا وأمور أخرى هي الحياة في الحرم الجمادى وتزايد أجزائه وحصول القدرة الكبيرة
والقوة الشديدة وابتلاعها أشياء كثيرة وزوال الحياة والقدرة عنها وذهاب تلك الأجزاء التي
عظمت وزوال ذلك اللون والشكل اللذين صارت العصا بهما حية وكل واحد من هذه الوجوه
كان معجزا مستقلا في نفسه فعلنا أن الآية الكبرى هي العصا وقال مجاهد رضي الله عنه هي
مجموع العصا واليد وقيل فاق البحر وقيل جميع آياته التسع (فكذب) أي قسب عن رؤيته ذلك

أن كذب موسى عليه السلام (وعصى) الله تعالى بعد ظهور الآية وتحقق الأمر وقيل كذب
 بالقول وعصى بالتمرّد والتجبر (ثم أدبر) أي تولى وأعرض عن الإيمان بعد المهل والامانة أعراضا
 عظيماتا لقادى على أعظم ما كان فيه من الطغيان بعد خطوب خليله ثم شاهد طويته حال كونه
 (يسعى) أي يعمل بالفتادى في الأرض وأنه لما رأى الذمبان أدبر مرعوباً يسعى أي يستترع في
 مشيته قال الحسن رضي الله عنه كان رجلاً طيباً شاكساً خفيفاً وتولى عن موسى عليه السلام يسعى
 ويجهد في مكايده أو أريد ثم أقبل يسعى كما تقول أقبل فلان يفعل كذا يجتهد في أنشأ يفعل فوضع
 أدبر موضع أقبل ثلاثاً يوصف بالاقبال (لخسر) أي فتسبب عن أدياره أنه جمع الدهرة للمعارضة
 ويجنوده للقتال (فنادى) حينئذ بأعلى صوته قال حمزة الكرماني قال لموسى عليه السلام ان
 ربّي أرسلني إليك لئن آمنت بربك تكون أربع مائة سنة في النعيم والسرور ثم تموت فتدخل
 الجنة فقال حتى أستشيرها من فاستشاره فقال أتصير عبداً بعدما كنت ربا فعند ذلك جمع بين
 الشرط وجمع السحرة والجنود فلما اجتمعوا قام عدوّ الله على سريره (فقال أنار بكم الأعلى) أي
 لأرب فوقي وقيل أراد أن الاصنام أرباب وأنار بها ويحكم وقيل أمر مناديا فنادى في الناس بذلك
 وقيل قام فيهم خطيباً فقال ذلك (فأخذ الله) أي أهلكه بالفرق الملك الأعظم الذي لا كف له
 (نكال) أي عقوبة (الآخرة) أي هذه الكلمة وهي قوله أنار بكم الأعلى (والأولى) وهي قوله
 ما علمت لكم من الغي قال ابن عباس رضي الله عنهما ~~كان~~ بين الكلمتين أربعون سنة
 والمعنى أمهله في الأولى ثم أخذ في الآخرة فعذبه بكلمتيه وقال الحسن رضي الله عنه نكال
 الآخرة والأولى هو أن أغرقه في الدنيا وعذبه في الآخرة وعن قتادة رضي الله عنه الآخرة
 هي قوله أنار بكم الأعلى والأولى تكذيبه لموسى عليه السلام ثم أنه تعالى ختم هذه القصة بقوله
 تعالى (ان في ذلك) أي الأمر العظيم الذي فعله فرعون والذي فعل به عين كذب وعصى (لغيره)
 أي لعظة (لمن يحشى) أي لمن يخاف الله تعالى لأن الخشية أساس الخير كما مرّت الإشارة إليه ثم
 خاطب تعالى منكرى البعث بقوله تعالى (أأنتم) أي أيها الأحياء مع كونكم خلقاً ضعيفاً (أشدّ)
 خلقاً أي أخلقكم بعد الموت أشدّ في تقديركم (أم السماء) أي فن قدر على خلق السموات
 عظمها من السعة والكبر والعلو والمنافع قدر على الإعادة وهذا كقوله تعالى خلق السموات
 والأرض أكبر من خلق الناس والمقصود من الآية الاستدلال على منكرى البعث وتطهير قوله
 تعالى أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ومعنى الكلام التقرير
 والتوبيخ وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام بخلاف عنه بتصديق الأولى وتسهيل الثانية
 والباقون بتصديقتهما وأدخل بينهما ألفاً قالون وأبو عمرو وهشام والباقون بغير إدخال وقوله تعالى
 (بناها) بيان لكيفية خلقه أيها قالوا وقف على السماء والابتداء بما بعدها وقوله تعالى (رفع
 سمكها) جملة مفسرة لكيفية البناء والسمك الارتفاع أي جعل مقدارها في سمك الطومديد
 رفيعاً مسيرة خمسمائة عام (فسواها) أي فسدها مستوية المشاء ليس فيها تفاوت ولا غلظور
 أو قمتها بما علم أنها تم به وأصلها من قولك ملوى فلان أمره فلا (وأعظم) أي أعظم (لعلهم) أي

جعله مظلماً بغياب شمسها فأخفى ضياءها لمتمدد ادخل الارض على ~~كل~~ ما كانت الشمس
 ظهرت عليه فصار لا يهتدى معه الى ما كان في حال الضياء وأضاف الليل الى السماء لان
 الليل يكون بغروب الشمس والشمس تضاف الى السماء ويقال نجوم الليل لان ظهورها بالليل
 وقوله تعالى (وأخرج ضحاها) فيه حذف أى ضحى شمسها وأضاف الليل والضحى لها لام لابتداء
 التى بينهما وبينها لان الليل ظلها والشمس هى السراج المنقلب فى جوها وانما عبر عن النهار بالضحى
 لان الضحى أكل أجزاء النهار بالنور والضوء (والارض بعد ذلك) أى بعد المذكور كونه (دحاها)
 أى بسطها وهذه السكنى وبقية المنافع وكانت مخلوقة قبل السماء من غير مدحوق ولا معارضة بينها
 وبين آية فصلت لانه خلق الارض أولاً غير مدحوقة ثم خلق السماء ثم دحا الارض قال ابن عباس
 رضى الله عنهما خلق الله تعالى الارض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء فسواها سبع
 سموات ثم دحا الارض بعد ذلك وقيل معناه والارض مع ذلك دحاها كقوله تعالى عتلى بعد ذلك
 أى مع ذلك ومنه قواهم امت احق وانت بعد هذا سبى الخلق وقبل بعد معنى قبل كقوله تعالى
 واقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أى من قبل وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال خلق
 الله تعالى السكينة ووضعها على الماء على اربعة اركان قبل ان يخلق الدنيا بأبوابى عام ثم دحيت
 الارض من تحت البيت (أخرج منها) أى الارض (مائها) أى بتغيير عيونها وإضافتها اليها دليل
 على أنه مودوع فيها (ومرعاها) أى النبات الذى يرى عما يأكله الناس والانعام من العشب
 والشجر والتمر والحب حتى النار والمخ لان النار من العيدان قال تعالى أفرأيت النار التى تورون
 الآية والمخ من الماء واستعير الرى للانسان كما استعير الرنع فى قوله تعالى عن اخوة يوسف عليه
 السلام نزع والمعب والمرعى فى الاصل موضع الرعى * (تنبه) * اخرج حال باضممار قد أى مخرباً
 واضمار قد هو قول الجوهري وخالف الكوفيون والاشعرى (والجبال ارساها) أى انبتا على وجه
 الارض لتسكن وتطيره قوله تعالى والجبال اوتادا وقوله تعالى (متاعاً) مفعول له لمقدراً أى فعل
 ذلك منفعة أو مصدر لعامل مقدراً أى متعكم تنبيه (لكم) وقوله تعالى (ولأنعامكم) جمع نعم وهى
 الابل والبقر والغنم وذكر الانعام لكثرة الانتفاع بها (فاذا جاءت الطامة الكبرى) أى الداهية التى
 تطم على الدواهى أى تعلو وتغلب وفى أمثالهم جرى الوادى فطم على القرى قال ابن عباس وهى
 النفخة الثانية التى يكون معها البعث وقال الضمالة هى القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل
 شئ فتغمره وقال القاسم بن الوليد الهمدانى هى الساعة التى تساق فيها أهل الجنة الى الجنة
 وأهل النار الى النار وقوله تعالى (يوم يذكركم) أى تذكر أعظيما (الانسان) أى الخلق الا نرس
 بنفسه الغافل عما خلق له بدل من اذا (ماسى) فى الديان من خيراً أو شريراً يعنى اذا رأى اعماله
 مدققة فى كتابه تذكرها وكان قد نسبها كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه وما فى ماسى موصولة
 أو مصدرية (وبرزت الجحيم) أى أظهرت النار المحرقة اظهاراً بينا مكشوفاً (لمن يرى) أى لكل
 راء كقولهم قد تبين الصبح لنى عينين يريدون لكل من له بصر وهو مثل فى الامر المتكشف
 الذى لا يخفى على أحد لكن النابى لا يصرف بصره اليها فلا يراها كما قال تعالى لا يسمعون

حسبها وبجواب اذ قوله (فأما من طغى) أى تجاوز الحد فى العدوان حتى كفر بربه (وأثر)
 أى قدم واختار (الحياة الدنيا) أى انهمك فيها ولم يستعقل لا خرقا لعبادة وتهذيب النفس
 (فإن الجحيم) أى النار الشديدة التوقد العظيمة (هى) أى خاصة (المأوى) أى مأواه كما تقول
 للرجل غرض الطرف تريد طرفك وليست الاكف واللام يد لاعتن الاضافة ولكن لما علم أن الطاغى هو
 صاحب (المأوى) وأنه لا يفيض الرجل طرف غيره تركت الاضافة (تنبيه) * هى يجوز أن تكون
 فصلاً أو مبتدأ (وأما من خاف مقام ربه) أى قيامه بين يديه لعلهم بالمبدأ وبالمعاد وقال مجاهد
 خوفه فى الدين ان الله تعالى عند مواعاة الذنب فيقطع عنه تطيره وإن خاف مقام ربه جنتان
 (ونهى النفس) أى الامارة بالسوء (عن الهوى) وهوانباع الشهوات وزجرها عنها واضبطها
 بالصبر والتوطين على ايثار الخير (فإن الجنة) أى البستان لكل ما يشتهى (هى) أى خاصة
 (المأوى) أى ليس له سواها مأوى وحاصل الجواب أن العاصى فى النار والطائع فى الجنة قال
 الرازى هذان الوصفان مضافان للوصفين المتقدمين فقوله تعالى فأما من خاف مقام ربه ضمت
 قوله تعالى فأما من طغى ونهى النفس عن الهوى ضد قوله تعالى وآثر الحياة الدنيا فكما دخل فى
 ذنبك الوصفين جميع القبائح دخل فى عذيق الوصفين جميع الطاعات وقال عبد الله بن مسعود
 أنتم فى زمان يقود الحق الهوى وسيأتى زمان يقود الهوى الحق فته وذو بال الله من ذلك الزمان
 * (تنبيه) * اختلف فى سبب نزول هاتين الآيتين ف قيل نزلتا فى مصعب بن عمير وأخيه روى
 الفضال عن ابن عباس قال أما من طغى فهو أخو مصعب بن عمير أسرى يوم بدر وأخذته الانصار
 فقالوا من أنت قال أنا أخو مصعب بن عمير فلم يشدوه فى الوثاق وأكرموه وبيتوه عندهم فلما أصبحوا
 جئتوا مصعب بن عمير حديثه فقال ما هو لى باخ شد وأسيركم فإن أمه أكثر أهل البطحاء حلياً
 وما لا فأتقوه حتى تبعث أمه فداءه وأما من خاف مقام ربه فمصعب بن عمير وقى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بنفسه يوم أحد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص فى جوفه والمشاقص جمع
 مشقص وهو السهم العريض فلما رآه صلى الله عليه وسلم متشظطاً فى دمه قال صلى الله عليه وسلم
 عند الله احتسبك وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه لقد رأيت به وعليه بردان ما تعرف قيمتهما وإن
 شرا لنعلم من ذهب وعن ابن عباس أيضاً نزلت فى رجلين ابى جهل بن هشام ومصعب بن عمير وقال
 المسدى نزلت الآية الثانية فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقال الكلبي هما عامتان * ولما سمع
 المشركون أخبار القيامة ووصفها بالآوصاف الهائلة مثل الطاقة الكبرى والصاخرة والقارعة
 وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزأه متى تكون الساعة نزل (يسألونك) يا أشرف المخلوق
 (عن الساعة) أى البعث الآخر لكثرة ما تنوعدهم به من أمرها (أيان مرساها) أى فى أى
 وقت ارساؤها أى اقامتها أرادوا متى يقيمها الله تعالى وينبتتها ويكونتم أو أيا من مشاهاها ومستقرها
 كما أن مرسى السفينة مستقرها حيث تنهى اليه فأجابهم الله تعالى بقوله سبحانه (فيم) أى فى أى
 شئ (أنت من ذكرها) أى من أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به * (تنبيه) * فم خبر مقدم وأنت مبتدأ
 مؤخر ومن ذكرها متعلق بماتعلق به الخبر والمضى أنت فى أى شئ من ذكرها أى ما أنت من

ذكرها لهم وتبين وقتها في شيء وعن عائشة رضي الله عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكرها كما أنه قيل في أي شغل وإعظام أنت من ذكرها والسؤال عنها والمعنى أنهم يسألونك عنها فلم يركب على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها (إلى ربك) أي الحسن اليك بأنواع النعم (منتهاها) أي منتهى علمها لم يوت علمها أحدا من خلقه كقوله تعالى انما علمها عند ربى وقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة قال القرطبي ويجوز أن يكون انكارا على المشركين في مسئلتهم أي فيم أنت من ذلك حتى يسألونك بيانه ولست ممن يعلمه روى معناه عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل الوقف على قوله تعالى فيم وهو خبر مبتدأ ضمير أي فيم هذا السؤال ثم يتدأ بقوله تعالى أنت من ذكرها أي أرساها وأنت خاتم الانبياء وآخرا الرسل المبعوث في فم الساعة ذكر من ذكرها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشاورتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها (انما أنت) أي يا أشرف الرسل (منذر) أي انما بعثت لئلا تدار (من يخشاها) أي لتخويف من يخاف هولها وهو لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المستفيع به أي انما يقع انذارك من يخافها وان كنته منذر الكل مكلف (كانهم) قال البغوي يعني كفار قريش (يوم يرونها) أي يعلمون قيام الساعة علمها هو كالرؤية ويرون ما يحدث فيها بعد سماع الصيحة وقيامهم من القبور ومع علمهم بآثار من زمانهم وما أتى فيه (لم يلبثوا) أي في الدنيا وفي القبور (الاعشية) أي من الزوال إلى غروب الشمس (أو ضحاها) أوضى عشية من العشايا وهو البكرة إلى الزوال والعشية بعد ذلك أضيف إليها الضحى لانها من النهار والاضافة تحصل بأدنى ملازمة وهي هنا كونها من نهارها حد فالمراد ساعة من نهار حتى أقاله وآخره لم يستكملوا نهارا تاما ولم يحجبهوا بين طرفيه وهذا كما قال صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فليستظر به يرجع (فان قيل) هلا قال الاعشية أوضى وما فائدة الاضافة (أجيب) بأن ذلك للدلالة على ان مدة لبثهم كنهها لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة منه عشية أوضاه فلما تزل اليوم اضافه إلى عشية فهو كقوله تعالى لم يلبثوا الا ساعة من نهار وحسن الاضافة وقوع الكلمة فاصلة (تنبيه) قرأ حديث موسى طوى طوى تركى فخشى وعصى يسى فنادى الاعلى والاولى يخشى ما سعى طوى الدنيا المأوى عن المأوى المأوى حمزة والكسائي بالامالة محضة وورش وابوعمر وبين وبين وقرأ ورش بالفتح وبين اللقطين وقرأ فآراء الآية الكبرى الطامة الكبرى لمن يرى من ذكرها ابو عمرو وحزة والكسائي بالامالة محضة وقرأ ورش بين اللقطين والبا فون بالفتح في الجميع وقول البضاوى تعالى لا تخشى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والتارغات حصان عن حبسه الله تعالى في القيوم والقيامة حتى يدخل الجنة قد رسله مكتوبة حديث موضوع

﴿سورة يس مكية وتسمى سورة السقرة﴾

وهي اثنان وأربعون آية ومائة وثلاثون كلمة وثلثمائة وثلاثون حرفا

(بسم الله) الواحد القهار (الرحمن) الذي عم بانعامه الابرار والفجار (الرحيم) الذي خص أوليائه برحمته في دار القرار (عبس) أي كبح وجهه النبي صلى الله عليه وسلم (وتولى) أي أعرض بوجهه لاجل (أن جاءه الاعمى) وهو ابن أم مكتوم وأم مكتوم أم أبيه واسمها عاتكة بنت عامر ابن مخزوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وذلك أنه جاءه وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأممية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوههم إلى الاسلام وجاء أن يسلم أولئك الاشراف الذين كان يخاطبهم فيأتيهم الاسلام ويسلم باسمهم أتباعهم فتعلو كلمة الله تعالى فتعال يارسول الله أقرتني وعلمني بمالك الله تعالى وكثر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعة لكلامه وعبس وأعرض عنه وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد انما اتبعه العميان والعبيد والسفلة فعبس وجهه وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم فأنزله الله تعالى هذه الآيات فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه واذا رآه قال مرحبا بن عاتبي فيه ربي ويسيطر له رداءه ويقول له هل لك من حاجة واستضافه على المدينة مرتين في غزوتين غزاها قال أنس بن مالك رأيت يوم القادسية راكبا وعليه درع وله راية سوداء (وما يدريك) أي أي شيء يجعلك داريا بجاله (لعله) أي الاعمى (يزكي) فيه ادغام التاء في الاصل في الزاى أي يظهر من الذنوب يا سمع منك وفي ذلك ايماء بأن اعراضه كان لتزكية غيره (أويذكرك) فيه ادغام التاء في الذال أي يتعظ وتنبه عن تركه وتذكره قوله تعالى (فتسفعه الذكري) أي العظة المسموعة منك وقرأ عاصم بنصب العين والباقون برفعها فن رفع فهو نسق على قوله تعالى أويذكرك ومن نصب فعلى جواب التبرجى كقوله تعالى في غافر فأطلع إلى الهوى وقال ابن عطية في جواب التثنية لأن قوله تعالى أويذكرك في حكم قوله تعالى لعله يزكي واعترض عليه أبو حيان بأن هذا ليس غنى وانما هو ترجح وأجيب عنه بأنه انما يريد التثنية المقهوم وقت الذكرى وقرأ الذكرى أبو عمرو وحركة والكسائي بالامالة محضة وورش بين اللفظين والباقون بالنسخ وقيل الضمير في لعله للكافريه في أنك طمعت في أن يتركى بالاسلام أويذكرك فتقر به الذكرى إلى قبول الحق وما يدريك أن ما طمعت فيه كائن (أما من استغنى) أي بالمال وقال ابن عباس رضى الله عنهما استغنى عن الله وعن الايمان بماله من المال (فأنت له) أي دون الاعمى (تصدى) أي تتعرض له بالاقبال عليه والمصادرة المعارضة وقرأ نافع وابن كثير بتشديد الصاد بادغام التاء الثانية في الاصل فيم والباقون بالتخفيف (وما) أي فعلت ذلك والحال انه ما (عليك) أي وليس عليك بأس (الآن يزكي) أي في أن لا يتركى بالاسلام حتى يبعثك الحرم على اسلامه إلى الاغراض عن أسلم ان عليك الا البلاغ (وأما من جاءك) حال كونه (بسعى) أي يسرع في طلب الخير وهو ابن أم مكتوم (وهو) أي والحال انه (يخشى) أي الله أو الكفار في اذا هم على الايمان اليك وقيل جاء وايس معه فائد فهو يخشى الكبوة وقرأ قالون وأبو عمرو والسدي بسكون الهاء والباقون بضمها (فأنت عنه ظهري) فيه حذف التاء الاسيرة في الاصل أي تشاغل وقرأ وتولى الاعمى يزكي من استغنى تصدى يزكي بسعى يخشى

تلقى حزة والكسافي بالامالة محضه وورث وأبو عمرو بين بين والفتح عن ورث قليل والباقون
بالفتح وقوله تعالى (كلاً) ردع عن العتاب عليه وعن معاوية مثله (فان قيل) ما فعله ابن أم مكتوم
كان يستحق عليه التأديب والزجر فكيف عاتب الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على تأديبه
لانه وان كان اعى فقد سمع مخاطبته صلى الله عليه وسلم لا ذلك الكفار وكان بسماعه يعرف شدة
اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بشأنهم فكان اقدامه على قطع كلامه صلى الله عليه وسلم لغرض
فيه قبل تمام كلام النبي صلى الله عليه وسلم معصية عظيمة وأيضاً فان الاهم يقدم على المهم وكان
قد أسلم وتعلم ما يحتاج من أمر الدين وأما أولئك الكفار فلم يكونوا أسلموا وكان اسلامهم سبب
لاسلام غيرهم فكان كلام ابن أم مكتوم كالسبب في قطع ذلك الحسير العظيم لغرض قليل وذلك
يحرم وأيضاً فان الله تعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات بجماداتهم فهذا النداء الذي هو
كالصارف للكفار عن الايمان أولى أن يكون ذنباً وأيضاً فع هذا الاعتناء كيف لقب بالاغنى
وأيضاً فان النبي صلى الله عليه وسلم له أن يؤدب أصحابه بما يراه مصلحة والتعبيس من ذلك القليل
(أجيب) بأن ما فعله ابن أم مكتوم كان من سوء الادب لو كان عالماً بأن النبي صلى الله عليه وسلم
رسلم مشغولاً بغيره وأنه يرجو اسلامهم ولكنه لم يعلم بذلك وأيضاً الله سبحانه وتعالى انما عاقبه
على ذلك حتى لا تنكسر قلوب الضعفاء وأيضاً علم أن المؤمن الفقير خير من الغنى الكافر وقال
ابن زيد انما عتب النبي صلى الله عليه وسلم لابن أم مكتوم وأعرض عنه لانه أشار الى الذي كان
يقوده أن يكفه فدفعه ابن أم مكتوم وأبي الا أن يتكلم مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان في هذا
نوع جفاء منه ومع هذا نزل في حقه ذلك وما ذكره بلفظ الاعى فليس للتحقير بل كان بسبب
عماء يستحق أن يزيد تعظافاً وترؤفاً ونقريباً وترجيهاً ولقد تأدب الناس بأدب الله تعالى في هذا
تأديباً حسناً فقد روى عن سفيان الثوري رضى الله عنه أن الفقراء كانوا يجلسه أمراء وأما
كونه صلى الله عليه وسلم كان ما ذونا له في تأديب أصحابه فلان تقديمهم رعاياهم ترجيح تقديم
الاغنياء على الفقراء فلهذا السبب عتب قال الحسن رضى الله عنه لما تلاجبريل عليه السلام
على النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآيات عاد وجهه كأنه انفس فيه الرماد ينتظر ما يحكم الله
تعالى عليه فلما قال كلاً سرى عنه أى لا تفعل مثل ذلك وقد بينا نحن ان ذلك محمول على نزل
الاولى ثم قال الله تعالى (انها) أى هذه السورة وقال مقاتل رضى الله عنه آيات القرآن وقبل
القرآن وأنت لتأنيث خبره وهو قوله تعالى (تذكرة) أى عظة للخلق يجب الاتعاظ بها والعمل
بموجبها (فن شاف ذكره) أى كان حافظاً له غير تام وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ
ثم ان الله تعالى أخبر عن جلالة ذلك عنده فقال سبحانه (في صحف) أى متسحنة من اللوح
المحفوظ وقيل هي كتب الانبياء عليهم السلام دليله قوله تعالى ان هذا الى الصحف الاولى صحف
ابراهيم وموسى (مكرمة) أى عند الله تعالى (مرفوعة) أى في السماء السابعة أو مرفوعة
المقدار (مطهرة) أى منزهة عن أيدي الشياطين لا يمسها الا أيدي ملائكة كرام مطهرين كما قال
تعالى (بأيدي سفرة) أى كتبه يفسخونها من اللوح المحفوظ وهم الملائكة الكرام الكاتبون

واحدهم سافر يقال سمرت أي كتبت ومنه قيل لا كتاب سفر ووجهه أسفار وقيل هم الرسل من
 الملائكة واحدهم سافر وهو الرسول وسافر القوم هو الذي يسبح بينهم بالصلح وسمرت بين القوم
 إذا أصحلت بينهم ثم أثنى تعالى عليهم بقوله سبحانه (كرام) أي على الله تعالى وروى الضحاك عن
 ابن عباس رضي الله عنهما في كرام قال مكرمون أن يكونوا مع ابن آدم إذا خلا بزوجه أو برز
 لغائط وقيل يؤثرون منافع غيرهم على منافع أنفسهم وقوله (بررة) جمع بارة كساحر وسحرة وفاجر
 وبجرة والبارة هو الصادق المطيع ومنه بر فلان في عيئه أي صدق وفلان يبر خالقه أي بطيعه فعني
 بررة مطيعين صادقين لله تعالى في أعمالهم * ولما ذكر تعالى ترفع صناديد قريش على فقراء المسلمين
 عجب عباده المؤمنين من ذلك فقال سبحانه (قتل الأذنان) أي لمن الكفار وقوله تعالى (ما
 أكرهه) استفهام توبيخ أي ما أشد تفضيحه للعق وجده له وعناؤه فيه لانكاره البعث واشراكه
 بربه وغير ذلك مما حمله على الكفر وقوله تعالى (من أي شيء خلقه) استفهام تقرير ثم بينه بقوله
 تعالى (من نطفة) أي ما يسير جدا لا من غيره (خلقته) أي أوجده مقدرا على ما هو عليه من
 الخطيئة (فقدرة) أي علة ثم مضى إلى آخر خلقه فكأنه قيل وأي سبب في هذا الترفع مع أن
 أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قدرة وهو فيما بين الوقتين حامل عذرة فان خلقه الإنسان تصلى أن
 يستدل به على وجود الصانع لانه يستدل به على أ- والبعث والحشر قيل نزلت في عتبة بن
 أبي لهب والظاهر العموم (فان قيل) الدعاء على الإنسان انما يليق بالعاجز والقادر على الكل
 كيف يليق به ذلك والتعجب أيضا انما يليق بالجاهل بسبب الشيء فالعالم به كيف يليق به ذلك
 (أجيب) بأن ذلك ورد على أسلوب كلام العرب لبيان استحقاقهم لأعظم العقاب حيث أتوا
 بأعظم القبائح كقولهم إذا تعجبوا من شيء فأتاه الله ما أحسنه وأخراة الله ما أظلمه والمعنى اجهلوا
 من كفر الإنسان بجميع ما ذكرنا بعد هذا وقيل الاستفهام استفهام تحقيره فذكر أول مراتبه
 وهو قوله تعالى من نطفة خلقه ولا شك أن النطفة شيء حقير مهين ومن كان أصله ذلك كيف يتكبر
 وقوله تعالى فقدرة أي أطوارا وقيل سواء كقوله تعالى ثم سأل الرجل أو قدر كل عضو في الكيفية
 والكمية بالقدر واللائق لمصلحته كقوله تعالى وخلق كل شيء فقدره تقديرا ثم ذكر المرتبة الوسطى
 بقوله تعالى (ثم) بعد انتهاء المدة (السييل) أي طريق خروج من بطن أمه (يسره) أي سهله
 أمره في خروجه بأن فتح له الرحم وألهمه الخروج منه ولا شك أن خروجه من أضيق المسالك
 من أعجب الهجائب يقال انه كان رأسه في بطن أمه من فوق ورجلاه من تحت فإذا جاء وقت
 الخروج انقلب فن الذي أعطاه ذلك الإلهام المراد ومنه قوله تعالى وهدينا الصبيد أي التمييز
 بين الخير والشر وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سبيل الشفاء والسعادة وقال ابن زيد
 سبيل الإسلام قال أبو بكر بن طاهر يسر على كل أحدا ما خلقه له وقدر عليه لقوله صلى الله عليه
 وسلم كل ميسر لما خلق له ثم ذكر المرتبة الأخيرة بقوله تعالى (ثم أماته) وأشار إلى إيجاب المبادرة
 بالجهيز بالناء المعقبة في قوله تعالى (فأقبره) أي جعله في قبر يستمر كرامته ولم يجعله بمن يلقى على
 وجه الأرض تأكله الطير وغيرها (ثم إذا شاء أنشره) أي أحياء بعد موته بالبعث ومفعول شاء

محذوف أى شاء انشاءه وأنشره جواب اذا وقرأ قالون وأبو عمرو والبزى بإسقاط الهمزة الاولى
 مع المد والقصر وسهل الثانية ورش وقيل ولهما أيضا ابد الهمزة والقانون بتحقيقهما وقوله
 تعالى (كَلَّا) ودع للانسان عما هو عليه وقيل معناه اسحقا قال الاول الزمخشري وتبعه
 البضاوي وقال الثاني الجلال المحلى (لما يقض) أى يفعل (مأمره) به ربه من الايمان وترك
 التكبر وقيل لم يوف بالميثاق الذى أخذ عليه فى صلب آدم عليه السلام وقيل المعنى ان ذلك
 الانسان الكافر لم يقض مأمره به من التأمل فى دلائل الله تعالى والتدبر فى عجائب خلقه ولما
 كانت عادة الله تعالى جارية فى القرآن انه كلما ذكر دلائل الانسان ذكر عقبا دلائل الا فاقبدا
 من ذلك بما يحتاج اليه الانسان بقوله تعالى (فلينظر الانسان) أى يوقع النظر التام بكل شئ يقدر
 على النظر به من بصره وبصيرته (الى طعامه) أى الذى هو قوام حياته كيف هيأ له أسباب المعاش
 ليس تعذيبهم بالله ما د قال الحسن ومجاهد فلينظر الى طعامه الى مدخله ومخرجه وروى عن
 الضعلاء انه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ضعلاء ما طعامك قلت يا رسول الله اللحم
 واللبن قال فشرايك ما ذاقك الماء قد علمته قال فان الله تعالى ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا
 للدينار وروى عن ابن عمر ان الرجل يدخل الخلاء فينظر ما يخرج منه فيأتية الملك فيقول انظر الى
 ما تحايت به الام صار وقرأ (انا صبينا) أى بما لنا من العظمة (الماء) عاصم وحزرة والكسائي
 بفتح الهمزة على أنه بدل اشتمال بمعنى أن صب الماء سبب فى اخراج الطعام فهو مشتمل عليه
 بهذا التقدير وأنه على تقدير لام العلة أى فلينظر لانه انما حذف الحافض وقال البغوى انا بالفتح
 على تكرير الحافض مجازة فلينظر الى أنا وقرأ الباقون بالكسر على الاستئناف تعديد النعمه
 تعالى عليه وقوله تعالى (مبأ) تأكيد والمراد بالماء المطر ولما كان الانسان محتاجا الى جميع
 ما فى الوجود ولونه نقص منه شئ اختل امره وبدأ أولا بالسماء واولا اشرف وبالماء الذى هو حياة
 كل شئ تنبيهه على ابتداء خلقه شئ بالارض التى هى كالانثى بالنسبة الى السماء فقال تعالى
 (ثم) أى بعد مهلة من انزال الماء (ثققنا) أى بما لنا من العظمة (الارض) أى بالنبات
 الذى هو فى غاية النقص عن شئ اضعب الاشياء فكيف بالارض اليابسة وقوله تعالى
 (ثقا) تأكيد ثم سبب عن الشئ ما هو كالتفسيره فقال تعالى (فأنبثنا) أى بما لنا من القدرة التامة
 (فيها) أى بسبب الشئ (حبا) أى فما ونعرا وستاوسا نرما يحصد ويدخر وقدم ذلك لانه كالاصل
 فى التغذية (وعبأ) وذكره بعد الحب لانه هذا من وجهه وقاصصكه من وجهه (وقضيا) قال ابن
 عباس رضى الله عنهما هو الرطب لانه يقتضب من النخل أى يقطع ويرجعه بعضهم لذكره بعد
 العنب لانهم ما يقتربان كثيرا وقيل القت الرطب وقيل كل ما يقتضب من البقول لبني آدم وقيل هو
 الرطبة والمقضب أرضه معنى يحصد يقضبه اذا قطعه لانه يقتضب مرة بعد اخرى وقال الحسن
 القضب العلف للدواب (وزيتونا) وهو ما يصير منه الزيت يكون فيه حرافة ونضاضة فيه
 اصلاح المزاج وقوله تعالى (ونخلا) جمع نخلة وكل من هذه الاشجار مخالف للآخرى الشكل
 والاول وغير ذلك مع المرافقة فى الارض والسقى وقوله تعالى (وحداق غلبا) جمع أغلب وغلباء

كحمر في أحمر وحر أو أي بسايتين كثيرة الاشجار والاصل في الموصف بالقلب الرقاب يقال رجل
 أغلب وامرأة أغلباء غلبا الرقبة فاستعير قال عمرو بن معد يكرب
 يمشي به أغلب الرجال كأنهم * بزل كسين من الكعبيل جلالا
 وقال مجاهد ومقاتل أغلب الملتفة الشجر بعضه في بعض وقال ابن عباس رضي الله عنهما
 الطوال وقيل غلاظ الاشجار (وقا كمة) وهي مائتا كلة الناس من ثمار الاشجار كالتين والخواخ
 قال النووي في منهاجه ويدخل في قاكمة رطب وعنب ورمان وأترج ورطب وياوس أي
 كالتمر والزبيب قال قتات وليمون ونبق وبطيخ ولب فستق وبندف وغيرها في الاصح (وأبا) وهو
 مائتا كلة الدواب لانه يؤب أي يؤتم وينتجع اليه وقال عكرمة الفا كمة مايا كلة الناس والاب
 مائتا كلة الدواب وقيل التبن وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سئل عن الاب فقال أي
 سماء تطلق وأي أرض تغلنى اذا قلت في كتاب الله تعالى ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله عنه أنه
 قرأ هذه الآية فقال كل هذا عرفنا فالاب ثم رفض عصا كانت بيده ثم قال هذا العمر الله
 التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب
 وما لا تدعوه (فان قيل) هذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته
 (أجيب) بأنه لم يذهب الى ذلك ولكن القوم كانت أكثرهم غافلين عن الكفة على العمل وكان التشاغل
 بشئ من العلم الذي لا يهمل به تكلفا عندهم فأراد أن الآية مسوقة عندهم في الامتنان على
 الانسان بقطعه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الآية أن الاب بعض ما أنبته الله تعالى
 للانسان متاعا له أو لانعامه فعليك بما هو أهم من التهورض بالشكر لله تعالى على ما بين لك ولم
 يشكل مما عتد من نعمه ولا تشاغل عنه بطلب معنى الاب ومعرفة النبات الخاص الذي هو
 اسم له واكتف بالمعرفة الجلية الى أن يتبين لك من مشكلات القرآن (متاعا) أي العشب أي
 منفعة أو قتيها كما تقدم في السورة قبلها (لكم) أي الفا كمة (ولانعامكم) وتقدم أيضا في
 السورة التي قبلها معرفة الانعام والحكمة في الاقتصار عليها ولما ذكر تعالى هذه الاشياء وكان
 المقصود منها ثلاثة أولها الدلائل الدالة على التوحيد وثانيها الدلائل الدالة على القدرة والمعاد
 وثالثها أن هذا الاله الذي أحسن الى عبده بهذه الانواع العظيمة من الاحسان لا يليق بالعاقل
 أن يتمرد على طاعته وأن يتكبر على عبده أتبع ذلك بما يكون كالمؤكد لهذه الاغراض وهو
 شرح أحوال القيامة فان الانسان اذا سمعها خاف فبدعه ذلك الخوف الى التأمل في الدلائل
 والايان بها والاعراض عن الكفر وبدعه أيضا الى ترك التكبر على الناس والى اظهار
 التواضع فقال تعالى (فاذا جاءت) أي كانت ووجدت لان كل ما هو كائن لا فيك وجاء اليك
 (الصاخة) أي صيحة القيامة وهي النفخة الثانية التي تصيح الاذن أي تصيحها الشدة وقعها
 مأخوذة من صخه بالجر أي صكبه وقال الزمخشري صخ لحديثه مثل أصاخ فوصفت النفخة
 بالصاخة مجازا لان الناس يصفون لها وقال ابن العربي الصاخة التي تورث الصمم وانها المسماة
 وهذا من يدع الصاخة كقوله

أصغى سترهم أيام فرقتهم • وهل سمعتم بسر يورث الصمما

وجواب اذا اخذ وف دل عليه قوله تعالى فاذا جاءت الصاخة اى اشتغل كل واحد بنفسه وقوله تعالى (يوم يقر المرء) بدل من اذا (من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه) أى زوجته (وبنيه) لاشتغاله بعلومه مدفوع اليه ولعله أنهم لا يغفون عنه شيأ كقوله تعالى يوم لا يغنى مولى عن مولى شيأ فيقر المرء من هؤلاء الذين كان يقر اليهم في دواول الدنيا ويستجير بهم لكثرة ما يشغله وبدأ بالآخ لانه أدناهم رتبة في الحب والذب ثم بالآتم لانها كانت مشاركة له في الالف ويلزم من حاجتها أكثر مما يلزم للآخ وهولها آلف وعليها آحن وعليها أرق وأعطف ثم بالاب لانه أعظم منها في الالف لانه أقرب منها في النوع وللولد عليه من المعاطفة ماله من مزيد النفع أكثر من قبله ثم بالصاحبة لان الزوجة التي هي أهل لان تعصب الصق بالفرؤاد وأعرق في الوداد وكان الانسان أذب عنها عند الشدة اندثر بالولد لان لمن المحبة والمعاطفة بالسرور والمشاورة في الامر مالم يسر لغيره ولذلك يضيع عليه رزقه وعمره فتقدم أدناهم مرتبة في الحب والذب فأدناهم على سبيل الترقى وآخر الأوجب في ذلك فالأوجب بخلاف ما في سورة سأل فكانته قيل يقر المرء من أخيه بل من أمته بل من أبيه بل من صاحبه بل من بنيه وقيل يقرهم منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الآخ لم نواسى بمالك والابوان قصرت في برناو الصاحبة أطعمتني الحرام وقطعت ومنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل أقل من يقر من أخيه هائل ومن أبويه ابراهيم عليه السلام ومن صاحبه نوح ولوط ومن ابنه نوح • ولما ذكر القرار أتبعه سيبه فقال تعالى (لكل امرئ) وان كان أعظم الناس مروءة (منهم يومئذ) أى اذا تكون هذه الدواهي العظام والشدائد والآلام (شأن) أى امر عظيم وقوله تعالى (يغنيه) حال أى يشغله عن شأن غيره وعن سودة رضى الله تعالى عنها رضى النبي صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس حفاة عراة غرلا أى بالقلفة قد أبلجهم العرق وبلغ شعوم الأذان فقلت يا رسول الله واسوأنا ما ينظر بعضنا الى بعض فقال صلى الله عليه وسلم قد شغل الناس لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وقال قتيبة يغنيه أى يصرفه عن قرابته ومنه ية قال أغنى عنى وجهك أى اصرفه وقال أهل المعاني يغنيه أى ذلك الهم الذى حصل له قد ملا صدره فلم يبق فيه متسع لهم آخر فصار شيها بالغنى فى أنه ملك شيأ ~~كثيرا~~ ولما ذكر تعالى حال القيامة فى الهول بين ان المكلفين على قسمين سعداء وأشقياء فوصف سبحانه السعيد بقوله تعالى (وجوه يومئذ) أى اذا كان ما تقدم من القرار وغيره (مسفرة) أى مضيفة مثله من أسفر الصبح اذا أضاء وعن ابن عباس من قيام الليل لما روى فى الحديث من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالتهار وبين الضملا من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت فى سبيل الله تعالى (صاحكة) أى مسرورة فرحة قال الكلبي يعنى بالفرغ من الحساب (مستبشرة) أى بما آتاها الله تعالى من الكرامة ثم وصف الشقى بقوله تعالى (وجوه يومئذ) أى اذا وجد ما ذكر (عليها غبرة) أى غبار (ترققها) أى تعالوها (قفرة) أى سواد كال دخان ولا يرى أو حش من

اجتماع الغيرة والدواد في الوجه كما يرى في وجوه الزنوج اذا اغبرت (أو لثك) أي
 البعداء البغضاء الذين يصنع بهم هذا (هم) أي خاصة (الكفرة القبيحة) جمع الكافرو الفاجر
 وهو الكاذب والمفتري على الله تعالى فجمع تعالى إلى سواد وجوههم الغيرة كما جعلوا الضمير
 إلى المكفر وقول البيضاوي تعالى يخشى أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة عبس وقول
 جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر حديث موضوع وكان من حق البيضاوي أن لا يعبر
 بقال بل يعن كالزحشري أو نحوها ويأتي مثله في نظائره

﴿سورة التكوينية﴾

وهي تسع وعشرون آية ومائة وأربع كلمات وأربع مائة وأربعة وثلاثون حرفاً

(بسم الله) الذي أساط علمه بالكائنات (الرحمن) الذي علم بوجوده سائر البريات (الرحيم) الذي
 خص حربه بنعيم الجنات واختلف في معنى قوله تعالى (إذا الشمس) أي التي هي أعظم آيات
 السماء الظاهرة وأوضحها للشمس (كورت) فقال ابن عباس أظلمت وقال قتادة ذهب ضوءها
 وقال سعيد بن جبيرة غورت وقال مجاهد اضمحلت وقال الزجاج لفت كما تلف العمامة يقال
 كرت العمامة على رأسي أكوها كورا وكورتها تكويراً إذا لففتها وأصل التكوير جمع
 بعض الشيء إلى بعض فعناه أن الشمس يجمع بعضها إلى بعض ثم تلف فإذا فعل به ذلك ذهب
 ضوءها قال ابن عباس يكوها الله تعالى الشمس والشمس والنجوم يوم القيامة في البحر ثم يبعث
 عليها ريحاً تدور اقتصر ما اقتصر من ناراً وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشمس
 والقمر يكوذان يوم القيامة * (تنبيه) * ارتفاع الشمس على القاعلية وارتفاعها فعل مضمر
 يفسر كورت لأن إذا تطلب الفعل لمافهم من معنى الشرط (وإذا النجوم) أي كلها كباوها
 وصغارها (انكدورت) أي انقضت وقساقت على الأرض قال تعالى وإذا الكواكب انتثرت
 والامل في الانكدار الانصباب قال الزجاج في مدحه لعمر وبن معدي كرب

إذا الكرام ابتدروا البيع ابتدر * تقضى البازي إذا البازي كسر

• أبصر خربان فضاء فأنكدور •

أي فأنقض وسقط والخربان جمع خرب وهو ذكرا الخباري والباع يستعمل في الكرم يقال
 فلان كريم الباع والمعنى أن الكرام إذا ابتدروا فعل المكرمات بدرهم عمرو أي أسرع
 كانقضاض البازي وروى عن ابن عباس أن النجوم قناديل معلقة بين السماء والأرض
 بسلاسل من نور بأيدي الملائكة عليهم السلام فإذا مات من في السموات ومن في الأرض
 تساقطت تلك الكواكب من أيدي الملائكة لانه مات من كان يمسكها (وإذا الجبال) التي هي
 في العالم السفلي كالنجوم في العالم العلوي وهي أصلب ما في الأرض (سجرت) أي ذهب بها
 عن وجه الأرض فصارت جبالاً منقوشة وصارت الأرض كلها منقوشة (وإذا الفضا) أي النجوم
 الجوامل جمع عنراء كالنفاس جمع نفاس وهي التي تأتي على سحابة مشرقة أشهر ثم هو اسمها إلى

أن تضع لتمام السنة وهي أنفس ما يكون عند أهلها روى أنه صلى الله عليه وسلم مر في أمصليه
 بعشرون النوق فغض بصره فقبل له هذه أنفس أه والنافل لا تنظر إليها فقال قد مناني الله
 عن ذلك ثم تلا ولا تمدن عينيك الآية (عطلت) أي تركت مسيبة ملة بلا راع أو عطلها أهلها
 عن الحلب والصر لا ش تغالهم بأنفسهم أو السحاب عطلت عن المطر والعرب تشبه السحاب
 بالحامل والاول على وجه المثل لأن في القيامة لا تكون ناقة عشراء والمصق أن يوم
 القيامة بحالة لو كان للرجل ناقة عشراء أعطله واشتغل بنفسه (واذا الوحوش)
 أي ذواب الارض التي لا تأنس بأحد التي تظن أنها لا عبرة بها ولا التفات اليها فاطنك بغيرها
 (حشرت) أي جعت بعد البعث ليقتصر لبعضها من بعض ثم تصير ترابا قال قتادة يحشر
 كل شيء حتى الذباب للقصاص وقيل اذا قضى بينا ودت ترابا فلا يبقى منه الا ما فيه سرور
 لبني آدم واجهاب بصورته كالطاووس ونحوه وعن ابن عباس حشرها موتها يقال اذا
 أجمعت السنة بالناس وأموالهم حشرتهم السنة وقرأ (واذا البصار حشرت) أي على
 كثرتها ابن كثير وأبو عمرو بتخفيف الجيم والباقون بتشديدها قال ابن عباس أو قدت
 فصارت نارا تضطرم وقال مجاهد فجر بعضها في بعض العذب والمخ فصارت البصار كلها بحرا
 واحدا وقال القسيري يرفع الله تعالى الجابر الذي ذكره ماذا رفع ذلك البروخ فتجبرت ميلة
 البصار رفعت الارض كلها وصارت بحرا واحدا وروى أبو العالية عن أبي بن كعب قال ست
 آيات قبل يوم القيامة بينما الناس في أسواقهم اذهب ضوء الشمس فيبيناهم كذلك اذا تناثر
 القوم فيبيناهم كذلك اذا وقعت الجبال على الارض فحزرت واضطربت وفزعت الجن الى
 الانس والانس الى الجن واختلطت الابواب والطير والوحش وما ج بعضهم في بعض فذلك قوله
 تعالى واذا الوحوش حشرت أي اختلطت واذا البحار سجرت قال الجن للانس نحن نأبىكم
 بالبحر فانطلقوا الى البحر فاذا هو نار تآج قال فيبيناهم كذلك اذا تصدعت الارض صدعة
 واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فيبيناهم كذلك اذا جاعتهم الريح
 فأماتهم وعن ابن عباس قال هي اثنا عشرة خصلة ستة في الدنيا وستة في الآخرة وهي ما ذكر
 من بعد (واذا النفوس) أي من كل ذي نفس من الناس وغيرهم (زوجت) أي قرنت بأجسادها
 وروى ابن عمر مثل عن هذا الآية فقال يقرب بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة
 ويقرب بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار وقال الحسن وقناة الحق كل امرئ
 بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى وقال عطاء بن زوكرت نفوس المؤمنين بالخير والعين
 وقرنت نفوس الشياطين بالكافرين (ولذا المؤودة) أي الجارية المدفونة حية كان الرجل
 في الجاهلية اذا ولد له بنت فإراد أن يستحيها بالبسم اجبة من صوف أو غيرها من الإبل وللقسم
 في الجاهلية ولئن أراد قتلها تركها حتى اذا كانت سداسية فيقول لامها طيبها وذي شيا حتى أذهب
 بها الى أحباتها وقد حشر لها نرا في العصر فيذهب بها الى المبر فيقول لها انظري فيماتن يدنها
 من خلفها ويهمل عليها القرب حتى تستوي بالارض وقال ابن عباس كانت الحامل

إذا قرئت ولادتها حشرت حفرة فتخفضت على رأس الحفرة فإذا ولدت بتقاربت بهما في الحفرة
وإذا ولدت ولدا حبسته وكانوا يفعلون ذلك لخوف لحوق العار بهم من أجلهم أو الخوف من
الاملاق كما قال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق وكانوا يقولون إن الملائكة نباتات الله
فألحقوا النبات به فهو أحق بهن وكان مصعة بن ناجية ممن منع الوأد وفيه اقصر
الفرزدق في قوله

ومنا الذي منع الواثبات • واحيا الوئيد فلم نوأد

(سئلت باي) أي بسبب أي (ذنب) يأيها الجاهلون (قنلت) أي استحققت به عندكم القتل
وهي لم تباشر سؤال الكونم المصل إلى حد التكليف (فان قيل) مامعنى سؤالها عن ذنبها الذي
قنلت به وهل استل الواثبات عن موجب قتلهما (أجيب) بأن سؤالها وجوابها تبكى لقاتلها
فهي التي تبكى في قوله تعالى لعيسى عليه السلام أنت قلت للناس اتخذوني وأتى الهين من دون
الله قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق وروى أن قيس بن عاصم جاء إلى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني وأدت ثمان بنات كن لي في الجاهلية فقال صلى الله
عليه وسلم أعنتي عن كل واحدة منهن رقبة قال يا رسول الله اني صاحب ابل فقال له صلى الله عليه
وسلم أهد عن كل واحدة منهن بدنة ان شئت وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة التي
تقتل ولدها تأتي يوم القيامة متعلقا ولدها يدها ملطخا بدمه فيقول يا رب هذه أمتي وهذه
قتلتني (وإذا العصف نشرت) أي فحمت بعد أن كانت مطوية والمراد صحف الاعمال التي
كتبت الملائكة فيها أعمال العباد من خير وشر تطوى بالموت وتنشر في القيامة فيقف كل
انسان على صحيفته فيعلم ما فيها فيقول ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها
وروى عن عمر أنه كان إذا قرأها قال البذيء انا امر يا ابن آدم وروى أنه صلى الله عليه
وسلم قال يحشر الناس حفاة عراة فقال أم سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس بآتم سلمة قالت
وما يشغلهم قال نشر العصف فيها مناقيل الذرور ما قبل الخردل وقرأ نافع وابن عامر وعاصم
بخفض السين والباقون بتشديد هاء على تكرير النشر للمبالغة في تعريض العاصي وتبشير المطيع
وقيل لتكرير ذلك من الانسان (وإذا السماء) أي هذا الجفسر كله أفرد له لانه يعلم بالقدره على
بعضه القدرة على الباقي (كشطت) أي نزعت عن أماكنها كما ينزع الجلد عن الشاة والقطاة
عن النش قال القرطبي يقال كشطت البعير كشطنا نزعت جلده ولا يقال سلخت لان العرب
لا تقول في البعير الا كشطته أو جلده والمعنى أزيلت عما فوقها وقال القرطبي طويت (وإذا
الجحيم) أي النار الشديدة التاج (سعرت) أي أبجبت فأضربت للكفار وزيد في اعمالهم يقال
سعرت النار وأسعرتها روى أنه صلى الله عليه وسلم قال أوقد على النار ألف سنة حتى احترت
ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة
واحتج بهذه الآية من قال النار مخلوقة الا أن لانه يدل على أن سعيرها مطلق يوم القيامة
وقرأ نافع وابن ذكوان وعاصم بتشديد العين والباقون بخصفها (وإذا الجنة) أي البستان

ذوالاشجار الملتفة والرياض المجيبة (أزلقت) أى قربت لاهلها ليدخلوها وقال الحسن
انهم يقرءون منها لأنها تزول عن موضعها وقال عبد الله بن زيد زينت والرائق في كلام العرب
القربة وقوله تعالى (علمت نفس) جواب اذا أول السورة وما عطف عليها أى علمت كل نفس من
النفوس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة فالنسك فيه مثله في فترة خير من جراحة ودلالة
هذا السياق للهول على ذلك بوجوب اليقين فيه (ما) أى كل شئ (أحضرت) من خير وشر روى
عن ابن عباس وعمر أنهما قرآ فلما بلغ علمت نفس ما أحضرت قال لا هذا أجريت القصة قال
الرازي ومعلوم أن العمل لا يمكن احضاره فالمراد اذن ما أحضرته في صحائفها أو ما أحضرته
عند المحاسبة وعند الميزان من آثار تلك الاعمال وعن ابن مسعود أن قارئا قرأها عنده
فلما بلغ علمت نفس ما أحضرت قال واقطع ظهره (فلا أقسم) لا مزيدة أى أقسم (بالنفس
البحار الكنسى) هى النجوم الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد تخفى
بضم النون أى ترجع في مجراها وراءها بينا ترى النجم في آخر البرج اذ كتراجعا الى أوله
وتكنس بكسر النون تدخل في كاسها أى تغيب في المواضع التى تغيب فيها الخنوسها رجوعها
وكنوسها اختفاءؤها تحت ضوء الشمس وقيل هى جميع الكواكب تختفى بالنهار فتغيب
عن العيون وتكنس بالليل أى تطلع فى أمائها كالوحش فى كنسها (والليل) أى الذى هو محل
ظهور النجوم وزوال خنوسها وذهاب كنوسها (أذا عسى) قال البغوى قال الحسن أقبل
بظلامه وقال آخرون أدبر تقول العرب عسى الليل وسعع اذا أدبر ولم يبق منه الا القليل
(والصبح اذا تنفس) أى امتد حتى يصير نهارا بينا يقال للنهار اذا زاد تنفس ومعنى التنفس
خروج التسييم من الجوف وفى كيفية الجمار قولان الا قول انه اذا أقبل الصبح أقبل باقباله
روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على الجمار فقبل تنفس الصبح الثانى أنه شبه الليل المظلم
بالكروب الممزون الذى حبس بحيث لا يتحرك فاذا تنفس وجد راحة فهنا لما طلع الصبح فكانه
تخلص من ذلك الحزن فغير عنه بالتنفس وقوله تعالى (انه) أى القرآن (لقول رسول كريم)
هو المقسم عليه والمعنى انه لقول رسول عن الله تعالى كريم على الله تعالى أى انتفت عنه وجوه
المذام كلها وثبت له وجوه الحماد كلها وهو جبريل عليه السلام وأضاف الكلام اليه لانه قاله
عن الله عز وجل (ذى قوة) أى شديد القوى روى الفضال عن ابن عباس أنه قال من قوته
قلعه مذات قوم لوط بقوادم جناحه فرفعه الى السماء ثم قلبها وأبصر إبليس يكلم عيسى عليه
السلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفضه بجناحه نفخة القاء الى أقصى جبل بالهند
وصاح صيحة بنمود فأصبحوا جاثمين ويهبط من السماء الى الارض ويصعد فى أسرع من
الطرف (عند ذى العرش) أى الملك الأعلى المحيط عرشه بجميع الكواكب الذى لا عند
فى الحقيقة الا هو الله سبحانه وتعالى وقوله تعالى (مكين) أى ذى مكانة متعلق به عند أى
ذى منزلة ومكانة ليس عندية جهة بل عندية اكرام وتشريف كقوله تعالى أنا عند المنكسرة
قلوبهم وقيل قوى فى أداء طاعة الله تعالى وتزليلا لاخلال بها (مطاع ثم) أى فى السموات

قال الحسن فرض الله تعالى على أهل السموات طاعة جبريل عليه السلام كما فرض على أهل الأرض طاعة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس من طاعة جبريل عليه السلام الملائكة أنه لما أُنزل بالنبى صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام لرضوان خافن الجنان افتح له ففتح فدخلها فرأى ما فيها (أمين) أى بليغ الأمانة على الوحي الذى يجي به فقبل الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى حيث تذى قوة على تبليغ الوحي مطاع أى بطيعته من أطاع الله تعالى (وما صاحبكم) أى الذى طأأت صحبته لكم وأنتم تعلمون أنه فى غاية الكمال حتى أنه ليس له وصف عندكم إلا الامين وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهذا عطف على أنه إلى آخر المقسم عليه وأغرق فى النفي فقال تعالى (يؤمنون) أى كما زعمتم بهم فى قوله بل جاء بالحق وصدق المرسلين فما القرآن الذى يتلو عليكم قول مجنون ولا قول متوسط فى العقل بل قول أعقل العقلاء وأكمل الكمل * (تنبيه) * استدلل بذلك بعضهم على فضل جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم حيث عطف فضل جبريل عليه السلام واقتصر على نفي الجنون عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو كما قال البيضاوى ضعيف إذا المقصود منه نفي قولهم انما يعلمه بشر وقولهم أفترى على الله كذبا وقولهم أم به جنة لا تعدى فضله والموازنة بينهما (ولقد رآه) أى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام على صورته التى خلق عليها وله ستمائة جناح (بالافق البين) أى البين وهو الافق الأعلى الذى عند سدرة المنتهى حيث لا يكون لبس أصلا ولا يكون للشيطان على ذلك المكان سبيل فعرفه حتى المعرفة وقال مجاهد وقتادة بالافق الأعلى من ناحية المشرق وعن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام انى أحب أن أراك على صورتك التى تكون فيها فى السماء قال لن تقوى على ذلك قال بلى قال فأن تشاهد أن أتجسس لك قال بالابطح قال لا يسعنى قال فبئس قال لا تسعنى قال فبعرفات قال ذلك بالحرى أن يسعنى فواعده فخرج النبى صلى الله عليه وسلم للوقت فاذا هو بجبريل قد أقبل من جبل عرفات بمخشخة وكلكاة قدملا ما بين المشرق والمغرب ورأسه فى السماء ورجلاه فى الأرض فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه قال فحول جبريل عن صورته فضعه إلى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لو رأيت أسرافيل ورأسه تحت العرش ورجلاه فى الصنوم السابعة وإن العرش لعلى كاهله وأنه ليتضاءل احيا تامن مخافة الله تعالى حتى يصير مثل الوصح يعنى العصفور حتى ما يحمل عرش ربك بالاعظمته وقبل ان محمد صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل بالافق المئين وهو قول ابن مسعود وقدم ذلك فى سورة القصم (وما) أى وسعته ورأه والحال انه ما (هو) أى محمد صلى الله عليه وسلم (على الغيب) أى ملأه من الوحي وخبر السماء ورؤية جبريل وغير ذلك مما أخبر به وقرأ (بنظير) ابن كثير وأبو عمرو والكسافى بالقائه المشقة من الغنة وهى التهمة أى فليس بعتم والبلقون بالاضاد موافقة للمرسوم من الظن وهو الجمل أى فليس بجمل بالوحي فيزوي بعضهم أو يسل عليه فلا يعلم كما يكتم السكاهن ما سمعته حتى يأخذ عليه حلوانا وهو فى مصنف عبد الله بن القلاء وفى مصنف أبيه بالاضاد وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ

بهما قال الزمخشري واتقان الفصل بين الضاد والطاء واجب ومعرفة مخرجهما مما لا يقتضيه
 للتأني فان أحكم النظم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا فارقا غير صواب ويذهبون
 بعيدا فان مخرج الضاد من أصل حافة اللسان وما يليه من الأضراس من بين اللسان أو يساره
 وكان عمر بن الخطاب أضبط يعمل بكتايبه وكان يخرج الضاد من جاني لسانه وهي أحد
 الحروف الشجرية أخت الجيم والشين وأما الطاء فخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا
 العليا وهي أحد الحروف الذوقية أخت الذال والطاء ولو استوى الحرفان لما ثبتت في هذه
 الكلمة قرأتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى
 والاشتقاق والتركيب فان قلت فان وضع المصلي أحد الحرفين مكان صاحبه قلت هو كوضع
 الذال مكان الجيم والطاء مكان السين لان التفاوت بين الضاد والطاء كالتفاوت بين أخواتهما
 اه كلامه بصروفه (وما هو) أي القرآن الذي من جملة معجزاته الاخبار بالمغيبات وأغرق
 في النقي بالتأكيذ بالباء فقال تعالى (بقول شيطان) أي مسترق للسمع فيوحيه اليه كما يوحيه
 الى بعض الكهنة (رجيم) أي مرجوم مطرود بعيد من الرحمة وذلك ان قريشا كانوا يقولون
 ان هذا القرآن يحى به شيطان فيأخيه على لسانه يريدون بالشيطان الايض الذي كان يأتي
 النبي صلى الله عليه وسلم في صورة جبريل يريد أن يقتنه فنفى الله تعالى ذلك وقوله تعالى (فأين)
 منصوب بقوله تعالى (تذهبون) لانه ظرف مبهم وقال أبو البقاء أي الى أين فحذف الجار أي
 فأى طريق تسلكون في انكاركم القرآن واعراضكم عنه وفي هذا استضلال لهم
 فيما يسلكون من أمر النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن كقولك لتارك الجادة أين تذهب (ان)
 أي ما (هو) أي القرآن الذي أتاكم به الرسول (الاذكر) أي عظة وشرف (للعالمين) من انس
 وجن وملك وقوله تعالى (لمن شاء منكم) بدل من العالمين بإعادة الجار (أن يستقيم) باتباع الحق
 قال أبو جهل الامر اليانا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم وهذا هو القدر وهو رأس القدرية
 فنزل (وما تشاؤون) الاستقامة على الحق (الا أن يشاء الله) أي الا وقت أن يشاء الملك الاعظم
 الذي بيده كل شيء مشيئكم الاستقامة عليه (رب العالمين) أي مالك الخلق وفي هذا اعلام
 ان أحدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله تعالى ولا شرا الا بخذلانه ونقل البغوى في أول السورة
 بإسناده الى ابن عمر رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن ينظر في يوم القيامة
 فليقرأ اذا الشمس كورت وأما قول البيضاوي تبعا للزمخشري أنه صلى الله عليه وسلم قال من
 قرأ سورة التكاوير أعاده الله أن يفضحه حين تنشر محبته فحديث موضوع

﴿سورة الأنعام﴾

وهي تسع عشرة آية ومثلون كلمة وثلاثمائة وسبعة وعشرون حرفا

(بسم الله) الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا (الرحمن) الذي دبر السكائن تدبيرا (الرحيم) الذي
 أرسل رسوله بالذيق نذيرا (إذا السماء انشعب) أي على شدة احكامها واتساقها وارتقاها (انفطرت)

أى انشقت انزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام (واذا الكواكب) أى
 النجوم الصغار والكواكب باركها الغراء الزاهرة المتوقدة توقد النار والمرصعة ترصيع المسامير
 (انتشرت) أى تساقطت متفرقة لأن عند انتفاض تركيب السماء تنتثر النجوم على الارض
 (واذا البحار) المتفرقة فى الارض وهى ضابطة لها أتم ضبط انفع العباد على كثرتها (لجرت)
 أى فتح بعضها فى بعض فاختلف العذب بالمح والبرخ الذى بينها فصارت البحار بحرا واحدا
 وروى أن الارض تنشف الماء بعداء تلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن
 فى قوله تعالى واذا البحار سجرت وقال ههنا لجرت بفت (واذا القبور) أى مع ذلك كله (بعثت)
 أى قلبت يقال بعثه وبجثه بالعين والحاء قال الزنجشري وهما مركبان من البعث والبعث
 مع راء مضمومة اليهما أى فهماء معنى والمعنى قلب أعلاها أسفلها وقاب باطنها ظاهرها وخرج
 ما فيها من الموتى احياء وقيل التبعثر اخرج ما فى بطنها من الذهب والفضة ثم تخرج الموتى بعد
 ذلك وجواب اذا قول السورة وما عطف عليه (علمت نفس) أى كل نفس وقت هذه المذكورات
 وهو يوم القيامة (ما قدمت) من عمل (وأخرت) أى جميع ما علمت من خيرا وشرا وغيرهما
 (فان قيل) أى وقت من القيامة يحصل هذا العلم قال الرازى اما العلم الاجمالى فيحصل فى أول
 زمان الحشر لأن المطيع يرى آثارا لمعاداة والعاصى يرى آثارا للشقاوة فى أول الامر وأما
 العلم التفصيلى فانما يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة وقوله تعالى (يا أيها الانسان) أى
 البشر الاتى بنفسه الناسى لما يعنيه خطاب لمنكرى البعث وروى عطاء عن ابن عباس أنها
 نزلت فى الرايد بن المغيرة وقال الكلبي ومقاتل نزلت فى أبى الشريق ضرب النبی صلى الله عليه
 وسلم فلم يعاقبه الله تعالى فى أول أمره وقيل تناول جميع العصاة لأن الاعتبار بعموم اللفظ
 لا بخصوص السبب (ما غرل بربك) أى ما خدعك وسول لك الباطل حتى تركت ما أوجب
 عليك المحسن اليك وأثبت بالمحرمات (الكريم) أى الذى له الكمال كله المقضى لأن لا يهمل
 الظالم ولا يبين المحسن والمسيء هذا اذا حملنا الانسان على جميع العصاة فان حملناه على
 الكافر وهو ظاهر الآية قاله فى ما الذى دعا الى الكفر وانكار الحشر والنشر (فان قيل)
 كونه كرميا يقتضى أن يغفر الانسان بكرمه لانه جواده طاق والجواد الكريم يستوى عنده
 طاعة المطيع وعصيان المذنب وهذا يوجب الاعتذار كما يروى عن علي بن أبي طالب رضى الله
 تعالى عنه أنه صبح بعلام له مرات فلم يلبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له لم لا تحيىنى فقال لتقنى بملك
 وأمنى عقوبتك فاستحسن جوابه وأعتقه وقالوا أيضا من كرم ساء أدب علمانه واذا ثبت ان كرمه
 يقتضى الاعتذار به فكيف جعله ههنا مانعا من الاعتذار (أجيب) بأن حق الانسان أن لا يغفر
 بكم الله تعالى عليه حيث خلقه حيا وتفضل عليه فهو من كرمه لا يعاجل بالعقوبة بسطا
 فى مدة التوبة وتأخير الجزاء الى أن يجمع الناس للجزاء فالخاصة ان تأخير العقوبة لاجل
 الكرم وذلك لا يقتضى الاعتذار بهذا التفضيل فانه منكر خارج عن حد الحكمة ولهذا قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها خروجه له وقال عرضته محقه وجهه وقال الحسن

غزوه وانه شيطانه الخبيث أي زين له المعاصي وقال له افعل ما شئت فربك الكريم الذي تفضل
عليك بما تفضل به أولا وهو مفضل عليك آخر احق ورطه وقيل للفضيل بن عياض ان أقامك
الله يوم القيامة وقال لك ما غرتك بربك الكريم ماذا تقول له قال أقول غرتني ستمورك المرخاة
وهذا على سبيل الاعتراف بالخطاي الاغترار بالسوء وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به
قصاص الحشوية ويروون عن أئمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب
حتى يقول غرتني كرم الكريم وقال مقاتل غزوه غزوه الله حيث لم يعاقبه أول مرة وقال السدي
غزوه رفق الله تعالى به وقال قتادة سبب غرور ابن آدم تسويل الشيطان وقال ابن مسعود
ما منكم من أحد الا سيخطوا الله تعالى به يوم القيامة فيقول ما غرتني يا ابن آدم ماذا علمت
فبما علمت يا ابن آدم ماذا أجبك المرسلين (الذي خلقك) أي أوجلك من العدم مهيا بتقدير
الاعضاء (فسوالك) عقب تلك الاطوار بتصور الاعضاء والمنافع بالفعل (فعدلك) أي جعلك
كل شيء من ذلك سليما مودعا فيه قوة المنافع التي خلقه الله تعالى لها (تقيده) قوله تعالى الذي
يحقق الاتباع على البذل والبيان والنعت والقطع الى الرفع والنصب واعلم انه سبحانه وتعالى
لما وصف نفسه بالكرم ذكر هذه الامور الثلاثة كالدلالة على تحقيق ذلك الكرم فقوله سبحانه
الذي خلقك أي بعد أن لم تكن لاشك انه كرم لانه وجود والوجود خير من العدم والحياة خير
من الموت كما قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم وقوله تعالى فسوال الذي
جعلك مستوى الخلقة سالم الاعضاء غاية في الكرم كما قال تعالى أكثرت بالذي خلقك من تراب
ثم من نقطة ثم سوادا رجلا أي معتدل المخلق والاعضاء وقال ذو النون المصري أي سخر لك
المكونات أجمع وما جعلك من خير الشيء منها ثم أنطق بك بالذكور قلبك بالعقل وروحك
بالمعرفة ومثل ذلك بالايان وشرف الدنيا لا ص والنهاي وفضلك على كثير من خلق تفضيلا وقرأ عاصم
وحدة والكسائي بخفيف الدال والباقون بالتشديد بمعنى جعلك متناسبا لاطراف فلم يجعل
احدى يديك أو رجلك أطول ولا احدى عينيك أو سمع فهو من التعديل وهو كقوله تعالى
بلى قادرين على أن نسوي بنانه وقال عطاء بن ابي عباس جعلك قائما معتدلا حسن الصورة
لا كالبهيمة المخصية وقال أبو علي الفارسي عدلك خلقك في أحسن تقويم مستويا على جميع
الحيوان والنبات وواصل في الكمال الى ما لم يصل اليه شيء من أجسام هذا العالم وأما قراءة
التخفيف فتشمل هذا أي عدل بعض اعضاءك ببعض ويحتمل أن يكون من العدول أي صرفك
الى ما شاء من الهيات والاشكال ونقل القفال عن بعضهم انهم ما لغتان بمعنى واحد (في أي
صورة) أي من الصور التي تعرفها والتي لا تعرفها من الدواب والطيور وغير ذلك من الحيوان
وغیره وما في قوله تعالى (ما شاء) مزيدة وفي أي متعلق بركب في قوله تعالى (ركبك) أي بركبك
في أي صورة اقتضت أمشيته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر
والذكورة والذكورة والنسب ببعض الاطراف وخلاف المشبه (فلم يبق) فلا عطف هذه الجملة
كما عطف ما قبلها (اجيب) بأنها بيان لمالك ويجوز ان تتعلق بمسئول أي ركبك ما جلا في بعض

الصور ومجمله النصب على الحال ان علق بمذوف ويجوز ان يتعلق بمعد لك ويكون في أى معنى
 التهب أى فعد لك في صورة مجيبة ثم قال ما شاء ركبك من التراكيب يعنى تركيباً حسناً وقوله
 تعالى (كلاً) ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى والتعلق به وهو موجب الشكر والطاعة الى
 عكسهما الذى هو الكفر والمعصية وقوله تعالى (بل تكذبون) أى يا كفار مكة (بالدين) اضراب
 الى ما هو السبب الاصلى في اغترارهم والمراد بالدين الجزاء على الاحمال والاسلام (وان) أى
 والحال ان (عليكم) أى عن اقناهم من جندنا من الملائكة (لحافظين) أى على أعمالكم بحيث
 لا يخفى عليهم منها جليل ولا حقير (كراماً) أى على الله تعالى (كاتبين) أى لهذه الاعمال في الصحف
 كما تكتب الشهود منكم العهد ليقع الجزاء على غاية التحرير (تنبيه) هذا الخطاب وان كان
 خطاب مشافهة الا ان الامة أجمعت على عموم هذا الخطاب في حق المكلفين وقوله تعالى حافظين
 جمع يحتمل أن يكونوا حافظين لجميع بنى آدم من غير أن يختص واحد من الملائكة بواحد من بنى
 آدم ويحتمل أن يكون الموكل بكل واحد منهم غير الموكل بالآخر ويحتمل ان يكون الموكل بكل
 واحد منهم جمعاً من الملائكة كما قيل اثنان بالليل واثنان بالنهار وكما قيل انهم خمسة واختلفوا
 في الكفار هل عليهم حفظة فقيل لا لان أمرهم ظاهر وعلمهم واحد قال تعالى يعرف المجرمون
 بسيماهم وقيل عليهم حفظة وهو ظاهر قوله تعالى بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين وقوله
 تعالى وأما من أوفى كتابه بشماله وقوله تعالى وأما من أوفى كتابه وراء ظهره فأخبر أن لهم
 كتاباً وأما أن عليهم حفظة (فان قيل) فأى شئ يكتب الذى عن يمينه ولا حسنة له (أجيب) بأن
 الذى عن شماله يكتب باذن صاحبه ويكون صاحبه شاهداً على ذلك وان لم يكتب وفى هذه الآية
 دلالة على أن الشاهد لا يشهد الا بعد العلم بوصف الملائكة بكونهم حافظين كراماً كاتبين (يعلمون)
 أى على التجدد والاستمرار (ما تفعلون) فدل على أنهم يكونون عالمين بما هم يكتبونها فاذا
 كتبوها يكونون عالمين عند أداء الشهادة وفى تعظيم الكتابة تعظيم لأمرا الجزاء فانه عند الله من
 جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه وفيه انذار وتهويل للعصاة ولطف
 بالمؤمنين وعن الفضيل انه كان اذا قرأها قال ما أشدها من آية على الغافلين ولما وصف تعالى
 الكرام الكاتبين لأعمال العباد ذكر أحوال العالمين وقسمهم قسمين وبدأ بقسم أهل السعادة
 فقال تعالى (ان الأبرار) أى المؤمنين الصادقين فى إيمانهم بأداء فرائض الله تعالى واجتناب
 معاصيه (لنى نعيم) أى محيط بهم أبد الأبدى وهو نعيم الجنة الذى لا نهاية له ثم ذكر قسم أهل
 الشقاوة بقوله تعالى (وان العجبار) الذين من شأنهم الخروج عما ينبغى الاستقرار فيه من رضا
 الله تعالى الى ضلته وهم المكفرون (لنى عذاب) أى نار محرقة تتوقد غاية التوقد فهم فيها أبد
 الأبدى (يصلونها) أى يدخلونها ويقاسون حرها (يوم الدين) أى يوم الجزاء وهو يوم القيامة
 (وما هم عنها) أى الجحيم (بفتابين) أى مخرجين ويجوز ان يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون
 عنها قبل ذلك فى قبورهم وقيل أخبر الله تعالى فى هذه السورة أن لابن آدم ثلاث حالات حالة
 الحياة التى يحفظ فيها عمله وحالة الآخرة التى يجازى فيها عمله والبرزخ وهو قوله تعالى وما هم

عنها بقا بين وروى أن سليمان بن عبد الملك قال لابي حاتم المديني ليت شعري ما لنا عند الله قال اعرض عليك على كتاب الله تعالى فانك تعلم مالك عند الله تعالى قال فأتين أجد ذلك في كتاب الله قال عند قوله تعالى ان الابرار لنعي الاية قال سليمان فأتين رحمة الله تعالى قال قريب من الحسين ثم عظم سبحانه وتعالى ذلك اليوم فقال (وما أدراك) أي وما أعلمك وان اجتهدت في طلب الرواية به (ما يوم الدين) أي أي شيء هو في طوله وهوله وقضاوته وزلاله ثم كرره تهجيك أنه فقال تعالى (ثم ما أدراك) أي كذلك (ما يوم الدين) أي ان يوم الدين الذي بحيث لا تدرك رواية داركنه في الهول والشدة وكيفما تصوره فهو فوق ذلك وعلى أضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم أجعل تعالى القول في وصفه فقال سبحانه (يوم لا تغلظ) أي بوجه من الوجوه في وقت ما (نفس) أي أي نفس كانت (لنفس شياً) أي قل أو جل وقرأ ابن كثير وأبو عمرو برفع يوم على أنه خبر مبتدأ مضمراً أي هو يوم وجوز الزحشرى أن يكون بدلاً مما قبله يعني يوم الدين والباقون بالفتح باضممار أعني أو اذكر (والامر) أي كاه (يومئذ) أي اذ كان البعث للجزاء (لله) أي ملك الملوك لا امر لغيره فيه فلا يعلم الله تعالى في ذلك اليوم أحداً شيئاً كما ملكهم في الدنيا وقول البيضاوي تبعاً للزحشرى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعد كل قبر حسنة حديث موضوع

❖ (سورة المطففين مدنية) ❖

في قول الحسن وعكرمة ومقاتل قال مقاتل وهي أول سورة نزلت بالمدينة وقال ابن عباس وقسادة مدينة الاثمان آيات وهي قوله تعالى ان الذين أخرجوا الى آخرها فهم مكى وقال الكلبي وجابر بن زيد نزات بين مكة والمدينة ولعل هذا هو سبب الاختلاف وقال ابن مسعود والنضال مكية وهي ست وثلاثون آية ومائة وتسع وتسعون كلمة وسبع مائة وثمانون حرفاً

(بسم الله) الذي من توكل عليه كفاه (الرحمن) الذي عتم جوده الابرار والعصاة (الرحيم) الذي خص أهل طاعته بهداه (ويل) مبتدأ وسوغ الابتداء به كونه دعاء وهو اما كلمة عذاب أو هلال ثابت عظيم في كل حال من أحوال الدنيا والآخرة أو وادى جهنم وقوله تعالى (للمطففين) خبره والتطفيف الخسر في الكيل والوزن لأن ما يخسر شيء طفيف حقير قال الزجاج وانما قيل للمذي ينقص المكيال والميزان مطفف لانه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان الا الشيء اليسير الطفيف وروى ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكانوا من أجنس الناس كيلاً فزلت فأحسنوا الكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس خمس قيل يا رسول الله ما خمس قال ما تقص قوم العهد الا سلب الله تعالى عليهم عدوهم ولا حكموا بغير ما أنزل الله الا فتافهم الفقر ولا ظهرت فيهم القاحنة الا فتافهم الموت ولا طفقوا المكيال الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم المطر وقال السدي قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يعرف بأبي جهينة ومنعه صاعان

يكيل بأحد هما ويكالي بالآخر فقلت وقيل كان أهل المدينة تجارا يطفقون وكانت بياعاتهم
المنابذة والملاسة والمخاطرة فقلت وعن علي أنه من رجل زين الزعفران وقد أرجع فقال له أقم
الوزن بالقسط ثم أرجع بعد ذلك ما شئت كأنه أمر بالتسوية أولا ليعتادها ويفصل الواجب من
الفضل وعن ابن عباس أنكم معشر الأعاجم وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال
والميزان فخص الأعاجم لأنهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين كان أهل
مكة يزنون وأهل المدينة يكيلون وعن ابن عمر أنه كان يمر بالبائع فيقول اتق الله وأوف الكيل
فإن المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن حتى إن العرق يلجمهم إلى أنصاف آذانهم وعن
مكرمة أشهد أن كل كيال ووزان في النار فقبل له إن ابنك كيال أو وزان فقال أشهد أنه في النار
وعن أبي تالمس الحواري من رزقه في رؤس المكاييل وألسن الموازين * ثم بين تعالى المطففين
من هم بقوله تعالى (الذين إذا اكالوا) أي عالجوا الكيل (على الناس) أي كائنين من كلوا
لا يخافون شيئا ولا يراعون أحدا بل صارت الشهادة والوقاحة لهم دينا (يستوفون) أي إذا
كلوا منهم وأبدل على مكان من للدلالة على أن أكيا لهم من الناس أكيا يضرهم ويتعامل
فيه عليهم ويجوز أن يتعلق على يستوفون ويقدم المفعول على الفعل لإفادة الخصوصية أي
يستوفون على الناس خاصة وأما أنفسهم فيستوفون لها وقال الضراء من وعلى يتعاقبان في هذا
الموضع لأنه حق عليه فإذا قال اكلت عليك فكانت أخذت ما عليك وإذا قال اكلت
منك فكقوله استوفيت منك (وإذا كالوهم) أي كالوا الناس أي حقهم أي مالهم من الحق
(أو وزنوهم) أي وزنوا لهم فغذف الجار وأوصل الفعل كما قال القائل

واقدر جنيتك أكوأ وعسا قلا * ولقد نهيته عن نبات الأوبر

وقال آخر والحريص يصيدك لا الجواد يعني جنيت لك ويصيدك ويقال وزنتك حقك وكلتك
طعامك أي وزنت لك وكلت لك ونهضت لك وكسبتك وكسبت لك والا كوجع كجاة
والعساقل ضرب منها وأصله عساقل لأن واحدا عساقل كعصفور وغذفت الباء للضرورة
وبنت أوبر ضرب من الكجاة ردى (يخسرون) جواب اذنوه هو تعدى بالهمزة يقال خسرو
الرجل وأخسره أنا مفعوله محذوف أي يخسرون الناس متاعهم وقيل يخسرون أي ينقصون
بلغة فارس أي ينقصون الكيل أو الوزن وقوله تعالى (ألا يظن أولئك) أي الأخساء البعداء
الأراذل (أنهم مبعوثون ليوم) أي لأجله أوفيه وزاد التحويل بقوله تعالى (عظيم) انكارا
وتعجيبا من حالهم في الاجترار على التطفيف كأنهم لا يحيطون ببالهم ولا يضمنون تخميناتهم
مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة والجرذلة وقيل الظن يعني اليقين وقوله تعالى (يوم) يجوز
نصبه بمبعوثون أو بإضمار أعني أو بدل من محلي يوم فخاصبه يعنون (يقوم الناس) أي من قبورهم
(لرب العالمين) أي الخلائق لأجل أمره وجزائه وحسابه وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه
وسلم طلع يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحداهم في رثعه إلى أنصاف آذنيه وعن
المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من

العبد حتى تكون قديمه ل أو اثنين قال سليم لا أدري أي الحيلين يعني مسافة الارض أو الميل
 الذي تكمل به العين قال قصصهم الشمس فيكونون في العرق بقدر أعمالهم فمنهم من يأخذ ما إلى
 عقبيه ومنهم من يأخذ ما إلى ركبته ومنهم من يأخذ ما إلى حقويه ومنهم من يلجمه الجحش ما فرأيت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يشير بيده إلى فيه يقول الجحش الجحش ما فرأيت
 كما تحب أن يوفى لك وأعد لك كما تحب أن يعدل لك وعن الفضيل بن عياض الميزان سواد الوجوه يوم
 القيامة وعن عبد الملك بن مروان أن أعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين أراد بذلك
 أن المطفف قد توجه عليه الوعد العظيم الذي سمعت به فطأه بنفسك وأنت تأخذ أموال
 المسلمين بلا كيل ولا وزن وفي هذا الانكار والتجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام
 الناس فيه لله تعالى خاضعين ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ اعظم الذنب وتفاقم الاثم
 في التطفيف وفيها كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على السوية
 والعدل في كل أخذ واعطاء بل في كل قول وعمل وعن ابن عمر أنه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله
 تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى فحسبوا ما تمنع من قراءة ما بعده وعن بعض المفسرين أن
 لفظ التطفيف يتناول التطفيف في الوزن والصكيل وفي اظهار العيب واخفائه وفي طلب
 الانصاف والاتصاف ويقال من لم يرض لاختيه المسلم ما يرضاه لنفسه فليس بنصف والمعاشرة
 والصحة في هذه المادة والذي يرى عيب الناس ولا يرى عيب نفسه من هذه الجملة ومن طلب
 حق نفسه من الناس ولا يعطيهم حقوقهم كما يطلبه وقوله تعالى (كلا) ردع أي ليس الامر على
 ما هم عليه فليرتدعوا وهناتم الكلام وقال الحسن كلا ابتداء متصل بما بعده على معنى حقا
 وجرى الجلال المحلى وأكثر المفسرين على الاقل (ان كتاب الفجار) أي كتب اعمال الكفار
 وأظهر موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف واختلف في معنى قوله سبحانه وتعالى (لن
 نحسين) فقيل هو كتاب جامع وهو ديوان الشردون الله تعالى فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة
 والنسقة من الجن والانس وقيل هو مكان تحت الارض السابعة وهو محمل ابليس وجنوده
 وقال عبد الله بن عمر يحسب في الارض السابعة السفلى فيها ارواح الكفار وعن البراء قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسب أسفل سبع أرضين وعليون في السماء السابعة تحت
 العرش وقال الكلبي هو حفرة تحت الارض السابعة خضراء خضرة السموات منها يجعل كتاب
 الفجار فيها وقال وهب بن آخر سلطان ابليس وعن كعب الاحبار ان روح الفاجر يبعث في الكافر
 يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء ان تقبلها ثم يهبط بها إلى الارض فتأبى الارض ان تقبلها
 فتدخل تحت سبع أرضين حتى ينتهي بها إلى سبعين وهو موضع جنس ابليس وذلك استئانها
 ويشهد لها الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون وقال عكرمة بن
 معين أي في خبايا وضلالات (وما أدراك) أي جعلك داويا وان اجتهدت في ذلك (ما يحسن)
 الزجاج أي ليس لك ذلك ما كنت تعلم أنت ولا قومك وقوله تعالى (كتاب مرقوم) ليس تفسيره
 لم يحسن بل هو بيان للكتاب المذكور في قوله تعالى ان كتاب الفجار أي هو كتاب مرقوم أي مبطون

بين الكتابة مكتوب فيه أعمالهم مثبت عليهم كالرقيم في الثوب لا ينسى ولا يمحي حتى يجازون به أو يعلم يعلم من رآه أنه لا خفيه وقبل الرقيم الختم بلغة جبرواقتصر على هذا الجلال المحلى وقال قتادة رقيم عليه بشر كانه علم بعلامة يعرف بها أنه كافر والمعنى ان ما كتب من أعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمى سجينا فعبلا من السجن وهو الحبس والتضييق في جهنم أولاته مطروح تحت الارض كما مر (فان قيل) سجين هل هو اسم أو صفة (أجيب) بأنه اسم علم منقول من وصف كاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الاسباب واحد وهو التعريف (ويل) أى أعظم الهلاك (يومئذ) أى اذ تقوم الناس لمائة قدم (للمكذبين) أى بذلك أو بالحق وقوله تعالى (الذين يكذبون يوم) أى بسبب الاخبار يوم (الدين) أى الجزاء الذى هو سر الوجود بدل أو بيان للمكذبين ثم أخبر عن صفة من يكذب يوم الدين ثلاث صفات ذكر أولها بقوله تعالى (وما) أى والجمال أنه ما (يكذب به) أى بذلك اليوم (الا كل معتد) أى متجاوز عن النظر غال في التقليد حتى استقصى قدرة الله تعالى وعلمه فاستحال منه الاعادة ثم ذكر الصفة الثانية بقوله تعالى (أنتم) أى منهم من في الشهوات المهرجة بحيث اشتغل عما وراءها وجملة على الانكار لماعداها ثم ذكر الصفة الثالثة بقوله تعالى (اذا تلى عليه آياتنا) أى القرآن (قال أساطير الاولين) أى الحكايات سطرت قديما جمع أسطور بالضم وذلك لقرطجه له واعراضه عن الحق فلا تنفعه شواهد النقل كما لا تنفعه دلائل العقل وهذا عام في كل موصوف بذلك وقال الكلبي هو الوليد بن المغيرة وقيل هو النضر بن الحرث وقوله تعالى (كلا) ردع وزجر أى ليس هو أساطير الاولين وقال الحسن معناها حقا كما مر (بل وان) أى غلب وأحاط وغطى تغطية القيم السماء (على قلوبهم) أى كل من قال هذا القول (ما كانوا يكسبون) أى كما يركب الصدأ من اصرارهم على الكبار وتسويق التوبة حتى طبع على قلوبهم فلا تقبل الخير ولا تميل اليه روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا أذنب ذنبا نكتت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها واذا زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلكم الران الذى ذكره الله تعالى في كتابه المبين وقال أبو معاذ الران أن يسود القلب من الذنوب والطبع أن يطبع على القلب وهو أشد من الران والاقفال أشد من الطبع وهو أن يعقل على القلب قال تعالى أم على قلوب أقفالها وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب بالقلب ويغشى فيموت القلب قال صلى الله عليه وسلم اياكم والمقترات من الذنوب فان الذنب على الذنب يوقد على صاحبه جهنما خضمة وعن الحسن الذنب بعد الذنب يسود القلب يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا والغين الغيم ويقال ران فيه النور رمخ فيه ورائت به الحجر ذهبت به وقرأ حمزة وشعبة والـ كسافى بالامالة محضة والباقون بالفتح وسكت حفص على اللام وقفه لطيفة من غير قطع والباقون بغير سكت وقوله تعالى (كلا) ردع عن الكسب الران على قلوبهم وقيل بمعنى حقا كما مر (انهم عن ربهم) أى الحسن اليهم (يومئذ لمحجوبون) أى فلا يرونه بخلاف المؤمنين فانهم يرونه كما ثبت لان في الاحاديث المعصية وقال الحسن لو علم الزاهدون والعابدون انهم لا يرون ربهم في المعاد

لزهقت أنفسهم في الدنيا وسئل مالك عن هذه الآية فقال لما حجب أعداءه فلم يزوه فحبل لا ولياته
 حتى رآوه وفي قوله تعالى كذا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على أن أولياء الله يرون الله تعالى
 ومن نقي الرؤية كالمحجوبين جعله تمهيدا للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا
 الالوجهاء والمكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الاذئاب المهافون عندهم وعن ابن عباس
 وقتادة محجوبون عن رحمة وعن ابن كيسان عن كرامته (ثم انهم) أي بعد ما شاء الله تعالى من
 امهالهم (لما لو الحليم) أي اذا خلوا النار المحرقة (ثم يقال) أي تقول لهم الخزنة (هذا) أي
 العذاب (الذي كنتم به تكذبون) أي في دار الدنيا وقوله تعالى (كلا) ردع عن التكذيب وقيل
 معناها حقا كما مر وقال البيضاوي تكريرا لا قول ليعقب بوعدا الا برار كما عقب بوعيد الفجار
 اشعار بان التطفيف فجودوا لا يفاء بوزودع عن التكذيب (ان كتاب الابرار) أي كتب اعمال
 المؤمنين الصادقين في ايمانهم (انني عليين) وعليون علم لديوان الخير الذي دقن فيه كل ما عملته
 صلحاء الثقلين منقول من جمع فعيل من العلو كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه سبب
 الارتفاع الى اعالى الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون
 تذكرا لعماله وتعظيما وروى ان الملائكة تصعد بعمل العبد فيسبغون به فاذا انتهوا به الى ما شاء الله
 من سلطانه أوحى اليهم انكم الحفظة على عبيدي وأنا الرقيب على ما في قلبه وانه أخلص عمله
 فاجعلوه في عليين وقد غفرت له وانهم تصعد بعمل العبد فيسبغون به فاذا انتهوا به الى ما شاء الله
 أوحى اليهم انتم الحفظة على عبيدي وأنا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في عليين
 وعن البراء مرفوعا عليين في السماء السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح من زبرجدة
 خضراء معلق تحت العرش اعمالهم مكتوبة فيها وقال كعب وقتادة هو قاعدة العرش اليمنى وقال
 عطاء عن ابن عباس هو الجنة وقال الضمالة سدرة المنتهى وقال بعض أهل المعاني علو بعد علو
 وشرف بعد شرف ولذلك جاءت بالياء والتون قال القراء هو اسم موضع على صيغة الجمع لا واحده
 من لفظه مثل عشرين وثلاثين (وما أدرألك) أي جعلك داريا وان بالغت في الفحص (ما عليون)
 أي ما كتاب عليين هو (كتاب) أي عظيم (مرفوم) أي فيه ان فلانا من من النار رقبائيه من
 رقم ما أباه وأجله (يشهده المقربون) يحضرونه فيشهدون على ما فيه يوم القيامة أو يحفظونه
 ولما عظم كتابهم عظم منزلتهم بقوله تعالى (ان الابرار اني نعم) أي في الجنة ثم بين ذلك النعيم
 بأمر ثلاثة أولها قوله تعالى (على الارائك) أي الاسرة في الجبال ولا يسمى اريكة الا اذا كان
 كذلك والجبال بكسر الحاء جمع جملة وهي بيت يزبن بالثياب والستور والاسرة قاله الجوهري
 (يتظرون) أي الى ما شاء الله امد أعينهم اليه من مناظر الجنة والى ما أولاهم الله تعالى من النعمة
 والكرامة والى أعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الجبال أبصارهم عن الادراك وقال
 الرازي يتظرون الى ربهم بدليل قوله تعالى (تعرف) أي أيها الناظر اليهم (في وجوههم) عند
 رؤيتهم (نضرة النعيم) أي بهجته وحسنه ورونقه كما ترى في وجوه الاغنياء وأهل الترفه
 أو الخطاب اتم الله صلى الله عليه وسلم لكل ناظر وقال الحسن النضرة في الوجه والسرور في

القلب وهذا هو الامر الثاني وأما الثالث فهو قوله تعالى (يسقون من رحيق) أى خمر صافية طيبة وقال مقاتل الخمر البيضاء وقال الرازي لعنه الله الموصوف بقوله تعالى لا فيها غول (تختوم) أى ختم ومنع من أن غسه يدالى أن يثك ختمه الابرار وقال القفال يحتمل أن يكون ختم عليه تكميلا للمعاليصانة على ما جرت به العادة من ختم ما يكرم ويصان وهناك خمر أخرى تجرى أنهارا لقوله تعالى وأنهارا من خمر لذة للشاربين الا أن هذا المختوم أشرف من الجاري (ختامه مسك) أى آخر شربه يفوح منه مسك فالمختوم الذى له ختام أى آخر شربه وختم كل شئ القراغ منه وقال قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك وقال ابن زيد ختامه عند الله مسك وقبل طينه مسك وقبل ختمه أو انيه من الاكواب والاباريق بمسك. كان الطينة (وفى ذلك) أى الامر العظيم البعيد التناول وهو العيش والنعيم أو الشراب الذى هذا وصفه (فلينتنفس) أى فليغري غياة الرغبة بجميع الجهد والاختيار (المتنافسون) أى الذين من شأنهم المنافسة وهو أن يطلب كل منهم ان يكون ذلك المتنافس فيه لنفسه خاصة دون غيره لانه نفيس جدا والنفيس هو الذى تحرص عليه نفوس الناس وتتعالى فيه والمنافسة فى مثل هذا بكثرة الاعمال الصالحة والنيات الخالصة وقال مجاهد فليعمل العاملون نظيره قوله تعالى للمثل هذا فليعمل العاملون وقال مقاتل ابن سليمان فليدارع المتسارعون وقال عطاء فليستبق المتسبقون وقال الزمخشري فليرتقب المرتقبون والمعنى فى الجميع واحد وأصله من الشئ النفيس الذى تحرص عليه نفوس الناس ويريد كل أحد لنفسه وينتفس فيه على غيره أى يضن (ومزاجه) أى ما يمزج به ذلك الرحيق (من نسيم) وهو علم لعين يعينها سميت بالتنسيم الذى هو مصدر سمنه اذا رفعه لانها تأتيهم من فوق على ما روى انه يجرى فى الهواء سمنه فتصب فى أواني أهل الجنة على مقداد الحاجة فاذا امتلأت أمسكت وقوله تعالى (عيننا) نصب على المدح وقال الزجاج نصب على الحال (يشرب بها) أى يشربها على طريقة المزج منها (المقربون) وضمن يشرب معنى يلتذفهم يشربونها صرفا وتخرج سائر أهل الجنة (ان الذين أجمعوا) أى قطعوا ما امر الله به ان يوصل وهم رؤساء قريش (كانوا من الذين آمنوا) وهم فقراء الصحابة عما يوصيه بوبلابل وغيرهم من فقراء المؤمنين (بعضكون) أى استهزأ بهم (واذا مروا) أى المؤمنون (بهم) أى بالذين أجمعوا (بتغاضون) أى يشبهوا المجرمون الى المؤمنين بالحقن والحاجب استهزأ بهم وقيل يفيز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم قيل جاء على بن ابي طالب رضى الله عنه فى نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وسخروا وتغاضوا ثم رجعوا الى أصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلح ونهكوا منه فقلت قبل أن يصل على الله النبي صلى الله عليه وسلم (واذا انقلبوا) أى رجع الذين أجمعوا برغبتهم فى الرجوع واقبالهم عليه من غير تكبر (الى أهلهم) أى منازلهم التى هى عامرة بجماعتهم وقرأ حزة والكسافى فى الوصل بضم الهاء والميم وأبو عمر ويكسر الهاء والباقون يكسر الهاء وضم الميم (انقلبوا) حالة كونهم (فأكهين) أى مثل الذين يما كان من مكنتهم ورفعهم التى أوصلتهم الى الاستبصار بغيرهم قال ابن بريان روى عنه عليه الصلاة والسلام ان الذين يدأخرياً وسبيحود

غريباً كما بدأ يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر في أخرى يكون المؤمن فيهم اذل من
 الامة وفي أخرى العالم فيهم - م اتين من جيفة حمار فالله المستعان وقرأ حصص بغير الف بين الفاء
 والكاف والباقيون بالالف قبلهما يعني وقيل فسكهين فرحين وقاكهين ناعمين وقيل فاكهين
 أصحاب فاكهة ومزاح (واذا راؤهم) أي رأى المجرمون المؤمنين (قالوا) أي المجرمون (ان
 هؤلاء) أي المؤمنين (الضالون) أي لايمانهم محمد صلى الله عليه وسلم يرون أنهم على شيء وهم على
 ضلال في تركهم التمتع الحاضر بسبب شيء لا يدري هل له وجود أم لا قال الله تعالى (وما) أي
 والحال أنهم ما (ارسلوا) أي الكفار (عليهم) أي على المؤمنين (حافظين) أي موكلين بهم يحفظون
 عليهم أحوالهم ويمنون على أعمالهم ويشهدون برشدكم وضلالهم وهذا حكمهم وقيل هو
 من جملة قول الكفار وانهم اذا راوا المسلمين قالوا ان هؤلاء لضالون وانهم لم يرسلوا عليهم
 حافظين انكار الصدم اياهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وبتهم في ذلك وقوله تعالى
 (فاليوم) منصوب بضمحكون ولا يصح تقديمه على المبتدأ لانه لو تقدم العامل هنا لجاز اذ لا
 ليس بخلاف زيد قام في الدار لا يجوز في الدار زيد قام ومعنى فاليوم أي في الآخرة (الذين
 آمنوا) ولو كانوا في أدنى درجات الايمان (من الكفار يضحكون) وفي سبب هذا الضحك
 وجوه منها أن الكفار كانوا يضحكون على المؤمنين في الدنيا بسبب ما هم فيه من الضرب والبؤس
 وفي الآخرة يضحك المؤمنون على الكافرين بسبب ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة
 والكبر ومن ألوان العذاب بعد النعيم والترفة ومنها أنهم علموا أنهم كانوا في الدنيا على غير شيء
 وأنهم باعوا الباقي بالفاني ومنها أنهم يرون أنفسهم قد فازوا بالنعيم المقيم ونالوا بالتعب اليسير
 راحة الابد ومنها قال أبو صالح يقال لاهل النار وهم فيها اخرجوا ونفخ لهم أبوابها فاذا راوها
 وقد قفقت أبوابها أقبلوا اليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون اليهم فاذا انتهوا الى أبوابها
 غلقت دونهم يفعل ذلك بهم مراراً فذلك سبب الضحك ومنها أنهم اذا دخلوا الجنة وأجلسوا
 على الاوائك ينظرون الى الكفار كما قال تعالى (على الاوائك) أي الاسرة العالمية (ينظرون)
 اليهم كيف يعذبون في النار ويرفعون أصواتهم بالويل والثبور ويلعن بعضهم بعضاً) (تنبيه)
 ينظرون حال من يضحكون أي يضحكون ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان وقال كعب
 بين الجنة والنار كوي اذا أراد المؤمن أن ينظر الى عدوه كان في الدنيا اطلع عليه من تلك
 الكوي كما قال تعالى فاطلع فرآه في سواء الجحيم فاذا اطلعوا من الجنة على أعدائهم وهم يعذبون
 في النار يضحكوا قال الله تعالى (هل ثوب الكفار) أي هل جوزوا (ما كانوا يفعلون) أي جزاء
 استهزائهم بالمؤمنين ومعنى الاستهزاء ههنا التقرير وثوبه وأثابه بجحى واحد اذا جازاه قال أبو
 ساجزك أو يجزك عن منوب * وحسبك ان ينفي عليك وتحمدي
 وقرأ الكسائي وهشام يادغام اللام في الشاء والباقيون بالاظهار وقول البيضاوي تبعاً
 للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة المطفين سقاء الله تعالى من الرجيق
 المختوم يوم القيامة حديث موضوع

❖ (سورة الانشقاق مكية) ❖

وهي ثلاث وأخمس وعشرون آية ومائة وسبع كلمات وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفا

(بسم الله) الذي شقق الارض بالنبات (الرحمن) الذي عمّ جوده أهل الارض والسموات (الرحيم) الذي خص أهل طاعته بالجنات وقوله تعالى (إذا السماء) أي على مالها من الاحكام والعظمة (انشقت) كقوله تعالى إذا الشمس كورت في اضممار الفعل وعدمه وفي اذا هذه احتملان أحدهما أن تكون شرطية والثاني أن تكون غير شرطية فعلى الاول في جوابها أوجه أحدها أنه محذوف ليذهب المقدر كل مذهب أو اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكويز والانقطار وهو قوله تعالى علمت نفس الثاني جوابها ما دل عليه فلاقية الثالث أنه ياتى بها الانسان على حذف الفاء وعلى كونها غير شرطية فهي مبتدأ وخبرها اذا الثانية والواو مزيدة تقديره وقت انشقاق السماء رقت مدا الارض أي يقع الامر ان في وقت قاله الاخفش وقيل انه منصوب مفعولا به باضممار اذ كر وانشقاقها بالغمام وهو من علامات القيامة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي تنشق من الهجرة قال ابن الاثير الهجرة هي البياض المعترض في السماء والسراب من جانبها (وأذنت) أي سمعت وأطاعت في الانشقاق (لربها) أي لتأثير قدرته حين أراد انشقاقها انقياد المطواع الذي ورد عليه الامر من جهة المطاع فأنصت له وأذعن ولم ياب ولم يتنع كقوله أتينا طائعين (وحقت) أي حق لها أن تسمع وتطيع بأن تنقاد ولا تتنع يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق (وإذا الارض) أي على مالها من الصلابة (مدت) أي زيد في سمعتها كمد الاديم ولم يبق عليها بناء ولا جبل كما قال تعالى فاعاصفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وعن ابن عباس مدت مدا الاديم العكاظي لأن الاديم اذا مازال كل انشاء فيه وأمت واستوى (وألقنت) أي أخرجت (مافيها) من الكنوز والموتى كقوله تعالى وأخرجت الارض أثقالها (وتخللت) أي خللت منها حتى لم يبق في بطنها شيء وذلك يؤذن بعظم الامر كما تلقي الحامل مافي بطنها عند الشدة ووصفت الارض بذلك توسعا والافال تحقيق أن الله تعالى هو المخرج لتلك الاشياء من الارض وقوله تعالى (وأذنت لربها وحقت) تقدم نفسه به وهذا ليس بتكرار لأن الاول في السماء وهذا في الارض وتقدم جواب اذا ومن جملة ما قيل فيه وما عطف عليه أنه محذوف دل عليه ما بعده تقديره لقي الانسان عمله وذلك كله يوم القيامة واختلف في الانسان في قوله تعالى (يا أيها الانسان) أي الاتخس بنفسه الناسي لامرربه (انك كادح) فقيل المراد جفس الانسان كقولك يا أيها الرجل فكادته خطاب خص به أحد من الناس قال القفال وهو أبلغ من العموم لانه قائم مقام التخصيص على مخاطبة كل واحد منهم على التعيين بخلاف اللفظ العام وقيل المراد منه رجل بعينه فقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انك كادح في ابلاغ رسالات الله تعالى وارشاد عباده وتحمل الضرر من الكفار فابشر فانت لقي الله تعالى بهذا العمل وقال

ابن عباس هو أبي بن خلف وكده هو جدّه واجتهاده في طلب الدنيا وايداء النبي صلى الله عليه وسلم والاصرار على الكفر والكدر جهده النفس في العمل والكدفه حتى يؤثرفها من كدر جلدّه اذا خدشه ومعنى كادح (الى ربك) أي جاءه الى لقائه وهو الموت أي هذا الكدر يستمر الى هذا الزمن وقال القفال تقديره انك كادح في دنياك (كدحا) تصير الى ربك وقوله تعالى (فلاقبه) يجوز أن يكون عطفا على كادح والسبب فيه ظاهر وأن يكون خبر مبتدأ مضمراً أي فانت ملاقيه وقيل جواب اذا والضمير في ملاقيه اما الرب أي ملاقي حكمه لامفر لك منه واما للكدر الآن الكدر عمل وهو عرض لا يبقى فلاقاه بمنعته فالمراد جزاء كد حاك من خيرا وشره وقال الرازي المراد ملاقة الكتاب الذي فيه بيان تلك الاعمال ويؤكد كده مذاقوله تعالى بعده (فأما من أوفى كتابه) أي كتاب عمله الذي كتبه الملائكة (بيمينه) أي من أمامه وهو المؤمن المطيع (فسوف يحاسب) أي يقع حسابه بوعده لا خلف فيه وان طال الامد لاظهار الجبروت والكبرياء والقهر (حسابا يسيرا) هو عرض عمله عليه كما قسر في حديث الصحابين وفيه من نوقش الحساب هلك وفي رواية من حوسب عذب قالت عائشة اليس يقول الله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب وانما حوسب حسابا سهلا لانه كان يحاسب نفسه فلا تقع له المخالفة الا ذهولا فلاجل ذلك تعرض أعماله فيقبل حسنها ويعفى عن سيئها (وينقلب) أي يرجع بنفسه من غير من عجز برغبة وقبول (الى أهله) أي الذين أهل بهم في الجنة من الحور العين والادميات والذريات اذا كانوا مؤمنين (مسرورا) أي قد أوفى الجنة وحريرا فانه كان في الدنيا في أهله مشفقاً من العرض على الله يحاسب نفسه حسابا يسيرا مع ما هو فيه من تكدي الازل وضيق العيش (وأما من أوفى كتابه وراء ظهره) وهو الكافر تغل يئناه الى عنقه وتجعل يسرا وراء ظهره فيأخذها كتابه (فسوف يدعو) أي بوعده لا خلف في وقوعه (ثورا) يقول يا ثورا ويا ثورا الهلاك كقوله تعالى دعوا هنالك ثورا (ويصلى سعيرا) أي يدخل النار الشديدة وقرأ أبو عمرو وعاصم بفتح الباء وسكون الصاد وتخفيف اللام والباقون بضم الباء وفتح الصاد وتشديد اللام وقرأ حمزة والكسائي بالامالة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين واذا فتح ورش غلط اللام واذا أمال رقق والباقون بالفتح (انه كان) أي بما هو له كالجبل (في أهله) أي عشيرته في الدنيا (مسرورا) قال القفال أي منع ما ستر يحامن التعب بأداء العبادات واحتمال مشقة الفرائض من الصلاة والجهاد مقدما على المعاصي آمنا من الحساب والثواب والعقاب لا يخاف الله تعالى ولا يرجوه فأبدله الله تعالى بذلك السرور غمبا قبالا ينقطع وقيل ان قوله تعالى انه كان في أهله مسرورا كقوله تعالى واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فاكهين أي متنعمين في الدنيا محبين بما هم عليه من الكفر بالله تعالى والتكذيب بالبعث فيضكون عن أمن بالله تعالى وصدق بالحساب كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وسجن الكافر (انه ظن) أي لضعف نظره (أن) محقة من الثقلة واسما محذوف أي أنه (لن يحور) أي لن يرجع الى الله تعالى

تكندينا بالمعاد يقال لا يجوز ولا يجوز أي لا يرجع ولا يتغير قال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

ومن ابن عباس ما كنت أدري ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية تقول لبنية لها حوري أي
أرجعي وقوله تعالى (بلى) ايجاب لما بعد التني في ان يحور أي بلى ليحورن (ان ربه) أي الذي
ابتدأ انشاء ورباه (كان) أي أزل وأبدا (به بصيرا) أي من يوم خلقه الى يوم بعثه أو بآعماله
لأنساها وقال عطاء بصيرا بما سبق عليه في أم الكتاب من الشقاوة واختلقوا في الشفق
في قوله تعالى (فلا أقسم بالشفق) فقال مجاهد هو النهار كله وقال عكرمة ما بقي من النهار
وقال ابن عباس وأكثر المفسرين هو الحرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشمس وقال قوم
هو البياض الذي يعقب تلك الحرة * (تنبيه) * سمي بذلك لرقته ومنه الشفقة على الانسان رقة
القلب عليه واللام في لا أقسم مزيدة للتأكيد (والليل) أي الذي يغلبه وبذبه (وما وسق) أي
ما جمع وضم يقال وسقه فانسق واستوسق قال الشاعر * مسنوسقات لو يجدن ساقا *
ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومضاه وما جمعه وستره وآوى اليه
من الدواب وغيرها (والقمر) أي الذي هو آيته (اذا انسق) أي اذا اجتمع واستوى ليلة أربع
عشرة وقال قتادة استدار وهو افتعل من الوسق * (تنبيه) * قد اختلف العلماء في القسم
بهذه الاشياء هل هو قسمهم أو بخالفها فذهب المتكلمون الى أن القسم واقع برهها وان كان
محمذا فإلا ذلك معلوم من حيث ورود الحظر بأن يقسم بغير الله تعالى أو بصفة من صفاته
وقد مر أن ذلك يكره في حق الانسان فان الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه وجواب القسم
(لتركن) أي أيها الناس أصله تركبون حذف نون الرفع لتوالي الامثال والواو لا لتقاء
الساكنين وقرأ ابن كثير وحزرة والكسائي بفتح الباء الموحدة على خطاب الانسان والباقيون
بضمها على خطاب الجمع وهو معنى الانسان اذ المراد به الجنس أي لتركبن أيها الانسان (طبعا)
مجاوزا (عن طبق) أي حالا بعد حال قال عكرمة رضي سيع ثم نطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ وعن
ابن عباس الموت ثم البعث ثم العرض وعن عطاء مرة فقيرا ومرة غنيا وقال أبو عبيدة لتركبن
سنن من كان قبلكم وأحوالهم لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لتبعن سنن من كان قبلكم
شبرا شبرا وذراعا ذراعا حتى لو دخلوا بحر ضرب لتبعقوهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى
قال فن وقوله تعالى (فالهم) أي الكفار (لا يؤمنون) استفهام انك لا ترى أي مانع لهم من
الايمن أو أي حجة لهم في تركه بعد وجود براهينه (و) مالهم (اذا قرئ) أي من أي نازي قراءة
مشروعة (عليهم القرآن) أي الجماعة لكل ما ينفعهم في دنياهم وأخراتهم الفارق بين كل
ملتبس (لا يسجدون) أي لا يخضعون بأن يؤمنوا به لا بهمازه أو لا يصحون قتاله مقاتل أو
لا يسجدون للتلاوة لما روى انه صلى الله عليه وسلم قرأ واحجدا واقترب فسجد ومن معه من
المؤمنين وقرأ بين يديه فقرأت ومن أبي هريرة أنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في أقرأ باسم ربك وإذا السماء انشقت وعن نافع قال صليت مع أبي هريرة العفة فقرأ

قوله فان الله تعالى
يقسم الخ هذا
لا يصلح الانعلا
لمقابل القول الذي
ذكره فليست امل اه

إذا السماء انشقت فسهـد فقلت يا هذه قال سجدت بهما خلف أبي القاسم صلى الله عليه وسلم
فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه وليس في ذلك دلالة على وجوبها فهي مندوبة وعن الحسن هي
واجبة واحتج أبو حنيفة على وجوب السجود بأنه تعالى ذم من سجد ولم يسجد وعن ابن عباس
ليس في المفصل سجدة وما روى عن أبي هريرة يخالفه وعن أنس صليت خلف أبي بكر وعمر
وعثمان فسجدوا (بل الذين كفروا يكذبون) أي بالقرآن والبعث (والله أعلم بما يوعون) أي
بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغى والبغضاء أو بما يجمعون
في مصنفهم من الكفر والتكذيب وأعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب وقوله
تعالى (فبشرهم بعذاب أليم) أي مؤلم استهزأ بهم أو أن البشارة بمعنى الاخبار أي أخبرهم
وقوله تعالى (الا) استثناء منقطع أي لكن (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) تحقيقا لإيمانهم
(لهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع ولا منقوص ولا يمنون به عليهم وقول البيضاوي تبعا
للزحخشري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ إذا السماء انشقت أعاده الله تعالى أن
يعطيه كتابه وراى ظهوره حديث موضوع

(سورة البروج مكية)

وهي اثنتان وعشرون آية ومائة وتسع كلمات وأربع مائة وخمسة وخمسون حرفا

(بسم الله) الذي أحاط علمه بالكائنات (الرحمن) الذي علم بجوده سائر المخلوقات (الرحيم)
الذي خص أهل السعادة بالجنات وقوله تعالى (والسماء) أي العالية غاية العلو المحكمة غاية
الاحكام (ذات البروج) قسم أقسم الله تعالى به وتقدم الكلام على ذلك مرارا وفي البروج
أقوال فقال مجاهد هي البروج الاثنا عشر شبت بالقصور لانهم اتزلها السيارات وقال
الحسن هي النجوم وقيل هي منازل القمر وقال عكرمة هي قصور في السماء وقيل عظام
اللكواكب سميت بروجها لظهورها وقيل أبواب السماء وقوله تعالى (واليوم الموعود) قسم
آخر وهو يوم القيامة قال ابن عباس وعد أهل السماء وأهل الأرض أن يجتمعوا فيه
واختلفوا في قوله سبحانه وتعالى (وشاهد وشهود) فقال أبو هريرة وابن عباس الشاهد يوم
الجمعة والمشهود يوم عرفة وروى مرفوعا اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم
عرفة والشاهد يوم الجمعة خرجه الترمذي في جامعه قال القشيري فيوم الجمعة يشهد على
عامله بما عمل فيه قال القرطبي وكذا سائر الأيام والليالي لما روى أبو نعيم الحافظ عن معاوية
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من يوم يأتي على العبد الا ينادي فيه يا ابن آدم أنا خلق
جديد وأنا فيما تعمل عليك شاهد فاعمل في خيرا أشهدك به غدا فاني اذا مضيت لم ترني أبدا
ويقول الليل مثل ذلك حديث غريب وعكى القشيري عن عمر أن الشاهد يوم الاضحى وقال
ابن المسيب الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وروى عن علي الشاهد يوم عرفة
والمشهود يوم النحر وقال مقاتل أعضاء الانسان هي الشاهد لقوله تعالى يوم تشهد عليهم

ألسنهم الآية وقال الحسين بن الفضل الشاهد هذه الأمة والمشهود سائر الأمم لقوله تعالى
 وكذلك جعلناكم أمة وسطا الآية وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى انا
 أرسلناك شاهدا وقيل آدم وقيل الحفظة الشاهد والمشهود أولاد آدم وقيل غير ذلك وكل ذلك
 صحيح * واختلف في جواب القسم فقال الجلال المحلى جواب القسم محذوف صدره أى لقد
 (قتل) أى لعن (أصحاب الاخدود) وقال الزمخشري محذوف ويدل عليه قوله قتل أصحاب
 الاخدود وكأنه قيل أقسم بهذه الاشياء أنهم ملعونون يعنى كفار قریش كما لعن أصحاب
 الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على أذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم
 واستظهر هذا البيضاوى والاخدود هو الشق المستطيل فى الأرض كأنه روجعه أخايد
 واختلف فيهم فمن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان
 له ساحر فلما كبر قال للملك انى قد كبرت فابعث الى غلاما أعلمه السهر فبعث اليه غلاما وكان
 فى طريقه اذا سلك اليه راهب فقعده اليه وسمع كلامه فأعجبه فكان اذا أتى الساحر منى بالراهب
 فقعده اليه فاذا أتى الساحر ضربه واذا رجع من عند الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا
 أتى أهله ضربوه فشكا الى الراهب فقال انما خشيت الساحر فقل حبسنى أهلى واذا خشيت
 أهلك فقل حبسنى الساحر فيبنيها هو كذلك اذا أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم
 أعلم الراهب أفضل أم الساحر فأخذ حجرا ثم قال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من
 أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى تمضى الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فأتى الراهب
 فأخبره فقال له الراهب أى بنى انت اليوم أفضل منى قد بلغ من أمرى ما أرى وانك ستبلى
 فان ابتليت فلا تدل على فكان الغلام يرى الالكه والابرص ويدأوى الناس من سائر الادواء
 فسمع جليس الملك وكان قد همى فأتاه به دابة كثيرة فقال هذا لك أجمع ان أنت شفيتنى فقال انى
 لا أشفى أحدا انما يشفى الله فان آمن به دعوت الله تعالى فشفاك فأمن بالله فشفاه الله تعالى
 فأتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك قال ربي قال وربك غيرى
 قال ربي وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجى بالغلام فقال له الملك أى بنى
 قد بلغ من صهرى ما تبرئ الالكه والابرص وتفعل وتفعل قال انى لا أشفى أحدا انما يشفى
 الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجى بالراهب فقال ارجع عن دينك فأبى فدعا
 بالمشرك فوضع المشرك فى مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ثم حى بجليس الملك فقيل له ارجع
 عن دينك فأبى ففعل به كالراهب ثم حى بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه الى نفر
 من أصحابه وقال اذهبوا به الى جبل كذا فاصعدوا به فاذا بلغت ذروته فان رجع عن دينه
 والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل
 فسقطوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله فدفعه الى نفر
 من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه فى قرقور وتوسطوا به البصر فان رجع عن دينه والا
 فاقتلوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت السبعة بهم ففرقوا وجاء يمشى

الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك فقال كفانيهم الله تعالى فقال للملك انك لست بقاتلي حتى
تفعل ما امرتك قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصابني على جذع ثم خذ سهماً من
كفاني ثم ضع السهم في كبد القوس وقل بسم الله رب الغلام ثم ارمه في فانك اذا فعلت ذلك قتلتني
فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم اخذ سهماً من كفاني ووضع السهم في كبد القوس
ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوق السهم في صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم
فما قال فقال الناس امنابرب الغلام امنابرب الغلام ثلاثاً فأتى الملك فقيل له أرايت ما كنت تحذر
قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فأمر بالاختدود بأفواه السكك فخذت واضرم النيران
وقال من لم يرجع عن دينه فأخموه فيها وقيل له اقحم قال ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبي
لها فتقاعست ان تقع فيها فقال الصبي يا أماء اصبري فانك على الحق فاقصمت قال البغوي هذا
حديث صحيح وقيل ان الصبي قال لها قبي ولا تقاعسي وقيل ما هي الا غمضة فمسيبت وذكر
محمد بن اسحق عن وهب بن منبه أن رجلاً كان قديقاً على دين عيسى فوقع على غجران فأجابوه
فسار اليه ذونواس اليهودي يحنود من جبر وخيرهم بين النار واليهودية فأبوا عليه فخذ الاخايد
وأحرق اثني عشر ألفاً في الاخايد وقيل سبعين ألفاً غلب ارباط على اليمن فخرج ذونواس
هارباً واقحم البحر بفرسه ففرق قال الكلبي وذونواس قتل عبد الله بن التامر رضي الله عنه
وقال محمد بن اسحق عن عبد الله بن أبي بكر ان خربة احترقت في زمن عمر فوجدوا عبد الله بن
التامر واضعاً يده على ضربة في رأسه اذا اميطت يده عنها أنبت دماً واذا تركت ارتدت مكانها
وفي يده خاتم من حديد فيه ربي الله فبلغ ذلك عمر فكتب ان أعبدوا عليه الذي وجدتم عليه * وعن
ابن عباس قال كان بنجران ملكاً من ملوك حمير يقال له يوسف ذونواس بن شرجيل في الفترة قبل
أن يولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان في بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان
أبوه سله الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجذبته من طاعة أبيه فجعل يختلف الى المعلم
وكان في طريقه راهب حسن الصوت فأعجبه ذلك وذكر قريياً من معنى حديث صهيب الى ان
قال الغلام للملك انك لا تقدر على قتلي الا أن تفعل ما أقول قال فكيف اقلك قال تجمع أهل
مملكته وأنت على سريرك فترمي بسهم على اسم الهى ففعل الملك فقتله فقال الناس لا اله الا اله
عبد الله بن التامر لادين الا دينه فغضب الملك وأغلق باب المدينة واخذ أفواه السكك واخذ
أخذوداً وملاء ناراً ثم عرضهم رجلاً رجلاً عن رجوع عن الاسلام تركه ومن قال ديني دين عبد
الله بن تامر ألقاه في الاختدود وأحرقه وكان في مملكته امرأة فأسلمت فبين أسلم
ولها أولاد ثلاثة أحدهم رضيع فقال لها الملك ارجعي عن دينك والا ألقيتك وأولادك
في النار فأبت فأخذ ابنها الاكبر فألقاه في النار ثم قال لها ارجعي فأبت فأخذوا الصبي منها ليلقوه
في النار فهتت المرأة بالرجوع فقال لها الصبي يا أماء لا ترجعي عن الاسلام فانك على الحق
ولا بأس عليك فأنت الصبي في النار وألقيت أمتي على اثره * وعن علي أنهم حين اختلفوا
في أحكام الجوس قال هم أهل كتاب وكنوا متسكين بكتابهم وكانت النار قد أحلت لهم

فتناولها بعض ملوكهم فسكرو فوق على أختيه فلما صنادم وطلب المخرج فقالت له المخرج
 ان تخطب الناس فتقول يا أيها الناس ان الله تعالى أحل لكم نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد
 ذلك ان الله تعالى حرّمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فامرّت
 بالاخاديد وايقاد النيران وطرح من أبي فيها فهم الذين أرادهم الله تعالى بقوله قتل أصحاب
 الاخدود وعن مقاتل كانت الاخاديد ثلاثة واحدة بنجران باليمن وأخرى بالشام وأخرى
 بفارس حرقوا بالنار أما التي بالشام فهو ابطاموس الرومي وأما التي بفارس فتختصر وأما التي
 بأرض العرب فهو يوسف ذونواس فأما التي بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيه ما قرأوا ونزل
 في التي كانت بنجران وذلك ان رجلا مسلما من يقرأ الانجيل أجرت نفسه في عمل وجعل يقرأ
 الانجيل فرأت بنت المستاجر النور يضي من قراءة الانجيل فذكرت ذلك لابيها فرمقه فراء فسأله
 فلم يخبره فلم يزل به حتى أخبره بالدين والاسلام فتابعه هو وسبعة وعشرون انسانا ما بين رجل
 وامرأة وهذا بعدما رفع عيسى عليه السلام الى السماء فسمع ذلك يوسف ذونواس فخذلهم
 في الارض وأوقد فيها فعرضهم على الكفر فمن أبي أن يكفر فذقه في النار ومن رجع عن دين
 عيسى لم يذقه وأن امرأة جاءت معها ولدا صغيرا لا يتكلم فلما قامت على شفير الخندق نظرت الى
 ابنتها فرجعت عن النار فضربت حتى تقدمت فلم تزل كذلك ثلاث مرّات فلما كانت في الثالثة
 ذهبت ترجع فقال لها ابنتها يا أمّاء اني أرى أمامك نارا لا تطفأ فلما سمعت ذلك قد فاجمعا
 أنفسهما في النار فجعلها الله وابنتها في الجنة فذق في النار في يوم واحد سبعة وسبعون انسانا
 فذلك قوله تعالى قتل أصحاب الاخدود وقوله تعالى (النار) بدل اشتغال من الاخدود وقوله
 تعالى (ذات الوقود) وصفها بأنها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهما من الحطب الكثير وابدان
 الناس واللام في الوقود للجنس وقوله تعالى (أذهبهم عليها قعود) ظرف لقتل أي لعنوا حين
 أهدقوا بالنار قاعدين حولها ومعنى عليها على ما يدنو منها من حافات الاخدود كقوله
 وبات على النار النسي والمخلق وكما نقول مررت عليه تريد مسـ تعلما المكان الذي يدنونه
 فكانوا يتعدون حولها على الكراسي وقال القرطبي عليها (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين)
 بالله من تعذيبهم بالاتقاء في النار ان لم يرجعوا عن ايمانهم (شهود) أي يشهد بهضهم لبعض
 عند الملك بأنه لم يقصر فيما أمر به أو شهود بمعنى حضور اذ روى ان الله تعالى أغنى المؤمنين
 الملقين في النار قبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها وخرجت النار الى القاعدين فأحرقتهم قال
 الرازي يمكن أن يكون المراد بأصحاب الاخدود القاتلين ويمكن أن يكون المراد بهم المقتولين
 والمشهور أن المقتولين هم المؤمنون وروى ان المقتولين هم الجبابرة وروى انهم لما ألقوا
 المؤمنين في النار عادت النار على الكفرة فأحرقتهم ونجى الله المؤمنين منها سألني والى هذا
 القول ذهب الربيع بن أنس والواحدى وثناؤا قوله تعالى فلهم عذاب جهنم أي في الآخرة
 ولهم عذاب الحريق أي في الدنيا فان فسر أصحاب الاخدود بالقاتلين فيكون قوله تعالى قتل
 أصحاب الاخدود دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما أكفره وان فسر بالمقتولين كان المعنى

قوله وقال القرطبي
 عليها كذا في جميع
 النسخ وفيه سقط
 فراجع

ان المؤمنين قتلوا بالنار فيكون ذلك خبر الادعاء والمقصود من هذه الآية تثبيت قلوب المؤمنين واخبارهم بما كان يلقاه من قبلهم من الشدايد وذكركلهم النبي صلى الله عليه وسلم قصة الغلام ليصبروا على ما يلقون من أذى الكفار ليتأسوا بهذا الغلام في صبره على الأذى والصلب وبذل نفسه في اظهار دعوته ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وكذلك صبر الراهب على التمسك بالحق حتى نشر بالفتنساو وكذلك أكثر الناس لما آمنوا بالله تعالى (وما تقموا) أي وما انكروا وذكروا (منهم) من الخلات وكان ذنبا وقصا (الآن يؤمنوا) أي يجددوا الايمان مستترين عليه (بالله) أي الذي له السكالكه (العزير) في ملكه الذي يغلب من أراد ولا يغلبه شيء (الحديد) أي المحيط بجميع صفات الكمال فهو رتيب من أطاعه أعظم ثواب ويستقيم عن عصاه بأشد العذاب وهذا استثناء على طريقة قول القائل

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * جهن فلول من قراع الكتائب

أي من ضراجه والكتائب بالتاء المثناة جمع كتيبة وهي الجيش وقال ابن الرقيات

ما تقموا من بني أمية إلا أنهم يحلون ان غضبوا

وتظيره قوله تعالى هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله * ولما ذكر تعالى الاوصاف التي يستحق بها أن يؤمن به ويعبد وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه جيدا منعهما يجب الحمد على نعمه ويرجى ثوابه فتر ذلك بقوله تعالى (الذي له) أي خاصة (ملك السموات والارض) أي على جهة العموم مطلقا فكل من فيه ما يحق عليه عبادته والخشوع له تقرير الان ما تقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه الا مبطل منهم في الغي وان الناقلين أهل لا انتقام الله تعالى منهم بعذاب لا يعدله عذاب (والله) الملك الاعظم الذي له الاحاطة الكاملة (على كل شيء شهيد) فلا يغيب عنه شيء وهذا لان الله علم ما فعلوا وهو مجازيم - م عليه * ولما ذكر قصة أصحاب الاخدود أتبعها ما يتفرع من أحكام الثواب والعقاب فقال تعالى (ان الذين قتلوا المؤمنين والمؤمنات) أي أحرقوهم بالنار يقال فتئت الشيء اذا أحرقت والعرب تقول فتئت فلان الدرهم والدينار اذا أدخله الكور لينظر جودته وتظيره يوم هم على النار يقتنون قال الرازي ويحتمل أن يكون المراد كل من فعل ذلك قال وهذا أولى لان اللفظ عام والحكم عام والتخصيص ترك للظاهر من غير دليل * ولما كانت التوبة مقبولة قبل الغرغرة ولو طال الزمان عبر سبحانه بأداة التراخي فقال تعالى (ثم لم يتوبوا) أي عن كفرهم وعما فعلوا (فلهم عذاب جهنم) أي بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) أي عذاب احراقهم المؤمنين في الآخرة وقبل في الدنيا بأن خرجت النار فأحرقتم كما تقدم ومفهوم الآية أنهم لو تابوا لخرجوا من هذا الوعيد وذلك يدل على أن الله تعالى يقبل التوبة من القاتل المتعمد خلاف ما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما * ولما ذكر سبحانه وعيد الجرمين ذكر ما أعد للمؤمنين بقوله تعالى (ان الذين آمنوا) أي أقروا بالايمان من المقذوفين في النار وغيرهم من كل طائفة في كل زمان (وعملوا الصالحات) تحقيقا لايمانهم - (لهم جنات) أي بساتين تفضلها منه تعالى (تجري من تحتها) أي تحت غرفها وأمرت بها جميع أما كنها (الانهار) يتلذذون ببردها

في تطهير ذلك الحبر الذي صبروا عليه في الدنيا ويزول عنهم برؤية ذلك مع خضرة الجنان جميع
المضار والاحزان (ذلك) أي الامر العالى الدرجة العظيم البركة (الفوز) أي الظفر بجميع
المطالب (الكبير) وهو رضا الله تعالى لادخول الجنة وقال تعالى ذلك الفوز ولم يقل تلك لأن ذلك
إشارة الى اخبار الله تعالى بمحصل الجنان وتلك إشارة الى الجنة الواحدة واخبار الله تعالى عن
ذلك يدل على كونه راضيا (أن بطش ربك) أي أخذ الله من اليك المربي لك المدبر لامر لك الجبارة
والظلمة (لشديد) كقوله تعالى وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد
قال الميردات بطش ربك جواب القسم والبطش هو الاخذ بعنف فاذا وصف بالشدة فقد
تضاعف * ولما كان هذا البطش لا يتأني الا لكامل القدرة دل على كمال قدرته واختصاصه
بذلك بقوله تعالى. وكبد المال من الانكار (انه هو) أي وحده (يبدئ) أي يوجد ابتداء أي
خلق أراد الى أي هيئة أراد (ويعيد) أي ذلك المخلوق عند البعث ويرى عكرمة قال عجب
الله كفار من أحياء الله تعالى الاموات أي فزلت ونال ابن عباس رضى الله عنهما يبدئ لهم
عذاب الحريق في الدنيا ثم يعيده عليهم في الآخرة وهذا اختيار الطبري وقيل يبدئ البطش
ويعيده فيبطش بهم في الدنيا والآخرة أو دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه أو
أوعد الكفرة بأن يعيدهم كما بدأهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة (وهو)
أي وحده (الغفور) أي الستور لعباده المؤمنين وقرأ قالون وأبوعرو والكسافي يسكون الهاء
والباقون بضمهم وقوله تعالى (الودود) مبالغة في الود قال ابن عباس رضى الله عنهما هو
المتودد لعباده بالمغفرة وعن الميرد هو الذي لا ولد له وأنشد

وأركب في الودع ريانة * ذلول الجامع لقاحا ودودا

أي لا ولد لها تحن اليه وقيل هو فعول بمعنى مفعول كالركوب والحلوب بمعنى المركوب والمحلوب
وقيل يغفرو ويؤذن يغفر (ذوالعرش) أي خاتمه ومالكه أي ذوالملك والساطان كما يقال فلان
على سرير ملكه وان لم يكن على سرير ويقال ثل عرشه أي ذهب سلطانه أو السرير الدال على
اختصاص الملك بالملك وانفراده بالتدبير والسيادة والسياسة الذي به قوام الامور وقرأ
(الحميد) حمزة والكسافي بجز الدال على انه نعت للعرش أو لربك في قوله تعالى ان بطش ربك قال
مكي وقيل لا يجوز أن يكون نعتا للعرش لانه من صفات الله تعالى اه وهذا ممنوع لان مجد العرش
علوه وعظمه كما قاله الزمخشري وقد وصف العرش بالكريم في آخر المؤمنين وقرأ الباقون برفع
الدال على أنه خبر بعد خبر وقيل هو نعت لذو واسطة تدل بعضهم على تعدد الخبر بهذه الآية ومن
منع قال لانها في معنى خبر واحد أي جامع بين هذه الاوصاف الشريفة أو كل منها خبر مبتدأ
مضموم والمجد هو النهاية في الكرم والفضل والله سبحانه موصوف بذلك وتقدم وصف عرشه
بذلك (فعال) أي على سبيل التكرار والمبالغة (لما يريد) قال القفال أي يفعل ما يريد على ما يراه
لا يعترض عليه أحد ولا يغلبه غالب فيدخل أو يماه الجنة لا يمنع مانع ويدخل أعداء النار
لا ينصرهم منه ناصر ويجهل العصاة على ما يشاء الى أن يجازيهم ويعاجل بعضهم بالعقوبة اذا شاء

فهو يفعل ما يريد وعن أبي اليسر دخل ناس من الصحابة على أبي بكر الصديق رضي الله عنه
يعودونه فقالوا ألا نأتيك بطبيب قال قدر أني قالوا غدا قال لا قال قال اني فعال لما أريد وقال
الزحخشري فعال خبر مبتدأ محذوف وانما قال فعال لا ما يريد ويفعل في غاية الكثرة وقال
الطبري رفع فعال وهو نكرة محضة على وجه الاتباع لا عراب الغفور الودود * (تنبيه) * دلت
هذه الآية أن جميع أفعال العباد مخلوقة لله تعالى قال بعضهم ودلت على أن الله تعالى لا يجب
عليه شيء لانها دالة على أنه يفعل ما يريد (هل) أي قد (أناك) أي بأشرف الرسل (حديث) أي
خبر (الجنود) أي الجوع الكافرة المكذبة لانياتهم وقوله تعالى (فرعون وثور) يجوز أن
يكون بدلا من الجنود واستشكل كونه بدلا لانه لم يكن مطابقا للمبدل منه في الجمعية وأجيب
بأنه على حذف مضاف أي جنود فرعون وأن المراد فرعون وقومه واستغنى بذكرهم
لانهم أتباعه ويجوز أن يكون منصوبا باضمار أعني لانه لما لم يطابق ما قبله وجب قطعه والمعنى انك
قد عرفت ما فعل الله تعالى بهم حين كذبوا رسلهم كيف هلكوا بكفرهم فقومك ان لم يؤمنوا بك
فعل بهم كما فعل بهم هؤلاء فاصبر كما صبر الانبياء قبلك على أمهم (بل الذين كفروا) أي من هؤلاء الذين
لا يؤمنون بك (في تكذيب) لك لا يرفعون عنه ومعنى الانزباب أن حالهم أعجب من حال هؤلاء
فانهم سمعوا قصتهم ورأوا آثار هلاكهم وكذبوا أشد من تكذيبهم وانما خص فرعون وثور لان
ثور في بلاد العرب وقصتهم عندهم مشهورة وان كانوا من المتقدمين وأما فرعون كان
مشهورا عند أهل الكتاب وغيرهم وكان من المتأخرين في الهلاك فدل بهما على أنه لهما وقوله
تعالى (والله) أي والحال ان الملك الذي له الكمال كله (من ورائهم محيط) وفيه وجوه أحدها أن
المراد وصف اقتداره عليهم وأنهم في قبضته وحصره كالحباص اذا أحيط به من ورائه يستد عليه
مسلكه فلا يجدهم ربا يقول الله تعالى فهم كذا في قبضتي وأنا قادر على اهلاكهم ومعاجلتهم
بالعذاب على تكذيبهم أياك فلا تجزع من تكذيبهم أياك فليسوا يفوتوني اذا أردت الانتقام منهم
ثانيها أن يكون المراد من هذه الاحاطة قرب اهلاكهم كقوله تعالى وظنوا أنهم أحيط بهم
فهو عبارة عن مشاركة الهلاك ثانيا انه تعالى محيط بأعمالهم أي عالمهم بما فيجازيهم عليها (بل
هو) أي هذا القرآن الذي كذبوا به وهو لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (قرآن) أي
جامع لكل منفعة جليلة بالغ الذروة العليا كل شرف (مجيد) أي شريف وحيد في اللفظ
والمعنى وليس كما زعم المشركون انه شعروكهانة (في لوح) هو في الله واما فوق السماء السابعة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان في صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد
عبده ورسوله من آمن بالله عز وجل وصدق بوعيده واتبع رسله أدخله الجنة قال واللوح لوح من
درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحاقتاه الدر والياقوت
ودنتاه ياقوتة حمراء وقلمه نور وكلامه نور معقود بالعرش وأصله في حجر ملك وقرأ (محفوظ) بالرفع
نافع على انه نعت لقرآن والياقوت بالجر على انه نعت للوح وقال مقاتل اللوح المحفوظ عن عين
العرش وقال البغوي وهو أم الكتاب ومنه تنسخ الكتب محفوظة من الشياطين ومن الزيادة فيه

والنقصان وقول البضاوى تعالى لم يخشى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة البروج أعطاه الله تعالى بعد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات حديث موضوع

﴿سورة الطارق مكية﴾

وهي سبع عشرة آية واثنان وسبعون كلمة ومائتان واحد وسبعون حرفاً

(بسم الله) مالك الخلق أجمعين (الرحمن) الذي عمّ جوده المؤمنين والكافرين (الرحيم) الذي وخص رحته بعباده المؤمنين وقوله تعالى (والسما والطارق) قسم أقسم الله تعالى به وقد أكثر الله تعالى في كتابه العزيز ذكر السماء والشمس والقمر لأن أحوالها في أشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها عجيبة * ولما كان الطارق يطلق على غير النجم أبهمه أولاً ثم عظم القسم به بقوله تعالى (وما أدرأه) أي أعلمك يا أشرف خلقنا وإن حاولت معرفة ذلك وبالغت في التفحص عنه (ما الطارق) وهذا مبتدأ وخبر في محل المفعول الثاني لا أدري وما بعد ما الأولى خبرها وفيه تعظيم لشأن الطارق وأصله كل آت ليلا ومنه النجوم لطوعها ليلا وقرأ أبو عمرو وجزة والكسائي وشعبة وابن ذكوان بخلاف عنه بالأمالة محضة وقرأ ورش بين اللفظين والباقون بالفتح ثم فسر الطارق بقوله تعالى (النجم الثاقب) أي المضي للثقبه الظلام بضوئه فينفذ فيه كما قيل درى لأنه يدور في أي يدفعه والمراد جنس النجوم أو جنس الشهب التي يرحم بها وقال محمد بن الحسين هو رجل وقال ابن زيد هو الثريا وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو الجدي وقال علي هو نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم فاذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع إلى مكانه من السماء السابعة فهو طارق حين ينزل وحين يرجع وفي الصحاح الطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح قال الماوردي وأصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وسمي النجم طارقالا لأنه يطرق الجنى أي يقتله روى أن أبا طالب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بجذولين فيبينهما هو جالس يأكل اذ انمط نجم فامتلات الأرض نورا ففرع أبو طالب وقال أي شئ هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا نجم رى به وأنه آية من آيات الله تعالى فحجب أبو طالب فنزلت السورة وقال مجاهد الثاقب المتوهج وجواب القسم (ان كل نفس) أي من الانفس مطلقا لاسيما نفوس الناس (لما عليها) أي بخصوصها (حافظ) وقرأ ابن عاصم بتشدديد الميم والباقون بتخفيفها فعلى تخفيفها تكون مزيدة وإن مخففة من الثقلية واسمها محذوف أي انه واللام فارقة وعلى تشديدها فان نافية * ولما بمعنى الا والحافظ هو المهين الرقيب وهو الله تعالى وكان الله على كل شئ رقيبا وكان الله على كل شئ مقبلا أو ملك يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر وروى الزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذوبون عنه كما يذوب أحدكم عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد إلى نفسه طرفه عين اختطفته الشياطين * ولما ذكر تعالى أن على كل نفس حافظا أتبعه بوصية الانسان بالنظر في حاله فقال تعالى (فليتنظر الانسان) أي الا أنس بنفسه الناظر في عطفه نظرا اعتبارا في أمره ونشأته

الاولى حتى يعلم أن من أنشأه قادر على اعادته فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ولا يعل على حافظه
 الا ما يسره في عاقبته وقوله تعالى (مخلق) استفهام أي من أي شيء وجوابه (خلق) أي
 الانسان على أي سر وجه وأسهله بعد خلق أبيه آدم عليه السلام من تراب وأمه حواء رضى الله
 تعالى عنها من ضلعه (من ماء دافق) أي مدفوق فاعل بمعنى مفعول كقوله تعالى عيشة راضية
 أو دافق على التسبب أي ذى دفق أو اندفاق وقال ابن عطية يصح أن يكون الماء دافقا لان بعضه
 يدفق بعضا أي يدفعه فنه دافق ومنه مدفوق والدفق الصب أي مصبوب في الرحم ولم يقل تعالى
 من ماء من فانه من ماء الرجل وماء المرأة لان الولد مخلوق منهما الامتزاجهما في الرحم فصارا
 كالماء الواحد واتحادهما حين ابتد في خلقه (يخرج من بين الصلب) أي للرجل وهو عظام
 الظهر (والترائب) أي للمرأة جمع تريبة وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة وعن
 عكرمة الترائب ما بين ثدييها وقيل الترائب التراقي وقيل أضلاع الرجل التي أسفل الصدر وحكى
 الزجاج أن الترائب أربعة أضلاع من يمين الصدر وأربعة أضلاع من يسرة الصدر وقال ابن
 عادل جاء في الحديث أن الولد يخلق من ماء الرجل يخرج من صلبه العظم والعصب ومن ماء المرأة
 يخرج من ترائبها اللحم والدم وحكى القرطبي أن ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يجتمع في الاثنين
 وهذا لا يعارضه قوله تعالى من بين الصلب والترائب لانه ينزل من الدماغ الى الصلب ثم يجتمع
 في الاثنين قال المهدوي ومن جعل يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة فالضمير للانسان
 والضمير في قوله تعالى (انه) للتخالق المدلول عليه بخلق لانه معلوم أن لا خالق سواه سبحانه وتعالى
 وفي الضمير في قوله تعالى (على رجعه) وجهان أحدهما انه ضمير الانسان أي بعثه بعد موته
 (لقادر) وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما والثاني انه ضمير الماء أي يرجع المني في الاحليل
 أو الصلب وهذا قول مجاهد وعن الضحالة أن المعنى انه على رد الانسان من الكبر الى الشباب
 ومن الشباب الى الكبر وقال ابن زيد انه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر وقال الماوردي
 يحتمل انه قادر على أن يعيده الى الدنيا بعد بعثه الى الآخرة لان الكفار يـثلون فيها الرجعة
 وقوله تعالى (يوم) منصوب برجعه ومن يجعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه الى مخرجه من
 الصلب والترائب أو الاحليل وحاله الاولى نصب الطرف بضمير أي واذكركم يوم (تلي) تختبر
 وتكشف (السراير) أي ما أسرى في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفى من الاعمال
 وذلك يوم القيامة وبلاؤها تعرفها وتصفعها والتمييز بين ما طاب منها وما خبت وعن الحسن انه جمع
 رجلا ينشد سبقي لها في مضمير القلب والحشا • سريرة وذي يوم تلي السراير
 فقال ما أغفله عما في السماء والطارق وقال عطاء بن رباح ان السراير فرأى من الاعمال كالصوم
 والصلاة والوضوء والغسل من الجنابة فانهم سراير بين الله تعالى وبين العبد ولو شاء العبد لقال
 صمت ولم يصم وصليت ولم يصل واغتسلت ولم يغتسل فيختبر حتى يظهر من أذاها عن ضيعها
 وقال ابن عمر يدي الله تعالى كل سر فيكون زينا في وجوه وشين في وجوه يعني فمن أذاها كان
 وجهه مشرقا ومن لم يؤدّها كان وجهه أغبر (فاله) أي لهذا الانسان المنكر للبعث الذي

أخرجت سريره* وأغرق في النقي والتعميم فقال تعالى (من قوة) أي منعة في نفسه يمنع بها
(ولاناصر) أي ينصره من عذاب الله تعالى فيدفعه عنه ثم ذكر تعالى قسما آخر فقال تعالى
(والسماء) أي التي تقدم الاقسام بها وصفها بما يؤيد العلم بالبعث فقال تعالى (ذات الرجوع)
أي التي ترجع بالدوران الى الموضع الذي تحرل عنه فترجع الاحوال التي كانت
وتصرفت من الليل والنهار والشمس والقمر والكواكب والفصول من الشتاء وما فيه من برد
ومطر والصيف وما فيه من حر وصفاء وسكون وغير ذلك وقيل ذات النفع وقيل ذات الملائكة
الرجوعهم فيها بأعمال العباد وقيل ذات المطر لعوده كل حين أو لما قيل من ان السحاب تحمل الماء
من البحار ثم ترجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يراد بالسماء السحاب (والارض) أي
مسكنكم الذي أنتم ملابسوه ومعاينوه كل وقت (ذات الصدع) أي تصدع عن النبات والشجر
والثمار والانهار والعيون نظيره قوله تعالى ثم شققنا الارض شقا الآية والصدع بمعنى الشق لانه
يصدع الارض فتصدع به فكأنه قال تعالى والارض ذات النبات وقال مجاهد ذات الطرق
التي تصدعها المشاة وقيل ذات الحرث لانه يصدعها وقيل ذات الاموات لاصداعهم عنها للفسور
قال الرازي واعلم انه تعالى كما جعل كيفية خلقه الحيوان دلالة على معرفة المبدأ والمعاد ذكر
في هذا القسم كيفية خلقه النبات فقوله تعالى والسماء ذات الرجوع كالاب وقوله تعالى والارض
ذات الصدع كالآتم وكلاهما من النعم العظام لان نعم الدينام وقوفة على ما ينزل من السماء
مكرر او على ما ينبت من الارض كذلك ثم أردف هذا القسم بالقسم عليه وهو قوله تعالى (انه
لقول فصل) وفي هذا الضمير قولان أحدهما ما قاله القفال وهو ان المعنى ان ما أخبرتكم به من
قدوتي على احيائكم يوم تبلى السرائر قول فصل وحق والثاني انه عائد على القرآن أي القرآن
فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان قال الرازي والاول أولى لان عود الضمير الى المذكور
السالف أولى انتهى وأكثر المفسرين على الثاني والفصل الحكم الذي ينتقل به الحق من
الباطل ومنه فصل الخصومات وهو قطعها بالحكم الجزم ويقال هذا قول فصل قاطع للشر
والنزاع معناه جد لقوله تعالى (وما هو) أي في باطنه ولا ظاهره (بالبطل) أي باللعب والباطل بل
هو جد كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد وصفه الله تعالى بذلك أن يكون مهيبا في الصدور وعظما
في القلوب يترفع به قارنه وسامعه أن يلم بهزل أو ينفكه بزاح وأن يلقى ذهنه الى أن جبار
السموات والارض يخاطبه فيأمره وينهاه ويوعده حتى ان لم يستفزه الخوف ولم تقبالغ
فيه الخشية فأدنى أمره أن يكون جادا غير هازل فقد نفي الله تعالى عن المشركين ذلك في قوله
تعالى وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون والغوا فيه هذا على عود الضمير للقرآن وعلى جعله
للاول فيكون الشخص خائفا من ذلك الذي تبلى فيه السرائر (أنهم) أي الكفار أعداء
الله تعالى (يكيدون كيدا) أي يمكرون بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكرا واختلف في ذلك
الكيد فقيل القاء الشبهات كقواهم ان هي الاحيائنا الدنيا من يحيي العظام وهي رميم أجعل
الآلهة الها واحدا وما أشبه ذلك وقيل قصدهم قتله لقوله تعالى واذنكم ربك الذين كفروا

الآية وأما قوله تعالى (وأكيد) أي أنا بتمام اقتداري (كيدا) فاختلف فيه أيضا ف قيل معناه اجازتهم جزاء كيدهم وقيل هو ما أوقع الله تعالى بهم يوم يدوم من القتل والاسرو قيل استدراجهم من حيث لا يعلمون وقيل كيد الله تعالى لهم بنصره واعلاء درجته تسمية لاحد المتقابلين باسم الآخر كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقول الشاعر

الا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وكقوله تعالى نسوا الله فانساهم بخادعون الله وهو خادعهم * ولما كان هـ ذامعا لما بأنهم عدم الاعتبار بهم قال تعالى مسبب عنه تهديد الهم (فهل الكافرين) أي فهل يا أشرف الخلق هؤلاء البعداء ولا تستعجل بالانتقام منهم ولا بالدعاء عليهم باهلا كهـم فانا لا نجعل لان العجلة وهي ايقاع الشيء في غيروقه الا ليق به نقص وقوله تعالى (أمهلهم) تأكيد حسنة مخالفة للفظ أي أنظرهم (رويدا) أي قليلا وهو مصدر مؤن كد بمعنى العامل مصغر رويدا وارواد على الترخيم وقد أخذهم الله تعالى بيدرو ونسخ الامهال بالامر بالجهاد والقتال وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الطارق أعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات حديث موضوع

﴿سورة الاعلى مكية﴾

في قول الجمهور وقال الضحاك مكية قال الثوري وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبها لكثرة ما اشتملت عليه من العلوم والخيرات وهي تسع عشرة آية واثنان وسبعون كلمة ومائتان وأربعة وثلاثون حرفا

(بسم الله) عالم الغيب فلا تخفى عليه خافية (الرحمن) الذي عمّ جوده كل انس وجن وملك وداية (الرحيم) الذي خص أوليائه بمعرفتهم احسانه * واختاف في قوله سبحانه وتعالى (سبح اسم ربك) فالأكثر على ان المعنى نزه ربك المحسن اليك بعدا يجادل على صفة الكمال مما لا يليق به فاسم زائد كقول لبيد * الى الحول ثم اسم السلام عليكما * وقيل عظم ربك (الاعلى) والاسم زائد كما مر قصد به تعظيم المسمى وذكر الطبري ان المعنى نزه اسم ربك الاعلى عن أن تسمى به أحد اسواه وقيل نزه تسمية ربك وذكرنا اياه أن تذكره الا وانت خاشع معظم لذكره وقال الرازي معنى سبح اسم ربك الاعلى أي نزهه عن كل ما لا يليق به في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه أما في ذاته فان تعنت قد أنها ليست من الجواهر والاعراض وأما في صفاته فان تعنت قد أنها ليست محدثة ولا متناهية ولاناقصة وأما في أفعاله فان تعنت قد أنه سبحانه مالك مطلق لا اعتراض لاحد عليه في أمر من الامور وأما في أسمائه فان لاتذكره سبحانه الا بالاسماء التي لا توهم نقصا بوجه من الوجوه سواء ورد الاذن فيها أم لم يرد وأما في أحكامه سبحانه فان تعلم أنه ما كفتهما النفع يعود اليه بل لمحض المالكية قال البغوي ويحتمل به هذا من يجعل الاسم والمسمى واحدا لان أحدا لا يقول سبحانه الله وسبحان اسم ربنا انما يقول سبحانه الله وسبحان ربنا فان كان معنى سبح اسم

ربك سبح ربك اه وكون الاسم عين المسمى أو غيره قد ذكرته في مقدمتي على البسمة والحمدلة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما سبح أي صل بأمر ربك وذهب جماعة من الصحابة والتابعين على
أن المراد قل سبحان ربّي الأعلى وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ
سبح اسم ربك الأعلى فقال سبحان ربّي الأعلى وعن عتبة بن عامر أنه لما نزلت فسبح باسم ربك
العظيم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزل سبح اسم ربك الأعلى
قال اجعلوها في سجودكم وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول ذلك وروى أن أبا قل من قال
سبحان ربّي الأعلى ميكائيل * ولما أمر تعالى بالتسبيح فكان سائلا قال الاشتغال بالتسبيح إنما
يكون بعد المعرفة فالدليل على وجود الرب تعالى فقال تعالى (الذي خلق) أي أوجد من العدم
فهو صفة الإيجاد لكل ما أودعه لا يعسر عليه شيء (فسوى) أي مخلوقه وقال الرازي يحتمل أن يريد
الناس خاصة ويحتمل أن يريد الحيوان ويحتمل أن يريد كل شيء خلقه تعالى فمن حله على الإنسان
ذكر للتسوية وجوها أحدها اعتدال قامة وحسن خلقه كما قال تعالى لقد خلقنا الإنسان
في أحسن تقويم وأثنى على نفسه بسبب خلقه أيام بقوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين ثانيها
كل حيوان مستغذ لنوع واحد من الأعمال فقط وأما الإنسان فإنه خلق بحيث يمكنه أن يأتي
بجميع الأعمال بواسطة الآلات ثالثها أنه تعالى هيأ له كليف والقيام بأداء العبادات وقال
بعضهم خلق في أصلاب الآباء وسوى في أرحام الالتهات ومن حله على جميع الحيوانات فعماء أنه
أعطى كل حيوان ما يحتاج إليه من الآلات والأعضاء ومن حله على جميع المخلوقات كان المراد
من التسوية هو أنه تعالى قادر على كل الممكنات عالم بجميع المخلوقات يخلق ما أراد على وفق
إرادته موصوفا بالاحكام والاتقان مبرأ عن النقص والاضطراب وقرأ (والذي قدر) الكسائي
يتخفيف الدال والباقون بالتشديد قال البغوي وهما بمعنى واحد أي أوقع تقديره في أجناس
الاشياء وأنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها وغير ذلك من أحوالها
فجعل البطش لليد والمشي للرجل والسمع للأذن والبصر للعين ونحو ذلك (فهدي) قال مجاهد
هدى الإنسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة وهدي الانعام لمراعيها وقال مقاتل
والكافي في قوله تعالى فهدي عترف خلقه كيف يأتي الذكر الاثنى كما قال تعالى في سورة طه
أعطى كل شيء خلقه ثم هدي أي الذكر الاثنى وقال عطاء جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها له وقبل
قدراً قواتهم وأرزاقهم وهداهم لمعاشهم ان كانوا اناسا ولمراعهم ان كانوا وحوشا وقال السدي
قدرة الجنين في الرحم ثم هداه الى الخروج من الرحم ومن ذلك هدايات الانسان الى مصالحه
من أغذيته وأدويته وأمور دينه ودينه والهائمات البهائم والطيور وهوام الارض الى معاشها
ومصالحها يقال ان الانبياء اذا أتى عليها ألف سنة عميت وقد ألهمها الله تعالى أن تسمع عينيها بورق
الرازيانج الغض فيرد اليها بصرها فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة أيام فتطوى تلك
المسافة على طولها وعمها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتصلك بها
عينيها فترجع باصرة باذن الله تعالى وقيل فهدي أي دلهم بأفعاله على توحيده وكونه عالما قادرا

والاستدلال بالخلق والهداية معتمداً لانياء قال ابراهيم عليه السلام الذي خلقني فهو يهدين
وقال موسى عليه السلام لفرعون ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى • ولما ذكر سبحانه
ما يختص بالناس اتبعه ما يختص بالحيوان فقال تعالى (والذي أخرج المرعى) أي أنبت ما ترعاه
الدواب وقال ابن عباس رضي الله عنهما المرعى الكلاء الأخضر (فجعله) أي بعد أطوار من
زمن أخرجه بعد خضرته (غناء) أي جافاً هشياً (أحوى) أي أسودياً باسفاً قال الزمخشري ويجوز
أن يكون أحوى حالاً من المرعى أي أخرجه أحوى أي أسود من شدة الخضر والري فجعله غناءً
بعد حويته وقال ابن زيد هذا مثل ضربه الله تعالى للكفار لذهاب الدنيا بعد نضارتها وقوله تعالى
(سنقرؤك فلا تنسى) بشارته من الله تعالى لنبه محمد صلى الله عليه وسلم بإعطاء آية بينة وهي أن يقرأ
عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحي وهو أتمى لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه فهو نفي أخبر الله
تعالى أن نبهه صلى الله عليه وسلم لا ينسى وقيل نهى والالف مزيدة للفاصلة كقوله تعالى السبيل
أي فلا تقعه كرامة وتكريره ثلاثاً منسأه ومنعه مكي لأنه لا ينهى عماله يس باختياره (وأجيب) بأن
هذا غير لازم إذا المعنى النهى عن تعاطي أسباب التسيان وهو شائع قال الرازي وهذه الآية
تدل على المعجزة من وجهين الأول أنه كان رجلاً أميناً يحفظه لهذا الكتاب المطول من غير دراسة
ولا تكرار خارق للعادة فيكون معجزاً الثاني أن هذه السورة من أول ما نزل بمكة فهذا الخبر
عن أمر عجيب مخالف للعادة سيقع في المستقبل وقد وقع فكان هذا الخبر فيكون معجزاً
وفي المشيئة في قوله تعالى (الامشاء الله) أي الملك الذي له الأمر كله وجوه أسدّها التبرك بهذه
الكلمة كقوله تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله فكانه تعالى يقول إني
عالم بجميع المعلومات وعالم بعواقب الأمور على التفصيل ومع ذلك لا أخبر بوقوع شيء في المستقبل
الأمع هذه الكلمة فأنت وأمتك بأشرف الخلق أولى بها ثانياً قال القراء أنه تعالى ما شاء أن
ينسى محمد صلى الله عليه وسلم شيئاً إلا أن المقصود من ذكر هذا الاستثناء بيان أنه تعالى لو أراد أن
يصيره ناسياً لذلك لقد ر عليه كقوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم انقطع عنه
تعالى ما شاء ذلك وتطيره قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك مع أنه صلى الله عليه وسلم ما أشرك
البتة ففائدة هذا الاستثناء أن الله تعالى يعرفه قدرته حتى يعلم أن عدم التسيان من فضل الله
تعالى وإحسانه لا من قوته ثالثاً أن الله تعالى لما ذكر هذا الاستثناء جاوز صلى الله عليه وسلم
في كل ما ينزل عليه من الوحي أن يكون ذلك هو المستثنى فلا جرم بالغ في التثبت والتفظ في جميع
المواضع فكان المقصود من ذكر الاستثناء بقاءه صلى الله عليه وسلم على التيقظ في جميع الأحوال
رابعاً أن ينساه بنسخ تلاوته وحكمه وكان صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل
عليه السلام خوفاً للتسيان فكانه قيل له لا تهمل بها أنك لا تنسى ولا تعب نفسك بالجهر بها
(أنه) أي الذي هم ما شاء من كان (يعلم الجهر) أي القول والفعل (وما يحقني) أي منهما ومن
ابن عباس رضي الله عنهما ما في قلبك ونفسك وقال محمد بن حاتم يعلم إعلان الصدقة وإخفاؤها
وقيل الجهر ما حفظته من القرآن في صدرك وما يحقني ما نسخ من صدرك وقوله تعالى (ويسرك)

للسري) عطف على سنقر ذلك فهو داخل في حيز التنقيص وما بينهما من الجملة اعتراض قال
 الفضال واليسري هي الشريعة اليسري وهي الحنيفة السهلة وقال ابن مسعود اليسري
 الجنة أي يسرك إلى العمل المؤدى إلى الجنة وقيل اليسري الطريقة اليسري وهي أعمال الخير
 والامر في قوله تعالى (فذكر) للنبي صلى الله عليه وسلم أي فذكر بالقرآن (ان نعت الذكرى)
 أي الموعظة وان شرطية وفيه استبعاد لتذكرهم ومنه قول القائل

لقد أسمعت لو ناديت حيا * ولكن لأحياء لمن تنادي

ولانه صلى الله عليه وسلم قد استقرغ مجهوده في تذكرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى
 الاعتوا وطغيانا وكان صلى الله عليه وسلم يلقى حسرة ونظرة ما يريد ادب جهدا في تذكرهم وحروما
 عليه فقل ان نعت الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير وقيل ان بمعنى اذ كقوله تعالى
 وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين أي اذ كنتم مؤمنين وقيل بعده شيء محذوف تقديره ان نعت
 الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى سرايل نقيكم الخ رأى والبرد قاله الفراء والخامس وقيل ان
 بمعنى ما لا معنى للشرط لان الذكرى باقية بكل حال * ثم بين تعالى من تنفعه الذكرى بقوله سبحانه
 (سيدكر) أي بوعده لا خلف فيه (من يخشى) أي يخاف الله تعالى فهي كآية فذكر بالقرآن من
 يخاف وعيد وان كان النبي صلى الله عليه وسلم يجب عليه تذكرهم فنعتهم الذكرى أم لم تنفعهم
 وقال ابن عباس نزلت في ابن أم مكتوم وقيل في عثمان بن عفان قال الماوردي وقد تذكر من
 يرجوه الا أن تذكر الخاشع أبلغ فلذلك علقها بالخشية دون الرجاء وقال القتبي المعنى
 هم أنت بالتذكر والوعظ وان كان الوعظ انما ينفع من يخشى ولكن يحصل لك ثواب الدعاء
 (فان قيل) التذكر انما يكون بشئ قد علم وهو لا علم يراو الكفار معاندين (أجيب) بأن ذلك
 لظهوره وقوة دليله كانه معلوم لكنه يزول بسبب التقليد والفساد * (تنبيه) * السنين في قوله
 تعالى سيدكر يحتمل أن تكون بمعنى سوف وسوف من الله تعالى واجب كقوله تعالى سنقر ذلك
 فلا تنسى ويحتمل أن يكون المعنى ان من خشي فانه يتذكر وان كان بعد حين بما يستعمله من
 التدبر والنظر * ولما بين تعالى من ينفع بالذكرى بين من لا ينفع بها بقوله تعالى (وتجنبها) أي
 الذكرى أي يتركها جانبا لا يلتفت اليها (الاشقي الذي يصلي النار) وهو الكافر (فان قيل)
 الاشقي يستدعي وجود شئ فكيف قال هذا القسم (أجيب) بأن لفظ الاشقي من غير مشاركة
 كقوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا وقوله تعالى وهو أهون عليه
 وقال الرازي الفرق ثلاثة العارف والمتوقف والمعاند فالسعيد هو العارف والمتوقف به بعض
 الشقاوة والاشقي هو المعاند وقال الزمخشري الاشقي هو الكافر لانه أشقى من الفاسق أو الذي
 هو أشقى الكفرة لتوغلها في معاداة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة
 وعقبة بن ربيعة واختلف في قوله تعالى (الكبرى) أي العظمى على وجوه أحدها قال الحسن
 هي نار جهنم والصغرى نار الدنيا ثانيها ان في الآخرة غيرا نادرا كانت متفاضلة فكأن الكافر
 أشقى العصاة فكذلك يصلي أعظم النيران ثالثها ان النار الكبرى هي النار السفلى فهي نصيب

انكفار كما قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار (فان قيل) قوله تعالى (ثم لا يموت
 فيها ولا يحيى) يقتضى ان ثم حالة غير الحياة والموت وذلك غير معقول (أجيب) عن ذلك بوجهين
 أحدهما لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة تنفعه كما قال تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يحثف عنهم
 من عذابها وهذا جاء على مذهب العرب يقولون للمبتلى بالبلاء الشديد لا هو حي ولا هو ميت
 ثانيهما ان نفس أحدهم في النار في حلة لا تخرج فيموت ولا ترجع الى موضعها فيحيا
 * (تنبيه) * قوله تعالى ثم لا تراخى بين الرتب في الشدة * ولما ذكر تعالى وعبد من أعرض
 عن النظر في دلائل الله تعالى أتبعه بالوعد لضده فقال تعالى (قد أفلح) أى فاز بكل مراد (من
 ترك) أى تطهر من الكفر بالآيمان لما روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال قد أفلح من تركى أى شهد أن لا اله الا الله وخلع الانداد وشهد أنى رسول الله وقيل تطهر
 للصلاة أو أدى الزكاة (وذ كر اسم ربه) أى بقلبه ولسانه مكبرا (فصل) أى الصلوات الخمس قال
 الزنجشمرى وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى أنها ليست من الصلاة لان الصلاة
 معطوفة عليها وقال قتادة تركى عمل صالحا وعن عطاء نزلت في صدقة الفطر قال ابن سيرين
 قد أفلح من تركى قال نخرج فصلى بعدما أدى زكاة الفطر وصلى صلاة العيد قال بعضهم
 لا أدري ما وجه هذا التأويل فان هذه السورة مكبة ولم يكن بمكة عيب ولا زكاة فطر وأجاب
 البغوى بأنه يجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم كقوله تعالى وأنت حل بهذا البلد
 والسورة مكبة وظهور أثر الحل يوم الفتح قال صلى الله عليه وسلم أحلت لى ساعة من نهار وقيل
 المراد زكاة الأعمال لازكاة الأموال أى تركى أعماله من الرياء والتقصير وروى عن عطاء
 أنه قال ان هذه الآية نزلت في عثمان وذلك انه كان بالمدينة منافق له نخلة ماثلة الى دار رجل
 من الانصار اذا هبت الريح تساقط منها بسرو وطب في دار الانصارى فبأكل هو وعياله من ذلك
 لخاصمه المنافق فذكر الانصارى ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأرسل خلف المنافق وهو لا يعلم
 نفاقه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان أخاك الانصارى ذكر ان بسرك ورطب لك يقع في منزله
 فبأكل هو وعياله منه فهل لك أن أعطيك نخلة في الجنة بدلها قال أبيع عاجلا بأجل لا أفعل
 فذكروا ان عثمان قد أعطاء حائط من نخل بدل نخلته يقول فيه قد أفلح من تركى وفي المنافق
 ويتجنبها الاشقى وقال الضمك نزلت في أبى بكر وقرأ (بل تؤثرون الحياة الدنيا) أبو عمرو بياء
 الغيبة والباقون بقاء الخطاب ومعناه على القراءة الاولى بل يؤثرون الاشقون وعلى القراءة
 الثانية بل تؤثرون أيها المسلمون الاستكثار من الدنيا الدنية بالعز الحاضر مع أنها شروفاية
 اشتغالها بالاجل حضورها كالحوانات التى هى مقيدة بالمحسوسات على الاستكثار من
 الثواب (والآخرة) أى والحال ان الدار التى هى غاية القصد المبرأة عن العيب المنزهة
 عن الخروج عن الحكمة (خير) أى من الدنيا (وأبقى) لأنها تستقل على السعادة الجسمانية
 والروحانية والدنيا ليست كذلك فالآخرة خير من الدنيا ولان الدنيا لذاتها مخلوطة بالآلام
 والآخرة ليست كذلك ولان الدنيا فانية والآخرة باقية والباقي خير من الفانى وعن عمر

ما الدنيا في الآخرة الا كنفخة أرنب وعن ابن مسعود أنه قرأ هذه الآية فقال أتدرون
 لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لأن الدنيا أحضرت وجعل لنا طعامها ولوشربها
 ونساؤها ولذاتها وبهجتها وإن الآخرة نعت لنا وزويت عنا فأحببنا العاجل وتركنا
 الآجل والاشارة في قوله تعالى (إن هذا في الصحف الاولى) الى قوله قد أفلح من ترك الى قوله
 خير وأبقى أي هذا الكلام وارد في تلك الصحف وقيل الى ما في السورة كلها وهو رواية عن
 عن ابن عباس وقال الضمك أن هذا القرآن في الصحف الاولى ولم يرد أن هذه الالفاظ بعينها
 في تلك الصحف وانما معناه أن معنى هذا الكلام في تلك الصحف ثم بين تلك الصحف وهي المنزلة
 قبل القرآن بقوله تعالى (صحف ابراهيم) وقدمه لأن صحفه أقرب الى الوعظ كما نطق به حديث
 أبي ذر (وموسى) وختم به لأن الغالب على كتابه الاحكام والمواظفة به قليلة ومنها الزواجر
 البليغة كاللعن لمن خالف أو امر التوراة التي أعظمها البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وروى
 عن أبي بن كعب أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم لم كم أنزل الله تعالى من كتاب فقال مائة
 وأربعة كتب منها على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى اخنوخ وهو اديس
 ثلاثون صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف والتوراة والانجيل والزبور والفرقان وقيل في صحف
 ابراهيم ينبغي للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه وعن عائشة قالت
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الر كعتين اللتين يوتر بهما يسبح اسم ربك الاعلى
 وقل يا أيها الكافرون وفي التوراة قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس
 وقرأ الاعلى فسوى فهو دى المرعى أحوى فلا تنسى وما يحنى من يخشى الاشقى
 ولا يحى من تركى فصلى الدنيا وأبقى الاولى وموسى حزة والكسافي بالامالة محضة
 وقرأ ورش وأبو عمرو بين وبين والفتح عن ورش قليل أما الاعلى الذى والاشقى الذى اذا وقف
 عليهما فالامالة وان وصلا فالامالة والباقون بالفتح وقرأ الذكى الكبرى أبو عمرو والكسافي
 بالامالة محضة وقرأ ورش بين اللفظين والباقون بالفتح وقول البيضاوى تبع للزمخشري
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الاعلى أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل
 حرف أنزله الله تعالى على ابراهيم وموسى ومحمد عليهم السلام حديث موضوع

﴿سورة الفاتحة مكية بالاجماع﴾

وهي ست وعشرون آية واثنان وتسعون كلمة وثلاثمائة واحد وثمانون حرفا

(بسم الله) علام الغيوب (الرحمن) كاشف الكروب (الرحيم) الذى خص أوليائه بالعفو
 عن الذنوب وقوله سبحانه وتعالى (هل أتاك حديث الفاتحة) فيه وجهان أحدهما أن هل بمعنى
 قد أى قد جاء لنيا أشرف الخلق حديث الفاتحة كقوله تعالى هل أتى على الانسان حين من
 الدهر قال قطرب والثاني انه استفهام على حاله وتسميه أهل البيان التشويق والمعنى ان لم يكن
 أتاك حديث الفاتحة فقد أتاك وهو معنى قول الكلبي والفاتحة الداهية التى تفشى الناس

بشدائدها وتلبسهم أهوالها وهي القيامة من قوله يوم يغشاهاهم العذاب وقيل هي النار من قوله
تعالى وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش وقيل المراد النفخة الثانية للبعث لأنها تغشى
الخلق وقيل الغاشية أهل النار يغشونها ويقحمون فيها (وجوه) أي كثيرة جداً كاتنة (يومئذ)
أي يوم أذغشيت (خاشعة) أي ذليلة من الخجل والفضيحة والخوف من العذاب والمراد
بالوجوه في الموضعين أصحابها (عامله ناصبة) أي ذات نصب وتعب قال سعيد بن جبيرة عن
قتادة تكبرت في الدنيا عن طاعة الله تعالى فأعملها الله تعالى وأنصبها في النار يجتر السلاسل
الثقال وجل الاغلال والوقوف حفاة عراة في العرصات في يوم كان مقداره ألف سنة وقال
ابن مسعود تخوض في النار كما تخوض الابل في الوحل وقال الحسن لم تعمل لله في الدنيا
ولم تنصب له فأعملها وأنصبها في جهنم وقال ابن عباس هم الذين أنصبوا أنفسهم في الدنيا على
معصية الله تعالى على الكفر مثل عبدة الاوثان والرهبان وغيرهم لا يقبل الله تعالى منهم
الاما كان خالصه وعن علي أنهم الخوارج الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وأعمالكم مع أعمالهم يرقون من الدين
كما يرق السهم من الرمية الحديث وقرأ (تصلي) أبو عمرو وشعبة بضم الناء القوقبية
على ما لم يسم فاعله والباقون يفتحها على تسمية الفاعل والضمير على كلنا القراءتين للوجوه
والمعنى تدخل (بارحامية) أي شديدة الحرارة جدت وأوقدت مدة طويلة ومنه حتى النهار
بالكسر أي اشتد حره وحكى الكسائي اشتد حتى الشمس وجوها بمعنى قال صلى الله عليه
وسلم أوقد عليها ألف سنة حتى احترت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة
حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وقيل المصلى عند العرب أن يحضروا حضيراً فيجمعون فيه
جهداً كثيراً ثم يعمدوا إلى شاة فيدسوها وسطه فاما ماشوى فوق الجمر أو على المقل أو في التنور
فلا يسمى مصلياً ولما بين تعالى مكانهم ذكر شرابهم فقال تعالى (تسقى من عين آنية) أي
شديدة الحرارة كقوله تعالى من جيم أن أي متناه في الحرارة روى أنه لو وقعت منها قطرة على
جبال الدنيا لاذابتها ولما ذكر تعالى شرابهم أنه مذبذب كطعامهم فقال تعالى (ليس لهم طعام
الآن من ضربيع) قال مجاهد هونيت ذوشولاً لاطى بالارض تسميه قريش الشبرق فاذا هاج
سحبه الضربيع وهو أخبث طعام وأبشعه قال الكلبي لا تقربه دابة إذا يمين وقال ابن زيد
أما في الدنيا فان الضربيع الشول اليابس الذي ليس له ورق وهو في الآخرة شول من نار وجاه
في الحديث عن ابن عباس يرفعه الضربيع شئ في النار ينسبه الشول أمر من الصبر أو تمنع من
البلية وأشد حر من النار قال أبو الدرداء والحسن إن الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع
حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضربيع ذي قصة فيذكرون
أنهم كانوا يجيزون القصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيه طمأنينة ثم يستقون من عين
آنية لاهنية ولا هي ريشة فلما أدنوا من وجوههم سلج بلود وجوههم وشواها فاذا وصل بطونهم
قطعها فذلك قوله تعالى وسقوا ماء حميماً قطع أمعاءهم قال بعض المفسرين فلما نزلت هذه

الآية قال المشركون ان ابلنا تسمن على الضريع وكذبوا في ذلك فان ابل انما ترعاه مادام
رطباً ويسمى شرباً فاذا يبس لا يأكله شيء قال ذوؤيب يصف حماراً

رعى الشبق الريان حتى اذا ذوى * وصار ضربيعابان عنه النعاص

والنصوص من الاتن التي لا لبس لها * ولما قالوا ذلك أنزل الله تعالى تسكت ذبياً لهم (لا يسمن
ولا يغنى) أي يكفي كفاية مبتدأة (من جوع) فلا يحفظ الصحة ولا يمنع الهزال فتفي السمن
والشبع عنه وعلى تقدير أن يصدقوا فيكون المعنى أن طعامكم من ضريع ليس من جنس
ضريعكم انما هو ضريع غير مسمن ولا مغم من جوع (فان قيل) كيف قيل ليس لهم طعام
الامن ضريع وفي الحاقه ولا طعام الامن غسيل (أجيب) بأن العذاب ألوان والمعذبون
طبقات فمنهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع لكل باب منهم جزاء مقسوم
* ولما ذكر تعالى وعبد الكفار اتبعه بشرح أحوال المؤمنين فقال تعالى (وجوه يومئذ) أي
يوم تغشى الناس ووصفها بصفات الاولى قوله تعالى (ناعمة) أي ذات بهجة وحسن كقوله
تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم أو مستنعة قال مقاتل في نعمة وكرامة الصفة الثانية قوله
تعالى (لسعيها) أي في الدنيا بالاعمال الصالحة (راضية) أي في الآخرة بثواب سعيها حين رأت
ما آذاهم اليه من الكرامة الصفة الثالثة قوله تعالى (في جنة) ثم وصف الجنة بصفات الاولى
قوله تعالى (عالية) أي عليّة المحل والقدر الصفة الثانية قوله تعالى (لا يسمع فيها لاغية) قرأ بالتاء
الفوقية نافع مضمومة لاغية بالرفع وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبالياء التحتية مضمومة لاغية بالرفع
لقيامها مقام الفاعل والباقون بالتاء الفوقية مفتوحة لاغية بالنصب فيجوز أن تكون التاء
للخطاب أي لا تسمع أنت وأن تكون للتأنيث أي لا تسمع الوجوه واللغو قال ابن عباس
الكذب والبهتان والكفر بالله تعالى وقال قتادة لا باطل ولا ثم وقال الحسن هو الشتم
وقال القراء الحلف الكاذب والاولى كما قيل لا يسمع في كلامهم كلمة ذات لغو وانما يتكلمون
بالحكمة وجد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدائم وهذا أحسن الاقوال قاله القفال
وقال الكلبي لا يسمع في الجنة حلف بين لابرة ولا فاجرة الصفة الثالثة قوله تعالى (فيها) أي
الجنة (عين جارية) قال الزمخشري يريد عيوناً في غاية الكثرة كقوله تعالى علمت نفس وقال
القفال فيها عين شراب جارية على وجه الارض في غير اخدود وتجري لهم كما أرادوا الصفة
الرابعة قوله تعالى (فيها سرور رفوعة) أي عالية في الهواء قال ابن عباس ألواحها من ذهب
مكلاة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة في السماء مالم يجي أهلها فاذا أرادوا أن يجلسوا عليها
نواضعت ثم ترتفع الى مواضعها الصفة الخامسة قوله تعالى (وأكواب موضوعة) جمع كوب
وهي الكيزان التي لا عرى لها قال قتادة فهي دون الابريق وفي قوله تعالى موضوعة وجوه
أحدها انما معدة لاهلها كالرجل يلتمس من الرجل شيئاً فيقول هو ههنا موضوع بمعنى معدة
ثانيها موضوعة على حافات العين الجارية كلما أرادوا الشرب وجدوها مملوءة من الشراب
ثالثها موضوعة بين أيديهم لاستصانهم اياها بسبب كونها من ذهب أو فضة أو من جواهر

وتلذذهم بالشرب فيها رابعها أن يكون المراد موضوعه عن حد الكبرأى هي أوساط بين
الكبر والصغر كقوله قدروها تقديرا الصفة السادسة قوله تعالى (ونعارق) وهي الوسائط
واحدها غمرقة بضم النون والراء وكسرهما الغتان أشهرهما الأولى وهي وسادة صغيرة قالت
نحن بنات طارق * نثني على النمارق

(مصفوفة) أي واحدة إلى جنب واحدة أخرى قال الشاعر
كهولاً وشباناً حساناً وجوههم * لهم سررم مصفوفة ونعارق
الصفة السابعة قوله تعالى (وزراي) وهي جمع زربية بفتح الزاي وكسرهما الغتان مشهورتان
وهي بسط عراض فائرة وقال ابن عباس هي الطنافس التي لها نخل أي وبرريق واختلف
في قوله تعالى (مبثوثة) فقال قتادة مبسوطة وقال عكرمة بعضها فوق بعض وقال القراء
كثيرة وقال القتيبي مفرقة في المجالس قال القرطبي وهذا أصح فهي كثيرة متفرقة ومنه قوله
تعالى وبشغيها من كل دابة * ولما ذكر تعالى أمر الدارين تعجب الكفار من ذلك فكذبوه
وأنكروا فذكرهم الله تعالى صنعه وقدرته بقوله تعالى (أفلا ينظرون) أي المنكرون لقدرته
سبحانه وتعالى على الجنة وما ذكر فيها والنار وما ذكر فيها أي نظرا اعتبار (إلى الأبل) ونبه على
أنه عجيب خلقها عما ينبغي أن تتوفر الدعاوى على الاستفهام والسؤال عنه بأداة الاستفهام
فقال تعالى (كيف خلقت) أي خلقا عجيبا دال على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها
للنحوض بالاثقال وجرها إلى البلاد النائية فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض
بما حلت وبخبرها منقادا لكل من اقتادها بأزمته لا تعارض ضعيفا ولا تنازع صغيرا وبرأها
طوال الاعناق لتنوء بالاقفار وعن بعض الحكماء أنه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ
في بلاد الأبل بها فتفكر ثم قال يوشك أن تكون طوال الاعناق وحين أراد بها أن تكون سفائن
البر صبرها على احتمال العطش حتى إن نظامها لتصب على عشرين فصاعدا الشأق لها قطع البراري
والمقار ومع ما لها من منافع أخرى ولذلك خصت بالذكريان الآيات المنبئة في الحيوانات التي هي
أشرف المركات وأكثرها صنعا ولائها أعجب ما عند العرب من هذا النوع لأنها ترى كل شيء
نابت في البراري والمقار ومعها لا ترعاه سائر البهائم وعن سعيد بن جبيرة قال لقيت شريحا القاضي
فقلت له أين تريد قال أريد الكأس فقلت وما تصنع بها قال انظر إلى الأبل كيف خلقت
(تنبيه) * الأبل اسم جمع واحد بعير وناقة وجل ولا واحد لها من لفظها وقال المبرد الأبل
هنا القطع العظيمة من السحاب قال الثعلبي ولم أجده لذلك أصلا في كتب الأئمة وقال
الماوردي وفي الأبل وجهان أظهرهما أنها الأبل والثاني أنها السحاب فإن كان المراد بها
السحاب فلما فيها من الآيات والدلالات الدالة على قدرته والمنافع العامة لجميع خلقه وإن كان
المراد بها الأبل فلا تالأبل أجمع للمنافع من سائر الحيوانات لأن ضروب الحيوان أربعة طوبى
وركوبة واكولة وحولة والأبل تجمع هذه الخلال الأربع فكانت النعمة بها أعم
وظهورا لقدرة فيها أتم وقيل للحسن القليل أعظم في الأبحوبة فقال العرب بعيدة العهد بالقليل

ثم هو لا يترك كل لجه ولا يركب ظهره ولا يحلب دمه (والى السماء) التى هى من جملة مخلوقاتنا
(كيف رفعت) أى رفعا بعيدا بلا مزال وبغير عمد على ما لها من السعة والكبر والنقل
والأحكام وما فيها من السكواكب والغرائب والعجائب (والى الجبال) أى الشاغحة وهى أشد
الارض (كيف نصبت) نصبا ثابتا فهى راسية لا تميل ولا تزول كما قال تعالى وجعلنا فى الارض
رواسى أن تعبدكم (والى الارض) أى على سعتها (كيف سطحت) سطعا يسهل وتوامة فهى
مهادة للقلب عليها واستدل بعضهم بذلك على أن الارض ليست بكرة قال الرازى وهو ضعيف
لان الكرة اذا كانت فى غاية العظمة تكون كل قطعة منها كالسطح (فان قيل) كيف حسن
ذلك الابل مع السماء والجبال والارض ولا مناسبة (أجيب) بان من فسرهابا بالسحاب
فالمناسبة ظاهرة وذلك على طريق التشبيه والمجاز ومن فسرهابا بالابل فالمناسبة بينها وبين السماء
والارض والجبال من وجهين أحدهما ان القرآن نزل على العرب وكانوا يسافرون كثيرا
ويسرون عليها فى أوديتهم وبواديهم مستوحشين ومنقردين عن الناس والانسان اذا انفرد
أقبل على التفكير فى الاشياء لانه ليس معه من يحادثه وليس هناك ما يشغل به سمعه وبصره
فلا بد من أن يجعل دأبه التفكير فاذا تفكر فى تلك الحال فأقول ما يقع بصره على البعير الذى
هو راكبه فىرى منظرا عجيبا وان نظرا الى فوق لم ير غير السماء وان نظرا عينا وشمالات لم ير غير الجبال
وان نظرا الى تحت لم ير غير الارض فـ كانه تعالى أمره بالنظر وقت الخلوة والانفراد حتى
لا تحمله داعية الكبر والحسد على ترك النظر ثانيهما ان جميع المخلوقات دالة على الصانع جل
قدرته الا أنها قسمان منها ما للشهوة فيه حظ كالوجه الحسن والبساتين الزهية والذهب
والفضة فهذه مع دلالتها على الصانع قد يمنع استحسانها عن كمال النظر فيها ومنها ما لاحظ
فيه للشهوة كـ هذه الاشياء فأمره بالنظر فيها اذ لا مانع من كمال النظر فيها وقال عطاء
عن ابن عباس كأن الله تعالى يقول هل يقدر أحد أن يخلق مثل الابل أو يرفع مثل السماء
أو ينصب مثل الجبال أو يسطح مثل الارض غيرى * ولما بين تعالى الدلائل على صحة التوحيد
والمعاد قال سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم (فذكر) أى بنعم الله تعالى ودلائل توحيده وعظمهم
بذلك وخوفهم يا أشرف الخلق (انما أنت مذكر) فلا عليك أن لا ينظروا ولم يذكروا او ما عليك
الا البلاغ كما قال تعالى ان عليك الا البلاغ (استعابهم بسيطر) أى بمسلط فتقتلهم وتكرههم
على الايمان كقوله تعالى وما أنت عليهم بجبار وهذا قبل الامر بالجهاد وقرأ هشام بالسين
وقرأ حمز بخلاف عن خلف باشمام الصاد كالراى والباقون بالصاد الخاصة وقوله تعالى (الامن
تولى) استثناء منقطع أى لكن من تولى عن الايمان (وكفر) أى بالقرآن (فيعذبه الله) أى
الذى له الكمال كله بسبب تكبره عن الحق ومخالفته لأمرك (العذاب الاكبر) أى عذاب
الآخرة لانهم عذبوا فى الدنيا بالجوع والقحط والقتل والاسر وقيل استثناء متصل
فان جهاد الكفار وقتلهم تسليط فكانه أوعدهم بالجهاد فى الدنيا وعذاب النار فى الآخرة
وقيل هو استثناء من قوله تعالى فذكر الامن انقطع طمعه من ايمانه وتولى فاستحق العذاب

الاكبر وما بينهما اعتراض (آآ البينا) أى خاصة بما لنا من العظمة (آآ بهم) أى وجوعهم بعد البعث (ثم آآ علينا) أى خاصة بما لنا من القدرة والتنزه عن نقص العيب والجور وكل نقص لا على غيرنا (حسابهم) أى جزاءهم فلا تتركه أبداً وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فإنه كان يشق عليه كذاهم (فان قيل) ما معنى تقديم الطرف (أجيب) بأن معناه التشديد في الوعيد وأن آآ بهم ليس إلا إلى الجبار المقدر على الانتقام وأن حسابهم ليس إلا عليه وهو الذي يحاسب على النقيير والقطمير وقول البيضاوى تبيانا للزحشري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ الفاشية حاسبه الله حساباً يسيراً حديث موضوع

(سورة الفجر مكية)

وقيل مدينة وهو تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية ومائة وتسع وثلاثون كلمة وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفاً

(بسم الله) الملك المعبود (الرحمن) الذي عم خلقه بالكرم والجود (الرحيم) الذي سدد أهل عنايته بفضله فهو الحليم الودود وقوله تعالى (والفجر) أى فجر كل يوم قسم كما أقسم بالصبح في قوله تعالى والصبح إذا أسفر والصبح إذا تنفس وقال قتادة هو فجر أول يوم من المحرم تتفجر منه السنة وقال الضحاك فجر ذى الحجة وقيل ذلك على مضاف محذوف أى وصلاة الفجر وقيل ورب الفجر وتقدم أن الله تعالى يقسم بمشاه من مخلوقاته واختلف في قوله تعالى (وليل عشر) فقال مجاهد وقتادة هو عشر ذى الحجة وقال الضحاك هو العشر الأول من رمضان وعن ابن عباس أنه العشر الأخير من رمضان وعن عيمان بن رباب هو العشر الأول من المحرم القى عاشرها يوم عاشوراء ولصومه فضل عظيم (فان قيل) لم نذكر الليالي من بين ما أقسم به (أجيب) بأن ذلك للتعظيم (والشفع) أى الزوج (والوتر) أى الفرد وقيل الشفع الخلق كله ثم قال الله تعالى وخلقناكم أزواجاً والوتر هو الله تعالى قاله أبو سعيد الخدري وقال مجاهد ومسرور الشفع الخلق كله قال الله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين الم كفر والإيمان والهدى والضلال والسعادة والشقاوة والليل والنهار والسماء والأرض والبحر والجبل والشمس والقمر والجن والإنس والوتر هو الله تعالى قل هو الله أحد وقال قتادة هما الصلوات منها شفع ومنها وتر روى ذلك عن عمران بن حصين مرفوعاً وعن ابن عباس الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب وقال الحسين بن الفضل الشفع درجات الجنة لأنها ثمان والوتر دركات النار لأنها سبع دركات وسئل أبو بكر الوراق عن الشفع والوتر فقال الشفع تضاد أو صاف المخلوقين من العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والبصر والعمى والوتر انفراد صفات الله سبحانه وتعالى عز بلا ذل وقدوة بلا عجز وقوة بلا ضعف وعلم بلا جهل وحياة بلا موت وعن عكرمة الوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر واختاره النحاس وقال هو الذى سمع عن النبي صلى الله عليه وسلم في يوم عرفة وترلانه تاسعها ويوم النحر شفع لانه عاشرها

وقال ابن الزبير الشفع الحادي عشر والثاني عشر من أيام منى والوتر الثالث عشر وقال
 الضحاك الشفع عشر ذي الحجة والوتر أيام منى الثلاثة وقيل الشفع والوتر آدم عليه السلام كان
 وترا فشفع بزوجه حواء حكاه القشيري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقرأ سورة
 والكسائي بكسر الواو والياقون بفتحها وهما الفتان الفتح لغة قرين ومن والاهما والكسر
 لغة تميم وقوله تعالى (والليل إذا يسر) قسم خامس بعدما أقسم بالليل إلى العشر على الخصوص
 أقسم به على العموم ومعنى يسر يسر سار وذهب كما قال الله تعالى والليل إذا دبر وقال قتادة إذا
 جاء وأقبل وقيل معنى يسر أي يسرى فيه كما يقال ليل نائم ونهار صائم ومنه قوله تعالى بل مكر
 الليل والنهار وقرأ نافع وأبو عمرو بإثبات الياء بعد الراء وصلالا وقفوا وأثبتها ابن كثير في الحالين
 وحذفها الباقون في الحالين لسقوطها في خط المصنف الكريم وإثباتها هو الأصل لأنها لام
 فعل مضارع مرفوع ومن فرق بين حالتي الوقف والوصل فلا أن الوقف محل استراحة وسئل
 الأخفش عن اللمة في سقوط الياء فقال الليل يسرى ولكن يسرى فيه فهو مصروف فلما صرفه
 تجنبه حفظه من الأعراب كقوله تعالى وما كانت أمك بغيا ولم يقل بغية لأنه صرفه عن بغية
 وهذه الأسماء كلها محروقة بالقسم والجواب محذوف تقديره لتعذبين يا كفار مكة بدليل قوله تعالى
 ألم تر كيف فعل ربك بعاد إلى قوله تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب أن ربك لب المرصاد
 وما بينهما اعتراض وقوله تعالى (هل في ذلك) أي القسم والمقسم به (قسم) أي حلف أو محلوف
 (لذي حجر) استفهام معناه التقرير كقولك ألم أنعم عليك إذا كنت قد أنعمت أو المراد منه
 التأكيدي لما أقسم به واقسم عليه كمن ذكر حجة بالغة ثم قال هل فيما ذكرته حجة والمعنى أن من كان
 ذا لب علم أن ما أقسم الله تعالى به من هذه الأشياء فيه عجائب ودلائل على التوحيد والربوبية فهو
 حقيق بأن يقسم به لدلائله على خالقه والجبر العقل لأنه يحجر عن التفات فيما لا ينبغي كما ينبغي
 عقلا ونهية لأنه يعقل وينبغي وحصة من الإحصاء وهو الضبط وقال القراء يقال انه لذو حجر إذا
 كان قاهر النفس ضابطا لها وقوله تعالى (ألم تر) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولما كان
 المراد به العموم والمراد بالرؤية العلم أي ألم تعلم يا أشرف رسلنا (كيف فعل ربك) أي المحسن
 إليك بأنواع النعم (بعاد ارم) وهو ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ثم انهم جعلوا
 لفظ عاد اسم للقبيلة كما يقال لبني هاشم هاشم ولبنو عيم عيم ثم قيل للأولين منهم عاد الأولى وارم
 تسمية لهم باسم جددهم ولبنو بعدهم عاد الأخيرة فارم في قوله تعالى عاد ارم عطف بيان لعاد
 وايدان بأنهم عاد الأولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وأرضهم التي كانوا فيها وقوله تعالى (ذات)
 أي صاحبة (العماد) فينظر فيه أن كانت صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا بدوين أهل عمد
 وطوال الأجسام على تشبيه قدودهم بالأعمدة وقيل ذات البناء الرفيع وإن كانت صفة للبلدة
 فالمعنى انها ذات أساطين وروى انه كان لعاد ابنان شداد وشديدا فكانوا قهرا ثم مات شديدا
 وخلص الآخر لشداد فذلك الذي اودانت له ملوكها فسمي بذكر الجذبة فقال أي من قبلها فبنى ارم
 في بعض صحارى عدن في ثمان مائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من

الذهب والفضة وأساطينهم من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الاشجار والانهار المفردة ولما
تم بناؤها سار اليها اهل مكة فلكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليله بعث الله تعالى عليهم صبغة
من السماء فهدكوا وعن عبد الله بن قلابه أنه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحملها فمقد رحلته
عاشم وبلغ خبره معاوية فاستنصره فقص عليه فبعث الى كعب بن جوف فساله فقال هي ازم ذات
العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحرأشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال
يخرج في طلب ابل له ثم التقت فأبصر ابن قلابه فقال هذا والله ذلك الرجل وقوله تعالى (التي
لم يخلق مثلها في البلاد) صفة أخرى لارم فان كانت للقبيلة فلم يخلق مثل عاد في البلاد عظم
أجرام وقوة قال الزمخشري كان طول الرجل منهم أربع مائة ذراع وكان يأقي العنزة العظيمة
فيحملها في قلبها على الحى فيهلكهم وروى عن مالك أنه كانت تمر بهم مائة سنة لا يرون فيها جنازة
وان كانت للبلدة فلم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا والمقصود من هذه الحكاية زجر
الكفار فان الله تعالى بين انه أهلكهم بما كفروا وكذبوا الرسل مع الذي اختصوا به من هذه
الوجوه فلان تكونوا مثل ذلك أيها الكفار اذا أقمت على كفركم مع ضلالتكم أولي وقد ذكركم
الله تعالى ثلاث قصص هذه القصة الاولى وأما الثانية فهي في قوله تعالى (ونوح الذين نجوا)
أي قطعوا (العنزة) جمع عنزة وهي الجروا وتحذوها يوتنا كقوله تعالى وتختون من الجبال
بيوتنا (بالواد) أي وادي القرى قيل أول من نحت الجبال والعنوز والرخام عود وبنوا القفا
وسبع مائة مدينة كلها من الحجارة وقيل سبعة آلاف مدينة كلها من الحجارة (تنبه)
أثبت الباء ورش وابن كثير وصلا وأثبتوا وقضابن كثير بخلاف عن قيل وأما القصة الثالثة
فهي في قوله تعالى (وفرعون) أي وفعل بفرعون (ذي الاوتاد) واختلف في تسميته بذلك على
وجهين أحدهما انه سمي بذلك على كثرة جنوده ومضاربهم -م التي كانوا يضربونها اذا نزلوا
والثاني انه كان يتدأ أربعة أوتاد يشد اليها يدي ورجلي من يعذبه وعن عطاء عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهم ما ان فرعون اغماسمى ذا الاوتاد لانه كانت امرأة وهي امرأة خازنه
حزقيل وكان مؤمنا كتم ايمانه مائة سنة وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون فينهاي ذات يوم
تمشط رأس بنت فرعون اذا سقط المشط من يدها فقالت تعسر من كفر بالله فقالت بنت فرعون
وهل لك اله غير أبي فقالت الهى واله أبيك واله السموات والارض واحدا لا شريك له فقالت
فدخلت على أبيها وهي تبكى قال ما يبكيك فقالت المشطة امرأة خازنك تزعم ان الهك والهها
واله السموات والارض واحدا لا شريك له فأرسل اليها قسأها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها
ويحك اكفري بالهك وأخبرى باني الهك فأتته لا أقبل فذهبا بين أربعة أوتاد ثم أرسل عليها
الحيات والعقارب وقال لها اكفري بالله والاعدت بك بهذا العذاب شهرين فقالت له لو عذبتني
سبعين شهرا ما كفرت بالله وكان لها ابنتان فجاءت ابنتها الكبرى فذبحها على فيها وقال لها
اكفري بالله والاذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من في الارض على
في ما كفرت بالله عز وجل فأتى بابنتها فلما اتجمعت على صدرها وأراد ذبحها جرعته المرأة

فأنطق الله تعالى لسان إيفتها فتكلمت وهي من الأربعة الذين تكلموا أطقالا وقالت يا ماء
لا تجزعي فإن الله تعالى قد بنى لك بيتا في الجنة فاصبري فانك تفضين إلى راحة الله تعالى وكرامته
فذهبت فلم تلبث أن ماتت فأسكنها الله تعالى الجنة قال وبعث في طلب زوجها حزقييل
فلم يقدر وأعليه فقييل لفرعون أنه قد زوى في موضع كذا في جبل كذا فبعث رجلين في طلبه
فأتيا إليه وهو يصلي ويليه صفوف من الوحوش خلقه يصلون خلقه فلما رأيا ذلك انصرفا
فقال حزقييل اللهم أنت تعلم أني كنت أيمانى مائة سنة ولم يظهر علي أحد فأيا هذين الرجلين
أظهر علي فجهل عقوبته في الدنيا واجعل مصيره في الآخرة إلى النار فانصرف الرجلان إلى
فرعون فأما أحدهما فاعتبر وآمن وأما الآخر فأخبر فرعون بالقصة على رأس الملا فقال له
فرعون وهل معك غيرك قال نعم فلان فدعي به فقال حق ما يقول هذا قال لا ما رأيت كما قال
شأ فأعطاه فرعون فأجزل وأما الآخر فقتله ثم صلبه قال وكان فرعون قد تزوج امرأة من
أجل نساء بني إسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة فقالت
وكيف يسعني أن أصبر على ما يأتيني من فرعون وأنا مسلمة وهو كافر فبينما هي كذلك قوا امر
نفسها أذ دخل عليها فرعون فجاس قريبا منها فقالت يا فرعون أنت أشرا الخلق وأخبثه عمدت
إلى الماشطة فقتلتها فقال لعل بك الجنون الذي كان بهما قالت ما بي من جنون وإن الهى والهها
والهك واله السموات والأرض واحد لا شريك له فخرق ما عليها وضرم وأرسل إلى أبيها
فدعاها فقال لها ما ألتري أن الجنون الذي كان بالماشطة أصابها قالت أعوذ بالله من ذلك
إني أشهد أن ربي وربك ورب السموات والأرض واحد لا شريك له فقال أبوها يا آسية أأنت
من خير نساء العماليق وزوجك اله العماليق قالت أعوذ بالله من ذلك إن كان ما يقول حقا
فقلوا له أن يتوجني تاجا تكون الشمس أمامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لها ما
فرعون أخرجاها عن قديها بين أربعة أو نادى عنها ففتح الله إياها بابا إلى الجنة ليهن عليها ما يصنع
بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله فقبض الله
تعالى روحها وأدخلها الجنة وروى عن أبي هريرة أن فرعون وتدلأ مرأته أربعة أو نادى وجعل
على صدورها حارما واستقبل بها عين الشمس فرفعت رأسها إلى السماء وقالت رب ابن لي عندك بيتا
في الجنة ففرج الله تعالى عن بيتها في الجنة فرأته وقوله تعالى (الذين طغوا) أي تجبروا
(في البلاد) في محل نصب على الذم ويجوز أن يكون مرفوعا على هم الذين طغوا في البلاد
أو مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون فالضمير يرجع لعاد وثمود وفرعون وقيل
يرجع إلى فرعون خاصة (فأكثروا) أي طغاتهم (فيها الفساد) أي بالقتل والكفر والمعاصي
قال القفال وبالجملة فالفساد ضد الإصلاح فكما أن الإصلاح يتناول جميع أقسام البر فالفساد
يتناول جميع أقسام الإثم فمن عمل بغير أمر الله تعالى وحكم في عباده بالظلم فهو فاسد (فصب)
أي أنزل أنزالا هو في غاية القوة (عليهم) أي في الدنيا (ببك) أي المحسن اليك بكل جميل (سوط)
أي نوع (عذاب) وقال قتادة يعني ألوانا من العذاب صبه عليهم وقال أهل المعاني هذا على

الاستعارة لأن السوط عندهم غاية العذاب وقال القراء هي كلمة تقولها العرب لكل نوع من
 أنواع العذاب وأصل ذلك أن السوط هو عذابهم الذي يعذبون به فجرى إلى كل عذاب إذا كان
 فيه غاية العذاب وقال الزجاج جعل سوطهم الذي ضربهم به العذاب وعن الحسن أنه كان
 إذا أتى على هذه الآية قال إن الله تعالى عنده أسواط كثيرة فأخذهم بسوط منها وقال قتادة
 كل شيء عذب الله تعالى به فهو سوط عذاب وشبهه بسب السوط الذي يتواتر على المضروب
 فيه لك (إن ربك) أي المحسن إليك بالرسالة (للمرصاد) أي يرصد أعمال العباد لا يقوته منها شيء
 ليجازيهم عليها والمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالملاقات من وقته
 وهذا مثل لارصاد العصاة بالعقاب وانهم لا يقوتونه وعن بعض العرب أنه قيل له أين ربك فقال
 بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد أنه قرأ هذه السورة عند المنصور حتى بلغ هذه فقال إن ربك
 بالمرصاد يا أبا جعفر عرض له في هذا النداء بأنه بعض من نوءه بذلك من الجبارة قال الزمخشري
 فله دره أي أسد فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بانكاره ويقصع أهل الأهواء والبدع
 باحتجابه وقوله تعالى (فأما الإنسان) متصل بقوله تعالى إن ربك بالمرصاد فكأنه قيل
 أن الله تعالى يريد من الإنسان الطاعة والسعي للعاقبة وهو لا يهتم إلا بالعاجلة وما يلبذه وينعمه
 فيها (إذا ما ابتلاه) أي اختبره بالنعمة (ربه) أي الذي أبدعه وأحسن إليه بما يحفظ وجوده
 ليظهر شكره أو كفره (فأكرمه) أي جعله عزيزا بين الناس وأعطاه ما يكرمونه به من الجاه
 والمال (ونعمه) أي جعله متلذذا بترفها بما وسع الله تعالى عليه وقوله تعالى (فيقول) أي
 سرور بذلك واقتضارا (ربي أكرم من) أي فضلي بما أعطاني خبر المبتدأ الذي هو الإنسان
 ودخول الضاء لما في آتامن معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر في تقدير التأخير
 كأنه قيل فأما الإنسان فقاتل ربي أكرم من وقت الابتداء بالإنعام فيظن أن ذلك عن استحقاق
 فيرتفع به ركذا قوله تعالى (وأما إذا ما ابتلاه فقدر) أي ضيق (عليه رزقه) التقدير وأما
 الإنسان إذا ما ابتلاه ربه أي بالفقر ليوازي قسمة (فيقول) أي الإنسان بسبب الضيق (ربي
 أهان) فيه ثم لذلك ويضيق به ذرعا ويكون أكرمه وهذا في حق الكافر لقصور نظره وسوء
 فكره فبصر الكرامة والهوان بكثرة الخلف في الدنيا وقلته وقال الكلبي ومقاتل نزلت في أمية بن
 خلف الجمعي الكافر وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما في عتبة بن ربيعة وقيل أبي بن خلف
 (فان قيل) كيف سمى كلا الأمرين من بسط الرزق وتقتيره ابتلاء (أجيب) بأن كل واحد منهما
 اختبار والعبد إذا بسط له فقد اختبر حاله أي شكر أم يكفر وإذا قدر عليه فقد اختبر حاله أي صبر
 أم يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى ونحوكم بالشر والخير فتنة (فان قيل) هلا
 قال فأهانته وقدر عليه رزقه كما قال فأكرمه ونعمه (أجيب) بأن البسط أكرام من الله تعالى
 لعبده بالإنعام عليه تفضلا من غير سابقة وأما التقدير فليس باهانة له لأن الإخلال بالتفضل
 لا يكون اهانة وإن كان كذلك الكرامة وقد يكون المولى مكرما ومنهنا وغيره مكرم ولا مهيين
 وإذا أهدى لتزيد هدية قلت أكرمى بالهدية ولا تقول أهاننى ولا أكرمنى إذا لم يهد إليك (فان

قيل) قد قال تعالى فأكرمهم فصح اكرامه وأثبتته ثم أنكر قوله ربى أكرم من وذمه عليه كما أنكر
قوله أهان وذمه عليه (أجيب) بوجهين أحدهما انما أنكر قوله ربى أكرم من وذمه عليه لانه قاله
على قصد خلاف ما صححه الله تعالى عليه وأثبتته وهو قصد الى أن الله تعالى أعطاه ما أعطاه
اكرامه مستحقا ومستوجبا على عادة اقتضاهم وجلالة اقدارهم عندهم كقوله انما وأثبتته على
علم عندي وانما أعطاه الله تعالى على وجه التفضل من غير استيجاب منه له ولا سابقة بما لا يعتد
الله تعالى الابه وهو التقوى دون الانساب والاحساب التي كانوا يفتخرون بها ويرون
استحقاق الكرامة من أجلها ثانياً ان ينساق الانكار والذم الى قوله ربى أهان يعني انه اذا
تفضل عليه بالخير واكرمه اعترف بتفضل الله واكرامه واذا لم يتفضل عليه يسمى ترك التفضل
هو انا وليس بهم وان قال الزمخشري وبعض هذا الوجه ذكر الاكرام في قوله تعالى فأكرمهم وقرأ
ما ابتلاه في الموضعين حزة بالامامة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللقطين والباقون بالفتح وقرأ
ربى أكرم من ربى أهان نافع باثبات الياء فيهما وصلالا وقرأ البري باثباتها فيهما ووقفوا وصلالا
وعن أبي عمرو فيهما في الوصل الاثبات والحذف عنه في الوصل أعدل والباقون بالحذف ووقفوا
ووصلوا وقرأ ابن عامر فقد رغبه رزقه بتشديد الدال والباقون بتخفيفها وهما الغتان معناهما
ضيق وقيل قدر بمعنى قتر قدر أعطاه ما يكفيه ثم رد الله تعالى على من ظن ان سعة الرزق اكرام
وان الفقر اهانة بقوله تعالى (كلا) أى ليس الاكرام بالفقر والاهانة بالفقر انما هما بالاطاعة
والمعصية وكفار مكة لا ينتهون لذلك (بل) لهم فعل أشر من هذا القول وهو انهم (لا يكرمون
اليتيم) أى لا يحسنون اليه مع غناهم ولا يعطونه حقه من الميراث قال مقاتل كان قدامة بن
مظعون يتيماً في حجر أمية بن خلف فكان يدفعه عن حقه فترات (ولا يحضون) أى يحضون حشا
عظيماً (على طعام) أى اطعام (المسكين) فيكون اسم مصدر بمعنى الاطعام ويجوز أن يكون على
حذف مضاف أى على بذل أو على اعطائه وفي اضافته اليه اشارة الى انه شريك للفقر في ماله بقدر
الزكاة (وبأكلون) على سبيل التجدد والاستمرار (التراث) أى الميراث والتأني في التراث بذل
من واولاده من الورثة (أكلما) أى ذالم واللام الجمع الشديدي يقال لمات الشئ لما أى جمعه
جما قال الخطيب

إذا كان لما يتبع الذم ربه • فلا قدس الرحمن تلك الطواحي

والجمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا يورثون النساء والصبيان وبأكلون انصباهم وبأكلون
ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك فيملون في الأكل بين حلاله وحرامه ويجوز أن يذم
الوارث الذي ظفر بالمال مهلامه لا من غير أن يعرق فيه جبينه فيسرف في انفاقه وبأكله أكل
واسعاً جامعاً بين ألوان المشتريات من الأطعمة والاشربة والقواكه كما يفعل البطالون ولما
دل على حب الدنيا بأمر خارجي دل عليه في الانسان فقال تعالى (ويحبون) أى على سبيل
الاستقرار (المال) أى هذا النوع من أى شئ كان وأكك بالصدر والوصف فقال تعالى
(حبا جاً) أى كثيراً شديداً مع الحرص والشره ومنع الحقوق وقوله تعالى (كلا) ردع لهم عن

ذلكم أنكارنا لهم ثم أخبر تعالى عن تلوذهم على ما سلف منهم حين لا ينفعهم فقال عز من
 قائل (أذا دكت الأرض) أى حصل دكها ورجها وزلزلتها تسويتها فتكون كالاديم المدود
 بشدة المط لا عوج فيها بوجه (دك دكا) أى مرتبة دمرت وكسر كل شئ على ظهرها من جبل وبناء
 وشجر فلم يبق على ظهرها شئ وينعدم (وجاء ربك) قال الحسن أمره وقضاؤه (والملك) أى
 الملائكة وقوله تعالى (صف صفا) حال أى مصطفين أى ذوى صفوف كثيرة فتزل ملائكة
 كل سماء في صفاة من صفابعد صف محمد قين بالجن والانس (وجي) أى بأسهل أمر (يومئذ)
 أى اذ وقع ما ذكر (بجهنم) أى النار التي تبهم من يصلاها كقوله تعالى وبرزت الجحيم ويرى
 انها المنار لت تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف في وجهه حتى اشتد على أصحابه
 فاخبروا عليها فجاء فاحتضنه من خلفه وقبل ما بين عاتقيه ثم قال يا بني الله بأبي أنت وإي ما الذي
 حدث اليوم وما الذي غيرك فتلا عليه الآية فقال له على كيف يجاء بها قال يجي بها سبعون ألف
 ملك يقودونها بسبعين ألف زمام فتشرد شردة لوتركت لا حرق أهل الجمع ثم تعرض لي جهنم
 فتقول مالك ولي يا محمد ان الله تعالى قد حرم لك على فلا يبقى أحد الا قال نفسي نفسي الامجد
 صلى الله عليه وسلم فيقول رب أمتي أمتي وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه تقاد جهنم
 بسبعين ألف زمام كل زمام بيد ألف ملك لها تغيط وزفير حتى تنصب على يسار العرش وقوله
 تعالى (يومئذ) أى يوم يجاء بجهنم بدل من اذ وجوابها (يتذكر الانسان) أى يتذكر الكافر
 ما فرط أو يتعظ لانه يعلم قبح معاصيه فيندم عليها (واني له الذكرى) أى ومن أين له منفعة الذكرى
 قال الزمخشري لا بد من حذف مضاف والاقبين يتذكر وبين وأنى له الذكرى تناف وتناقض
 * (تنبيه) * اني خبره قد ذكرى مبتدأ مؤخر وله متعلق بما يتعلق به الطرف وقرأ واني حزة
 والكسائي بالامالة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين وقرأ الدوري عن أبي عمرو بالامالة بين
 بين والباقون بالفتح وقرأ الذكرى أبو عمرو وحزة والكسائي بالامالة محضة وقرأ ورش بين بين
 والباقون بالفتح (يقول) أى يقول مع تذكره (يا) للتنبيه (ليتني قد مت لحياي) أى في حياي
 فاللام بمعنى في أو قد مت الايمان والخير لحياة لا موت فيها أو وقت حياي في الدنيا (فيومئذ) أى
 يوم يقول الانسان ذلك وقرأ (لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) الكسائي بفتح
 الذال والهاء على البناء للمفعول والباقون بكسرها على البناء للفاعل فأما قراءة الكسائي فضمير
 عذابه ووثاقه للكافر والمعنى لا يعذب أحد مثل تعذيبه ولا يوثق مثل ايثاقه وأما على قراءة
 الباقيين فالضمير فيهما الله تعالى أى لا يكل عذابه الى غيره أو الزبانية المتولين العذاب بأمر
 الله تعالى * ولما وصف الله تعالى حال من اطمان الى الدنيا وصف حال من اطمان الى معرفته
 وعبوديته وسلم أمره اليه فقال تعالى (يا أيها النفس المطمئنة) قال الحسن أى المؤمنة الموقنة
 وقال مجاهد الراضية بقضاء الله تعالى وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنها ما ثواب الله تعالى
 وقال ابن كيسان الخلسة وقال ابن زيد التي بشرت بالجنة عند الموت وعند البعث ويوم الجمع
 ويقال لها عند الموت (ارجعي الى ربك) أى الى أمره وأودته وقال ابن عباس رضى الله تعالى

مقام ابراهيم صلى وحرم صيده وجعل البيت المعمور بازائه ودحيت الارض من تحته فهذه
القضائل وأكثر منها انما اجتمعت في مكة لا جرم أقسم الله تعالى بها (وأنت) أي يا أشرف الخلق
(حل) أي حلال لك ما لم يحل لغيرك من قتل من تريد من يدعي أنه لا قدرة لاحد عليه (بهذا البلد)
بأن يحل لك فتقاتل فيه وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح وأحلها له وما فتحت على أحد قبله
ولا أحلت له فأحل ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صباية
وغيرهما وحرم دار أبي سفيان ثم قال إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام
إلى أن تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدى ولم تحل لي الساعة من نهاي فلا
يعضد شجورها ولا يفتنني خلاها ولا ينقر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمن يشهدا فقال العباس يا رسول
الله الا الأذخر فإنه أقيموننا وقبورنا ويوتنا فقال صلى الله عليه وسلم الا الأذخر ونظير وأنت
حل في معنى الاستقبال قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العرب تقول
لمن تعدد الأكرام والحباء لانت منكرم محبب وهو في كلام الله تعالى واسع لأن الأحوال
المستقبله عنده كالحاضرة المشاهدة وكذاك دليلا قاطعا على أنه للاستقبال وإن تفسيره بالحال
محال أن السورة بالاتفاق مكية وأين الهجرة من وقت نزولها فما بال الفتح والجملة اعتراض
بين المقسم به وما عطف عليه واختلف في قوله تعالى (ووالد وما ولد) فقال الزمخشري هو رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده أقسم بيلده الذي هو مسقط رأسه وحرم أبيه ابراهيم ومنشأ أبيه
اسماعيل ومن ولده وبه وقال البغوي هما آدم وذريته وقيل كل والد وولده (فان قيل) هلا
قيل ومن ولد (أجيب) بأن فيه ما في قوله تعالى والله أعلم بما وضعت أي بأي شيء وضعت يعني
موضوعا عجيب الشأن أو ان ما يعني من والذي عليه أكثر المفسرين هما آدم وذريته لأنهم
أعجب ما خلق الله تعالى على وجه الارض لما فهم من البيان والنطق والتدبير واستخراج
العلوم وفيهم الأنبياء والدعاة إلى الله تعالى والانصار لدينه وأمر الملائكة بالسجود لآدم وعلمه
الاسماء كلها ولقد قال الله تعالى ولقد كرّمنا بني آدم وقيل هما آدم والصالحون من ذريته وأما
الطالحون فكانهم بها ثم كما قال تعالى انهم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا هم عني فهو
لا يرجعون والمقسم عليه قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان) أي الجنس (في كبد) قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنه ما أي شدة ونصب وعنه أيضا في شدة من حله ولادته ورضاعه ونبت
اسنانه وسائر أحواله وعن عكرمة منتصبا في بطن أمه والكبد الاستواء والاستقامة فهذا
امتنان عليه في الحقيقة ولم يخلق الله تعالى دابة في بطن أمها الا منكبته على وجهها الا ابن آدم
فانه منتصب اتصليا وقال ابن كيسان منتصبا في بطن أمه فاذا أراد الله تعالى أن يخرج من
بطن أمه قلب رأسه إلى رجلي أمه وقال الحسن يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة
وقال عيمان لم يخلق الله تعالى خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف الخلق قال بعض
العلماء أول ما يكابد طمع سرته ثم اذا غط غطا وشد رباطا يكابد الضيق والتعب ثم يكابد
الارقضاع ولو فانه ضاع ثم يكابد نبت اسنانه ثم يكابد القطام الذي هو أشد من اللطام ثم يكابد

الخنان والالواج ثم المعلم وصولته والمؤدب وسياسته والاستاذ وهيبته ثم يكابد شغل
التزويج وشغل الاولاد والخدم وشغل المسكن والجيران ثم الكبر والهرم وضعف الركب
والقدم في مصائب يكثر تعدادها من صداع الرأس ووجع الاضراس ورمد العين وهم المدين
ووجع السن وألم الاذن ويكابد محنا في المال والنفس من الضرب والحبس ولا يعضى عليه يوم
الا يقاسى فيه شدة ثم يكابد بعد ذلك مشقة الموت ثم بعده سؤال الملك وضغطة القبر وظلمته ثم
البعث والعرض على الله تعالى الى أن يستقر به القرار اما في الجنة واما في النار فدل هذا على
أن له خالفاً دبره وقضى عليه بهذه الاحوال ولو كان الامر اليه ما اختار هذه الشدائد فليتأمل أمر
خالقه وقال ابن زيد المراد بالانسان هنا آدم عليه السلام وقوله تعالى في كبد أي في وسط السماء
وقال مقاتل في كبد أي في قوة نزلت في أبي الاشدين واسمه أسيد بن كعدة بن جحج وكان شديداً قويا
بضع الاديم العكاظي تحت قدميه فيقول من أزالني عنه فله كذا وكذا فيجذب به عشرة فيتمزق
الاديم من تحت قدميه ولا تزول قدماه ويقي موضع قدميه وكان من اعداء النبي صلى الله عليه
وسلم وفيه نزل (أيحسب) أي أيقظ الانسان قوى قريش وهو ابو الاشدين بقوته (أن) محضفة من
الثقلية واسمها محذوف أي انه (لن يقدر عليه) أي خاصة (أحد) أي من اهل الارض او السماء
فيغلبه حتى انه يعاند خالقه والله تعالى قادر عليه في كل وقت وقيل نزلت في المغيرة بن الوليل
انزوى (يقول) أي يقهر بقوته وشدة (أهلك) أي على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم (مالاً
أهدا) أي كثير ابغضه على بعض (أيحسب) أي هذا الانسان العنيد بقله عقله (أن) أي انه (لم يره
أحد) قال سعيد بن جببر أي أظن ان الله تعالى لم يره ولا ياله عن ماله من أين اكتسبه وفيه
أنفقه وقال الكلبي انه كان كاذباً في قوله انه أنذقه ولم ينطق بجميع ما قال والمعنى أيقظ ان الله
تعالى لم يرد ذلك منه فيعلم مقدار نفقته وقرأ أيحسب في الموضعين ابن عامر وعاصم وحزرة يفتح
السين والباقون بكسرها ثم ذكره نعمه عليه ليعتبر بقوله تعالى (أم نجعل) أي بالامان القدرة
التامة (له عينين) يصريهما المرئيات والاتعطل عليه أكثر ما يريد شققناهما وهو في الرحم
في ظلمات ثلاث على مقدار مناسب لا تزيد احدهما على الاخرى شيأ وقد رنا البياض والسواد
والسهلة والزرقه وغير ذلك على ما ترون وأودعناهما البصر على كيفية يعجز الخلق عن ادراكها
(ولساناً) يترجم به عن ضمائره (وتفتين) يستريحهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب
والنفخ وغير ذلك قال قتادة نعم الله تعالى عليه متظاهرة في تزيينها كي يشكره قال البغوي وجاء
في الحديث ان الله تعالى يقول يا ابن آدم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه
بطبقتين فأطبق وان نازعك بصرك الى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق
وان نازعك فرجك الى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق (وهديناه)
أي آتيناه من العقل (التجدين) قال أكثر المفسرين بيناه طريق الخير والشر والهدى والضلال
والحق والباطل كقوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكر او اما كفوراً وصار عاقلنا له من
ذلك سمعاً بصيراً عالماً فصار موصفاً للتكليف روى الطبراني أنه صلى الله عليه وسلم قال يا أيها

قوله أبي الاشدين
هكذا في النسخ بصيغة
التثنية وفي حاشية
الجل والاشد هكذا
بالافراد في كثير من
نسخ هذا الشرح
وكثير من عبارات
المفسرين وفي بعض
نسخ هذا الشرح
وكثير من التفسير
الاشدين بصيغة
التثنية فليحذر اه

الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى يا أيها الناس انما هم فخذ ان فخذ
خير وتجد شراً فلم يجعل فخذ الشراً أحب اليكم من فخذ الخير قال المنذر بن العبد هذا الطريق
وقال ابن عباس رضي الله عنهما يبين الله الشديدين وهو قول سعيد بن المسيب والفضالك وأصله
المكان المرتفع (فلا اقسم العقبة) أي فله لا أنشق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب
وأطعام المساكين واليتام بل غمط النعم وكف بالمعنى ان الاتفاق على هذا الوجه هو الاتفاق
المرضى النافع عند الله تعالى لأنهم لم يلبدوا في الرياء والفخر وعداوة النبي صلى الله عليه
وسلم فيكون على هذا الوجه كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم الآية وقيل معناه لم يقتضها
ولا جاوزها والاتقاهم الدخول في الامر الشديد وذكر العقبة مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة
النفس والهوى والشيطان في أعمال البر فجعله كالذي يتكلم معود العقبة يقول الله تعالى
لم يحمل على نفسه المشقة بعق الرقبة والأطعام وهذا معنى قول قتادة وقيل انه شبه نقل الذنوب
على من تكبها بعقبة فاذا أعتق رقبة وأطعم المساكين كان كمن اقتسم العقبة وجاوزها وروى
عن ابن عمر أن هذه العقبة جبل في جهنم وقال الحسن هي عقبة شديدة في النار دون الجسر
فاقتصر ما بطاعة الله تعالى ومجاهدة النفس وقال مجاهد هي الصراط يضرب على متن جهنم
كذلك السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة صعودا وهبوطا واستواء وان يجزيه كذا لبيب وخطاطيف
كانهم يشول السعدان فجاج مسلم ونجاح مخدوش ومكر دس في النار منه كوس وفي الناس من يمر
كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالرجل يعدو ومنهم من يمر كالرجل
يسير ومنهم من يزحف زحفا ومنهم الزالون ومنهم من يكر دس في النار وقال ابن زيد فهلا سلك
طريق النجاة وقوله تعالى (وما أدراك) أي أعلمك أيها السامع لكلامنا الراغب فيما عندنا (ما
العقبة) تعظيم لشأنها والجلالة اعتراض قال سفيان بن عيينة كل شيء قال فيه وما أدراك فانه
أخبر به وما كان قال وما يدريك فانه لم يخبر به ثم بين سبب جوازها بقوله تعالى (فك) أي الانسان
(رقبة) أي خالصها من الرق وذلك بأن يعتق رقبة في ملكه أو يعطي مكاتباً ما يصرفه في فك رقبة
روى أنه صلى الله عليه وسلم قال من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من
النار حتى فرجه بفرجه وقال الزمخشري وفي الحديث أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
داني على عمل يدخلني الجنة قال تعنى التسعة وتعتك الرقبة قال أو ليس أسوأ قال لا اعتاقها أن
تفر دبعة فها وفكها أن تعين في تخليصها من قوداً وغرم والعق والصدقة من أفضل الأعمال
وعن أبي حنيفة أن العتق أفضل من الصدقة وعن صاحبيه الصدقة أفضل قال الزمخشري
والآية أدل على قول أبي حنيفة لتقدم العتق على الصدقة وقال عكرمة يعني فك رقبة من
الذنوب وقال الماوردي ويحتمل أنه أراد فك رقبة وخلاص نفسه باجتناّب المعاصي وفعل
الطاعات ولا يمنع الخبر من هذا التأويل وهو أشبه بالصواب (أو أطعم) أي دفع الاطعام لشيء
قابلية ذلك (في يوم ذي مسغبة) أي مجاعة والسغب الجوع (يتيماً) أي انساناً صغيراً الأب له (ذا
مقربة) أي اذا قرابة لك بأن كان يملك ويثمة قرابة يقال فلان ذو قرابي وذو مقربي (أو مستكبراً)

وهو من له مال أو كسب يقع موقعاً من كفايته ولا يكفيه (ذامترية) أي لصوق بالتراب لفقره
يقال ترب إذا افتقر ومعناه التصق بالتراب وأما أترب فاستغنى أي صار ذاملاً كالتراب في الكثرة
كما قيل أترى وعنه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ذامترية الذي مأواه المزابل قال ابن عباس
رضي الله عنهما هو المطروح على الطرق الذي لا يته له وقال مجاهد هو الذي لا يقيم من التراب
لباس ولا غيره وقال قتادة انه ذو العيال واحتج بهذه الآية على أن المسكين يملك شيئاً لأنه لو كان
لا يملك شيئاً كان تقييده بقوله تعالى ذامترية تكريراً وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحجة برفع
الكاف وجر رقة وكسر همزة اطعام وفتح العين وبعد هاء ألف ورفع الميم منقونة والباقون فك
ينصب الكاف رقة بالنصب أطم بفتح الهمزة والعين والميم بغير تنوين ولا ألف بين العين والميم
(فان قيل) قوله تعالى فلا اقحم العقبة إلى آخره ذكر لامرأة واحدة قال الفراء والزجاج والعرب
لا تكاد تفرد لامع الفعل الماضي حتى تعيد لا كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى (أجيب) بأنه انما
أفرد هاء الدلالة آخر الكلام على معناه فيجوز أن يكون قوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) قائماً
مقام التكرير فكأنه قال فلا اقحم العقبة ولا آمن وقال الزمخشري هي متكررة في المعنى لأن
معنى فلا اقحم العقبة فلا قل رقة ولا أطم مسكيناً ألا ترى أنه فسر اقحم العقبة بذلك قال أبو
حيان ولا يتم له هذا إلا على قراءة فلك فعلاً ماضياً وعن مجاهد أن قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا
يدل على أن لا يعنى لم ولا يلزم التكرير مع لم فان كررت لا كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى فهو كقوله
تعالى لم يسرفوا ولم يقتروا * (تنبيه) * ثم كان معطوف على اقحم وشم للترتيب الذكري والمعنى كان
وقت الاقحم من الذين آمنوا وقال الزمخشري جاء بهم اترأخي الايمان وتباعده في الرتبة
والفضيلة عن العتق والصدقة لافي الوقت لأن الايمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل
صالح إلا به (وتواصوا) أي وصبروا وأوصى بعضهم بعضاً (بالصبر) أي على الطاعة وعن المعصية
والهن التي يتسلل بها المؤمن (وتواصوا بالمرحمة) أي بالرحمة على عباده بأن يكونوا متراحين
متعاطفين أي بما يؤدى إلى رحمة الله تعالى (أولئك) أي الموصوفون بهذه الصفات (أصحاب
المجنة) أي الجانب الذي فيه اليمين والبركة والنجاة من كل هلكة قال محمد بن كعب أي الذين يؤتون
كتبهم بأيمانهم وقال يحيى بن سلام لانهم ميامين على أنفسهم وقال ابن زيد لانهم أخذوا من شق
آدم الايمن وقال ميمون بن مهران لأن منزلتهم عن اليمين وقال الزمخشري المجنة اليمين أو اليمين
(والذين كفروا) أي ستر وأما تظهروا لهم مراقب بساتيرهم من العلم (بآياتنا) أي على مالها من
العظمة بالاضافة إلى البناء والظهور الذي لا يمكن خفاؤه من القرآن وغيره (هم أصحاب المشأمة)
أي الحصة المكتسبة للشؤم والحرمان قال محمد بن كعب أي الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم وقال
يحيى بن سلام لانهم مشائيم على أنفسهم وقال ابن زيد لانهم أخذوا من شق آدم الايسر عليه
السلام وقال ميمون لأن منزلتهم عن اليسار وقال الزمخشري المشأمة الشمال أو الشؤم قال
القرطبي ويجمع هذه الاقوال أصحاب المجنة هم أصحاب الجنة وأصحاب المشأمة هم أصحاب النار
(عليهم) أي خاصة (نارهم مؤبدة) أي مطبقة وقرأ أبو عمرو وخص وحجة بالهمزة والباقون بغير

همزة أي بواو ساكنة وهما الغتان يقال أصدت الباب وأصدته إذا أغلقته وأطبقته وقيل معنى
المهموز المطبقة وغير المهموز المعلقة وإذا وقف همزة أبدل على أصله وقول البيضاوي تبعاً
للزحخشري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله الأمان
من غضبه يوم القيامة حديث موضوع

(سورة الشمس مكية)

وهي خمس عشرة آية وأربع وخمسون كلمة ومائتان وسبعة وأربعون حرفاً

(بسم الله) الذي له الاسماء الحسنى (الرحمن) الذي به علم السر وأخفى (الرحيم) الذي خص
خواصه بالفردوس الاعلى وقوله تعالى (والشمس) أي الجامعة بين النفع والضّر بالنور والحر
(وضحاها) قسم وقد تقدم الكلام على أن الله تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته وقيل التقدير ورب
الشمس إلى تمام القسم واختلف في قوله تعالى وضحاها فقال مجاهد والكلي ضوؤها وقال قتادة
هو النهار كله وقال مقاتل هو حرها وقال لقوله تعالى في طه ولا تنضي أي لا يؤذيك الحر وقال
البريدى انبساطها قال الرازي انما أقسم بالشمس لكثرة ما يتعلق به من المصالح فان أهل العالم
كانوا كالاموات في الليل فلما ظهر الصبح في المشرق صار ذلك الضوء كل روح الذي تنفخ فيه
الحياة فصارت الاموات أحياء ولا تزال تلك الحياة في القوة والزيادة إلى غاية كمالها وقت الغصوة
وذلك يشبه استقرار أهل الجنة (والقمر) أي المكتسب من نورها كما أن أنوار النفوس من
أنوار العقول (إذا تلاحها) أي تبعها وذلك اذا سقطت رؤى الهلال قال الليث يقال تلوت فلانا
اذا تبعته وقال ابن زيد اذا غربت الشمس في النصف الاقل من الشهر تلاها القمر بالطلوع وفي
آخر الشهر يتلوها بالغروب وقال القراء تلاها أي أخذ منها يعني أن القمر يأخذ من ضوء الشمس
وقال الزجاج تلاها أي حين استوى ودار وكان مثلها في الضياء والنور وذلك في الليالي البيض
(والنهار) أي الذي هو محل الانتشار فيما جرت به الاقدار (إذا جلاها) أي الشمس بانقضاء
لأن الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء وقبل الضمير للظلمة أو للدنيا أو للأرض وان لم يجر
لها ذكر كقولهم أصبحت باردة يريدون الغداة وأرسلت يريدون السماء (والليل) أي الذي هو ضد
النهار فهو محل السكون والانقباض (إذا يغشاها) أي يغطيها بظلمته فتغيب وتظلم الا فاق وقيل
الكتابة للأرض أي يغشى الدنيا بالظلمة فتظلم الا فاق فالكتابة ترجع إلى غير مذكور وهي يغشاها
مضارعادون ما قبله وما بعده من أعاءة للقواصل اذ لو أتى به ما ضل الكان التركيب اذا غشها فتفتت
المناسبة للفظية بين القواصل والمقاطع (تنبيه) اذا في الثلاثة لجرّد الظرفية والعامل
فيها فعل القسم (والسما وما) أي ومن (بناها) أي خلقها على هذا السقف المحكم أقسم تعالى
بنفسه وبأعظم مخلوقاته وقوله تعالى (والارض) أي التي هي فراشكم (وما) أي ومن (طحاها)
أي بسطها وسطحها على الماء كذلك وكذا قوله تعالى (ونفس) أي أي نفس جمع فيها سبحانه العالم
بأسره (وما) أي من (سواها) أي عدلها على هذا القانون الاسمي في أعضائها وما فيها من

الجواهر والاعراض والمعاني وغير ذلك (فان قيل) لم نكرت النفس (أجيب) بوجهين أحدهما
 انه يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم عليه السلام كأنه قال تعالى وواحدة من
 النفوس ثانیة ما انه يريد كل نفس ونكره للكثر على الطريقة المذكورة في قوله تعالى علمت
 نفس وانما أوثرت ما على من فيما ذكر لارادة الوصفية بما ضمتا وان لم يوصف بلفظها اذا المراد
 انما اتفق على نوع من يعقل وعلى صفته ولذلك مثلوا بقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم وقدروها
 فانكحوا الطيب وهذا تنفرد به ما دون من وهذه الاسماء كلها مجرورة على القسم أقسم الله تعالى
 بأنواع مخلوقاته المتضمنة للمنافع العظيمة حتى يتأمل المكلف فيها ويشكر عليها لان الذي يقسم
 الله تعالى به يحصل به روح في القلب فتكون الدواعي الى تأمله أقرب (فألهما) أى النفس
 (فجورها وتقواها) قال ابن عباس رضى الله عنهما يبين لها الخير والشر وعنه علمها الطاعة
 والمعصية وعن ابي صالح عزها ما تأنى وماتنى وقال سعيد بن جبیر ألهما فجورها وتقواها وقال
 ابن زيد جعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للتفجور واختار الزجاج هذا وجعل
 الالهام على التوفيق والخذلان قال البغوى وهذا بين أن الله تعالى خلق في المؤمن التقوى
 وفي الكافر التفجور وعن ابي الاسود الديلي قال قال لى عمران بن حصين أ رأيت ما يعمل الناس
 اليوم ويكدحون فيه أشئ قضى عليهم ومضى عليهم من قدر سبق أو فيما يستقبلونه مما آتاهم به
 نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبت الحجة عليهم قلت بل شئ قضى عليهم ومضى عليهم فقال أفلا يكون
 ظما قال ففرغت منه فزعاشديدا وقلت انه ايس شئ الا وهو خلقه وملك يده لا يستل عما يفعل
 وهم يستلون فقال لى سددك الله انما سألتك لا تخبر عقلت ان رجلا من جهينة أو حزيمة أتى
 النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أ رأيت ما يعمل الناس ويكدحون فيه أشئ قضى
 الله عليهم من قدر سبق أو فيما يستقبلون مما آتاهم به نبيهم وكدت به الحجة فقال فى شئ قد مضى
 عليهم قال فقلت فقيم العمل الآن قال من كان الله خلقه لاحدى المتولتين يهينه الله لها وتصديق
 ذلك فى كتاب الله تعالى ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها وعن جابر قال جاء سراقه
 ابن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كما نخلقنا الآن قيم العمل اليوم فيما جفت
 به الاقلام وجرت به المقادير أو فيما يستقبل قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير
 قال فقيم العمل قال اعملوا وكل ميسر لما خلق له واختلف فى جواب القسم فأكثر
 المفسرين على أنه (قد أفعل) أى ظفر بجميع المرادات والاصل لقد وانما حذفت لطول الكلام
 وقيل انه ليس بجواب وانما جى به تابعاً لقوله تعالى فألهما فجورها وتقواها على سبيل
 الاستطراد وليس من جواب القسم فى شئ والجواب محذوف تقديره ليدمد من الله عليهم أى
 أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمد على نوح لانهم قد كذبوا صالحا و
 تبعثوا قبيلا وقيل هو على التقديم والتأخير من غير حذف والمعنى قد أفعل (من زكاهما) أى طهرها من
 الذنوب ونماها وأصلها وصفها بصفية عظيمة مما يسر الله تعالى له من العلوم النافعة والاعمال
 الصالحة (وقد خاب) أى خسر (من دساها) أى انحواها اغوا عظيما وأفسدها وأهلكها

بجبات الاعتقادات ومساوى الاعمال وقبائح السيئات والشمس وضحاها وقاعل زكاها
ودساها ضمير من وقيل ضمير الباري سبحانه أى قد أفلح من زكاها بالطاعة وقد خاب من دساها أى
خسرت نفس دساها الله تعالى بالمعصية وأنكر الزمخشري على صاحب هذا القول لما فرقه مذهب
ولكن قال بعض المفسرين الحق انه خلاف الظاهر لا كما قاله الزمخشري وقال ابن عباس رضى
الله عنهما خابت نفس أضلها الله تعالى وأغواها وأصل الزكاة النمو والزيادة ومنه زكى الزرع اذا
كثر ريعة ومنه تزكية القاضي الشاهد لانه يرفعه بالتعديل وأصل دساها دسها من التدسيس
وهو اخفاء الشيء فأبدل من السين الثانية ياء والمعنى أخلها وأخفى محلها بالكفر والمعصية وعن
زيد بن أرقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى أعوذ بك من الهجز والكسل
والجذل والجن والهيم وفي رواية والهزم وعذاب القبر اللهم آت نفسى تقواها أنت خير من زكاها
أنت وليها ومولاها اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن نفس لا تشبع ومن قلب لا يمشع
ومن دعوة لا يستجاب لها (كذبت غود) وهم قوم صالح كذبوا رسولهم صلحا عليه السلام
وأنت فعلهم لضعف أثر تكذيبهم لأن كل سامع له يعرف ظلمهم فيه لوضوح آيتهم (بطغواها) أى
أوقعت التكذيب لرسولها بكل ما أتى به عن الله تعالى أى طغيانها وقيل ان الباء للاستعانة قال
الزمخشري مثلها فى كبت بالقلم والطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة فى فعلى من
بنات الباء بأن قلبوا الباء واوا فى الاسم وتركوا القلب فى الصفة فقالوا امرأته خرياً وصديا يعنى
فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمنى بجراثة على الله تعالى وقيل كذبت بما أوعدت به من
عذاب ذى الطغوى كقوله تعالى فأهلكوا بالطاغية (اذ) أى تحقق تكذيبهم أو طغيانهم
بالفعل حين (انبعث أشقاها) أى قام وأسرع وذلك انهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا صلحا عليه
السلام انبعث أشقى القوم وهو قد اربى سالف وكان رجلاً أشقر أزرق قصيراً فقعر الناقة وعن
عبد الله بن زمعة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فذكر الناقة والذى عقرها فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم متبع فى أهله مثل أبى زمعة
وقوله عارم أى شديد متمنع قال الزمخشري ويجوز أن يكونوا جماعة والتوحيد لتسوية فى الفعل
التفضيل اذا أضفته بين الواحد والجمع والمذكور والمنثوق (تنبيه) اذ منصوب بكذبت
أو بطغواها (فقال لهم) أى بسبب الاتيغات أو التكذيب الذى دل على قصدهم لها بالاذى
(رسول الله) أى صالح عليه السلام وعبر بالرسول لأن وظيفة البلاغ والتحذير الذى ذكر
هنا ولذلك قال تعالى مشيراً بحذف العامل الى ضيق الحال عن ذكره لعظم الهول وسرعة
التعذيب عندها بالاذى وزاد فى التعظيم بإعادة الجلالة (ناقة الله) أى الملك الاعظم الذى له
الامر كله وهى منصوبة على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبي الصبي باضمار اتقوا واحذروا
ناقة الله (وسقياها) أى وشربها فى يومها وكم كان لها يوم ولهم يوم لانهم لما اقترحوا الناقة
فأخرجها لهم من الحضرة جعل لهم يوم شرب يوم من يترهم ولها شرب يوم فتق عليهم وإضافة
الناقة الى الله تعالى إضافة تشريف كبيت الله (فكذبوا) أى صلحا عليه السلام بطغيانهم

في وعيدهم بالعذاب (فَعَقَرُوهَا) أي عقرها الاشقى بسبب ذلك التكذيب وأضيف الى الكل لانهم رضوا بفعله وان كان العاقر جماعة فواضح وقال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنشأهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان أفضل الناس وهذان خير الناس وهذه المرأة أشقى القوم ولهذا لم يقل أشقياها (فدمدم) أي فأطبق (عليهم ربهم) أي الذي أحسن اليهم فغمرهم احسانه فقطعه عنهم بسبب ~~تكذيبهم~~ فأكذبهم فأطبق عليهم العذاب يقال دمدمت عليه القبرا طبقت عليه (بذنبهم) أي بسبب كفرهم وتكذيبهم وعقرهم الناقة وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما دمدم عليهم ربهم بذنبهم أي بجرمهم وقال القشيري وقيل دمدمت على الميت التراب أي سويته عليه فالمعنى على هذا فجعلهم تحت التراب (فسواها) أي فسوى عليهم الارض فجعلهم تحت التراب وعلى الاول فسوى الدمدمة عليهم أي غمرهم بها فلم يفلت منهم احدا وقرأ (ولا يخاف) نافع وابن عامر بالفاء والباقون بالواو والفاء تفتحه التعقيب والواو يجوز أن تكون للعال وأن تكون للاستئناف الاخباري وضمير الفاعل في يخاف الاظهر عوده على الله تعالى لانه أقرب مذكور وهو قول ابن عباس ويؤيده قراءة الفاء المسبوبة عن الدمدمة والتسوية والهاء في قوله تعالى (عقباها) ترجع الى الفعل وذلك لان تعالى يفعل ذلك بحق وكل من فعل فعلا بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله وقيل المراد تحقيق ذلك الفعل والله تعالى أجل من أن يوصف بذلك وقيل المعنى انه تعالى بالغ في الانذار اليهم مبالغة كمن لا يخاف عاقبة عذابهم وقيل يرجع ذلك الى رسولهم صالح عليه السلام أي لا يخاف عقي هذه العقوبة لانذاره اياهم ونجاء الله وأهلكهم وقال السدي يرجع الضمير الى أشقاها أي انبعث لعقورها والحال انه غير خائف عاقبة هذه القلة الشنعاء وقرأ الكسائي جميع رؤس أي هذه السورة بالامالة محضة وقرأها أبو عمرو وبين وبين وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين وأمال حزة مثل الكسائي الاتلاها وضمهاها ففتحها ما والباقون بالفتح وتفقوا على فتح فعقروها وقول البيضاوي تبعنا للزمخشري انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر حديث موضوع

(سورة الليلكية)

وهي احدى وعشرون آية واحدى وسبعون كلمة وثلاثمائة وعشرة أحرف

(بسم الله) الملك الحق المبين (الرحمن) الذي عمّ رزقه العالمين (الرحيم) الذي خص بجنته المؤمنين وقوله تعالى (والليل) أي الذي هو آلة التلالم (إذا يغشى) قسم وقدمت الكلام على ذلك ولم يذكر تعالى مفعولا لانه لم به فقبل يغشى بظلمته كل ما بين السماء والارض وقيل يغشى النهار وقيل الارض وقيل الخلائق قال قتادة أول ما خلق الله تعالى النور والظلمة ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليل والأسود مظلمة والنور نهارا مضيا مبصرا وقوله تعالى (والنهار) أي الذي هو سبب انكشاف الامور (إذا تجلى) أي تكشف وظهور قسم آخر قال الرازي القسم بالليل الذي يأمري

فيه كل حيوان إلى ماواه ونسكن الخلق عن الاضطراب ويغشاهم النوم الذي جعله الله تعالى راحة لأبدانهم وغذاء لأرواحهم ثم أقسم بالنهار اذا تجلى لأن النهار اذا جاء انكشف بضوئه ما كان في الدنيا من الظلمة وجاء الوقت الذي تحرل فيه الناس لمعايشهم وتحرل الطير من أوكارها والهوام من مكانها فلو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش ولو كان كله نهارا لبطلت الراحة لكن المصلحة في تعاقبهما كما قال تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة وقال تعالى وسخر لكم الليل والنهار (وما) بمعنى من أي ومن (خلق الذكر والأنثى) أي فيكون قد أقسم بنفسه أو مصدريه أي وخلق الله الذكر والأنثى وجازا ضمائر اسم الله تعالى لأنه معلوم لا تفراده بالخلق اذ لا خالق سواه والذكر والأنثى آدم وحواء عليهما السلام أو كل ذكر وأنثى من سائر الحيوانات والأنثى وان أشكل أمره عندنا فهو عند الله تعالى غير مشكل معلوم بالذكورة أو الأنوثة فلو حلف بالطلاق أنه لم يلق يومه ذكر أو أنثى وقد لقي خنثى مشكلا كان حاشا لأنه في الحقيقة ذكر أو أنثى وان كان مشكلا عندنا وقيل كل ذكر وأنثى من الآدميين فقط لاختصاصهم بولاية الله تعالى وطاعته وقوله تعالى (إن سعيكم) أي عملكم (لشتى) جواب القسم والمعنى إن أعمالكم تختلف فعامل الجنة بالطاعة وعامل النار بالمعصية ويجوز أن يكون مجذوبا كما قيل في تبطيره المتقدمة وشتى واحدة شتيت مثل مريض ومرضى وانما قيل للمختلف شتى لتباين ما بين بعضه وبعضه أي إن عملكم المتباين بعضه من بعض لشتى لأن بعضه ضلال وبعضه هدى أي فيكم مؤمن وبر وكافر وفاجر ومطيع ومعاص وقيل لشتى أي لمختلف الجزاء فنكم مثاب بالجنة ومعاقب بالنار وقيل لمختلف الاخلاق فنكم راحم وقاس وحليم وطائش وجواد وبخيل قال بعض المفسرين نزلت هذه الآية في أبي بكر وأبي سفيان بن حرب وروى أبو مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها أي مهلكها وقوله تعالى (فأما من أعطى) أي وقع منه إعطاء على ما حدته ناله وأمرناه به (وأتقى) أي ووقعت منه التقوى وهي إجماد الوفايات من الطاعات واجتناب المعاصي خوفا من سطواتنا (وصدق بالحسنى) تفصيل مبين لتشتيت المساعي واختلاف في الحسنى فقال ابن عباس أي بلا اله الا الله وقال مجاهد بالجنة لقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وقال زيد بن أسلم الصلاة والزكاة والصوم (فسنيسره) أي نهيته بما لنا من العظمة بوعده لا خلف فيه (للبيسرى) أي لأسباب الخير والصلاح حتى يسهل عليه فعلها وقال زيد بن أسلم للبيسرى أي للجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نفس منقوسة الا كتب الله تعالى مدخلا فقال القوم يا رسول الله أفلا تسكل على كتابنا فقال صلى الله عليه وسلم بل اعلموا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فانه يسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فانه يسر لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره للبيسرى (وأما من بخل) أي أوجد هذه الحقيقة الخبيثة فخرج ما أمر به ونذير اليه (واستغنى) أي طلب الغنى عن الناس وعما وعد به من الثواب أو وعد بما زعمت له نفسه الخاتمة

وظنونه الكاذبة فلم يحسن الى الناس ولا عمل للعقبى (وكذب) أى أوقع التكذيب لمن يستحق التصديق (بالحسنى) أى فأنكرها وكان عامدا مع المحسوسات كالبهايم (فستيسره) أى نهيته (للعسرى) أى للخلعة المؤدية الى العسرة والشدة كدخول النار وعن ابن عباس قال نزلت فى أمية بن خلف وعنه فستيسره للعسرى أى سأل حول بينه وبين الايمان بالله ورسوله وعنه أيضا وأما من بخل أى بخله واستغنى عن ربه وكذب بالحسنى أى بالخلف الذى وعده الله تعالى فى قوله سبحانه وما أنفقتم من شئ فهو يخلقه وقال مجاهد وكذب بالحسنى أى بالجنة وعنه بلا اله الا الله ويجوز فى ما فى قوله تعالى (وما يغنى عنه ماله) أن تكون نافية أى لا يغنى عنه ماله شيئا وأن تكون استغها ما انكاريا أى شئ يغنى عنه ماله (إذا تردى) قال أبو صالح أى اذا سقط فى جهنم وقيل هو كناية عن الموت كما قال القائل

نصيبك مما تجمع الدهركه * رداً أن تطوى فيهما وحنوط

• ولما عرفهم سبحانه أن سعيهم شتى وبين ما للمحسنين من اليسرى وما للمسيئين من العسرى أخبرهم بأن عليه بيان الهدى من الضلال بقوله تعالى (إن علينا) أى علينا من القدرة والعظمة (للهدى) أى للارشاد الى الحق بموجب قضائنا وبحقضى حكمتنا فبين طريق الهدى من طريق الضلال ليمثل أمر نابلوك الاول ونهينا عن ارتكاب الثانى وقال القراء معناه إن علينا للهدى والاضلال فحذف المعطوف كقوله تعالى سراييل تضيكم الحز وهو معنى قول ابن عباس يريد أرشداً وإماني للعمل بطاعتي وأحول بين أعدائى أن يعملوا بطاعتي وهو معنى الاضلال وقيل معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله تعالى سبيله كقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل (وإن لنا الآخرة والاولة) أى لنا فى الدنيا والآخرة فنعطى فى الدارين ما نشاء لمن نشاء فن طلبهم من غيرنا فقد أخطأ الطريق وعن ابن عباس قال ثواب الدنيا والآخرة وهو كقوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة (فأذرتكم) أى حذرتكم وخوفتكم بأيتها المخالفون للطريق الذى بينته (نارا تلتقى) بحذف إحدى التاءين من الاصل أى تلتهب وتتوقد وتتوهج يقال تلتفت النار تلتظيا ومنه سميت جهنم لظى وقرأ البرزى فى الوصل بتشديد التاء وهو عسر الالتقاء الساكنين على غير حذرها وهو نظير قوله تعالى اذلقونه والباقون بغير تشديد (لا يصلاها) أى لا يقاسى شدتها على طريق الزوم والانغماس (الا الاشقى) أى الذى هو فى الذروة من الشقاوة وهو الكافر فان الفاسق وإن دخلها لم يلزمها ولذلك سماه أشقى ووصفه بقوله تعالى (الذى كذب) النبى صلى الله عليه وسلم (وقولى) أى عن الايمان أو كذب الحق وأعرض عن الطاعة أو الاشقى بمعنى الشقى كقوله لست فيها بأوحد أى بواحد والحصر مؤول لقوله تعالى ويفقر ما دون ذلك لمن يشاء فميكون المراد الصلى المؤبد (وسيجنبها) أى النار الموصوفة بوعد لا خلف فيه (الاتقى) أى الذى اتقى الشرك والمعاصى فانه لا يدخلها فضلا أن يدخلها ويصلاها ومفهوم ذلك على التفسير الاول أن من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها ولا يخالف الحصر السابق أو الاتقى

بحق التي على وزن مامتر (الذي يؤتي ماله) أي يصرقه في وجوه الخير أقوله تعالى (يتزكى)
فانه بدل من يؤتي أو حال من فاعله فعلى الأول لا محل له لانه داخل في حكم الصلة والصلة
لا محل لها وعلى الثاني محل نصب قال البغوي يعني أبابكر الصديق رضي الله عنه في قول
الجميع قال ابن الزبير كان يتناع الضعفة فيعتقهم فقال له أبو أي بني لو كنت تتناع من يمنع
ظهرك فقال منع ظهري أريد فأزل الله تعالى وسيجنيها الاتي الى آخر السورة وذكر محمد
ابن اسحق قال كان بلال لبعض بني جهم وهو بلال بن رباح واسم أمه حمامة وكان صادق
الاسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف يخرجها اذا حبت الشعر فيطرحه على ظهره ببطحاء
مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد
فيقول وهو في ذلك أحد أحد قال محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن أبيه قال مر به أبو بكر
يوما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار أبي بكر في بني جهم فقال لأمية ألا تتقي الله تعالى في هذا
المسكين قال أنت أفسدته فأنتخذ مما ترى قال أبو بكر أفعلى عندى غلام أسود أجلد منه وهو
على دينك أعطيكه قال قد فعلت فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذته فأعتقه وكان قد أعتق ست
رقاب على الاسلام قبل أن يهاجر وبلال سابعهم وهم عاصرون هيرة شهيد درا وأحدا وقتل
يوم بئر معونة شهيدا وأعتق أم عيسى فأصيب بصرها حين أعتقها فقالت قريش ما أذهب
بصرها إلا اللات والعزى فقالت كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى ولا تنفعان فردا لله
تعالى بصرها وأعتق الهندية وابنتها وكاتلا امرأة لبني عبد الدار فزجها ما وقد بعثت ما سدت بها
يحتطبان لها وهي تقول لهما والله لا أعتقكما أبدا فقال أبو بكر كلا يا أم فلان فقالت كلا أنت
أفستهما فأنعتهم ما قال فبكم قلت بكذا وكذا قال قد أخذتهما وهما حرتان ومرتجبارية
من بني المرسل وهي تعذب فابتاعها فأعتقها وقال سعيد بن المسيب بلغني أن أمية بن خلف
قال له أبو بكر في بلال أتبعه قال نعم أتبعه بقسطاس عبد لابي بكر صاحب عشرة آلاف دينار
وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا حله أبو بكر على الاسلام على أن يكون ماله له فأبى فأبغضه
أبو بكر فلما قال له أمية أتبعه بغلامك قسطاس اغتمه أبو بكر وباعه به وروى الضحاك عن
ابن عباس قال عذب المشركون بلالا وبلال يقول أحد أحد فخر النبي صلى الله عليه وسلم فقال
أحد يعني الله تعالى ينصيك ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر يا أبابكر ان بلالا يعذب في الله
فعرى أبو بكر الذي يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنصرف الى منزله فأخذ رطلا من ذهب
ومضى به الى أمية بن خلف فقال له أتبعني بلالا قال نعم فاشتراه فأعتقه فقال المشركون ما فعل
ذلك أبو بكر لبلال الا ليد كانت لبلال عنده فأزل الله تعالى (وما لاحد عنده) أي أبي بكر
(من نعمة تجزي) أي يد يكافئه عليها وقوله تعالى (الابتغاء) استثناء منقطع أي لم يفعل ذلك
مجازاة لاحد يد كانت له عنده لكن فعله ابتغاء (وجه ربه) أي المحسن اليه (الاعلى) وطلب
رضاء ويجوز أن يكون متصلا عن محذوف مثل لا يؤتي الا ابتغاء وجه ربه الاعلى لا المكافاة
نعمه (ولسوف يرضى) أي بما يعطى من الثواب في الجنة ويروى عن علي قال قال رسول الله

قوله ابن هيرة هكذا
في السخ والنبي
في حاشية الجمل ابن
هيرة بالفاء والهاء
٥١

صلى الله عليه وسلم رحم الله أبابكر زوجي ابنته وحلاني الى دار الهجرة وأعتق بلالا والاية
تعمل من فعل مثل فعله فيبعد عن النار ويثاب وقرأ حزة والكسافي يغشى تجلي والاشقي لشي
من أعطى واتى وصدق بالحسنى واستغنى بالحسنى تردى للهدى والاولى تلطى الاشقي وتولى
الاتى يتزكى تجزى الاعلى يرضى بالامالة محضة في جميع ذلك وأمال ورش جميع ذلك بين بين
والفتح عنه قليل وله في من أعطى الفتح وبين اللفظين سواء وأمال أبو عمرو بين بين الامن أعطى
لانه ليس برأس آية والباقون بالفتح وقرأ أبو بكر وحزة والكسافي الليسرى للعسرى بالامالة
محضة ورش بين اللفظين والباقون بالفتح وأمال حزة والكسافي يصلاها محضة ولورش الفتح
وبين اللفظين واذا فتح غلط اللام واذا أمال رققها وأمال الاشقي والاتى فلا يعلان الا في الوقت
دون الوصل وقول البيضاوي تعالى بحال الزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة
والليل أعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسره اليسر حديث موضوع

﴿سورة الضحى﴾

وهي احدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة وسبعون حرفا ولما نزلت كبر النبي صلى الله عليه
وسلم فسن التكبير آخرها وروى الامر به خاتمتها وخاتمة كل سورة بعدها وهو الله أكبر أو
لا اله الا الله والله أكبر

(بسم الله) الملك ذي الجلال والاكرام (الرحمن) الذي عم به منته الخصاص والعام (الرحيم)
الذي خص أهل وده باتمام الانعام وقوله تعالى (والضحى) قسم وقدمت الكلام على ذلك وخصه
بالقسم لانها الساعة التي كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام وألقى السحرة فيها سجدا وهو
صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقى شعاعها لقوله تعالى وأن يحشر الناس ضحى وقال البغوي
أراد النهار كله بدليل أنه قابله بالليل في قوله تعالى (والليل) أي الذي به تمام الصلاح
(اذنحى) أي سكن وركد ظلامه يقال ليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكوت الناس
والاصوات فيه ويحيى البحر سكنت أمواجه وطرف ساح فاطر وقال قتادة أقسم بالضحى
الذي كلم الله تعالى فيه موسى وبليدة المعراج التي عرج فيها النبي صلى الله عليه وسلم (فان قيل)
ما الحكمة في أنه تعالى قدم هنا الضحى في السورة التي قبلها الليل (أجيب) بأن لكل منهما
أثرا عظيما في صلاح العالم والليل فضيلة السبق لقوله تعالى وجعل الظلمات والنور والنور
فضيلة النور فقدم سبحانه هذا نارة وهذا أخرى كالركوع والسجود في قوله تعالى اركعوا
واسجدوا وقوله تعالى واسجدوا واركعوا مع الراكعين أو أنه قدم الليل في سورة أبي بكر لأن
أبابكر سبقه كثر وقدم الضحى في سورة محمد صلى الله عليه وسلم لانه نور محض ولم يتبق له ذنب
أو أن سورة والليل سورة أبي بكر وسورة والضحى سورة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يجعل بينهما
واسطة ليعلم أنه لا واسطة بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين أبي بكر رضي الله تعالى عنه (فان قيل)
ما الحكمة في كونه تعالى ذكر الضحى وهو ساعة وذكر الليل في جملة (أجيب) بأن في ذلك

إشارة إلى أن ساعة من نهار توازن جميع الليل كما أن محمدا صلى الله عليه وسلم يوافق جميع
 الأنبياء عليهم السلام وأيضا الضحى وقت السرور والليل وقت الوحشة ففيه إشارة إلى أن
 سرور الدنيا أقل من سرورها وأن هموم الدنيا أدوم من سرورها فان الضحى ساعة والليل ساعات
 ويروى أن الله تعالى لما خلق العرش أظلت نحماسة سوداء ونادت ماذا أمطر فأجبت أن امطرى
 السرور ساعة فلهذا ترى الهموم والاحزان دائمة والسرور قليلا ونادرا وقدم ذكر الضحى
 وآخر الليل لانه يشبه الموت وقوله تعالى (ما ودعك) أى تركها أشرف الرسل تركها تحصل به
 فرقة كفرقة المودع ولو على أحسن الوجوه الذى هو مراد المودع (بك) أى المحسن اليك
 جواب القسم (وما قل) أى وما أبغضك بغضا ما وتركت الكاف لانه رأس آية كقوله تعالى
 والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أى الله * (تنبيه) * اختلجوا فى سبب نزول هذه الآية على
 ثلاثة أقوال أحدها ما روى البخارى عن جندب بن سفيان قال اشتكى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ليلتين أو ثلاثا فجاءت أم جميل امرأة أبى لهب فقالت يا محمد انى لارجو أن يكون
 شيطانك قد تركك لم أره قريبا من ذللتين أو ثلاث فترأت نائها ما روى أبو عمرو وقال أبطأ
 جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم حتى شق عليه فجاء وهو واضع جبهته على
 الكعبة يدعو وأنزل عليه الآية نالها ما روى أن خولة كانت تخدم النبي صلى الله عليه
 وسلم فقالت ان جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فأتى النبي صلى الله عليه وسلم
 أباما لا ينزل عليه الوحي فقال صلى الله عليه وسلم يا خولة ما حدث فى بيتى ان جبريل عليه السلام
 لا يأتى بيتى قالت خولة فكنت فأهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت فأخذته فألفيته
 خلف الجدار فجاءني الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه وكان اذا نزل عليه الوحي استقبلته
 الرعدة فقال يا خولة دثرين فأنزل الله تعالى هذه السورة * ولما نزل جبريل عليه السلام
 سأله النبي صلى الله عليه وسلم عن التأخير فقال أما علمت أنا لاندخل بيتا فيه كلب ولا صورة
 رابعها ما روى ان اليهود سألو النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح وذى القرنين وأصحاب
 الكهف فقال صلى الله عليه وسلم سأخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس عنه الوحي الى
 أن نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشيئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله
 فأخبره بما سئل عنه وفى هذه القصة نزل ما ودعك ربك واختلجوا فى مدة احتباس الوحي عنه
 فقال ابن جبرير اثنا عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقال مقاتل أربعون يوما
 قالوا وقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلام فأنزل الله تعالى هذه السورة فقال النبي صلى
 الله عليه وسلم يا جبريل ما جئت حتى اشتقت اليك فقال جبريل عليه السلام انى كنت اليك
 أشد شوقا ولكنى عسما أمور فأنزل الله تعالى وما تنزل الا بأمر ربك (ولادخرة) التى هى
 المقصود من الوجوه بالذات لانها باقية خالصة عن كوابت الكدر (خير لك) أى لما فيها من
 الكرامات لك (من الأولى) أى الدنيا القانية التى لا سرور فيها خالص وقيد تعالى بقوله سبحانه
 لك لانها ليست خيرا لكل أحد قال البقاعى ان الناس على أربعة أقسام منهم من

الخير في الدارين وهم أهل الطاعة الاغنياء ومنهم من له الشرف فيهم ما وهبهم الكفرة الفقراء
ومنهم من له صورة خير في الدنيا وشر في الآخرة وهم الكفرة الاغنياء ومنهم من له صورة
شر في الدنيا وخير في الآخرة وهم المؤمنون الفقراء وروى البغوي بسنده عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا
(ولسوف يعطيك) أي بوعده لا خلف فيه وان تأخرو عنه بما أفهمته الاداة (ربك) أي المحسن
الك بسائر النعم في الآخرة من الخيرات عطاء جزيل (فترضى) أي به فقال صلى الله عليه وسلم
إذا لا أَرْضى وواحد من أمتي في النار وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه
وسلم رفع يديه وقال اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا
سأرضيك في أمتك ولأنسوك وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة
مستجابة فتجعل كل نبي دعوته واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتّي يوم القيامة فهي نائلة من
مات لا يشرك بالله شيئاً وعن عوف بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا ناتي آت
من عند ربّي يخبرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فهي نائلة
من مات ولم يشرك بالله شيئاً وعن شريح قال سمعت أبا جعفر محمد بن علي يقول انكم
معشر أهل العراق تقولون أرجى آية في القرآن قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله وانا أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك
فترضى وفي هذا موعد لما أعطاه الله تعالى في الدنيا من الفتح والظفر بأعدائه يوم بدر ويوم
فتح مكة ودخول الناس في الدين أفواجا والغلبة على قريظة والنضير واجلائهم وبيت
عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في أقطار الأرض من المداين
وهدم بأيديهم من ممالك الجبابرة وأنهبهم من كنوزها كاسرة وما قذف في قلوب أهل الشرق
والغرب من الرعب وتهيب الاسلام وفسخ الدعوة واستيلاء المساكين ولما أعطاه في الآخرة
من الثواب الذي لا يعلم كنهه الا الله تعالى قال ابن عباس له في الجنة ألف قصر من لؤلؤ
أبيض ترابه المسك (فان قيل) ما هذه اللام الداخلة على سوف (أجيب) بأنها لام الابتداء
المؤكد لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك وذلك أنها لا تقبل من أن
تكون لام قسم أو ابتداء ملام القسم لا تدخل على المضارع الامع نون التوكيد فبقي أن
تكون لام ابتداء ولام الابتداء لا تدخل الاعلى الجملة من المبتدأ والخبر فلا بد من تقدير مبتدأ
وخبر وأن يكون أصله ولانت سوف يعطيك (فان قيل) ما معنى الجمع بين حرفي التأكد
والتأخير (أجيب) بأن معناه ان العطاء كائن لا محالة وان تأخر ما في التأخير من المصلحة على
أنه تعالى أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بالحال التي كان عليها فقال جل ذكره (ألم يجدك) وهو
استفهام تقرير أي وجدك (يتيما) وذلك ان أباه مات وهو حين قد آنت عليه ستة أشهر وقيل
مات قبل ولادته ومات أمه وهو ابن ثمان سنين (فأوى) أي بأن ضمك الى عمك أبي طالب
فأحسن تربيتك وعن مجاهد هو من قول العرب درة يتيمة اذا لم يكن لها نظير فالعني ألم يجدك

يتما واحد في شركك لا نظيرك قالوا لا الله تعالى بأصحاب يحفظونك ويحوطونك وهذا خلاف
الظاهر من الآية ولهذا قال الزمخشري ومن يدع التفسيراته من قولهم درة يثمة وأن المعنى
لم يجدك واحد في قريش عديم النظير قالوا (فان قيل) كيف ان الله تعالى يمن بنعمه والمن
بها لا يلبق ولهذا اذم فرعون في قوله لموسى عليه السلام ألم نريك فينا وليدا (أجيب) بأن ذلك
يحسن اذا قصد به تقوية قلبه وروعه بدوام النعمة فامتنان الله تعالى زيادة نعمة بخلاف
امتنان الآدمي واختلفوا في قوله تعالى (ووجدك ضالا فهدى) فأكثر المفسرين على أنه
كان ضالا عما هو عليه الآن من الشريعة فهذا الله تعالى اليها وقيل الضلال بمعنى الغفلة
كقوله تعالى لا يضل ربي ولا ينسى أى لا يغفل وقال تعالى في حق نبيه صلى الله عليه وسلم
وان كنت من قبله لمن الغافلين وقال الضمك المعنى لم تكن تدري القرآن وشرائع الاسلام
فهذا الى القرآن وشرائع الاسلام وقال السدي وجدك ضالا أى في قوم ضلال فهذا
الله تعالى بك أوفه هذا الى ارشادهم وقيل وجدك ضالا عن الهجرة فهذا الى الله وقيل
ناسيا شأن الاستثناء حين سئلت عن أصحاب الكهف وذى القرنين والروح فدكر كقوله
تعالى أن تضل احداهم وقيل وجدك طالبا للقبلة فهذا الى الله كقوله تعالى قد نرى تقلب
وجهك في السماء الآية ويكون الضلال بمعنى الطلب لان الضال طالب وقيل وجدك
ضالعا في قومك فهذا اليهم ويكون الضلال بمعنى المحبة كما قال تعالى قالوا والله انك لاني
ضلالك القديم أى في محبتك قال الشاعر

هذا الضلال أشاب مني المقرقا * والعارضين ولم أكن متعتقا

عجبال عزة في اختيار قطيعتي * بعد الضلال قبلها قد أخلقا

وروى الضمك عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير
فرآه أبو جهل منصرفا من أغنامه فردّه الى عبد المطلب وقال سعيد بن المسيب خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب في قافلة ميسرة عبد خديجة فيبينا هورا كب
ذات ليلة مظلمة ناقة فجاء إبليس فأخذ بزمام الناقة فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل عليه
السلام فنفض إبليس نفخة وقع منها الى أرض الحبيشة وردّه الى القافلة فن الله تعالى عليه بذلك
وقيل وجدك ضالا نفسك لا تدري من أنت فعرفك نفسك وحالك وقال كعب أن حليلة
لما قضت حق الرضاع جاءت برسول الله صلى الله عليه وسلم لترده على عبد المطلب فسمعت
عند باب مكة هنيئا لك يا بطحاء مكة اليوم يرد اليك النور والبهاء والجمال قالت فوضعتني لاصح
شأن فسمعت هذه شديدة فالتفت فلم أره فقلت من شر الناس أين الصبي فقالوا لم تر شيئا فسمعت
واحمدا فاذ شيخ فان يتوكأ على عصا فقال اذهبي الى الصنم الاعظم فان شاء أن يردّه اليك فعل
ثم طاف الشيخ بالصنم وقبل رأسه وقال يا رب لم تزل متسك على قريش وهذه السعدية تزعم
أن ابنها قد ضل فرقه ان شئت فأنككب على وجهه وتساقت الاصنام وقالت اليك عنا
أيها الشيخ فهلا كنا على يد محمد فالتى الشيخ عصاه وارعد وقال ان لابنك ربلا يضيحه فاطليه

على . هل فأنخشرت قريش التي عبد المطلب وطلبوه في جميع مكة فلم يجدوه فطاف عبد المطلب
بالكعبة سبعة أشهر وتضرع إلى الله تعالى أن يرده وقال

يا رب ردّ ولي محمد * ارددّه ربّي واصطنع عندي يدا

فسمعه واما ناديا ينادي من السماء معانثر الناس لا تضجوا فان لمحمد وبالا يفضله ولا يضيعه
وان محمد ابوا دى ثمامة عند شجرة السمر فساو عبد المطلب هو ورقة بن نوفل فاذا النبي صلى الله
عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالأغصان وبالورق وفي رواية ما زال عبد المطلب يرده البيت
حتى أتاه أبو جهل على ناقه ومحمد صلى الله عليه وسلم بين يديه وهو يقول ألا تدري ماذا جرى
من ابنك فقال عبد المطلب ولم فقال اني أخنت الناقة وأركبته خلني فأبت الناقة أن تقوم
فلما أركبته أمانى قامت الناقة قال ابن عباس رده الله تعالى إلى جده يدهدوه كما فعل عيسى
عليه السلام حين حفظه عند فرعون وقيل ووجدك ضالاً ليلة المعراج حين انصرف عنك
بجبريل وأنت لا تعرف الطريق فهدى إلى ساق العرش وقال بعض المتكلمين اذا وجدت
العرب شجرة منفردة من الارض لا شجرة معها موها ضالة فيجدي بها إلى الطريق فقال الله
تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالاً أي لا أحد على دينك بل أنت وحيد ليس معك أحد
فهديت بك الخلق إلى وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غير فقوله تعالى ووجدك
ضالاً فهدى أي وجد قومك ضالاً فهداهم بك وقيل غير ذلك قال الزنجشري ومن قال كان
على أمر قومهم أربعين سنة فان أراد أنه كان على خلقهم من العلوم السمعية فنعيم وان اراد انه
كان على كفرهم ودينهم فعاذ الله والانباء عليهم الصلاة والسلام يجب أن يكونوا معصومين
قبل النبوة وبعدها من الكبار والصغار الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا أن
نشارك بالله من شيء وكفى بالنبي تقيصة عند الكفار أن يسبق له كفر (ووجدك عائلاً) أي فقيراً
(فأغنى) قال مقاتل فرض الله بما أعطاه من الرزق واختاره القراء وقال لم يكن غنى عن كثرة المال
ولكن الله تعالى أراض بما أعطاه وذلك حقيقة الغنى قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة
العرض ولكن الغنى غنى النفس وقال صلى الله عليه وسلم قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه
الله بما آتاه وقيل أغناك بجمال خديجة وربة أبي طالب ولما اختل ذلك أغناه بجمال أبي بكر
ولما اختل ذلك أمره بالجهاد وأغناه بالغنائم روى الزنجشري أنه صلى الله عليه وسلم قال
جعل رزقي تحت ظل رمحي وقال الرازي العاتل ذوالعبلة ثم أطلق على الفقير ويجوز
أن يراد ووجدك ذاعياً لا تقدر على التوسعة عليهم فمأغناك بما جعل لك من ربح التجارة
ثم من كسب الغنائم وروى البغوي بإسناد الطبري عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم سألت ربي مسئلة وددت اني لم أكن سألته قلت يا رب انك آتيت سليمان بن داود
ملكاً عظيماً وآتيت فلاناً كذا وفلاناً كذا قال يا محمد ألم أجدك يتيماً فآويتك قلت بلى يا رب قال
ألم أجدك ضالاً فهديتك قلت بلى يا رب قال ألم أجدك عائلاً فأغنيتك قلت بلى يا رب وفي رواية
ألم أيسر لك صيدك ووضعت عنك وزرك قلت بلى يا رب ثم أوصاه بالتسبي والمساكين

والفقراء فقال تعالى (فَأَمَّا الْيَتِيمَ) أي هذا النوع (فَلَا تَقْهَرْ) قال مجاهد لا تحقر اليتيم فقد كنت
يتيمًا وقال الفقراء لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه كما كانت العرب تفعل في أموال اليتامى
تأخذ أموالهم وتطلمهم حقوقهم وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال خير بيت في المسلمين بيت فيه
يتيم يحسن إليه ويحربيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه ثم قال بأصبعه أنا وكافل اليتيم في الجنة
هكذا وهو يشير بأصبعه * (تنبيه) * اليتيم منصوب بـ تقهر به استدلال ابن مالك على أنه لا يلزم
من تقديم المحمول تقديم العامل ألا ترى أن اليتيم منصوب بالمجزوم وقد تقدم على الجزم ولو تقدم
على لا لا متنع لأن المجزوم لا يتقدم على جازمه كالمجزور لا يتقدم على جازه وفي الآية دلالة على
الالطف باليتيم وبره والاحسان إليه وقال صلى الله عليه وسلم من ضم يتيمًا وكان في تهقته وكفاه
مؤتمه كان له حجاب من النار يوم القيامة وقال من مسح برأس يتيم كان له بكل شعرة حسنة وقال
قتادة كن لليتيم كلاب الرحيم (فإن قيل) ما الحكمة في أن الله تعالى اختار لنبيه صلى الله عليه
وسلم اليتيم (أجيب) بوجوه أحدها أن يعرف حارة اليتيم فيرفق باليتيم ثانيها يشاركه في الاسم
فيكرمه لأجل ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم إذا سميت الولد محمدًا فأكرموه وسعوا له في المجلس
ثالثها ليستند من أول عمره على الله تعالى فيشبه إبراهيم عليه السلام في قوله حسي من سواي
علمه بحالي رابعها أن اليتيم تطهر عيوبه فلما لم يجدوا عيبًا لم يجدوا فيه مطعنا خامسها جعله
يتيمًا ليعلم كل أحد أن فضيلته ابتداء من الله تعالى لا من تعليم لأن من له أب فانه يؤذيه ويعلمه
سادسها اليتيم والفقير نقص في العادة فكونه صلى الله عليه وسلم مع هذين الوصفين من أكرم الخلق
كان ذلك قلبًا للعادة فيكون معجزة (وأما السائل) أي الذي أوجته العيلة أو غيرها إلى السؤال
(فلا تنهر) أي فلا تزجر يقال نهره وأنهره إذا زجره وأغلظ عليه القول ولكن رده وداجيلًا
قال إبراهيم بن أدهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة وقال إبراهيم النخعي السائل
يريدنا إلى الآخرة يجي إلى باب أحدكم فيقول هل تبعثون إلى أهليكم بشئ وقيل المراد بالسائل
هنا الذي يسأل عن الدين وروى الزمخشري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا رددت السائل
ثلاثًا فلم يرجع فلا عليك إن تزجره وقيل أمانه ليس السائل المستجدي ولكن طالب العلم
إذا جاءك فلا تنهره (وأما بنعمة ربك) أي المحسن اليك بالنسبة وغيرها (فحدث) بها فان التحدث
بها شكرها وإغمايجوز لغيره صلى الله عليه وسلم مثل هذا إذا قصد به اللطف وأن يقتدى به غيره
وأمن على نفسه الفتنة والستر أفضل ولولم يكن في الذكر إلا التشبه بأهل الرياء والسعة لكنني
والمعنى أنك كنت يتما وضالًا وعادًا لا فاقًا والله وهذا وأغناك فهم ما يمكن من شئ فلا تنس
نعمة الله عليك في هذه الثلاث واقتد بالله فتعطف على اليتيم وآوه فقد ذقت اليتيم وهو انه ورأيت
كيف فعل الله تعالى بك وترحم على السائل وتفقده بعرفك ولا تزجره عن يلك كما رجعك وبك
فأضال بعد الفقر وحدث بنعمة الله كلها ويدخل تحتها هدايته الضلال وتعليقه الشرايع والقرآن
مقتديا بالله تعالى في أن هدا من الضلالة وقال مجاهد تلك النعمة هي القرآن والتعديت به
أن يقرأه ويقرئ غيره وعنه أيضًا تلك النعمة هي النبوة أي بلغ ما أنزل اليك من ربك وقيل تلك

النعمة هي ان وفقت الله سبحانه وتعالى فراعيت حق اليتيم والسائل فحدث به يقتدى بك
غيرك وعن الحسن بن علي قال اذا علمت خيرا فحدث به اخوانك ليقتدوا بك الا ان هذا لا يحسن
الا اذا لم يتضمن رياء ووطن انا غيرة يقتدى به كما علم مما مر وروى ان شخصا كان جالسا عند النبي
صلى الله عليه وسلم فرآه وث الثياب فقال له صلى الله عليه وسلم ألك مال قال نعم فقال له صلى الله
عليه وسلم اذا أتاك الله مالا فليأثره عليك وروى انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله جميل يحب
الجمال ويجب ان يرى أثر النعمة على عبده (فان قيل) ما الحكمة في أن الله تعالى اخرج حق نفسه
عن حق اليتيم والسائل (أجيب) بكأنه يقول أنا أغني الاغنياء وهم المحتاجان وحق المحتاج
أولى بالتقديم واختار قوله سبحانه وتعالى فحدث على قوله تعالى فأخبر ليكون ذلك حديثا منه
لا ينسأه ويعيده مرة بعد أخرى وقرأ والضحي سبي قلى الاولى فترضى فأوى فهو سبي فأغنى
حزة والكسائي بامالة محضة لكن حزة لم يل سبي وأمال ورش وأبو عمرو بين وبين وانفتح عن ورش
قليل والباقيون بالفتح وروى أبي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا بلغ الضحي
كبريين كل سورتين الى أن يختم القرآن ويفصل بينهما ما بسكتة وكان المعنى في ذلك ان الوحي
تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما فقال ناس من المشركين قد ودعه صاحبه وقلاه
فنزلت هذه السورة فقال صلى الله عليه وسلم الله أكبر قال مجاهد قرأت على ابن عباس رضي الله
تعالى عنهم ما قامني به وأخبر أنه صلى الله عليه وسلم أمر به وبعض القراء لا يكبر لان ذلك ذريعة
الى الزيادة في القرآن وقال القرطبي القرآن ثبت نقله بالتواتر وسوره وآياته وحروفه بغية زيادة
ولانقصان فالتكبير ليس بقرآن وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من قرأ سورة والضحي جعله الله فين يرضى لمحمد أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد
كل يتيم وسائل حديث موضوع

❖ (سورة الم نشرح مكية) ❖

وهي ثمان آيات وتسع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة أحرف

(بسم الله) الظاهر الباطن الملك العلام (الرحمن) الذي هم المخلوقين بالانعام (الرحيم) الذي
خص أوليائه بدار السلام وقوله تعالى (الم نشرح) استفهام تقرير أي شرحنا بما يليق بعظمتنا
(لك) يا أشرف الخلق (صدرك) بالنبوة وغيرها حتى وسع مناجاتنا ودعوة الخلق أو فضحنا بهما
أو دعنا فيه من الحكم والعلوم وأزلنا عنه الضيق والمخرج الذي كان يكون معه العنى والجهل
وعن الحسن بن علي حكى وعلمنا وقيل انه إشارة الى ما روى ان جبريل عليه السلام أتى النبي صلى
الله عليه وسلم في صباه أو في يوم المصايق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلمنا (فان قيل)
لم قال تعالى صدرك ولم يقل قلبك (أجيب) بان محل الوسوسة هو الصدر كما قال تعالى يوسوس
في صدور الناس فأزال تلك الوسوسة وأبدلها بدواهي الخير فلذلك خص الشرح بالصدر ودون
القلب وقال محمد بن علي الترمذي القلب محل العقل والمعرفة والشيطان يجرى الى الصدر الذي

هو حصن القلب فاذا وجد مسلكا أغار فيه وثبت جنده فيه وبث فيه الهموم والغموم والحرم
 فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للإسلام حلاوة فاذا طرد العدو في الابتداء حصل
 الأمن وانشرح الصدر (فان قيل) لم قال تعالى ألم نشرح لك صدرك ولم يقل ألم نشرح صدرك
 (أجيب) بوجهين أحدهما كأنه تعالى يقول لام بلام فانت انما فعل جميع الطاعة لاجلى
 وأنا ايضا جميع ما أفعله لاجلك فاني مما ان فيه تنبيه على ان منافع الرسالة عامة اليك لاجلك
 لا لاجلنا واختلف في قوله تعالى (ووضعنا) أي بما لنا من العظمة (عنك وفرك) فقال
 الحسن ومجاهد حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية وهو قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم
 من ذنبك وما تأخر وقال الحسين بن الفضل يعني الخطا والسهو وقيل ذنوب أمتك وأضافها
 اليه لاشتغال قلبه بها (الذي أنقض) أي أنقل (ظهرك) قال أبو عبيدة خففنا عنك أعباء النبوة
 والقيام بها حتى لا تثقل عليك وقيل كان في الاستداء ينقل عليه الوحي حتى يكاد يرى
 نفسه من شأهق الى ان جاءه جبريل عليه السلام وأزال عنه ما كان يخاف من تفسير العقل
 وقيل عصمناك من احمال الوزر وحفظناك قبل النبوة في الاربعين من الادميين حتى نزل عليك
 الوحي وأنت مطهر (ورفعنا) أي بما لنا من العظمة التامة (لك ذكرك) روى الضعيف عن ابن
 عباس رضي الله تعالى عنهما قال يقول الله عز وجل لا ذكرت الا ذكرت معي في الاذان والاقامة
 والتشهد ويوم الجمعة على المنابر ويوم القطار ويوم الاضحى ويوم عرفة وأيام التشريق وعند الجمار
 وعلى الصفا والمروة وفي خطبة النكاح ومشارك الارض ومغاورها ولو أن رجلا عبد الله تعالى
 وصدق بالجنة والنار وكل شئ ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم يتفع بشئ وكان كافرا وقيل أعلينا
 ذكرك فذكرناك في الكتب المنزلة على الانبياء قبلك وأمرناهم بالبشارة بك ولادين الاودين بك
 يظهر عليه وقيل رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء وفي الارض عند المؤمنين ورفع في الآخرة
 ذكرك بما نعطيكم من المقام المحمود وكرائم الدرجات وقال الضعيف لا تقبل صلاة الا به ولا تجوز
 خطبة الا به وقال مجاهد يعني التأذين وفيه يقول حسان بن ثابت

أغتر عليه للنبوة خاتم • من الله مشهور يلوح ويشهد
 وضم الاله اسم النبي الى اسمه • اذا قال في الخمس المؤذن أشهد
 وشق له من اسمه ليجله • قدوالعرش محمود وهذا محمد

وقيل رفع ذكره بأخذ ميثاقه على النبيين والزمامم الايمان به والاقرار بفضله وقيل عام في كل
 ما ذكر وهذا أولى وكم من موضع في القرآن يذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك قوله تعالى
 والله ورسوله أحق أن يرضوه وقوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز وقوله تعالى وأطيعوا
 الله وأطيعوا الرسول ولما كان المشركون يعبرونه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالفقر والضيق
 حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لاقتقار أهلها واحتقارهم ذكرهم ما أنعم الله عليه من
 جلائل النعم ثم وعده اليسر والرخاء بعد الشدة فقال تعالى (فان مع العسر) أي ضيق الصدر
 والوزر المتقض للظهور وضلال القوم وايدائهم (يسرا) أي كالشرح والوضوح والتوفيق

للاعتدال والطاعة فلا تياس من روح الله اذا امر بالخامس حاك فان مع العسر الذي اتم فيه يسرا
(فان قيل) ان مع العسبة فنامعني اصطحاب العسر واليسر (اجيب) بأن الله تعالى أراد أن
يصيهم يسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المتقرب حتى جعله كالمقارن
للعسر زيادة في التسليية وتقوية القلوب وقوله تعالى (ان مع العسر يسرا) استئناف وعد الله
تعالى بأن العسر متبوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك للصائم فرحة ثم فرحة أى فرحة عند
الافطار وفرحة عند لقاء الرب ويجوز أن يراد باليسرين ما تيسر من الفتوح في أيام رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما تيسر لهم أيام الخلفاء وقيل تكرير (فان قيل) ما معنى قول ابن عباس رضى
الله عنه وابن مسعود رضى الله عنهم ما لن يغلب عسر يسرين وقد روى مرفوعا انه صلى الله عليه
وسلم خرج ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين (اجيب) بأن هذا اجل على الظاهر
وبناء على قوة الرجاء وان موعده الله لا يحمل الا على أوفى ما يحمله اللفظ وأبلغه والقول عنه أنه
يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكرير للاولى كما كرر في قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين لتقرير
معناها في النفوس وتأكيدنها في القلوب وكما تكرر المفرد في قولك زيد زيد وأن تكون الاولى
عدة بأن العسر مردف بيسر لا محالة والثانية عدة مستأنفة بأن العسر متبوع بيسر فهمما يسران
على تقدير الاستئناف وانما كان العسر واحدا لانه لا يخلو اما أن يكون تعريضة للعهد وهو
العسر الذي كانوا فيه فهو هوان حكمه حكم زيد في قولك ان مع زيد ما لا ان مع زيد ما لا وأما
أن يكون للجنس الذي بعله كل أحد فهو هو أيضا وأما اليسر فنكر متناول لبعض الجنس فاذا
كان الكلام الثاني مستأنفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الاقل بغير اشكال أو بأن
لن يغلب عسر الدنيا اليسر الذي وعند الله المؤمنين فيها واليسر الذي وعدهم في الآخرة وانما
يغلب أحدهما وهو اليسر الدنيا فأما اليسر الآخرة فذا هم غير زائل أى لا يجتمعان في الغلبة كقوله
صلى الله عليه وسلم شهر اعيد لا يتقصان أى لا يجتمعان في التقصان (فان قيل) فنامعني هذا التكرير
(اجيب) بأنه للتخفيف كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما وأى يسر روى عن ابن مسعود رضى
الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان العسر في حجر ضرب لتيهه اليسر حتى
يخرجه وللطبراني عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان العسر في حجر لدخل اليسر
حتى يخرج به ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية ولما عدد تعالى على نبيه صلى الله عليه
وسلم نعمه السابقة ووعد الآتية حثه على الشكر والاجتهاد في العبادة بقوله تعالى (فاذا
فرغت) قال ابن عباس رضى الله عنهما فرغت من صلاتك المكتوبة (فانصب) أى انصب
في الدعاء وقال ابن مسعود رضى الله عنه فاذا فرغت من القرائن فانصب في قيام الليل وقال
الشعبي اذا فرغت من التشهد فادع لذيالك وآخرك وقال الحسن وزيد بن أسلم اذا فرغت
من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك وصل وقال ابن حبان عن الكلبي اذا فرغت من تبليغ
الرسالة فانصب استغفر لذنبك وللمؤمنين قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه أكره أن يرى
أحدكم فانما في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة (والى ربك) أى المحسن اليك بفضائل النعم

خصوصاً بما عايناه في هاتين السورتين (فارغب) أي اجعل رغبتك اليه خصوصاً ولا تسأل
الافضل منه وكل عليه وقيل تضرع اليه راغباً في الجنة راغباً من التلوع عظمنا الله تعالى وأصحابنا
منها محمد صلى الله عليه وسلم وآله وقول البيضاوي تبعاً للزحشمري أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال من قرأ ألم تشرح فكأنما جابني وأنا مقسم فقرج عني حديث موضوع

(سورة التين والزيتون مكية)

وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة مدنية وهي ثمان آيات
وأربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسون حرفاً

(بسم الله) الذي له الملك كله (الرحمن) الذي وسع الخلائق عدله (الرحيم) الذي خص أوليائه
بتوفيقه فظهر عليهم جوده وفضله وقوله تعالى (والتين والزيتون) قسم وتة قدم قطار ذلك
أقسم بهم الانهما عجبتان من بين أصناف الاشجار المثمرة روى أنه أهدى للنبي صلى الله عليه
وسلم طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه كلوا فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقات هذه
لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانهم اتقطع البواسير وتنفع من النقرس ومزقه عاذ بن جبل
بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيباً واستأذنه وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم
السؤال الزيتون من الشجرة المباركة يطيب القم ويذهب بالحفرة وسمعه يقول هي سواكي
وسؤال الانبياء من قبلي وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو تينكم هذا الذي تأكلون
وزيتونكم هذا الذي تصرون منه الزيت وقال عكرمة هما جبلان من الارض المقدسة يقال
لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبعا للتين والزيتون وقيل التين جبال ما بين
حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لانهما منبعا لهما كانه قيل ومنابت التين والزيتون وقال
محمد بن كعب التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وقال الفضال مسجدان
بالشام وقال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وحسن القسم بهم ما
لانهما موضع الطاعة وقيل التين مسجد نوح عليه السلام الذي بناه على الجودي والزيتون
مسجد بيت المقدس (وطور سينين) أي الجبل الذي ناجى عليه موسى عليه السلام به عز وجل
وسينين وسينا اسمان للموضع الذي هو فيه فأضيف الجبل الى المكان الذي هو فيه وقال مقاتل
والكلبي سينين كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسينا بلغة النبط ولم ينصرف سينين كما لا ينصرف
سينا لانه جعل اسماً للبقعة أو الارض ولو جعل اسماً للمكان أو للمنزل أو اسم مذكر لا ينصرف لانك
سميت مذكراً بعد ذكر وانما أقسم بهذا الجبل لانه بالشام وهي الارض المقدسة وقد بارك فيها قال
الله تعالى الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ولا يجوز أن يكون سينين نعناً للطور لا ضاقته
اليه (وهذا البلد الامين) أي الآمن من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهي مكة حرسها الله تعالى
لانها الحرم الذي يأمن الناس فيه في الجاهلية والاسلام لا يقر صيده ولا يعصد ورقه أي شجره
ولا تلهط لقطته الا لتشداً والمؤمنون فيه يأمن فيه من دخله قال الزحشمري ومعنى القسم بهم هذه

الاشياء الالابنة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر منها من الخير والبركة ~~بسم~~ في الانبياء
 والصالحين فثبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم عليه السلام ومولد عيسى عليه السلام
 ومنشؤه والطور المكان الذي نودي به موسى عليه السلام ومكة البيت الذي هو دى للعالمين
 ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه اه وقوله تعالى (لقد خلقنا) أى قدزنا
 وأوجدنا بما لنا من العظمة والقدرة التامة (الانسان) جواب القسم والمراد بالانسان الجنس
 الذى جمع فيه الشهوة والعقل وفيه من الانس بنفسه ما ينسبه أكثره منه الشامل لآدم عليه
 السلام وذريته وقيل نزلت في منكرى البعث وقيل في الوليد بن المغيرة وقيل كلدة بن أسيد
 وقوله تعالى (فى أحسن تقويم) صفة لهذوف أى فى تقويم أحسن تقويم وقال أبو البقاء
 فى أحسن تقويم فى موضع الحال من الانسان وأراد بالتقويم القوام لان التقويم فعل وذلك
 وصف للخالق لا للمخلوق ويجوز أن يـ ~~يكون~~ التقدير فى أحسن قوام التقويم فحذف المضاف
 ويجوز أن تكون فى زائدة أى قومناه أحسن تقويم اه وأحسن التقويم أعده لانه تعالى خلق
 كل شئ منكبا على وجهه وخلق الانسان مستويا له لسان ذلق ويدوا أصابع يقبض بها قال ابن
 العربى ليس لله تعالى خلق أحسن من الانسان فان الله تعالى خلقه حيا عالما قادرا مريدا
 متكلما سميا بصيرا مدبرا حكيما وهـ هذه صفات الله تعالى وعبر عنها بعض العلماء ووقع البيان
 بقوله ان الله تعالى خلق آدم على صورته بهـ فى على صفاته المتقدم ذكرها وفى رواية على صورة
 الرحمن ومن أين يكون للرحمن صورة شخصية فلم تكن الامعاني روى أن عيسى بن يوسف
 الهاشمى كان يحب زوجته حباً شديداً فقال لها يوماً أنت طالق ثلاثاً ان لم تكونى أحسن من
 القمر فنهضت واحتجبت عنه وقالت طلقتنى فبات بلبلة عظيمة فلما أصبح غدا الى دار المنصور
 فأخبره الخبر فاستحضر الفقهاء واستشارهم فقال جميع من حضر قد طلقت الارجل واحد
 من أصحاب أبى حنيفة فانه كان ساكناً فقال له المنصور مالك لا تتكلم فقال الرجل بسم الله الرحمن
 الرحيم والتين والزيتون الى قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم يا أمير المؤمنين
 فالانسان أحسن الاشياء ولا شئ أحسن منه فقال المنصور لعيسى الامر كما قال الرجل فأقبل على
 زوجته فأرسل المنصور اليها طبعى زوجها فاطلقت وهـ ذابدل على ان الانسان أحسن خلق
 الله تعالى ولذلك قيل انه العالم الاصغر ان كل ما فى المخلوقات اجتمع فيه (ثم رددناه) أى بعض
 افراده بما لنا من القدرة الكاملة (أسفل سافلين) أى الى الهرم وارذل العمر فيه ضعف بدنه
 وينقص عقله والسافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال والشيخ الكبير أسفل من هؤلاء جميعا
 لانه لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلا فقوم ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد اسوداده
 وكل بصره وسمعته وكانا حليدين وقغير كل شئ منه فثـ به دليف وصوته خفات وقوته ضعف
 وشهامة خرف وقيل ثم رددناه الى النار لانهاد ركات بعضها أسفل من بعض فقوله تعالى
 (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى الطاعات استثناء
 متصل على الثانى على ان المصنى رددناه أسفل من أسفل خلقا وتركيبا يعنى أجمع من قبج صورة

وأشوهه خلقه وهم أهل النار وأسفل من أسفل من أهل الدرجات فالانصال على هذا واضح وعلى
الاول منقطع أي لكن الذين كانوا صالحين من الهري (فلهـم) أي فتسبب عن ذلك أن كان
لهـم (أجر غير ممنون) أي نوابدائه غير منقطع على طاعاتهم ومبرهم على ابتلاء الله تعالى لهم
بالشجوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تحاذل نهوضهـم وفي الحديث
إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يهجز عن العمل كتب له ما كان يعمل وروى عن ابن عباس رضي
الله عنهما قال الا الذين قرؤوا القرآن وقال من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر ثم قال تعالى
الزما للحمجة (فما يكذبك) أي أيها الانسان الكافر (بعد) أي بعد ما ذكر من خلق الانسان
من نطفة وتقويه بشرا سويا وتدرجه في مراتب الزيادة الى أن يستوى ويكمل ويصير
في أحسن تقويم ثم رد إلى أرذل العمر الدال على القـدرة على البعث فيقول ان الذي فعل
ذلك قادر على أن يعثني ويحاسبني فاسبب تكذيبك أيها الانسان (بالدين) أي الجزاء بعد
هذا الدليل القاطع وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يكون المعنى فما الذي
يكذبك فيما تخبر به من الجزاء أو البعث بعد هذه العبر التي يوجب النظر فيها حصة ما قلت وقوله
تعالى (أليس الله) أي الملك الاعظم على ما له من صفات الكمال (بأحكم الحاكمين) أي بأقضى
القاضين وعبد للكفار وأنه يعكم عليهم بما هم أهل وفي الحديث من قرأ التين إلى آخرها فليقل
بلى وأنا على ذلك من الشاهدين وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة التين أعطاه الله تعالى خصلتين العافية واليقين مادام في دار الدنيا وإذا
مات أعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة حديث موضوع

(سورة الطلاق - مكية)

وهي عشرون آية واثنان وسبعون كلمة وما تان وسبعون حرفا

(بسم الله) الذي له صفة الكمال المستحق للالهية (الرحمن) الذي عم جوده سائر البرية (الرحيم) الذي خص أهل طاعته بالطفاه السنية وعن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد أن أول سورة نزلت من القرآن (اقرأ باسم ربك) وأول ما نزل خمس آيات من أولها الى قوله تعالى ما لم يعلم وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها أنها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة ولمسلم الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبيب اليه الغلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو اليه بالى ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ويتزوّد لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وفي رواية حتى لحقته الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال له اقرأ قال ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك حتى بلغ ما لم يعلم فرجع به رسول الله صلى الله عليه وسلم

يرجع فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه
الروح فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت له خديجة ~~كلا~~ أبشر فوالله
لا يضرينك الله أبدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم
وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد
ابن عبد العزي ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني
فيكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله تعالى أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت
له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى
الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي أنزل على موسى باليتنى أكون فيها
جذعا ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يخرجني
هم فقال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي وان يدركني يومك أنصركن نصرا مؤزرا
ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي زاد البصاري قال وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله
عليه وسلم فيما يلقننا حزنا غدا منه مرارا حتى يتردى من رؤس شواهي الجبال فكلما أوفى
بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل عليه السلام فقال له يا محمد انك لرسول الله حقا
فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا مثل ذلك فاذا وافي بذروة
جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك ففي هذا الحديث دليل صحيح على أن سورة اقرأ أول
ما نزل من القرآن وفيه رد على من قال ان المذثر أول ما نزل من القرآن وعلى من قال ان الفاتحة
أول ما نزل ثم سورة القلم وهذا الحديث من مراسيل الصحابة ومرسل الصحابي حجة عند جميع
العلماء الا ما انفرد به الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني وانما ابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا
لأنه لا يفجأ الملك فيأتيه به صريح النبوة بغتة فلا تحملها القوى البشرية فبدئ بأوائل علامة
النبوة توطئة للوحي * (نبيه) * محلى باسم ربك النصيب على الحال أي اقرأ مفتحا باسم ربك
أو مستعينا به قل بسم الله ثم اقرأ وقال أبو عبيدة مجازة اقرأ اسم ربك يعني ان الباء زائدة والمعنى
اذكرا معه أمر أن يبتدئ القراءة باسم الله تعالى تأديبا وقيل الباء بمعنى على أي اقرأ
على اسم ربك كما في قوله تعالى وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها فانه الاخفش (فان
قيل) كيف قدم هذا الفعل على الجاز وقد روي في بسم الله الرحمن الرحيم أي على سبيل
الاولوية كما في اياك نعبد واياك نستعين ولانه تعالى مقدم ذاتا لانه قديم واجب الوجود لذاته
فيقدم ذكره (أجيب) بأن هذا في ابتداء القراءة وتعليمها المأمرا أنها أول سورة نزلت فكان
الامر بالقراءة أهم باعتبار هذا العارض وان كان ذكر الله تعالى أهم في نفسه وذكره أجوبة غير
هذا في مقدماتي على البسملة والحمدلة وقوله تعالى (الذي خلق) يجوز أن لا يقدر له مفعول ويراد أنه
لذي حصل منه الخلق واستأثر به لخالق سواه وأن يقدر له مفعول ويراد خلق كل شيء فيتناول
كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات أولى بتقديره من بعض وقوله تعالى (خلق الانسان)
ي هذا الجنس الذي من شأنه الانس بنفسه وما رأى من أخلاقه وحسنه وما ألقاه من أبناء

جنسه تخصيص بالذ كرم بين ما يتناول الخلق لان التنزيل اليه وهو أشرف ما على الارض
ويجوز أن يراد الذي خلق الانسان كما قال تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان فقيل الذي
خلق مبهما ثم فسر بقوله تعالى خلق الانسان تخصيصا لخلق الانسان ودلالة على عجب فطرته
وقوله تعالى (من علق) جمع علقه وهي الام الجامد فاذا جرى فهو المسفوح * ولما كان الانسان
اسم جنس في معنى الجمع جمع العلق ولمشاكلة رؤس الاى أيضا وقوله تعالى (اقرأ) تكرر بالمبالغة
أو الاقل مطلق والثاني للتبليغ أو في الصلاة قال البضاوى ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك قال
ما أنا بقارى فقيل له اقرأ (وربك الاكرم) أى الزائد في الكرم على كل كريم فانه ينعم على عباده
النعم التي لا تحصى ويعلم عنهم ولا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وبجودهم لنعمه وذكورهم المناهى
في اطراحهم الاوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقرار العظام ثم فالسكرمه غاية ولا آمد
وكأنه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلية تكرم حيث قال الاكرم (الذى علم) أى بعد العلم
عن معاجلتهم بالعقاب جودا منه تعالى من غير مانع من خوف عاقبة ولا رجاء منقعة (بالقلم) أى
الخط بالقلم (علم الانسان ما لم يعلم) فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموه ونقلهم من ظلمة الجهل
الى نور العلم ونبه على فضله علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها الا هو ومادونات
العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة
ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا ولولم يكن على دقيق حكمة الله تعالى ولطيف تدبيره
دليل الأمر القلم والخط لكفى به ولبعضهم في صفة القلم

ورواقم رفقش كمثل اراقم * قطف الخطا نباله أقصى المدى
سود القوائم ما يجتده سيرها * الا اذا لعبت بها بيض المدى

وقال قتادة القلم نعمة من الله تعالى ولولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح عيش فدل على كمال كرمه تعالى
وروى عبد الله بن عمر قال قلت يا رسول الله أكتب ما أسمع منك من الحديث قال نعم فاكتب فان
الله تعالى علم بالقلم ويروي أن سليمان عليه السلام سأل عذريتا عن الكلام فقال ربح لا يبق قال
فما قيده قال الكتابة وعن عمر قال خلق الله تعالى أربعة أشياء بيده ثم قال تعالى لسان الحيوان
كن فكان وهي القلم والعرش وجنة عدن وآدم عليه السلام وفيمن علم بالقلم ثلاثة أقوال أحدها
قال كعب أقر من كتب بالقلم آدم عليه الصلاة والسلام ثانيا قال الضمالي ادريس عليه السلام
ثالثا انه جميع من كتب بالقلم لانه ما علم الا بتعليم الله تعالى وقال القرطبي الاقلام ثلاثة في الاصل
القلم الاقل الذي خلقه الله تعالى بيده وأمره أن يكتب في اللوح المحفوظ والثاني قلم الملائكة
الذي يكتبون به المقادير والكواثر والثالث اقلام الناس يكتبون بها كلامهم ويصلون بها الى
ما قربهم وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسكنوا نساءكم الغرف
ولا تطلوهن الكتابة قال بعض العلماء وانما حذرهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك لان في اسكانهن
الغرف تطلعا الى الرجال وليس في ذلك تخصيص لهن ولا تسترو ذلك انهن لا يملكن أنفسهن حين
يشرفن على الرجال فحدث القصة فحذر من ذلك وكذلك تعليم الكتابة ربما كان سببا للقصة

لانهم قد تكتب لمن تهوى والكتابة عين من الهميون بها يصبر الشاهد الغائب وان لخطا إشارة اليد
 وفيها تغيير عن الضمير عما لا ينطق به اللسان فهي أبلغ من اللسان فأحب صلى الله عليه وسلم أن
 يقطع عن المرأة أسباب الفتنة تحصينا لها وقوله تعالى (كَلَّا) ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى بطغيانه
 وان لم يذكر له دلالة الكلام عليه فانه تعالى قد علم مبدء أمر الانسان ومنتهاه اظهار المآثم عليه
 من أن تقوله من أحسن المراتب الى أعلاها تقرير الربوبية وتحقيقه قالا كرميته (ان الانسان) أى
 هذا النوع الذى من شأنه الانس بنفسه والنظر فى عطفه (ايطغى) أى من شأنه الامن عصمه الله
 تعالى أن يزيد على الحد الذى لا ينبغي له مجاوزته (أن رآه) أى رأى نفسه (استغنى) أى وجد له
 الغنى بالمال وقيل أن يرتفع عن منزلته فى اللباس والطعام وغير ذلك نزلت فى أبي جهل كان اذا
 زاد ماله زاد فى ثيابه وركبه وطعامه فذلك طغيانه وعن ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت
 هذه الآية وسمع بها المشركون أتاه أبو جهل فقال يا محمد أتزعمن أن من استغنى طغى فاجعل لنا
 جبال مكة ذهب العنانا نأخذ منها فنتغنى فنذع ديننا وتتبع دينك قال فأتاه جبريل عليه السلام
 فقال يا محمد خيرهم فى ذلك فان شاؤا فعلنا بهم ما أرادوا فان لم يفعلوا فعلنا بهم كما فعلنا بأصحاب
 المائة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء لهم وقيل ان رآه استغنى
 بالعشرة والانصار والاعوان وحذف اللام من قوله تعالى أن رآه كما يقال انكم لتطغون أن رأيتم
 غناكم فرأى علمية واستغنى مفعول ثان وأن رأى مفعول له (ان الى ربك) أى المحسن اليك
 بالرسالة التى رفع بها ذكرك الى غيره (الرجعى) مصدر كالشئى بمعنى الرجوع فى ذلك تخويف
 للانسان بأن يجازى العاصى بما يستحقه وقوله تعالى (أرأيت) فى مواضعها الثلاث للتعجب
 (لذى ينهى) أى على سبيل التجرد والاستمرار وهو أبو جهل (عبدا) أى من العبيد وهو النبي
 صلى الله عليه وسلم (اذا صلى) أى خدام سيده الذى لا يقدر أحد أن ينكر سيادته بإيقاع الصلاة
 التى هى أعظم العبادات نزلت فى أبي جهل وذلك انه نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة
 وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو جهل هل يعقر محمد
 وجهه بين أظهركم فقالوا نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته
 ولا عقرت وجهه فى التراب قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى لى أبطأ على رقبته
 فنكص على عقبيه وهو يتقى بيده فقيل له مالك فقال ان بينى وبينه خندقا من النار وهو لا وأجخصة
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا فانزل الله تعالى هذه
 الآية وفى رواية لو فعله لا خذنه الملائكة زاد الترمذى عيانا وعن الحسن انه أمية بن خلف كان
 ينهى سلمان عن الصلاة وفائدة التنكير فى قوله تعالى عبدا للدلالة على انه كمل العبودية كآثمه
 قيل ينهى أشد انطلق عبودية عن العبادة وهذا عين الجهل وقيل ان هذا الوعيد يلزم كل من
 ينهى عن الصلاة ومن طاعة الله تعالى ولا يدخل فى ذلك المنع من الصلاة فى الدار المنصورة وفى
 الاوقات المكروهة لانه قد ورد النهى عن ذلك فى الاحاديث العجيبة ولا يدخل أيضا منع السيد
 عبده والرجل زوجته عن صوم التطوع وقيام الليل والاعتكاف لان ذلك مصلحة الآن يأذن

فيه السيد والزوج (أرأيت أن كان) أي المنهي وهو النبي صلى الله عليه وسلم (على الهدى) وقرأ
 نافع بتسهيل الهمزة بعد الراء وعن ورش ابد الهمزة وأسقطها الكسائي والباقون بالتحقيق
 وقوله تعالى (أو أمر بالتقوى) أي الاخلاص والتوحيد للتقسيم * (تنبيه) * قوله تعالى أرأيت
 تسكرير للاول وكذا الذي في قوله (أرأيت أن كذب) وهو أوجه - ل (وتولى) عن الايمان (ألم
 يعلم) أي يقع له علم يوم من الايام (بأن الله) الذي له صفات الكمال (يرى) ويطلع على أحواله من
 هداه وضلاله فيجازه على حسب ذلك أي اعجب منه يا مخاطب في منيه عن الصلاة من حيث ان
 المنهي على الهدى أمر بالتقوى وفي وجه التعجب وجوه أحدها انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم
 أعز الاسلام أمأبأبي جهل وأمأبعمري الخطاب وهو ينهي عبدا إذا صلى الثاني انه يلقب بأبي
 الحكم فقليل أيلقب بهذا وهو ينهي عن الصلاة فيتعجب منه ومن حيث ان الناهي مكذب مستول
 عن الايمان الثالث انه كان يأمر وينهى ويعتقد وجوب طاعته ثم انه ينهى عن طاعة الله تعالى
 وقوله تعالى (كلا) ردع للناهي (أئن لم ينته) أي عما هو فيه واللام قسم (لنسفعا بالناصية) أي
 لناخذن بناصيته ولنسحقه به إلى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة قال عمرو
 ابن معد يكرب

قوم اذا نفع الصريح رأيتهم * هابن ملجم مهره أو سافع
 والنفع الصوت * ولما علم انه ناصية المذكور اكنى باللام عن الاضافة والاية وان كانت
 في أبي جهل فهي عظة للناس وتهديد لمن يمنع غيره عن طاعة الله تعالى وقوله تعالى (ناصية) بدل
 من الناصية قال الزمخشري وجازيها عن المعرفة وهي نكرة لانها وصفت أي بد (كاذبة خاطئة)
 واستقلت بفائدة واعترض عليه بأن هذا مذهب الكوفيين فانهم لا يجيزون ابدال نكرة من
 معرفة الا بشرط وصفها أو كونها بلفظ الاول ومذهب البصريين لا يشترط شي والمعنى لناخذن
 بناصية أبي جهل الكاذبة في قولها الخاطئة في فعلها والخاطي معاقب مأخوذ والمخطئ غير
 مأخوذ ووصفت الناصية بالكاذبة الخاطئة كوصف الوجوه بالنظر في قوله تعالى الى ربهم انظاره
 وانما وصفت الناصية بالكاذبة لانه كان يكذب على الله تعالى في أنه لم يرسل محمدا صلى الله عليه
 وسلم وعلى رسوله في أنه ساحر وليس فيي ووصفت بأنها خاطئة لان صاحبها تمرد على الله تعالى كما
 قال تعالى لا يأكله الا الخاطون فهو حلفي الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في
 قولك ناصية كاذب خاطئ وروى أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال ألم
 أنهلك فأغلق عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتتهرني وأنا أكثر أهل الوادي ناديا فوالله
 لا ملأن عليك هذا الوادي ان شئت خيلا جردا ورجالا مردا فانزل الله تعالى (فليدع) أي دعاه
 استغاثته (ناديه) أي أهل ناديه ليعينوه فهو على حذف مضاف لان النادي هو المجلس الذي
 يتحدى فيه القوم قال تعالى وتأتون في ناديككم المنكر أي يتحدثون فيه أو على التصوف لانه مشغل
 على الناس كقوله تعالى واسأل القرية ولا يسمي المكان ناديا حتى يكون فيه أهله والمعنى فليدع
 عشيرته فليقتصر بهم (سندع) أي بوعد لا خلف فيه (الزبائية) قال ابن عباس رضى الله عنهما

يريد زبانية جهنم هو اهل الانم سم يدفعون اهل النار اليها بشدة جمع زبني مأخوذ من الزبن وهو
الدفع وقال الزمخشري الزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبينة وقال الزجاج هم الملائكة
الغلاظ الشداد قال ابن عباس رضي الله عنهما ما لودعا نادية لاخذته زبانية الله تعالى وروى أن
النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ الى قوله تعالى لنسفعا بالناسية قال أبو جهل
أنا أدعو قومي حتى يمنعوا عني ربك قال الله تعالى فليدع نادية سندع الزبانية فلما ذكر الزبانية
رجع فزعاف قيل له خشيت منه قال لا ولكن رأيت عنده فارسا وهددني بالزبانية فلا أدري الزبانية
وما الى الفارس فخشيت منه أن يأكلني قال ابن عباس رضي الله عنهما ما والله لودعا نادية
لاخذته ملائكة العذاب من ساعته وقوله تعالى (كلا) ردع لابي جهل أي ليس الامر على
ما يظنه أبو جهل (لا تطعه) أي فيما دعاك اليه من ترك الصلاة كقوله تعالى ولا تطع المكذبين
وقوله تعالى (واسجد) يحتمل أن يكون بمعنى السجود في الصلاة وأن يكون سجود التلاوة في هذه
السورة ويدل لهذا ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال سجدت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في اذا السماء انشقت وفي اقرأ باسم ربك الذي خلق سجدتين وهذا نص
أن المراد سجود التلاوة ويدل للاول قوله تعالى وأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى قوله تعالى
كلا لا تطعه واسجد أي ودم على سجودك قال الزمخشري يريد الصلاة لانه لا يرى سجود التلاوة
في الفصل والحديث عليه (واقرب) أي وتقرب الى ربك بطاعته وبالدعاء اليه قال صلى الله عليه
وسلم أما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أي تحضرن أن
يستجاب لكم وكان صلى الله عليه وسلم يكثر في سجوده من البكاء والتضرع حتى قالت عائشة
رضي الله عنها قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فها هذا البكاء في السجود وما هذا الجهد
الشديد قال أفلا تكون عبدا شكورا وفي رواية أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد
فأكثر والدعاء وقرأ البيهقي استغنى اذا صلى على الهدى بالتقوى وتولى حزة والكسائي
جميع ذلك بالامالة محضة وورش وابو عمرو بين بين والفتح عن ورس قليل والباقرين بالفتح وقول
البضاوي تعالى للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطى من الاجر
كما قرأ الفصل كله حديث موضوع

﴿سورة القدر مدنية﴾

في قول أكثر المفسرين وحكي الماوردي عكسه وذكر الواحدى انه أول سورة
نزلت بالمدينة وهي خمس آيات وثلاثون كلمة ومائة واثناعشر حرفا

(بسم الله) الملك الاعظم الذي لا يعبد الاياه (الرحمن) الذي عم سجوده جميع خلقه أقصاه
وأدناه (الرحيم) الذي قرب اهل طاعته وأبعد من عداهم وأشقاء وقوله تعالى (انا أنزلناه) أي
بملائكة العظمة أي القرآن فيه تعظيم له من ثلاثة أوجه أحدها انه أسند انزاله اليه وجعله
مختصا به دون غيره والثاني انه جاء به خيره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن

النفس عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذي أنزل فيه وهو قوله تعالى (في ليلة القدر وما
 أدراك أي أعلمك يا أشرف الخلق) ما ليلة القدر فان في ذلك تعظيماً لشأنها روى أنه أنزل به
 واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا وأملا جبريل عليه السلام على السفرة
 ثم كان ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجوماً في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع
 والحاجة اليه وحكي المارودي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نزل في شهر رمضان وفي ليلة
 القدر وفي ليلة مباركة بجملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السفرة الكرام الكاتين في السماء
 الدنيا فجمعه السفرة على جبريل عليه السلام عشرين سنة ونجمه جبريل على النبي صلى الله
 عليه وسلم عشرين سنة قال ابن العربي وهذا باطل ليس بين جبريل وبين الله تعالى واسطة ولا بين
 جبريل وبين محمد صلى الله عليه وسلم واسطة وعن الشعبي أنا أنزلنا في ليلة القدر وقيل المعنى
 أنزل في شأنهم وأفضلها فليست طرفاً وإنما هو كقول عمر رضي الله عنه خشيت أن ينزل في قرآن
 وقول عائشة رضي الله عنها لانا أحقر في شأن أن ينزل في قرآن وسميت ليلة القدر لأن الله تعالى
 يقدر فيها ما يشاء من أمره الى السنة القابلة من أمر الموت والابول والرزق وغيره ويسله الى
 مدبرات الامور من الملائكة وهم اسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبرائيل عليهم السلام
 كقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى يقضي الاقضية
 في ليلة نصف شعبان ويسلها الى أربابها في ليلة القدر وهذا يصلح أن يكون جمعاً بين القولين في
 قوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم فانه قيل انها ليلة النصف من شعبان وقيل ليلة القدر وحينئذ
 لا خلاف وقيل سميت بذلك اتضيقها بالملائكة قال الخليل لان الارض تضيق فيها بالملائكة
 كقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه وقيل سميت بذلك لعظمها وشرفها وقدرها من قواهم لقولان قدر
 أي شرف ومنزلة قاله الأزهري وغيره وقيل سميت بذلك لان للطاعة قدراً عظيماً وثواباً جزيل
 وقيل لانه أنزل فيها كتاباً اذا قدر على رسول ذي قدر الى أمة ذات قدر ومعنى أن الله تعالى يقدر
 الآجال والارزاق انه يظهر ذلك للملائكة ويأمرهم بفعل ما هو من سعتهم وضيقهم بأن يكتب
 لهم ما قدره في تلك السنة ويعرفهم اياه وليس المراد أنه يحدث في تلك الليلة لان الله تعالى قدر
 المقادير قبل أن يخلق السموات والارض في الازل قبل الحسين بن الفضل أليس قد قدر الله تعالى
 المقادير قبل أن يخلق السموات والارض قال نعم قيل له نعم معنى ليلة القدر قال سوق المقادير
 الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر واختلفوا هل هي باقية أو لا فقيل انها كانت مرة
 ثم انقطعت وقيل انها رفعت بعد النبي صلى الله عليه وسلم والصحيح انها باقية الى يوم القيامة
 وروى عن عبد الله بن محسن مولى معاوية قال قلت لابي بكر زعموا أن ليلة القدر قد رفعت قال
 كذب من قال ذلك قلت هي في كل شهر رمضان أستقبله قال نعم وعن سعيد بن المسيب أنه سئل عن
 ليلة القدر أهى شيء كان فذهب أم هي في كل عام فقال بل هي لامة محمد صلى الله عليه وسلم ما بقى
 منهم اثنان واستدل من قال برفعها بقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحي الرجلان اني خرجت
 لا أخبركم بليلة القدر فتلاحي فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خبر السكم وهذا غفلة من هذا

القاتل في آخر الحديث فالتسوية في التاسعة والسابعة والخامسة فلو كان المراد رفع وجودها
 لم يأمر بالتسوية واختلافوا في وقتها فأكثر أهل العلم أنها مختصة بـ رمضان واحتجوا بقوله تعالى
 شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وقال تعالى أنا نزلناه في ليلة القدر فوجب أن لا تكون ليلة
 القدر إلا في رمضان لتلازم التناقض وروى عن أبي بن كعب أنه قال والله الذي لا إله إلا هو
 إنما في رمضان حلف بذلك ثلاث مرات وعن ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا
 أسمع عن ليلة القدر فقال هي في كل رمضان وقيل هي دائرة في جميع السنة لا تختص بـ رمضان
 حتى لو علق طلاق امرأته أو عتق عبده بليلة القدر لا يقع ما لم تنقض سنة من حين حلف يروى
 ذلك عن أبي حنيفة وعن ابن مسعود أنه قال من يقيم الحول يصيبها وذكر عن أبي الحسن الشاذلي
 أنه قال من أراد أن يعرف ليلة القدر فليستظر إلى غرة رمضان أي إلى أوله فإن كل يوم الأحد
 فليلة القدر ليلة تسع وعشرين وإن كان يوم الاثنين فليلة القدر إحدى وعشرين وإن كان يوم
 الثلاثاء فليلة سبع وعشرين وإن كان يوم الأربعاء فليلة تسعة وعشرين وإن كان يوم الخميس فليلة
 خمس وعشرين وإن كان ليلة الجمعة فليلة سبعة عشر وإن كان يوم السبت فليلة ثلاث وعشرين
 وعلى القول الأول هل هي في كل رمضان أو في العشر الأخيرة قولان أحدهما إنها في كل شهره
 واختلفوا في أي ليلة منه فقال ابن رزين هي الليلة الأولى من رمضان وقال الحسن بن البصري
 السابعة عشر وقال أنس التاسعة عشر وقال محمد بن اسحق الحادية والعشرون وقال ابن عباس
 الثالثة والعشرون وقال أبي بن كعب السابعة والعشرون وقيل التاسعة والعشرون وقيل
 ليلة الثلاثين وكل استدلل على قوله بما يطول الكلام عليه والقول الثاني وهو ما عليه الأكثر
 أنها مختصة بالعشر الأخيرة منه واستدل لذلك بأشياء منها ما روى عن عبادة بن الصامت أنه سأل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال في رمضان فالتسوية في العشر الاواخر ومنها
 ما روى عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتسوية في العشر الاواخر
 من رمضان وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر
 الاواخر ما لا يجتهد في غيرها وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شدة
 منزه وأحباله وأية قط أهله واختلفوا في أنها أي ليلة من العشر هل في ليلة من ليالي العشر
 كله أو في أواخره فقط وهل تلزم ليلة بعينها أو تتنقل في جميعه أقوال والذي عليه الأكثر أنها
 في جميعه ولكن أوجهاها وأواخره وأرجى الاوتار عندنا ما من الشافعي رضي الله عنه ليلة الحادى
 والعشرين أو الثالث والعشرين يدل للقول خبر الصحيحين والثاني خبر مسلم وأنها تلزم عنده ليلة
 بعينها وقال المزني صاحب الشافعي وابن خزيمة أنها منتقلة في ليالي العشر جميعا بين الأحاديث
 قال النووي وهو قوي وقال في مجموعهم أنه الظاهر المختار وخصها ببعض العلماء بأواخر العشر
 الاواخر وبعضهم بأشغالهم وقال ابن عباس وأبي هي ليلة سبع وعشرين وهو مذهب أكثر أهل
 العلم واستنبط ذلك بعضهم من أن ليلة القدر ذكرت ثلاث مرات وهي تسعة أحرف وإذا ضربت
 تسعة في ثلاثة فكان سبعة وعشرين وبعضهم استنبط ذلك من عدد كلمات السورة

وقال انها ثلاثون كلمة وفاقا وقوله تعالى هي السابعة والعشرون وهي كناية عن هذه الليلة فبان
 انها ليلة السابعة والعشرين وهو استنباط لطيف وليس بدليل كما قيل وفيها نحو الثلاثين
 قولا وبضع وعشرون حديثا وأفردت بالتصنيف وفيما ذكرناه كفاية وذكر والسبب في اخفائها
 عن الناس وجوها احدها انه تعالى اخفها ليعظم واجمع السنة على القول بانها فيها أو جميع
 رمضان على القول به أو جميع العشر الاخير على القول به كما أخفى رضاه في الطاعات ليرغبوا
 في كلها وأخفى غضبه في المعاصي ليحذروها كلها وأخفى وليه في المسلمين ليعظموهم كاهم وأخفى
 الاجابة في الدعاء ليل الغوا في الدعوات وأخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة ليحتمدوا في العبادة
 في جميع أوقاته في غير الاوقات المنهي عنها طمعا في ادراكها وأخفى الاسم الاعظم ليعظموا
 كل أسمائه تعالى وأخفى الصلاة الوسطى ليعافظوا على الكل وأخفى التوبة ليوافقوا المكلف
 على جميع أقسامها وأخفى قيام الساعة ليكونوا على وجل من قيامها بغتة فانها ان العباد اذا
 لم يتيقن ليلة القدر واجتمعت في الطاعة رجاء أن يدر كها فيبأه الله تعالى به ملائكته ويقول
 تقولون فيه - هم يفسدون ويسفكون الدماء وهذا جدته واجتهاده في الليلة المظنونة فكيف ولو
 جعلتها معلومة فيمتد نظهراني أعلم ما لا تعلمون فانها ليحتمدوا في طلبها والتماسها فينالوا بذلك
 أجر المجتهدين في العبادة بخلاف ما لو عرفت في ليلة بعينها الحصل الاقتصار عليها ففقدت العبادة في
 غيرها ثم ذكر الله تعالى فضلها من ثلاثة أوجه احدها ما ذكره بقوله سبحانه (ليلة القدر) أي التي
 خصصناها بانزال الناله فيها (خير من ألف شهر) ليس فيها ليلة القدر فاعمل الصالح فيها خير منه
 في ألف شهر ليست فيها ليلة قدر وعن ابن عباس رضي الله عنه - ما ذكر لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم رجل من بني اسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فمحب رسول الله صلى
 الله عليه وسلم لذلك وعنى ذلك لامتته فقال يا رب جعلت أمي أقصر الامم أعمارا وأقلها أعمالا
 فأعطاه الله تعالى ليلة القدر فقال تعالى ليلة القدر خير من ألف شهر التي حمل فيها الاسرائيلي
 السلاح في سبيل الله لك ولا تمتك الى يوم القيامة أي فهي من خصائص هذه الامة وعن مالك أنه
 سمع من يثق به من أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى أعمار الناس قبله فكانت
 تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل الذي يبلغ غيرهم فأعطاه الله تعالى ليلة القدر التي
 العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وقيل ان الرجل في عام مضى ما كان
 يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى ألف شهر فأعطوا ليلة ان أحبوها كانوا أحق بان يسموا عابدين
 من أولئك العباد وهي أفضل ليالي السنة ويدخل في ذلك ليلة الاسراء فهو افضل منها ان لم تكن
 ليلة الاسراء ليلة القدر كما قيل ان الاسراء كان في رمضان وانما كان كذلك لما يريد الله تعالى فيها
 من المنافع فيكتب فيها جميع خير السنة وشرها ورزقها وأجلها وبلائها ورخائها ومعاشها الى
 مثلها من السنة ولا يشك كل ذلك بما قيل ان الآجال تقطع من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل
 لينسكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى لما ورد ان الله تعالى يامر بنسخ ما يكون في السنة من
 الآجال والامراض والارزاق ونحوها في ليلة النصف من شعبان فاذا كان ليلة القدر فيسلبها

الى اربابها وقيل بقدر في ليلة النصف من شعبان الا آجال والامراض وفي ليلة القدر الامور
التي فيها الخير والبركة والامنة الوجه الثاني من فضائلها ما ذكره الله تعالى في قوله جل ذكره
(تنزل) أي تنزل امته درجاتهم واصلا على غاية ما يكون من الخفة والسرعة بما أشار اليه حذف التاء
(الملائكة) أي الى الارض وروى انه اذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة وهم سكان سدرة
المنتهى (والروح) أي جبريل عليه السلام (فيها) أي في الليلة ومعه أربعة ألوية فينصب
لواء على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولواء على ظهر بيت المقدس ولواء على ظهر المسجد
الحرام ولواء على ظهر طور سيناء ولا يدع يتنافيه مؤمن ولا مؤمنة الا دخله وسلم عليهم يقول
يا مؤمن ويا مؤمنة السلام يقترنك السلام الاعلى مد من خرو قاطع رحم وآكل لحم خنزير وعن
أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ليلة القدر نزل جبريل عليه السلام في
كبكبة من الملائكة يصالحون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى وهذا يدل على
أن الملائكة كلهم لا ينزلون وظاهر الآية نزول الجميع وجمع بين ذلك بما روى انهم ينزلون
فوجا فوجا كما أن اهل الحج يدخلون الكعبة فوجا بعد فوج وان كانت لا تسعهم دفعة واحدة
كما ان الارض لا تسع الملائكة دفعة واحدة ولذلك ذكر بلفظ تنزل الذي يقتضي المرة
بعد المرة أي ينزل فوج ويصعد فوج والله أعلم بذلك وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان
الملائكة في تلك الليلة أكثر من عدد الحصى وقال بعضهم الروح ملك تحت العرش ورجلاه
في تخوم الارض السابعة وله ألف رأس كل رأس أعظم من الدنيا وفي كل رأس ألف وجه
وفي كل وجه ألف فم وفي كل فم ألف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان ألف نوع من التسبيح
والتمجيد والتعبيد واهـ كل لسان لغة لا تشبه لغة أخرى فاذا فتح أفواههم بالتسبيح خرت
ملائكة السموات السبع سجدا مخافة أن تحرقهم أنوار أفواههم وانما يسبح الله تعالى غدوة
وعشية فينزل في ليلة القدر لشرافها وعلو شأنها فيستغفر للصائمين والصائمات من أمة محمد
صلى الله عليه وسلم تلك الافواه كلها الى طلوع الفجر وعن علي أنه صلى الله عليه وسلم قال
رأيت ليلة أسري بي ملكا رجلا جاوزت من الارض السابعة السفلى ورأسه من السماء
السابعة العليا ومن لدن رأسه الى قدميه وجوه وأجنحة في كل وجه فم ولسان يسبح الرحمن
تسبيحا لا يسبحه العضو الا آخر ولو أمره الله تعالى أن يلتقم السموات السبع والارضين
السبع لقمة واحدة كما يلتقم أحدكم اللقمة لا طاق ذلك ثم لم تكن تلك في فيه الا
كلمة واحدة أحدكم في فيه ولو سمع أهل الدنيا صوته بالتسبيح لصعقوا ما بين شهمة أذنه الى منكبيه
خفقان الطير السريع مائة ألف سنة وهو رأس الملائكة وقيل الروح طائفة من الملائكة
لا تراهم الملائكة الا في تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر (بأذن ربهم) أي
بأمر الحسن اليهم المربي لهم (من كل أمر) أي قضاء الله تعالى فيها تلك السنة الى قابل وتقدم
الجمع بينها وبين ليلة النصف من شعبان ومن سببية معنى الباء الوجه الثالث فضائلها
ما ذكره تعالى بقوله سبحانه (سلام) أي عظيم جدا وهو خير مقدم والمبتدا (هي) جعلت
سلاما لكثرة السلام فيها من الملائكة لا يمزون بمؤمن ولا مؤمنة الا سلمت عليه ويسمرون

على ذلك من غروب الشمس (حتى) أى الى (مطلع الفجر) أى وقت مطلعته أى طلوعه وقرأ
 الكسائي بكسر اللام على انه كالأرجع واسم زمان على غير قياس كالمشرق والباقون يفتحها
 ومن فضائلها أن من قامها غفرت له ذنوبه ففى الصحيحين من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر
 له ما تقدم من ذنبه قال النووي فى شرح مسلم ولا ينال فضلها الا من اطلع الله تعالى عليها
 فلو قامها انسان ولم يشعر بها لم ينل فضلها قال الأذرى وكلام المتولى ينازعه حيث قال يستحب
 التعبد فى كل ليلالى العشر حتى يحوز الفضيلة على اليقين اه وهذا أولى نعم حال من اطلق أكل
 اذا قام بوظائفها وعن أبى هريرة مرفوعا من صلى العشاء الاخرة فى جماعة من رمضان
 فقد أدرك ليلة القدر أى أخذ حظا منها ويسن لمن رآها أن يكتبها ويسن أن يكثر من الدعاء
 والتعبد فى آيالى رمضان وأن يكون من دعائه اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف عني
 ومن علاماتها أن الشمس تطلع صبيحتها لاشعاع لها رواء مسلم عن أبى بن كعب وعن ابن
 مسعود قال ان الشمس تطلع كل يوم بين قرنى شيطان الا صبيحة ليلة القدر فانها تطلع يومئذ
 بيضاء ليس لها شعاع (فان قيل) لافائدة فى هذه العلامة فانها قد انقضت (أجيب) بأنه يستحب
 أن يجتهد فى ليلتها ويقتى يعرفها كما مر عن الشافعى أنها ليلته واحدة وقول البيضاوى تبعا
 للزمخشري عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطى من الاجر كمن صام رمضان
 وأحيا ليلة القدر حديث موضوع

❖ (سورة لم يكن) ❖

وتسمى القيمة وتسمى المنفكين مكية فى قول يحيى بن سلام ومدينة فى قول الجمهور
 وهى ثمان آيات وأربع وتسعون كلمة وثلاثمائة وتسعون حرفا

(بسم الله) الذى لا يخرج شئ عن مراده (الرحمن) الذى عظم نعمه جميع عبادته (الرحيم) الذى
 خص أوليائه باسعاده ولما كان الكفار جفنين أهل كتاب ومشركين ذكرهم الله تعالى
 فى قوله سبحانه (لم يكن الذين كفروا) أى فى مطلق الزمان الماضى والحال والاستقبال (من
 أهل الكتاب) أى من اليهود والنصارى الذين كان أصل دينهم حقا فالحمد وافية بالتبديل
 والتحريف والاعوجاج فى صفات الله تعالى ثم نسخه الله تعالى بما شرع من مخالفته فى القروع
 وموافقته فى الامول فكذبوا (والمشركين) أى بعبادة الاصنام والنار والشمس
 ونحو ذلك ممن هم عر يقون فى دين لم يكن له أصل فى الحق بأن لم يكن لهم كتاب * (تبيينه) *
 من البيان وقوله تعالى (منفكين) خبر يكن أى منفصلين وزاقلين عما كانوا عليه من دينهم
 انفكا كما يزلههم عنه بالكلية بحيث لا تبقى لهم به علقه ويثبتون على ذلك الاتسكال وأصل
 الفلک الفتح والانفصال لما كان ملتصقا من فك الكتاب والحنم والعظم اذا أزيل ما كان ملتصقا
 أو متصل به أو عن الموعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول المبشر به فان أهل الكتاب كانوا
 يستقصون به والمشركين كانوا يقسمون بالله جهدا أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من

احدى الامم (فان قيل) لم قال تعالى كفروا بلفظ الماضي وذكر المشركين باسم الفاعل
 (أجيب) بأن أهل الكتاب ما كانوا كافرين من أقول الامر لانهم كانوا مستدين بالتوراة
 والانجيل وبعث محمد صلى الله عليه وسلم لم يخلاف المشركين فانهم ولدوا على عبادة الاوثان
 وذلك يدل على الثبات على الكفر وقوله تعالى (حتى) أى الى أن (تأتيهم البينة) متعلق بـ
 أو بمنفكيين والبينة الآية التي هي في البيان كالنجر المنسب الذي لا يزداد بالتأدي الا ظهورا
 وضياء ونورا وذلك هو الرسول صلى الله عليه وسلم ومأمه من الآيات التي أعظمها الكتاب
 وهو القرآن وقوله تعالى (رسول) أى عظيم جدا يدل من البينة بنفسه أو بتقدير مضاف أى سنة
 رسول أو مبتدأ وزاد عظمته بقوله تعالى واصفاه (من الله) أى الذى له الجلال والاکرام وهو
 محمد صلى الله عليه وسلم لانه في نفسه بينة وحجة ولذلك سماه الله تعالى سراجامه براولان اللام
 في البينة للتعريف أى هو الذى سبق ذكره في التوراة والانجيل على لسان موسى وعيسى عليهم
 السلام وقد يكون التعريف للتفخيم اذ هو البينة التي لا مزيد عليها والبينة كل البينة وكذا
 التنكير وقد جمعها الله تعالى ههنا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم وتطيره قوله تعالى حين أتى
 على نفسه ذوالعرش المجيد فعال لما يريد فنكر به هذا التعريف وقال أبو مسلم المراد من البينة
 مطلق الرسول ومأمه من الآيات التي أعظمها الكتاب سواء التوراة أو الزبور أو الانجيل
 أو القرآن وعبر بالمضارع لتجدد البيان في كل وقت بتجدد الرسالة والتلاوة وقال البغوي
 لفظه مستقبل ومعناه الماضي أى متى أتتهم البينة وتبعه على ذلك الجلال المحلى وقوله تعالى
 (يتلو صحفا) صفة الرسول وأخبره الرسول صلى الله عليه وسلم وان كان أميا لكنه لما تلا
 مثل ما في الصحف كان كالتالى لها وقيل المراد جبريل عليه السلام وهو التالى للصحف المنتسخة
 من اللوح التي ذكرت في سورة عبس ولا بد من مضاف محذوف وهو الوحي والصحف جمع
 صحيفة وهي القرطاس والمراد ما فيها عبرتها عنه لشدة المواصلة (مطهرة) أى في غاية الطهارة
 والتزاهة من كل زيف لا يأتيها من بين يديها ولا من خلفها وأنها لا يسها الا المطهرون (فيها)
 أى تلك الصحف (كتب) أى أحكام مكتوبة (قيمة) أى مستقيمة ناطقة بالحق والعدل الذى
 لا هوية فيه ليس فيه شرك ولا عوجاج بنوع من الانواع وما تفرق الذين أوثوا الكتاب أى
 عما كانوا عليه ونخص أهل الكتاب بالتفرق دون غيرهم وان كانوا مجموعين مع الكافرين
 لانهم يظنون بهم علما فاذا تفرقوا كان غيرهم ممن لا كتاب له أدخل في هذا الوصف (الامن)
 بعدما جاتهم البينة أى أتتهم البينة الواضحة والمعنى به محمد صلى الله عليه وسلم أتى بالقرآن
 موافقا للذى في أيديهم من الكتاب بنعته وصفته وذلك أنهم كانوا مجمعين على نبوته فلما بعث صلى
 الله عليه وسلم بجهده وانبوته وتفرقوا فافهم من كفر بغيا وحسدا ومنهم من آمن بكقوله تعالى
 وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقال تعالى وكانوا من قبل يستغفون على الذين
 كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقد كان يحى البينة يقتضى اجتماعهم على الحق لا تفرقهم

فيه وقرا حزمة واين ذكوان بامالة الالف بعد الجيم محضة والباقون بالفتح . ولما كان حال
من أضل على علم أشنع زاد في فضيحتهم فقال تعالى (وقا أمروا) أي هؤلاء الكفار في التوراة
والانجيل (الاي عبدوا الله) أي يوحدوا الاله الذي له الامر كله ولا أمر لغيره واللام بمعنى
ان كقوله تعالى يريد الله ليبين لكم وقوله تعالى (مخلصين له الدين) فيه دلائل على وجوب النية
في العبادات لان الاخلاص من عمل القلب وهو أن يراد به وجه الله تعالى لا غيره ومن ذلك قوله
اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين (حنفاء) أي ما تلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام
وأصل الحنف في اللغة الميل وخصه العرف بالميل الى الخير وسماوا الميل الى الشر الحادوا والحنيف
المطلق الذي يكون متبرئا عن أصول الملل الخمسة اليهود والنصارى والصابئين والمجوس
والمشركين وعن فروعها من جميع التحل الى الاعتقادات وعن توابعها من الخطا والتسيان
الى العمل الصالح وهو مقام التقى وعن المكروهات الى المستحبات وهو المقام الاول من الورع
وعن الفضول شفقة على خلق الله وهو ما لا يعنى الى ما يعنى وهو المقام الثاني من الورع
وعما يجبر الى الفضول وهو مقام الزهد فالآية جامعة لمقامي الاخلاص الناظر أحدهما الى الحق
والثاني الى الخلق . ولما ذكر أصل الدين أتبعه الفروع وبدأ بأعظمها الذي هو مجمع الدين
وموضع التجرد عن العوائق فقال عز من قائل (ويقيموا) أي يعدلوا من غير اعوجاج بجميع
الشرائط والاركان والحدود (الصلاة) لتصير بذلك أهلا بأن تقوم بنفسها وهي من التعظيم
لامر الله تعالى ولما ذكر تعالى صله الخالق أتبعها صله الخلائق بقوله تعالى (ويؤتوا الزكاة)
أي يدفعوها المستحقين شفقة على خلق الله تعالى اعانة على الدين أي ولكنهم حرقوا ذلك وبدلوه
بطبائعهم المعوجة وتدخل الزكاة عند أهل الله تعالى في كل ما رزق الله من عقل وسمع وبصر
ولسان ويد ورجل وجاء وغير ذلك كما هو واضح من قوله تعالى وعمارزقناهم ينفقون (وذلك)
أي والحال ان هذا الموصوف من العبادة على الوجه المذكور (دين القيمة) أي الملة المستقيمة
وأضاف الدين الى القيمة وهي نعمة لا اختلاف للفقيرين وأنت القيمة ردا بها الى الملة وقيل الهاء
للمبالغة فيه وقيل القيمة هي السكب التي جرى ذكرها أي وذلك دين الكتب القيمة فيما تدعو
اليه وتأمر به كما قال تعالى وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال
النضر بن شمير سألت الخليل بن أحمد عن قوله تعالى وذلك دين القيمة فقال القيمة جمع القيم
والقيم والقائم واحد قال البغوي ومجاز الآية وذلك دين القائمين لله تعالى بالتوحيد ثم ذكر
تعالى ما للفریقین فقال سبحانه (ان الذين كفروا) أي وقع منهم الشر لم أر أي عقولهم بعد صرفها
للتنظر الصحيح فضلوا واستمروا على ذلك وان لم يكونوا عريقين فيه (من أهل الكتاب) أي اليهود
والنصارى (والمشركين) أي العريقين في الشرك (في نار جهنم) أي النار التي تلقاهم بالتجهنم
والعبوسة (خالدين فيها) أي يوم القيامة أو في الحال لسعيهم لوجباتها واشتغالهم بالعريقين
في جنس العذاب لا يوجب التساوي في النوع بل يختلف بحسب اشتداد الكفر وخفته
(أولئك) أي هؤلاء البعداء البغضاء (هم) أي خاصة بما الضمائرهم من الخبيث (شر البرية) أي

الخليفة الذين أهلوا صلاح أنفسهم وفترطوا في حوائجهم وما ربههم وهذا يحتمل أن يكون
 على التعميم وأن يكون بالنسبة لعصر النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى وإني فضلتكم على
 العالمين أي عالمي زمانهم ولا يبعد أن يكون في كفار الامة قبل من هو شر منهم مثل فرعون
 وعاقرة ناقة صالح ولما ذكر تعالى الاعداء وبعدهم لأن ذلك أوردع لهم أتبعه الاولياء فقال تعالى
 مؤكدا ما للكفار من الانكار (ان الذين آمنوا) أي أقروا بالايان (وعملوا) تصديقا لايانهم
 (الصالحات) أي هذا النوع (أو تلك) أي هؤلاء العالو الدرجات (هم) أي خاصة (خير البرية)
 أي على التعميم أو برية عصرهم بأق فيه مامر وقرأ نافع وابن ذكوان بالهمزة في الحرفين
 لانه من قولهم برأ الله الخلق والباقون بالياء المشددة بعد الراء كالذرية ترك همزه
 في الاستعمال ثم ذكر نوابهم بقوله تعالى (جزاؤهم) أي على طاعتهم وعظمه بقوله تعالى
 (عند ربهم) أي المربي لهم والمحسن اليهم (جنات عدن) أي اقامة لا يحولون عنها (تجربى)
 أي جريادتها لا انقطاع له (من تحتها) أي تحت أشجارها وغرفها (الانهار خالدين فيها) أي
 يوم القيامة وفي الحال لسعيهم في موجباتها وأكدمعنى الخلود تعظيم الجزائهم بقوله تعالى
 (أبدا رضى الله) أي بما له من نعوت الجلال والجمال (عنهم) أي بما كان سيق لهم من العناية
 والتوفيق (ورضوا عنه) لانهم لم يبق لهم أمنية الا أعطاهم وما مع علمهم انه تفضل في جميع
 ذلك لا يجب عليه لاحد شيء ولا يقدره أحد حتى قدره فلو أخذ الخلق بما يستحقونه لاهلكهم
 كما قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة وقال ابن عباس
 ورضوا عنه بثواب الله عز وجل (ذلك) أي الامر العالى الذى جوزوا به (لمن خشى ربه) أي
 خاف المحسن اليه خوفا يليق به فلم يركن الى التسويف والتكاسل فان الخشية ملاك الامر
 والباعث على كل خير وهى للعارفين فان الانسان اذا استشعر عذابا يأتى به لحقته حالة يقال لها
 الخوف وهى اختلاع القلب عن طمأنينته فان اشتد سعى وجلا لجولانه فى نفسه فان اشتد
 سعى زهبالادائه الى الهرب وهى حالة المؤمنين القارين الى الله تعالى ومن غلب عليه الحب
 لاستغراقه فى شهود الجاليات لحقته حالة تسعى مهابة ووراء هذا الخشية انما يخشى الله
 من عباده العلماء فمن خاف ربه هذا الخوف انفك عن جميع ما عنده مما لا يليق بجنابه تعالى
 وما فارق الخوف قلبا الا خرب روى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يبن كعبان
 الله أمرنى أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا قال أبى وسماى لك قال النبي صلى الله عليه وسلم
 ثم قبكى أبى قال البقاعى سبب تخصيصه بذلك أنه وجد اثنين من العصاة قد خالفاه فى القراءة
 فرفعهما الى النبي صلى الله عليه وسلم فأمرهما فعرضا عليه فحسن لهما ما قال فسقط فى نفسى من
 التكذيب أشد ما يكون فى الجاهلية فضرب صلى الله عليه وسلم فى صدرى ففقت عرقا وكانما
 أنظر الى الله فقرأ أى خوفا ثم قص على خبر التخصيف بالسبعة الاحرف وكانت السورة التى وقع
 فيها الخلاف النحل وفيها انه تعالى يعثر رسوله صلى الله عليه وسلم يوم البعث شهيدا وانه نزل عليه
 الكتاب نبييا بالكل شيء وهدى ورحمة وأنه نزل عليه روح القدس بالحق ليثبت الذين آمنوا

وان اليهود اختلفوا في السبت وسورة لم يكن على قصرها حاوية اجمال الكل ما في العمل على طولها وازيادة وفيها التحذير من الشك بعد البيان وتبيين حال من فعل ذلك وان حاله يكون كحال الكفرة من أهل الكتاب في العناد فيكون شر البرية فقرأها صلى الله عليه وسلم عليه تذكيرا له بذلك كله على وجه أبلغ وأخصر ليكون أسرع له تصورا فيكون أرسخ في النفس وأثبت في القلب وأعشق للطبع فاختمه الله بالتثبيت وأراد له الثبات فكان من المرادين المرادين لما وصل الى قلبه بركة ضربة النبي صلى الله عليه وسلم لصدوره وصار كلما قرأ هذه السورة الجامعة غائبا عن تلاوة نفسه مصغيا باذن قلبه الى روح النبوة يتلو عليه ذلك فيدوم له حال الشهود الذي وصل اليه بسرتك الضربة ولثبوته في هذا المقام قال صلى الله عليه وسلم اقرأواكم أبي قال القرطبي وفيه من الفقه قراءة العالم على المتعلم وقال بعضهم انما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم على أبي ليعلم الناس التواضع لثلاثين أحد من التعلم والقراءة على من ذوقه في المنزلة وقيل ان أيا كان أسرع أخذ الالفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد بقراءته عليه أن يأخذ الالفاظه ويقرأ كما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليه ويعلم غيره وفيه فضيلة عظيمة لا يأتى أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقرأ عليه وقول البيضاوي تبع الازمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا حديث موضوع

(سورة الزلزلة مدنية)

في قول ابن عباس وقتادة ومكية في قول ابن مسعود وعطاء وجابر وهي ثمان آيات وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسع وأربعون حرفا

(بسم الله) المحيط بكل شيء قدرة وعلم (الرحمن) الذي عم الخلق بنعمته الظاهرة قسما (الرحيم) الذي أتم النعمة على خواصه حقيقة عيننا واسماء ولما قال تعالى للمؤمنين جزاؤهم عند ربهم جنات عدن كان المكاف قال متى يكون ذلك فقبل له (إذا زلزلت الأرض) أي تحركت واضطربت لقيام الساعة فالعالمون كلهم يكونون في الخوف وأنت في ذلك الوقت تنال جزاؤك وتكون آمنا لقوله تعالى وهم من قرع يومئذ آمنون (زلزالها) أي تحريكها الشديد المناسب لعظم جرم الأرض وعظمة ذلك وذلك كما تقول أكرم التي أكرامه وأهن الضلوق أهانتها تريد ما يستوجبانه من الأكرام والأهانة • ولما كان الاضطراب العظيم يكشف عن الخلق في المضطرب قال تعالى (وأخرجت الأرض) أي كلها ولم يضر تحقيق العموم (أثقالها) أي مما هو مدفون فيها من الكنوز والاموات قال أبو عبيدة والاختفاء إذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها وقال ابن عباس ومجاهد أثقالها أمواتها يخرجهم في النفخة الثانية ومنه قيل للجن والانس الثقلان وقيل أثقالها كنوزها ومنه الحديث تنى الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجى القاتل فيقول

في هذا قتلت وبجي القاطع فيقول في هذا قطعت رجلي وبجي السارق فيقول في هذا قطعت يدي
 ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا فيعطيهما الله تعالى قوة اخراج ذلك كله كما كان يعطيها قوة أن تخرج
 النبات الصغير اللطيف الطرى الذى هو أنعم من الحريرقشقى الارض الصلبة التى تكل عنها
 المعاول شق النواة مع مالها من الصلابة التى استعصت بها على الحديد فتنتفلق نصفين وينبت
 منها سائر ما يريد سبحانه وتعالى فالذى قدر على ذلك قادر على تكوين الموقى فى بطن الارض
 واعادتهم على ما كانوا عليه كما يكون الجنين فى البطن ويشق جميع منافذه من السمع والبصر
 والقوى وغير ذلك من غير أن يدخل هناك يكار ولا منشار ثم يخرج من البطن هكذا اخراج الموقى
 من غير فرق كل ذلك عليه حين سبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه (وقال الانسان) أى هذا النوع
 الصادق بالقليل والكثير لله من التسيان لما أكد عنده من أمر البعث بماله من الانس
 بنفسه والنظر فى عطفه على سبيل التعجب أو الدهش والحيرة أو الكفر كما يقول من بعثنا من
 مرقدنا فيقول له المؤمن هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (مالها) أى أى شئ ثبت للارض
 فى هذه الزلزلة الشديدة التى لم يعهد مثلها واقظت ما فى بطنها (يومئذ) أى اذ كان ما ذكر من
 الزلزال وما لزم عنه وقوله تعالى (تحدث أخبارها) جواب اذا وهو الناصب لها عند الجمهور
 ومعنى تحدث أى تخبر الارض بما عمل عليها من خيرا وشر يومئذ ثم قيل هو من قول الله تعالى
 وقيل من قول الانسان أى يقول الانسان مالها تحدثت أخبارها متعجبا روى الترمذى عن أبى
 هريرة أنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدثت أخبارها قال أتدرون
 ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على
 ظهرها تقول عمل يوم كذا وكذا وكذا قال فهذه أخبارها * (تنبيه) * فى حديثها بأخبارها
 ثلاثة أقوال أحدها أن الله تعالى يقبلها حيوانا ناطقا فتكلم بذلك ثانيا أن الله تعالى يحدث
 فيها الكلام ثالثها أن يكون فيها بيان يقوم مقام الكلام وقيل فى الآية تقديم وتأخير
 تقديم يومئذ تحدثت أخبارها فيقول الانسان مالها أى تخبر الارض بما عمل عليها (بأن ربك)
 متعلق بتحدث ويجوز أن يتعلق بنفس أخبارها والباء سببية أى تحدث بسبب أن ربك المحسن
 اليك بأنواع النعم (أوحى لها) أى أذن لها أن تتكلم بذلك المذكور بالقال أو بالحال على ما مر
 قال البقاعي وعدل عن قوله اليها الى قول الله تعالى لها اذا نا بالاسراع فى الأحياء وقال
 اليعقوبى أوحى لها وأوحى اليها واحد وقرأ حمزة والكسافى بالامالة محضة وقرأ ورش بالفتح
 وبين اللفظين والباقون بالفتح وقوله تعالى (يومئذ) بدل من يومئذ قبله أو منصوب بقوله تعالى
 (يصدر) أو باذ كرمقدها أى واذا ذكر يوم اذ كان ما تقدم وهو حين يقوم الناس من القبور يصدر
 (الناس) أى يرجعون من قبورهم الى ربهم الذى كان لهم بالمرصاد ليفصل بينهم وقرأ حمزة
 والكسافى بإشمام الصادقين الصاد والزاي والباقون بالصاد الخالص (أشستنا) أى متفرقين
 بحسب مراتبهم فى الذوات والاحوال من مؤمن وكافر وآمن وخائف ومطيع وعاص
 وعن ابن عباس متفرقين على قدر أعمالهم أهل الايمان على حدة أو متفرقين فأخذ ذات اليمين

الى الجنة واخذ ذات الشمال الى النار (ليروا) أي يرى الله تعالى المحسن منهم والمسيء بواسطة
 من شاء من جنوده أو بغير واسطة حين يكلم سبحانه كل أحد من غير ترجمان ولا واسطة كما أخبر
 بذلك رسوله صلى الله عليه وسلم (أعمالهم) فيعلموا جزاءها أو صادقين عن الموقف كل الى داره
 ليري جزاء عمله ثم سبب عن ذلك قوله تعالى مقصلا الجملة التي قبله (فمن يعمل) من محسن أو مسيء
 مسلم أو كافر (منقال ذرة خيرا) أي من جهة الخير (يره) أي يرى ثوابه حاضر الا يغيب عنه شيء
 منه لان المحاسب له الاحاطة علما وقدره (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) فالموثمن يراه ليستند
 سروره به والكافر يوقف على عمله انه أحبط لبنائه على غير أساس الايمان أو على انه جوزي
 في الدنيا فهو صورة بلامعنى ليستند منه ونبي حسرته وعن ابن عباس من يعمل من الكفار
 خيرا يره في الدنيا ولا يثاب عليه في الآخرة ومن يعمل مثقال ذرة من شر عوقب عليه في الآخرة
 مع عقاب الشرك ومن يعمل مثقال ذرة من شر من المؤمنين يره في الدنيا ولا يعاقب عليه
 في الآخرة اذا تاب ويتجاوز عنه وان عمل مثقال ذرة من خير يقبل منه ويضاعف في الآخرة
 وفي بعض الاحاديث ان الذرة لازنة لها وهذا مثل ضربه الله تعالى ليعين انه لا يغفل عن عمل
 ابن آدم صغيرا ولا كبيرا وهو كقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وذكر بعض أهل اللغة ان
 الذران يضرب الرجل يده على الارض فخالق من التراب فهو الذر وعن ابن عباس اذا وضعت
 يدك على الارض ورفعتها فكل واحدة مما لقي من التراب ذرة وفسرها بعضهم بالنملة الصغيرة
 وبعضهم بالهباءة التي ترى طائفة في الشعاع الداخل من الكوة وقال محمد بن كعب القرظي
 فمن يعمل مثقال ذرة من خير من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده حتى يخرج
 من الدنيا وليس له عند الله تعالى خير ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مؤمن يرى عقوبته
 في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله تعالى شر ودليله
 ما روى أنس أن هذه الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رأ كل قاصدك وقال
 يا رسول الله وأنا ترى ما علمنا من خير وشر فقال صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ما رأيت في الدنيا
 مما تكرر من ثواب ذر الشرويد خير لكم من ثواب ذر الخير حتى تعطوه يوم القيامة قال أبو ادريس
 ان مصداقه من كتاب الله عز وجل وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وقال مقاتل نزلت
 في رجلين أحدهما كان يأتبه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة وكان الآخر
 يتهاون بالذنوب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول انما وعد الله تعالى النار على الكفار
 فنزلت هذه الآية لترغبهم في القليل من الخير يعطوه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اتقوا النار
 ولو بشق تمر فمن لم يجد فبكلمة طيبة وتحذره من اليسير من الذنوب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
 لعائشة اياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله تعالى طالبا وقال ابن مسعود هذه الآية أحكم
 آية في القرآن وأصدق وقد اتفق العلماء على عموم هذه الآية وقال كعب الاحبار لقد أنزل على
 محمد صلى الله عليه وسلم آيتان أحصتا ما في التوراة والانجيل والزبور والعصاف فمن يعمل مثقال
 ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكان صلى الله عليه وسلم يسمي هذه الجامعة القاذرة

حين مثل عن ذكاة الجير فقال ما نزل على فيها شيء غير هذه الآية **ساعة الفاذة** فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وروى مالك في الموطأ أن مسكينا استطعم عائشة رضي الله عنها وبين يديها عنب فقالت لانسان خذ حبة فأعطه اياها فجعل ينظر اليها ويتعجب فقالت أتعجب **كم** ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة وكذا تصدق عمر رضي الله عنه وانما فعل ذلك لتعليم الغير والافهام من كرماء الصحابة قال الربيع بن خيثم مر رجل بالحسن وهو يقرأ هذه الآية فلما بلغ آخرها قال حسبي قد انتهت الموعدة **(تنبيه)** * قوله تعالى يره جواب الشرط في الموضعين وقرأ هشام يسكون هاء يره وصلا في الحرفين والباقيون بضمها وصلوا وساكنة وقفا كساثرها الكناية وقول البيضاوي تعالى لم يخش من النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله ورواه الثعالبي بسند ضعيف **كن** يشهد له ما رواه ابن أبي شيبة مرفوعا اذا زلزلت تعدل ربع القرآن

﴿سورة العاديات عكمة﴾

في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء ومدينة في قول ابن عباس وأنس ابن مالك وقنادة وهي إحدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفا

(بسم الله) الذي له الامر كله فلا يستل عما يفعل (الرحمن) الذي نعمته أتم نعمة وأشمل (الرحيم) الذي خص أوليائه بتوفيقه وأتم نعمته عليهم وأكل وقوله سبحانه وتعالى (والعاديات ضبحا) قسم أقسم الله سبحانه بخيل الغزاة تعد وقتضج والضج صوت أنفاسها اذا عدون وعن ابن عباس أنه حكاه فقال أح أح قال عنتره

والخيل تكدح حين قضج في حياض الموت ضبحا

واتصاف ضبحا على يضح ضبحا وبالعاديات كانه قبل والضاحيات ضبحا لان الضج يكون مع العدو وأعلى الحال أي ضاحيات والعاديات جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو المشي بسرعة وعن ابن عباس كنت جالسا في الجرجاء رجل فسألتني عن العاديات ضبحا فقصتها بالخيل فذهب الى علي رضي الله عنه وهو تحت سقاية زمزم فسأله وذكر له ما قلت فقال ادعه لي فلما وقفت على رأسه قال تفق الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لاقل غزوة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد العاديات ضبحا الا بل من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى هنا قال الرمنشري فان صحت الرواية فقد استعير الضج للابل كما استعير المشافر والخافر للانسان والشفتان للمهر وما أشبه ذلك قال ابن عباس وليس شيء من الحيوان يضح غير الفرس والكلب والثعلب ونقيل غيره ان الضج يكون في الابل والاسود من الحيات والبوم والضرب والارنب والثعلب والفرس ثم اتبع عدوها ما ينشأ عنه فقال تعالى عاطفا بأداة التعقيب (فالمريات قدسا) قال عكرمة والضاحيات الخيل تورد النار بجوافرها اذا سارت في الجارة لاسيما عند سلوك الاوعار وقد ساء منسوب بما اتص به ضبحا قال

الزنجشري فقيه الثلاثة أوجه المتقدمة وعن ابن عباس أوردت بجوافرها غبارا وهذا
انما يناسب من فسر العاديات بالابل وقال ابن مسعود هي الابل قطا الحصى قضر من النار
وأصل القدرح الاستخراج ومنه قدحت العين اذا أخرجت منها الماء الفاسد وعن قتادة
وابن عباس أيضا ان الموريات قد حاكم الرجال في الحرب والعرب تقول اذا أرادوا أن الرجل
يمكر بصاحبه والله لا مكرن بك ثم لاورين لك وعن ابن عباس أيضا هم الذين يغزون فيورون
نيرانهم بالليل لحاجتهم وطعامهم وعنه أيضا انه نيران المجاهدين اذا كثرت اربابا بطنهم
العدو كثيرا قال القرطبي وهذه الاقوال مجاز كقولهم فلان يورى زناد الضلالة والاول
الحقيقة وان الخيل من شدة عدوها تفتح النار بجوافرها قال مقاتل تسمى تلك النار
نار أبي حباب وأبو حباب كان شيخا من مشركي الجاهلية من أبل الناس وكان لا يوقد نار الخبز
ولا غيره حتى تنام العيون فيوقد نورية تدمر وتخدم أخرى فان استيقظ لها أحدا طفأها
كراهة أن ينتفع بها أحد فشبهت العرب هذه النار بنار الله لا ينةفع بها ولما ذكر العدو
وما يتأثر عنده ذكر تنبيهه وغايته بقوله تعالى (فالمغبرات) أي باغارة أهلها عليها وقوله تعالى
(صباحا) ظرف أي التي تغرب وقت الصبح يقال أغار بغيرة اذا باغت عدوه لتهب أو قتل
أو أسر قال الشاعر

فليت لي بهم قوما اذا ركبوا * شنوا الاغارة فرسانا وركبانا

وغار لغية (فأثرن) أي فهيجن (به) أي بفعل الاغارة ومكانها وزمانها من شدة العدو (نقعا)
أي غبار الشدة حركتهن والنقع الغبار (تنبيه) عطف الفعل وهو فأثرن على الاسم
لانه في تأويل الفعل لوقوعه صلة لآل وقال الزنجشري معطوف على الفعل الذي وضع
اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاقى عدون فأورين فأغرنت فأثرن (فوسطن به) أي بذلك
النقع أو العدو أو الوقت (جعا) من العدو أي صرن وسط العدو وهو الكتيبة يقال وسط
القوم بالتخفيف ووسطهم بالتشديد وتوسطتهم بمعنى واحد وقال القرطبي يعني جمع منى وهو
من دلقة فوجه القسم على هذا ان الله تعالى أقسم بالابل لما فيها من المنافع الكثيرة وتعريضه
بابل الحج للترغيب فيه وفيه تعريض على من لم يحج بعد القدرة عليه كما في قوله تعالى ومن كفر
أي من لم يحج فان الله غنى عن العالمين وجواب القسم قوله تعالى (ان الانسان) أي هذا النوع
بجمله من الاقس بنفسه والفسيان لما ينفعه (لربه) المحسن اليه بآدائه ثم بآفاقه وتدبيره وترتيبه
(لكنود) قال ابن عباس لكفور بحودنم الله تعالى وقال الكلبي هو بلسان ربيعة ومضر
الكفور وبلسان كندة وحضر موت العاصي وقال الحسن هو الذي يعد المصائب وينسى
النعم وقال أبو عبيدة هو قليل الخير والارض الكنود التي لا تنبت شيئا وفي الحديث عن أبي
إمامة هو الذي يأكل وحده ويمنع رفقده ويضرب عبده وقال الفضيل بن عياض الكنود الذي
أنسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان والشكر الذي أنسته
الخصلة الواحدة من الاحسان الخصال الكثيرة من الاساءة (وانه) أي الانسان (على ذلك)

أى الكنود العظيم حيث أقدم على مخالفة الملك الأعظم المحسن مع الكفر لا حسانه (لشهيد)
 أى يشهد على نفسه ولا يقدر أن يجده لظهور أثره عليه أو أن الله تعالى على كنوده لشاهد على
 سبيل الوعيد (وأنه) أى الانسان من حيث هو (لحب) أى لاجل حب (الخير) أى المال الذى
 لا يعذ غيره لجهله خيرا (لشديد) أى بخيل بالمال ضابط له بمسك عليه أو بليغ القوة في حبه
 لأن منفعته في الدنيا وهو متقيد بالعاجل الحاضر المحسوس مع علمه بأن أقل ما فيه أنه يشغله
 عن حسن الخدمة لربه تعالى ومع ذلك فهو لحب المال وإثارة الدنيا وطلبها قوى مطبق وهو لحب
 عبادة ربه وشكر نعمته ضعيف متفاعس ثم سبب عن ذلك قوله تعالى (أفلا يعلم) أى هذا
 الانسان الذى أنساه أنسه بنفسه (إذا بعث) أى انتثر بغاية السهولة وأخرج (ما فى القبور)
 أى من الموتى قال أبو عبيدة بعثت المتاع جعلت أسفله أعلاه قال محمد بن كعب ذلك
 حين يعثون (فان قيل) لم قال ما فى القبور ولم يقل من ثم قال بعد ذلك ان ربه بهم (أجيب)
 عن الاول بأن ما فى الارض غير المكافين ~~ك~~ كما فخرج الكلام على الاغلب أو أنهم حال
 ما يعثون لا يكونون أحياء عقلاء بل يصيرون كذلك بعد البعث فلذلك كان الضمير الاول ضمير
 غير العقلاء والضمير الثانى ضمير العقلاء (وحصل) أى أخرج وجمع بغاية السهولة
 (ما فى الصدور) من خبر وشرا مما يظن مضمره انه لا يعلمه أحد أصلا وظهر مكتوبا فى مصاتف
 الاعمال وهذا يدل على أن النيات يحاسب عليها كما يحاسب على ما يظهر من آثارها وتخصيص
 الصدور بذلك لانه محل القلب (ان ربه) أى المحسن اليهم بخلقهم وخلقهم وتربيتهم (بهم يومئذ)
 أى اذ كانت هذه الامور وهو يوم القيامة (لتخبر) أى لمحيط بهم من جميع الجهات عالم غاية
 العلم بواطن أمورهم فكيف بظواهرها ومعنى علمهم يوم القيامة مجازاته لهم والافه وخبر
 بهم فى ذلك اليوم وفى غيره فكيف ينبغى للعاقل أن يعلق آماله بالمال فضلا عن أن يؤثره على الباقي
 وقول البيضاوى تعالى للزحشرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات أعطى
 من الاجر حسنة بعدد من بات بالمزلة وشهد بها حديث موضوع

(سورة القارعة مكية)

وهى احدى عشرة آية وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخسون حرفا

(بسم الله) الملك الاعلى (الرحمن) الذى عمت نعمة ايجاده جميع الورى (الرحيم) الذى خص
 أوليائه بالتوفيق لما يحب ويرضى * ولما ختم العاديات بالبعث ذكر صيحته بقوله تعالى (القارعة)
 أى الصيحة أو القيامة التى تفرع القلوب باهوالها والابرار الكنيفة بالتشقق والانفطار
 والاشياء الثابتة بالانشطار وقوله تعالى (ما القارعة) تهويل لشانها وهما مبتدأ وخبر
 خبر القارعة وأ كد تعظيمها اعلاما بأنه مهـ ما خطر فى بال من عظمها فهى أعظم منه فقال
 تعالى (وما أدراك) أى أعلمك (ما القارعة) أى انك لا تعرفها لانك لم تعهد مثلها وما الاول مبتدأ
 وما بعده خبره وما الثانية وخبرها فى محل المفعول الثانى لادرى واختلف فى ناصب (يوم) على

وجهمين أحدهما أنه بضم ردل عليه القارعة أي تقرعهم يوم وقيل تقديره تأتي القارعة يوم
(يكون الناس) والثاني أنه اذكر مقدرا فهو مفعول به لا ظرف وقوله تعالى (كالقراش
المبثوث) يجوز أن يكون خبرا للناقصة وأن يكون حالا من فاعل التامة أي يؤخذون
ويحشرون شبه القراش شبههم في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطير إلى الداعي من كل
جانب كما يتطير القراش إلى النار والقراش طائر معروف قال قتادة القراش الطير الذي
يتساقط في النار والسراج الواحد فراشة وقال الفراء هو الهمج من البعوض والجراد
وغيرهما وبه يضرب المثل في الطيش والهرج يقال أطيش من فراشة وأنشدوا

فراشة الحلم فرعون العذاب وان * تطلب نداه فكلب دونه كاب

وفي أمثالهم أضعف من فراشة وأذل وأجهل وهي فراشة تغرشه وانتشاره وروى مسلم عن
جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب
والقراش يقعن فيها وهو يذبحن عنها وأنا أخذ بجوزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي وفي تشبيه
الناس بالقراش مبالغات شتى منها الطيش الذي يلحقهم وانتشارهم في الأرض وركوب بعضهم
بعضا والكثرة والضعف والذلة والجهل من غير ذهاب والقصد إلى الداعي من كل جهة والتطير
إلى النار قال جرير

إن الفرزدق ما علمت وقومه * مثل القراش غشين ناراً المصطفى

والمبثوث المتفرق وقال تعالى في موضع آخر كأنهم جراد منتشر (فان قيل) كيف شبه الشيء
الواحد بالصغير والكبير معاً لأنه شبههم بالجراد المنتشر والقراش المبثوث (اجيب) بأن التشبيه
بالقراش في ذهاب كل واحد إلى غير جهة الآخر وأما التشبيه بالجراد فبالكثرة والتتابع
(وتكون الجبال) على ما هي عليه من الشدة والصلابة وانها محض راحة (كالهين) أي
الصوف المصبوغ ألواناً لانهم ملقونة قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر أي وغير ذلك
(المنقوش) أي المنسود والمفروق الأجزاء فتراها لذلك متطيرة في الجوق كالهباء المنثور كما قال
تعالى في موضع آخر هباء منبثاً حتى تعود الأرض كلها لا عوج فيها ولا أمتاً ثم سبب عن ذلك قوله
تعالى مقصلاً لهم (فأما من ثقلت موازينه) أي برجحان الحسنات وفي الموازين قولان
أحدهما أنه جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله تعالى وهذا قول الفراء
والثاني قال ابن عباس أنه جمع ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه إلا الأعمال فتوزن فيه
العصف المكتوبة فيها الحسنات والسيئات أو الأعمال أنفسمها فيؤتي بحسنات المؤمنين
في أحسن صورة فتوضع في كفة الميزان فاذا رجحت فالجنة له ويؤتي بسيئات الكافر في أقبح
صورة فيضع ميزانه فيدخل النار وقيل انما توزن أعمال المؤمنين فمن ثقلت حسناته على
سيئاته دخل الجنة ومن ثقلت سيئاته على حسناته دخل النار فيقتص منه على قدرها
ثم يخرج منها فيدخل الجنة أو يعفو الله عنه فيدخل الجنة بفضلته ورحمته وأما الكافر
فقد قال الله تعالى في حقه فلا نقم لهم يوم القيامة وزناً ثم قيل انه ميزان واحد يدجبريل

عليه السلام يزن به أعمال بني آدم فمير عنه بلفظ الجمع وقيل موازين لكل حادثة ميزان
وقيل الموازين الخفيف والدلائل قاله عبد العزيز بن يحيى واستشهد بقول الشاعر
قد كنت قبل لقاءكم ذامرة • عندي لكل مخاصم ميزانه

(فهو) أي بسبب رجحان حسناته (في عيشة) أي حياة يتقلب فيها قال البقاعي وأعله الحقها
بالهاء الدالة على الوحدة والمراد العيش ليفهم أنهم على حالة واحدة في الصفاء واللذة وليست
ذات ألوان كحياة الدنيا (راضية) أي ذات رضا أو مرضية لأن ثمة جنة عالية (وأما من خفت)
أي طاشت (موازينه) أي غلبت سياسته أو لم تكن له حسنة لاتباعه الباطل وخفته عليه
في الدنيا (فأتمه) أي التي تؤويه وتضمه إليها كما يقال للأرض أم لأنهم انقصوا ذلك ويسكن إليها
كما يسكن إلى الأم وكذا المسكن (هاوية) أي نار نازلة سافله جدًا فهو بحيث لا يزال يهوى فيها
نازلاً فهو في عيشة ساخطة فالآية من الاحتياط لذكر العيشة أولاد البلاء على حذفها ثانياً وذكر
الأم ثانياً دليل على حذفها أولاً والهاوية اسم من أسماء جهنم وهي المهوالة لا يدرك قعرها وقال
قنادة هي كلمة عربية كان الرجل إذا وقع في أمر شديد يقال هوت أمته وقيل أراد أم رأسه
يعني أنهم يهونون في النار على رؤسهم وإلى هذا التأويل ذهب قنادة وأبو صالح وروى عن أبي
بكر أنه قال وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباع الحق وثقله في الدنيا
وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحسنات أن يثقل وإنما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم
الباطل وخفته في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه إلا السيئات أن يخف (وما أدراك) أي وأي
شيء أعلمك وإن اشتد تكلفك (ما هي) أي الهاوية والأصل ما هي فدخلت الهاء للسكت وقرأ
جزء في الوصل بغيرها بعد الباء التحتية ووقف بهم والباقيون بآياتها وصلوا ووقفوا (فان قيل)
قال هنا وما أدراك ما هي وقال أول السورة وما أدراك ما القارعة ولم يقل وما أدراك ما الهاوية
(أجيب) بأن كونها قارعة أمر محسوس وكونها هاوية ليس كذلك فظهر الفرق وقوله تعالى
(نار حامية) خبر مبتدأ مضمرة أي هي أي الهاوية نار شديدة الحرارة روى مسلم أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ناركم هذه التي توقد جز من سبعين جزاً من حرج جهنم قالوا وإنما كفاية
يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزاً كلها مثل حرها وقول البيضاوي تبعها
لأن محشرى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة
حديث موضوع

(سورة التكاثر مكية)

وهي ثمان آيات وثمانية وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفاً

(بسم الله) ذي الجلال والإكرام (الرحمن) الذي عم بالإنجاد بعد الإعدام (الرحيم) الذي خص
أوليائه بتمام الأنعام • ولما ختم القارعة بالشق افتتح هذه بفعل التقاوة ومبتدأ الحشر
ليبرز السامع فقال تعالى (إلهاكم التكاثر) أي شغلكم المباهاة والمفاخرة والمكاثرة بكثرة

المال والعبد عن طاعة ربكم وما ينصيكم من مخطئه (حتى زورتم المقابر) أي الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى أن متم وقبرتم منفقين أعماركم في طلب الدنيا والاستباق اليها والتهالك عليهم الى أن أتاكم الموت لاهم لكم غيرها عما هو أولى بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لا تخرجتكم وزيارة القبر عبارة عن الموت قال الاخطل

ان يخلص العام خليل عشر • ذاق الضماد ويزور القبرا

• (تنبيه) • حتى غاية لقوله تعالى الهاكم وهو عطف عليه والمعنى حتى أتاكم الموت فصرت في المقابر زوارا ترجعون منها كرجوع الزائر الى منزله من جنة أو نار يدعى لمن مات قد زار قبره (فان قيل) شأن الزائر ان ينصرف قريبا والاموات ملازمون للقبور فكيف يقال انه زار القبر وأيضا حتى زرتهم اخبار عن الماضي فكيف يحمل على المستقبل (أجيب) عن الاول بأن سكان القبور لا بد أن ينصرفوا عنها فان كل آت قريب وعن الثاني لتحققه عبر عنه بالماضي كقوله تعالى أتى أمر الله وقال أبو مسلم ان الله تعالى يتكلم بهم - هذه السورة يوم القيامة تعبير الله الكفار وهم في ذلك الوقت قد تقدمت منهم زيارة القبور وقال مقاتل والكلي زلت في حين من قریش بن عبد مناف وبنی سهم تفاخروا أيمهم أكثر عددا فكثروا بنو عبد مناف وقالت بنو سهم ان البني أهلكا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثروا بنو سهم بثلاثة آيات لانهم كانوا في الجاهلية أكثر عددا والمعنى انكم تكاثرت بالاحياء حتى استوعبت عددهم ثم صرتم الى المقابر فتكاثرت بالاموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور ثم تكلمهم وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعينهم من أمر الدين للتعظيم والمبالغة وقال قتادة في اليهود قالوا نحن أكثر من بني فلان وبنو فلان أكثر من بني فلان شغلهم ذلك حتى ما تواضلا وأنهم كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى ألهاكم ذلك وهو مما لا يعينكم ولا يجدي عنكم في دنياكم وآخرتكم مما يعينكم من أمر الدين الذي هو أهم وأعنى من كل مهم من المقابر والمقابر جمع مقبرة بفتح الباء وضمها ويسمى سعيد المقبرى لانه كان يسكن المقابر قال القرطبي لم يأت في التنزيل ذكر المقابر الا في هذه السورة واعترضه ابن عادل بأن الله تعالى قال في سورة أخرى ثم أماته فأقبره وهذا ممنوع فانه قال المقابر فلفظ هذه الآية غير لفظ تلك وزيارة القبور من أعظم الادوية للقلب القاسي لانها تذكر الموت والاشرة وذلك يحمل على قصر الامل والزهد في الدنيا وترك الرغبة فيها قال صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانما ترزقون في الدنيا وتذكر الاخرة وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زقارات القبور ففكره لهن لقله صبرهن وكثرة جزعهن ثم زيارة النسبي صلى الله عليه وسلم سنة لهن ويطلق به بقية الانبياء والاولياء والعلماء وينبغي لمن زار القبور أن يتأدب بآدابها ويحضر قلبه في اتيانها ولا يكون حظه منها الطواف عليها فقط فان هذه حاله يتحرك فيها البهائم بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى واصلاح فساد قلبه ونفع الميت بما يتلو عنده من القرآن والدعاء ويكسب الجلوس عليها ويسلم اذا دخل المقابر فيقول السلام عليكم

دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون واذا وصل الى قبر ميتة الذي يعرفه سلم عليه أيضا
وأناه من قبل وجهه لانه في زيارته كخطابه حياته يتسبر من صار تحت التراب وانقطع
عن الامل والاحباب ويتأمل حال من مضى من اخوانه كيف انقطعت آمالهم ولم تغن
عنهم أموالهم وبقى التراب على محاسنهم ووجوههم وافترقت في التراب أجزاؤهم
وترمل من بعدهم نساؤهم وشمل ذل اليتيم أولادهم وأنه لا يتصاير الى مصيرهم وأن حاله
كحالهم وماله كمالهم وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية قال يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت
فأمضيت أو أكلت فأنيت أو لبست فأبليت وعن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله
وقرأ الهاء لكم حزة والكسائي بالامالة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح
وقوله تعالى (كلا) ردع وتنبه على انه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم
بذنبه وقوله تعالى (سوف تعلمون) انذار ليخافوا فينتبهوا عن غفاتهم وقوله تعالى (ثم كلا سوف
تعلمون) تكرر للتأكييد وثم للدلالة على أن الثاني أبلغ من الاول وأشد كما يقال للمنصوع أقول
لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه اذا عاينتم ما قد امكم من هول لقاء الله تعالى
وان هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم وعن علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه كلا سوف
تعلمون في الدنيا ثم كلا سوف تعلمون في الآخرة فعلى هذا يكون غير مكرر لحصول التغير بينهما
لاجل تغاير المتعلقين وثم على بابها من المهلة وعن ابن عباس كلا سوف تعلمون ما ينزل بكم من
العذاب في القبور ثم كلا سوف تعلمون في الآخرة اذا حل بكم العذاب فالتكرار للحالتين وروى
زبد بن حبيش عن علي كأنه شك في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة فأشار الى أن قوله تعالى
كلا سوف تعلمون في القبور وقيل كلا سوف تعلمون اذا نزل بكم الموت وجاء تسكم ورسلكم بنزع
أرواحكم ثم كلا سوف تعلمون في القيامة انكم معذبون وعلى هذا تضمنت أحوال القيامة من
بعث وحشر وعرض وسؤال الى غير ذلك من أحوال القيامة وقال الضمالة كلا سوف تعلمون
بمعنى الكفار ثم كلا سوف تعلمون أيها المؤمنون فالاول وعيد والثاني وعد ولما كان هذا أمرا
صادقا أشار تعالى الى انه يكفي هذه الامة المرحومة التأكييد بجملة واحدة فقال سبحانه مر دنا
الامر بين تأكييد الردع تأليفا بالاداة الصالحة ولان يكون بمعنى حقا كما يقوله أئمة القراء (كلا)
أي ليستند ارتداعكم عن التكاثرة انه أساس كل يلاء فانكم (لو تعلمون) أي أيها الكافرون
(علم اليقين) أي لو يقع لكم علم على وجه اليقين مرة من الدهر لعلمت ما بين ايديكم فلم يلهكم التكاثر
ولصحتكم قليلا ولبيكن كثيرا ونلجتم الى الصعدات تجارون فحذف الجواب أخوف ليهيب
الوهم معه كل مذهب ولا يجوز أن يكون (لترون الخيم) جواب لان هذا مثبت وجواب لو يكون
منضيا ولانه تعالى عطف عليه ثم لتسألن وهو مستقبل لا بد من وقوعه وحذف جواب لو كثير قال
الاخفش التقدير لو تعلمون علم اليقين لالهكم بل هو جواب قسم محذوف أكذبه الوعيد وأضح به

ما أئذوهم منه بعد إيهامه تفخيما وقوله تعالى (ثم لترونها) تكرر لئلا كيدوا ولاولى أذارتهم من مكان بعيد والثانية إذا وردوها والمراد بالاولى المعرفة والثانية الابصار (عين اليقين) أى الرؤية التى هى نفس اليقين فان علم المشاهدة أعلى مراتب اليقين قال الرازى واليقين من ~~مركب~~ الاخلاص فى هذا الطريق وهو غاية درجات العامة وأول خطوة الخاصة قال صلى الله عليه وسلم خيرا ألقى فى القلب اليقين وعلمه قبول ما ظهر من الحق وقبول ما غاب للحق والوقوف على ما قام بالحق وقال قتادة اليقين هنا الموت وعنه أيضا البعث أى لو تعلمون علم الموت أو البعث فعبء عن الموت باليقين والعلم من أشد البواعث على العمل وقيل لو تعلمون اليوم فى الدنيا علم اليقين بما امامكم مما وصفت لترون الجحيم بعيون قلوبكم فان علم اليقين يريك الجحيم بعين قوادك وقرأ لترون ابن عامر والكسائي بضم التاء والباقون بالفتح (ثم لتستلن) حذف منه نون الرفع اتوا الى التونات والواو لا لتقاء الساكنين (يومئذ) أى يوم رؤيتها (عن النعيم) وهو ما يبتذبه فى الدنيا من الصحة والفراغ والامن والمطعم والمنسرب وغير ذلك والمراد بذلك ما يشغله عن الطاعة للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله تعالى قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده وقوله تعالى كلا ومن الطيبات وقال الحسن لا يسأل عن النعيم الا أهل النار لان أبابكر رضى الله عنه لما نزلت هذه الآية قال يا رسول الله أ رأيت أكلة كلثما معك فى بيت أبى الهيثم من خبز شعير ولحم وبسر وما عذب أ يكون من النعيم الذى يسأل عنه فقال صلى الله عليه وسلم انما ذلك للكفار ثم قرأ صلى الله عليه وسلم وهل يجازى الا الكفور ولان ظاهر الآية يدل على ذلك لان الكفار الهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بذاتها عن طاعة الله تعالى والاشغال بشكره فالتعالى يسألهم عنها يوم القيامة حتى يظهر لهم أن الذى ظنوه لسهادة هم ~~كان~~ من أعظم الاسباب لشقاوتهم وقيل السؤال عام فى حق المؤمن والكافر لقوله صلى الله عليه وسلم أول ما يسأل العبد يوم القيامة عن النعيم فيقال له ألم نصبح جسمك ألم نزولك من الماء البارد وقيل الزائد على ما لا بد منه وقيل غير ذلك قال الرازى والاولى على جميع النعم لان الالف واللام تضيد الاستغراق وليس صرف اللفظ الى البعض اولى من صرفه الى الباقي فيسأل عنها هل شكرها أم كفرها واذا قيل ان هذا السؤال للكافر فقصيل هو فى موقف الحساب وقيل بعد دخول النار يقال لهم انما حل بكم هذا العذاب لاشتغالكم فى الدنيا بالنعيم عن العمل الذى ينهيكم من هذه النار ولو صرفتم همكم الى طاعة ربكم لكنتم اليوم من أهل النجاة وقول البيضاوى تعالى للزحشمرى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الهاكم التكاثر لم يحاسب به الله بالنعيم الذى أنعم به عليه فى دار الدنيا واعطى من الاجر كما قرأ الف آية حديث موضوع الا آخره فرواه الحاكم بلفظ لا يستطیع أحدكم ان يقرأ ألف آية فى كل يوم قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية قال أو ما يستطیع أحدكم أن يقرأ الهاكم التكاثر

(سورة المعسر مكية)

وروى عن ابن عباس وعبد الله بن مسعود انها مدنية وهى ثلاث آيات وأربع عشرة كلمة وعشرون حرفا

(بسم الله) الذي كل شئ هالك الا وجهه (الرحمن) الذي عم الوجود بانه معه فليس شئ شبهه
 (الرحيم) الذي أعزأ ولياؤه فكانوا للدهر غرة ولا له جبهه وقوله تعالى (والعصر) قسم
 واختلف في المراد به فقال ابن عباس والدهر أقسم به لأن فيه عبرة للناظر بتصرف الاحوال
 وتبدلها وما فيها من الدلالة على الصانع وقيل معناه ووب العصر ومز الكلام في امثاله وقال ابن
 كيسان أراد بالعصر الليل والنهار يقال لهما العصران وقال الحسن بعد ذوال الشمس الى
 غروبها وقال قتادة آخر ساعة من ساعات النهار وقال مقاتل أقسم بصلاة العصر وهي الصلاة
 الوسطى وهذا أشبه به قال صلى الله عليه وسلم من فاتته الصلاة الوسطى فكأنما تروا أهله وماله
 ولأن التكليف في ادائها أشق لتهاقت الناس في تجاوزاتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم
 بعنائهم ونقل ابن عادل عن مالك أن من حلف أن لا يكلم الرجل عصرالم يكلمه سنة قال ابن
 العربي إنما حل مالك بين المخالف على السنة لانه أكثر ما قيل فيه ونقل عن الشافعي يتر بساعة
 إلا أن تكون له نية وجواب القسم (أن الانسان) أي الجنس (لني خسر) أي نقص بحسب
 مساعدتهم في أهوائهم وصرف أعمارهم في اغراضهم لما لهم بالطبع من الميل الى الحاضر والاعراض
 عن الغائب والاعتذار بالقصاني * (تبيينه) * تنكير خسر يحتمل التحويل والتحقيق فان حل على
 الاول وهو الظاهر كان المعنى ان الانسان اني خسر عظيم لا يعلم كنهه الا الله تعالى لأن الذنب
 يعظم اما العظم من في حقه الذنب اولانه وقع في مقابلة النعم العظيمة فلذلك كان الذنب في غاية
 العظم وان حل على الثاني كان المعنى ان خسر ان الانسان دون خسر ان الشيطان ولما كان
 الحكم على الجنس حكما على الكل لانهم ليس لهم من ذواتهم الا ذلك وكان فيهم من خلصه الله
 تعالى عما طبع عليه الانسان وحفظه عن الميل استثناهم بقوله عز من قائل (الا الذين آمنوا)
 أي أوجدوا الايمان وهو التصديق بما علم بالضرورة محجى النبي صلى الله عليه وسلم به من
 توحيده سبحانه والتصديق بملأئكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر (وعملوا) أي تصديقهم بما
 أفتروا به من الايمان (الصالحات) أي هذا الجنس من ايقاع الاوامر واجتناب النواهي
 واشتراء الآخرة بالدينا فلم يلهمهم التكاثر ففازوا بالحياة الابدية والسعادة السرمدية فلم يلحقهم
 نهي من الخسران وقال ابن عباس في رواية أبي صالح المراد بالانسان الكافر وقال في رواية الضحاك
 يريد به جماعة من المشركين الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والأسود بن عبد المطلب وقيل
 لني خسر غبن وقال الاخفش لني هلكة وقال القراء لني عقوبة وقال ابن زيد لني شر وروى ابن
 عوف عن ابراهيم قال أراد ان الانسان اذا عمى في الدنيا وأهرم لني ضعف ونقص وتراجع الا
 المؤمنين فانه يكتب لهم أجورهم التي كانوا يعملونها في حال شبابهم وتظيره قوله تعالى لقد خلقنا
 الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا ولما كان الانسان بعد كماله
 في نفسه بالاعمال لا ينتهي عنه مطلق الخسران لا يتكامل غيره وحينئذ كان وارثا لأن الانبياء عليهم
 الصلاة والسلام به شوال التكميل قال تعالى محض ما دخل في الاعمال الصالحة منها على عظمه
 (وتواضعوا) أي أوصي بعفتهم بعضا بلسان الحال والمقال (بالحق) أي الامر الثابت وهو كل ما

حكم الشرع بصحته ولا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله تعالى وطاعته واتباع كتيبه
ورسله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة (وتواصوا) أيضا (بالصبر) عن المعاصي وعلى الطاعات
وعلى ما يتلى الله به عباده من الامراض وغيرها وروى عن أبي بن كعب انه قال قرأت على النبي
صلى الله عليه وسلم والعصر ثم قلت ما تفسيرها يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم والعصر قد سم
من الله أقسم ربكم يا آخر النهار ان الانسان لفي خسر أبو جهل الا الذين آمنوا أبو بكر وعملوا
الصالحات عمرو وتواصوا بالحق عثمان وتواصوا بالصبر علي وهكذا خطب ابن عباس على المنبر
موقفا عليه وقال قتادة بالحق أي بالقرآن وقال السدي الحق هنا الله عز وجل وقول البيضاوي
تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى
بالحق وتواصى بالصبر حديث موضوع

(سورة الهزلة مكية)

وهي تسع آيات وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفا

(بسم الله) الحكم العدل (الرحمن) الذي عمّ جوده أهل العدل وأولى العدل (الرحيم) الذي
خص أولياءه بزيادة الفضل وقوله تعالى (ويل) فيه قولان أحدهما انه كلمة عذاب والثاني انه
وادي جهنم (لكل همزة لمزة) قال ابن عباس هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة
الباغون للبراء العيب فعلى هذا هما بمعنى وقال صلى الله عليه وسلم شر عباد الله المشاؤون بالنميمة
المفسدون بين الاحبة الباغون للبراء العيب وقال مقاتل الهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة
الذي يعيبك في الوجه وقال أبو العالية والحسن الهمزة الذي يغتاب ويظعن في وجه الرجل
واللمزة الذي يغتابه من خافه وهذا اختيار النحاس ومنه قوله تعالى ومنهم من يلزك
في الصدقات وقال سعيد بن جبيرة الهمزة الذي يأكل لحوم الناس ويغتتابهم واللمزة الطعان
عليهم وقال ابن زيد الهمزة الذي يهزم الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي يلزهم بلسانه ويعيبهم
وقال سفيان الثوري يهزم بلسانه ويلز بعينه وقال ابن كيسان الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء
اللفظ واللمزة الذي يكسر عينه ويشير برأسه ويرمز بحاجبيه وحاصل هذه الاقاويل يرجع الى
أصل واحد وهو الطعن واظهار العيب ويدخل في ذلك من يحاكي الناس بأقوالهم وافعالهم
وأصواتهم ايضكوا منهم وأصل الهمز الكسر واللمز الطعن ثم خصا بالكسر من أعراض
الناس والطعن فيهم حتى صار ذلك عادة لانه خلق ثابت في جبلتهم والذي دل على الاعتناء بصيغة
فعله بضم فتحة كما يقال ضحكة للذي يفعل الضحك كثيرا حتى صار عادة له وضرب به واختلفوا
فبين نزلت فيه هذه الآية فقال الكلبي نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي كان يقع في التباس
ويغتتابهم وقال محمد بن اسحق ما زلنا نسمع أن سورة الهمزة نزلت في أمية بن خلف الجعفي وقال
مقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم من ورائه ويظعن عليه
في وجهه وقال مجاهد هي علة في حق من هذه صفته وقوله تعالى (الذي جمع مالا) بدل من كل

أؤذم منصوب أو مرفوع وقرأ ابن عامر وحزرة والكسائي بتشديد الميم على المبالغة والتكثير
ولأنه يوافق قوله تعالى (وعتده) والباقون بتخفيفها وهي محتملة للتكثير وعدمه ومعنى عتده
أحصاه وجعله عتدة للحوادث وقال الضحاك أعتد ماله لمن يرثه من أولاده وقيل فآخر بعدده وكثرته
والمقصود الذم على امتلاك المال عن سبيل الطاعة كقوله تعالى مناع للخير وقوله تعالى جمع
فأوى (يحسب) أي يظن لجهله (أن ماله أخلده) أي أوصله إلى رتبة الخلد في الدنيا فيصير
خالدا فيها لا يموت أو يعمل من تشييد المبنيين الموثق بالعضر والآخر من الاثصار وعمارة
الأرض عمل من يظن أن ماله أبقاء حيا أو هو تعريض بالعمل الصالح وأنه هو الذي أخلده صاحبه
في السهم فأما المال فما أخلده أحد فيه وروى أنه كان للأخمس أربعة آلاف دينار وقيل عشرة
آلاف دينار وعن الحسن أنه عاد موسى رافقا لما تقول في ألوف لم أقتبسها من لثيم ولا تفضلت بها
على كريم قال لماذا قال لثبوة الزمان وجفوة السلطان ونواب الدهر ومخافة الفقر قال إذا تدعه
لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذك وقرأ ابن عامر وعاصم وحزرة بفتح السين والباقون بكسرها
وقوله تعالى (كلا) ردع له عن حسبانته وقيل معناه حقا وقوله تعالى (لينبذن) جواب قسم
مخذوف أي ليطرحن بعد موته (في الحطمة) أي الطبقة من جهنم التي من شأنها أن تحطم أي
تكسر بشدة وعنف كل ما طرح فيها فيكون أخسر الناس رين ويقال للرجل الاكول انه لحطمة
(وما أدراك) أي وأي شيء أعلمك ولو بمحاولة منك للعلم واجتهاد في التعرف مع كونك اعلم الحكماء
(ما الحطمة) أي الدركة النارية التي سميت هذا الاسم بهذه الخاصة وأنه ليس في الوجود الذي
شاهدتموه ما يقاربها يكون مثالا لها ثم فسرها بقوله تعالى (نارا لله) أي الملك الاعظم الذي له
الملك كله (الموقدة) أي التي وجد وتحت إيقادها ومن الذي يطبق بمحاولة ما وقده فهي لا يزال
لها هذا الاسم ثابتا روى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال أوقد على النار ألف سنة حتى احترت
ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة (التي
تطلع) أي اطلعا شديدا (على الأفتدة) جمع فؤاد وهو القلب الذي يكاد يحترق من شدة ذكائه
فكان ينبغي أن يجعل ذكائه في أسباب الخلاص واطلاعه عليه بأن تعلو وسطه وتشتل عليه
اشقا لا يبلغا معنى ذلك اشدة توقده وخص لانه ألطف ما في البدن واشد تألما بأدنى شيء من الأذى
ولانه منذ ألقاها الفاسدة ومعدن حب المال الذي هو منشأ حب الفساد والفسلال وعنه
تصدر الأفعال القبيحة وقيل معنى تطلع على الأفتدة أي تعلم ما يستحقه كل واحد منهم من
العذاب يقال اطلع على كذا أي علمه * ثم أشار إلى خلودهم فيها بقوله تعالى مؤكدا أنهم يكذبون
بها (إنهم عليهم مؤسدة) قال الحسن مطبقة أي بغاية الضيق وقال مجاهد مغلقة بلفظ قريش
يقال أصدت الباب أي أغلقته ومنه قول عبد الله بن قيس

إن في القصر لو دخلنا غزالا * مفتنا مؤسدا عليه الجباب

ثم بين حال عذابهم بقوله تعالى (في) أي في حال كونهم وثوقين في (عقد) قرأه الكسائي
وشعبة بضم العين والميم جمع عمود فهو رسول ورسول وقيل جمع عماد ككتاب وكتب والباقون

بقصص ما قيل هو اسم جمع لعنود وقيل بل هو جمع له قال الفراء كاديم وأدم وقال أبو عبيدة هو جمع حماد (عمدة) أي معترضة كأنها موضوعة على الأرض فهي في غاية المكنة فلا يستطیع الموقوف بها على نوع حيلة في أمرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يبعث عليهم ملائكة يطباق من نار ومسامير من نار وعدم من نار فيطبق عليهم تلك الاطباق وتسد تلك المسامير وتعد تلك العمدة فلا يبقى فيها خلل يدخل منه روح ولا يخرج منه غم فيكون كلامهم فيها زفيرا وشهيقا وقال قتادة عمدة تعذبون بها واختاره الطبري وقال ابن عباس إن العمدة الممتدة اغلال في أعناقهم وقال أبو صالح قيود في أرجلهم وقال القشيري العمدة أوتاد الاطباق وقيل المعنى في دهور عمدة لا انقطاع لها وقول البيضاوي تبعه اللزخسري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بعمده صلى الله عليه وسلم وأصحابه حديث موضوع

﴿سورة الفيل مكية﴾

وهي خمس آيات وعشرون كلمة وستة وتسعون حرفا

(بسم الله) الذي قدرته في كل شيء عاملة (الرحمن) الذي له النعمة الشاملة (الرحيم) الذي يخص أهل الاصطفاة بالنعمة الكاملة وقوله تعالى (آلم تر) استفهام تعجب أي احجب (كيف فعل ربك) أي المحسن اليك (بأصحاب الفيل) فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر أخبارها فكأنه رآها وانما قال تعالى كيف دون ما لان المراد ذكر ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم وكانت قصة الفيل ما روى أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أحممة الحباشي بن كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد أن يصرف إليها الحاج وكتب إلى الحباشي اني قد بنيت لك كنيسة بصنعاء كنيسة لم يكن لها مثلها ولست منتهيا حتى أصرف إليها حج العرب فسمع بذلك رجل من بني مالك بن كنانة فخرج إليها فدخلها ليلًا فقعدها واطمخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك أبرهة فقال من اجترأ على فقبل صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت سمع الذي قلت فخلف أبرهة عند ذلك ليسيرن إلى الكعبة حتى يهدمها فكتب إلى الحباشي يخبره بذلك وسأله أن يبعث إليه بفيله وكان له فيل يقال له محمود وكان فيلًا لم ير مثله عظمًا وجسمًا وقوة فبعث به إليه فخرج أبرهة في الحبشة سائرًا إلى مكة وخرج معه بالفيل واثنى عشر فيلا غيره وقيل ثمانية عشر وقيل كان معه ألف فيل وقيل كان وحده فسمعت العرب بذلك فأعظموه ورواوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر عن أطاعه من قومه فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ ذاتر فقال له أيها الملك استبقني فان استبقاني خير لك من قتلي فاستبقاه فأوثقه وكان أبرهة رجلا حليما ثم سار حتى إذا دنا من بلاد خثعم خرج له نضيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ نضيل فقال نضيل أيها الملك اني دليل بأرض العرب وهاتان

يدأى على قومي بالسمع والطاعة فاستبغاه ونفخ صوته يده حتى اذا مرى بالطائف خرج اليه مسجود
ابن مغيث في رجال من ثقيف فقال أيها الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف لك انما تريد البيت
الذي بمكة نحن نبعث معك من يد لك عليه فبعثوا ابا رغال مولى لهم فنفرج حتى اذا كان بالمخمس
مات أبو رغال وهو الذي يرمي قبره وبعث ابرهة من المقع من رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن
مسعود على مقدمة خيله وأمره بالغارة على نعم الناس فجمع الاسود اليه أموال الحرم وأصاب
لعبد المطلب ما تقي بعير ثم أن ابرهة بعث بجناطة الحيرى الى أهل مكة فقال سل عن شريفهم اسم
أبلغه ما أرسلك به اليه أخبره أنى لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت فانطلق حتى دخل مكة
فلقى عبد المطلب بن هاشم فقال ان الملك أرسلنى اليك لا خبرك انه لم يأت لقتال انما جئت لاهدم
هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ماله عندنا قتال ولا لنا به يد انا سخطى بينه وبين
ما جاء اليه فان هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم عليه السلام فان يمنعه فهو يمنته وحرمه
وان يخل بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به قوة قال فانطلق معى الى الملك قال بعض العلماء انه أرفقه
على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيته حتى قدم العسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب
فأتاه فقال ياذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال ما غناء رجل أسير لا يأمن أن يقتل بكرة
أو عسبا ولكن سأبعث الى أنيس سائس القيسل فانه لى صديق فأسأله ان يصنع لك عند الملك
ما استطاع من خير ويهظم خطرك ومنزلك عنده فأوصل الى أنيس فأتاه فقال له ان هذا سيد
قريش صاحب عين مكة يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال وقد أصاب الملك له
ما تقي بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فافعه فانه صديق لى أحب ما وصل اليه من الخير فدخل
أنيس على ابرهة فقال أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عين مكة يطعم الناس فى السهل
والوحوش فى رؤس الجبال يستأذن عليك وأنا أحب أن تأذن له فيكلمك وقد جاء غيرنا صلب لك
ولا يخالف عليك فأذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسما فلما رآه ابرهة أعظمه وأكرمه
وكرما ان يجلس معه على السرير وان يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس عليه ثم دعاه فأجلسه
معه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك الى الملك فقال الترجمان ذلك فقال عبد المطلب سألنى الى
الملك ان يرزق الى ما تقي بعيرا صابها الى فقال ابرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبته حتى رأيتك ولقد
زهدت فيك قال لم قال جئت الى بيت هودينك ودين آياتك وهو شرفكم وعصمتكم لا هدمه
لم تكلمنى فيه وتكلمنى فى ما تقي بعيرا صبتها قال عبد المطلب أأرب هذه الابل والبيت رب سمنعه
قال ما كان لمنعه منى قال فانت وذاك فأمر بالبله فردت عليه وقيل عرض عليه عبد المطلب
أموال تهامة ليرجع فابى فلما ردت الابل على عبد المطلب خرج فأخبر قريشا الخبر وأمرهم ان
يتفرقوا فى الشعاب ويتوزروا فى رؤس الجبال تخوفا عليهم من معزة البلش ففعلوا وأتى عبد
المطلب الكعبة فأخذ بجملة الباب وجعل يقول

يا رب لا ارجو لهم سواكا • يا رب فافضح عنهم حاك
ان عدو البيت من عاداكا • امطهم ان يظفروا قراكا

وقال أيضا

- لاهم ان المريمي منع رحله فامنع خلاك •
- لا يغلبن صليهم • ومحالهم عدوا محالك •
- جروا جوع بلادهم • والفيل كي يسبوا عيالك •
- عدوا محالك بكيدهم • جهلا وما رقبوا بخلالك •
- ان كنت تاركهم وكنت متنافا مر ما بدالك •

ثم ترك عبد المطلب الحلاقة وتوجه في بعض تلك الوجوه مع قومه فأصبح ابرهة بالمغمس قد تهيأ للدخول وهيا بجيشه وهيا فبذل فاقبل نضيل الى القليل الا عظم ثم أخذ باذنه وقال ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلاد الله الحرام فبرك القليل فبه شوه فأبى فضر به بالمعول في رأسه فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام مهرولا فوجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فضر به الى الحرم فبرك وأبى أن يقوم وخرج عبد المطلب يشتم حتى صعد الجبل فأرسل الله تعالى عليهم ما قصه في قوله سبحانه (أَلْيَجْعَل) أي جعل بعاله من الاعسان الى العرب لاسيما قريش (صكيدهم) أي في هدم الكعبة (في تضليل) أي خسارة وهلاك (وارسل عليهم) أي خاصة من بين ما هنالك من كفار العرب (طيرا) أي طيور اسودا وقيل خضرا وقيل بيضا (أبايل) أي جماعات بكثرة متفرقة يتبع بعضها بعضا من نواحي شتى فوجافوا وزمرة زمرة امام كل فرقة منها طائر يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق وقيل أبايل كالابل المؤبلة قال الفراء لا واحد لها من لفظها وقيل واحدها ابالة وقال الكسائي كنت أسمع الصويين يقولون واحدها بول كجول وعجاجيل وقال ابن عباس كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطيور وكف ككف الكلاب وقال عكرمة لها رؤس كرؤس السباع وقال سعيد ابن جبير طير خضر لامة اقير صفرو قال قتادة طير سود (ترميم) أي الطير (بحجارة) أي عظيمة في الكثرة والفعل صغيرة في المقدار والحجم مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجله كبر من العدة وأصغر من الحصاة وعن ابن عباس انه رأى منها عند أم هانئ نحو قطير مخططة بالحجارة كالخزع الظفاري فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فقتروا فيها كوا في ككل طريق ومنهل ولما أبرهة فتساقطت أنامله كلها تسقطت أعلاه اتبعها مائة وقيل ودم فانهى الى صنعها وهو مثل فرخ الطير ومات حتى ان صدع صدره من قلبه وانفلت وفيزه ابويكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ التجاشي فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه لان تلك الحجارة كانت (من جليل) أي طين متصبر مصنوع للعذاب في موضع هو في غاية العلو ولما تسبب عن هذا الرمي هلاكهم وكان ذلك بفعل الله تعالى لانه الذي خلق الارض قطع الان مثل لا ينشأ عنه مائشأ من الهلاك قال الله تعالى (جعلهم) أي ربك المحسن اليك بالحسانه الى قومك لا يهلك بذلك (كصف ما كول) أي كورق فزع أكلته فرائته فييس وتفرقت أجزاؤه شبه قطع أوصالهم يتفرق أجزاء الروث قال مجاهد العصفور في الخططة وقال قتادة هو التبن وقال عكرمة كالحبة اذا أكل وصار أجوف لان الحجر كان يأتي في الرأس فيضرق

وقال عبد المطلب يستنق في حاشية الجبل قبل وهو الظاهر

بعله من الحرارة وشدة الوقع كلما تربه حتى يخرج من الدبر ويصير موضع تجويفه أسود لما له من
النارية وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذي يكون على حب الخنطة كهيئة الغلاف له
وروى أن الحجر كان يقع على أحدهم فيخرج كل ما في جوفه فيبقى كقشر الخنطة إذا خرجت منه
الحبة وعن عكرمة من أصابه جدره وهو أول جدرى ظهر وعن أبي سعيد الخدري أنه سئل عن
الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم واختلف في تاريخ عام الفيل فقيل كان
قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة والاكثر أن علي أنه
كان في العام الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة قالت رأيت سائس الفيل وقائده
أعميين مقعدين يستطعمان الناس وقال عبد الملك بن مروان لعناب بن أسيد أنت أكبر أم
النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أكبر مني وأنا أسن منه ولد صلى الله
عليه وسلم عام الفيل وأنا أدركت سائسه وقائده أعميين مقعدين يستطعمان الناس بل قيل
لم يكن بمكة أحد إلا رأى قائد الفيل وسائسه أعميين يتكففان الناس لأن عائشة مع صغر سنها
رأتهم ما وقال ابن اسحق لما رآه الله تعالى الحبشة عن مكة المشرفة عظمت العرب قريشا وقالوا
أهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم فكان ذلك نعمة من الله عليهم وقال بعض العلماء
كانت قصة الفيل مما نعتهم من معجزاته صلى الله عليه وسلم وإن كانت قبله لأنها كانت نو كيدا
لامره وتهددا لشأنه وقول البيضاوي تبع للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الفيل أعفاه الله أيام حياته من الخسف والمسح حديث موضوع

﴿سورة قريش﴾

في قول الجمهور ومدينة في قول الضحاك والكبي وهي أربع آيات
وسبع عشرة كلمة وثلاثة وسبعون حرفا

(بسم الله) الذي له جميع الكمال (الرحمن) ذي النعم والافضل (الرحيم) الذي خص أوليائه
بالقرب والاجلال وقوله تعالى (لا يلاف قريش) في متعلقه أوجه أحدها أنه ما في السورة قبلها
من قوله تعالى فجعلهم كعصف ما كول قال الزمخشري وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو أن
يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح إلا به وهما في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل وعن
عمر أنه قرأهما في الثانية من صلاة المغرب وقرأ في الأولى والثين اه والى هذا ذهب الاخفش
وقال الرازي المشهور أنهما سورتان ولا يلزم من التعلق الاتحاد لأن القرآن كسورة واحدة
ثانيها أنه مضمرة تقديره فعلمنا ذلك وهو ايقاعهم للإيلاف وهو الفهم لبلدهم الذي ينشأ عنه
طما ينبتهم وهيبة الناس لهم وقيل تقديره اعجبوا لللاف قريش رحله الشتاء واصيف وتركهم
عبادة رب هذا البيت ثالثها أنه متعلق بقوله تعالى فليعبدوا أمرهم أن يعبدوا لاجل إيلافهم
الرحلتين لأنهما أظهر نعمة عليهم وهذا هو الذي صدر به الزمخشري كلامه وفي هذا إشارة
إلى تمام قدرته سبحانه وأنه إذا أراد شيئا يسره سببه لأن التدبير كما له يخفف من يشاء وإن عز

ويرفع من يشاء وان ذل وقريش هم ولد النضر بن كنانة ومن ولده النضر فهو قريش ومن لم يلد له
النضر فليس بقريش قال صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من بنى اسمعيل واصطفى من بنى
كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم وأخرج الحاكم وصححه
البيهقي عن أم هانئ بنت أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فضل الله قريشا بسبع خلال
أنى منهم وأن النبوة فيهم وأن الله نصرهم على القيل وأنهم عبدوا الله عشرين لا يعبدونه غيرهم
وان الحجابة والسقاية فيهم وأن الله انزل فيهم سورة من القرآن وسماوا قريشا من القرش وهو
التكسب والجمع يقال فلان يقرش لعياله ويقترش أى يكسب وهم كانوا تجارا حرا صاعا على جمع
المال وقال أبو ريمحانة سأل معاوية عبيد الله بن عباس رضى الله عنهما لم سميت قريش قريشا
قال لدا به تكون في البحر من أعظم دوابه تعبت بالسفن ولا تطاق الا بالنار يقال لها القرش
لا تترشئ من الغث والسمين الا أكلته وهى تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلو قال وهل تعرف
العرب ذلك فى أشعارها قال نعم فأنشده شعرا لجمعي

وقريش هى التى تسكن البحر يربها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين فلا تتشرب لفيه لذى الجناحين ريشا
هكذا فى الكتاب حى قريش * يا كاون البلاد أكلا كيشا
ولهم آخر الزمان نبى * يكثر القتل منهم واوالجوشا

وقيل هو من تقرش الزجل اذا تنزه عن مدانس الامور ومن تقارشت الرماح فى الحرب
اذا دخل بعضها فى بعض وقوله تعالى (الافهم) بدل من الايلاف الاول وقرا ابن عامر
لالاف بغير ياء بعد الهمزة والباقون لا يلاف ياء بعدها وأجمع الكل على اثبات الياء فى الثانى
وهو ايلافهم بالياء بعد الهمزة قال ابن عادل ومن غريب ما اتفق فى هذين الحرفين ان القراء
اختلفوا فى سقوط الياء وثبوتها فى الاول مع اتفاق المصاحف على اثباتها خطأ واتفقوا على
اثبات الياء فى الثانى مع اتفاق المصاحف على سقوطها منها خطأ وهذا أدل دليل على ان القراء
متبعون الاثر والرواية لا مجرد الخط وقوله تعالى (رحلة الشتاء) منصوب بايلافهم مفعول به
كما نصب يتيماء بطعام وهى التى يرحلون فيها فى زمنه الى اليمن لانها بلاد حارة ينالون منها متاجر
الحبوب (والصيف) التى يرحلون فيها الى الشام فى زمنه لانها بلاد باردة ينالون فيها منافع الثمار
وهم آمنون من سائر العرب لاجل عزهم بالحرم المعظم وبيت الله والناس يخطقون من حولهم
ولا يجترئ أحد على عابهم والايلاف من قولك ألفت المسكان أولفه ايلافا اذا بلقته فأنا مؤلف
والاصل رحلتى الشتاء والصيف ولكنه أفرد ليشمل كل رحلة كما هو شأن المصادر وأسماء
الاجناس وفى ذلك اشارة الى أنهم يتمكنون من الرحلة الى أى بلاد أرادوا لشمول الامن
لهم قال مالك الشتاء نصف السنة والصيف نصفها وقال قوم الزمان أربعة اقسام شتاء
وربيع وصيف وخريف وقبل شتاء وصيف وقيظ وخريف قال القرطبي والذي قاله
مالك أصح لأن الله تعالى قسم الزمان قسمين ولم يجعل لهما ثالثا وروى عن كريمة عن ابن

عباس رضى الله عنه ما أنهم كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف وقال آخرون كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة إحداهما في الشتاء إلى اليمن لأنهم أدفأ. والآخرى في الصيف إلى الشام وكان الحرم وأديابا جدا بالأزرع فيه ولا ضرع وكانت قريش تعيش بتجارهم ورحلتهم ولولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الأمن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف وأول من سن لهم الرحلة هاشم بن عبد مناف وكانوا يقسمون ربحهم بين الغنى والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم وفي ذلك يقول الشاعر

قل للذي طلب السحاحة والندى * هلا مررت بآل عبد مناف
هلا مررت بهم تريد قراهم * منعول من ضر ومن اتلاف
الرائشين وليس يوجد رائش * والقائلين هلم للأضياف
والخالطين فقيرهم بغنيهم * حتى يكون فقيرهم كالكافي
والقائلين بكل وعد صادق * والراجلين برحلة الأيلاف
عمر والعلاهشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون بحاف
سفرين سنهم ماله ولقومه * سفر الشتاء ورحلة الأضياف

وتبع هاشم على ذلك أخوته فكان هاشم يؤلف إلى الشام وعبد شمس إلى الحبشة والمطلب إلى اليمن ونوفل إلى فارس وكان تجار قريش يحتلقون إلى هذه الأمصار يجاء هذه الأخوة أي بعدهم التي أخذوها بالأمان لهم من ملك كل ناحية من هذه النواحي. ولما كان هذا التدبير لهم من الله تعالى كافيا لهم وموهم الظاهرة بالغنى والباطنة بالأمن وكان شكر المنعم واجبا حال تعالى (فليعبدوا) أي قريش على سبيل الوجوب شكر على هذه النعمة خاصة أن لم يشكروه على جميع نعمه التي لا تحصى لأنهم يدعون أنهم أشكر الناس للأحسن وأبعدهم عن الكفران (رب هذا البيت) أي الموجد له والمحسن إلى أهله بحفظه من كل طاغ وبإزالة الجبابرة له ليكمل إحسانه إليهم وعطفه عليهم. بما كمال اعزازه لهم في الدنيا والآخرة والمراد به الكعبة عبر عنها بالإشارة تعظيم الشأن. ثم وصف نفسه الأقدس بما هو غرة الرحلين وظهر لزيادة شرف البيت بقوله تعالى (الذي أعلمهمهم) أي قريش بما جعل الميرة إلى مكة بالرحلتين أطعما مبتدأ (من جوع) أي عظيم فيه غيرهم من العرب أو كانوا هم فيه قبل ذلك لأن بلدهم ليس بذى زرع فهم عرضة للفقر الذي ينشأ عنه الجوع فكفاهم ذلك وحده ولم يشركه أحد في كفايتهم فليس من الشكر أشرا كهم غيره معه في عبادته ولا من البر بأبيهم إبراهيم عليه السلام الذي دعا لهم بالرزق بقوله عليه السلام وارضقهم من الثمرات ونهى أشد النهي عن عبادة الأصنام ولم يقل أشبعهم لأنه ليس كلهم كان يشبع ولأن من كان يشبع منهم طالب لا تثرعما هو عنده ولا يعلل جوف ابن آدم إلا التراب (وآمنهم) أي تخصيصهم (من خوف) أي شديد جدا من أصحاب القبيل الذين أرادوا خراب البيت الذي به نظامهم وما ينال من حولهم من التخطف بالقتل والنهب والمخازاة ومن الجذام بدعوة أبيهم إبراهيم عليه السلام

ومن الطاهون والدخان بتأمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن زيد كانت العرب يغير بعضها على بعض ويسبي بعضهم بعضاً فأمنت قريش ذلك لمكان الحرم وقيل شق عليهم السفر في الشتاء والصيف فألقى الله تعالى في قلوب الحبشة أن يحملوا اليهم طعاماً في السفن فحملوا فخافت قريش منهم وظنوا أنهم قد قدموا الحربهم فخرجوا اليهم فخرجوا فإذ هم قد جلبوا اليهم الطعام وأعانوهم بالاقوات فكان أهل مكة يخرجون إلى جدة بالابل والحرف يشتررون الطعام على مسيرة ليلتين وقيل إن قريشاً لما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف فاشتد القحط فقالوا يا محمد ادع الله لنا فإنا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخصبت تباله وبرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام إلى مكة وأخصب أهلها وقال الضمك والريبع في قوله تعالى وآمنهم من خوف أي من خوف الحبشة وقال علي وآمنهم من خوف أن تكون الخلافة الأفيهم قال الزمخشري ومن يدع التقاسير وآمنهم من خوف أن تكون الخلافة في غيرهم اهـ لكن إن ثبت ذلك عن علي كرم الله وجهه فليس كما قال وقيل كفاهم أخذ الأيلاف من الملوك وقول البيضاوي تعالى لم يخشى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تيلاف قريش أعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها حديث موضوع

(سورة الدين وتسمى سورة الماعون مكية)

في قول عطاء وجابر وأحد قولي ابن عباس رضي الله عنهما ومدينة في قول له آخر وهو قول قتادة وغيره وهي سبع آيات وخمس وعشرون كلمة ومائة وثلاثة وعشرون حرفاً

(بسم الله) الذي له كل كمال (الرحمن) الذي عم جميع عبادته بالنوال (الرحيم) الذي خص أوليائه بتعمة الافضال وقوله تعالى (أرأيت) استفهام معناه التعجب وقرأنا قع بتشهيل الهمزة بعد الراء ولورش أيضاً بدالها ألفاً وأسقطها الكسائي قال الزمخشري وليس بالاختيار لأن حذفها يختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت ولكن الذي سهل من أمرها وقوع حرف الاستفهام في أول الكلام وضوء

صاح هل ريت أو سمعت براع • رد في الضرع ما قرى في الحلاب

ونخضها الباقون والمعنى أو أيت (الذي يكذب) أي يوقع التكذيب لمن يخبره كما تنام من كان (بالدين) أي بالجزاء والحساب أي هل عرفته أم لم تعرفه (فذلك) بتقدير هو بعد اللقاء أي البغيض البعيد المبعد من كل خير (الذي يدع) أي يدفع دفعاً عظيماً بغاية القسوة (التييم) ولا يثبت على أكرامه لأن الله تعالى نزح الرحمة من قلبه ولا ينزعها إلا من شق لأنه لا حامل على الإحسان إليه إلا الخوض من الله تعالى فكان التكذيب مجزأً تسميياً للغلظة عليه وقال قتادة يقهره ويظلمه فانهم كانوا لا يؤمنون النساء ولا المخار ويقولون انما يحوز المال من يطقن بالسنان ويظرب بالحسام وقال صلى الله عليه وسلم من ظلم يظلم من ظلم يظلم من ظلم يظلم فقد وجبت له

الجنة واختلف في نزل ذلك فيه فقال مقاتل في العاصي بن وائل السهمي وقال السدي
 في الوليد بن المغيرة وقال الضمالي في عمرو بن عابد الخزومي وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله
 عنهم ما في رجل من المنافقين وقيل في أبي جهل (ولا يحض) أي يحض نفسه ولا غيره (على طعام
 المسكين) أي بذله وطعامه إياه بل يحضه ولا يكرمه ولا يرجه وقد تضمن هذا أن علامة
 التكذيب بالبعث إذا الضعيف والتهاون بالمعروف ولما كان هذا حاله مع الخلائق أتبعه
 حاله مع الله تعالى بقوله تعالى (فويل) أي عذاب أو واد في جهنم (للمصلين الذين هم) أي بضمائيرهم
 وخالص سرائرهم (عن صلاتهم) التي هي جدرة بأن تضاف إليهم لوجوبها عليهم وإيجابها لأجل
 مصالحهم ومنافعهم بالتزكية وغيرها (سأهون) أي عريقون في القفلة عنها وتضييعها وعدم
 المبالاة بها وقلة الالتفات إليها وروى البغوي بسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن
 هذه الآية فقال هو إضاعة الوقت وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال هم المنافقون
 يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس ويصلونها في العلانية مع الناس إذا حضروا والقوله تعالى
 (الذين هم) أي بجملة سرائرهم (يرأون) أي بصلاتهم وغيرها الناس لأنهم يفعلون الخير ليراهم
 الناس لا لرباء الثواب ولا لخوف العقاب من الله تعالى ولذلك يتركون الصلاة إذا غابوا عن
 الناس وقال إبراهيم هو الذي يلتفت في صلاته وقال قطرب هو الذي لا يقرأ ولا يذكر الله تعالى
 وقال ابن عباس رضي الله عنهما لم يقل في صلاتهم سأهون أصكأت في المؤمنين وقال عطاء
 الحمد لله الذي قال تعالى عن صلاتهم سأهون ولم يقل في صلاتهم فدل على أن الآية في المنافقين
 وقال قتادة سأهون أي لا يصلي أم لم يصل وقال مجاهد غافلون عنها متهاونون بها وقال الحسن
 هو الذي إن صلاها صلاها رياء وإن فاتته لم يندم وقيل هم الذين يسهون عنها قلة مبالاة بها حتى
 تفوتهم أو يخرج وقتها أو لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف ولكن
 يتقرونها تقرا من غير خشوع ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللعبة والنياب وكثرة التثاؤب
 والالتفات لا يدرى الواحد منهم عن كم أنصرف ولا ما قرأ من السورة وكما ترى صلاة أكثر من
 ترى من الذين عادتهم الرياء بأعمالهم ومنع حقوق أموالهم والمعنى إن هؤلاء أحق أن يكون
 سهوهم عن الصلاة التي هي عماد الدين والفارق بين الإيمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من
 الشرك ومنع الزكاة التي هي شقيقة الصلاة وقنطرة الإسلام علما على أنهم مكذبون بالدين وكما ترى
 من المتسمين بالإسلام بل بالعلم من هو منهم على هذه الصفة في أمصيتاء (فان قيل) كيف جعل
 المصلين قائما مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد (أجيب) بأن معناه الجمع لأن المراد به الجنس
 (فان قيل) أي فرق بين قوله تعالى عن صلاتهم وقولك في صلاتهم (أجيب) بأن معني عن
 أنهم سأهون عنها سهو ترك وقلة الالتفات إليها وذلك فعل المنافقين أو الفسقة الشياطين من
 المسلمين ومعنى في أن السهو يعترهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه
 مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاة فاضلا عن غيره ومن ثم أثبت
 الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم وعن أنس الحمد لله على أن لم يقل في صلاتهم وقد مررت

الإشارة إلى بعض ذلك (فان قيل) ما معنى المراءة (أجيب) بأنها مفاعلة من الأراءة لان المرائى يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائياً باظهار العمل الصالح ان كان فريضة فمن حق الفرائض الاعلان بها وتشهيرها لقوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله لانها اعلام الاسلام وشعائر الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اناطة المهمة بالاظهار وان كان قطوعاً فحقه أن يخفى لانه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان أظهره قاصداً للاقتداء به كان جيلاً وانما الرياء أن يقصد بالاظهار أن تراه الاعين فتنتفى عليه بالصالح وعن بعضهم انه رأى رجلاً في المسجد قد سجد سجدة الشكر وأطالها فقال ما أحسن هذا لو كان في بيتك وانما قال هذا لانه توسم فيه الرياء والسمعة على أن اجتناب الرياء صعب الاعلى المرتاضين بالاخلاص ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم الرياء أخفى من ديب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الأسود ثم بين أن من هو بهذه الصفة يغلب عليه الشح بقوله تعالى (ويمنعون) أى على تجدد الاوقات (الماعون) أى حقوق الاموال والشيء اليسير من المنافع وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه الماعون الفأس والدلو والقدر وأشباه ذلك وهى رواية عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال مجاهد الماعون أعلاها الزكاة المقروضة وأدناها عارية المتاع وعن علي أنها الزكاة وقال محمد بن كعب والكلبي الماعون المعروف كله الذى يعاطاء الناس فيما بينهم وقال قطرب أصل الماعون من القلة تقول العرب ماله سعة ولا معة أى شئ قليل فسمى الزكاة والصدقة والماعون ماعوناً لانه قليل من كثير وقيل الماعون ما لا يصل منه مثل الماء والملح والنفار وقول البيضاوى تبعاً للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة أرايت غفرله ان كان للزكاة مؤتياً حديث موضوع

(سورة الكوثر وتسمى سورة الترمكية)

في قول ابن عباس رضى الله عنهما والكلبي ومقاتل ومدينة في قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقادة وهى ثلاث آيات وعشر كلمات واثنان وأربعون حرفاً

(بسم الله) الذى لا حد لفائض فضله (الرحمن) الذى شمل الخلائق بجوده فلا راد لأمره (الرحيم) الذى خص حزبه بالاعتصام بهجبه وقوله تعالى (انا) أى بما لنا من العظمة (أعطيناك) أى خولنا لسمع التمكين العظيم يا أشرف الخلق (الكوثر) أى نهر فى الجنة هو حوضه صلى الله عليه وسلم ترد عليه أمته لما روى عن أنس أنه قال يخبرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا اذ غفا اغتامة ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال أنزل على آتفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر الى آخرها ثم قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي خير كثير هو حوض ترد عليه أمي يوم القيامة آتفته عدد النجوم فيصلي العبد منهم فأقول رب انى من أتى فيقول ما تدرى ما أحدث بعدك وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر فى الجنة حاقناه من ذهب ومجراه على الدر

والياقوت تزيته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فإذا أنا بنهر يجري يياضه يياض اللبن وأحلى من العسل وحاقت به خيام الدر فضربت بيدي فإذا الترى مسكاً أذفر فقلت لجبريل ما هذا قال الكوثر أعطاك الله تعالى وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكميزاته كحبوم السماء من شرب منها لا ينظم أبداً وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض وليرفعن إلى رجال منكم حتى إذا أهويت اليهم لاناواهم اختلطوا دوني فأقول أي رب أصحابي فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك وعن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن عرضه فقال من مقامى إلى عمان وسئل عن شرابه فقال أشد يياض من اللبن وأحلى من العسل فيه ميزان يمتدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد على يوم القيامة رهطان من أصحابي أو قال من أمتي فيحلون عن الحوض فأقول أي رب أصحابي فيقول انه لا علم لك بما أحدثوا بعدك انهم ارتدوا على أديارهم القهقري ولمسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ترد على أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل ابل الرجل عن ابله قالوا يا نبي الله تعرفنا قال نعم لكم سيمالست لا أحد غيركم تردون على غزاة مجملين من آثاء الوضوء وليصدقن عنى طائفة منكم فلا يصلون فأقول يا رب هؤلاء من أصحابي فيصيني فيقول وهل تدري ما أحدثوا بعدك وأحاديث الحوض كثيرة وفيما ذكرناه كفاية لا رى الباب فنسأل الله تعالى أن يروينا منه نحن وأحبائنا ويدخلنا وإياهم الجنة بغير حساب قال الثباني عياض أحاديث الحوض صحيحة والإيمان به فرض والتصديق به من الإيمان وقال ابن عادل وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه وحديثه متواتر النقل ورواه ثلاثون من الصحابة اهـ وقيل الكوثر القرآن العظيم وقيل هو النبوة والكتاب والحكمة وقيل هو كثرة أتباعه وقيل الكوثر الخير الكثير الذى أعطاه الله تعالى إياه وعن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى الله عنهما الكوثر الخير الكثير قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبيرة أن ناساً يزعمون أن الكوثر نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذى في الجنة من الخير الكثير الذى أعطاه الله تعالى إياه وأصل الكوثر فوعلى من الكثرة والعرب تسمى كل شئ كثيراً في العدد أو كثيراً القدر والخطر كوزن اقليل لا عراية رجع إليها من السفر أبى بنك قالت أبى بكور وقال الشاعر

وأنت كثير يا ابن مروان طيب * وكان أبوك ابن العقائل كوزا

وقيل الكوثر الفضائل الكثيرة التى فضلها على جميع الخلائق (تنبيه) • لا منافاة بين هذه الأقوال كلها فقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم النبوة والحكمة والعلم والشجاعة والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة الاتباع وأظهره على الأديان كلها والنصر على الأعداء وكثرة المفتوح فى زمنه وبعده إلى يوم القيامة وأولى الأفاضل فى الكوثر وهو الذى

عليه به ورا العلماء انه نهر في الجنة و لما كمل له سبحانه من النعم ما لا ياتي عليه حصره لا يناسب
أذناه نعم الدنيا بجميعها سبب عنه قوله تعالى أمر اجمعها و جامع لمجامع الشكر (فصل) أي بقطع
العلائق عن الخلائق بالوقوف بين يدي الله تعالى في حضرة المراقبة شكر الاحسان المنعم خلافا
للساهي عنها والمراق فيهما (لربك) أي المحسن اليك بأنواع النعم من انعام من شئت فلا سبيل لاحد
عليك (واضر) أي أنفق له الكوثر من المال على الماويج خلافا لمن يدعهم ويمنعهم الماعون
والنهر أفضل نفقات العرب لأن الجزور الواحد ينفق مائة مسكين وإذا أطلق العرب المال
انصرف الى الابل وقال محمد بن كعب ان ناسا كانوا يصلون لغير الله تعالى وينصرفون لغير الله فأمر
الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يصلي وينصرف لله عز وجل وقال عكرمة وعطاء وقتادة
فصل لربك صلاة العبد يوم النهر والنهر نسكت واقتصر على هذا الجلال المحلى وقال سعيد بن
جبير ومجاهد فصل الصلاة المفروضة بجمع أي من دلعة والنهر البدن يعني وعن ابن عباس رضي
الله عنهما وضع اليدين على الشمال في الصلاة عند النهرو عن علي أن معناه أن يرفع يديه في التكبير
الى نهره وقال الكلبي استقبل القبلة بنهره وعن عطاء أمره أن يستوي بين السجدين
جالسا حتى يبد ونهره (ان شئتك) أي بجفك والشافي المدغض يقال شناه يشنؤه أي أبغضه
(هو الاثر) أي المنقطع عن كل خير وأما أنت فقد أعطيت ما لا غاية لكثرة من خير الدارين
الذي لم يعطه أحد غيرك فعطى ذلك كله هو الله رب العالمين فاجتهدت لك العطيتان السئتان
اصابة أشرف عطاء وأوفره من أكرم معط وأعظم منعم أو المنقطع العقب لأن كل من يولد
الى يوم القيامة من المؤمنين فهم أعقابك وأولادك وذلك من فروع على المنابر والمنائر وعلى لسان
كل عالم وذاكر الى آخر الدهر يبدأ بذكر الله تعالى ويثني بذكره وذلك في الآخرة ما لا يدخل تحت
الوصف فذلك لا يقال له أبترا عما لا يترهوشا تذك المسى في الدنيا والآخرة وقال الرازي هذه
السورة كالمقابلة التي قبلها فانه ذكر في الاولى البخل وترك الصلاة والرياء ومنع الماعون
وذكر ههنا في مقابلة البخل انا أعطيناك الكوثر وفي مقابلة الصلاة فصل أي دم على الصلاة
وفي مقابلة الرياء لربك أي لرضاء خالصا وفي مقابلة منع الماعون والنهر أي تصدق بلم الاضاحي
ثم ختم السورة بقوله تعالى ان شئتك هو الاثر أي ان المشايق الذي أتى بتلك الافعال القبيحة
سيموت ولا يبقى له أثر وأما أنت فيبقى لك في الدنيا الذكر الجليل وفي الآخرة الثواب الجزيل
واختلف المفسرون في الثاني فقيل هو العاص بن وائل وكانت العرب تسمى من كان له بنون
وبنات ثم مات البنون وبقي البنات أبترة فقيل ان العاص وقف مع النبي صلى الله عليه وسلم بكلمه
فقال له جمع من صناديد قريش مع من كنت واقفا فقال مع ذلك الا بتره وكان قد توفي قبل ذلك
عبد الله ابن النبي صلى الله عليه وسلم فترلت الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان أهل
البحاينة اذا مات ابن الرجل قالوا بتر فلان فلما توفي عبد الله ابن النبي صلى الله عليه وسلم خرج
أبو جهل الى أصحابه فقال بتر محمد فترلت وقال السدي ان قريشا كانوا يقولون لمن مات ذكر
ولده قد بتر فلان فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم بمكة و ابراهيم بالمدينة قالوا بتر محمد

فليس له من يقوم بأمره من بعده فنزلت وقيل لما أوحى الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وسلم دعا قريشا إلى الإيمان قالوا ابرمنا محمد أي خالفنا وانقطع عنا فنزلت (تنبيه) قال أهل العلم قد احتوت هذه السورة على قصرها على معان بليغة وأساليب بدیعة منها دلالة استهلال السورة على أنه تعالى أعطاه كثيرا من كثير ومنها السناد الفعل إلى المتكلم المعظم نفسه ومنها إرادته بصيغة الماضي تحقيقا لوقوعه كفا في قوله تعالى أفي أمر الله ومنها تأكيد الجملة بأن ومنها بناء الفعل على الاسم ليفيد الاسناد مرتين ومنها الاتيان بصيغة تدل على مبالغة الكثرة ومنها حذف الموصوف بالكثرة لأن في حذفه من قرط الشياخ والابهام ما ليس في اثباته ومنها تعريفه بأل الجنة الدالة على الاستغراق ومنها فاء التعقيب الدالة على السبب فان الانعام سبب للشكر والعبادة ومنها التعريض بمن كانت صلواته ونحوه لغير الله تعالى ومنها ان الامر بالصلاة اشارة الى الاعمال الدينية التي الصلاة قوامها وأفضلها والامر بالنصر اشارة الى الاعمال البدنية التي النصر أسناها ومنها حذف متعلق اخر اذا التقدير فصل لربك وانحرله ومنها مراعاة السجع فانه من صناعة البديع العاري عن التكلف ومنها قوله تعالى لربك في الاتيان بهذه الصفة دون سائر صفاته الحسنى دلالة على أنه المربي له والمصلح بنعمه فلا يلتمس كل خير الا منه ومنها الالتفات من ضمير المتكلم الى الغائب في قوله تعالى لربك ومنها الامر بترك الاهتمام بشأنه للاستئناف وجعله خاتمة للاعراض عن الشان وللمسمه ليشمل كل من اتصف بهذه الصفة القبيحة ولو كان المراد تخصيصا معينا لعينه الله تعالى ومنها التنبيه بذكر هذه الصفة القبيحة على أنه لم يتصف الا بمجرد قيام الصفة به من غير أن تؤثر فيه يشنؤه شيئا البتة لأن من يشنأ شخصا قد يؤثر فيه شنؤه شيئا ومنها تأكيد كيد الجملة بأن المؤذنة يتأ كيد الخبر ولذلك يتلقى بها القسم وتقدير القسم يصلح هنا ومنها الاتيان بضمير الفصل المؤذن بالاختصاص والتأ كيدان جعلنا هو فصلا وان جعلنا مبتدأ فكذلك يفيد التأ كيد اذ يصير الاسناد مرتين ومنها تعريف الا بتر بال المؤذنة بالخصوصية بهذه الصفة كانه قيل الكامل في هذه الصفة ومنها اقباله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بالخطاب من أول السورة الى آخرها وقول البيضاوي تبعنا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاها الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعد كل قرآن قرأه العباد في يوم النحر أو يقربونه حديث موضوع

(سورة الكافرون مكية)

في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة ومدينة في أحد قول ابن عباس وقتادة والغضال ونسفي أيضا سورة المعابدة والاخلاص لانها في اخلاص العبادة والدين كما أن قل هو الله أحد في اخلاص التوحيد واجتماع النفاق فيهما محال لمن اعتقدهما وعمل بهما ويقال لها وسورة الاخلاص المقشقشتان أي المبرتان من النفاق قال الشاعر
أعيذك بالمقشقشتين مما أحاذره ومن نظر العيون

وهي ست آيات وستة وعشرون كلمة وأربعة وسبعون حرفاً

(بسم الله) الذي لا يستطيع أحد أن يقدره حق قدره (الرحمن) الذي عم برحمته من أوجب عليهم شكره (الرحيم) الذي وفق أهل وده فالتزموا نبيه وأمره وقوله تعالى (قل) أي يا أشرف المخلوق (يا أيها الكافرون) إلى آخر السورة نزل في رهط من قريش منهم الحرث بن قيس السهمي والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب بن أسد وأممية ابن خلف قالوا يا محمد لم فاتبع ديننا وتبع دينك ونشركك في أمرنا كله تعبد آلهم تناسنة ونعبد الهك سنة فإن كان الذي جئت به خيراً لك فقد شركك فيه وأخذنا حظاً منه وإن كان الذي بأيدينا خيراً كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بخطك منه فقال معاذ الله أن نشرك به غيره قالوا فاستلم بعض آلهم تناسدك ونعبد الهك قال حتى انظر ما يأتي إلى من ربي فأنزل الله تعالى هذه السورة فقدا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الحرام وفيه الملا من قريش فقام على رؤسهم ثم قرأ عليهم ثم حتى فرغ من السورة فأيسوا منه عند ذلك وأذوه وأصحابه وفي مناداتهم بهذا الوصف الذي يستدلونه في بلدهم ومحل عزهم وحببتهم أيدان بأنه محروس منهم علم من أعلام النبوة (فان قيل) ما الحكمة في قوله تعالى في التحريم يا أيها الذين كفروا وهنأ قل يا أيها الكافرون (أجيب) بأن في سورة التحريم انما يقال لهم يوم القيامة ونم لا يكون رسولاً إليهم فأزال الوساطة فيكونون في ذلك الوقت مطيعين لا كافرين فلذلك ذكره تعالى باقظ الماضي وأما هنا فكانوا موصوفين بالكفر وكان الرسول رسولاً إليهم فقال تعالى قل يا أيها الكافرون أي الذي قد حكم بنبأتهم على الكفر فلا تنفك آلهم عنه فستروا ما تدل عليه عقولهم من الاعتقاد الحق لو جردوها من ادناس الخط وهم كفره مخصوصون وهم من حكم بعبوته على الكفر بما طابقه من الواقع ودل عليه التعبير بالوصف دون الفعل واستغرق الاسم كل من كان على هذا الوصف في كل مكان وكل زمان والتعبير بالجمع الذي هو أصل في القلة وقد يستعار للكثرة إشارة إلى البشارة بقوله المطبوع على قلبه من العرب الخطاطبين بهذا في حياته صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى له قل يا أيها الكافرون لانه صلى الله عليه وسلم كان مأموراً بالرفق واللين في جميع الأمور كما قال تعالى ولو كنت قفاً غليظ القلب لاتفضوا من حولك وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم وقال تعالى بالمومنين رؤوف رحيم ثم كان مأموراً بأن يدعوهم إلى الله تعالى بالوجه الحسن فلذا خاطبهم بيا أيها فكانوا يقولون كيف يليق هذا التغليظ بذلك الرفق فأجاب بأن مأمور بهذا الكلام لا أني ذكرته من عند نفسي ولما كان القصد اعلامهم بالبراءة منهم من كل وجه وأنه لا يسألهم بوجه لانه محفوظ منهم قال (لا أعبد) أي الآن (ما تعبدون) من دون الله من المعبودات الظاهرة والباطنة بوجه من وجوه العبادات في سر ولا علن لانه لا يصلح للعبادة بوجه (ولا أنتم عابدون) أي الآن (ما أعبد) وهو الله تعالى وحده (ولا أنا عابد) أي في الاستقبال (ما عبدتم) من دون الله تعالى (ولا أنتم عابدون) أي في الاستقبال (هو الله وحده لا شريك له وهذا خطاب لمن علم الله تعالى

منهم أنهم لا يؤمنون وإطلاق ما على الله تعالى على جهة المقابلة وبهذا زال التكرار ووجه التكرار كما قال أكثر أهل المعاني هو أن القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجازى خطابهم ومن مذاهم التكرار لا إرادة التأكييد والافهام كما أن من مذاهم الاختصار لا إرادة التخصيف ولا يجازف القائل بالتأكييد بقوله تعالى ولا أنا عبد ما عبدتم تأكييد لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد تأنيباً تأكييداً لقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد ومثله فبأي آلاء ربكم تكذبان وويل يومئذ للمكذبين في سورتيهما وكلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وفي الحديث فلا إذن ثم لا إذن انما فاطمة بضعة مني وفائدة التأكييد هنا قطع أطماع الكفار وتحقيق الأخبار وهو أقامتهم على الكفر وأنهم لا يسلمون أبداً وعلى الأول قد تقدمت كل جملة بزمان غير الزمان الآخر قال ابن عادل وفيه نظر كيف يقيد رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي عبادته لما يعبدون بزمان وهذا مما لا يصح اهـ وقد رده هذا بأنه صلى الله عليه وسلم نبي في الجملة الأولى الحال وفي الثانية الاستقبال وقول البيضاوي فإن لا تدخل الأعلى مضارع بمعنى الاستقبال كما أن ما لا تدخل الأعلى المضارع بمعنى الحال جرى على الغالب فيهما ولما أيس منهم صلى الله عليه وسلم قال (لكم دينكم) أي الذي أنتم عليه من الشرك (ولي دين) أي الذي أنا عليه من التوحيد وودين الإسلام وفي هذا معنى التهديد كقوله تعالى لنساء الناول لكم أعمالكم أي أن رضيتم بدينكم فقد رضينا بديننا وهذا كما قال الجلال الهلي قبل أن يؤمر بالحرب وقيل السورة كلها منسوخة وقيل ما نسخ منها شيء لأنها خبر ومعنى لكم دينكم أي جزاء دينكم ولي دين أي جزاء ديني وهي دينهم ديننا لأنهم اعتقدوه وقيل المعنى لكم جزاؤكم ولي جزائي لأن الدين الجزاء وحذفت ياء الإضافة من دين للتبعية وقفاً ووصلاً وقرأ نافع وهشام وحفص والبرقي بخلاف عنه بفتح الياء والباقيون بأسكانها * (فائدة) * قال الرازي جرت العادة بأن الناس يتشكون بهذه الآية عند المشاركة وذلك غير جائز لأنه تعالى ما أنزل القرآن ليقتل به بل ليندبر فيه فيعمل بموجبه وقول البيضاوي تعالى لنخشي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرين فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت منه حرمة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافي من القزع الأكبر حديث موضوع إلا الجملة الأولى منه فرواها الترمذي

(سورة النصر مدنية)

بالإجماع وتسمى سورة التوديع وهي ثلاث آيات وستة عشرة كلمة وتسعة وسبعون حرفاً

(بسم الله) الذي له الأمر كله فهو العليم الحكيم (الرحمن) الذي أرسلك رحمة من الله العلي العظيم (الرحيم) الذي خص أهل وقته بفعله العظيم وقوله تعالى (إذا) منصوب بـ (بجاء نصر الله) أي الملك الأعظم الذي لا مثله ولا أمر لا يحصى معه باظهاره إياك على أعدائك ومعنى جاء استقر وثبت في المستقبل بمعنى وقته المضروب له في الأزل وزاد في تعظيمه بالإضافة ثم يكون منها

الى اسم الذات وقرأ حجة وابن ذكوان بامالة الالف بعد الجيم محضة والباقون بالفتح والاعلام به قبل كونه من اعلام النبوة وروى أنه سارت في أيام التشريق يعني في حجة الوداع (والفتح) أي فتح مكة وهو الفتح الذي يقال له فتح الفتوح وقصته مشهورة في البغوى وغيره فلا تطيل بذكرها وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطواف العرب وأقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن وحسين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا أهل مكة ماترون انى فاعل بكم قالوا اخيرا أخ كريم وابن أخ كريم ثم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فأعاقبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الله تعالى قد أمكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيا فلذلك سمي أهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام في دين الله تعالى في ملة الاسلام التي لا دين له يضاف اليه غيرها ومن يتبع غير الاسلام ديننا قلن يقبل منه وقيل المراد جنس نصر الله تعالى المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم (فان قيل) ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه (أجيب) بأن النصر الاعانة والاطهار على العدو ومنه نصر الله تعالى الارض أعانها قال الشاعر

اذا انتـ الخـ الشهر الحرام فودعى * بلاد تميم وانصرى آل عامر

ويروى اذا دخل الشهر الحرام فجاوزى * بلاد تميم وانصرى أرض عامر

والفتح فتح البلاد وقال الرازى الفرق بين النصر والفتح أن الفتح هو الاعانة على تحصيل المطالب الذى كان متعلقا به والنصر كالسبب للفتح فلهذا بدأ بذكر النصر وعطف الفتح عليه (فان قيل) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان دائماً منصوراً بالدلائل والمعجزات فما المعنى بتخصيص لفظ النصر بفتح مكة (أجيب) بأن المراد من هذا النصر هو النصر الموافق للطبيع (فان قيل) النصر لا يكون الا من الله تعالى قال الله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم فما فائدة التقييد بنصر الله (أجيب) بأن معناه نصر لا يليق الا بالله تعالى كما يقال هذا صنعة زيد اذا كان مشهوراً باحكام الصنعة والمقصود منه تعظيم حال تلك الصنعة فكذا ههنا (فان قيل) الذين أعانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة هم أصحابه من المهاجرين والانصار ثم انه تعالى سمي نصرتهم لرسوله صلى الله عليه وسلم نصر الله فما السبب في ذلك (أجيب) بأن النصر وان كان على يد الصحابة لكن لا بد له من داع وباعث وهو من الله تعالى (فان قيل) فعلى هذا الجواب يكون فعل العبد مقدماً على فعل الله تعالى وهذا بخلاف النصر لانه تعالى قال ان تنصروا الله ينصركم فجعل نصره مقدماً على نصره لنا (أجيب) بأنه لا امتناع في أن يكون فعل الله سبباً لفعل آخر يصدر عن الله تعالى فان أسباب الحوادث ومسبباتها على ترتيب عجيب تعجز عن ادراكه العقول البشرية * ولما عبر عن المعنى بالجنى عبر عن المرقى بالرؤية فقال تعالى (ورأيت) أى يصيرك (الناس) أى العرب الذين كانوا حقيرين عند جميع الامم فصاروا بك هم الناس كما دلت عليه لام

الكمال وصار سائر أهل الأرض لهم اتباعا وبالنسبة اليهم وعاما حال كونهم (يدخلون) شيئا
فشيئا متجسدا دخولهم مستقرا (في دين الله) أي شرع من لم نزل كلمته هي العليا (أفواجا) أي
جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعدما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين
اثنين وعن جابر بن عبد الله أنه بكى ذات يوم فقبل له في ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول دخل الناس في دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا وقال عكرمة ومقاتل أراد
بالناس أهل اليمن وذلك أنه ورد من اليمن سبعة مائة انسان مؤمنين طائعين بعضهم يؤذنون
وبعضهم يقرؤون القرآن وبعضهم يهللون فسر النبي صلى الله عليه وسلم لم بذلك قال أبو هريرة
لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن قوم
رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفتح يمان والحكمة يمانية وقال أجد نفس ربكم من قبل اليمن
وفي هذا تأويلات أحدها انه الفرج لتتابع اسلامهم أفواجا الثاني ان الله تعالى نفس
الكرب من نبيه صلى الله عليه وسلم بأهل اليمن وهم الانصار وعن الحسن لما فتح رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا أما اذ ظفر بأهل الحرم فليس
به يدان وقد كان الله أجارهم من أصحاب القيل ومن كل من أرادهم فكانوا يدخلون
في الاسلام أفواجا من غير قتال أمة بعد أمة قال النخعي والامة أربعون رجلا * (تنبيه) *
دين الله تعالى هو الاسلام لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقال تعالى ومن يتبع غير
الاسلام ديننا فلن يقبل منه وازافة الدين الى الاسم الدال على الالهية اشارة الى أنه يجب ان
يعبد لكونه الها وللذين اسماء أخر منها الصراط قال تعالى صراط الله ومنها النور يريدون
ليطفوا نور الله ومنها الهدى قال تعالى هدى الله يهدي به من يشاء ومنها العروة الوثقى قال
تعالى ومن يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ومنها الجبل المتين قال تعالى واعتصموا
بجبل الله ومنها صبغة الله ومنها فطرة الله * (تنبيه) * جهوور الفقهاء وأكثر المتكلمين على أن
ايمان المقلد صحيح واحتجوا بهذه الآية قالوا ان الله تعالى حكم بصحة ايمان أولئك الافواج
وجعله من أعظم المنن على نبيه صلى الله عليه وسلم فلم يكن ايمانهم صحيحا لما ذكره في هذا
المعرض ثم اننا نعلم قطعاً انهم ما كانوا يعرفون حدوث الاجسام بالدليل ولا اثبات كونه تعالى
عالم بجميع المعلومات التي لانهاية لها ولا اثبات الصفات والتزيهات بالدليل والعلم بأن
أولئك الاعراب ما كانوا عالمين بهذه الدقائق ضروري فعلما ان ايمان المقلد صحيح (فان قيل)
انهم كانوا عالمين بأصول دلائل هذه المسائل لان أصول هذه الدلائل ظاهرة بل كانوا جاهلين
بالتفاصيل (أجيب) بأن الدليل لا يقبل الزيادة والنقصان فان الدليل اذا كان مثلاً من عشر
مقدمات فمن علم تسعة منها وكان في المقدمة العاشرة مقلداً كان في النتيجة مقلداً لا محالة * ولما
كمل الدين أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يشتغل بنفسه فقال عز من قائل (فسبح)
أي نزه بقولك وفعلك بالصلاة وغيرها تسبيحاً لم يتبسأ (بمحمد بك) أي الذي أنجز لك الوعد
بأكمال الدين وقمع المعتدين المحسن اليك بجميع ذلك لان هذا كله لكرامتك والافه وعزير

جسد على كل حال فحسب التيسير الله تعالى لهذا الفتح الذي لم يخطر ببال أحد حامد له عليه
أو فصل له حامد على نعمه قاله ابن عباس روى أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة بدأ بالسجود
فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات (واستغفره) أي اطلب غفرانه لتقتدي بك أمتك
في المواظبة على الأمان الثاني فإن الأمان الأول الذي هو وجودك بين أظهرهم قد دنا
رجوعه إلى معدته في الرفيق الأعلى والمحل الأقدس وفي ذلك إشارة إلى أنه لا يقدر أحد أن
يقدر الله تعالى حتى قدره كما أشار إلى ذلك الاستغفار عقب الصلاة التي هي أعظم العبادات
وفي الصحيحين عن عائشة أنها قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد أن نزلت عليه
سورة إذا جاء نصر الله والفتح إلا يقول أستغفر الله وأتوب إليه قال فاني أمرت بها ثم قرأ إذا جاء
نصر الله والفتح إلى آخرها وقال عكرمة لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قط أشد اجتهاداً في أمور
الآخرة ما كان عند نزولها وقال مقاتل لما نزلت قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه
وفيه أبو بكر وعمر وسعد بن أبي وقاص والعباس ففرحوا واستبشروا وبكى العباس فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم قال نعتيت اليك نفسك قال انه كما قلت فعاش بعدها
ستون يوماً ما روى فيها ضاحكاً مستبشراً وقيل نزلت في منى بعد أيام التشريق في حجة الوداع
فبكى عمرو والعباس فقيل لهما هذا يوم فرح فقالا لا بل فيه نبي النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن
عمر نزلت هذه السورة بمعنى حجة الوداع ثم نزل اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي
فعاث صلى الله عليه وسلم بعدها ثمانين يوماً ثم نزلت آية الكلاله فعاش بعدها خمسين يوماً
ثم نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم فعاش بعدها خمسة وثلاثين يوماً ثم نزل وانقوا يوم ترجعون
فيه إلى الله فعاش بعدها أحد وعشرين يوماً وقال مقاتل سبعة أيام وقيل غير ذلك وقال الرازي
اتفق الصحابة على أن هذه السورة دلت على نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لوجوه
أحدها أنهم عرفوا ذلك لما خطب صلى الله عليه وسلم عقب السورة وذكر التضيير وهو قوله صلى
الله عليه وسلم في خطبته لما نزلت هذه السورة أن عبداً خيره الله بين الدنيا وبين لقاؤه فاختر لقاءه
الله فقال أبو بكر رضي الله عنه فديناك بأنفسنا وأموالنا وأبائنا وأولادنا نأتيها انه لما ذكر
حصول النصر والفتح ودخول الناس في الدين أفواجا دل ذلك على حصول الكمال والقلم
وذلك يستعقبه الزوال كما قيل

إذا تم أمر يدانقصه * توقع زوالا إذا قبلتم

ثالثها انه تعالى أمره بالتسبيح والحمد والاستغفار مطلقاً واشتغاله بذلك يمنع من الاشتغال
بأمر الأمة فكان هذا كالتنبية على أن أمر التبليغ قد تم وكل ذلك يقتضي انقضاء الاجل
اذ لو بقي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لكان كل عزم من الرسالة وذلك غير جائز وعن ابن عباس
ان عمر كان يدينه ويأذن له مع أهل بدر فقال عبد الرحمن أتأذن له... هذا الفتح معنا وفي أبياتنا
من هو مثله فقال انه من قد علمت قال ابن عباس فأذن لهم ذات يوم وأذن لي معهم فسألهم
عن قول الله تعالى إذا جاء نصر الله والفتح ولا أراهم سألهم الأمن أجلي فقال بعضهم أمر الله

تعالى نبيه اذا فتح عليه ان يستغفره ويتوب اليه فقلت ليس كذلك ولكن نعت اليه نفسه
 فقال عمر ما أعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال كيف تكلموني عليه بعد ما ترون وروى أنه صلى الله
 عليه وسلم دعا فاطمة رضي الله عنها فقال يا ابتاه اني نعت الى نفسي فبككت فقال لا تبكي فانك
 أول أهل لحوقابي وعن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم
 وبحمدك أستغفرك وأتوب اليك وعن أبي أمامة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة
 بعد أن نزلت اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي وقالت
 أم سلمة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يجي ولا يذهب
 الا قال سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه قال فاني أمرت به اني قرأ اذا جاء نصر الله
 والفتح الى آخرها وقيل استغفره هضم النفس واستغفار العمل واستدرا كالمفرط
 منك بالالتفات الى غيره وعنه عليه الصلاة والسلام اني أستغفر الله في اليوم واللييلة مائة مرة
 وقيل استغفر لا تمتك وتقديم التسليم ثم الحمد على الاستغفار على طريق النزول من الخالق الى
 الخلق كما قيل ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله * ولما أمره الله تعالى بالتسليم والاستغفار
 أرشده الى التوبة بقوله تعالى (انه) أي المحسن اليك بالنصر والفتح وغير ذلك مما لا يدخل
 تحت الحصر (كان) أي ولم يزل (توابا) أي رجعا عن ذهابه الشيطان من أهل رحمته فهو الذي
 رجع بأنصارك عما كانوا عليه من الاجتماع على الكفر والاختلاف والعداوات فأيدك الله
 تعالى بدخولهم في الدين شيئا فشيئا الى ان دخلت مكة بعشرة آلاف وهو أيضا يرجع بك الى الحالة
 التي يزداد بها ظهور رفعتك في الرفيق الاعلى قال الله تعالى وللاخرة خير لك من الاولى
 فتقوز بتلك السعادات العالية وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمى سورة التوديع قال
 قتادة ومقاتل عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وهذا بناء على انها
 نزلت قبل فتح مكة وهو قول الأكثر فان الفتح كان في سنة ثمان وأما من قال عاش دون ذلك
 كما مر فبناء على انها نزلت بمعنى في حجة الوداع كما مر أيضا * (تنبيه) في الآية سوالات أحدها
 ان قوله تعالى كان توابا يدل على الماضي وحاجتنا الى قبوله في المستقبل ثانياها لقال غفارا
 كما قال في سورة نوح عليه السلام ثالثها انه قال تعالى نصر الله وقال تعالى في دين الله وقال
 تعالى بحمد ربك ولم يقل بحمد الله (وأجيب) عن الاول بوجوه أحدها أن هذا أبلغ كانه
 يقول اني تبت على من هو أقبح فعلا منكم كاليهود فأنهم بعد ظهور المعجزات العظيمة كخلق البحر
 وانشاء الجبل ونزول المن والسلوى عصوا ربهم وأتوا بالقبايح ولما تابوا قبلت توبتهم فاذا كنت
 قابلا لتوبة أولئك وهم دونكم أفلا أقبل توبتكم وأنتم خير أمة أخرجت للناس ثانياها اني
 شرعت في توبة العصاة والشروع ملزم على قول النعمان فكيف في كرم الرحمن ثالثها كنت
 توابا قبل أمركم بالاستغفار أفلا أقبل وقد أمرتكم بالاستغفار رابعها كانه أشار الى
 تخفيف جنايتهم أي لستم أول من جنى وتاب والمعصية اذا عمت خفت خامسها كانه نظير
 ما يقال لقد أحسن الله اليك فيما مضى كذلك يحسن اليك فيما بقى (وأجيب) عن الثاني

يوحنين أحدهما له خص هذه الأمة بزيادة الشرف لانه لا يقان في صفات العبد غفار ويقال
تواب اذا كان آتيا بالتوبة فيقول تعالى كنت لي سعيًا من أول الامر أنت مؤمن وأنا مؤمن
وان كان المعنى مختلفا فبحق تصير سعيًا لي في آخر الامر وأنت تواب وأنا تواب ثم التواب
في حق الله تعالى انه يقبل التوبة كثيرا فيجب على العبد أن يكون آتيا بالتوبة كثيرا فانها
تعالى انما قال توابا لان القاتل قد يقول أستغفر الله وليس بتائب كقوله عليه الصلاة والسلام
المستغفر بلسانه المصر بقلبه كالمستزى بربه (فان قيل) قد يقول أتوب وليس بتائب (أجيب)
بأن ذا يكون كاذبا لان التوبة اسم للرجوع والندم بخلاف الاستغفار فانه لا يكون كاذبا فيه
فصار تقدير الكلام واستغفره بالتوبة وفيه تنبيه على أن خواتيم الاعمال يجب أن تكون
بالتوبة والاستغفار فكذا خواتيم الاعمار (وأجيب) عن الثالث بأنه تعالى راعى العدل
فذكر اسم الذات مرتين وذكر اسم الفعل مرتين أحدهما الرب والثاني التواب ولما كانت
التوبة تحصل أولا والتوبة آخر لا جرم ذكر اسم الرب أولا واسم التوبة آخر فانسأل الله تعالى
من فضله وكرمه ان يمن علينا بتوبة تصوح لانتكث بعدها أبدا فانه كريم رحيم وقول البيضاوي
تبع للز مخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا جاء نصر الله أعطى من الاجر كن
شهد مع محمد يوم فتح مكة حديث موضوع

﴿سورة تبت مكية﴾

وهي خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفا

(بسم الله) المتكبر الجبار المذل الهاد (الرحمن) الذي هم خلقه بنعمه بهد الاكرام بالايجاد
(الرحيم) الذي خص بتوفيقه أهل الوداد وقوله تعالى (تبت يد أبي لهب) دعاء عليه وسبب
نزول ذلك ما روى عن ابن عباس أنه قال لما نزل قوله تعالى وأندرعت يرك الاقربين سعد صلى
الله عليه وسلم الصفا وجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدى لبطون قريش حتى اجتمعوا عنده فجعل
الرجل اذا لم يستطع أرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرايتم لو أخبرتكم
ان العدو مصبكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقون قالوا بلى قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب
شديد فقال أبو لهب تبالك لهذا ادعوتنا جيعا فنزلت وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم خرج
الى البطحاء فصعد الجبل ونادى يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش وذ كرنحوه وفي رواية فصعد
الصفا فنهف يا صباحاه فقالوا من هذا الذي به تف فقالوا محمد فاجتمعوا اليه فقال صلى الله عليه
وسلم أرايتم لو أخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك
كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبالك أما جعتنا الا لهذا فنزلت
وعن أبي زيد ان أبا لهب أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماذا أعطى ان آمنت بك يا محمد فقال
صلى الله عليه وسلم كما يعطى المسلمون فقال مالي عليهم فضل فقال صلى الله عليه وسلم وأي شيء
تبتغي قال تبالك هذا من دين أن أكون وهؤلاء سواهم فنزلت ومعنى تبت قال ابن عباس خابت
وقال قتادة خسرت وقال عطاء مصلت وقال ابن جبير هلكت والتياب الهلاك ومنه قولهم

اشابة أم تابة أي هالكة من الهرم والتعجز والمعنى هلكت يداها لانه فيما يروى أخذ حجر البري
به النبي صلى الله عليه وسلم وقيل رماه به فأدى عقبه فلهذا ذكرت اليد وان كان المراد بجله
البدن فهو كقولهم خسرت يده وكسبت يده فأضيفت الافعال الى اليد وذلك على عادة العرب
في التعبير ببعض الشيء عن كله وجميعه أو عبر باليدين لان الغالب ان الاعمال تراول بهم ما وقال
يمان بن رباب صغرت من كل خير حكى الاصمعي عن أبي عمرو بن العلاء انه لما قتل عثمان مع
الناس هاتفا يقول لقد خلوك وانصرفوا * فما أبوا ولا رجعوا
ولم يوفوا نذرهم * قتيلا الذي صنعوا

وقيل المراد باليدين دينه ودينه أو أولاده وعقبه أو المراد بأحدهما جزاء المنفعة وبالأخرى دفع
المضرة أو لان اليدين سلاح واليسرى جنة وأبولهب هو ابن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه
وسلم واسمه عبد العزى (فان قيل) لماذا كنى بذلك ولم يكن له ولد اسمه لهب وأيضا فالتكنية من
باب التعظيم (أجيب) عن الاول بأن الكنية قد تكون اسما كما سمى أبو سفيان وأبو طالب
ونحو ذلك فان هؤلاء أسماءهم كآهم أو تلهب وكنيته وكان مشرق الوجه أحمره (وأجيب) عن
الثاني بوجوه أحدها أنه لما كان اسما خرج عن قاعدة التعظيم ثانيا ان اسمه كان عبد العزى كما مر
فعدل عنه الى كنيته لفتح اسمه لأن الله تعالى لم يصف العبودية في كتابه الى صنم ثالثها انه لما
كان من أهل النار وما له الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بان يذكر بها
كقولهم أبو الخير وأبو الشر لصدورهما منه أولان الكنية كانت أغلب من الاسم أولانها
أنقص منه ولذلك ذكر الانبياء عليهم الصلاة والسلام بأسمائهم دون كآهم وقال الزمخشري
فان قلت لما كآهم والكنية تكريمة ثم ذكر ثلاثة أجوبة اما شهرته بكنيته واما لفتح اسمه كما تقدم
واما لانه لما كان من أهل النار وما له الى نار ذات لهب وافقت حالته كنيته اه وهذا يقتضي
ان الكنية أشرف من اللقب لا أنقص وهو عكس قول تقدم وقرأ ابن كثير باسكان الهاء
والباقون بفتحها وهما الفتان بمعنى نحو النهر والنهر وقوله تعالى (وتب) خبر كما يقال أهلكه
الله وقد هلك فالاول أنخرج مخرج الدعاء عليه والثاني أنخرج مخرج الخبر فحق به ما أريد من
الاستناد الى اليدين من الكناية عن الهلاك الذي لا بقاء بعده وقيل المراد بالاول ماله وملكه
كما يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به المال والثاني نفسه * ولما دعاه صلى الله عليه وسلم أقربه
الى الله تعالى وخوفهم النار قال أبو لهب ان كان ما يقول ابن أخي حقا فاني أقدي نفسي بحالي
وولدي فانزل الله تعالى (ما أغنى عنه) أي عن أبي لهب (ماله) أي الكثير الذي جرت العادة
أنه من الهلاك فانه كان صاحب مواش كثيرة (وما كسب) أي من الولد والاصحاب
والعز بعبثيته التي كان يؤذي بها النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابنه عتبة شديد الاذى للنبي
صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فكان أبو لهب
يعرف أن هذه الدعوة لا بد أن تدركه فساهم في الشأم فأوصى به الرفاق لينصروه من هذه الدعوة
فكانوا يحدقون به اذا نام ليكون وسطهم والجول محيطة به وهم يحيطون بها والركاب محيطة

بهم فلم ينفعه ذلك بل جاء الاسد فتشتم الناس حتى وصل اليه فاقتلع رأسه وانما كان الولد من
 الكسب لقوله صلى الله عليه وسلم أطيب ما يأكل أحدكم من كسبه وان ولده من كسبه
 * (تنبيه) * ما في ما أغنى يجوز فيها النفي والاستفهام فعلى الاستفهام تكون منصوبة المثل
 بما بعدها التقدير أي شئ أغنى المال وقدم لكونه له صدر الكلام ويجوز في ما في قوله تعالى
 وما كسب أن تكون بمعنى الذي فالعائد محذوف وأن تكون مصدرية أي وكسبه وأغنى
 بمعنى يغنى ثم أوعد سبحانه بالنار فقال تعالى (سيصلى) أي عن قريب بوعده لا خلف فيه (نارا)
 يندس فيها وتنعطف عليه وتحيط به (ذات لهب) أي لا تسكن ولا تخمد أبداً لأن ذلك مدلول
 العصبية الملهـ برعها بذات وذلك بعد موته ولما أخبر تعالى عنه بكمال التباب الذي هو نهاية
 الخسار زاده تحقيراً يراذكر من يصونهم بأزرى صورة وأشنعها بقوله تعالى (وامرأته) وهو
 عطف على ضمير يصلى سوغه الفصل بالمفعول وصفته وهي أم جميل وهي أخت أبي سفيان بن
 حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي مثل زوجها في التباب والعلى من غير أن يغنى
 عنها شئ من مال ولا حسب ولا نسب وعدل عن ذكرها بكنيتها لأن صفتها القباحة وهي ضد
 كنيته قال البقاعي ومن هنا يؤخذ كراهة التلقيب بناصر الدين ونحوها لمن ليس متصفاً بما دل
 عليه لقبه وقوله تعالى (جمالة الخطب) فيه وجهان أحدهما هو حقيقة قال قتادة وكانت
 تعبيرا للنبي صلى الله عليه وسلم بالفقر ثم كانت مع كثرة مالها تحمل الخطب على ظهرها الشدة
 بخلها فعبرت بالخل وقال ابن زيد كانت تحمل العضاء والشوك تلقيه في الليل في طريق
 النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يبطؤه كما يبطأ الحرير وقال بزة
 الهمداني كانت أم جميل تأتي في كل يوم بابالة من الحسل فتطرحها في طريق المسلمين فيبغضها
 ذات ليلة حاملة حزمة عييت فقعدت على حجر تستريح فغذبها الملك من خلفها فأهلكها الوجه
 الثاني أن ذلك مجاز عن المشي بالنميمة ورعى الفتن بين الناس ويقال للمشاة بين الناس بالغمائم
 المفسدين الناس يحمل الخطب منهم أي يوقدون بينهم النائرة ويشعلون الشر قال الشاعر
 من البيض لم تصطد على ظهر لائمة * ولم تمس بين الناس بالخطب الرطب
 جعله رطباً ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر وقال سعيد بن جبير جمالة الخطايا
 والذنوب من قولهم فلان يحتطب على ظهره قال تعالى يحملون أوزارهم على ظهورهم وقرأ
 عاصم بنصب التاء من جمالة على الشتم قال الرمنشري وأنا أستحب هذه القراءة وقد نوسل إلى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب شتم أم جميل اه والباقون يرفعونها على أنها صفة امرأته
 فأنها مرفوعة باتفاق أما بالعطف على الضمير في سيصلى كما مر ويكون قوله تعالى (في جدها
 جبل) حالاً من امرأته أو على الابتداء في جدها جبل هو الخبر وجبل فاعل به ويجوز أن يكون
 في جدها خبراً مقدماً وجبل مبتدأ مؤخر أو الجملة حالية أو خبر ثان والجبل العنق ويجمع على
 أبيجاد وقوله تعالى (من مسد) صفة لجبل والمسد ليف المقل وقيل الليف مطلقاً وقال أبو عبيد هو
 جبل يكون من صوف وقال الحسن هي جبال من شهر يثبت باليمن يسمى المسد وكانت تفتله

وقال الضحاك وغيره هذا في الدنيا وكانت تعبيرا للنبي صلى الله عليه وسلم بالفقر وهي تحتطب في جبل تجعله في جيدها من ليف نخعة لها الله عز وجل به فأهلكها وهو في الآخرة جبل من نار (فان قيل) ان كان ذلك جبلها فكيف يبقى في النار (أجيب) بأن الله تعالى قادر على تجديده كلما احترق كما يبقى اللحم والعظم والجلد أبدا في النار وعن ابن عباس قال هو سلسلة ذرعهما سبعون ذراعا تدخل فيها وتخرج من أسفلهما ويلوى ساورها على عنقها وقال قتادة هو قلادة من ودع وقال الحسن انما كان خروا في عنقها وقال سعيد بن المسيب كانت لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت واللات والعزى لا تنقنها في عداوة محمد ويكون ذلك عذابا في جيدها يوم القيامة وقيل ان ذلك اشارة الى الخذلان يعني انها مربوطة عن الايمان لما سبق لها من الشقاء كالمربوط في جيده بجبل من مسد والمسد القتل يقال مسد حبله يسده مسدا أى أجاد قتله والجمع امساده وروى أنها لما سمعت ما نزل فيها وفي رزجها من القرآن أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر وفي يدها فهر من حجارة تريد أن ترميه به فلما وقفت عليه أخذ الله تعالى بصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى الا أبا بكر فقالت يا أبا بكر أين صاحبك قد بلغني أنه يهجوني والله لو وجده لضررت به هذا الفهر فاه والله اني اشاعرة مذمما عصينا * وأمره أيننا * ودينه قلينا

ثم انصرفت فقال أبو بكر يا رسول الله أما ترى ما رأيت قال صلى الله عليه وسلم لم مارأيتني لقد أخذ الله تعالى بصرها عنى وكانت قريش انما تسمى محمد اصى الى الله عليه وسلم مذمما ثم يسبونونه وكان صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبوا لما صرف الله تعالى عنى من أذى قريش يهجون مذمما وأنا محمد انظر كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل هذا الاذى ويحلم عليهم فينبغي لغيره أن يكون له به اسوة قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة * (تنبيه) * اخرج أهل السنة على تكليف ما لا يطاق بانه تعالى كلف أبا الهب بالايمان بتدبير الله تعالى في كل ما أخبر عنه ومما أخبر عنه انه لا يؤمن فانه من أهل النار فانه قد صار مكلفا بأن يؤمن بأنه لا يؤمن وهذا تكليف بالجمع بين التقيضين وهو محال وذلك مذكور في أصول الفقه وقد تضمنت هذه الآيات الاخبار عن الغيب بثلاثة أوجه أحدها الاخبار عنه بالتياب والخبر ان وقد كان ذلك ثانياها الاخبار عنه بعدم الانتفاع بماله وولده وقد كان ذلك ثالثها الاخبار عنه بأنه من أهل النار وقد كان ذلك لانه مات على الكفر وهو امر آت ففى ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وامر آتة خنقهها الله تعالى بجبلها كما مر وأبو الهب رماه الله تعالى بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال فمات وأقام ثلاثة أيام لا يدفن حتى أتت ثم ان ولده غلبه بالماء قد قام بعد مخافة عدوى العدسة وكانت قريش تتقيها كما تتقى الطاعون ثم احتملوه الى أعلى مكة وأسندوه الى جدار ثم رضعوا عليه الحجارة وقيل ان الله تعالى يدخل امرآته جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الخطب ولا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من أصل شجرة الزقوم أو من الضريع وفي جيدها جبل من مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه وقول

التفاسير كلها تفسيراً واحداً فإنه متصف بجميعها فكونه لم يلد لأنه لم يجانس ولم يمتدح إلى من يعينه
 أو يخلف عنه لا امتناع الحاجة والقضاء عليه لدوامه في أبدية والاقتصار على الماضي لو روده رداً
 على من قال الملائكة بنات الله أو العزيز أو المسبح أو غيره * ولما بين أنه لا فصل له ظهر أنه لا جنس
 له فدل عليه بقوله تعالى (ولم يولد) لأنه لو تولد عنه غيره تولد هو عن غيره كما هو المعهود والمعقول
 فهو قديم لا أول له بل هو الأول الذي لم يسبقه عدم لأن الولادة لا تتكون ولا تتشخص إلا بواسطة
 المادة وعلاقتها وكل ما كان مادياً أو كان له علاقة بالمادة كان متولداً عن غيره والله سبحانه
 وتعالى منزّه عن جميع ذلك (ولم يكن) أي لم يمتدح ولم يوجد بوجه من الوجوه ولا بتقدير من
 التقادير (له) أي خاصة (كفوا) أي مثلاً ومساوياً (أحد) على الإطلاق أي لا يساويه في قوة
 الوجود لأنه لو سواه في ذلك كانت مساوياً باعتبار الجنس والفصل فيكون وجوده متولداً
 عن الأزواج الحاصل من الجنس الذي يكون كالأم والابن الذي يكون كالاب وقد ثبت أنه
 لا يصح بوجه من الوجوه أن يكون في شيء من الولادة لأن وجوب وجوده لذاته فانتفى أن يساويه
 شيء وكان الأصل أن يؤثر الطرف لأنه صلة لكن لما كان المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى قدم
 تعديلاً للآدم وجوز أن يكون حالاً من المستكن في كفواً وخبراً أو يكون كفواً حالاً من أحد
 وعطف هاتين الجملتين على الجملة التي قبلهما لأن الثلاث شرح الصدية النافية لأقسام الأمثال
 فهي كالجمل الواحد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
 يقول الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي يقول ابن
 يعبدني كما بداني وليس أول الخلق بأهون علي من أعادته وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولداً وأنا
 الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد وقرأ حمزة بسكون الفاء والباقيون بضمها وقرأ
 حفص **كفوا** بالواو ووقفوا وصلوا وإذا وقف حمزة وقف بالواو وروى في فضائل هذه السورة
 أحاديث كثيرة منها ما روى البخاري عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ قل هو الله
 أحد يرددناها فلما أصبح أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقلها فقال
 له رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد (فان قيل) لم كانت
 تعدل ثلث القرآن (أجيب) بأن القرآن أنزل أثلاثاً ثلث أحكام وثلث وعد وثلث أسماء
 وصفات فجعلت هذه السورة أحد الأثلاث وهو الأسماء والصفات وقيل إنه تعدل القرآن كله
 مع قصر مرتبتها وتقارب طرفيها وما ذل إلا احتوائها على صفات الله تعالى وعده وتوحيده وكفى
 بذلك دليلاً لمن اعترف بفضلها ومنها ما روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه
 وسلم بعث رجلاً على سرية فكان يقرأ في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لآي شيء يصنع ذلك فسأله فقال لأنهم صفة الرحمن فأما
 أحب أن أقرأ بها فقال صلى الله عليه وسلم أخبروه أن الله تعالى يحبه * ومنها ما رواه الترمذي عن
 أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقرأ قل هو الله أحد فقال صلى الله عليه
 وسلم وجبت قلت ما وجبت قال الجنة * ومنها ما روى أنس أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفرت ذنوبه * ومنها ما روى سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى الله له قصرا في الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى الله له قصرين في الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاث قصور في الجنة فقال عمر أذن تكثر قصورنا فقال صلى الله عليه وسلم الله أوسع من ذلك * ومنها ما رواه الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الصبح اثنتي عشرة مرة فكأنما قرأ القرآن أربع مرات وكان أفضل أهل الأرض يومئذ إذا اتقى وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يشق في قبره وأمن من ضغطة القبر وجملة الملائكة بأكد ما حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة وقد أفردت أحاديثها بالتأليف وفي هذا القدر كفاية لاولي الالباب ولها أسماء كثيرة وزيادة الاسماء تدل على شرف المسمى أحدها أنها سورة التوحيد ثانيا سورة التبريد ثالثا سورة التوحيد رابعا سورة الاخلاص خامسا سورة النجاة سادسا سورة الولاية سابعها سورة النسبة لقولهم انب لنا ربك ثامنا سورة المعرفة تاسعها سورة الجمال عاشرها سورة المقشقة حادي عشرها سورة المعوذة ثاني عشرها سورة الصمد ثالث عشرها سورة الاساس قال أسست السموات السبع والأرضين السبع على قل هو الله أحد رابع عشرها المائدة لانها تمنع فتنة القبر ونفحات النار خامس عشرها سورة المحتضر لان الملائكة تحضر لاستماعها اذا قرئت سادس عشرها المنفرة لان الشياطين تنفر عند قراءتها سابع عشرها سورة البراءة لانها ابراءة من الشرك ثامن عشرها المذكرة لانها تذكر العبد خالص التوحيد تاسع عشرها سورة النور لانها تنور القلب المكمل للعشرين سورة الانسان قال صلى الله عليه وسلم اذا قال العبد الله قال الله دخل حصفي ومن دخل حصفي آمن من عذابي ففسأل الله تعالى أن يجبرنا من عذابه ويدخلنا الجنة نحن وجميع الاحباب بغير حساب لانه كريم - مليم وهاب وما رواه البيضاوي من انها تعدل ثلث القرآن فرواه البخاري ومن انه صلى الله عليه وسلم لم يسمع رجلا يقرأها الخ فرواه الترمذي والنسائي وغيرهما

(سورة الفلق مكية)

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ومدينة في قول ابن عباس وقتادة وهي خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وأربعة وسبعون حرفا

(بسم الله) الذي له جميع الحول (الرحمن) الذي استجمع كمال الطول (الرحيم) الذي أنعم على أهل وده جميع النول واختلف في سبب نزول سورة (قل أعوذ برب الفلق) فقال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فذنت اليه اليهود فلم ير الواب حتى أخذ مشاطة رأس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة أسنان من مشطه وأعطاهم اليهود فهدروها وتولى ذلك لبيد بن الأعصم رجل من اليهود فنزلت هذه وقل أعوذ برب الناس فيه

خالق وخلقان وقيل الفلق الجبال والصخور تنفلق بالمياه أى تنشق وقيل هو التفليق بين الجبال
 لأنها تنشق من خوف الله تعالى ولفظ الرب هنا أوقع من سائر أسماءه تعالى لأن الاعادة من المصار
 تربية • ولما كانت الأشياء قسمين عالم الخلق وعالم الامر وكان عالم الامر خيرا كله فكان الشر
 منحصرا في عالم الخلق خصه بالاستعانة فقال تعالى معصما فيها (من شر ما خلق) فخص عالم
 الخلق بالاستعانة منه لانحصار الشرفيه والشرية بكون اختياريا من العاقل الداخل تحت
 مدلول ما وغيره من سائر الحيوانات كالـ كفرة والظلم ونهش السباع ولدغ ذوات السعوم وتارة
 طبيعيا كحراق النار واهلاك السعوم وقيل المراد به ابليس خاصة لأنه لم يخلق الله خلقا شر منه
 ولأن السحر لا يتم الا به وباعوانه وجنوده وقيل من شرك كل ذى شر وقوله تعالى (ومن شر غاسق
 اذا وقب) فيه أوجه أحدها ما روى عن عائشة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 نظر الى القمر فقال يا عائشة استعبدى بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب
 أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح حسن فعلى هذا المراد به القمر اذا خسف واسود
 وذهب ضوءه أو اذا دخل فى الهاق وهو آخر الشهر وفى ذلك الوقت يتم السحر المؤثر للتمريض
 وهذا مناسب لسبب نزول هذه السورة ثانيا ما روى عن ابن عباس أن الغاسق الليل اذا
 وقب أى أقبل بظلمته من المشرق وسمى الليل غاسقا لأنه أبعد من النهار والغسق البرد وانما
 أمر نباله تؤذى من الليل لأن فيه تتشتر الآفات ويقل الغوث ومنه قولهم الليل أخفى للويل
 وقولهم اعذر الليل لأنه اذا أظلم كثرت فيه الهدى وفيه يتم السحر وأسند الشرا اليه للاستعانة به
 حدوثه فيه ثالثها انه الثريا اذا سقطت وغابت ويقال ان الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند
 طلوعها فلهذا أمر نباله تؤذى من الثريا عند سقوطها رابعها انه الاسود من الحيات ووقبه ضربه
 ونقبه والوقب النقب ومنه وقت الثريد ولما كان السحر اعظم ما يكون لما فيه من تفريق المر
 من زوجه وأبيه وابنه ونحو ذلك عقب ذلك بقوله تعالى (ومن شر النفاثات فى العقد) أى النساء
 أو النفوس أو الجماعات السواحر اللواتى تعقد عقدا فى خيوط ويتفنن عليها ويرقن عليها والنفت
 النفخ مع ريق وقال أبو عبيدة النفاثات من نبات ابيد بن أعصم اليهودى سحره النبي صلى الله
 عليه وسلم (فان قيل) ما معنى الاستعانة من شرهن (أجيب) بثلاثة أوجه أحدها انه يستعاض من
 عملهن الذى هو صنعة السحر ومن اعتمدن فى ذلك ثانيا ان يستعاض من فتنتهن الناس بسحرهن
 وما يخذلهم به من باطلهن ثالثها ان يستعاض مما يصيب الله به من الشر عند فتنتهن قال الزمخشري
 ويجوز أن يراد بهن النساء الكيادات من قوله تعالى ان كيدا كن عظيم تشبها الكيدهن بالسحر
 والنفت فى العقد أو اللاتى يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرنهم بذلك
 • (تنبيه) • اختلف فى النفت فى الرقى فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبذل
 عليه حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض أحد من أهله نفث عليه
 بالمعوذتين وروى محمد بن حاطب أن يده احترقت فألقى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتنث عليها
 ويتكلم بكلام زعم انه لم يحفظه وروى ان قوما لدغ رجل منهم فأثوا أصحاب النبي صلى الله عليه

وسلم فقالوا هل فيكم من راق قالوا لا حتى تجعلوا الناس بأفهامهم قطيعا من الغنم فجعل رجل منهم يقرأ فاتحة الكتاب ويرقى ويتفل حتى يرى قاذوه فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال وما يدريك أنها رقية خذوا واضربوا إلى معكم بسهم وأنكر جماعة النفث والتفل في الرقى وأجازوا النفث بالارقيق وقال عكرمة لا ينبغي للراقي أن ينث ولا يسم ولا يعقد وقيل إن النفث في العقد انما يكون مذموما إذا كان سحرا مضرا بالارواح والابدان وإذا كان صلاح الارواح والابدان فلا يضروا وليس بدموم ولا مكروه بل هو مندوب اليه * ولما كان أعظم حامل على السحر وغيره من أذى الناس الحسد وهو معنى زوال نعمة الحسود والحاسد وغيره قال تعالى (ومن شر حاسد) أي ثابت الاتصاف بالحسد معروف فيه وأعظم الحساد الشيطان الذي ليس له دأب الا السعي في ازالة نعم العبادات عن الانسان بالغفلات ثم قيد ذلك بقوله تعالى (إذا حسد) أي إذا ظهر حسده وعمله يقتضاه من بني الفوائل للحسود لانه اذا لم يظهر أثر ما أضمر فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لا غتنامه بسرو وغيره وعن عمر بن عبد العزيز لم أر ظالما أشبه بالمظلوم من حاسد وفي اشعار الانية ادعاء بما يحسد عليه من نعم الدارين لان خيرا الناس من عاش محسودا ومات محسودا (فان قيل) لم عرف بعض المستعاضة منه ونكر بعضه (أجيب) بأن النفثات عرفت لانه كل نفثاة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضروا رب حسد محسود وهو الحسد في الخيرات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين الحديث وقال أبو تمام * وما حاسد في المكرمات بحاسد * وقال آخر * ان العلاح من في مثلها الحسد * (قائدة) * قال بعض الحكماء الحاسد يارزبه من خسة أوجه أولها أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره ثانيها أنه ساخط لقسمته ربه كأنه يقول لم قسمت هذه القسمة ثالثها ان ضا دفعل الله تعالى ان فضل بيرة من شاء وهو يجعل بفضل الله تعالى رابغها أنه خذل أولياء الله تعالى أو يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم خامسها انه أعان عدو الله ابليس والحاسد لا ينال في الجاهل الاندانة ولا ينال عند الملائكة اللعنة ولا ينال في الدنيا الا جزعا وغما ولا ينال في الآخرة الا حرنا واحترافا ولا ينال من الله تعالى الا بعدا ومقتا وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا يستجاب دعائهم آكل الحرام ومكثر الغيبة ومن كان في قلبه غل أو حسد للمسلمين وقيل المراد بالحاسد في الآية اليهود فانهم كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم (فان قيل) قوله تعالى من شر ما خلق نعيم في كل ما يستعاضة منه فاعني الاستعاضة بعد من الغاسق والنفثات والحاسد (أجيب) بأنه قد خص شرهؤلاء من كل شر خلفاء أمرهم وانه يلحق الانسان من حيث لا يعلم كأنما يقتال به وقالوا شر العدة المداحي الذي يكيدك من حيث لا تشعروا وأخرج الامام احمد عن الزبير بن العوام أنه صلى الله عليه وسلم قال دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء الا والبغضاء هي الحاققة فنسأل الله تعالى ان يحفظنا ويحيينا منه انه كريم جواد وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لقد أنزلت على سورتان ما أنزل مثلها وروى ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال واثلث ان تقر أسورتين

لأحب ولا أرضى عند الله منهما يعني المعوذتين وعن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون قلت بلى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم قال قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وما رواه الزمخشري ولم يفظه البيضاوي هذا لكن قال في آخر السورة الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى حديث موضوع

﴿سورة الناس مكية﴾

وهي ست آيات وعشرون كلمة وتسعة وتسعون حرفاً

(بسم الله) المحيط بكل باطن كحاطته بكل ظاهر (الرحمن) الذي عمت نعمته كل باد وحاضر (الرحيم) الذي خص أهل وقته باتمام النعمة في جميع أمورهم الأول منها والثناء والآخر لما أمر الله تعالى نبيه بالاستعاذة مما تقدم أمره أن يستعيذ من شر الوسواس بقوله تعالى (قل) أي يا أشرف المرسلين (أعوذ) أي اعتمد والتجئ (رب) أي مالك وخالق (الناس) وخصهم بالذكر وإن كان رب جميع المحدثات لأميرين أحدهما أن الناس يعظمون فأعلم بذكرهم أنه رب لهم وإن عظموا الثاني أنه أمر بالاستعاذة من شرهم فأعلم بذكرهم أنه هو الذي يعيذ منهم قال الملووى والرب من له ملك الرق وجلب الخيرات من السماء والأرض وانقاذها ودفع الشرور ورفعها والنقل من النقص إلى الكمال والتدبير العام العائد بالحفظ والتميم على المربوب وقوله تعالى (ملك الناس) إشارة إلى أن له كمال التصرف ونفوذ القدرة وتمام السلطان فإليه القزع وهو المستغاث والمجأ والمنجا والمعاد وقوله تعالى (إله الناس) إشارة إلى أنه تعالى كما انقرب ربوبيتهم وملكهم لم يشركه في ذلك أحد فكذلك هو وحده الإله لا يشركه في ألوهيته أحد وقد اشتملت هذه الإضافات الثلاث على جميع قواعد الإيمان وتضمنت معاني أسمائه الحسنى فإن الرب هو القادر الخالق إلى غير ذلك مما يتوقف الإصلاح والرحمة والقدرة الذي هو معنى الربوبية عليه من أوصاف الجلال والملك هو الآخر الناهي العز المذل إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى العظمة والجلال وأما الإله فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال فيدخل فيه جميع الأسماء الحسنى وتضمنها جميع معاني الأسماء الحسنى كان المستعبد يبادر بأبأن يعاذ وقد وقع ترتيبها على الوجه الأكمل الدال على الواحدانية لأن من رأى ما عليه من النعم الظاهرة والباطنة علم أن له من بابا فادرج في العروج في درج معارفه سبحانه علم أنه غنى عن الكل والكل إليه محتاج وعن أمره تعالى تجري أموره سم فيعلم أنه ملكهم ثم يعلم بانفراد به تدبيرهم بعد ادعاءهم أنه المستحق للإلهية بلا مشاركة فيها (فائدة) قد أجمع جميع القراء في هذه السورة على إسقاط الالف من مالك بخلاف الفاتحة كما مضى لأن المالك إذا أضيف إلى اليوم أفهم اختصاصه بجميع ما فيه من جوهر وعرض وأنه لا أمر لاحد معه ولا مشاركة في شيء من ذلك وهو معنى الملك بالضم وأما إضافة المالك إلى الناس فانها لا تستلزم أن يكون ملكهم فلو قرئ به هنا نقص الملك بالضم وأطبقوا في آل

عمران على اثبات الالف في المضاف وحذفها من المضاف اليه لان المقصود من السياق انه
 سبحانه يعطى الملك من يشاء ويعنعه من يشاء والملك بكسر الميم اليتيم هذا المعنى واسرار كلام الله
 تعالى اعظم من أن تحيط بها العقول وانما غاية أولى العلم الاستدلال بما ظهر منها * (تنبيه) *
 يجوز في ملك الناس واله الناس أن يكونا وصفين لرب الناس وان يكونا بديلين وأن يكونا عطف
 بيان واقتصر عليه الزمخشري قال كقولك سيرة أبي حفص عمر الفاروق بين ملك الناس ثم زيد
 بيانا باله الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس كقوله تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا
 من دون الله وقد يقال ملك الناس وأما اله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية البيان (فان
 قيل) هلا اكتفى بإظهار المضاف اليه الذي هو الناس مرة واحدة (أجيب) بأن عطف
 البيان للبيان فكان مظنة للاظهار دون الاضمار (من شر الوسواس) وهو اسم يعنى
 الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به شيطان
 يعنى بالمصدر أنه وسوس في نفسه لانه صفة له وشغله الذي هو عاكف عليه وأريد
 ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفى ويقال لحس الصائد والكلاب وأصوات الحلي وسواس
 والشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم كما فى الصحيح فهو الذى يوسوس بالذنب سرا
 ليكون احلى ولا يزال يزينه ويشير الشهوة الداعية اليه حتى يوقع الانسان فاذا وقع
 وسوس لغيره ان فلانا فعل كذا حتى يفخه بذلك فاذا افتضح ازداد جرأة على امثال ذلك
 كأنه يقول قد وقع ما كنت أحدى من ايقاعه فلا يكون شئ غير الذى كان فيجتري على الذنب *
 ولما كان الله تعالى لم ينزل داء الا أنزل له دواء غير السام وهو الموت وكان قد جعل دواء الوسوسة
 ذكره تعالى فانه يطرد الشيطان وينير القلب ويصف فيه وصف سبحانه الوسوس عند استعماه
 الدواء بقوله تعالى (الخناس) أى الذى عادته ان يخنس أى يتوارى ويتأخر ويحتنى بعد
 ظهوره مرة بعد مرة كلما كان الذكر خنس وكلما بطل عاد الى وسواسه فالذكر له كالمقامع التى تقمع
 المفسد فهو شديد النفور منه ولهاذا كان شيطان المؤمن هزىلا كما حكى عن بعض السلف أن
 المؤمن يضئ شيطانه كما يضئ الرجل بعيره فى السفر قال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب
 وقيل كخرطوم الخنزير فى صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كراس الحية
 واضع رأسه على غرة القلب يحسه ويحدثه فاذا ذكر الله تعالى خنس ورجع ووضع رأسه فذلك قوله
 تعالى (الذى يوسوس) أى يلقي المعانى الضارة على وجه الخفاء والتكرير (فى صدور الناس)
 أى المضطربين اذا غفلوا عن ذكر ربهم من غير سماع وقال مقاتل ان الشيطان فى صورة خنزير يجرى
 من ابن آدم مجرى الدم فى عروقه ساطه الله تعالى على ذلك وقال القرطبي وسوسته هى الدعاء الى
 اطاعته بكلام خفى يصل مفهوما الى القلب من غير سماع صوت * (تنبيه) * يجوز فى محل
 الذى يوسوس الحركات الثلاث فالجتر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ويحسن ان يقف
 القارئ على الخناس ويبتدئ الذى يوسوس على أحدهذين الوجهين وقوله تعالى (من الجنة)
 أى الجن الذين هم فى غاية الشر والتمرود والخناس (والناس) أى أهل الاضطراب والذبذبة بيان

للذي يوسوس على ان الشيطان ضربان جنى وأنسى كما قال تعالى شياطين الانس والجن ويجوز
 أن يكون بدلا من الذي يوسوس أى الموسوس من الجن والانس وأن يكون حالا من الضمير في
 يوسوس أى حال كونه من هذين الجنس وقيل غير ذلك قال الحسن هما شيطانان لنا أما شيطان
 الجن فيوسوس في صدور الناس وأما شيطان الانس فيأتى علانية وقال قتادة ان من الجن
 شياطين وان من الانس شياطين فنعوذ بالله من شياطين الجن والانس وعن أبي ذر قال لرجل هل
 تعوذت بالله من شيطان الانس فقال أو من الانس شياطين قال نعم اقله تعالى وكذلك جعلنا
 لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن الآية وذهب قوم الى أن المراد بالناس هنا الجن سموا
 ناسا كما سموا رجالا في قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن
 وكما سموا انفرا في قوله تعالى قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن وكما سموا اقوما نقل القراء عن
 بعض العرب أنه قال وهو يحدث جاء قوم من الجن فوقه فاقبل من أنهم فقالوا ناس من الجن
 فعلى هذا يكون والناس عطف على الجنة ويكون التكسير لاختلاف اللفظين والجنسة
 جمع جنى كما يقال انس وانسى والهاء لتأنيث الجماعة وقيل ان ايليس يوسوس في صدور
 الجن كما يوسوس في صدور الناس فعلى هذا يكون في صدور الناس عاما في الجميع ومن
 الجنسة والناس بيان لما يوسوس في صدورهم وقيل معنى من شر الوساوس الوسوسة
 التي تكون من الجنسة والناس وهو حديث النفس قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
 تجاوز لامتق ما حدثت به أنفسهم ما لم تمل أو تتكلم به وعن عتبة بن عامر قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ألم تر آيات نزلت الليله لم ير مثلهن قط أعوذ برب الفلق وأعوذ برب
 الناس وعنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذ قلت
 بلى قال قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه فنفض بهما وقرأ قل هو الله أحد
 وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما رأسه
 ووجهه وما أقبل من جسده يصنع ذلك ثلاث مرات وعنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كان اذا اشكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفض فملا اشتد وجهه كبت أقرأهما عليه وأمسح عنه
 يده وجاء بركتها وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنين رجل
 آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار وعن ابن عباس قال قال رجل يا رسول
 الله أى الاعمال أحب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب
 من أقول القرآن الى آخره كما حل ارتحل وعن أبي هريرة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول
 ما أذن الله لاحد ما أذن لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به (الطيفة) * نختم بها الكتاب
 بها الفخر الرازى رحمه الله تعالى تفسيره وهى ان المستعاذ به في السورة الاولى مذكور بصفة
 واحدة وهى أنه رب الفلق والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات وهى الغاسق والنفاثات
 والחסاد واما في هذه السورة فالمستعاذ به مذکور بصفات ثلاث وهى الرب والمالك والاله

قوله بدلا من الذى
 الخ كذا فى النسخ
 وهو غير ظاهر
 والصواب حال من
 الذى اه

والمستعاض منه آفة واحدة وهي الوسوسة والفرق بين الموضوعين ان الثناء يجب ان يقدر بقدر
المطلوب فالمطلوب في السورة الاولى سلامة النفس والبدن والمطلوب في السورة الثانية سلامة
الدين وهذا تنبيه على ان مضرة الدين وان قلت اعظم من مضار الدنيا وان عظمت في هذا
آخر ما يسره الله تعالى من السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم
الخبير فدونك تفسيراً كأنه سيبيكة عسجد أو درمنضد جع من التقاسير معظمها ومن
القرآت متواترها ومن الاقاويل أظهرها ومن الاحاديث صحيحها وحدثها محترز الدلائل
في هذا الفن مظهر الدقائق استعملنا الفكر فيها اذا الليل جن فاذا ظفرت بفائدة شاردة
فادع لي بالتجاوز والمغفرة او بركة قلم أو لسان فافتح لها باب التجاوز والمغفرة

فلا بد من عيب فان تجددت * فسامح وكن بالستر أعظم مفضل

فمن ذا الذي ماسا قط ومن له الشجعان قدمت سوى خير مرسى

وأنا أعوذ بجميع كلمات الله الكاملة النامة وألوذ بكنف رحمته الشاملة العامة من كل ما يكلم
الدين ويئلم اليقين أو يهود في العاقبة بالندم أو يقدح في الايمان المسوط باللعن والدم وأسأله
بخضوع العنق وخشوع البصر ووضع الخد بلاله الاعظم الاكبر مستشفعا اليه بنوره الذي
هو الشيبة في الاسلام متوسلا اليه بسيد الانام عليه الصلاة والسلام وبالتوبة المعصية
للآثام وبما عنيت به من مصابري على توأكل من القوى وتخاذل من الخطايا ثم أسأله
بحق صراطه المستقيم وقرآنه المجيد الكريم وبما لقيت من كدح اليمين وعرق الجبين
في عمل هذا التفسير المبين عن حقائقه الخالص عن مضايقه المطلع على غوامضه المثبت
في مداحيه المكتنز بالقوائد التي لا توجد الا فيه المحيط بما لا يحصى من بديع الفاظه
ومعانيه مع الايجاز الحاذق للفضول وتجذب المستكره المملول متوسط الطم وخير الامور
أوساطها لا تقربطها ولا افراطها هذا ولسان التقصير في طول مدحه قصير

أعيذه بالمصطفى * من حاسد قد هما

بذمه وقد غدا * من أجله مهمما

فليس ينبغي ذمه * الا بغيض أعمى

كفاه ربي شرهم * وزان منه الرضا

وزاد في تدبيرهم * تدميرهم والغما

وردهم بغيظهم * فلم ينالوا غنما

وزاد مسعادة * ولازمته النعمى

فقال الله الكريم الذي به الضر والنفع والاعطاء والمنع أن يجعله لوجهه خالصا وان يداركني
بالطافه اذا ظل أضنى في القيامة قالصا وأن يتجاوز عني انه هو السميع العليم وأن يرفع به
درجتي في جنات النعيم وان يجعله ذخيرة لي عنده انه ذو الفضل العظيم وأن ينقع به من تلقاء
بالقبول انه جواد كريم وان يخفف عني كل تعب ومؤنة وأن يعتني بحسن المعونه وان يهب

لى خاتمة الخير ويقتنى مصارع السوء وان يتجاوز عن فرط اتي يوم التناد ولا يفصحنى به على
 رؤس الاشهاد أنا ووالدى وأولادى وأقاربى ومشايخى وأحبابى ويحلنا دار المقام من
 فضله بواسع طوله وسابغ نوله الله والجواد الكريم الرؤف الرحيم وهذا شئ ما كان
 فى قدرى فانى والله معترف بقصر الباع وكثرة الزال ولكن فضل الله وكرمه لا يعسل بشئ من
 العلل فلهذا رجوت ان أكون متصفا بأحدى الخصال الثلاث التى اذا مات ابن آدم انقطع
 عمله الامنها بل أرجو من الله الكريم اجتماعها لله جواد كريم حلیم (قال) المؤلف رحمه الله
 تعالى وكان الفراغ من تأليفه يوم الاثنين المبارك ثالث عشر صفر الخير من شهر ربيع سنة ثمان
 وستين وثم عناية من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام على يد مؤلفه فقير روجه
 ربه القريب محمد بن أحمد الشريفي الخطيب غفر الله تعالى له ذنوبه وسترفى الدارين عيوبه
 والمسلمين والحمد لله رب العالمين وصلاة الله وسلامه على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين
 والعصاة والتابعين أجمعين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين

يقول المتوسل الى الله بالجاه الصديق ابراهيم عبدالغفار الدسوقي مصلح دار الطباعة بجل
 الله طباعه قد تم طبع السراج المنير بعون الملك القدير وهذا الكتاب العجيب المنسوب
 للامام الخطيب قد اعنت بتحريره دار الطباعة وبذلت فى تنقيحه غاية الاستطاعة فازالت
 عنه ربة التحريف وأطلقت من أسرار التصنيف بمراجعة اصول أساليبه والبحث عن صواب
 تراكيبه فحصلت بركانه وعمت نفعه وأما الآفاقى بدرو وجوده وروى الظماء قاموس
 فضله وجوده وتحت بصراح جواهر مقانيه اجبا بدرا شريفة ومبتاعه ثم ان تمام بيعه فى اثنا
 طبعه أول دليل على عموم نفعه وهذا كما يقع فى كلدى ويقتنى من كرامات مؤلفه محمد بن
 أحمد الشريفي وكان تمام طبعه بدار الطباعة العامة الكائنة ببولاق مصر القاهرة
 على ذمة هذه المصلحة الميمونة التى هى بطالع السعد مقرونة فى سنة خمس وثمانين ومائتين
 وألف من هجرة من خلقه الله على أكل وصف مشغولا بنظر الجهد فى نفع أوطانه البازل
 مرواته فى قضاء حاج اخوانه من عليه احسن اخلاقه تننى حضرة حسين بك حسنى فانه
 لا يزال باحثا عن عموم المنافع عند وجود المقتضيات وزوال الموانع فى ظل من تعطرت الافواه
 بلجب ثنائه وبلغ من كل وصف جميل حد انتاته ومحافظم الظلم بسناصوره وأثبت مراسم
 العدل بحسن سيرته وأفاض على أهل مملكته غيوث انعامه واحسانه وشملهم بعظيم رأفته
 ومزيد امتنائه وبسط لهم بساط عدله وحلاهم بحلى جوده وفضله عزيز الديار المصرية
 وسامى حى حوزتها النيلية بشدة بأسه وعززه الجلى سعادة أفندينا اسمعيل بن ابراهيم بن
 محمد على لازال ملحوظا بعين العناية الالهية موفقا لسائر الآراء الخيرية محفوظا بالنسب
 مقصودا الاعتبار مسرورا بسائر الانجال بجاه خاتم رسل ذى الجلال ولما تمها للتمام والكمال

وليس من حسن الطبع حله الجبال انطلق لسان اليراع يقرظه وبه من الاطراء يلمظه فقال
 كلام الله أفضل ما رواه • رسول الله عن جبريل قطعا
 بحائبه يحار اللب فيها • وليست تنقضي بدعا وصنعا
 وخادمه يتفسير المعاني • أجل الناس منقبة ووضعها
 ولا سيما الخطيب أبو المعالي • مبين الآي أفذاذا وشفعا
 هو التفسير أيضا وبسطا • ومتبعوه أرقى الناس طبعا
 ولما تم حسنا قلت أرخ • وفي أوب الخطيب وتم طبعا

٩٦ ٦٥٢ ٤٤٦ ٨٢

١٢٨٥

فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على الموقد
 بياهر المعجزات وعلى أصحابه الكرام البررة وآل بيته
 المتخيين الخيرة ما تولى الجديان
 ونعاقب النيران

تم



(فهرسة الجزء الرابع من تفسير الخطيب الشربيني)

صفحة	صفحة	صفحة
سورة الاحقاف	٢٦٧	سورة الاحقاف
سورة محمد صلى	٢٨٠	سورة الاحقاف
الله عليه وسلم	٢٨٩	سورة الاحقاف
سورة الفتح		سورة الاحقاف
سورة الحجرات	٢٩٧	سورة الاحقاف
سورة ق	٤١١	سورة الاحقاف
سورة الذاريات	٤٢٤	سورة الاحقاف
سورة الطور	٤٣٨	سورة الاحقاف
سورة النجم	٤٤٧	سورة الاحقاف
سورة القمر	٤٦٢	سورة الاحقاف
سورة الرحمن	٤٦٨	سورة الاحقاف
سورة الواقعة	٤٧٥	سورة الاحقاف
سورة الحديد	٤٨٢	سورة الاحقاف
سورة المجادلة	٤٩٠	سورة الاحقاف
سورة الحشر	٤٩٥	سورة الاحقاف
سورة الممتحنة	٤٩٩	سورة الاحقاف
سورة الصف	٥٠٦	سورة الاحقاف
سورة الجمعة	٥٠٩	سورة الاحقاف
سورة المنافقين	٥١٦	سورة الاحقاف
سورة التغابن	٥١٩	سورة الاحقاف
سورة الطلاق	٥٢٤	سورة الاحقاف
سورة التهميم	٥٢٩	سورة الاحقاف
سورة الملك	٥٣٦	سورة الاحقاف
سورة ن (٣٤٩)		سورة الاحقاف
سورة الشمس	٥٤١	سورة الاحقاف
سورة الليل	٥٤٤	سورة الاحقاف
سورة الضحى	٥٤٨	سورة الاحقاف
سورة ألم نشرح	٥٥٤	سورة الاحقاف
سورة التين	٥٥٧	سورة الاحقاف
سورة العلق	٥٥٩	سورة الاحقاف
سورة القدر	٥٦٤	سورة الاحقاف
سورة لم يكن	٥٦٩	سورة الاحقاف
سورة الزلزلة	٥٧٢	سورة الاحقاف
سورة العاديات	٥٧٦	سورة الاحقاف
سورة القارعة	٥٧٨	سورة الاحقاف
سورة التكاثر	٥٨٠	سورة الاحقاف
سورة العصر	٥٨٣	سورة الاحقاف
سورة الهمزة	٥٨٥	سورة الاحقاف
سورة الفيل	٥٨٧	سورة الاحقاف
سورة قريش	٥٩٠	سورة الاحقاف
سورة الدين	٥٩٣	سورة الاحقاف
سورة الكوثر	٥٩٥	سورة الاحقاف
سورة الكافرون	٥٩٨	سورة الاحقاف
سورة النصر	٦٠٠	سورة الاحقاف
سورة تبت	٦٠٥	سورة الاحقاف
سورة الاخلاص	٦٠٩	سورة الاحقاف
سورة الفلق	٦١١	سورة الاحقاف
سورة الناس	٦١٥	سورة الاحقاف

(تمت)